

٢١٢ غنية المتأمل وجلاء الخاطر، تأليف الشيخاني، محمود بن
غ. ش محمد. كان حياً قبل ١٠٩٨هـ، بخط محمد سعيد بن حسين
المدرس الأوكاني النقشبندي سنة ١٠٩٨هـ.

٣١ × ٢٠سم

٥٨٠ ص ٣١ س

نسخة جيدة، خطها نسخ حسن، تبدأ من سورة الفاتحة حتى ٧٩٧٧
سورة هود.

١- تفسير القرآن ١-٢ المؤلف

ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ



هذا التفسير المسمى بغنية التالي وجلاء الخاطر

للشريف العالم العامل المحدث الفاضل الكامل خاتمة المفسرين
السيد محمود بن محمد بن علي الشيخاني
من جماعة غوث الله الاعظم ذي
القدم الراسخ والبحر الزاخر اللي
محمد الباز الاشهب محي الدين
عبد القادر الجيلاني
قدس الله سره
العزيز
ونفعنا به
آمين

وفي هذا المجلد عشر سور • سورة البقرة • سورة آل عمران
سورة النساء • سورة المائدة • سورة الانعام • سورة الاعراف
سورة الانفال • سورة التوبة • سورة يونس • سورة هود

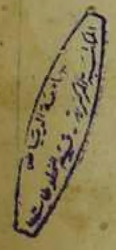
اللهم اني اتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة • وشفيع الامة • وكاشف الغمة • ان توصل هذا الكتاب الى من خصصته من الرحمة العامة في هذا
العصر العضوض على مفارق المومنين • والعدالة السامية العالية بين كافة
المسلمين • امير المومنين • راس الغزاة والمجاهدين • وناصب راية
المظلومين • ومشتة جيش المشركين • وناصر دين الله بالفتح المبين • وقامع
الكافرين • السيد [illegible] محي الدين محمد اورنك زيب عالمگير
بالسلطنة العظمى • والخلافة الاسمى • ادام الله سلطانه • وعمم
برهانه • وجمع شمله وشانه • امين • رب العالمين •

سُبْحَانَ مَنْ بِهِ كَانَ مَا كَانَ وَبِهِ يَكُونُ مَا يَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده • واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له • واشهد ان
محمدا عبده ورسوله • صلى الله عليه وسلم • اما بعد فقد حبب الى ان الخص مختصرا
في تفسير القران ملتجيا الى الله في تيسيره وتسهيله وتاويله ليكون عونا لطالبي هذا الشان
وراغبا اليه ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وجلاء لخاطر اهل وده وقربه بمنه وكرمه
وسميته غنية التالي وجلاء الخاطر • مولف هذا المختصر العبد الفقير العاجز السيد محمود
ابن محمد بن علي الشيخاني من جماعة غوث الله الاعظم • ذي القدم الراسخ والبحر الزاخر ابي محمد الباز
الاشهب محي الدين عبد القادر قدس سره ثم اني اذكر فيه ثلاثة وقوف التام والحسن والكافي
الى قوله انك اذا لمن الظالمين فقط فعلامة التام تا وعلامة الحسن حس وعلامة الكافي كـ
واذا قلت القراة كذا وكذا فهي من السبعة واذا قلت وقرئ بكذا فهي شاذة ولنذكر ما يتعلق بالتفسير
والتاويل والفرق بينهما فالتفسير الوقوف على اسباب نزول الاية وشانها وقصتها والاسباب التي
نزلت والاقوام الذين اريد واها ولا يتكلم في ذلك الا بالسماع والتاويل صرف الاية الى معنى
الاية او كلمة منها بيان ذلك لو قيل ما معنى لا ريب فنقول لا شك فهذا تفسير لتلك الكلمة فان قيل
قد نفيت الريب وقد ارتابوا فان اجبت وقلت انه في نفسه صدق واذا تومن وجد كذلك فانتفى عنه
الريب فهذا تاويل فتخصه التفسير ما يتعلق بالرواية والتاويل ما يتعلق بالدراية او التفسير كشف ظاهر
الكلام والتاويل كشف باطنه اذا وافق الحق او التفسير للخلق كما في المحكمات والتاويل للحق كما في المتشابهات
قال الله تعالى وما يعلم تاويله الا الله او التفسير ما لا يختلف فيه والتاويل ما اختلف فيه على وجه يوافق
الشرع قال بعضهم لا يجوز تفسير القران بشي الا ان يرد به نقل صحيح وذلك لرواية ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال من قال في القران برايه فليتبوا مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم

من قال في القران برايه فاصاب فقد اخطا وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه
في تفسير قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله ما لا علم لي به وفي رواية انه قال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في اية من كتاب الله بغير ما اراد الله بها وقال ابي بن كعب رضي الله عنه ما استبان لك
فاعمل به وانتفع به وما اشتبه عليك فامن به وكله الى عالمه وذهب عامة اهل العلم
على جواز التفسير لقوله تعالى افلا يتدبرون وهو حث على التامل فيه للوقوف على
معانيه ولقوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه ولقوله تعالى لتبين للناس
ما نزل اليهم ولقوله تعالى تبيانا لكل شي ولقوله صلى الله عليه وسلم اول
ما يرفع من الارض العلم قالوا يا رسول الله اير فع القران قال لا ولكن يموت من يعلم
تاويله ويبقى قوم يتاولونه على اهوايهم اقول ومن الرحمة على الامة احاديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه والتابعين لهم من الايمة الاربعة ومقلديهم
في جواز الاختلاف في الفروع عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد في تركه فان
لم يكن في كتاب الله فبسنة مني فان لم يكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة
النجوم في السماء فايما اخذتم به اهتديتم واختلاف اصحابي لكم رحمة رواه البيهقي في
المدخل بسنده قلت فافهم سر قوله صلى الله عليه وسلم فايما اخذتم به اهتديتم
يعني يستنبط منه ان المجتهدين كلهم على هدى فلا لوم لاحد منهم على احد وفي
المدخل للبيهقي ايضا وعن القاسم بن محمد انه قال كان اختلاف اصحاب محمد رحمة للناس
وفي الطبقات لابن سعد وعن عمر بن عبد العزيز ما يسرني باختلاف اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم حمر النعم وفي المدخل للبيهقي بلفظ ما سرني لو ان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة وقال مالك بن
انس لهارون الرشيد لما اراد ان يعلق الموطا في الكعبة ليحمل الناس على ما فيه يا امير المومنين
لا تفعل ذلك فان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان
وكل مصيب فقال هارون وفقك الله يا ابا عبد الله اخرجه ابو نعيم في الحلية
وفي الطبقات لابن سعد ان المنصور قال لمالك حين حج كمقالة هارون مع
اختلاف في العبارات واعلم ان السر في كون اختلاف هذه الامة رحمة لهم من الله
كما في الحديث المذكور هو ان اختلاف الامم السابقة كان عذابا لهم وهلاكا وكانت
الانبياء يبعث احدهم قبل نبينا بشرع واحد وحكم واحد من غير تخيير في كثير من الفروع
التي تشرع فيها التخيير في شريعتنا كتحتم القصاص في شريعة اليهود وتحتم الدية في شريعة
النصارى ومن ضيق شريعة اليهود هو ان كتابهم لم يكن يقرا الا على حرف واحد وليس
في كتابهم ايضا ناسخ ومنسوخ واما شريعتنا فسمحة سهلة لا حرج فيها كما قال الله تعالى يريد الله



بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال الله تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وفى
الحديث الصحيح بعثت بالحنيفية السمحة ومن سعة شرعنا ان كتابنا نزل على
سبعة احرف تقرا باوجه متعددة والكل كلام الله ويوجر القارى على كل حرف وهذى
به وفى توسعة شرعنا اسرار عظيمة لقدر نبينا وخصوصية له على ساير الانبياء
يستحسن ذلك من له ذوق فى ادراك اسرار الشريعة فاذا فهمت ان المذاهب كلها
حق فلا باس بالاحتياط فى العمل وارجو من الله ان يكون كتابي هذا فذلكة لما سلفت
الكتب فى هذا الفن ولكن ان الطباع ترغب عن محاسن اهل عصره حسدا والقول فى ذلك
ما قاله الاديب ابن رشيق ❁ اولع الناس بامتداح القديم ❁ وبذم الجديد غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحى ❁ ورقوا على العظام الرميم ❁ ولقد اجاد من قال
اخا العلم لا تعجل بعيب مصنف ❁ ولم تتيقن زلة منه تعرف ❁ فكم افسد الراوى كلاما بعقله
وكم غير المنقول قوم وصحفوا ❁ وكم ناسخ اضحى لمعنى مغيرا ❁ وجاء بشىء لم يرده المصنف
وما جاد من قال ايضا ❁ اذا اب على جمع الفضايل جاهدا ❁ وادم لها تعب القريحة والجسد
واترك كلام الحاسدين وبغيهم ❁ هملا وبعد الموت ينقطع الحسد ❁ وقال بعضهم ايضا
لا تسمعن حديث الحاسدين لى ❁ فان ذلك موضوع ومنقطع ❁ فاذا فهمتم هذا
وقر عندكم ما ذكرنا فان رايتم كلمة فى اى كتاب كان من كتبى مما لا تليق بجناب
الصحابى او التابعى او الايمة الاربعة او غيرهم من اتباعهم فصحح ذلك
كما اوصى بذلك الامام الجليل عبد الرحمن السيوطى وانما اوصيت بوصيته
لانى رايت فى تفسير الامام البغوى وعلى بن محمد بن ابراهيم بن الخازن
ويعقوب البصرى وعبد الحليم اليمنى وعبد الله الاصفهانى فى مواضع
كثيرة ما هو صورتها وعند الشافعى ومالك كذا وعند اصحاب الراى كذا فنقلت
ذلك كما ترى من تلك التفاسير بحروفها وبا[حاطتهم] واليها مع علمى ان اصحاب
الراى السديد والقياس الصحيح والاجتهاد الصايب ولا باستنباط من الايات
والاحاديث الايمة الاربعة وعلمت ايضا ان ذكر اصحاب الراى مدح لهم كيف لا
وقد قال الله تعالى وشاورهم فى الامر اى فى الراى وقد ذكر ذلك الامام
النووى الذى هو ولى بلا نزاع وبرى من التعصب فى مقام مدح الامام الاعظم
ومناقبه فى كتاب تهذيب الاسماء واللغات ما نصه وعنده كذا وعند اصحاب
الراى كذا وقد نص ابن حجر ايضا فى كتابه خيرات الحسان فى مناقب ابى حنيفة
النعمان • بان مرادنا باصحاب الراى فى اى محل ذكر ارباب الاجتهاد الذين بذلوا
جهدهم وسعيهم فى استخراج المسايل من الكتاب والسنة وامتثلوا كلهم بقوله تعالى
فاعتبروا يا اولى الابصار واقتدوا بالانبياء والرسل فى الراى والقياس
وحاشاهم ان يقدموا القياس على نص الكتاب والسنة فكلهم اصحاب

الراى

الراى يعنى انهم استنبطوا الاحكام الشرعية من كتاب الله العزيز وسنة رسوله
فالراى على هذا هو الاعتقاد الاجتهادى المختلف فيه فيقال هذا قول الشافعى
ويراد انه رايه ومذهبه لا بمعنى العمل بالراى عند وجود النص كما زعمه المتعصبون
ولعل اخفى مدارك الامام النووى والبغوى وابن الخازن على المتعصبين
والا فكلهم ما اشتغلوا بالاستنباط الا عند الضرورة واكثرهم اجتهادا واستنباطا
من الكتاب والسنة ابو حنيفة النعمان وكفى به فخرا قول الشافعى الناس عيال
على ابى حنيفة فى الفقه وقال فى حق شيخه مالك بن انس اذا ذكر العلماء فمالك النجم
بالكتاب وقال فى حق تلميذه احمد بن محمد بن حنبل ❁ يقولون يزور كل احمد وتزوره
قلت الفضايل لا تفارق منزله ❁ ان زارنى فبفضله وان زرته فالفضل فى الحالين له
فاقول معاذ الله ثم معاذ الله بان نذكر احدا من هولاء الاعلام
بما فيه ذم لهم او شايبة ذلك ولا يضمر ذلك فى قلبه الا من ليس له
حظ فى الاسلام ولعل تخصيص الايمة المذكورين الامام الاعظم
بالراى فى كتبهم لانه اقدم الاربعة اجتهادا واستنباطا كيف لا
وكان ابو حنيفة يرد على قتادة فى صغر سنه كما ساذكر ذلك
فى غنيتى ان شاء الله فى سورة النمل ومقصودى مما ذكرت لكم
هو ان بعض الجهلة ممن هو قريب العهد بالاسلام اذا طالع فى
غنيتى فراى فى بعض الاماكن وعندنا كذا وعند اصحاب الراى
كذا مع عزوى لاولئك الاجلة المذكورين بانهم قالوا فى
تفاسيرهم كذا فيثار عليه داء الحسد والتعصب فيقول هذه
كلمة جاء بها فلان وحده وسطرها على حسب مزاجه فى
تفسيره فيهلك بسوء ظنه اذ من المعلوم ان الكتاب
قد يقع فى يد اهله وفى يد غير اهله ونرجو من الله ان يقع
هذا الكتاب على ايدى العلماء العاملين بعلمهم فينصفوا ويعتذروا
لاولئك الاجلة ولا يسوء ظنهم بهم • فالمامول من ذوى
الالباب والعقول • من العلماء الاعلام والفضلاء الفحول • ان
ينظروا فى كتابى هذا بعين الرضا والقبول • لا من حيث
انه تاليفى بل من حيث انه الف فى مدينة الرسول • فاذا
انتظمت النشاة المعنوية • وتشخصت صورة روحانية
الكلام فى المرتبة الذهنية • فلينظروا اليه بنظر
الانصاف والاستبصار • فان اطلعوا على فايدة وخير
من غرايب الاسرار والعلوم • ولطايف الاشارات والفهوم •

فليحمدوا الله عليه وان راوا نقصا وخللا لا يجدون له محملا صادقا
ولا تاويلا موافقا • والعياذ بالله من ذلك فليسرحوه الى
بقعة امكان الصواب ان لم يتلقوه بالتسليم • وليستحضروا
قوله عزوجل وفوق كل ذى علم عليم • فان علم الله اعظم من
ان ينحصر فى ميزان او ينضبط بقانون متقن • هذا مع ان
البشرية محل النقايص والله ولى الارشاد والتوفيق •
لاصوب نهج وطريق • القول فى الاستعاذة • ولفظها
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ استجير و
امتنع والشيطان من شيطن بعد من رحمة الله تعالى
ومنه بير شيطون فوزنه فيعال او من شاط يشيط
هلك لهلاكه بمعصية الله عزوجل فوزنه فعلان
والرجيم المرجوم بالشهب عند استراق السمع او الملعون
والملعون المطرود وقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله
اى اردت فصار المعنى استجير وامتنع بعظمة الله عزوجل
من الرجوم المطرود عن رحمة الله عزوجل

سورة الفاتحة مكية على الاصح

نزلت حين فرضت
الصلوة بها وانما قلنا على الاصح لقوله تعالى ولقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم وهو مكى بالنص وقيل
نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة وابعد من قال مدنية
فقط وذلك حين حولت القبلة وهى سبع ايات
مع البسملة ان كانت منها والسابع صراط الذين الى اخرها
وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب الى اخرها

بسم الله الرحمن الرحيم

متعلق بفعل مضمر موخر عن البسملة والتقدير بسم الله اقرأ وانما
قدر موخرا لافادة الاختصاص والاهتمام بشان المقدم لانه رد على المشرك باسم اللات والعزى
كما فى اياك نعبد وانما قدم الفعل فى اقرا باسم ربك للاهتمام بالقراءة لانها اول سورة نزلت فالامر
بالقراءة اولى واحسن ولكون المخاطب من لا يتوهم فى حقه الاشراك قال ابو يحيى ويقدر فى
اولها قولوا ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا له بكونها من مقول العباد ويحتمل ان يكون بسم الله فى محل
الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى هذا بسم الله او ابتدائى بسم الله والاسم غير المسمى ان اريد به اللفظ
لانه يتالف من اصوات متقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد بالاسم ذات المسمى فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح

اسم ربك المراد بها اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة
له تعالى عن الرفث وسوء الادب والاسم من السمو وهو العلو والله اسم موضوع كاسماء الاعلام لا
اشتقاق له او هو مشتق من اله كعبد وزنا ومعنى او من لاه احتجب او من وله كدله وزنا ومعنى
وتصرفا اى تحير ودهش لتحير الناظرين فى عظمته وجلاله وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن بشرط
الاستغراق فى بحر الاخلاص والرحمن والرحيم صفتان من رحم بعد نقله الى فعل بضم العين لان الصفة
المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد فى باب المدح مثل رفيع الدرجات وبديع السموات
وفى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم لان زيادة المبانى لزيادة المعانى فالرحمن عام معنى لان معناه
الرزاق لكافة الخلق فى الدنيا وخاص لفظا لان غيره عزوجل لم يسم به وما شذ فلا اعتداد به والرحيم
خاص معنى لانه يرحم المومنين خاصة يوم القيمة وعام لفظا لان غيره قد يسمى رحيما ومنه الحديث
يا رحمن الدنيا والاخرة ويا رحيم الاخرة وقال ابو عيسى والزيادة اما فى الكم كقوله يا رحمن الدنيا
ورحيم الاخرة او فى الكيف كما فى رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما ومعناهما واحد لانهما من الرحمة
وهى ترك عقوبة من يستحقها او ارادة الخير لاهله واشتقاقهما من الرحمة بمعنى الرقة والتعطف وهى
من اوصاف الاجسام اريد لازمها وهو الانعام وسمى الرحم رحما لرقتها وانعطافها على ما فيها انتهى
وفى تفسير على بن محمد بن ابراهيم بن خازن ما نصه واخرج مسلم فى افراده عن انس رضى الله عنه
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ غفى غفوة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله
قال انزل على انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر قال البيهقى احسن ما احتج
به اصحابنا فى ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران وانها من فواتح السور سوى سورة براة ما رويناه فى جمع
الصحابة كتاب الله عزوجل فى المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى
سورة براة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها مائة وثلثة عشر اية ليست من القران قال وقد علمنا
بالروايات الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية من الفاتحة وروى
الشافعى بسنده عن ابن عمر انه كان لم يدع بسم الله الرحمن الرحيم لام القران والسورة التى بعدها زاد غيره
عنه انه كان يقول لم كتبت فى المصاحف اذا لم تقرا وروى الشافعى عن ابن عباس رضى الله عنهما
انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية فى القران وفى افراد البخارى من حديث انس
رضى الله عنه انه سئل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن
الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وصح عن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا البسملة فى
اول الفاتحة وعدها اية واخرج ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس ان الاية السابعة من الفاتحة
هى بسم الله الرحمن الرحيم وقال ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة او انقضاها
حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم وابو عبد الله فى مستدركه وقال فيه
انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطنى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قراتم الحمد فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن
الرحيم احدى اياتها قالوا واجماع الصحابة ومن بعدهم على اثباتها فى المصاحف دليل واضح على ان البسملة

من الفاتحة ومن اول كل سورة سوى براة وكانوا لايزيدون فى المصحف حرفا ولا كلمة انتهى الحمد لله
مبتدا وخبر وقصد بهذه الجملة الثناء لله بمضمونها من انه عزوجل مالك لجميع الحمد من الخلق او مستحق لان
يحمدوه قال ابن يحيى وهذا المبتدأ والخبر بمعنى الامر اى فقولوا الحمد لله رب العلمين
اى مالك جميع الخلق ومربيهم الرب مصدر فى الاصل وصف به او هو صفة بعد تنزيل فعله منزلة
اللازم والتربية ايصال الشى الى كماله وله تعالى هو كرؤف الموصل كلا الى كماله ولذلك لايطلق على غيره
الا مضافا اى لايقال الرب معرفا باللام الا لله ولا يقال لغيره الا مضافا كرب الدار والبقر والعالمين جمع
عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه وهو كل موجود سوى الله عزوجل وجمعه جمع العقلاء بالياء
والنون تغليبا لهم على غيرهم لشرفهم قال الاستاد والعالم ما يعلم به الشى كالخاتم غلب فيما يعلم به الصانع
فيشمل جميع المخلوقات من الانس والجن والملئكة وساير الدواب والبهايم ونحوها مما لايعقل تخصيصه جمع ذلك
لئلا يتبادر العالم المشاهد فقط او افراد نوع او جنس او تقدر المشترك اى الثقلان والملئكة او افراد
الانسان فقط اذ فى كل فرد من افراده ما تفرق فى العالمين مع بدايع اخرى كما قال من قال ∴ وتزعم
انك جرم صغير ∴ وفيك انطوى العالم الاكبر انتهى وكفى الوقف على الرحمن الرحيم كا لو قفه صلى
الله عليه وسلم اى ذى ارادة الخير لاهله وقد سبق الكلام فيهما مالك يوم الدين حسن اضيف
اسم الفاعل الى الظرف اتساعا والمعنى مالك الامور فى يوم الدين اى يوم الجزاء وهو يوم القيمة وانما وقع
صفة للمعرفة لان الاضافة فيه حقيقية اما لقصد الاستمرار اذ بيده تعالى الامور فى الازمان كلها
واما لتنزيل ما سيكون منزلة الكاين المتحقق وقوعه لا محالة كقوله ونادى اصحاب الجنة القراة ملك
بغير الف ومالك بالالف ومعنى الملك والمالك فى حقه تعالى هو القادر على اختراع الاعيان بقوته القاهرة
من العدم الى الوجود اذ لا يقدر على ذلك الا الله الذى قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ومعناها فى
حقنا اثبات تصرف خاص فى كل شى بما يناسبه قال بعضهم ومالك اجمع من ملك يقال هو مالك العبيد
والطير وغيرهم ولا يقال هو ملكهم لتخصيص الملك اكثر اضافة من الملوك فى الوجود وقال بعضهم
وملك اعم من جهة المعنى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ثم التفت من الغيبة الى الخطاب فقال
اياك نعبد واياك نستعين نا اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة التى هى فى غاية
التذلل الا انك فى غاية الافضال والكرم ونطلب منك المعونة على جميع امورنا من العبادة وغيرها واياه هو
الضمير واللواحق كالكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والضمير ما بعده
لقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ورد بان المثال شاذ لا يعول عليه وعن الخليل ان
ايا ضمير اضيف الى اللواحق ولم يوافقه احد لان الضمير لا يضاف وذهب الكوفيون الى ان المجموع ضمير ورد
بان الاختلاف باللواحق غير معهود بالضماير وفى تقديم العبادة على الاستعانة اشارة الى تعليم عباده
الاداب وفى مجموع قوله اياك نعبد واياك نستعين تحقيق مذهب اهل السنة والجماعة وهو اثبات
الفعل من العبد والتوفيق من الله وفيه رد على الجبرية ينفون الفعل من العبد وفى قوله اياك نعبد
رد عليهم والمعتزلة لا يرون التوفيق من ربهم وفى قوله واياك نستعين رد عليهم واهل السنة
والجماعة يقولون من العبد الفعل واختيار الفعل ومن الله خلق الفعل ومشيئة ذلك الفعل والاية تدل على

ذلك كله ثم اتى بما هو بيان الطلب والمعنى كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم
اى ثبتنا او ارشدنا الى الطريق الواضح الذى لا عوج فيه من الاسلام الذى هو الموصل الى السعادة
الابدية والقران وما فيه من الاداب والاحكام والمعنى امتنا على الهداية لانهم كانوا مهتدين
قراة الجمهور بالصاد مبدلا بالسين وقرا ابن كثير فى رواية قنبل بالسين وحمزة اشم الصاد زايا حيث
وقع فى القران فى رواية الخلف ومعنى اشمام الحرف باخر مزجه به شيوعا ليكون حرفا بين حرف وفى
ذلك رعاية الجانبين وتبدل من الصراط بدل الكل صراط الذين انعمت عليهم اى مننت
عليهم بالهداية والاستقامة وهم كل من ثبته الله تعالى على الايمان وفى تفسير الكواشى والقراة بالسين
فيهما لان السين هو الاصل والقراة ايضا باشمام الصاد الزاى وبالصاد الخالصة ايضا لان السين
يجوز ان تبدل صادا اذا وقع بعدها خاء او طاء او قاف او عين وقرى بالزاى الخالصة ولا يوقف هنا
لكون غير المغضوب عليهم وهم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه واصل الغضب
الشدة وغضب الله تعالى هو ارادة الانتقام من عصاة الكفار نعوذ بجلال وجهه من غضبه ونسأله
رضاه بدلا من الذين انعمت عليهم او هو نعت لهم لان غير وان اضيفت الى الصفة معرفة لا يتعرف لان المغاير
كثير ولا تقف على عليهم الثانية لان ما بعدها معطوف عليها وهو ولا الضالين نا هم النصارى
لقوله ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وغير ههنا بمعنى لا ولا بمعنى غير ولذلك جاز العطف وتفصيل
هذا ما قرى وغير الضالين والسنة ان يقول القارى بعد الفاتحة امين مفصولة عنها والامام والماموم
يجهرون بها عندنا وابو حنيفة واصحابه يسرونها ونكتة البدل افادت ان المهتدين ليسوا هم اليهود
ولا النصارى والله اعلم بمراده واسرار كتابه سورة البقرة مدنية وهى مايتان وسبع وثمانون
اية او مايتان وثمانون اية قوله عزوجل بسم الله الرحمن الرحيم
قد سبق الكلام على البسملة قوله الم فيها اقاويل كثيرة منها انه اسم الله الاعظم ومنها ان معناه
انا الله اعلم ومنها ان معناه الله اللطيف المجيد وذلك ثناء على الله فى اول السورة وفى اخرها
وختمها سؤلات الحاجات قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لله تعالى فى كل كتاب سر وسره فى
القران هذه الحروف التى فى اوايل السور وقال عمر رضى الله عنه لكل كتاب زينة وزينة القران حروف
التهجى وقال على رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة القران حروف التهجى وقال ابن عباس
هى من المكتوم وقال الضحاك عجزت العلماء عن تفسير الحروف المقطعة ثم للقراء فى هذه الحروف عند
الوصل ادغام ميم اللام فى ميم الميم والمد وتشديد الميم ويجوز ترك المد وترك الادغام وترك التشديد
وعند الوقف يصير كلها مدا ويجوز ذلك والاحسن اخراج كلها فى نفس واحد ومحل ذلك من الاعراب
عند بعضهم ان الم مبتدا وذلك خبره والكتاب صلة خبره كقولك زيد ذلك الرجل لا شك فيه
وقيل ذلك الكتاب مبتدا وقوله الم خبره وقد ذكر مقدما على الاسم كقولك عالم هذا الرجل وقيل لا محل
لهذه الاحرف الثلثة من الاعراب على وجه التعلق بما بعده وذلك مبتدا والكتاب خبره والم قسم او فاتحة
او اسم للسورة او امر هو تام بنفسه قال احمد بن يوسف وتخصيصه الحروف المقطعة هو ذلك
الكتاب المعهود فالكتاب بيان لتلك المقطعات لان اسماء الاجناس تبين بها المبهمات وكذلك ان جعلت

الم خبر مبتدأه ذلك الكتاب لانه صلى الله عليه وسلم كان قد وعد ان ينزل عليه كتاب لا يمحوه الماء ولا يخلق
على كثرة الرد ومر الايام فلما نزل القران قيل له هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك بانزاله ومنهم من يجعل ذلك
بمعنى هذا اى هذا الكتاب الموعود انزاله على محمد حيث قال انا سنلقي عليك قولا ثقيلا لا شك فيه او الموعود
على لسان موسى وعيسى او الموعود في الكتب الالهية المتقدمة وعلى لسان ساير الانبياء والرسل الكرام فعند من يجعل
ذلك بمعنى هذا يكون ذا الاسم واللام للفصل والكاف للخطاب لا محل لها من الاعراب مثلها في اياك والكتاب
بمعنى المكتوب كقولهم درهم ضرب الامير اى مضروبه واصل الكتب الجمع وسمى كتابا لاجتماع حروفه بعضها الى
البعض وقد روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطا من اليهود منهم كعب بن الاشرف وحيي وجدي
ابنا اخطب وابو لبابة وكعب بن اسيد ومالك بن الصيف دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عن الم
وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت ثم
حاسبوا لحسابا بزعمهم فخبطوا خبط العشوا وذهبوا الى ديارهم خاسرين كافرا تبا لهم اخر الدهر قال استاد
واحسن العبارة ان نقول واما اعرابها فان كانت مقطعات على نمط التعديد فلا يتصور الاعراب بحال واما
اذا جعلت اسماء السور فهي مرفوعة على الابتداء ان صح ان يكون بعدها خبرا او على الخبرية عن مبتدا محذوف او
منصوبة باذكر او مجرورة باضمار حرف القسم وذلك الكتاب المشار اليه ما دل عليه الم وهي السورة او القران
باجمعه وغير النازل كالنازل لوعد الكريم فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعيد لان الكلام بعد التكلم به في
حكم المتباعد قال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حكم المتباعد
فان قلت قبل وصوله ذلك على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله بناء على الوعد المذكور جعل
كانه واصل وكثيرا ما يولف المتكلم كلاما بلا لاحظ فيه حين تاليفه وصوله الى المخاطب به فان قلت
فاذا كان المراد بالمقطعات السورة فالمشار اليه حينئذ مؤنث فما وجه تذكير المشار به قلت ان كان ما بعده
خبرا اجرى حكمه على المبتدا في التذكير لكونهما متحدين ذاتا كما اجرى عليه في التانيث في قوله وما كانت امك بغيا
واما كان وصفا فلكون الاشارة اليه صريحا كقولك هند ذلك الانسان انتهى مقالته الكريمة **لا ريب فيه** تا اى
لا شك فيه انه من عند الله تعالى ومنهم من يجعل جملة لا ريب فيه خبرا لذلك بيانه ان ذلك مبتدا وما بعده خبره
او خبر مبتدا محذوف اى المولف من هذه الحروف ذلك الكتاب المعجز او مبتدا والكتاب صفته ولا ريب فيه هو الخبر
قال ابو يحيى والاشارة بذلك وان كان المشار اليه قريبا للتشرف والتعظيم تنزيلا لعلو الرتبة والمكانة منزلة
المحسوس البعيد فان قلت كيف نفي الريب عن الكتاب مع ارتياب الكفار وقلقهم واضطرابهم وتحيرهم
وسوء ظنهم فيه قلت المراد بهذا النفي انه ليس من شانه ذلك او لا ريب فيه عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين
او هو نفي بمعنى النهي اى لا ترتابوا فيه لانه من عند الله ونظيره قوله تعالى ان الساعة آتية لا ريب فيها
قال احمد بن يوسف وقرئ لا ريب بالتنوين او هو خبر بمعناه النهي اى لا ترتابوا ولا ريب مبني على الفتح
مرفوع المحل مبتداء خبره فيه فعلى هذا الوقف على الكتاب او في موضع رفع خبر ذلك فتقف على هذا على ريب
وتقف ايضا على لا ريب اذا جعلته مبتدا او خبرا تقديره هو لا ريب ثم تبتدئ فيه **هدى** مبتدا او خبر
او هدى خبر مبتدا محذوف اى هو هدى اى رشد وبيان والهدى كلما يهتدى به انتهى مقالته احمد وقال
سندنحي (?) وجملة النفي خبر وذلك مبتداءه وهدى خبر ثان لذلك ومعناه هاد **للمتقين** تا الصابرين الى

التقوى

التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقايهم بذلك النار وكونه هدى للمتقين والمتقي لا يكون الا مهتديا
يراد به الزيادة او التثبيت وكلاهما هدى او اريد بهم المشارفون للتقوى او لانهم صاروا متقين باستفادتهم
الهدى من الكتاب ولهذا فسرنا بالصايرين الى التقوى والمتقي شرعا من اتقى بالفرايض واجتنب الكباير ولم يصر على
الصغاير من الوقاية وهي فرط الصيانة ولها ثلث مراتب الاولى التقوى من الشرك والثانية ما اشير اليه
انفا والثالثة ربط السر على الله والتبرؤ من كل ما سواه والجامع لذلك بان يتقي نفسه عما يضره في الاخرة وقد
اشار اليها في قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا قال ابو المظفر ومحل هدى للمتقين الرفع على خبر مبتدا محذوف اى هو هدى
او خبر اخر لذلك او مبتدا والظرف المتقدم خبره ويجوز نصبه على الحال والعامل فيه الظرف اى لا ريب في كونه هدى
او معنى الاشارة فان قيل لم اضاف الهداية الى الكتاب الذي هو القران وهي من الله تعالى قلنا هذه الاضافة
على وجه التسبيب كما في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم مع قوله انك لا تهدي من احببت وكما في اضافة الاضلال الى
فرعون بقوله واضل فرعون قومه والى الاصنام بقوله انهن اضللن كثيرا من الناس والله عز وعلا هو الذي يضل
من يشاء ويهدي من يشاء قال الله تعالى ان الهدى هدى الله فان قيل لم خص ههنا فقال هدى للمتقين وعم
في موضع اخر فقال هدى للناس وبينات قلنا هو هدى للناس كلهم بيانا وهدى للمتقين على الخصوص ارشادا
وهو كقوله في حق رسوله على الخصوص انما انت منذر من يخشاها وقال انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
مع ما قال فيه على العموم وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا لكنه انذر الكل تبليغا ونفع ذلك اهل الخشية
تنبيها فهذا مثله وايضا هو هدى للمتقين ولغيرهم ولكن للمتقين مع الزيادة لانهم هم المنتفعون به فكانهم خصوا به
ولذلك يقال في كل من ينتفع بشيء على الخصوص دون غيره انه لك على الخصوص اى انت المنتفع به وحدك واذا لم يهتد بالقران
بعض الناس لا يخرجه من ان يكون هدى فالشمس شمس وان لم يرها الضرير والعسل عسل وان لم يجد طعمه الممرور
والمسك مسك وان لم يدرك طيب ريحه المزكوم فالجنة كالجنة لمن عطش والبحر زاخر ويبقى في الظلمة والبدر
زاهر وخبث والطيب حاضر وزوى والروض ناضر والحرم كالحرة لمن عصى وفسق والقران ناه
امر وفارق الرغبة والرهبة والوعد متواتر والوعيد متظاهر ولذلك قال جل جلاله وانه لحسرة على الكافرين
ثم ان نصبت او رفعت على المدح قوله **الذين يؤمنون بالغيب** وقفت على المتقين وان جررته وصفا لم
تقف عليهم ويجوز ان يكون مبتدا غير موصول بالمتقين فالخبر اولئك على هدى من ربهم والمعنى الذين يصدقون
بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار قال احمد بن يوسف الغيب هو الله عز وجل لانه لا تدركه الابصار في
الدنيا او القران والايمان في اللغة هو التصديق بالقلب ويكون معه امن وطمانينة وفي الشريعة هو الاعتقاد
بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان هذا عند الشافعي ومالك والاوزاعي واهل الحديث وقال الاشعري
هو كل ذلك والبقاء عليه الى الموت والاسلام الخضوع والانقياد فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه
تصديق فقد يكون الرجل مستسلما ظاهرا غير مصدق باطنا وقد يكون مصدقا باطنا غير منقاد ظاهرا وسمي المؤمن
مؤمنا لانه يؤمن نفسه من العذاب بفعله والله تعالى مؤمن لانه يؤمن عباده من عذابه بفضله وفي الحديث المؤمن
من امن جاره بوايقه والمؤمنون هينون لينون جاد سمح كالجمل الانف اذا قيد انقاد واذا انيخ على صخرة استناخ
والمؤمن الف مالوف حي ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف والمؤمن فطن حذر وقاف متثبت عالم ورع اورك هذه الاحاديث

وابتنالها من اوصاف اهل الايمان ثم عطف على المومنين بالغيب ما هو من جملة صفاتهم جملة بعد جملة فقال
ويقيمون الصلوة اى يداومون عليها تامة الاركان بحقوقها من قراءة وقيام وركوع وسجود وغير ذلك
مع النية والمراد الصلوات الخمس لتخصيصه الغير يديمون الصلوات معطاة حقوقها ومما رزقناهم اى مما
اعطيناهم ينفقون فى طاعة الله واصل الانفاق الاخراج عن اليد اى يخرجون عن ايديهم ما فيها ويصرفون
فى طاعة الله والرزق اسم لكل ما ينتفع به الحيوان حلالا كان او حراما وان لم يامر الله بالانفاق من الحرام قال الله تعالى
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها والاسناد الى نفسه فى رزقناهم للتعظيم عند اهل السنة ودلايل اهل الاعتزال
مردودة بالايات والاحاديث مذكورة فى المطولات وجاء لغة بمعنى الحظ والنصيب قال الله وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون قال ابو الخير والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير فرضا كان كالزكوة بقرينة ويقيمون
الصلوة او نفلا للاطلاق اى فى اللفظ والعموم احسن لقوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله سرا وعلانية وهذه
الاية فى مومن العرب ونزل فى مومن اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه قوله والذين يومنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك وهو ساير كتب الله تعالى ومن ذلك التوراة والانجيل والزبور وهو عطف على الذين
يومنون بالغيب فيشملهم صفة التقوى ان لم يكن المخصص الاول فقط او هم الاولون والعطف باعتبار تغاير
الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم والايمان بالغيب وان شمل الايمان بالكتب المنزلة الا
انه افرد اشعارا بمكانه ولذلك اعيد الموصول ولم يكتف بذكر الصلة مبالغة كان الموصوف بها مغاير للموصوف
بما تقدم وبالاخرة هم يوقنون اى يعلمون بان الدار الاخرة كاينة باستدلال لا شك فى ذلك وليسوا كالذين
قالوا ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين والاخرة هى تانيث الاخر اسم فاعل من اخر بمعنى تاخر وهو نقيض الاول
وسميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وقد نص على الدار الاخرة فى قوله وللدار الاخرة خير وجمع بين الدارين فى قوله
حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة وفى قوله لعلكم تتفكرون فى الدنيا والاخرة وفى قوله وجيها فى الدنيا والاخرة وجاء
اليقين بمعنى العلم كما تقدم انفا وبمعنى العلم والعمل كما فى قوله تعالى هذا بصاير للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون
ومثال علم اليقين كعلم كل عاقل بالموت ومثال عين اليقين اذا راى الملك بقرب وفاته واذا ذاق الموت فهو حق اليقين
وفى تقديم الجار والمجرور وبناء يوقنون على الضمير تعريض الى ان من لم يومن من اهل الكتاب بما
انزل الله على محمد بما انزل الله على ساير رسله من قبله فاعتقادهم فى امر الاخرة غير مطابق للحق ولا صادر عن ايقان
بل طبع على قلوبهم جهل محض وخيال باطل اولئك اى من ذكر من المتقين الموصوفين بما ذكر على هدى اى
رشد وبصيرة وصل اليهم من ربهم الذى اصلح احوالهم بما اوصله اليهم ومن بيان لما حصل لهم من عنده
عز وجل واولئك هم المفلحون الفايزون بالجنة والناجون من النار وقال ابو عمرو اولئك عطف على قوله
اولئك وهو مبتدا اخر وكلمة هم تاكيد ويسمى فصلا ويسمى عمادا والمفلحون خبر اولئك او هم مبتدا اخر والمفلحون خبره وهما
جميعا خبر اولئك واتفق القراء السبعة على ادغام النون الساكنة فى الراء واللام بلا غنة اما الادغام فلتلاحق
المخرج واما عدم الغنة فلمبالغة فى التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم سهوا ان الذين كفروا
كابى جهل وابى لهب وغيرهما من مشركى العرب او من اليهود كحيى بن اخطب واصحابه والكفر الجحود واصله
الستر اى ان الذين ستروا الحق اما انكارا او جحودا باللسان مع معرفة القلب او عنادا وهو الاعتراف بالقلب
والاقرار باللسان لكن لا يدين به او نفاقا بان يومن تقية وينكر بقلبه قوله سواء عليهم خبر ومبتداه

جملة

جملة قوله ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخرى
وتركه ام لم تنذرهم او سواء عليهم مبتدا وقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبره وهما على القولين خبر ان
السواء لغة عدم رجحان احد الطرفين على الاخر قال الله تعالى فانبذ اليهم على سواء والمعنى مستو لديهم الانذار
وعدمه فلذلك لا يومنون تا وهذا فيمن علم الله عدم ايمانه والانذار اعلام مع تخويف والوقف تام على
ام لم تنذرهم على الاعراب الذى ذكرنا وان جعلت الذين اسم ان والخبر لا يومنون وما بينهما اعتراضا وقفت
على لا يومنون ومعنى لا يومنون لا يصدقون وان علقت ختم الله على قلوبهم بلا يومنون
ونصبت ختم حالا لم تقف على قوله لا يومنون والمعنى طبع الله على قلوبهم فلا يومنون فى حال الختم والختم هو
الشد والاستيثاق قال ابن عباس معناه طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير ولا يدخلها ذلك يعنى جعلها
بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الايمان وهذه الاشياء ونظايرها كاينة بخلق الله
وقدرته القاهرة وارادته النافذة اذ لا قبح لصنعه يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد والختم عند الجبرية هو المنع
عن الاسلام والمعرفة والجبر على الكفر ومذهبهم الفاسد هو ان العباد مجبورون ولا فعل لهم اختيارا ومعنى الختم
عند المعتزلة وتاويلهم الباطل هو ان الله شهد له على قلوبهم بكفرها واظهر ذلك للملائكة وانما اولوا كذلك لان
افعال العباد عندهم ليست بمخلوقة الله تعالى ولا هى بقضايه وتقديره ومشيته وارادته وحاصل الختم عند اهل
السنة عقوبة من الله لا تمنع العبد من الايمان جبرا ولا تحمله على الكفر كرها بل تجرى بارادته على سوء اختياره وتماديه
فى الكفر واصرارهم تحرمهم عن اللطف الذى يسهل به فعل الايمان وترك العصيان يدل عليه انهم مخاطبون
بالايمان بقوله امنوا بالله ورسوله وملومين على الامتناع عنه بقوله فما لهم لا يومنون وقوله وماذا عليهم
لو امنوا بالله واليوم الاخر وموبخين على الكفر بقوله قتل الانسان ما اكفره اى ما حمله على الكفر ولو صاروا مجبورين
عن الايمان عاجزين لزال الخطاب وسقط اللوم والعتاب كما فى الختم على الافواه يوم الحساب لما عجزوا به حقيقة
عن الكلام لم يبق الخطاب بالكلام وتحقيق مذهب اهل الحق اثبات فعل العبد وتخليق الله اى فعل نفسه وقد
ذكر الله ذلك بالختم والطبع والكنان فقال فى الختم ختم الله على قلوبهم وهذا اثبات فعل نفسه وقال قبله ان
الذين كفروا وهذا اثبات لفعل العبد وقال فى الطبع طبع الله عليها بكفرهم فقوله طبع فعله وقوله بكفرهم فعل
العباد وقال فى الكنان انا جعلنا على قلوبهم اكنة وقال قبله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها وجاء الختم
فى القران على ثلثة اوجه للعقوبة كما فى هذه الاية وللكرامة والشرف كما فى قوله ام يقولون افترى على الله كذبا
فان يشا الله يختم على قلبك اى يختم بالصبر فلا تجد غصة التكذيب وهذا تسهيل عليه بطريق الكرامة قال الله تعالى
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فلين الله قلبه بالصبر والحكمة والرحمة والرافة والتذكير والموعظة
كما فى قوله قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به قالوا يحتمل اخذ عين
السمع والابصار او اخذ منا فيها مع بقاء صور اعيانها والمعنى ايها الشاغلون الاسماع والابصار والقلوب بغير الحق
لو اخذ الله هذه الاعيان واذهبها فمن ياتى بها وايها الشاغلون الاسماع والابصار والقلوب بالحق لو ان الله ازالها
عن الحق فمن الذى يعيدها اليه فهو تنبيه وعظة للمبطل والمحق جميعا فالعاقل يرفع الختم عن الكيس لاداء حق الله
ويضع الختم على اللسان لئلا ينطق فى كذب وزور وباطل والحمد لله حبب الينا الايمان وزينه فى قلوبنا وختم على
قلوب اعدائنا من اهل الشرك والكفر بالطغيان وعلى سمعهم وحد لانه مصدر والمراد ختم على سمعهم الباطل

بالكفر فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق وعلى أبصارهم غشاوة اي تغطية مانعة من ابصار الحق
وابصارهم جمع بصر وهو نور العين كالبصيرة نور القلب والجار والمجرور خبر مقدم على المبتدأ القراءة برفع التاء
ولهم عذاب عظيم تا والعذاب كالنكال وزنا ومعنى اي لهم نكال شديد قوي دائم في الآخرة ونزل
في المنافقين كعبد الله بن ابي سلول واضرابه ومن الناس جمع انسان سمي به لنسيانه واصله الاناس
في محل الرفع على انه خبر المبتدأ من يقول بلسانه آمنا بالله وهو لا يدري عظمة الله حيث كذب
فيما قال وباليوم الآخر اي يوم القيمة سمي به لانه آخر الايام وهو الابد الذي لا امد له او هو من وقت النشور الى
ان يدخل فريق في الجنة وفريق في السعير لانه آخر الاوقات المحدودة واللام في الناس للجنس وفائدة الاخبار بان
من يقول كذا من الناس التعجيب وان تلك الصفات تنافي الانسانية او للعهد اي ومن المصريين طائفة كذا وما
هم بمؤمنين بقلوبهم جمع ضميرهم رعاية لمعنى من ولفظه مفرد للعقلاء يعم الواحد والجمع والذكر والانثى
وجيء بالباء لتاكيد النفي المعنى بعض الناس وهم المنافقون يدعون الايمان وهم كاذبون وقد دلت الآية على ان
الايمان ليس بمجرد القول مع ابطان الكفر وفيه بطلان مذهب الكرامية ثم اوضح كذب المنافقين بقوله يخادعون
الله والذين آمنوا تا الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريده لتوقعه في المكروه من حيث لا يدري وفي
الحديث يكون في آخر الزمان سنون خادعة اي تكون ذات امطار بلا ريع ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب
ومخادعته اياهم ان من الجانبين معاملة شبيهة بالخداع لان اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر واجراء الله تعالى عليهم
احكام المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل وكذلك امتثال الرسول والمؤمنين باجراء الاحكام عليهم صورة الخداع
ففي يخادعون استعارة تبعية ويجوز ان يكون المفاعلة هنا من واحد كقولهم عافاك الله وعاقبت اللص وذلك
لان المخادعة انما تتصور في حق من يخفى عليه الامر ليتم الخداع من حيث لا يعلم ولا يخفى على الله شيء فالمعنى على هذا يخادعون
رسول الله وذكر الله للتحسين اذ معاملة الله معاملة رسوله كعكسه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وما يخادعون الا انفسهم اي وما ينقصون الا انفسهم لان في الخدع
نقصا ونفس الشيء ذاته وحقيقته والمعنى وبال خداعهم راجع عليهم لان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويعاقبون في الآخرة القراءة بالالف وبغير الالف وقرئ وما يخدعون
بضم الياء مجهولا وفي التسهيل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بضم الياء واثبات الالف وكسر الدال طلبا لمشاكلة الاول
وقرا غيرهم بفتح الياء واسكان الخاء وحذف الالف وفتح الدال اشارة الى ان المفاعلة هنا لواحد وما يشعرون
كا اي وما يعلمون ان خدعهم لانفسهم ورجوع وبال ذلك عليهم لا تخطط غيرهم في قلوبهم مرض واصل المرض الضعف
وهو هنا الشك والنفاق وما يضمرون من الشرور لان ذلك يمرض قلوبهم اي يضعفها ويوهنها فزادهم الله مرضا
اي امدهم الله بمرض بعد الختم تتمية لان الآيات كانت تنزل عليهم حينا بعد حين فكلما نزلت آية فكفروا بها
ازدادوا شكا ونفاقا ويزيد مرضهم ايضا بنصر رسوله وتسلطه في البلاد وكثرة الفتوح قال احمد بن يوسف
زاد الشيء يزيد زيدا نمى وكثر وزدته انا وقال بعضهم معناه زاد الله خلق الكفر في اعتقادهم وفي هذه
الآية اثبات خلق الافعال من الله حيث قال فزادهم الله مرضا وقال في آية اخرى زادهم هدى وآتاهم تقواهم
ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب مبالغة كقوله تحية بينهم
ضرب وجيع بما كانوا يكذبون تا وقيل حسن القراءة مخففا اي بكذبهم انفسهم في قولهم آمنا بالله

وتشديدا

وتشديدا اي بتكذيبهم غيرهم كالنبي واصحابه والتشديد احسن على كل حال لانهم قالوا نشهد انك لرسول الله
ثم قال الله في حقهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه
وقبحه ليس ذاتيا فيحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم والباء للسببية اي لهم ذلك العذاب بسبب كذبهم واذا
قيل لهم لا تفسدوا في الارض اي قال المؤمنون للمنافقين او اليهود لا تفسدوا في ارض المدينة او
سائر الاراضي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعموم احسن القراءة في قيل باخلاص الكسر
وبالاشمام والفساد نقيض الصلاح قالوا انما نحن مصلحون تا اي قالوا في جواب الناصح ان حالنا
مقصور على الاصلاح لا يشوبه شيء من الفساد وانما قالوا ذلك لادعائهم ان اصلاحهم بين مكشوف فرد الله
عليهم بقوله الا انهم هم المفسدون بالكفر وتعويق الناس عن الايمان الا حرف تنبيه نبه على
تحقيق ما بعده وقال بعضهم الا مركب من همزة الاستفهام للانكار عليهم ومن لا النافية فافادت التنبيه وتحقيق
ما بعدها وهكذا كل استفهام دخل على نفي كقوله اليس ذلك بقادر ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون لفرط نفاقهم
انهم مفسدون وان فعلهم افساد واذا قيل لهم للمذكورين آمنوا كما آمن الناس الكاملون
في الانسانية وهم جميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او يريد به عبد الله بن سلام واصحابه قالوا اي المنكرون
انؤمن كما آمن السفهاء تا اي الجهال السفه الخفة في الرأي والطيش وهو نقيض الحلم واللام للعهد
اشير به الى الناس السابق ذكرهم او للجنس ويدخل فيهم الجاري ذكرهم لانهم اعرف الناس عندهم وهذا القول
من اهل النفاق اما للتلبيس فطرهم يرون الحسن قبيحا كالمريض المختل ذائقته يجد الحلو مرا او قالوه تجلدا وعدم
مبالاة بمن فارقهم من شيعتهم وما في الموضعين مصدرية او كافة فرد الله عليهم بقوله الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون كا اي لا يدرون لاعتقادهم الباطل حقا مع جلاء برهانه والعلم اقوى من
الشعور فان الانسان قد يشعر بالشيء اي يحس به ولا يعلمه واصل العلم الظهور وهو ما يدرك به الاشياء و
اذا لقوا اصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقاء الساكنين بعد حذف ضمتها مع الواو
الساكنة بقي لقوا وقرئ لاقوا ومعنى لقيته ولاقيته استقبلته وصادفته الذين آمنوا قالوا آمنا
كايمانكم واذا خلوا اي رجعوا وانفردوا ومضوا الى شياطينهم اي رؤسائهم الذين ماثلوا الشياطين
وشاركوهم في تمردهم والشيطان العاتي والمتمرد من الجن والانس والدواب وهو فيعال من شطن يشطن اي
بعد لبعده عن الخير والصلاح وقربه الى الشر وامتداده فيه او من شاط يشيط اي بطل واحترق فالنون زائدة
تلخيصه اذا لقوا المؤمنين خدعوهم بقولهم آمنا واذا لقوا اصحابهم المنافقين قالوا انا معكم فيما انتم عليه
باطنا في الدين اي بالقلب والاعتقاد انما نحن مستهزءون كا الاستهزاء الاستخفاف والسخرية والتجهيل
اي انا نجهل محمدا واصحابه ونسخر بهم باظهار الايمان فرد الله عليهم بقوله الله يستهزئ بهم اي
يجازيهم جزاء استهزائهم بان يعذبوا ويحقر شانهم وينزل بهم الهوان وذلك حين يفتح الله لهم بابا الى الجنة
فاذا وصلوا اليه سد عنهم وردوا الى النار وانما فسرنا كذلك لان السخرية والعبث لا يليق بالحكيم قال بعضهم
معناه الله يوقع ضرر استهزائهم بهم كما قال ولا يحيق المكر السيء الا باهله واضاف الاستهزاء الى نفسه تشريفا
للمؤمنين حيث جعل فعلهم بالكفار كفعله فانهم يضحكون ويستهزءون بالكفار يوم القيمة قال الله تعالى فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون وقد جعل فعل نبيه كفعله ايضا حيث قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومنه

الاية على نحو الاستهزاء بالناس قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم والاستهزاء فعل الجاهلين حيث قال في قصة موسى قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ويمدهم اي يمهلهم ويتركهم في طغيانهم في تجاوزهم الحد في كفرهم وضلالهم وغلوهم وعتوهم يعمهون يترددون في الباطل متحيرين فيه وهو حال من طغيانهم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي الذين هم بهذه الصفة هم الذين استبدلوا الضلالة والكفر بالهدى وهو كقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وبعبارة اخرى آثروا الضلالة واختاروها على الهدى ومعناه عند ابن مسعود اخذوا الكفر وتركوا الايمان وفي التيسير البيع والشرى الابتياع والشروى المثل قال الشيخ معناه اولئك الذين اشتروا اي الجور عن القصد بالاهتداء والمعنى استبدلوا الكفر بالايمان لان الباء انما يصحب المتروك ايذانا بتمكنهم من الهدى لان الانسان لا يستبدل بما لا يقدر عليه فشبه الاستبدال بالشرى الذي هو معاوضة ومن قال الشراء البيع فالمعنى باعوا ايمانهم بموسى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال في الغاية اشتراء الضلالة بالهدى استبدالها به على طريق الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر قال الاستاذ واصل الاشتراء استبدال مال بمال واستعير في الهدى استبدال الهدى والضلال والجامع بينهما معنى الاختيار والاستبدال فكل مشتر مستبدل وكذا هؤلاء اختاروا الكفر على الهدى واستبدلوه به وقد اشار الى هذين المعنيين في آيتين فقال ان استحبوا العمى على الهدى وقال ومن يتبدل الكفر بالايمان فما ربحت تجارتهم وفي الكلام معنى الشرط اي اذا اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحوا في تجارتهم ومعاملتهم بل خسروا فيها لخلودهم في النار مآلا ونسبة الربح الى التجارة مجاز وهو كقوله تعالى والليل اذا يسر اي يسرى فيه وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار اي مكرهم فيهما وما كانوا مهتدين اي ناجين من الضلالة او مصيبين في التجارة ثم انه تعالى شبه المنافقين واعمالهم بمن اوقد نارا في مفازة مظلمة فقال مثلهم اي شبههم وصفتهم في نفاقهم كمثل الذي استوقد نارا اي اوقد نارا في ظلمة يقال وقدت النار واشتعلت واوقدها غيرها اي اشعلها قال الاخفش معناه كمثل الذي اشعل نارا بنفسه ويقال استوقد اي سأل وطلب غيره ان يوقد فان سين الاستفعال للطلب والسؤال قال استاذي رحمه الله وانما قال كمثل الذي استوقد نارا على الوحدان وان كان قوله مثلهم على الجمع لان معناه مثل كل واحد منهم كمثل المستوقد وهذا كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا وان خاطب الجمع لان معناه يخرج كل واحد منكم طفلا وقيل هو اسم جنس فيصلح للواحد والجمع وقيل المستوقد الجمع يكون واحدا والمستضيئون به جماعة وقيل هو تمثيل فعلهم لا اعيانهم ومعناه مثل فعل المنافقين كمثل فعل المستوقد وكلا الفعلين واحد واضمار الفعل في الاسم جائز كما في قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اي كخلق نفس واحدة وبعثها فلما اضاءت ما حوله عطف على استوقد والاضاءة فرط الانارة اي فلما افرطت انارة النار ما حول المستوقد فابصر ما حوله واستدفأ وامن المخوف واضاء يكون لازما ومتعديا وعلى الثاني ما مفعوله وعلى الاول زائدة وحوله ظرف قال الاستاذ وتانيث اضاءت مع الاسناد الى ما لان ما حوله اماكن او مسند الى ضمير النار وما زائدة وحوله ظرف لغوا وموصولة مع صلتها مفعول فيه انتهى وجواب لما وان كانت ظرفا فهو ذهب الله بنورهم اي اطفأ نورهم بالكلية وازال عنهم ذلك وابقاء حرارة النار عليهم والباء للتعدية قال الاستاذ ولو قال ذهب بضوئهم لاحتمل بقاء نور ما وجمع الضمير مع توحيده في استوقد

مراعاة

المراعاة معنى الذي قال الاستاذ والضمير للمنافقين انتهى ويمكن ان يكون جواب لما محذوفا والمعنى اخذ تعالى نورهم وامسكه عنه فلا مطمع في هدايتهم ويؤكد هذا قوله وتركهم اي طرحهم في ظلمات قرئ بسكون اللام وقرئ في ظلمة موحدة وهي عدم النور لا يبصرون ما حولهم متحيرين عن الطريق قال ابن عباس رضي الله عنهما والمعنى مثل المنافقين في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة واستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله واتقى ما حذر وما خاف فأمن من ذلك فبينما هو كذلك اذ اطفئت ناره فبقي في ظلمته خائفا متحيرا فكذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان واستناروا بنورها واعتزوا بعزها وامنوا من القتل والاسر واخذ الاموال فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الغنائم فاذا ماتوا عادوا الى الخوف الاعظم والظلمة العظمى وبقوا في العذاب والنقمة ثم وصفهم بعدم الهداية فقال صم خبر مبتدأ محذوف اي هم صم لا يسمعون الحق مع سلامة حواسهم الظاهرة والضمير للمنافقين بكم والبكم وهو ان يولد اخرس اي لا ينطقون بالحق ولا يفهمونه اذ الذي يفهم يقال الاخرس والذي لا يتكلم ولا يفهم يقال له ابكم عمي لا يبصرون طريق الحق فهم لا يرجعون عن ضلالتهم التي اشتروها ولا يعودون الى الحق والهدى الذي باعوه وضيعوه اي ما داموا على الذي هم عليه من النفاق او كصيب من السماء عطف على كمثل الذي استوقد نارا اي مثلهم كمثل ذوي صيب اي اصحاب مطر وكلما نزل من علو الى سفل من اي جهة وافق كان فهو صيب والمراد به المطر واصله صيوب من صاب يصوب اذا انحط ونزل من علو الى سفل واو للشك وهو تساوي الطرفين يرجع الى الناظر الى المنافقين واحوالهم والمعنى ان الناظر الى المنافقين لا يدري ان يشبههم باصحاب الصيب او المستوقد لتساوي حالي اصحاب الصيب والمستوقد او للتخيير اي ان شئت شبهتهم باصحاب الصيب او بالمستوقد او للابهام اي ابهم امرهم فبعضهم يشبههم باصحاب الصيب وبعضهم بالمستوقد او خبر مبتدأ محذوف في تقديره ومعناه ومثلهم كمثل اصحاب صيب اي مطر على قول ابن عباس وابن مسعود وقال بعضهم الصيب السحاب بقرينة قوله فيه ظلمات ورعد وبرق وذلك في السحاب لا في المطر ويسمى السحاب صيبا لان الصيب منه اي المطر وفي قوله من السماء اشارة الى السماء التي فوقنا كما في قوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم وجاء بمعنى السحاب كما في قوله وانزل من السماء ماء هذا هو السحاب في رؤية العين وجاء بمعنى المطر كما في قوله يرسل السماء عليكم مدرارا فمن جعل الصيب سحابا لم يمكنه صرف السماء الى السحاب فيصرفه الى السماء الدنيا ومن جعل الصيب مطرا امكنه صرفه الى كل واحد منهما والتوفيق بين التفسيرين ان المطر من السحاب في رؤية العين وهو من السموات في الاصل وفي الحقيقة قال الله الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه الى اخر الاية وروى وهب بن منبه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تحت العرش بحر تنزل منه ارزاق الحيوانات يوحي الله تعالى اليه فيمطر ما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا ويوحي الى الريح فتحمله فتنثره في السحاب والسحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي الى السماء ان غربليه فيغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا تنزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم ووزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولا وزن وذكر شيخنا محي الدين عبد القادر في غنيته بان المطر تنزل من بحر تحت العرش واطال

فى ذلك على الكشف الصحيح ومن فسر الصماء والصيب ايضا بالسحاب فالضمير فى قوله فيه للسحاب
فى قوله ظلمات على هذا سحمة السحاب وتطبيقه مع ظلمة الليل ومن فسر الصيب بالمطر فالظلمات ظلمة
تكاثفه وتتابع قطره واظلال غمامه مع ظلمة الليل ومن رجع الضمير الى الليل وان لم يجر له ذكر كما ذكره
الكواشى فالظلمات ظاهر وفيه خبر مقدم وظلمات مبتدأ مؤخر ورعد هل هو ملك يزجر السحاب فقط
الصوت المسموع واسمه الرعد ايضا او ملك هذا صوت تسبيحه او هو اسم للصوت الذى يسمع من السحاب
ارجحها الاخير كذا فى التسهيل وبرق هل هو آلة من حديد يسوق بها الملك السحاب او سوط نور
بيده لسوق السحاب او ملك اقوال اقربها اقدمها وهو لعلى كرم الله وجهه والثانى لابن عباس ويروى
الاخير عنه ايضا وهو ضعيف كذا فى التسهيل وقال بعضهم وهو السيوطى الرعد هو الملك الموكل بالسحاب
وقيل صوته والبرق لمعان سوطه الذى يزجره به وقال احمد بن يوسف ويروى ان الملك اذا اشتد غضبه
على السحاب طارت من فمه النار وهى الصواعق والتقدير فيه رعد قاصف وبرق خاطف وهما مصدر رعد
وبرق ولذا لم يجمعا على رعود وبروق وتقف على وبرق ان رفعت الجملة التى بعد استينافا وان جررتها
صفة للسحاب صيب لم تقف على وبرق والجملة هى يجعلون اصابعهم وقال بعضهم والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها يتولد منها نار لامعة باذن الله تعالى وقال عبد الله بن عمر الرعد
ملك وكله الله تعالى بسياقة السحاب فاذا اراد الله ان يسوقه الى بلد امره فساقه فاذا تفرق عليه زجره
بصوته حتى يجتمع كما يرد احدكم ركابه ثم قرا ويسبح الرعد بحمده والملئكة من خيفته وفى رواية فاذا تفرقت سحابه
ضمها فاذا اشتد غضبه طارت من فيه النار فهى الصواعق وفى رواية عن ابن عباس ليس شئ احسن منطقا
ولا احسن ضحكا من السموات قالوا ما منطقه وما ضحكه قال منطقه الرعد وضحكه البرق وفى رواية عن
ابن عباس الرعد ريح تجتمع السحاب وتتراكم بعضه على بعض فيتصاعد فيكون منه الصوت وقيل الرعد هو
تلالؤ الماء وقال بعضهم البرق ملك له اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر
فاذا ضرب باجنحته فذلك البرق وفى قصة المعراج من رواية ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
مررت على ملك يشبه الادمى خلقا نصفه من الثلج ونصفه من النار وسمعت تسبيحه وهو يقول سبحان الذى
الف بين الثلج والنار سبحان الذى يولف بين عباده المومنين فقلت يا جبرئيل من هذا الملك قال هذا ملك خلقه الله
بقدرته كما تراه وجعله على السحاب يسوقه من موضع الى موضع واسمه رعد ومنه الرعد والبرق وبسياقته السحاب
يظهر الرعد وبخفقه على السحاب يظهر البرق الم تسمع ان الله يقول الم تر ان الله يزجى سحابا الاية وقال ابن الرحى
الرعد صعقات الملئكة والبرق حرقاتهم والمطر بكاؤهم فان حمل هذا الكلام على الظاهر فالملئكة موصوفون بالخشية
والخيفة كما قال الله والملئكة من خيفته وقال وهم من خشيته مشفقون وبكاؤهم شديد ايضا دل على ذلك انه
صلى الله عليه وسلم رآهم ليلة المعراج باكين اهل كل سماء الى العلو اشد اشفاقا من الذين دونهم فيجوز ان يكون ما نرى من العلق
والهواء هو منهم الى السماء فان حمل على التمثيل فله وجه كما تسمعون صوت الرعد فاعلموا ان صياح الملئكة فى الخوف كذلك
وكما ترون لمعان البرق فلمعان نيران اشواقهم كذلك وكما ترون تقاطر الامطار فدموعهم كذلك وهذا حالهم
مع انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم عباد مكرمون وهم من خشيته مشفقون فكيف ينبغى لنا
ان نغفل مع هفواتنا وجفواتنا وخطراتنا وخطيئاتنا وفى المدارك وفيه على ان السحاب من السماء ينحدر ومنها

ياخذ

ياخذ ماءه وقيل انه ياخذ من البحر انتهى ثم كانه قيل كيف حالهم مع ذلك الرعد والبرق فقال يجعلون
اى اصحاب الصيب اصابعهم فى آذانهم اى رؤس انامل الاصابع وفى اطلاق الكل وارادة الجزء
المبالغة الدالة على انهم لو قدروا على ادخال الاصابع بتمامها لفعلوا من الصواعق من اجل الصواعق
وهى شدة صوت الرعد وانما فعلوا اصابعهم كذلك لئلا يسمعوها فيهلك قال الشيخ وهى جمع
الصاعقة وهى قطعة عذاب مهلك ينزلها الله تعالى على من يشاء من خلقه وكل عذاب مهلك صاعقة
او هى نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا احرقته لكنها سريعة الخمود او هى قطعة من نار فى غاية الحدة و
الحرارة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه لا تمر بشئ الا احرقته ولذلك اشتق لها هذا الاسم من
الصعق وهو الهلاك كقوله وخر موسى صعقا وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل هى قطعة نار تخرج من فم الملك عند غضبه
والاصابع جمع اصبع وفيها خمس لغات اصبع بفتح الهمزة وكسر الباء وبضم الهمزة وفتحها وبضمهما وبكسرهما
وبكسر الهمزة وفتح الباء وهى اشهرها والاصبع مونثة سماعا قال صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع
دميت وفى سبيل الله ما لقيت وقوله حذر الموت حسن اى خوف الموت من سماعها لكن كل هو لا اذا
نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمة والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق
يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا الى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت ونصب حذر على
انه مفعول له ليجعلون اى لاجل حذرهم من الموت وهلاكهم يجعلون كذلك قال احمد بن يوسف
الكواشى الموت فساد بنية الحياة او زوال قوة الاحساس وفى التيسير الموت زوال الحيوة انتهى وقال
البيضاوى الموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق
بمعنى التقدير والاعدام مقدرة انتهى وقال القطب البكرى والموت زوال الحيوة وقيل عرض
يضادها ويعقبها فالاول هو الاصح فهو عدمى ولا حجة للخصم فى خلق الموت والحيوة لان المعنى قدر او خلق يصح
ذلك وليس سلم فاعدام الملكات مخلوقة انتهى وفى الغاية والموت عرض يضاد الحيوة لقوله خلق
الموت والحيوة وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان اعدام الملكات مخلوقة عند المحققين انتهى
قلت وفى روايات عديدة يوتى بصورة الكبش فيذبح بين الجنة والنار والله محيط بالكافرين
اى محدق بهم بعلمه وقدرته قال الله تعالى احاط بكل شئ علما فيحشرهم يوم القيمة ويعذبهم
واصل الاحاطة الاحداق بالشئ من جميع جهاته ومنه الحائط تخصيصه انه عز وجل لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط اى لا يخلصهم الحذر والخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها ثم كانه قيل
كيف حالهم مع البرق فقيل يكاد اى يقرب البرق اسم يكاد ويخطف ابصارهم اى ياخذها ويسلبها
بسرعة خبر يكاد ويكفى الوقف على ابصارهم ان استانفت كلما اضاء لهم ويجوز هنا اضاء اللازم
والمتعدى ومعنى الاول كلما اضاء لهم البرق ومعنى الثانى كلما اضاء البرق الطريق وجواب كلما مشوا فيه
اى يسيرون فى ضوء البرق واذا اظلم عليهم قاموا اى وقفوا متحيرين قد عرف وجه التنبيه عند
قوله حذر الموت مختصرا حيث قلنا كذلك هولاء الى آخره ووجهه بعبارة اخرى اوضح من ذلك انه
شبه لكفرهم ونفاقهم بمن كان فى ليلة مظلمة فى مفازة اصابه بطرفيه ظلمات لا يمكن للسارى المشى

فيها رعد يجعل السامعون اصابعهم في آذانهم من هوله وبرق يقرب من خطف ابصارهم لشدته قال
جعفر الصادق هذا المثل في القران واهل النفاق فشبه المطر بالقران لانه حياة القلب كالمطر حياة
النبات والظلمات بما في القران من ذكر الشرك والرعد بما فيه من الوعيد والبرق بما فيه من الهدى وذكر
الجنة فالكافرون يسدون اذانهم عند قراءة القران خوف ميل القلب اليه لان الايمان عندهم كفر
وروى ان هذا المثل في رجلين من المنافقين من المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
فاصابهما هذا المطر الذي ذكر الله في كتابه من الرعد والبرق والصواعق فجعلا كلما اضاء لهما البرق
جعلا اصابعهما في اذانهما من الخوف فاذا لم يلمع لم يبصرا فجعلا يقولان ليتنا اصبحنا فنأتي محمدا صلى الله عليه وسلم
نضع ايدينا في يده فاصبحا فاتياه فاسلما فضرب الله مثلهما للمنافقين في المدينة ثم اخبر عز وجل بانه
قادر على ذهاب اسماعهم وابصارهم الظاهرة كما يقدر على ذهاب اسماعهم وابصارهم الباطنة فقال
ولو شاء الله لذهب بسمعهم بصوت الرعد وابصارهم وجواب لو هو قوله لذهب
(اي الظاهرة والباطنة كما تقدم الظاهرة)
ومفعول شاء محذوف اي لو شاء الله لذهب بسمعهم لفعل ذلك وقرئ باسماعهم ان الله على كل
شيء شاءه قدير اي قادر لما يشاء على قدر ما تقتضيه الحكمة لا زائدا ولا ناقصا ومن قدرته
اذهاب اسماعهم وابصارهم فان الرعد يؤثر في السمع والبرق في البصر وذلك تقدير العزيز
العليم ولا يوصف بالقدير غير الله والشيء هو ما يعلم ويخبر عنه وهو مصدر شاء قال احمد الكردي
وفي هذا دليل على انه عز وجل لو شاء لذهب بحواسهم لانه شيء من الاشياء داخل تحت هذا العموم
والشيء وما يرادفه اعم وجودا من كل اعم كما ان لفظ الله اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم ليس
بشيء بمعنى انه لا تقرر له ولا ثبوت بدون الوجود والمعتزلة قالوا به في المعدوم الممكن ولغة يطلق على
كل ما امكن ان يخبر عنه ويتصور حتى المحال وهذا هو المناسب للمقام ويخرج عنه المحال بقرينة
العقل كخروج الواجب عن قوله والله خالق كل شيء ولا حاجة ان يقال كل ما شاء الله فهو موجود
فالجملة لانه قبل تعلق القدرة والمشية وحين التعلق ليس بموجود ولا بشيء وبعده لا تعلق والقدرة
صفة حقيقية تقتضي التمكن من الايجاد وليست نفس التمكن ولا نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان
شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير كامل القدرة البالغ نهاية القوة ولذلك لم يوصف به غير الله
عز وجل ثم ذكر ما فيه الدلالة على ثبوت الوحدانية والنبوة وهما اصل الايمان فقال يا ايها
الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا عام لكن الصغار
والمجانين لا يدخلونه اعبدوا ربكم الذي خلقكم اي وحدوا ربكم الذي
انشأكم على غير مثال سبق واخترعكم ولم تكونوا شيئا او اطيعوه والعبادة خضوع بتذلل مع
امتثال الامر ويجوز ان يكون امرا للمؤمنين بالمداومة على ما هم عليه من التوحيد والطاعة وللكافرين
على الدخول فيهما ثم نعت نفسه ثانيا بما يوجب عبادته فقال وخلق الذين من قبلكم
لعلكم تتقون على رجاء ان يوجد منكم التقوى فتنجوا بسببه من العقاب والعذاب ولعل
في الاصل للترجي والاطماع وفي كلامه عز وجل للتحقيق لان الكريم لا يطمع الا فيما يفعل وخص المخاطبين
في قوله لعلكم بالذكر تغليبا لهم على الغائبين ومن العجيب ذكر الترجية في حق فرعون حيث قال فقولا

له قولا

له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكان الشبلي رحمه الله يقول في هذا يا رب هذا لطفك بمن
يقول انا ربكم الاعلى فكيف لطفك بمن يسجد لك على التراب ويقال سبحان ربي الاعلى ومعنى هذا الترجية
انه قال لموسى وهارون اذهبا اليه وادعواه الينا وانتما على رجاء اجابته واعتذاره عن
جنايته والله تعالى قد علم انه لا يجيب حيث قال قد اجيبت دعوتكما لكن امر بذلك الزاما للحجة عليه
واخفى الحال عليهما بعد الاجابة لئلا يقصرا في الدعوة ثم وصف نفسه باحسانه اليهم ووجوب
شكره عليهم فقال الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق وصير لكم الارض التي انتم عليها
بساطا ووطاء يفترش ويستقر عليه حين المنام ونظيره والله جعل لكم الارض بساطا وفي اية
اخرى الذي جعل لكم الارض مهادا وفي الاخرى والارض فرشناها فنعم الماهدون والمراة فراش
الرجل لانه يستفرشها وهذا صفة لقوله ربكم الذي خلقكم تخصيصه ذللها متوسطا ولم يجعلها
حزنة في غاية الصلابة بحيث لا يدخل فيها شيء ولا يخرج منها شيء ثم قال والسماء بناء اي
وجعل لكم السماء سقفا مرفوعا كالقبة المرتفعة وفراشا وبناء منصوبان على الحالية لان جعل
يتعدى الى واحد وان قدرت جعل بمعنى صير كما قدرنا نصبتهما مفعولا ثانيا وانزل من السماء عطف
على قوله خلقكم وجعل لكم اي وانزل من الجرم المعهود وقيل السحاب لانه ينزل من السماء اصالة ثم
الى السحاب ماء اي مطرا فاخرج به اي بالماء المذكور من انواع الثمرات كالفواكه وسائر
المأكولات من الزروع والنبات لانه قال في اية اخرى كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده
والحصاد في الزرع وقال في اخرى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء
فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا رزقا لكم اي طعاما لكم وعلفا لدوابكم واطلق
اسم الرزق على ما يخرج قبل تملكه لانه ايل الى ذلك قال الاستاد الى هنا من تمام صلة الذي
ثم ان جعلت من الثانية تبعيضا نصبت رزقا مفعولا له وان جعلتها للتبيين نصبته باخرج
ثم ذكر ما هو لائق بحال العبد في قوله يا ايها الناس اعبدوا فقال فلا تجعلوا لله اندادا
اي امثالا واضدادا تعبدونهم كعبادته تخصيصه انه يامركم بالعبادة فلا تجعلوا لله شركاء
في عبادته وطاعته وانتم تعلمون حال من فاعل فلا تجعلوا والمفعول متروك نسيا اي والحال
انكم من اهل العلم والمعرفة بان الله تعالى واحد خالق لهذه الاشياء ومبدع لها ولا خلق للانداد
ولا مثال فكيف تكفرون بالله مع العلم قال الشيخ الكردي والمخاطب بها جميع الكفار ونسبة العلم اليهم
بمعنى انهم يعلمون انه المنفرد بالخلق ولا يكون الها الا من يخلق او انتم تعلمون انه ليس في التورية
والانجيل جواز اتخاذ الند او انتم تعلمون ان الند مخلوق لا يقدر على شيء من الخلق وقيل المراد
بالخطاب كفار بني اسرائيل لا جميع الكفار ثم عطف على ما هو حجة لاثبات الوحدانية ما هو حجة
لاثبات اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وهو القران فقال وان كنتم في ريب اي شك مما نزلنا
اي مما نزلناه من القران العظيم على عبدنا العظيم الاعظم الافضل من عبادنا وقرئ على
عبادنا اي محمد العلم او هو واصحابه وان هنا بمعنى اذ وانما استعملت مكانها لوجود الشك
عندهم وجواب الشرط فاتوا بسورة وهذا امر تعجيز والسورة هي قطعة من القران معلومة

للاول والاخر واقل السورة ثلاث ايات مِنْ مِثْلِهِ اى من مثل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فمن صلة او
للتبيين او للتبعيض اى بسورة مما هو على صفته فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والاخبار عن
الغيب فكانه منه ومن جعل من لابتداء الغاية فالضمير لعبدنا اى فاتوا بسورة مبتداة من مثل
عبدنا محمد وشبهه فى البشرية وفى كونه اميا لا يحسن الكتابة فتكون من على هذا متعلقا بسورة
حال كونها صفة لمن مثله اى فاتوا بسورة كاينة من مثله وذكر هنا من ولم يذكر فى سورة يونس
وهود لانه قد وصف السورة بالافتراء صريحا فى هود ورمزا واشارة فى يونس فلم يحسن الاتيان بمن
الدالة على التبيين او الزيادة او التبعيض وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ اى واحضروا معبودكم والهتكم
التى تعبدونها او من احضركم من اوليائكم ليعينكم او ادعوا من حضركم من الجن والانس لياتوا بمثله مجاوزين
الله فانه ممن حضركم ومعكم لا تستعينوا به فانه المتفرد بالقدرة على الاتيان بمثله وهذا ارجح الوجوه
الذى يشهد له قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ومن على هذا ابتدائية وشهداء جمع شاهد وشهيد بمعنى الحاضر مِنْ دُونِ
اللهِ اى من غير الله العظيم القوى الذى لا يوازيه احد ليعينكم فى الاتيان بمثله والخلق باجمعهم
مع الله كالعدم اذ كل شى هالك الا وجهه قال الغزالى فى مشكوة الانوار هالك ازلا وابدا لا ان حياتهم
ليست بالاستقلال بل من الغير الذى ليس كمثله شى انتهى قلت فهو باين عن خلقه فى الاحدية
والواحدية والتعينات والتجليات جميعا ومن تعلق بالمتشابهات وجعل الخلق عين الحق او جزءا منه
فى جميع التعينات فهو مدفوع بقوله تعالى والذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وبقوله
ليس كمثله شى مع قوله وهو السميع البصير شتان بين صفات الله وصفات خلقه وبقوله وجعلوا له من عباده
جزءا ان الانسان لكفور مبين قال البكرى ودون فى جميع القران بمعنى غير كقولهم المدينة دون مكة
ولا اقوم من مجلسى دون ان تجى انتهى وقال عباس الشهداء هو الاعوان لان الشاهد كالعون للمدعى
فى استخراج حقه وقد مر بان الشهيد بمعنى المعبود والالهة لانهم كانوا يعتقدون انها تشهد لهم وتشفع لهم
ومن دون الله صلة قوله شهداء اى الذين اتخذتموهم شهداء من دون الله وهذه صفة الاصنام كما فى
قوله اتخذوا من دونه اولياء وقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء ثم قال فى هذا قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال فى الاولياء الذين اتخذوا من دون الله اولياء فالله هو الولى
وهو يحيى الموتى وهو على كل شى قدير وقال احمد بن يوسف وقوله من دون الله اى من دون اوليايه
المومنين وهم رؤساء الكافرين متعلق بادعوا وشهداءكم تخليصه ومعناه استعينوا بالهتكم التى تعبدونها
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة ومعنى دون الانخفاض والقرب لانه اخفض مكانا من غيره ومنه الشى
الدون ومنه قولهم دونك كذا اى خذه من مكان هو اخفض منك ثم كثر استعماله للتفاوت فى الاحوال والرتب
فقيل زيد دون عمرو فى العلم والشرف انتهى اقول وكلمة من دون الله لها معان ومعناها ههنا
غير ودون فى الاصل اسم ولهذا دخلها الخافض وخفضها وهو من ولكنها تستعمل استعمال الحروف لانها تفيد
المعنى فى غيرها كالحروف فاجريت مجراها ولذلك هى مجردة عن اللام الذى هو للتعريف والتنوين الذى هو
للتنكير وهما من خصايص الاسماء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ تا فى ان محمدا صلى الله عليه وسلم تقول القران

اى قاله

اى قاله من عند نفسه كسائر كلام البشر وان الهتكم شهداؤكم والصدق هو الاخبار عن المخبر به على ما هو
به وهو نقيض الكذب الذى هو الاخبار عن المخبر به على خلاف ما هو به وجواب الشرط محذوف تقديره
فافعلوا ذلك ويدل على حذف فافعلوا قوله تعالى لهم بعد عجزهم عن الاتيان عند التحدى فَإِنْ
لَمْ تَفْعَلُوا ما ذكر لكم فيما مضى لعجزكم مع انكم عربيون فصحاء وهذا الفعل مجزوم بلم دون ان لان لم اصل
فى عمل الجزم ولانها لا تدخل الا على مستقبل لفظا وماض معنى واما ان فتدخل على الماضى لفظا ويليها
الاسم نحو قوله وان احد ولم ايضا مختصة بنفى الماضى معنى وان شرط وحق الشرط الدخول على
المستقبل معنى وبين الماضى والمستقبل منافاة وبعضهم يجعل ان بمعنى اذ واذ يكون للماضى ويقول
متى ما عرض ما يحيل معنى الشرط جعلت ان بمعنى اذ وبعضهم يتركه على اصله شرطا وتقديره ان يثبت
لكم فى المستقبل انكم لم تفعلوا فيما مضى وَلَنْ تَفْعَلُوا فيما يستقبل ابدا وذلك لظهور اعجاز القران وهو
معجزة النبى صلى الله عليه وسلم وجملة لن تفعلوا اعتراض بين الشرط وجوابه وهو قوله فَاتَّقُوا بايمانكم
بالله وان القران ليس من كلام البشر النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وعرف النار بلام الاستغراق
لان الخطاب هنا مع المنافقين وهم فى اسفل نار جهنم المحيطة بهم والوقود بفتح الواو ما يوقد به من
الحطب والناس عام اللفظ خاص المعنى اى من سبق له القضاء بذلك وقال الجلال السيوطى اراد
بالناس الكفار وَالْحِجَارَةُ الجمهور انها حجارة الكبريت لا سائر الاحجار لان احجار الكبريت فيها
خمسة انواع من العذاب سرعة الايقاد ونتن الرائحة وشدة اللصوق بالابدان وكثرة الدخان
وقوة حرها اذا حميت وقيل هى سائر الاحجار وقيل هى احجارهم التى نحتوها لعبادتهم وفى الاية
دليلان لاثبات النبوة ظهور كون المتحدى به معجزا والاخبار بالغيب اذ لو عارض لنقل الينا وتواتر
ذلك واذا عجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فمن بعدهم اعجز أُعِدَّتْ اى هيئت والمعد هو
الله حذف للعلم به لِلْكَافِرِينَ تا يعذبون بها ولما ذكر وعيد الكافرين اردفه بوعد المومنين
وبشارتهم فقال وَبَشِّرِ اى اخبر يا محمد الَّذِينَ آمَنُوا اى صدقوا بالله والبشارة هو كل خبر
صدق يتغير به بشرة الوجه واستعمالها فى الخير اكثر وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ والصالحات من العمل
ما حسنه الشرع وسوغه وهى كل ما كان لله وحده كالاخلاص فى الاعمال واقامة الصلوات المفروضة
والنوافل وتانيثها على تاويل الخصلة والخلة واللام فيها للجنس قال بعضهم وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين
الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء ولا غناء
باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل
ان الشى لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه وقال بعضهم وفى الاية دليل على ان الطاعات
غير الايمان لانه عطفها على الايمان والعطف دليل المغايرة وهو رد على من جعل من الايمان كاصحابنا قال
بعضهم والجواب ان مجموع الامرين شى واحد قيل عطف بعض الاجزاء على الكل وهو جائز لغرض
من الاغراض كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال والله اعلم أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ اى بان
لهم بساتين وحدائق ذات شجرة ومساكن ونكرت لان لكل طايفة من العاملين جنات من الجنان

الثانية سمي البستان بالجنان لاجتنان الارض اى استتارها بالاشجار تجري من تحتها اى
من تحت اشجارها وغرايبها وقصورها التي فيها الانهار اى المياه فى الانهار والنهر الموضع الذى
يجري فيه الماء لان الماء ينهره اى يحفره ونسبة الجرى الى الانهار مجاز وفى الحديث انهار الجنة تجرى
فى غير اخدود كلما رزقوا منها اى متى ما اطعموا من تلك الجنات من فى منها لبيان المكان من
ثمرة رزقا اى ثمرة ومن فى من ثمرة زايدة اى كلما رزقوا ثمرة او للجنس ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا
فالظرف الاول لغو والثانى مستقر وقع حالا من رزقا فانه مفعول ثان لرزقوا وعلى هذا يجوز حمل الثمرة
على النوع والفرد لان كل فرد مرزوق قال احمد الكردى ومن فى الموضعين للابتداء والجنات
الفعل المطلق وهو الرزق جعل مبدوءا من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتديا من الثمرة والمراد
بها النوع لا الفرد اذ لا معنى لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة لانه يوجب ان يكون
المرزوق قطعة منها ليكون من للابتداء وكلا الظرفين لغو وقيل من الثانية تاكيد للاولى قالوا
هذا الذى اى مثل ما وشبه ما رزقنا اطعمنا من قبل اى من قبل هذه الثمرة من ثمار الجنة فى
الجنة لان الثمار فى الجنة متشابهة لونا مختلفة طعما فاذا اطعموا ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى
بقرينة ما ياتى من قوله واتوا به متشابها وانما قدرنا مثل ما وشبه ما لان اداة التشبيه هنا محذوف
لاستحكام الشبه كقولك زيد اسد وفى التيسير وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة فى
معنى قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبل اى قالوا هذا الذى رزقنا من ثمار الجنة مثل الذى كنا رزقنا
من ثمار الدنيا اى فى الصورة والاسم فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الدنيا مما فى الجنة
الا الاسماء فاشجار الجنة من الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وقال ابو عبيدة ويحيى ابن
كثير ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها استخلف مكانها مثلها فاذا راوا ما استخلف بعد الذى
جنى اشتبه عليهم وقالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها اى جيئوا بالرزق
الى الذين امنوا وعملوا الصالحات يشبه بعضه بعضا فى اللون والريح لكن فى الطعم واللذة مختلف او
متشابها اسما لا طعما ولهم فيها ازواج اى نساء من الحور وغير الحور مطهرة من
الاخلاق الذميمة ومن الحيض ومن كل قذر وشهوة الولد فى الجنة غير واقعة لكن لو اشتهى
لوقع له فى ساعة واقل ما ورد اثنان وسبعون زوجة وصح خمسمائة والزايد على ذلك فى اسناده
نظر وهم فيها خالدون ماكثون ابدا اى دايمون احياء لا يموتون قال صلى الله عليه وسلم
اهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ثم لما ضرب الله تعالى المثل بالذباب بقوله
وان يسلبهم الذباب او بالعنكبوت بقوله كمثل العنكبوت قالت اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء
الخسيسة وضرب مثل هذا مما يستحى منه نزل ردا عليهم على سبيل المقابلة واطباق السوال على الجواب
كقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ان الله الحيى الكريم لا يستحيى
ان يضرب مثلا لا يتركه الحياء ولا يمنعه ان يذكر شبها او ان يجعل شبها مثلا مفعول اول لضرب
اذا كان بمعنى يجعل وما زايدة للتاكيد فى الخسة فى قوله ما بعوضة كقوله فبما نقضهم وبعوضة
نصب على انه مفعول ثان ليضرب اذا كان بمعنى يجعل كما تقدم انفا وهو كقوله وجعل الليل سكنا

او نكرة

او نكرة مبهمة فى موضع نصب على انه مفعول ثان ليضرب وبعوضة نعت لها او عطف بيان لمثلا
ورجح بعضهم ان ما مخصوصة تقول جئتك فى امر ما فتفيد النكرة تخصيصا وتقريبا وقرى بعوضة
بالرفع فما موصولة على هذا اى يضرب الذى هو بعوضة مثلا فحذف العايد على الذى ومثله ما قرى
تماما على الذى احسن اى هو احسن قال ابو الحسن اعرابه ان يضرب بمعنى ان يجعل ومثلا مفعول
اول له وما نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان اى اى مثل كان او زايدة لتاكيد الخسة فما بعدها
المفعول الثانى انتهى والبعوضة مفرد البعوض وهو صغار البق اى الناموس قال البكرى البعوض
الذباب او البق او صغار الكل قالوا البعوض على صغره كهيئة الفيل على كبره وفى البعوضة زيادة جناحين
والبعوض تطير والفيل تسير والفيل يالف والبعوض يفر ويوذيك ويستولى عليك والفيل تقهره انت
وتستولى عليه ومن العجيب عجزك عن هذا الضعيف وقدرتك على ذلك الكبير فما فوقها اى فما
اكبر واعظم وان يذهبها كصغار الذباب والعنكبوت وقال ابو عبيدة وجاء فوقها بمعنى دونها
لان فوق من الاضداد اى دونها فى الصغر كقولك فلان جاهل وفوق ذلك اى دون ذلك واقرب منه وهو
كالوراء يكون بمعنى الخلف والامام والمعنى ان الله عز وجل لا يترك بيانه لما فيه من الحكمة البالغة ولما كان اما
حرفا فيه معنى الشرط ويذكر تفصيلا لما اجمل وكان فيه زيادة تاكيد تقول زيد ذاهب فاذا اردت
توكيد ذلك قلت اما زيد فذاهب ومعناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب والاسم بعده مبتدا
وتلزم خبره الفاء لمعنى الشرط قال فاما الذين امنوا بمحمد والقران فيعلمون انه اى المثل
الحق اى الثابت المحكم الواقع موقعه لان الحق وضع الشئ فى موضعه من ربهم اى من
مالكهم المصلح لاحوالهم بضرب الامثال المعرف لهم ما خفى عليهم واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله وما فى موضع رفع مبتدا وخبره ذا او اللفظ مركب من ما وذا وكل منهما اسم وذا
بمعنى الذى فالمعنى ما الذى اراد الله بهذا الشئ وهو المثل الذى حقير عندنا فى الصورة مثلا
تمييز وما استفهام انكارى اى اى فايدة فى المثل اى لا فايدة فيه قالوا لجهلهم فقال الله فى جوابهم
يضل به كثيرا اى يضل بالمثل المذكور كثيرا من الخلق لكفرهم به وتكذيبهم اياه فيزدادون
ضلالا وهو اخبار من الله على الاصح وفيه رد على من قال ان الله لا يخلق الضلال ويهدى به
بالمثل المذكور كثيرا اى من المومنين لتصديقهم به ووصف المومنون بالقلة فى قوله تعالى
وقليل من عبادى الشكور وفى قوله وقليل ما هم وهذا القلة والكثرة فى الظاهر واما فى الحقيقة فالمومنون
اكثر لكونهم على الحق والكافرون على الباطل وعن ابن مسعود السواد الاعظم هو الواحد على الحق
وما يضل به اى بتكذيب المثل الا الفاسقين اى الخارجين عن الطاعة من فرق اهل
الكتاب والنفاق واهل الاشراك والفاسقين منصوب لانه مفعول ليضل وليس نصبه بالاستثناء لان
يضل لم يستوف مفعوله ثم لما نقض اهل الكتاب العهد والميثاق حيث قال الله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم حيث كتموا صفة محمد صلى
الله عليه وسلم ونقضوا العهد ونسخوا واشتروا به ثمنا قليلا او هو نقضهم المذكور فى قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الى قوله ثم توليتم من بعد ذلك او هو نقض العرب عهودهم كما اخبر الله عنهم

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم اى اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير اى محمد ما زادهم الا نفورا او هو نقض اليهود فى السبت او هو اخذ ميثاق ذرية ادم حين اخرجهم كالذر وقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم جحدوا بعد الاقرار فنكر خبر اهم ونختهم بنقض العهود والانداد الذين تحت ينقضون اى يفسخون وينكثون عهد الله اى ما عهد اليهم فى الكتب من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم او غير ذلك مما بينا من بعد ميثاقه اى توكيده وتشديده عليهم حيث قال واخذتم على ذلكم اصرى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بنبينا او بجميع الانبياء كما قال امنوا بالله ورسله فامنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعضهم او اراد بالوصل صلة الرحم حيث امر الله بذلك فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ومحل ان يوصل جر لانه بدل من ضميره وهذا من بدل النكرة من المعرفة او نصب على انه بدل اشتمال من ما تقديره ويقطعون وصل ما امر الله به اى يوصل او رفع على تقدير هو ان يوصل ويفسدون فى الارض بالكفر والمعاصى وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الافساد اولئك مبتداء اى الموصوفون بما ذكر هم الخاسرون خبره اى المغبونون فى الدنيا لاستبدالهم الضلال بالهدى والنقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعذاب بالمغفرة وبال ضعفائهم التابعين لهم عليهم فاولئك الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة او معناه اى المغبونون فى الدنيا بالقتل على الكفر ونحوه وفى الاخرة بالعذاب الدائم لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم واصل الخسران نقص الحظ فى الوزن والكيل وغيرهما قال الله ولا تخسروا الميزان ثم استفهم خطابا لاهل مكة او لكل كافر حيث قال كيف حال من الضمير فى تكفرون بالله العظيم الخالق لكل شئ وتكفرون عامل فى الحال تقديره أمعاندين تكفرون وهو توبيخ لهم وتعجب فى حقنا بمعنى هم مستحقون لان يتعجب من شانهم لكفرهم ونصب الدلائل والبراهين على وجوب الايمان بالله وهو تنقلهم من الصلب الى الرحم ثم الى الدنيا ثم الى الموت ثم الى الحيوة يوم القيمة ثم الى الحساب والجزاء ورتب ذلك بقوله وقد كنتم امواتا فى الاصلاب لا احساس لكم فاحياكم فى الارحام او الدنيا بنفخ الروح فيكم وعقب بالفاء لسرعة انتقال النطفة من الصلب الى الرحم ولما كان المقام قد يطول جاء بثم حرف التراخى فقال ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم وانتهائها ويطول عليكم مدة اللبث فى التراب ثم يحييكم فى القبر للبعث وفى هذه الاية اثبات عذاب القبر وراحة القبر وكذلك فى قوله ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين اى الى الموت وكذلك فى قوله قل الله يحييكم قال ابراهيم بن جعفر ختمت القران مع تفكر وتدبر سبعمائة مرة حتى استنبطت عذاب القبر وراحته من هذه الايات الثلثه ثم اليه ترجعون اى ثم الى الله تردون بعد البعث لجزاء الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر قال احمد بن يوسف معناه ثم يرجعون الى ارادته ومشيته لا انه عز وجل فى جهة فيرجعون اليها تعالى علاؤه وشانه ثم اوما الى عظمته وقدرته مع اثبات دليل البعث لمنكريه فقال هو الذى خلق لكم ما فى الارض اى هو الذى اخترع واوجد لانتفاعكم واعتباركم بعد العدم الارض وما فيها من المعادن وما عليها من الموجودات جميعا حال من ما ويستدل بهذا على ان الاصل فى الاشياء الاباحة ثم استوى الى السماء اى بعد تمام خلق الارض وما فيها استوى قصد قدرته وسلطانه الى ايجاد

السموات

السموات من غير ان يحدث شيئا اخر يقال استوى الى كذا كالسهم المرسل اذا اقصده قصدا مستويا لا يكون الى غيره فسويهن سبع سموات اى خلقهن مستويات السطوح بالاملاس لانه لا عوج فيها ولا فطور ولا خلل فى روية العين وثم على اصلها من التراخى زمانا لقوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها الاية ومن غفل عن هذا التفصيل جعل ثم للتراخى رتبة لقوله والارض بعد ذلك دحاها وقيل الدحو متاخر عن خلق السموات لا عن التسوية وليس بسديد لان قوله والارض بعد ذلك دحاها اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسوية فان قلت فما وجه اعراب قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت وجهه النصب بنحو تدبر او تذكر او اذكر الارض بعد ذلك ثم شرع فى تفصيل احوالها مستانفا بقوله دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارسيها متاعا لكم ولانعامكم وفيه اشارة الى ان ايات الارض قاصرة عن عجايب ملكوت السموات وما يروى من ايجاد الجوهرة النورية والنظر بعين الجلال المبطن بالرحمة والجلال وذوبها وامتيازه عن كثيفها وصعود المادة الدخانية وبقاء الكثيف ان صح ذلك فكل ذلك سابق على الايام الستة قال ابو يحيى والضمير المونث للسماء لان السماء جنس او التانيث باعتبار ان السماء جمع سماءة او السماء بمفرد والمراد به الجهة العلوية فكان كل جزء منها سماء او الضمير مبهم وسبع سموات تفسيره وبيانه وهذا الوجه عندى واحسن لما فيه من الابهام والتفسير والتمييز بعده كقوله ربه رجلا وقال الشيخ جمال الدين وجمع ضمير السماء لانها فى معنى الجمع الايلة اليه اى باعتبار مصيرها اليه فعلى هذا يكون سواهن بمعنى صيرهن كما فى اية اخرى فقضاهن سبع سموات ولا تناقض بين قوله خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء وبين قوله والارض بعد ذلك دحاها لان الدحو البسط خلق الله اولا الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر فى موضعها ثم بسط منها الارض وفى رواية عن ابن عباس ان الارض كانت خشفة تحت الكعبة ومعنى خشفة اى اكمة ثم بسط منها الارض وقال استاد واقتضت الاية ان الارض بما فيها خلقت قبل السماء وهو صحيح ثم دحيت الارض بعد خلق السماء وبهذا تجتمع الايات وهو بكل شئ عليم اى هو كامل العلم بالاشياء جميعها مجملا ومفصلا قبل الخلق وبعده افلا تعتبرون ان القادر على خلق المذكور ابتداء من غير شئ وهو اعظم منكم قادر على اعادتكم وبعثكم ولما خلق الله تعالى الارض اسكن فيها الجن واسكن فى السماء الملئكة فافسدت الجن فى الارض فبعثت اليهم طايفة من الملئكة فطردتهم الى جزائر البحار ورؤس الجبال واقاموا مكانهم فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يذكر قصتهم ليتحفظها ومن عادة الانبياء التذكير فقال واذ منصوب باذكر مقدرة قال ربك للملئكة جمع ملاك كالشمايل جمع شمال انى جاعل اى خالق او فاعل وجاعل متعد الى مفعولين اذا كان بمعنى مصير وهما فى الارض خليفة اى فى ارض مكة لان الارض دحيت من تحتها والعموم انسب اى خليفة عن الله فى اقامة احكامه وتنفيذ شرايعه فى الارض وهو ادم وسمى ادم خليفة لما ذكرنا او لانه خلف الجن حين افسدوا فى الارض وجاء بعدهم او لما رفع الله الملئكة الى سماواته وابدل منهم ادم كرهوا ذلك لان العبادة كانت قد خففت عليهم على ما قيل

اولما علمت الملائكة ان الذين يخلقهم بوحي او بالهام يعصون الله تعالى كالجن فقالوا استعظاما
لله وعصيانه وطلب الحكمة ذلك لا غيبة وحسدا واعجابا منهم لانهم معصومون عن الذنب راسا
قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما شاورهم في ذلك ليكون التشاور
سنة بين عباده لكونها فعل علام الغيوب ولئلا تعتريهم شبهة وليعلموا ان الحكمة تقتضي ايجاد ما
يغلب خيره اي يكثر فان ترك الخير الكثير للشر القليل خارج عن الحكمة **اتجعل فيها من يفسد فيها**
بالمعاصي قاسوهم على الجن ولم يعلموا وجه الحكمة **ويسفك الدماء** اي يصب الدماء ظلما بالقتل
ونحن احق بالاستخلاف وساير احسانك لانا **نسبح بحمدك** اي ننزهك حامدين لك وملتبسين
بحمدك وتسبيحهم صلواتهم او سبحان الله وبحمده او سبحان الله ولا خير بعدها **ونقدس**
لك اي ننزهك ونطهرك ونثني عليك بالطهارة عن النقايص وعما لا يليق بعظمتك وجلالك
واللام على هذا المعنى زائدة للتاكيد او المعنى نطهر انفسنا من الاثام لاجل طاعتك مذعنين لك
فانك مقدس ازلا وابدا **قال** الله تعالى **اني اعلم ما لا تعلمون** تاما من وجه المصلحة بالاستخلاف
لادم وان كانت افعاله جل شانه لا تعلل فيها والمعنى لا يعلمون حكمة استخلافي لادم وبنيه اذ فيهم
الطايع والعاصي فيظهر العدل والفضل بينهم بالاستخلاف او اعلم ان فيكم ايها الملئكة من يعصيني من
غير جنسكم وهو ابليس فيبعد عن رحمتي وانتم لا تعلمون حكمة ذلك وفي بعض الروايات المشهورة ان الملئكة
قالوا ان يخلق ربنا خلقا اكرم عليه منا ولا اعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق الله تعالى ادم من اديم
الارض اي وجهها بان قبض منها قبضة من جميع الوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح
فصار حيا سامعا بعد ان كان جمادا فقالوا لما الهم الله الارض بان يخلق منها ما يفسد فيها بكت الارض
فانفجرت منه العيون الى يوم القيمة فبعث الله اليها جبريل ليقبض من اجزائها المختلفة قبضة فقالت
له الارض اني اعيذ بعزة الذي ارسلك الي ان لا تاخذ مني شيئا فرجع وذكر عذره للرب ثم بعث اليها
ميكائيل ففعلت به ما فعلت بجبريل ثم بعث اليها اسرافيل ففعلت به ما فعلت بهما ثم بعث اليها ملك الموت فقالت
له ما قالت لهم فقال ملك الموت اني اعيذ بعزة ان اعصي له امرا فقبض منها قبضة وخلق منها ادم
بقرب مكة فسلط عليه ملك الموت بقبض روحه وارواح اولاده وذريته **وعلم ادم الاسماء كلها**
قيل ادم مشتق من الادمة وهي السمرة او من اديم الارض اي وجهها وكنيته ابو البشر ووزنه افعل
لا فاعل بفتح العين لانه لو كان فاعلا لانصرف وقيل هو عبراني لا اشتقاق له فان اكثر اسماء
الانبياء لا اشتقاق لها وقيل لا يجوز في القران غير العربي لقوله تعالى قرانا عربيا وقيل كانت
العرب تتكلم ببعض الكلمات الغير العربية فصارت عربية وقال علي بن الحسين بن واقد ليس في القران
نبطية ولا حبشية ولا غير ذلك لكنها عربية لا عوج فيها فقد توافق نبطية وحبشية ونحو ذلك والمعنى
وعلم اسماء المسميات ومعانيها كلها كل اللغات بعد خلقها وخلق حقايقها ومنافعها وخواصها حتى
علم الفصحة والقصيعة وكان التعليم بعد السجود لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين وانما قدم لشدة ارتباطه برد دعوى الملئكة وعدم علمهم بما احاط به علما وقيل اراد
بالاسماء اسماء الملئكة وقيل اسماء اولاده الى يوم القيمة والمعلم هو الله بالهام القاء اليه ذلك فوقع في قلبه

يجري

فجرى لسانه بما في قلبه بتسمية الاسماء من عنده والظاهر انه علمه اسماءه كلها واسماء مخلوقاته
من اهل الارض والسماء واسماء ساير الحيوانات والجمادات والمطعومات والمشروبات وكل نعيم
في الجنة وقيل ارسل الله ملكا من غير هؤلاء وادعى اليه بذكر اسماء المخلوقات كلها فسمعها وحفظها
في ساعته وقيل علمه بلسان واحد ثم وضع بالهام الله ايضا ربين كل قوم لقومه لسانا فقيل
جرى لسانه بتسميتها بالالسنة كلها التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيمة وعلم هو ذلك كله اولاده
فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان استسهلوه منها والفوه ثم نسوا غيره بعد تطاول الزمان **ثم**
عرضهم على الملئكة اي عرض المسميات يعني اصحاب الاسماء من الانس والجن والملئكة والنبات
وغيرهم من الاحياء والجمادات فاجتمع في ذلك من يعقل ومن لا يعقل ولذلك قال عرضهم كما هو
قراءة الجمهور دون عرضها وعرضهن تغليبا للعقلاء المذكرين على غيرهم وقال احمد الكواشي وعرض
الاسماء لا يصح والغرض اظهار كل شيء وان ترتبه عرضا لتعرف حاله انتهى وفي التيسير والصحيح ان
الاسماء هي التسميات في هذه الاية فان التعليم يقع عليها لا على الذوات ويكون معنى قوله ثم عرضهم
اي عرض اصحاب الاسماء على الاضمار وهو جائز انتهى قلت تخصيصه المعروض اما الاشخاص او الاسماء
مستويا لابهام مسمياتها **فقال للملئكة انبئوني** اي اخبروني وهذا امر تعجيز وتبكيت لهم **باسماء**
هؤلاء الموجودات **ان كنتم صادقين** اي ان كنتم صادقين باني لا اخلق افضل ولا اعلم
منكم لعصمتكم وجواب الشرط دل عليه ما قبله او ان كنتم عالمين فلما ظهر عجزهم **قالوا** معترفين
بالعجز **سبحانك** اي ننزهك عن الاعتراض عليك بان تفعل ما لا حكمة فيه وسبحان مصدر كغفران
لا يكاد يستعمل الا مضافا **لا علم لنا الا ما علمتنا** ما مصدرية اي الا علما علمتناه ومحله
رفع على انه بدل من موضع لا علم كقولك لا اله الا الله او بمعنى الذي ويكون العلم بمعنى المعلوم اي لا المعلوم
الذي علمتناه قال ابن عباس وجماعة من الاصحاب معناه انك اعلمتنا انهم يفسدون في الارض فقلنا
على حسب ما ظهر لنا اتجعل فيها من يفسد فيها ولو اكتفوا بقولهم لا علم لنا كان جوابا لكن قالوا الا ما علمتنا
ليكون زيادة عبودة فان قولهم لا علم لنا من باب العذر وقولهم الا ما علمتنا من باب الشكر وهما جماع
كل الخير وقولهم لا علم لنا وصف لانفسهم وقولهم الا ما علمتنا وصف لربهم اي منا النقص ومنك الكمال
ومنا الطلب ومنك الافضال وافادت الاية ان العبد لا ينبغي له ان يغفل عن نقصانه وعن فضل الله
واحسانه ولا يانف ان يقول لا اعلم ولا ادري فيما لا يعلم ولا يدري فان الملئكة كانوا في الحضرة فقالوا
لا علم لنا قال بعضهم لا ادري نصف العلم **انك انت العليم** بخلقك اذ لا يخفى عليك شيء وانت
تاكيد للكاف قال الاستاد والتاكيد بانت وانت لدفع ما سبق منهم من مخايل الشك **الحكيم**
المتقن في صنعه الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وان خفيت على اللبيب الالمعي قال بعضهم الحكيم
هو الذي سوى وقدر ولا ينقض حكمه البشر وهو العالم بعواقب الامور والمطلع على المكشوف والمستور
او الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته لانه يضع الاشياء في محلها والحكمة والحكيم ايضا هو الذي يمنع الخلل
ان يتطرق عليه والعالم النحرير لا يانف ان يقول لا ادري وسئل الشعبي عن مسئلة فقال لا ادري فقالوا
لا تستحيي وانت امام العراقيين قال الا ان الملئكة كانوا في الحضرة وقالوا لا علم لنا فقال انا وسئل يعقوب القاضي

رحمه الله عن مسئلة فقال لا ادري فقيل له ترتزق من بيت مال المسلمين كل يوم كذا وكذا ثم تقول
لا ادري فقال انما ارتزق بقدر علمي ولو اعطيت بجهلي لم يسع مال كل الدنيا وسئل ابو بكر الدباغي
عن مسئلة وهو على المنبر فقال لا ادري فقيل له ليس المنبر موضع الجهال فقال انما علوت بقدر علمي
ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السماء وسئل عالم عن مسئلة فقال لا ادري فقال له السائل ليست الصلاة
مكان الجهال فقال العالم المكان لمن يعلم شيئا ولا يعلم شيئا فاما الذي يعلم كل شيء فلا مكان له لانه خالق
المكان يقول الفقير مولف هذا الكتاب واني سئلت عن اية فقلت معناه كذا والله اعلم ثم سئلت
عن حديث فقلت معناه كذا والله اعلم وكان في المجلس رجلان متعصبان اسم احدهما حسن بن
هاريه زاده واسم الثاني كدكلي زاده فسئلا عن مسالة فقهية فتوقفا وتحيرا في الجواب فاجبت
السائل باذنهما فنهقا وقالا ان ارباب الاحاديث واصحابها سد علينا طرق الجواب ثم قاما ونهضا
عن المجلس وهدداني بحاكم البلد وقاضيه انا لله وانا اليه راجعون فانظر يا اخي الى ثمرة علمهما
من الكبر والنفخ فلما عجزوا عن الانباء قال الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم اي انبئ
الملئكة واعلمهم باسماء المسميات قال وهب فسمى ادم كل شيء في الارض باسمه وذكر منفعته
التي لاجلها خلق وهم جلوس بين يديه في الارض وهو على الكرسي ثم فتحت له السموات فسمى اهل كل
سماء باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما قال الله تعالى
لهم توبيخا الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما ولا دليل
اليه ولا طريق اليه من علوم الخلق من اهل السماء والارض قيل غيب السموات هو اكل ادم وحوا
من الشجرة التي نهيا عنه وهو اول عصيان كان في السماء وغيب الارض قتل قابيل اخاه هابيل وهو
اول عصيان كان في الارض وقيل غيبهما فيهما ما قضاه فيهما بقضائه السابق من امور خلقه
قال احمد بن يوسف وهذا دليل ان ما اطلع الله عليه بعض عباده يسمى غيبا لانه دخل في ذلك
ما علمه ادم صلى الله عليه وسلم انتهى قلت وقد قال في سورة اخرى ولا يظهر على غيبه احدا الا
من ارتضى من رسول وقد بينت هذا في غنيتي فراجعها واعلم ان ظاهر قوله الم اقل لكم استفهام
ومعناه التقرير اي قد قلت لكم واعلم ما تبدون اي ما تظهرون فيما بينكم جهارا من قولكم اتجعل
فيها من يفسد فيها الاية وما كنتم تكتمون اي وما تسرون من قولكم لن يخلق الله خلقا
اكرم عليه منا ولا اعلم او وما تكتمون من كل شيء ولما ظهر فضل ادم على الملئكة بالعلم امرهم بتعظيمه
بسجود التحية ببعض الانحناء لا بسجود العبادة قال واذكر اذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم
والمقول لهم الملئكة باجمعهم ارضية او سماوية يدل على ذلك عموم اللفظ وعدم المخصص في
لادم اي الى ادم تخصيصه كان السجود لله عبادة والى ادم تكرمة كالصلوة الى الكعبة قالوا لم
يكن ثم وضع الجباه على الارض انما كان الانحناء فسجدوا الا ابليس استثناء متصل للقايل بانه
من الملئكة ومنقطع للقايل لانه ابو الجن كان بين الملئكة وليس منهم وعليه الاكثر وابليس غير منصرف
لعجمته وتعريفه وان جعلته عربيا فعدم صرفه لتعريفه وقلة مثاله في كلام العرب واصلت
واجعل من الشواذ ابى واستكبر اي امتنع من السجود وتعظم عنه فرأى نفسه اكبر من ادم حيث

قال انا خير منه وكان من الكافرين في علم الله ازلا او صار منهم قاله الكواشي وقال احمد
الكردي اي كان من الكافرين في علم الله اشارة الى المذهب اذ لا يمكن تغيير معلومه ولا يكن
تكليف المحال لوجود الاختيار او صار من الكافرين لاستقباحه ما استحسنه الله عز وجل
لان ترك المأمور به من غير استقباح لا يوجب الكفر انتهى ولم يكن لادم من يونسه في الجنة
فخلقت من ضلعه الايسر من قصيراه وهو نائم فاستيقظ فراها عنده فقال من انت فقالت
زوجتك اسكن اليك وتسكن الي فقال له عز وجل وقلنا يا ادم اسكن اي استقر لانه ضد
الحركة انت تاكيد للضمير المستتر في اسكن ليعطف عليه قوله وزوجك الحواء بالمد الجنة اي جنة
الخلد وهي في السماء السابعة وكلا منها رغدا اي اكلا واسعا كثيرا لا حجر فيه حيث شئتما
اي في اي مكان كنتما وسع ذلك ازالة للعذر في تناول ما نهي عنه ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل
منها هي شجرة يعلمها الله ومنهم من عين فقال الحنطة او التينة او اللوز او الكرم او الاترج او
النخلة او شجرة العلم وفيها من كل شيء او الكافور وغير ذلك وصح عن ابن عباس انها السنبلة فتكونا
بالجزم لانه عطف على تقربا او نصب لانه جواب للنهي من الظالمين اي فتصيرا من العاصين
الضارين لانفسهم بمخالفتي واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فازلهما الشيطان عنها
قرأ حمزة فازالهما بالالف بعد الزاي اي نحاهما ابليس عن المكان الذي كانا فيه من جنان الجنة
وقرأ الباقون بلا الف مع تشديد اللام والمعنى دعاهما الى الزلة اي المخالفة المبعدة عن الجنة وهذا
من باب ترك الافضل ولا تيان بالفاضل وهذا عوتبا على الاكل قالوا لما سكنا الجنة واحتاجا حسدهما
ابليس الخبيث فمنع من دخول الجنة بالكلية فادخل ابليس الحية في الجنة بحليه او كان ابليس يدنو
من الجنة بحيث يتراءا لهما فلما راهما بكى ابليس وناح نياحة احزنتهما وهو اول من ناح فقالا ما
يبكيك قال ابكي عليكما فانكما تموتان فتفارقان نعيم الجنة فاهتما لذلك ثم قال لادم هل ادلك على
شجرة الخلد فابى ادم ذلك فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاكلت حواء اولا ثم ناولت ادم
فاكل بعد امتناع فاخرجهما مما كانا فيه وفي التيسير وضمير فيه راجع الى اللباس الذي كانا فيه
حتى بدت لهما سوآتهما وقيل وهو قول الاكثرين انه راجع الى الجنة فان قيل فعلى هذا كيف يرجع
ضمير فيه الى الجنة قلنا هو راجع الى ما في قوله مما كانا وقيل راجع الى النعيم اي فاخرجهما من الحال
الذي كانا فيه اي من النعمة والراحة والسرور الى البلاء والمحنة والشدة ثم انه عز وجل قال لادم
الم يكن بك يا ادم مندوحة عن اكل هذه الشجرة فقال بلى يا رب ولكن زينته لي حواء وما كنت اعتقد
ان احدا يحلف بك كاذبا ويدل على ان القول كان من الله عز وجل قوله وقلنا اهبطوا اي انزلوا
واخرجوا من الجنة العالية الى الارض وخطاب الجمع لادم وحواء وما اشتملتهما عليه من ذريتهما
لانهما الاصل فكانهما الجنس كله حيث نزلا منزلة الجنس البشري لانهما اصله والدليل على ذلك قوله
عز وجل في سورة طه اهبطا منها جميعا وقال مجاهد الخطاب لادم وحواء وابليس وقال
ابن عباس الخطاب لهم وللحية وقال بعضهم الخطاب لخمسة فزاد في ذلك طاوس قلت
واظهر الاقوال ان الخطاب لادم وحواء وذريتهما اشتملتهما عليه بعضكم اي بعض الذرية

لبعض عدو كا اى اعداء من ظلم بعضهم بعضا وتضليل بعضهم بعضا ولكم فى الارض مستقر
اى موضع قرار على وجه الارض او فى القبور ومتاع الى حين اى وما تمتعون به من نبات
الارض وبركاتها الى وقت انقضاء اجالكم قال الاستاد معناه ولكل انسان مكان فى الارض
مستقر فيه بلغة ومنفعة وتمتع يتمتع بما قسم له فيه مدة حياته وقد اشتهر استعمال المتاع فى
نفع قليل يشارف الزوال كمتاع المسافر ولذلك يستعمل فى معرض التحقير قالوا لما اهبط ادم الى الارض
خر على وجهه فى موضع البيت اربعين صباحا لا يرفع راسه من السجود حياء من الله وكان لغته
فى الجنة العربية فلما اكل من الشجرة كان تكلمه بالسريانية فلما تاب الله عليه رد عليه العربية
وبكى على ما جرى عليه ثلثماية سنة فتلقى ادم من ربه كلمات اى الهمه الله كلمات فاستقبلها
وتعرض للقائها فاخذها بالاجلال والاكرام كما يتلقى الاعزة واصل التلقى القبول عن فهم وعلم وفطنة
ومنه الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلقى من جبريل تلقيا القراءة برفع ادم على انه فاعل ونصب كلمات
على انه مفعول هذا قراءة الاكثرين والقراءة ايضا برفع كلمات على الفاعلية ونصب ادم على المفعولية اى جاءته
كلمات ووصلته فكانت الكلمات استقبلته واتته هذا على القراءة الثانى وهو قراءة ابن كثير والكلمات التى
تلقاها ادم من ربه وبسببها كانت التوبة هى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين قالوا وهذه هى الكلمات التى ابتلى بها ابراهيم فتاب عليه قيل كلمات ادم وابراهيم هى ايمان
بالامر واتيانها وهما اعتاد نهى عنه فغفر لهما بذلك او هى التسبيح والتحميد والاستغفار والمناسك يعنى
امر حتى حج البيت وتكلم بهذه الكلمات وقيل هى الصلوة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم او سبحانك اللهم
وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك او لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب
الا انت او لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى انك انت الغفور الرحيم او لا
اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى انك انت ارحم الراحمين او هى الحياء وبعض
هذه الادعية مع البكاء او قوله اسالك بحق محمد الا غفرت لى او سبحانك لا اله الا انت انى كنت من الظالمين
او لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت رب سوءا وظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم
او هو قول يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال يا رب
الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعى الى الجنة قال نعم فتاب واصلح فى توبته
اى ما نقضه فتاب عليه او قال يا رب ارايت ما اتيته اشىء كتبته على قبل ان تخلقنى او شىء ابتدعته
على نفسى قال بل شىء كتبته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فما كتبت على فاغفر لى او قال يا رب بمعرفتى
انه لا يبقى ساع الا بشيتك وقدرتك فغفر له او قال يا رب ما خدعنى الا بك فقال صدقت فتاب عليه
او دعا بهذا الدعاء فتاب وهو اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى وتعلم حاجتى فاعطنى
سؤلى وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى اللهم انى اسالك ايمانا يباشر قلبى ويقينا صادقا حتى اعلم
انه لن يصيبنى الا ما كتبت لى ورضا بما قسمت لى وفى نسخة ورضا بقضائك فاوحى الله اليه يا ادم من
قال من ذريتك هذا غفرت له ذنوبه فتاب عليه كا اى رضى منه وقبل توبته ولم يذكر حواء
لانها تبع كما يطوى ذكر النساء فى اكثر الاحكام قال الاستاد والفاء دل على ان التلقى كان توبة

من ادم والتوبة من العبد الرجوع الى الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم ان لا يعود ويلزمه
الندم على الماضى ومن الله تعالى الرجوع اليه بالغفران ومحو الذنب عن ديوان الحفظة انه هو
التواب اى الكثير التوب الذى يقبل التوبة مرة بعد مرة من عباده وان كثرت ولا يقال لغير الله
التواب الرحيم تا لخلقه وعباده واتى بصيغة المبالغة ترغيبا للتايب وتطميعا له فى الرحمة قلنا
اهبطوا منها اى من الجنة جميعا كرر الامر بالهبوط ليصح العطف فان بين المعطوف والمعطوف عليه
مغايرة فى المعنى فالاول معناه اهبطوا على عداوة بعضكم لبعض وعلى سكناكم فى الارض الى حين ثم ذكر
امرهم بالهبوط ثانيا للابتلاء بالطاعة فى ساير تكاليف الشرع فالخاطب بقوله فاما ياتينكم
لذرية ادم لان ابليس وذريته لا ياتيهم كتاب ولا رسول ولا يكون منهم اتباع منى هدى اى
كتاب ورسول ورشد وبيان شريعة وكان يصح لو قرن المعنيان بذكر الهبوط مرة لكن اعترض
بينهما كلام وهو تلقية الكلمات وتيله قبول التوبة فاعاد الاول ليتصل المعنى الثانى به وهو الابتلاء
بالعبادة والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية قال ابو يحيى كرره للتاكيد اى لشدة
العناية بامرهم او كرره لان الهبوط هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثانى من السماء
الدنيا الى الارض فهبط ادم بسرنديب بالهند وحواء بجدة وابليس بالابلة والحية باصفهان
وجميعا حال فى اللفظ وتاكيد فى المعنى كانه قيل اهبطوا انتم جميعا ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على
الهبوط فى زمان كقولك جاؤا جميعا وفى التيسير الفاء للتعقيب واصل اما ان ما فان حرف شرط
ادغمت فى ما وما صلة وياتين بحذف الياء فعل شرط والنون للتاكيد فعادت الياء المحذوفة
بسبب ان الشرطية وجواب هذا الشرط هو شرط الثانى مع جوابه وهو قوله فمن تبع هداى اى
امن بى وبكتابى وبرسولى وعمل بطاعتى فمن حرف شرط مرتفع محلا على انه مبتدا وخبره تبع
هداى وفى تبع ضمير راجع الى من وجواب قوله فمن هو قوله فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم
فضلا ان يحل بهم مكروه وفمن مع جوابها جواب لقوله فاما ولا هم يحزنون فى فوات محبوب على
ما خلفوا فى الدنيا ولا فى الاخرة اذ احزن الناس تخيصه ولا يعتريهم هم الذى هو ضد الفرح فى الاخرة
بان يدخلوا الجنة قال استادى والمعنى على التفصيل فمن عمل بالكتاب فلم يخالفه واطاع الرسول
ولم يفارقه فليس عليهم خوف فيما بين ايديهم من الاخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا
ثم اوعد الكافرين بعد وعد المومنين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اى بجميع كتبنا او
بالايات القرانية وهذا عطف على قوله فمن تبع هداى وقسيم له كانه قال ومن لم يتبع هداى بل
كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا ولما لم يكن للكافرين مقر فى
الاخرة سوى النار فكانهم قد ملكوها فصاروا اصحابها فلذلك قال اولئك اصحاب النار ثم اكد
ذلك بقوله هم فيها خالدون تا اى ماكثون ابدا لا يموتون فيها ولا منها يخرجون وانتظام
قوله يا بنى اسرائيل الى اخره بتمام قصة ادم هو ان الله تعالى عدد علينا نعمه ومننه التى عدد
على ابينا ادم وعدد ايضا نعمه ومننه التى انعم بها على بنى اسرائيل يعنى اولاد يعقوب فى الزمن السابق
على اولادهم الكائنين فى زمن نبينا ايضا كفلق البحر واغراق فرعون والمن والسلوى وغير ذلك لان

المنة على الاباء منة على الابناء واستظامه ايضا بما مضى من قبل قضية ادم هو انه قال قبلها الذين
ينقضون عهد الله ثم امرهمنا بالوفاء بعهد الله واصل بنى بنين وهو جمع ابن وسقطت النون
للاضافة والبنون اسم للذكور والاناث من الاولاد اذا اجتمعوا كنعت الرجال يشمل الذكور
والاناث اذا اجتمعوا واسرايل باسم يعقوب قال ابن عباس اسرا بالعبرانية عبد وايل
هو الله ومعناه عبد الله وفيه اقاويل اخر لا يعول عليها هذا معنى يا بنى اسرايل فردا فردا واما
معناه من حيث المجموع يا بنى عبد الله اذكروا اى اشكروا نعمتى التى انعمت عليكم اى نعمتى
التى انعمت بها على ابائكم من الانجاء من الغرق ومن تظليل الغمام وتفجير العيون من الحجر للشراب
والعفو بعد اتخاذ العجل وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى والانعام وهو ايصال الاحسان الى سواك
بشرط ان يكون ناطقا فلا يقال انعم فلان على فرسه واوفوا بعهدى اى اتموا عهدكم
الذى عاهدتمونى بامتثال امرى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد كتموا اوصاف نبينا فى توراتهم وانجيلهم
اوف بعهدكم اى اتمم جزاءكم الذى عهدته اليكم وهو الثواب عليه بدخول الجنة قال الله
لئن وفيتم بالعهد لاكفرن عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار قال بعض مشائخنا
معناه اوفوا بعهدى الذى قبلتموه يوم الميثاق اوف بعهدكم الذى ضمنت لكم يوم التلاق واوفوا بعهدى
فى ان لا تتروا على غيرى اوف بعهدكم فى ان لا امنع منكم خيرى واياى منصوب بمحذوف اى واياى
فارهبوا لا بقوله فارهبون فان ارهبوا قد اخذ مفعوله ومعنى قوله فارهبون اى خافونى فى
نقض العهد ونبذه وراء الظهور ولا تخافوا غيرى وقال امامنا القشيرى معناه افردونى بالرهبة
لانفرادى بالقدرة وفى الكلام معنى الشرط اى ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ونزلت فى علماء اليهود
ككعب بن الاشرف واصحابه قوله تعالى وامنوا بما انزلت وهذا تفسير للعهد الذى مر انفا اى امنوا
ايها اليهود بالقران الذى انزلته على محمد مصدقا لما معكم اى موافقا للتوراة التى معكم فى
التوحيد والاخبار عن الامور الماضية والمستقبلة وفيها ذكر بعثة محمد وانزال القران عليه ومصدقا
حال موكدة من الهاء المحذوفة من انزلت ولا تكونوا اول كافر به فريق اى بالقران من
اهل الكتاب او بالتوراة لان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة فى التوراة فبكتمهم صفته صلى الله عليه وسلم
كفروا بالتوراة والهاء على هذا لمحمد اى ولا تكونوا اول من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كقوله فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانما قلنا من اهل الكتاب لان قريشا كفروا قبل ذلك والنهى عن الكفر خصوصه لما فيه من عظم
الاثم لان خلفهم تبع لهم فاثمهم عليهم ولا تشتروا اى لا تستبدلوا باياتى التى فى كتابكم من نعت
محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا من الدنيا اى لا تكتموا صفته خوف فوات ما تاخذونه
من سفلتكم ورؤسائكم قالوا ان كعب بن الاشرف اعطى لاصحابه لكل واحد منهم صاعا من شعير و
اربعة اذرع من كرباس حتى بدلوا نعت النبى صلى الله عليه وسلم بنعت الدجال وهذا هو الثمن القليل فى
هذه الاية وما اخذوه لم يكن ثمنا حقيقة لكن اخذوه عوضا فكان فى صورة المبيع تمثالا من باع واشترى
اخر الدهر قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة

ومن

ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فوزر بنى قريظة وبنى النضير
واهل خيبر وفدك وساير مدن وافق كعب بن الاشرف فى كتمان صفة النبى صلى الله عليه وسلم من جميع
اليهود الى يوم القيمة على كعب بن الاشرف قال الحسن الدنيا بحذافيرها قليل واياى فاتقون
اى فاخشون وخافون فى شراء الايات بالثمن القليل ودعن غيرى والوقاية حفظ الشىء مما يوذيه
لغة وشرعا حفظ النفس عما يوثمها وقد تسمى التقوى خوفا وخشية وتسمى الخوف تقوى ولا تلبسوا
الحق اى لا تخلطوا الحق الذى انزلت عليكم من بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذى
تغيرونه ولا تكتموا الحق الذى هو صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون اى والحال
انتم تعلمون ان نعته حق ثابت فى كتابكم وانه نبى مرسل قال الكواشى والباء للاستعانة
كقولك كتبت بالقلم والمعنى لا تجعلوه ملتبسا باستعانة باطلكم او زايدة وتكتموا جزم عطف
على تلبسوا او نصب جواب النهى باضمار ان والواو للجمع المعنى لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمان
الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن انتهى واقيموا الصلوة اى اديموا الصلوات الخمس بمواقيتها
وشروطها واركانها وحدودها واتوا الزكوة اى ادوا واعطوا الزكاة المفروض من اموالكم
واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه قال احمد معناه
صلوا صلوة ذات ركوع لان اليهود لم يكن فى صلوتهم ركوع او صلوا مع من فى صلوتهم ركوع وهم المسلمون
وهنا حث على الصلوة جماعة فانها سنة موكدة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وذكر الركوع
بالخصوص دليل على ركنيته قال استادى واللام فى الصلوة والزكوة للعهد او للجنس اى صلوا صلوة
المسلمين وادوا زكاتهم فان ما عدا صلوة المسلمين وزكاتهم ليس بصلوة وزكوة وفى الاية دليل على الامر
باتباع ملتنا المحمدية وكان الرجل من علماء اليهود يقول لاقربائهم من المسلمين اثبت على دين محمد فان
امره حق ودينه صدق وكانوا لا يفعلون ما يامرون به كيلا تفوتهم الرشوة والرياسة فنزل انكارا
عليهم وتعجيبا منهم اتامرون الناس بالبر اى بالخير الواسع وهو الايمان بمحمد والطاعة لربه
وتنسون انفسكم اى تتركونها فلا تامرونها بالايمان به ولا تتبعونه فى طاعة الله البر الخير الواسع ومنه
قول المجيب صدقت وبررت اى اتيت ايها المؤذن بخير واسع فى صدقك حيث دعوت كل سامع الى
الصلوة والفلاح وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون او بالصدق وهم يكذبون وفى معناه قوله
تعالى لم تقولون ما لا تفعلون روى البخارى ومسلم عن ابى وايل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار فيقولون
يا فلان الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت امركم ولا افعل وانهاكم وافعل ولقد احسن
من قال ما اقبح التزهيد من عالم يزهد الناس ولا يزهد لو كان فى التزهيد صادقا اضحى
وامسى بيته المسجد ثم وبخهم بقوله وانتم تتلون الكتاب وانتم تقرأون التوراة وفيها نعت
محمد والوعيد على مخالفة القول العمل افلا تعقلون ان الايمان بمحمد حق والطاعة لربه كذلك فتتبعون
او افلا تعقلون سوء فعلكم وصنيعكم فترجعون يقال للقوة المتهيئة للعلم عقل وللعلم المستفاد بتلك
القوة ايضا عقل واصلهما المنع والاستمساك ومنه عقال البعير وهو ما تشد به ركبته فيمنعه من الشرود

فالعقل الصحيح يمنع صاحبه من الكفر وسائر الاشياء القبيحة قال الاستاد والعقل قوة غريزية في
القلب يحصل بها الادراك عند سلامة الآلات واستعينوا بالصبر اي اطلبوا المعونة على اموركم وقضاء
حوائجكم بحبس النفس على ما تكره مطلقا والصلوة بان تصلوا صابرين على مشاق العبادة وغيرها
افرد الصلوة بالذكر تعظيما لشانها وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر بادر الى
الصلوة وفي رواية اذا احزنه امر فزع الى الصلوة واصل الصبر الامساك في ضيق ومنه النهي عن المصبورة
والصبر الصوم ومنه شهر الصبر لرمضان والخطاب للمسلمين وقيل لليهود وذلك حين عاقهم الشره
وحب الرياسة عن الايمان فامروا بالصبر وهو الصوم لانه يكسر الشهوة وامروا بالصلوة لانها تورث
الخشوع وتنفي الكبر وانها اي الاستعانة بالصبر او الاستعانة بالصلوة قال الاستاد الضمير للصلوة لان
قيد الصبر بالصبر عليها لانها المقصود والمذكور لنظاره هو الصبر وان فسر بمعنى اخر كالصوم بقرينة الصلوة فان
للاستعانة يكون اشمل وقيل الواو في قوله والصلوة بمعنى على اي استعينوا بالصبر على الصلوة لكبيرة
اي لشاقة ثقيلة عظيمة من كبر الشيء عظم الا على الخاشعين تا اي للخائفين من ربه الساكنين
المطمئنين الى طاعته فان الصلوة بل سائر الطاعات خفيفة عليهم لا ثقل فيها وذلك لتوقعهم ما ادخر
لهم من ثوابها وثقلت على غيرهم لانهم لا يتوقعون ثوابها ثم ان جعلت ما بعد الخاشعين صفة لهم لم تقف على
الخاشعين ويتم الوقف على الخاشعين ان نصبت او رفعت مدحا الذين يظنون اي يوقنون وفي
بعض المصاحف يعلمون والظن قد يكون بمعنى اليقين وقد يكون بمعنى الشك لانه من الاضداد كالرجاء لانه
قد يكون بمعنى الامن وقد يكون بمعنى الخوف انهم ملاقوا ربهم اي معاينوا ربهم في الدار الاخرة حين
البعث او صائرون اليه يوم القيمة وانهم اليه اي الى حكمه وقضائه راجعون تا يوم القيمة فيجازيهم
باعمالهم قال الاستاد الظن هنا بمعنى اليقين البتة يدل على ذلك ويؤيده قوله وانهم اليه راجعون
الا ان يقدر له عامل اي ويعلمون كما مر في بعض المصاحف وهو خلاف الظاهر يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم بالشكر عليها بطاعتي ومحل قوله واني فضلتكم نصب على انه عطف
على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي اباءكم قال الاستاد ومعنى فضلتكم اي ميزت اباءكم على العالمين
حس اي على عالمي زمانهم وبتفضيل الاباء يحصل تفضيل الابناء قال استادي رحمه الله في معنى قوله
واني فضلتكم على العالمين اي على الموجودين في زمنكم وهو وان كان للاباء فيحصل به الشرف للابناء اذا اسلكوا
مسلك ابائهم ولا نفوتا ثنيت وتوبيخ لهم ولما ذكر الله تعالى فضلهم بان جعلهم اولاد الانبياء مع
بعدهم منهم في الزمن قالوا ان اباءنا يخلصوننا يوم القيمة فقال واتقوا اي خافوا يوما مفعول به
لا ظرف لان الامر بالتقوى لا يقع يوم القيمة وايضا ان نفس اليوم يتقى بسبب ما فيه قال الاستاد
والمعنى واخشوا عذاب يوم لان نفس اليوم لا يتقى لا تجزي اي لا تقضي فيه او لا تؤدي فيه نفس
عن نفس شيئا من الحقوق التي لزمتها فلا تغني ولا تكفي شيئا من الشدائد في يوم القيمة وشيئا
منصوب على انه مفعول به او لوقوعه موقع المصدر وهو جزاء وتنكيره مع وصل النفس مؤذن اي لا نفس
تجزي عن نفس ما شيئا ما الا من شاء الله عز وجل قال الاستاد والمعنى لا تغني او لا تقضي او لا تنوب
نفس مؤمنة عن نفس كافرة وهو كقوله لا يجزي والد عن ولده وقوله لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم وكيف

ينفع

ينفع وقد قال يوم يفر المرء من اخيه نعم هذا في حق الكافر واما المؤمن فقد استثناه بقوله يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي خال عن الشرك وبقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى الا من امن وعمل صالحا يقول اجزي عنه اي كفى عنه واصل الجزاء المقابلة وتجزي نسمة عن نسمة ومحل
لا تجزي وما اتصل بها منصوب على انه صفة ليوما والعائد على الموصوف محذوف تقديره لا تجزي فيه
ولا يقبل القراءة بياء التذكير على ان الشفاعة بمعنى التشفيع الذي هو سؤال في الخلاص والقراءة ايضا
بتاء التانيث لتانيث الشفاعة منها اي من النفس الاولى التي هي في قوله لا تجزي نفس شفاعة اي
للنفس الثانية في قوله عن نفس شيئا والمعنى ليس لها شفاعة فتقبل لقوله فما لنا من شافعين ولا يقبل
على القراءتين الصحيحتين المذكورتين على بناء المجهول وقرئ على بناء الفاعل ونصب شفاعة على ان الفاعل
هو الله والشفاعة ضد الوتر لان الشفيع مع المشفوع له زوج وحقيقتها ضم واحد الى اخر ناصرا
له وسائلا عنه واكثر ما يستعمل في انضمام الاعلى الى من هو ادنى رتبة منه قال امامنا القشيري فالله تعالى
هو الشفيع الاكبر على التحقيق وان كان لا يطلق عليه اسم الشفيع لعدم التوقيف وقد قيل في معناه الحمد لله
شكرا فكل خير لديه صار الحبيب شفيعي الى شفيعي اليه ولا يؤخذ منها عدل وضمير منها للنفس
الثانية اي المشفوع لها بدليل قوله ولا هم ينصرون كا فان ضميرهم للنفوس المجزي عنها والتذكير
باعتبار الاشخاص والمعنى لا يؤخذ من النفس المشفوع لها من اهل الكفر فداء ولا هم يمنعون من عذاب الله
اي لا يعانون فلا يمنعون عن ايدي المعذبين ومعنى عدل اي فداء واصل المعادلة المماثلة والمساواة
وانما اطلق العدل الذي هو المساواة والمماثلة على الفداء لان الفداء يساوي المفدى به ويماثله واصل النصر العون
والمنع روي ان اليهود كانوا يزعمون ان اباءهم يشفعون لهم فايسوا بهذه الاية قال اهل الكوائن تخصيصه
لا شافع ولا نافع ثم الا الله تعالى ومن شاء من خلقه انتهى قال الشيخ والمعنى لا يؤخذ من الكافر فدية
ينجو بها من النار ولا يجد ذلك ليفتدي به اصلا لقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة ولقوله ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم
ولقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولقوله لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه الاية ولقوله ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولقوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين سد عليهم طرق دفع العذاب سواء في ذلك مجانا او بعوض او بشفاعة او بقهر ناصر ليس
في الاية دلالة على عدم الشفاعة لاهل الكبائر وفي الحديث انه يعطى كل مؤمن يهوديا او نصرانيا
فيقال له هذا فداؤك من النار واجمعوا على ان قوله ولا هم ينصرون هو في حق الكفار وذلك لان الله قال
في حق المؤمنين انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا الاية واذ نجيناكم عطف على اذكروا اي اذكروا
نعمتي واذكروا اذ نجيناكم والنجاة من النجوة للمكان المرتفع المعنى جعلنا اباءكم بمكان حريز فنجوتم بنجاتهم و
الخطاب بنجيناكم وما بعده للموجودين من اليهود في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما انعم على ابائهم واجدادهم
واسلافهم تذكيرا لهم بنعم الله ليؤمنوا تخصيصه واذكروا اذ خلصنا اجدادكم ومن عادة العرب ذكر الابناء
وارادة الاباء والاجداد كقولهم قتلناكم يوم عكاظ اي قتل اباؤنا واجدادنا اباءكم واجدادكم من
ال فرعون اي من اتباع فرعون وحقيقة الال هم الذين يؤول امرهم اليه في نسبة او صحبة او محبة وفرعون

لقب لمن ملك العمالقة وكان اسم فرعون مصر كقيصر لمن ملك الروم وخاقان لمن ملك الترك وتبع لمن ملك
اليمن وكسرى لمن ملك الفرس قال بعضهم وفرعون لقب لمن ملك العمالقة وكان اسم فرعون موسى
مصعب بن ريان وقيل واسم فرعون موسى وليد بن مصعب بن ريان من بقايا عاد وكان بين فرعون
موسى ويوسف اكثر من اربعمائة عام يسومونكم اى يذيقونكم ويبغونكم ويلزمونكم ويكلفونكم كما يفعل بالسائمة
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء والابتغاء من سامه خسفا اذا اولاه ظلما ومنه سامت الابل اى ذهبت
في المرعى حيث شاءت وسمته كذا بغيته اياه والزمته به سوء العذاب اى اشد العذاب واسوءه واقبحه
وسوء مصدر ساء يسوء والمفعول الاول ليسومونكم هو كم والمفعول الثاني سوء العذاب والجملة حال من ضمير
انجيناكم او من آل فرعون او منهما لان فيها ضمير كل واحد منهما ثم بين يسومهم وسوء عذابهم بقوله يذبحون
اى يقتلون ابناءكم المولودين في صغرهم ويستحيون نساءكم اى يستبقون بناتكم ويتركوهن من غير
تعذيب وقتل فالاستحياء استفعال من الحياة وكذا الاسترقاق لانهم كانوا يسترقونهن ولم يقتلوهن ليخدموهم والذي
حمل فرعون على قتل الاطفال واستحياء البنات هو انه رأى نارا في نومه خرجت من بيت المقدس احرقت جميع
القبط ولم تضر باسرائيل فسأل عن كهنته فقالوا له يولد في بني اسرائيل من يكون هلاكك على يده فامر بقتل
الغلمان فكثر القتل فيهم سنة وتركهم سنة فولد هارون في سنة لا قتل فيها وموسى في سنة فيها قتل وفي
ذلكم بلاء وجاء البلاء بمعنى المحنة وبمعنى النعمة فان كانت الاشارة الى العذاب فالبلاء بمعنى المحنة اى في
فعله فيكم وصنيعه بكم من الذبح محنة ومشقة وفتنة شديدة من ربكم عظيم صفة البلاء وان كانت
الاشارة الى الانجاء والخلاص فالبلاء بمعنى النعمة والرحمة اى وفي انجائكم وخلاصكم من آل فرعون نعمة عظيمة
من ربكم وانما قلنا وجاء البلاء بمعنى المحنة وبمعنى النعمة لانه عز وجل قال مرة وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
وقال مرة اخرى ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال احمد الكواشي ويختبر تعالى على النعمة بالشكر وعلى الشدة
بالصبر قصته مختصرا صحيحا هو ان موسى صلى الله عليه وسلم خرج ليلا هاربا بجميع بني اسرائيل من فرعون
وجنوده فتبعهم بجنوده فلما ابصرهم قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين
فاوحي اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فاوحى اليه ان كنه فضربه في يوم عاشوراء وقال انفلق ابا خالد فلم يطعه
كناه بذلك لطول بقائه فانفلق اثني عشر مسلكا ثم ارسلت عليه الريح والشمس فصار يبسا فدخله بنو اسرائيل
فلم ير بعضهم بعضا فخاف بنو اسرائيل اذ ذاك فصار في الماء كوى يرى بعضهم بعضا فقال فرعون لاصحابه
انظروا كيف انفلق البحر لهيبتي ولادرك عبيدي وكان على فحل ادهم فكان هرب من البحر فجاء ابو الفتوح جبريل على
فرس انثى وتقدمه الى البحر فشم ادهم فرعون ريح فرس جبريل وتبعته الخيول فدخلوا فيه وخرج منه موسى
ثم انطبق على فرعون واصحابه فغرقوا جميعا وهو بحر قلزم بينه وبين مصر سفر ثلاثة ايام وقلزم اسم الجبل
صغير على طرف البحر بقرية يقال لها في زمننا سويس وقيل هو بحر من بحار مصر يقال له اساف فذلك قوله و
اذ فرقنا اى فلقنا وفصلنا بكم البحر الباء للسببية ومحله النصب على الحالية اى فرقناه بكم او حال
انجائكم حين دخلتموه هاربين من عدوكم او ملتبسا بكم حين دخلتموه هاربين من عدوكم فالباء للمصاحبة
كقول ابي الطيب: تدوس بنا الجماجم والتريبا. ويسمى بحرا لاتساعه ومنه سمي الفرس بحرا اذا اتسع في
جريه فانجيناكم من الغرق بفضلنا واغرقنا آل فرعون بعظيم قوتنا وقهرنا وعدلنا اى فرعون

مع جيوشه

مع جيوشه باعتبار رؤيته في البحر وان نجي جيفته الميت حيث رماه الى الساحل لكي يرونه ويشاهدونه
بنو اسرائيل لذا قال وانتم يا بني اسرائيل تنظرون الى مصارعهم وانطباق البحر عليهم وجاء النظر بمعنى
العلم كما في هذه الاية ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون وقومه لم يكن لهم شريعة ينتهون اليها
وعد الله موسى بالتوراة وجعل ميقات ذلك بعد اربعين ليلة ذي القعدة بكماله وعشرا من ذي الحجة وكني
الميعاد بالطول كما قال واذ وعدنا موسى اربعين ليلة فيعطيه عند تمام ذلك التوراة لتعملوا بها
وفي الكلام حذف اى تمام اربعين وليلة تمييز وذكر الليالي دون النهار لانه الاصل خلقا لان الظلمة سابقة
على النور ولان شهور العرب وضعت على سير القمر واول الشهر يحسب من الليل وقيل موسى اسم عبري عرب عن موشا
بالمعجمة ومعنى مو الماء ومعنى شا الشجر لانه وجد بين الماء والشجر وقلبت المعجمة مهملة في العربية القراءة وعدنا من
الوعد بغير الف والقراءة ايضا واعدنا من باب المفاعلة ولكن هنا من واحد كعاقبت اللص فعلى هذا الوعد من
الله وحده ومن موسى القبول واعلم ان وعدنا متعد الى مفعولين موسى هو الاول واربعين هو الثاني وذهب
موسى الى المناجاة واستخلف عليهم هارون وصاغ السامري من الحلي التي كانوا قد استعاروها عند هربهم
من فرعون بعلة عرس كان لهم عجلا والقى فيه ترابا كان اخذه من حافر فرس جبريل فخار خورة ومشى
مشية وكان بنو اسرائيل قد اختلفوا في الوعد فعدوا يوما وليلة واحدة يومين كاملين الى تمام العشرين
فقال السامري هذا ربكم نسيه موسى هنا وذهب يطلبه فاتبعوا كلهم على عبادة العجل فعبدوه الا هارون
مع اثني عشر الفا فذلك قوله ثم اتخذتم العجل الذي صاغه لكم السامري الها تعبدونه من بعده
اى من بعد ذهاب موسى الى الطور وانتم ظالمون اى بوضع العبادة في غير محلها والظلم هنا بمعنى الشرك
ثم عفونا عنكم من بعد ذلك المعنى محونا ذنبكم بعد شرككم لما تبتم عن عبادة العجل وقيل
كان اسم العجل بهبوت او يهبوت لعلكم تشكرون اى ارادة ان تشكروا الله سرا وعلانية في مقابلة
العفو لان العفو يوجب الشكر قال الاستاذ ولعل هو ترج في حقهم معناه لكي تشكروا ولتكونوا في
صورة من يرجى منه الشكر ومن تسبيح داود سبحان من جعل العجز عن شكره شكرا كما جعل الاعتراف بالعجز
عن معرفته معرفة والشكر في العرف صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله واذ آتينا اى اعطينا
موسى الكتاب اى التوراة التي فرقت بين الحق والباطل والحلال والحرام ولاجل ذلك عطف قوله والفرقان على
الكتاب الذي هو التوراة كالصفة الكاشفة والعطف التفسيري ولهذا المعنى سمي القرآن فرقانا قال بعضهم
الكتاب هو التوراة والفرقان هو معجزات موسى كالحية واليد وانفلاق البحر وغيرها وقيل الفرقان هنا
هو هنا القرآن ومعناه آتينا موسى التوراة وذكرنا له نزول الفرقان الذي هو القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل الفرقان هنا فرق البحر وقيل صحف نزلت على موسى قبل التوراة لعلكم تهتدون اى لكي
تهتدوا بالكتاب من الضلال او لكي توصلوا اليها او به والمراد بالاهتداء هنا الوصول او لكي تهتدوا بالتأمل في
الكتاب والتفكر في آيات الله واذ قال موسى لقومه اى الذين عبدوا العجل من بعده يا قوم انكم
ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها قالوا وما نصنع قال فتوبوا اى فارجعوا الى بارئكم اى خالقكم
قالوا كيف نرجع قال فاقتلوا انفسكم تب بقتل العابدين للعجل لانفسهم اليهم مع ان القاتل غيرهم برضاهم به
والمعنى ليقتل البريء منكم من عبادة العجل المجرم اى العابد للعجل قيل ان السبعين الذين اختارهم موسى قتلوا

فقتلوا عبدة العجل وبلغ المقتولون سبعين الفا وقيل فاقتلوا بعضكم بعضا بايديكم سواء في ذلك من عبد
العجل ومن لم يعبد قال الحسن برزوا صفين فضرب بعضهم بعضا من صلوة الفجر الى الليل هذا يقول
لم عبدت وهذا يقول لم لم تنهني فصار القتل لهم شهادة وغفر الله لمن بقي بعد عفو الله ببكاء موسى
لرضايه بذلك لانه وصلة **ذلكم** اى القتل المرضى لله **خير لكم عند بارئكم**
الى الحياة الابدية واسكن ابو عمرو وحمزة بارئكم لثقل توالى ثلث حركات وروى عنه الدوري الاختلاس
الخفاء بعض السكون وقيل انه عز وجل وفقهم لهذا الخير فجلسوا محتبين وقيل لهم من حل حبوته
او مد طرفه الى قاتله فهو ملعون غير مقبول التوبة فسل القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى
ابنه واخاه وصديقه فلا يستطيع قتله فارسل عليهم سحابة سوداء لئلا يرى بعضهم بعضا فيرحمه فقتلوا
الى المساء فعند ذلك تضرع موسى وهارون وبكيا وقالا يا رب البقية فامروا بالكف عن القتل فقتل منهم
سبعون الفا فكان من قتل شهيدا ومن بقي مغفورا ذنوبه ~~ارسل عليهم سحابة سوداء لئلا يرى بعضهم~~
والفاء في قوله **فتاب عليكم** متعلقة بشرط محذوف تقديره ان فعلتم ذلك فقد تاب عليكم وتجاوز
عنكم **انه هو التواب الرحيم** اى انه هو القابل للتوبة الرحيم بكم حيث تاب عليكم ولو شاء لاهلككم
بذنوبكم ثم امر الله عز وجل موسى ان يأتيه بناس من قومه يعتذرون اليه من عبادة العجل فخرج بسبعين
رجلا الى الطور فاسمعهم الله تعالى خطابه على قول وقيل لما سمعوا كلام الله انكروا الاسماع مردود
فلما وصلوا الى الطور سئلوا من موسى رؤية الله جهارا كما حكى الله عنهم ذلك بقوله **واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك** اى في المستقبل لاجل قولك او ان نصدقك او لن نقر لك والمعنى لن نصدقك
لاجل قولك ان هذا كتاب الله وانك سمعت كلام الله وان الله امرنا بقبوله والعمل به ولن نقر لك بالنبوة
بمجرد القول وعلم من هذه الآية انها ليست لتابيد نفي الرؤية لمجيء الغاية بعدها بقوله **حتى نرى
الله جهرة** اى عيانا بابصارنا لا ساتر بيننا وبينه لا رؤية علم فقط **فاخذتكم الصاعقة** لسؤالكم
ما هو مستحيل على الله في الدنيا ورؤيته في الدنيا من خصائص نبينا والصاعقة هنا هو الموت
او هي نار جاءتهم فاحرقتهم قال السيوطي معناه فاخذتكم الصيحة فمتم انتهى قال الاستاد
والمعنى فاخذتكم الرجفة والاضطراب وكان فيها موتكم نحو يوم وليلة **وانتم تنظرون** ما بعضكم
بعضا ما حل بكم من الموت قالوا ان موسى لم يمت وانما غشي عليه بدليل قوله فلما افاق اى غشيه
وزعم بعضهم ان السبعين لم يموتوا ايضا وانما اخذتهم الرجفة من غير موت وليس بشيء وروي
ان الاطفال استغاثوا بموسى وقالوا يا موسى العفو العفو فبكى موسى وهارون وسالا الله تعالى فيهم
فاحيوا **ثم بعثناكم** اى احييناكم اصل البعث اقامة الشيء عن محله ومنه بعثت البعير اى اقمته
عن مكانه الذي ناخ فيه **من بعد موتكم** وكان الموت لاظهار القدرة لا لانقضاء آجالهم
قال الاستاد والمعنى ثم احييناكم من بعد اخذ ارواحكم لتستوفوا بقية آجالكم قالوا ولو ماتوا
بآجالهم لم يحيوا الى يوم القيمة **لعلكم تشكرون** الله لنعمتنا عليكم بالاحياء بعد الموت وبقبول
التوبة بعد العصيان قالوا وحل بهم ما حل لان سؤالهم كان تكذيبا واجتراء بخلاف موسى فان
سؤاله كان اشتياقا وافتقارا قال ابو منصور وتعلقت المعتزلة بظاهر الآية على نفي رؤية

الله وعندنا فيها اثباتها وذلك لان موسى لما ساله السبعون الرؤية جهارا ولم ينههم عن ذلك
ولذلك سال هو ربه عز وجل الرؤية فلم ينهه عن ذلك بل قال فان استقر مكانه فسوف تراني وهذا
تعليق بما يتصور وكذلك سالت الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انرى ربنا فلم ينههم عن
ذلك وانما اخذ هؤلاء الصاعقة لانهم لم يسالوا سؤال استرشاد وانما سالوا سؤال تعنت ولم يكن
لبني اسرائيل ما يكنهم في التيه فغشيهم غيم يقيهم حر الشمس وجعل لهم عمود من نور يضيء لهم الليل
وجعل لهم ما يقتاتون به وكان ثيابهم لا تتوسخ ولا تبلى والدليل على هذا قوله تعالى **وظللنا عليكم
الغمام** اى جعلنا عليكم الغمام بمحض فضلنا تخصيصه ستر لكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه
وانزلنا عليكم فيه **المن والسلوى** قالوا المن هو الترنجبين وهو شيء حلو يشبه في اللذة القطر
كان ينزل عليهم على صفة الثلج من الفجر الى طلوع الشمس واما السلوى فهو السماني بتخفيف الميم والقصر
وهو نوع من الطير دون الحمام جثته تضرب الى الحمرة قيل المن يشبه الترنجبين والسلوى يشبه السماني
قال البيضاوي ويبعث الجنوب عليهم السماني انتهى وكانوا مامورين بان ياخذوا قدر كفايتهم ولا
يدخروا فاخذوه وخبؤه فنتن وروى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم
قال ابو الليث فيأخذ انسان من المن والسلوى كفايته الى الغد الا يوم الجمعة فانهم كانوا ياخذون
فيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت وقلنا لهم **كلوا من طيبات ما رزقناكم** اى من حلالات
التي رزقناكم بفضلي فلما ظلموا بكفرهم هذه النعم قال الله تعالى **وما ظلمونا** بكفرهم هذه النعم
وباد خارهم الرزق بعد ما نهوا **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بقطعنا هذا الرزق الحلال
عنهم بل وبال ذلك عليهم قال صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم
ولولا حواء لم تخن انثى زوجها الدهر **واذ قلنا** لبني اسرائيل بعد خروجهم من التيه قيل او وهم
في التيه **ادخلوا هذه القرية** اى بيت المقدس او اريحا او الرملة او الاردن او فلسطين
او قرية العمالقة بقرب بيت المقدس وهو بلقا وقيل هي كيسان الشام والقرية منصوب على انه نعت
لهذه وسميت القرية قرية لجمعها اهلها كما يسمى الحوض مقراة لجمعه الماء **فكلوا منها حيث
شئتم** والفاء للتعقيب لان الاكل يكون عقيب الدخول لا مع الدخول ومعنى حيث شئتم اى في كل مكان
وزمان ومعنى رغدا اى واسعا عليكم الرزق لا حجر فيه قال الاستاد والمعنى ابحناها لكم ووسعناها
عليكم فتعيشوا فيها حيث شئتم بلا تضييق ولا منع وهو تمليك لهم بطريق القيمة وخص الاكل لانه
معظم المقصود **وادخلوا الباب سجدا** اى المعهود من ابواب القرية قال ابن عباس هو احد
ابواب بيت المقدس يسمى باب حطة وهو الباب الثامن من بيت المقدس وقيل هو باب القبة
التي كان يتعبد فيها موسى وهارون قالوا لم خص باب القبة لانهم لم يدخلوا بيت المقدس في
حياة موسى **سجدا** اى خاضعين منحنين مطاطئين رؤسكم وقيل معناه سجدا اى ركعا وقيل ساجدين
قبل دخول الباب سجدة الشكر على اخراجكم من التيه او على قتل الجبارين او فتح القرية وقيل معناه
مصلين صلوة قبل دخول الباب **وقولوا حطة** وحطة مرفوع على القراءة الصحيحة على انه خبر لمبتدأ
محذوف اى مسئلتنا منك حطة اى سؤالنا ان تحط عنا اوزارنا وخطايانا بقرينة قوله نغفر لكم

خطايا كم وقرئ حطةً بالنصب اى حط عنا ذنوبنا حطةً قال علي كرم الله وجهه في معنى حطة
اى قولوا بسم الله الرحمن الرحيم لان الذنوب تحط بالبسملة وفي رواية عن ابن عباس معناه استغفر
الله وقال الحسن معناه حط عنا ذنوبنا فانا قد اخطأنا لوجهك وقيل معناه قولوا مقالة هي
حطة لخطاياكم وقيل امروا ان يتكلموا بهذه الكلمة وحدها تعبدا لتحط بها اوزارهم فغيرها
بنو اسرائيل وقالوا حنطة نغفر لكم خطاياكم وجزم نغفر لجواب الامر اى نستر لكم خطاياكم
وذنوبكم فلا نجازيكم بها القراءة هنا يغفر لكم بالياء التحتية والتاء الفوقية مضمومتين وفتح الفاء
على بناء المجهول مذكرا ومؤنثا وبالنون وكسر الفاء عند الاكثرين قال بعضهم وحقيقة جزم
شرط محذوف تقديره ان تقولوا ذلك نغفر لكم ذنوبكم وادغم ابو عمرو الراء في اللام وسنزيد
المحسنين اى سنطلب الزيادة لمن احسن من فضلنا والمحسنون هنا من احسن في فعله الى
نفسه قال الاستاد والمعنى وسنزيد المحسنين بالطاعة ثوابا من فضلنا الواسع العميم جعله عد
لاجوابا اشارة الى ان المحسن بصدد ذلك انتهى قلت والمعنى وسنزيد المحسنين على غفران
الخطايا بانواع المزايا واخراجه عن الجواب الى الاخبار للدلالة على الوقوع لامحالة تخصيصه وسنزيد
المحسنين منكم بطاعته في امرنا هذا احسانا انفا الى سالف احساننا عنده فنزيده في سعة دنياه وثواب
عقباه فبدل الذين ظلموا منهم بترك الامر واتباع الشهوات قولا غير الذي قيل لهم
اى خالفوا وقالوا استهزاء مكان حطة حبة في شعرة او في شعيرة او حنطة حمراء في شعرة ومعناه الاخير
بلغتهم حطا سمقاثا ودخلوا يزحفون على استاههم مقنعي روسهم سخرية منهم وكان هذا الاستهزاء
من بعضهم وفعل المحسنون ما امروا به ولهذا لم يقل فبدلوا بالجمع بل قال فبدل الذين ظلموا وظاهره
يدل على انهم بدلوا القول وحده دون العمل اى السجود ولهذا قال جماعة اقول وقد قال الاستادى
فان قلت لم يحك عنهم تبديل الفعل فانه روى انهم دخلوا زحفا على استاههم مقنعي روسهم
على صورة الذلة وامتثال الامر بالسجود الذى هو الذلة قلت اكتفى بالقول من غير حاجة الى
الفعل فانه اظهر في المخالفة ولانه ربما يتوهم ان الدخول على ذلك كان لعذر فانزلنا على الذين
ظلموا فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في توبيخهم وكرر ايضا وصفهم بالظلم لتقبيح حالهم
رجزا من السماء اى عذابا من السماء وهو العذاب المفسد للمعاش او هو الطاعون مات منهم
في ساعة واحدة سبعون الفا او هو عذاب معدود لقوله تعالى في سورة الاعراف فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم قال فلما كشفنا عنهم الرجز سمى ذلك كله رجزا وقيل كان ذلك
ناحرقتهم بما كانوا يفسقون اى بسبب خروجهم عن الطاعة اذ الفسق هو الخروج
عن الطاعة ولما عطشوا في التيه سألوا موسى الماء فدعا ربه عز وجل حيث قال واذكر اذ
استسقى موسى اى طلب السقيا لقومه اى بني اسرائيل فقلنا اضرب بعصاك التي حملها
ادم من الجنة وتوارثها الانبياء الى ان وصلت اليك واسمها نبعة طولها عشرة اذرع كطولك
من علق الجنة ولها شعبتان يتقدان في الظلمة الحجر اللام فيه للعهد لانه كان حجرا معهودا

على هيئة رأس الانسان او رأس ثور وهو الذى فر بثوب موسى وكان خفيفا مربعا مقدار رأس
الانسان من رخام اى كذان بذال المعجمة ولكن فيه اربعة اوجه في كل وجه ثلاث اعين وكان
موسى يحمله معه ويضعه في مخلاته وذلك لان جبريل قال له ارفعه فان لله فيه قدرة ولك
فيه معجزة وقد نزل به ادم من الجنة فدفعه لشعيب وهو لموسى او للجنس اى اى حجر كان
وهذا ابلغ في الاعجاز وفي الكلام حذف تقديره فلما ضربه فانفجرت اى انشقت وسالت منه
اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط لكل سبط عين لا يدخل سبط على سبط في
شربه اى لا يشركهم فيه غيرهم قد علم كل اناس اى كل سبط منهم مشربهم اى
عينهم وموضع شربهم المشرب المكان والمصدر كالمدخل والمخرج والمطلع قال قتادة في معنى
قد علم اى كان قد علم كل سبط اى قد يعرف كل منهم عين نفسه فيجى فيأخذ من العين مقدار حاجته
فينقطع لكل عين لا يجرى الا لسبط معلوم لدفع التنازع بينهم وقلنا لهم كلوا من المن و
السلوى واشربوا من الماء من رزق الله اى مما اعطاكم الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين وعثى يعثى من باب علم وعثى يعثو من باب دخل يدخل وهو الفساد الشديد
البليغ ومفسدين حال موكدة اكد بها ما فهم من لا تعثوا وهو العامل في مفسدين والمعنى لا تمادوا
في الفساد ولا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم تخصيصه لا تعتدوا حال كونكم مفسدين ونبع الماء
من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم ابدع واغرب من انفجار الماء من الحجر لانه متعارف في الاحجار
وصخور الجبال فسئموا من اكل المن والسلوى لكونهما غير متبدلين والانسان اذا داوم شيا
واحدا سامته وطلبوا غيرها فقال عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد اى على نوع واحد منه ومعنى وحدته لانهم كانوا يخلطون المن بالسلوى فيصيرا
طعاما واحدا و يأكلونهما او اريد بالواحد نفي تبدله وعدم اختلافه كما يقال مائدة الامير
طعام واحد يريد على نمط واحد وان اشتملت على الوان وفي نفي الصبر نفي الرضا ونفي الرضا
مشعر بفظاعة حالهم في عدم الشكر وروى انهم كانوا اصحاب فلاحة فطلبوا ما يجانسهم
بقولهم لموسى فادع لنا ربك يخرج لنا اى فاسئل لنا ربك ومعنى يخرج اى يظهر و
يوجد ومفعول يخرج محذوف اى شيئا مما تنبت الارض اسناد مجازى ومن للتبعيض
وما بمعنى الذى او نكرة موصوفة ومحل من بقلها حال من الضمير في تنبت تقديره مما تنبته
كائنا من بقلها ومن لبيان الجنس والبقل هو الخضر والبقول والمراد هنا اصنافها واطايبها
التي يأكلها الناس وقيل من بقلها بدل من ما تنبت باعادة الجار وقثائها المعروف وفي التيسير
القثاء هو الخيار انتهى قلت وفي اصطلاح اهل مصر القثاء شئ يشبه الخيار والخيار احسن
منه اكلا واغلى ثمنا انتهى وفومها اى الحنطة وهو قول ابن عباس وقتادة ومنه فوموا
لنا اى اخبزوا او هو الثوم المعروف بالثاء كما هو قراءة ابن مسعود ويدل عليه ما قاله امية بن ابي
الصلت شعرا كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومات والبصل ومن
قال هو الثوم قال ذكر البصل في الاية يدل على انه هو المراد وانه من جنسه من حيث الريح ومن

حمله بمعنى الخبز والحنطة فالذكر العدس يدل على انه هو المراد وعدسها وبصلها حسن المعروف
قال لهم موسى منكرا عليهم او قال الله لهم على لسان موسى اتستبدلون الذى هو ادنى
اى اخس قدرا او احط رتبة وادون قيمة واصل ادنى اقرب لان قيمته قريبة اى قليلة لخساسته بالذى
هو خير كما اى ارفع واسنى وهو المن والسلوى والباء داخلة على المبدل المتروك اى اتاخذونه
قال الاستاد رحمه الله والاستفهام للانكار والمعنى اتسالون الاردى بدلا عن الاعلى من دنى يدنو
اى قرب اى هو اقل قيمة يقال ثوب مقارب اى قليل القيمة فلما ابوا ان يرجعوا عن طلب الادنى فدعا الله اى موسى
فقال الله عز وجل اهبطوا مصرا اى انزلوا من التيه الى مصر من الامصار لان ما سالوه من البقل ونحوه
لا يكون الا فى الامصار ولما كان التيه مشرفا على بلاد كثيرة كان الهبوط منه اليها وان اريد بمصر العلم
والبقعة دون العموم فصرفه على هذا لسكون وسطه كنوح يقال مصر الشىء يمصره اى قطعه
سمى به لانقطاعه عن الفضاء بالعمارة قال الحسن وابو العالية والربيع هو مصر فرعون الذى خرجوا منه
لقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله واورثناها قوما اخرين اى بنى اسرايل وقيل هو بيت المقدس
لقوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم والمعنى اهبطوا مصرا من امصار الارض المقدسة وكان شيخنا
يعجب هذا المعنى وعلى هذا وانما نونه ههنا لانه اراد به البلد وهو مذكر ولم ينونه فى قوله وقال ادخلوا
مصر لانه اراد به البلدة وهى مونثة فلما اجتمع التعريف والتانيث امتنع من الصرف وفى الاول لم يجتمعا
فان لكم ما سالتم اى فان لكم فى مصر ما طلبتم من بقول الارض او من الادنى ولما تركوا الاعلى
للادنى ضرب الله عليهم الهوان لهذا العصيان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلت
عليهم اثار الذل والهوان والفقر والخزى وان كانوا اغنياء والمسكنة الفقر لان الفقر اسكنه عن الحركة
والمعنى ان الذلة والمسكنة قد علا عليهم والزمهم لزوم الدرهم المضروب لسكته او احاطت بهم احاطة القبة
بداخلها او الصقت بهم الصاق الطين بالحايط والحمار العاجز ولما ترى اليهود وان كانوا مياسير
اغنياء الا اذلاء ومساكين اما جبلة او تكلفا خيفة تضاعف الجزية وفى المثل فلان اذل من اليهود
قال الاستاد وهذه على الوجوه المذكورة استعارة مكنية ولا ينافى كون الكلام كناية عن كونهم اذلاء
صاغرين وباءوا بغضب من الله كما اى رجعوا من التيه بابعادهم من الله العظيم قال احمد
الكواشى وغضب الله ذمه اياهم فى الدنيا وعقوبتهم فى الاخرى وزعم بعضهم انه لا يقال باء الا بالشر
وفى الدعاء ابوء بنعمتك وابوء بذنبى وقال بعضهم والمعنى رجعوا من سفرهم الذى كان للجهاد مصاحبين
للغضب او صاروا احقاء بغضب من الله يقال باء فلان بفلان اذا ساواه ذلك اى جميع ما ذكرنا مما حل
بهم من ضرب الذلة والمسكنة واستحقاق الغضب وهو مبتدا وخبره قوله بانهم اى بسبب انهم كانوا
يكفرون بايات الله اراد بايات الله كتمانهم صفة نبينا وانكارهم اية الرجم وتحريفهم التورية لاستحلالهم
ما حرم الله فيها تخصيصه بالعجز استحقوا ما ذكر بكفرهم بما ذكرنا وبقتلهم الانبياء كما قال ويقتلون
النبيين كزكريا ويحيى وشعيا وفيه اشارة الى انهم ساعون لقتل نبينا ايضا قراة نافع بالهمز من النبأ
وهو الخبر لان النبى يخبر عن الله وبغير الهمز لغيره من النبوة وهو المكان المرتفع لان النبى علا بنبوته على غيره
بغير الحق كما قيده بهذا الوصف تاكيدا كما فى قوله لا تتخذوا الهين اثنين وقوله طاير يطير بجناحيه
وقوله

وقوله ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وحقيقته
كانوا يقتلون الانبياء بالباطل والظلم وقتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق على جميع الاحوال قال
الاستاد ومحل بغير الحق نصب على انه حال من الضمير فى يقتلون اى يقتلونهم مبطلين بغير جرم ثم
كرر الاشارة للتاكيد والدلالة على ان لهم غير الكفر بايات الله وقتل الانبياء معاصى اخر واعتداء
فى الحد وحيث قال ذلك اى المذكور من كفرهم وقتلهم الانبياء بما عصوا اى بسبب ارتكابهم
انواع المعاصى وبما كانوا يعتدون اى امر الله ويرتكبون محارمه كصيدهم فى السبت فى ايلة
وهى ارض بين الشام والمدينة على ساحل بحر قلزم ويأكلون اموال الناس بالباطل وكان قولهم الاثم
واكلهم السحت كما قال يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت وقال وخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلوة الاية ان الذين امنوا اى من المنافقين بالسنتهم دون قلوبهم كابى بن سلول
واضرابه امنوا لحفظ دمايهم واموالهم او امنوا حقيقة بخلوص القلب كساير المؤمنين او امنوا بالانبياء
من قبل والذين هادوا اى تهودوا ودخلوا فى اليهودية او هم اليهود يقال هاد يهود وتهود دخل
فى اليهود فهو هايد وجمعه هود قال الاستاد المراد بهادوا اليهود سموا به اما لقولهم انا هدنا
اليك اى ملنا او لانهم هادوا عن الحق اى مالوا عنه وهو دين محمد ودين موسى او لانهم هادوا اى
تابوا عن عبادة العجل او هو معرب يهوذ اكبر اولاد يعقوب سماه ~~[illegible]~~
~~[illegible]~~ باسم ابى القبيلة وحولت العرب الذال الا اى غيرها
من العبرانية الى العربية او لانهم يتهودون اى يتحركون عند قراة التورية والنصارى جمع نصران
كندامى فى ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كاحمرى سموا بذلك لنصرهم المسيح كقول الحواريين نحن
انصار الله او لانهم كانوا معه فى قرية تسمى نصران او ناصرة فسمى النصارى بها او اخذ اسمهم من اسمها
والصابئين طايفة من اليهود او النصارى او منهما جميعا مالوا عن دينهم الى عبادة الملايكة قال
الاستاد يقال صبا وصبوا اذا خرج من دين الى دين اخر سموا به لانهم خرجوا من اليهودية والنصرانية
الى عبادة النجوم وقيل كانوا طايفة بحران يعبدون النجوم ويقرون بالصانع والمعاد وبعض
الانبياء وقيل هم من المانوية وقيل هم بين المجوس واليهود لا يوكل ذبايحهم ولا ينكح نساوهم وهذا الاخير
قول الحسن البصرى وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله هم كاهل الكتاب فى حل ذبايحهم
ونكاح نسايهم لانهم يقرؤون الزبور ويعظمون الكواكب تعظيم القبلة لتوجههم اليها فى صلاتهم وقيل
وقيل القراة بهمز الصابئين والصابئون على الاصل لانه من صبا اذا مال والقراة ايضا بالياء وترك
الهمزة لان الكسرة التى قبل الياء تدل عليه وهو قراة نافع ومذهب امامنا الشافعى رضى الله عنه
ان الصابئين ان خالفوا النصارى فى اصل دينهم حرمت ذبايحهم ومناكحتهم والا فلا وقوله من
شرط ومحله الرفع على الابتداء وخبره امن اى منهم يعنى من اليهود والنصارى والصابئين
بان ختم بايمانه بنبيه الايمان بنبينا صلى الله عليه وسلم او من الكفار مطلقا او اخلص فى ايمانه من اهل
النفاق او ثبت على ما عليه من الايمان ودام عليه من اهل الايمان وختم على ذلك كله الايمان
بشرايعه ومن ذلك ان يومن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا وجواب الشرط فلهم اجرهم

اى ثواب اعمالهم الصالحة وايمانهم عند ربهم الجواد الكريم باصلاح احوالهم واثابتهم او من
شرط مرفوع على انه مبتداء وخبره جوابه اى فلهم والشرط وما اتصل به خبر ان او من بمعنى الذى
ومحله نصب على انه بدل من اسم ان والمعطوف عليه والخبر فلهم اجرهم والعايد محذوف تقديره
من منهم والفاء لتضمن من معنى الشرط ووحد عمل صالحا نظرا الى لفظ من وجمع فى فلهم اجرهم
نظرا الى معناها ولا خوف عليهم اى لا يخافون من ارتكاب ما سلف او لا يخافون ان تبطل
حسناتهم ولاهم يحزنون بفوت ثوابها فى الاخرة بل ينالون اجرا كاملا ثم لما نزلت
التوراة امر بنى اسرائيل ان يعملوا بما فيها فلم يفعلوا لما فيها من التكاليف الشاقة فقطع جبريل جبلا
على قدر عسكرهم فرسخا فى فرسخ وجعله على رؤسهم كالظلة قدر قامة الرجل او هو الطور لما ياتى
ان شاء الله وجعل نارا من قبلهم وبحرا من خلفهم وقال لهم ان قبلتم والا رضختكم بالجبل وغرقتكم
فى البحر او احرقتكم بالنار فقبلوا وسجدوا على انصاف وجوههم وهم يلاحظون الجبل لئلا ينزل عليهم
وقالوا بهذا السجود رفع عنا العذاب فمن ثم اخذ اليهود سجودهم اليوم فحكيت قصتهم بقوله عز وجل
واذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم بالعمل بما فى التوراة وباتباع موسى قولا وفعلا وقبلتم قوله
وخرجتم معه من مصر فعقبناه نجيا واعطيناه الالواح فيها التوراة فاتاكم بها وقلتم هى شديدة
فلا نطيقها و قد رفعنا فوقكم الطور قال الكواشى معناه الجبل بالسريانية وفى القرآن
غير العربية وبعضهم يزعم انه انما وقع اتفاقا فيها انتهى والمراد بالطور الجبل الذى ذكره عز وجل فى قوله
واذ نتقنا الجبل فوقهم اى اقتلعناه من اصله وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اى
شدة وعزم على العمل وجد واجتهاد بما اعطيناكم من التوراة وما فيها من التكاليف قال الاستاد
معناه خذوا باقتدار ونشاط واداء لما فرض عليكم واذكروا اى اعملوا ودرسوا واحفظوا ما
فيه اى ما فى الكتاب الذى هو التوراة من الاحكام والشرايع ولا تنسوه وهذا يشمل ذكر القلب
واللسان لعلكم تتقون اى لكى تتقوا المعاصى وتنجوا من هلاك الدارين او لكى تكونوا
فى صورة من يرجى منه التقوى قال البيضاوى ويجوز عند المعتزلة اى يتعلق بالقول المحذوف
اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا انتهى ثم توليتم من بعد ذلك اى ثم
اعرضتم عن الايمان والطاعة من بعد اخذ الميثاق وقبول التوراة وقيل من بعد رد الجبل وانما وحد
كلمة ذلك والمذكور قبله شيئان وهو قبول التوراة ورد الجبل لانه اراد من بعد ما ذكرنا فوحد
لتوحد كلمة ما فلولا فضل الله عليكم ورحمته بالاحسان والتوبة اى بتوفيقهما الا سلافكم
لان المخاطبين لم يؤمنوا لقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم قال الاستاد معناه فلولا فضل
الله العظيم المنعم عليكم ورحمته التى عظمت فرحمت من محمد منهم بالتوفيق للتوبة وبارسال محمد
صلى الله عليه وسلم وبتاخير العذاب لكنتم من الخاسرين اى من المغبونين الهالكين الكاملين فى
الخسران تلخيصه لو لم يتب عليكم لخسرتم فى الدارين قال الاستاد معناه فلولا فضل الله ورحمته
عليكم برد الجبل عنكم وامهالكم الى ان تبتم بعدما توليتم لوقع الجبل عليكم فمتم كافرين خاسرين هذا
فى حق الذين تابوا بعدما تولوا ثم انذر اليهود وذكرهم ما جرى لمن تقدمهم منهم وهم اصحاب ايلة

ارض

ارض بين الشام والمدينة بساحل بحر قلزوم حين حرم عليهم الصيد يوم السبت فكان الصيد
ياتيهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا ياتيهم فاتخذوا المصايد فكان يقع فيها الصيد
ليلة السبت ويومه وياخذونه يوم الاحد فقال الله عز وجل متهددا ولقد اللام للقسم علمتم
اى لقد عرفتم الذين اعتدوا اى تجاوزوا فى الحد منكم الخطاب لاهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم
فى السبت اى بصيد السمك وقد نهيناهم عنه والمعنى لقد عرفتم يا اهل عصر محمد الذين تجاوزوا
الحد ظلما من اسلافكم وهم اصحاب الحيل فى السبت وما احللنا بهم من النكال فى الدنيا بالمسخ فلم يكن تاخرنا
بالعقوبة عن اسلافكم الذين كانوا قبلكم على عصيانهم ونقضهم ميثاقهم للعجز عن تعجيل ذلك بل
فضلا ورحمة ولو شئنا لعاجلناهم بما عاجلنا به اصحاب السبت وكذا انتم فى تمردكم على محمد صلى الله عليه وسلم
لو شئنا لانزلنا بكم ما انزلنا بهم والسبت اخر الايام من الاسبوع سمى به لانه سبت فيه خلق كل شئ
اى قطع وتم وكمل واصل السبت القطع والسبات النوم لانه يقطع الحركات الاختيارية واليهود
يسبتون فيه اى يقطعون الاعمال فيه اى يتركونها قال الاستاد وعن ابن عباس انه قال كان هذا
الحى فى زمن داود من بعد موسى باعوام كثيرة فى ارض يقال لها ايلة بين المدينة والشام على ساحل
بحر قلزوم وكان مكانا يجتمع فيه صياد تلك الديار وحيتان كل البحر من السنة فى شهر حتى لا يرى
وجه الماء من كثرة الحيتان وتاتيهم من غير ذلك الشهر فى كل سبت كما كانت تاتيهم فى ذلك الشهر
فاذا ذهب الشهر لم يروا شيئا منه انتهى تلخيصه ان الله امر اليهود ان يتجردوا للطاعة فى يوم
ويتركوا سائر الاعمال فاعتدى فيه ناس منهم فى زمن داود صلى الله عليه وسلم واشتغلوا بالصيد وذلك
انهم كانوا يسكنون قرية على ساحل البحر يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت فى البحر
الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا واشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فحل بهم ما حل وفى الكواشى واصل السبت القطع
لان اليهود امروا بقطع الاعمال فيه وفى هذا حجة لمالك فى ابطال الحيل وجوزها ما لم يكن فيها
ابطال حق او احقاق باطل وانما لم يجز هذه لان السبت حيلة وانما هى عين المنهى عنه لانهم انما نهوا
عن اخذها فاقتسموا ثلاثة قسم لم يصد ولم ينه عن الصيد وقسم لم يصد ونهى وقسم
اصطادوا انتهى فقلنا لهم اى للذين اعتدوا كونوا قردة جمع قرد كالفيلة جمع فيل
والدببة جمع دب والقرد حيوان معروف خاسئين كالذليلين مبعدين عن بابنا لاتباعكم
شهواتكم ومخالفتكم لامرنا تلخيصه كونوا جامعين بين صورة القرد والخسوء فبقوا بعد المسخ ثلثة
ايام ثم هلكوا ولم يتوالد ممسوخ قط وانما مسخوا على صورها ولا اذ القردة ثم لم يكن ابتداء القردة
من هؤلاء الممسوخين بل كانت قبلهم قردة وهؤلاء حولوا الى صورها لقبحها جزاء على قبح افعالهم
وماتوا بعد ثلثة ايام والقردة التى فى الدنيا هى نسل قردة كانت قبل الممسوخين وهذا امر تسخير
وتكوين وتحويل والمراد سرعة التكوين والتحويل لانه لم يكن لهم قدرة على التحول والتكون من صورة
الى صورة فصار شبانهم قردة والشيوخ خنازير لهم اذناب يتعاوون
وليس تحويل الصورة باعظم من انشاء العنصر وابداعه فمن امن باختراع الجواهر فما اذا عليه ان يؤ

بانقلاب الصور والامر بكونوا قردة كالامر فى قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فاذا
اراد الله تكوين شئ كان كما اراد من غير امتناع ولا لبث وهو كقوله كما لعنا اصحاب السبت وكان
امر الله مفعولا وهو كقوله ايضا قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم والدليل على انه امر تكوين
وتسخير انه قال فجعلناها نكالا واقبح الصور هو صورة القرد والكلب والخنزير فحول الله صورهم
الانسانية الى صور القردة والخنازير قال الامام ابو منصور وفى هذا رد ونقض لقول المعتزلة
لانه خالق لذميم الصور والحسن والخير والشر قيل مسخوا قردة فلم يبق فى ظاهرهم وباطنهم
معنى الانسانية وقيل كان فيهم العقل والفهم وكانوا يذهبون الى ابواب بيوتهم ويشيرون برؤسهم
نفيا واثباتا اى بلى ونعم ولا والدموع تفيض من اعينهم وهذا دلايل الفهم والعقل قال احمد بن
يوسف الكواشى وعن مجاهد انما مسخت قلوبهم دون صورهم وهذا خلاف الاجماع انتهى اقول
وانما قال وهذا خلاف الاجماع لانه لا يناسب مقام الترهيب حيث قال فجعلناها اى المسخة نكالا والنكال
الفضيحة الشاهرة الزاجرة والعقوبة التى ينكل بها عن الاقدام على مثل تلك الجناية وفى قول المجاهد
ايضا خلاف الاثار ان صح الرواية منه وذلك لان اليهود اذا سبوا قيل لهم يا اخوة القردة والخنازير
ويخاطبون بذلك فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وقد ثبت امر المسخ فى كتب الاولين قال البيضاوى وكانوا
جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم
فمثلوا بالقرد كما مثلوا بالحمار فى قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما
المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم انتهى قلت وفى رواية اخرى عن مجاهد
انه قال لم يمسخوا بل هذا مثل ضربه لهم كمثل الحمار يحمل اسفارا قال استادى ومن قال بهذا جعله كقول
الرجل العارف باحوال الجاهل والعالم لرجل ذاهب الى عالم عامل بحسب ظنه من غير معرفة تامة اى جالس
اهل العلم اذهب ولا تجالسه فكن حمارا اى شبيه الحمار فان الذى تذهب اليه كمثل الحمار اى شبيه به
ونظير هذا قول الشاعر اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ؞ فكن حجرا من يابس الصخر جلدا ؞ وفى
بعض النسخ بدل المصراع الثانى ؞ فقم واعتلف تبنا فانت حمار ؞ ويستعمل الخسوء متعديا ولازما
يقال خسأته خسأ وخسأ خسوءا كرجعته رجعا ورجع رجوعا وخاسئين خبر ثان لكان او حال
او نعت للقردة **فجعلناها** اى تلك العقوبة اى المسخة **نكالا** اى عبرة مانعة من ارتكاب مثل
ما عملوا **لما بين يديها وما خلفها** اى جعلناها عبرة لما سبق لهم من الذنوب على هذه
العقوبة جزاء لما سبقها من ذنوبهم قبل ومعنى وما خلفها اى وما حضرها اى العقوبة من الذنوب
التى اخذوا بها وهى العصيان باخذ الحيتان قال السيوطى معناه جعلنا العقوبة عبرة للامم
التى فى زمانها وللامم التى جاءت بعدها انتهى تخصيصه لما بين يديها من اهل زمانهم ممن شاهدها وما
خلفها اى وما بعدها الى يوم القيمة ممن يسمع بذكرها فيتعظوا بها قال ابو يحيى والمعنى لما بين
يديها اى لما بعدها من عقوبة الاخرة والفضاحة على رؤس الاشهاد ولا شك ان الاخرة كاينة
بعد تلك العصيان ومعنى ما خلفها من فضاحة الدنيا فيتعظون بها الى قيام الساعة وبين يديها
يحتمل ان يكون بمعنى بعد وبمعنى قبل وما خلفها كذلك ولهذا اختلفوا فى معنى بين يديها وخلفها قال

اسامة

اسامة للنبى صلى الله عليه وسلم الصلوة يا رسول الله فقال الصلوة امامك اى بين يديك اى تقدر قرب وقتها
وموعظة للمتقين اى عظة زاجرة وقضية تذكرة لمن يخاف الله من امة محمد صلى الله عليه وسلم
او للمتقين الذين هم هم وخصوهم بالذكر لانهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم وكان فى بنى اسرايل
رجل فقير وله ابن عم غنى فقتله ليرثه ثم جاء يناس الى موسى يدعى عليهم القتل وهذا كان
قبل نزول اية القسامة فسألوا موسى ان يدعو الله ليتبين قاتله فقال لهم موسى ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة الى اخر القصة فحكى الله تلك القصة وما جرى بينهم لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال
واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وكان اول القصة واذ قتلتم
نفسا وانما قدمت هذه الاية ليتصل نظم مساويهم وكاذيبهم من نسبة نبى الله موسى الى الهزء
وترك الامتثال سريعا والاشتغال بما لا يعنى من الاستقصاء فى احوال البقرة كما **قالوا** لموسى
اتتخذنا هزوا اى اهل هزء ومزح او مهزوءا بنا او مكان هزء او نفس الهزء والهزء المزح
فى خفية تعجبوا من ذبح البقرة ووضع بعض لحمها على بدن الميت ليكلمهم ويبين لهم قاتله قال
الكواشى القراة باسكان الزاى والفاء من كفوا مع الهمزة وبضم الزاى والفاء من غير همز وبضم الزاى
والفاء والهمز لغات كلها المعنى انستهزئ بنا نسألك امر القتيل وتامرنا بذبح بقرة ولا جامع بينهما
انتهى **قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** اى قال لهم موسى امتنع بالله ان اكون من الذين
يستهزؤن بالمؤمنين او من الجاهلين لجوابكم لا على وفق السوال وكان فى بنى اسرايل شاب بار بامه
وكان يحتطب ويبيعه ويعطى امه ثلث ثمنه ويتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويقسم ليله اثلاثا
ينام فيه ثلثا ويصلى فيه ثلثا ويقعد عنده امه ثلثا فقالت له ان والدك استودع الله لك
عجلة اى بقرة فى غيضة كذا فاذهب فأت بها فبعها فذهب الى الغيضة وناداها فخرجت اليه فلزم
بعنقها فقالت له اركبنى فقال لم تامرنى امى بذلك فقالت لو ركبتنى لم تكن تقدر على ابدا ولكن انطلق
فلو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينبعك لفعل لبرك بامك فجاء بها امه فقالت اذهب فبعها
بثلاثة دنانير بشورتى فذهب فجاء ملك فى صورة ادمى فاعطاه ستة دنانير على ان لا يشاور امه
فلم يفعل فاخبر امه بذلك فقالت اذهب فبعها بستة دنانير بمشورتى فجاءه ذلك الملك واعطاه
اثنى عشر دينارا على ان لا يشاور امه فلم يفعل فاخبر امه بذلك فقالت ان الذى ياتيك ملك فقل له
تبيع البقرة ام لا فقال لا فانه يقتل فى بنى اسرايل قتيل ويشتريها منكم موسى فلا تبيعوها الا بملء
مسكها ذهبا ولما تحققوا ان ذبح البقرة عزيمة من الله عز وجل عجبوا من ذلك ثم **قالوا** يا موسى
ادع لنا ربك وقرئ فاسأل لنا ربك **يبين لنا** اى يوضح **ما هى** اى صفتها وما سنها
قال انه اى قال موسى ان الله **يقول انها بقرة لا فارض** اى ليست بمسنة
كبيرة بحيث لا تلد فرضت بضم الراء وفتحها بمعنى طعنت فى السن وسميت فارضا لانها فرضت
سنها وقطعتها اى بلغت اخر عمرها او لانها تفرض اى تشق الارض وسميت بقرة لبقرها الارض والهاء
ليست للتانيث وانما هى لتدل على انها واحد من جنس كالبطة والدجاجة والاوزة والحمامة قال
الاستاد ولو كانت للتانيث لقال لا فارضة بالتاء **ولا بكر** بالتاء ايضا بل حذف

ها وهما لا اختصاصهما بالاناث كالحايض والمعنى ولا فتية صغيرة لم تلد قط او ولدت مرة مأخوذ
من اول الشي وباكره ومنه باكورة الفاكهة لاولها وفارض وبكر خبر لمبتدا مضمر اى لا هي فارض ولا
هي بكر والجملة نعت لقوله بقرة وكذلك عوان اى نصف وجمعها عون بين ذلك كا
اى بين ما ذكرنا من الفارض والبكر ولم يقل بين ذينك على التثنية مع ان البين يقتضي شيئين لان معناه
بين ما ذكرنا من الفارض والبكر كما فسرنا بذلك قال الاستاد معناه وسط ونصف بين السنين
او السنين اى بين الكبر والصغر لان كل واحد منهما شئ ولان لفظ ذلك يدل عليهما وحسن ذلك
في اسماء الاشارة لان تثنيتها وجمعها وتانيثها ليس بحقيقة ومثله لما سئل رؤبة عن قوله
فيها سواد من خطوط وبلق ... كانه في الجسم توليع البهق فقيل له ان اردت الخطوط فقل
كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك تخلصه ان ذلك مفرد اللفظ
وبين لا يضاف الا الى متعدد فالجواب انه يصح اذ ذلك يشار به الى المفرد والتثنية والجمع ومنه قوله
عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وان تصبروا وتتقوا الاية وزين للناس حب الشهوات
الاية فافعلوا ما تؤمرون كا اى فافعلوا ما تؤمرون به من ذبح البقرة ولا تكثروا في
السؤال ولا تكرروه قال الاستاد وهذا الامر للحال كما يفهم من القراين دون محض الاستقبال وان دل
على الاستقبال تقصيرهم كما قال وما كادوا يفعلون وما تؤمرون في محل النصب على انه مفعول لقوله
فافعلوا قالوا ادع لنا ربك اى سله لنا ان يبين لنا ما لونها كا من الالوان
ما استفهام مبتدأ ولونها خبره قال انه يقول انها بقرة صفراء كا الصفرة لون بين
البياض والسواد وهي الى السواد اقرب ولذلك يعبر عنها بالسواد قالوا كانت صفراء حتى ظلفها
وقرنها وكانت سوداء ورد هذا لقوله بعد الصفرة فاقع لونها كا مبتدأ وخبر والجملة صفة
البقرة ومعنى فاقع لونها اى شديد الصفرة خالصها وانما فسرنا بشديد الصفرة وخالصها لانه
لا يقال اسود فاقع بل يقال اسود حلكوك فعلى هذا لا نقف على صفراء لئلا تفصل بين الصفة
والموصوف وان جعلت صفراء بمعنى سوداء وقفت عليها ويكون الفقوع صفة اللون في المعنى كانه
قال لونها خالص واكثر ما يستعمل الاصفر بمعنى الاسود في الابل قال الاستاد يقال اسود حالك
واحمر قانى واخضر ناصع وابيض يقق للمبالغة فيها وعن الحسن معنى فاقع لونها اى شديدة سوادها
ان الفقوع ترشيح والسواد الخالص جالب للسرور كسواد الحدق تسر الناظرين كا اى
تعجبهم النظر اليها لحسنها فتلتذ قلوبهم بذلك والسرور لذة تحصل في القلب عند حصول موجبها
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه ومحل قوله تسر الناظرين الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف ثم سالوه تمام الكشف والزيادة على الوصف الذي ذكر من كونها مسنة او فتية ومن
كونها كذا فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي كا اى اسائمة هي ام عاملة فان البقر
تشابه علينا كا اى ان جنس البقر المنعوت بهذه النعوت كثيرة جدا وقد اشتبه علينا لكثرته فلم
نهتد الى المقصود من ذلك عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا
شيئا فلا تراجعني اضاين ذلك الشاة ام ماعز لاني اذا قلت لك هو ضاين قلت لك اذكر ام انثى

واذا

واذا قلت لك هو ذكر قلت لك هو اسود او ابيض والمراد اذا قال واحد لعماله اعط لفلان شيئا
مطلقا فليعطه ما يناسبه من غير مراجعة وانا ان شاء الله لمهتدون كا الى هذه البقرة والى
ذبحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد واتوا بالاسم
الاعظم للاشارة الى عظمة الله تعالى من حيث ان كل واقع بمشيته وان كل شي بيده وقرئ ان الباقر
وقرئ ايضا بشد الشين اصله تتشابه بالتاءين ادغم الاولى في الثانية قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول اى غير مذللة بالعمل قال ابن عيسى فقوله ولا ذلول خبر لمبتدا محذوف اى لا
هي ذلول والجملة صفة لقوله بقرة وصيغة الفعول اذا كان وصفا لم تدخله الهاء كصبور وشكور
قال الاستاد والذلول ضد الصعب من الذل بكسر الذال صفة لبقرة اى هي بقرة زينة ما استعملها
احد اصلا ومحل قوله تثير الارض اما رفع على انه صفة لقوله لا ذلول داخلة في النفي كما في التسهيل
للبكري او نصب على الحالية كما في الكواشي ومعنى تثير الارض اى تقلبها للزراعة وتكربها ولا في
قوله ولا تسقي الحرث نص موكدة للاولى اى بقرة غير مذللة باثارة الارض وتقليبها ولا بسقي
الحرث والحرث هو الارض المهيئة للزرع بالسواني ونحو ذلك تخلصه هي بقرة لا يستقى عليها الحرث
بالسواني ولم تذلل باثارة الارض وتقليبها للزراعة مسلمة خبر مبتدا محذوف اى بل هي برية من
العيوب كلها لوحشتها وبعدها عن الناس لا شية فيها كا اى لا لون فيها يخالف لون
جميع جلدها تخلصه لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف ويقال وشاه وشيا اذا خلط
لونه لونا اخر كاجتماع البياض والسواد واصل شية وشية لانها مصدر لوشاه وشيا وشية
اذا خلط لونه بلون اخر ومنه ثوب موشى فوزنها بعد الحذف علة كما تقول في الصفة والزنة
والعدة صفة وزنة وعدة قال الامام ابو منصور ان البقرة كانت ذكرا لانه وصفه
بالاثارة والسقي وهما من عمل الثيران ثم قال اللهم ان كان ذلك الزمان يحرثون بالانثى فهي انثى وقال
ابو حنيفة تاؤها للتوحيد لا للتانيث اى هي ثور وقال الاكثرون اذا قال البقرة بالتاء فهي للانثى
خاصة واذا قال بقر صلح للذكر والانثى كما في الحمار والحمارة والحمام والحمامة وقد سمى النبي واصحابه الاسم
بالبقرة بالتاء ثم بعد تحققهم البقرة قالوا الآن كا هو ظرف للزمان الذي انت فيه لانه فصل
بين الماضي والمستقبل وهو مبني لتضمنه معنى الاشارة اى قالوا هذا الوقت جئت بالحق كا
اى نطقت بالبيان التام والوصف المطلوب الذي تحققنا به البقرة فطلبوها فوجدوها عند
الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا والفاء في قوله فذبحوها الفصيحة اى فحصلوا البقرة
المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون كا اما لغلاء ثمنها او لقلة اجتماع الاوصاف او
لكثرة مراجعاتهم وتعنتهم وشدة اختلافهم او لخوف فضيحة القاتل والمعنى من انهم ما قاربوا
ان يفعلوا حتى انتهوا سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل قال
الاستاد والمعنى فعلوا ذلك بعد الاستقصاء اى بعد توقف وبطء وتطويل منه حتى كاد يقع الياس
وفي الغاية روى انهم طلبوها اربعين سنة فلم يجدوها ثم وجدوها عند ارملة لها يتيم وكان ابوه
من الصالحين فاشتروها بملء جلدها ذهبا قال السيوطي والبكري ايضا وفي الحديث لو ذبحوا

اى بقرة كانت لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وفى التيسير وفيه دليل على
امضاء الخطاب على العموم وعلى ان الحكم يتعلق باقل ما ينطلق عليه الاسم وعليه وجوب العمل بالظاهر انتهى
وقال الامام احمد الكواشى ويحتج بهذه القصة اصحاب الخصوص لانهم أُمِروا بذبح بقرة ثم خُصِّصَتْ
حتى لم يقم غيرها مقامها لانهم اجازوا الخصوص فى كل عام لفظا ومن لم يقل بالخصوص قال لا يطلق العام
على الخاص الا بدليل يقارنه انتهى وقيل وانما امتحنوا بذبح البقرة لانهم كانوا فيما مضى يعبدون البقرة والعجل
وحُبِّب اليهم كما قال واشربوا فى قلوبهم العجل ثم عادوا وتابوا الى عبادة الله وطاعته فاراد الله ان
يبتليهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان منهم فى قلوبهم وقيل كان افضل
صدقاتهم وقرابينهم حينئذ ذبح البقرة فامروا بذبحها ليحصل التقرب لهم بما هو افضل عندهم ثم بين
سبب ذبح البقرة وخاطب الجماعة مع ان القاتل كان اثنان منهم وهما ابنا عم المقتول وذلك لرضاهم
بفعلهم او لوجود القتيل بينهم وتلبسه بهم فقال **وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا** اى فاذكروا ايضا اذ قتل
بعض اسلافكم نفسا اى رجلا وهو عاميل وقد مر بان هذا اول القصة ولا باس بان نذكر التقديم والتاخير
بعبارة اخرى فنقول وهذا مؤخر لفظا مقدم معنى لانه اول القصة ولم يقدم لفظا لان الغرض انما
هو ذبح البقرة للكشف عن القاتل فقدم ما هو بشانه احوج واعنى ثم ذكر القتل بعد ذبح البقرة ليكون
ابلغ فى توبيخهم عليه قال البكرى فى تسهيله وفى ذكر قتل النفس اشارة الى ان امتثال الامر بالذبح
سبب للحياة ففيه ان من ذبح نفسه اى اتعبها بسيف المخالفة لها احياه الله به **فَادّٰرَءْتُمْ فِيهَا**
اى اختصمتم واختلفتم وتدافعتم فى شان النفس والمعنى دفع بعضكم قتلها الى بعض اودفع كل منكم
الاخر من البراءة الى التهمة لتخليصه فكان كل واحد يدرؤ اى يدفع عن نفسه ويحيل على صاحبه والدرء
فى الاصل الدفع قال الله تعالى ويدرؤا عنها العذاب واصله فتدارأتم فادغم التاء فى الدال لتقاربهما مخرجهما
وسكنت فادخلت الف الوصل لانه لا يبتدأ بساكن **وَاللّٰهُ** المطلع على الخفيات العالم بالسرائر **مُخْرِجٌ مَا**
كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اى مظهر لا محالة ما كنتم تسترون من امر نفس المقتول وقاتلها ليظهر البرئ
من المجرم وما مصدرية او موصولة فى محل النصب على انه مفعول لمخرج وانما عمل مخرج لانه حكاية
المستقبل بالماضى كما عمل باسط ذراعيه لكونه حكاية حال ماضية والجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه وذكر المعطوف بقوله **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ** اى فقلنا بعد ذبح البقرة اضربوا المقتول والضمير للنفس
والتذكير باعتبار الخبر **بِبَعْضِهَا** اى ببعض البقرة والمراد اى بعض كان قيل ضربوه باللسان
وقيل بعجب ذنبها لانه اخر ما يبلى واول ما تخلق او بفخذ الايمن او بالاذن او بعجز ذلك والله اعلم
بذلك وفى الكلام حذف تقديره فضرب فحيى فقام واوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان
وفلان لابنى عمه ثم مات فحرما الميراث وقتلا مكان المقتول ومن الحرم لم يرث قاتل بعد صاحب البقرة
وقيل قتله اخوه ثم اوما الله عز وجل الى كيفية احياء الموتى عند البعث مخاطبا من حضر هناك
او مخاطبا لمنكرى البعث من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله **كَذٰلِكَ يُحْيِى اللّٰهُ الْمَوْتٰى**
ومحل الكاف نصب على انه صفة لمصدر محذوف تلخيصه فضرب فحيى احياء مثل احياء الله الموتى
وَيُرِيكُمْ اٰيٰتِهٖ اى ويرى ايات قدرته لمن حضر القتيل او لمنكرى البعث والجزاء **لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** كا

ثم

اى لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها فتؤمنون تلخيصه لكى
تتدبروا فتعلموا المراد منكم فتمنعون نفوسكم هواها **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ** اى صلبت وغلظت ويبست
وجفت قلوبكم ايها اليهود عن قبول الحق وقسوة القلب خروج الرحمة واللين منه كما قال الله تعالى وجعلنا
قلوبهم قاسية **مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ** اى من بعد ما تقدم من امر احياء القتيل وما ذكر قبله من الايات
المعدودة فانها مما يوجب لين القلب **فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ** اى فالقلوب فى قسوتها وشدتها مثل الحجارة ولم
تشبه القلوب بالحديد والصفر وان كان اصلب لانه قابل للتليين بالنار وقد لان لداود **اَوْ اَشَدُّ**
قَسْوَةً اى القلوب اشد قسوة من الحجارة واشد رفع لانه معطوف على معنى الكاف فى قوله كالحجارة
فان معناه مثل الحجارة وقسوة مصدر قسا فى الاصل وهى منصوبة على التميز قال استادى ونصبها على
التفسير كقوله هو احسن الناس خلقا واتمهم رفقا ثم فضل الحجارة على القلب القاسى فقال **وَاِنَّ مِنَ**
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُ واللام فى لما للتاكيد وما بمعنى الذى وهو مرفوع على انه خبر ان و
المعنى وان من الحجارة الحجر الذى يتفجر منه الانهار وضمير منه راجع الى ما لا الى الحجارة وقيل راجع الى من
الحجارة فانه للتبعيض والمعنى وان بعض الحجارة وعلى هذا يكون ما زايدة كما فى قوله فبما رحمة من الله
وعما قليل فبما نقضهم تقديره وان بعض الحجارة ليتفجر منه الانهار ومعنى يتفجر اى ينفتح بكثرة تلخيصه
وان بعض الحجارة لينفتح بكثرة ويسيل منه سيلا واسعا وانهارا كثيرة والانهار جمع نهر وهو معروف
ومعناه المجرى الواسع من مجرى الماء قيل هذا الانفجار يكون على العموم فى جميع الحجار العظام التى تخرج منها
الانهار والاودية وقيل هذا الانفجار على الخصوص كما وقع لموسى فى الحجر الذى كان فى مخلاته حين ضربه
بعصاه فتفجر منه اثنا عشرة عينا الاثنى عشر سبطا ومعنى الخصوص اوقع فى النفس لانه ذكرهم بما وقع لهم مما سبق و
قرى بتخفيف ان على انها المخففة من المثقلة والفارق بينها وبين النافية لزوم اللام لها فى قوله لما يتفجر
وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ اى وان بعض الحجارة لما يتصدع فيخرج
منه الماء القليل اى عيون دون الانهار واصل يشقق يتشقق فادغمت التاء فى الشين **وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا**
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ وقد مر اعراب قوله وان من الحجارة الى اخره على الاسلوب الذى
مر ذكره قال ابو يحيى واللام فى لما يتفجر ولما يتشقق ولما يهبط توكيد ومحل ما نصب على انه اسم ان
والظرف خبرها والمعنى وان من الحجارة ينزل من اعلى الجبل الى اسفله من خوف الله عز وجل كما وقع فى تجلى الله
للجبل وقلوبكم يا يهود لا تلين ولا تخشع والخشية محمولة على الحقيقة لان الزجاج ليس شرطا فى الخشية وتسليم
الحجر على النبى صلى الله عليه وسلم حديث مشهور قال الله تعالى فى كتابه لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله وحنين الجذع وكلام الشاة المسمومة معه وتسبيح الحصا فى كفه وكف اصحابه ومجى
الشجرتين الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى تستر بهما وقضى حاجته ثم رجوعهما الى مكانهما وامثال هذا ظاهر لا يخفى على
احد وقيل هذا تمثيل اى مجاز عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اى ومن القلوب لما يذل ويخضع
لعظمة الله تعالى ثم هددهم بقوله **وَمَا اللّٰهُ بِغٰفِلٍ** ليس بساه **عَمَّا تَعْمَلُوْنَ** وانما
يؤخركم لوقتكم فيجازيكم على اعمالكم وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة وفيه التفات الى الخطاب والباقون بالتاء
على الخطاب ثم خاطب عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين متعجبا من طلبهم ايمان اليهود المعاندين

بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم اردفهم بالعوام الذين قلدوهم فهم مشاركوهم في الوزر سواء لانه على
العالم ان يعمل بما علم وعلى الجاهل ان يطلب العلم فقال افتطمعون ان يؤمنوا لكم اى اتطلبون
وترجون يا محمد انت واصحابك ان يصدقكم اليهود فيؤمنوا بما جئت به لاجل قولكم لا انما قلنا لا لان
الهمزة للانكار واستبعاد الايمان منهم والحال قد كان فريق منهم اى طائفة من احبار اليهود
يسمعون كلام الله في التوراة ثم يحرفونه اى يبدلونه ويغيرون ما فيها من الاحكام كتغيير صفة
محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وفي لفظ السماع اشارة الى عدم حظهم من معناه من بعد ما عقلوه
اى من بعد ما فهموا مراد الله بعقولهم ولم يبق لهم ريبة هل هم الفريق السبعون المختارون من قوم موسى
ام غيرهم قولان الاول هو الاظهر لانه قول ابن عباس قالوا وهؤلاء المختارون لما سمعوا كلام الله من موسى
بالامر والنهي حرفوا ذلك حيث قالوا لقومهم يقول في اخر كلامه ان استطعتم فافعلوا وان شئتم فلا
تفعلوا وهذا قول الكاذبين من السبعين واما الصادقون فاخبروا بما سمعوا وما في ما عقلوه مصدرية
وموضع قوله وهم يعلمون نصب على الحالية اى وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون مبطلون
قال البيضاوي ومعنى الاية ان احبار هؤلاء وعلماءهم ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك
بسفلتهم وجهالهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك قال الاستاد والمعنى انهم مع كثرة ما عاينوا
من الايات وشاهدوا من العجايب في عهد موسى لم يطمع موسى في ايمانهم اى الاحبار فكيف طمعتم انتم يا محمد و
اصحابك في ايمان هؤلاء وهم اتباعهم ثم اخبر عن صنع منافقي اليهود بالمؤمنين فقال واذا لقوا
اى منافقوا اليهود الذين امنوا من اصحاب النبي قالوا امنا كايمانكم لان محمدا نبي وهو
المبشر به في كتابنا واذا خلا بعضهم الى بعض اى واذا رجع بعض اليهود وهم الذين
ثبتوا على يهوديتهم وكفرهم بمحمد وبما جاء به ولم ينافقوا وهم رؤساء اليهود ومعنى قوله الى بعض
اى بعض اليهود وهم الذين نافقوا من اليهود لامر رؤساهم وهم الذين لم ينافقوا الذين نافقوا
قالوا منكرين على المنافقين وعاتبين عليهم ثم بين العتاب بقوله اتحدثونهم اى اتخبرون
اصحاب محمد بما فتح الله عليكم اى بما من الله عليكم وعرفكم في التوراة من نعت محمد واثبات
نبوته وصدقه فيما انزل الله عليه وجاء فتح بمعنى قضى اى بما قضى الله عليكم في كتابكم التوراة من بيان
صفته وصدقه وصحة نبوته وحكم عليكم بذلك ويقال للقاضي الفتاح وجاء الفتح ايضا بمعنى بين
اى بما بين الله لكم وجاء ايضا بمعنى من كما فسرنا به وبمعنى انزل وبمعنى اعطى والكل صحيح اذ الفتح يستعمل
في الكل واصل الفتح ازالة الاغلاق ليحاجوكم به اى ليخاصموكم بما قلتم لاصحابه من صفاته في كتابكم
التوراة واللام للصيرورة تلخيصه ليحتج عليكم ويخاصمكم اصحاب محمد في انه نبي في كتابكم فتثبت
الحجة عليكم في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه عند ربكم في الاخرة لقوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند
ربكم تختصمون وقد ظهر في الدنيا حيث قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخوة القردة والخنازير
قالوا بينهم من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم وقيل في معنى عند ربكم اى في حكم ربكم لقوله
فاولئك عند الله هم الكاذبون وقيل في الاية تقديم وتاخير من جهة المعنى تقديره اتحدثونهم بما فتح
الله عليكم اى بما انزل عليكم من عند ربكم ليحاجوكم افلا تعقلون تا هو متصل بكلام الرؤسا لمنافقيهم

والمعنى

او لا تجحدون يا اصحاب محمد من انكار نعت محمد وهم يعلمون ان الله يعلم الخ

والمعنى افلا تعقلون انكم اذا فعلتم ذلك عادت الحجة عليكم وفيه عتابكم وعيب سلفكم تلخيصه
افلا تعقلون انهم يحاجونكم اذا حدثتموهم بما اعطاكم من العلم بنبوة محمد فتنتهوا ولا تحدثوهم
بما علمكم الله في توراتكم ولتنتهوا ذلك تغنموا نبالهم ولحقوهم اخر الدهر ثم اتى بالاستفهام التقريري
فقال عز وجل اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين من اليهود او اللائمين منهم او كليهما او اياهم
والمحرفين والواو الداخل على همزة الاستفهام للعطف ان الله العليم يعلم ما يسرون
اى يخفون من الايمان وغيره وما يعلنون كذا اى وما يظهرون من الكفر وساير المعاصي
تلخيصه يعلم كل شيء ومن علم ان الله يعلم ما يبديه ويخفيه منعه ذلك عما لا ينبغي او ما يسرون من
الاعتقاد وما يعلنون من الاقرار او ما يسرون وما يعلنون من القول والعمل فيرجعوا عن ذلك ويتوبوا
عنه او ما يسرون من قولهم فيما بينهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم وما يعلنون للمؤمنين من قولهم هو
نبي حق وهو في كتابنا ومنهم اميون مبتداء وخبر والضمير لليهود واميون جمع امي اى ومن اليهود
عوام لان الامي هو الذي لا يحسن القراة ولا يحسب الحساب ولا يكتب الكتاب منسوب الى الام كانه
باق على اصل الخلقة ثم بين ذلك بقوله لا يعلمون الكتاب اى التوراة او الكتب حتى يطالعون
ويعلمون ما في التوراة او انهم كانوا يقرؤن التوراة ولا يعرفون معناها الا اماني جمع امنية
من مني الشيء قدره ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وهو في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه
من الاكاذيب والاستثناء منقطع بمعنى لكن لان الاماني والاكاذيب والاباطيل والمحرف الذي تلقوه من
علمائهم السوء ليس من جنس العلم والكتاب في شيء والمعنى ان اليهود جهلة لا يعلمون شيئا من التوراة
ولكن يقدرون من عند انفسهم اكاذيب او تلقوها من رؤسائهم فيعتمدون عليها وهي قولهم
ان الله يغفر لهم وان اباءهم الانبياء تشفع لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك القراة
بتشديد ياء اماني وقرئ بتخفيفها للخفة وجاء الاماني بمعنى الاكاذيب كما قال عثمان رضي الله عنه ما تمنيت
منذ اسلمت اى ما كذبت وجاء بمعنى القراءة كما في قوله تعالى الا اذا تمنى اى قرأ وجاء بمعنى الشهوات كما في قوله
يعدهم ويمنيهم وان هم الا يظنون اى وما هم في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقون ويأخذون من
علمائهم تقليدا الا يظنون ظنا من غير تيقن اثني وعلم به فويل اى شدة عذاب او هلاك او تحسر
لان الويل كلمة تفجع وتحسر قال الله تعالى حكاية عن الكفرة يا ويلتنا او واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره او واد من صديد في اصل جهنم او واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال
لانماعت ولذابت من حره وهو في الاصل مصدر والى كما في الغاية او لم يستعمل له فعل لان فاءه وعينه
معتلتان للذين يكتبون الكتاب بايديهم اى فشدة العذاب للذين يكتبون التوراة محرفا
مبدلا مغيرا من التاويلات الزايغة بايديهم وذكرت الايدي مع ان الكتابة لا تكون الا بها لافادة التحقيق
ونفي المجاز اى يتولون مباشرة كتابة ما حرفوه بانفسهم اى مختلقا من عند انفسهم زيادة في تقبيح
فعلهم فهو كقوله كتبت بنفسي او بيدي فقد اخبر انه باشره بنفسه وقال بعضهم وذكر اليد تاكيد
للفعل بحصوله بما هو مختص به وهو كقوله يقولون بافواههم وقوله يطير بجناحيه ورايته بعيني
ونحو ذلك ثم يقولون هذا من عند الله اى ثم يكذبون بافواههم بان الذي كتبوه مبدلا

نصف

نصف ٢

من نعت النبي انه منزل من عند الله هو كذلك في التوراة لئلا تفوتهم ماكلتهم التي كانوا ينالونها من سفلتهم كما قال **ليشتروا به** اي ليستبدلوا بالذي بدلوه **ثمنا قليلا** من متاع الدنيا وثم للتراخي رتبة لان القول اشد جرما من الكتبة واللام في ليشتروا متعلقة بيقولون **فويل لهم مما كتبت ايديهم** وما مصدرية اي لكتبة ايديهم او موصولة اي للذي كتبت ايديهم من المختلق **وويل لهم مما يكسبون** وما ايضا اما مصدرية اي من كسبهم من الرشوة والمعاصي او موصولة اي او للذي يكسبونه من الرشوة لكتم نعت النبي واية الرجم واصل الكسب الفعل الجر نفع او دفع ضر وهذا لا يوصف به ربنا عز وجل وكتابة المصحف وبيعه امر مرخص فيه فاخذ الاجرة على كتابته جائز لان الاية نزلت في ذم من بدل وحرف فقط وهم اليهود **وقالوا** ومن جملة اكاذيبهم انهم **لن تمسنا النار** اي لن تصيبنا النار **الا اياما معدودة** اي قليلة اي اربعين يوما قدر عبادة اباءهم العجل ثم تزول وقيل سبعة الاف سنة مقدار بقاء الدنيا بزعمهم في مقابلة كل يوم الف سنة قال بعضهم لا معنى لصرف هذه الايام الى ايام عبادة العجل لان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبد اباؤهم ولو صرف ذلك الى اباءهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم تابوا عن ذلك وقد قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله معدودة للتقليل لان كلما دخل في العدد فسريعا ينفد فاكذبهم الله تعالى بقوله **قل** لهم يا محمد **اتخذتم** هي الف استفهام دخلت عليه الف الوصل فبقيت الالف التي للاستفهام وحذفت الاخرى استغناء بالمذكورة **عند الله عهدا** اي وعدا موثقا بانكم لا تعذبون او قلتم لا اله الا الله قال احد الكواشي وفي الكلام حذف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا **فلن يخلف الله عهده** الذي عهد اليكم لا محالة فالفاء على التقدير لذكر جواب لان الشرطية قال البكري دلت لن على تابيد النفي من حيث ان الله تفضل بانه لا يخلف وعده لا من حيث وضعها **ام** منقطعة بمعنى بل **تقولون على الله ما لا تعلمون** اي بل تقولون كاذبين على الله ما لا علم لكم به ويجوز ان يكون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بوقوع احدهما وما في ما لا تعلمون اما موصولة او نكرة موصوفة ولما قالوا لن تمسنا النار رد الله ذلك عليهم بقوله **بلى** اي بلى تمسكم النار وتخلدون فيها وبلى اثبات لما بعد النفي كبل ولو كان بدل بلى نعم لكان اعترافا بالنفي ومحل **من** رفع على انه مبتدا بمعنى الشرط ولذلك دخلت الفاء في خبره وان كان جوابا للشرط وهو ما ياتي قريبا من قوله فاولئك اصحاب النار **كسب سيئة** اي شركا الكسب تحصيل الشي بالاختيار فان كان فيه زيادة تعمل سمي اكتسابا **واحاطت** اي احدقت اصل الاحاطة الاحداق بالشي من كل جانب **به خطيئته** القراة بالافراد والجمع قال الاستاد والمعنى احدق به الشرك واستولى عليه بان مات مشركا والعياذ بالله والخطيئة اسم للذنب من خطي بالكسر خطاء لقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي ذنبا كبيرا **فاولئك اصحاب النار** الملازمون لها **هم فيها خالدون** لا غيرهم من اصحاب الكبائر وعمى في جمع الضمائر هم معنى من في قوله من كسب ثم بشر المومنين بالجنة بقوله **والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** كما جرت سنة الله في كتابه بان يشفع الوعد بالوعيد ترغيبا وترهيبا ليرجى ثوابه ويخشى عذابه وبضدها

تتبين

تتبين الاشياء **و** اذكر **اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل** في التوراة وقلنا **لا تعبدون** القراة بالتاء والياء خطابا وغيبة وباثبات النون لانه جواب قسم يدل عليه اخذنا ميثاق لان معناه احلفناهم وقلنا بالله لا تعبدون **الا الله** او اراد ان لا تعبدوا وقرى بها فلما حذف ان رفع الفعل كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغا او هو خبر بمعنى النهي كقولك تذهب الى فلان تقول له كذا وكذا تريد الامر وهو ابلغ من الامر لارادتك المسارعة الى الامتثال وقرى لا تعبدوا فهنا **و** احسنوا او واوصينا **بالوالدين احسانا** برا وتعظيما ومطاوعة الا فيما نهى الله عنه والباء بمعنى الى كقوله وقد احسن بي اي الي وقد اعظم الله حقهما حيث قرن حقهما بحقه في الاية المذكورة اي واذ اخذنا الى ان قال لا تعبدون الا الله ثم قال وبالوالدين احسانا وقال في اية اخرى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وفي اية اخرى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وفي اية اخرى واشكر لي ولوالديك **وذي القربى** اي صاحب القرابة قال البكري وهم الاقارب ولو من غير ذوي الارحام وهو عطف على الوالدين والقربى مصدر ووحد ذي ولم يقل وذوي بالجمع لانه بمعنى الجمع اذ هو بمعنى الجنس **واليتامى** عطف على الوالدين في الامر بالاحسان اليهم جمع يتيم كنديم وهو صغير لا اب له ومن الحيوانات الصغير الذي ماتت امه وفعيل على فعالى قليل ويجمع على ايتام وقد يتم ييتم يتما وهو من باب علم **والمساكين** عطف على الوالدين كاليتامى في الامر بالاحسان اليهم جمع مسكين وهو هنا الفقير لان المسكنة من السكون كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** اي واخذنا عليهم الميثاق بما سبق وقلنا لهم في هذا الميثاق وقولوا للناس حسنا القراة بفتح الحاء والسين على انه نعت القول اي قولوا قولا حسنا فهو مصدر وصف به للمبالغة والقول الحسن هو اظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم اي قولوا يا بني اسرائيل في شان محمد صلى الله عليه وسلم قولا صدقا وحقا واخبروا بانه مذكور في كتابكم انه رسول الله فالكلام على هذا مخصوص بالنبي وقيل اراد به الصحابة معه والمعنى على هذا اي قولوا للنبي واصحابه حسنا وصدقوهم بما يقولون والينوا لهم القول هذا قول ابن عباس وغيره والقراة بضم الحاء وسكون السين ايضا على انه اسم ومصدر وعن الثوري القول الحسن هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو اللين في المعاشرة وحسن الخلق لجمع ذلك كله كافشاء السلام وملاطفة كل الناس في الكلام وقرى حسنى كبشرى واحسانا على المصدر والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** يريد ما فرض على بني اسرائيل في شرع موسى صلى الله عليه وسلم لتخصيصه اخذنا عهدكم يا بني اسرائيل بجميع المذكور فقبلتم واقبلتم عليه **ثم توليتم** اي اعرضتم عن الوفاء بالعهد فيه التفات من الاخبار عن الغائبين الى خطاب من كان في زمن محمد صلى الله عليه وسلم لانه فائدة سوق الاية او المراد اباؤهم **الا قليلا منكم** يريد به من اقام اليهودية ومات على الحق قبل النسخ اي قبل ان يدرك محمدا او بعد النسخ بان ادرك محمدا وامن به **وانتم معرضون** جملة معترضة اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء بالعهد والطاعة والتولي والاعراض مترادفان فان قيل لم جمع بينهما قلنا لان قوله وانتم معرضون حال من فاعل توليتم فهي حال موكدة كما في قوله ثم توليتم مدبرين او موسسة والمعنى ثم توليتم عن الوفاء بالعهد وانتم معرضون

اي الادبار والتولي مترادفان

عن النظر والفكر في عاقبة ذلك قال الاستاد والاعراض اسوء حالا من التولي لان الاعراض هو الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض والتولي هو ان يرجع عودا على بدءه وفي الجمع بينهما غاية الذم القراة قليلا بالنصب
على الاستثناء وقرى قليل بالرفع اى امتنع قليل او مبتدا خبره محذوف اى قليل منكم لم يتول ولا يرتفع
على البدلية لانه يصير المعنى ثم تولى قليل ثم اخذ العهد على بني اسرائيل لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج
بعضهم بعضا من داره ومن وجده اسيرا اشتروه واعتقوه فذلك قوله واذ اخذنا ميثاقكم
ثم قلنا لكم لا تسفكون دماءكم اى لا يرتق ولا يرتق لا مباشرة ولا تسببا بعضكم دم بعض ترك قتل الغير
واخراجه من الدار منزلة قتل نفسه واخراجه لان من اراق دم غيره فكانما اراق دم نفسه لعلة
القصاص او للاتصال دينا ونسبا والمراد بالسفك القتل واصل السفك الاراقة والصب ولا تخرجون
انفسكم من دياركم اى لا يخرج بعضكم بعضا من داره فيغصبها وكل موضع حل به قوم فهو دار
وجمعه ديار قال الله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين او لا تؤذوا الجار بالسب والشتم ونحوه فيخرج
فالمسبب كالفاعل فنعلم الميثاق ثم اقررتم اى اعترفتم على انفسكم بهذا العهد والتزمتموه ثم اكد الاقرار
والالتزام بقوله وانتم تشهدون كأنه اى تعترفون على انفسكم بهذا الاقرار كقولك فلان مقر بالذنب
على نفسه قال الاستاد والمعنى اما اقر اسلافكم وشهدوا على انفسهم وانما اسند الى الحاضرين
من حيث المجاز لكونهم على طريقتهم او المعنى وانتم ايها المخاطبون الحاضرون الموجودون في زمن نبينا صلى
الله عليه تشهدون على اسلافكم بهذا الاقرار وانما ذكرت الشهادة بعد الاقرار مبالغة كما في قولك فلان
مقر بكذا شاهد على نفسه او انتم مستمرون بعد الاقرار ثم وبخهم على فعلهم بقوله ثم انتم مبتدا
خبره هؤلاء تقديره انتم مثل هؤلاء فحذف مثل واقيم هؤلاء مقامه كقولهم ابو يوسف ابو حنيفة نعلى
هذا تقتلون انفسكم حال اى يقتل بعضكم بعضا او انتم مبتدا والخبر تقتلون انفسكم فعلى هذا هؤلاء منصوب
باضمار فعل او منادى اى انادي هؤلاء او يا هؤلاء كما في قوله يوسف اعرض عن هذا وقيل هؤلاء بمعنى الذين
كقوله وما تلك بيمينك اى وما التي فتقتلون انفسكم اشارة الى نقض لا تسفكون وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم اشارة الى نقض لا تخرجون انفسكم والقراة في قوله تظاهرون هنا وتظاهرا
في التحريم بتخفيف الظاء فيهما والقراة ايضا بتشديد الظاء فيهما اذ الاصل تتظاهرون بتائين فادغم التاء في
الظاء كما في قوله ان يصالحا بينهما صلحا ومعنى تظاهرون تتعاونون جميعا عليهم بالاثم اى بالمعصية
والاثم كل فعل يبطئ عن خير والعدوان اى الظلم واصله تجاوز الحد وفي ذكر العدوان بعد الاثم ترق
لان العدوان هو الظلم على الغير وان ياتوكم اسارى قرا حمزة اسرى بفتح الهمزة واسكان السين من
غير الف على انه جمع اسير كجريح وجرحى والباقون اسارى بضم الهمزة والالف بعد السين على انه جمع اسرى
كسكرى وسكارى ومحل اسارى نصب على الحالية اى ان جاؤكم ماسورين اى ظفرتم على هذه الحالة
ولم يرد به الاتيان الاختياري والاسير هو الماخوذ قهرا واصل الاسر الشد والايثاق ومن اخذ قهرا شد
غالبا وسمي الماخوذ اسيرا وان لم يشد وفي التيسير عن ابي عمرو الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى
الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق انتهى قال احمد الكواشي وعن ابي عمرو ما صار في اليد فهم
اسارى وما جاء مستاسرا فهم اسرى واذا قيدوا فهم اسارى واذا حصلوا في اليد من غير قيد فهم اسرى

تفادوهم

تفادوهم اى تبادلوهم الاسير بالاسير واصل الفداء حفظ الشيء بما تبذله عنه صيانة له القراة
تفادوهم بالف بين الفاء والدال والقراة ايضا تفدوهم بغير الف قال الاستاد وضمير هو للشان
وهو مبتدا وخبره محرم عليكم وقوله اخراجهم مرتفع بمحرم او هو مبتدا واخراجهم خبره
وقال ابو الخير في قوله وهو محرم عليكم اخراجهم انه متصل ومنتظم بما قبله من قوله وتخرجون فريقا
منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض وضمير هو للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون من المصدر والاخراج المذكور في قوله اخراجهم تاكيد وبيان له ولم يتعرض للقتل للعلم
من حال الاخراج قال محمد بن اسحاق ان الله حرم على بني اسرائيل في التوراة سفك دمائهم وافترض
عليهم فيها فداء اسرائهم فكانوا فريقين فريق منهم بنو قينقاع وهم حلفاء الخزرج والفرقة الاخرى
النضير وقريظة وكانت حلفاء الاوس فكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو
قينقاع مع الخزرج وخرجت النضير وبنو قريظة مع الاوس يقاتل ويظاهر كل فريق حلفاءه
على اخوانه حتى يتسافكوا الدماء وبايديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم وكان الاوس والخزرج
اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون القيمة والجنة والنار والحلال والحرام واذا وضعت الحرب
اوزارها افتدوا اسارهم تصديقا لما في التوراة افتدى بنو قينقاع ما كان من اسرائهم في ايدي
الاوس وافتدى النضير وقريظة ما كان في ايدي الخزرج منهم ويطلبون الدماء وكانت العرب
تعيرهم بصنيعهم ذلك فيقولون كيف يقاتلونهم وتفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم وحرم
علينا قتالهم قالوا فلم تقاتلونهم قالوا انا نستحيي ان يذل حلفاؤنا قال بعضهم وفي الاية تقديم
وتاخير من حيث المعنى وتقديرها واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم وذلك محرم عليكم اى الاخراج والسفك وان ياتوكم اسارى تفادوهم كان العهد اخذ
الثلثة ترك القتل وترك الاخراج ووجوب مفاداة الاسارى فقتلوا واخرجوا فخالفوا العهد
اليهم وفدوا الاسارى وهو من الاتيان بالعهد ووبخوا بما هو خلاف العهد حيث قال افتؤمنون
ببعض الكتاب اى ببعض ما فرض عليكم في التوراة وهو الفداء فقط حيث كانوا يفدون اسارهم
وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج اى لا تتركون القتل والاخراج وتركهما فرض عليكم في التوراة
فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما للنفي وما للاستفهام مرفوع على الابتداء وخبره جزاء او نفي
ومحل منكم النصب على حال من الضمير في يفعل الا خزي اى هوان وذل وعذاب فخزي قريظة
القتل والسبي وخزي النضير الجلاء والنفي الى الشام وضرب الجزية في الحيوة الدنيا وهذا
اسهل بنسبته خزيهم في الاخرة كما قال ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وهو عذاب النار
وهذا كقوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقوله بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر
القراة يردون بياء الغيبة وقرى بالتاء خطابا وفي رواية المفضل تردون بتاء الخطاب لقوله ذلك
منكم وما الله بغافل عما تعملون اى ليس هو بساه عن صنعكم حيث بدلتم احكام التوراة
فيجازيكم على ذلك القراة بتاء الخطاب بناء على قوله ثم انتم هؤلاء تقتلون والقراة ايضا بياء الغيبة
بناء على قوله يردون بياء الغيبة والخطاب ابلغ ترهيبا لما فيه من تاكيد الوعيد اولئك الذين

اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اى بالحيوة الاخرة فآثروا الفانى على الباقى وقد مر تفسيره فى قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا ومعناه ملخصا اخذوا قليل الدنيا بدلا عن كثير الاخرة ثم اخبرهم متهددا الا عذابى الدنيا والاخرة لا يفتر عنهم العذاب ولا يمنعون مانعهم منه بقوله فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ٨٦ اى لا يهون عنهم العذاب ولا يمنعون منه بدفع وقهر من احد قال الاستاد معناه ولا يكون لهم نصرة فى الدنيا لان المبطل وان غلب صورة فهو مخذول حقيقة ولا ينقص لهم خزى فى الاخرة باحراقهم فى النار ولقد اتينا موسى الكتاب اى اعطينا موسى التورية اخبر الله قبل هذه الاية انه اعطى بنى اسرائيل الكتاب والرسل وبين معاملتهم فى حق الكتاب والرسل ثم اخبر مرة اخرى بمعاملتهم ههنا فى الكتاب والرسل حيث قال ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل كا اى واتبعنا واردفنا من بعده رسولا من بعد رسول مقتفين اثره وقد روى ان الله عز وجل بعث بعد موسى الى عصر عيسى اربعة الاف نبى وقيل سبعين الف نبى عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى كاشمويل بن بابل ومنشايل وشعيا بن امضيا وحزقيل وارميا بن حلقيا وهو الخضر وداود بن ايشا وهو ابو سليمان وعيسى بن مريم فان الله اخذ العهد والميثاق على هؤلاء الاجلة عليهم الصلوة والسلام ان يؤدوا الى اممهم صفة محمد وامته صلى الله عليه وسلم كذا اخرجه ابن عساكر واتينا عيسى بن مريم البينات واعلم ان موسى وعيسى ومريم اسماء اعجمية ولذلك لا تنصرف حين اجتمعت العجمة والتعريف ومعنى موسى هو ان مو فى لسانهم الماء وشا الشجر وهم يقولون موشى ومعناه انه اخذ من بين الماء والشجر اى من تابوت كان هو فيه ثم جعل التابوت فى الماء والشجر فاخذ فى دار فرعون ونقلت الشين الى السين فى العربية وعيسى معرب ايشوع فى العبرية بمعنى الخادم قال الاستاد وعيسى فى لسانهم عيشى بالشين من العيش الذى هو الحيوة وكان يحيى الله بدعائه الموتى ونقلت الى السين فى العربية وان جعل فى الاصل بالسين فهو من العيس الذى هو البياض ومريم معناها بالسريانية الخادم او العابدة وقد جعلتها امها محررة لخدمة المسجد والبينات الايات الظاهرات كالانجيل والمعجزات الباهرات كاذهاب البرص وابراء الاكمه واحياء الموتى والاخبار بما ياكلون وما يدخرون فى بيوتهم وشفاء المرضى وايدناه اى قويناه بروح القدس اى بروح المقدسة الطاهرة وهو جبريل كان يسير معه حيث سار وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض ان تاكل من لحمه او هو الانجيل الذى فيه احكام دينهم سمى الانجيل روحا كما سمى القران روحا قال الله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سمى جبريل بالقدس لانه معصوم لم يقترف ذنبا اضيف الموصوف وهو الروح الى الصفة وهو القدس مبالغة فى ثبوت القدس والطهارة لجبريل وهو كقولهم حاتم الجود او الروح هو جبريل والقدس هو القدوس وهو الله عز وجل فاضافة روح الذى هو جبريل الى القدس الذى هو القدوس وهو الله على هذا لتشريف جبريل وتكريمه لانه الذى نفخ الروح فى عيسى بارادة الله تعالى او روح القدس هو اسم الله الاعظم الذى كان به يحيى الموتى ويرى العجائب قراة الجمهور القدس بضم القاف والدال على الاصل ولم يراعوا الثقل لقلة حروف الكلمة وقرا ابن كثير باسكان

الدال

الدال فرارا من اجتماع الضمتين افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم والاستفهام للانكار التعجبى والفاء لعطف الشرطية على الفعلية قبلها تقديره ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل الى قوله افكلما جاءكم رسول الى اخره ويجوز ان يكون عطفا على مقدر كانه قال ولقد اتينا موسى الكتاب وارسلنا بعده رسلا كراما فجحدتم وعصيتم ذلك فكلما جاءكم رسول بما لا تحب انفسكم من الحق قال الاستاد الخطاب لمن عاصر النبى من اليهود والمراد اباؤهم وسلفهم تقديره ولقد اتينا بنى اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول بما لا يوافق اهواءكم وهو يسمكم من الحق استكبرتم اى تعظمتم عن اتباع الرسل والايمان بهم وبما جاءهم من عند الله او طلبتم الكبر عن اتباعه قال الاستاد ثم وسط همزة الاستفهام بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم وتعجيبا من شانهم وصنيعهم ثم جاء بفاء العطف فى قوله ففريقا اى فطائفة منهم لتعطف ما بعدها على استكبرتم تخصيصا استكبرتم فكذبتم كا اى فكذبتم طائفة من الرسل وهم الذين لم تقدروا على قتلهم كعيسى وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام قال البيضاوى والفاء للسببية او للتفصيل انتهى وفريقا تقتلون ٨٧ اى وقتلتم طائفة من الرسل وهم الذين قدرتم على قتلهم كزكريا ويحيى وشعيا قال تقتلون بالمضارع ولم يقل قتلتم بالماضى ولذا اريد بفعل المضارع الماضى وذلك اما للتعظيم استحضار تلك الحالة والصورة الفظيعة فكانها وان مضت حاضرة لشناعتها ولثبوت عارها عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم او المراد تقتلون فيما ياتى ان قدرتم على القتل لانهم ارادوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم وسعوا فى ذلك ولهذا سحروه وسموه يوم خيبر وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه لا زالت اكلة خيبر تعاد فى فهذا اوان قطعت ابهرى وقالوا اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم استهزاء قلوبنا غلف القراءة بضم الغين واسكان اللام جمع غلاف كقرش فى قرش وهو الوعاء اى قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمد او قلوبنا اوعية لكل علم ومع ذلك فلا تعى علمك ولا تفهمه ولو كان فيه خير لوعت قلوبنا علمك وقرئ بضم الغين واللام او جمع اغلف كاحمر اى مغشاة باغطية فلا تعى قلوبنا ولا تفهم ما تقول انت قال الاستاد والمعنى عندى قلوبنا ذات غلاف لا يصل اليها ما يقول محمد مستعار من الاغلف الذى لم يختتن والاقلف والاغلف معناهما واحد كما فى التيسير انتهى وفى مسند احمد بسند جيد عن ابى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصحف فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر واما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم انكر واما القلب المصحف فقلب فيه ايمان ونفاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاى المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه وفى رواية اخرى فاى المادتين غلبت صاحبها اهلكته وقال ابو يحيى ولما خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون سكتوا ولم يسعهم التكذيب فقالوا قلوبنا غلف كما قالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وقالوا لشعيب عليه الصلاة والسلام ما نفقه كثيرا مما تقول فاضرب الله تعالى عن دعواهم وكذبهم عن ما قالوا مثبتا ان قلوبهم خلقت على الفطرة السليمة القابلة للايمان والتمكن من قبول الحق لولا ما عرضها من الكفر فقال بل لعنهم الله بكفرهم اى ابعدهم عن رحمته بسبب جحودهم الحق كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم والمعنى بعبارة اخرى اى طردهم الله من رحمته

بسبب صرفهم القدرة والارادة من الطاعة الى ايثار الكفر فافسدوا الفطرة او هم جهلة ملعونون ببعض
ما في التوراة في ابن لهم دعوى العلم ولا استغناء عنك فقليلا ما يؤمنون وما زائدة لتأكيد القلة وقليلا
منصوب على انه صفة مصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا يؤمنون اى فايمانهم قليل جدا لان من المشركين
اكثر من مؤمن اليهود اى هو ايمانهم ببعض الكتاب او بما نافية بان يراد بالقلة العدم اى فما يؤمنون قليلا ولا
كثيرا وفيه نظر لان النفي له صدر الكلام فلا يعمل ما بعده فيما قبله كالاستفهام ولا يكون ما مصدرية لبقاء قليلا
بلا ناصب وفى الغاية ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم لعدم الاعتداد بذلك الايمان ويكون قليلا حينئذ من
صفات الاحسان كانه قيل لا يؤمنون الا بقليل مما في ايديهم ويكفرون بما وراءه او اراد بالقليل ما لا عبرة به كقوله ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله وهذا ايمان منهم بهذا مع كونهم مشركين في غير هذا الايمان كما جعلوا عزيرا ابنا
لله تعالى لهم آخر الدهر ولما جاءهم اى اليهود كتاب من عند الله وهو القرآن العظيم
مصدق لما معهم من الكتاب وهو التوراة لان القرآن الخالف التوراة في الاصل الذى هو التوحيد والطاعة
ومصدق بالرفع صفة لكتاب وقرئ مصدقا بالنصب حال من كتاب او من الظرف والعامل فيه الظرف وجواب
لما محذوف تقديره كفروا ولا يكون فلما الثانية في قوله فلما جاءهم الجواب لوجود الفاء فيها لان لما لا
تجاب بالفاء عند اكثرهم وسبب نزوله ما روى ان معاذ بن جبل رضى الله عنه قال لاهل الكتاب انكم فيما
سلف كنتم تستنصرون برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائكم حيث كنتم تقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبي
المبعوث آخر الزمان وكنتم تقولون لهم ايضا ان نبينا يبعث قد اظل زمانه يخرج بتصديق ما قلناه فنتبعه
ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما ادركتموه فلم تؤمنوا به فقالوا ليس هذا بذلك النبي فنزلت ولما جاءهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل اى من قبل نزول هذا القرآن المصدق يستفتحون
اى يستنصرون قال الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح والسين للمبالغة كما في استعجب او سأل بعضهم بعضا
على الذين كفروا والمعنى وكانوا يستنصرون على الذين كفروا بالله ورسله فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق وهو بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كفروا به حسدا وحرصا على الرياسة وهذا جواب لقوله فلما جاءهم
ما عرفوا وقال السدى وقتادة وابو العالية وكانت الحرب اذا استدارت بين اليهود ومشركي العرب
اخرجوا التوراة ووضعوا ايديهم على موضع صفات النبي وذكره باحسن الاخلاق وقالوا اللهم انا نسألك بحق
نبيك الذى وعدتنا ان تبعثه في آخر الزمان ان تنصرنا اليوم على عدونا فكانوا ينصرون فلعنة الله
على الكافرين الالف واللام للعهد اى عليهم وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان اللعنة والطرد
انما لحقهم بسبب كفرهم او هي للجنس وهم اولى من دخل فيه لقبح كفرهم ولان الكلام انما هو فيهم وما في
بئسما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس المستتر بمعنى شيئا اى بئس شيئا وبئس نقيض نعم وهما في
الاصل فعلان ماضيان على وزن علم جعلا للمدح والذم اشتروا به اى باعوا بذلك الشيء انفسهم
اى حظ انفسهم من الثواب والمخصوص بالذم هو قوله ان يكفروا اى كفرهم بما انزل الله من
القرآن قال الاستاد والمعنى اذا كان الشرى بمعنى البيع اى بئس شيئا باعوا به حظ انفسهم من النجاة
والكرامة بالثمن الذى هو الهلاك والاهانة وهو الكفر بالقرآن واما اذا كان الشرى بمعنى الشراء لا البيع فالمعنى
بئس شيئا بدلوا انفسهم بهذا الثمن وهو الكفر بآيات القرآن فصارت انفسهم للنار وهو معنى قوله في آية
اخرى

اخرى خسروا انفسهم قال البيضاوى ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته
ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا انتهى قال القفال ٣
يجوز ان يحمل الشرى على الاشتراء الذى هو التملك فان النفس مرهونة بعملها قال الله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة وافتكاكها بمنزلة اشترائها وانما يجب ان يشتريها بالعمل الصالح فاذا كفر فقد اراد افتكاكها بالكفر
وبئسما افتكاكها به بغيا منصوب على انه مفعول له ليكفروا وهو علة للشراء واصل البغي الطلب والمراد
به هنا الفساد والظلم والحسد اى كفروا لاجل الحسد ان ينزل الله من فضله بان انزل الله تعالى
الفضل وهو القرآن على من يشاء للرسالة من عباده وهو محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن اختاره
للرسالة القراءة ننزل وتنزل وينزل مستقبلا مخففا ومشددا في الثلاثة وكلهم شددوا وما ننزله
الا بقدر معلوم فباءوا اى رجعوا وهو عطف على اشتروا بغضب اى بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والتنكير للتعظيم والجار والمجرور في محل النصب على الحال اى مغضوبا عليهم على غضب صفة لغضب الاولى
والمعنى صاروا احقاء بغضب شديد متصل لكفرهم بمحمد بعد عيسى عليهما الصلوة والسلام ولتضييعهم التوراة
وعبادتهم العجل وغير ذلك من كفرياتهم وقيل الغضب الاول هو قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
والآخر تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واحسن ما قال فيه ان معناه استحقوا غضبا متتابعا متواترا كما يقال
فلان يحسن الى احسانا على احسان اى على التتابع وللكافرين عذاب مهين اى مذل ذو اهانة
في الآخرة بعد عزهم في الدنيا واعلم ان عذاب المؤمنين تاديب وتطهير وان كان في صورة الخزى لقوله تعالى
انك من تدخل النار فقد اخزيته وعذاب الكفار اهانة وتشديد قال الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون
وقال ذق انك انت العزيز الكريم وقال يسحبون في النار على وجوههم واذا قيل لهم آمنوا
بما انزل الله اى واذا قال اصحاب رسول الله لهؤلاء اليهود الذين يكفرون بالقرآن آمنوا بالقرآن
والتوراة وسائر كتب الله قالوا نؤمن بما انزل علينا اى نؤمن بالتوراة التى هي كتابنا انزل على نبينا
موسى فقط قال الله تعالى ويكفرون الواو للحال بما وراءه اى بما سوى التوراة من الكتب الالهية او بالكتاب
الذى بعد التوراة وهو الانجيل والفرقان وقيل ما بمعنى من كما في قوله انكم وما تعبدون من دون الله
ومعناه بمن وراء موسى وهو عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قال الازهرى وراء يصلح لما قبله ولما
بعده لان معناه تواري عنك اى استتر وهو موجود فيهما وهو الحق الضمير لما في قوله بما وراءه وقد وحد
لتوحد اللفظ والجملة في محل النصب على الحالية والعامل فيها يكفرون وقوله مصدقا لما معهم
حال ثانية مؤكدة من الحق والعامل فيهما ما في الحق من معنى الفعل وصاحب الحال ضمير دل عليه الكلام
والمعنى ان القرآن انما يكون هو الحق اذا كان مصدقا لكتب الرسل فاذا لم يصدقها فليس بحق ولو قلت
هو زيد قائما تجعل قائما حالا لم يجز لانه يلزم انه انما يكون زيدا اذا كان قائما فاذا ترك القيام فليس بزيد
ولو قلت هو زيد معروفا جاز لتخصيصه انتم كاذبون في قولكم نؤمن بما انزل علينا لانكم تكفرون بما يوافق كتابكم
وهو القرآن واذا كفرتم به فقد كفرتم بكتابكم ثم استفهم معترضا عليهم بقتل الانبياء حاذفا الالف من فلما
فرقا بين الاستفهام والخبر فقال قل فلم تقتلون انبياء الله اى لاى شيء قتل آباؤكم وسلفكم انبياء الله
ولما رضيتم بفعلهم فكانكم قد قتلتم في زمن الماضي ولذلك قال من قبل اى من قبل هذا الزمن قال الاستاد

واصل فلم فلما اللام للتعليل دخلت في ما التي هي للاستفهام وسقطت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال في الاستفهام
نحو كقولهم بم وعم وفيم وتقتلون مستقبل في معنى الماضي كما في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلت
وقال والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وقال وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود ان كنتم مؤمنين ۝
بالتوراة بان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وقد نهيتم فيها
عن قتلهم اذ ليس فيها جواز قتل مؤمن فضلا عن نبي واعلم ان الحاضرين وان لم يقتلوا الا انهم على دين
اباءهم معتقدون صواب افعالهم فلذا اسند فعلهم اليهم وقد تقدم مثل هذا المعنى آنفا وانما كررنا ذلك
زيادة التوضيح كما يقتضي المقام ذلك ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالمعجزات الظاهرات وهي الايات
التسع التي في الاعراف ان شاء الله تعالى وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء
وفلق البحر وتفجير الماء من الحجر ثم اتخذتم العجل الها تعبدونه من بعده اي من بعد ذهابه وانطلاقه
الى الجبل للميقات المعلوم وانتم ظالمون اي وانتم قوم دأبكم الظلم فلا يبعد منكم عبادة العجل وهذا
اعتراض او حال والغرض منه التوبيخ اذ عبادة العجل لا يكون الا ظلما والظلم وضع الشيء في غير موضعها وفي
هذا رد لقولهم في الاية التي قبلها حيث قالوا نؤمن بما انزل علينا اي انتم مبطلون في هذا الدعوى واذ اخذنا
ميثاقكم على العمل بما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم كرر ذكر
الطور ههنا وفيما مر لان فيما ذكر اولا من تعداد النعم حيث قال هناك ثم عفونا عنكم وذكره ههنا لتوبيخهم
في دعوى الايمان بما انزل عليهم وهم قد عبدوا العجل وردوا الميثاق ولم يذكر بعدهما عفوا ولا نحوه خذوا
اي وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واجتهاد وعزم على العمل به واسمعوا حسن اي اطيعوا
لما تؤمرون به سماع قبول وطاعة قال الله تعالى واسمعوا واطيعوا وقال الله تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا
وهم لا يسمعون اي لا يقبلون ولا يعملون به ومعنى قوله قالوا سمعنا وعصينا اي قالوا سمعنا قولك بالاذان
وعصينا امرك بالقلوب قال الاستاد في قولهم وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا بل كان بعده باوقات
لانهم لما ابوا قبول التوراة لما فيها من الشدائد رفع الله الجبل فوقهم ليهلكهم فقبلوها خوفا وقالوا سمعنا
واطعنا فلما زايل الجبل وخرجوا من تحته وامنوا قالوا عصينا وهو كقوله ثم توليتم وكان التولي بعد ذلك باوقات
وقيل كان السمع من ابائهم والعصيان من ابنائهم واشربوا اي خولطوا بينهم بين مكان الاشراب وموضعه
بقوله في قلوبهم العجل المعنى دخل حب العجل في قلوبهم كتداخل الصبغ الثوب وذلك بكفرهم
اي بسبب كفرهم تلخيصه ان حب العجل والحرص على عبادته رسخ في قلوبهم وتمكن في باطنهم كما تمكن وداخل
الثوب الصبغ وبعبارة اخرى جعلوا شاربين حب العجل نافذا في اعماقهم نفوذ الماء فيما يتغلغل يقال في الوصف
مشرب اللون اي مختلط البياض بالحمرة بحيث لا يفارق هذا عن هذا وفي قوله بكفرهم اثبات فعلهم واختيارهم
وهو دليل مذهب اهل السنة والجماعة ويجوز ان يقال ان الله عز وجل اشرب اي ادخل في قلوبهم ذلك وفي
هذا اثبات التخليق من الله عز وجل قل لهم بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة والمخصوص بالذم
محذوف تقديره ان تعبدوا العجل اي عبادة العجل واضافة الامر الى الايمان استهزاء بهم ان كنتم مؤمنين
۝ اي ان كنتم مصدقين بالتوراة فرضا وتقديرا ما امركم بعبادة العجل وساير القبايح حاصله ان ايمانا
يدعو الى عبادة العجل انما يليق باولئك الاشقياء وفي الشرطية تقرير لابطال دعواهم الايمان بالتوراة حيث قالوا

نؤمن

نؤمن بما انزل علينا قال الاستاد والمعنى ان كنتم مؤمنين كما تزعمون بان ايمانكم بالتوراة يامركم بقتل
الانبياء وعبادة العجل ونقض الميثاق وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فبئسما يامركم به ايمانكم وقال الاستاد
ايضا والمعنى بعبارة اخرى اي ان كان حب عبادة العجل يساوي ويعدل حب عبادة خالقكم فبئس الايمان
ايمان يامر العبد بالكفر وحقيقته ان هذا ليس بايمان اصلا بل هو كفر محض فان الايمان لا يامر بالكفر و
انما يامر بالخير والطاعة واضافة الامر الى الايمان مجاز ومعناه الدلالة والارشاد بطريق التسبب ونظيره
قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اي ان اداء الصلوة باركانها وشروطها وآدابها سبب للانتهاء
عن الفحشاء والمنكر وقال السدي وابن جريج لما رجع موسى الى قومه اخذ العجل فحرقه ثم جعل اجزاءه
كالهباء في الهواء بالمبرد ثم ذراه في اليم فلم يبق نهر يجري يومئذ الا وقع فيه منه شيء ثم قال لهم اشربوا منه
فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب فهؤلاء شربوا بافواههم واشربوا العجل في قلوبهم وقال
الحسن كان بقي منهم طائفة لم يتوبوا من عبادتهم العجل ولم يقبلوا ما جاء عن الله من التوبة وهم الذين
بقي حب العجل في قلوبهم وهم الذين قال الله تعالى ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب الاية اظهر الله
في هذه الايات افعالهم واقوالهم الفاسدة ثم رد فيما بعده ما كان لهم من ذلك من الاطماع الفاسدة فانهم
قالوا لن تمسنا النار ولن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه فامر الله نبيه بالرد
عليهم بان يقول لهم قل اي قل لهم يا محمد ان كانت لكم الدار الاخرة اي الجنة عند الله خالصة
اي خاصة بكم صافية سالمة لكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او خالصة منصوب
على انه حال من الدار وعند خبر كان قال الاستاد وخالصة منصوب على انه خبر لكانت واسم كان
هو الدار ويجوز ان يكون نصب خالصة على المصدر وان لم يجز الحال من اسم كان فمن المستكن
في لكم انتهى من دون الناس كلهم كما زعمتم او من دون محمد واصحابه فتمنوا الموت اي فاحبوا
الموت واسألوه من الله لانفسكم واصل التمني تقدير الشيء في النفس واكثر ما يستعمل فيما لا حقيقة له
ويعبر عن التمني باللسان ان كنتم صادقين ۝ في قولكم ان الجنة لنا ونحن اهلها لان من يعلم ان
الجنة مأواه يحن اليها ولا سبيل اليها الا بالموت وبعبارة اخرى ان كنتم صادقين في دعواكم لان من ايقن
ان الجنة له ماذا ابتغى في دار البلايا اي الافات قال الاستاد وتعلق بقوله فتمنوا الموت شرطان
على ان الشرط الاول وهو ان كانت لكم الدار الاخرة قيد في الشرط الثاني وهو ان كنتم صادقين اي
ان صدقتم في زعمكم انها لكم ومن كانت له يؤثر الوصول اليها والموصل اليها الموت فتمنوه واستريحوا
من دار البلاء والمحنة والافات انتهى قول الاستاد قلت ومعنى قول الاستاد وتعلق اي ارتبط
لان هذا التعلق معنوي لا نحوي فان قيل ان المؤمنين اجمعوا على ان الجنة للمؤمنين من دون غيرهم
ثم ليس احد منهم يتمنى الموت اذا قيل له اطلب الموت وتمناه فكيف وجه الاحتجاج على اليهود بذلك
قلنا ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم من الفضل والمرتبة عند الله ما جعل اليهود ذلك لانفسهم لانهم
ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وان الجنة خالصة لهم والانسان لا يكره القدوم على ابيه وحبيبه
ولا يخاف انتقامه بالرجوع والمصير اليه بل يرجو وصوله الى محابه فقيل لهم تمنوا ذلك فلما لم يتمنوا
ظهر كذبهم في دعاويهم ولان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تمني الموت قال لا يتمنين احدكم الموت

لضرٍ نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وقال
خباب بن الارت رضي الله عنه لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت
الله به وقال الشيخ فان قيل لو تمنوا الموت وماتوا بالتمني اليس قد كان انقضاء العمر دون الاجل
الذي جعل لهم واليس في ذلك الموت تقديم الاجال عن الوقت الذي كان اجلا لهم وقد قال الله لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قيل لهم في الجواب اذ اعلم الله عز وجل منهم في سابق علمه وازليته
انهم لا يتمنون جعل اجلهم ذلك ولو علم منهم انهم يتمنون الموت لكان يجعل اجلهم ذلك في الابتداء
وكذا هذا فيما روي كان صلة الرحم تزيد في العمر انه كذلك يجعل في الابتداء لا ان يجعل اجله الى وقت
ثم اذا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل او ينقص لتمنوا الموت عن الاجل المضروب له ولن يتمنوه ابدا
اي لا يشتهوا الموت ابدا ولن يسألوه في جميع زمان المستقبل لان ابدا اسم لجميع مستقبل الزمان كقط
لماضيه ولم يقع التمني من احد من اليهود اصلا وقطعا ولو احب الموت احد منهم لاشتهر ونقل الينا
خبر ذلك روي ان جماعة من المسلمين ومن تقدمهم احبوا الموت وفرحوا به عند تقدمه لعلمهم مصيرهم
كيوسف صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب حين قال لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وحذيفة
حين احتضر قال جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها
غيره وعمار حين قال بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه ولم يحبه احد من اليهود وهذا من
المعجزات التي ثبتت بها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكون القران من عند الله وذلك لانه اخبار بالغيب
حيث قال ولن يتمنوه ابدا وقد وقع كما قال روي ان اليهود لو تمنوا الموت لغص كل واحد منهم بريقه
ولما بقي على الارض يهودي الا مات وفي رواية لو تمنوا الموت لشرق كل يهودي بريقه ولم يبق
على وجه الارض يهودي قال ابن عباس كان الله حكم انه لا يتمنى الموت من بني اسرائيل من قرأ
التوراة وشهد بما فيها وانها من عند الله ثم كفر بما فيها الا مات من ساعته وعن نافع قال جالس
الينا يهودي يخاصمنا فقال الذي في كتابكم فتمنوا الموت وانا اذا اتمنى الموت فما لي لا اموت فسمع ذلك ابن عمر
فدخل بيته فاخذ السيف ثم خرج ففر اليهودي حين رآه فقال ابن عمر اما والله لو ادركته لضربت
عنقه توهم هذا الجاهل ان هذا لليهود في كل وقت اذا تمنى الموت يموت بل انما هو لاولئك الذين
كانوا يعادون النبي في حياته ويجحدون نبوته بعد ان عرفوا اذا تمنى الموت يموت وقال الامام
القفال لم يخل ذلك من احد الامرين اما ان علموا صدقه وانهم لو تمنوه لم يمهلوا وماتوا وفي ذلك دليل
على انهم عرفوا نبوته فعاندوه واما ان لم يعلموا ذلك ومنعهم الله عن هذا التمني وصرفهم عنه واحدث
فيهم ما ازال تمنيه عن قلوبهم وفي ذلك بيان صدق النبي لان هذا امر خارج عن العادات لا يفعله
الله الا لارادة معجزة تدل على نبوة نبي فان قيل ان هذا للتابيد ثم ذكر انهم يتمنون في النار فيقولون
يا مالك ليقض علينا ربك ويقولون يا ليتها كانت القاضية اي الموت قلنا في الجواب هذا التابيد
في الدنيا كما في قوله لن تراني بما قدمت ايديهم كما اي بما عملوا بانفسهم والعرب تضيف فعل كل
النفس الى اليد لحصول الفعل من اليدين غالبا وعلى متعارفهم نزل القران قال الله تعالى ذلك بما قدمت
يداك ذلك بما قدمت ايديكم وفي امثال يداك اوكتا وفوك نفخ ومعنى بما قدمت ايديهم اي بقتلهم

الانبياء

الانبياء وتغييرهم نعت النبي وتكذيبه قال الاستاد معناه بسبب تقديم ايديهم الذي فعلوه
في الدنيا من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم في دعواهم وقال ايضا وانما اسند فعل جملة البدن الى
اليد لانه جناح الانسان ومحل ايثار قدرته وبها اكثر اعماله والله عليم بالظالمين اي
بحقيقة هولاء وهم ظالمون بهذه الافعال وخصهم بعلمه بظلمهم وان كان الله عالما بهم وبغيرهم
لانه اراد به تخصيصهم بالتهديد الشديد وهو ابلغ وعيد قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون تخصيصه والله عليم بالكافرين فيجازيهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
ادخل لام القسم على تجد التي بمعنى العلم المتعدية الى مفعولين المفعول الاول هو هم والمفعول الثاني
احرص واصل الحرص الطلب وفرط الشره وافعل التفضيل اذا اضيف الى جملة هو بعضها لم يحتج الى
ذكر من كقولك زيد افضل الناس ولا يضاف الى جملة ليس بعضها لان المراد تفضيل الشيء على جنسه
فلا يقال زيد افضل اخوته لان اخوته غيره بدليل انه لو سئل عن اخوة زيد لقيل بكر وعمرو وخالد
لم يدخل زيد فيهم ولو قلت زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة وعليه قوله تعالى ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة لان اليهود من الناس وان صار بعضهم قردة وخنازير واراد بقوله على
حيوة اي حياة متطاولة ولذلك نكر الحيوة فانى لهم تمني الموت قال الاستاد والمعنى والله يا محمد لتجدن
اليهود احرص الناس واشدهم ولوعا وافرطهم في الشره على حيوة متطاولة فانى لهم تمني الموت
انتهى ثم بالغ في توبيخهم بقوله ومن الذين اشركوا وانما قدرنا احرص لدلالة احرص
الناس عليه واذا اختلف الجنسان جيء في التفضيل بمن فقيل زيد افضل من اخوته والخيل افضل من
الحمير فعلى هذا ومحل من الذين اشركوا جر لاضافة احرص المحذوفة اليه والمراد بالذين اشركوا المجوس
او اليهود الذين قالوا عزير ابن الله واذا كان المراد باليهود الذين قالوا عزير ابن الله فالمعنى حينئذ
ومن هولاء اليهود اناس وافرد المشركين بالذكر وان كانوا من الناس لشدة حرصهم على الحيوة وانما
كان هولاء اليهود احرص من المشركين على الحيوة لعلمهم ما هم صائرون اليه من العذاب قال الحسن
ومقاتل هم مشركو العرب وانما كان اليهود احرص على الحيوة مع انهم مقرون بالبعث والقيامة من المجوس
والمشركين وهم ينكرون البعث لما قال ابن عباس ان اليهود عرفوا ما لهم في الاخرة من الخزي والنكال بما صنعوا
من الظلم مع العلم يود اي هولاء اليهود قوم يتمنى ويحب ويريد احدهم لو يعمر الف سنة
اما حقيقة اي تعمير الف سنة بالتمام او المقصود المبالغة في الحيوة حتى انه لا يموت ابدا ولو مصدرية بمعنى
ان وهي بصلتها في تاويل مصدر مفعول لقوله يود قال الاستاد والمعنى يتمنى احدهم ان يعطى العمر والبقاء
الف سنة قال ابو الخير وانما كان هولاء احرص من المشركين على الحيوة لعلمهم ما هم صائرون اليه من
العذاب فعلى هذا يكون الوقف على حيوة ويتم على اشركوا ان جعلت يود مستانفا اي هولاء قوم يود اي
يتمنى وان جعلت اشركوا كلاما مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف موصوف كقوله وما منا الا له
مقام معلوم لم تقف على اشركوا ووقفت على حيوة وكذلك لا تقف على اشركوا ان جعلت يود حالا من
الذين اشركوا اي وادا احدهم فعلى هذا الذين اشركوا المجوس وان جعلتها حالا من هم في لتجدنهم اي
لتجدنهم احرص الناس وادا احدهم لو يعمر الف سنة فعلى هذا الذين اشركوا اليهود الذين قالوا عزير ابن الله

نعلى هذا لا وقف على اشركوا ولا على حيوة لئلا يفصل بين الحال وصاحبها ولو هنا ليست التي يمتنع بها الشيء
لامتناع غيره وانما هي بمعنى ان الناصبة للفعل ولم تنصبه وفيها معنى التمني والمعنى تمنى احدهم تعمير الف
سنة وانما خص هذا العدد لانه من تحية المجوس يقولونها فيما بينهم عند العطاس ويقولون عن المجوس
عند العطاس تعيش عشر الف سنة والف نيروز والف مهرجان وهذه التحية بالعجمية بزى هزار سال
والضمير في قوله وما هو لاحدهم فالاحد الذي يرجع اليه الضمير اسم لما اي وليس الاحد الذي ود
ان يعمر الف سنة بمزحزحه اي بمباعده ومنجيه من العذاب بالنار ان يعمر الزحزحة
المباعدة تكون لازما ومتعديا تقول زحزحته فتزحزح وزحزحته فزحزح قال الاستاد وضمير
هو لاحدهم واحد على هذا اسم لما ومن العذاب خبر لما وان يعمر مرفوع بمزحزحه اي فاعل المزحزحه
كما يرفع الفعل فاعله تلخيصه وما احدهم بمنجيه من النار تعميره او وما يزحزح احدا منهم من العذاب
تعميره اي طول عمره ويجوز ان يرجع هو للتعمير وان يعمر بدل من هو او هو ضمير مبهم وان يعمر
يفسره قال ابو بشر واصل سنة في قوله الف سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل اصله سنهة
كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون
اي والله المطلع على كل شيء بصير بما تعملون فيجازيهم على ذلك قرأ يعقوب بالتاء على الخطاب لانه خطاب
مع الحاضرين وتذكيرهم والباقون بالياء على الغيب لانه حكاية عن غائبين قال عبد الله بن صوريا
اليهودي وكان بينه بعد ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم من الذي ياتيك بالوحي من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدو
ولو كان غيره لآمنا بك ثم بين سبب عداوته فقال ان الله انزل على موسى ان بيت المقدس سيخربه
رجل اسمه بخت نصر فبعثنا رجلا قويا لقتله فوجد غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفعه عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وان لم يكن هو فلم تقتلونه فكبر بخت نصر وبلغ
حد الرجال وذهب الى بيت المقدس فخربه وايضا ان الله امر جبريل بوضع النبوة فوضع في غيرنا وفي
رواية ان اليهود قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من صاحب محمد من الملائكة فقال جبريل فقالوا هو
عدونا ياتي بكل عذاب وميكائيل ياتي بالخصب والسلم فقال لهم عمر اخبروني عن مقام جبريل وميكائيل
ومنزلتهما عند الله فقالوا جبريل عن يمين الله وميكائيل عن يساره وجبريل عدو لميكائيل فقال عمر اشهد
انه من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل ومن كان عدوا لهما فانه عدو لله فنزل قوله تعالى موافقا
لما قاله عمر امرا نبيه قل اي قل يا محمد لليهود من كان عدوا لجبريل جواب من محذوف
اي فليمت غيظا وفي جبريل سبع لغات او خمس عشرة بينها في المطولات ومعناه على اللغات كلها عبد الله
او عبد الرحمن وجبريل اسم غير عربي عربته العرب وفي تفسير البكري واسم جبريل في الملائكة خادم الله
وفي حديث ابي امامة واسم جبريل عبد الله واسم ميكائيل عبيد الله واسم اسرافيل عبد الرحمن وملك الموت
موكل بقبض الانفس وميكائيل موكل على النبات والقطر وجبريل على الرياح والجنود ذكره هذا عند قوله
تعالى فان الله عدو للكافرين يقول الفقير مؤلف هذا الكتاب واني بحمد الله رأيت جبريل في مبشرات
على احسن صور ملكية وادمية عند النبي في حجرته فكلمني وقال اني احبك واحب من يحبك وذكر لي
اشياء واعطاني اشياء فظهر اثارها بحمد الله قرأ حمزة والكسائي وخلف والعليمي عن ابي بكر جبريل

هنا وفي التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء وقرأ ابو بكر من طريق يحيى بن آدم
كذلك الا انه يحذف الياء وقرأ ابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز والباقون كذلك الا انهم
يكسرون الجيم والكل لغات ولم ينصرف جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل للعجمة والتعريف فانه
نزله اي ان جبريل نزل القران والهاء الثاني للقران وان لم يسبق له ذكر كانه علم لفرط شهرته
لا يذهب الوهم الى غيره ويمكن ان نقول وقد تقدم ذكر القران عند قوله ويكفرون بما وراءه فتصح صرف
قوله نزله اليه ونظير هذا ضمير انا انزلناه على قلبك اي اوحاه اليك وقذفه في قلبك او نزله
عليك لتحفظه بقلبك او تثبيتا لقلبك وهذا انتقال للخطاب تعظيما وتفخيما لشان النبي صلى الله عليه وسلم
بالاقبال عليه وهو في معنى حكاية كلام الله للنبي صلى الله عليه وسلم قال الاستاد وفي على دلالة على ان
المنزل اخذ بمجامع قلبه صلى الله عليه وسلم باذن الله اي بامر الله وارادته وتيسيره وهو حال من فاعل
نزل قال القفال رحمه الله في معنى قوله نزله على قلبك اي اخبرهم انه نزله على قلبك ولو قال على
قلبي جاز على حكاية اللفظ الذي يقول لهم كقولك قل لفلان ان الخبر عندي كذا ويجيء عندك كذا قال
الشيخ يقول الباطنية ان القران لم ينزل على رسول الله بالاحرف التي يقرأها لكنه الهام نزل على قلبه ثم
هو صوره بهذه الاحرف وهذا باطل وزور وكذب وافتراء لانه لو كان كذلك لزال موضع الاحتجاج عليهم
بقوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين
اذ كان لهم ان يقولوا انزل على لسان العجم لكنه غيره ذلك بلسانه وقال الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به اي مخافة الذهاب والنسيان وقال الله عز وجل ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
فدلت هذه الايات على بطلان قولهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله المستقيم وقربهم الى سواء الجحيم
مصدقا حال من نزله او مفعوله لما بين يديه اي لما قبله من الكتب الالهية كتوراة والانجيل والزبور
وساير الكتب والصحف وهدى اي هاديا للمؤمنين من الضلالة وهو ايضا اما حال من نزله او مفعوله
وبشرى اي مبشرا بالجنة وهذا ايضا اما حال او مفعول لنزل للمؤمنين ونظيره هدى للمتقين
قال الاستاد وجواب من في قوله قل من كان عدوا لجبريل اما مقدر تقديره من كان عدوا لجبريل
فلا وجه لعداوته لانه نزل القران المصدق لكتابه فهو حقيق بان يصادق ولا يعادى ومن عاداه
فقد خلع نفسه عن دين الله لان سبب المعادات ما ذكر نزوله بالقران ومن كره ذلك فقد كفر فاقيم ما ذكر
من العلة مقام الجواب او تقديره من كان عدوا له فلعداوته وجه لانه اتى بما يكره ويزيل رياسته او تقدير
من كان عدوا لجبريل فليمت كمدا وغيظا فانه نزل القران على قلبك وجواب من الشرطية هو قوله
فانه نزله على قلبك الى اخره من كان عدوا لله اي قل لهم يا محمد من كان معاديا لله اي كافرا
بما جاء منه فحذفت كما تقدم انفا وملائكته ورسله وجبريل وميكال والواو هنا بمعنى او وعطف
جبريل وميكائيل على الملائكة من عطف الخاص على العام وذلك لتفضيلهما وتفخيمهما وعلو شانهما ورفعة
مقامهما عند الله وانما ذكر الرسل مع الملائكة لان الرسل والملائكة دعاة الخلق الى الله عز وجل فهم متفقون ومعاداة
احدهم معاداتهم جميعا وهو كقوله كذبت قوم نوح المرسلين وهم ما ادركوا الا رسولا واحدا القراءة ميكال بلا همز
ولا ياء والقراءة ايضا بهمزة بعدها ياء بعد الالف او بياء بعد الهمزة وانما ذكر جبريل وميكال مع ذكر الملائكة في الحال

انها داخلان في الملائكة ليكون انفى للشبهة وابعد من التاويل كيلا يقول اليهود انهما غير داخلين
في جملة الملائكة او احدهما غير داخل فيهم فان الله عدو للكافرين وما كان عداوة الله
لهولاء اليهود لكفرهم ذكرهم بالمظهر دون المضمر اى قال للكافرين دون لهم تخصيصه من كان عدوا لله
او ملئكته او رسله او جبريل او ميكائيل فان الله عدو له ويعذبه على ذلك وفي الغاية وفي الكلام دلالة
على ان عداوة كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع فقط ونزل لرد قول ابن صوريا للنبي صلى
الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء يا محمد او ما جئتنا باية نعرفه ولقد انزلنا اليك يا محمد ايات بينات
وهذا حال اى واضحات مفصلات بالحلال والحرام قيل اراد بالايات امره عز وجل لنبيه بقل من كان
عدوا لجبريل الى للكافرين في الرد على من بغض جبريل كابن صوريا وساير اليهود مع الايات التي ذكرت
في هذه السورة للاخبار هو قصصهم التي لا معرفة لها الا عند احبارهم ومن ذلك اجوبة النبي لسوالات
ابن صوريا حيث سال فقال يا محمد كيف نومك فانا اخبرنا عن نوم النبي الذي في اخر الزمان فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناي وقلبي يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرني عن الولد امن الرجل
يكون ام من المراة قال اما العظم والعصب والعروق والشحم فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر
فمن المراة قال صدقت يا محمد قال وما بال الولد يشبه اعمامه ليس من شبه اخواله فيه بشيء او يشبه
اخواله ليس فيه شيء من شبه اعمامه فقال ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت
وساله عن الطعام الذي حرم اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله
حرم على نفسه احب الطعام واحب الشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه
البانها فحرمهما على نفسه وسال عن اول نزل اهل الجنة قال الحوت والنور ثم قال بقيت خصلة ان قلتها
امنت بك واتبعتك اى ملك ياتيك بما تقول من الله قال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة
ورسولنا ميكائيل ياتي باليسر والرخاء ولو كان ميكائيل لامنا بك وصدقناك فقال له عمر وما بدء عداوته
لكم قال عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد عداوته لنا ان الله انزل على نبينا موسى ان بيت المقدس
سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر الى اخر ما مر ذكره قريبا قال القفال المراد بالايات العلامات
الواضحات على صدق نبوة نبينا التي لا تخفى على احد صحتها ومن ذلك جوابات سوالات ابن صوريا
انتهى وما يكفر بها الا الفاسقون اى ولا ينكر تلك الايات الا الخارجون عن طاعة الله وامره
تمردا او الخارجون عن الاديان وان ظهروا انهم متمسكون بها فان اليهود خرجوا بتكذيب محمد عن
شريعة موسى واما اهل الانصاف فقد امنوا مثل عبد الله بن سلام واصحابه واللام في الفاسقون
للجنس اى الكاملون في الفسق ويجوز ان يكون للعهد مشارا بها الى اليهود ليقع الحصر بالا موقعه ثم ادخل
همزة الاستفهام التوبيخي على واو العطف على محذوف دل عليه المعنى تقديره اكفروا اهل الانجيل وهم اليهود
بالايات البينات وكلما عاهدوا اى اليهود مع الله عهدا وميثاقا على الايمان بمحمد ان
بعث مبعثه قالوا لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج كفروا به او المراد بالعهد ما كان بين اليهود وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهود ان لا يعاونوا المشركين عليه فنقضوا العهد وعاونوا المشركين عليه
كما فعل ذلك قريظة والنضير وعهدا مصدر في نصبه من غير لفظ الفعل المذكور [redacted]

القراة

القراة بفتح الهمزة والواو وقرئ بسكون الواو تقديره الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا او تقدير بعبارة
اخرى اى الا الذين فسقوا او نقضوا العهد فعلى هذا لا يتم الوقف على الفاسقون وقرئ عوهدوا واو
عهدوا وجواب كلما نبذه اى طرحه والقاه ورماه وقرئ نقضه واصل النبذ الالقاء والمراد هنا
نبذ الذمام وطرح العهد فريق منهم وقيده بفريق وطايفة لان بعض اليهود من لم ينقض العهد
وفي التيسير الفريق الطايفة ويكون القليل والكثير وظهر بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون انه اراد بالفريق الكثير
انتهى قلت ودل كلما ايضا على وقوع النقض منهم كثيرا اخرها نقض قريظة عهد النبي يوم الاحزاب
وفي تسهيل البكري والنابذ هو مالك ابن الصيف انتهى بل للانتقال اكثرهم لا يؤمنون اى
لا يؤمنون بالتوراة ولا بالوفاء بالدين فلا يعدون نقض العهد قال البيضاوي وفي هذا رد لما
يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء انتهى ولما جاءهم
رسول بعد رسول من عند الله كعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم مصدق كل واحد من الرسولين
لما معهم من التوراة نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اى اعطوا علم الكتاب وهم احبار اليهود
كتاب الله وهو التوراة وراء ظهورهم مجاز عن عدم الالتفات الى الكتاب والاعتناء به فان
الكتاب كان بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به قال سفيان بن عيينة ادرجوا التوراة في الحرير
والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فهذا هو النبذ وراء الظهور قال
الاستاد انهم لم يعملوا بما في التوراة من الايمان بمحمد وغيره كانهم لا يعلمون انها ثابتة ولم يتدبروا معانيها
من ان محمدا نبي حق ورسول صدق او كانهم من جهلهم لم يعلموا انه كتاب الله قال الكواشي ومفعول نبذ
هو كتاب الله ومفعول اوتوا هو الكتاب لا كتاب الله قيل اراد بكتاب الله الانجيل او القران وكفى الوقف
على لا يعلمون لعطف قوله واتبعوا على نبذ تقديره نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا اى اليهود ما تتلوا
اى ما تلت وقرات وعملت به الشياطين من كتب السحر والشياطين شامل لشياطين الانس والجن
على ملك سليمان والمضاف هنا محذوف اى على زمن ملك سليمان او على عهد ايام سليمان من
السحر وذلك ان الشياطين دفنوا كتب السحر تحت كرسي سليمان لما نزع ملكه وكان سليمان لا يعلم الغيب
او ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما يسمعون كذبا كثيرا ويلقونه الى الكهنة والكهنة
يعلمونه وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب فجمع سليمان بعض كتب السحر ودفنها تحت
كرسيه لانه كان مبيع لتطلب الباقي فلما مات سليمان قبل دفن الجميع دلت الشياطين الناس على الكتب
فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالت الشياطين انما تم لسليمان ملكه وغلبته عليكم وتسخير الانس والجن
والطيور والرياح وساير الاشياء له بهذه الكتب والعلم فتعلمه الناس ورفضوا كتب انبيائهم فقال
الله تعالى ردا على اليهود في قولهم انظروا الى محمد يذكر سليمان بين الانبياء وما كان الا ساحرا او تبراه الله
عز وجل بنبيه سليمان من هذا الافتراء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والكذب ذلك ولذلك كرر ذكره
لا مضمرا بقوله وما كفر سليمان بالسحر وعمله اى ما فعل سليمان شيئا مما نسب اليه من السحر لانه كفر
وانما يكفر الساحر والمنجم اذا اعتقد تاثيره استقلالا او انضم اليه ما هو كفر كعبادة الكواكب والاهوى
اكبر الكباير ولما تعلمه من غير اعتقاد تاثيره فكذلك من الكباير الا اذا دعت اليه حاجة بان فشى في ناحية

والذي يبين فساده ورد الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة للذب عن الدين ودفع الشبهة قال البكري
في تسهيله وفي هذا دليل على ان السحر كفر وهو كذلك اذا كان فيه اعتقاد الوهية كوكب من الكواكب
ونحو ذلك ولكن الشياطين كفروا باعتقاد السحر وعمله اي كتبوه ودونوه وعملوا به للاغواء وتخصيصه
وما سحر سليمان فلم يكفر لانه لم يسحر ولكن الشياطين سحروا فكفروا به وقيل معناه وما ستر سليمان
كتب السحر بل الشياطين ستروا لان الكفر جاء بمعنى الستر القراءة بتخفيف نونه لكن ورفع الشياطين مبتدأ
والقراءة ايضا بتشديد النون ونصب الشياطين ومثله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى ومحل يعلمون
الناس السحر اي اغواء واضلالا وهو نصب على انه حال من ضمير كفروا قال الامام الكواشي واصل
السحر العلم والحذق بالشيء وله وجود حقيقة عند اهل السنة والعمل بالسحر كفر قالوا وكذلك تعلمه للعمل به
ايضا كفر وتعلمه لاجتنابه ليس بكفر وعن الشافعي رضي الله عنه انه يخيل ويمرض ويقتل ويوجب
القصاص على من قتل به انتهى وفي الغاية السحر لغة الصرف حكاه الازهري عن الفراء ويونس ولا يظهر
الا على يد فاسق شرير ولا بد له من قول او فعل محرم كما ان الكرامة لا تظهر الا على يد مؤمن متق انتهى قال
البيضاوي والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب
الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر
عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعاونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة
اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه انتهى ومحل قوله
وما انزل على الملكين النصب لانه معطوف على السحر قبله اي ويعلم الشياطين الناس السحر والذي
انزل على الملكين اي الهم اليهما او عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما تتلوا او واتبعوا ما انزل على الملكين
والملكان انزلهما الله لتعليم السحر ابتلاء منه للناس ولا يدل ذلك على جواز تعلم السحر مطلقا لانه انما يجوز
تعلمه ليجتنب كما لو سئل انسان عن الزنا لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتنبه وهما من ملائكة الله ولا يلزم
من التعلم عدم العصمة ان كان عن امتحان لا عن اعتقاد بدليل النصيحة والتبري قال هما جبريل وميكائيل
وقيل ليسا من الملائكة اذ في قراءة شاذة الملكين بكسر اللام وعليه هما علجان ساحران يعلمان السحر ببابل
واغربوا وابعدوا عن الحق من قال هما داود وسليمان ببابل متعلق بكائنين وهو بلد في سواد العراق
قال البيضاوي وهو ظرف او حال من الملكين او من الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة
قال احمد الكواشي الملك لا يعلم الناس السحر وانما يصفه لهم فيتعلم السحر من وصفه لهم او انه
يعلم السحر فالشقي يتعلمه فيكفر والسعيد يتركه فيبقى على الايمان انتهى وبابل غير منصرف لانه اعجمي واسم للبلد
وسميت بابل لتبلبل الالسن اي اختلاف الالسن بها عند سقوط صرح نمرود ويجعل هاروت وماروت
بدلين من الملكين او عطف بيان لهما ولم ينصرفا للعجمة فيهما او تعريفهما ولو كان من الهرت والمرت لانصرفا ومن
جعل ما في قوله وما انزل نافية ابدل هاروت وماروت من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض
ويرد هذا البدل قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان المغوي قال الاستاذ ومن
جعل ما نافية فهو معطوف على وما كفر سليمان والمعنى على هذا لم يكفر سليمان ولم ينزل الله السحر على الملكين
وقرئ هاروت وماروت بالرفع على انهما خبر مبتدأ محذوف اي هما هاروت وماروت وقصتهما مختصرا
على

٢ على ما ذكره الشيخ الامام احمد الكواشي ان الملائكة رأت ما يصعد من ذنوب بني آدم فعيروهم قالوا
هؤلاء الذين اخترتهم يعصونك فقال الله عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا
سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال فاختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من خيارهم
فاهبطا الى الارض يقضيان بين الناس نهارا وعند المساء يذكران اسم الله الاعظم ويصعدان الى السماء
وكانا قد نهيا عن الشرك والقتل بغير حق والزنا وشرب الخمر فجاءتهما الزهرة امرأة من اجمل
النساء تخاصم زوجها اليهما فوقعت في انفسهما فسألاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي عليه
ففعلا ثم سألاها فقالت لا الا ان تقتلاه فقتلاه ثم سألاها نفسها فقالت لا الا ان تصليا معي
لصنمي ففعلا وقال علي وغيره قالت لهما لن تقدرا علي حتى تخبراني بم تصعدان الى السماء فقالا
باسم الله الاعظم فقالت ما انتم بمدركي حتى تعلمانيه فعلماها فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخت
كوكبا قالوا هي الزهرة المعروفة وانكر هذا بعضهم وقال الكواكب السبعة التي هي في السماء منذ خلق
السموات وخلق فيها الكواكب اللهم الا ان يكون كوكبا اخر يشبه الزهرة وقال من انكر ايضا والزهرة
التي فتنتهما كانت تسمى زهرة لجمالها لا زهرة السماء فلما علم الملكان ما حل بهما قصدا ادريس فاستشفع
لهما فخيرهما عز وجل بين عذابي الدنيا والاخرة فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما معلقان
بشعورهما او منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة وما يعلمان اي الملكان كيفية السحر
من زائدة احد اي احدا حتى يقولا له نصحا انما نحن فتنة اي ابتلاء
واختبار من الله للناس فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به فيقولان له سبع مرات فان ابى الا التعليم علماه واصل الفتنة الاختبار والامتحان
ومنه فتنت الذهب ووحدت الفتنة لانها مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع فيتعلمون منهما
اي من الملكين ما يفرقون به اي بسببه بين المرء وزوجه وهو ان يبغض كل
واحد منهما الى صاحبه تحضيضه تعلمون منهما من السحر ما يكون سبب تفريقهما بعدما كانا مجتمعين
وما هم اي المتعلمون وهم السحرة بضارين به اي بالسحر من زائدة احد اي احدا الا باذن
الله اي الا بارادة الله وعلمه وتيسيره وفي الغاية والسحر سبب من الاسباب غير مؤثر بالذات
بل بامر الله وجعله تخصيصه فالساحر يسحر والله تعالى يكون او بتخليته الله تعالى قال الحسن من
شاء الله منعه ولم يضره السحر ومن شاء الله خلى بينه وبين السحر فضره ويتعلمون من السحر ما
يضرهم في الاخرة ثم بين ان لا نفع في السحر اصلا فقال ولا ينفعهم بالثواب عند الله اصلا
قال بعضهم معناه ويتعلمون ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في الاخرة ثم اكد عدم نفع السحر بادخاله
اللام الموطئة للقسم على من الشرطية المرتفعة بالابتداء فقال ولقد اي بالتحقيق علموا اي اهل
الكتاب الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واتبعوا السحر وهم اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر
على كتاب الله اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله قال الاستاذ والاظهر ان اللام لام
علقت علموا عن العمل ومن موصولة وجواب القسم ما له في الاخرة اي في الجنة من خلاق اي
من نصيب ولبئس ما اي شيئا شروا اي باعوا به اي بالسحر انفسهم اي انفس الشارين

اى حظ انفسهم من الاخرة ان تعلموه حيث اوجب لهم النار قال الاستاد ولبئسما جواب قسم
محذوف او عطف على جملة القسم وجوابه فى قوله ولقد علموا او على الجواب وهو ماله فى الاخرة وعطف
الانشاء على الاخبار شايع كثير ولقد مر حقيقة قوله ولبئسما قريبا وجواب قوله **لو كانوا يعلمون**
محذوف تقديره لو انتفعوا بعلمهم لامتنعوا من السحر لتخصيصه لو علموا امر قبح السحر على اليقين او لو علموا
حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموا السحر اثبت لهم العلم اولا على طريق التوكيد حيث قال
ولقد علموا ثم نفى العلم عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ومقتضاه دلالة على ان من لم يعمل بعلمه كالجاهل
الغبى الذى لا يعلم فان العلم بالقبح للارتداع ولا انزجار عن القبيح فحيث لا ارتداع لا نفع وما لا نفع فيه كالعدم
وقيل العلم المثبت اولا العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل وفيه ان الكلام مع اليهود الذين نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون اصلاح رصانة بما فى كتاب الله **ولو انهم امنوا**
اى لو وقع ايمان اليهود بالقران والنبى او ولو ان اهل الكتاب والسحرة امنوا بالقران والنبى
واتقوا عقاب الله بترك الشرك وهو اليهود به والسحر وجواب لو محذوف اى لاثيبوا دل على الحذف
قوله **لمثوبة من عند الله خير** اى لثواب الله لهم اى عوض عملهم لهم من عند الله على ايمانهم
بالقران والنبى وتقواهم خير لهم مما شروا به انفسهم وهو كفرهم وسحرهم ورميهم كتاب الله وراء
ظهورهم ومثوبة مفعلة من الثواب وثاب بمعنى رجع سمى ثوابا لانه عوض من عمله يرجع اليه قال
بعضهم وجواب لو مذكور وهو اللام فى قوله لمثوبة وهو مبتدا واللام فيه للقسم ومن عند الله
صفته وخير خبر المبتدا قال الاستاد رحمه الله وخير افعل التفضيل وليس مرادا هنا اذ لا خير فى
السحر فهو لبيان المثوبة اى خير من كل ما سوى ذلك كما فى قوله افمن يلقى فى النار خير وكما يقال الرجوع
الى الحق خير من التمادى فى الباطل **لو كانوا يعلمون** اى لو كانوا يعملون بعلمهم لعلموا ان
ثواب الله خير لما اثروا عليه ويجوز حمل لو على التمنى فى الموضعين المذكورين انفا والمعنى انهم على حال
يتلهف الناظر فيها عليهم وكان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا سمعك من المراعاة اى فرغ
سمعك لكلامنا وكانت سبا وشتما بلغة اليهود بمعنى الحمق والرعونة ففرحوا بذلك وقالوا كنا
نسب محمدا سرا فاعلنوا الان فكانوا يقولونها للنبى صلى الله عليه وسلم ويضحكون فسمعها سعد بن معاذ
فقال لئن سمعت احدا يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فنزل **يا ايها الذين**
امنوا لا تقولوا للنبى **راعنا وقولوا انظرنا** اى قولوا بدل راعنا انظرنا اى انظر الينا برعايتك ع١٨
وانتظرنا وتان بنا ولا تعجل علينا او فهمنا وامهلنا قال الحسن كل شىء فى القران يا ايها الذين
امنوا فانها نزلت بالمدينة **واسمعوا** اى واسمعوا واطيعوا لما تؤمرون به وما نهيتم عنه سماع قبول
لا كسماع اليهود او اسمعوا لما انزل عليكم من الرسول مع الاحسان بالاتباع او اسمعوا كلامه باذان واعية
حتى لا تحتاجوا الى كلمة راعنا التى نهيتم عنها **وللكافرين عذاب اليم** اى ولليهود الذين
تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب مؤلم وهو النار وكان المسلمون يقولون لليهود الذين يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير امنوا بمحمد فيقولون ليس ما تدعوننا اليه خيرا مما نحن عليه
ولوددنا ذلك لو كان خيرا فنزل تكذيبا لهم **ما يود** والود حب الشىء مع التمنى **الذين كفروا**

ثم بين

ثم بين الكافرين بقوله **من اهل الكتاب** اى اليهود **ولا المشركين** عطف على اهل الكتاب ولذلك ٣
جر والمراد مشركوا العرب قال احمد الكواشى والشرك وضع الشىء مع مثله انتهى **ان ينزل**
عليكم من زايدة لتاكيد الاستغراق **خير** اى خير **من ربكم** حسن والمراد بالخير الوحى ومحل
جملة ان ينزل الى اخره النصب بقوله يود ومن فى من ربكم لابتداء غاية الانزال لتخصيصه يرون
اليهود انهم احق منكم بنزول الوحى عليهم فلا يحبون نزوله عليكم حسدا لكم **والله يختص** اى
يخص وينفرد **برحمته** بنبوته ووحيه واصل الخصوص والاختصاص الانفراد بالشىء **من يشاء**
اى من يشاء اختصاصه واقتضت حكمته اذ ليس لاحد عليه حق فلا عبرة بكراهة اليهود تعلقهم نزول
الخير عليكم وفسر بعضهم الخير بالوحى وبالعلم والنصرة وسائر ما فيه نفع للمسلمين **والله ذو الفضل**
العظيم لابتدائه بالفضل والاحسان كرر الثناء على نفسه اشعارا بانه انزل علينا رحمة
عظيمة له بها علينا فضل عظيم ومنة جسيمة ليعلم سعة فضله وكثرة انعامه لتخصيصه والله ذو الفضل
العظيم من حيث انه خص فردا من البشر من بنى نوعه بالرسالة التى لا رتبة فوقها بعد الالوهية
ولذلك خاطب سيد الرسل والانبياء تارة بقوله وكان فضل الله عليك كبيرا واخرى بقوله وكان
فضل الله عليك عظيما طعن المشركون فى النسخ وقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يامر اليوم بامر وحكم
ثم ينهى عنه غدا ويامر بخلافه وبما يناقضه ولا يامر الا من تلقاء نفسه وكانوا يقولون ايضا
لا ينسخ شريعة بغيرها فنزل تبيينا لحكمة النسخ **ما ننسخ** وما شرطية وننسخ مجزوم بها ومحل ما
النصب بننسخ كقوله اياما تدعوا والنسخ لغة ازالة شىء بشىء يعتقبه ومعنى الازالة الرفع كنسخ
الشمس الظل يقال نسخت الشمس الظل وهذا المعنى فى هذا المحل احسن اذ القران بعضه ناسخ و
بعضه منسوخ وفيه تمام مناسبة لقوله نات بخير منها ويكون النسخ فى اللغة ايضا بمعنى التحويل
والنقل وعلى هذا كله منقول ومنسوخ اى مكتوب ومحول لانه نقل من اللوح المحفوظ وفى الشرع
بيان انتهاء حكم شرعى بحكم اخر يعارضه او بيان رفع تعلق حكم شرعى ومآل العبارتين واحد كامر القبلة
فانه كان مشروعا الى المدة المعلومة فلما قال فول وجهك شطر المسجد الحرام انتهى حكم الاول قال
ابن الحجر والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشىء واثباتها فى غيره كنسخ الظل الشمس اى اذهاب الشمس الظل
ومنه التناسخ ومناسخة المواريث ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب
اى نقلته من نسخة الى نسخة اخرى والنسخ فى الشرع فى الاية هو بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد
منها او هو بيان انتهاء التعبد بقراءة الاية مع انتهاء الحكم المستفاد من الاية جميعا القراء ننسخ بفتح النون
والسين من نسخ والقراءة ايضا ننسخ بضم النون الاولى وكسر السين من انسخ اى نامرك او جبريل
بنسخها او نجدها منسوخة يقال نسخت الكتاب كتبته وانسخته غيرى جعلته نسخة له **من**
اية فى محل النصب على انه تمييز لما والنسخ قد يكون للحكم والتلاوة كقول عائشة رضى الله عنها كان
مما يتلى عشر رضعات يحرمن فنسخ بخمس رضعات وقد يكون النسخ للتلاوة دون الحكم وهو ما روى
عن عمر رضى الله عنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة جزاء بما كسبا نكالا من الله والله
عزيز حكيم قال عمر رضى الله عنه لولا ان يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لاثبتها فى المصحف

لئلا يقول احدٌ انا لم نجد في كتاب الله الا انا قد قرأناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون
النسخ للحكم دون التلاوة كاية العدة بالحول اى نسخ الاعتداد بحول ونقله الى الاعتداد باربعة اشهر وعشر
وفى النسخ تخفيف ظاهر قال الاستاد وما نسخ حكمه وبقيت تلاوته وهى الايات التى فيها الامر بترك
القتال نسخت باية السيف وبقيت تلاوتها وفايدة بقاء تلاوة المنسوخ فى الحكم دون القراءة حصول
الثواب بقراءتها **او ننسأها** قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح النون الاولى واسكان الثانية وفتح السين
وبعد ها همزة ساكنة والمعنى او نتركها بلا نسخ وجاء ننسأها بمعنى التاخير يقال انسأ الله فى اجله
اى اخر فيه والمعنى نؤخرها فلا نبدلها قال الاستاد مثاله فى التاخير بان يرفع تلاوتها ويؤخر
رفع حكمها كاية الشيخ والشيخة الى اخره والتاخير بمعنى الترك اى او نؤخرها اى نتركها فى اللوح المحفوظ
فلا ننزلها وقرأ الباقون ننسها بضم النون الاولى وكسر السين بغير همز ومعناه ننفيها على تلك بغير ناسخ
او نامر بتركها قال احمد الكواشى وننسها بقراءة الثانى من النسيان ضد الذكر اى او ننسكها وقرى
ننسكها نقل الفعل بالهمز فتعدى الى مفعولين الاول هو النبى لان كاف الخطاب له واسمه متروك والثانى
الهاء راجع للاية وقرى ننسّها مشددًا او تَنسَها وتُنسَها خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم وقرى ما ننسك
من اية او ننسخها وجواب الشرط **نأت بخير منها** اى بما هو انفع لمصالح العباد من حيث التخفيف
عنهم لا ان اية خير من اية والناسخ غالبا يكون اسهل من حيث النفع من المنسوخ او كثرة الثواب كتخصيص
كل اية ننذهب بها او بعناها او بمعناها نجئ بما هو اسهل واكثر ثوابا منها **او مثلها** اى فى المنفعة والتكليف
والثواب قال الشيخ رحمه الله والمعنى ما نرفع من اية اى من حجة فنغيبها عن الابصار نات بخير منها
اى اقوى منها فى الزام الحجة او مثلها قال ابو الخير فى قوله نات بخير منها اى للمكلف اما فى الدنيا ان
كان البدل اخف وبدخل فيه النسخ لا الى بدل او فى الاخرى ان كان اثقل وقال فى قوله او مثلها اى فى
التقارب فى الثواب ويشمل النسخ بالوحى المتلو وغيره ويعم النسخ والانساء اذ لا امتناع فى الاتيان بعد انساء
حكم بما يكون اخف او اكثر ثوابا وقيل الخير فى النسخ والمثل فى النسئ على طريقة اللف ثم استفهم مقررا انه
انه لا يعجزه شئ فقال **الم تعلم** اى قد علمت **ان الله على كل شئ** من النسخ والاتيان بالبدل
وغيره **قدير** تلخيصه ان الله يقدر على ان يتعبد عباده بما شاء من العبادات المختلفة وينقلهم
من عبادة الى غيرها على حسب ما يعلمه صلاحا لهم قال الشيخ والحاصل ان الله رفع حكم والاتيان
بيد له مما هو مثله او احسن منه وله فى ذلك فضل عظيم والامر بيده فليس لغيره الاعتراض على حكمته
ونزلت هذه الاية المذكورة ردا على اليهود فى اعتراضهم على النسخ ولا يدل وجوده على حدوث
القران لان الخبرية من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القايم بالذات ثم اكد قدرته على كل شئ بقوله
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الملك بمعنى الشئ المملوك يقال هذا ملك فلان اى مملوكه
والمعنى قد علمتم انه مالك السموات والارض وقادر عليها وانه مالككم فله الخلق والامر ان الله خص نبيه
بهذا الخطاب تشريفا له بالاقبال عليه **وما لكم من دون الله من** زايدة لتاكيد الجحد **ولي** اى ليس لكم
من غير الله قريب يتولى اموركم ويحفظكم **ولا نصير** اى ولا مانع يمنعكم من العذاب ان اتاكم
قال الاستاد فى قوله من ولى انه مبتدا وما لكم خبره مقدم عليه ولا نصير عطف على ولى نفى

لان من زايدة اى ولى

الفقير

الفقير مولف هذا الكتاب وفى هذا تسكين لقلوب المومنين بان الله وليهم وناصرهم دون ما سواه
من الاقارب وغيره ونزل لما سأله اهل مكة ان يوسعها ويجعل لهم الصفا ذهبا والظاهر ان المخاطب
هم المومنون كما فى قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ولذلك ذيله بقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان او نزلت فى اليهود وذلك لما قالت اليهود يا محمد ايتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتوراة
كذلك فنزلت ردعا وزجرا لهم عن السوال بام المنقطعة بمعنى الهمزة **ام تريدون** اصله اتريدون
من راد يرود اى الم تعلموا الى اخره بل اتريدون التعنت المذكور بقوله **ان تسالوا رسولكم**
وهو محمد صلى الله عليه وسلم **كما سئل موسى** اى سوالا مثل سوال قوم موسى منه صلى الله عليه وسلم
من قبل وهو قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر
من ذلك حيث قالوا له ارنا الله جهرة واجعل لنا الها وغيره ومن قال ان الاية نزلت فى المشركين فهم
عبد الله بن امية المخزومى واتباعه حين قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تفجر لنا فى الارض ينبوعا الايات
او لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فاخبر الله انهم سلكوا فى اقتراحهم على نبيهم طريقة
فى اقتراحهم على موسى فالمعنى لا تكونوا مثلهم فى التعنت بل عليكم بالثقة بما يقول لكم محمد وا ترك
الاختلاف والتعنت عليه قال الاستاد ويحتمل ان يكون ام متصلة لان قوله الم تعلم الى اخره حمل
على الثقة معاملة له كانه قيل اتثقون به بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا وتقترحون كما اقترحت
اسلاف اليهود وفيه حمل على الوثوق على ابلغ وجه كقوله فهل انتم منتهون بعد مفاسد الخمر ويجوز ان
يكون منقطعة بان نزلهم منزلة من يريد السوال بعد بيان الصارف عنه فانكر عليهم والظاهر ان المخاطب
هم المؤمنون كما فى قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ولذلك قال **ومن
يتبدل الكفر بالايمان** اى ومن ياخذ الكفر ويختاره بدلا وعوضا عن الايمان بمحمد وما جاء به بترك
النظر فى الايات البينات والمعجزات الباهرات واقتراح غيرها **فقد ضل سواء السبيل** اى
فقد اخطا وسط الطريق السوى الذى هو بين الغلو والتقصير والتشبيه والتعطيل وهو الحق اى
الصراط المستقيم يقال اصحتهم فلان على سواء راسه اى وسطه وقال الله تعالى فاطلع فرآه فى سواء
الجحيم اى وسط الجحيم وفى الاية دلالة على ان اقتراح الايات من شيم الكفار مبالغة فلا يحوم حول
خواطرهم الردية قال فنحاص بن عازوراء وكعب بن اشرف وحيى بن اخطب وابو ياسر بن اخطب
واصحابهم لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد انكسار المسلمين يوم احد ارجعوا فنحن على الحق فقال
عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فقد عاهدت الله ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالوا اما
هذا فقد صبا وقال حذيفة رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما وبالكعبة
قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اخبرا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبتما الخير وافلحتما فنزل
ود كثير من اهل الكتاب اى احبار اليهود **لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا** ولو هنا
بمعنى ان لان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ وهى هنا مصدرية وكفارا حال من ضمير المخاطبين
وهو كم اى احب كثير من احبار اليهود وتمنوا ان يصرفوكم بعد الايمان مرتدين **حسدا**
مفعول له لود اى ودوا ذلك لاجل حسدهم ويجوز نصبه على الحالية اى ودوا ذلك حاسدين لكم

٩ ب

من عند انفسهم اى من تلقاء انفسهم ومن قبل شهواتهم لم يامرهم الله بذلك وتعلقت المعتزلة بظاهر الاية فى ان المعصية من جهة العبد لا فعل لله عز وجل فيها ونحن نقول لا حجة لكم فيه فانا نقول الايمان والكفر والطاعات والمعاصى افعال العباد وهى مخلوقات الله عز وجل والفعل الذى هو الكسب من العبد والتخليق من الله والاية لا تنفى ما قلنا قال الاستاد فى قوله من عند انفسهم تاكيد للحسد لان الحسد لا يكون الا من قبل النفس قال ابو الخير اما متعلق بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم الخبيثة او متعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق من بعد ما تبين لهم الحق اى من بعد ما ظهر لهم فى التورية الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة فيها بان محمدا رسول الله وما جاء به صدق لا ريب فيه وان الاسلام دين الله فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره اى لا تنالوهم بسوء واتركوا قتالهم واعرضوا وتجاوزوا عن مكافاتهم حتى يحكم الله بحكمه فيهم كيف يشاء يحذهم فحكم لقريظة بالقتل والسبى وللنضير بالنفى والجلاء والاية قبل نزول القتال وقال بعضهم العفو والصفح من مكارم الاخلاق حتى ياتى الله بالقيامة لا حتى يامر الله بالقتال ان الله على كل شئ قدير فينتقم منهم بقدرته ولكن اقتضت حكمته التاخير فان قيل هذه السورة مدنية والامر بالقتال كان سابقا فما معنى الامر بترك القتال قلنا ان هذا امر بترك القتال مع النضير وقريظة على الخصوص لانهم كانوا معاهدين وقيل فى معنى قوله ان الله على كل شئ قدير اى هو قادر على كل شئ ومن ذلك انه قادر على تفريجكم عن اذاهم من غير قتال فانتظروا الفرج واشتغلوا الآن بالصلوة والزكوة كما قال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم بالتقرب اليه بالصبر على اقامة الصلوات واداء الزكوات والجاهم الى ساير العبادات والبر ليكون وسيلة الى دفع مكايد اليهود وساير الاعداء تخيصه اذوهما ليكونا سببا لبقاء نعمة الايمان فلا تقدروا اليهود صرفكم عنه وما شرطية جزمت تقدموا بحذف نونه ومحلها النصب بتقدموا لانفسكم من خير كصلوة وصدقة وساير اعمال البر لان اعمال البر كلها خير وهذا تعميم بعد التخصيص تجدوه اى تجدوا ثوابه عند الله فتجدوا اللقمة والتمرة فى الاخرة مثل احد وفى الاحاديث ان الاعمال نفسها تتجسد يوم الجزاء ويوجد نفسها تخيصه وكل شئ قد تقدموه الى الاخرة من جنس الخيرات كالصلوات والزكوات وساير الطاعات وجدتم ثوابها عند الله وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير اى لا يخفى عليه مما تعملون خافية ولا يضيع عنده عمل وقرئ بيا الغيبة فيكون وعيدا على المعصية بابلغ وجه وبالخطاب على القراءة الصحيحة وعد على الطاعة بابلغ وجه ايضا وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى لما تناظر يهود المدينة ونصارى نجران بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يهود المدينة لن يدخل الجنة الا اليهود على زعمهم وقال نصارى نجران لن يدخل الجنة الا النصارى وفى هذا تفصيل وذلك لانهم لم يجتمعوا ولم يتفقوا على دعواهم بان جميعهم يدخلون الجنة كما بين هذا بقوله بعد هذا وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ فظهر بان احد الفريقين لا يشهد للاخر بالجنة

وانما

ثلثة ارباع

وانما جمعهم فى اول الاية لانهم مجتمعون ومتفقون على الايمان بالتورية ثم ذكر عنهم قولا وهى قالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ فظهر ما كل قايل منهم قول على التفصيل فصح الاجمال على ارادة التفصيل ونظيره هذا قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اجمع الليل والنهار فى كونهما برحمته ثم قال لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وانصرف السكنى الى الليل والابتغاء الى النهار ففى هذا ايضا تفصيل واجمال كالاول وهودا جمع هايد كعايذ وعوذ ونصارى جمع نصران كسكارى جمع سكران واو فى او نصارى تفصيل الاجمال فى قوله لن يدخل الجنة او لاحد الشيئين وافراد الاسم المضمر فى كان وجمع خبره وهو هودا باعتبار لفظ من ومعنى من وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا ثم اشار الى تمنيهم الباطل فقال تلك امانيهم وتلك اشارة الى جميع ما تقدم من قوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الى او نصارى تخيصه ان تلك اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غير اليهود والنصارى او اشارة الى ما فى هذه الاية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم وجملة تلك امانيهم اعتراض بين قوله وقالوا لن يدخل الجنة الى اخره وبين قوله قل هاتوا والامانى جمع امنية افعولة من التمنى مثل الاعجوبة والاضحوكة ومعنى التمنى تقدير الشئ فى النفس وتصويره فيها ولما كان اكثر التمنى تمنى ما صار البطلان له اكمل والمعنى تلك شهواتهم الباطلة الكاذبة التى لا حجة معها والعرب تسمى الكلام العارى عن الحق تمنيا وغرورا وضلالا ثم امر الله عز وجل الى بطلان اقوالهم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين اى قل لهم يا محمد ايتوا حجتكم واحضروا على دعواكم بدخولكم الجنة بالخصوص دون غيركم ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت ولم يقل براهينكم مع ان الخطاب للجمع ولا برهانيكم على التثنية مع انهم فريقان لان الدعوى واحدة وهى نفى دخول غيرهم الجنة والحجة على تلك الدعوى واحدة وهات صوت بمعنى هاء اى احضر قال الخليل الهاتاة والهتاة مصدر هات او اصله ائتوا بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة قال الامام احمد بن يوسف الكواشى ولا يوقف على بلى وان كانت جوابا للجحد قبلها فهى ايجاب لما بعده فلا يفصل بينه وبينه والحرف الذى يؤدى معنى الايجاب يجب ان يكون موصولا بالكلام الذى يوجبه لان الفصل بينهما ينقص معنى الايجاب وان كان من فى من اسلم اى اخلص او صرف وجهه اى عبادته او دينه او نفسه وذاته وقصده بعبادته لله لا يشرك به غيره او المراد بالوجه حقيقة الوجه اى العضو المعلوم والاسلام الانقياد والخضوع وخص الوجه بالذكر لانه اذا جاد بوجهه الذى هو اشرف اعضائه الظاهرة فساير اعضائه اولى بالخضوع متضمنة معنى الشرط مرتفعة محلا ابتداء وكذلك لا يوقف على بلى ان جعلت من اسلم فاعل فعل محذوف تقديره بلى يدخل الجنة من اسلم انتهى كلام الكواشى قال البيضاوى بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وجملة فله اجره عند ربه جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم انتهى

براهينكم

قال استادی رحمه الله ویجوز ان یکون المراد برهانهم ما قال فی هذه السورة فتمنوا الموت ان کنتم
صادقین وما سمع من احد انهم تمنوا ذلک فی عصر النبی صلی الله علیه وسلم ویجوز ان یکون البرهان هو
الایمان بمحمد وکتابه قال صلی الله علیه وسلم ثمن الجنة لا اله الا الله وقال ایضا مفتاح الجنة لا اله
الا الله ویجوز ان یکون برهانهم ما ذکر بعده وهو قوله بلی من اسلم وجهه لله و بلی رد لما قبله
واثبات لما بعده ای لیس الامر کما تقول الیهود والنصاری بان الجنة مخصوصة بهم بل ومن انقاد لله
بالتوحید بکلیته فله الجنة والیهود یعبدون العزیر والنصاری عیسی والوجه عبارة عن کل
البدن کما یختص فی التحیة فیقال حیا الله وجهه علی وکرم الله وجه علی وقال الله وعنت الوجوه
للحی القیوم ولان اثر الانقیاد والخضوع یظهر فی الوجه فیجوز اضافة الفعل الیه انتهی کلام استادی
رحمه الله وهو محسن ای والحال انه مخلص فی عمله فیما بینه وبین ربه وبینه وبین الناس او فی
معناه وهو مؤمن ای مخلص فی ایمانه وموحد لا یشرک بربه شیئا او یحسن افعاله مع صحة اعتقاده
واقراره بوحدانیة الله وجاء الاحسان بمعنی اداء ما امر به قال الله تعالی ان الله یامر بالعدل والاحسان
وجاء بمعنی بذل المال قال الله تعالی واحسن کما احسن الله الیک وجاء بمعنی حسن المعاملة وبذل النفس
والمال قال الله عز وجل خبرا عن صاحبی السجن انا نریک من المحسنین وجاء بمعنی کظم الغیظ والعفو
عن الظلم قال الله تعالی والکاظمین الغیظ والعافین عن الناس والاحسان فی هذه الایة مضمر
ای وهم محسنون بدلیل قوله والله یحب المحسنین بعد ذلک وقیل الاحسان ما فسر النبی صلی الله علیه
وسلم لجبریل حیث قال الاحسان ان تعبد الله کانک تراه فان لم تکن تراه فانه یراک وجواب الشرط
هو قوله فله اجره ای له اجره الذی وعد له علی عمله الخالص عند ربه کاملا من غیر نقص
تخصیصه فله ثواب عمله عند الله فی الاخرة وهو الجنة ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون
ای عدم الخوف وعدم الحزن یکون فی الاخرة لان المؤمنین فی الدنیا هم اشد خوفا وحزنا من غیرهم
لنظرهم فی مصیرهم وعدم اعتمادهم علی طاعتهم ووحد ضمیر فله اجره لرجوعه الی لفظ من فی
من اسلم وجمع فی قوله لا خوف علیهم ولا هم یحزنون لان من اسم جنس من حیث المعنی تخصیصه
فلهم ثواب الایمان والاعمال الصالحة ولا خوف علیهم فیما یستقبلهم من وقوع مکروه او فوات
مطلوب ولا هم یحزنون علی ما خلفوا من الدنیا قال یهود المدینة لنصاری نجران عند النبی صلی الله
علیه وسلم ما انتم علی شیء من الدین وکفروا بعیسی والانجیل وقالت النصاری للیهود ما انتم علی شیء من
الدین وکفروا بموسی والتوراة فنزل وقالت الیهود لیست النصاری علی شیء وقالت
النصاری لیست الیهود علی شیء ای علی امر یصح ویعتد به من امور الدین الحق وهو کقوله
یا اهل الکتاب لستم علی شیء حتی تقیموا التوریة والانجیل قال الاستاد وفی نفی الشیء غایة
المبالغة لان الشیء یتناول المعدوم الممکن والمحال فاذا سلب الشیئیة لم یبق من المبالغة حد وراءه
ومن قیده بقوله علی امر یصح ویعتد به فقد اخل بالمعنی انتهی اقول وفی کلام الاستاد نوع تعقید
یعرف بالتامل وهم یتلون الکتاب ای الفریقان یقرءون الکتاب المنزل علیهم وفی کتاب الیهود
تصدیق عیسی وفی کتاب النصاری تصدیق موسی والواو للحال ای قالوا ما قالوا والحال انهم من اهل التلاوة

للکتب والعلم ومن امن بواحد من کتب الله تعالی یجب علیه الایمان بکلها لان کل واحد منها مصدق
للاخر قال البیضاوی والکتاب للجنس ای قالوا ذلک وهم من اهل العلم والکتاب انتهی قال الکواشی
والمراد جمیع کتب الله المنزلة انتهی کذلک ای مثل قول الیهود للنصاری والنصاری للیهود قال الذین
لا یعلمون ای المشرکون من العرب وغیرهم ممن لا علم لهم بالکتاب کعوام الیهود والنصاری والجهال
الدهریة والمعطلة وسائر الفرق الضالة مثل قولهم بیان لمعنی ذلک فی کذلک ای قال کل من
لا کتاب لهم او من لا علم لهم بکتبهم مثل مقالة الیهود والنصاری لکل ذی دین لیسوا علی شیء من
الدین الحق کما اخبر الله عن مشرکی العرب بقوله وقال الذین کفروا للذین امنوا لو کان خیرا ما
سبقونا الیه قال الاستاد فان قیل لم قال مثل قولهم دون مثل قولهما قلنا لان النظر هنا بجهة
اتحاد الیهود والنصاری فی کونهما اهل الکتاب ومثل قولهم بیان لقوله کذلک لما فیه من الابهام او
بدل منه ویجوز ان یکون کذلک مفعولا به ای قال کلاما مثل کلامهم الشنیع الذی سمعت به تخصیصه
قال الجهلة قولا مثل قولهم صادرا عن عناد وجهل بلا حجة فیکون مثل نصبا علی المصدریة وهذا توبیخ
عظیم لهم حیث نظموا انفسهم مع علمهم فی سلک من لا یعلم فالله یحکم بینهم ای فالله یقضی
بین اهل الکتاب وهما الیهود والنصاری وقول البیضاوی بین الفریقین یرید بذلک اهل الکتاب
کما لا یخفی فلا اعتراض لارباب الحواشی یوم القیمة ای یریهم من یدخل الجنة عیانا ومن یدخل النار
عیانا فیظهر المحق من المبطل والفاء فصیحة کانه قیل اذا لم یرضوا بحکم الکتاب فی الدنیا فالله یحکم
بینهم یوم القیمة فیما کانوا فیه یختلفون ای من امر الدین فیقسم الله لکل فریق من العقاب
والثواب فیدخل المحق الجنة والمبطل النار وقال بعضهم وحکمه عز وجل یوم القیمة بین الیهود
والنصاری حین نفی بعضهم دین بعض بان یکذبهم ویدخلهم النار ویوفیهم ما یستحقون من
العذاب فان الحکم بین الخصمین لا یقتضی ان یکون احدهما محقا البتة یقول الفقیر مؤلف هذا الکتاب
هذا حکم الله بینهم یوم القیمة واما حکمه عز وجل بینهم بالحجة فی الدنیا فقد بینه الله عز وجل فیما ...
من حجج المسلمین ومن عجز الخلق باجمعهم عن ان یاتوا بمثل هذا القران او باقصر سورة من سوره
وقد وقف بعضهم علی لفظ کذلک ولم یقف بعضهم علیه والثانی اقرب لافهام اولی العلم وقد
حکی ان ططیوس الرومی غزا بیت المقدس والقی فیه الجیف واحرق التوراة وبقی خرابا الی
ان عمره زمن عمر بن الخطاب رضی الله عنه وقتل مقاتلة بنی اسرائیل والذی غزا وفعل ذلک هو
بخت نصر بسبب قتل یحیی بن زکریا علیهما الصلوة والسلام او منع المشرکون رسول الله صلی
الله علیه وسلم دخول المسجد الحرام عام الحدیبیة قلت وکیف کان فالاعتبار بعموم اللفظ
لا لخصوص السبب والدلیل علی العموم تعمیم الحکم حیث قال مساجد الله مع ان المنع والتخریب انما وقع
علی مسجد واحد وهو مسجد بیت المقدس او المسجد الحرام ومعنی قوله عز وجل ومن اظلم ممن
منع مساجد الله ان یذکر فیها اسمه ای لا احد اظلم ممن منع مساجد الله عن طاعة عباد
الله فیها بان یمنع عن الصلوة والذکر والتسبیح والتقدیس والاعتکاف فیها وذکر اسم الله هو
ذکر الله قال الله تعالی واذکر اسم ربک دلت [illegible] الظلم الغیر والظلم فی الاصل وضع الشیء

صيغة التفضيل في سياق الاستفهام الانكاري وهذا لا ينافي لكون المشرك اظلم لان فضله في الظلم
لنفسه وفضل هذا في الظلم للغير والظلم في الاصل وضع الشي في غير موضعه وفي غاية الاماني اذا كان
الباعث على المنع كراهة الذكر يكون المانع كافرا انتهى قال ابو يحيى وقد ظهر في زماننا هذا من يحرق
كتب اهل الذكر ويضربهم بل يقتلهم على جهره به ويتحملون في ذلك بادلة سفسافية ثم قال والذى
احرق كتبهم واقر بذلك في مجالس شتى هو سليمان بن قتلوس وساعده في ذلك كدكلي بن ذنبور
وحسن الذي كان ابوه امام الاموات وعشالهم انتهى ومن مرفوع على انه مبتدا واظلم خبره ومنع
يتعدى الى مفعولين الاول مساجد الله والثاني ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يقدر من الجارة اي من ان
يذكر وحذف حرف الجر مع ان قياس ويمكن ان يكون نصبه على المفعولية اي كراهة ان يذكر ويجوز
ان يكون قوله وان يذكر في محل النصب على انه بدل من مساجد الله **وسعى في خرابها** اي عمل في خرابها
بمنع المصلين والذاكرين فيها او بان عطلها بالهدم قال احمد الكواشي وتخريب بيت الله هو منع
المصلين فيه والحجاج والمعتمرين عنه انتهى والخراب اسم للتخريب كالسلام اسم للتسليم واصل الخراب
الثلم والتفريق وقال مساجد الله وخرابها بالجمع وان اريد واحد بعينه لان من خرب مسجدا واحدا
او منع ذاكرا واحدا عن ذكره الشرعي فكانما خرب مساجد عدة وذاكرين كثيرا لان المساجد
والذاكرين كلهم لله **اولئك** المانعون عن الدخول وهم النصارى او مشركو العرب **ما كان**
ما ينبغي **لهم ان يدخلوها** اي المساجد **الا خايفين** كا حال من ضمير ان يدخلوها
قال احمد الكواشي ولم يدخلها بعد عمارتها رومي الا خايفا لو علم به قتل وقرى خيفا كركع
وبعضهم لم يجعله استثناء حقيقة ومعناه اذا دخلوها كانوا خايفين كقولهم ليس لك ان تفعل
هذا الا سفيها او هذا خبر بمعنى الامر اي اخيفوهم حتى لا يدخلوها الا خايفين او المراد مكة
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتحها نادى مناديه الا لا يطوفن بالبيت عريان ولا يحجن بعد
العام مشرك قال ابو حنيفة واصحابه يجيزون دخول المسجد الحرام وغيره للمشركين بالاذن
ومنعه مالك مطلقا والشافعي لا يجيزه في المسجد الحرام ويجيزه في غيره وكفى الوقف هنا لان
لهم في الدنيا خزي وهو القتل للحربي والجزية للذمي او هو فتح مدائنهم الثلثة كعمورية
ورومية وقسطنطينية جملة استينافية وليست بحال لاستحقاقهم الخزي في كل حال **ولهم في
الاخرة عذاب عظيم** تا وهو النار انتهى كلام الكواشي وقال ابو الخير في معنى قوله ما كان
لهم ان يدخلوها الا خايفين اي ما كان اللايق بحال النصارى او مشركي العرب ان يدخلوا المساجد
كبيت المقدس او مكة الا خايفين من المومنين ان يبطشوهم ويقتلوهم لظلمهم وعتوهم فضلا
ان يمنعوهم منها او ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع ووجل من عقاب الله
وعذابه فضلا ان يجترؤا على هدمها وتخريبها والقاء القمامة على الصخرة التي هي قبلة الانبياء
او ما كان لهم في علم الله وقضايه وحكمه المسطور في اللوح المحفوظ ان يدخلوها الا خايفين فيكون
وعدا للمومنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز الله وعده ولله الحمد وحده حيث
استخلص عمر الفاروق بيت المقدس من ايدي الروم اولا وصلاح الدين والدنيا ابن يوسف الكردي

من ايديهم

من ايديهم ثانيا في خلافة الناصر لدين الله وعن الحسن والسدي وقتادة ان بخت نصر
البابلي المجوسي خرب بيت المقدس واعانه على ذلك اعداء الله الروم وحملهم على ذلك بغض
اليهود ولما استولى عمر على ولاية كسرى واخذ اموالهم عمر بها بيت المقدس وسال عن حدوده فلم يعرفه
احد غير يهودية فشارطت اليهودية على عمر ان يثبت له الحدود ان يكون واحد من ذريتها
فيه بعد العمارة ابدا فاجابها عمر الى ذلك فبينت وعمره عمر على الحدود المعلومة ووفى لها بالشرط
ونزل تسلية للنبي واصحابه وذلك لما طعن اليهود المسلمين حيث قالوا ليس لهم قبلة وذلك حين نسخت
القبلة او في سرية مسافرين صلوا صلوتهم في ظلمة الليل الى غير القبلة ثم تبين خطاهم حين اصبح عليهم
فلما قدموا المدينة اخبروا النبي بذلك فانزل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا قول الكلبي
ومقاتل بن سليمان وقال قتادة وكان المسلمون يتوجهون في الصلاة الى حيث شاؤا بهذه ثم نسخ هذه
الاية بقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام انتهى مقالة قتادة قلت والظاهر انهم اخطاؤا في
توجههم للصلوة الى بيت المقدس لانهم كانوا يصلون الى غير القبلة مطلقا وقد روي انهم كانوا في
سرية واظلم عليهم الليل ولم يعرفوا جهة بيت المقدس فصلوا بالاجتهاد كيف شاؤا فنزل قوله فول وجهك
شطر المسجد الحرام قال ابن عباس اول ما نسخ في القران القبلة وقال بعضهم الاية نزلت في النجاشي حيث
اسلم وتوجه الى المدينة مع اصحابه فمات في الطريق فاخبر جبريل رسول الله عليهما الصلاة والسلام بوفاته
فصلى عليه مع اصحابه فقالوا كيف نصلي عليه وانه لم يصل الى قبلتنا فنزلت الاية او نزلت في المسافر يصلي
على الراحلة حيث توجهت به راحلته **ولله المشرق والمغرب** اي ولله خلقا وملكا الارض كلها لان
المشرق والمغرب ناحيتاها فتخصيصه الارض كلها له عز وجل لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ايها
المومنون من ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا وفيه ايماء الى انه ليس
لاحد ملك حقيقة الا الله عز وجل **فاينما تولوا** اي ففي اي مكان فعلتم التولية يعني توليتم وجوهكم
في الصلوة شطر القبلة بامره وانما قلنا يعني توليتم الى اخره بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره واينما كلمة شرط وهي جازمة وعلامة الجزم هاهنا سقوط النون
من قوله تولوا اي توجهوا وجوهكم والتولية متعدية ووجوهكم في الصلوة مقدرة كما قدرنا انفا
وجواب الشرط **فثم وجه الله** كا اي هناك جهة الله التي امر الله ان يصلى اليها وهي قبلته
التي رضيها لكم ان تصلى اليها وانما فسرنا كذلك لان الوجه هنا عبارة عن الجهة والجهة عبارة
عن القبلة على ما عليه اكثر المفسرين والمعنى هناك اي اينما توليتم ووجهتم وجوهكم شطر المسجد الحرام
فهو قبلتكم قال بعضهم معناه هناك ذاته يعني انه عز وجل عالم مطلع بحالهم ليس بغايب عنهم
وعن اعمالهم وقد يذكر الوجه ويراد به الذات كما قال ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك وحده ف
قال بعضهم الوجه كالوزن والجهة كالزنة وهما مصدران نقلا الى الاسم اي هناك جهته
التي امرها بها معناه ملخصا انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت
الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة
في كل مكان لا يختص مكانها بمسجد دون مسجد ولا بمكان دون مكان انتهى ما قاله البعض وهو

مفهوم قولنا عند قوله فاينما تولوا غير انه زاد فى العبارة قال بعضهم معناه فثم الله والوجه
صلة انتهى قلت ومعنى فثم الله على ان الوجه صلة اى فثم قبلته او علمه بحال المصلى بانه لا يصلى
الا له وبنى ثم على الفتح لتضمنه معنى حرف الخطاب لانك تقول للغايب هناك وللحاضر هنا زيد
فثم نايب عن هناك بتخصيصه على ما ذكره استادى بلاد المشرق والمغرب ملك لله فاى مكان صرتم
وجهكم اليه للصلوة فثم الجهة التى رضيها عز وجل قبلة انتهى كلام الاستاد يقول الضعيف
مولف هذا الكتاب الوجه عند عرب العربا بمعنى القصد قال الشاعر رب العباد اليه الوجه والعمل
اى الى الله قصد القاصد وعمل العامل فى عباداته وطاعاته والمعنى على هذا ففى اى مكان قصدتم
التولية ووجهتم نحو القبلة فهى الجهة التى ارادها وارتضاها ولا اختص عبادته بالمساجد على ما
رواه البخارى فى خواصه جعلت لى الارض مسجدا فاى رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان وانما
قلنا فى بعض معانى هذه الاية اى هناك قبلته التى رضيها لان المعبود منزه اذ يكون فى جهة وحيز
ولان الوجه جاء بمعنى الرضا يقال فعل ذلك لوجه الله واعتق عبده لوجه الله اى لرضاء الله ان
الله واسع يسع فضله كل شئ او واسع العلم كما قال انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما
او واسع المغفرة والواسع الجواد اى هو جواد يعطى من السعة يعنى يسع عطاياه السايلين لغناه
المطلق عن عبادة العباد وعن خلقهم فلا يواخذهم اذا اخطوا فى القبلة ونحوها ولا يكلفهم بما
لا طاقة لهم قال الاستاد ومن سعة فضله انه يريد التوسعة على عباده ويسهل عليهم امر
القبلة وغيرها بمحض فضله عليم تا بمصالح خلقه وتدبير عباده واعمالهم فى الاماكن كلها او عليم
بنياتهم وقصدهم حيثما صلوا ونزل لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله
ومشركوا العرب الملئكة بنات الله وقالوا اتخذ الله ولدا القراة وقالوا بالواو عطفا على وقالوا
لن يدخل الجنة فعلى هذا لا يتم الوقف على عليم ولا على ما بينهما ولا يحسن ايضا بل يكفى وقرا ابن عامر
قالوا بدون الواو وعليه رسم مصحف اهل الشام على انه مستانف كانه سئل هل انقطع
حبل مفترياتهم على الله عز وجل او امتد ولم ينقطع فقيل بل قالوا اعظم من ذلك وافظع او انه
تتمة للاعتراض لافراطهم فى الظلم ثم نزه نفسه عز وجل عن اقوالهم الشنيعة بقوله سبحانه
اعتراض والمعنى تنزيه له عما نسب اليه من الولد وكيف يولد له الولد ولا مجانسة بينه وبين
احد والحال ان الولد لا يكون الا من جنس الوالد ولا يكون الصنع من جنس الصانع قال الله
كذبنى ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فزعم انى لا اقدر على
ان اعيده كما كان واما شتمه اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا قال
استادى واتخاذ الولد لا يكون الا لعلل اربع اما لشهوات تغلبه فيقضيها به واما لوحشة تاخذه
فيحتاج الى من يستانس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من يستنصره ويستغيث به او
لخوف حدثان الدهر والموت ليرثه ويقوم مقامه والله متعال عن هذه العلل كلها واما اتخاذ الخليل
كابراهيم قال الله واتخذ الله ابراهيم خليلا والحبيب كنبينا كما صح فى الحديث الصحيح فانه جايز من
الله تعالى لان المحبة تقع على غير جوهر المحب وجنسه والدليل على ذلك ان الانسان يحب اشياء

سوى

سوى البشر كحبنا لجبريل وساير الملئكة قال البيضاوى فى معنى سبحانه اى تنزيه له عن ذلك
فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا انتهى
بل له ما فى السموات والارض كل فيه رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى بل لله السموات
والارض وما فيهما خلقا وملكا وان شئت قلت عبيدا وملكا ومن جملته العزير وعيسى والملئكة
تلخيصه ان الملكية تنافى الولادة وعبر بما دون من تغليبا لما لا يعقل كل له قانتون تاو
التنوين فى كل عوض من المضاف اليه اى كل ما فى السموات والارض او جميع اهل طاعته له طايعون
مقرون بالعبودية قايمون بالشهادة واصل القنوت القيام وجمع قانتون نظرا الى معنى كل فالمومن
يسجد طوعا والكافر يسجد ظله على كره منه قال الله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والدليل على طوع المومن واختياره وكره الكافر واضطراره قوله وله اسلم من فى السموات والارض
طوعا وكرها او يكون ذلك يوم القيمة قال البيضاوى والمعنى كل له منقادون لا يمتنعون عن
مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق
الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشانهم
وتنوين كل عوض عن المضاف اى كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا مطيعون
مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه
واحتج به الفقهاء على من ملك ولده عتق عليه لانه عز وجل نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى
تنافيهما انتهى قال الاستاد تلخيصه وانما غلب غير اولى العقل حيث قال ما فى قوله بل له ما فى السموات
دون من فى السموات تحقيرا لشانهم لاقتضاء المقام ذلك لما عبر عن الملئكة باسم الجنة فى مثله وقال
ايضا وانما غلب اولوا العقل للاشارة الى ان الجمادات فى الانقياد لمشيته كانها عقلاء مميزون فى
مقام كبريائه العقلاء كالجمادات وفى مقام العبودية بالعكس انتهى بديع خبر مبتدا محذوف اى
هو بديع السموات والارض البديع والمبدع والمبتدع واحد نص اساطين اهل اللغة وقد جاء
بدعه كمنعه بمعنى انشاه كما ذكر فى القاموس وغيره فالبديع عند الجمهور هو الذى لم يسبقه احد
فى انشاء مثله ولذلك سمى صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه فى مثل قوله احد وهذا يقال لمن
خالف اهل السنة والجماعة مبتدع لانه ياتى فى دين الاسلام بما لم يسبقه الصحابة والتابعون
رضى الله عنهم وهذا رد على الذين قالوا اتخذ الله ولدا اى من قدر على خلق السموات والارض
من غير شئ اى من غير مثال سبق كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب ويجوز ان يكون عين
البديع بدلا عن الهمزة بيانه ان البديع والمبدع كالبدئ والمبدئ قال الله تعالى فانظروا كيف
بدأ الخلق وقال اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق فجاء على فعل وافعل جميعا قال ابو بين
والمعنى موجد السموات والارض من غير مثال سبق اى من غير مادة وجاء بديع بمعنى مبدع كسميع
بمعنى مسمع وفعله ابدع اى خالقهما وموجدهما ومخترعهما من غير مثال سبق ومنه البدعة وهو الاضافة
على هذا حقيقية لان الابداع للسموات والارض ماض او فعله بدع بضم الدال فهو بديع كشرف

فهو شريف فالاضافة على هذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى بديع سماواته وارضه
وجميع المستعمل من تراكيبه ب د ع يشمله معنى الحدوث والظهور وقرئ بديع بالجر بدلا من الهاء
فى له وقرئ بالنصب على المدح وقال ابو الحسن الاصفهانى الشافعى المفسر واعلم ان الابداع ايجاد
الشئ دفعة وهذا اليق بالمقام فى الرد على النصارى وكل من يدعى ان لله ولدا من الصنع و
التكوين وامثالهما نزه نفسه من الولد لان الولد جزء من الوالد منفعل منه ومبدع الاشياء
منزه عن الانفعال قال الله فى كتابه وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين فالله
لا يرضى بان يضيف اليه جزأ من خلقه فكيف يرضى بان يكون عين خلقه وفيه رد ظاهر على
النصارى والقايلين بان الله هو عين خلقه فى اى تعين من التعينات فان من اخترع الاكوان
وابدعها على حسب ما صوره فى الازل بالقوة القاهرة دفعة واحدة من غير مادة فايجاد مولود
من غير اب لا يستبعد منه انتهى قال شيخ الاسلام وعبارة البيضاوى عندى احسن من جميع من تكلم
فى هذا المقام لانه قال بعد قوله بديع السموات والارض اى مبدعهما ونظيره السميع فى قوله
امن ريحانة الداعى السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة و
تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها
فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشئ عن لا شئ دفعة
وهو اليق بهذا الموضع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفى زمان
غالبا انتهى **واذا قضى امرا** اى اذا اراد شيئا لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون واراد اتمام ايجاد شئ لان اصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كخلقه
كقوله وقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه
قال ابو الخير وجاء قضى لمعان للامر كقوله وقضى ربك قال ابن مقسم ومعنى قضى ربك اى قدر
ربك وللاخبار كقوله وقضينا الى بنى اسرايل وللحكم كقوله وقضى بينهم بالحق وللتخليق كقوله
فقضيهن سبع سموات وللفراغ كقوله ثم اقضوا الى اى افرغوا الى وللحتم كقوله ثم قضى اجلا
وللقتل كقوله فوكزه موسى فقضى عليه وكقوله يا ليتها كانت القاضية والقاضية هى الموت وللارادة
كقوله واذا قضى امرا اى اراد امرا ويوضح ذلك قوله انما قولنا لشئ اذا اردناه وقوله انما امره اذا
اراد شيئا قال بعضهم فى قوله واذا قضى امرا هو جواب لسوال النصارى كان النصرانى يقول ان
لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه فالجواب اذا قضى امرا اى اذا اراد خلق ولد بلا اب كونه قال
ابو الخير فى معنى قوله واذا قضى امرا اى اذا اراد تكوين امر والتعبير بالقضاء للدلالة على التمام واللزوم
فهو اخص من الارادة وقال ابن يوسف والمعنى اذا احكم امرا اذا اصل القضاء الفراغ والاحكام واذا
ظرف ولها جواب والعامل فيها ما دل عليه جوابها وهو قوله **فانما يقول له كن** اى احدث
فيكون اى فيحدث قال صاحب التيسير لم يرد بقوله فانما يقول له كن فيكون انه عز وجل يخاطب
شيئا بكلمة كن فيكون بهذا الخطاب لانه لو جعل خطابا حقيقة فلا يخلو اما ان يكون خطابا
للمعدوم فيوجد او خطابا بالموجود بعدما وجد لا جايز ان يكون خطابا بالمعدوم لان المعدوم

ليس

ليس بشئ فكيف يخاطب ولا جايز ان يكون خطابا بالموجود لان الموجود قد كان وثبت وجوده فكيف
يقال له كن وهو كاين وانما هو بيان انه اذا شاء كونه كونه فكان انتهى قلت قال استادى
لعل مراده من هذا البيان هو انه اذا شاء كون الصورات العلمية كونه من غير توقف واباء والصور
لا يطلق عليها انها الموجودات الخارجية قبل اوان بروزها ولا يطلق عليها انها المعدوم بحت لكن
تصورها فانه قد تصورها ازلا فلما كان مصورا مقدرا حتما من حيث الفضل والجود فكانه موجود
فصح خطابه بهذا المعنى انتهى كلام الاستاد قلت وفى كلام الاستاد دقايق يفهمها ارباب
الكشف واليقين وانى لنا ذلك قال البيضاوى فى معنى قوله فانما يقول له كن فيكون اى كن من
كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة
وهو ان ايجاد الولد يكون باطوار ومهلة وفعله عز وجل يستغنى عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون
بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع المتقدمة كانوا يطلقون الاب
على الله عز وجل باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه
هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة واعتقد ذلك تقليدا ولذلك كفر
قايله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد انتهى كلامه عليه رضوان الله وبركاته
قال الامام الكواشى وكن ليس بامر حقيقة لانه لا خطاب ثم لان الخطاب لا يرد على الموجود
لان الموجود متكون ولا على المعدوم قالوا لان المعدوم ليس بشئ وانما هو مجاز وانما كن خبر ليس
بامر فى الحقيقة تقديره وانما يقول له يكون فهو يكون ومثله اسمع به وابصر ظاهرهما امر ومعناهما
خبر ويجوز انه لما كان مقدرا حتما فكانه موجود فصح خطابه بتحصيله ان ما يتكون يحصل فى
الوجود سريعا من غير توقف ولا اباء القراءة فيكون بالرفع على الاستيناف بالفاء اى اذا قال للشئ كن اى
احدث فيكون اى فهو يكون بمعنى فهو يحدث وقال بعضهم ويكون مرفوع لانه عطف على يقول ونصبه
ابن عامر على لفظ كن لانه امر وجواب الامر بالفاء منصوب وفى المدارك وكن ليس بامر حقيقة اذ لا فرق
بين ان يقال اذا قضى امرا فانما يكونه فيكون وبين ان يقال فانما يقول له كن فيكون واذا كان كذلك
فلا معنى للنصب وهذا لانه اذا كان امرا فاما ان يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بكن اى احدث
والمعدوم لا يخاطب وقال ايضا هو من كان التامة اى احدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة
التكوين وتمثيل ولا قول ثم انتهى كلامه قال استادى وفى قول صاحب المدارك فلا معنى للنصب
لا معنى لكلامه لتهوره على القراءة الثابتة انتهى قلت ومن اراد تحقيق معنى كن فيكون فليرجع
لغنية شيخنا محى الدين عبد القادر الجيلانى قدس سره فانه اوضحه غاية الوضوح ولما ذكر قبح اليهود
والنصارى ذكر قبح مشركى العرب وقبح جهلة اهل الكتاب بقوله **وقال الذين لا يعلمون** قال
البيضاوى اى قال جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب انتهى قلت نفى العلم عن كفار مكة
او جهلة اهل الكتاب لعدم انتفاعهم به **لولا** اذا دخلت على مستقبل كانت تحضيضا واذا
دخلت على الماضى كانت توبيخا والمعنى هلا **يكلمنا الله** كما يكلم الملئكة وموسى او يوحى الينا

ويخبرنا بانك يا محمد رسوله ننزل بالملائكة او نرى ربنا وكقولهم فى ايات اخر كقولهم لولا نزل علينا الملائكة
او نرى ربنا وكقولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا **او تاتينا اية** كما اى حجة
ودلالة من الله على صدقك غير القران وساير المعجزات الباهرة وهذا الطلب والاقتراح منهم
استهانة بالمعجزات الباهرة وانكار بالايات القرانية الظاهرة كان القران وساير المعجزات
عندهم كلا شئ ففى طلبهم الكلام استكبار ظاهر وفى طلبهم الايات جحود لما اتاهم الله من الايات
البينات **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم** اى مثل ما قال مشركوا العرب لك وطلب منك
قال الذين من قبلهم من الامم الماضية لانبيائهم فان اليهود قالوا لموسى لن نومن لك حتى نرى الله
جهرة وان النصارى قالوا لعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السموات وان للتجب
تشابهت القراة بتخفيف الشين **قلوبهم** كما اى تماثلت قلوب هولاء وقلوب من قبلهم فى العمى
والقسوة والفساد والكفر والتكذيب والعناد وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم قال البيضاوى
وقرى بتشديد الشين انتهى وقال الكمال وخطاه الفراء قايلا ذلك انما يجوز فى المضارع فيدغم
احدى التائين فى الشين ثم اوما عز وجل الى مجى الايات والى ان من لم ينتفع بالايات فهو شقى فقال
قد بينا الايات لقوم يوقنون اى لقوم ذوى بصاير انها ايات يجب الايمان والاعتراف بها والمعنى
بعبارة اخرى اى لقوم يطلبون اليقين بانها ايات فيومنون بها او لقوم يوقنون الحقايق لا تعتريهم
شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات او لطلب مزيد تعيين
وانما قالوه عتوا وتجبرا وعنادا او المعنى بعبارة اخرى لقوم يوقنون ايقانا خاليا عن الكفر لان
الايقان المجرد عن الاذعان والقبول ليس من الايمان فى شئ لقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال
ابو موسى واللام فى الايات للاستغراق اى كل الايات او الماهية اى ما يعرفه العقلاء انها ايات
وتنكير قوم للتعظيم اى قوم صفتهم الايقان وفيه تعريض بانهم اراذل اهل الظن والتقليد فى
بان الايمان له شان ثم اوضح الايات بقوله **انا ارسلناك بالحق** اى مصحوبا بالقران والهدى
وساير شرايع الاسلام بحيث لا يفارقك او ملتبسا مويدا به على انه حال موكدة لان الارسال عن الله
لا يكون الا كذلك **بشيرا ونذيرا** حالان اى مبشرا اولياءى بالايمان به بالجنة ومنذرا اى مخوفا
اعداءى بعدم الايمان به بالنار اى لم نرسلك عبثا وما عليك الا البلاغ ان اصروا او كابروا والخلاصة
انا ارسلناك مبشرا لمن ايقن بالايات ونذيرا لمن تغافل عنها فلم يومن بها قال بعض فى معنى
قوله بالحق اى بالاسلام قال الله تعالى بالهدى ودين الحق وهو الاسلام او معناه ارسلناك لبيان
الحق لان الباء جاء بمعنى اللام قال الله تعالى ذلك بان الله هو الحق اى لان الله او معناه على الحق قال
الله وخلق الله السموات والارض بالحق اى على الحق يعنى حقا لا باطلا وقد جاء الباء بمعنى على قال الله تعالى
وظنوا انه واقع بهم اى عليهم يقول الفقير الضعيف مولف هذا الكتاب والذى يميل اليه خاطرى
من بين الاقوال ان يكون الباء بمعنى مع اى انا ارسلناك مع الحق وهو القران تقول العرب دخل فلان بسيفه
اى مع سيفه قوله عز وجل **ولا تسئل عن اصحاب الجحيم** كما قراة الجمهور تسال بضم التاء مبنيا للمفعول
مع رفع الفعل لان لا نافية والواو استينافية او عاطفة لجملة على جملة ومحل الجملة حال اى ارسلناك

بشيرا

٢

بشيرا اى نذيرا وغير مسئول عن اهل النار بانهم لم يومنوا بعد ان بلغت ما ارسلت به وبذلت
جهدك فى دعوتهم وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولذلك
قال لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين وهو كقوله تلك امة قد خلت وعبر بلفظ اصحاب الجحيم
اشارة الى انهم مخلوقون للجحيم فلذلك لم يوثر فيهم الانذار والجحيم النار المتاججة الشديد التهابها
والجاحم المكان الشديد الحر وقرا نافع ولا تسال على بناء الفاعل على الخطاب بلا الناهية
الجازمة اى انه نهى نبيه عن السوال عن حال اصحاب النار وذلك اما لان حالهم فى الفظاعة و
الشناعة بلغت حدا يوحش السامع عن الاستماع اى لا يصبر السامع على سماع خبرها او يوحش
المتكلم من التكلم بها اى لا يقدر المتكلم ان يخبر عنها لفظاعتها كما يقال لمن تسال عن حاله وهو فى
هلكة لا تسال عن حال فلان اى انه قد هلك وصار الى عظم حال مما تظن او لما قيل ان ابن عباس
ومحمد بن كعب القرظى قالا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليت شعرى ما فعل ابواى اى على ما انتهى
امرهما فنزلت والاول هو الوجه الصحيح بدليل انه ذكر بعد اصحاب الجحيم ارباب النار وهم اليهود
والنصارى ولم يذكر احدا من اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام فقال **ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** حسن لف بعد النشر على عكس ما فى قوله عز وجل
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وفى الارشاد وحمل قوله ولا تسال عن اصحاب
الجحيم على نهى النبى عن السوال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم انتهى قلت ومعنى
قوله لا يساعده النظم الكريم اى لانه غير موافق للسباق والسياق وفى الاية مبالغة فى اقناط رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اسلامهم واتباعهم اياه فانهم اذا لم يرضوا منه صلى الله عليه وسلم حتى تتبع
ملتهم اى دينهم وطريقتهم فكيف يتبعون ملته صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يلاطفهم
رجاء ان يتبعوه ولعل اليهود والنصارى قالوا للنبى صراحة لن نتبعك حتى تتبع ملتنا فحكى الله
عنهم ذلك ثم بالغ فى اقناط نبيه عن اسلامهم ولذلك امر نبيه ان يجيبهم بقوله **قل ان هدى
الله هو الهدى** اى ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا زيادة عليه وما تحضون به
وتدعونه اليه من عبادتكم الاصنام وغيرها انما هو هوى وضلال لا هدى ولا رشدا والدليل على
الذى ذكرنا هو قوله **ولئن** لام قسم **اتبعت اهواءهم** اى اراء الذين يدعونك اليها فرضا وتقديرا
وهو الدين والقبلة ونحو ذلك وانما جمع الاهواء ولم يقل هواهم لان فرق الخلاف لم يكونوا على
هوى واحد بل لكل فرقة هوى فاخبر انه لا يرضى الكل الا باتباع اهواء الكل والملة ما شرعه
الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والاهواء جمع هوى وهو
الراى الزايف فان الهوى راى عن شهوة وميل الى لذة نفسانية داع الى الضلال وانما سمى بذلك
لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا الى كل داهية وفى الاخرة الى الجحيم والهاوية قال بعضهم هذا
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه عز وجل انه صلى
الله عليه وسلم لا يتبع ملتهم والجواب ان العصمة لا تزيل المحنة ولا تزيلها لان اشد البلاء للانبياء
بعد الذى جاءك من العلم اى من الوحى من الله او من الاسلام وما فيه من الاحكام قال الاستاذ

تخصيصه

والذى جاءك من العلم هو بيان حقيقة الاسلام وبطلان الكفر وان القبلة هى الكعبة وقال ايضا في
اى بعد ما جاءك من العلم الذى هم فيه او من الدين المعلوم صحته انتهى قلت ومن لتبيين ما ابهمه
ثم بينه للتعظيم اى من بعد ما جاءك من الدين الحق المعلوم صحته بالبرهان ومن العلم منصوب على انه
حال من ضمير جاءك مالك من الله من ولي ولا نصير ان الله وعد نبيه ومن معه من المؤمنين
بالنصر والتأييد في آية اخرى بقوله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فاجتمع بهذه الاية انه
لو اتبع هواهم لم يكن له من الله ولي اى حبيب يتولى امرك اى يتولى عنك الدفاع ولا ناصر يمنع
عنك العذاب والعقاب وجملة مالك الى اخره جواب للقسم قد سد مسد جواب الشرط ولنذكر
نبذة مما يتعلق بنجاة اهل الفترة سيما والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيخنا في الطبقة
الثالثة زكريا الانصاري وما يروى من انه صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواى
فنهى عن السؤال بقوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم اى عن احوال الكفرة ضعيف او لا اصل له لانه
مخالف لكثير من الايات والاحاديث والمختار ان الاية نزلت في كفار اهل الكتاب لدلالة ما قبلها
وما بعدها على ذلك وايضا ان والدى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا في زمن الفترة على التحقيق ولم
تبلغهما الدعوة باتفاق الائمة وقد قبضا في حداثة السن ولم يبلغا سنا يحتمل الوقوف على
الاخبار والفحص عنها فان سيدنا عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ صلاح الدين
العلائي انه عاش نحو ثمان عشرة سنة ووالدته امنة نحو العشرين تقريبا قال الجلال
السيوطي وحكم من لم تبلغه الدعوة باتفاق الائمة الشافعية من الفقهاء والائمة الاشاعرة منا
من اهل الكلام والاصول الفقه انه يموت ناجيا ويدخل الجنة نص على ذلك الامام الشافعي وتبعه
ساير الاصحاب والدليل على ذلك قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والدليل على
ذلك ايضا الحديث الذى اخرجه احمد بن حنبل وجماعة اخرى وهو قوله صلى الله عليه وسلم اربعة
يحتجون يوم القيمة رجل اصم لا يسمع شيئا ورجل احمق ورجل مات في فترة الى ان قال واما
الذى في الفترة فيقول اى رب ما اتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم ان
ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها والدليل على
ذلك الحديث الذى اخرجه البزار في مسنده بسند حسن على شرط الترمذى وهو قوله صلى الله
عليه وسلم يؤتى يوم القيمة بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة اى
رب لم يأتني كتاب ولا رسول ويقول المعتوه اى رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا و
لا شرا ويقول المولود اى رب لم ادرك العمل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها فيدخلها
من كان في علم الله سعيدا لو ادرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل
فيقول تبارك وتعالى اياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب والدليل على ذلك ايضا الحديث الذى
اخرجه عبد الرزاق وجماعة اخرى معه في اسانيدهم الصحيحة على شرط الشيخين وهو قوله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة جمع الله تعالى اهل الفترة والمعتوه والاصم والابكم والشيوخ
الذين لم يدركوا الاسلام ثم ارسل اليهم رسولا ان ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تاتنا

رسل

رسل قال وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان
يريد ان يطيعه قال ابو هريرة راوى هذا الحديث اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا والدليل على ذلك ايضا الحديث الذى اخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين
واقره الذهبي والدليل على ذلك ايضا الحديث الذى اخرجه ابو نعيم فراجع مسانيدهم ترى
فيها نجاة اهل الفترة قال عبد الرحمن السيوطي وقال العلماء والايات والاحاديث المذكورة ناسخة
لكل ما خالفها من الاحاديث الثابتة في البخاري ومسلم كما ان الاحاديث الواردة في اطفال المشركين
وانهم في النار منسوخة بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وبالاحاديث الواردة بخلاف ذلك
وذهب الى اسلام اهل الفترة ونجاتهم جماعة من الحفاظ اخرهم شهاب الدين ابن حجر العسقلاني
وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي ان لا يدخل النار احدا من
اهل بيتي فاعطاني ذلك اورده الحافظ المحب الطبري في ذخائر العقبى وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك
حزين مغتم فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه طفق فنزل فقال يا حميراء استمسكي
فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا مليا ثم انه عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بابي
انت وامي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ثم
انك عدت الي وانت فرح متبسم فعاذا يا رسول الله فقال ذهبت لامي امنة فسألت
ربي ان يحييها فاحياها فامنت بي او قال فامنت وردها الله عز وجل وقد عمل بالحديث
عائشة الامام القرطبي وابن المنير ونقله ابن سيد الناس عن بعض اهل العلم وقال به الصلاح
الصفدي في نظم وروى الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في ابيات له وجعلوا حديث
عائشة ناسخا لما خالفه من الاحاديث لتأخره وقد ايد هذا بالقاعدة التى اتفق عليها الامة
انه ما اوتي نبي معجزة او خصيصة الا اوتي نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وقد احيى الله لعيسى
الموتى من قبورهم فلا بد ان يكون لنبينا مثل ذلك فلذلك احياء الله تعالى على يديه جماعة من
من الموتى فاذا ثبت فما يمنع من ايمانهما بعد احيائهما زيادة في كرامته وفضله قالوا وكما احيى
الله له امه احيى له ايضا ابوه قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي شعرا: حبا الله
النبي مزيد فضل وكان به رؤفا : فاحيا امه وكذا اباه لايمان به فضلا لطيفا : فسلم
فالقديم بذا قدير : وان كان الحديث به ضعيفا : ورد القرطبي قول ابي الخطاب بن دحية
وهو من مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو امن عند المعاينة لم ينفعه ذلك
فكيف الاعادة بقوله وروى في البحر بان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها
ذكره الطحاوي وقال انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت
لما ردها عليه فثبت بان احياء ابوى النبي كان نافعا لايمانهما وتصديقهما بالله وبرسوله
وقال بعض الاكابر من اهل الحق فلو قلنا الايمان بعد الاحياء لو لم يصح الا لوالدى نبينا
صلى الله عليه وسلم فقط لخصوصه لصح ذلك وكم له من الخصايص والفضايل والكرامة عند الله

ما ليس لاحد من الانبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم فاذا الاعبرة بمن قال ان الايمان بعد انقطاع العمل لا
ينفع صاحبه مطلقا فظهر ان حديث رد الشمس كالشمس في الرد على القايلين بان احيا ابوى النبي
ما نفعهما بعد انقطاع العمل وذكر القرطبي في تذكرته بان فضايله صلى الله عليه وسلم وخصايصه لم تزل
تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به واكرمه وليس احياؤهما وايمانهما ممتنعا
عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله وذهب اعلم المفسرين
الامام فخر الدين الرازي من المتاخرين ان اباء النبي صلى الله عليه وسلم كلهم الى ادم على التوحيد لم يكن
فيهم مشرك وقال ايضا ان والدى النبي صلى الله عليه وسلم كانا على التوحيد ودين ابراهيم عليه السلام
كما كان على ذلك طايفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وعمرو بن
حبيب الجهني وعمرو بن عبسة في جماعة اخرين وقال ابن حجر الهيتمي وقول ابي حيان الرفضة هم
القايلون بان اباء الرسول صلى الله عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فلك
رده بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق به واما المسايل الاصولية فهو عنها بمعزل
كيف والاشاعرة وغيرهم من اهل السنة على ان اباءه صلى الله عليه وسلم مومنون غير معذبين فكيف
ينسب ذلك للرفضة وحدهم مع ان هولاء هم الذين هم ايمة اهل السنة قايلون بذلك انتهى كلامه في
شرح القصيدة الهمزية وفي حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة شفعت لابي وامي
وعمي ابي طالب واخ لي في الجاهلية اورده المحب الطبري في كتابه ذخاير العقبى في مناقب ذوي القربى
وقال ان ثبت فهو مؤول في ابي طالب على ما ورد في الصحيح من تخفيف العذاب بشفاعته فاحتاج الى
تاويله في ابي طالب لانه ادرك البعثة ولم يسلم وقد اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فالصحيح
من قال فيه ناج وقال بعض الاصحاب مسلم وقال الغزالي التحقيق ان يقال في معنى المسلم وقال
الامام فخر الدين الرازي ومما يدل ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله صلى الله عليه وسلم لم ازل
انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال الله تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد
من اجداده مشركا وقال الامام فخر الدين الرازي ايضا ومن ذلك قوله تعالى الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد ثم قال الامام وبهذا التقرير
فالاية دالة على ان جميع اباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين وقال الامام البيهقي وفي الحديث
ما افترق الناس من فرقتين الا جعلني الله في خيرهما فاخرجت من بين ابوي فلم يصبني شيء من عهد
الجاهلية وخرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم حتى انتهيت الى ابي وامي فانا خيركم
نفسا وخيركم ابا وعن ابي نعيم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة
الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا ما تشعبت شعبتان الا كنت في خيرهما وفي الاية ان ابراهيم دعا
لذريته ان لا يعبد احد منهم الاصنام حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وعبد الله والد النبي من اولاد اسماعيل ولم يعبد صنما اصلا نص على ذلك سفيان بن عيينة وما احسن
قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي ❊ تنقل احمد نورا عظيما ❊ تلالا في جباه الساجدينا
تقلب فيهم قرنا فقرنا ❊ الى ان جاء خير المرسلينا ❊ وحكى ابن سيد الناس في سيرته ان الله احيا عبد المطلب

حي

حتى امن بمحمد صلى الله عليه وسلم واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن عرباض بن سارية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم
عن ذلك دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام
الى اخر ما قيل فانظر كيف قابل شهادة انه بدعوة الخليل وبشارة عيسى قلت والاية الدالة
على ايمان والدى النبي واسلامهما ايضا قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا والايق بكمال النبوة
ان لا يذكر احد من اولاد النبي وذريته واجداده سيما والديه الا بالخير قال الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا قال ابو بكر العربي المالكي الفقيه
ولا اذى اعظم واكبر من ان يقال عن ابيه وامه انهما في النار وعن ابي هريرة انه قال جاءت سبيعة
بنت ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الناس يصيحون بي يقولون انت بنت حطب
النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب شديد الغضب فقال ما بال اقوام يؤذونني في قرابتي
الا من اذى قرابتي فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تؤذوا
الاحياء بسبب الاموات والله اعلم بمراده واسرار كتابه ونزل في الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب
من الحبشة او في عبد الله بن سلام واصحابه او في جميع المسلمين الذين مبتدا اتيناهم الكتاب صلته
قال البيضاوي يريد به مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه يتلونه اي يتلون الكتاب وهو
حال مقدرة من مومني اهل الكتاب او من الكتاب لانهم لم يكونوا تالين له وقت الايتاء وتنصب حق
تلاوته مصدرا تقديره تلاوة حقا كما انزل فلما قدم وصف المصدر عليه واضيف اليه نصب نصب
المصادر المعنى يقراونه الكتاب ولا يغيرونه ما فيه ويتبعونه حق اتباعه تخصيصه يقراونه بمراعاة اللفظ
عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه قال الكواشي والهاء في يتلونه للنبي صلى الله عليه وسلم
في المعنى اي يصفون النبي في كتبهم حق صفته لمن سالهم عنه اولئك الذين يتلون على ما يجب مبتدا
خبره يؤمنون به اي يصدقون بالكتاب دون المحرفين والمبدلين والجملة خبر المبتدا الاول
قال استادي رحمه الله في معنى قوله اتيناهم الكتاب اي التوراة وانما خصهم بذكر الايتاء لانهم هم
الذين عملوا به فكانهم خصوا به وقال في معنى قوله يتلونه حق تلاوته اي يتبعونه حق اتباعه قال
الله والقمر اذا تلاها اي تبعها واتباعه حق اتباعه هو العمل بمحكمه والايمان بمتشابهه او ان يحل حلاله
ويحرم حرامه ويعمل باوامره وينتهي بنواهيه ويقراونه حق قراته قال الله تعالى واتل عليهم اي اقرا
عليهم وقراته حق قراته التدبر والتفكر والترتيل وترك التحريف والتبديل او يصفونه حق صفته
اي يقولون هو كلام الله غير مخلوق ولا محدث ولا حادث ويصدقون بما فيه من نعت محمد صلى الله
عليه وسلم انتهى كلام الاستاد ثم استانف فقال ومن يكفر به اي ومن لم يؤمن ولم يصدق بالكتاب
المؤتى بان يحرفه ويبدله ويغيره فاولئك هم الخاسرون اي الذين يكفرون بالكتاب هم الهالكون
المغبونون في تجارتهم لمصيرهم الى النار المؤبدة عليهم لاستبدالهم الضلالة بالهدى واشترائهم الكفر بالايمان
وانما فسرنا كذلك لما فيه من الرمز والاشارة الى ما ذكر في اول السورة عند قوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واولئك جمع والمذكور قبله وهو قوله ومن يكفر

ام

موحد فی الظاهر ولکنه جمع فی المعنی لانه للجنس واولئک مبتدا وهم عماد والخاسرون خبر المبتدا واثبت
الخسران لمن کفر به لانه بتبعه حق اتباعه وهذا لطف من الله عز وجل بعباده یا بنی اسرائیل
اذکروا نعمتی التی انعمت علیکم بالشکر علیها بطاعتی وانی فضلتکم علی العالمین ای فضلت
سلفکم من ابائکم علی عالمی زمانهم واتقوا یوما ای خافوا یوما وهو یوم القیمة لا تجزی نفس عن
نفس ای لا تغنی نفس عن نفس فی ذلک الیوم شیئا ولا یقبل منها عدل ای فداء ولا
تنفعها شفاعة ای لیس لها شفاعة فتقبل قال الله فما من شافعین ولا هم ینصرون
ای ولا هم یمنعون من عذاب الله وقد مر تفسیر هذین الایتین فی اول السورة غیر انه قال هناک ولا
تقبل منها شفاعة ولا یوخذ منها عدل وقال هنا ولا یقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وبدء
قصة بنی اسرائیل هذین الایتین فی اول السورة وههنا کذلک ففی الایة الاولی فی الموضعین تذکیر
النعمة والقیام بحقوقها حیث قال یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی التی انعمت علیکم وانی فضلتکم علی العالمین
وفی الایة الاخری فی الموضعین تخویف العقوبة والحذر عن اضاعة النعمة عن الساعة واهوالها
حیث قال واتقوا یوما لا تجزی نفس عن نفس شیئا ولا یقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
ینصرون وبالایتین ختم الکلام معهم وفایدة صورة التکرار فی الموضعین التقریر فی الاذهان والمبالغة
فی النصح والاعلام بان تذکیر النعمة وتخویف العقوبة هو نتیجة القصة ووصل بقصة بنی اسرائیل قصة
ابراهیم حیث قال واذ ابتلی ابراهیم ربه بکلمات وکان بنو اسرائیل یدعون انهم علی ملة ابراهیم فنفی الله
دعواهم بقوله فی ایة اخری ما کان ابراهیم یهودیا ولا نصرانیا ولکن کان حنیفا مسلما وشرح الله حال
ابراهیم ههنا فقال واذ ابتلی ابراهیم ربه بکلمات ای واذکر وقت اختبار ابراهیم او اذکر
اذ امر ابراهیم یعنی کلفه باوامر ونواهی قدم المفعول ثم ذکر الفاعل فقال ربه وانما فعل ذلک
ایجازا لانه لو قدم الفاعل فقال واذ ابتلی رب ابراهیم ابراهیم تکرر ذکر ابراهیم فی موضع المفعول
والایجاز ابلغ والابتلاء فی الاصل هو الاختبار وتکالیف الله اوامره ونواهیه ابتلاء قال الله لیبلوکم
ایکم احسن عملا وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتلیه والاختبار منا لظهور ما لم نعلم وتبین
ومن الله تعالی لاظهار ما قد علم هو وعاقبة الابتلاء ظهور الامر الخفی فی الشاهد والغایب جمیعا فجاز
تسمیة ذلک من الله عز وجل ابتلاء لهذه العاقبة فی هذا المعنی کابتلاء العباد قال احمد الکواشی القراءة
ای الصحیحة بجعل ابراهیم مفعولا وربه فاعلا وقری بجعل ابراهیم فاعلا وربه مفعولا فالابتلا علی هذا
ای القراءة الشاذة هو الدعاء والمسالة ویکون الضمیر فی اتمهن لله عز وجل بان اجاب مسالته والضمیر
علی القراءة الصحیحة لابراهیم القراءة ابراهیم جمیع ما فی القران وابرهام جمیع ما فی هذه السورة ومواضع
اخر جملتها ثلثة وثلثون موضعا وقری جمیع ما فی القران ابراهم بکسر الهاء وضمها لغات کلها وهو عجمی
وجمعه اباره او براهم او براهمة او ابارهة انتهی قال الکمال ومعنی ابراهیم بالسریانیة اب راحم
وذلک لرحمته بالاطفال فجعل هو وزوجته سارة کافلین لاولاد المومنین الذین یموتون صغارا الی یوم
القیمة انتهی وروی انه اول من اختتن وهو ابن ثمانین سنة بالقدوم وهی قریة بالشام واول من قلم
الاظفار واول من رای الشیب فی راسه والکلمات عن ابن عباس هی اوامر مناسک الحج وشرایع الاسلام

واحکامها

واحکامها فمعنی قوله فاتمهن علی قول ابن عباس ای فادی مناسک الحج علی التمام والکمال وروی عن
ابن عباس ان الکلمات هی الفطرة وهی عشر خصال خمس فی الراس وهی المضمضة والاستنشاق
والسواک وقص الشارب وفرق الراس وخمس فی البدن وهی قلم الاظفار ونتف الابط وحلق
العانة والاستنجاء بالماء والختان ومعنی فاتمهن علی هذا ای عمل بهن قال الله تعالی وابراهیم الذی
وفی ومعنی هذه الایة ای قام بهن حق القیام واطاعه فیهن احسن الطاعة وهذه الخصال العشر
کانت علیه فرایض ولنا سنة والختان واجب عندنا والکلمات قد یطلق علی المعانی فلذلک فسرت بالخصال
المحمودة کما فسرت الکلمات بالمعانی فی قوله فتلقی ادم من ربه کلمات والخصال المحمودة علی التراث الاول هی
ثلثون خصلة عشرة منها فی سورة الاحزاب ان المسلمین والمسلمات الی اخر الصفات وذلک فی الایتین
وعشر فی براءة ای فی التوبة التایبون الی اخر الایة وعشر فی اول قد افلح المومنون الایات وقال محمد بن علی
الترمذی الکلمات هی الخصال التی بنی علیها الاسلام وهی اثنان وثلثون سهما عشر منها فی سورة الاحزاب
ان المسلمین والمسلمات الایة وعشر فی سورة الرعد افمن یعلم انما انزل الیک من ربک الحق الایات وست
فی اول سورة قد افلح الی قوله هم الوارثون وست فی اول سورة البقرة من هدی للمتقین الی قوله هم
المفلحون وقال ابو الخیر فی معنی واذ ابتلی ابراهیم ای بالکواکب والقمر والشمس فاحسن فیها النظر وعلم
ان ربه لا یزول ابدا فصار حجة علی عبدة الشمس والقمر والکواکب وقال ایضا معناه انه ابتلی بالشداید
کالنار فی محاجة نمرود والهجرة وذبح الولد واسکانه بواد غیر ذی زرع ولا ماء والختان فصبر علی ذلک
فتمم الله تعالی له فاستحق الامامة الناس وانما سماها کلمات لانها اعاجیب قیل ولذلک قیل لعیسی کلمة الله
والاوامر والنواهی انما یکون بالکلام کما هو الظاهر وتخصیصه ان الله عامله معاملة المختبر بتلک الکلمات فقیل
الکلمات هی الدعوات المحکیة عنه فی القران نحو رب اغفرلی ولوالدی ولا تخزنی یوم یبعثون وغیر ذلک انتهی
کلام ابی الخیر قال الحسن ابتلاه بالاشیاء المذکورة فاتمهن فشکرها الله عز وجل له فقال الله عز وجل
لابراهیم انی جاعلک للناس اماما ای رسولا یقتدی بک فی الدین جمیع من یاتی بعدک والامام
فعال بمعنی المفعول اسم لمن یوتم به کالازار لما یتزر به وامامة ابراهیم عامة مؤبدة اذ لم یبعث بعده
نبی الا من کان من ذریته مامورا باتباعه وقد انجز الله هذا الوعد فقال لنبینا محمد صلی الله علیه وسلم
ثم اوحینا الیک ان اتبع ملة ابراهیم حنیفا وقال الله لنا ملة ابیکم ابراهیم وملة نصب علی الاغراء وقال
الله عز وجل ومن یرغب عن ملة ابراهیم الا من سفه نفسه وقال الله عز وجل قد کانت لکم اسوة حسنة
فی ابراهیم قال ابو الخیر فی قوله قال انی جاعلک للناس اماما هو استیناف ان اضمر ناصب اذ کانه
قیل فماذا قال لابراهیم ربه حین اتمهن فاجیب بقوله قال انی جاعلک للناس اماما ویجوز ان یکون
قوله انی جاعلک للناس اماما بیانا لقوله ابتلی فیکون الکلمات ما ذکره من الامامة وتطهیر البیت
ورفع قواعده والاسلام قبل هذه الثلثة وان نصبت اذ بقال فالمجموع جملة معطوفة علی ما قبلها وجاعل
من جعل الذی له مفعولان لانه بمعنی التصییر قال ومن ذریتی عطف علی الکاف فی جاعلک والمفعولات
محذوفان هنا تقدیره ومعناه واجعل بعضا وفریقا من اولادی وذریتی اماما یقتدی به بعدی لان
جعل یتعدی الی مفعولین کما تقدم قال الاستاد وتلخیص الکلام ان قوله ومن ذریتی عطف علی الضمیر المجرور

لان الاضافة اللفظية فى تقدير الانفصال اى وجاعل لذريتى الامامة ايضا اخرجه فى صورة الاخبار
حفظا بالمن تعالى شانه فهو كعطف التلقين فى قولك وزيدا لمن قال
اهتماما بوقوعه و عن صورة الامر
ساكرمك بجعل نفسك نايبا عن المتكلم وفيه من الاختصار والحسن ما يروق كل ناظر قال صاحب الغاية
الامانى وانما لم يسال الامامة لجميع ذريته لعلمه بان بعضهم لا يومن وفى التيسير ومن للتجنيس ههنا لا التبعيض
اى اجعلهم كلهم ايمة تقتدى وهذا شفقة منه على اولاده على الخصوص اكرم بكرامة فاحب ان يشاركه
فيها اولاده وشفقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت فى درجة الكمال اكرم ليلة المعراج بالسلام والرحمة
والبركة فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاشرك فيها اهل السماء والارض من اهل التوحيد
وفق له قال لا ينال عهدى الظالمين اى لا تصيب الامامة اهل الظلم من ولدك وهم اهل الكفر اخبر
ان امامة المسلمين لا يثبت لاهل الكفر وان من اولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى وباركنا عليه وعلى
اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والمحسن المسلم والظالم الكافر وتعلقت المعتزلة بظاهر
الاية فى نفى صلاحية الامامة للفاسق لكن نقول الظالم نريد به الكافر ههنا الى هنا من كلام صاحب التيسير
وقال احمد الكواشى لا ينال امانى من النار المشركين او المعنى من كان من ذريتك ظالما لا يناله ما
عهدته اليك من النبوة ولا استخلاف وانما يناله من كان بريا من الظلم قالوا فى هذا دليل على ان الفاسق
لا يجوز ان يكون اهلا للامامة وكيف تجوز امامة من لا يجوز حكمه ولا شهادته ولا يقدم للصلوة وكان
طاهمة عن ابن عيينة ان الظالم لا يكون اماما قط لان الامام هو لكف الظلمة فكيف يجوز ان يكون
ظالما انتهى كلامه وكان شيخنا يقول وكلام احمد الكواشى احسن من كلام صاحب التيسير والمدارك
وابى السعود العمادى والعيون ثم كان يقول واحسن من كلام احمد الكواشى كلام البيضاوى لحسن سبكه
حيث يقول فى معنى قوله لا ينال عهدى الظالمين اى هذا اجابة الى ملتمس ابراهيم وتنبيه على انه
قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امامة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها
وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكباير قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرى الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته انتهى قلت ولو قال بعد قوله
من الكباير ومن الصغاير ثم حسن السبك وقال السيوطى والمعنى لا ينال عهدى وامانى من النار
بالامامة الكافرين منهم دل على انه يناله غير الظالم انتهى قلت وظن الكمال بان الفاسق يصلح للامامة
بحسب زعمه حيث يقول فى تفسيره والمعنى من كان ظالما من ذريتك لا يناله عهدى اليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا او النيل الحقوق واختلف فى المراد بالعهد والاظهر انه النبوة فلا دلالة فى الاية على
ان الفاسق لا يصلح للامامة انتهى كلامه وكان الاستاد يقول واقول كلام الكمال يرد على اخره كما لا يخفى للعامى
فكيف بالماهر وكيف يزعم انه يرد على البيضاوى فى هذا المحل بقوله فلا دلالة الى اخره ثم قال الاستاد
انى طالعت فيما يزعمه فى الرد على البيضاوى فى جميع تفسيره فما وجدت لكلامه طلاوة ولا حلاوة وكان
الاستاد يقول ايضا ومن العجب ممن يقول ان الظلم الحالى مانع من الامامة واما الظلم الطارى فلا ومن العجب
ايضا ممن يقول لا دلالة فى الاية على عصمة الانبياء قبل النبوة انتهى كلام الاستاد قلت تعجب الاستاد
من كلام صاحب غاية الامانى حيث يرد على البيضاوى بزعمه من معنى قوله تعالى قال لا ينال عهدى الظالمين
اى هذا

٤٧

اى هذا اجابة الى سواله وابن زمان اشار اليه فى السوال بمن التبعيضية اى انما يناله من كان عادلا لكن كل
لا يرث منى اجنبى فى جواب من قال اوص لبنيك والاية دلت على ان الظلم الموجود مانع واما الطارى
يبطل الامامة فلا ولا دلالة فيه على عصمة الانبياء قبل النبوة لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة انتهى
كلام صاحب الغاية وقال ابو منصور الماتريدى قيل كيف كان قوله لا ينال عهدى الظالمين جوابا
لقوله ومن ذريتى وكانت الرسالة فى ذريته قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية يحتمل قوله ومن ذريتى انه
احب ان تكون الرسالة واذ جعلنا البيت مثابة للناس اى واذكروا اذ جعلنا الكعبة الشريفة مرجعا للناس
لانهم يثوبون ويرجعون اليه من كل جانب والبيت علم للكعبة الشريفة بالغلبة كالنجم للثريا واصل الثوب
الرجوع والبيت مفعول اول لجعلنا ومثابة مفعول ثان له وان جعلت جعل بمعنى وضع فمثابة حال
قال ابو الخير والبيت المعرف بالالف واللام اسم للكعبة وقد ذكر البيت فى القران على وجوه ان اول
بيت وضع للناس للذى ببكة ان طهرا بيتى للطايفين فليعبدوا رب هذا البيت والبيت الحرام ولله
على الناس حج البيت قال الحسن فى معنى مثابة اى يثوبون اليه كل عام اى ليس هو فى الزمان مرة فقط و
قال مجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم واجعل افيدة
من الناس تهوى اليهم وقال ابن عباس معناه لا ينصرف عنه احد وهو يظن انه قد قضى منه وطره فهم
يعودون اليه وفى الغاية المعنى يثوب الزايرون اليه اما باعيانهم وانفسهم واما بامثالهم لان الزاير
ربما لا يثوب واللام للجنس وانما استدركه لاتحاد الكل فى الاسلام والقصد الى الحج والاعتمار وقيل
الاستغراق والمراد الكمل والاشراف انتهى وقال ابو الفتح فى معنى مثابة للناس اى مرجعا لهم يثوب اليه اى
الزوار وامثالهم او موضع ثواب يثوبون بحجه واعتماره وقرى مثابات لانه مثابة كل واحد اى لان
لكل واحد مثابة لا تختص واحدا دون غيره كقوله سواء العاكف فيه والباد وفى تفسير النيسابورى
وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى او بان الله تعالى
القى تعظيمه فى القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دنيوية
كالتجارات والمكاسب فى ايام الموسم او دينية كما قال صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق
يرجع كيوم ولدته امه وقال صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس
له جزاء الا الجنة وامنا قال البيضاوى اى وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله
ولا يواخذ الجانى الملتجى اليه حتى يخرج وهو مذهب ابى حنيفة انتهى وفى تفسير النيسابورى وقال
امامنا الشافعى ان الامام يامر بالتضييق على الذين وجبت عليهم الحدود بما يودى الى خروجه فاذا
خرج اقيم عليه الحد فى الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذا من قاتل فى الحرم جاز قتاله فيه وقد يقع
فيه القتل الحرام والمباح قال الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم انتهى قال الاستاد معناه ذا امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة وقال ايضا
ومعنى ان الحج يجب ما قبله من غير حقوق الناس ومظالمهم واذا نظرنا الى ظاهر الحديث الذى يصير
الحاج كيوم ولدته امه فقد صح ان الحج يجب ما قبله انتهى قال الحافظ عبد الرحمن السيوطى فى معنى

اى مأمنا لهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل منهم يلقى قاتل ابيه فلا يهيجه انتهى
تلخيصه جعل الله البيت مأمنا يأمنون فيه اى موضع امن وهو ضد الخوف قال الله ومن دخله كان
آمنا وقال حرما آمنا وكان المشركون لا يتعرضون الى اهل مكة ويسمونهم باهل الله ولان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حرمه يوم فتح مكة ونهى عن عضد شجره وتنفير صيده والتقاط لقطته الا لمعرفها واختلاء
خلاه الا الاذخر وقال صلى الله عليه وسلم الا ان حرم مكة حرام من حرام الله لم تحل لاحد بعدى
وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت بعد حراما الى يوم القيامة وقيل معناه امنا من الجوع والجذام
والبرص وقيل امنا من ايدى الجبابرة فانه ما قصد قوم تخريبه الا هلكوا كاصحاب الفيل وقيل امنا
للصيود حتى ان الاسد والنمر وساير السباع يتبع الصيد فدخل الحرم فيرجعون عنه والطير لا يطير
فوق البيت الا لعلة او شدة او المحافظة ونحو ذلك وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله لو
اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** قرأ نافع وابن
عامر واتخذوا بفتح الخاء بلفظ الماضى على الخبر لا على الامر عطفا على جعلنا اى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى الكعبة قبلة يصلون اليها تلخيصه على هذه القراءة واذ
جعلناه مثابة للناس واتخذ الناس مقامه وهو الحجر الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت محل
صلاة فصلوا خلفه ركعتى الطواف والباقون على الامر استينافا والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو على هذه القراءة معطوف على اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واتخذوا من مقام ابراهيم مكان
صلوة بان تصلوا خلفه ركعتى الطواف وقيل القول هنا مقدر اى وقلنا لهم واتخذوا او قل لهم
واتخذوا وقيل واتخذوا اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا وانما اضمر ثوبوا
لان قوله واذ جعلنا البيت مثابة يقتضى اضمار ثوبوا وثوبوا يقتضى واتخذوا وهذا امر استحباب
لان الفرض لا يختص بمكان اجماعا لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح جعلت لى الارض مسجدا فاى
رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان ومن هذا الحديث عند قوله فاينما تولوا فثم وجه الله روى
البخارى عن انس بن مالك عن عمر رضى الله عنهم وافقنى ربى فى ثلث اى وقع مرادى على وفاق حكم الله فى
ثلث قلت يا رسول الله لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى فنزلت هذه الاية وقلت لو امرت نساءك بالحجاب
فنزلت اية الحجاب وقلت لنسايه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا فنزلت قال البيضاوى
مقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدمه والموضع الذى كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او
رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم وقال
عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لما روى
جابر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وللشافعى رضى الله عنه فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج و
اتخاذها مصلى ان يدعى فيه ويتقرب الى الله تعالى انتهى قال شيخنا والراجح من قولى الشافعى عند
اكابر اصحابه الاستحباب لان مذهبه الحديث وفقهه مؤيد به قال احمد الكواشى ومقام ابراهيم
الحجر الذى يصلى عنده ركعتا الطواف وهو الذى قام عليه ابراهيم عند بناء البيت وهو الذى اعتمد عليه

رجله

رجله لما غسل راسه وهو على دابته لما جاء زائرا لاسماعيل فلم يجده ووجد امرأته فغسلت راسه
وضفّرته فقال اقرئى زوجك السلام وقولى قد استقامت عتبة بابك فلا تغيرها وفى الحديث ان الركن
والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة لولا مسته ايدى المشركين لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب او هو جميع
مشاهد الحج كعرفة ومزدلفة ومنى ومكة او جميع الحرم ثم جاء مرة اخرى فقال لاسماعيل ان الله امرنى
ببناء بيت هنا اتعيننى عليه قال نعم فبنى البيت انتهى وقال عز الملة والدين عبد العزيز الشيرازى
والمقام بفتح الميم موضع القيام وبالضم موضع الاقامة ونفس الاقامة وفى رواية عن ابن عباس الحرم كله
مقام ابراهيم فمن كان فيه استقبل البيت اى نفس الكعبة ومن كان خارجا عنه كالافاقى استقبل الحرم
الذى هو المصلى قال استادى رحمه الله ومقام ابراهيم هو الحجر الذى قام عليه ابراهيم حين بنى البيت فغاص
رجله فيه وكان عند جدار البيت فنقل الى المكان الذى الآن به لئلا يشق على الطايفين وعلى الحجر الذى
قام عليه ابراهيم كسوة من حرير وقبة لطيفة يقابل باب الكعبة وفى الغاية ولما وقع سيل الحجاز وذهب السيل
بالمقام الى اسفل مكة سال عمر المطلب بن ابى وداعة عن مكانه وكان المطلب قد قاس من البيت الى مكان
المقام بخيط مثله فدله على المكان الذى الآن به وضرب عليه سدا لئلا يصل اليه السيل وفى التيسير وقيل
المقام هو الحجر الذى وضع عليه ابراهيم قدمه حين نادى بالحج فقد روى انه لما فرغ من بناء الكعبة قيل
اذن فى الناس بالحج فقال كيف انادى وانا بين الجبال وليس بحضرتنا احد فقال الله عليك النداء وعلى
البلاغ فصعد ابا قبيس واخذ هذا الحجر معه ووضع عليه قدمه فارتفع الحجر حتى علا كل حجر فى الدنيا وجمع
الله الارض كالسفرة فنادى يا معشر المسلمين ان ربكم بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه فحجوا فاجاب الناس من
اصلاب الاباء وارحام الامهات فمن اجابه مرة حج مرة ومن اجابه عشرا حج عشرا وفى رواية اخرى عن ابن عباس
انه قال كان ابراهيم يبنى الكعبة واسماعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البناء وضعف عن رفع الحجارة اليه قام
على حجر فهو مقام ابراهيم وفى تفسير النيسابورى وقال القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم صلى الله عليه وسلم قام
على هذا الحجر فى هذه الامور كلها وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف فى احدى الروايتين وعليه رسم مصحف
الشام وهو اصله فى السريانية فالياء بعد التعريب **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل** والعهد هنا بمعنى
الامر اى امرناهما امرا موكدا **ان طهرا** هذا ان كان ان مخففة وان كانت مفسرة فمعناه اى طهرا
والمراد بالتطهير من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى
واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص وكل هذه اما ان لا تكون موجودة هناك اصلا
فالمراد بهذا الامر اثبات البيت على ما كان عليه من الطهارة مثل قوله ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن
لم يطهرن بعد ان كن نجسا بل خلقن طاهرات فالمعنى اى مبقاة على الطهارة الاصلية كقوله تعالى يا ايها
النبى اتق الله اى دم على ما انت عليه من كمال التقوى واما ان تكون موجودة فامر بازالتها وذلك
[illegible]
انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بالقرابين وكانوا يلطخون الجدر بالدماء فامرهم الله بالتطهير
[illegible]
قال الاستاد وبعض السودان بل كثير من العلماء من اهل المدينة يلطخون ابوابهم وجدرانهم و[illegible]

بالدعاء خوفا من المجانين فانه حسبهم انتهى وقيل هو تطهير من المكاسب فيه وقال عطا كنت عند
ابن عباس فساله رجل عن قوله طهرا بيتى قال اما والله ما امرهم الله ان يطهروه بالبخور ولا ان يصونوه
بالخلوق ولكن امرهم ان يطهروه من الاوثان والشرك والمعاصى وبما لا يحبه الله عز وجل قال
نجم رحمه الله تامل كيف امر الله خليله وابن خليله بتطهير البيت بعبادتهم مجانا كيف امكن مع رفعة
شانهما فطوبى لمن لم ياخذ من حطام الدنيا فى تطهير بيت الله ومسجد رسوله بل ساير المساجد
انتهى **للطائفين** اى للدائرين حوله **والعاكفين** اى المعتكفين فيه لتشمل الاعتكاف انواع العبادات
واصناف الطاعات اذ فى الحديث ان الله تعالى ينزل فيه كل يوم مائة وعشرين رحمة ستين للطائفين
واربعين للمصلين وعشرين للعاكفين اى المعتكفين فيه قال بعضهم معناه المقيمين عند البيت والمجاورين
فى المسجد الحرام وقال السيوطى معناه اى المقيمين فيه انتهى وفى الغاية معناه المجاورين المقيمين
فيه او الواقفين للصلوة لقوله والقائمين **والركع السجود** جمع راكع وساجد وهم المصلون
فان قلت لم لم يعطف السجود على الركوع كما عطف العاكف على الطائف قلت لانها عبارة
عن المصلى لعدم مشروعية الركوع عبادة ولهذا قال بعضهم وترك العطف بينهما لكمال الاتصال قال
بعضهم اشار بالطائفين الى الغرباء والعاكفين الى اهل مكة وبالركع السجود المصلين قال عطاء
الطواف للغرباء افضل والصلوة للمكيين افضل قال استادى رحمه الله الطواف فى الحج والعمرة والعكوف
ملازمة المسجد والركوع والسجود فى الصلوة وهى العبادات المتعلقة بالبيت فامر الله ابراهيم واسمعيل
بتطهيره لهؤلاء انتهى **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا** اى واذكر وايضا اذ دعا
ابراهيم فقال يا رب حذف حرف النداء وهو جائز قال الله تعالى يوسف اعرض عن هذا وهذا اشارة
الى المكان وهو الوادى قال الله تعالى انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع سال ابراهيم ربه عز وجل
مرة قبل ان يصير الوادى بلدا ان يجعله بلدا امنا كما هنا وسال مرة اخرى بعد ما صار الوادى بلدا ان
يجعله امنا كما قال فى سورة ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا فان قلت لم جاء فى سورة ابراهيم
معرفا عكس ما فى هذه السورة قلت ذلك سابق نزوله اشار به الى الحاضر فى الذهن قبل صيرورته
بلدا وهذا انما قاله بعد ما صار بلدا فالمسئول اولا صلوحه للسكنى بالامن فى اكثر الاحوال كساير البلاد
وثانيهما ازالة خوف يعترى البلاد الامنة او الاستدامة او احدهما اشارة الى امن الدنيا والاخر الى
امن الاخرة قال ابو يحيى فان قيل ان مكة كانت حراما قبل هذا لقوله صلى الله عليه وسلم الا ان مكة
حرام منذ خلق الله السموات والارض فما معنى سوال الامن قلت كان اولا امنا عن الاصطلام واثباتا
فى النفوس تعظيمها واحترامها وهذا كان سوال وقوع الامن عن الحوادث والعوارض وكان هذا سوال
دوام ذلك الامن وقد اجاب الله دعوته فقال اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم وبلدا مفعول ثان لاجعل ومعنى امنا اى ذا امن يامن فيه اهله كقوله فى عيشة راضية اى
ذات رضى او امنا فيه اى امنا فيه اهله كقوله ليل نائم وقد اجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا
لاهله لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاوه وامنا صفة
لبلدا البلد الاثر فى الجلد وغيره وانما سمى البلد بلدا لما فيه من الاثار وقد مر معنى الامن عند قوله

مثابة

مثابة للناس وامنا **وارزق اهله من الثمرات** اى قال ابراهيم وارزق اهله من الثمرات وقد
فعل اى اجاب دعاءه بنقل الطائف من الشام اليه بدعاء ابراهيم وكان اقفر لا زرع فيه ولا ماء
قال الاستاد والثمرات جمع ثمرة وهى جميع ما يخرج من الاراضى والاشجار فهو سوال الطعام والفواكه
وانما قال اهله دون اهلى تعميما للدعاء كما هو اللائق بشان الانبياء قال الزهرى والثمرات هى الفواكه
فقط قال الله يجبى اليه ثمرات كل شئ وانما خص ذلك بالسوال لان الطعام المعهود مما يكون فى كل
مكان فاما الفواكه فقد يعدم فسال لاهلها الامن والسعة وبهما يطيب العيش وتقوم المصالح فاجاب
له فى ذلك ايضا بنقل قرية من قرى فلسطين كثير الثمار اليها فاتى جبريل عليه الصلوة والسلام فقلعها وجاء
فطاف حول البيت سبعا ثم وضعها على ثلث مراحل من مكة وهى الطائف وبذلك سميت به **من امن
منهم بالله واليوم الاخر** قال الاستاد ومن امن منهم بدل من قوله اهله من الثمرات بدل البعض اى
وارزق من امن من اهل البلد بالله وبالبعث تخصيصه وارزق المومنين من اهله خاصة فان قيل لم
لم خص المومنين بالدعاء لهم بسعة الرزق قلت ليوافق قوله لا ينال عهدى الظالمين ولان الله تعالى
امر الخليل وابنه اسماعيل بتطهير البيت للطائفين والعاكفين والمصلين دون غيرهم **قال ومن كفر**
عطف على من امن والمعنى قال الله تعالى وارزق الذى كفر اى لا امنع الذى كفر من هذا الرزق وهو الثمرات
قاس ابراهيم شان الرزق حيث قال وارزق اهله من الثمرات على شان الامامة فاخبر الله عز وجل
ونبه خليله على ان امر الرزق وشانه ليس كشان الامامة لان الرزق رحمة دنيوية تعم المومن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم فى الدين فانه مختص باهل الايمان قال ابو يحيى ويجوز عطف قوله ومن كفر
على مقدر اى ارزق من امن منهم ومن كفر بلفظ الخبر دون الامر ويجوز ان يكون من كفر مبتدا لتضمنه
معنى الشرط وخبره **فامتعه قليلا** ويدل على تضمينه معنى الشرط دخول الفاء على الخبر اى فانا امتعه
وامد له من لذات الدنيا متاعا قليلا يتناوله ذلك مدة حياته ومن شهواته اثباتا للحجة عليه لانه
اهل للانعام قال صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطيتك على مضر وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وانما
قدرنا متاعا قليلا لان قليلا نعت لمصدر محذوف وهو متاعا لعلى حذف الفعل المذكور والدنيا كلها
قليل ومدتها كذلك واصل التمتع الامتداد ومنه متع النهار اى طال وامتد قال ابو احمد الشيرازى ومعنى
امتعه قليلا الى منتهى اجله لانه وعد عز وجل بالرزق كافة الخلق وقيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل
لفنائها قال البيضاوى والكفر وان لم يكن سبب التمتع ولكنه سبب القلة بان يجعله مقصور الحظوظ
الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى الاخرة اشعى القراة فامتعه بضم الهمزة
مخففا من امتع يمتع اى اجعله ذا امتاع والقراة ايضا بالتشديد وهذا ابلغ واشهر ومعناه امهله واعطيه
المتاع قال الحسن معناه امهله الى وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم فيؤمن به او لا فان لم يؤمن به ومن كفر به
عاقبته بالقتل والاجلاء والسيف يوم بدر **ثم اضطره الى عذاب النار** اى الجئه فى الاخرة والزمه
يوم القيمة الى عذاب النار لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم قال الخ وذكر الاضطرار
لقوله عز وجل خذوه فاعتلوه ولقوله نسوق المجرمين ولقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا فاخبر
انهم ينقلون الى النار اجبارا وقهرا لا انهم ياتونها طوعا واختيارا واصل الاضطرار عدم الامتناع عن

الشيء قهرًا اي الزه الى عذاب النار لا يجد الى غيره سبيلًا تحميصه الجثه الجاء لا يمكنه الامتناع منه
وثم للتراخي رتبة اذ لا فاصلة بين زوال التمتيع ودخول النار لان قبر الكافر حفرة من حفر النار
القراءة اضطرّ بفتح الهمزة على القطع وسكون الضاد وضم الراء فامتعه بقطع الالف وجزم العين
على الدعاء وقرئ ثم اضطره بوصل الهمزة وفتح الراء اذا ابتدات امر اي ابراهيم عطفا على امتعه امرًا من
ابراهيم وفي التيسير وقرئ فأمتعه بقطع الالف وجزم العين على الدعاء وقرئ ايضا ثم اضطره بادراج
الالف وفتح الطاء والراء على الدعاء اي سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يمتع الكافر قليلا ويجعل مصيره
الى النار وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس عذاب النار او مصيرهم او بئس المرجع
الذي يصير اليه وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة
فاطّره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطّجع نقل سيبويه عن بعض العرب مطّجعا في مضطجع
وقال مضطجع اكثر فدل على ان مطّجعا كثير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت متعلق
بيرفع واسماعيل وبعض يرفع اي يبني وقيل يظهر لان البيت كان مختفيا فرفعه واظهره والاكثر ان
على ان يرفع حكاية حال ماضية اورد هامع اذ استحضارًا لها ليعظم وقعها في النفوس وهذا ابهم
القواعد بالاطلاق ثم بينها بالتقييد من التبيينة بقوله من البيت تفخيما لشان المبني يعني لم يقل قواعد
البيت بغير من ليكون الكلام مبنيا على تبيين بعد ابهام ففيه تعظيم لشان المبني والقواعد جمع قاعدة
وهي الاساس والاصل للفرع الذي يبنى فوقه وهي من الصفات الغالبة من القعود بمعنى الثابتة ورفع القواعد
اي الاساس وهو البناء عليها لان القواعد اي الاساس بسبب البناء عليها نقلت من هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع فال استادي رحمه الله ويجوز ان يكون المراد بالقواعد سافات البناء من الحجر والطين
لانه اذا وضع ساف فوق ساف فقد رفع البناء وذلك لان كل ساف قاعدة واصل للذي يبنى عليه
ويوضع فوقه ويرتفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه وقال الاستاد ايضا بعبارة اخرى والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس جرت مجرى الاسماء ومعنى رفع الاسماء رفع البناء من باب جري النهر والجمع باعتبار
الاجزاء لان كل جزء اساس ورفع القواعد صريح فيما ذهب اليه الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة
وان ابراهيم عمرها ورفعها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه
وقال الاستاد ايضا بعبارة اخرى والقواعد هي الجدر عند الكسائي وعند غيره هي الاسس واحدها
قاعدة والقواعد من النساء جمع قاعد بغير هاء وهي التي قعدت عن التزوج وعن الحيض والولادة
وهي من صفات النساء على الخصوص لم يحتج فيها الى الهاء كما في الطالق والطامث والحايض والحامل والقاعدة
التي هي الاساس سميت بها للثبوت وقعود الانسان وهو الجلوس اي الثبوت على الارض واسماعيل عطف على
قوله ابراهيم اي واسماعيل كان يشارك والده ابراهيم في رفع قواعد البيت اي في بناء قواعد البيت انتهى
مقالات الاستاد وقال البيضاوي وكان اسماعيل يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء
عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب انتهى وقال شيخي رحمه الله وانما اخر
ذكر اسماعيل عن رفع القواعد لانه كان معينا وابراهيم هو الباني انتهى اقول وظاهر العطف يدل
على اشتراكهما في بناء القواعد وتعميرها الى ان تم البيت وكون ابراهيم اعلم بامر البناء من اسماعيل هو امر اخر

وعن

وعن علي رضي الله عنه انه قال مر على البيت دهر بعد بناء ابراهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر
فانهدم فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفع الحجر الاسود اختصموا
فيه فقالوا الحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج
اليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم يرفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوضعه موضعه واعلم ان للبيت اربعة اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا
بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين
واعادت قريش عمارته على الكيفية التي هي عليها اليوم ولم يجد وامن النذور والهدايا والاموال الحلال
ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم
وضيقوا عرض الجدار من الحجر الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا وهو الذي
يسمى الشاذروان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعايشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت
ولبنيته على قواعد ابراهيم فالصقته بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه
ايام ولايته وبناه على قواعد ابراهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه واعاده على الصورة التي هي عليها
وهي بناء قريش وفي بعض التفاسير وروي ان البيت خلق قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء
فدحيت الارض من تحتها ولما اهبط ادم الى الارض اهبط اليه البيت المعمور ليانس به ويطوف حوله
ببابين شرقي وغربي على مواضع البيت فحج ادم من الهند وقيض الله له ملكا فاراه المناسك وبقي في
الارض الى ايام الطوفان فرفع الى السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه مع كل دحية سبعون
الف ملك واسمه ضراح وهو في السماء الرابعة والكعبة بحياله على قدره ومثاله واول من بنى الكعبة
ادم ثم ابراهيم او انه بقي موضع البيت المعمور بعده فيه خاليا الى ان بنى ابراهيم واسماعيل الكعبة موضعه
وفي بعض التفاسير ان الله انزل لادم البيت المعمور ياقوتة حمراء الى موضع البيت وحج ادم من الهند بعدد
حجة وكان باقيا الى زمن الطوفان فرفع وكان مكانه رابية يذهب السيل من حواليه الى ان امر الله ابراهيم
ببناء بيت على تلك الرابية روى الترمذي والنسائي ان البناء لما ارتفع الى موضع الحجر جاء جبريل بالحجر
الاسود وهو اشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني ادم وفي بعض التفاسير وهو التيسير وكان
بناء البيت من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا وطور لبنان والجودي وحرا وكان اول من بناه
ادم ثم اندرس ذلك فرفع ابراهيم قواعده وخلق الله تعالى موضعه قبل ساير الارض بالفي عام فكانت
زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم الى الارض كان راسه يمس
السماء حتى صلع واورث اولاده الصلع نفرت من طوله دواب الارض فصارت وحشا من يومئذ
وكان يسمع كلام اهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم فيانس اليهم فهابته الملكة فنقصه الله تعالى الى ستين
ذراعا فلما فقد ادم صلى الله عليه وعلى اولاده من المرسلين سيما سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم اصوات
الملكة استوحش وشكى الى الله ذلك فانزل الله ياقوتة من يواقيت الجنة لها بابان من زمرد اخضر
باب شرقي وباب غربي وفيه قناديل من الجنة فوضعه على موضع البيت الان ثم قال يا ادم اني
اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطوف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلي عند عرشي وانزل عليه الحجر

ليمسح به دموعه وكان ابيض فلمسته الحيض فى الجاهلية اسود وتوجه ادم من ارض الهند الى مكة
ماشيا وسلط الله له ملكا يدله على البيت وقيل للجاهد لم لم يركب ادم فقال واى شئ كان يحمله كان
خطوته مسيرة ثلثة ايام فكل موضع وضع فيه قدمه عمران وما تعداه مفاوز فاتى مكة وحج
البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملئكة فقالوا بر حجك لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام
وقيل بخمسين الف سنة وحج ادم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه وكانت الكعبة على
ذلك المكان الى ايام الطوفان فرفعه الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
ثم لا يعودون الى يوم القيمة وهو بحيال الكعبة فلو ارسل من السماء شئ لنزل على ظهر الكعبة وخبأ الله
جبريل حتى خبأ الحجر الاسود فى جبل ابى قبيس صيانة له عن الغرق فكان موضع البيت خاليا عن البناء
الى زمن ابراهيم وروى ان الله امر جبلا من جبال فلسطين حتى جاء وستر موضع البيت فلم يصبه
الطوفان فامر الله عز وجل ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل واسحاق ببناء بيت له يذكر ويعبد فيه
فلم يدر ابراهيم اين يبنى فسال الله ان يبين له موضعه فبعث الله اليه السكينة اى سكينته التى هى
التابوت لتدله على موضعه وهى ريح لها راسان يشبه الحية فتبعها ابراهيم فوقف السكينة على موضع البيت
فامر ابراهيم ان يبنى حيث استقر السكينة وفى رواية بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير
وابراهيم يمشى فى ظلها حتى اتت مكة ووقفت على موضع البيت فنودى ابراهيم بان يبنى على مقدار ظلها
فجعل يبنى واسماعيل يناوله الحجر وهما يقولان **ربنا تقبل منا** بناءنا وعملنا والقول هنا مقدر ومثله
قد ورد فى القران كثيرة قال الله والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم
ومحل يقولان المقدر حال وقرئ باظهار يقولان قال الامام النيسابورى وقبول الله تعالى عمل العبد
عبارة عن كون العبد بحيث يرضاه الله ويثيب عليه والاول اولى عند العارفين من الثانى شبه الفعل
من العبد بالهدية وشبه الاثابة الله عليه ورضاه بالقبول **انك انت السميع** لدعائنا **العليم**
بنياتنا ومنهم من فسر السميع للقول والعليم للفعل وما ذكرنا اظهر واوضح **ربنا واجعلنا**
مسلمين لك اى مخلصين لك من اسلم وجهه اذا اخلص او منقادين خاضعين مطيعين لك من اسلم
اذا استسلم وانقاد والمعنى زدنا اخلاصا وانقيادا لك او دواما واثباتا على ذلك كما فى قوله اهدنا
الصراط المستقيم وهذا تعليم منهما للناس بالدعاء للثبات والانقياد مع كونهما معصومين مامورين
فاجيبا على ذلك حتى انقاد ابراهيم للالقاء فى النار واسماعيل للامر بالذبح وقرئ مسلمين بالجمع على
ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا** اى واجعل من بعض اولادنا
لان من للتبعيض كما فى قوله ومن ذريتى **امة** اى جماعة **مسلمة لك** صفة لامة اى مخلصة لك
بالعبادة والطاعة وانما خص البعض بالدعاء لتقدم قوله عز وجل لابراهيم لا ينال عهدى الظالمين
وقد قال فى اية اخرى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين والحكمة الالهية لا تقتضى الاتفاق على الاخلاص
والاقبال الكلى على الله فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا فاجيب الى ذلك حيث
قال الله عز وجل وجعلها كلمة باقية فى عقبه وكان فى ولد اسحاق وهم بنو اسرائيل الى ان حرفوا ثم فى
ولد اسماعيل وهو محمد وامته صلى الله عليه وسلم فيهم الى قيام الساعة قال ابو الخير وانما خص الذرية بالدعاء

لانهم

لانهم اذا اصلحوا صلح بهم الاتباع ولانهم احق بالشفقة واولى بالرعاية وكثرة الثواب الا ترى الى قوله
عز وجل قوا انفسكم واهليكم نارا والحديث قوله صلى الله عليه وسلم ما من رجل من المسلمين يخلف من بعده
ذرية يعبدون الله الا جعل الله له مثل اجورهم ما عبد الله منهم عابد حتى تقوم الساعة وتكرار
ربنا للاستلذاذ بذكره عز وجل والخضوع بالربوبية قال بعضهم ويجوز ان يكون من للتبيين
كما فى قوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما فى قوله
عز وجل خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن انتهى قلت والظاهر ان مسلمين مفعول ثان
لجعلنا ومن جعل من فى قوله ومن ذريتنا الابتداء غاية الجعل فيكون مفعولا ثانيا وامة مفعول الجعل ومسلمة
لك صفة لامة قال النيسابورى وخصص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة واقدم
قال الله قوا انفسكم واهليكم ولانهم ائمة فبصلاحهم يصلح غيرهم وفى سدادهم يكون سداد من وراءهم
وقد استجاب دعاءه فلم يزل فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ولم يزل الرسل الكرام
من ذرية ابراهيم وقد كان فى الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم
جد رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين الحق قائلين بالابتداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله
ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان انتهى قال شيخنا وكفى لعبد المطلب فخرا حيث اقام النبى
مقام والده بقوله صلى الله عليه وسلم انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ولولا كان مؤمنا موحدا ثابتا
على ملة ابراهيم لما مدحه بذلك وقد نهى عن تعزى بعزاء الجاهلية وعلى كل حال هو من اهل الفترة وممن
اجاب الله دعاءه يوم الابابيل والفيل والقصة مشهورة معلومة انتهى كلام الشيخ **وارنا مناسكنا** اى علمنا
شرائع عباداتنا والرؤية على هذا قلبية ويقال فى مثل اريت اى علمت والمناسك على هذا بمعنى افعال
الحج لا مواضعها او هو سؤال اراءة العين وعلى هذا يكون المناسك مواضع افعال الحج من عرفات ومزدلفة
والصفا والمروة ومواضع رمى الجمرات القراءة بكسر الراء مشبعا اختيار الجمهور والقراءة ايضا بسكون الراء لثقل
الكسرة على الراء والقراءة ايضا باختلاس كسر الراء جمعا بين التخفيف وابقاء الحركة لان حركة الهمزة المنقولة
قال البيضاوى وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ومعنى مناسكنا متعبداتنا
فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا قياسا على فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة
دليل عليها وقرا الدورى عن ابى عمرو بالاختلاس انتهى وقال ابو يحيى الاصفهانى ثم الشيرازى
دارا والشافعى مذهبا والنسك فى الاصل العبادة والناسك العابد والتنسك التعبد وخص للقربان
ولافعال الحج وواحد المناسك منسك بالفتح والكسر فهو اسم للمصدر والمكان جميعا وارنا بصرف
الى ابراهيم واسماعيل والى ذريتهما الا انهما بالخصوص وقرئ وارهم مناسكهم **وتب علينا** سالاه
التوبة مع عصمتهما هضما لانفسهما وتعليما وارشادا لذريتهما وفى التيسير معناه تجاوز عنا
التقصير الواقع فى هذا العمل وقيل لما كان قوله وتب علينا واقعا عليهما وعلى ذريتهما وفيهم من له
الذنوب كان سؤال التوبة فى حق الذرية لا فى حقهما وقال ابو منصور الحنفى دل سؤال
التوبة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم

ثم فيه الدليل على ان العبد يُسأل عن زَلَّةٍ لم يتعمّدها لانهم سألوا التوبة مجملا فلو كان سبق منهم شيء
علموا به وعرفوه لذكروا ذلك الشيء وبيّنوه فذلك سؤالهم التوبة ان العبد مسئول عن زلات لم يتعمّدها
انتهى ما في التيسير قلت لعل مراد ابي منصور من الزلات والعثرات على غير قصد منهم بان صدر منهم
سهوا ما هو تركه اولى **إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** اى انك قابل التوبة رحيم بمن تاب ورجع
حيث تبدل سيئات التايب حسنات **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ** اى في اهل البيت الذى بناه ابراهيم واسماعيل
وهم اهل مكة **رَسُولًا** عظيما **مِّنْهُمْ** اى من انفسهم وجنسهم وقومهم يتكلم بلسانهم لا من غيرهم وهو
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ لم يبعث من ذرية اسماعيل نبي غيره وروى الامام احمد عن عرباض بن سارية
وابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي انها رأت
خرجت منها نورا اضاءت بها قصور الشام وكان في ذلك اشارة الى بقاء شرعه الى اخر الدهر ولذلك ينزل
بالشام عيسى ويقتل الدجال قال الكواشي معناه واجعل في جماعة الامة المسلمة من اولادهما وهم اهل
مكة رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم كل الانبياء من بني اسرائيل العشرة مع محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين
انتهى وقال بعضهم وضمير منهم راجع الى الامة المسلمة فقد ذكرت قبله لانه اخبر ان عهده لا ينال
الظالم فلم يرجع الى قوله ومن ذريتنا وقال بعضهم الضمير راجع الى قوله ومن ذريتنا الى الامة المسلمة لعدم
الدلالة حينئذ على انهم امة ذلك الرسول وقال بعضهم الضمير راجع للجنس اى رسولا من جنسهم من البشر
لا من الملئكة يقول الفقير مؤلف هذا الكتاب والظاهر هو الذى ذكرنا اولا لانه سأل ربه رسولا لاهل
البيت وهم اهل مكة يكون من جنسهم يعلم بلسانهم ويتم به امور دينهم من الشرايع وامور دنياهم من الشرايع
والامن ونحو ذلك وقد اجاب الله الدعوة والحمد لله على ذلك **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ** والايات جمع اية وهي
كل كلام متصل الى انقطاعه والمعنى يقرأ عليهم رسولك محمد صلى الله عليه وسلم ايات كتابك ويبلغهم ما يوحى
اليه من دلايل وحدانيتك وكمال ذاتك وصفاتك او هي ما يتعلق بالنبوة من الايات وهي المعجزات لمن
مضى من المرسلين **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ** اى القران قال الاستاد معناه ويلطفهم في التفهيم شيئا فشيئا
كلام الله المنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو اعم من القراءة لاشتماله على منسوخ التلاوة الخارج عن القران
قال الحسن الحكمة القران قال الله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة فتكرر الاية على هذا المعنى للتاكيد
وقال مالك الحكمة الفقه وهو فهم معاني القران وهو استخراج مودعاته التي يتعلق بها الاحكام وقال
الحافظ بن عساكر وكان الايمة يقولون رحمهم الله الشافعي كان فقيهه مؤيدا بالاحاديث وقال بعضهم الحكمة هي
بيان ما في الكتاب من الاحكام من الحلال والحرام وشرايع الاسلام وبه يقع الاستحكام وقال بعضهم هي مواعظ
القران او هي العلم والعمل وقال بعضهم الكتاب هو القران والحكمة هي السنة وفيهما علوم الشرايع وقيل
الكتاب ظاهر القران والحكمة باطنه وقال بعضهم الكتاب هو القران المنزل والحكمة هي الوجوه التي بها يكون
صواب القول والعمل وقال الاستاد الكتاب هو القران والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف اصولا وفروعا
وانما اخّر في هذه الاية التلاوة حيث قال يتلو للاشارة الى ظهورها واستغنائها عن التفهيم **وَيُزَكِّيهِمْ** اى يطهرهم
الرسول عن الشرك والمعاصي وساير الذنوب قال الله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى اى الى ان تتطهر بالاسلام
من الشرك وساير المعاصي والاثام او يشهد لهم بالعدالة اذا شهدوا للانبياء يوم القيمة بالبلاغ قال

ابن عباس معناه ويطهرهم من الاثام باخذ زكواتهم قال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
وقيل معناه يجعلهم الرسول ازكيا بالعمل الصالح الذى يدعوهم اليها ويحملهم عليها وانما ذكرنا معنى الاخير
بالقيل لانه خلاف المذكور في قوله عز وجل بل الله يزكي من يشاء ذلك من الله عز وجل في العبد التخليق والايجاد
وهذا من الرسول الدعوة والارشاد وذكر الجلال المحلي في سورة الجمعة عند قوله ويزكيهم اى يطهرهم من الشرك
وعند قوله ويعلمهم الكتاب اى القران والحكمة اى ما فيه من الاحكام وذكر السيوطي هنا ما ذكره المحلي هنالك
وقال محمد بن علي الترمذى معناه ينبئهم فانباهم حتى صاروا ايمة الهدى فبليت اجسادهم وبقيت اثارهم **إِنَّكَ**
أَنتَ الْعَزِيزُ الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد قال الاستاد معناه انت الغالب الذى لا يعجزك مراد
ولا يبلغك شيء لعزتك وقهرك واصل العزة الشدة والامتناع **الْحَكِيمُ** اى في صنعه لحسن التدبير لانه
لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة البالغة وقد اجاب الله دعوة ابراهيم واسماعيل فبعث نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم على
الصفات المذكورة حيث قال هو الذى بعث في الاميين الاية وقال في اية اخرى لقد جاءكم رسول من انفسكم وقد
مر حديث انا دعوة ابي ابراهيم الى اخره **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ** ومن للاستفهام
الذى يجيء على وجه النفي والاستبعاد والانكار لان يكون احد يرغب عن ملة ابراهيم الواضحة وعن سلوكه وطريقه
الغراء والمعنى لا يرغب عن ملته احد من العقلاء فتركها الا انها في الحس اوضح من كل واضح فلا يتوجه بان الجاهل قد
يعلم والمعنى الا من سفه نفسه اى الا من جهل نفسه بانها مخلوقة لله يجب عليها عبادته وطاعته واستخف بها
واذلها وامتهنها وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل اصلا فقد بالغ في اذلال نفسه وتعجيزها وخفتها
حيث خالف بها كل نفس عاقلة قالوا والنفس العاقلة هي التي تتفكر في الامور فيستدل بها يجد من اثار صنع الله تعالى
وحدانيته وحكمته ويرتقي الى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن مبتدأ ويرغب خبره واصل الرغبة السعة والمبالغة
في ارادة الشيء واذا قيل رغب فيه واليه فمعناه اراده واحبه وحرص فيه واذا قيل رغب عن الشيء فمعناه كرهه
وزهد فيه واباه وقال ابن سيده الناس والملة من املت الكتاب جمعته او مللت الطريق سلكته تزادف
الدين والشريعة والاكثر ما يستعمل في الاصول ولذلك يقال ملة الانبياء واحدة ولا تضاف الى الله فلا يقال ملة الله بخلاف
الشرع والدين انتهى وفي الاية توبيخ لليهود لانه نزل في مهاجر اليهودى كما ياتى قريبا وفيها ايضا توبيخ للنصارى
ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتهاء الى ابراهيم ثم مع هذا لا يؤمنون بالرسول
الذى هو دعوته ومطلوبه بالتضرع والاخلاص فان قيل ملة ابراهيم هي عين ملة محمد في الاصول والفروع وهما
متحدان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما مختلفان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم
يكن شرع محمد ناسخا لساير الشرايع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد راغبا عن ملة ابراهيم ولان الاعتراف بالاصل
لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد قلت المختار اتحاد الملتين في الاصل فقط ولكن نبوة محمد من جملة الاصول التي يتفق
ابراهيم والمراد بملة ابراهيم في الاية اصولها التي لا تختلف بين الاعصار وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد راغبا عنها
لانه امر باتباعها لقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا قال ابو احمد ومن موضع الاسم نصب على
الاستثناء او رفع على البدلية على القول المختار لانه بدل من الضمير في يرغب لان من يرغب غير موجب اى انه
في معنى النفي كقولك هل جاءك احد الا زيد وقال ثعلب والمبرد وسفه بكسر الفاء يتعدى وبضمها لازم
يشهد له ما في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس ومعنى ان تسفه الحق اى تجهله لان سفه هنا بمعنى جهل

فكل من عبد غير الله فقد جهل نفسه فالجاهل هالك لنفسه وموبقها او مضل لها قال احمد الكواشي وصاحب
التيسير وفي الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه واوحى الى داود اعرفني واعرف نفسك فقال يا رب
كيف اعرفك واعرف نفسي فقيل اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء
قال ابو بكر الحداني ونفسه منصوب على انه مفعول لسفه اى وضع سفه موضع جهل وعدي كما عدي
او منصوب على نزع الخافض اى سفه في نفسه فحذف الجار كما في قوله زيد ظني مقيم اى في ظني وكما في قوله
بطرت معيشتها اى في معيشتها وكما في قوله عز وجل وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم وكما في قوله عز وجل
ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح وكما في قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا وقيل اصله سفه
نفسه برفع نفسه فنصب على التمييز وان كان معرفة على الشذوذ كما هو مذهب الكوفيين نحو الم رأسه وغبن
رأيه ووجع بطنه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام ونزول
الاية في مهاجر ابن اخي عبد الله بن سلام وكان لعبد الله ابنا اخ سلمة ومهاجر دعاهما الى الاسلام وقال
لهما اتبعا دين محمد صلى الله عليه وسلم الذي كنا نقرأه في التوراة انه من ولد اسماعيل العربي راكب الجمل اسمه احمد
واحيد لانه يحيد امته عن النار ملعون من ترك شريعته ومنهاج دينه واما سلمة فاسلم واما مهاجر فابى
فانزل الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ثم انه عز وجل لما سفه من يرغب عن ملة
ابراهيم بين السبب في ذلك فقال **ولقد اصطفيناه في الدنيا** اى وبالله لقد اخترناه للرسالة
والحكمة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال
منزلة الخلة **وانه في الآخرة لمن الصالحين** يلزمه ما يلزمهم من الكرامة وحسن الثواب فليحقق كل ذي لب
وعقل ودين ان الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راى له قال الاستاد معناه انه لمن
المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح واللام في قوله ولقد جواب لقسم محذوف والواو اعتراضية
والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه كما تقدم تقديره آنفا وجملة قوله وانه في الاخرة
لمن الصالحين عطف على قوله ولقد اصطفيناه داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرر ولا حاجة
الى جعله اعتراضا آخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل
واثبات الاسمية كما ان انتظامه في زمرة صالحي الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه امر يحدث في الاخرة والتاكيد
بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد
آثارها وكلمة في الاخرة متعلقة بالصالحين على ان الالف واللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض
الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي
بالعصا ان اجلدا او متعلقة بمحذوف من لفظه اى وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظه
اى اعني في الاخرة نحو لك بعد رعيا وقال بعضهم هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا
ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين وفي بعض التفاسير في معنى قوله ولقد اصطفيناه في الدنيا
اى اخترناه في الدنيا بالاسلام والنبوة [illegible] وبالسخاوة والخلة والعهد
والامامة وبالكلمات وبناء الكعبة وفي معنى قوله وانه في الاخرة لمن الصالحين اى اجبنا دعاءه حيث قال الحقني

بالصالحين

الصالحين اى الانبياء الماضين قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان وايوب الى قوله كل من الصالحين
وقال الله وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين قال بعضهم معناه انه في الاخرة لمع الصالحين اى مع
آبائه المرسلين في الجنة وقال بعضهم معناه انه لمن الباقين على الصلاح في الدنيا حتى يكون كذلك في الاخرة
فكم من صالح في اول حاله ذهب صلاحه في مآله فكان في الاخرة لعذابه ونكاله كبلعم وبرصيصا وفرعون
وقارون ونحوهم اللهم الحقني بالصالحين ولا تخرجني من مدينة رسولك الا لزيارة بيتك والرجوع الى طيبة
حبيبك والوفاة بها **اذ قال له ربه اسلم** ولا وقف على الصالحين ان نصبت اذ ظرفا لاصطفيناه
والمعنى على الظرفية له اى اخترناه في ذلك الوقت والحين ويوقف على الصالحين ان نصبته باذكر مقدرة اى اذكر
يا محمد اذ قال رب ابراهيم له اسلم اى استقر على الاسلام واثبت عليه ودم على ذلك وجواب اذكر ليظهر انه
المصطفى الذي لا يرغب عن ملته وانما قدرنا هكذا لانه كان مسلما او معناه اسلم نفسك الى الله واستسلم لما يجري عليك
وفوض امورك اليه واخلص له دينك ونفسك وانقد له كما ينبغي ويجوز ان يكون اذ تعليلا لاصطفينا اى ذكر
ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص
السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله الموجبة الى المعرفة الداعية الى الاسلام اى انه قال في هذه السورة
اسلمت لرب العالمين وفي سورة اخرى قال لا احب الافلين كما قال الله عز وجل فلما جن عليه الليل راى كوكبا
اى الايات وهذا في بداية ما عقل ومن ذلك قوله اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض قال ابو خليل ويجوز ان يتعلق اذ بقال وعدم العاطف للدلالة على مبادرته كانه مع الامر بالاسلام
قال اسلمت اى فوضت اموري **لرب العالمين** وحقق تفويضه الى الله حيث لم يستعن باحد حين
القي في النار تلخيصه انه امتثل لما امر به واستقام على ما قال فسلم القلب والنفس والولد والمال لربه فلما
قال له جبريل حين القاه نمرود في النار هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فقال الا تسال ربك قال حسبي من
سؤالي علمه بحالي فان قيل لما قال الله لابراهيم اسلم قال اسلمت ولما قيل لمحمد فاعلم انه لا اله الا الله لم يقل علمت
قلت انه صلى الله عليه وسلم قد كان يعلم ذلك قبل نزول هذه الاية لان هذه الاية نزلت بالمدينة وكان اول
الوحي بمكة فالمعنى دم يا محمد على علمك بانه لا اله الا الله او فازدد علما على علم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه
انا اعلمكم بالله واخشاكم لله وقال في آية اخرى آمن الرسول وهو العلم بانه لا اله الا الله وهذه الاية ايضا مدنية
ووصى بها ابراهيم عطف قصة على قصة اخرى ضمير بها راجع الى الملة عند الزجاج لانها مذكورة صريحا في قوله ومن
يرغب عن ملة ابراهيم ولذلك اتى بالمظهر وعطف عليه بقوله يعقوب ولان الوصية بالملة لجميع اسباب الفلاح
وقال بعضهم هو عطف على قوله قال اسلمت وضمير بها لاسلمت باعتبار الكلمة والمعنى وهي نبيه بان يقول كل منهم
اسلمت لرب العالمين وقال بعضهم والضمير للكلمة التي في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه الى قوله انني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقال احمد الكواشي الضمير للملة او الكلمة وهي لا اله الا الله او لقوله اسلمت
اى على تاويل جملة اسلمت بالكلمة والتوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله عن ابراهيم ووصيته
بكذا ووصيته بمعنى واصله من وصيت الشيء بكذا بالتخفيف اذا وصلته اليه وارض واصية اى متصلة النبات
فالموصي يصل القربة الحاصلة له بعد الموت الى القربات التي حصلت له في الحيوة ويحمل الموصى على هذا الوصل بسبب
الوصية قال ابو الخير والتوصية التقدم بفعل الى الغير في ذلك الفعل صلاح ديني او دنيوي واصلها واشتقاقها

الوصل يقال وصّاه اذا وصله ويقال في ضدّه فصّاه اذا فصله كان الموصى يصل فعله بفعل الوصى قرا ابن عامر ونافع وابو جعفر اوصى بفتح الهمزة وسكون الواو وتخفيف الصاد عليه رسم مصحف الشام والمدينة وقرا الباقون وصّى بتشديد الصاد من غير همزة وهذا ابلغ واراد بقوله **بنيه** اى اولاده الذكور الاربعة اسماعيل واسحاق ومدين ومدائن وقال احد الكواشى بنوه ثمانية اسماعيل واسحاق ومدين ومداين وزمران ويقشان ويشبق وشوح وقيل بنوه اربعة عشر وقيل اربعة وعشرون **ويعقوب** عطف على ابراهيم اى ووصى بالملة يعقوب بنيه الاثنى عشر كما اوصى ابراهيم بنيه الثمانية او الاربعة قال ابو الخير واسماء اولاد يعقوب روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخر وزبولون وذوانا ونفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف القراة برفع يعقوب وقرى شاذا بنصبه اى وصى بها ابراهيم بنيه ووصى ايضا ابراهيم حافده يعقوب لان يعقوب ادرك جده ابراهيم فادخل ابراهيم حافده يعقوب مع بنيه فى وصيته ويعقوب غير منصرف للعجمة والعلمية قال ابن عباس سمى يعقوب به لانه مع اخيه عيص كانا توامين فخرج يعقوب عند الولادة اولا آخذا بعقب اخيه عيص وقيل سمى به لكثرة عقبه وهم كل بنى اسرائيل قال احمد بن يوسف وخص يعقوب بالذكر لانه ابن ابنه اسحاق فكانه خصه وحده بوصيته واوصاه بوصية اخرى مع بنيه فقال **يا بنى** اصله يا بنون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصار الواو يا فادغم الياء فى الياء والقول مضمر عند البصريين اى قال ابراهيم يا بنى اى يا اولادى او متعلق بوصى عند الكوفيين لان الوصية نوع من القول بمعناه ونظيره كما فى قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بكسر همزة انا رايناه فهو عند البصريين بتقدير القول وعند الكوفيين متعلق باخبر الذى هو نوع من القول بمعناه وفى الارشاد وقرى بتقدير ان يا بنى وفى التيسير وان مقدرة ههنا كانه قال اوصى ان يا بنى وجاز حذف ان لان الوصية قول وفى القول يصح حذف ان ومثل الوصية فى جواز حذف ان واثباتها الوعد والرسالة والابلاغ والانذار والاذان والدعوى وما يجرى مجراها قال الله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ولم يقل ان لهم مغفرة لان العدة قول وقال فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله وقال انا ارسلنا نوحا الى قوله ان انذر قومك وقال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ففى كل ما ذكرنا يجوز اثبات ان اذا قدرت الفعل ويجوز حذفها اذا قدرت القول وفى قوله ان كان ذا مال وبنين لا يجوز حذفها لانه ليس فيه معنى القول وفى صريح القول واضماره لا يجوز ابرازها تقول قلت لعمرو زيد فى الدار ولا يجوز قلت له ان زيدا فى الدار وقال الله والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم لا يجوز فى مثله ان اخرجوا انفسكم لان القول مضمر وانشد الكسائى شعرا انى سابدى لك فيما ابدى لى شجنان شجن بنجد وشجن لى ببلاد السند لان الابداء قول وقوله **ان الله اصطفى لكم الدين** اى اختار لكم صفوة الاديان وهو الاسلام قال الاستاد واللام ليس للاستغراق بل لتعريف المعهود لان الدين عند الله الاسلام وهو الدين المطلق الموصى المشروع المامور به اى ان الله وفقكم للاخذ باكمل الاديان واحسنها وهو دين الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله وقال بعضهم الالف واللام بدل الاضافة وهو مضاف اليهم والمعنى استخلصه واختار لكم دينكم الذى تدينون به وهو دين الاسلام ايضا والدين مضاف الى الله كالملة يضاف الى الانبياء والمعنى على هذا ان الله اختار لكم دينه وهو دين الاسلام ايضا قال ابو موسى معناه ان الله اصطفا لكم الدين اى استخلصه لكم

بان اقام

سورة البقرة

بان اقام لكم الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة ودعاكم اليه ومنعكم من غيره للاخذ به ومثل هذا الا لو الاصفوة الاديان لقوله **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** حال النهى راجع الى القيد لانه نهى عن ترك الاسلام وامر بالثبات على الاسلام الى مصادفة الموت لان الموت لا اختيار فيه والمعنى لا يكن حدوث الموت الضرورى الا فى حال اسلامكم بتخصيصه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام او دوموا على الاسلام حتى اذا ادرككم الموت وجدكم مسلمين كقولك للمصلى صلوته لا تصل الا وانت خاشع وليس فى هذا نهى عن ترك الصلوة ولكن نهى عن ترك الخشوع والنكتة فى النهى عن ترك الخشوع فى الصلوة اظهار ان الصلاة التى لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا فى المسجد فانه فى قوة قوله لجار المسجد لا تصل الا فى المسجد فكان موتهم لا على حال الاسلام موتا لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا ان لا يحل بهم لان العبرة بالخاتمة والموت على غير الاسلام علامة سوء الخاتمة والعياذ بالله قال البيضاوى ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره فى الامر مت وانت شهيد انتهى وقال الفضيل بن عياض معناه لا تموتن الا وانتم محسنون بربكم الظن قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله فان قوما اساؤا الظن بربهم فهلكوا قال الله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وقيل معناه لا تموتن الا مستقادين مفوضين لامر الله عز وجل ثم جاء بام المنقطعة بمعنى الهمزة انكارا على اليهود حيث قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فقال ردا عليهم **ام كنتم شهداء** اى اكنتم حضورا ايها اليهود وشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر ولم ينصرف لاجل الف التانيث والمعنى ما كنتم حاضرين **اذ حضر يعقوب الموت** اى حين حضر امارات الموت وقرب خروجه من الدنيا قال الاستاد ام اذا لم يتقدمه الف الاستفهام كان بمعنى الاستنكار والخطاب لليهود المعاصرين للنبى او لليهود والنصارى كانه قيل لهم كيف تزعمون انما انتم عليه دين ابراهيم او سائر الرسل وتزعمون انه لم يمت بنوه الا على اليهودية او النصرانية ولم تكونوا حاضرين هناك ولم تشهدوا وصايا الرسل والانبياء ولم تعلموا ما جرى فى تلك الازمان فلا تتعلقوا بما لم تشهدوه ولا تدعوا على اولاد ابراهيم ويعقوب اليهودية والنصرانية فانهم كانوا على دين الاسلام وبه اوصى ابراهيم ويعقوب اولادهم ولو شهدتم وصية ابراهيم ويعقوب لاولادهم وسمعتم قولهما لبنيهما باذا تكلم لظهر لكم حرصهما على ملة الاسلام والدين الحنيفى ولرغبتم فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولم يسعكم الا الاتباع احد وقال بعضهم ام فى ابتداء الكلام بمنزلة بل بمعنى ان الاستفهام للتقرير والخطاب لليهود اى للحاضرين فى زمن نبينا والمراد بذلك اسلافهم والمعنى بل شهد وحضر اجدادكم ابراهيم ويعقوب حين اوصى بنيهم بالتوحيد والاسلام دون ما قلتم فكيف تدعون على الانبياء اليهودية وتفترون على الله بان عزير ابن الله وعيسى كذلك تبا لكم ولعقولكم اخزاكم الله وقال بعضهم ام منقطعة للاضراب عن الكلام الاول والاخر فيما سواه والخطاب للمومنين وذلك انه لما حث على اتباع ملة ابراهيم وبين حاله وحال يعقوب فى التوحيد والاهتمام به حصل لهم احوالهما سماعا ممن لا ينطق عن الهوى وكانوا حقيقا بالاتباع فانكر عدم تجردهم بانفسهم لتلك الاحوال والمعنى ما كنتم حاضرين ايها المومنين للوصية حين احتضر يعقوب الموت وانما حصل لكم العلم بالوصية وباحوالهم من طريق الوحى وقال بعضهم ام متصلة

على ان يقدر قبلها محذوف والمعنى اتدعون على الانبياء اليهودية لكنتم شهدتم وحضرتم وصاياهم ام كان اسلافكم
شاهدين حاضرين لوصية الانبياء لابنائهم واولادهم والغرض تبكيتهم لاعراضهم بالمنافي القراءة حضر بفتح
الضاد وقرئ حضِر بكسر الضاد **اذ قال لبنيه** كرر كلمة اذ لان الاولى لبيان وقت حضور الموت والثانية
لبيان وقت الايصاء اراد بني يعقوب الاسباط وهم الاولاد الاثنا عشر وقيل اراد بذلك اولاده وحفدته
وكانوا يومئذ ثمانين نفسا وقيل مائتين وخمسين وهم بمصر واذ في اذ قال لبنيه بدل من اذ في اذ حضر يعقوب
الموت والعامل فيهما شهداء وقال احمد الكواشي والنيسابوري وروي انه لما دخل يعقوب مصر ورأى اهل
مصر يعبدون النار خاف على بنيه فقال لهم **ما تعبدون من بعدي** اي بعد موتي ما عام يستعمل في
العقلاء وغيرهم عند الابهام سواء كان للاستفهام او غيره فاذا علم الشيء خص من بذي العلم وما بغير ذي
العلم ويجوز ان يحمل ما في الاية على الصفة اي ما نعت ما تعبدونه بعد موتي وقال النيسابوري وروي ان
يعقوب لما دخل مصر رأى اهلها يعبدون النيران والاوثان فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا
لهم على التمسك بعبادة الله لا انهم كانوا يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد ينافي ذلك ولان
المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين انتهى يقول الفقير مؤلف هذا الكتاب واتفق اني زرت الشافعي
وعمر ابن الفارض فرأيت جماعة من الزوار بقرب الجبل فنودي في سري بان هناك قبر يهوذا او بنيامين فذهبت
سريعا فدخلت المقام وسلمت على كل واحد منهما باسمه ثم قرأت ما تيسر واخذتني الهيبة وعرقت حياء فخرجت
وصادفت البواب وكانت امرأة عجوزة بصيرة فقلت لها هذا قبر يهوذا او بنيامين فقالت نعم ثم سألت عنها غيرها
من الزوار فقالوا مثل مقالتها فرجعت فرحا مسرورا والحمد لله على ذلك وقد قال النيسابوري فيما تقدم في المشهور
من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين قلت والظاهر من قوله الآتي قريبا انهم كانوا انبياء او فيهم لان الله
خاطب المؤمنين بقوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
قال الكواشي فيما سيأتي وكان في الاسباط انبياء ولذلك قال والاسباط اي وما انزل اليهم والله اعلم بمراده
واسرار كتابه وفي التيسير وقوله ما تعبدون كقوله والسماء وما بناها اي ومن بناها وقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد اي من اعبد ومحل ما رفع باضمار الهاء العائدة عليه اي ما تعبدونه او نصب بايقاع الفعل عليه بلا اضمار
الهاء انتهى وقال ابو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي والمعنى اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام
واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ ما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن
نفسه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد اطبيب ام فقيه انتهى وقال ابو بكر الاصفهاني الشافعي امام النحاة
في وقته ان ما استفهامية نصب تعبدون وما تعم العقلاء وغيرهم او ما هنا بمعنى من ويدل عليه انهم **قالوا**
في جواب يعقوب على وفق سؤاله **نعبد الهك** اي نعبد الله الذي تعبده انت ونلتجأ اليه وهو الاله
المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته **واله آبائك** اي وهو الله الذي كان يعبده آباؤك الانبياء
بقوله **ابراهيم واسماعيل واسحاق** عطف بيان لآبائك او بدل وابراهيم كان جدا ليعقوب والجد اب قال
الله تعالى كما اخرج ابويكم من الجنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب واسماعيل
كان عما ليعقوب وعده ابا لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما لحرمتهما وفي الحديث عم الرجل صنو ابيه اي
عديله وقائم مقامه عند فقده وفي التيسير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق العباس هذا بقية آبائي وقال

ايضا

ايضا ردوا علي ابي فاني اخشى ان يفعل به قريش ما فعلت بعروة بن مسعود وقدم اسماعيل على اسحاق
مع ان اسماعيل كان عم يعقوب واسحاق ابوه حقيقة لان اسماعيل اكبر سنا منه قال بعضهم كان آزر
عم ابراهيم وتارخ اباه فذكر الله آزر في كلامه بانه اب لابراهيم وقال النيسابوري واطلق اسم الاب
على ابراهيم وهو جد يعقوب وعن الشافعي انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات لاب وام لا يسقطون
بالجد واليه ذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد وقال ابو حنيفة
انه حقيقة وانهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر الصديق وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء
قالت التعليمية لا طريق الى معرفة الله عز وجل الا بتعليم الرسول والامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي
دل عليه العقل بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل على ان طريق المعرفة هو التعليم
واجيب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح
صفات الله تعالى وبيان ذلك وايضا انه اقرب الى سكون النفس فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقك
من اليقين بالله والاخلاص له في عبادته وايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود آبائك
كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم والقراءة اله آبائك بالجمع وقرئ واله ابيك وله وجهان
احدهما انه قصر الابوة على ابراهيم ومن عنه اسماعيل لانه عم لا اب والثاني ان ابيك جمع اب على انه جمع سلامة
يقال في حالة الرفع ابون واخ واخون وفي حالتي النصب والخفض ابين واخين وحذفت النون من
ابين للاضافة كقوله وفديننا بالابينا وتمام الكلام فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا قال
الكواشي وقرئ واله ابيك مفردا لفظا وجمعا معنى او مفردا لفظا ومعنى فيكون ابراهيم وحده على هذا عطف
بيان او جمع جمع السلامة وحذفت للاضافة كقوله وفديننا بالابينا قال ابو مسلم القدسي الشافعي
واخصر العبارات ما قاله البيضاوي وهو قوله وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما
تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابراهيم وحده عطف بيان انتهى وقرئ اله ابراهيم بطرح
آبائك **الها واحدا** بدل من الهك او من اله آبائك وهذا جائز وان كان الهك واله آبائك معرفتين
بالاضافة لان الها موصوف بقوله واحدا وهذا كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدة تكرار الاله مع
ذكر الصفة وهي الواحد دفع توهم التعدد الناشئ من العطف كما في غلامك وغلام زيد وبيان وهم الجاهل
بقواعد العربية انهم قالوا في جواب يعقوب الهك واله آبائك فذكروا الاله مرتين وبينهما واو العطف ظن
ان لهم الهين فقطع وهمه باعادة الاله مع صفة الوحدانية ويجوز نصب قوله الها واحدا على الاختصاص
والمدح قال ابو مسلم القدسي وعبارة البيضاوي اوضح من اكثر ما رأيت من نحو الف تفسير حيث يقول
في قوله الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي
التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص انتهى **ونحن له
مسلمون** اي منقادون معتقدون بالطاعة ثابتون على العبادة او مخلصون التوحيد له بالقول
والعمل والنية ومحل قوله ونحن له مسلمون النصب على انه حال من فاعل نعبد او من مفعوله فعلى هذا لا وقف على
واحدا وان جعلت جملة قوله ونحن له مسلمون مستانفة وقفت على واحدا ويجوز ان يكون جملة معترضة
يؤكد امر العبادة قال شيخنا وانما اجابوا يعقوب بهذه الكلمات التي تتضمن الثبات على الدين الحق ومدح

اباؤهم بكونهم على ذلك وانهم متبعون لهم ثابتون على دينهم ليكونوا بارين اباءهم سارين اباهم بقبول
ما وصاهم وفيها اشارة الى انه عز وجل اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب له ظهر اثار انوار
تجليه على قلبه وسره ونفسه وقواه وحواسه وجميع اعضائه فيخضعون له بكليتهم فيعبدون الها واحدا
لا متفرقا من الهوى والدنيا والاخرة ثم اشار الى ابراهيم واولاده المذكورين الموحدين اسماعيل واسحاق
ويعقوب بقوله **تلك** مبتدأ والاشارة الى ابراهيم ويعقوب واولادهما وانث لتانيث خبره وهو **امة**
جماعة ويقال للواحد الجامع للكمالات امة والامة اهل الملة الواحدة وهي في الاصل المقصود من امه كالعمدة
من عمده وسمي بها الجماعة لان الفرق تامها **قد خلت** اي مضت وسلفت وانقضت والغرض انه لم
يبق منهم اثر سوى ما عملوا من انواع الخيرات قال شمس الافاق معناه قد مضت وصارت الى الخلاء وهي
الارض التي لا انيس بها ويلزمه الانفراد ومنه خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد
منه وانما قلنا ان الغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا لان الله يقول **لها ما كسبت** من التوحيد والاعمال
اي لها جزاء اعمالهم من الثواب قال احمد الكواشي وهذه جملة مستانفة او حال من ضمير خلت انتهى
وقال السيوطي معناه لها ما كسبت من العمل اي جزاؤه استيناف **ولكم** الخطاب لليهود **ما كسبتم** من
جزاء العمل انتهى وقال استادي رحمه الله والمعنى انه عز وجل يقول لليهود الحاضرين في مجلس الرسول
على لسانه لتلك الامة المكرمة ما كسبت من التوحيد والاعمال ولكم ما كسبتم اي لا يتجاوز كسبكم الى غيركم
وفي الحديث ادم من تراب والناس من ادم لا فضل لعربي على عجمي ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه
قلت وهذا الحديث مذكور في التفسير المسمى بغاية الاماني ايضا وما مع الفعل مصدر اي لها كسبها
ولكم كسبكم اي هم يحاسبون يوم القيمة باعمالهم ويجازون عليها وانتم تحاسبون يوم القيمة باعمالكم
وتجازون عليها لا تؤاخذون انتم باعمالهم ولا هم يؤاخذون باعمالكم قال البيضاوي لكل اجر عمله
والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم قال صلى
الله عليه وسلم لا يا بني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم انتهى وفي التيسير والكسب ما يقع بقدرة حادثة
والاختراع ما يقع بقدرة قديمة فلا يوصف الله بالكسب ولا العبد بالاختراع انتهى قلت الكسب اجتلاب
النفع بعلاج وذلك بالقوة العاجزة المقارنة للقوة القاهرة والاختراع خلق شيء من لا شيء بالقوة القاهرة
فقط فالتبرؤ لله وحده **ولا تسألون عما كانوا يعملون** وهو كقوله قل لا تسألون عما اجرمنا
الاية وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى تلخيصه ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وبعبارة
اخرى ولا تسألون انتم عما كانوا يعملون كما لا يسألون عن عملكم فضلا عن المؤاخذة به او الثواب وفي
تفسير النيسابوري وفي الاية تكذيب لليهود حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر ابائهم باتخاذ العجل
وفي الاية ايضا وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء وقال صلى الله عليه وسلم يا صفية عمة محمد ائتوني يوم
القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل
على ان للعبد كسبا لكن الاية اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا
لانه لو كان عالما موجدا لافعاله لكان عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد
وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة

الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله عز وجل فاذا اخلقه فيه
استحال من العبد ان لا يتصف حينئذ به واذا لم يخلقه فيه استحال ان يتصف به فاي معنى لكون العبد قادرا
عليه وايضا الذي هو كسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع
بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله مستقلة والمفروض بالخلاف ومنهم من يقول ان يكون بقدرة العبد ومن القاضي
ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة
العبد وضعف بان المحرم من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز اذ حصل بفعل الله تعالى
فهو عين المنهي عنه وقد خلقه الله فيه وهذا تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم
الاستاد ابو اسحق الاسفرايني الشافعي ان ذات الفعل يقع بالقدرتين وزيف بان قدرة الله مستقلة بالتاثير
ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المتادية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع
فعله هو القدرة والداعية القائمتان به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم
جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا يوجب الفعل بل العبد قادر على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل
وان شاء تركه وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول امام الحرمين
اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا ينافي كون ذلك الاثر منسوبا الى اثر اخر بعيد ثم الى ابعد
الى ان ينتهي الى مسبب الاسباب وفاعل الكل ومبدع المبادي ومالك الاختيار بحقك دون هو الا انتهى
ولما بين الله عز وجل بالدلائل المتقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها طعن اليهود
والنصارى فيه كما قال الله تعالى حكاية عنهما **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا** الضمير الغائب
لاهل الكتابين واو للتفصيل او التنويع وتهتدوا جواب الامر والمعنى مقالتهم احد هذين القولين اي
قالت رؤساء اليهود من اهل المدينة ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا او قالت ايضا
النصارى من بني نجران كالسيد والعاقب ومن معهما للنبي واصحابه كونوا على ديننا تهتدوا اي تصيبوا الصراط
السوي وزعمت كل فرقة ان نبيها افضل الانبياء وكتابها افضل الكتب ودينها افضل الاديان وانما قالوا
كذلك لما علم من العداوة بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وقد مر نظير هذا في قوله وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى فاكذبهم الله حيث امر نبيه بان يجيبهم بقوله **قل بل ملة ابراهيم**
حنيفا اي قل يا محمد ليس الامر كما قلتم وزعمتم بل نتبع ملة ابراهيم ونتبع هنا مقدر لدلالة ما تقدم عليه فان
قوله كونوا هودا او نصارى في معنى اتبعوا اليهودية والنصرانية وبل رد لذلك واثبات لما بعده وقيل بل العكس
هنا نكون بقرينة المذكور قبله وهو كونوا ثم نصب قوله ملة على هذا الطريق من وجهين احدهما معناه بل نكون على
ملة ابراهيم فملة منصوب بنزع الخافض وثانيهما التقدير هنا نكون مع اهل معناه بل نكون اهل ملة ابراهيم فيكون
اضمارا لاهل كما في قوله واسئل القرية اي نتبع مع اهل اي بل نتبع اهل ملة ابراهيم وقرئ في الشاذ ملة بالرفع اي بل
ملتنا ملة ابراهيم او ملة ابراهيم ملتنا ونحن ملته بمعنى اهل ملته والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الاسلام
واصل الحنف بفتح الحاء والنون الميل من الباطل الى الحق هذا هو المشهور عند اكثر اهل اللغة وانشد ولكنا خلقنا
اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين ومن الرايتي ان الحنيف المستقيم والمعنى انه كان مستقيم الدين قال

ابو الخير وحنيفا منصوب على الحالية اى نتبعه فى حال كونه حنيفا اى مائلا عن الباطل الى الحق فهو اما حال
من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وانما يحسن ذلك اذا جاز وقوع
المضاف اليه من المضاف كما فى المثال المذكور بخلاف قولك ضربت غلام هند جالسة والعامل فى الحال
اليه هو العامل فى المضاف وفى التيسير وقال ابن دريد والحنيف هو العادل من دين الى دين والعرب كانت
تسمى به العادل عن اليهودية والنصرانية والحنف الميل والاحنف الذى فى صدور قدميه ميل وقال الازهرى
الحنيف المقبل على الدين الحق والحنف اقبال احدى القدمين على الاخرى وقال ابن عباس فى كل موضع ذكر الحنيف
مع المسلم فهو الحاج قال الله تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وفى كل موضع ذكر وحده فهو المسلم قال الله تعالى
لله حنيفا وقال بعضهم الحنيف المستقيم سمى به تحسينا للاسم كما يقال للاعمى بصير وللمهلكة مفازة وللديغ
سليم وفى غاية الامانى الحنف بفتح النون ميل فى اليدين والرجلين وقال ابو عبيدة الحنيف عند العرب فى
زمن الجاهلية من كان على دين ابراهيم لميلهم عن طريقتهم الى طريقة غيرها قال ذو الرمة شعر اذا
بلغ الظل العشى رايته حنيفا وفى قرن الضحى يتنصر يصف الحرباء باستقباله الكعبة عشيا وتوجهه الى
المشرق غدوة وما كان ابراهيم من المشركين تا وهذا توبيخ لمن يدعى انه تابع ملة ابراهيم وهو مشرك
كاليهود والنصارى وعبدة الاوثان فالنصارى قايلون بالتثليث وبان المسيح ابن الله واليهود قايلون
بالتشبيه وبان عزير ابن الله وحال عبدة الاوثان ظاهر فثبت بانهم ليسوا من ملة ابراهيم التى هى محض التوحيد
وخالص الاسلام روى ان اهل الكتاب كانوا يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية فقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تصدقوهم ولا تكذبوهم فنزل قوله قولوا امنا بالله خطابا للمؤمنين لقوله
فان امنوا بمثل ما امنتم به والمعنى وقولوا صدقنا بالوهية الله ووحدانيته وبجميع ما جاء من عنده قال الاستاد
والاظهر ان هذا تعليم للمؤمنين بالجواب لاهل الكتاب حين قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا كانه قيل قل فى
جوابهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا بالله وجوز بعضهم ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا يا اهل الكتاب
امنا بالله وحده لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وما انزل الينا اى وما انزل على نبينا من القران
والانزال الى النبى انزال على امته لانهم امة الدعوة فحكم المنزل يلزم الكل اولان النبى هو القايل فحكى الله
كلامه ولو حكى كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل الى ابراهيم من صحف العشر واسمعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا كلهم اولاد يعقوب قال البيضاوى والصحف وان
نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهى ايضا منزلة اليهم
كما ان القران منزل الينا انتهى وفى التيسير وظاهر القران يدل على انهم اى الاسباط انبياء بذكر الانزال
اليهم وقد اختلف فيه انتهى وفى غاية الامانى والصحف وان نزلت على ابراهيم الا ان اولاده واحفاده
كانوا متعبدين كتعبدنا بالقران وفى تفسير الكمال بعد قوله ويعقوب وعطفا اسمعيل واسحق ويعقوب على
ابراهيم لانهم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف المنزلة عليه كانها منزلة اليهم ثم قال والاسباط
اولاد يعقوب عليه السلام جمع سبط وهو فى الاصل كالطايفة والفرقة والاسباط فى اولاد اسحاق كالقبايل
فى اولاد اسماعيل وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها اغصان كثيرة انتهى قال
الكواشى والاسباط جمع سبط وكانوا اثنى عشر سبطا كلهم اولاد يعقوب سموا بذلك لان كل واحد منهم ولد

جماعة

جماعة والاسباط من بنى اسرائيل كالقبايل من العرب والشعوب من العجم وكان فى الاسباط انبياء ولذلك
قال وما انزل اليهم انتهى وقال البيضاوى والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
او ابناؤه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق انتهى قلت والاسباط جمع سبط وهو ولد الولد
واصله الاسترسال والامتداد قال الشاعر وجادت به سبط العظام كانما عمامته فوق الرجال
لواء سمى به الحافد لانه امتداد فى الفروع قال الجلال السيوطى بعد قوله ويعقوب والاسباط اى اولاده
انتهى وفى التيسير والاسباط وهم اولاد يعقوب وحوافده اى وبما انزل الى هؤلاء والاسباط فى قول ابن عباس
اولاد يعقوب واحدهم سبط وهو ليس باسم للولد الواحد لكن السبط كالطايفة والفرقة فى الاصل والاسباط
فى اولاد اسحاق كالقبايل فى اولاد اسماعيل وهم جماعة من اب وام ماخوذ من السبط وهو شجرة واحدة لها
اغصان كثيرة وفى الحديث الحسن سبط من الاسباط اى امة من الامم فى الخير وفى الحديث ايضا الحسن
والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى قطعتان منه واولاد يعقوب هم اثنا عشر ولد لكل ابن
منهم امة من الناس وقال النيسابورى وانما قدم الايمان بالله لان معرفة الكتاب والسنة متوقفة
على معرفته وفيه ابطال لما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة وما
اوتى موسى اى وامنا بما اعطى موسى من التورية والمعجزات وعيسى اى وبما اعطى عيسى من الانجيل والمعجزات
غير الاسلوب بقوله وما اوتى ايماء الى عظم شان الكتابين ولم يعد الموصول مع عيسى لان اكثر احكام
شريعة عيسى هى شريعة موسى اى كاين فى التوراة الا نادرا فكان ما اوتى موسى اوتى عيسى ايضا فترك
اوتى فى عيسى وما اوتى النبيون اى وامنا بما اعطى النبيون المذكورون وغير المذكورين من ربهم
اى منزلا عليهم من ربهم من الكتب والايات والدلالات ومن الكتب المشهور الزبور لداود والنزول لا يكون
الا من فوق فيستعمل بعلى والى للملاحظة معنى الموصول قال النيسابورى عدد بعض الانبياء لتقدمهم
وشرفهم ثم عمم بعد ما خصص لتعذر التفصيل وقال الكمال وافرد عيسى وموسى لوقوع النزاع فيهما انتهى
لا نفرق بين احد منهم كاليهود والنصارى نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى لا نفرق بين احد منهم
فى الايمان بنبوتهم وتصديقهم بما جاؤا به من الله وان تفاوتوا فى الرتبة ولا نقول انهم متفرقون فى اصول
الديانات بل نقول اصل دين الكل التوحيد والطاعة وان اختلفت شرايعهم قال الله شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا الاية وانما دخل بين على احد لان احدا هنا وقع فى سياق النفى فهو عام يستوى فيه
المفرد والمثنى والمجموع فصح ان يضاف اليه كلمة بين قال الكواشى التفريق بينونة الشئ عن غيره
ويكون احد بمعنى الجميع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين او المعنى لا نفرق بين احد منهم واخر او وغيره
فحذف اخر لدلالة بين عليه لان بين لا يكون الا لاثنين فما زاد عليه وكذلك التفريق تخصيصه نؤمن بالله
وجميع كتبه ورسله ونحن له مسلمون كا اى نحن لله مذعنون منقادون بالجوارح والاعمال
مخلصون له قال الله الا لله الدين الخالص فلا جرم لا نخص بالقبول بعض كتبه ولا بعض رسله المؤيدين
بالمعجزات والايات الباهرات خلاف من كان اسلامه تقليدا وهوى قال الحسن علموا اولادكم واهاليكم
وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكروا فى القران ليؤمنوا بهم وبالذى جاؤا به لقوله قولوا امنا ثم ذكر
فى هذه الاية النبيين وكذا فى قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم الى قوله والنبيين وقال فى قوله كل امن بالله

وملايكته وكتبه ورسله وكذا فى قوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله فاستدل بذكر الانبياء فى
بعض والرسل فى بعض انه لافرق بينهما وقال بعضهم وبينهما فرق لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبى فعلى هذا كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ولما بين الطريق الواضح فى الدين وهو ان يعترف الانسان
بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم فى مثل هذا الايمان بقوله فان آمنوا اى اليهود
والنصارى بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا اى فقد اصابوا الصراط السوى وبه يهديهم
ربهم الى الجنة كما قال فى حق المومنين يهديهم ربهم بايمانهم وقال فى حق الكفار لم يكن ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم وههنا سوال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل والجواب ان قوله
فان آمنوا كلمة شك وفى الاثبات بها دليل واضح على الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم
ومساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا السالم عن التناقض فاذا ان
غيره فاذا ثبت هذا فلا اهتداء الا بهذا ونظيره قولك للرجل الذى تشير اليه هذا هو الرأى الصواب فان كان
عندك رأى اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه
على ان ما رأيت لا رأى وراءه بخصمه ان ذكر كلمة الشرط مع ما بعده من باب التعجيز والتبكيت والتوبيخ
كقوله فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للاستعانة لا
للالصاق والمثل واقع بين المصدرين اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم فقد اهتدوا وقال
الاستاد واذا جعلت الباء للالة دون التعدية فالمعنى حينئذ اى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل
طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق وقيل المثل صلة اى فان امنوا بما امنتم به وتكون
ما على هذا بمعنى الذى وقرى به اى بالذى اى فان امنوا بالذى امنتم به ونظير المثل اذا كان صلة اى مقحما
قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله اى عليه ونظير المثل اذا كان زايدا ايضا قوله تعالى ليس كمثله شى
اى ليس كهو شى ونظير المثل ايضا اذا كان زايدا قول الرجل لا يقال لمثلى هذا اى لا يقال لى هذا بالحمام المثل وقال
بعضهم الباء زايدة كقوله جزاء سيئة بمثلها وكفى بالله شهيدا ويشرب بها عباد الله والمعنى ايمانا مثل
ايمانكم وقال ابو الخير والباء زايدة للتاكيد ومثل صفة محذوف وما مصدرية تقديره فان امنوا ايمانا
مثل ايمانكم وقال احمد الكواشى والهاء لله او للقران او لمحمد ويجوز ان يقال للجميع وقيل الباء بمعنى على
اى على مثل ايمانكم كقولك كتبت بمثل ما كتب فلان اى على مثل ما كتب فلان وقيل معناه فان امنوا بايمان
مثل ايمانكم وقال شمس الافاق والمعنى عندى انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا هم
بمثل ذلك فى التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون به الى معرفة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفى الاية دليل على ان
هداية الله قبل هذا الاهتداء وهى الدلايل التى نصبها الله عز وجل وكشف عن وجوهها والاهتداء قبولها والعمل
بها ليفوز بالسعادة العظمى فان قلت اذا كان الخطاب فى قوله قولوا امنا لاهل الكتاب فما وجه قوله
فان امنوا بمثل ما امنتم به قلت تقديره قل لهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا فان امنوا بمثل ما امنت به
انت واصحابك فقد اهتدوا وان تولوا يقال تولاه اى اتخذه وليا واحباء قال الله لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم وهو يتولى الصالحين اى يلى حفظهم وكفايتهم بنفسه واذا اوصل بالى فهو بمعنى الاقبال عليه قال الله ثم تولى
الى الظل واذا وصل بعن فهو بمعنى الاعراض وهو المراد ههنا اى فان اعرضوا عن الايمان الذى عرضت عليهم فانهم

اخرى فان اعرضوا عن الايمان بما امنتم به وبما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم فى شقاق اى ما هم الا فى ٢
شق وجانب والايمان والاسلام فى شق وجانب آخر وليسوا من طلب الحق فى شى وبعبارة اخرى ما هم الا فى
شقاق عظيم لاهل الحق ومخالفتهم وعداوتهم فان كل واحد من المتخالفين ياخذ فى شق وجانب غير شق
صاحبه قال الله تعالى شاقوا الله اى خالفوه وقال الله تعالى وان خفتم شقاق بينهما اى خلاف ما بينهما وقال الله تعالى
لا يجرمنكم شقاقى اى عداوتى ويجوز ان يكون من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصا بينه او من المشقة
والتعب لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه وفى وصف القوم بذلك دليل على معاداتهم الرسول
واظهارهم لكل سوء وتربصهم به الايقاع فى المحن فلا جرم امن الله عز وجل والمومنين من كيدهم
فسيكفيكهم الله اى لا تحزن يا محمد بشقاقهم وخلافهم وعداوتهم فسوف يكفيك الله شرهم وما هم به
من كما فعل وقد كفى باجلاء النضير وقتل قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى وفيه تسلية وتسكين
للمومنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من خالفهم وناواهم والفاء عاطفة لنظم معنى الكلام وقال الاستاد
هى جواب لقوله فان تولوا ومعنى السين ان ذلك كاين لا محالة وان تأخر الى حين لانها للطلب والوعد وفيه معنى
التاكيد ولذلك قلنا ذلك كاين لا محالة وقال سيبويه هى فى مقابلة لن للتاكيد وقد انجز وعده بقتل قريظة
وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية عليهم وهذا اخبار بالغيب وقد وقع واعجاز القران لا يتناهى والحمد لله
وحده وقال ايضا وفى كلمة فسيكفيكهم الله فاء الجواب لقوله فان تولوا واختصاص السين من سوف فى للتاكيد
الباء بعده للاستقبال بوعد الكفاية لان فى نظم الكلمة يكفى وقد كفاه حيث فرقهم والكاف خطاب للنبى وهو مفعول
اول ليكفى وهاء الغيبة وميم الجمع راجع الى اهل الكتاب ومحلها النصب لانه مفعول ثان ليكفى والله فاعله
ثم اوعدهم ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وهو السميع لاقوالهم ولدعايك العليم بما احوالهم ومرادك
فيجازى كلا بما يشاء قال الاستاد وفيه وعد للنبى اى هو يسمع دعاءك يا محمد ويعلم نيتك واخلاصك
فى اعلاء كلمة الحق فيستجيب لك لا محالة ووعيد لاهل الكتاب اعداء رسول الله والمومنين اى هو الله عز وجل
منهم بمرأى ومسمع يعلم ما يسرون وما يخفون من الغل والحسد فيعاقبهم على ذلك صبغة الله اى
دين الله انتصب انتصاب المصدر المؤكد لمضمون الجملة من قوله قولوا امنا بالله مثل وعد الله اى تكون نصبها
بفعل مقدر كما هو عند سيبويه تقديره صبغنا الله بالايمان الفطرى صبغته والمراد بها فطرة الله التى فطر الناس
عليها اى دين الله الذى فطر الناس عليه فانه حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ وسمى الدين
صبغة لظهور اثره على الانسان كظهور الصبغ على الثوب او معناه هدانا الله تعالى هدايته وارشدنا الله حجته
او طهرنا الله قلوبنا بالايمان تطهيره لا مثل تطهيركم بالمعمودية الاصفر بدل الختان قال احمد الكواشى
او سمى دين الاسلام صبغة لظهوره على الانسان كظهور الصبغ على الشى او الصبغة الختان لانه يصبغ صاحبه
بالدم لان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى اليوم السابع فى ماء اصفر يسمونه المعمودية بدل الختان ويقولون
الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله عز وجل ان دينه الاسلام لا ما يفعله النصارى انتهى قلت فعلى ما ذكر
الكواشى يكون قوله صبغة الله على المشاكلة والمقابلة اى قولوا فى مقابلة فعلهم وقولهم الباطل القول الحق
وهو صبغة الله اى صبغنا الله بالايمان صبغته لا مثل صبغتكم بالماء الاصفر ومن المشاكلة قولك لمن يغرس
الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره قوله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ

قال الاستاد وسمى الايمان صبغة لظهور اثره على ظاهر المومنين ظهور الصبغ على المصبوغ ولتداخل الايمان
فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب لخبصه سمى الدين صبغة لظهور هيبته على وجه صاحب الدين والتقوى
قال الله سيماهم فى وجوههم من اثر السجود اى من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار كما هو ظاهر فى
وجوه ارباب الطرايق وقال ايضا واختصاص الصبغ والمقابلة بالنصارى مع ان الخطاب لهم ولليهود
لوقوعه بالماء الاصفر كان بينهم لانهم كانوا يقولون فى اليوم السابع بعد ما يغمس اولادهم فى الماء الاصفر
صبغناه بالنصرانية او طهرناه بهذا الماء فذكر صبغة الله على مقابلة ذلك على قول الفراء وقال قتادة
اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اى يلقنون دينهم فيقولون لهم ديننا
ودين ابائنا كذا وكذا فيدخل ذلك فى قلوبهم كما يدخل الصبغ فى الثوب وكما دخل محبة العجل فى سويداء قلوبهم
قال الله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل وفى التيسير وعن عمر رضى الله عنه انه كتب فى عهد نصارى بنى تغلب
ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركوهم حتى يبلغوا ويختاروا لانفسهم ما شاؤا اى لا يلقنوهم ولا يعلموهم ذلك
قال الله صبغة الله اى كان تلقينهم يوم الميثاق حين قلت الست بربكم قالوا بلى وقال ابن الانبارى
وكانت العرب تعرفون معنى الصبغة ولهذا قال الله صبغة الله وذلك لانهم كانوا يقولون فلان يصبغ فلانا
فى الشراذا ادخله فيه والزمه اياه كما يلزم الثوب الصبغ وقال الشيرازى من ايمتنا فى معنى قوله صبغة
الله اى قولوا نتبع صبغة الله ثم قال وهذا احسن الاقوال فيها لقوله فى اخر الاية ونحن له عابدون وقد
تقدم ان معنى قوله بل ملة اى بل نتبع ملة ابراهيم ثم قال ايضا ان الله عز وجل سمى دين الاسلام باسماء واضاف
كل واحد من ذلك الى نفسه فقال هدى الله لقوله تعالى ان الهدى هدى الله وصراط الله لقوله صراط الله
الذى وفطرة الله لقوله تعالى فطرة الله التى وصبغة الله كما هنا ودين الله لقوله يدخلون فى دين الله ونور الله
لقوله يريدون ان يطفئوا نور الله وحبل الله لقوله واعتصموا بحبل الله وكلمة الله لقوله وكلمة الله هى
العليا وقال ايضا ان الله سمى دين الاسلام باسماء مفردة نحو كلمة التقوى لقوله والزمهم كلمة التقوى
والكلم الطيب لقوله اليه يصعد الكلم الطيب وكلمة طيبة لقوله مثل كلمة طيبة والقول الطيب لقوله وهدوا
الى الطيب من القول وقول الصواب لقوله الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقول المرضى لقوله ورضى له قولا
وقول الحق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق ودعوة الحق لقوله له دعوة الحق وشهادة الحق لقوله الا من شهد
بالحق والعهد لقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا والحسنة لقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم فى النار والاحسان لقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان والايمان لقوله ان هداكم
للايمان والاسلام لقوله ان الدين عند الله الاسلام ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام والسلم لقوله ادخلوا فى السلم والسلام لقوله
كافة والسبيل لقوله انا هديناه السبيل وسبيل الرشاد لقوله اهدكم سبيل الرشاد وسبيل الرشد لقوله وان
يروا سبيل الرشد والرشد لقوله يهدى الى الرشد والنعمة لقوله فضلا من الله ونعمة والفضل لقوله قل بفضل الله
والعدل لقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس معناه ان الله يامر بالتوحيد وللدين الاسلام
اسماء اخر مذكورة فى المطولات وكتابنا هذا مختصر لا حشو فيه ولا تطويل بل من يعرف ذلك بالتامل الصادق
فى نكته وغوامضه واعجازه وقال ابو بكر والصبغة فعلة من صبغ كالجلسة من جلس الحالة التى يقع عليها
الصبغ والجلسة وفى التيسير وصبغ يصبغ بفتح الباء فى المستقبل وضمها وكسرها انتهى وقال ابو عيسى واعلم ان

صبغة الله

صبغة الله منصوب على الاغراء اى الزموا صبغة الله او اتبعوا صبغة الله وقيل على البدلية من ملة ابراهيم
فعلى هذا لا يتم الوقف على قوله العليم وحسن الوقف على قوله صبغة الله لان من فى قوله ومن مبتداء
خبره احسن ومحل من الله نصب بقوله صبغة وهى تمييز قال الاستاد ومن استفهام فى معنى
الجحد اى لا احد احسن دينا من الله لانه يصبغ بالايمان الذى لا يمحى اثره سرمدا وبعبارة اخرى لا صبغة
احسن من الايمان بالله والدين الذى شرع لكم ليطهركم من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له
عابدون اى مخلصون باتباعنا لابراهيم وصبغة الله والعابد العامل بحق العبودية مرضات الله تعالى
قال ابو بكر الشيرازى هذا عطف على ضمير امنا بالله او على قوله ونحن له مسلمون وهو حال عن فاعل امنا بالله
وفيه تعريض بهم اى لا نشرك بالله كشرككم والقول بانه عطف على امنا يقتضى ذلك دخول قوله صبغة الله فى
مفعول قولوا امنا ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا
امنا بدل من اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب انتهى وقال عمر بن عثمان الاصفهانى فى قوله ونحن له
عابدون عطف على امنا ومن جعل صبغة الله نصبا على البدل من ملة ابراهيم او على الاغراء اى الزموا صبغة الله
جعله اعتراضا تعريضا بمن اشرك فى عبادته لئلا يقع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبى والعطف على
فعل الاغراء بتقدير القول اى الزموا وقولوا ونحن له عابدون تكلف واضمار بلا دليل قلت وفى قولهم
تكلف بلا دليل لا ينهض له فى ذلك حجة قل اتحاجوننا فى الله الالف للاستفهام وهو للتوبيخ والاستنكار
ههنا ومعناه عند ابن عباس قل يا محمد لاهل الكتاب لم تخاصموننا وعند مجاهد لم تخاصموننا والمحاجة مفاعلة
بين الاثنين فى ايراد الحجة على ما يدعى تخصيصه قل يا محمد لاهل الكتاب لم تجادلوننا فى شانه عز وجل واصطفائه نبيا
من العرب دونكم ومن افترائهم انهم قالوا ان ابراهيم سال الله ان تكون النبوة فى اولاد اسحاق والملك فى اولاد
اسماعيل قال البيضاوى وروى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
قوله وهو ربنا وربكم فاستوينا نحن وانتم فى عبوديته فاذا لا اختصاص له بقوم دون قوم بسبب بل برحمته
من يشاء من عباده فله ان يصطفى محمدا بالرسالة عليكم فلا تقولوا لم خص محمدا بالنبوة ونحن اهل الكتاب
والعرب عبدة الاوثان قال ابن عباس قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى به
منكم فنزلت وهو ربنا وربكم او قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا فنزلت وهو ربنا وربكم اى الناس كلهم فى ذلك
سواء وقال استادى رحمه الله ويحتمل ان يكون الخطاب لمشركى العرب فقط حيث قالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم او لمشركى العرب واهل الكتاب جميعا والمعنى اتجادلوننا فى شان الله
او فى دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان يفعل بمربوبه ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه اهلا له فالعرب والعجم فى ذلك
سواء القراءة اتحاجوننا بنونين وقرى اتحاجونا بنون واحدة مشددة ولنا اعمالنا نجازى بها ولكم اعمالكم
تجازون بها لانه عادل تخصيصه فكما ان لكم اعمالا ترجون نيل الكرامة بها فنحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار
ولكن لما كان فى اعتقادنا واعمالنا الاخلاص وفى اعتقادهم واعمالهم الشرك بين سبب استحقاقنا الكرامة بقوله
ونحن اى الامة المحمدية له اى لله مخلصون اى موحدون وانتم به مشركون ومن كان مخلصا كان اهلا
لكرامته ومن كان مشركا كان اهلا لنكاله وغضبه والخالص كالصافى معنى الا ان الخالص هو ما زال عنه شوبه
بعد ما كان فيه ماخوذ من خلصت الشئ من الشئ اى ابنته عنه فالاخلاص على هذا تصفية الاعمال من الشرك والرياء

والصاق اسم لما لا شوب فيه اصلا قال ابو يحيى القزويني وترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجلهم شرك
والاخلاص المعافاة منهما وقال الكلبي والمعنى قل يا محمد اتجادلوننا في دين الله والله رب الكل غني
عن الكل لا تنفعه طاعة مطيع ولا يضره عصيان عاص ولا نؤاخذ باعمال غيرنا ممن سلف من المشركين
ونحن له مخلصون وقال سعيد البغدادي الشافعي والمعنى فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطا
على زعمكم فكذلك لنا اعمال ولكن احسن من اعمالكم فلا تبعدان يكوننا ويخصنا باعمالنا الحسنة ويذلكم باعمالكم
السيئة وفي الاية اشارة الى ان الله عز وجل الزمهم على كل مذهب ينتحلونه ويعتقدون عليه الحاما او
تبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص لوجه الله فاخلصوا الا لله الدين الخالص وقال الجلال
السيوطي والجمل الثلاث احوال انتهى قلت وقد روعي في الفواصل اسلوب الترقي لانه ذكر اولا
الاسلام ثم ثنى بالعبادة ثم ثلث بالاخلاص ثم استفهم منكرا بقوله **ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى** قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو بكر عن
عاصم بالياء على الغائبة وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة بناء على قوله اتحاجوننا في الله اي يكون
الخطاب هنا معادله للهمزة في اتحاجوننا المعنى اي الامرين تأتون المحاجة في الله وقد مر انه وربنا
وربكم ام تقولون بزعمكم ان هؤلاء الانبياء على دينكم فباي الحجتين تتعلقون ابالتوحيد فنحن الموحدون
دونكم ام باتباع دين الانبياء فنحن المتبعون دونكم وقد برأ الله ابراهيم من اليهودية والنصرانية
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما والتوراة والانجيل قد انزلا بعده
والانبياء المذكورون معه تبع له وقراءة الياء على الاعراض عن الخطاب لهم استجهالا لهم بما كان منهم
كما يقبل العالم على من بحضرته اذا ارتكب من يجادله جهالة فيقول قد قامت الحجة عليك ام هو
يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة قال سيف الدين المصري الشافعي وام متصلة لانها معادلة
للهمزة في قوله اتجادلوننا المعنى اي الامرين تأتون المحاجة ام ادعاء غير الاسلام على الانبياء هذا
على قراءة الخطاب وعلى قراءة الغيبة فلرد على قوله فسيكفيكهم الله وجوز بعضهم ان تكون ام هذه
منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار ايضا واذا قرأت بالياء غيبة فلا تكون ام الا منقطعة تخصيصه بل
اتقولون ان المذكورين كانوا هودا او نصارى ورد الله عليهم بقوله الاتي قريبا اانتم اعلم ام الله اي بل الله
اعلم لانه اخبر بما كان عليه ابراهيم واخصر العبارة ان يكون قوله ام يقولون الى اخره
للاضراب عن الخطاب في اتحاجوننا وام منقطعة لانكار هذا القول عليهم هذا على قراءة صحيحة وفي قراءة
صحيحة ايضا بالخطاب على ان ام متصلة معادلة لهمزة اتحاجوننا وهذا ابلغ لدلالته على ان كل واحد
من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعتا كقولك لمن اخطا ايا ومقالا اتدبيرك ام تقريرك وكذا ان جعلت ام
منقطعة **قل ءانتم اعلم ام الله** اي قل يا محمد اتجادلوننا في دين الله ام تقولون ان ابراهيم ومن
ذكر معه بواو العطف كانوا على ملتكم وليس الامر كذلك بل كانوا مسلمين وفاقا على الدين الذي نحن عليه
كذا اخبرنا ربنا اانتم اعلم ايها الجاهلون بادين ام الله اي فالله اعلم به منكم وقد علم منهم خلاف
ما تقولون قال احمد الكوابي وام هذه موصولة والله مبتدأ خبره محذوف تقديره اعلم اي بل الله اعلم

ثم زادهم

ثم زادهم انكارا وتبكيتا بقوله **ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** قوله من الله
اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابراهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم واخفى هذه الشهادة
ولم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل اشنع وافظع واما ان يتعلق بكتم اي
لا اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله وكتمها واخفاها منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك
عندي شهادة من فلان ومن هنا على هذا المعنى كمن في قوله تعالى براءة من الله ورسوله لان من ثم نعت
لبراءة ولذلك حسن الابتداء ببراءة والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة عنده جاءته من الله وفيه اشارة
الى ان المومنين لم يكتموا ما عندهم من الحق وشهدوا لابراهيم بالحنيفية والاسلام وتعريض بان اهل الكتاب
قد كتموا شهادات الله فانكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحنيفية ابراهيم صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من تحريفاتهم
قال ابو ابراهيم وكتم يتعدى الى مفعولين تقديره كتم الناس شهادة عنده كائنة من الله تعالى ولا
احد اظلم من اليهود حيث كتموا شهادة الله في التوراة لابراهيم بالحنيفية ايضا قال البيضاوي
والمعنى لا اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او لا اظلم منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وقال
استادي والمعنى عندي لا احد اظلم منكم معاشر اهل الكتاب لان من استفهام بمعنى الجحد اذ كتمتم من الله شهادة
عندكم وانتم تشهدون بان هؤلاء الانبياء لم يكونوا هودا ولا نصارى وان محمدا نبي وهو سيد الانبياء وعلى
دينهم وقد علمتم هذا ووجدتموه في كتابكم ومن الله على هذا متعلق بالكتمان يقال كتمتك الشهادة وكتمت
منك الشهادة اي لم اقمها عندك فكانه قال ومن اظلم ممن كتم عنده شهادة فلم يقمها عند الله وبين عباده
بل كتمها واخفاها فظلم بذلك وقال ايضا والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من الله فحرفها واخفاها
ومن الله على هذا متعلق بالشهادة اي الشهادة من الله انتهى كلام الاستاد وفيه مع ما ذكرنا نوع تكرير
غير انه لا حشو فيه وقال الحسن هذا قول المومنين لاهل الكتاب والمعنى ومن اظلم منا معاشر المومنين
ان تابعناكم على ما تقولون بعد ان حصلت عندنا شهادة من الله عليكم بالكذب في قولكم ان هؤلاء الانبياء
كانوا هودا او نصارى ثم هدد اهل الكتاب بقوله **وما الله بغافل عما تعملون** من كتمان
الشهادة بصدق محمد وما جاء به والبشارة بمجيئه كما قال يأتي من بعدي اسمه احمد قال احمد بن محمد
فان قيل قوله اانتم اعلم ام الله نفى لعلمهم واثبات الشهادة عندهم اثبات علمهم اذ الشهادة لا تكون
الا بعلم قلت كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولما كتموا ذلك التحقوا بالجهال لفوت نفع العلم انتهى قال
ابو علي الشافعي في قوله وما الله بغافل عما يعملون اشارة الى تهديد عظيم لاهل الكتاب اي لا تحسبوا انه غافل
عما يعملون ثم قال وهذا كلام جامع لكل وعيد لهم ولاضرابهم ولو ان احدا كان عليه رقيب من
قبل ملك مجازي لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذي يعلم اسراره ويعد عليه انفاسه
وافكاره ثم هو يقدر على ان يدخله جنته او ناره **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون** وقد مر هذا فالتكرير للتاكيد والتقريع او لان المراد بالاول الانبياء
والثاني اسلاف اليهود والنصارى او الاول اشارة الى اسلاف اليهود والنصارى اي تلك الاسلاف قد مضت
والثاني الى ابراهيم ومن معه ووجه ذلك ان تلك الاسلاف مع فضلها اذا لم ينفعها عند الله الا ما كسبت بانفسها

الجزء الثاني

فانتم أحرى ان لا ينفعكم عند الله ما كسبوه ولا تسئلون الا عما تكسبونه فلا تتكلوا الى فضائلهم وقال الشيخ
الخطاب فيما مر لاهل الكتاب وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقال ايضا وهذا تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقال ابو الخير واحسن المعاني
ان تلك ههنا اشارة الى ابراهيم وبنيه كالذي مر وانما اعيدت الآية ههنا لغرض آخر وهو زجرهم عن الاشتغال
بوصف ما عليه الامم السالفة من الدين فان اديانهم لا تنفع الا اياهم لا اندراس آثارها وانطماس انوارها
واما الآن فالمعتبر الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان الواضح النير الساطع فيجب اتباع المعلوم وافتقاد
الفناء المظنون والمعدوم ولا يسأل المتأخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسيء وكل بعمله مجزي سيقول
السفهاء من الناس ومحل قوله من الناس على الحالية وعاملها يقول وقد مر عند قوله ما ننسخ من آية طعنا
لاهل الكتاب في الاسلام وهذه شبهة ثانية منهم طعنا في الاسلام ايضا حيث قالوا النسخ يقتضي اما الجهل
او التجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد بان يكون مطلقا غير مقيد بالدوام وعدمه كفى فعله مرة
واحدة فلا يكون ورود الامر بعده على خلافه نسخا له وان كان مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا وكان
الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبدا وان كان عالما بلا دوامه كان تجهيلا وهذه من الحكيم قبيح ثم
انهم خصصوا هذه الصورة بمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فههنا لا مصلحة فان
الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال ولفظ سيقول وان كان
للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم سيطعنون
فيّ كأنه يريد انه اذا ذكر مرة فسيذكرونه مرة اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك
نزلت الآية والمشهور ان الله عز وجل اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد
منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجاة المكروه اشد حما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب
العتيد اقطع للخصم يعني استحضار الجواب قبل الحاجة اثبت عند الحجاج والخصومة كما قيل وقبل الرمي يراش
السهم وقال ابو الخير وفائدة تقديم الاخبار به مع انه نوع من الاعجاز توطين النفس واعداد الجواب
وتلخيصه انما اخبر الله كلامهم لينبه قبل الوقوع منهم ليتوطن نفسه ويتلقى المكروه بصدر رحب ويستحضر الجواب
قبل الحاجة ليكون اثبت عند الدعوى انتهى وقال ابو يحيى الشافعي واعلم ان اليهود لا يرون نسخ الشرائع والاحكام
ولهذا قالوا ما ولاهم والنسخ عندهم كالبدأ والرجوع وذلك عندهم فعل من يجهل عواقب الامور وقالوا هو
نظير بان بنى قصرا ثم هدمه ونقضه وهذا جهل مركب من اليهود لان النسخ عندنا هو بيان منتهى الحكم
الى وقت وليس فيه بدأ ولا نقض لما مضى بل تجديد حكم في وقت بعد انقضاء حكم والسفهاء الخفاف
الاحلام اي الجهال الضعفاء العقول المنهمكون في التقليد والمعرضون عن النظر بحيث لا يميز ما له
وعليه في امر دنياه وقد عد هذا سفيها في الشرع فالذي يضيع امر آخرته اولى بهذا الاسم قال ابن عباس
والبراء بن عازب ومجاهد هم المنكرون لتغيير القبلة وهم اليهود ككعب بن الاشرف ورفاعة بن قيس وقردم
ابن عمرو ونافع بن ابي نافع وامثالهم قالوا يا محمد ما ولاك واصحابك عن قبلتكم التي كنتم عليها ارجع الى قبلة
بيت المقدس نتبعك ونصدقك وارادوا بذلك فتنة النبي صلى الله عليه وسلم فسماهم الله عز وجل سفهاء
لانهم نوافل ابراهيم والكعبة بناؤه ومع ذلك رغبوا عنها وقال بعضهم وانما سماهم سفهاء لانهم كانوا

ارباب

ارباب التقليد ويحبون ان يأنسوا بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحولت القبلة استوحشوا
ذلك وقالوا ما ولاهم وقال الحسن هم مشركوا العرب لما حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة
من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة آبائك ثم رجعت اليها والله لترجعن الى دينهم وقال
السدي هم المنافقون قالوا ما ولاهم استهزاء بالاسلام من حيث انه يميز بعض الجهات عن بعض من غير
دليل على زعمهم فحملوا امر النبي صلى الله عليه وسلم على العبث والعمل بالرأي والتشهي والاقرب ان يكون الكل
داخلا في الانكار عن الحق بل السفاهة التي ذكرها الله الا ان الاعراب جبلوا على الغيظ والتشفي
فاذا وجدوا مجالا للملام لم يتركوا مقالا وقال ابو منصور كان وعد الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه يحوله
الى الكعبة فاخبره بهذا وبما يقول له اليهود اذا حولت وكان هذا قبل ان يحول وقبل ان يقولوا له شيئا الا ترى
الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء ولو لم يكن له وعد بذلك لكان تقلب وجهه تحكما منه وتحكما
عليه وليس لاحد على الله ذلك فدل على الوعد ثم قال وفيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان
اخبره على ما اخبر وكان كذلك فدل على انه علم ذلك بالله وقال ابو بشر قوله سيقول وان كان هذا نص
الاستقبال ولكن معناه سيواصل اليهود هذا القول ويدومون عليه طعنا فيكم والقول مما يمكن فيجوز الاخبار
عنه بهذه الصيغة بخلاف جلسوا وتكلموا انتهى وقال الحافظ جلال الدين السيوطي والاتيان بالسين الدالة
على الاستقبال من الاخبار بالغيب قوله عز وجل ما ولاهم اي اي شيء صرف النبي واصحابه يقال تولى
عن كذا اي انصرف عنه وولاه غيره اي صرفه وما على هذا كلمة استفهام لانهم استفهموا على جهة التعجب
والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها اي كان النبي واصحابه معتقدين على استقبالها
والتوجه اليها وهي بيت المقدس وضمير الجمع في قوله ما ولاهم للرسول والمؤمنين كما فسرناه هو المجمع عليه عند
المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل بعيد الضمير في كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول والمؤمنين عن القبلة
التي كان السفهاء عليها لانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب وقبلة النصارى وهي الى
المشرق وكانهم قالوا كيف يتوجه احد الى غيرهما من الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله
قل لله المشرق والمغرب اي هما وما فيهما من البلاد والارض كلها والجهات باسرها لله عز وجل ملكا
وملكا ويأمر بالتوجه الى اي جهة شاء لا اعتراض عليه قال البيضاوي معناه ما صرفهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت
عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة وقال في معنى قوله لله المشرق والمغرب اي لا يختص به مكان دون
مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بامتثال امره لا لخصوص المكان انتهى وقال
الكواشي في معنى قوله قل لله المشرق والمغرب اي انكم تصلون الى الكعبة وهي بالشرق والى بيت المقدس
وهو بالغرب وهما بما فيهما لله انتهى قلت وتلخيصه قل يا محمد لله الامكنة والنواحي كلها ملكا وتصرفا
يأمر عباده ان يتوجهوا الى اي جهة شاء شرقا او غربا فالطاعة له في الائتمار بامره لا في تعيين التوجه
نحو المشرق والمغرب لهوى هووه او لتمني تمنوه لان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم
وكذا النصارى اتخذوا المشرق قبلة بهوى انفسهم والمسلمون اتبعوا الامر في ذلك وذلك هداية الله تعالى
كما قال يهدي اي يرشد من يشاء هدايته الى صراط اي طريق مستقيم اي دين الاسلام وقت

واشتك منهم قال الاستاد واراد بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم القبلة التي اقتضت الحكمة في
هذا الزمان توجه الناس اليها ويحتمل ان يراد به الطريقة المودية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها
وقال ايضا واراد بالهداية المذكورة ما يرتضيه الحكمة ويقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة
والى الكعبة اخرى لا اعتراض عليه في ذلك لانه المالك وحده وقال ايضا معناه انه يرشد من يشاء
الى قبلة الحق وهي الكعبة التي امرهم بها فيتوجهون اليها حيث امروا به لا الى ما يهواهم ويتمناهم من غير امر
وفي الاية رد على المعتزلة لانه اخبر انه يهدي من يشاء فدل على ان اهتداء العبد بهدايته وعند المعتزلة
قد يشاء هدى العبد فلا يهتدي بتاكم وقال ايضا ولما كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا الى بيت المقدس
ليتميزوا به من المشركين ولما انتقل الى المدينة وكان بها يتوجهون نحو بيت المقدس نقلوا الى الكعبة ليتميزوا
منهم كما تميزوا من اولئك وعن ابن عباس والبراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت قبلته نحو بيت المقدس
فصلى اليها مع اصحابه بعد مقدمه الى المدينة نحوا من سبعة عشر شهرا وقال قتادة ستة عشر شهرا
وقال انس تسعة اشهر او عشرة اشهر وقال قتادة صلى الانصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجهه الله الى الكعبة وقال مقاتل وكان التحويل في رجب عند الظهر قبل قتال بدر بشهرين ونزل
حينئذ قد نرى تقلب وجهك في السماء وقال مقاتل بن حيان كان النبي واصحابه يصلون الى الكعبة سنتين
فلما هاجر امر ان يصلي نحو بيت المقدس فصلى مدة معلومة ثم جعل الكعبة قبلة للمسلمين الى يوم القيمة وقال
ابو منصور والصلوة الى بيت المقدس كانت بالسنة اذ لا ذكر له في الكتاب وقال ابو يحيى الشافعي لما
نزل اية التحويل صلى النبي صلى الله عليه وسلم الى الكعبة فلما عمل به صار نسخ السنة بالسنة مع الامر وعند الحنفية
الكتاب ناسخ للسنة سواء عمل او لا وقال الباقلاني وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه عز وجل
فعال لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد على من تصرف في ملكه كما يريد وان افعاله عز وجل لا يعلل بغرض
وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما هو معلوم وكثير منها ما لا يهتدي عقول البشر الى تفاصيل حكمها لكنهم قد
يستنبطون بافهامهم لبعضها وجوها مناسبة اما تعيين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية تدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية يتصرف بها في عالم الاجسام وقلما تنفك العقلية عن
الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في ادراك المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينا
له على ادراك تلك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه يستقبله بوجهه ثم يشتغل
بالثناء والحمد فاستقبال القبلة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والثناء يجري مجرى الثناء عليه
والركوع والسجود جاريان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا
يتاتى ذلك الا في جميع صلاته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين واذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في
الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه عز وجل يحب الموافقة والالفة بين المومنين وقد من عليهم بذلك
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وتوجه كل مصل الى
جهة ينفق مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه عز وجل يقول يا مومن
انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي والجنة دار كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى

بهي

اهيئ دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا مغرب الانوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمومنون استقبلوا مظهر
الانوار وهي مكة فيها محمد صلى الله عليه وسلم ومنه خلق الله الانوار ولاجله دار فلكه الدوار وايضا
المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وما بينهما قبلة ابراهيم ومحمد وخير الامور اوسطها وايضا
الكعبة سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى
الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة و
الكعبة قبلة المومنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء
كانه قال عليك بهذه الجبال ذنوبا فاتيت الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت نحوها مصليا الصلوات
الخمس غفرها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سببا لظهور دولة العرب كانت رغبتهم في توجهها
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة ويكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل
تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه
فيمتاز رحمة المرء بكونه مقبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة قال احمد الكواشي ولما قالت اليهود
لمعاذ قبلتنا قبلة الانبياء وما تركها محمد الا حسدا والله يعلم انا عدل بين الناس فقال معاذ نحن
على حق وعدل نزل قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى
معنى يهدي من يشاء اي كما انعمنا عليكم بالهداية اي كما جعلناكم مهتدين كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم
امة وسطا او كما هديناكم الى اوسط القبل واشرفها كذلك جعلناكم امة وسطا وقال بعضهم
واسم الاشارة راجع الى قوله ولله المشرق والمغرب والمعنى كما خصصنا بعض الجهات المتساوية بمزيد التشريف
والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا كذلك جعلناكم مختصين بالعدالة بين امنا وامتنانا
مع تساوي الخلق في العبودية وقال بعضهم وقد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا
كان المضمر مشهورا معروفا نحو قوله انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور المعروف عند كل احد انه
عز وجل هو القادر على اعزاز من يشاء الى صراط مستقيم واذلال من يشاء الى ضده والمعنى ومثل الجعل
العجيب لا يقدر عليه احد غيري جعلناكم امة وسطا وفي كتاب الجوهري يقال جلست وسط القوم
بالتسكين لانه ظرف وجلست وسط الدار بالتحريك لانه اسم فكل موضع يصلح فيه بين فهو وسط
بالسكون وان لم يكن يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله ويقال شيء
وسط اي بين الجيد والردي وامة وسطا اي عدلا قال زهير شعرا هم وسط يرضى الانام بحكمهم
اذا نزلت احدى الليالي بمعظم وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط
ولهذا ذكره الله عز وجل في معرض المدح والامتنان وقال بعضهم الوسط الخيار لانه لا يستعمل في
الجمادات قال الزمخشري اكتريت بمكة جمالا اعرابي فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار الابل
ويويده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط محمية محوطة وقال بعضهم المراد بالوسط ههنا المتوسطون

الموسطون

في الدين بين المفرط والمفرِّط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا عيسى ابنا
والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا التوراة وجعلوا عزيرا ابنا لله عز وجل ولان الوسط اسم
وصف به استوى فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمونث وقال ابو الخير الشيرازي واسم
الاشارة راجع الى مفهوم قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والمعنى كما جعلناكم مهتدين الى الصراط
المستقيم او كما جعلنا قبلتكم افضل القبل واشرفها كذلك جعلناكم امة وسطا اي خيارا عدولا متزكين
بالعلم والعمل والوسط في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب في المدور ومن
الطرفين في المطول كالنقطة من الدائرة ولسان الميزان من العمود ثم استعير وجعل عبارة عن الخصال
المحمودة وشبه به كل ما وقع بين طرفي افراط وتفريط كالجود المحمود بين البخل والاسراف والشجاعة
بين التهور والجبن ثم جعل عبارة عن المختار من كل شيء حتى قيل فلان من اوسطهم نسبا فاستوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ
لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم انتهى قلت توضيحه ان الله جعل هذه
الامة عدولا والعدل هو الوسط المستحق للشهادة وقبولها ففيه الدلالة على جعل الاجماع حجة فاذا اجمعوا
على شيء وشهدوا به لزم قبوله بما شهدوا والشهادة فيه انه من عند الله وقع له ذلك وقال
استادي رحمه الله والمعنى كما هديناكم يا امة محمد الى صراط مستقيم صيرناكم امة وسطا وهذا وجه
النظم بما قبله والمعنى ايضا كما جعلنا قبلتكم خير القبلتين في الدنيا فلذلك جعلناكم خير الامم في العقبى والمعنى
ايضا ان عابكم السفهاء بما قالوا في الاية المتقدمة فان الله يمدحكم في هذه الاية وسموا وسطا لانهم
كالمتوسط بين الخصمين يعدل ولا يميل وكالوسط بين الشيئين المتساويين وسموا وسطا ايضا لان قبلة
النصارى الى المشرق وقبلة اليهود الى المغرب والكعبة في الوسط وهي سرة الدنيا قال ابو عبيدة
الوسط الخيار قال الله تعالى قال اوسطهم اي خيارهم وافضلهم وقال احمد بن فارس الوسط بالفتح
من كل شيء عدله وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامة الوسط
العدل وهذه الامة لن يغلو غلو النصارى حيث مدحوا المسيح وهو عبده بالالوهية وبانه ابن الله
وبانه ثالث ثلثة ولم تقصر تقصير اليهود حيث قتلوا الانبياء ووصفوا عيسى ومريم بما لا يليق ذكره
بل ذكروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة وبانه عبد اسرى به وبانه بشر ونحو ذلك ولا عبرة بما شاع
من بعض الجهلة مما لا يليق البحث عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم
ثم علل قوله جعلناكم وسطا بقوله **لتكونوا شهداء على الناس** ان رسلهم قد بلغتهم وعلى
بمعنى اللام كما في قوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب والناس هم الانبياء ههنا كما في قوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس اي ذكرت للانبياء وقيل كلمة على بحقيقتها ههنا والناس ههنا
هم الكفار وهم امم الانبياء الذين لم يومنوا وتقديره لتكونوا شهداء على الكفار للانبياء يوم القيمة
قال الله تعالى فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين فيقول الكفار ما جاءنا من بشير ولا
نذير ويقول الانبياء قد بلغناهم واذا انكر الامم احتاج الانبياء الى اثبات ذلك فيوتى بمحمد صلى
الله عليه وسلم يلتمس كل رسول منه طائفة من امته تشهد له على امته واذا شهدوا قال الكفار كيف
تشهدون

تشهدون ولم تكونوا في زماننا فيقولون اخبرنا الله به في كتاب نبينا كذبت قوم نوح المرسلين
وكذا في سائر القصص وفي تفسير احمد بن يوسف الكواشي وفي الحديث انه يقال للكفار يوم القيامة
الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيقول الانبياء كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة
وهو اعلم اقامة للحجة عليهم فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون للانبياء بالتبليغ فيقول
الامم من اين علموا وقد جاوا بعدنا فتسال امة محمد عن ذلك فتقول انك ارسلت الينا رسولا
وانزلت الينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيزكي
امته ويشهد بصدقهم انتهى وفي تفسير شيخنا وروى البخاري وغيره ان الامم المكذبة تنكر
تبليغ الرسل فتشهد الرسل بامة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول الامم من اين علمتم وانتم لم تكونوا موجودين
فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه المنزل على نبينا فيوتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مزكيا لهم
فيشهد بصدقهم وعدالتهم كما قال الله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء
شهيدا والحكمة في هذه الشهادة تميز امة محمد في الفضل على سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق
الله وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم كالعدول بالنسبة الى غير العدل فلذلك
تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم عليهم وانما سمي هذه الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء الذي اخبر الله عنه مثل الشمس بل اظهر فيصح الشهادة عليه قال
ابن زيد والاشهاد اربعة الملئكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون وامة محمد صلى الله عليه وسلم
والجوارح قوله عز وجل **ويكون الرسول عليكم شهيدا** اي مزكيا لكم معدلا لكم ولم يقل لكم باللام بل قال
عليكم بعلى مع ان شهادة الرسول لهم لا عليهم لكن لما كان الشهيد بمعنى الرقيب والرسول كالرقيب
المهيمن على امته جيء بحرف الاستعلاء كقوله كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد قال
ابو حيان وانما عدى شهادته بعلى دون اللام مع انها لهم لا عليهم لتضمن معنى المراقبة لاشتراط كون
المزكي خبيرا بحال المزكى وفي ذلك غاية مدحهم وقدمت صلة الشهادة اولا لان الغرض من
اثبات شهادتهم على الامم واخرت اخيرا تخصيصا لهم بشهادة الرسول عليهم وبعبارة اخرى وانما قدم
الصلة لاختصاص شهادته بهم ولا يقدح في ذلك كونه شاهدا للرسل ايضا لان هذه تزكية وتلك
شهادة تبليغ على ان الحصر اضافي لان التقابل بين الامم لا بين امته والرسل وقال القفال والمفسرون
في الاية ثلثة احوال احدها انها تكون منهم على قوم خاصة والثاني انها تكون على كفار امة هذه الدعوة وهي
دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والثالث انها تكون منهم على جميع الامم وقال ابو الخير في معنى قوله
لتكونوا الى اخره اي لتعملوا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه عز وجل ما بخل على احد
وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم او بعدكم وقال ايضا و
بعبارة اخرى ولعل المعنى ليشهد كل قرن منكم على من يحدث في عصرهم ومن بعدهم بالشرائع التي بلغتهم
ويكون الرسول شهيدا عليكم اي مبلغا اليكم شهيدا عليكم عن الله بما يوديه اليكم من شرائع دينه وتكونوا
انتم شهداء على الناس به والرسول بما اداه الرسول اليكم عنه انتهى **وما جعلنا القبلة التي كنت**

عليها اى وما جعلنا الجهة التى كنت عليها اولاً وهى الكعبة ومعنى كنت عليها اى كنت على اعتقاد استقبالها كما يقال فلان على دين كذا وعلى قوله كذا قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اولاً وكان يصلى حينئذ الى الكعبة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود ثم امر بالصلوة الى الكعبة وقالوا ايضا المعنى وما صيرنا الجهة التى كنت عليها اولا وهى الصخرة وذلك لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بين نفسه وبين بيت المقدس ثم امر بالصلوة الى الكعبة فافتتن بذلك قوم فنزل وما جعلنا القبلة فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك الا لنعلم الاية قال الكواشى والقبلة هو المفعول الاول لجعل والمفعول الثانى له هو قوله التى كنت عليها وبعضهم يجعل الثانى محذوفا ويجعل التى كنت عليها صفة المحذوف تقديره وما جعلنا القبلة القبلة التى كنت عليها والمعنى وما رددناك الى القبلة التى انت عليها الآن الا لنعلم الاية انتهى وقال بعضهم والمعنى وما جعلنا الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة كان صلى الله عليه وسلم يصلى اليها بمكة ثم امر بعده بالصلوة الى صخرة بيت المقدس لا تألفا لليهود لانه مردود بالحصر المستفاد من تمام الكلام الآتى ذكره فانه صريح فى ان جعل الكعبة قبلة ليس تألفا لقريش على هذا الوجه وان جعل الصخرة قبلة ليس تألفا لليهود على الوجه لما اخبرتم حول الى الكعبة فالمعنى رددنا الى الكعبة وذلك لا يقتضى ان يكون القبلة المفعول الاول والتى كنت عليها المفعول الثانى كما توهم بل يجوز ان يكون على العكس اى صيرنا الجهة التى كنت عليها اولا ثم صرفت عنها الى بيت المقدس قبلتك او وما جعلنا الجهة التى كنت عليها وهى الصخرة فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا امتحانا وابتلاء للناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته صلى الله عليه وسلم بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه ولا دلالة فى هذا على احد الوجهين المذكورين بخصوصه كما لا يخفى انتهى مقالة البعض وكان شيخنا يقول والبعض هو كمال باشازاده وكثر منقولاته من الحواشى وقد يصيب وقد يخطا وجانب الخطا اكثر انتهى وقال ابو الخير والجعل هنا بمعنى التصيير وهو يقتضى اضمار المفعولين تقديره وما صيرنا القبلة التى كنت عليها وفى تفسير النيسابورى وقيل ان هذه الشهادة فى الدنيا وذلك ان الشاهد فى عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان تكون موقوفة على الاخرة لان عدالتهم فى الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضى فلا اقل من حصولها فى الحال ثم كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء فى الدنيا فان قيل لعل التحمل فى الدنيا ولكن الاداء فى الاخرة قلت المراد فى الاية الاداء بان العدالة انما تعتبر فى الاداء لا فى التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق فى نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية تقتضى كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل مع ذلك لهم الشهادة فى الاخرة فيجرى الواقع منه فى الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك يوم القيمة كما ان الشاهد على العقود يعرض ما الذى تم وما الذى لم

ثم يشهد

ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا ويزكيكم ويعلم بعدالتكم انتهى وقال ابو الخير والجعل هنا بمعنى التصيير وهو يقتضى اضمار المفعولين تقديره وما صيرنا القبلة التى كنت عليها قبلة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اذ احولناك عنها الى الكعبة وقيل جعلنا بمعنى نصبنا وشرعنا كما فى قوله ما جعل الله من بحيرة اى ما شرع فلا يقتضى الاضمار وقيل المضمر واحد اى وما جعلنا تغيير القبلة التى كنت عليها او صرفك عنها او تحويلها كما فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة اى وما جعلنا ذكر الرؤيا او خبرك عن الرؤيا اذ لا فتنة فى نفس الرؤيا وقال الاستاد والجعل فى القران يجئ على قريب من عشرين وجها الا لنعلم من يتبع الرسول فى امر القبلة ممن ينقلب على عقبيه كا اى وما رددناك الى القبلة الاولى وهى الكعبة الا امتحانا وتمييزا بين الصادق فى اسلامه الثابت على ذلك فيوافقك ويصدقك وبين الناكص الراجع المتزلزل فيرجع عن الاسلام لقلقه وضعف ايمانه فيخالفك ولا يصدقك فيما انت عليه قال ابو الخير فان قيل كيف يكون علمه عز وجل غاية للجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا انتهى وقال ابو يوسف الشافعى والاولى ان يقول اراد بالعلم العلم المتعلق به الجزاء الذى لا يتعلق الا بما يوجد من العامل او اراد بالعلم علم الظهور اى علم رسول الله واصحابه والمعنى ليظهر علمنا على مظاهر الرسول واصحابه ويظهر عندهم الثابت على الاسلام الصادق فيه وانما عبر عن الظهور المذكور بالعلم المسند الى ذاته تجوزا لانهم خواصه واهل الزلفى والقرب عنده تعظيما لهم وبهذا المعنى اندفع ما قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما واما التاويل بانه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا فليس بشئ لان علمه عز وجل به موجودا فى وقت وجوده لم يزل ايضا فانه عز وجل كان عالما فى الازل بهم وبكل حال من احوالهم التى تقع فى زمان من ازمنة وجودهم مقارنة للزمان الذى يقع فيه تلك وقال ابو بيبر المراد بالعلم التمييز والمعنى ليميز التابع الثابت عن الناكص المتزلزل لقوله ليميز الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم سبب التمييز ويشهد له ما ذكر ليعلم مجهولا فى قال سيف الدين التبريزى الشافعى والمعنى عندى وما جعلنا القبلة التى انت عليها الآن ثابتة ابدا غير منسوخة الا لنعلم الثابت على الاسلام من الناكص عنه بتخصيصه لم نفعل ذلك الا امتحانا وايجابا للحجة عليهم لانه ثبت فى علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة اخرين ولقد ارتد جماعة عن الاسلام عند تحويل القبلة قال ابن جريج بلغنى انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير رايه والمعنى على هذا لنميز اهل الشك من اهل اليقين وقال السدى لما توجه الى الكعبة قال الناس فقوم ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس وقال اخرون اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير فى امر دينه وقد كان فى توراة موسى انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والعلم اما بمعنى المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد فى الدار ام عمرو الى هنا كلام التبريزى وقال ولد التبريزى فى معنى الاية الا لنعلم كائنا ما علمناه قبل كونه انه سيكون لان الله تعالى يعلم الاشياء قبل كونها انها ستكون وبعد الكون

بعلمها كاينة وبعدما يمضي يعلم انها كانت وقال ايضا الحمل ان يقال يعلم من السكون في حال السكون
حركة ومن المتحرك في حالة الحركة سكونا او يعلم من الجالس قياما ومن القيام جلوسا لانه وصف بعلم
ما ليس وهو محال انتهى وقال النيسابوري واللام في لنعلم ليست لاجل التعليل والغرض وانما هي
لتقرير الحكمة والغاية التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب
ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمومنين كما تقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده والعرب تضيف
فعل الاتباع الى المتبوع كقولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزا وقتل ابو بكر الصديق اهل الردة وفتح عمر السواد وحكي
عن بعض العرب اني اجوع في غير بطني واعرى في غير ظهري يعني عيالهم وخدمهم وقال ابن عباس يعني
لنعلم اي لنرى وقال عمر ابن علي والمعنى الا لنعاملكم معاملة من يمتحن ليعلم وقال في قوله ممن ينقلب
على عقبيه هو مجاز عن الارتداد اي يرجع من الدين الحق الى الكفر شكا في الاسلام وظنا ان النبي صلى
الله عليه وسلم في حيرة من امره والعقب على ما قاله الاصمعي ما اصاب الارض من موخر الرجل الى موضع الشراك
وفي ذكر العقبين استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث اتى والمشهور ان الانقلاب على العقب
بادنى قلق اسوء حال الراجع في مشيه وفي تثنية العقب تقوية لمبادته وزيادة في سوء حاله **وان
كانت لكبيرة** وان هي المخففة من المثقلة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية واوجب البصريون
كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان او علم ويبطل عملها في الظاهر وكذا في التقدير فلا يقدر
ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير المستتر العايد
الى القبلة اي وان كانت القبلة لكبيرة لان القبلة هي المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية
في قوله ما ولاهم او الجعلة في قوله وما جعلنا القبلة او الردة قال الكواشي والصلوة وان هي المخففة و
اللام في لكبيرة عوض من اسمها او فارقة بينها وبين المشددة وزعم بعضهم ان ان بمعنى ما النافية واللام
بمعنى الا ويابى ذلك القياس والسماع انتهى وقرى لكبيرة بالرفع على زيادة كان والاصل ان هي لكبيرة
كقولك زيد لمنطلق وكقوله وجيران لنا كانوا كرام وقال البيضاوي وقال الكوفيون هي النافية
واللام بمعنى الا وفي الغاية وقد سهى من قال ان اللام عوض من اسم ان وقال بعضهم ان ان مع
اللام بمعنى قد واللام بمنزلة القسم تقديره وقد كانت كبيرة والله وقال السيوطي واسم ان محذوف
اي وانها وضمير كانت للتولية ومعنى لكبيرة اي لشاقة ثقيلة مستنكرة للناس كقوله كبرت كلمة تخرج
من افواههم لان من الف شيئا ثم فارقه شق عليه بيانه ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالانكار
عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الاباء والاسلاف عسير وان وقع الامتحان بالتحويل اي بنفس
القبلة فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب اعتقاد حقيته **الا على
الذين هدى الله** استثناء من محذوف اي لكبيرة على الناس الا على الذين هدى الله الى حكمة
الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وبعبارة اخرى اي الا على الذين وفقهم الله لاتباع امره والانقياد
لحكمه ومخالفة طبعه لموافقة شرعه وهم التابعون المخلصون وبعبارة اخرى على ان الراجع محذوف اي الا
الذين هديهم الله ممن ينقلب على عقبيه الى الثبات على دين الاسلام بان نصب لهم الدلايل اولا ثم جعلهم
منتفعين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل قال احمد بن يوسف وعلى الذين متعلق بقوله لكبيرة

ودخلت

ودخلت الا للمعنى ولم تغير اعرابا **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ما كان الله ليضيع
ثواب صلوتكم الى بيت المقدس قبل التحويل الى الكعبة بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السوال عمن
مات قبل التحويل روى البخاري عن البراء قالوا كيف باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فنزلت قال
البيضاوي معناه ما كان لتضيع ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتهم اليها
روي انه عليه الصلوة والسلام لما وجه الى القبلة قالوا كيف من مات يا رسول الله قبل التحويل من
اخواننا فنزلت انتهى بحروفه وقال احمد الكواشي في معنى ايمانكم اي صلاتكم لان الصلاة لا تكون الا
بالايمان ويستدل بهذا ان العمل من الايمان وقال صلوتكم خطابا بالمومنين المعاصرين واراد صلوة الاحياء
والاموات تغليبا للاحياء الحضر على الاموات وفي التيسير روي ان حيي بن اخطب واصحابه قالوا
للمسلمين اخبرونا عن صلوتكم نحو بيت المقدس اكانت هدى ام ضلالة فان كانت هدى فقد تحولتم عن الهدى
وان كانت ضلالة فقد تقربتم الى الله بها وان من مات منكم عليها لقد مات على الضلالة وقال
المسلمون انما الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما قولكم على من مات منكم على قبلتنا
وكان مات قبل ان تحول القبلة اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معروف من بني سلمة وكانا من
النقباء ومات رجال اخر فانطلق عشايرهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم توفي اخواننا وهم يصلون
الى القبلة الاولى وقد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا فانزل الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس سمى الصلوة ايمانا لانه وجوبها على اهل الايمان وقبولها وصحتها من
اهل الايمان انتهى وقال بعضهم ان الصحابة لم يرتابوا في قبول صلاة من صلى الى الصخرة وماتوا
قبل التحويل بل كان سؤالهم على تحسر ثواب القبلتين اشفاقا عليهم وانما قلنا لم يرتابوا لان الصحابة
كانوا عالمين بامر الله وامر رسوله وبصحة صلوتهم فسوالهم ليس من الشك في حقية النسخ في شي وانما
هو لاجل الاطمينان وبرد اليقين ولعلهم انما خصوا السوال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين
عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب
الاموات والاحياء جميعا فان النسخ حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما في
وقتهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ انتهى كلام البعض وهو احمد المصري وقال
بعضهم الخطاب للمومنين المعاصرين للنبي واللام لتاكيد النفي الداخل في كان ينتصب المضارع بعدها
بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم ترتابوا بل يشكر صنيعكم واعد لكم
الثواب الجزيل والاجر العظيم وقال ايضا يجوز ان يكون المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف ليلا
يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا يحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب
فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب
الناس اليه واحبهم وقرى ليضيع مشددا اضاع الشي ضياعا هلك واضعته وضيعته اهلكته
واللام في قوله ليضيع متعلقة بخبر كان المحذوف تقديره ومعناه وما كان الله مريدا لان يبطل
صلوتكم وصلوة اخوانكم الى بيت المقدس ثم علل ذلك بكسر الهمزة في ان فقال **ان الله بالناس
لرءوف رحيم** القراة لرءوف بهمزة من غير واو والقراة ايضا بهمزة مضمومة وبعدها واو

والرافة اشد من الرحمة وهي صفة مشبهة ولذلك قدم الابلغ للفاصلة ولدلالته على اللزوم و
تبسل ذكر الرحيم بعد الرافة للتتميم قال الاستاذ الرحيم اعم والروف ابلغ ولذلك جمع بينهما لانبات
المحسنين جميعا ولذلك ايضا بدا بالابلغ وختم بالاعم ومعناه انه برافته ورحمته لا يضيع اجورهم عليهم
ولا تدع صلاحهم حيث نقلهم من شرع الى شرع هو اصلح لهم ولا يوجب عليهم اعادة الصلوة بعد النسخ
فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه الاظهر وقال ايضا وانما قدم الروف على الرحيم لان الرافة
انما يكون باعتبار الحفظ والصيانة عن الافات والنقايص التي يستحق بها العقاب والرحمة باعتبار افاضة
الكمالات والسعادات التي بها يستحق الثواب فالاولى من باب التزكية والثانية من باب التحلية ولا يكون
التحلية الا بعد التزكية ثم ان الله وصف نبيه بقوله بالمؤمنين روف رحيم ووصف نفسه بقوله
ان الله بالناس لروف رحيم وهو يعم الكفار والمؤمنين وذلك في حق الكافر فانه يرزقه ويمهله واذا
اناه يقبله واذا مرض يشفيه ويعافيه واذا مات على الكفر يخلده في النار وذلك في حق المؤمن اعظم لانه
اذا مات على الايمان يدخله دار كرامته مخلدا فيها واما رافة محمد ورحمته بالمؤمنين خصوصا فهي كاينة
من الله قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية ومن كمال رحمة الله انه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم اخبر عز وجل ان الكفار يستعجلون العذاب ولو كان
امر ذلك الى النبي لاهلكهم فلا اراف ولا ارحم من رب العالمين هو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين
ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة احب التوجه الى الكعبة مصليا فجعل ينظر الى السماء رجاء
ان ينزل عليه الوحي بالتوجه اليها من غير سوال باللسان لانه سيد المتادبين وقد قال ابراهيم حسبي
من سوالي علمه بحالي ولانها قبلة ابراهيم واقدم القبلتين ومفخر العرب وامنهم وادعى لهم الى الايمان
ولئلا يظن اتباعه اياهم وايضا انه كان يتمنى ذلك لمخالفة اليهود لانهم كانوا يقولون انه يخالفنا
في ملتنا ويتوجه الى قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل نزل قوله عز وجل **قد نرى تقلب**
وجهك في السماء هذا مستقبل لفظا ماض معنى ومتاخر تلاوة متقدم معنى لانه اول القصة في
تقدم القصة وان كان هو اخرها واولها لما قلنا انه متقدم معنى وهذا اول ما نسخ من امر القبلة وقد
كلمة تاكيد وتحقيق والتقلب التردد والتصرف والتطلع للتشوف وتقلب الوجه ابلغ من تقلب العين
على ان الوجه يريد به العين كما لا يخفى والمعنى وقد شاهدنا وعلمنا كثرة تردد وجهك وادامه نظرك في
جهة السماء تطلعا للوحي وانتظارا للتحويل القبلة الى الكعبة وانما قلنا كثرة تردد وجهك كما قال البيضاوي
ربما نرى لان قد هنا للكثرة وان كان في الاصل للتقليل قال الشاعر قد اترك القرن مصفرا انامله
كان اثوابه مجت بفرصاد **فلنولينك قبلة ترضيها** واللام في اوله والنون في اخره للقسم اي فلنعطينك قبلة
ولنمكننك من استقبالها والتوجه اليها من قوله وليته كذا اذا صيرته واليا له اي جعلته واليا متمكنا
عليه او لنحولنك الى قبلة ونجعلك تلي سمتها وجهتها من وليه وهي الكعبة دون غيرها كبيت المقدس
وقبلة مفعول ثان لقوله فلنولينك **ترضاها** اي تحبها وتهواها وتميل اليها لمقاصد دينية ومصالحها
التي وافقت تلك المرادات والاغراض مشية الله وحكمته وقيد الرضا الدالة على ان التولية كانت
رعاية لرضاه صلى الله عليه وسلم فلا دلالة فيه على كراهية استقبالها الى صخرة بيت المقدس وهذا
كما تقول

وهنا كما تقول لصاحبك اعطيك شيا ترضاه وانا لم يظهر منه الكراهة في غيره لك ودلت الاية على عظم
قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله حيث جعل الكعبة قبلة له على موافقة محبته ورضاه وقد تقدم
انه كان يحبها لانها كانت قبلة ابراهيم الى اخر ما مر ولما نزل قوله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي
اليك من تشاء قالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله اما ان ربك ليسارع لك في رضاك **فول وجهك**
اي اصرف وجهك يعني استقبل في الصلوة بوجهك قال النيسابوري في معنى قوله فول وجهك اي
كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بجملته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر
لانه اشرف اعضايه وبه يتميز الاشخاص بعضهم عن بعض انتهى وقال النيسابوري ايضا وعن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها
فقد كرهتها فقال له جبريل انا عبد مثلك فسل ربك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء
مجي جبريل بما سال فنزلت وانما احب اليه صرف وجهه عن قبلة اليهود لما تقدم ان اليهود كانوا يطعنون
فيه ويقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل حتى نزل قوله لله المشرق
والمغرب فكره النبي قبلتهم لقولهم وطعنهم ولا يبعد انه يميل طبعه الى شي ثم يتهيا في قلبه اذن الله
فيه انتهى قلت والظاهر من هذا انه كان يصلي الى الصخرة باجتهاده من غير امر وقال النيسابوري
ايضا وقيل انه استاذن جبريل في ان يدعو الله فاخبره بان الله عز وجل قد اذن له في الدعاء وكان
يتقلب وجهه في السماء فينتظر مجي جبريل للاجابة وعن الحسن ان جبريل اخبره بان الله تعالى سيحول
القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للتحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكعبة فكان ينتظر الوحي بذلك وعلى هذا فقيل ان الله نهاه عن استقبال بيت المقدس ولم يعين
له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة ولذلك كان يقلب وجهه وعن الاصم وقيل
بل وعد بصرف وجه نبيه الى الكعبة وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل ان
كان يقلب طرفه الى السماء وهذا اولى والا لم تكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداة لكن المفسرين
اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلفوا في ان التوجه
الى صخرة بيت المقدس هل كان فرضا لا يجوز غيره او كان للنبي صلى الله عليه وسلم مخيرا في توجهه الى صخرة
بيت المقدس والى غيرها فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب ولما روي
ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة لكونها
اقدم القبلتين ولكونها قبلة ابراهيم وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس انه كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضاها فدل على انه
كان مخيرا بين صخرة بيت المقدس وبين الكعبة وفي التيسير وقال ابو منصور وعن الحسن البصري
انه كان حبب اليه الصلوة حتى كان لا يصبر عن الصلوة وكان قد نهي عن الصلوة الى صخرة بيت المقدس
ولم يومر بعد بالتوجه الى غيرها فكان يقلب وجهه الى السماء رجاء ان يومر بالتوجه الى غيرها انتهى ومعنى
قوله **شطر المسجد الحرام** اي نحوه وناحيته والشطر منصوب على الظرفية اي اجعل وجهك في
جهة المسجد الحرام والمسجد الحرام هو المسجد الكبير الذي فيه الكعبة وقيل هو الحرم كله وليس بشي والصحيح

عندنا انه اراد به عين الكعبة لما ثبت فى اكثر الاحاديث كذلك والمعنى فلنحولنك نحو الكعبة وقيل
الشطر فى الاصل اسم لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر قال البيضاوى والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع
عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه صلى الله عليه وسلم كان فى المدينة والبعيد يكفيه
مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روى انه عليه الصلوة والسلام قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر
بشهرين وقد صلى باصحابه فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين انتهى وقال النيسابورى من اصحابنا وشطر
المسجد الحرام اى نحوه وجهته قاله جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ومن بعضهم
ان الشطر نصف الشيء كما فى الحديث الطهور شطر الايمان وتعقد اخذاكم شطر دهرها لا تصلى والكعبة
واقعة من المسجد فى النصف اى فى الوسط من جميع الجهات والجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان
الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وزيف بالفرق بين النصف وبين المنتصف والمكلف ما دون
دون الاول عن ابن عمر بينما الناس بقباء فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم
قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا
الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت
المقدس ثم حولت القبلة قبل قتال بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن
ابن عباس انه قال البيت قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق
والمغرب وهذا قول مالك وقال آخرون القبلة هى عين الكعبة لما اخرج فى الصحيحين عن ابن جريج
عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعى
فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج منه ركع ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد
وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال
آخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند امامنا الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل
المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لظاهر قوله عز وجل وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ولقوله
صلى الله عليه وسلم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم عين الكعبة من النبى صلى الله عليه وسلم بلغ مبلغ
التواتر وتوقيف صحة الصلوة وهى من اعظم شعار الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد
شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة امر معلوم غير مشكوك فيه والاخذ
بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة وبعض القول الآخر للشافعى فمحاذاة جهة الكعبة كافية
لان فى استقبال عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان
الواجب مراعاة الجهة دون العين ولان الشطر هو الجانب واكتفى به فى الآية ولان اهل قباء استداروا
الى الكعبة فى اثناء الصلوة فى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة حيث انها تحتاج
الى النظر الدقيق لم يتأت لهم ثم لم ينكر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وسمى مسجدهم بذى القبلتين
ولان

ولان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا بالدلائل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها
من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا يتم الواجب الا به فهو
واجب فلزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد والانصاف ان القول الاول اقرب الى
التحقيق واصابة العين للبعيد غير بعيد فان من نقطتين فى الارض ولا فى السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما الخط
وهذا يعرف بالدائرة الهندية وغيرها من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وهو علم برأسه ولمعرفة القبلة
امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى امارضية وهى الجبال والقرى والانهار او هوائية وهى الرياح او سماوية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل
او شماله او قدامه او خلفه وكذلك الرياح قد تهب فى بعض النواحى من صوب معين واما السماوية ففى النهار
لا بد ان يراعى قبل الخروج من البلد الشمس عند الزوال هل هى بين الحاجبين ام على العين اليمنى ام اليسرى
ام تميل قليلا اكثر من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية قلما تتجاوز هذه المواضع وكذلك يراعى وقت العصر
ويعرف وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هى مائلة الى وجهه او قفاه وكذلك يعرف وقت
العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق الشمس ويحتاط مشرق الصيف والشتاء ومغربهما
وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرفه انه على قفا المستقبل او على منكبه الايمن او الايسر
فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلائل فى بلدته فليعتمد
عليها فى الطريق كله الا اذا طال السفر فحينئذ اذا انتهى الى بلد يسأل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب اى الجدى
وهو مستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى ساير طريقه ومعرفة دلائل القبلة فرض عين ام فرض
الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرايطها انتهى وقال صاحب غاية
الامانى ليس فى ذكر المسجد دلالة على ان الجهة كافية للبعيد كما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك والشافعى
فى احد قوليه اى غير الاظهر لانهم لا يريدون بالجهة المسجد الحرام بل تدل على عكسه لان مستقبل المسجد هو
مستقبل الكعبة كالخطوط المستقيمة من محيط الدائرة الى المركز فان كانت اوسع دائرة يتصور والتكليف
بحسب الامكان فان امكن اصابة العين يقينا كداخل المسجد فذاك والا فظنا ولا حرج فى ذلك فلا يرد
التوجه الى اطراف الدائرة ولا النصف المستطيل لانه اما ظان للاصابة او لا فعلى الاول مصيب وعلى الثانى
لم يات بما كلف به وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر بينما الناس يصلون صلوة الصبح فى مسجد قباء اذ جاء
رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عليه القرآن بالتوجه الى الكعبة وكانوا فى الركوع فداروا كما هم
قبل البيت وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى الصلوة فسهو واستدل به على قبول خبر الواحد انتهى
وقال الكواشى وترى تلقاء المسجد الحرام اى المحترم والمراد الكعبة وفى ذكره المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب استقبال الجهة دون العين خصوصا فى حق من بعد ونزل تحويل القبلة فى رجب بعد الزوال
قبل بدر بشهرين والنبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى بهم ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة
واستقبل الميزاب وجعل النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء فسمى ذلك المسجد ذا القبلتين او كان
خارج الصلوة بين الصلاتين ووصل الخبر الى اهل قباء وهم فى صلوة الصبح وكانت وجوههم نحو الشام فاستداروا
نحو الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره هذا خطاب لجميع الامة بعدما خص النبى به وفيه اشارة

تقديره اى وفى اى موضع كنتم من برٍّ وبحرٍ واردتم الصلوة فولّوا وجوهكم فيها نحوه واينما وجدتم حيثما
يجوز ان تكون شرطًا وغير شرط ولا تكون شرطا مع غيرها فان جعلتها هنا شرطا فجوابه فولوا وجوهكم
شطره قال النيسابوري ولا تكرار ههنا لان الاول خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهذا خطاب
للامة او لان الامة قد دخلت فى الاول تبعا للنبى صلى الله عليه وسلم ويحتمل ايضا ان يكون الخطاب مختصا به فى
الاول ولاهل المدينة بالتبعية وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض ولا بد من الاجتهاد فى
التيامن والتياسر فى غير محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان محرابه بالمدينة نازل منزل الكعبة لانه لا
على الخطا فهو صواب قطعا وكذلك البقاع التى صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ضبط المحراب كمحراب مسجد
قبا وانما قلنا ولا بد من التيامن والتياسر لان الخطا فى ذلك يقع كثيرا وقد شاهدنا فى نفس مسجد الحرام
من يصلى الى بين زمزم وابى قبيس وقعيقعان واما الخطا فى الجهة فبعيد ويقال ان عبد الله بن المبارك
كان يقول بعد رجوعه من الحج تياسروا يا اهل مرو انتهى واعلم انه لا بد من معرفة الزوال والقبلة لاهل
الصلوة ولا يكن ذلك الا بالادلة وقد بيّنه ذلك مرشد العارفين شيخنا وقدوتنا الى الله محى الدين عبد القادر
الجيلانى قدس سره فى غنيته ما نصه واعلم انك اذا اردت ان تعرف وقت الزوال فقس الظل بان تنصب
عمودا فى موضع من الارض مستو يا معتدلا ثم علّم على منتهى الظل بان تخط خطًّا ثم انظر اينقص الظل
ام يزيد فان رايته ينقص علمت ان الشمس لم تزل بعد وان رايته قائما اى واقفا لا يزيد ولا ينقص
فذلك قيامها وهو نصف النهار ولا تجوز الصلوة حينئذ فاذا اخذ الظل فى الزيادة فذلك زوال الشمس
فقس من حد الزيادة الى طول ذلك الشى الذى قست به طول الظل فاذا بلغ الى اخر طوله فهو اخر
وقت الظهر فاذا زاد شيئا يسيرا فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشى مرة اخرى فذلك
اخر وقت العصر ثم يبقى وقت الضرورة الى قبل غروب الشمس وكذلك تفعل بقيامك تعلّم على موضع ظلك
فان نقص علمت انه لم تزل الشمس وان وقف فهو حال القيام وان زاد فهو الزوال وطول كل ادمى سبع اقدام
بقدمه ومعرفة ذلك انك تقوم مستقبلا للشمس بوجهك ثم تامر انسانا يعلّم طرف ظلك بعلامة ثم تقيس
من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما اقل من سبعة اقدام سوى ما زالت الشمس عليه من الظل فتعلم انك
فى وقت الظهر وان وقت العصر لم يدخل بعد فاذا زاد الظل على سبعة علمت دخول وقت العصر
وهذا الذى ذكرنا من الاقدام ونصب العمود يختلف فى الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص فالزيادة
تكون فى الشتاء لان الشمس تكون فى مسامتة الشخص لانها تسير فى ذيل السماء ولا ترتفع الجو ونقصانه
يكون فى الصيف لان الشمس ترتفع الى الجو فتشرف على الاشخاص لانها اول ما تصعد تكون من جانب السماء
فيمتد ظلها المقابلة قرصها فكلما صعدت قصر الظل الى ان ينتهى فى الارتفاع فتكون فى كبد السماء وهى حالة
قيامها فاذا اخذت فى الانحدار وهو النزول نحو ما يلى غروبها فيأخذ الظل فى الطول فهو الزوال وكذلك يختلف
ذلك فى البلدان فما كان منها تحت وسط الفلك كمكة وما حوليها من البلدان نقص ظل الشمس فيه حتى لا يبقى
للشخص ظل اصلا وما كان بعيدا عن وسط الفلك كخراسان وما والاها من النواحى فان ظل الشمس يطول
صيفا وشتاء فيكون صيفها كشتاء غيرها فى طول الظل فقد يزول فى تلك البلاد على قدم واحد واعلم ان معرفة
الزوال على التحقيق امر دقيق وصعب وقد ورد فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه الصلوة والسلام

زالت

ازالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال من قولى لك لا نعم قطعت الشمس من الفلك خمسين الف فرسخ
فكان النبى صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله تعالى لكن انك اذا استقبلت القبلة فكانت
على حاجبك الايمن فى الصيف فقد زالت بلا شك فصل الظهر فاذا صار ظل كل شى مثله فهو وقت
العصر فان كان الشمس على حاجبك الايسر فى الصيف ايضا وانت مستقبل القبلة فاعلم انها لم تزل
بعد فاذا كانت بين عينيك فهو قيامها واستواؤها فى كبد السماء وقد يجوز انها قد زالت اذا كان
فى اول الشتاء وقصر النهار واما اذا كانت على حاجبك الايمن فيكون قد زالت فى جميع الازمنة لانه
اذا كان ذلك فى الصيف فهو اول وقت الظهر وان كان فى الشتاء فهو اخر وقت الظهر وان كانت
على حاجبك الايسر فى الشتاء فقد يجوز انها قد زالت لقصر النهار فى اول الشتاء ولا يجوز فى اول الصيف
لامتداد النهار وطوله واذا كانت بين عينيك فى الشتاء فقد زالت بلا شك فاذا صارت الى حاجبك
الايمن فهو اخر وقت الظهر وهذا لاهل اقليم العراق وخراسان الذين يصلون الى الركن الاسود وباب
البيت من جهة الكعبة واما اهل اليمن والغرب ومن يليهم فعلى ضد ذلك لانهم يصلون الى الركن اليمانى
وموضع الكعبة فلذلك اختلف التقدير فاذا عرفت الزوال واردت ان تعرف القبلة فاجعل ظلك على
يسارك فانك تكون حينئذ مستقبل القبلة فاعلم ذلك مختصرا بلا تعب انتهى ما ذكره الشيخ الامام عبد القادر
الجيلانى قدس سره الذى اتفق البر والفاجر على جلالته وصدقه وامانته وتواتر كراماته حشرنا الله تعالى مع الاحباب
فى زمرته امين وقد ذكر الامام الغزالى دايرة فى احيائه فى معرفة الزوال فراجعها لتلك تفهم مطلوبك منها
ولما قالت اليهود والنصارى فى تحويل القبلة هذا من بدعه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه
نزل قوله **وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ** اى وان اليهود والنصارى
ليعلمون ان التولى والتحويل الى القبلة التى دل عليه قوله فلنولينك قبلة وهى الكعبة للحق الثابت من ربهم
لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم ومبعثه وهجرته ومن انه يصلى الى القبلتين ببشارة انبيائهم لهم
او ليعلموا انما نوليه وما نفعله من تحويلك الى القبلة هو الحق الثابت لعلمهم انه نبى وانه لا ياتى الا بالحق عن
السدى اراد بقوله اوتوا الكتاب اليهود خاصة والكتاب التورية وضميرانه للرسول اى انه مع شرعه
ونبوته حق فيشمل تحويل القبلة وغيرها او لتحويل القبلة بالخصوص وهذا انسب بالمقام قال البيضاوى
معناه ليعلمون انه الحق من ربهم جملة اى اجمالا لعلمهم ان عادته عز وجل تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا
لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه انتهى قال استادى والمعنى لعلمهم
انه الحق من ربهم لما فى الكتب السالفة اى المبشر به يصلى الى القبلتين لا لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة
اذ لا دليل على ذلك كيف والقبلة منحصرة فى الكعبة وبيت المقدس فى الشرايع كلها انتهى **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ** قرا ابن عامر وحمزة والكسائى بتاء المخاطبة لانه وعد بالثواب لامتثال امر الله حيث تحولوا الى
الكعبة وقرا الباقون بياء الغيبة لانه وعيد لليهود بالعقاب لانكارهم امر القبلة عنوًّا وتمردا **وَلَئِنْ
أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ** اى والله لو جئت جميع اليهود والنصارى لعمومه قوله اوتوا
الكتاب او علماءهم ورؤساءهم الذين ذكرهم فى الاية المتقدمة فى قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومعنى قوله
بكل اية اى بكل معجزة وبرهان وحجة طلبوها منك حيث قالوا ائتنا باية على صدقك فى دعوى رسالتك

واثبات قولك ان الكعبة قبلة ما تبعوا قبلتك اى ما يتبعون قبلتك المصلوة اليها ولم يؤمنوا
برسالتك عنادًا وتمردًا ومكابرة قال الحسن الاية فى جميعهم فلا ينافى اتباع بعضهم قال
بعضهم الاية لقوم باعيانهم علم الله منهم انهم لا يؤمنون ولا يتبعون قبلة النبى صلى الله عليه وسلم وهم الذين
ختم الله على قلوبهم قالوا واللام موطئة للقسم دخلت على ان التى هى للشرط وما تبعوا قبلتك جواب
لقسم مقدر والقسم مع جوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما
خالفوك مكابرة وعنادًا وقد يكون جواب القسم بما كما فى هذه الاية اى ما تبعوا قبلتك وكما فى قوله
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وقد يكون بان المشددة كما فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
وقد يكون باللام المفتوحة كما فى قوله تعالى فوربك لنحشرنهم وقد يكون بان المخففة كما فى قوله تعالى تالله
ان كنا لفى ضلال مبين وقد يكون بلا كما فى قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال احمد بن يوسف الكواشى
واللام موطئة لقسم محذوف وهى متصلة بحرف الشرط او جواب القسم ما تبعوا قبلتك وقد سد مسد جواب
الشرط او جواب الشرط ما تبعوا فهو ماض بمعنى المستقبل اى ما يتبعوا قبلتك لان جواب الشرط انما هو بالمستقبل
وحذفت الفاء من الجواب لان فعل الشرط ماض والفراء يشبه ان هنا بلو فلذلك اجيب بما لان كل واحد
منهما لا يتم اوله الا باخره وفيه بعد لان ان للمستقبل ولو للماضى والمعنى ان الكفار كلهم لا يتبعون قبلتك
او هذا مخصوص بدليل اسلام من اسلم منهم انتهى وما انت بتابع قبلتهم حسم اى ولست انت يا محمد
بتابع قبلتهم اى لست بمستقبل بيت المقدس فى صلوتك بعد ما صرفتك عنه لانك على الحق وقبلتك
غير منسوخة ابدا وقرئ بتابع قبلتهم بالاضافة وفى الاية قطع لاطماعهم فى عود النبى الى قبلتهم فانهم
قالوا لو ثبت النبى واطماعا فى رجوعه الى قبلتهم لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى
ننتظره وفيه انه لا يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجههم وتباين دينهم فبين
ان استصلاحهم محال غير ممكن بحال للطبع الذى على قلوبهم وقبلة المخالفين وان تعددت بحسب توجه
بعضهم الى الصخرة كاليهود وبعضهم الى مطلع الشمس كالنصارى لكنها متحدة من جهة البطلان ومخالفة الحق
ولهذا وحدت القبلة فى الاية قال الشيخ ويحكى انه قابل قوله ما تبعوا قبلتك بقوله وما انت بتابع قبلتهم وهذا
من اقسام البلاغة تقول له ما زيد بتارك انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به وما بعضهم بتابع
قبلة بعض حسم قال البيضاوى وذلك فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى
توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه انتهى وفى الغاية وذلك ان اليهود تصلى
الى الغرب والنصارى الى الشرق وكل طايفة منهما تقول ان الحق دينها ولئن اتبعت اهواءهم من
بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين نا واعلم ان الله عز وجل وعد نبيه بالعصمة
عن اتباع قبلتهم واهوائهم فى المستقبل حيث قال وما انت بتابع قبلتهم فظهر ان الخطاب معه
والتهديد له فى الظاهر والمراد غيره او هو كلام على سبيل الفرض والتقدير لقرينة نفى اتباعه قبلتهم
ولان الله ثبته عن الميل الى اهوائهم كما قال ولو لا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
والمعنى ولئن اتبعت اهواءهم ومرادهم بان وافقتهم فى القبلة مداراة لهم وحرصا على ايمانهم واسلامهم
من بعد ما جاءك ووصلك من العلم اليقين الذى هو الوحى بامر القبلة وشرايع الاسلام انك اذا اى حين
اتباعك

اتباعك لقبلتهم فرضا لمن الظالمين اى الضارين بنفسك اتفق الامة على عصمة الانبياء من الصغائر
والكبائر قال الاستاد والخطاب للنبى فى الظاهر والمراد الامة فعلى هذا ففى ذكر الظلم لطف للنبى
وامته فان مزيد المحبة تقتضى التخصيص بمزيد التحذير وفى التيسير يجوز ان يكون الخطاب للنبى وان
كان معصوما لان العصمة لا ترفع النهى انتهى واهواءهم جمع هوى وهو الارادة والمحبة والميل الى مقتضى
النفس ولم يقل وان اتبعت هواهم بالافراد لاختلاف ارادة المخالفين وفى قوله ولئن اتبعت اهواءهم
الى قوله لمن الظالمين من المبالغة والتهديد ما لا يخفى لانه اتى باللام الموطئة للقسم وبالقسم المضمر
وبحرف التحقيق وهو انك وبتركيبه من جملة اسمية وبالاتيان باللام فى الخبر وبجعله من الظالمين لو تبعهم
فرضا وبتقييده الاتباع بالعلم واراد بقوله الذين اتيناهم الكتاب علماء اليهود واحبارهم وايتاء
الكتاب عبارة عن دراسته وفهم معانيه يعرفونه اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم كما يعرفون
ابناءهم من بين الصبيان قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل
على نبيه الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام
يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال
عمر وكيف ذلك قال يا عمر اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا ادرى
ما تصنع النساء فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام وقبل راسه وفى رواية البخارى قال ابن سلام لقد
عرفته حين رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد وقيل الضمير فى يعرفونه
للقران او لتحويل القبلة وقيل للطواف يعنى نزل حين قالت اليهود لاصحاب النبى عليه السلام لم تطوفون
بالبيت المبنى من الحجارة على الحجارة فقال النبى صلى الله عليه وسلم الطواف بالبيت حق وانكم تعلمون ذلك بالتورية
تجدونه فقال الله الذين اتيناهم الكتاب اى اعطيناهم التورية يعرفونه اى ان الطواف حق والبيت
قبلة كما يعرفون ابناءهم يعنى لا يشتبه عليهم وهذا القول لبعض الناس والحق الظاهر ان الضمير للنبى
صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وان فريقا منهم اى طائفة من الذين
لم يسلموا ليكتمون اى ليسترون الحق يعنى صفة النبى وامر القبلة وهم اى ذلك الفريق يعلمون
بانهم كاتمين للحق عنادا وحسدا لان الله بين الحق اى صفة نبيه فى كتابهم الحق مبتدا خبره من ربك
اى الحق من الله لا من غيره فهو كلام مستانف يعنى ان الحق هو الذى ثبت انه من الله كالذى انت عليه يا محمد
وامتك وما لم يثبت انه من الله كالذى عليه اهل الكتاب فهو الباطل ويجوز ان يكون الحق خبرا لمبتدا
محذوف اى هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر فلا تكونن من الممترين اى الشاكين فيما اخبرتك
فى انه من ربك الخطاب للنبى والمراد به الامة او فى كتمان اليهود الحق حال كونهم عالمين بالحق ولكل اى ولكل من
المسلمين فى بلادهم المختلفة فى مشارق الارض ومغاربها وجهة اى قبلة على الاول او جهة وجانب
من الكعبة على الثانى والوجهة اسم للشئ المتوجه اليه فى الطاعة والدعاء كالكعبة لنا والمشرق
والمغرب للنصارى واليهود هو الضمير راجع للكل او للاهل اى اهل كل قبلة موليها بكسر اللام
اى مستقبلها بكسر الباء ومقبل اليها والهاء فى موليها للوجهة اى هو موليها وجهه اى اهل كل قبلة
مول بوجهه الى ذلك الوجهة والحق ان هو كناية عن الله وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه قال الاخفش

هو كناية عن الله يعني الله مولي الامم الى قبلتهم وقرأ ابن عامر هو مولاها اي المستقبل مصروف
اليها يعني هو مولي تلك الجهة وقرئ بفتح اللام المشددة مع الالف اي كل واحد منهم موليها اي يولى
تلك الجهة قد ولاها الله موليه اليها لا غير وقرئ بغير تنوين بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله
موليها اهلها واللام حينئذ مزيدة للتاكيد فاستبقوا يا امة محمد الخيرات اي بادروا الى الطاعات
وفوزها بالاعمال الصالحة من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين اينما تكونوا يأت بكم
الله جميعا اي اي موضع تكونوا انتم يا مسلمون واهل الكتاب مفترق في الاجزاء ويجمعها ويحشركم
الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا في اعماق الارض وقلل الجبال بقبض ارواحكم او اينما تكونوا في الجهات
المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
يقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت اي من اي مكان خرجت للسفر فول وجهك اذا
صليت شطر المسجد الحرام اي جانبه وناحيته وانه اي التوجه الى القبلة للصلاة للحق
الثابت من ربك من الله لا من تلقاء نفس محمد وما الله بغافل عما تعملون بالتاء
ايها المؤمنون من امتثال امر الله فيجازيكم على صنيعكم وبالياء ايها اليهود من انكار امر القبلة فيجازيهم
بالنار تقدم مثله لبيان تساوي حكم السفر وغيره ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام الخطاب للنبي عليه السلام وحيث ما كنتم الخطاب للامة اي وصليتم فولوا
وجوهكم اي بالصلوة شطره اي جانبه كرر حكم التوجه الى الكعبة مرارا لتاكيد النسخ وليعلم ان التحويل
الى الكعبة عزيمة لازمة لا يجوز تركها ولان النسخ من مظان الفتنة والشبهة فالحري ان يؤكد
امر القبلة ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا علة لقوله فولوا وجوهكم اي لكيلا يكون
للناس اي لليهود والمشركين عليكم على المسلمين حجة مجادلة اذا توليتم ونوجهتم الى غير
الكعبة اي لتنتفي مجادلة اليهود والمشركين لكم اما مجادلة اليهود فهو لو صليتم الى الصخرة لقالوا
يجحد ديننا ويتبع قبلتنا واما مجادلة المشركين فهو لو صليتم ايضا الى الصخرة لقالوا يدعي ملة
ابراهيم ويخالف قبلته حاصله ان مجادلة الناس من الظالمين من الفريقين المتصفين بانواع
الظلم والطغيان لا بوصف العناد قد نفيت الا الذين ظلموا اي الا مجادلة الذين ظلموا بالعناد منهم
اي من الناس فان مجادلتهم باقية لعنادهم يعني ما بقي لاحد من الناس عليكم حجة ومجادلة
الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا للبلد وانه يعمل
برأيه فالاستثناء متصل واختلف المفسرون في تأويل قوله الا الذين ظلموا منهم فقال بعضهم
معناه حولت القبلة الى الكعبة لئلا يكون للناس عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولون
ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم القريش واليهود اما القريش تقول رجع الى الكعبة لانه علم
انها الحق وانها قبلة ابائه فكذلك يرجع الى ديننا واما اليهود تقول لم ينصرف عن بيت المقدس
مع علمه انه حق الا انه يعمل برأيه وقال قوم لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود وكان حجتهم على
طريق المخاصمة للمؤمنين في صلاتهم الى بيت المقدس لانهم كانوا يقولون ما دري محمد واصحابه اين
قبلتهم حتى هديناهم نحن وقوله تعالى الا الذين ظلموا هم مشركوا مكة وحجتهم انهم قالوا لما صرفت القبلة

الى الكعبة

الى الكعبة ان محمدا قد تحير في دينه وسيعود الى ملتنا كما عاد الى قبلتنا وهذا معنى قول مجاهد وعطاء
وعلى هذين التاويلين يكون الاستثناء صحيحا وقيل قوله تعالى الا الذين ظلموا اي لا حجة لاحد عليكم
الا مشركي قريش فانهم يحاجونكم ويخاصمونكم بالباطل والظلم والاحتجاج بالباطل يسمى حجة كما قال الله
تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وموضع الذين خفض كانه قال ولا للذين ظلموا قاله الكسائي وقال
الفراء نصب بالاستثناء وقوله منهم يعني من الناس وقيل هذا استثناء منقطع عن الكلام الاول
معناه ولكن الذين ظلموا يجادلونكم بالباطل كما قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن يعني لكن
يتبعون الظن فهو كقول الرجل ما لك عندي حق الا ان تظلم قال ابو روق لئلا يكون للناس
يعني اليهود عليكم حجة وذلك انهم عرفوا ان الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التورية ان محمدا سيحول
اليها فحوله الله اليها لئلا يكون لهم حجة فيقولون ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول اليها ولم
تحول انت فلما تحول اليها ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا يعني الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق
وقال ابو عبيدة قوله الا الذين ظلموا ليس باستثناء ولكن الا في موضع واو العطف يعني والذين
ظلموا ايضا لا يكون لهم كما قال الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان معناه والفرقدان
ايضا يتفرقان فمعنى الاية توجهوا الى الكعبة لئلا يكون للناس يعني اليهود عليكم حجة فيقولون لم تركتم
الكعبة وهي قبلة ابراهيم وانتم على دينه ولا الذين ظلموا وهم مشركو مكة فيقولون لم ترك محمد عليه
السلام قبلة جده وتحول عنها الى قبلة اليهود وقرئ ألا بحرف التنبيه الذين ظلموا على انه استئناف
وعلى كل حال لا يكون لاحد عليكم كلام الا كلام هؤلاء المعاندين فلا تخشوهم اي لا تخافوا جدالهم
في التولي اليها فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به وامتثلوا امري ولأتم
نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ولكي اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى
قبلة ابراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه تمام النعمة الموت على
الاسلام قال سعيد بن جبير لا تتم نعمته على المسلم الا ان يدخله الجنة ولعلكم تهتدون اي ولكي
تصلوا من الضلالة الى الحق ولعل وعسى من الله واجب كما ارسلنا متعلق بقوله لاتم نعمتي اي لاتم نعمتي
عليكم في الاخرة كما اتممتها عليكم بارسالي او متعلق بما سيأتي من قوله تعالى فاذكروني اي كما ذكرتكم بارسال
محمد عليه السلام فاذكروني فيكم رسولا منكم من العرب وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا من الملئكة
ليمكن الانس به والنظر اليه في الدنيا يتلو عليكم اياتنا اي القران ويزكيكم يطهركم من
الشرك ويحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب القران والحكمة اي السنة وما
في القران من الاحكام والمواعظ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من الاحكام وشرايع الاسلام
بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفة ذلك الا بالوحي فاذكروني بطاعتي او بالصلوة والتسبيح ونحو ذلك
اذكركم بعوني والثواب والجزاء وفي الحديث عن الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن
ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه او اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء
بيانه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الحديث عن الله يقول
الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان

ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه وان تقرّب الي شبرًا تقربت اليه ذراعًا وان تقرب الي
ذراعًا تقربت اليه باعًا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن الحسن عن انس رضي الله عنهما قال
اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد اناملي هذه العشرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملأٍ
ذكرتك في ملأ خير منه وان دنوت مني شبرًا دنوت منك ذراعًا وان دنوت مني ذراعًا دنوت منك
باعًا وان مشيت الي هرولت اليك وان هرولت الي سعيت اليك وان سألتني اعطيتك وان
لم تسألني غضبت عليك قال الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وعن عبد الله
ابن بسر المازني قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل
قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وفيه معاني فاذكروني اذكركم اذكروني بالصدق
اذكركم بالمغفرة او بالثناء والعطاء او بالسؤال والنوال او بالتوبة وعفو الحوبة او بالاخلاص والخلاص
او بالمناجاة والنجاة وغير ذلك وقد ذكر شيخنا غوث الله الاعظم الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في
غنيته معاني كثيرة عديدة في هذا الباب ومع هذا فقد ظهر من يمنع الناس من الذكر جهارًا وظهر
له ظهير والله المستعان وعليه البلاغ والتكلان واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون
بجحد النعم وعصيان الامر فان من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره يا ايها الذين
آمنوا اي الذين صدقوا بتوحيد الله استعينوا على الخيرات بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس
وعلى الطاعة والبلاء والصلاة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومنهاج العابدين ومناجاة
رب العالمين خصها بالذكر لتكررها وعظم شأنها وروي انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع
الى الصلاة وانما خص الصبر والصلاة بالذكر لان الصبر اشد الاعمال الباطنة على البدن والصلاة اشد
الاعمال الظاهرة على البدن ان الله مع الصابرين بالعون والنصر واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات كسائر الاموات بل لهم عند الله مقدار فانتهوا
عن هذا القول بل هم احياء ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
لحديث بذلك وثوابهم يجري عليهم الى يوم القيمة ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم اي
ليست حياتهم بالجسد حتى تعقل وانما هي امر لا تدرك بالعقل بل بالوحي كما قال في شهداء احد ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وعن الحسن ان الشهداء احياء
عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون
غدوًا وعشيًا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة
من المهاجرين وثمانية من الانصار كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب
عنه نعيم الدنيا ولذتها فنهى الله عن ذلك وادبهم بالقران وفي هذه الاية دلالة على ان الارواح
جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من
الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم اي لنختبرنكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم ليتميز بينكم العاصي

والمطيع

والمطيع لا لنعلم ما لا نعلم به قبله والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ومن الله لاظهار ما قد علم يعني لاظهار
المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به سبحان من لا يخفى عليه خافية بشيء من الخوف والجوع
حكي عن امامنا الشافعي رحمه الله تعالى انه قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام رمضان ونقص
من الاموال اداء الزكوات والصدقات والانفس الامراض والثمرات موت الاولاد لان ولد الرجل
ثمرة قلبه وعن النبي عليه الصلاة والسلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد
عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وانما قال بشيء اي بقليل من ذلك
ليريهم ان رحمته لا تفارقهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما الخوف خوف العدو والجوع القحط
ونقص من الاموال بالخسران والهلاك والانفس بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب والثمرات
يعني الجوائح في الثمار يعني ولنختبرنكم فننظر اتصبرون ام لا وبشر الصابرين على البلايا والرزايا بالجنة
هم الذين اذا اصابتهم مصيبة بلاء قالوا انا لله عبيدا وملكا يفعل بنا ما يشاء وانا
اليه راجعون في الاخرة فيجازينا وفي الحديث من استرجع عند المصيبة آجره الله تعالى فيها
واخلف عليه خيرا وفي الحديث ان مصباح النبي صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقالت عايشة رضي
الله عنها انما هذا مصباح فقال عليه السلام كلما ساء المؤمن فهو مصيبة رواه ابو داود في مراسيله
قال صلى الله عليه وسلم ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرني
في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا آجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها قالت ام سلمة رضي
الله عنها لما توفي ابو سلمة عز علي فقلت اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها قالت فاخلف الله
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير ما اعطي احد في المصيبة ما اعطي هذه الامة يعني
الاسترجاع ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله في فقد يوسف يا اسفى على يوسف
اولئك اهل هذه الصفة عليهم صلوات مغفرة من ربهم ورحمة اي نعمة ولطف واحسان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا
يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة
اما الصفا فهو في ذيل ابي قبيس والمروة في سفح جبل قعيقعان وهما علمان للمكانين بطرفي المسعى وبينهما
السوق وقال بعضهم هما الجبلان المعروفان بمكة في طرفي المسعى ولذلك دخل فيهما الالف واللام من
شعائر الله اي من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام دينه نزلت الاية حين تحرج
المسلمون من الطواف بينهما عند مجيء الاسلام وكسر الاصنام لانه كان رجل اسمه اساف وامرأة اسمها نائلة زنيا
فمسخا فوضعا في ذلك المكان فطال الزمان فعبدوهما في الجاهلية واذا سعوا مسحوهما فكره اهل الاسلام
ان يسعوا بينهما لانه فعل الجاهلية فاذن الله في الطواف بينهما فمن حج البيت او اعتمر اي تلبس
بالحج او العمرة الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين
فلا جناح اثم عليه ان يطوف اي يتحول ويدور بهما ان يسعى بينهما سعيا والاجماع على ان السعي
بينهما مشروع وانما الخلاف في فرضيته فعن احمد رحمه الله انه سنة وبه قال ابن عباس وانس لقوله تعالى

فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الفرض
فلا يرفعه وعن الشافعي ومالك انه ركن لا يسقط بالدم لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب عليكم
السعي رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم ابدؤا بما بدأ الله تعالى به يعني الصفا رواه مسلم
وعن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراة احدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت
مع نسوة من قريش دار آل ابي حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة
فرايته يسعى وان ميزره ليدور من شدة السعي حتى لا اقول اني لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا
فان الله كتب عليكم السعي وعن ابي حنيفة انه واجب وعلى من تركه دم وقال الثوري كابي حنيفة
اذا تركه يجبر بالدم وقال مجاهد حج موسى عليه السلام على جمل احمر وعليه عباءتان قطوانيتان
فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط الى المسعى وهو يلبي يقول لبيك اللهم لبيك فقال الله لبيك
عبدي وانا معك فخر موسى ساجدا **ومن تطوع خيرا** اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد في
الطواف بعد اداء الفرض او تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحجة الواجبة عليه او فعل ما لم يفرض عليه
من صلاة وزكاة وطواف وغيرها من انواع الطاعات او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وقرأ حمزة والكسائي
يطوع بالياء وتشديد الطاء وجزم العين يعني يتطوع وقرأ الاخرون بالتاء وفتح العين على الماضي
فان الله شاكر مجاز لعمله بالاثابة عليه **عليم** بنيته لا يخفى عليه شيء **ان الذين يكتمون**
نزلت في رؤساء اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام واية الرجم وغيرهما ككعب بن صيف وابن صوريا
وكعب بن الاشرف اي الذين يسترون على الناس خوفا لذهاب رياستهم وطمعا في جمع المال **ما انزلنا**
من البينات اي القرآن وما فيه من الاحكام **والهدى** اي الهداية الى الاسلام بنعت محمد واصحابه بالايمان
به **من بعد ما بيناه** اوضحناه وخصصنا **للناس في الكتاب** اي في التوراة **اولئك** اهل
هذه الصفة والعمل **يلعنهم الله** اي يبعدهم من رحمته **ويلعنهم اللاعنون** من الثقلين والملئكة
يعني يقولون اللهم العنهم قيل ما تلاعن الرجلان الا ارتفعت اللعنة بينهما فان استحقها احدهما
نزل عليه والا رجعت على الذين كتموا صفة محمد عليه السلام ونعته **الا الذين تابوا** اي الا الذين
رجعوا عن كتم البينات او الذين رجعوا عن الكفر والضلال **واصلحوا** عملهم بينهم وبين الله
وبينوا اظهروا ما كتموا باعترافه واقراره ليقبل توبتهم **فاولئك اتوب عليهم** اي اتجاوز
عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** المتجاوز البليغ عمن تاب عن ذنبه **الرحيم** بقبول توبته ومغفرته
وافاضة الرحمة عليه **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار** اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات على
ذلك **اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين** يعني عليهم لعنة الله ولعنة الملئكة
ولعنة الناس اجمعين اي استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء
وهذا لعنهم امواتا قال ابو العالية هذا يوم القيمة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه الملئكة ثم تلعنه
الناس فان قيل فقد قال والناس اجمعين والملعون من جملة الناس فكيف يلعن نفسه قيل يلعن نفسه
في القيمة قال الله ويلعن بعضهم بعضا وقيل انهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن لعن الظالمين
والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه **خالدين فيها** اي في اللعنة او في النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها

وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن على النار **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اي لا يمهلون
ولا يؤجلون اي لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة وعفو كقوله تعالى ولا يؤذن لهم
فيعتذرون **والهكم اله واحد** سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا محمد صف وانسب لنا
ربك فانزل الله تعالى هذه الاية وسورة الاخلاص اي المستحق للعبادة منكم واحد لا شريك له فرد لا نظير
له في ذاته ولا شريك له في صفاته يعني خالقكم خالق واحد قال صلى الله عليه وسلم ان في هاتين الايتين اسم
الله الاعظم والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لي شيخي وامامي
عبد القادر في مبشرة اسم الله الاعظم هو يا حي يا قيوم لا اله الا انت وحصل لي اليقين لانه هو الذي
ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ورايت نتيجته بحمد الله **لا اله** اي لا خالق للاشياء كلها **الا هو** اي دون
غيره تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة **الرحمن**
الرحيم اي المولي لجميع النعم فما سواه اما نعمة واما منعم عليه ومعنى الرحيم اي المتجاوز عن السيئات
لمن تاب وهما خبران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمع المشركون هذه الاية الدالة على الحق
تعجبوا وقالوا ائت باية نعرف بها صدقك فنزلت **ان في خلق السموات والارض** اي ما فيهما من
العجايب فالاية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد وعلاقة وما يرى فيها من الزينة بالشمس
والقمر والنجوم والاية في الارض بسطها ومدها وسعتها واقرارها بالاوتاد وهي الجبال وزينتها بتفجير
الانهار واحداث الاشجار والاثمار والبحار وغير ذلك مما يبهر العقول في ذلك وذكر السموات بلفظ الجمع
والارض بلفظ الوحدان لان كل سماء من جنس اخر لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة
بخلاف الارضين فانها كلها من جنس واحد وهو التراب **واختلاف الليل والنهار** في الطول والقصر
والنور والظلمة والذهاب والمجيء كقوله جعل الليل والنهار خلفة اي يتعاقبان دائما وقدم الليل على النهار
في الذكر لانه اقدم كما سياتي في سورة يس ان شاء الله في قوله واية لهم الليل نسلخ منه النهار **والفلك**
اي السفن والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء **التي**
تجري في البحر بقدرته وارادته **بما ينفع الناس** اي بالذي ينفعهم يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات
والمكاسب وانواع المطالب **وما انزل الله من السماء من ماء** والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة
العلو ومن الاولى للابتداء والثانية للبيان وقيل اراد به السماء المعروفة يخلق الماء في السماء ثم ينزله من
السماء الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض **فاحيا به** بالماء او النبات **الارض بعد موتها**
اي يبسها وجدوبتها **وبث** فرق ونشر **فيها** اي في الارض **من كل دابة** اي يدب على
وجه الارض من الحيوان وهو معطوف على انزل لانه استدل بنزول المطر وتكوين النبات بوثب
الحيوانات في الارض على توحيده كما سيشير بقوله لايات الخ او معطوف على احيا لان بث الدواب
يكون بعد حياة الارض بالماء لان عيشهم يكون بالنبات الحاصل بالمطر **وتصريف الرياح** اي تقليبها
في مهابها ولواقحها جنوبا وشمالا حارة وباردة قرا حمزة والكسائي الريح بغير الالف وقرا الاخرون بالالف
قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضي
ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او لسقم صحيح والبشارة في ثلث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب

واما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية اربعة للرحمة واربعة للعذاب فالتي
للرحمة المبشرات والناشرات والذاريات والمرسلات والتي للعذاب فالعقيم والصرصر في البر
والعاصف والقاصف في البحر والسحاب اي الغيم المسخر المذلل للرياح بامر الله بين السماء و
الارض بلا علاقة يعني تقلبه في الجو بمشية الله ويمطر حيث يشاء ولا يقع على الارض ولا ينقشع مع
ان الطبع يقتضي ذلك حتى ياتي امر الله فاذن وهب بن منبه ثلثة لا يدرى من اين تجي الرعد والبرق
والسحاب لايات لقوم يعقلون يعلمون ان لهذه الاشياء خالقا وصانعا ويتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون عقولهم وعن النبي عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها اي سقطها
عن نظره ولم يعتبر بها وفي الاية والحديث تنبيه على شرف علم الكلام واهله والحث على البحث والنظر
فيه هذا في الصدر الاول اما الان فاشتغال المرء بنفسه والاعتزال عن ما سوى الله احرى واولى
لكثرة الاراء ومن الناس اي من المشركين من يتخذ للعبادة من دون الله اي من غير الله
اندادا اصناما يحبونهم بالتعظيم والخضوع كحب الله اي كحب المؤمنين ربهم من حيث
التعظيم وقيل يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم اشركوها مع الله فسووا بين الله وبين اوثانهم
في المحبة والذين امنوا اشد حبا لله من حب الكفار اصنامهم لان المؤمن لا يختار على الله ما سواه
والمشركون اذا اتخذوا صنما ثم رأوا احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني ولم اكلوا اصنامهم
ايام القحط ولو يرى اي لو يعلم او يبصر الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الاصنام والانداد
اذ حين يرون العذاب اي شدة عذاب الله باعينهم يوم القيمة لعرفوا مضرة الكفر وان ما
اتخذوا من الاصنام لا ينفعهم والكلام تام عند قوله اذ يرون العذاب مع اضمار الجواب ولرأوا و
ايقنوا ان القوة لله جميعا اي ان القدرة والغلبة لله وحده وان الله اي
بان الله شديد العذاب اي شديد عذابه يعني لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وان القدرة
لله وحده وقت معاينتهم العذاب يوم القيمة لما اتخذوا من دون الله اندادا هذا على قراءة الياء اي
يرى واما على قراءة التاء بالخطاب يكون معناه ولو ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب
لرايت امرا عظيما وقيل معناه قل يا محمد ايها الظالم لو ترى الذين ظلموا في شدة العذاب لرايت امرا
فظيعا وايضا معناه لو يعلم الكفار ان القدرة كلها لله على كل شي من الثواب والعقاب لا لانداد هم لينتفعوا
لهم اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لتركوا عبادتها وندموا عليها اشد ندامة اذ تبرأ بدل من اذ
يرون العذاب والتبرؤ التخلص والتبعد والتفرق مما يستكره او ظرف لشديد اي الله شديد العذاب
حين تبرأ الذين اتبعوا على بناء المفعول القادة والرؤساء اي المتبوعون يتبرؤن من الذين
اتبعوا على بناء الفاعل اي من الاتباع اي يتبعد المتبوعون من اتباعهم واذا قرأت بالعكس يكون
معناه يتبعد التابع من متبوعه ورأوا العذاب الواو للحال اي قد تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب
وتقطعت بهم اي انقرضت وانقطعت عنهم الاسباب عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي
كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاغراض الداعية الى ذلك وقال الذين
اتبعوا اي الاتباع لرؤسائهم ومتبوعيهم يوم القيمة على وجه التمني حين لم ينفعهم متبوعوهم

لو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا وذلك حين تبرأ منهم الرؤساء ولم ينفعوهم شيئا فنتبرأ منهم
اي من المتبوعين والرؤساء والقادة كما تبرءوا منا اليوم كذلك اي كما اراهم الله شدة
عذابه وتبرأ بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم التي حسبوها نافعة لهم حسرات ندامات
عليهم اي يريهم ما ارتكبوا من السيئات فيتحسرون لم عملوها او يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون
على تضييعها او لانهم اشركوا بالله الاوثان رجاء ان تقربهم الى الله تعالى فلما عذبوا على ما كانوا يرجون
تحسروا وندموا او تفتح لهم الجنة فينظرون اليها والى بيوتهم فيها لو اطاعوا الله فيقال لهم تلك مساكنكم
لو اطعتم الله ثم تقسم تلك البيوت بين المؤمنين فذلك حين يندمون ويتحسرون وما هم اي الاتباع
والمتبوع بخارجين من النار لانهم خلقوا لاجلها ونزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني
مدلج فيما حرموا على انفسهم من رفيع الاطعمة والملابس او من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة
والحام يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي من بعضه اذ لا يؤكل كل ما فيها حلالا الحلال ما احله
الشرع طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة ومعنى ما احله الشرع اي لا يعاقب باستعماله وقيل ما يستطاب
ويستلذ والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب الطاهر ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي اثاره وطرقه وزلاته يعني لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله
اولياؤهم الطاغوت ثم بين عداوته فقال انما يأمركم بالسوء والفحشاء والسوء والفحشاء ما انكره العقل
واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فان ما انكره الشرع سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء
باستقباح الشرع اياه او السوء الذنب الذي لا حد فيه والفحشاء الذي فيه الحد كاللواط او السوء يعم القبائح
والفحشاء ما جاوز الحد في القبح من الكبائر وان تقولوا على الله بان تتكلموا
عليه ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام او كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات
وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى دليل شرعي
فوجوبه قطعي واذا قيل لهم اي للمشركين من الناس او لليهود اتبعوا ما انزل الله من التوحيد
وتحليل الطيبات وتحريم ما حرم الله في القران قالوا لا نتبع ما انزل الله بل نتبع ما الفينا اي وجدنا
عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتحريم السوائب والبحائر او التوراة على قول قال الله ا تتبعون
الاباء اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من امر الدين القيم ولا يهتدون للصواب والحق والجزم لذا
ومثل الذين كفروا يعني مثلك يا محمد في وعظك الكفار ودعائهم الى توحيد الله كمثل الراعي الذي
ينعق يصوت بالغنم بما لا يسمع بالذي لا يدركه البهائم الا دعاء اي الا صوتا من الراعي الناعق
عليها ونداء اي زجرا مجردا من غير فهم شي اخر يعني كما ان البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهمه
ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك انما يسمع صوتك او مثل الذين كفروا في قلة فهمهم و
غفلتهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الامر والنهي الا الصوت يعني
يعني ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق عليها معناه
ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما تقرر معهم فهم

فى ذلك كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف معناه وتحسّ بالنداء ولا تفهم معناه
او مثلهم فى اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته
او مثلهم فى دعائهم الاصنام وعبادتهم اياها بالناعق فى نعقه وهو التصويت على البهائم
اعلم هم صُمٌّ عن سماع الحق بُكْمٌ خرس لا يتكلمون بالحق عُمْيٌ لا يبصرون الهدى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
اى لا يفهمون شيئا من مواعظ القرآن كالبهائم للاخلال بالنظر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
اى حلالات مَا رَزَقْنَاكُمْ ثم امر المؤمنين بالقيام بحقوقها فقال وَاشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم واحل
لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ اى ان كنتم تخصونه بالعبادة وتعرفون انه مولى النعم كلها فان
عبادته لا تتم الا بالشكر وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ
عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لم تكن هذه الاشياء
محرمة فالمحرم ما هو فنزل إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ اى اكلها اذ الكلام فى الاكل وكذا ما بعدها
وهى ما لم تذك شرعا والحق بالحديث ما أبين من حى سوى الجراد والسمك لقوله عليه السلام
احلت لنا ميتتان ودمان فالميتتان الحوت والجراد والدمان الكبد والطحال وَالدَّمَ يعنى الدم الجارى
ليخرج عنه الكبد والطحال وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ اى جميع اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من
الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وَمَا أُهِلَّ اى رفع الصوت بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ اى ما ذبح للاصنام
والطواغيت او ما ذكر عليه اسم غير الله عند ذبحه للصنم وكان المشركون اذا ذبحوا رفعوا الصوت بذكر
الهتهم ثم رخص لعباده فى اكل الميتة عند الضرورة بقوله تعالى فَمَنِ اضْطُرَّ اى الجئ واحوج الى اكل الميتة
او الى اكل كل شئ حرمه الله غَيْرَ بَاغٍ باستيثاره نفسه على مضطر آخر بان يأكل شيئا ويعطى شيئا او غير خارج
على السلطان وَلَا عَادٍ على سد الرمق والجوعة او غير متعد عاص بسفره بان خرج لقطع طريق او لفساد
فى الارض قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير لا يجوز للعاصى بسفره ان يأكل الميتة اذا اضطر اليها
ولا ان يترخص برخص المسافر حتى يتوب وبه قال الامام الشافعى واحمد رحمهما الله لان فى اباحته له اعانة
على فساده وقال الحسن وقتادة يأكله من غير اضطرار ولا عاد اى لا يعدو شبعه وقال مسروق
من اضطر الى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار وقال ابو حنيفة رحمه الله
يجوز للعاصى بسفره اكل الميتة والترخص برخص المسافرين ومقدار اكله عنده سد الرمق واحد قولى
الشافعى كذلك والقول الآخر حتى يشبع وبه قال مالك رحمه الله وقال سهل بن عبد الله غير باغ
مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع مخالف للسنة ولم يرخص لمبتدع تناول المحرم عند الضرورة وغير
باغ نصب على الحال يعنى فى حال كونه غير ظالم على مضطر آخر يعنى لا يستاثر نفسه باكله ويمنع
غيره منه بل يتناول شيئا ويعطى الباقى لمضطر آخر كما مر آنفا ولا عاد اى غير متجاوز حد الشبع عند
الاكل بالضرورة فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فى تناوله إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لآكله المحرم رَحِيمٌ بالرخصة فيه إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ نزل فى علماء اليهود الذين غيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم بالتاويل فى كتابهم خوفا على زوال رياستهم
وفوت ماكلهم ووظائفهم من اتباعهم اى ان الذين يسترون مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ اى التوراة
وَيَشْتَرُونَ اى يختارون بِهِ اى بالمنزل المكتوم ثَمَنًا قَلِيلًا اى عوضا يسيرا حقيرا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ

فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ يعنى الا ما يؤديهم الى النار وهو الرشوة والحرام والثمن الذى اخذوا
من سفلتهم فلما كان ذلك يفضى بهم الى النار فكانهم اكلوا النار وقيل معناه يصير فى بطونهم
نارا وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ لغضبه عليهم وَلَا يُزَكِّيهِمْ اى ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولا يثنى عليهم
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اى وجيع دائم بسبب كتمانهم الحق ثم قال فى شان هؤلاء العلماء من اليهود
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا اى اختاروا الضَّلَالَةَ الكفر بِالْهُدَى اى على الايمان وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ اى
اختاروا النار على الجنة ونعيمها فى الآخرة بكتمان الحق والاغراض الدنيوية فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ اى
اى شئ صبرهم على النار يعنى اجراهم على عمل اهل النار والقاهم فيها فهذا تعجيب من حالهم ومواظبتهم
على ما يوجب لهم النار من غير مبالاة بها وفى الحديث من كتم علما عن اهله الجم لجاما من نار عن ابن
مسعود ورأيت مكتوبا فى بعض التفاسير بالفيل كما ترى وقيل من كتم علما اعطاه الجم يوم القيمة بلجام
من النار فما تامة مرفوعة بالابتداء وما بعدها خبرها يعنى ما اشد صبرهم من ارتكاب موجبات النار
من غير مبالاة والموجب لذلك كتمان صفات النبى ونعوته فى التوراة ذَلِكَ اى ذلك اكلهم النار فى
التعذيب بذلك وما بعده بِأَنَّ اللَّهَ اى بسبب ان الله سبحانه نَزَّلَ الْكِتَابَ اى القرآن بِالْحَقِّ اى
بالصدق ولا شك فيه فاختلفوا فيه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض اذ قال بعضهم شعر وبعضهم سحر
وبعضهم كهانة وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ اى ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او فى
كون القرآن شعرا او سحرا او كهانة كما زعموا لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ اى لفى خلاف بعيد عن الحق لا يرجع الى الهدى
لَيْسَ الْبِرَّ البر كل فعل مرضى وكل عمل خير يفضى بصاحبه الى الجنة أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ فى الصلاة
قِبَلَ الْمَشْرِقِ فى حق النصارى وَالْمَغْرِبِ فى حق اليهود نحو بيت المقدس يعنى دعواكم فاسد وليس البر ما عليه
من التوجه الى المشرق والمغرب وانه منسوخ خارج عن البر وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك
نزل فى حق المؤمنين وذلك ان الرجل كان فى ابتداء الاسلام قبل نزول الفرائض اذا اتى بالشهادتين وصلى
الصلوات الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونزلت الفرائض وحدت الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله تعالى هذه الاية يعنى ليس كل البر
ان تصلوا قبل المشرق والمغرب يعنى ليس البر مقصورا بامر القبلة فقط ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر ما ذكر فى
الاية وَلَكِنَّ الْبِرَّ الذى ينبغى ان يهتم به مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ اى صدق به بانه واحد لا شريك له
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ اى بالبعث الذى فيه جزاء الاعمال على انه كائن لا محالة وَالْمَلَائِكَةِ بانهم عباد الله مكرمون
عنه وَالْكِتَابِ اى القرآن والكتب المنزلة وَالنَّبِيِّينَ بانهم بعثوا لدعوة الخلق الى الحق وَآتَى الْمَالَ
عطف على من اى البر من اعطى الصدقة من ماله بعد الايمان عَلَى حُبِّهِ مع حب المال اى يعطى المال
على حب المال او حب الله او حب الاعطاء بطيبة نفس ذَوِي الْقُرْبَى اى اصحاب القرابة الفقراء قال
صلى الله عليه وسلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وَالْيَتَامَى
اى الفقراء منهم وَالْمَسَاكِينَ الذين يسكنون الى الناس لشدة احتياجهم وحال المسكين احسن من
حال الفقير عندنا كما هو معروف فى كتب الفقه وَابْنَ السَّبِيلِ المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى
القاطع ابن الطريق وَالسَّائِلِينَ اى الذين الجأتهم الحاجة الى السؤال وَفِي الرِّقَابِ تخليصها

بمعاونة المكاتبين اى فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة واتى الزكوة
يحتمل ان يكون المقصود من اتى الزكوة وهى اتى المال المفروضة ولكن الغرض من اتى المال بيان مصارفها
وباتى الزكاة اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت
فى المال سوى الزكاة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعنى وجوبها والموفون عطف على
من آمن اى الذين يوفون بعهدهم من الاوامر والنواهى اذا عاهدوا الله او الناس من العقود
والودايع والاسرار روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من اعطى عهد الله ثم نقضه فالاجر منتف عنه ان
انقطع نظره عنه ومن اعطى ذمة رسول الله ثم غدر فالنبى صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيمة والصابرين
نصبه على المدح اى امدح ولم يعطف لما قبله لفضل الصبر على ساير الاعمال فى البأساء اى شدة الفقر
والمصيبة والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو فى سبيل الله اولئك اى
الموصوفون بالصبر فى الاحوال الثلثه هم الذين صدقوا فى الدين والايمان واتباع الحق فيما عاهدوا
واولئك هم المتقون الله عن نقض العهد او المطيعون لله لشدة خوفهم من عذابه فقوله عز وجل
من آمن الى والنبيين يشير الى صحة الاعتقاد وقوله عز وجل واتى المال الى وفى الرقاب يشير الى حسن المعاشرة
وقوله عز وجل واقام الصلوة الى آخرها يشير الى تهذيب النفس والاخلاق الحميدة فالاية جامعة للكمالات
الانسانية باسرها لا يعلم ذلك الا بصدق الفكر والملاحظة يا ايها الذين آمنوا كتب اى فرض عليكم
القصاص المماثلة والتساوى والتكافؤ فى القتلى فى المقتولين الحر يقتل بالحر لتكافؤهما ولا يقتل الحر
بالعبد والعبد بالعبد والانثى بالانثى وبينت السنة ان الذكر يقتل بالانثى وانه يعتبر المماثلة فى الدين
فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو كان حرا وقال الشافعى ومالك رحمهما الله لا يقتل الحر بالعبد ولا المؤمن
بالكافر وهذه الاية تفسير لما ابهم فى قوله تعالى النفس بالنفس ولا يصح القول بان قوله تعالى الحر بالحر منسوخ
بقوله عز وجل النفس بالنفس لانه ورد فى حكاية ما وجب على اليهود فى التورية من غير فرق بين الحر والعبد
والذكر والانثى وهذه شريعة من قبلنا وهى لا تلزمنا ما جاء فى شريعتنا ما يخالف وانما يلزمنا لو لم يجئ
المخالف ويعلم من الدين بالضرورة ان القرآن مهيمن على جميع الكتب الالهية وناسخ لذلك ولو كان
موسى عليه السلام حيا ما وسعه الا اتباعه لنبينا والقرآن ومن سلم نص هذه الاية يعنى الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى اى لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس
لانه حكاية ما فى التورية فلا ينسخ ما فى القرآن وقال ابو حنيفة رحمه الله يقتل الحر بالعبد كما يقتل المؤمن
بالكافر ويجعل قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى منسوخة بقوله تعالى ان النفس بالنفس
وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم اى تتساوى ولان التفاضل لا يعتبر فى النفوس لما
تقتل جماعة بواحد لكنها يقتل بالاجماع وسبب نزول الاية فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى
الجاهلية قبيل الاسلام بقليل وكانت بينهما قتلى وجراحات لم يأخذها بعضهم من بعض حتى جاء
الاسلام قال مقاتل بن حيان كان ذلك بين قريظة والنضير وقال سعيد بن جبير كان بين
الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر فى الكثرة والشرف وكانوا ينكحون نساءهم بغير
مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلان منهم وجعلوا جراحاتهم

ضعفى جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وامرهم بالمساواة
فرضوا وسلموا وجملة الحكم فيه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين او العبيد المسلمين او الاحرار
من المعاهدين او العبيد منهم قتل من كل صنف الذكر اذا قتل بالذكر وبالانثى والانثى اذا قتلت
بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمى بالمسلم والعبد بالحر
والولد بالوالد هذا قول اكثر اهل العلم من الصحابة ومن بعدهم وعن ابى جحيفة قال سالت عليا
عليه السلام هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ
النسمة الا ان يؤتى الله عبدا فهما فى القرآن وما فى الصحيفة قلت وما فى الصحيفة قال العقل و
فكاك الاسير ولا يقتل مؤمن بكافر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقام الحدود فى المساجد ولا يقاد بالولد الوالد ويجرى القصاص فى الاطراف كما يجرى فى
النفوس الا فى شئ واحد وهو انه لو تقطع يدا شلاء او ناقصة اصبع لا تقطع بها الصحيحة الكاملة
وذهب اصحاب الاجتهاد الى ان القصاص فى الطرف لا يجرى الا بين حرين او حرتين ولا يجرى بين
الذكر والانثى ولا بين العبيد ولا بين الحر والعبد وعند الاخرين الطرف فى القصاص مقيس على النفس
وعن انس ان الربيع عمته كسرت ثنية جارية فطلبوا اليها العفو فابوا فعرضوا الارش فابوا فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوا الا القصاص فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال انس
ابن النضر يا رسول الله اتكسر ثنية الربيع لا والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا انس كتاب الله القصاص فرضى القوم فعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله من لو اقسم على الله لابره ومن اراد زيادة البيان فليراجع التفسير الكبير للامام فخر الدين
الرازى فمن عفى له وهو القاتل يعنى من عفى له عن جنايته من جهة دم اخيه الاخ
ولى المقتول اى من قبله الذى هو اخوه فى الدين او من الولى الذى هو اخوه من الدين يعنى من ترك
له القتل باخذ الدية اى من ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص فى قتل العمد ورضى عنه
بالدية والحال ان العفو عن البعض كالعفو التام فى اسقاط القصاص شئ اى شئ من العفو اى بعض
الدم بان ترك القصاص وتنكير شئ يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة
وذكر بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه وضمير له واخيه
كناية عن القاتل راجعان الى من وفى قوله شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا يسقط القصاص لان
شيئا من الدم قد بطل كاملا فاتباع اى فعلى العافى الطالب للدية من القاتل ان يتبع بالمعروف فلا يطلب
اكثر من حقه واداء اى وعلى القاتل اداء الدية اليه الى العافى وهو الوارث باحسان بلا مطل ولا بخس
امر كل منهما بالاحسان فيما له وعليه ومذهب اكثر العلماء من الصحابة والتابعين ان ولى الدم اذا عفى عن
القصاص على الدية فله اخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال بعضهم لا دية الا برضى القاتل وعن ابى
شريح الكعبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم انتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وانا والله
عاقله من قتل بعده قتيلا فاهله بين خيرتين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا العقل ذلك اى الحكم
المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية تخفيف تسهيل وتيسير وتوسعة من ربكم ورحمة

بكم وانما قال ذلك لان القصاص كان واجبا على اليهود في التوراة لا غير واخذ الدية من غير قصاص
كان واجبا على النصارى في الانجيل لا غير وقال امامنا الشافعي الولي مخير ان شاء قتل وان شاء
اخذ الدية وان لم يرض به القاتل وقال ابو حنيفه رحمه الله له ان ياخذ الدية برضى القاتل وخير
الله هذه الامة المحمدية بين القصاص والعفو عنه واخذ الدية والاية تدل على ان صاحب الكبيرة من
الموصف بالايمان بعد وجود القتل ولبقاء الاخوة الثابتة بالايمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة
والله ذو الفضل العظيم **فمن اعتدى بعد ذلك** اي من تجاوز ما شرع له فقتل الجاني بعد العفو
او قتل غير القاتل بعد اخذ الدية وقبولها **فله عذاب اليم** وهو ان يقتل قصاصا في الدنيا وفي
الاخرة عذاب اليم وجيع قال ابن جريج يتحتم قتله حتى لا يقبل العفو لقوله عليه السلام لا اعافي
احدا قتل بعد اخذ الدية **ولكم في القصاص حيوة** اي في هذا الحكم الذي هو القصاص اي بقاء عظيم
وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله
فكان القصاص سبب حيوة النفسين **يا اولي الالباب** اي ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل
في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس **لعلكم تتقون** القتل مخافة القصاص
فانظر الى فصاحة الكلام وبلاغته مع رعاية الاختصار حيث جعل الشي محل ضده وعرف القصاص
ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما لان العلم به يردع العاقل عن القتل
كتب عليكم نزل حين كانوا يوصون للاجنبي ولم يوصوا لذوي القرابة شيئا لرفع ذلك اي فرض
ووجب عليكم **اذا حضر** دنى **احدكم الموت** اي اسبابه من الامراض فظهرت اماراته **ان
ترك خيرا** اي مالا كثيرا طيبا يغني الورثة ويفضل لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد
ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة
رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة
قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا لشي يسير فاتركه لعيالك **الوصية** مرفوع بكتب عليكم والعامل
في اذا مدلول كتب والمعنى اوجب الله عليكم وقت حضور الموت لا حكم الوصية لا الوصية ان كانت
اذا ظرفية محضة وهو دال على جوابها ان كانت شرطية وجواب ان ترك محذوف اي فليوص
وقيل الوصية مبتدأ خبره للوالدين وقد مر ان المشركين كانوا يوصون للاجانب رياء وسمعة
ويتركون الاقارب والورثة فنهى الله عز وجل المسلمين من صنيعهم فقال **للوالدين والاقربين
بالمعروف** اي بالعدل فلا يفضل الغني على الفقير ولا يتجاوز الثلث **حقا على المتقين** اي حق ذلك
الوصية حقا على من يتقي الله تعالى ويمتثل امره او جعل الوصية حقا على المتقين المومنين وكانت الوصية
فريضة في ابتداء الاسلام للوالدين والاقربين على من مات وله مال ثم نسخت باية المواريث وبحديث
لا وصية لوارث رواه الترمذي وعن عمرو بن خارجة قال كنت اخذا بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله تعالى اعطى كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث فذهب جماعة الى ان وجوبها صار منسوخا
في حق الاقارب الذين يرثون وبقي وجوبها في حق الذين لا يرثون من الوالدين والاقارب وهو قول
ابن عباس وطاوس وقتادة والحسن قال طاوس من اوصى لقوم وترك ذي قرابته محتاجين انتزعت

منهم

منهم وردت في ذوي قرابته وذهب الاكثرون الى ان الوجوب صار منسوخا في حق الكافة وهي
مستحبة في حق الذين لا يرثون وفي المنهاج للنووي رحمه الله وتصح الوصية لوارث في الاظهر ان اجاز
باقي الورثة اي بخلاف ما اذا ردوا ولا عبرة بردهم واجازتهم في حياة الموصي والعبرة في كونه وارثا
بيوم الموت اي بوقته والوصية لكل وارث بقدر حصته لغو لانه يستحقه بلا وصية وبعين هي قدر
حصته صحيحة وتفتقر الى الاجازة في الاصح لاختلاف الاغراض في الاعيان انتهى بحروفه **فمن بدله**
اي غيره من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** اي قول الموصي اي علمه ووصل اليه علمه لكن
وتحقق لديه **فانما اثمه** اي اثم الايصاء المغير **على الذين يبدلونه** اي الايصاء من الاوصياء
والشهود لا على الموصي اي الميت فانه بري من ذلك الاثم لانه لا حاف ولا خالف الشرع **ان الله
سميع** لقول الموصي بما اوصى به **عليم** بتبديل المبدل والمغير فيجازيه الله على عمله **فمن خاف**
اي علم كقوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله اي علمتم **من موص** مخففا ومثقلا **جنفا**
اي ميلا عن الحق الى الباطل في وصيته لكن خطأ لا عمدا لان الجنف للخطأ **او اثما** اي ظلما بان تعمد في
وصيته فزاد على الثلث او خص غنيا مثلا **فاصلح بينهم** اي بين الموصى لهم وهم الوالدان
والاقربون فغير وصيته باجرائها على طريق الشرع **فلا اثم عليه** اي لا وزر على المغير على وجه
الشرع لان تغييره تغيير باطل الى الحق فلا يكون ظلما وقال مجاهد معنى الاية ان الرجل اذا حضر مريضا
وهو يوصي اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج على من حضره ان يامره بالعدل
وينهاه عن الحيف فينظر للموصي وللورثة **ان الله غفور** لمن تاب عن الظلم **رحيم** لمن اطاعه في
امره **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام** اي فرض عليكم شهر رمضان والصوم في اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه النفس
قال ابن مجيد يعني الامساك عنها يستلزم امساك النفس عما سواها ثم الذي فرضيته وبين انه عبادة
قديمة ليست مخصوصة بنا بل كانت مفروضة على من تقدم علينا ايضا بقوله **كما كتب على الذين
من قبلكم** اي على الانبياء والامم من عهد ادم عليه السلام الى عهدكم وقال جماعة من اهل العلم
اراد بالذين من قبلكم النصارى ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر
الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمائهم
ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا
فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فمه فجعل لله عليه ان هو برأ من
وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرأ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك اخر
فقال اتموه خمسين يوما وقال مجاهد اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا فيه عشرا قبل
وعشرا بعد والله اعلم **لعلكم تتقون** المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأ المعاصي او لعلكم تحذرون
المعاصي عن الشهوات من الاكل والشرب والجماع او لان الصيام يمنع نفسه عن السوء قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع
فعليه بالصوم فانه وجاء اي مجن من السوء **اياما معدودات** اي ايام نصب بالصيام في قوله كتب عليكم

اياما

الصيام او تصوموا مقدرًا ومعنى معدودات اى قلايل او موقتات بعدد معلوم وهى رمضان قيل
كان فى ابتداء الاسلام صوم ثلثة ايام من كل شهر واجبًا وصوم عاشورا ثم نسخ بصوم رمضان
قال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة والصوم ويقال نزل صوم شهر رمضان
قبل بدر بشهر وايام فمن كان منكم مريضًا مرضًا يضره الصوم ويعسر معه الصوم
او على سفر اى او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر والمراد من السفر
سفر القصر واجهده الصوم فى حال مرضه فافطر فعدة اى فعليه قضاء صوم عدد ما افطر
من ايام المرض او السفر من ايام اخر يصومها بدله واخر لا ينصرف للوصف والعدل
التقديري وعلى الذين لا يطيقونه لكبر او مرض لا يرجى برؤه من اطاق فلان اذا زال طاقته
والهمزة للسلب اى على الذين لا يقدرون على الصوم فدية هى طعام مسكين نصف صاع من بر
او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم ذلك فى اول الامر لما امروا بالصوم
فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه واختلف العلماء
فى تاويل قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية فذهب اكثرهم الى ان الاية منسوخة وذلك ان الصحابة
كانوا فى ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفتدوا خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم
لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال
قتادة هى خاصة فى الشيخ الكبير الذى يقدر ان يصوم ولكن يشق عليه رخص له فى ان يفطر ويفدى
ثم نسخ وقال الحسن هذا فى المريض الذى ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين ان
يصوم وبين ان يفطر ويفدى ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وثبت الرخصة للذين لا يطيقون
وذهب جماعة الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناه على الذين كانوا يطيقونه فى حال الشباب فعجزوا
عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم قرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء وفتح الطاء مخففا
وفتح الواو وتشديدها اى يكلفون وتاوله على الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان الصوم والمريض
الذى لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم ان يفطروا ويطعموا مكان كل يوم
مسكينا مدًّا وهو قول سعيد بن جبير وجعل الاية محكمة وقرى يطوقونه اى يكلفونه او يقلدونه
من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام
يطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه
وعلى هذه القراة يحتمل الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ ومعنى هذه القراة جميل
والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتًا وقد اول به القراة المشهورة اى يصومونه جهدهم وطاقتهم
والله اعلم فمن تطوع خيرا فزاد فى الفدية فهو اى فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا
ايها المطيقون صومكم وجهدكم طاقتكم فى محل الرفع مبتدا خبره خير لكم من الافطار والفدية
وتطوع الخير او منهما معا ومن التاخير للقضاء ان كنتم تعلمون ان ذلك خير لكم فصوموا تلك
الايام ولا تفطروا لان فيه امتثال الفرض وكثرة الثواب شهر رمضان مبتدا خبره الذى انزل او خبر
مبتدا محذوف اى الايام المعدودات شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى كتب عليكم
الصيام

الصيام صيام شهر رمضان ورمضان مصدر رمض اذا احترق وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حينما نقلوا
اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القران اى ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك
ليلة القدر او انزل فيه جملة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل
نجوما فى عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة او انزل فى شانه القران وهو قوله تعالى كتب عليكم
الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست
مضين والانجيل لثلث عشرة والزبور فى ثمان عشرة والقران لاربع وعشرين تمهيد فى معرفة
الانزال والتنزيل وكيفية النزول فيه للمحققين فى الانزال قولان الاول مجموع القران انزل
من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وهو العقل دفعة واحدة والثانى انه انزل من اللوح الى العقل
اى السماء الدنيا دفعة واحدة فى مقدار ما ينزل فى سنة بحسب المصالح فعلى القول الاول يكون الانزال
من العقل الى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فى عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة على الاختلاف وعلى الثانى
يكون الانزال من اللوح الى قلبه عليه السلام فى عشرين سنة او ثلث وعشرين سنة والتنزيل
ظهور القران بحسب الاحتياج بواسطة جبريل عليه السلام على قلب النبى صلى الله عليه وسلم وفيه
طريقان احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم ينخلع عن الصورة البشرية الى الصورة الملكية وياخذ من
جبريل بحسب المصالح وهو الصعب وثانيهما ان الملك كان ينخلع من صورته الى الصورة البشرية حتى ياخذ
الرسول صلى الله عليه وسلم منه ففى التنزيل يتحقق دون الانزال واما النزول فاختلفوا فى كيفية ذلك فبعضهم
قال انه ظهور القران على قلب الرسول عليه السلام من غير انتقال من قولهم انزل على فلان سرور ونزل
بفلان غم اذا ظهر وقال بعضهم ان الله تعالى يفهم كلامه جبريل فى السماء وهو متعال من المكان فيتمثل
فيه ثم جاء جبريل من السماء الى الارض وعلم النبى قرانه فلا انتقال فى كلامه اصلا والمفسرون يجعلونه
مقدمة فى اول الكتاب وفى صحيح البخارى ان الحارث بن هشام رضى الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله كيف ياتيك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم احيانا ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده
على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فاعى ما يقول فيكلمنى انتهى وفى
وفى انزال القران فى شهر رمضان اشعار بان ذلك سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى
للناس اى هاديا للناس من الضلالة حال من القران يعنى انزل وهو هداية للناس باعجازه وبينات
حال ايضا منه اى ايات ودلالات واضحات من الهدى مما يهدى الى الحق من الاحكام اى الحلال والحرام
والحدود ومن الفرقان اى مما يفرق بين الحق والباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد
منكم الشهر فليصمه اى من حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه ومن كان مريضا او على سفر
فافطر فعدة اى فعليه عدة الايام المعدودة التى افطرها من ايام اخر
ليلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه اى فى حق المقيم المطيق يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض والمرض المبيح للفطر
ما يجهده الصوم يعنى مرض يخاف من الصوم معه زيادة علة وان لم يجهده الصوم فهو كالصحيح

هنا عند اكثر العلماء وهو مرضي الشافعي وكان ابن سيرين يفطر في رمضان لوجع اصبعه وبعضهم
لوجع سنه لانه يطلق على ذلك اسم المرض ومنهم من اباحه بالمرض الذي يجوز معه الصلوة قاعدا
والسفر المبيح للفطر ستة عشر فرسخا ويقصر فيه الصلاة وهو مسيرة يومين وهو القول الشافعي
وعليه الشافعي وعند اهل الكوفة مسيرة ثلثة ايام ولياليها واليه ذهب الثوري رحمه الله في السفر
فالفطر فيه مباح والصوم جائز عند عامة اهل العلم ومنهم من قال لا يجوز الصوم في السفر ومن صام
فعليه القضاء واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصوم في السفر ولنا من يجهده الصوم
فالاولى ان يفطر لان النبي صلى الله عليه وسلم راى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم فقال
ليس من البر الصيام والدليل على جواز الصوم في رمضان ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
انه قال كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصايم ومنا المفطر فلا يعيب الصايم
على المفطر ولا المفطر على الصايم واختلفوا في افضل الامرين فقالت طايفة الفطر افضل وذهب قوم
الى ان الصوم افضل وقالت طايفة افضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
ولتكملوا العدة اي شرع لكم من الاحكام واراد بكم ذلك لتحفظوا ولتتموا اعداد ايام الشهر بقضاء افطاركم
بالمرض او بالسفر وقال عطاء ولتكملوا العدة اي عدة ايام الشهر لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم
فاكملوا العدة ثلثين فقوله تعالى ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد وهو الايام المعدودات وقوله
ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء لعذر المرض والسفر اي لتعظموا الله عند كمال العدة على ما هداكم
ارشدكم لمعالم دينكم لانه علمكم كيفية القضاء ولما رضي لنا من صوم رمضان ولما خصكم به دون
ساير الملل وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو تكبيرات ليلة الفطر وروى الشافعي عن ابن مسيب وعروة
وابي سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير وشبه ليلة النحر بها الا من كان حاجا فذكره
التلبية ولعلكم تشكرون الله على نعمه وهذه النعمة اي حيث رخص لكم الفطر في المرض والسفر فهو تعليل
لاجل الترخيص والتيسير والحاصل شرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضا
ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها وسال جماعة من الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزل واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل بكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه
منهم وقال السلطان السايل كان اعرابيا اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد
للداعي بالاجابة اي اسمع للاجابة اي وقت يدعوني فليستجيبوا لي اي فليجيبوا الى عبادي بالطاعة
والايمان واجيبهم بالاعطاء في جميع مهماتهم وليؤمنوا بي اي وليصدقوا بتوحيدي امرا بالثبات
والمداومة لعلهم يرشدون اي راجين اصابة الرشد اي الحق ثم بين الله احكام الصوم فقال احل
لكم ليلة الصيام الرفث اي الجماع الى نسائكم قال ابن عباس ان الله حيي كريم يكني كل ما ذكر
في القران من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث فانما عنى به الجماع قال اهل التفسير
كان في ابتداء الاسلام اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة
او يرقد

او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي
بعد ما صليت العشاء فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما كنت جديرا بذلك فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزل في عمر واصحابه احل لكم الاية اي ابيح لكم في ليلة
الصيام الجماع وكل ما يراد من النساء كالعز والتقبيل وغير ذلك هن لباس لكم وانتم لباس لهن
اي هن سكن لكم وانتم سكن لهن دليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقيل سمي كل واحد من
الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب
الذي يلبسه او هن فراش لكم وانتم لحاف لهن كذا ذكره الربيع بن انس علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم اي تظلمون انفسكم بالمجامعة بعد العشاء وتنقيص ثوابها فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم اي وتجاوز عنكم ومحى ذنوبكم فالان باشروهن اي حين حل لكم ونسخ عنكم التحريم جامعوهن
وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره لكم واثبته في
اللوح المحفوظ من الولد لا لمجرد قضاء الشهوة فان الولد هو الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح او اطلبوا
منهن ما ابيح لكم وامرتم به وكلوا واشربوا اي ليالي الصيام كلها حتى يتبين يظهر لكم الخيط الابيض
اي الفجر الصادق من الخيط الاسود هو سواد الليل اي الفجر الكاذب من الفجر الصادق بيان للخيط
الابيض وبيان الاسود محذوف وشبه بياض النهار وسواد الليل بخيطين هما ابيض واسود لامتدادهما
روي عن عدي بن حاتم انه قال اخذت الخيطين فجعلت انظر اليهما فلم يتبين الاسود من الابيض ما لم يسفر
الصبح فاتيت رسول الله فاخبرته بذلك فتبسم وقال انك لعريض القفاء انما هو سواد الليل وبياض النهار
فنزل قوله من الفجر فارتفع الاشتباه واعلم ان الفجر فجران كاذب وصادق فالكاذب يطلع اولا مستطيلا
كذنب السرحان يصعد الى السماء فبطلوعه لا يخرج الليل ولا يحرم الطعام والشراب على الصايم ثم يغيب
فيطلع بعده الفجر الصادق مستطيرا ينتشر سريعا في الافق فبطلوعه يدخل النهار ويحرم الطعام والشراب
على الصايم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل وصحة صوم من اصبح جنبا ثم
اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقت الصوم واخراج الليل عنه ونفي صوم الوصال ودخول
الليل انما يكون بغروب الشمس ولا تباشروهن اي نساءكم وانتم عاكفون مقيمون بنية الاعتكاف في
المساجد يتعلق بعاكفون نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امراته ويعود تلك الايات والاحكام
المذكورة من اول اية الصيام الى هنا حدود الله حدها لعباده ليقفوا عندها فلا تقربوها اي لا
تقربوا الحدود نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى وتجاوز
كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو
ابلغ من قوله فلا تعتدوها في اية اخرى ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك اي
كما بين لكم ما ذكر لكم من الاحكام من حدودها يبين الله اياته للناس من امر الصايم في
الصحة والمرض والمباشرة بالنساء والاعتكاف لعلهم كي يتقون يخافون الله فينجوا من العذاب

ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نزلت فى ربيعة بن عبدان الحضرمى وامرء القيس الكندى
فادعى ربيعة قطعة ارض على امرء القيس ورفع الحكم الى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بان يحلف امرء القيس فهمّ به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد
الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلّم الارض الى ربيعة بن عبدان وهذا دليل على ان حكم
القاضى لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الىّ ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه فانما اقضى له قطعة من نار
فصارت الاية عامة لجميع الناس ومعنى الاية لا ياكل بعضكم اموال بعض كائنة بينكم بوجه حرمه الشرع
كالرشوة والغصب والحيلة وتدلوا بها عطف على النهى اى لا تدلوا بها يقال ادلى دلوه اذا ارسله فى
والقاه اى لا تلقوا ولا ترسلوا امرها والحكومة فيها او بالاموال رشوة الى الحكام الى قضاة السوء
او العدول على الاصحاب لتأكلوا بالتحاكم اى بحماية الحكام بارباب الاموال فريقا اى مقدار البعض
من اموال الناس بالاثم اى بالظلم وشهادة الزور والايمان الكاذبة والحيل فى الربا والاوقاف
وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم اقبح وان قضاء الحاكم بالباطل لا يحل حراما
واختلف فى معنى الاية قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال
ويخاصم فيه الى الحاكم وهو يعرف ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقال مجاهد فى هذه الاية معناها
لا تخاصم وانت ظالم وقال الكلبى هو ان يقيم شهادة الزور وقيل معناه لا تاكلوا بالباطل وتدلوا بها
اى وتسرعوا الى الحكام وقال قتادة لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل
حراما وكان شريح القاضى يقول انى لاقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكن لا يسعنى الا ان نقضى بما يحضرنى من البينة
وان قضائى لا يحل لك حراما وينبغى لكل حاكم اذا فصل بين الاثنين ان يقول فى اخر حكمه بل فى اول حكمه ما قال
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر وانكم تختصمون الحديث وما قال شريح ايضا عسى ان يتوب يسألونك عن
الاهلة نزلت فى معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة كالشمس والمعنى يسألونك يا محمد
عن سر الاهلة تكون دقيقة كالخيط اولا ثم يمتلئ نورا ويزيد جرما والاهلة جمع هلال وهو الصوت
سمى به لان الناس يرفعون اصواتهم عند رؤيته قل يا محمد فى جوابهم هى اى الاهلة مواقيت معالم
للناس يعلمون بها اوقات معاملاتهم من الزراعة والتجارة وحلول ديونهم وصومهم وفطرهم وغير ذلك
والحج عطف على الناس اى ليعلم الناس اوقات الحج والعمرة وليس البر بان تأتوا البيوت من
ظهورها سبب نزوله ان الانصار كانوا اذا احرموا بالحج او العمرة لم يدخلوا دارا من مدر وطين
وحجرا وفسطاطا وخيمة من وبر من جانب بابه المعهود بل يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراءه وخلفه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم و
الشهوات واتبع امر الله ولا يرض من ظهر بيته فانه صنيع الجهلة وأتوا البيوت من ابوابها
اى ادخلوها محرمين ومحلين من ابوابها المعهودة واتقوا الله اى واخشوه ولا تعصوه لعلكم
تفلحون اى لكى تنجوا من عقوبته باطاعته واطاعة رسوله وقاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا

لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه الذين يقاتلونكم من الكفار قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال
المشركين كافة المقاتلين منهم والمانعين انفسهم عن القتال وعلى هذا يكون منسوخا بقوله عز وجل
وقاتلوا المشركين كافة وقيل هى اول اية نزلت فى القتال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل
من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان
والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم فى حكم المقاتلة ويؤيد قولنا
قيل كان ذلك قبل ان امروا الخ ما روى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
موضع بقرب مكة فيه بئر اسمها حديبية ثم سمى ذلك الموضع بها للعمرة وصالحوه على ان يرجع من قابل ويخلوا
له مكة ثلثة ايام وعلى ان لا يكون بينهم قتال الى عشر سنين فرجع الى المدينة فخرج من العام القابل
لقضاء العمرة فى اشهر الحج فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال مع المشركين فى الحرم والاحرام والشهر
الحرام لامكان نقض العهد فنزلت وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا بابتداء القتال
او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله من النساء والشيوخ
والرهبان ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين ما حد لهم اى لا يريد بهم الخير ولا فعل المتجاوزين
من الحلال الى الحرام وهو الابتداء بالظلم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم وادركتموهم فى
فى الحل والحرم والشهر الحرام ان نقضوا عهدكم واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل ذلك
بمن لم يسلم يوم الفتح جزاء لاخراجهم للمسلمين اولا وكان المشركون يستعظمون القتال فى الحرم ويعيرون
المسلمين به فنزل والفتنة اى الشرك بالله من الكفار اشد اى اعظم عند الله من القتل الذى
يحل بالكفار منكم فى الحرم او من عذاب الاخرة او المعنى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من
الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اى فى الحرم حتى
يقاتلوكم فيه اى حتى يبدؤكم بالقتال فى الحرم اى لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام
فان قاتلوكم فى المسجد الحرام فاقتلوهم فى المسجد الحرام فلا تبالوا بقتالهم فيه فانهم الذين هتكوا حرمة
المسجد الحرام قال مقاتل ابن حيان هذه الاية اى قوله ولا تقاتلوهم اى قوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
ناسخة لقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ومنسوخ باية السيف فى براءة اى واقتلوا المشركين كافة فهى اى
اية ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ناسخة فى وقت ومنسوخة فى وقت اخر لصالح المسلمين فسبحان المنان
ومما يحتاج اليه المفسر معرفة التنزيل والانزال والنزول وقدمت الاشارة اليه ومعرفة التفسير والتاويل
والناسخ والمنسوخ ومعرفة كون السورة او الاية مدنية او مكية ومعرفة نظم التركيب والترتيب ربما زاد
علما وفهما والهدف سواء السبيل كذلك اى القتل والاخراج جزاء الكافرين اى يفعل بهم مثل ما فعلوه
فان انتهوا عن الشرك والقتال واسلموا فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف يعنى غفور لمن
تاب من الذنوب ورحيم لمن اطاعه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى لا توجد فتنة اى شرك وكان
ثامنة وحتى بمعنى الى ان او كى ويكون الدين العبادة والاسلام لله وحده فلا يعبد سواه
او القتل فان انتهوا عن الشرك وقتالكم فلا عدوان اى لا ظلم يعنى لا تظلموا الا على الظالمين الذين
لا ينتهون عن الظلم وسمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة يعنى سمى ما يفعل بالكفار عدوانا وظلما وهو فى نفسه حق

وعدلا كون جزاء الظلم جزاءً وفاقاً يعني فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم الشهر الحرام بالشهر الحرام يعني شهر ذي القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام اي ذي القعدة ايضا الذي صددتم ومنعتم فيه عن زيارة البيت سنة ست والحرمات جمع حرمة وانما جمعها لانه اراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام قصاص اي مساواة ومماثلة او يقتص بمثلها اذا انتهكت وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل هو بغيره يعني قتالكم ايها المؤمنون في الشهر الحرام الذي حرم القتال فيه على المؤمنين يكون بقتال الكافرين قصاصا ومساواة ومماثلا وهذه تسلية للمؤمنين واكد قوله والحرمات قصاص بقوله فمن اعتدى عليكم اي تجاوز عن حد الشرع بقتالكم في الشهر الحرام او الحرم او الاحرام فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم بان تقاتلوا المشركين بمثل ما قاتلوكم سمي صنيع المسلمين بالكفار وهو حق اعتداءً لشبهها بالمقابل به في الصورة وسبب نزول قوله تعالى الشهر الحرام الى اخره هو ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب هو واصحابه عام الحديبية الى مكة للعمرة فصدهم المشركون في ذي القعدة سنة ست ثم رجع في العام الثاني مع اصحابه فطافوا بالبيت ونحروا الهدي واقاموا فيها ثلثة ايام في ذي القعدة ايضا في سنة سبع فقال تعالى اذا قاتلوكم في الشهر الحرام بهتك حرمته فافعلوا بهم بهتك حرمة شهركم كما فعلوا بكم بهتك حرمته عليكم ولا تبالوا من كراهة القتال فيه لانه جزاء فعلهم فيكون هذا الشهر مقابلا ومساويا بذلك الشهر واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصر فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله اي في طاعته الجهاد وغيره ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم اي انفسكم والباء زائدة للتحسين والملاحة الى التهلكة اي الهلاك بالاسراف في المال وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو مع القدرة او بعدم انفاق المال فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاك انفسكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت الاية او بالامساك والبخل وحب جمع المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد او لا تجعلوا التهلكة اخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم الى التهلكة واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او بالنفقة في محاويجكم وغيرها ان الله يحب المحسنين اي يخلف عليكم ويثيبكم في الاخرة بما انفقتم في الغزو من غير اسراف ولا تقتير وفيما يفعلون من انواع الخير واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامتين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما لان الامر باداء العبادة يفيد وجوبها ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روي جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب سبب اهلاله لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا وترك فسقا عما لا يستحل فيهما لان المشركين كانوا يقولون في التلبية لا شريك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وهذا يشبه قول البعض الذي لا يعرف اصطلاح المحققين

انا هو

انا هو من وجه وانا غيره من وجه وهو مخالف لاصطلاحهم فانه بمعزل من كلام الصوفية بل المتصوفة فكل حقيقة تخالفها شريعة فهي زندقة كذا قاله شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره فعلى كل من لم يعرف اصطلاحهم ان يعبر بيته الى ظاهر الشرع ولا ينطق بكلامهم ولا يعتقد ويكل امرهم الى الله ورسوله ووجوب الحج اجماعي على المستطيع والعمرة فرض عند امامنا الشافعي وسنة عند ابي حنيفة والحج ثلثة افراد وهو ان يحج الرجل ثم يعتمر بعد فراغه عنه وهو الافضل عند امامنا الشافعي لانه موافق لحج النبي صلى الله عليه وسلم وتمتع وهو ان يعتمر في اشهر الحج وبعد الفراغ منها يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام ومن تامل في احاديث التمتع لا يسعه تركه وقران وهو ان يحرم بحجة وعمرة معا او يحرم بعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يطوف وهو الافضل عند ابي حنيفة رحمه الله وروي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله قال الله تعالى واتموا الحج والعمرة واختلفوا في الافضل من هذه الوجوه فذهب الشافعي ومالك الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران وذهب الثوري واصحاب ابي حنيفة الى ان القران افضل وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ان التمتع افضل وذكر الشافعي رحمه الله في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا يريد انه امر ببنائها وكما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعي رحمه الله الافراد لرواية جابر وعائشة وابن عمر وقدمها على رواية غيرهم لتقدم صحبة جابر النبي صلى الله عليه وسلم وحسن سياقه لابتداء قصة حجة الوداع واخرها ولفضل حفظ عائشة وقرب ابن عمر من النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعي في اختلاف الاحاديث الى التمتع وقال ليس شيء من الاختلاف ايسر من هذا وان كان الغلط فيه قبيحا من جهة انه مباح لان الكتاب والسنة وما لا اعلم فيه خلافا يدل على ان التمتع بالعمرة الى الحج وافراد الحج والقران واسع كله وقال من قال انه افرد الحج يشبه ان يكون قد قاله على ما يعرف من اهل العلم الذين ادرك دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدا لا يكون مقيما على الحج الا وقد ابتدأ احرامه بحج قال الشيخ الامام رحمه الله ومما يدل على انه كان متمتعا ان الرواية عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما معا واما حديث فضل الافراد على التمتع والقران فهو ما روته عائشة رضي الله عنها انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فاما من اهل بعمرة فحل واما من اهل بالحج او جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر وما رواه جابر رضي الله عنه حيث قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا ننوي الا الحج ولا نعرف العمرة وما رواه ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال ان النبي صلى الله عليه وسلم افرد الحج واما اركان الحج عندنا فخمسة الاحرام والوقوف بعرفة وطواف الزيارة والسعي بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير وللحج تحللان واسباب التحلل ثلثة رمي جمرة العقبة يوم النحر وطواف الزيارة والحلق فاذا وجد شيئان من هذه الاشياء الثلثة حصل التحلل الاول وبالثالث حصل التحلل الثاني وبعد التحلل الاول يستبيح جميع محظورات الاحرام الا النساء وبعد الثالث يستبيح الكل واركان العمرة اربعة الاحرام

والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق وتمام العمرة ان تحل في غير اشهر الحج حتى لا يلزمه الهدي او الصيام وتمام الحج ان يوفي بمناسكه كلها حتى لا يلزم عامله دم بسبب قران ولا تمتع وقد ذكر علماء كل مذهب في باب الحج ما يتعلق بمذهبه فليراجع ذلك وشرب الكل من كاس واحدة ولكن المزاج متنوع فان احصرتم اي منعتم عن اتمامهما بعدو عند الشافعي ومالك لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما الاحصر الا حصر العدو وبكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فقد حل فعليه الحج من قابل وهو ضعيف جدا مأول بما اذا اشترط الاحلال فيه لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر اي فما تيسر من الهدي اي فالواجب عليكم ما تيسر وهو شاة والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي يتيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند اكثر العلماء لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل بينه يوم امارا فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله عز وجل ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حراما واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بكسر الحاء يطلق للمكان والزمان فعندنا يحل ذبحه بمكان الاحصار فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل فمن كان منكم مريضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل وصداع ففدية اي فعليه فدية ان حلق في الاحرام من بيان للفدية صيام اي ثلثة ايام او صدقة اي ثلثة اصع تفرق على ستة مساكين من غالب قوت البلد او نسك اي ذبح شاة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصع واو للتخيير والحق به من حلق لغير عذر لانه اولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر او غيره فاذا امنتم الاحصار بالعدو بان ذهب او لم يكن او كنتم في حال سعة وامن فمن تمتع وقد ذكرنا ان التمتع هو ان يعتمر في اشهر الحج وبعد الفراغ منها يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام بالعمرة الى الحج ومعنى الاية من استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بعمل العمرة في اشهر الحج قبل انتفاعه بتقربه الى الله بعمل الحج ثم بعد الفراغ من العمرة يحرم بالحج من مكة في عامه اي لا العام القابل فما استيسر اي ما تيسر عليه من الهدي من شاة يذبحها بعد الاحرام بالحج والافضل ان يذبح يوم النحر وذلك بسبب التمتع فهو دم جبران لانه يجبر به النقصان اللازم للتمتع فلا يأكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فهو كالاضحية فيجوز ان يأكل منه ولوجوب هدي التمتع اربع شرائط احدها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج والثاني ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة والثالث ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى الميقات لاحرامه والرابع ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فمتى وجدت هذه الشرائط فعليه ما استيسر من الهدي وهو دم شاة ويذبحه يوم النحر فلو ذبح قبله

بعد ما احرم بالحج جاز عند بعض اهل العلم كدماء اهل الجبرانات وذهب بعضهم الى انه لا يجوز قبل يوم النحر كدم الاضحية فمن لم يجد اي من لم يجد الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي في حال احرامه بالحج وقبل التحلل والاحب ان يصوم سادس ذي الحجة وسابعه وثامنه ولا يجوز صوم يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وعبارات مشايخنا يجب عليه ان يحرم قبل السابع من ذي الحجة والافضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها اي تلك الثلثة في ايام التشريق على اصح قولي الشافعي وسبعة اذا رجعتم اي وعليه صيام سبعة اذا رجعتم الى اهليكم وبلادكم وهو احد قولي الشافعي واكثر اهل العلم او نفرتم وفرغتم من اعمال الحج وهو المراد من الرجوع في قوله الثاني وهو مذهب ابي حنيفة تلك عشرة كاملة ذكرها على وجه التاكيد وفائدة الذكر مرة اخرى ان لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وقال كاملة لانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او كاملة في الثواب والاجزاء ذلك اي الحكم المذكور من وجوب الهدي او الصيام على من تمتع عندنا او اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة لانه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام قال الشافعي رحمه الله كل من كان وطنه من مكة اقل من مسافة القصر اي اقل من مرحلتين فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم اهل الميقات فما دونه وهو قول اصحاب الراي وقيل هم اهل مكة وهو قول مالك وقال طاوس اهل الحرم وقال ابن جريج اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلتان ودم القران كدم التمتع والمكي اذا قرن وتمتع فلا هدي عليه واتقوا الله خافوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه وارتكب المناهي الحج اشهر معلومات اي وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وروي عن ابن عمر انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وعليه اهل الكوفة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فيه فمن قال عشر عبر به عن الليالي ومن قال تسع عبر به عن الايام فان اخر ايامها يوم عرفة وهو اليوم التاسع وذو الحجة كله عند مالك فانه كره العمرة في بقية ذي الحجة فمن فرض فيهن الحج اي فمن اوجب على نفسه في الاشهر المعلومات الحج بان احرم به فاذا احرم لزمه الحج عندنا وبالاحرام والتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة فمن احرم بالحج في غير اشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج عندنا لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها ولو انعقد الحج بغيرها لم يكن لهذا التخصيص فائدة وعند ابي حنيفة ينعقد فلا رفث سيما بحضرة النساء اي فلا جماع او فلا فحش من الكلام قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه ولا فسوق ولا معاصي اي ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا خصام والمراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه بان يماري صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه او يقول بعضهم الحج اليوم ويقول بعضهم الحج غدا او يقول لصاحبه ابرحمن بحجك وبخالفات الشرع منهي عنه في كل حال سيما في الحج كلبس الحرير في الصلوة فانه اقبح والتطريب بقراءة القرآن القراءة في الاوليين بالرفع والتنوين اخبار بمعنى النهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا او بنصبهما بلا تنوين وبنصب جدال نفيا

وما تفعلوا من خير كصدقة وطاعة بان تستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق
التقوى ومكان الجدال الوفاق يعلمه الله اى يقبله فيجازيكم به وتزودوا فان خير الزاد التقوى
اى تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج
بغير زاد كالكوراضع الهنود فى زماننا ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا نطعمنا
فاذا قدموا مكة سالوا الناس فيكونون كلا على الناس فقال وتزودوا ما يبلغكم لسفركم وتكفون
به وجوهكم من السوال والنهب قال اهل التفسير الزاد هو الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها
فاجعلوا الطعام زاد الحج والتقوى زاد الاخرة واتقون يا اولى الالباب اى خافوا عقابى فان
قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبروا
عن كل شىء سوى الله وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح فى ان تبتغوا اى فى ان تطلبوا فضلا رزقا من ربكم من الله يريد الربح بالتجارة
قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها ايام الحج وكانت معايشهم منها
فلما جاء الاسلام تاثموا ذكرها من التجارة مواسم الحج بعد نزول قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله على
تفسير انه لا يشوبها شىء من التجارة فنزلت ليس عليكم الاية فاذا افضتم دفعتم انفسكم بكثرة وجمعتم
من عرفات اى بعد الوقوف بها وبعد غروب الشمس وانما نون وكسر وفيها العلمية والتانيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام اى فيقال العرفات بالوفات بالتنوين
وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه اولان جبريل كان يدور
به عليه السلام فى مواضع المناسك فلما اراه قال قد عرفت اولان آدم وحواء التقيا فيه وتعارفا
اولان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى المعرفة وهى من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع
عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مامور بها بقوله ثم افيضوا
كما ياتى فاذكروا الله بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر
الحرام هو جبل فى اخر المزدلفة يقف الامام عليه الآن ويسمى الآن قزح وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم
وقف به يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدا رواه مسلم وروى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعنى
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر وسمى بالمزدلفة لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف منها
وقد تسمى جمعا لذلك ولانه يجمع فيه بين صلاتى المغرب والعشاء وقال اسامة بن زيد رضى الله عنه دفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضا فلم يسبغ الوضوء فقلت
الصلوة يا رسول الله قال الصلاة امامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضا واسبغ الوضوء ثم اقيمت
الصلوة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره فى منزله ثم اقيمت العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئا
وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين
ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى
حتى

حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر
جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان اسامة بن زيد كان
ردف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال
لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة واذكروه كما هداكم اى اذكروه بالتوحيد
والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه والكاف للتعليل وان كنتم من قبله
اى وقد كنتم من قبل الهدى لمن الضالين اى الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى
الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا اى وما كنتم من قبله الا من الضالين كقوله وان نظنك لمن
الكاذبين اى وما نظنك الا من الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان
يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين فان الاولى اى الافاضة من عرفة سنة قديمة متوارثة
من زمن ابراهيم عليه السلام والثانية اى الافاضة من المزدلفة طريقة مبتدعة وكل بدعة ضلالة
وقيل المراد بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرى
الناسى بالكسر اى الناسى يريد به آدم من قوله تعالى فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم فى تغيير المناسك ومن انواع الذنوب كلها ان الله غفور
رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم اى اذا قضيتم العبادات الحجية بان
رميتم جمرة العقبة وحلقتم وطفتم واستقررتم بمنى فاذكروا الله كذكركم آباءكم اى فاذكروا
الله بالتكبير والثناء وبالغوا فى ذلك كما كنتم تذكرون آباءكم عند فراغ حجكم بالمفاخر وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم
ثم يتفرقون او اشد ذكرا اى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او
كذكر قوم اشد منكم ذكرا لابائكم او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم ثم اشار تعالى الى اختلاف احوال
الناس بالدعاء فى الحج بقوله فمن الناس من يقول وهم المشركون ربنا آتنا فى الدنيا اى اجعل
ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا اى ارزقنا ابلا وبقرا وغنما وعبيدا واماء ومالا ولم يسالوا التوبة
والمغفرة من ربهم فقال تعالى وما له فى الآخرة من خلاق اى من نصيب وحظ لان همه مقصور
على الدنيا ومنهم اى وهم المؤمنون من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف
وتوفيق الخير اى التوبة والمغفرة والعلم النافع والعمل الصالح وفى الآخرة حسنة يعنى الثواب والرحمة
والجنة وقيل الحسنة فى الدنيا المراة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وقنا عذاب النار بعدم دخولها
وذلك بعفو الله ومغفرته وقال على رضى الله عنه الحسنة فى الدنيا المراة الحسنة وفى الآخرة
الحوراء وعذاب النار المراة السوء وقال الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا
عذاب النار احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار وذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى
قدس سره لهذه الاية معانى كثيرة فى كتابه الغنية شكر الله سعيه اولئك اى طلاب الحسنتين
والداعون بها لهم نصيب ثواب مما كسبوا اى جزاء ما كسبوا وعملوا من الحج والدعاء

من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه
نسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار
من ايام الدنيا لحديث بذلك وفي رواية اسرع من لمح البصر وفي رواية يحاسب قدر حلب
شاة او في لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله بالتكبير عند رمي الجمرات وفي ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين في ايام معدودات
اي ايام التشريق الثلثة فالتكبير مشروع للحاج وغيره عقيب الصلوات وهو الله اكبر ثلثا من الية
عند الشافعي واثنين عند اهل الكوفة وتمامه لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد لقوله
عليه السلام كبروا دبر كل صلوة من يوم عرفة الى اخر ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل بالنفر
والخروج من منى في يومين اي في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وعند اهل الكوفة
يجوز الخروج من منى في اليوم الثاني بعد يوم النحر من ايام التشريق قبل طلوع الفجر فلا اثم عليه
باستعجاله وترك الرمي في اليوم الثالث منها لانه رخص له ذلك ورخص في ترك البيتوتة لرعاة
الابل واهل سقاية الحاج ثم كل من رمي اليوم الثاني من ايام التشريق واراد ان ينفر فيدع البيتوتة
الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك له واسعة لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن لم
ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى ان يرمي اليوم الثالث ثم ينفر ومن تاخر في النفر حتى
بات ليلة الثالث ورمي جماره بعد الزوال عندنا وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال
فلا اثم عليه اي لا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله ومن تاخر حتى ينفر في اليوم الثالث
فلا اثم عليه في تاخره وقيل معناه من تعجل فقد ترخص فلا اثم عليه في اتيان الترخص ومن تاخر
فلا اثم عليه بترك الترخص وقيل معناه رجع مغفورا له لا ذنب عليه تاخر او تعجل كما روي
من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وهذا قول علي وابن مسعود ومعنى نفي الاثم بالتعجيل
والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر
لمن اتقى الله في حجه شيئا نهاه الله عنه لان المتقي هو الحاج في الحقيقة او المعنى ذهب اثمه
ان اتقى المناهي فيما بقي من عمره بعد انصرافه من الحج واتقوا الله في مجامع اموركم ليعتد باعمالكم
فان المعاصي تاكل الحسنات عند الموازنة واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل
الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في نفسك
ويسرك كلامه والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحياة الدنيا
اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او يعجبك قوله في الدنيا فصاحة وحلاوة ولا يعجبك في الاخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام نزلت حين جاء اخنس بن شريق الثقفي
واسمه ابي وسمي الاخنس لانه خنس بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رجلا حلو الكلام وحلو المنظر وحسنه وفاجر السريرة والعقيدة وكان ياتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيجالسه ويظهر الاسلام ويقول والله اني احبك ثم خرج من عنده فمر بزرع نفيف
من المسلمين فاحرقه ليلا واهلك مواشيهم واعقر حمرهم لانه كان بينه وبينهم عداوة فاخبر الله

عنه

عنه بقوله ومن الناس الى ان قال ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف للنبي ويجعل الله
شاهدا على ان ما في قلبه موافق لكلامه من الاسلام ومحبة النبي و الحال هو اي الاخنس في
حال جعله الله شاهدا على ايمانه الد اي شديد الخصام اي الخصومة والعداوة للنبي والمؤمنين
وقيل نزل في المنافقين كلهم والاخنس من اشدهم واذا تولى اي رجع وانصرف عنك
سعى في الارض اي مشى فيها ليفسد فيها اي ليعمل المعاصي في الارض بسفك دماء المسلمين
جهارا ويهلك الحرث اي الزرع بالحرق والنسل اي الدواب بالعقر او كما يفعله ولاة السوء بالقتل
والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه المطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد اي
لا يرضى بعمل المعاصي فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اي خف من الله في
صنيعك السوء اخذته حملته العزة الانفة وحمية الجاهلية بالاثم اي على الاثم الذي يؤمر
باتقائه لجاجا وعنادا فيعمل بهوى نفسه فحسبه كافيه جزاء وعذابا جهنم اي النار وجهنم
علم لدار العقاب ومرادف للنار وقيل معرب قال عبد الله بن مسعود ان من اكبر الكبائر عند الله
ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك وروي انه قيل لعمر بن الخطاب عز المسلمين اتق
الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى ولبئس المهاد اي والله لبئس الفراش والمقر هي
ومن الناس من يشري يبيع نفسه اي ويبذلها في طاعة الله والجهاد او يامر بالمعروف وينهى
عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وقيل عند اكثر المفسرين انها نزلت في
صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد وكان معه نفر من المؤمنين فقتلوا
فبقي وحده فقال للمشركين انا شيخ كبير لا انفعكم ان كنت معكم ولا اضركم ان كنت عليكم فخلوني وما
انا عليه اي من الاسلام وخذوا مالي فقبلوا منه ما له الا رحله وتوجه الى المدينة مهاجرا فلما دخلها
لقيه ابو بكر فقال له ربح البيع يا صهيب فقال وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه ففرح بذلك
صهيب والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب
الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم بفتح السين وكسرها الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون كافة اي في جميع شرائع
الاسلام اي استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين وقيل نزل حين
استاذن عبد الله بن سلام واصحابه بان يقروا التوراة ويعملون ببعض ما فيها وعلى هذا معناه ادخلوا
في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره فالخطاب لمومني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت
وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها اي فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
اي طرقه بالتفرق والتفريق اي لا تتبعوا اثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك
بعد مجيء الاسلام برسالة محمد صلى الله عليه وسلم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عن جابر
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله نسمع احاديث من يهود
تعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال عليه السلام امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم

لها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي فان زللتم اي ملتم عن الدخول في الاسلام
وشرايعه من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج الواضحات الشاهدة على ان ما دعاكم اليه محمد حق فاعلموا
ان الله عزيز غالب لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون اي ما ينتظرون
التاركون الدخول في الاسلام والمتبعون خطوات الشيطان الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم
امره وباسه وعذابه في الدنيا او يوم القيمة كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله
باسه فحذف الاتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم او اتيانه عز وجل اللايق لجنابه كما اراده
في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من الغمام السحاب الابيض الرقيق وانما ياتيهم العذاب فيه لانه
مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب
فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير قال مجاهد هو غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم
قال مقاتل هو كهيئة الضبابة ابيض قال الحسن معناه في سترة من الغمام فلا ينظر اليه اهل
الارض والملئكة بالرفع عطف على الله اي ياتيهم الله والملئكة في ظلل من الغمام فانهم الواسطة في
اتيان امر الله او الاتيان على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام تقديره الا ان
ياتيهم الله في ظلل من الغمام وفي الملئكة او من الملئكة قال شيخ الاسلام والفرض والسنة والاولى
في هذه الاية وفيما شاكلها ان يؤمن الانسان بظاهرها ويكل علمها الى الله تعالى ويعتقد ان الله سبحانه
منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت ائمة السلف وعلماء السنة قال الكلبي هذا من المكتوم
الذي لا يفسر وكان مكحول والزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث
ابن سعد واحمد واسحاق رحمهم الله امروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة كل
ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله
ورسوله وبهذا امر شيخنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره وقال الشيخ قدس سره في قوله تعالى والراسخون
في العلم هو الذي يقول امنت بما قال الله ولا يفسر المتشابه وقضي الامر اي وجب العذاب وفرغ من
الحساب واتم امر اهلاكهم وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق يوم القيمة والى الله ترجع
الامور اي انه سبحانه ملك العباد بعض الامور فيرجع اليه الامور كلها في الاخرة فيجازي
ثم امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يسال اليهود تبكيتا بقوله سل بني اسرائيل كم
اتيناهم اي اعطيناهم اي لاباء الحاضرين وسلفهم فكم يحتمل كونها استفهامية وخبرية ومعنى
الاستفهام فيها التقرير وبين الاعطاء بقوله من اية بينة اي معجزة ظاهرة واضحة على
نبوة موسى او محمد عليهما السلام كانفلاق البحر لهم واهلاك عدوهم ونزول المن والسلوى عليهم او شق
القمر نصفين وانطاق الحجر وغيرها من المعجزات والايات التي اتاها في التورية والانجيل على نبوة محمد عليه
السلام فبدلوها كفرا ومن يبدل نعمة الله اي ومن يغير كتاب الله بالتحريف والتاويل الزايغ او عهد الله
او الايات الدالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه بما جاء به من بعد ما جاءته اي من بعد ما وصلت
اليه وتمكن من معرفة تلك الايات البينات فغيروها كفرا وحسدا فان الله شديد العقاب فيعاقبه
اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة ونزل في شان المنافقين او المشركين زين للذين كفروا

من اهل مكة كابي جهل واصحابه الحيوة الدنيا اي ما بسط لهم من الاموال التي هي متاع الحيوة الدنيا
اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين
على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل او الشيطان
بالعرض والمجاز بان زينها في اعينهم بوساوسه ويسخرون من الذين امنوا اي يستهزؤن
بالفقراء من المؤمنين لفقرهم كبلال وعمار وصهيب وعبد الله بن مسعود وخباب وامثالهم ومن
للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية مبدأ منهم والذين اتقوا الشرك كالفقراء المذكورين فوقهم
يوم القيمة لان الفقراء في اعلى عليين والكفرة الفجرة في اسفل سافلين او لانهم في كرامة وهم
في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا فالتقوى هو سبب
الاستعلاء والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب اي رزقا واسعا في الاخرة
او الدنيا بان يملك المسخور منهم اموال الساخرين ورقابهم كان الناس امة واحدة متفقين
على الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة
ادريس او نوح عليهما السلام او متفقين على الايمان ثم اختلفوا فامن بعض وكفر بعض فلما
اختلفوا بعث الله النبيين اليهم مبشرين بالثواب لمن يؤمن ويطيع ومنذرين بالعقاب
لمن يكفر ويعصي وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر
والمذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد
به انه انزل مع كل نبي كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون
بكتب من قبلهم وقيل انزل مع كل نبي كتابا بالحق اي الكتاب ملتبسا بالحق والصدق شاهدا به
ليحكم اي الله او النبي المبعوث او كتابه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي
اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم من امر الدين وما اختلف فيه اي في الدين او الحق او الكتاب
الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب المنزل فامن بعض وكفر بعض فعكسوا الامر اي جعلوه سببا
للاختلاف واستحكامه من بعد متعلق باختلف ما جاءتهم البينات الحجج الظاهرة على صدق
الكتاب والتوحيد بغيا بينهم اي ذلك الاختلاف من حيث الحسد والظلم بين المختلفين بتكذيب
بعضهم بعضا وكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومن حيث حرصهم على الدنيا والانهماك فيها فهدى الله
الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق اي وفق الله المؤمنين للحق الذي اختلف فيه
من اختلف باذنه اي هداهم الى الحق بارادته وعلمه وامره ولطفه ورحمته حتى ابصروا الحق
بنور التوفيق وفرقوه من الباطل والله يهدي اي يرشد من يشاء هدايته الى صراط مستقيم
اي الى دين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق ولا يضل سالكه ام حسبتم اي ما كان
ينبغي ان تحسبوا خاطب النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات
تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار وقال الفراء
الميم صلة ومعناه احسبتم نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من
الجهد وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال الله وبلغت القلوب

الخناجر وقيل نزلت فى حرب احد وشدة حالهم فى ذلك تطييبا لخاطر النبى واصحابه ام
تدخلوا الجنة ولما ياتكم يعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة دار كرامتى ولم ياتكم
المحن اصل لما لم زيدت عليها ما مثل الذين خلوا من قبلكم صفة الذين مضوا من قبلكم من
النبيين والامم يعنى شبه ما اتى من قبلكم من الشدايد متوقع منتظر لكم ايضا فاصبروا كما كانوا قايلا
يقول كيف كان مثلهم فقيل استينافا مستهم البأساء والضراء اى اصابتهم الشدة والفقر
والبلاء والامراض وزلزلوا اى حركوا وازعجوا بانواع البلايا والرزايا والمصايب وخوفوا حتى
اى الى غاية يقول اى قال الرسول للاصحاب فى ذلك الشدة والذين آمنوا معه استبطاء النصر
الموعود لهم لاشكال التناهى الشدة عليهم واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر ويقول بالنصب
والرفع معناه قال متى ياتى نصر الله الذى وعدناه فاجيبوا من قبل الله الا ان نصر الله
قريب اتيانه غير متاخر عنكم وقيل هذا فى كل نبى بعث واجهد فيه قال حتى نصر الله فارسل الله
رياحا وجنودا وهزم الكفار بهما يوم الاحزاب وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال النبى صلى الله عليه وسلم حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك يا محمد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عمرو بن الجموح
الانصارى كان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فنزلت يسألونك
ماذا ينفقون اى اى شىء ينفقونه او ما الذى ينفقون ويتصدقون من اموالهم قل لهم ما انفقتم
اى ما تصدقتم من خير من مال واجيب ببيان المصرف لانه اهم لان النفقة لا يعتد بها الا ان يقع
موقعها فان اعتداد النفقة باعتباره فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن
السبيل اى هم اولى به قال اهل التفسير كان هذا قبل فرض الزكوة فنسخت بالزكاة اى باية
الزكوة ويمكن حملها على النفل فلا نسخ حينئذ لان المراد بها البر بان يكون بارا على هؤلاء المذكورين
وقال السلطان وليس فى الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به وما تفعلوا من خير
من انفاق وغيره فان الله به عليم يعلمه يجازيكم به لا محالة يعنى ان تفعلوا خيرا فالله يعلمه
ويوفى ثوابه كتب فرض عليكم القتال اى الجهاد للكفار نزلت حين امر الله بالجهاد وكرهوا
الخروج لمشقته وهو كره لكم اى شاق عليكم مكروه طبعا والجمهور ان الجهاد فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن الباقين الفرض مثل صلاة الجنازة ورد السلام وهذه الكراهة من من الجماعة
حيث صرف المال ومشقة النفس وخطر الروح لا انهم كرهوا امر الله وقال عكرمة نسخها قوله
سمعنا واطعنا يعنى انهم كرهوه طبعا ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم لان فى الغزو احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة
وعسى ان تحبوا شيئا اى القعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من فوات الغنيمة
والاجر واعلاء كلمات الله وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم
وانتم لا تعلمون اى والله يعلم ما هو خير لكم فى مصالحكم دينا ودنيا وانتم لا تعلمون ما فيه صلاحكم لحبكم
القعود عن الغزو يسألونك يا محمد كفار مكة والسرية التى بعثتها لترصد عير قريش عن الشهر

الحرام

الحرام اى عن القتال فى الشهر المحرم قتال فيه اى عن قتال فيه ابدل من الشهر بدل اشتمال
الشهر على القتال قل يا محمد للسائلين عن القتال فيه سواء كان الكفار على القول او السرية على قول
قتال فيه اى فى الشهر الحرام كبير اى ذنب كبير وصد اى منع للناس عن سبيل الله
اى عن الاسلام وصد مبتدأ وخبره اكبر الاتى ومنع خبره عطف على جملة قتال فيه كبير وكفر به
اى بالله عطف على صد والمسجد الحرام عطف على وصد عن سبيل الله على ارادة المضاف اى وصد
المسجد الحرام اى والقتال فيه صد ومنع للمسلمين عن دخول مكة وزيارة بيت الله والجمهور عطف
على سبيل الله ولا على الهاء فى به واخراج اهله اى اهل المسجد الحرام وهم النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه
عطف على وصد منه من المسجد اكبر اعظم وزرا عند الله من قتال السرية فيه خطأ
وظنا وتخمينا والفتنة اى اخراج الاهل والشرك بالله اكبر اى افظع من القتل من قتال سرية
رسول الله اعداء الله والمعنى قل يا محمد للمشركين توبيخا لهم افعالكم من الصد والكفر واخراج المسلمين
من مكة اكبر اثما مما فعل بعض المسلمين من قتل الحضرمى والاسر واخذ اموالهم فى الشهر الحرام واختلفوا فى
اخذ النبى صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك الغنيمة ام لا ففى رواية رد النبى صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وفى رواية اخذ ذلك الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام واخذ بدله الاسارى اسارى المسلمين
القصة على ما ذكره محيى السنة والفرض والدين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن
جحش وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم فى جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر
شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابى وقاص الزهرى وعكاشة
ابن محصن الاسدى وعتبة بن غزوان السلمى وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضا وعامر
ابن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكر وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله
ولا تنظر فى الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن
احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تاتينا
منه بخبر فلما نظر فى الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهانى ان استكره احدا
منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى ومضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم
احد حتى كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران اضل سعد بن ابى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما
يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى ببقية اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة بين مكة والطايف فبيناهم كذلك
مرت عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطايف فيهم عمرو بن الحضرمى والحكم بن كيسان
وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاحلقوا
راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك فى اخر يوم من
جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا لئن تركتموهم الليلة
ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم فى مواقعتهم القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمى عمرو بن الحضرمى

السهم فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين فى الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المومنون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء واخذ الحرائب وعيّر بذلك اهل
مكة من بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين
وابى ان ياخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط فى
ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندرى افى
رجب اصبناه ام فى جمادى واكثر الناس فى ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير فعزل منه الخمس فكان اول خمس فى الاسلام وقسم الباقى بين اصحاب السرية وكان
اول غنيمة فى الاسلام وبعث اهل مكة فى فداء اسيرهم فقال بل نقفهم حتى يقدم سعد وعتبة
وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهم فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا رضى الله عنه واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات
بها كافرا لعنه الله واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع فى الخندق مع
فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فهذا سبب نزول الاية قوله يسألونك عن الشهر الحرام
يعنى رجبا سمى بذلك لتحريم القتال فيه قتال فيه اى عن قتال فيه قل يا محمد قتال فيه ذنب كبير عظيم
تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال وصد عن سبيل الله اى وصدكم المسلمين عن الاسلام وكفر به اى كفركم
بالله والمسجد الحرام اى بالمسجد الحرام واخراج اهله منه اى اخراج اهل المسجد منه اكبر اعظم وزرا عند الله
والفتنة اى الشرك الذى انتم عليه اكبر من القتل اى من قتل ابن الحضرمي فى الشهر الحرام فلما نزلت
هذه الاية كتب عبد الله بن انيس الى مومنى مكة اذا عيّركم المشركون بالقتال فى الشهر الحرام فعيّروهم
انتم بالكفر واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعهم المسلمين عن البيت انتهى ما ذكره من القصة
والسبب وفى رواية السلطان الرد والاخذ على الاختلاف وذكر بعد قوله قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير
والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه
خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة فى حيز مثبت فلا يعم ولا
يزالون اى الكفار يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين اى هم لا ينفكون عن قتالكم ايها المومنون
حتى كى يردوكم عن دينكم اى كى يصرفوكم عن دين الاسلام الى دين الكفر ان استطاعوا وهو
استبعاد لاستطاعتهم وايذان بانهم لا يردونهم اى ان اقتدروا على ذلك ولكنهم لا يقدرون ثم هدد
المسلمين ليثبتوا على دينهم الاسلام بقوله ومن يرتدد يرجع منكم عن دينه الاسلام فيمت
جزم بالنسق وهو كافر اى مات على كفره وارتداده فاولئك حبطت بطلت اعمالهم
الصالحة اى لا يثاب على حسناتهم قيد الردة بالموت عليها فى احباط العمل كما هو مذهب الشافعى وابطلها
ابو حنيفة بنفس الردة وان لم يمت ورجع مسلما فى الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من
الفوائد

الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب فعند الشافعى لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله
فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعند ابى حنيفة يعيد ويجدد نكاح زوجته برضاها ويعيد
الحج واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ولما قالت السرية ايكون
لنا اجر المجاهدين فى سبيل الله نزل ان الذين امنوا بالله والذين هاجروا فارقوا
اوطانهم وجاهدوا اى حاربوا فى سبيل الله لاعلاء دين الله اولئك يرجون رحمة الله
اى ينالون الجنة برحمته والله غفور للمومنين ذنوبهم بقتالهم رحيم بهم باجزال
الثواب والاجر يسألونك عن الخمر والميسر اى عن تعاطيهما روى انه نزل بمكة قوله
تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا
فى نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت
هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام
احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بيّن لنا بيانا شافيا فى الخمر فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب
والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمى
سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة
رحمه الله نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر مفعل
كالموعد سمى به القمار وهو من اليسر ضد العسر لان الانسان ياخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير
تعب واسم القامر اى اللاعب به الياسر او ماخوذ من اليسار لانه سلب يساره واصل الميسر وصفته
ولعبه فى الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزونها عشرة
اجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لتلك القداح الازلام والاقلام ولسبعة من القداح
عليها خطوط وانصباء واسم قدح من السبعة الفذ ولمن خرج له نصيب واحد والثانى التوأم
ولصاحبه نصيبان والرقيب وله ثلثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل وله
ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة من تلك القداح اغفال لا نصيب لها وهى المنيح والسفيح و
الوغد ثم يجعلون القداح فى خريطة واسم الخريطة ربابة ويضعونها على يدى رجل عدل عندهم
يسمى المجيل والمفيض ثم يجلجلها ويخرج قدحا منها باسم رجل منهم فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح وان خرج له واحد من هذه الثلثة التى لا انصباء
لها لم ياخذ شيئا من لحم الجزور وغرم ثمن الجزور كله وقال بعضهم كان لا ياخذ ولا يغرم ويكون
ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك و
يذمون من لم يفعل ويسمونه البرم وهذا اصل القمار الذى كانت تفعله العرب والمراد من الاية انواع
القمار كلها قال طاوس وعطاء ومجاهد كل شئ فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز

والكعاب روي عن علي رضي الله عنه في النرد والشطرنج انه من الميسر وفي حديث لابي داود
من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وفي اخرى لمسلم فكانما غمس يده في لحم خنزير ودمه اي في ذلك
حرام قل لمن يسألك عن تعاطيهما فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير عظيم لما يحصل بسببهما
من المخاصمة والمشاتمة والقول الفحش وارتكاب المحظور ومنافع للناس باللذة والفرح في الخمر
وكسب المال واصابته من غير تعب وكد في الميسر واثمهما اي عقاب الاثم في تعاطيهما او ما ينشا
عنهما من المفاسد اكبر من نفعهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما فالاثم في الخمر والميسر ما ذكره الله
في سورة المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن
ذكر الله وعن الصلاة قال الضحاك وغيره اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل
اثمهما اكبر من نفعهما وهو ما يحصل من البغضاء والعداوة ويسألونك ماذا ينفقون اي ما قدره قل
انفقوا العفو اي الفضل اي انفقوا ما فضل عن قدر الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون اليه وتضيعوا
انفسكم وكان التصدق بالفضل في اول الاسلام فرضا فاذا كان الرجل صاحب الزرع امسك قوت
سنته وتصدق بالزايد على ذلك واذا كان صانعا امسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخ
باية الزكاة قيل السائل هو ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية
الانفاق فقال الله لنبيه قل في جوابه انفق ما يتيسر لك بذله ولا يبلغ منه الجهد قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها
في بعض الغنائم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها
فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما
الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي مثل ما بين
ان العفو اصلح من الجهد او مثل ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف
اي تبيينا مثل هذا التبيين قال الزجاج انما قال كذلك على الواحد وهو يخاطب جماعة لان الجماعة
معناها القبيل كانه قال كذلك ايها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لان خطابه يشتمل
على خطاب الامة كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء او يبين الله لكم الايات من الامر والنهي وفي
امر النفقة لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام فتستعملون فيما هو صلاحكم في امر الدنيا و
الاخرة يعني ان الدنيا زايلة فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم
في العقبى لان الاخرة باقية وقال اكثر المفسرين معنى الاية اي هكذا يبين الله لكم الايات في امر الدنيا
والاخرة لعلكم تتفكرون وتعتبرون في زوالها وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا
فيها ويسألونك عن اليتامى اي عن مخالطتهم وذلك بعد نزول قوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن وقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية فتركوا مخالطتهم وشق
ذلك على الصحابة حتى لو كان عند رجل يتيم يجعل له بيتا على حدة وطعاما على حدة فقال
عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد عزلنا عن اليتامى بما انزل الله من الشدة افيصلح لنا ان
نخالطهم بالاصلاح فنزل قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم ولاصلاح اموالهم

خير

خير من مجانبتهم وان تخالطوهم اي ان تخلطوا نفقة اليتامى بنفقتكم على وجه الاصلاح فاخوانكم
اي فهم اخوانكم في الدين ومن شان الاخ ان يخالط اخاه ويعينه ولا يضره وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه
عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله لكلفكم ما شق عليكم بتحريم المخالطة ولم يجوز لكم مخالطتهم
والعنت المشقة ان الله عزيز غالب على ان يعنت عباده حكيم في صنعه يعني لا يكلف عباده
فوق طاقتهم ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوا ايها المسلمون الكافرات وهن الوثنيات والمشركات
نعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
حتى يؤمن اي يصدقن بالله تعالى ومحمد عليه الصلاة والسلام وقيل الاية منسوخة في حق الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ونزل لما روي انه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا
الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق اسم امراة وثنية لم تكن كتابية وكان مرثد يحبها
في الجاهلية فقالت عناق الا تخلو بي فقال مرثد ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي
فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة اي ولامراة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه خير من مشركة اي من نكاح حرة مشركة
ولو اعجبتكم لحسنها وشمايلها ولا تنكحوا المشركين اي لا تزوجوا المشركين نساءكم المؤمنات فلا يجوز
تزويج مسلمة لكافر اجماعا حتى يؤمنوا اي يصدقوا بالله ورسوله ويرفضوا شركهم ولعبد مؤمن
بالله ورسوله وهو قن خير من مشرك حر ولو اعجبكم لماله وجماله وهو تعليل للنهي عن مواصلة
المشركين وترغيب في مواصلة المؤمنين يعني نكاح عبد مؤمن من عباد الله مملوكا او رقيقا خير من تزوج
مشرك حر ولو اعجبكم تزويجه وتحبونه اولئك المذكورون من المشركين والمشركات يدعون الى النار
اي الى عمل اهلها اي الى الكفر المؤدي الى النار فلا يليق مناكحتهم وموالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اولياءه
المؤمنين على لسان رسله الى الجنة والمغفرة اي الى اعمال الجنة واسباب المغفرة من التوبة والانابة
والتقوى فالمؤمنون هم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وقدرته فيجب اجابته
بتزويج اوليائه ويبين اياته اوامره ونواهيه في امر التزويج وغيره للناس لعلهم يتذكرون
اي يتعظون وينتهون عن المعاصي اي لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في
العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض اي الحيض اي يسألونك عن الوطي في
زمان الحيض فالمحيض اسم زمان ونزل في شان رجل من الانصار اسمه ابو الدحداح سال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف نصنع بالنساء اذا حضن انقربهن ام لا وروي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا
الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والنصارى المجوس واستمر ذلك الى ان سال الانصاري وقوله سبحانه
وتعالى انما ذكر يسألونك بغير واو ثلثا ثم ذكر بالواو ثلثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة
والثلثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف العطف قل هو اذى اي الحيض
يعني الدم شيء قذر نجس يوذي من يقربه مجامعا فاعتزلوا النساء في المحيض اي اتركوا مجامعتهن ايام

حيضهن اما الملامسة والمضاجعة معها فجائز وكان اليهود والمجوس لم يساكنوا الحيض والنصارى كانوا
يجامعوهن ولا يبالون بالحيض فامرنا بالاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى ولا تقربوهن
حتى يطهرن اى لا تقربوهن بالجماع حتى يغتسلن بعد انقطاعه ويدل على وجوب الغسل بعد الانقطاع
صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش يطّهّرن بتشديد الطاء والهاء اى يتطهرن
يعنى يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه التزاما قوله عز وجل فاذا تطهرن فأتوهن بالجماع فانه
يقتضى تاخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رحمه الله ان طهرت لاكثر الحيض جاز
قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم اعنى الفرج ولا تعدوا
الى غيره ان الله يحب التوابين من الذنوب اى يثيبهم ويكرمهم على ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم اى مواضع حرثكم
وفيه دليل على تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع القبل لا الدبر شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن
من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله عز وجل فأتوهن
من حيث امركم الله انى كيف شئتم من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار اى من جهة شئتم
روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من ناحية دبرها فى فرجها كان ولدها احول فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأتوا حرثكم الاية وقدموا لانفسكم العمل الصالح كالتسمية عند
الجماع او ما يدخر لكم من الثواب او طلب الولد او الدعاء عند الجماع واتقوا الله باجتناب معاصيه
واعلموا انكم ملاقوه اى صائرون اليه بالبعث فيجزيكم باعمالكم فتزودوا وما لا تفتضحون به وبشر
المؤمنين الذين اتقوه بالجنة امر الله رسوله ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم
ولا تجعلوا الله عرضة اى نصبا للايمان بان تكثروا الحلف به لايمانكم ان تبروا وتتقوا و
تصلحوا بين الناس والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشىء وللمعرض للامر
ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف
عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق
ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وقوله ان تبروا علة للنهى اى
انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا
متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين فيكره اليمين على ذلك ويسن الحنث ويكفر خلافها على فعل الخير ونحوه
فهى طاعة وقيل لا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ولا تجعلوا الله لايمانكم عرضة لان تبروا واحسن ما قيل فى المعنى
لا تجعلوا الله علة معترضة حاجزة لما حلفتم عليه باليمين بالله على ترك فعل الخيرات من الاحسان لاحد
او صلة الرحم او اصلاح ذات البين والعبادة كالصوم والصلوة او غير ذلك من الخيرات فيقولون نحن
حلفنا بالله فنخاف من اليمين به ان نفعله فنحنث فى يميننا والاقوال كلها قريب بعضها ببعض من حيث المعنى
ومحل قوله ان تبروا اى لان لا تبروا نصب على انه مفعول له وكذا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اى لان لا تتقوا ولا
تصلحوا

تصلحوا بين الناس اى تتقيد بكراهة ان تبروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بيمين فراى خيرا
منها فليكفر وليفعل الذى هو خير وفى رواية قال صلى الله عليه وسلم لابن سمرة كما مر والاية نزلت فى الصديق
لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه وكذبه على عائشة رضى الله عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته ولا يدخل عليه فجعل يقول حلفت بالله
ان لا افعل ولا يحل لى الا ان ابر فى يمينى فصارت الاية عامة فى كل من كان يحلف بالله ان لا يحسن ولا يتقى
من العصيان فيعمل ما اشتهت نفسه وان لا يصلح بين الناس اذا وقعت فيهم العداوة والبغضاء فقال
تعالى كل ذلك خير وطاعة لا يمنعه حلفكم فان حلفتم عليها فلتكفروا عن حلفكم ولتفعلوا تلك الخيرات
من البر والتقوى والاصلاح بين الناس كما مضت على هذا المعنى الاحاديث والله سميع لايمانكم عليم
بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين
ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله بلى والله لمجرد التاكيد
لقوله فلا اثم فيه ولا كفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة
بما لا قصد ولا عزم معه الى اليمين ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها
قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما
اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث
لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون ان لا يجامعوهن
وكان الايلاء طلاق الجاهلية تربص انتظار اربعة اشهر واختلف اهل العلم فيه فذهب اكثرهم
الى انه ان حلف ان لا يقرب زوجته ابدا او سمى مدة اكثر من اربعة اشهر يكون موليا فلا يتعرض
له قبل مضى اربعة اشهر وبعد مضيها يوقف ويؤمر بان يرجع زوجته او بالطلاق بعد مطالبة المرأة
والمراد بالرجوع عما قال بالوطى ان قدر عليه وان لم يقدر فبالقول فان لم يرجع ولم يطلق طلق عليه
السلطان واحدة وذهب الى الوقف بعد مضى المدة عمر وعثمان وعلى وابو الدرداء وابن عمر رضى الله عنهم قال
سليمان ابن يسار ادركت بضعة عشر من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يقولون بوقف المولى واليه
ذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال الشافعى ومالك واحمد واسحاق رحمهم الله و
قال بعض اهل العلم اذا مضت اربعة اشهر يقع عليها طلقة بائنة وهو قول ابن عباس وابن مسعود و
قال سفيان الثورى واصحاب ابى اسماعيل ولو حلف ان لا يطأها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل هو حالف
اذا وطئها قبل مضى تلك المدة يجب عليه كفارة اليمين ولو حلف ان لا يطأها اربعة اشهر لا يكون موليا
عند من يقول بالوقف بعد مضى المدة لان بقاء المدة شرط للوقف وثبوت المطالبة بالرجوع او الطلاق وقد
مضت وعند من لا يقول بالوقف يكون موليا ويقع الطلاق بمضى المدة ومدة الايلاء اربعة اشهر فى حق الحر
والعبد جميعا عند الشافعى لانها ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المرأة عند الزوج فيستوى فيه
الحر والعبد كمدة العنة وعند مالك وابى حنيفة يتنصف مدة الايلاء بالرق غير انه عند ابى حنيفة
يتنصف برق المرأة وعند مالك برق الزوج كما قالا فى الطلاق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى
الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب برجوع ولا طلاق ولذلك قال الشافعى

رحمه الله لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر وبويت فان فاءو المؤلون اى رجعوا عن اليمين بالحنث
الى الوطى هذا بيان وتفصيل للذين يؤلون اى فهم بعد الايلاء ان رجعوا عن اليمين فى تلك الاشهر ب
جامعوا نساءهم من قبل ان تمضى المدة فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى
بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالرجوع الذى هو كالتوبة يعنى يغفر للمولين لرجوعهم عن اضرار نسائهم
بالايلاء يرحمهم بترخيص الكفارة فى ذلك واذا وطى خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة اليمين
وان عزموا الطلاق اى حققوه وصمموه بالايقاع اى اوقعوا الطلاق بترك الجماع فى المدة فان الله
سميع لقولهم بالطلاق عليم بعزمهم ونياتهم المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الرجوع او الطلاق
دفى قوله عزوجل وان عزموا دليل على انها لا تطلق بعد مضى المدة مالم يطلقها زوجها لانه شرط فيه
العزم وقال فان الله سميع عليم فدل على انه يقتضى مسموعا والقول هو الذى يسمع والمطلقات اى النساء
التى طلقن وهن مدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر
يتربصن اى لينتظرن بانفسهن عن النكاح فلا يتزوجن وفى ذكر انفسهن تهييج وبعث لهن على
التربص فان نفوس النساء طوامح ونواظر الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة
قروء اى لا يتزوجن وينتظرن مضى ثلثة قروء وثلثة على الظرف او على المفعول به اى يتربصن مضيها
والقرء جمع قرء بفتح القاف وضمها وهو الطهر او الحيض قولان وهذا فى المدخول بهن اما غير المدخول
بهن فلا عدة عليهن لقوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وان كان قد دخل بها نظر ان كانت
المراة ممن لم تحض قط او بلغت فى الكبر سن الايسات فعدتها ثلثة اشهر لقوله تعالى واللاى يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر واللاى لم يحضن وان كانت ممن تحيض فعدتها
ثلثة اقراء لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء وان كانت المراة حاملا فعدتها بوضع الحمل
سواء وقعت الفرقة بينها وبين زوجها بالطلاق او بالموت لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن وان لم تكن حاملا نظر ان وقعت الفرقة بينهما بموت الزوج فعليها ان تعتد باربعة اشهر وعشر
سواء مات الزوج قبل الدخول بها او بعده وسواء كانت المراة ممن تحيض او لا لقول الله تعالى والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة ان كانت
حاملا بوضع الحمل كالحرة وان كانت حائلا ففى الوفاة عدتها شهران وخمس ليال وفى الطلاق ان كانت
ممن تحيض فعدتها قرءان وان كانت ممن لا تحيض فشهر ونصف وقيل شهران كالقرءين فى حق من
تحيض قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينكح العبد امراتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة بحيضتين
فان لم تكن تحيض فشهرين او شهر ونصف ثم ان القرء يطلق للحيض كقوله عليه السلام دعى الصلاة ايام
اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال
من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق
الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله ان

تطلق

تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون
كل واحد من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن
بناؤها وثمرة الخلاف تظهر فى ان المعتدة اذا شرعت فى الحيضة الثالثة تنقضى عدتها على قول من
يجعلها اطهارا ويحسب بقية الطهر الذى وقع فيه الطلاق قرءا قالت عائشة رضى الله عنها اذا
طعنت المطلقة فى الدم من الحيضة الثالثة فقد برئت منه وبرئ منها ومن ذهب الى ان الاقراء
هى الحيض يقول لا تنقضى عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة وهذا الاختلاف من حيث ان اسم
القرء يقع على الطهر والحيض جميعا يقال اقرات المراة اذا حاضت واقرات اذا طهرت فهى مقرئ والترجيح
للطهر على كل حال كما ذكره محى السنة والفرض والدين ولا يحل لهن اى للمطلقات ان يكتمن ما خلق الله
فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها
مقبول فى ذلك والمعنى لا يحل للمراة كتمان ما خلق الله فى رحمها من الحمل والحيض لتبطل حق الزوج من
الرجعة والولد وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع
ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهى حائضة قد طهرت استعجالا للطلاق
ثم عظم فعلهن ذلك بقوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تنبيه على ان المؤمن خائف من
الله لا يجترئ على اخفاء ما امر الله باظهاره من الولد او الحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة
وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق اولى واحرى بردهن الى النكاح والرجعة اليهن اذا كان
الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها فى ذلك فى العدة وهى مدة ذلك التربص ان ارادوا اى اراد
الزوج والزوجة والولى بالرجعة اصلاحا بينهما وحسن المعاشرة ولم يريدوا اضرارهن كما كانوا يفعلون
فى الجاهلية كان الرجل يطلق امراته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم تركها مدة ثم طلقها فاذا قرب
انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة عليها ولهن اى وللنساء على ازواجهن
مثل الذى لهم عليهن على النساء من الحقوق بالمعروف اى بما عرف شرعا يعنى لا يكلفن الرجال ما ليس لهن
ولا يكلفهن الرجال ما ليس لهم فى الشرع او فى عادة الناس من المهر والنفقة والخلق والتزين قال
ابن عباس فى معناه انى احب ان اتزين لامراتى كما تحب امراتى ان تتزين لى وللرجال عليهن درجة
زيادة فى الحق وفضل فيه اى بعد اشتراكهما فى اللذة لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن المهر والنفقة
وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن وقيام بمصالحهن او بالعقل
والشهادة والميراث والدية وطلاق المراة بيد الرجل وبالرجعة والله عزيز بالانتقام ممن يعصى امره
حكيم لا يامر الا بما هو صواب وحسن او حكيم بالحكم بالرجعة فى الطلاق الرجعى الطلاق مرتان
اى التطليق الرجعى اثنتان اى الطلاق الذى يملك الرجعة عقيبه مرتان فاذا طلق ثلثا لا تحل الا بعد
نكاح زوج اخر لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان
وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قال ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله
الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك اى اذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعلى الزوج ان
يمسكها بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة من غير ضرار والمعروف كل ما يعرف فى الشرع من اداء حقوق

النكاح وحسن الصحبة او تسريح ارسال لهن باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى
تنقضي عدتها وتحسن اليها باداء حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس
عنها وصريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلثة الطلاق والفراق والسراح وعند ابي حنيفة
الصريح هو لفظ الطلاق وجملة الحكم في التطليق ان الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها
يجوز له مراجعتها بغير رضاها ما دامت في العدة وان لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل
الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها فان طلقها ثلثا فلا تحل له
ما لم تنكح زوجا غيره اما العبد اذا كانت تحته امة وطلقها طلقتين فانها لا تحل له الا بعد نكاح زوج
اخر واختلف اهل العلم فيما اذا كان احد الزوجين رقيقا فذهب اكثرهم الى انه يعتبر عدد الطلاق
بالزوج فالحر يملك على زوجته الامة ثلث طلقات والعبد يملك على زوجته الحرة الا طلقتين قال
عبد الله بن مسعود الطلاق بالرجال والعدة بالنساء يعني يعتبر في عدد الطلاق حال الرجل وفي قدر
العدة حال المراة وهو قول عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس وبه قال عطا وسعيد بن المسيب واليه
ذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق رحمهم الله وذهب قوم الى ان الاعتبار بالمراة في عدد الطلاق
فيملك العبد على زوجته الحرة ثلث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين وهو قول سفيان
الثوري وابي اسماعيل ولا يحل لكم ايها الحكام والقضاة والاولياء او ايها الازواج على خلاف في ذلك
ان تاخذوا مما آتيتموهن اي اعطيتموهن من المهور وغيرها شيئا اذا طلقتموهن ثم استثنى
الخلع فقال الا ان يخافا اي يعلم او يظن الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا
يقيما حدود الله يعني ان لا يحفظا اوامر الله ونواهيه المعروفة شرعا في حسن الصحبة والعشرة
اي ان لا يأتيا بما حق لهما من الحقوق اي من مواجب الزوجية المراة يخافا على البناء للمفعول وابدال
ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال اي تعلم القاضي والحكام والولي عدم اقامة الحدود الشرعية بين الزوج
والمراة فتشتري نفسها بالخلع والفرقة يخافا بفتح الياء اي يعلم الزوجان من انفسهما عدم اقامة الحدود
يعني تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امراته ان يعتدي عليها فنهى
الله الرجل ان ياخذ من امراته شيئا مما آتاها الا ان يكون النشوز من قبلها فقالت لا اطيع لك امرا
ولا اطأ لك مضجعا ونحو ذلك فان خفتم علمتم ايها الحكام والقضاة والاولياء الا يقيما اي
ان لا يحفظ الزوجان حدود الله المعروفة في اصلاح الزوجية بينهما فلا جناح اي لا حرج ولا اثم
عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به يعني ليس على الزوج اثم في اخذ ما افتدت المراة به نفسها واختلعت
ولا حرج على المراة في اعطائه والاية نزلت في جميلة اخت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس وكانا مؤمنين متحابين اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتبه عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم
وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والاعطاء اليهم
لانهم الآمرون بالاخذ والاعطاء وقيل انه خطاب الازواج وما بعده يعني فان خفتم خطاب الحكام وهو

يشوش

يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة اقول اورد الامام هذا السؤال على القراءة المشهورة بان
قال فان قيل اذا كان الخطاب في قوله عز وجل ولا يحل لكم ان تاخذوا للازواج لم يطابقه قوله
فان خفتم ان لا يقيما حدود الله ثم اجاب عنه بقوله يجوز ان يكون اول الاية خطابا للازواج
واخرها خطابا للائمة والحكام وذلك غير عزيز في القرآن تلك حدود الله اي ما حد من الاحكام
المذكورة يعني اوامره ونواهيه وقيل حدود الله مانع الشرع من المجاوزة عنه فلا تعتدوها
اي لا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله اي يتجاوزها فاولئك هم الظالمون
اي الضارون بانفسهم يعني من تجاوز عن الطلاقين والامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان فقد
ظلم نفسه واستحق العقوبة وقد قال الله فيما قبل الطلاق مرتان فان طلقها يعني الطلقة الثالثة
فلا تحل له تلك المراة للزوج من بعد اي بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح اي حتى تتزوج
تلك المراة زوجا غيره اي غير المطلق فيجامعها وترك الدخول بها بالسنة المحمدية قال صلى
الله عليه وسلم لامراة رفاعة حين طلقها ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير واتت رسول الله
وقالت يا رسول الله طلقني رفاعة فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل
هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية وان كانت مطلقة لكن قيدتها السنة وتعلق بظاهر
الاية من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة للحديث والنكاح
بشرط التحليل فاسد عند اكثر العلماء وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم المحلل والمحلل له قوله تعالى فان طلقها تفسير لقوله تعالى او تسريح باحسان ومتعلق بقوله
تعالى الطلاق مرتان اعترض ذكر الخلع بين المتعلق والمتعلق وعن عايشة رضي الله عنها ان
امراة رفاعة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي
الحديث وفي رواية انها لبثت مدة ما شاء الله ثم رجعت الى النبي عليه السلام فقالت ان زوجي
الاخر قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الاخر ثم ادعت
في خلافة ابي بكر فردها ثم اتت الى عمر في خلافته فردها وقال لها لئن رجعت لارجمنك وظاهر
الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن
الزوايد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها
رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد
عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع من العقد
لا يدل على فساده فان طلقها الزوج الثاني باختياره بعد الجماع فلا جناح عليهما اي على
الزوجة المطلقة عن الزوج الثاني وعلى الزوج الاول ان يتراجعا اي يرجع كل واحد منهما
الى صاحبه بنكاح جديد بعد انقضاء العدة ان ظنا اي غلب على ظنهما ورجوا وانما فسر
بغلبة الظن والرجاء دون العلم لان احدا لا يعلم ما هو آت الا الله لان عواقب الامور غيب تظن
ولا تعلم ان يقيما حدود الله اي يكون بينهما الصلاح وحسن المعاشرة والصحبة بان لا يخافا ما

الله وشرعه من حقوق الزوجية وتلك اى الاحكام المذكورة حدود الله شرعها الله لعباده
يبينها يفصلها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم ونزل فيمن طلق امراته فلما دنت
عدتها من الخروج راجعها ثم طلقها مضارة لها قوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اى قاربن انقضاء العدة لا الانقضاء حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ
ههنا الدنو من الشيء على الاتساع ليصح ان يرتب عليه قوله الآتي فامسكوهن وفي قوله تعالى بعد هذا فبلغن اجلهن
حقيقة انقضاء العدة فامسكوهن اى فراجعوهن واحفظوهن من غير ضرار بمعروف بان يشهد على
رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي عندنا او سرحوهن بمعروف اى اتركوهن حتى تنقضي
عدتهن من غير تطويل ولا تمسكوهن ضرارا اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق
يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى الله عن ذلك لتعتدوا
اى لتظلموهن بتطويل الحبس اى لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس او الالجاء الى الافتداء
بالمال والخلع واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك اى الاضرار فقد ظلم
نفسه اى اضر بنفسه بمخالفة امر الله تعالى وتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا
لان الله قال فامساك بمعروف او تسريح باحسان وكل من خالف امر الشرع في اي شيء كان فهو متخذ
آيات الله هزوا وكان بعض الناس يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه
عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق اى لا تتخذوا
آيات القرآن هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها فيكون تهديدا عظيما للعصاة من اهل
الصلاة ونحوها فكانه قيل جدوا في الاخذ بالآيات والعمل بما فيها واذكروا نعمة الله عليكم التي
من جملتها الاسلام والهداية اليه وبعثة محمد عليه السلام بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم
من الكتاب القرآن والحكمة اى السنة وما في القرآن من الاحكام والفقه في الدين والموعظة للعمل
يعظكم الله به اى بما انزل عليكم بان تعملوا به وتشكروا نعمة ربكم واتقوا الله من المخالفة
واعلموا ان الله بكل شيء عليم اى بسركم وجهركم من اعمالكم فيجازيكم به فهو تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن قال عالم قريش محمد بن ادريس الشافعي
رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اقول يعني مراد الامام ببلوغ الاجل في هذه
الآية انقضاء العدة وفي الآية المذكورة المشارفة على الانقضاء فلا تعضلوهن اى ايها
الاولياء لا تحبسوهن وتمنعوهن من ان ينكحن ازواجهن المطلقين لهن والآية نزلت
في معقل بن يسار حين منع اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول اعني ابي الدحداح بالاستيناف
فيكون دليلا على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي ومنعه معنى
ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه سبب توقفه على اذنهن فالمخاطب بقوله عز وجل فلا تعضلوهن
الاولياء وقيل الازواج الذين يعضلون ويمنعون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركوهن يتزوجن
عدوانا او قسرا وظلما لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم
والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل

الحبس

الحبس والتضييق وتمام الحكاية ان معقل بن يسار قال زوجت اختا لي من رجل فطلقها حتى
اذا انقضت عدتها جاء يخاطبها فقلت له زوجتك وفرشتك واكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها
لا والله لا تعود اليك ابدا وكان الرجل لا باس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فانزل الله فلا
تعضلوهن الآية فقلت الآن افعل يا رسول الله فزوجتها اياه اذا تراضوا اى الازواج والنساء وهو
ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بينهم بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة يعني بما يحسن في
الدين من نكاح جديد ومهر صالح ذلك اى نهي الاولياء عن العضل يوعظ به اى يؤمر به من
كان منكم يؤمن يصدق بالله واليوم الآخر لانه المنتفع به والمتعظ ثم رجع الى خطاب المؤمنين فقال
ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر من ترك العضل ازكى لكم انفع واصلح وخير لكم واطهر لقلوبكم ولهن
لما يخاف على الزوجين بسبب العلاقة بينهما من الريبة والله يعلم ما فيه لكم من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون ذلك لنقص علمكم فاتبعوا امر الله فيكم او يعلم من حب كل واحد منهما لصاحبه ما لا تعلمون
انتم والوالدات اى المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن او غير المطلقات يرضعن اولادهن صيغة
خبر بمعنى الامر وهو امر استحباب لا امر ايجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد
لقوله تعالى في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن فان رغبت الام في الارضاع فهي اولى من
غيرها وقد يكون الامر للوجوب فيختص بما لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن
الاستئجار حولين كاملين اى سنتين وذكر الكمال للتاكيد لانه مما يتسامح فيه كقوله تعالى تلك عشرة كاملة
وقد سمى العرب بعض الشهر شهرا كاملا كما قال عز وجل الحج اشهر معلومات وانما هو شهران وبعض
الثالث وكذلك في قوله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وانما يتعجل في يوم وبعض يوم وقد اشرنا
فيما قبل الى هذا المعنى فالحولان مدة الرضاع المثبت للحرمة قال قتادة فرض الله على الوالدين الارضاع
حولين كاملين ثم انزل الله التخفيف لمن اراد ان يتم الرضاعة ولا زيادة عليه فهو بيان لمن توجه
اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اى يجب عليه وهو الذي يولد له يعني الاب فان الولد يولد
للوالد وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن على الارضاع اذا كن مطلقات اى اجرة لهن من الطعام واللباس والدراهم واختلف في استيجار
الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة له او معتدة نكاحه بالمعروف حسب ما يراه
الحاكم ويفي به وسعه وطاقته لا تكلف نفس الا وسعها اى بقدر طاقتها فقوله لا تكلف تفسير
لقوله بالمعروف يعني بقدر الميسرة ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه
وتعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف لا تضار والدة بولدها اى لا يأخذ الاب الولد من الام
ويدفعه لغيرها بعد ان رضيت بارضاعه ولا يضار مولود له بولده بسببه اى بان تلقي الولد الى
ابيه بعد ما الف الولد بامه اى تقول الام للاب خذ له ظئرا ترضعه فلا يجوز ان يفعل كل منهما مثل
ذلك الاضرار الى صاحبه والقراءة لا تضار بالرفع معناه نفي اى لا يضار معلوما والقراءة لا تضار بفتح
الراء مجهولا على الخبر نهي مجزوم حركت لالتقاء الساكنين اى لا تضر قال السلطان اى لا تكلف

كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد واضافة الولد الى كل منهما في الموضعين للاستعطاف
والشفقة وعلى الوارث اى على وارث الاب وهو الصبي المخلف من الميت اى على ولي الصبي في مال الصبي مثل
ذلك اى مقدار الذي كان على الاب للوالدة من الرزق والكسوة اى مؤنة المرضعة من مال الصبي اذا مات
الاب وقيل المراد بالوارث الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي
اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقال ابو حنيفة وارثه المحرم منه وهو عطف على قوله وعلى المولود له
رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض فان ارادا اى الوالدان فصالا فطاما للصغير قبل الحولين
صادرا عن تراض اى عن اتفاق منهما وتشاور بينهما ليظهر مصلحة الصبي فيه يعني تشاورهما
العلماء ان الفطام لا يضر الولد وانما اعتبر اتفاق الوالدين لما في الاب من الولاية والام من الشفقة
فلا جناح اى لا حرج ولا اثم عليهما في الفطام قبل الحولين وان اردتم ايها الآباء ان تسترضعوا
اولادكم اى لاولادكم مراضع غير امهاتهم اذا ابت امهاتهم ان ترضعهم او لعذر وعلة بهن
كانقطاع اللبن او ارادت النكاح فلا جناح عليكم في ذلك واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع
للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى امهاتهم او المراضع ما آتيتم القراءة بالقصر اى جئتم
به يعني الذي سميتم لهن من اجرة الرضاع وشرطتم لهن من ذلك وبالمد اى اعطيتم لهن من الاجرة
بقدر ما ارضعن وقيل اذا سلمتم اجور المراضع اليهن وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من
الاجرة بالمعروف اى اذا سلمتم بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وفي عبارة اى بالجميل كطيب النفس
من غير ضرار وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل للسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل
واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون
بصير اى لا يخفى عليه شيء من الاضرار وغيره فيجازيكم به فيه حث وتهديد والذين يتوفون اى
والازواج الذين يموتون وتستوفى آجالهم وارواحهم منكم ويذرون اى يتركون ذلك الازواج ازواجا
نساء يتربصن اى ينتظرن يعني يعتددن بعدهم بانفسهن عن التزوج بترك الزينة والطيب
والنقلة على فراق ازواجهن اربعة اشهر وعشرا اى هذه المدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع
الحمل والامة العدة الحامل على النصف من ذلك ثبت بالسنة وكان في ابتداء الاسلام حولا كاملا فنسخت
باربعة اشهر وعشرا وانما قال عشرا بالتانيث من غير تاء باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام
او لان التاريخ بالليالي لكونها اول الشهور والايام تابعة لها والحكمة في هذه المدة ان فيها ينفخ الروح
في الولد وجاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها
وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال عليه السلام لا ثم قال انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كانت
احداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول يعني كانت المراة اذا توفي عنها زوجها دخلت
بيتا صغيرا ولبست شر ثيابها لم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر بها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة
او طير فتفتض به اى تمسح قبلها ما تفتض بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع
ما شاءت من طيب وغيره فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء
او الحكام والائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من اختيار الازواج دون العقد فان

العقد

العقد الى الولي عندنا او فيما فعلن من التزين للرجال الخطاب وزينة لا ينكرها الشرع بالمعروف اى
بالوجه الذي عرف شرعا في التزين والاحداد واجب على المراة في عدة الوفاة والله بما تعملون خبير
عالم بباطنه كظاهره فيجازيكم عليه او عالم بالطاعة والتخلف بالمعصية ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
اى لا حرج ولا باس عليكم في الكلام الذي تعرضونه للمراة المتوفى زوجها اى تلوحونه وتشيرون اليها من
خطبة النساء المتوفى عنها زوجها في العدة اى من طلب نكاحها بالتخاطب في امره بان تقولوا من غير تصريح
ارادة النكاح انك لجميلة او انك لتعجبين او انك لموافقة لي ونحو ذلك من الكلام الموهم حتى تحبس
نفسها على القابل به فهذا هو التعريض او اكننتم اى او في كلامهم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا بالتصريح
ولا بالتعريض من قصد نكاحهن علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن
الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ يعني ستذكرونهن بالخطبة وطلب نكاحها فاباح لكم التعريض شفقة
عليكم وتخفيفا علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن
ولكن لا تواعدوهن سرا بالوطء والجماع عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه
اى لا تقولوا في العدة اني قادر على الجماع والوطء وقال قوم السر هو الزنا كان الرجل يدخل على المراة
لاجل الزنا بها وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا اوفيت عدتك اظهرت نكاحك هذا
قول الحسن وقتادة وابراهيم وعطاء وقيل معنى السر لا تقولوا تنبني بنفسك فاني ناكحك وقيل
معناه لا ياخذ ميثاقها ان لا تنكح غيره قال الشافعي رحمه الله السر هو الجماع وقيل لا تذكروهن
كثرة جماعكم الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف
اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا يعني ما عرف شرعا من التعريض فكلم ذلك
فقط وانتهوا عما يخالفه وفيه دليل على حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة
وفاة كما اشرنا اليه واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم
مبالغة في النهي عن العقد اى لا تحققوا العزم على عقد عقدة النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب اجله
اى حتى ينتهي ما فرض الله من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه
ان يعاقبكم اذا عزمتم على ما لا يجوز واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم
لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم اى لا تبعة عليكم من ايجاب مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة
في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا
فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى لم تمسوهن اى لم تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء
ومد الميم في جميع القرآن لان الفعل واقع بين الاثنين او تفرضوا لهن اى ولم تفرضوا لهن فريضة اى صداقا
ومهرا نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فلما
نزلت الآية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك وقيل لا سبيل للنساء عليكم ان طلقتموهن
قبل الدخول والفرض او لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت شئتم حائضا كانت المراة او
طاهرا لانه لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بخلاف المدخول بها لا يجوز تطليقها في حال الحيض وفي
اخرى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذا كان

ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية
ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن اى
اعطوهن ما يتمتعن به وهو عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر
ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله تعالى على الموسع قدره اى على الغنى
منكم ما يطيقه ويليق به وعلى المقتر اى الضيق الرزق قدره اى بقدر يسره وضيقه ويدل عليه
قوله عليه السلام في الحديث المذكور متعها بقلنسوتك واستفيد منه انه لا نظر الى قدر الزوجة
وقال ابو حنيفة رحمه الله المتعة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها
عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها
الزوج والحق بها الشافعي رحمه الله في اصح قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم
على المفهوم وقال ابن عباس اعلى المتعة خادم واوسطها ثلثة اثواب درع وخمار وازار ودون
ذلك وقاية او شيء من الورق وبه قال الشعبي والزهري وهو مذهب الشافعي رحمهم الله قال اعلاها
على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها اقل ماله ثمن وحسن ثلثون درهما ومتع عبد الرحمن بن عوف
بجارية سوداء ومتع الحسن بن علي امراة له بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق
وفي رواية قال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا تجاوز والاية
تدل على انه يعتبر حال الزوج في العسر واليسر ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها
على غير مهر يصح النكاح وللمراة مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه
مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض والدخول فلها المتعة وان مات احدهما قبل الدخول والفرض
فاختلف اهل العلم في انها هل تستحق المهر ام لا فذهب جماعة ان لا مهر لها وهو قول علي وزيد بن
ثابت وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس كما لو طلقها قبل الفرض والدخول وذهب قوم الى ان
لها المهر لان المهر كالدخول في تقرير المسمى كذلك في ايجاب مهر المثل اذا لم يكن في العقد مسمى وهو
قول اصحاب ابي حنيفة واحتجوا بما روي عن علقمة عن ابن مسعود انه سئل عن رجل تزوج امراة
ولم يفرض لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها صداق نسائها لا وكس ولا شطط
وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الاشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع
بنت واشق امراة منا مثل ما قضيت ففرح بها ابن مسعود قال الامام الشافعي رحمه الله فان
ثبت حديث بروع بنت واشق فلا حجة في قول احد دون النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يثبت فلا مهر
لها ولها الميراث وكان علي كرم الله وجهه يقول في حديث بروع لا يقبل قول اعرابي من اشجع على
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متاعا اى تمتيعا اى متعوهن متاعا على انه مصدر
موكد لفعله بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة ثانية لمتاعا او مصدر موكد لفعله
او حق ذلك حقا على المحسنين المطيعين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او
الى المطلقات بالتمتيع وصفهم بالاحسان قبل الفعل باعتبار ما يؤل اليه كقوله عليه السلام من
قتل قتيلا فله سلبه ثم بين حكم المراة التي سمى لها مهرا في الطلاق قبل المس فقال وان طلقتموهن

من

٢ من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضة اى سميتم لهن صداقا
فنصف ما فرضتم اى فالواجب على الزوج نصف ما فرض لزوجته من المهر الا ان يعفون
اى الا الزوجات المطلقات [illegible] ان يتركنه فلا ياخذن منهم شيئا فخرا وهن على
الله على احسابهن اليهم او يعفوا الذي بيده عقدة النكاح اى او يعفو الزوج الذي هو مالك لعقد
النكاح وحله عما يعود اليه بالتشطير فيترك لها الكل اى يسوق المهر اليها كملا فجزاؤه على الله
وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا
الحنفية وقيل معناه ان يترك الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المراة صغيرة وهو قول
قديم للشافعي رحمه الله وان تعفوا اقرب للتقوى الخطاب للازواج والزوجات على سبيل التغليب
ذكره الزجاج اى عفو الزوج باعطاء كل المهر خير له وعفو المراة باسقاط كل المهر خير لها
وان تعفوا مبتدا اى وعفوكم واقرب للتقوى خبره ولا تنسوا الفضل بينكم اى ان يتفضل بعضكم
على بعض باعطاء تمام الصداق او بترك المراة نصيبها حثهما على الاحسان ان الله بما تعملون بصير
اى لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات الخمس بالاداء لوقتها والمداومة عليها لعل
الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى
هي العصر كما في الحديث رواه الشيخان وافردها بالذكر لفضلها قال صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في
وقتها واجتماع الملائكة وقد ذهب الى هذا اكثر المفسرين من مذهبنا ومذهب ابي حنيفة وقال عمر وابنه
وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة ومجاهد والشافعي ومالك رحمهم الله بانها صلاة الفجر
لان الله تعالى قال وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلاة الصبح مخصوصة بطول القيام
والقنوت ولان الله تعالى خصها في اية اخرى من بين الصلوات فقال وقران الفجر ان قران الفجر
كان مشهودا يعني يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان الليل وديوان النهار
ولانها بين صلاتي جمع وهي لا تقصر ولا تجمع الى غيرها وعلى كل حال اذا صح الحديث فهو مذهب امامنا
وساير الائمة وقال زيد بن ثابت وابو سعيد الخدري واسامة بن زيد انها صلاة الظهر لانها في
اوسط صلوات النهار في الطول وقال قبيصة هي صلاة المغرب وذهب بعض المتاخرين الى انها
صلوة العشاء لانها بين صلاتين لا تقصران وقال بعضهم هي احدى الصلوات الخمس لا بعينها
ابهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على اداء جميعها كما اخفى ليلة القدر في شهر رمضان
وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها وكان
بريدة يقول لاصحابه بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر
حبط عمله وكان في مصحف عائشة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلوة العصر و
قوموا لله قانتين وكانت تقول هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم
انها الصلاة التي شغل عنها سليمان عليه السلام حين توارت بالحجاب وقوموا لله في
الصلاة قانتين اى ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر في القيام وقيل خاشعين مطيعين وقال

عن ازواجهن

ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح ويؤيده قوله مطيعين ما رواه احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم
قال كل قنوت فى القران فهو طاعة وقيل ساكتين لحديث زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلاة حتى
نزلت فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الشيخان **فان خفتم** من عدو او سبيل او سبع
فرجالا جمع راجل اى مشاة صلوا **او ركبانا** جمع راكب اى فصلوا راجلين وراكبين كيف امكن
مستقبل القبلة وغيرها ويومى بالركوع والسجود ولو فى حال المسايفة هذا عندنا وعند ابى حنيفة
لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الكل لا ينقص عدد الركعات وعن ابن عباس
صلاة الخوف ركعة وقال سعيد بن جبير اذا كنت فى القتال وضرب الناس بعضهم بعضا
فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلاتك فهذه صلاة شدة
الخوف وسائر الاقسام سياتى بيانها فى سورة النساء ان شاء الله تعالى **فاذا امنتم** بزوال خوفكم
فاذكروا الله اى صلوا صلاة الامن او اشكروه على الامن **كما علمكم** اى ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع
وكيفية الصلاة حالتى الخوف والامن او شكرا يوازيه والكاف بمعنى المثل وما موصولة او مصدرية
ما لم تكونوا تعلمون قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها فقوله ما لم الخ مفعول علمكم **والذين يتوفون**
منكم يا معشر الرجال **ويذرون** يتركون **ازواجا** نساء من بعدهم **وصية لازواجهم** قراها
بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية
او ليوصوا وصية على انه مفعول مطلق لفعل محذوف فيهما او وكتب الله عليهم وصية على انه مفعول به
لكتب او الزم الذين يتوفون وصية على انه مفعول ثان لالزم ومفعوله الاول قوله الذين يتوفون ويؤيد
ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير وصية
الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم
وصية وقرئ متاع بدلها ولحفظوهن **متاعا** اى ما يتمتعون به من النفقة والكسوة **الى** تمام
الحول من موتهم **غير اخراج** حال من ازواجهم اى غير مخرجات من مساكنهن ومعنى الاية انه
يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى
والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا كما ذكرنا وهو وان كان
متقدما فى التلاوة اى نقرؤه قبل هذه الاية فهو متاخر فى النزول عن هذه الاية وسقطت النفقة
بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه الله فان عنده ليس
لها السكنى **فان خرجن** اى من قبل انفسهن من منزل الازواج قبل الحول من غير اخراج الورثة
فلا جناح عليكم يا اولياء الميت او ايها الائمة والقضاة والحكام **فيما فعلن فى انفسهن** كالتطيب
والتزين للنكاح وترك الاحداد وقطع النفقة عنها **من معروف** مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه
لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها **والله عزيز** ينتقم مما خالف منهم لعزته فى ملكه **حكيم** فى صنعه يراعى مصالحهم
يعنى عن يزلن ظلم وحكيم فى امره **وللمطلقات متاع** يعطونه **بالمعروف** بقدر الامكان **حقا** منصوب
بفعله المقدر **على المتقين** من عقاب الله وفى الاية اثبات المتعة للمطلقات جميعا بعد ما اوجبها

للواحدة منهن وانما اعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك ان فى غيرها حكم غير الممسوسة وفى هذه الآية
بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله
تعالى حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل فقال الله
تعالى وللمطلقات متاع جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال حقا على المتقين يعنى المؤمنين المتقين الشرك
كذلك اى مثل ما سبق من احكام الطلاق والعدد اى كما بين لكم ما ذكر **يبين الله لكم اياته**
وعد منه سبحانه بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام والشرائع الاسلامية ما يحتاجون اليه
معاشا ومعادا **لعلكم تعقلون** لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها **الم تر** اى الم تعلم يعنى قد انتهى
علمك **الى** خبر **الذين خرجوا من ديارهم** اى من بلادهم يعنى اهل داوردان قرية قبل واسط
وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضائه
وقدره او يريد قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية
ايام ثم احياهم او فروا من طاعون وقع بينهم **وهم الوف** اى اكثر من عشرة آلاف على احسن الاقوال
فى ذلك **حذر** اى خوف **الموت** مفعول له **فقال لهم الله موتوا** فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى
فهم ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا
وتهويلا **ثم احياهم** بعد ثمانية او اكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر الحاء المهملة والقاف وسكون الزاى فعاشوا
دهرا عليهم اثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن واستمرت الى الآن فى اسباطهم رائحة الموتى وقيل
مر حزقيل بن بوزى ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل
كان بعد موسى يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت
عجوزا فسالت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها قاله الحسن ومقاتل هو ذو الكفل
وسمى حزقيل ذا الكفل لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على اولئك الموتى وقف
عليهم وتفكر فيهم متعجبا وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فاوحى الله اليه انى قد جعلت
حياتهم اليك فقال حزقيل قوموا باذن الله فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة
القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء
وليعلموا ان الحذر لا يغنى من القدر وهو تبكيت لمن يفر من القضاء المحتوم **ان الله لذو فضل**
على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا او قص عليكم حالهم لتستبصروا ولو شاء الله لتركهم
موتى الى يوم البعث **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اى لا يشكرونه كما ينبغى او لا يعتبرون ذلك او
لا يستبصرون على ان المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقيل المراد بالاكثر غير الشاكر هم الكفرة
وقاتلوا فى سبيل الله اى لاعلاء دينه لما بين ان الفرار من الموت لا ينفعهم امرهم بالقتال اذ لو جاء
اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب وقيل خطاب لهذه الامة بالجهاد واكثر المفسرين على
انه خطاب للهاربين بعد ما احياهم الله **واعلموا ان الله سميع** لما يقوله المتخلف والسابق **عليم**
بما يضمرانه من الاغراض فى الجهاد اما لله او للرياء فيجازيكم على ذلك قوله **من ذا الذى**
يقرض الله من استفهامية مبتدا وذا خبره والذى صفة ذا او بدل له واقراض الله مثل لتقديم

العمل الذي يُطلب به ثوابه قرضاً حسناً اي اقراضاً مقروناً بالاخلاص وطيب النفس او مقرضاً
حلالاً طيباً وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له اي فيزيد له
جزاءه وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في
معنى أيقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وقرأ ابن عامر ويعقوب بالنصب
اضعافاً كثيرة قال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله والآية نزلت في شأن ابي الدحداح حين
سأل النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال يا رسول الله ان لي حديقتين لو تصدقت باحديهما اكان لي مثلها
في الجنة قال نعم فالمعنى من يعطي عباد الله لله يجازيه الله عليه كيف شاء قال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول يوم القيمة ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال فيقول يا رب كيف اطعمك وانت رب
العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ثم اخبر ان
التصدق لا يمكنهم الا بتوفيق الله فقال والله يقبض اي يقتر على بعض ويبسط اي يوسع على بعض
حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون في الآخرة
بالبعث فيجازيكم باعمالكم وقال قتادة الهاء راجعة الى التراب كناية عن غير مذكور اي من
التراب خلقهم واليه يعودون ألم تر اي اني قد علمتك ذلك باعلام مني حتى حققت معرفته الى
الملأ الجماعة من الرؤساء والاشراف والاعيان يجتمعون للتشاور فتملأ ابهتهم القلوب جلالة
والعيون مهابة من بني اسرائيل من بعد موسى اي من بعد وفاته اي الى قصتهم وخبرهم
اذ قالوا لنبي لهم وكان ملوكهم مطيعين لانبيائهم وهو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث
لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميراً ننهض معه للقتال تنتظم به كلمتنا ونرجع الى رأيه
وما سألوا هذا حتى ظهرت فيهم البدع ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان وظهر لهم عدو يقال لهم
البلساثا وهم قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة وسبوا
كثيراً من اشرافهم وذراريهم قال النبي لهم هل عسيتم استفهام شك اي لعلكم واتوقع منكم عدم
القيام بما امركم به ان كتب فرض عليكم القتال مع ذلك الملك الا تقاتلوا اي لا تفوا بما تقولون
والمعنى هل قاربتم الا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون وتجبنون عن الحرب فدخل هل
هل للتثبيت والتقرير بان المتوقع كائن لا محالة قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله
اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وقد عرض لنا ما يوجب
القتال وهو الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة غلبوا
على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين قال
محي السنة ظاهر الآية يدل على العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا
ملكاً كانوا في ديارهم واوطانهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى الآية انهم قالوا مجيبين لنبيهم انا انما
كنا نزهد في الجهاد اذ كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاما اذ بلغ ذلك فنطيع ربنا
في الجهاد ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في سبيل الله تولوا عن
الحرب وجبنوا الا قليلاً منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدة اهل بدر وهم

الذين

الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد
وسأل النبي ربه ارسال ملك فاجابه الى ارسال طالوت وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكاً طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتاً من الطول تعسف يدفعه منع صرفه
روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصاً يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
فلما عرّفهم نبيهم ان طالوت ملكهم قالوا مستبعدين مع شأنهم بعدم المخالفة اني يكون له الملك علينا
اي من اين له ذلك ويستأهل التملك ونحن احق بالملك منه وراثة ومكنة لانه ليس من سبط
المملكة ولا النبوة وفينا من هو احق بالملك وهو فقير وكان رجلاً دباغاً او راعياً او سقاءً والواو
في ونحن للحال وعطف عليه قوله ولم يؤت اي لم يعط سعة من المال حتى يستعين به على اقامة
الملك وانما قالوا ذلك لانه كان فقيراً من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في
اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال النبي لهم ان
الله اصطفاه اختاره للملك والسلطنة عليكم وزاده بسطة بالسين والصاد اي سعة في العلم
والجسم قيل انه كان اعلم بني اسرائيل بالديانات وامور الحرب في وقته وكان اطول من كل انسان برأسه
ومنكبه وانما ذكر هذين الوصفين فيه لان الانسان يكون اعظم في النفوس بالعلم واهيب في القلوب
بالجسم والله يؤتي ملكه من يشاء ايتاءه لا اعتراض عليه ولا منازع له في ذلك والله واسع
كثير الفضل والعطاء عليم بمن هو اهل للملك ويليق به من النسب وغيره ولما طلبوا علامة من نبيهم
على كونه ملكاً عليهم قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق يريد
به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموهاً بالذهب نحواً من ثلثة اذرع في ذراعين
فيه سكينة من ربكم الضمير في فيه للاتيان اي في مجرد اتيان التابوت اليكم سكون لكم وطمأنينة
من الله او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا
قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل لا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد صلى الله عليهم وسلم
انزله على ادم واستمر اليهم فغلبتهم العمالقة عليه واخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم
ويقدمونه ويسكنون اليه في القتال ثم رده الله على بني اسرائيل حين شاء وقيل التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية
اي وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هرون وذلك المتروك رضاض الالواح وعصا موسى ونعلاه
وثيابه وعمامة هرون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم والآلهما انفسهما والآل مقحم لتفخيم
شأنهما او ابناؤهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى
فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار
عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا
بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين

اى ان فى رجوع التابوت اليكم علامة ان الله تعالى قد ملك طالوت عليكم ان كنتم مصدقين ويحتمل ان
يكون من تمام كلام النبى وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلذلك واطاعوا لطالوت فجهز
طالوت وخرج بالجنود وهم سبعون الفا فلما فصل اى خرج من بيت المقدس طالوت بالجنود لقتال
العمالقة روى انه عليه السلام قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما
اختاره ثمانون الفا وفى رواية سبعون كما ذكرنا وكان الوقت شديد الحر فسلكوا مفازة وسالوا ان
يجرى الله لهم نهرا قال طالوت بوحى اليه لانه جعله نبيا وقيل اخبره نبيهم وهو اخر قومه ان
الله مبتليكم بنهر وهو نهر بين الاردن وفلسطين اى معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه وذلك
ليظهر عند طالوت من كان مخلصا فى نيته من غيره ليميزهم من العسكر لان من لا يريد القتال اذا خالط
عسكرا يدخل الضعف فى العسكر فينهزمون لشومه فقال طالوت فمن شرب منه اى كرع فيه
فليس منى اى فليس من اهل دينى واتباعى على عدوى ومن لم يطعمه اى لم يذقه فانه منى اى من اهل دينى
الا من اغترف غرفة بالفتح والضم بيده فاكتفى بها ولم يزد عليها فانه منى الغرفة بالضم اسم ملء الكف
وبالفتح مصدر لمرة ومحل الا من نصب على الاستثناء من قوله فمن شرب والمعنى ان الغرفة مباحة لكم
ولا رخصة فيما زاد على ذلك فشربوا منه اى ما امتثلوا فكرعوا وافرطوا فى الشرب كانهم ما سمعوا
الغرفة الا قليلا منهم لم يكرعوا خوفا من الله واكتفوا بالغرفة والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
وقيل ثلثة الاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه
عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة وقيل ان طالوت لما
راى منهم عدم الامتثال منع الكارعين عن الذهاب معه وامسك معه المخلصين وعلم ذلك بسواد الشفة
فلما جاوزه اى قطع النهر هو اى طالوت والذين امنوا معه اى المؤمنون ودنوا الى عسكر جالوت
وراوه قالوا اى بعضهم لبعض من الكارعين لا طاقة لنا اليوم اى لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده
لما راوا كثرتهم وكان مع جالوت مائة الف مقاتل وكان جالوت جبارا من جبابرة العمالقة من اولاد
عمليق بن عاد وكان فى بيضته ثلثمائة رطل من حديد قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اى قال الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب
فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه وجاوزوا النهر والضمير فى قالوا للكثير المنخزلين عنه
اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة كم خبرية بمعنى
كثيرا من جماعة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادته ونصره وحكمه وتيسيره والله مع
الصابرين بالنصر والعون على عدوهم والاثابة اذ اخلصت نيتهم فى طاعة الله ولما برزوا اى
ظهروا اى خرجوا واصطفوا فى فضاء من الارض وظهروا لجالوت وجنوده اى لقتالهم دعوا الله
مخلصين قالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا على القتال وثبت اقدامنا بتقوية قلوبنا على
الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين التجاوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ
الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو
المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله اى فكسروهم بنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت

القصة

القصة قيل ايشا والد داود كان فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم اعنى اشمويل انه الذى يقتل جالوت فطلبه
من ابيه اعنى ايشا فاجازه فجاء وقد كلمه فى مجيئه الى الحرب ثلثة احجار وقالت له انك بنا
تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه اى داود الله
الملك فى بنى اسرائيل والحكمة النبوة بعد موت اشمويل وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبل داود
وعلمه مما يشاء كصنعة الدروع ومنطق الطير وكلام الدواب ولولا دفع الله الناس مفعول به
بعضهم بدل من الناس وقرا نافع هنا وفى الحج دفاع الله ببعض لفسدت الارض بغلبة المشركين
وقتل المسلمين وتخريب المساجد ولكن الله ذو فضل على العالمين فدفع بعضهم ببعض وهو دليل
على المعتزلة فى مسالة الاصلح تلك اى هذه الايات ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف
وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت مع كونه صغيرا وفى القصة
ايضا ان اشمويل سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل
له ان صاحبكم الذى يكون ملكا يكون طوله طول العصا وانظر القرن الذى فيه دهن القدس فاذا
دخل عليك رجل فنش الدهن اى ترشح من القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن به راسه وملكه
عليهم وكان طالوت من اولاد بنيامين بن يعقوب واسمه بالعبرانية شاول بن قيس سمى طالوت
لطوله الى هنا رواه وهب وقال السدى كان سقاء يستقى على حمار له من النيل فضل حماره فخرج فى
طلبه وقيل كان خربندجا وقال بل ضلت حمر لابى طالوت فارسله وغلاما له فى طلبها فمرا ببيت
اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبى فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه
فبينما هما عنده يذكران له شان الحمر اذ نش الدهن القدس الذى فى القرن فقام اشمويل فقاس
طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال
له انت ملك بنى اسرائيل الذى امرنى الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اما علمت ان سبطى
ادنى اسباط بنى اسرائيل وبيتى ادنى بيوت بنى اسرائيل قال بلى قال فباى اية اكون ملكا قال باية انك
ترجع الى بيتك وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال اشمويل لبنى اسرائيل ان الله قد بعث الاية
وكان فى بنى اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوى بن يعقوب
ومنه كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما
السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا اى اسباط بنيامين
عملوا ذنبا عظيما وذلك انهم كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك
والنبوة عنهم وكانوا يسمون سبط الاثم ولهذا انكروا سلطنة طالوت على انفسهم فهذا ميزان لكل
شريف ووضيع قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم تولى الملك من تمام الاية وفى قصة التابوت
ان الله انزل تابوتا على ادم عليه السلام وكان فيه صور الانبياء ثم بعد وفاته كان عند شيث ثم توارث
بعضهم عن بعض الى ان بلغ الى ابراهيم ثم كان عند اسمعيل ثم عند يعقوب الى ان بلغ الى موسى وكان
يضع فيه التورية ومتاعا من متاعه ثم بعده تداولته انبياء بنى اسرائيل الى وقت اشمويل وكان فيه

الجزء الثالث

ما ذكر الله تعالى فيه سكينة من ربكم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه هي ريح خجوج هفافة لها راس ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد الخجوج الريح الشديدة والهفافة البراقة تشبه الهرة ولها راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة ولها جناحان من زمرد وزبرجد وعينان لهما شعاع وكانوا اذا سمعوا صوتها ايقنوا بالنصر قيل كانت السكينة طست من ذهب من الجنة تغسل فيه قلوب الانبياء وقيل روح من الله تتكلم عند اختلافهم في شيء تخبرهم ببيان ما يريدون وذكر في القصة بان طالوت زوج بنته لداود ووقع بينهما ما وقع من المخالفة ثم تاب الله على طالوت ومات شهيدا مع ابنائه في حرب الكفار وبقي الملك والنبوة لسيدنا داود والحكاية طويلة والله اعلم نتلوها عليك اي نقصها عليك يا محمد بالحق بالصدق والوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع من احد تلك الرسل اشارة الى جماعة من الرسل التي ذكرت قصتها في هذه السورة من آدم الى داود او الجماعة المعلومة عند النبي او الرسل كلهم واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره وذلك بلطف الله ومحض كرمه منهم من كلم الله تفصيل لوجه التفضيل وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة اي الليلة التي قال له وانا اخترتك فاستمع لما يوحى وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج اي كلم ربه ورأى احد عشرة مرة كما قال شيخي الامام عبد القادر رحمه الله حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد لان ذلك في الطور وهذا في العرش وبساط القرب ورفع بعضهم اي محمدا ولم يذكره باسمه تعظيما له وتشريفا لقدره العلي درجات لانه خص بالرسالة الى الكافة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر فهو محرز قصبات الفضل على ساير الانبياء والمرسلين قال شيخنا الامام رحمه الله وما اوتي نبي آية الا اوتي نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تلك الاية وفضل على غيره بآيات مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع على مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهائم والشهادة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه واظهرها القران الذي عجز اهل السموات والارض عن الاتيان بمثله قال صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة فهو غياث الخلق الى الحق كما قال امام الحرمين روح الله روحه وقال صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك وخصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره

وايدناه

وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل حين اراد واقتله وسيره معه حيث سار او بالانجيل وقيل القدس هو الله اضيف اليه تشريفا وقيل بجناه احييناه بحياة الله لا من ماء المني ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل اي ما اختلف الذين من بعدهم اي من بعد الرسل من الامم وابدل منه قوله من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات التي يهتدى بها والواضحات لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا في دينهم بعد ذهاب الرسل بمشيئة الله ثم بين الاختلاف فقال فمنهم من آمن اي ثبت على ايمانه بتوفيق الله التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر اي ارتد ولم يثبت على الاسلام بمشيئة الله وتقديره يعني بقول الله اجريت امور رسلي على هذا اي لم يجتمع لاحد منهم طاعة جميع امته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر هذا تسلية للنبي عليه السلام ولو شاء الله ما اقتتلوا اي ما اختلفوا كرره للتاكيد اي لو شئت ان لا يختلفوا لم يختلفوا اذ لا يجري في ملكي الا ما يوافق مشيئتي ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا سأل رجل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه واثبت الله الارادة لنفسه كما هو مذهب اهل السنة ثم ارشد عباده الى ما فيه نفعهم بقوله يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله انفقوا تصدقوا ولا تبخلوا مما رزقناكم اي ما اوجبت عليكم انفاقه يعني اخرجوا من ذلك زكاته من قبل ان يأتي يوم اي يوم الحساب والجزاء يعني من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه اي لا فداء فيه سماه بيعا لان الفداء شراء نفسه يعني لا بيع في ذلك اليوم فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة اي ولا صداقة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلثتها منونا مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل اي البناء والكافرون هم الظالمون اي من يكفر بيوم البعث يظلم نفسه بعذاب النار او الكافرون بالله وبما فرض عليهم لانهم وضعوا امر الله في غير محله الله لا اله الا هو معناه الله المستحق للعبادة لا غير تركيبه الله مبتدأ ولا مع اسمه وخبره وما ابدل من موضعه في موضع الرفع خبره وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي اي الدائم البقاء الذي لا سبيل عليه للفناء او الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم اي الابدي في ذاته وصفاته او المبالغ في القيام بتدبير الخلق وحفظه في انشائهم وارزاقهم نزل حين قال المشركون اصنامنا شركاء الله وهم شفعاؤنا عند الله فوحد الله نفسه بالنفي والاثبات ليكون ابلغ في ثبوت التوحيد ونفي الشرك قوله لا تأخذه سنة ولا نوم تاكيد للقيوم اي ليس بغافل عن تدبير الخلق وامورهم لان ما جاز عليه التغيير والنوم استحال ان يكون قيوما السنة فتور يتقدم النوم من النعاس والنوم غشية ثقيلة تقع في القلب وقدم نفي الادنى لتلزم منه نفي الاعلى

وانما ذكره تتميما للكلام او نفيا للتغيرات كلها لانه ربما يتوهم ان الادنى لا يأخذه لضعفه وان الاعلى يأخذه
لقوته فجمع بينهما لنفي ذلك وقيل النوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وقيل السنة ثقل في الراس
والنعاس في العين والوسنان بين النائم واليقظان والنوم في القلب وقد اوحى الى موسى عليه السلام
قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا **له ما في السموات**
وما في الارض ملكا وخلقا وعبيدا اي لا شركة لاحد في ملكهما وخلقهما والمراد بما فيهما ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن فهذا تقرير لقيوميته
واحتجاج على تفرده في الالوهية **من ذا الذي** اي ليس لاحد ملكا كان او نبيا انه **يشفع** لاحد **الا باذنه**
سبحانه لذلك الاحد بالشفاعة فيشفع فهذا استفهام انكاري بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه
او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة وفيه
رد لزعم الكفار ان اصنامهم تشفع لهم ثم بين بانه لا يخفى عليه شيء بقوله **يعلم** الله **ما بين**
ايديهم اي ما كان بين ايدي اهل السموات والارض يعني ما تبرز ذلك من امر الدنيا **وما خلفهم** وما يكون
بعدهم من امر الاخرة والضمير في ايديهم وخلفهم لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه
من ذا من الملئكة والانبياء يعني يعلم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس يعني المراد بما بين ايديهم الاخرة لانهم
يقدمون عليها وبما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم كشفه انك مستقبل المستقبل ومستدبر
الماضي او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه **ولا يحيطون** اي لا يدركون يعني الانبياء
والملئكة وغيرهم **بشيء من علمه** سبحانه اي من جميع معلوماته **الا بما شاء** ان يدركهم به منها
باخبار الرسل والانبياء وهذا رد لعابدي الملئكة حيث يرجون شفاعتهم لعبادتهم اياهم
ثم بين سعة ملكه بقوله **وسع كرسيه السموات والارض** اي ملأهما كرسيه واحاط بهما قيل
هو العرش نفسه وقيل هو موضوع امام العرش ومعنى الاية اي سعته مثل سعة السموات والارض
وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة
في فلاة ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت
في ترس وفي رواية علي ومقاتل رضي الله عنهما كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والارضين
السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه اقدامهم تحت الصخرة
التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك على صورة ابي البشر آدم صلى عليه وسلم يسال
للادميين الرزق والمطر من السنة الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور يسال للانعام
الرزق من السنة الى السنة وعلى وجهه غضاضة منذ عبد العجل وليس في بلاد الاسلام من يعبده
ما خلا الهند وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسال الرزق للسباع من السنة الى السنة وملك
على صورة سيد الطير وهو النسر يسال الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة
العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب خمسمائة عام ولولا
ذلك احترقت حملة العرش وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالكرسي

علمه

علمه وهو قول مجاهد ومنه قيل للصحيفة العلم كراسة لتضمنها العلم والكراسي العلماء وسمي العلم كرسيا
تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وقيل كرسيه ملكه وسلطانه والعرب تسمي الملك القديم كرسيا
فعلى الرواية الاولى من ابن عباس ان الكرسي جسم ويعضده الاحاديث المذكورة وعلى هذه الرواية
يعني انه علمه وملكه وسلطانه ذهب السلطان الى ان ذكر الكرسي تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في
الحقيقة ولا قاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه وملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك **ولا يؤده** اي لا يثقله
ولا يشق عليه سبحانه **حفظهما** اي حفظ الحق السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول
وهو العلي فوق خلقه بالقهر المتعالي عن الانداد والاشباه **العظيم** المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه
او الكبير في عزه وجلاله الذي ليس شيء اعظم منه او العظيم المتصف بالصفات التي تليق به وهما اسماء
جامعان لكمال التوحيد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي المنذر والذي نفس محمد بيده ان لهذه الاية لسانا
وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش وقال صلى الله عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي وايتين
من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ في يومه ذلك حتى يمسي فان قراهما حين يمسي حفظ
في ليلته تلك حتى يصبح وذكر السلطان وذو الجود والمدارك في كتبهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال سيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وقالوا ايضا روي من
قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد
ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وهذه الاية
مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحيوة واجب
الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره انه مباين لخلقه في ذاته وصفاته
وافعاله ليس هو متحدا مع خلقه كما زعم من زعم خلافه بل هو الحي القيوم وما سواه مفقود هالك لان
وجود ما سواه ليس من ذاته قال فهو منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب
الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك
والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم
لا يحيط به فهم وادراك ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله
ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة قال الشيخ الامام حجة الاسلام
زين الانام كاشف الظلام في كتابه جواهر القران ما نصه **فصل** في اية الكرسي فاقول هل
لك تفكر في اية الكرسي في انه لم تسمى سيدة الايات فان كنت تعجز عن استنباطه بتفكرك فارجع
الى الاقسام التي ذكرناها والمراتب التي رتبناها وقد ذكرنا لك ان معرفة الله تعالى ومعنى ذاته وصفاته
وافعاله هي المقصد الاعلى من علوم القران وسائر الاقسام مراد له وهو مراد لنفسه لا لغيره فهي المتبوع
وما عداه التابع وهو السيد الاسم للمتبوع المقدم الذي يتوجه اليه وجوه الاتباع وقلوبهم فيحذون
حذوه ويتحرون نحو مقصده واية الكرسي تشتمل على ذكر الذات والصفات والافعال فقط ليس فيها غيرها

فقوله الله اشارة الى الذات وقوله لا اله الا هو اشارة الى توحيد الذات وقوله الحي القيوم اشارة الى
صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم هو الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشيء
ويتعلق به قوام كل شيء وذلك غاية الجلال والعظمة وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم تنزيه وتقديس
له عما يستحيل عليه من اوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل احد اقسام المعرفة بل هو اوضح اقسامها
وقوله له ما في السموات وما في الارض اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه مصدرها واليه مرجعها
وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اشارة الى انفراده في الملك والحكم والامر وان من يملك الشفاعة
فانما يملكها بتشريفه اياه والاذن فيها وهذا نفي الشركة عنه في الملك والامر وقوله يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء اشارة الى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات
والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره من ذاته وان كان لغيره علم فهو من عطائه وموهبته على قدر ارادته
ومشيته وقوله وسع كرسيه السموات والارض اشارة الى عظمة ملكه وقدرته وفيه سر لا يحتمل الحال
كشفه فان معرفة الكرسي ومعرفة صفاته واتساعه السموات والارض معرفة غامضة وترتبط بها
علوم كثيرة وقوله ولا يؤده حفظهما اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان
وقوله وهو العلي العظيم اشارة الى اصلين عظيمين في الصفات وقد شرحناهما في كتاب المقصد الاسنى
في معاني اسماء الله الحسنى فاطلبه والان اذا تاملت جملة هذه المعاني ثم تلوت جميع ايات القران
لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات مجموعا في اية واحدة منها فلذلك
كانت سيدة اي القران فان شهد الله ليس فيه الا التوحيد وقل هو الله احد ليس فيه الا التوحيد
والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال وكمال القدرة والفاتحة فيها رموز الى هذه
الصفات من غير شرح وهي مشروحة في اية الكرسي والذي يقرب اليها من جميع المعاني اخر الحشر واول
الحديد اذ يشتمل على اسماء وصفات كثيرة ولكنها ايات لا اية واحدة وهذه اية واحدة اذا قابلتها
باحاد تلك الايات وجدتها اجمع للمقاصد فلذلك تستحق السيادة على الاي اذ قال هي سيدة الايات
وكيف لا وفيها الحي القيوم وهو اسم الله الاعظم وتحته سر ويشهد له ورود الخبر بان الاسم الاعظم
في اية الكرسي واول ال عمران واعلم ان الفاتحة تتضمن التنبيه على فنون كثيرة ومعان مختلفة فكانت
افضل واية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المتبوعة المقصودة التي تتبعها سائر المعارف
فكان اسم السيد بها اليق واما سورة الاخلاص ففيها معرفة الله وتوحيده وتقديسه عن مشاركة
في الجنس والنوع وهو المراد بنفي الاصل والفرع والكفو ووصفه بالصمد وتشير ذلك بانه السيد الذي
لا مقصد في الوجود للحوائج سواه ومهمات القران ثلثة معرفة الله ومعرفة الاخرة ومعرفة الصراط
المستقيم وليس في سورة الاخلاص الا المعرفة بوحدانية الله وتقديسه كما ذكرنا فهو ثلث المهمات لان
معرفة الاخرة والصراط المستقيم ليس فيه **لا اكراه في الدين** اي لا اجبار على الدخول في الدين الحق
اي الاسلام فهو اخبار من الله بان امر الايمان بعد وضوح الحجة مبني على الاختيار دون القهر والجبر كقوله تعالى
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي الله لم يجر الايمان على الاكراه ولكنه اجراه على الاختيار والعاقل
متى تبين له الحق بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء

وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم انه اما عام
نسخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا
كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا
فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر
فقال لا تكرهوا احدا في الدين بعد فتح مكة واسلام العرب فخلاهما فالاية مخصوصة باهل الكتاب
لانهم خلصوا انفسهم باداء الجزية فلا تكون منسوخة ثم علل عدم الاكراه في الدين بقوله **قد
تبين الرشد من الغي** اي قد ظهر وتميز بالايات البينات ان الايمان رشد والكفر غي يعني ان الايمان
رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يودي الى الشقاوة السرمدية **فمن يكفر** اي لم يصدق
بالطاغوت اي بالشيطان او الاصنام او كعب بن الاشرف او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله
ويؤمن اي يصدق **بالله** اي بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك** اي تمسك واعتصم وطلب
الامساك من نفسه **بالعروة الوثقى** اي بالحلقة المحكمة او الاوثق والاشد من الحبل الوثيق المحكم المامون
الموصل الى الله وهي مستعارة لتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم **لا انفصام لها** اي لا انقطاع
لتلك العروة وهي كلمة لا اله الا الله والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله شبهة **والله
سميع** لدعائك اياهم الى الاسلام **عليم** بحرصك على ايمانهم اي سميع بالاقوال وعليم بالنيات **الله
ولي الذين امنوا** مبتدا وخبر اي الله محب المؤمنين ومتولي امرهم وناصرهم وحافظهم والمراد بهم
من اراد الله ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن **يخرجهم** بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** اي الكفر اي
من ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المودية الى الكفر **الى النور** اعني نور
اليقين او الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر **والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت** اي الذين
صمموا على الكفر متولوا امرهم الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما ككعب بن الاشرف
يخرجونهم من النور الى الظلمات اي والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات
الذي يظهر لهم الى ظلمات الشكوك والشبهات او من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد
الاستعداد والانهماك في الشهوات وذكر الاخراج اما في مقابلة يخرجهم من الظلمات او في كل من
امن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق
قدرته وارادته به فان قيل كيف قال يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط قيل هم اليهود
كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث كفروا به **اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون** وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم **الم تر
الى الذي حاج ابراهيم** اي الم ينته علمك الى قصة الملك الذي نازع وجادل وخاصم ابراهيم **في ربه
ان اتاه الله** اي في معارضة ربوبية ربه وهو نمرود وهي تعجيب من محاجة نمرود وحماقته
الملك اي لان اعطاه الله الملك يعني ابطره ايتاء الملك واورثه الكبر وحمله على المحاجة وهو حجة
على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة او حاج وقت ان اتاه الله الملك **اذ قال ابراهيم**
ظرف لحاج او بدل من اتاه اذا جعل بمعنى الحين والوقت وقيل بدل من حاج وذلك حين دخل

اتباع نمرود وجنوده فى عيدٍ لهم اليه لاجل الطعام وكان فى زمن القحط فسجدوا له ثم دخل عليه ابراهيم
فلم يسجد له فقال له نمرود مالك لا تسجد لى قال لا اسجد الا لربى فقال له نمرود من ربك قال ابراهيم
ربى الذى يحيى ويميت اى يخلق الحيوة والموت فى الاجساد قال نمرود انا احيى واميت
بالعفو عن القتل وبالقتل فدعا نمرود برجلين فقتل احدهما وترك الاخر فجعل ترك القتل احياء
وقرا نافع انا بالالف اى بمده اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة ويحذفه اذا كان
بعدها همزة مكسورة نحو ان انا الا نذير قيل كان لابراهيم ان يقول له فاحى من قتلت وامت
ان كنت صادقا ولنمرود ان يقول لابراهيم فليحى ربك من قتلت وامت لكن لما سمع ابراهيم جواب
الاحمق الغبى لم يحاجه فيه وانتقل الى حجة اوضح من ذلك فقال ابراهيم فان الله ياتى بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب فبهت اى تحير وسكت وصرف الله الخبيث بان يعارض ابراهيم
ان يسال ربه حتى ياتى بها من المغرب اظهارا للحجة عليه اى معجزة لابراهيم او خاف العدو من زيادة
فضاحته لانه لو سال ابراهيم ذلك لاتى الله بها من المغرب خيرا لخليله وبهت الذى كفر برب العالمين
وكان الخبيث حلوليا يظن هو الرب من وجه دون وجه او هو الرب حين الحلول قاتله الله ومن يحذف
حذوه والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية يعنى
لا يرشد الله المعاندين الى الحجة والبيان بل يجعلهم مبهوتين متحيرين والاية تدل على اباحة
التكلم فى علم الكلام والمناظرة فيه فانه قال الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمحاجة تكون بين
اثنين فدل ان ابراهيم حاجه ايضا ولو لم يكن مباحا لما باشرها ابراهيم عليه السلام لكون الانبياء
عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ولانا امرنا بدعاء الكفرة الى الايمان بالله وتوحيده
واذا دعوناهم الى ذلك لا بد ان يطلبوا منا الدليل على ذلك وذلك لا يكون الا بعد المناظرة كذا فى شرح
التاويلات او كالذى معناه او ارايت مثل الذى مر يعنى ما رايت مثله فتعجب منه فحذف
ارايت لدلالة الم تر عليه لان ارايت والم تر كلمة تعجب وقيل انه عطف محمول على المعنى دون
اللفظ تقديره الم تر كالذى حاج او كالذى مر وقال صاحب الكشف فى كشفه الكاف زايدة واو
كالذى مر عطف على قوله الى الذى حاج تقديره الم تر الى الذى حاج او الذى مر عن الحسن ان المار
كان كافرا بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود فى سلك واحد والاتيان بكلمة الاستبعاد التى هى انى
يحيى هذه فمعناه الم ينته علمك الى المنكر للبعث واكثر المفسرين انه عزير عليه السلام اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم والاتيان بانى يحيى اعتراف من عزير
بالعجز عن معرفة طريق الاحياء واستعظام لقدرة المحيى فمعناه الم ينته علمك الى سايل اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرته وتخصيص المثال الثانى بكاف التشبيه لان المنكر للاحياء
والبعث كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل او كالذى من كلام
ابراهيم ذكره جوابا لمعارضة نمرود تقديره او ان كنت يا نمرود تحيى الموتى فاحى كاحياء الله الذى
مر على قرية هى بيت المقدس قيل مر عزير النبى بن شرخياء عليه السلام عليها حين
خربه بخت نصر وقيل المار هو ارميا اى الخضر والقرية هى التى خرج منها الالوف او دير

سابراباد

سابراباد او سلماباذ او دير هرقل او قرية العنب بقرب بيت المقدس بمرحلتين وهى
خاوية على عروشها اى تلك القرية خالية عن الناس ساقطة حيطانها على سقوفها
بان سقطت السقوف اولا ثم الجدران عليها او الجدران ساقطة مع سقوفها على ان على بمعنى
مع وكل بناء مرتفع عرش يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى
البيت يخوى خواء ممدودا اذا خلا قال انى يحيى هذه اى اهل هذه الله بعد موتها اعترافا
بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان القايل مومنا وانكارا واستبعادا
ان كان القايل كافرا والله اعلم بذلك وانى فى موضع النصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى
كيف فاماته الله مائة عام اى فالبثه ميتا مائة عام فهو ظرف لاماته باعتبار المعنى اماته
البثه ميتا وامات حماره ايضا او اماته الله فلبث ميتا مائة عام فهو ظرف لفعل محذوف وهو لبث
ميتا ثم بعثه اى احياه الله اى بعثه بالاحياء ليريه كيفية ذلك قال الله تعالى او ملك من
الملائكة او نبى على اختلاف فى ذلك قال السلطان وساغ ان يكلمه الرب وان كان كافرا لانه امن
بعد البعث او شارف الايمان كم لبثت اى كم مكثت هنا قال لبثت يوما او بعض يوم
كقول الظان وقيل انه مات ضحى و بعث بعد مائة سنة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس
يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال القايل لعزير بل
لبثت مائة عام يعنى كنت ميتا هذه المدة ثم امره بالنظر ليعتبر فقال فانظر الى طعامك
قيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابك قيل كان شرابه عصيرا او لبنا قيل اخذه من القرية
الخاوية او كان معه لم يتسنه اى لم يتغير بمرور الزمان والسنين وكان الكل على حاله
واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء او هاء سكت ان قدرت واوا
وقيل اصله لم يتسنن من الحماء المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما
افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وانظر الى حمارك اى كيف تفرقت عظامه
والطعام والشراب لم يتغيرا وانظر الى حمارك سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف
كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده وقيل فنظر الى
الحمار وقد بلى فاحيا حماره بعد رويته فاذا هو قايم ينهق فخر ساجدا فسمع القايل يقول
ولنجعلك اية للناس اى فعلنا ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك اية وعبرة للناس روى انه اتى
قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك
وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا احدثهم بحديث قالوا حديث
مائة سنة ثم قال القايل وانظر الى العظام اى عظام الحمار او الاموات الذين تعجبت من احيائهم
كيف ننشرها بالراء المهملة معناه نحييها يقال انشر الله الميت اذا احياه وهو قراءة اهل
الحجاز والبصرة وقرا الباقون بالزاى المعجمة معناه نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه يعنى نرفع
العظام من الارض ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض ثم نكسوها لحما
اى نكسو العظام لحما جعل اللحم كاللباس مجازا قال السدى ان الله عز وجل احيا عزيرا ثم قال له

انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله تعالى ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل
وجبل ذهبت بها الطيور والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا لا
روح فيه ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله تعالى فلما
تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له
ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به
على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم اي اذكر وقت قوله رب ارني بصرني كيف تحيي الموتى
انما سال ابراهيم ربه ذلك ليصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما قال
نمرود انا احيي واميت قال له ابراهيم ان احياء الله برد الروح الى بدنها لا بالعفو عن القتل فقال له نمرود
هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه معاينة ومشاهدة ليطمئن
قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى وقيل مر ابراهيم على حمار ميتة بساحل بحيرة الطبرية
ياكل منها دواب البحر ودواب البر والطير وتفرق اجزاؤها في بطونهم فتعجب ابراهيم من ذلك
وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني
كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى على ذلك فقال الرب سبحانه اولم
تؤمن يا ابراهيم بقدرتي على احياء الموتى باعادة التركيب والحيوة قال الله له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس في الايمان ليجيب بما سال فيعلم السامعون غرضه قال ابراهيم بلى اي قد صدقت بانك
تحيي الموتى ولكن سالتك ليطمئن قلبي ليسكن قلبي بالمشاهدة والمعاينة فيصير علم بالاستدلال علما باليقين
والمعاينة قال الله لابراهيم ان تريد روية ذلك عيانا فخذ اربعة من الطير اي طاوسا وديكا
وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى
باماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة
النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة في الهوى الموسوم بها الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب فصرهن
اليك بضم الصاد اي فاملهن واضممهن اليك او حققهن واجمعهن اليك وقال ابو عبيدة
قطعهن واخلط لحمهن وريشهن وقرا حمزة ويعقوب بكسر الصاد وهما لغتان ثم اجعل على
كل جبل منهن جزءا اي بعدما جمعتهن اليك وعلمت علاماتها حتى لا تلتبس عليك بعد الاحياء
بعودهن اليك ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة جبل على
جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقيل كانت سبعة قال
ابن جرير والسدي رحمهما الله تعالى جزاها سبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤوسهن
عنده ثم ادعهن اي قل لهن تعالين باذن الله تعالى ياتينك سعيا مصدر في موضع الحال اي
ياتينك ساعيات مسرعات في طيرانهن او مشيهن على ارجلهن روي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها فيمسك روسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك

فجعل

فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن وفيه اشارة
الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج
بعضها ببعض كما فعل بالطيور حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية
العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن
الادب في السوال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد
ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يمتنع عليه ما يريده حكيم اي ذو حكمة بالغة
في كل ما يفعله ويذره ولما برهن على قدرته على العباد حث المؤمنين على الانفاق في سبيل الله جهاد
او غيره ليجازيهم باضعاف نفقاتهم فانه قادر على كل شيء فقال مثل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقات المنفقين في الجهاد او في جميع ابواب الخير وطاعة الله
كمثل حبة او مثلهم كمثل زارع حبة وباذرها في ارض عامرة جيدة على حذف مضاف انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة المنبت هو الله حقيقة وحده ولكن الحبة لما كانت سببا اسند
اليها الانبات مجازا كما اسند الى الارض والماء والمعنى انه سبحانه يخرج من ذلك الحبة ساقا يتشعب
منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة فان قيل ما راينا سنبلة فيها مائة حبة فكيف
ضرب المثل بها قيل ذلك تمثيل لا يقتضي وقوعه او متصور غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا جاز ضرب
المثل به وان لم يوجد على سبيل الفرض والتقدير ومعنى هذا معناه في كل سنبلة مائة حبة ان شاء الله ذلك
بل في كل سنبلة ملاء السموات والارض ان جعل الله فيها وقيل هو موجود في الدخن والذرة و
البر في الاراضي المغلة وقيل معناه انها اذا زرعت انبتت مائة حبة فما حدث من البذر الذي
كان فيها كان مضافا اليها وكذلك اوله الضحاك رحمه الله قال كل سنبلة انبتت مائة حبة
والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله
تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب وقيل يضاعف على المضاعفة المذكورة لمن يشاء ما بين سبع
الى سبعين الى سبعمائة الى ما شاء الله من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله عز وجل والله واسع فضله
وجوده لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله في طاعة الله قال الكلبي نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنهما جاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
كانت عندي ثمانية الاف فامسكت منها لنفسي ولعيالي اربعة الاف واربعة الاف اقرضتها ربي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت واما عثمان
رضي الله عنه فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت فيهما هذه
الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر
ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقيل نزلت في عثمان حين اشترى بئر رومة وجعلها سبيلا
على المسلمين ثم لا يتبعون ما انفقوا منا بان يقول قد احسنت اليك وجبرت حالك او اعطيتك

كذا فيكدر عليه حاله وكانوا يقولون اذا اصنعتم صنيعة فانسوها **ولا اذى** بان يتطاول عليه
بسبب ما انعم عليه وقيل من الاذى ان يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه
قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك
يثقل عليه فكف سلامك عنه وذكر ثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير
من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا **لهم**
اجرهم عند ربهم اى ثوابهم محرز عند ربهم ولا يضيع انفاقهم **ولا خوف عليهم** فى الاخرة
من نقص الاجر **ولا هم يحزنون** من فوت ثوابهم عند الله ولعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن
ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا **قول معروف**
اى رد جميل وعدة حسنة او دعاء بالخير مبتدأ نكرة موصوفة وعطف عليه قوله **ومغفرة**
اى تجاوز عن الحاح الفقير اذا الح او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره
ويغتفر رده وخبر المبتدأ **خير من صدقة يتبعها اذى** اى من وتعيير لمن يتصدق عليه بالسؤال
فالمن من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير **والله غنى** عن انفاق بمن وايذاء
حليم عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة ثم بالغ فى الوعيد بقوله **يا ايها الذين امنوا لا**
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما على المان وزمنه
على الفقير وزر ايذائه وقيل ذهب الاجر فيهما وبقى الوزر فى الايذاء دون المن
ثم ضرب مثلا لذلك فقال **كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم**
الاخر كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه لا يريد به رضاء الله تعالى ولا ثواب الاخرة او مماثلين
الذى ينفق رئاء فالكاف فى محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال
بمعنى مرائيا او المصدر اى انفاقا رئاء وقال الشيخ الامام وهذا المنافقين لان الكافر معلن كفره
غير مراء فابطال صدقة المؤمن بالمن والاذى كابطال صدقة المشرك بالشرك والمرائى بالرياء
فمثله اى مثل المرائى فى انفاقه او المرائى والمشرك معا فى انفاقهما **كمثل صفوان** اى كمثل حجر
املس **عليه تراب فاصابه وابل** اى مطر شديد عظيم القطر **فتركه صلدا** اى تركه
وخلاه املس واجرد نقيا من التراب الذى كان عليه يعنى مثل المرائى والمشرك فى صدقتهما
يوم القيمة كمثل حجر عليه تراب فازاله المطر وبقى املس فكذلك الرياء والشرك يبطل ثواب المنفق
لذلك **لا يقدرون على شىء مما كسبوا** عملوا اى لا ينتفعون بما فعلوا رياء او شركا ولا يجدون
ثواب صدقاتهم فى الاخرة كما لا يوجد على الصفوان شىء من التراب الذى كان عليه لاذهاب
المطر له وانما قال لا يقدرون بضمير الجمع بعد قوله كالذى ينفق بالافراد لانه اراد بالذى ينفق الجنس
او الفريق الذى ينفق **والله لا يهدى القوم الكافرين** الى الخير والرشاد ماداموا مختارين الكفر
وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يجتنب عنها
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى طلب رضى الله تعالى
وتثبيتا من انفسهم اى وتثبيتا بعضا انفسهم على الايمان من تبعيضية كما فى قوله هز من

عطفه

من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض
نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ
من اصل انفسهم من للابتداء كما فى قوله حسدا من عند انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال **كمثل جنة بربوة** بضم الراء وفتحها مكان مرتفع
مستو يعنى ومثل نفقة هؤلاء الذين ينفقون اموالهم لوجه الله فى الحسن والبهاء والزكاء والنماء
عند الله تعالى كمثل ثمرة بستان فى مكان مرتفع وخصها به لان الشجر فيه يكون احسن منظرا
وازكى ثمرا لا يعلوه الماء ولا يخلو عن شرب قال الفراء اذا كان فى البستان نخل فهو جنة
واذا كان فيه كرم فهو فردوس **اصابها** اى الجنة **وابل** مطر عظيم القطر **فآتت** اى اعطت
اكلها بضم الكاف وسكونها ثمرتها **ضعفين** اى مثلى ما يثمر غيرها يعنى حملت تلك
الجنة فى سنة واحدة ما يحمل غيرها من الثمرة فى سنتين **فان لم يصبها وابل** اى وان
لم يصب ولم يمطر على تلك الجنة المطر الشديد **فطل** اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او
فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان
نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت يتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله
ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين
فى زلفاهم بالوابل والطل يعنى ان صدقة المؤمن المخلص لرضاء ربه تنفعه فى الدنيا والاخرة
جلت او قلت كما ان هذه الجنة تعطى ريعها بحسبها كثر المطر او قل والمدار على خلوص
النية **والله بما تعملون بصير** تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص **ايود احدكم** الهمزة فى
ايود للانكار وهذا تاكيد لمنع الرياء وتحقيق الندامة على فاعله فهى متصلة بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم الاية اى ايحب رجل منكم **ان تكون له جنة** اى بستان على قول ورد من
على قول الفراء **من نخيل** جمع نخل **واعناب تجرى من تحتها الانهار له** اى لصاحب البستان
فيها اى فى الجنة **من كل الثمرات** يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها ولان النخل والاعناب
لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر واقتصر على كون الجنة منهما وان كانت محتوية
على ساير الاشجار بشهادة قوله فيها من كل الثمرات تغليبا لهما على غيرها **واصابه الكبر** اى الحال
انه قد بلغ نهاية السن وله تلك الجنة الموصوفة **وله** اى والحال ايضا لصاحب تلك الجنة **ذرية**
ضعفاء اى اولاد صغار لا قدرة لهم على الكسب ومعيشته ومعيشة ذريته من تلك الجنة لا غير **فاصابها**
اى الجنة **اعصار** وهو الريح الشديد العاصف التى ترتفع من الارض الى السماء مستديرة كانها عمود
وجمعه اعاصير **فيه** اى فى ذلك الريح **نار** محرقة **فاحترقت** تلك الجنة فبقى الرجل واولاده عجزة
متحيرين ليس له ولهم حيلة وقوة على الكسب للمعيشة وهذا تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة
ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف والندامة اذا كان يوم القيمة واشتد
حاجته اليها وجدها محبطة لحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم
الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق

وجعل سعيه هباء منثورا وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فيم ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال
قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال عمر ابن اخي قل ولا تحقر
نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لرجل غني يعمل بطاعة
الله بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كذلك اي كهذا البيان الذي
بين فيما تقدم من الجهاد والانفاق في سبيل الله وقصة ابراهيم وعزير وغير ذلك يبين
الله لكم الآيات اي الدلالات الواضحة في تحقيق التوحيد وتصديق الدين لعلكم تتفكرون
اي تتدبرون فيها فتعتبرون بها فتنتهون عما نهى الله عنه ثم حث المؤمنين بالانفاق من الحلال
الذي حصل من الكسب بالتجارة والصناعة فقال يا أيها الذين آمنوا أنفقوا اي زكوا
من طيبات ما كسبتم اي من حلال ما كسبتم وجياده بالتجارة والصناعة وفيه دليل على وجوب
الزكاة من اموال التجارة والكسب اما جيد واما خبيث قال صلى الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما
قط خيرا من ان ياكل من عمل يديه وكان داود عليه السلام لا ياكل الا من عمل يديه وقال صلى الله
عليه وسلم لا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيقبل منه ولا
ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ
بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث واذا قلت لبعض الظلمة لم لا تخرج الزكاة
يقول مالي حرام ويرضى بان يكون زاده الى النار نبهنا الله من رقدة الغفلة والزكاة واجبة
في مال التجارة عند اكثر اهل العلم فبعد الحول يقوم العرض فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كانت
قيمتها عشرين دينارا او مائتي درهم ومما أخرجنا لكم من الأرض اي زكوا من طيبات ما اخرجنا
لكم من الحبوب والثمر والمعادن فحذف اي من طيبات لتقدم ذكره وهذا امر باخراج العشر من الثمار
والحبوب واتفق اهل العلم على ايجاب العشر في النخل والكرم وفيما يقتات من الحبوب ان كان يسقى
بماء السماء او من نهر يجري الماء اليه من غير مؤنة وان كان يسقى بساقية او بنضح ففيه نصف العشر
قال صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف
العشر وقال صلى الله عليه وسلم في زكاة الكرم يخرص كما يخرص النخل ثم يؤدى زكاته زبيبا
كما يؤدى زكاة النخل تمرا واختلف اهل العلم فيما سوى النخل والكروم وفيما سوى ما يقتات من الحبوب
فذهب قوم الى انه لا عشر في شيء منها وهو قول امامنا الشافعي وابن ابي ليلى وقال الزهري ومالك و
الاوزاعي رحمهم الله تجب في الزيتون وقال ابو حنيفة رحمه الله يجب العشر في جميع البقولات
والخضراوات والثمار الا الحشيش والحطب وكل ثمرة اوجبنا فيها الزكاة فانما تجب ببدو الصلاح
ووقت الاخراج بعد الاجتناء والجفاف وكل حب اوجبنا فيه العشر فوقت وجوبه اشتداد الحب
ووقت الاخراج بعد الدياسة والتنقية ولا يجب العشر في شيء منها حتى يبلغ خمسة اوسق عند اكثر
اهل العلم وعند ابي حنيفة تجب في كل قليل وكثير منها والاصح من شرط النصاب بما قال النبي صلى
الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة اوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمسة اواق من الورق صدقة

وليس

وليس فيما دون خمس ذود من الابل صدقة وقال صلى الله عليه وسلم ليس في حب ولا تمر صدقة حتى
يبلغ خمسة اوسق وقال قوم الآية في صدقة التطوع وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس
غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه انسان او طير او بهيمة الا كانت له به صدقة ومن استخرج ذهبا
او فضة من معدن اي مكان خلقه الله فيه موات او ملك له لزمه ربع عشره لملكه اياه ويشترط
فيه النصاب لا الحول وفي الركاز الخمس والمال المدفون يصرف مصرف الزكاة على المشهور ويشترط النصاب
والنقد اي الذهب والفضة على المذهب لا الحول وهو الموجود الجاهلي اي من دفين الجاهلية فان
وجد اسلامي علم مالكه فله والا فلقطة ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون اي لا تقصدوا اخراج
المال الردي بالانفاق والاخراج عن زكاة اموالكم وبعبارة اخرى ولا تقصدوا الردي من
المال تخصونه بالانفاق قوله تنفقون في محل الحال اي لا تيمموا الخبيث منفقين يعني مقدرين
الانفاق اي حال كونكم منفقين بالاختصاص من خبيث المال ونزلت لما كانت الانصار تخرج
اذا كانت جداد النخل اقناء من التمر والبسر فيعلقونه على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيأكل منه فقراء المهاجرين فكان الرجل يعمد فيدخل قنو الحشف وهو
يظن انه جائز عنه في كثرة ما يوضع الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث اي الردي
وفي رواية كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم
فانزل الله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه اي وحالكم انكم لا تأخذون الردي
بدل الجيد والطيب في حقوقكم على الغير لرذالته الا أن تغمضوا فيه اي الا ان تتسامحوا
وتساهلوا في اخذ الخبيث بدلا عن حقكم الجيد كانكم اغمضتم اعينكم عن رذالته ورضيتم بدون
حقكم وذلك التسامح اما لمخافة فوت حقكم ان لم ترضوا بالدون لاعسار من عليه حقكم او لشدة
احتياجكم اليه ولا يوجد غيره فتخافوا ان يذهب الجميع او لشفقتكم على من عليه حقكم وقال محي
السنة والفرض معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم ياخذه الا وهو يرى انه قد اغمض
له عن حقه وتركه وقال الحسن وقتادة لو وجدتموه يباع في السوق ما اخذتموه بسعر الجيد
قال النخعي فاذا كيف تؤدون حق الله من الردي وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا
مغمضين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
أن الله غني عن انفاقكم وصدقاتكم وانما يامركم به لانتفاعكم او غني عن الردي فلا يقبل الا الطيب
حميد بقبوله واثابته او حميد اي محمود في افعاله يعطي الجزيل ويقبل القليل الشيطان يعدكم الفقر
اي يخوفكم بالفقر ويقول لا تنفقوا من مالكم لاحتياجكم اليه يوما ما فان تصدقتم افتقرتم اليه والوعد
في الاصل شايع في الخير والشر قال الله تعالى في الخير وعدكم الله مغانم كثيرة وقال في الشر
وعدها الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء اي يامركم بالبخل ومنع الزكاة وقيل بانواع المعاصي كالزنا
وقول الزور وغير ذلك قال الكلبي كل فحشاء في القرآن فهو الزنا الا هذا فهو البخل والله يعدكم
بالتصدق واخراج الزكاة مغفرة لذنوبكم منه اي من الله وفضلا اي رزقا خلفا افضل مما
انفقتم وتصدقتم به في الدنيا او في الآخرة اي وثوابا عليه في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل

لمن انفق عليم بما تنفقونه فيجازيكم به يؤتي الحكمة اي تحقيق العلم واتقان العمل او العلم النافع
المؤدي الى العمل به للوصول الى رضاء الله او المعرفة بمكايد الشيطان ووساوسه او الاصابة في القول
او النبوة او علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه
وامثاله او القرآن والفهم فيه والحمد لله على ذلك وقال الضحاك في مائة وتسع آيات ناسخة
ومنسوخة والف آية حلال وحرام لا يسع للمؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان
تاولوا آيات من القرآن في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب جهلوا علمها فسفكوا بها الدماء وانتهبوا
الاموال وشهدوا علينا بالضلال فعليكم بعلم القرآن فانه من علم فيما انزل الله لم يختلف في شيء منه
وقيل هي القرآن والعلم والفقه او معرفة معاني الاشياء من يشاء من عباده مفعول اول
أخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناء للمفعول اي ومن يعطه العلم والعمل به او الورع
ومن في محل الرفع على انه مبتدأ ويؤت الحكمة خبره وقرأ يعقوب يؤت الحكمة بكسر التاء اي ومن يؤته الله
الحكمة وقرأ الاعمش ومن يؤته الله الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ جمع وحيز
له خير الدارين لمصيره الى السعادة الابدية فالتنكير للتعظيم وما يذكر اي وما يتعظ بما ذكر
من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا
الالباب اي ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى قيل من
اعطي القرآن ينبغي ان لا يتواضع لاهل الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطاه الله خير كثير والدنيا
متاع قليل وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق من نحو زكاة او
صدقة تطوع او في باطل بان يصرف ماله في سبيل الشيطان واوليائه او نذرتم من نذر
بان اوجبتم على انفسكم في طاعة او معصية فان الله يعلمه اي يعلم ويحفظ ويحصي
ويضبط ما انفقتم وما نذرتم على وجه الطاعة او المعصية فيجازيكم عليه وما للظالمين اي
ليس للذين ينفقون اموالهم في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات والزكوات ولا يوفون
بالنذور وعبارة الشيخ وما للظالمين اي الواضعين الصدقة في غير موضعها بالرياء او يتصدقون
بالحرام من انصار اي من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم ان تبدوا اي تظهروا وتعلنوا
الصدقات قيل النوافل وقيل المفروضة فنعما هي اي نعمت الخصلة هي يعني فنعم شيئا ابداؤها
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو وابو بكر وقالون
بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وما في
نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هي قال الشيخ وما في محل الرفع وهي
في محل النصب كما تقول نعم الرجل رجلا فاذا عرفت رفعت فقلت نعم الرجل زيد واصله
نعم ما فوصلت وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي وان تعطوها للفقراء مع الاخفاء والستر
فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من ابدائها وايتائها للاغنياء لعدم حاجتهم وهذا في
التطوع ولمن لم يعرف بالمال وكل مقبول اذا كانت النية صادقة ولكن صدقة السر افضل
وفي الحديث صدقة السر تطفئ غضب الرب واما صدقة الفرض فالافضل اظهارها ليقتدى به

ولنفي

ولنفي التهمة عنه وايتاؤها للفقراء متعين والجواز للاغنياء كما هو مذكور في كتب الفقه
بشروطها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا
ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر بالنون ورفع الراء اي نحن نكفر اي
نمحو عنكم من ذنوبكم وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ
اهل المدينة وحمزة والكسائي بالنون والجزم عطف على محل الفاء التي في قوله تعالى فهو خير لكم لان
موضعها جزم بالجزاء وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات اي الصدقات تمحو وقوله
من سيئاتكم قيل من صلة اي نكفر عنكم جميع ذنوبكم وقيل للتبعيض يعني نكفر الصغاير من الذنوب
او بعض الذنوب بالتصدق في السر والعلانية والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار
او خبير بالتصدق في الحالين فيجازيكم به ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان
تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن
والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء هدايته الى الدخول في الاسلام
وهذا صريح بان الهداية من الله ومشيته وحده وانها تخص بقوم دون قوم اي ليس عليك
التوفيق على الهدى اي خلق الهدى وانما ذلك على الله وحده وسبب نزول الاية المذكورة ان ناسا
من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا
ان ينفقوهم وارادوهم على ان يسلموا وقيل كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر فقراء
المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام
فنزل ليس عليك هداهم فتمنعهم الصدقة ليدخلوا في الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله يهدي
من اراد به هداية التوفيق اما هدى البيان والدعوة فانه كان على رسول الله فاعطوهم بعد نزول
هذه الاية قال ابو حنيفة يجوز انفاق صدقة الفطر لاهل الذمة ومنعه غيره وما تنفقوا
من خير من مال ونفقة معروفة فلانفسكم اي فثوابه لكم لا لغيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه
ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال تقدير الكلام وما تنفقوا
من خير فلانفسكم حال كونكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او وما تنفقون عطف
على ما قبله اي ليس عليك هداهم وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي اي لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله اي ثوابه لا لغيره من اعراض الدنيا وما
تنفقوا من خير فعل شرط تاكيد للشرطية السابقة وهي وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولذلك حذف
النون منهما يوف اليكم اي يعط ثوابه لكم وافرا اضعافا مضاعفة او يعط ما يخلف
المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وما هذه شرط
ويوف مجزوم جزاؤه وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون من ثواب اعمالكم ونفقاتكم شيئا
وهذا في صدقة التطوع اباح الله تعالى ان توضع في اهل الاسلام واهل الذمة واما الصدقة
المفروضة فلا يجوز وضعها الا في المسلمين للفقراء الجار والمجرور متعلق بمحذوف اي اعمدوا واقصدوا

الفقراء أي اجعلوا ما تنفقون من خير للفقراء لا لأنفسكم أو صدقاتكم للفقراء أو هذه الصدقات
للفقراء على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف
تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين الذين أحصروا في سبيل
الله أي حبسوا أنفسهم على الجهاد كانوا نحواً من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة
ولا عشائر بل كانوا في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى أي الفضة بالنهار وكانوا
يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى عليهم
الناس فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى لا يستطيعون لاشتغالهم بالجهاد ضرباً
أي ذهاباً وسيراً وسعياً في الأرض للكسب والمعيشة يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين وقرأ الآخرون بكسر السين أغنياء من التعفف من
أجل تعففهم عن السؤال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم أغنياء تعرفهم بسيماهم أي
بعلامتهم من التواضع والخشوع ورثاثة الحال وأثر الجهد والخطاب للرسول أو لكل أحد يصلح
لذلك لا يسألون الناس إلحافاً أي إلحاحاً بل لا سؤال أصلاً لقناعتهم وتوكلهم على الله و
الإلحاف هو أن يلازم المسؤول حتى يعطيه ولو فرض سؤالهم كان عن ضرورة من غير إلحاح قال
عطاء معناه إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء قال
صلى الله عليه وسلم لقبيصة إن المسألة حرمت إلا في إحدى ثلث في رجل أصابته جائحة فاجتاحت
ماله فيسأل حتى يصيب قواماً من عيشه ثم يمسك وفي رجل أصابته حاجة حتى يشهد له ثلثة
نفر من ذوي الحجى من قومه أن المسألة قد حلت له فيسأل حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك وفي
رجل تحمل بحمالة فيسأل حتى إذا بلغ أمسك وما كان غير ذلك فإنما يأكله صاحبه سحتاً وما تنفقوا
من خير فإن الله به عليم فيجازيه عليه ترغيب في الإنفاق وخصوصاً على الموصوفين بما ذكر
الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية قوله عز وجل سراً وعلانية هما حالان
تقديره ينفقون مسرين ومعلنين يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما
نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال نزلت في أبي بكر
الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً ودرهم سراً ودرهم علانية وقيل في عبد الرحمن بن عوف لما نزلت
للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله بعث بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفة وقيل في ربط
الخيل في سبيل الله والإنفاق عليها فإنها تعلف ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية قال صلى الله عليه وسلم
من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله
في ميزانه يوم القيمة فلهم أجرهم عند ربهم أي من أنفق كما ذكرنا فلهم ثواب حاضر وأجر ثابت عند
ربهم ولا خوف عليهم مما يستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى فيه ترغيب على التصدق في كل الأوقات
وعلى كل الأحوال قوله عز وجل فلهم إلخ خبر الذين ينفقون أموالهم بالليل والفاء للسببية وقيل

للعطف والخبر محذوف تقديره ومنهم الذين ينفقون ولذلك جوز الوقف على علانية الذين
يأكلون الربا أي الآخذون للربا والمعاملون به وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن
الربا شائع في المطعومات وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل بأن
يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى أجل أو في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه
عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا الذهب
بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء
بسواء عيناً بعين يداً بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير
بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يداً بيد كيف شئتم فجملة مال الربا عند الشافعي رحمه الله ما كان
ثمناً أو مطعوماً والربا نوعان ربا الفضل وربا النسأ وإذا باع مال الربا بجنسه مثل أن باع أحد
النقدين بجنسه أو باع مطعوماً بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحوها يثبت فيه كلا نوعي الربا حتى
لا يجوز إلا متساويين في معيار الشرع فإن كان موزوناً كالدراهم والدنانير يشترط المساواة في الوزن
وإن كان مكيلاً كالحنطة والشعير فباع بجنسه يشترط المساواة في الكيل ويشترط التقابض في
مجلس العقد وإذا باع مال الربا بغير جنسه نظر إن باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل أن باع
مطعوماً بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وإن باعه بما يوافقه في الوصف مثل أن
باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو باع مطعوماً بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه
ربا الفضل حتى يجوز متفاضلاً وجزافاً ويثبت فيه ربا النسأ حتى يشترط فيه التقابض في المجلس
وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب بالذهب إلى أن قال سواء بسواء فيه إيجاب المماثلة وتحريم
الفضل عند اتفاق الجنس وقوله عليه السلام عيناً بعين فيه تحريم النسأ وقوله عليه السلام
يداً بيد كيف شئتم فيه إطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس مع إيجاب التقابض في المجلس هذا
في ربا المبايعة ومن أقرض شيئاً بشرط أن يرد عليه أفضل فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر
منفعة فهو ربا وحاصل المذهب على ما ذكره الإمام النواوي رحمه الله أنه إذا بيع الطعام بالطعام
إن كان جنساً اشترط الحلول والمماثلة والتقابض قبل التفرق أو جنسين كحنطة وشعير جاز
التفاضل واشترط الحلول والتقابض قبل التفرق والطعام ما قصد للطعم أي للأكل اقتياتاً
كالبر والشعير والأرز والذرة وما هو قوت ويتأدم وتفكه كالتمر والزبيب أما التين فأدام
وتفكه وما هو للإصلاح والتداوي كالملح وما ألحق به كالمصطكي وغيرها من الأدوية وأما ما لا يقصد
تناوله مما يؤكل كالجلود فلا ربا فيه والبلوط ربوي لأنه يقصد تناوله ولو نادراً وأدقة الأصول
المختلفة الجنس وخلولها وأدهانها أجناس كأصولها فيجوز بيع دقيق الحنطة بدقيق الشعير
متفاضلاً وخل التمر بخل العنب كذلك ودهن البنفسج بدهن الورد كذلك واللحوم والألبان
أجناس في الأظهر كأصولها فيجوز بيع لحم البقر بلحم الضأن متفاضلاً ولبن البقر بلبن الضأن
متفاضلاً والمماثلة تعتبر في المكيل كيلاً والموزون وزناً والمعتبر في الكيل والوزن غالب عادة
أهل الحجاز في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جهل يراعى فيه عادة بلد البيع والنقد أي الذهب والفضة

كطعام بطعام فيما ذكرنا فلو باع طعاما او نقدا بجنسه جزافا تخمينا وحزرا لم يصح البيع
وان خرجا سواء للجهل بالمماثلة حال البيع وتعتبر المماثلة فى الثمار فى الحبوب وقت الجفاف الذى
يحصل به الكمال وقد يعتبر الكمال بالجفاف او لا فى مسئلة العرايا فلا يباع رطب برطب ولا عنب
بعنب ولا بزبيب للجهل بالمماثلة وقت الجفاف لانه ينقص اذا جف وما لا جفاف له كالقثاء
والعنب الذى لا يتزبب لا يباع بعضه ببعض اصلا كالرطب بالرطب والربوا بالقصر والفه
بدل من واو وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لا يقومون يوم القيمة اذا بعثوا من قبورهم الا قياما كما يقوم اى مثل قيام الشخص الذى
يتخبطه اى يصرعه الشيطان يعنى الا قياما كقيام المصروع لانه تخبط فى المعاملة فجوزى على
المقابلة والخبط ضرب على غير استواء كخبط العشواء وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع من المس اى من الجنون يقال مس الرجل وهو ممسوس اذا كان مجنونا
وهذا ايضا من زعمات العرب ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وقوله
عز وجل من المس متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس والجنون الذى بهم بسبب اكل
الربا الا كما يقوم المصروع المختبل او بيقوم [redacted] او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى فى بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك
اى ذلك العقاب والعذاب الذى نزل بهم بانهم اى بسبب انهم قالوا انما البيع مثل الربوا
فى الجواز يعنى انهم نظموا الربوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله
وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع
وفى قول كان الرجل اذا حل اجل ماله طلبه فيقول له المطلوب زدنى فى الاجل وازيدك فى
مالك فيفعلان ذلك فاذا قيل لهما هذا ربوا لا يجوز فعلكما ذلك قالا الزيادة فى اول البيع كالزيادة
فى اخر البيع وقيل قالا الربوا والبيع سواء فى الحل فابطل الله قولهم بقوله واحل الله البيع
وحرم الربوا وهذا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص يعنى ان النص يبطل القياس
المخالف له فمن جاءه بلغه موعظة اى وعظ من ربه اى الزجر بزجره كالنهى عن الربوا فانتهى
عن اكل الربوا بعد ما سمع النهى فله ما سلف اى له ما تقدم اخذه على التحريم اى هو ملكه
ولا يسترد منه اى لا يواخذ بما مضى من ذنبه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله
اى يجازيه الله على انتهايه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم الله فى
شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شئ ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ
الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا بالاستحلال وعن
عون بن ابى جحيفة عن ابيه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغى
ولعن اكل الربوا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور وعن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم
لعن اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وعن ابى هريرة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا سبعون بابا اهونها عند الله تعالى كالذى ينكح امه والاحاديث

ذكرها

ذكرها محى السنة والفرض فى تفسيره فرحم الله امرأ بتنبه لوعظ القران واحاديث النبى صلى الله عليه وسلم
قبل ان يتخبط ويصرع على رءوس الاشهاد يمحق الله الربوا اى يذهب الله بركته ويهلك
المال الذى يدخل فيه وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما يمحق الله الربوا يعنى لا يقبل
منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ويربى الصدقات اى يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها
فى العقبى ويبارك فيما اخرجت منه فى الدنيا وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها
كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب
كل كفار اى عظيم الكفر باستحلال الربا اثيم متماد فى الاثم باكل الربا قال السلطان معناه
انه تعالى لا يرتضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار اى مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه
ان الذين امنوا اى صدقوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وبما جاء منه تحريم الربا وعملوا الصالحات
اى الطاعات واقاموا الصلوة اى الصلوات الخمس بمواقيتها واركانها وادابها واتوا الزكوة
اى الصدقة المفروضة لهم اجرهم عند ربهم اى ثواب اعمالهم من غير نقص ولا خوف عليهم من ات ولا
هم يحزنون على فايت وفيه ترغيب لاهل الايمان فى الاعمال الحسنة وترهيب عن الاعمال السيئة يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله اى اخشوه ولا تعصوه فيما نهاكم عن امر الربوا وغيره وذروا اى اتركوا ما بقى من الربوا
اى ما بقى من الزيادة بعد اخذكم ما شرطتم على الناس من الربا فلا تطلبوها يعنى انهم اخذوا ما شرطوا
الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوها روى انها نزلت فى ثقيف وكان لهم
على بعض من قريش مال فطالبوهم بالربوا والمال عند المحل ان كنتم مؤمنين بتحليلكم فان دليله امتثال ما
امرتم به فان لم تفعلوا اى ان لم تتركوا الزيادة ولم تقروا بتحريم الربوا فاذنوا اى فاعلموا وايقنوا
بسكون الهمزة وفتح الذال من اذن بالشئ اذا علم به ويويده قراءة الحسن فايقنوا وقرا حمزة وعاصم
فى رواية ابى عياش فاذنوا بفتح الهمزة الممدودة وكسر الذال من الايذان بمعنى الاعلام اى فاعلموا غيركم
من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم بحرب من الله ورسوله تنكير حرب للتعظيم وذلك
يقتضى ان يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفىء الى امر الله كالباغى ولا يقتضى كفره اى فاعلموا بنوع حرب
عظيم من عند الله ورسوله او فاعلموا غيركم بذلك فحرب الله النار وحرب رسوله السيف قيل
يقال يوم القيمة لاكل الربوا خذ سلاحك للحرب من الله روى انها لما نزلت هذه الاية قالت ثقيف
لا يدى لنا بحرب الله ورسوله اى لا طاقة لنا بذلك ورضوا برءوس اموالهم ثم بين الله تعالى الحكم
بعد التوبة بقوله وان تبتم اى وان رجعتم عن الارتباء واعتقاد حله فلكم رءوس اى اصول
اموالكم التى اربيتم بها لا تظلمون غيركم اى المديون بطلب الزيادة على راس المال ولا تظلمون
بالمطل والنقصان عن راس المال ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد
على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ ولما غلب النبى صلى الله عليه وسلم على اهل مكة وقال
فى خطبته يوم عرفة الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة
وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله
هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله ورضى

المربون برأس المال فشكى بنو المغيرة العسرة وقالوا أخرونا الى ان ندرك الغلات فأبوا ان يؤخروا فأنزل الله تعالى وإن كان ذو عسرة اى وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة وقرئ
ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة يعني ان كان الذي عليه الدين معسرا قوله ذو عسرة مرفوع لان اسم كان
كان تامة لا يحتاج الى خبر فنظرة خبر مبتدأ محذوف اى فالحكم في المعسر انظار وامهال وتأخير
الى ميسرة اى الى وقت يسر من ادراك ثمار وغيره قرأ نافع وحمزة ميسرة بضم السين وقرأ الآخرون
بفتحها وأن تصدقوا اى وتصدقكم وابراؤكم باسقاط الدين كله عمن اعسر من الغرماء او بالتاخير
والانظار والامهال خير لكم مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه او اكثر ثوابا من الانظار
وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له
بكل يوم صدقة وفي حديث آخر من انظر معسرا او وضع له انجاه الله من كرب يوم القيمة وفي
حديث مسلم من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله قرأ عاصم بتخفيف الصاد
والآخرون بتشديدها إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل او انه خير لكم فاعملوا به
جعل من لا يعمل بعلمه كمن لا يعلم واتقوا يوما ترجعون بالبناء للمفعول تردون وبالبناء للفاعل
تصيرون فيه الى الله معناه اخشوا يوما تردون وتصيرون فيه الى حكم الله وهو يوم
القيمة او يوم الموت فما هو المصير كم اليه ثم توفى تكمل في ذلك اليوم كل نفس جزاء ما كسبت
اى عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص حسنة او زيادة سيئة قال ابن عباس هذه
آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على رأس مائتين وثمانين آية
من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما او تسع ليال او سبع
ليال وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات ومات يوم الاثنين لليلتين
خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة احدى عشرة من الهجرة وقال الشعبي عن ابن
عباس ان آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا قيل انما امر بوضعها هنا تأكيدا
للزجر عن الربا يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اى اذا تعاملتم بالدين يعني اذا داين
بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من
التداين المجازاة والمعاطاة وتعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتابة ويكون
اى الدين مرجعا لضمير فاكتبوه الى اجل مسمى اى معلوم بالايام والاشهر لا بالحصاد والدياس
وقدوم الحاج ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب
قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند اكثر اهل العلم فاكتبوه اى اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان
او سلما او قرضا لان الكتابة اوثق وادفع للنزاع وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم
الله الربا اباح السلف واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي فرض والاكثرون على انه امر استحباب
فان ترك فلا بأس كقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الارض وقال قوم كانت كتابة الدين
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله الآتي فان امن بعضكم بعضا الآية وليكتب كتاب الدين بينكم
بين المتداينين كاتب بالعدل من يكتب بالحق والسوية في كتابه بان لا يزيد في المال والاجل ولا ينقص

۲ منهما وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا
بالشرع ولا يأب اى لا يمتنع كاتب احد من الكتاب من ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة
على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم الى وجوبها اذا طولب وهو قول مجاهد وقال
يجب اذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الندب والاستحباب وقال الضحاك كانت عزيمة
واجبة على الكاتب والشهود فنسخها قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وقال السلطان وهو
امر للمتداينين الخ كما ذكرنا كما علمه الله اى كما شرعه الله اى مثل ما علمه من كتبة الوثائق
او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها من فضله فلا يعجزها كقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك والكاف متعلق بيأب او بيكتب [illegible] فليكتب تلك الكتابة المعلمة
امرها بعد النهي عن الاباء تأكيدا ويجوز ان يتعلق كاف كما علمه الله بهذا الامر فيكون النهي عن الاباء
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل على الكاتب الذي عليه الحق اى الدين يعني يقول
المديون لكاتب الوثيقة لفلان علي كذا وكذا ومعنى الاملاء ان يقول رجل ويكتب آخر اى
ليملي على الكاتب من عليه الحق للدائن لان قوله حجة على نفسه فيكون بالاملاء على الكاتب اقرار
منه لوجوب الحق والاملال والاملاء واحد وهو الاعتراف والاقرار باللسان ثم خوف المملي اى
المديون او الكاتب بقوله وليتق الله ربه اى وليخش الله المملي او الكاتب في الاملاء والاقرار بما
عليه او في كتابته ولا يبخس منه اى لا ينقص من الحق الذي عليه او في كتابته شيئا اى
من الحق او مما املي عليه ولو كان قليلا فان كان الذي عليه الحق وهو المديون المطلوب
بالدين سفيها اى ناقص العقل مبذرا مفسدا لماله او دينه كما قاله الشافعي او جاهلا بالاملاء
او طفلا صغيرا او ضعيفا اى شيخا كبيرا هرما مختلا عاجزا عن الاملاء او صغيرا لا يعقل او لا يستطيع
ان يمل هو اى لا قدرة له على الاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه اى
ولي المديون اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من والد ووصي وقيم ان كان صبيا او مختل عقل
او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص
بما تعاطاه القيم او الوكيل وقيل وليه صاحب الدين لانه اعرف بحقه بالعدل اى بالصدق
والسوية والحق والقسط واستشهدوا شهيدين اى واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من
رجالكم اى من بالغي المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان والكفار وهو قول اكثر اهل العلم
وقال بعضهم تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين اى فان لم يكن
الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص
عندنا بالاموال وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة وذهب امامنا الشافعي الى ان ما يطلع
عليه النساء غالبا كالولادة والرضاع والثيابة والبكارة ونحوها يثبت بشهادة رجل وامرأتين
او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة في العقوبات ممن ترضون
من الشهداء يعني من كان مرضيا في ديانته وامانته اى لعلمكم بعدالتهم قوله ممن ترضون في
محل الرفع صفة رجل وامرأتان وشرائط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ

والعدالة والمروءة وانتفاء التهمة فشهادة الكافر مردودة لان المعروفين بالكذب على الناس
لا تجوز شهادتهم فالذي يكذب على الله اولى ان يكون مردود الشهادة ولا قول للمجنون حتى تكون
له شهادة ومعنى العدالة ان يكون الشاهد مجتنبا للكبائر غير مصر على الصغائر ومعنى المروءة وهي
ما يتصف النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحياء وهي حسن الهيئة والسيرة والعشرة والصناعة فان كان
الرجل يظهر من نفسه في شيء منها ما يستحيي امثاله من اظهاره في الاغلب يعلم به قلة مروته وترد شهادته
ومعنى انتفاء التهمة بان يكون بين الاثنين عداوة وان كان مقبول الشهادة على غيره لانه متهم في
حق عدوه ولا تقبل شهادة الرجل لولده ووالده وان كان مقبول الشهادة عليهما وعن عائشة
رضي الله عنها ترفعه لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على اخيه ولا ظنين في ولاء
ولا قرابة ولا التابع مع اهل البيت ثم ان تعدد النساء لاجل ان تضل اي تنسى وقرا حمزة
ان تضل بكسر الهمزة فتذكر برفع الراء وقرا الاخرون بفتح الهمزة وفتح الراء احداهما اي احدى المراتين
الشاهدتين الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن فتذكر احداهما اي الذاكرة للشهادة
الاخرى اي الناسية للشهادة والمعنى على التفعيل اذا نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى
فتقول الستا حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا يعني فلتكن المراتان شاهدتين لارادة ان تنسى احداهما
فتذكر احداهما الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزلت منزلته
كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى
ان ضلت وقرا ابن كثير واهل البصرة فتذكر مخففا وقرا الباقون مشددا ثم حث الشهداء على
الشهادة بقوله ولا يأب اي لا يمتنع الشهداء عن اداء الشهادة او تحملها اذا ما دعوا الى
الحاكم ليشهدوا او يتحملوا وما زائدة لتحسين النظم وملاحته قال العلماء ليس في القران
شيء زائد ولا المكرر الا في الصورة وذلك لمن لم يتدبر ما قبل المكرر وما بعده وسماهم شهداء قبل
التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن والواقع وهو امر ايجاب عند بعضهم وقال بعضهم يجب ان
يتحمل او يشهد اذا لم يكن غيره فان كان فهو مخير وقال بعضهم امر ندب وهو مخير في جميع الاحوال
والله اعلم ثم حرض على الكتابة بقوله ولا تسأموا اي ولا تملوا ولا تتركوا من كثرة مدايناتكم من
ان تكتبوه الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك
قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت قال لبيد: ولقد سئمت من الحياة وطولها: وسؤال
هذا الناس كيف لبيد: وقال: سئمت تكاليف الحياة ومن يعش: ثمانين حولا لا ابا لك يسأم
صغيرا او كبيرا اي صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مطولا مشبعا او قليلا او كثيرا
الى اجله اي الى وقت حلول الدين الذي اقر به المديون اي الوقت المعلوم بين الخصمين بالتسمية
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اي ذلكم الكتب يعني كتب الحق الى اجله المعلوم بين الخصمين اقسط اي
اعدل واكثر اقساطا عند الله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه واقوم للشهادة واثبت
للشهادة واعون على اقامتها لان الكتابة تذكر الشهود وبني افعل التفضيل اي اقسط واقوم من اقسط
واقام على مذهب سيبويه وادنى ان لا ترتابوا اي واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره

واجله

واجله والشهود يعني ان الكتابة والاشهاد بالشهود العدول احفظ لاموالكم ولانتفاء الريب
والشك عن الحاكم والشاهد وصاحب الحق ثم استثنى عن الامر بالكتابة فقال الا ان تكون تجارة اي
مبايعة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها والمراد بالتجارة الحاضرة
المبايعة بدين او عين وبادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد ومعناه لا تتسامحوا عن كتابة
الدين الا ان تتبايعوا يدا بيد يعني الا ان يكون البيع بيعا حاضرا تتداولها ايديكم بان تقبضوها ولا اجل
فيها فلا بأس عليكم ان لا تكتبوا التجارة اي المتجر فيها لبعده عن التنازع والنسيان بخلاف التداين فان
ذلك لا يخلو عن النزاع ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة
تجارة حاضرة ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او رفعها على ان كان تامة اي الا ان تقع تجارة
واشهدوا على التبايع اذا تبايعتم مطلقا سواء كانت التجارة حاضرة او مؤجلة لانه احوط وادفع
الى الاختلاف وقيل اراد بالتبايع التجارة الحاضرة على ان الاشهاد فيها كاف دون الكتابة والاوامر التي
في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب وهو قول الضحاك ثم اختلف في احكامها
ونسخها وقيل الامر فيه الى الامانة قال الله تعالى فان امن بعضكم بعضا الاية ولا يضار كاتب ولا
شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل او للمفعول وقد قرئ بهما لكن بفك الادغام نحو يضارر
فعلى البناء للفاعل اي بكسر الراء الاولى كما هو قراءة عمر نهى الكاتب والشاهد عن ترك الاجابة
اليهما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان في الكتبة والشهادة وعلى البناء للمفعول اي بفتح
الراء الاولى كما هو قراءة ابن عباس رضي الله عنهما النهي عن الضرر بهما مثل ان يعجلا عن مهم و
يكلفا الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ولا يعطى الشاهد مؤنة مجيئه حيث
كان والمعنى تفصيلا في الكاتب والشاهد على البناء للفاعل لا يضار الكاتب فيابى ان يكتب ولا الشهيد
فيابى ان يشهد او لا يضار الكاتب [illegible] فيزيد او ينقص او يحرف فيما املي عليه ولا يضار
الشاهد فيشهد بما لم يستشهد عليه هذا قول طاوس والحسن وقتادة وعلى البناء للمجهول ان يدعو الرجل
الكاتب والشاهد وهما على شغل مهم فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا ويحرج عليهما فيعينهما
الداعي بقوله ان الله تعالى امركما ان تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما عن حاجتهما فنهى الله عن ذلك وامر بطلب
غيرهما وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فان فعلكم الضرار فسوق بكم اي معصية
ومأثم وخروج عن طاعة الله لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه او في الضرار
او فيما امركم من الكتابة والاستشهاد وفيما نهاكم من الاضرار ويعلمكم الله احكامه المتضمنة
لمصالحكم اي شرائع دينه قوله ويعلمكم الله في محل النصب على انه حال مقدرة او في محل الرفع على انه مستأنف
والله بكل شيء عليم اي عالم بنياتكم واعمالكم وغيرها كرر لفظة الله في الجمل الثلث لاستقلالها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من
الكناية وان كنتم على سفر اي مسافرين وتداينتم ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة
معنى الاية وان كنتم في سفر وتداينتم ولم تجدوا كاتبا بالكلية او كاتبا يحسن الكتابة او لا تجد
الصحيفة او الدواة والقلم فاطلبوا المرهون واقبضوه ايها المرتهنون ممن تداينونه ليكون

ما اخذتم وثيقة لكم باموالكم ولما كان السفر مظنة لإعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مكان التوثيق بالكتابة والاشهاد لا ان السفر شرط فيجوز الارتهان كما ظن من ظن لان النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك ولهذا قال فرهان مقبوضة اى فرهونة مسلمة الى المرتهن للتوثيق قال محي السنة والقرض اى ارهنوا واقبضوا حتى لو رهن ولم يسلم لا يجبر الراهن على التسليم فاذا اسلم لزم من جهة الراهن حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شيء من الحق باقيا ويجوز الرهن في الحضر مع وجود الكاتب وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الاية وقد ذكرنا الدليل على خلاف ما ظنه المجاهد والضحاك ايضا وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن في موضع فرهان وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن اخذ المرهون فليؤد اى فليقض الذي اؤتمن اى المديون الامين امانته اى دينه الذي في ذمته من غير رهن وليتق الله ربه اى وليخش المديون ربه الذي خلقه فسواه في الخيانة وانكار الحق وليؤد ما عليه من غير حيلة ثم خاطب الشهود بالتهديد من كتمان الشهادة بقوله عز وجل ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون اذا دعيتم لاقامتها عند الحاكم والشهادة شهادتهم على انفسهم ثم اوعد عليه فقال ومن يكتمها فانه اثم قلبه اى فاجر قلبه او يأثم قلبه او قلبه يأثم قيل ما اوعد الله على شيء كما يعاد على كتمان الشهادة لانه قال فانه اثم قلبه واراد باثم القلب مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكباير الاشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة وخص القلب بالذكر لانه محل الشهادة ولانه اذا اثم تبعه غيره فيعاقب معاقبة الاثمين لانه رئيس الاعضاء والمضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله فكانه قد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه لان افعال القلوب اعظم من افعال ساير الجوارح الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب وفي الحديث انما الاعمال بالنيات اى صحتها عندنا ومحل النية القلب اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك سبحانك ما ارحمك بعبادك والله بما تعملون من بيان الشهادة وكتمانها عليم عالم بكم لا يخفى عليه خافية لله ما في السموات وما في الارض اى له خلقا وملكا نزل لتاكيد تهديد عباده من العصيان وان تبدوا اى تظهروا ما في انفسكم اى قلوبكم من السوء والعزم عليه او تخفوه اى او تسروا السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله اى يجازيكم به يوم القيمة معناه كما قال الحسن اثبت الله للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم فليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة في جوارحه او همة في قلبه الا يخبره الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب ما يشاء ويدل عليه قوله تعالى ان السمع والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض وقال قوم لا يدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لان ذلك مما ليس في وسعه ولكن ما اعتقده وعزم عليه

والحاصل ان عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب اذا ندم عليها ورجع عنه واستغفر منه مغفور فاما اذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك الا انه منع عنه بمانع لا باختياره فانه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله اى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا يعاقب لقوله عليه السلام ان الله عفى عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم والجمهور على ان الحديث في الخطرة دون العزم وان المواخذة في العزم ثابتة والدليل عليه قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد بالمعصية من عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا وفي اكثر التفاسير انه لما نزلت الاية جزعت الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا انواخذ بما حدثت به انفسنا فنزل قوله تعالى امن الرسول الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون وفي بعضها انها نسخت بهذه الاية والمحققون على ان النسخ يكون في الاحكام لا في الاخبار فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفع يغفر ويعذب ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف اى فهو يغفر ويعذب وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط وقال بعضهم ادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله ولان الراء في الاصل حرف تكرير فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف والله على كل شيء قدير منه محاسبتكم وجزاؤكم او فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن صدق الرسول محمد عليه السلام بما انزل اليه من ربه اى من القران فهذا شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه عليه السلام جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون عطف على الرسول فيكون المؤمنون داخلين فيما امن به الرسول كل امن اى كل واحد من الرسول والمؤمنين صدق بالله ايمان اثبات وتوحيد قال السلطان لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين اى في كل راجعا الى الرسول والمؤمنون او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وملائكته ايمان توقير وتعظيم وكتبه القراءة بالجمع والافراد بان الكتب من عند الله ورسله اى بانهم صادقون فيما بلغوه عن الله تعالى لا نفرق اى يقول الرسول والمؤمنون لا نميز ولا نفرق بين احد من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله وما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب قالوا سمعنا جئناك واطعنا امرك ولما نزلت هذه الاية قال جبريل للنبي عليهما السلام ان الله قد اثنى عليك وعلى امتك فسل تعط فسال بتلقين الله فقال غفرانك اى اغفر غفرانك او نسأل ونطلب غفرانك ربنا واليك المصير اى المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث والجزاء ولما نزلت الاية قبلها شكى المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزلت فضلا منه سبحانه ورحمة لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى الا ما يسعه قدرتها وطاقتها شفقة منه

ولطفاً بعباده لان التكليف لا يرد الا بفعل يقدر عليه المكلّف كذا في شرح التاويلات وللكونجي
زلقات فالله حسيبه في نفي المحاسبة والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه فوسع الله
على المؤمنين امر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر
وما جعل عليكم في الدين من حرج كذا قال ابن عباس وقال ابن عيينة الا وسعها اى الا يسرها
ولم يكلفها دون طاقتها لها ما كسبت اى للنفس ما عملت من الخير لها اجره وثوابه وعليها ما
اكتسبت اى وعلى النفس ما اكتسبت من الشر يعني عليها وزره وعقابه ولا يواخذ احد بذنب
احد ولا بما لم يكسبه ولا بما وسوست به نفسه وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان
الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجدّ في تحصيله واعمل بخلاف
الخير ولما كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطئوا بعمل شيء من ما نهوا عنه عجلت
لهم العقوبة وحرّم عليهم شيء من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب امر الله المؤمنين ان
يسألوه ترك مواخذتهم بذلك فسألوا وقالوا ربنا لا تؤاخذنا بالعقاب ان نسينا اى ان
تركنا امرا من اوامرك سهواً وغفلة كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اى تركهم او اخطأنا اى تركنا
الصواب او تجاوزنا الحدّ لا عن عمد كما اخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الامة لقوله
عليه السلام رُفع عن امتي الخطأ والنسيان فيجوز الدعاء بالمرفوع عنهم للاعتراف بنعمة الله وفضله
وقيل معنى الخطأ القصد والعمد اى تعمدنا الخطأ كقوله تعالى ان قتلهم كان خطأً كبيرا وقال عطا
نسينا جهلنا اخطأنا تعمدنا والاكثرون على ان الخطأ هو الجهل والسهو لان ما كان عمداً من
الذنب غير معفو عنه بل هو في مشيئة الله تعالى والخطأ معفو عنه كما مرّ في الحديث وقال
السلطان لا تؤاخذنا بما ادّى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالات او بانفسهما
اذ لا يمتنع المواخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان
خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة
وفضلا ربنا ولا تحمل علينا اصرا اى امرا يثقل علينا يعني عبأً ثقيلا يأصر صاحبه اى
يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة او لا تحمل علينا اصرا اى عهداً وميثاقاً ثقيلا لا نستطيع القيام به
فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا اى اليهود فلم يقوموا بذلك فعذبتهم
او بني اسرائيل والمراد به ما كلفهم الله به من قتل الانفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة ومن اصابهم ذنب اصبح وذنبه مكتوب على بابه
او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة اى ما لا قوة لنا به من البلاء
والعقوبة النازلة بمن قبلنا اى التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز
التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه او لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق وقيل هو حديث
النفس والوسوسة او الغلمة وقال محمد بن عبد الوهاب هو العشق او المسخ الى القردة والخنازير
وقيل الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا اى استر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمواخذة وارحمنا اى وتعطف بنا وتفضل علينا فانا لا ننال العمل الا بحولك

وقوتك او ادخلنا جنتك برحمتك وقيل واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وارحمنا من
القذف لان هذه كلها اصابت الامم الماضية انت مولانا سيدنا ومتولي امورنا وحافظنا
ونحن عبيدك نطلب العون منك فانصرنا على القوم الكافرين باقامة الحجة والغلبة في قتالهم
فان من شان المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس انه قال في قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا
قال الله لا اواخذكم وفي قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال الله لا احمل عليكم وفي قوله ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به قال الله لا احملكم وفي قوله واعف عنا الى الاخرة قال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم
ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين وفي الحديث لما نزلت
هذه الاية فقراها النبي صلى الله عليه وسلم قيل له عقب كل كلمة قد فعلت وعن طلحة هو ابن مصرف
عن مرة عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهو في السماء
السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا
الصلوات الخمس واعطي خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وعن
عبد الرحمن بن يزيد عن ابي مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الايتان من اخر سورة البقرة من قراهما
في ليلة كفتاه وفي رواية اخرى اجزأتاه عن قيام الليل وعن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل منه ايتين ختم بهما
سورة البقرة فلا يقرآن في دار ثلث ليال فيقربها شيطان وقال صلى الله عليه وسلم السورة التي
تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن اى خيمته او مصره الجامع فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة
ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة يا رسول الله قال السحرة اى لا تستطيع البطلة ان تحفظها
وفي المدارك يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي يذكر فيها
البقرة وقال حجة الاسلام زين الانام كاشف الظلام امام الخاص والعام محمد بن محمد
محمد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه المسمى بجواهر القرآن ما نصه وفي سورة البقرة اربع عشرة اية هي
جواهر القرآن قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا الاية وقوله وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السماء الاية وقوله قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وقوله الم تعلم ان الله على
كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وقوله ولله المشرق
والمغرب الى اخر الايات الثلث وقوله فسيكفيكهم الله الايتين وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل الاية وقوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب الاية وقوله
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم الاية وامن بها ربها اهن واربعون من البسملة الى
المفلحون ويا ايها الناس اعبدوا الاية ويا بني اسرائيل الى الخاشعين وثم قست الى تعملون واقيموا الصلاة الى
وبلى من اسلم الاية واتقوا يوما الاية فاذكروني الى هم المهتدون يا ايها الناس كلوا الى ما لا تعلمون وليس البر

الى هم المتقون واتقوا الله اى يحب المحسنين ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية واعلموا ان الله يعلم
ما فى انفسكم الاية ومثل الذين ينفقون الى ولا هم يحزنون وقول معروف الى ولا هم يحزنون ويا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وذروا الى ولا يظلمون واتقوا يوما ترجعون الاية ولله ما فى السموات الى اخر السورة واما السبع
الثانى فالسطر الاول عدد من الجواهر والسطر الثانى من الدرر والمراد من الجواهر اقتباس انوار المعرفة فقط
ومن الدرر الاستقامة على سواء الطريق بالعمل فالاول علمى والثانى عملى واصل الايمان العلم والعمل اللهم
علمنى معانى ايات قرانك وارزقنى العمل بها آمين سورة آل عمران مدنية وهى مائتان
او الاية

بسم الله الرحمن الرحيم الم

الله اللطيف المجيد عالم بمراده بذلك انما فتح الميم فى المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء
حركة الهمزة عليها لتدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف
كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم يحرك فى لام وحرك
بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الله مبتدأ
لا اله الا هو خبره وخبر لا مضمر والتقدير لا اله فى الوجود الا هو وهو فى موضع الرفع بدل من موضع لا
واسمه الحى القيوم خبر مبتدا محذوف اى هو الحى او بدل من هو والظاهر انه نعت لما قبله كما قاله
الشيخ الامام محى السنة والفرض اى القايم بالقسط والقايم على كل نفس بما كسبت اى الحى الدايم البقاء ابدا
والقيام بتدبير خلقه بالرزق والاجل وحفظه وقد ذكرنا بعض ما يتعلق بمعناه فى سيد الاى
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان اسم الله الاعظم فى ثلث سور فى البقرة الله لا اله الا هو
الحى القيوم وفى ال عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم قال الكلبى
والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الايات فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا وبينهم رؤساؤهم
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قالوا وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية فى جمال قال
كعب يقول من راهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه دعوهم فصلوا الى المشرق وتكلم السيد والعاقب فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا اسلمنا قبلك قال صلى الله عليه وسلم كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما
لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن لله ولد فمن ابوه وتخاصموا جميعا فى
عيسى عليه السلام فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا
بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى عليه السلام ياتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون
ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم
تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما
علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف يشاء وربنا لا ياكل ولا يشرب وعيسى ياكل ويشرب
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها
ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا فانزل الله تعالى صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها ومعنى قوله تعالى نزل اى هو
نزل

نزل عليك يا محمد الكتاب اى القران نجوما ملتبسا بالحق اى نزله حقا ثابتا بالعدل والصدق
فى اخباره او بالحجج القاطعة انه من عند الله وهو فى موضع الحال مصدقا لما بين يديه اى لما
قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرايع وانزل التورية والانجيل جملة على
موسى وعيسى عليهما السلام وانما قال نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل لان القران نزل
منجما ونزل الكتابان جملة كما شرحنا من قبل اى من قبل تنزيل القران ومعنى التورية بالعبرانية
توروتى ومعناه بالعربية الشريعة او النور والضياء ومعنى الانجيل بالسريانية انقليون ومعناه
بالعربية الاكليل والسعة او النور هدى للناس نصب على الحال من التورية والانجيل ولم يثن هدى
لانه مصدر فى معنى اسم الفاعل اى هاديين جميع الناس من امة موسى وعيسى ومن تبعهما وقال
السلطان معناه على العموم اذا قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما فحسب وقال الشيخ
هاد لمن تبعه وانزل الفرقان قال السلطان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق
والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها كانه قال وانزل ساير ما تفرق به بين الحق
والباطل اى الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث
انه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات وذهب
اكثر المفسرين الى ما ذكر ولكن الشيخ الامام محى السنة والفرض فى معنى وانزل الفرقان اى الفرق بين
الحق والباطل ثم قال وقال السدى فى الاية تقديم وتاخير تقديرها وانزل التورية والانجيل والفرقان
هدى للناس ويلزم من هذه العبارة صريحا تفضيل القران على جميع الكتب لكونه معجزا فارقا باقيا
الى اخر الدهر وفى التفسير الكبير ان المراد بالفرقان معجزات تقارن جميع الكتب المنزلة حين النزول
وكانت مميزة بين دعوى الصدق والكذب وهكذا ذكره الواعظ فى تفسيره والله اعلم بمراده بذلك
ان الذين كفروا بايات الله اى بالقران ومعجزات النبى صلى الله عليه وسلم او بالكتب المنزلة
وغيرها من معجزات الانبياء عليهم السلام لهم عذاب شديد بسبب كفرهم نزل فى شان
المشركين من العرب واليهود كما ذكرنا والله عزيز غالب على امره فلا يمنعه شئ من انفاذ وعيده وعده
ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم يعنى هو ذو اقتدار وبطش وهو وعيد
جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة فى اثبات النبوة اى بالتعرض لانزال الكتب
تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شئ كاين فى الارض ولا فى
السماء اى شئ كاين فى العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عن العالم بالسماء والارض اذ الحس
لا يتجاوزهما وقدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل
على كونه حيا هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء اى يخلقكم فى صور مختلفة اى يركب
فى اى صورة شاء من اسلافه وذوى ارحامه او غيرهم على حسب مشيته من ذكر او انثى ابيض او
اسود حسن او قبيح تام او ناقص وهو كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان
فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ
لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اى الغالب بالنقمة على الكافر

والفاعل بالحكمة يصور الخلق كما يشاء بعلمه فهو اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته وهذا رد
على وفد نجران من النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله او الرب فكأنه يقول كيف يكون عيسى
ولدا لله وقد صوره في الرحم وهو مركب وحال في مركب وفي معرض الفناء والزوال وفي الحديث
المشهور ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا او يبعث اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد
قال عليه السلام وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وقال صلى الله عليه وسلم يدخل الملك على النطفة
بعد ما يستقر في الرحم باربعين او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب اشقي او سعيد فيكتبان فيقول اي رب
أذكر او انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص فانظر
الى صنع الملك واعتبر **هو الذي انزل عليك الكتاب** اي القران **منه** اي من الكتاب **آيات محكمات**
اي مبينات مفصلات واضحات الدلالة أحكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه فتمنع
الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها **هن ام الكتاب** اي اصل الكتاب المعتمد
عليه في الاحكام يعني تحمل المتشابهات عليها وترد اليها وانما قال هن ام الكتاب والقياس
امهات الكتاب لان الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة اي نزلها او افرد على تأويل كل واحد
اي كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية اي كل واحد منهما آية **واخر** اي
وآيات اخر **متشابهات** صفة لاخرى ومنه آيات اخر [illegible] فيها اشتباه واحتمال تحتاج الى تأويل
لا يفهم معانيها كاوائل السور واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم
منه معرفته لان معناه ان القياس يعرف ولم يعرف لانه في معنى المعرف او عن آخر من فان قيل
ان الله قد جعل القران كله محكما في قوله الر كتاب احكمت آياته قلنا اراد بذلك ان آيات القران
كلها حق ليس فيها عبث ولا هزل ولا عيب وانها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ فان قيل
وقد جعله كله متشابها في قوله سبحانه الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها قلنا اراد بذلك
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ وفي الحق والصدق والحسن والسبك اما ههنا
فقد جعل بعضه محكما وبعضه متشابها فان قيل لم لم يجعل كل القران محكما قلنا اراد بذلك ان
يتميز الراسخ الثابت على الحق القائل بان المتشابه من عند الله لا نعلم معناه من الزائغ المتزلزل فيه
المتعلق بظاهره او بتاويل باطل او ان يظهر فضل العالم الذي يرده بالفهم الثاقب الى المحكم على
الجاهل كما قال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والله اعلم واختلف العلماء فيهما فقال
ابن عباس المحكمات هي الآيات الثلث في سورة الانعام يعني قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها
في سورة بني اسرائيل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الآيات وعنه انه قال المتشابهات
حروف التهجي في اوائل السور وقال مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه من الحلال والحرام وما سوى
ذلك متشابه يشبه بعضه بعضا في الحق وتصدق بعضه بعضا كقوله تعالى وما يضل به

في رواية البخاري الا ذراع

الا الفاسقين

الا الفاسقين ويجعل الرجس على الذين لا يؤمنون وقيل المحكم الناسخ يعمل به والمتشابه المنسوخ
الذي يؤمن به ولا يعمل به وعن علي بن طلحة عن ابن عباس انه قال محكمات القران ناسخه
وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه
ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وقيل المحكمات ما اوقف الله الخلق
على معناها والمتشابهات ما استأثر الله بعلمه لا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن اشراط الساعة
من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا
وقيل المحكم ما لا يحتمل من التاويل غير واحد والمتشابه ما احتمل اوجها وقيل المحكم ما يعرف معناه
وتكون حججه واضحة ودلائله لائحة لا تشتبه والمتشابه هو الذي يدرك بالنظر ولا يعرف العوام
تفصيل الحق فيه من الباطل وقال بعضهم المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل
بنفسه الا برده الى غيره وقال ابن عباس في رواية باذان المتشابه حروف التهجي في اوائل السور
وذلك ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فننشدك بالله أنزلت عليك قال نعم قال فان
ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل عليك غيرها قال نعم المص
قال فهذه اكثر هي احدى وستون ومائة سنة فهل غيرها قال الر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى
وثلثون سنة فهل غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر هي مائتان واحدى وسبعون سنة ولقد خلطت
علينا فلا ندري ابكثيره نأخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله هو الذي انزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الخ وقال بعضهم متشابهات اي محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهرة الا بالتفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات وذكر في بعض
التفاسير مثال المتشابه نحو الرحمن على العرش استوى فقال في معناه الاستواء يكون بمعنى الجلوس
وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الاول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء وفسر
بعض المشايخ هذه الآية الكريمة اعني هو الاول والآخر والظاهر والباطن بقوله هو الاول الازلي
المغني لينتهي اليه سلسلة الاحتياج في الوجود فضلا عن شيء آخر وهو الآخر الابدي بانه اليه يرجع
الامر كله وهو الظاهر في آثاره الظاهرة بسبب افعاله الصادرة عن صفاته الثابتة لذاته وهو
الباطن في ذاته لا تدركه الابصار ولا يعرف ذاته الا هو والاسلم للمؤمن ان لا يفسر اصلا ويجعل
قراءته تفسيرا لذلك وقال قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس في ذات الله
حمقى اي في معرفة ذاته وقال عليه السلام تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله ثم قال
رحمه الله وبعض الناس يتكلمون في ذات الله وصفاته بحيث يتكلف من ذلك الدهريون والطبيعيون
واليونانيون والشكايون والحرورية والسبابية والسلام على من اتبع الهدى والخير كل الخير في
الاتباع لا الابتداع اقول الكلمة الجامعة للرد على كل من يخالف الشرع في الظاهر والباطن

قول شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره كل طريقة تخالفها شريعة فهي زندقة والله اعلم
قوله فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ اي عدول عن الحق كاهل البدع وقيل زيغ اي شك فَيَتَّبِعُونَ مَا
تَشَابَهَ مِنْهُ اي من الكتاب فيتعلقون بظاهره او يأولون بتاويل باطل على حسب شهواتهم
والعالم الراسخ يرد تاويله الى الحق اي الى ظاهر الشرع الشريف فيوجر على ذلك والزايغ عن الحق
يتشبث بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول
اهل الحق وعن القاسم بن محمد عن عايشة رضي الله عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله اولوا الالباب قالت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذرهم رواه
الشيخان وروى الطبراني في الكبير عن ابي مالك الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما اخاف
على امتي الا ثلث خلال وذكر منها ان يفتح لهم الكتاب فياخذه المؤمن يبتغي تاويله وليس يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الحديث وقيل
نزل لما خاصموا اي وفد نجران النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى وقالوا الست انه كلمة الله وروح منه
قال بلى قالوا حسبنا وقيل نزل في المنافقين وقيل في الخوارج وقيل في الحرورية والسبابية
وقيل في جميع المبتدعة وقد اشرنا فيما قبل الى طوايف كثيرة فراجعه ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ اي طلب الشرك
او الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم كما وقع لبعض ضعفة المسلمين ببلاد الجاوة وقد قتل
منهم جماعة لتعلقهم ببعض المتشابهات او طلب ان يفتتن الناس بالتشكيك والتلبيس ومناقضة
المحكم بالمتشابه وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ اي طلب ان يأولوه على ما يشتهونه من غير رد الى الحق الظاهر قال
الشيخ اي وطلب تفسيره وعلمه دليله قوله تعالى سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ اي تاويل المتشابه الذي يجب ان يحمل عليه إِلَّا اللَّهُ وحده لا يشاركه فيه احد من خلقه
والباب مسدود على من سواه او لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله قال السلف
واكثر المفسرين ان من وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او فسره بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم
يدل على ما هو المراد وفي الاتقان لجلال الدين السيوطي قال الشافعي في مختصر البويطي لا يحل تفسير
المتشابه الا بسنة عن رسول الله عليه السلام او خبر عن اصحابه او اجماع العلماء هذا نصه وَالرَّاسِخُونَ
فِي الْعِلْمِ مبتدأ وخبره قوله تعالى يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ وذكر هذا التصديق ثناء من الله عليهم بالايمان
على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف ومعناه الثابتون المتمكنون في العلم وعضوا بضرس
قاطع قايلون بان المتشابه من عند الله ولا نعلم معناه ونصدق قوما به ولا ينكرونه وذهب
الجمهور الى ان الواو في قوله والراسخون في العلم واو الاستيناف لا العطف وتم الكلام عند قوله
وما يعلم تاويله الا الله وهو قول ابي بن كعب وعايشة وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن
ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والاخفش قالوا
لا يعلم المتشابه الا الله وفي غنية شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره قال الشافعي في المتشابهات آمنت

بما قال الله

بما قال الله على مراد الله وقال مالك بن انس فيها امنت بما قال الله على الوجه الذي وعلى
المعنى الذي اراد وقال الشيخ عبد القادر قدس سره فرايقنا تفسيرها وايات الصفات تمر
كما جاءت فطوبى لمن سلك سلوكهم ويجوز ان يكون للقران تاويل استاثر الله بعلمه لم
يطلع عليه احدا من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدجال ونزول عيسى عليه السلام وظهور المهدي عليه السلام فان قيل فعلى هذا فما
فايدة انزال المتشابه قلنا فايدته الايمان به لان الخلق متعبدون في المتشابه بالايمان
به وفي المحكم بالايمان به والعمل واعتقاد حقية ما اراد الله به ومعرفة قصور افهام البشر عن
الوقوف على ما لم يجعل لهم اليه سبيلا ومما يصدق ذلك ويويده ويقويه ويعضده قراءة عبد الله
بن مسعود ان تاويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون امنا به ويويده ايضا حرف ابي
ويقول الراسخون في العلم امنا به ومنهم من لا يقف على الا الله ويقول بان الراسخين في العلم يعلمون
المتشابه ويقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين يعني هولاء العالمون بالتاويل يقولون
امنا بالمتشابه او الكتاب قالوا كان ابن عباس يقول في هذه الاية انا من الراسخين في العلم
ومجاهد يقول انا ممن يعلم تاويله قال الشيخ والراسخون اي الداخلون في العلم هم الذين
اتقنوا علمهم لا يدخلهم في معرفتهم شك كما تقول رسخ الايمان في قلب فلان وقيل الراسخون
علماء مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم
منهم يعني الدارسين علم التوراة وسئل مالك بن انس رحمه الله عن الراسخين في العلم قال
العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين
الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه
قال ابن عباس ومجاهد والسدي بقولهم امنا به سماهم الله تعالى راسخين في العلم فرسوخهم
في العلم قولهم امنا به بالمتشابه كُلٌّ اي كل واحد من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا
وما لم نعلم مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا اي من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وَمَا يَذَّكَّرُ اي وما يتعظ
بما انزل من القران الكريم إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ اي اصحاب العقول من الناس وهو مدح للراسخين
~~ومن وقف على الا الله~~ بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو
تجرد العقل عن غواشي الحس ومن وقف من الراسخين على قوله الا الله وفوض علم المتشابهات الى الله
شيخ المرتقين ومفتي الثقلين قطب الملك والملكوت وغوث الله الاعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني
قدس سره ويقول الراسخون ايضا اذا راوا من يتبع المتشابهات رَبَّنَا لَا تُزِغْ اي لا تمل قُلُوبَنَا
عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه ولا يليق بنا كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم
زيغ وشك بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اي ارشدتنا الى الحق او الايمان بالمحكم والمتشابه اي للعمل بالمحكم والتسليم
للمتشابه وقيل اذ بمعنى ان وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ اي اعطنا من عندك رَحْمَةً تزلفنا اليك
ونفوز بها عندك اي توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ لكل سؤل
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء

لا كما ظن الافرخ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذا شاء ان يقيمه اقامه واذا شاء ان يزيغه ازاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويضع اخرين
الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم مثل القلب كريشة ملقاة بارض فلاة تقلبها
الرياح ظهرا لبطن ويقول الراسخون ايضا يا ربنا انك جامع الناس اى
تجمعهم بعد الموت ليوم اى لقضاء يوم او في يوم او لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه
اى لا شك في وقوع ذلك اليوم وما فيه من الحشر والجزاء وهو يوم القيامة فتجازيهم باعمالهم حسب
ما وجدت ان الله لا يخلف الميعاد اى الوعد او موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب
ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان ان همهم امر الاخرة ولذلك سالوا الثبات
على الهداية لينالوا ثوابها والمعنى ان الالهية تنافي خلف الوعد كقول الجواد لا يخيب سائله لا ان
الوعد والوعيد واجبان عليه تعالى بل لانه سبحانه لا يخلف ما وعد للمومنين بالجنة والثواب فضلا
منه تعالى وللكافرين بالنار والعقاب عدلا منه تعالى ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به
وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لن تغني عنهم اى لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم و
لا اولادهم من الله اى من عذابه او عند الله شيئا من الاغناء في الدنيا اى اذا نزل بهم في الدنيا
مصيبة من المصائب ولا في الاخرة اذا احكم بهم الى عذاب النار او شيئا من رحمته او طاعته على معنى
البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار اى حطب النار وهو بالفتح اسم لما يوقد به
وبالضم مصدر يعني اهل وقود النار كداب ال فرعون اى كشأن ال فرعون متصل بما قبله اى لن تغني
عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره
داب هولاء الكفار وعادتهم في الكفر وتكذيب القران والرسل كعادة قوم فرعون في تكذيب
موسى واصل الداب الدوام واللزوم والمراد ههنا العادة الدائمة والذين من قبلهم اى وكداب
من مضى من الكفار قبل ال فرعون من الامم المتقدمة كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وهذا المعنى
على انه عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم
ودابهم وعادتهم مما فعلوا وفعل بهم كانه قيل كيف كان دابهم فقال كذبوا باياتنا اى بكتبنا ودلائلنا
مع رسلنا كما كذبت بها قومك او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم فاخذهم الله بذنوبهم اى
فاهلكهم وعاقبهم بسبب ذنوبهم يقال اخذته بكذا اى جازيته عليه وقيل نظم الاية ان
الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة مثل ال فرعون وكفار
الامم الخالية اخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم كما اشرنا الى هذا المعنى باسلوب اخصر
والله شديد العقاب لمن كفر بالايات والرسل قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم
اى قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وتحشرون الى جهنم في الاخرة وقيل قل لليهود فانه
عليه السلام جمع اليهود بعد بدر في سوق قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش ان
لم يسلموا فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس

فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة والقراة في الفعلين بالتاء والياء والمعنى على الياء ان
الامر بان يحكي عليه السلام لهم ما اخبره الله به من وعيدهم بلفظه تعالى وبئس المهاد اى
بئس المهاد والمستقر جهنم او ما مهدتموه وفرشتموه لانفسهم ثم خاطب قريشا مشيرا الى وقعة بدر
ليعتبروا فيومنوا او الخطاب للمومنين او لليهود فقال قد كان لكم اية اى بيان واضح
وعبرة وعلامة دالة على صدق قولي لكم بانكم ستغلبون في فئتين اى في فرقتين مرفوع
بانه صفة اية التقتا يوم بدر للقتال صفة للفئتين اى قد حصل لكم عبرة كائنة في جمعين
جمع المومنين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وجمع الكافرين من اهل مكة اجتمعا للقتال احدهما
فئة تقاتل في سبيل الله اى في طاعته وهم النبي واصحابه وكانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
معهم فرسان وستة ادرع وثمانية سيوف واكثرهم رجالة واخرى كافرة اى فرقة اخرى
كافرة وهم مشركو مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
فيهم مائة فرس وكان حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يرونهم باليا على
الغيبة اى كان المسلمون يرون المشركين مثليهم اى مثلي عدد انفسهم اى مثلي المسلمين فان قيل
كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلثة امثالهم قيل هذا مثل قول الرجل ومعه درهم انا احتاج الى مثلي هذا
الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلثة دراهم وكانوا اى المشركون الوفا فقللهم الله في اعين المسلمين
حتى راوهم ستمائة وستة وعشرين في حالة ثم في حالة اخرى راوهم مثل عدد المسلمين قال ابن مسعود
نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فرايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا
ثم قللهم الله تعالى ايضا في اعين المسلمين حتى راوهم عددا يسيرا اقل من المسلمين قال
ابن مسعود حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة والمعنى على ترونهم بالتاء الفوقية
كما هو قراة اهل المدينة ويعقوب يعني يا معشر اليهود ترون اهل مكة مثلي المسلمين وذلك ان
جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فراوا المشركين مثلي عدد
المسلمين وراوا النصرة مع ذلك للمسلمين وكان ذلك معجزة واية وقال بعضهم ان الروية راجعة
الى المشركين يعني يرى المشركون المسلمين مثليهم قللهم الله قبل القتال في اعين المشركين ليجترئ
المشركون على المسلمين ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثرهم الله في اعين المشركين ليجبنوا و
قللهم في اعين المومنين ليجترئوا عليهم فذلك قوله تعالى في سورة الانفال واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم رأي العين اى روية مكشوفة ظاهرة معاينة لا لبس فيها
كسائر المعاينات وقد نصرهم الله مع قلتهم والله يويد اى يقوي بنصره من يشاء نصره
كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين الاعداء وقيل ارسل الله الى المسلمين الملئكة وهزم المشركين
ان في ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح لعبرة
اى لعظة وتذكيرا لاولي الابصار اى لذوي البصائر افلا تعتبرون بذلك فتومنون وقيل لمن ابصر
الجمعين زين للناس حب الشهوات اى حسن الله للناس من حيث الابتلاء مرادات النفوس

اى ما تشتهيه النفس وتدعو اليه من المشتهيات وانما سمى المشتهيات بالشهوات مبالغة
وايماء على انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهواتها كقوله تعالى احببت حب الخير لعوله تعالى كذلك
زينا لكل امة عملهم والمزين هو الله تعالى عند الجمهور لانه الخالق للافعال والدواعى بدليل قوله
وكذلك زينا لكل امة عملهم وقيل المزين هو الشيطان لقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم
ولان الاية فى معرض الذم وذلك على جهة الوسوسة **من النساء** حال من الشهوات اى حال كونها
من طايفة النساء وبدا بالنساء لانهن حبائل الشيطان وفتنتهن اشد الفتن **و** من طايفة
البنين جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والاناث وهنا اريد به الذكور فهم المشتهون
فى الطباع المعدون للدفاع والفتنة بهم ان الرجل يبتلى بسببهم على جمع المال من الحرام والحلال
ويمتنع بسببهم من الجهاد يخاف يتمهم كما قيل اولادنا فتنة ان عاشوا افتنونا وان ماتوا
احزنونا **والقناطير** اى الاموال الكثيرة **المقنطرة** المجتمعة كما يقال الوف مؤلفة اى الاموال الكثيرة
المجتمعة بعضها على بعض وقيل مائة الف دينار وقيل ملاء مسك ثور ذهبا او فضة وقيل
الف ومائتا اوقية وقيل الف ومائتا مثقال وقيل اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم
وقيل دية احدكم وقيل مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جاء
الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وثمانون الفا او سبعون او اربعة الاف مثقال او
ما بين السماء والارض من المال وفيه اقوال كثيرة **من الذهب** حال من المقنطرة قيل الذهب
ذهبا لانه يذهب ولا يبقى **والفضة** وسمى الفضة فضة لانها تنفض وتتفرق **والخيل** جمع لا واحد
له من لفظه كالقوم والنساء واحدها فرس وقيل جمع خايل كطير وطاير **المسومة** اى الحسان
المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها وقيل هى الكى **والانعام**
اى الزرع قيل كل منها فتنة للناس اما النساء والبنون ففتنة للجميع والذهب والفضة فتنة
للتجار والخيل فتنة للملوك والانعام فتنة لاهل البوادى والحرث فتنة لاهل الرساتيق ثم رغب
فى الاخرة وزهد فى الدنيا بقوله عز وجل **ذلك** اى الذى ذكر من الاشياء السبعة **متاع الحيوة**
الدنيا اى يتمتع بها فى الدنيا ثم تفنى يشير الى انها اسباب ومتاع تفنى وتزول ولا تبقى فالعاقل
لا يميل الى الفانى **والله عنده حسن المآب** اى حسن المرجع فى الاخرة لا يزول ولا يفنى
وهو الجنة فينبغى الرغبة فيه دون غيره ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين للمؤمنين
ان ما وعدلهم فى الاخرة افضل مما زين للكافرين فى الدنيا فتنة لهم فقال **قل** يا محمد
لقومك **اؤنبئكم** اى اخبركم **بخير من ذلكم** اى من الذى زين للناس من الشهوات
المذكورة والاستفهام للتقرير **للذين اتقوا** اى خافوا من الشرك والمعاصى والتزين
بزينة الدنيا الشاغلة عن طاعة الله عز وجل **عند ربهم جنات** كلام مستانف فيه
دلالة على بيان ما هو خير من ذلك فجنات مبتداء وللذين اتقوا خبره مقدم عليه **تجرى**
من تحتها الانهار صفة لجنات ويجوز ان يتعلق للذين اتقوا بخير ويرتفع جنات على
هو جنات ويؤيده قراءة من جر جنات بدلا من خير **خالدين فيها** اى مقيمين فى تلك الجنات
ابدا

نصف ٣

٣

ابدا **وازواج مطهرة** من الحيض وغيره مما يستقذر من النساء كالامتخاط واتيان الخلاء وهذا من
العيوب الظاهرة ومن الباطنة كالحسد والغضب والنظر الى غير ازواجهن روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها **ورضوان من الله** اى رضا منه عز وجل
وهو اكبر النعم القراءة بكسر الراء وضمها لغتان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى سعيد الخدرى
ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك
فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم
رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا **والله بصير بالعباد** اى عالم باعمالهم فيثيب المحسن
ويعاقب المسئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه الله تعالى بهذه الاية
على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها
الجنة ونعيمها **الذين يقولون** صفة للمتقين او للعباد او بدل من الذين قبله او مدح منصوب او
مرفوع على الاضمار تقديره اى هم الذين يقولون يا **ربنا اننا آمنا** اى صدقناك وبنبيك
فاغفر لنا ذنوبنا التى كانت فى الشرك وفى الاسلام انجازا لوعدك **وقنا** اى ادفع عنا
عذاب النار بفضلك **الصابرين** على الطاعات وعن المعاصى منصوب على المدح اى امدح ويجوز
ان يكون مجرورا صفة للعباد اى الذين صبروا على الطاعات والمصيبات والممتنعين عن المعاصى
والصادقين فى ايمانهم واعمالهم الصالحة اى هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم
وصدقوا فى السر والعلانية **والقانتين** اى المطيعين لله **والمنفقين** اى المتصدقين اموالهم فى سبيل
الله **والمستغفرين بالاسحار** اى المصلين او الطالبين المغفرة وقال الحسن معناه انهم مدوا الصلوة
الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر يحيى الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا
فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح لانه وقت اجابة الدعاء
لانه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك اكيس منك ينادى بالاسحار وانت
نائم وعن النبى صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث
الليل فيقول انا الملك من ذا الذى يدعونى فاستجيب له من ذا الذى يسالنى فاعطيه من ذا الذى
يستغفرنى فاغفر له والحاصل ان هذه الاية حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان
معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل وحبسها
على الفضايل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت
الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان
المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها
وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون **شهد الله انه لا اله** اى بانه لا معبود بحق فى الوجود

الا هو اى بين الله لخلقه وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة
بها وانبت بالحجة القطعية واعلم بصنوعاته الدالة على توحيده انه واحد لا شريك له فى
خلقه للاشياء وحكم بذلك اذ لا يقدر احد ان ينشئ شيئا منها قيل نزلت هذه الاية فى
نصارى نجران وقال الكلبى قدم حبران من احبار الشام على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا
المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى اخر الزمان
فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد
قالا فانا نسالك عن شئ فان اخبرتنا به امنا بك وصدقنا قال سلا قالا اخبرنا عن
اعظم شهادة فى كتاب الله تعالى فانزل الله هذه الاية فاسلم الرجلان ومعنى شهد الله اى
بين الله لان الشهادة تبيين ما هو المكتوم وقيل حكم الله وقيل اعلم الله انه لا اله الا هو
قال ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل
الارواح باربعة الاف سنة فشهد بنفسه لنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء
ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة اى وشهدت الملايكة بالاقرار
بتوحيد الله واولوا العلم اى وشهد الانبياء وجميع علماء المؤمنين او المهاجرون والانصار
او مؤمنوا اهل الكتاب اى عبد الله بن سلام واصحابه يعنى شهد ذووا العلم بالايمان والاعتقاد
الصحيح بتوحيد الله شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط اى شهد
الله سبحانه بوحدانيته حال كونه مقيما للعدل فى تدبير الخلق فى قسمة الارزاق والاجال والاثابة
والمعاقبة وفى حكمه وامره عباده بانصاف بعضهم لبعض وبعاملتهم فيما بينهم على طريق العدل والسوية
وانتصابه [illegible] قائما بالقسط على الحال من اسم الله وانما جاز الافرادها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا
لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او عن هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد
قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل فهو مندرج فى
المشهود به اذ اجعلته صفة او حالا عن الضمير ونظم الاية شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط
بتدبير عبيده فهو مدبر رازق مجازٍ بالاعمال لا اله الا هو كرر المشهود به للتاكيد التوحيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد [illegible] والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى
عليه قوله العزيز فى ملكه الحكيم فى صنعه اى لا يعدل عن العدل فيعلم انه الموصوف بهما
وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من هو او الصفة لفاعل
شهد وشهد الله ان الدين المرضى عند الله هو الاسلام وهو التوحيد والعدل
او شهد الكل ان دين الحق هو دين الاسلام من بين الاديان القراة بفتح ان على انه بدل من انه بدل
الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة والقراة بكسر ان على
الاستيناف قال عليه السلام من قرأ هذه الاية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق
يستغفرون له الى يوم القيمة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه
الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول تعالى ان لعبدى عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد

ادخلوا

ادخلوا عبدى الجنة وبرواية اخرى وقد روى فى فضلها انه عليه السلام قال يجاء
بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام وهو التوحيد اى واختلفوا فيه فثلثت
النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله او فى ارباب الكتب المتقدمة حين اختلفوا فى دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا وقيل هم قوم موسى
اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى
وما اختلف اهل الكتاب فى نبوة نبينا الا من بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان نعته فى كتبهم اى
من بعد ما علموا حقيقته وتمكنوا من العلم بها بالايات والحجج اختلفوا فى امر هذا الدين ونبوة محمد
عليه السلام وقد اختلف اليهود فى التوراة بعد القرن الثالث من وفاة يوشع حتى اهرقوا الدماء
ووقع بينهم الشر والفتنة والاختلاف بغيا بينهم اى حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا الشبهة
وخفاء فى الامر ومن يكفر بايات الله اى [illegible] بحججه ودلايله يعنى بالقران
ومحمد عليه السلام فان الله سريع الحساب اى سريع المجازات لانه عالم بجميع الاعمال لم يحتج
الى التذكر والتفكر او سريع فى محاسبة جميع الخلق لانه يحاسبهم فى اقل من لمحة يظن كل احد منهم
انه يحاسب نفسه فقط فهو وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك خاصمك الكفار يا محمد فى
الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل لهم اسلمت اى اخلصت وجهى لله نفسى
وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الايات
والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن
من اتبعن عطف على التاء فى اسلمت اى اسلمت انا واسلم من اتبعنى وجوههم وجاز العطف
من غير تاكيد للفصل او مفعول معه وجاء من اتبعن باثبات الياء وحذفها وصلا ووقفا
ومعنى ومن اتبعنى على دينى اسلم كما اسلمت واثبت نافع وابو عمرو الياء على الاصل وحذفها الاخرون
على الخط لانها فى المصحف بغير ياء وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين اى قل يا محمد لليهود والنصارى
ولمشركى العرب أأسلمتم كما اسلمت لما اوضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله
فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة وقيل لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الامر
اى اسلموا فان اسلموا فقد اهتدوا اى ان اخلصوا فى التوحيد فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال واصابوا الرشد فلما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال عليه السلام
لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون
ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عبد الله فنزل وان تولوا اى وان اعرضوا
عن التوحيد والتصديق بمحمد فانما عليك البلاغ اى التبليغ للرسالة دون الهداية يعنى
فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد اى باعمالهم من الايمان
وعدمه فيجازيهم بها قيل هذه الاية نسخت باية القتال ان الذين يكفرون بايات الله

أي بالقرآن والمعجزات على نبوة محمد عليه السلام ويقتلون وفي قراءة يقاتلون بالالف النبيين
أي يرضون بالقتل الذي فعله اباؤهم بغير حق اي بظلم منهم نزل اخبارا عن كفار
بني اسرائيل الذين قتلوا الانبياء واتباعهم عنادا وتوبيخا لاهل الكتاب والمشركين الذين
كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقاتلونه ثم قال ويقتلون الذين يأمرون بالقسط اي بالعدل
من الناس وهم مؤمنوا بني اسرائيل يأمرونهم وكانوا يقتلونهم فاوعد الله لهم النار بقوله
فبشرهم اي اعلمهم وذكر البشارة تهكم بهم بعذاب اليم اي مؤلم او وجيع دائم والفاء في
فبشرهم الذي هو الخبر يدل على انهم مستحقون لهذه البشارة لتضمن اسم ان معنى الجزاء قيل
قتلوا ثلثة واربعين نبيا اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من
مؤمني بني اسرائيل فامروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعهم اخر النهار من ذلك
اليوم والمعنى بعبارة اخرى ان اهل الكتاب الذين في عصر نبينا قتل اوائلهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل نبينا والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وهو قوله عز وجل ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات ويقتلون النبيين الاية أولئك الذين حبطت بطلت
اعمالهم اي ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم فلا اعتداد بها لعدم شرطها في الدنيا و
الاخرة فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة وبطلان العمل في الدنيا ان
لا يقبل فيبقى له التعب وفي الاخرة ان يجازى عليه وما لهم من ناصرين اي
من مانع عن العذاب اي يدفع عنهم العذاب ألم تر اي تنظر الى الذين أوتوا
نصيبا اي اعطوا حظا وافرا من الكتاب اي من علم التوراة او جنس الكتب السماوية ومن
للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير نزل حين دعا النبي اليهود الى الايمان
فامتنعوا منه او حين جاء اهل خيبر الى النبي برجل وامرأة زنيا فحكم عليهما بالرجم فقال
اليهود ليس عليهما الرجم فقال النبي عليه السلام بيني وبينكم التوراة فقالوا انصفتنا فجاؤوا
بالتوراة فقرأ ابن صوريا لانه كان اعلم اليهود بالتوراة فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها
وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فوضع كفه عنها
ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما
البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك يدعون الى كتاب الله الداعي هو محمد عليه السلام
وكتاب الله القرآن او التوراة اي حال كونهم مدعوين الى حكم القرآن او التوراة ليحكم
بينهم اي جعل القرآن حاكما حيث كان سببا للحكم او ليحكم النبي ثم يتولى اي ينصرف عن
سماع ذلك الحكم فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عن قبول حكمه والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه
بالصفة ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات اي ذلك التولي والاعراض
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل وهي اربعون
يوما

يوما على عدد ايام عبادة ابائهم العجل او سبعة ايام تبعا لاعتقادهم الزائغ وطمعهم الفارغ آخر
الدهر وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون اي غرهم كذبهم بالعهد على الله بان النار لن تمسهم الا اياما
قلائل او بانا نحن ابناء الله واحباؤه وبان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او بان الله تعالى وعد
يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم اي الا بقدر ما يحل به قسمه ويبر فيه و
الغرور هو الاطماع فيما لا يحصل منه شيء والافتراء اختلاق الكذب ثم اوعدهم بقوله عز وجل فكيف
اي فكيف حالهم او فكيف يصنعون او يحتالون اذا جمعناهم ليوم اي في يوم لا ريب
فيه اي لا شك في ذلك اليوم لمن يعقل الحق وهو يوم القيمة وفي قوله فكيف اي استعظام لما
ينزل بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت اي
وفرت واعطيت بالتمام كل نفس من اهل الكتاب وغيرهم جزاء ما كسبت اي الذي
عملته من السيئات والحسنات وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان
توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها وهم الضمير لكل نفس على
المعنى لانه في معنى كل انسان اي كل نفس لا يظلمون اي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم
قوله عز وجل قل اللهم الميم عوض من الياء ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول
ياء عليه مع لام التعريف وقطع همزته وقيل اصله يا الله امنا بالخير اي اقصدنا فخفف بحذف حرف
النداء ومتعلقات الفعل وهمزته نزلت حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه ان يجعل ملك فارس والروم
في امته او لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع في ملك فارس والروم او لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه
فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء
فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف
بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل و
يخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق فعلم الله نبيه
ان يدعو بهذا الدعاء فقال قل يا محمد اللهم يا مالك الملك اي يا مالك العباد وما ملكوا يعني
تملك جنس كل ملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده
تمنع الوصفية وقيل مالك السموات والارض قال الله تعالى في بعض الكتب انا الله مالك الملوك ومالك
الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم
عليهم نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم تؤتي الملك اي تعطي
من تشاء من خلقك اي تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له من الملك قيل ملك النبوة وقيل

من تشاء اى لمحمد عليه السلام واصحابه او ما اتى الله الانبياء عليهم السلام وامر العباد بطاعتهم وقيل تولى من تشاء اى للعرب او لادم وولده **وتنزع الملك ممن تشاء** ان تنزعه وتستردّه كما نزع من ابي جهل وصناديد قريش او من فارس والروم او من الجبابرة وامر العباد بخلافهم او من ابليس وجنده فالملك الاول عام والملكان الاخران خاصان بعضان من العام **وتعز من تشاء** بالملك اى المهاجرين والانصار او محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه حين دخلوا مكة فى عشرة الاف ظاهرين عليها اى بالايمان والهداية والطاعة والنصر او القناعة والرضى او بملك العافية وقيام الليل او بالاستغناء عن الكونين بالمكوّن اى بالمعرفة اللهم اهدنا بنورك اليك **وتذل من تشاء** بنزع الملك منه كفارس وروم او ابا جهل واصحابه حين جزّت رؤسهم والقوا فى القليب او بالكفر والضلالة والمعصية او بالقهر والحرص والطمع **بيدك** بقدرتك **الخير** ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا او لمراعات الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه او اكتفى بذكر احد الضدين عن الاخر ثم نبّه على ان الشر ايضا بيدك بقوله **انك على كل شئ قدير** اى لا يقدر على شئ استقلالا احد غيرك الا باقدارك ثم عقب ذلك بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج احدهما من الاخر وبذكر سعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه فقال **تولج الليل فى النهار** اى تدخل الليل فى النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات **وتولج النهار فى الليل** اى تدخل النهار فى الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من احدهما زاد فى الاخر **وتخرج الحى من الميت** اى تخرج الحيوان من النطفة والنطفة ميتة **وتخرج الميت من الحى** اى وتخرج النطفة وهى ميتة من الحيوان وهو حى يعنى به انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه او اخراج الفرخ من البيضة والبيضة من الطير او المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فالمؤمن حى الفؤاد بالتوحيد والكافر ميت الفؤاد بالشرك او النبات الغض الطرى من الحب اليابس والحب اليابس من النبات الحى النامى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف **وترزق من تشاء بغير حساب** اى رزقا واسعا من غير تضييق ولا تقتير لانه المالك ليس فوقه من يحاسبه ويمنحه من العطاء وعن محمد بن محمد عن ابيه عن جده عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك معلّقات تحت العرش ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال فقال الله تعالى بى حلفت لا يقرأكن احد من عبادى دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه ولاسكنته حظيرة القدس ولانظرت اليه بعينى المكنونة كل يوم سبعين مرة ولاقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة ولاعذته من كل عدو وحاسد ولانصرته منهم وفيه الحارث بن عمر ضعيف **لا يتخذ**

المؤمنون

المؤمنون الكافرين اولياء اى لا يصاحبن احد من المؤمنين احدا من الكافرين احباء **من دون المؤمنين** يعنى غير المؤمنين اى مكان المؤمنين نهى الله المؤمنين عن موالات الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم سواء لقرابة بينهم او لصداقة قبل الاسلام ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله لان المحبة فى الله والبغض فيه باب عظيم فى الايمان قيل نزل فى بعض الصحابة كانوا يتخلون على اليهود ويباطنوهم فنهوا عن ذلك فابوا فنزلت وقيل نزلت فى حاطب رضى الله عنه وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار مكة وقيل فى المنافقين يعنى عبد الله بن ابى واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين فنهى الله المؤمنين عن مثل افعالهم او عن الاستعانة بهم فى الغزو وساير الامور الدينية **ومن يفعل ذلك** اى اتخاذهم اولياء **فليس من الله فى شئ** اى ليس من ولاية الله او من دين الله فى شئ يصح ان يسمى ولاية الله او دينه فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان كما قال الشاعر ؛ تودّ عدوّى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب ؛ اى ليس الحمق عنك ببعيد ؛ فليس اخى من ودّنى فى رأى عينه لكن اخى من ودّنى فى الغائب ؛ ثم استثنى فقال **الا ان تتقوا منهم تقاة** اى تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى بمن هو فى بلد ليس قويا فيها كالاسارى مثلا يعنى الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه بان يكون للكافر عليكم سلطان فتخافونه على انفسكم واموالكم فحينئذ يجوز لكم اظهار الموالات وابطان المعادات وقرأ يعقوب تقية ومعنى الاية نهى الله المؤمنين عن موالات الكفار ومداهنتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة بان يكون الكفار ظاهرين غالبين فان اظهار الموالات حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا او يكون المؤمن فى قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او يظهر الكفار على عورات المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل وسلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل فله اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية فى جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فليس ينبغى لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكالى قلت لسعيد بن جبير فى ايام الحجاج ان الحسن كان يقول لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس فى الاسلام تقية انما التقية فى اهل الحرب وقد ردّ ابيننا فى وجوب التقية على الروافض دلائلهم المختلفة وآراءهم المختلفة فلا ينبغى ذكرها واما اتقاء بعض اهل المذاهب من بعض من اهل السنة والجماعة فى عدم اظهار ما هو حق عنده دون صاحبه من خوف هيجان الفتنة فالامر غير خفى **ويحذركم الله نفسه** اى ذاته ان يغضب عليكم ان واليتموهم فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد يعنى يخوفكم الله عقوبته على موالات الكفار وارتكاب المناهى ومخالفة الاوامر يعنى يقول الله عز وجل اياكم ونفسى يعنى احذروا من سخطى بموالاة اعدائى قيل فيما يحذر نفسه من يعرفه بالمكاشفة فاما من لا يعرفه فخاطبه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والاصح ان المحذر للمكاشف وغيره لان ذاته المعظم كنهه لا ينكشف

لاحد سواء كان نبيا او وليا او غيرهما فالحذر ليس مخصوصا بالمكاشف فالمراد من ذلك ان يحذركم
الله علم ذاته وقدرته لان الاية الاتية وهي قوله قل ان تخفوا الى اخرها بيان لهذه الاية فكانه
قال ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم
المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها
والى الله المصير اي مصيركم ومرجعكم اليه والعذاب معد لديه وهو وعيد اخر بالبعث والجزاء
قل لهم **ان تخفوا ما في صدوركم** اي قلوبكم من مودة الكفار **او تبدوه** اي او تظهروه
موالاة الكفار قولا او فعلا او غيرهما مما مر وان تسروا ما في قلوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التكذيب والحرب والقتال او تظهروه مما مر **يعلمه الله** اي انه يعلم ضمائركم من ولاية
الكفار او غيرها فيحفظه عليكم حتى يجازيكم به **ويعلم** وهو الذي يعلم مرفوع على الاستيناف
لا على العطف على جواب الشرط **ما في السموات وما في الارض** يعني اذا كان لا يخفى
عليه شيء كائن في السموات وفي الارض فكيف يخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم اليهم بالقلب
وسركم وعلنكم لانه لا يعزب عن علمه شيء فهما عنده سواء **والله على كل شيء قدير** ومنه
تعذيبكم او لا لانه قادر بقدرة ذاتية لا يختص بمقدور دون مقدور والاية بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه كما مرت الاشارة اليه **يوم تجد كل نفس** اي من النفوس المكلفة
ما عملت من خير محضرا اي حاضرة **وما عملت من سوء** حاضرة ايضا
تود اي تحب وتتمنى **لو ان بينها وبينه امدا بعيدا** يوم منصوب بتود والضمير
في بينه لليوم اي يوم القيمة اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير
والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا اي مسافة بعيدة وانها لم تعمل سوء
اصلا او منصوب بفعل مضمر اي اذكر وتكون تود حالا من الضمير في عملت او خبرا لما عملت من سوء و
تجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان
تكون ما شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة وكشف الاية
بعبارة اوضح من هذا تقديره ونصب يوم باضمار فعل اي اذكروا واتقوا يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا لم ينقص منه شيء كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا وما عملت من سوء جعله بعضهم
خبرا في موضع النصب اي تجد محضرا ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير وجعله بعضهم خبرا
مستانفا دليل هذا التاويل قراءة ابن مسعود وما عملت من سوء ودت لو ان بينها وبينه والتقدير
وما عملته من سوء مبتدا وتود او ودت خبره وقال معنى الثعلبي ابو السعود في معنى الاية
يوم تجد كل نفس اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا اي عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل
ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر
في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة الشرعية تود عامل في الظرف
والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر او جزاءها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك
اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل او لا بل كانت متمحضة بالخير من

الدلالة على فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم نعوذ بك من ذلك ويجوز ان
يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استيناف مبني على السؤال
اي اذكر واليوم تجد كل نفس ما عملت من خير او من شر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا
او كانه سائلا قال اذكروا بذكره ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد
مقصور على ما عملت وتود خبر ما عملت من سوء ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت
فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة والله
اعلم **ويحذركم الله نفسه** كرره للتوكيد والتذكير في التحذير من نفسه كيلا يغفلوا عنه **والله
رؤف بالعباد** اي بليغ الرحمة بهم حيث لم يعجل بعقوبتهم اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم
رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه ونزلت
حين قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فيهم وفي النصارى او في وفد نجران لما
قالوا انما نعبد المسيح حبا لله او في كفار قريش لما قالوا انما نعبد الاصنام الا حبا لله ليقربونا اليه **قل**
لهم يا محمد **ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** يعني ان كنتم تحبون الله بالصدق
فاتبعوني في دين يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله
حب المؤمنين لله اتباعهم امره وايثارهم طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه
عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم ورضاؤه منهم قال السلطان المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال
ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على مطاوعته فمن ادعى محبة الله وخالف سنة نبيه فهو كذاب وكتاب الله يكذبه
وقيل علامة المحبة ان يكون دائم الفكر كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي
ولا يحزن اذا اصيب ولا يفرح اذا اصاب ولا يخشى احدا ولا يرجوه قال الامام القشيري
والمحبة على لسان العلماء هي الارادة فان الارادة لا تتعلق بالقديم اللهم الا ان يحمل على ارادة التقرب
اليه والتعظيم له فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام
فالرحمة اخص من الارادة والمحبة اخص من الرحمة فارادة الله ان يوصل الى العبد الثواب والانعام
والانعام تسمى رحمة وارادته لان يخصه بالقربة والاحوال العلية تسمى محبة وارادته سبحانه
صفة واحدة وبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف اسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا
تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا محبة الحق
للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم
وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقى العبد به وحالة مخصوصة يرقيه
اليها كما قال بعضهم ان رحمته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا محبته من الصفات الخبرية
فاطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فالمحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد واخبر عن

محبته للعبد فالحق عز وجل يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق قال الله في
اية اخرى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
فمن لم يعمل بالشريعة وترك اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع الى الكفر بعد الايمان فهو المسمى
بالمبغوض فاما ما عدى هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشيء والاستيناس
بالشيء وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك واما محبة العبد
لله فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد ذكرنا بعض العلامة وليست محبة العبد له
سبحانه متضمنة ميلا ولا احتظاظا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والاحاطة
وقال شيخنا وامامنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر في كتابه الغنية ما نصه قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك
للشيء يعمي ويصم اي يعميك عن غير محبوبك ويصمك عنه لاشتغالك بمحبوبك فاحب حتى اراد وما اراد حتى
تجردت ارادته وطلبه تجردت ارادته حتى قذفت في قلبه جمرة الخشية فاحرقت كلما هنالك قال الله عز وجل
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة فان شئت زيادة تقرير وبيان فطالع
كتاب اداب المريدين من غنية شيخنا [illegible] قدس سره فانه يغنيك ان شاء الله تعالى وكتاب
المحبة من احياء العلوم لحجة الاسلام • وزين الانام • امام اهل السنة والجماعة محمد بن محمد الغزالي
قدس سره **ويغفر لكم ذنوبكم** عطف على يحببكم الله جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب
عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة
على طريق الاستعارة او المقابلة **والله غفور رحيم** لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه
ولما نزلت قوله قل ان كنتم تحبون الله الاية قال عبد الله بن ابي لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته
كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى ابن مريم فنزلت **قل اطيعوا الله و
الرسول** امرهم بالجمع بين طاعة الله ورسوله رغما لهم **فان تولوا** يحتمل المضي والمضارعة يعني
تتولوا اي فان اعرضوا عن طاعتهما **فان الله لا يحب الكافرين** اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم
لكفرهم بل يعذبهم ثم لما اوجب الله طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملئكة فقال **ان الله اصطفى ادم** ابا
البشر وفاتح المرسلين **وال ابراهيم** اي اسماعيل واسحاق واولادهما وقد دخل فيهم
الرسول صلى الله عليه وسلم **وال عمران** موسى وهارون وهما ابنا عمران بن يصهر بن قاهث
بن لاوي بن يعقوب وقيل المراد بال عمران عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اشعاذا
ابن ابي يوذ وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة يعني بين عمران الذي هو والد سيدنا موسى
وهارون وبين عمران الذي هو والد مريم وجد عيسى من جهة الام ومن موسى وهارون الى يعقوب
اربعة جدود ومن مريم وابنه عيسى الى يعقوب نحو من ثلثين جدا **على العالمين** اي على عالمي زمانهم
والمعنى اختار الله ادم ومن ذكر معه من الانبياء ومن اولادهم بالرسالة والخصايص الروحانية
والجسمانية وارتضى بدينهم وفعلهم لان الانبياء والرسل كلهم من نسلهم قيل اراد بال ابراهيم
وال عمران انفسهما كقوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هارون يعني موسى وهارون كما ذكرنا في حكاية

التابوت

التابوت **ذرية** حال او بدل من الالين اي متناسلين من نوح **بعضها من بعض** مبتدا وخبر
في موضع النصب صفة للذرية يعني انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض بالتوالد وقيل
بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع ويسمى الاباء والاولاد ذرية
فالابناء ذرية لانهم ذراهم والاباء ذرية لانهم ذروا الابناء منهم باشتقاقها من ذرا بمعنى خلق
وقيل من الذر لانهم استخرجهم من صلب ادم كالذر **والله سميع عليم** اي سميع باقوال
الناس عليم باعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها
اذ قالت امرأت عمران هي حنة بنت فاقوذا ام مريم جدة عيسى من الام وعمران هو ابن
ماثان وليس بعمران ابي موسى وهارون وذكرنا مدة ما بين العمرانين وكان بنو ماثان رؤس
بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وقيل عمران هو ابن اشهم **رب اني نذرت لك ما في بطني
محررا** اي يا رب اني اوجبت وجعلت الذي في بطني محررا نذرا مني لك والنذر ما يوجبه
الانسان على نفسه محررا اي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا اشغله بشيء
من الدنيا **فتقبل مني** ما نذرته **انك انت السميع العليم** بقولي ونيتي وكل ما اخلص
لله فهو محرر يقال حررت العبد اذا اعتقته وخلصته عن الرق ولم يكن احد من الانبياء والعلماء
الا ومن نسله محرر لبيت المقدس يخدمها ويكنسها الى ان يبلغ فيخير في الاقامة او الذهاب
ولم يكن المحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والنفاس وكانت لعمران
ابن يصهر والد موسى وهارون عليهما السلام بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهارون كما كان
لعمران بن ماثان بنت اسمها مريم وهي ام عيسى عليه السلام فظن ان المراد بالعمران في الاية عمران
الذي هو والد موسى وهارون ومريم ويرده ما ذكرنا من مدة ما بين العمرانين ويرده ايضا
كفالة زكريا فانه كان معاصرا لعمران بن ماثان والد مريم وروي ان زكريا والد يحيى وعمران والد
مريم تزوجا اختين وكان اسم احديهما ايشاع بنت فاقوذا ام يحيى تزوجها زكريا والاخرى
اسمها حنة بنت فاقوذا ام مريم تزوجها عمران بن ماثان وكانت الحنة عاقرا مسنا عجوزا
وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت
قلبها الى الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم البتول
فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارأيت ان كان ما في
بطنك انثى لا يصلح لذلك فوقعا في هم من ذلك فمات عمران وحنة حاملة بمريم **فلما وضعتها**
اذا هي جارية والهاء في وضعتها راجعة الى النذيرة ولذلك انث الضمير او راجع الى ما في
بطنها لانه كان انثى **قالت** حنة تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا **يا
رب اني وضعتها** اي الحملة او النسمة **انثى** معتذرة الى الله عز وجل لان التحرير لم يكن
الا للغلمان كما مر **والله اعلم بما** اي بالشيء الذي **وضعت** بسكون التاء وهو استيناف من الله
تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر ويعقوب وضعت بضم التاء

على انه من كلام حنة ام مريم تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ
وقرى وضعتُ بكسر التاء على خطاب الله لها **وليس الذكر كالانثى** بيان لقوله والله اعلم اى
وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لان الذكر يقصد للخدمة والانثى لا تصلح لها لضعفها
وعورتها وكونها بين الرجال الذين فى خدمة الكنيسة وما يعتريها من الحيض والنفاس واللام فى
الذكر والانثى للعهد ويجوز ان يكون من قولها يعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون
اللام للجنس **وانى سميتها مريم** معطوف على انى وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان
وهى بلغتهم العابدة الخادمة وكانت مريم من اجمل النساء فى وقتها واعفهن وافضلهن وانما ذكرت
تسميتها مريم لربها [redacted] تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها
مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة كما قلنا وحتى يصدق فيها ظنها الا ترى كيف
اتبعتها طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان بقولها **وانى اعيذها** اى امنعها واجيرها
بك اى بحفظك **وذريتها** اى اولادها **من الشيطان** اى من الطريد اللعين **الرجيم** المرمى
بالشهب فى الحديث ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها
رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم ما من بنى ادم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل
صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها وقال صلى الله عليه وسلم كل بنى ادم يطعن الشيطان
فى جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب ومعنى الحديث والله
اعلم ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة
هذه الاستعاذة **فتقبلها ربها** اى تقبل الله عز وجل مريم من حنة يعنى رضى بها فى النذر مكان الذكر
الحر **بقبول حسن** اى بوجه حسن تقبل به النذائر وهو اقامة مريم مقام الذكر او تسلمها عقيب
ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة يعنى خص الله مريم بهذه الكرامة من بين ساير النذور او معناه
بامر ذى قبول مرضى فسلك بها مسلك السعداء **وانبتها نباتا حسنا** اى سوى خلقها وربّاها
تربية حسنة فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى السنة قال ابن عطا ما كانت ثمرته مثل
عيسى فذلك احسن النبات روى ان حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار وقالت دونكم اى خذوا هذه النذيرة فتنافسوا اى تراغبوا فيها لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم يعنى كان عمران والد مريم يتولى امر القرابين من المتقربين فى البيت الذى
تنزل فيه النار من السماء وقد مر بانه كان من بنى ماثان وهم كانوا رؤساء بنى اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا عليه السلام انا احق بمريم عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر الاردن فالقوا اقلامهم اى اقداحهم او الاقلام التى بها يكتب التوراة فى
النهر وكانت الاقلام من النحاس وشرطوا على ان من ثبت قلمه على الماء ولم ينزل الى قعر النهر فهو
اولى بها فثبت قلم زكريا على وجه الماء ونزل الى الاسفل اقلام الباقين فتكفلها زكريا وقيل
شرطوا على من نزل قلمه الى اسفل الماء ثم يرتفع الى وجه الماء ويثبت فهو اولى بها فنزل قلم زكريا ثم صعد
على الماء وانحدر اقلام الباقين فقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلا الماء وجرت اقلامهم بجرى الماء
وقيل

وقيل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه مركوز فى طين وجرت اقلامهم فى جرية الماء فذهب بها
الماء فاخذها زكريا عليه السلام وكان راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى **وكفلها زكريا**
اى ضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة قرأه حمزة والكسائى وعاصم بتشديد الفاء وقصروا
زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش فيكون زكريا منصوبا على المفعولية والفاعل هو الله اى جعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها وقرا الاخرون بالتخفيف والمد مرفوعا والمعنى ضمها زكريا الى نفسه وقام
بامرها ومصالحها وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود ومعناه فى العبرى
دايم الذكر والتسبيح فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى
حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المحراب يعنى غرفة وجعل بابها فى وسطه لا يرقى
اليها الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم
فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء على ما بين الله بقوله **كلما دخل عليها
زكريا المحراب** قال الاستاد اراد بالمحراب الغرفة التى بنى لها فى المسجد وهو اشرف المجالس ومقدمها
ويقال للمسجد ايضا المحراب قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى عليه بدرج وسمى بالمحراب لانه محل
محاربة الشيطان وقيل كان مساجدهم تسمى المحاريب وقيل كان زكريا عليه السلام اذا خرج
من عندها يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها غرفتها وقصرها **وجد عندها رزقا**
اى وجد عندها فاكهة فى غير حينها اى فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس كما اشرنا اليه وهو جواب
كلما وناصبه **قال يا مريم انى لك هذا** اى من اين لك هذا الرزق الذى ياتيك فى غير اوانه
ولا يشتبه ارزاق اهل الدنيا والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء ومن جعل ذلك
معجزة لزكريا يدفعه وياباه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** اى من محض فضله فلا
تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من
الجنة **ان الله يرزق من يشاء** من جملة كلام مريم او من كلام رب العزة جل جلاله **بغير حساب**
اى بغير تقدير لكثرته وسعته او بغير استحقاق تفضلا به قال السلطان روى ان فاطمة
الزهراء رضى الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم اى قطيعة من اللحم
فرجع النبى عليه السلام بتلك الهدية اليها وقال هلمى اى تعالى يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين
وجميع اهل بيته وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك** اى فى ذلك المكان يعنى حيث كان
قاعدا عند مريم فى المحراب او فى ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان ايضا لما راى
زكريا حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب ان يكون له ولد من ايشاع مثل ولد اختها حنة
فى الكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة فى غير
حينه على المكان ولادة العاقر وكان اهل بيته قد انقرضوا وقد هرم وايس من الولد فدخل المحراب للصلوة
وغلق الابواب **دعا زكريا ربه** اى ناجى ربه **فقال يا رب هب لى** اى ارزقنى **من لدنك**

اى من عندك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة **ذرية طيبة** اى ولدا
مباركا نقيا صالحا رضيا كما وهبتها لحنة العجوز العاقر **انك سميع الدعاء** اى مجيبه
او سامعه **فنادته الملئكة** اى واحد من جنس الملائكة واشرفهم فان المنادى كان جبريل
عليه السلام وحده ونظيره ينزل الملائكة اى جبريل بالروح يعنى الوحى **وهو قائم يصلى**
فى المحراب اى فى المسجد وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب
المذبح حتى ياذن لهم فى الدخول فبينما هو قائم يصلى فى المحراب يعنى فى المسجد عند المذبح
والناس ينتظرون ان ياذن لهم فى الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض وهو
جبريل ففزع منه فناداه **ان** بفتح الهمزة على ايقاع النداء عليه كانه قال فنادته الملائكة بان
الله وبكسر الهمزة على تقدير القول اى فنادته الملئكة فقالت ان **الله يبشرك بيحيى** اى بولد
اسمه يحيى لان الله احيى به عقر امه او احيى الله قلبه بالايمان او احياه بالطاعة حتى لم يعص
ولم يهم بمعصية او المجالس بوعظه ويحيى اسم اعجمى غير منصرف للتعريف والعجمة كموسى وان كان
عربيا فللتعريف ووزن الفعل **مصدقا** حال من يحيى اى مؤمنا **بكلمة من الله** اى بكتاب منه
او مصدقا بعيسى يعنى مؤمنا بعيسى فان يحيى اول من آمن بعيسى قال الحلماء لم سمى عيسى كلمة
لان تكونه بكن لا باب وقيل ان الله قال له كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها
كان او لانه يهتدى بعيسى كما يهتدى بكلام الله وقيل الكلمة بشارة الله مريم بعيسى بكلامه على
لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء بكلامه فى كتبه انه يخلق نبيا بلا اب
فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى اكبر من عيسى ستة اشهر وكانا ابنى الخالة ثم قتل يحيى
قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقال ابو عبيدة بكلمة من الله اى بكتاب الله وآياته تقول
العرب انشدنى كلمة فلان اى قصيدته وقال السلطان سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى
دون اب فشابه المبدعات التى هى عالم الامر اى لوجوده بالامر الالهى الذى هو كلمة كن والله اعلم بمراده
ثم وصف الله يحيى بقوله **وسيدا** هو الذى يسود قومه اى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا على
قومه فى انه ما هم بمعصية قط وقال الجنيد السيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون
وقيل هو حسن الخلق او الذى يطيع ربه او الفقيه العالم او السيد فى الدين او فى العلم والعبادة
والورع او الحليم الذى لا يغضبه شىء كما هو من بعض مناقب الشافعى رحمه الله تعالى او الكريم على الله
او التقى او الذى لا يحسد او المتبوع او القانع بما قسم الله له او السخى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد ابن قيس على انا نبخله قال عليه السلام واى داء ادوأ من البخل
لكن سيدكم عمرو بن الجموح **وحصورا** اى مبالغا فى حبس النفس من الشهوات والملاهى روى ان يحيى
عليه السلام مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت او الذى لا يقرب النساء
مع القدرة حصرا لنفسه اى منعا لها من الشهوات والمعاصى قال ابن المسيب انه قد تزوج
ليكون اغض لبصره وتفسير الحصور بالعنين او بكونه لا ماء له لا يليق بالمقام لان المقام مقام المدح
والثناء والنبوة يقتضى الكمال **ونبيا من الصالحين** اى ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء

او كائنا من جملة الصالحين يعنى من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة ثم **قال** اى دعا زكريا
عليه السلام عند نداء الملئكة اياه وبشارته له بالاستفهام تعجبا وسرورا من حيث العادة
او استعظاما للقدرة لا تشككا **رب انى يكون لى غلام** اى يا خالقى كيف يكون لى ابن
قال الكلبى وجماعة قال رب اى يا سيدى قاله لجبريل **وقد بلغنى الكبر** يعنى قد بلغت الكبر
وشخت او قد نالنى وادركنى واضعفنى كبر السن واثر فى وكان زكريا تسع وتسعون سنة
ولامراته ثمان وتسعون او هو ابن ثنتين وتسعين سنة او مائة وعشرين على خلاف فى ذلك **وامراتى**
عاقر اى عقيم لا تلد العقر القطع اى امراتى ذات عقر من الاولاد **قال** الله **كذلك** اى كما قلت
انه بلغك الكبر وامراتك عاقر لا تلد **الله يفعل ما يشاء** اى يفعل ما يشاء من العجائب مثل
انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وقيل فى معنى كذلك اى كما انت عليه وزوجك من الكبر
والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد منكما قال الاستاد كذلك الله مبتدا وخبر ومعناه الله
على مثل هذه الصفة او على مثل هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى بيان لما فى اسم الاشارة
من الابهام او كذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر من خلق الغلام بينكما كذلك فان قيل لم قال
زكريا بعدما وعده الله بالغلام انى يكون لى غلام اكان شاكا فى وعد الله تعالى وفى قدرته قلت
فى الجواب ان زكريا لما سمع نداء الملك جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعته ليس من
الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحى اليك كما يوحى اليك فى ساير الامور فقال دفعا للوسوسة
او شك فى الكيفية اى اتجعلنى وامراتى شابين ام ترزقنا ولدا على الكبر منا ام ترزقنى من امراة اخرى
فقال له ستفهما لا شاكا والجواب الثانى هو الذى قلنا اولا انه قال ذلك استعظاما للقدرة لا تشككا
فيها **قال رب اجعل لى آية** اى علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح
مشقة الانتظار **قال آيتك** اى علامة حمل امراتك يا زكريا **الا تكلم الناس ثلثة ايام** اى
ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانت صحيح سوى وتذكر الله وتسبح وتعبد لقوله فى سورة مريم
ان لا تكلم الناس ثلث ليال سويا ومعنى سويا اى سوى الاعضاء واللسان ولهذا قال ابن المفسرين
وانما حبس وعقل لسانه عن مكالمة الناس خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
وكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر **الا رمزا** اى اشارة بيد او راس وسمى الرمز
كلاما وان لم يكن من جنسه لانه يؤدى ما يؤدى به الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام وهو
استثناء منقطع وان اراد بالكلام ما دل على الضمير فالاستثناء متصل **واذكر ربك كثيرا** اى فى ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار **وسبح بالعشى**
من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل قيل المراد بالتسبيح الصلاة
اى صل واحمد النهار واوائله **والابكار** من طلوع الفجر الى الضحى **واذ قالت الملئكة** عطف على
قوله اذ قالت امراة عمران اى اذكر وقت قول الملئكة اعنى جبريل **يا مريم ان الله اصطفاك**
اختارك اولا حين تقبلك فى نذر امك ورباك واختصك بالكرامة السنية **وطهرك** مما
يستقذر من النساء من الحيض والنفاس ومسيس الرجال او من الافعال القبيحة **واصطفاك** آخرا

على نساء العالمين قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في انها ولدت بلا اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء او بالتحرير في المسجد ولم يحرر انثى قبلها قال او بتبرئتها عما قذفها اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين قال السلطان كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة زكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة لقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الجوهان عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة ورواه وكيع وابو معوية عن هشام بن عروة واشار وكيع الى السماء والارض وعن ابي موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم واسية امراة فرعون يا مريم اقنتي اي اطيلي القيام في الصلوة لربك اي لله سبحانه خالصا واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة مع ذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا بمصلين لان في زمانها كان من يقوم ويسجد ولا يركع فمعناه كوني مع الراكعين لا مع من لا يركع قيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة دليله قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما وارد بالسجود الصلوة دليله قوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك اي قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم من انباء الغيب اي من اخبار الغيب الذي لم تعرفها الا بالوحي نوحيه اليك اي نوحي ذلك الخبر اليك يا محمد وفيه تعريض لمنكري الوحي ودلالة واضحة على نبوته حيث اخبر عما غاب عنه وما كنت لديهم اي لم تكن يا محمد حاضرا عند الاحبار ونفي الحضور عن النبي تهكم بمنكري الوحي اذ يلقون اقلامهم اي سهامهم او الاقلام التي كانوا يكتبون التورية بها اختاروها للقرعة تبركا ليظهر لهم بذلك الالقاء ايهم يكفل مريم اي ايهم يضم الى نفسه للتربية يعني ما كنت عالما بذلك الخبر قبل هذا الوقت وانما تخبرهم بالوحي واكده بقوله وما كنت لديهم اي عند الاحبار اذ يختصمون في كفالة مريم وانما عرفته بالوحي قوله تعالى اذ قالت الملئكة بدل من اذ قالت قبلها اي اذكر وقت قولهم لمريم يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي يفرحك بولد مخلوق منه في موضع جر صفة لكلمة وفي العبرية معناه اي من الله بامره وهو قوله كن فكان كما مر اسمه المسيح واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اين ما كنت والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وقيل سمي المسيح لان الله تعالى لما مسح ظهر ادم فاستخرج منه ذرات ذرياته واشهدهم على انفسهم بقوله الست بربكم قالوا بلى وذكر في تفسير عين الحياة انه جاء في الخبر ان الله تعالى اذن للذرات بالرجوع الى ظهر ادم عليه السلام وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى القاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح

ای الممسوح

اي الممسوح فلما كان روح عيسى ذرية طيبة وكانت محتبسة عند الله ولم ترد الى ظهر ادم حتى القاها الى مريم بتوليته من غير شوب بظلمات شهوات الابوين ولهذا سمي روح الله وكان يكتب ويقرا التورية والانجيل من غير تعلم انتهى وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ او لانه كان يمسح الارض اي يدوسها بالسياحة ولا يستوطن مكانا واسمه مبتدا وذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر والمسيح خبره والجملة في موضع جر صفة كلمة عيسى عطف بيان للمسيح او بدل منه وهو معرب يسوع قيل اشتقاق المسيح من المسح لانه مسح بالبركة او مسح جبريل بجناحيه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل ابن مريم خبر مبتدا محذوف اي وهو ابن مريم او نعت لعيسى وقيل لا يجوز ان يكون نعتا لان اسمه عيسى فقط وليس اسمه مجموع عيسى ابن مريم وانما قال ابن مريم اعلاما لها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وابن مريم لما كانت صفة تميز كتمييز الاسماء نظمت في سلك الاسماء ولا ينافي تعدد الخبر كون المبتدا مفردا فانما جمع هذه الثلثة في الاسم لان الاسم علامة على المسمى يعرف بها وكانه قيل الذي يعرف به ويتميز عمن سواه مجموع هذه الثلثة قوله وجيها اي ذا جاه وقدر في الدنيا بالنبوة والطاعة والاخرة بالشفاعة والدرجات العلى ومن المقربين اي وثابتا من المقربين عند الله برفعه الى السماء وصحبة الملئكة قوله وجيها ومن المقربين حالان من كلمة لكونها كلمة موصوفة والنكرة الموصوفة تقع ذا حال ويكلم الناس في المهد في حال صغره قبل اوان الكلام كما قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وحكي عن مجاهد انه قال قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني انسان سبح في بطني وانا اسمع وكهلا اي ويكلم الناس في حال كبره والمعنى انه يكلم الناس في هاتين الحالتين بكلام الانبياء من الحكمة والعبرة من غير تفاوت بين حال الطفولية والكهولة التي يكمل فيها العقل ويستنبأ الانبياء ليكون كلامه في المهد معجزة وفي الكهولة دعوة وتكلمه مع الناس دليل على حدوثه لحدوث الاصوات والحروف وقيل انه رفع شابا والمراد من قوله وكهلا اي بعد نزوله من السماء وذكر احواله المختلفة المتنافية اي من الصبى الى الكهولة اشارة الى انه بمعزل عن الالوهية فهو رد على النصارى ومن يحذو حذوهم ومن الصالحين اي هو من العباد الصالحين حال كونه في الجنة مع النبيين وهذه احوال اربع بشر الله بها مريم بانه موصوف بهذه الصفات قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي قالت مريم يا سيدي كيف هذا الامر ولم يصبني بشر قالت ذلك تعجبا اذ لم يكن جرت العادة بان يولد ولد من غير اب او استفهاما عن انه بتزوج او غيره قال القايل هو جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قوله عز وجل كذلك اي كما قلت لم يمسسك بشر الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا اي اذا احكم واراد خلق امر وحدوثه فانما يقول له كن فيكون اي فهو يكون ويحدث كما يريد اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك قال الفاضل في تفسيره اذا قدر تكوين شي كونه من غير تاخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن

سرعة تكون الاشياء بتكوينه وهذا تمثيل لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول
المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة وقال في المدارك
والحاصل ان المكونات لا تكون الا بتكوينه وتخليقه ولكن اخبر عن ايجاد الشيء بقوله كن من
غير ان كان من الله كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول
كن عليكم فكذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فوضع هذا التعبير كله والله اعلم بمراده
يبشرك **ويعلمه** بالياء والنون عطف على يبشرك او وجيها او كلام مستانف اي ويعلمه
الله **الكتاب** اي الخط فكان احسن الناس كتابة وخطا في زمانه او جنس كتب الله **والحكمة**
اي العلم والفقه والمعارف او بيان الحلال والحرام او الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان
والتوراة والانجيل وكان يحفظهما عن ظهر القلب وخص الكتابان لفضلهما **ورسولا** اي ويجعله
رسولا او ارسل رسولا او في موضع الحال اي وجيها في الدنيا والآخرة ورسولا **الى بني اسرائيل**
وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم قيل كان
رسولا في حال الصبا وقيل انما كان رسولا بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف
وآخرهم عيسى عليهما السلام ولما نفخ جبريل في جيب درع مريم حملت وكان من امرها ما ذكر
الله في سورة مريم فلما بعثه الله الى بني اسرائيل قال لهم اني رسول الله اليكم و**اني** اي باني
قد جئتكم باية من ربكم اي بعلامة منه تعالى تدل على صدقي فيما ادعيه من النبوة
وانما قال باية وقد اتى بايات كثيرة لان الكل دل على شيء واحد وهو صدقه في الرسالة
او اراد به الجنس ومحل **اني اخلق** بفتح الهمزة نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية
او رفع على هي اني اخلق **لكم من الطين كهيئة الطير** والمعنى اقدر لكم واصور شيئا
من الطين مثل صورة الطير الهيئة الصورة المهيأة يعني اشكل شكلا واصوره من الطين **فانفخ**
فيه اي في الطين فالضمير راجع للكاف تقديره في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير **فيكون طيرا**
باذن الله اي فيصير حيا طيارا بامر الله كسائر الطيور نبه به على ان احياءه من الله لا منه
وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالافراد لا طيرا بالجمع لانه ما صور غير الخفاش وانما خص الخفاش
لانه اعجب الطير واكمله خلقا لان لها ثديا واسنانا وهي تحيض كما تحيض المرأة وتطير بلا ريش
وتضحك كالانسان وتلد كما يلد الحيوان ولا تبيض كسائر الطيور ولا تبصر في ضوء النهار ولا في
ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين بعد غروب الشمس وبعد طلوع الفجر في ساعة قبل الاسفار قال
وهب وكان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق
من فعل الخالق وليعلم ان الكمال لله تعالى فلما رأوا ذلك من عيسى ضحكوا وقالوا هذا سحر **وابرئ**
اي اشفي **الاكمه والابرص** الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص الذي به وضح وانما
خصهما بالذكر للشفاء لانهما مما اعيا الاطباء في تداويهما وكان الغالب على زمن عيسى الطب فأراهم
المعجزة في جنس ذلك قال وهب وربما اجتمع على عيسى عليه السلام في اليوم الواحد خمسون
الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى اليه عيسى وكان يداويهم بالدعاء على

على شرط الايمان وقد ظهر لمشايخ هذه الامة المحمدية من الكرامات ما يبهر منه العقول سيما منهم سيد
العارفين وقدوة الواصلين الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلي قدس سره وفي تاريخ الامام اليافعي اليمني
رحمه الله تعالى واما كراماته يعني الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فخارجة عن الحصر وقد اخبرني من ادركت
من اعلام الائمة ان كراماته تواترت او قربت من التواتر ومعلوم بالاتفاق انه لم يظهر ظهور كراماته
لغيره من شيوخ الآفاق كرامته وكان سيدي علي الهيتي يقول كنت في ضيافة مع شيخي عبد القادر الجيلي
وكان لصاحب الضيافة ابن اكمه اقعد مجذوم مفلوج فوضعه في صندوق بين يدي الشيخ
عبد القادر فامرني بفتح الباب ففتحت فاذا فيه ذلك الولد فقال له الشيخ عبد القادر قم
باذن الله معافيا فقام معافيا من جميع ما به من العلل فقام الشيخ من المجلس من كثرة اجتماع الناس
عليه وترك الطعام وايضا من حكايته المشهورة مع العجوزة وولدها حين اشار بعظام الطير
المأكول لحمه قومي باذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم فقام الطير ماشيا وصاح وكان سيدي علي
القيلوي يقول في مجالسه الشيخ عبد القادر يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكراماته كثيرة
لا تحملها الدفاتر ولنا كتاب في مناقبه ومناقب المشايخ سميناه برسالة النور وهذا كله ببركة اتباعه خير
سيد الاولين والآخرين قوله **واحيي الموتى باذن الله** كرر لفظ باذن الله لدفع وهم الالوهية فان
الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية قال ابن عباس رضي الله عنه قد احيا اربعة انفس عازر
كان صديقا له فدعا له على قبره وهو ميت منذ ثلثة ايام فقام من القبر وودكه يقطر وبقي زمانا وولد
له والثاني ولد العجوز فمر به ميتا على عيسى على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق
الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي زمانا وولد له والثالث ابنة العاشر وكان
ابوها رجلا يأخذ العشور ماتت له بنت فدعا الله تعالى لها فاحياها وبقيت زمانا وولد لها والرابع
سام بن نوح عليه السلام فذهب عيسى الى قبره فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه
خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال اقد قامت القيمة قال لا ولكن دعوتك باسم الله
الاعظم فقال له عيسى كيف شاب راسك ولم يكن لك شيب في حياتك فقال شاب راسي حين سمعت صوتا
يقول اجب روح الله فحسبت ان القيامة قد قامت فشاب من هول ذلك ثم قال الموت قال بشرط ان يعيذني
الله من سكرات الموت فدعا الله له ففعل قيل كان موته اكثر من اربعة الاف سنة فقال للقوم صدقوه
فانه نبي فآمن به بعض وكفر البعض قائلين بانه سحر وقالوا لعيسى ارنا اية اخرى نعلم بها انك صادق
فقال **وانبئكم بما تأكلون** من انواع المأكل **وما تدخرون** اي وما تخبئون للغد **في بيوتكم** مما لم اعاينه
فكان يخبر الشخص بما اكل قبل وبما يأكل بعد ويخبر الصبيان وهو في المكتب بما يصنع اهلهم وبما يأكلون ويشربون
ويقول لهم اخبركم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون **ان في ذلك** اي فيما صنع عيسى **لآية لكم**
اي علامة لنبوة عيسى **ان كنتم مؤمنين** اي مصدقين انه نبي او موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع
بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين **ومصدقا** حال معطوف على قوله باية اي وجئتكم مصدقا **لما بين**
يدي اي وبما قبلي وقبل كتابي **من التوراة** عطف على قد جئتكم يعني وجئتكم لاحل لكم **بعض الذي**
حرم عليكم في شرع موسى كالشحوم والثرب جمع ثرب وهو شحم رقيق يتصل بالامعاء ولحوم الابل

والعمل في السبت ولحوم السمك والطير فاحل لهم عيسى عليه السلام من السمك والطير ما لا صيصية
له وهي شوكة الحايك التي بها يسوي السداء واللحمة وقال ابو عبيدة اراد بالبعض الكل يعني
كل الذي حرم عليكم وقد يذكر البعض ويراد به الكل كقول لبيد ∴ تراك امكنة اذا لم ارضها او
يرتبط بعض النفوس حمامها ∴ يعني كل النفوس وهذا يدل ان شرع عيسى كان ناسخا لشرع موسى
عليهما السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض
وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وقد ذكرنا معناه فيما مضى قوله تعالى وجئتكم
باية من ربكم كرره تاكيدا اى ما جئتكم الا ببرهان بين يجب اتباعي به عليكم او كرر ليبني
عليه قوله تعالى فاتقوا الله فيما امركم ونهاكم واطيعون فيما ادعوكم اليه ولا تخالفوني فيما انصح لكم وقيل
معناه جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي لكم ان الله ربي وربكم اى الهي والهكم ورازقي
ورازقكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر فاعبدوه دوني و
لا تعصوه بالشرك هذا اى التوحيد الذي ادعوكم اليه وامركم به صراط مستقيم طريق لا عوج فيه يوصلكم
الى معرفة الله ودخول الجنة فالاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر اى لما تحقق
كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس وارادوا قتله قال من انصاري الى الله قيل معناه من
الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى هنا بمعنى مع او في او اللام والظاهر ان معناه
من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه او ضاما اليه قال الحواريون حواري الرجل صفوته وخاصته
وخالصته من الحور وهو البياض الخالص سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا او وزراء يلبسون البيض استنصرهم عيسى لما اراد اليهود قتله وقيل قصارون
يحورون الثياب اى يبيضونها وقيل كانوا صيادين للسمك وقيل ملاحين وقيل صباغين
والذي مشى عليه اكثر المفسرين هم الاصفياء والاصدقاء الذين يستعين به في نوائبه وكانوا اثنى عشر
رجلا ويؤيد هذا ما قال جابر ندب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب
الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير اى ناصري وقال معمر قال قتادة
ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة الجراح وعثمان
بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام
رضي الله عنهم نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله امنا بالله اى صدقنا بتوحيده
واشهد بانا مسلمون اى واشهد لنا يا عيسى بالايمان والاسلام يوم القيمة حين يشهد الرسل لقومهم
وعليهم ربنا امنا بما انزلت من الانجيل على عيسى واتبعنا الرسول اى عيسى على دينه فاكتبنا
مع الشاهدين لله بالوحدانية او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
لانهم شهداء على الناس ومكروا اى دبر الكفار من بني اسرائيل في قتل عيسى وهم الذين احس منهم الكفر
من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله اى جازاهم على مكرهم بان رفع عيسى الى
السماء والقى شبهه على من اراد قتله حتى قتل فالمكر من المخلوقين الحيلة والخبث والخديعة ولكن

من الله الجزاء واستدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يعلم ولهذا لا يجوز اسناد المكر الى الله
الا على معنى الجزاء لانه مذموم عند الخلق والله خير الماكرين اى اقواهم تدبيرا في تخليص نبيه
عيسى وقتل من اراد هلاكه قال الشيخ معناه والله اقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
واقواهم مكرا بالقاء الشبه على من اراد قتله روى عن ابن عباس ان عيسى دعا على رهط من اليهود
ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهوذا وهو راس اليهود واميرهم خاف لذلك وفزع
من دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبريل فادخله
خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله الى السماء من تلك الروزنة فامر يهوذا راس اليهود رجلا من
اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطا عليهم فظنوا انه
يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم اختلفوا فقال
بعضهم وجهه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فليس هو بعيسى فقتل بعضهم بعضا
لذلك وقيل المقتول هو يهوذا راسهم لانه هو باشر بنفسه ليقتل عيسى ثم نزل اى عيسى على
مريم امه وقال لها لا تبكي فان المقتول رجل اسمه كذا والقى الله عليه شبهي وكانت في موضع اسمه المجدلانية
في جبلها وجمع الله عليه حوارييه في ذلك المكان ببشارة مريم لهم فبثهم في الارض دعاة الى الله
ثم رفع الى السماء وتلك الليلة هي التي يدخن فيها النصارى فلما رفعه الله تعالى كساه الريش والبسه النور
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا
قيل في التواريخ حملت مريم بعيسى وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم في ارض اوري شلم
لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله اليه على راس ثلثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس في شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة فكانت نبوته ثلث سنين وعاشت
امه مريم بعد رفعه ست سنين والله اعلم اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو اذكر قول الله
يا عيسى اني متوفيك اى مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك او اني عاصمك من ان
يقتلك الكفار ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم او اني قابضك من الدنيا الى من غير موت تخصيصه
اني قابضك الي وافيا تاما لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت مالي اذا اخذته تاما وقيل معناه
اني متوفيك نائما يعني اني منيمك وقابضك الي وانت نائم كقوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اى ينيمكم
قيل معناه اني مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وعن ابن عباس رضي
الله عنهما معناه اني مميتك يدل عليه قوله عز وجل قل يتوفاكم ملك الموت فعلى هذا له تاويلان احدهما
ما قال وهب توفى الله عيسى على ثلث ساعات من النهار ثم احياه ورفعه اليه وقال محمد بن اسحاق
ان النصارى يزعمون ان الله تعالى توفاه سبع ساعات ثم رفعه الى السماء والاخر ما قاله الضحاك وجماعة
ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ان انزلك من
السماء والله اعلم بمراده بذلك ورافعك الي قال العلماء معناه اني رافعك الى محل كرامتي ومقر ملائكتي يعني
السماء ومطهرك اى مبعدك ومنجيك من الذين كفروا اى من سوء جوارهم وخبث صحبتهم او
قصدهم الردى بك قال النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى خليفة على امتي يدق الصليب

ويقتل الخنزير ويلبث اربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك امة وانا في اولها وعيسى في اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها وفي رواية والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وروى الشيخان حديث انه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي حديث مسلم يمكث سبعين سنة وفي حديث عند الطيالسي اربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه ويدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان المراد مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده وقال صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضيل هل تجد نزول عيسى في القران قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء **وجاعل الذين اتبعوك** من امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه في التوحيد دون من كذبوا عليه من اليهود والنصارى **فوق الذين كفروا الى يوم القيمة** اي هم يعلونهم بالحجة والسيف في غالب الاوقات يعني المسلمون فوق الذين كفروا ظاهرين قاهرين بالعزة والمنعة والحجة لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع وقيل المراد من اتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة وقال الضحاك يعني الحواريين فوق الذين كفروا وقيل الروم وقيل النصارى فهم فوق اليهود الى يوم القيمة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دايم الى قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا الاتباع الديني **ثم الي مرجعكم** في الاخرة الضمير لعيسى ومن تبعه من المومنين ومن كفر به وغلب المخاطب على الغايبين **فاحكم بينكم** اي بين المومنين والكافرين **فيما كنتم فيه تختلفون** من امر الدين وامر عيسى في الدنيا ثم اخبر عن حكم كل من الفريقين بقوله **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا** بالقتل والسبي واخذ الجزية والذلة **والاخرة** بالنار **وما لهم من ناصرين** اي من مانع يمنعهم من العذاب **واما الذين امنوا وعملوا الصلحت فيوفيهم** تفسير للحكم وتفصيل له القراءة بالياء والنون اي يعطيهم بلا نقص **اجورهم** اي ثواب اعمالهم الخير **والله لا يحب الظالمين** اي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل ولا يرضى عنهم **ذلك** اي هذا الذي ذكرته لك من الخبر عن عيسى عليه السلام ومريم والحواريين وذلك مبتدا خبره **نتلوه عليك** اي نخبرك به ونقصه عليك بتلاوة جبريل عليه السلام وقوله **من الايات** حال من هاء نتلوه او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ومعنى من الايات اي من دلايل الرسالة يعني من العلامات الدالة على نبوتك لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وانت امي لا تقرا ولا تكتب **والذكر الحكيم** اي القران المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه او الذكر ذي الحكمة وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضاء ونزل لما قال وفد نجران هل رايت ولدا بلا اب **ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم** اي ان شانه الغريب كشان ادم يعني شبه خلق عيسى كشبه

خلق

خلق ادم من الغرابة **خلقه من تراب** تفسير للمثل المجمل له من الاعراب والمعنى خلق الله قالب ادم من تراب يعني صوره جسدا من طين بلا اب ولا ام شبه حال عيسى بما هو اغرب لانه ابلغ افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه وعن بعض العلماء انه اسر ببلاد الروم فقال للنصارى لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فان ادم اولى لانه لا ابوين له قالوا يحيى الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر وحزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما **ثم** اي بعد خلق قالبه المصور من التراب **قال له** اي لذلك القالب المصور **كن** بشرا ذا روح **فيكون** فكان بشرا كامل الخلق من غير اب وام فكذلك عيسى خلقناه من غير اب قيل خلاصة الكلام قلت للتراب كن ادم فكان وقلت للريح كن عيسى فكان وهي حكاية حال ماضية قاله محي السنة ومعنى قوله عز وجل ثم قال له يعني لعيسى كن فيكون يعني فكان فان قيل ما معنى قوله ثم قال له كن ولا تكوين بعد الخلق قيل معناه خلقه ثم اخبركم اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وهو مثل قول الرجل اعطيتك اليوم درهما ثم اعطيتك امس درهما وقيل معنى قوله ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ومعنى قوله فيكون اي فكان لانه حكاية حال ماضية كما من وهم لترتيب الخبر على الخبر لا الترتيب المخبر عنه توضيحه ان الاية تقتضي ان يكون خلق ادم مقدما على كن فاجاب بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق قاله السلطان ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر **الحق من ربك** خبر مبتدا محذوف اي هو الحق يعني خبر عيسى ومثله كمثل ادم ثابت فهذا رد صريح لدعوى النصارى حين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد ليس له تعلق بالربوبية من وجه اصلا قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فنزل ان مثل عيسى الاية **فلا تكن من الممترين** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات والطمانينة لانه معصوم من الامتراء او لكل سامع والظاهر انه نهي له عليه السلام والمراد غيره اعني الامة **فمن حاجك** اي جادلك من النصارى **فيه** اي في حق عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الثبات المحكي او في الحق **من بعد ما جاءك من العلم** اي من البينات الموجبة للعلم في امر عيسى بانه عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اي هلموا والمراد المجي بالعزم والراي كما تقول تعال نفكر في هذه المسالة **ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم **ثم نبتهل** اي نتضرع في الدعاء اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة والطرد **فنجعل لعنت الله على الكاذبين** منا ومنكم في شان عيسى بان نقول اللهم العن الكاذب منا ونبتهل ونجعل عطف فان على منع وفي مجمل الاية بيان للابتهال وقد دعى صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه

فقالوا حتى ننظر في امرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم لقد عرفتم نبوته والله ما باهل قوم نبيا الا
هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي
وقال عليه السلام لهم اذا دعوت فأمنوا فأبوا ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه ابو نعيم
في دلائل النبوة وروى ابو داود انهم صالحوه على الفي حلة النصف في صفر والبقية
في رجب وثلثين درعا وثلثين فرسا وثلثين بعيرا وثلثين من كل صنف من اصناف السلاح
وروى احمد في مسنده عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون
مالا ولا اهلا وروى الطبراني مرفوعا لو خرجوا لاحترقوا وفي رواية السلفي
روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب يا عبد المسيح وكان
ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل
قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا
دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا
من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي
حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر
وهو دليل على نبوته وفضل من اتاهم من اهل بيته رب زدني علما قوله ابناءنا رد على الخوارج
لجودهم على قوله تعالى ما كان محمد ابا احد ونفوا الذرية الطاهرة فالمراد بالابناء الحسن والحسين
كما هو ظاهر لكل احد واراد بنسائنا فاطمة الزهراء واراد بانفسنا نفسه الكريم وابن عمه عليا عده
من نفسه وانما ضم الابناء والنساء ومن فدى له بنفسه حين خروجه عليه السلام من مكة يعني
عليا في دعاء المباهلة وان كانت تختص به عليه السلام وبمن يكاذبه لاظهار شرف اهل بيته
ومقدارهم على الله وقدم الابناء والنساء على الانفس كذلك لذلك وايضا لان ذلك آكد في الدلالة
على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده لذلك
ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته
لو تمت المباهلة ولما حال الحول على النصارى حتى هلكوا جميعا قال الله تعالى ان هذا
اي ما قص من نبإ عيسى ومريم لهو القصص الحق اي الخبر الصادق انه عبد الله ورسوله
ولا شك فيه واللام في لهو للفصل بين اسم ان وخبرها او مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان
وجاز دخول اللام على الفصل لانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل جوزا لانه اقرب
الى المبتدإ من الخبر ويفيد حسن الفصل ان ما ذكره في شان عيسى حق دون ما ذكروه وما من اله
الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم يعني ورود
فيما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة الاستغراق قال محي السنة
والفرض ومن صلة تقديره وما اله الا الله اي لا شريك له في الالوهية اي استحقاق المعبودية تا

لله وحده

لله وحده وان الله لهو العزيز الحكيم اي لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة
ليشاركه في الالوهية او العزيز في الانتقام والحكيم في تبيين الاحكام او في خلق هذا بلا اب وهذا
من تراب وهذا من الاب والام فان تولوا اي فان اعرضوا عن الايمان وابوا عن الحق ولم يؤمنوا
به فان الله عليم بالمفسدين وعيدلهم بالعذاب المذكور في قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قال الشيخ اراد بالمفسدين الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس
الى عبادة غير الله ووضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحج والاعراض عن التوحيد
افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب اي
اليهود والنصارى نزل حين قال اليهود نحن على دين ابراهيم فانه كان يهوديا وقالت النصارى
نحن على دين ابراهيم وكان نصرانيا وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم كلاهما بريء من ابراهيم لانه كان حنيفا مسلما ونحن على دينه فامر الله نبيه قل
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة وهي افراد القديم عن الحدوث سواء
اي مستو امرها بيننا وبينكم اي لا يختلف في تلك الكلمة الرسل والكتب ثم بين الكلمة بقوله الا
نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا
له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله
اي ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل من
غير رجوع الى ما شرع الله لان كلا من عزير وعيسى والاحبار بعضنا بشر مثلنا روي انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال
هو ذلك فان تولوا اي ان اعرضوا عن التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا اي اعلموا ايها اليهود و
النصارى بانا مسلمون لا انتم يعني لزمتكم الحجة فاعترفوا يا اهل الكتاب بانا مسلمون دونكم او
اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى
في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى بقوله
ويكلم الناس في المهد وكهلا ونحوه وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم
ويزيل شبهتهم بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى
المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك
طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد
ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى
عليهما السلام وكان ابراهيم عليه السلام قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون ابراهيم على

دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون بطلان قولكم فتدعون المحال
ها انتم مبتدا وها حرف تنبيه هؤلاء خبره اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم
وقلة عقلكم انكم حاججتم اى جادلتم جملة فعلية مستانفة مبينة للجملة الاولى فيما لكم به
علم من امر موسى وعيسى لانه ثابت فى كتابكم من التورية والانجيل اى مما وجدتموه فيهما
او تدعون وروده فيه على زعمكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اى فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم عليه السلام وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم
صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرا
نافع وابو عمرو ها انتم بالمد حيث وقع بالمد اقل مدا وقيل بالهمزة من غير الالف بعد الهاء والباقون
بالمد والهمزة والبزى يقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وبان ابراهيم كان على دين
الاسلام وانتم لا تعلمون اى وانتم جاهلون به وقيل فى معنى الاية يا هؤلاء جادلتم فى امر موسى
وعيسى وادعيتم بانا على دينهما وقد انزلت التورية والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به
علم وليس فى كتابكم انه كان يهوديا ولا نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم فى امر محمد عليه السلام
لانهم وجدوا نعته فى كتابهم فجادلوا فيه بالباطل عنادا وحسدا فلم تجادلون فى ابراهيم وليس
فى كتابكم ولا علم لكم به ثم برا الله ابراهيم مما قالوا فقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مقبلا الى الله
اى الذى يرغب عن الاديان كلها الى الدين المستقيم وهو الاسلام
مسلما منقادا لله تعالى مخلصا فى دينه وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين
انهم على ملة ابراهيم وقيل فى معنى الحنيف الذى يوحد ويحج ويضحى ويختتن ويستقبل الكعبة
وهو اسهل الاديان واحبها الى الله ثم قال ان اولى الناس بابراهيم اى ان احقهم به
واخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب للذين اتبعوه من امته فى زمانه والباء يتعلق
باولى وخبر ان قوله للذين وهذا النبى خصوصا خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد به محمد صلى
الله عليه وسلم لموافقته له فى اكثر شرعه والذين امنوا صدقوا محمدا عليه السلام من امته وقرئ النبى
بالنصب عطفا على الهاء من اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم وقيل وهذا النبى عطف على الذين
وهذا صريح لابعاد اليهود والنصارى منه لعدم اتباعهم اياه والله ولى المؤمنين اى ناصرهم
ومحبهم وحافظهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم روى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس
ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة لما هاجر جعفر بن ابى طالب
وناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم
الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش فى دار الندوة وقالوا ان لنا فى الذين عند
النجاشى من اصحاب محمد عليه السلام ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشى لعله
يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوى رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة
ابن الوليد مع الهدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشى سجدا له وسلما عليه

وقالا له

وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين
قدموا عليك لانهم قوم اتاهم رجل وقدح فيه ثم قال يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا
السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد وقد قتلهم
الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم
وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى
يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن
عليك حزب الله فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى رضى الله عنه نعم
فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب
الله وما اجابهم به النجاشى فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم ان تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيينى بها من
اتانى من الافاق قالوا انما نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث
الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التى رضيها الله وهى السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشى ان ذلك حق وانه
فى التورية والانجيل فقال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك
اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابى فمر هذين الرجلين
فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذين الرجلين اعبيد
نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشى اعبيد هم ام احرار فقال عمرو بل
احرار كرام فقال النجاشى نجوا من العبودية ثم قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو
لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشى ان كانت قنطارا
فعلى قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشى فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد على
دين ابائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا اليك قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشى ما هذا الدين الذى
كنتم عليه والدين الذى اتبعتموه اصدقنى قال جعفر اما الدين الذى كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان
كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الدين الذى تحولنا اليه فدين الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل
كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشى يا جعفر لقد تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشى فضرب بالناقوس
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشى انشدكم الله الذى انزل الانجيل على عيسى
هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من امن به
فقد امن بى ومن كفر به فقد كفر بى فقال النجاشى ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه
فقال يقرا علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة الرحم وبر
اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال النجاشى اقرا على مما يقرا عليكم فقرا عليهم سورة
العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشى واصحابه وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرا
عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشى فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشى ما تقولون فى عيسى
وامه فقرا عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشى نفثة من سواكه قدر ما يقذى

اى يقع فى العين

العين ثم قال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذه ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم
بارضي يقول آمنون من سبكم اوآذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهوره بعد اليوم على حزب ابراهيم
قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هولاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم
فانكر ذلك المشركون وادعوا في دين ابراهيم ما ليس لهم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي
حملوه اليه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا
فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم
وهو بالمدينة قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين
ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان يعني ارادت وتمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود ان يصرفوكم عن دين
الاسلام الى الكفر وما يضلون الا انفسهم اي وما تخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ
يضاعف بالاضلال عذابهم او وما يضلون الا امثالهم لان المومنين لا يطيعونهم فانما اضلالهم عليهم
لا يتخطاهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
يعني بالقرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم او بما نطقت به التوراة والانجيل مما دلت على نبوة محمد عليه السلام
وانتم تشهدون على انفسكم بالهداية بان التوراة حق والانجيل حق ورسالة محمد حق لان نعته مذكور في
التوراة والانجيل او تعلمون ان القرآن المشتمل على نعت محمد حق لانكم كنتم تخبرون بنعته قبل البعثة يا
اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل اي لم تخلطون الايمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد او الاسلام
باليهودية والنصرانية يعني الاسلام بالكفر او تلبسون الحق بالتحريف وابراز الباطل في صورته يعني لم تلبسون
التوراة التي انزل الله على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بايديكم وتكتمون الحق اي نبوة
محمد عليه السلام ونعته اي تسترونه حسدا وعنادا وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه بانه حق ثابت
في كتابكم يعني تعلمون ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه حق ∴ لشكر باد كرجهان كين د شمع
خورشيد ازان نمي ميرد ∴ وقالت طايفة اي جماعة من اهل الكتاب اعني كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاتباعهما من يهود المدينة آمنوا اي صدقوا واظهروا الايمان واقروا باللسان
فقط بالذي انزل على الذين آمنوا اي على المسلمين من القرآن والصلاة الى الكعبة وغير ذلك
من احكامه امرا وذهابا من غير اعتقاد وجه النهار اي في اول النهار فقط واكفروا آخره
اي ثم اكفروا آخر النهار بالذي انزل على المسلمين وصلوا الى الصخرة لعلهم يرجعون اي لعل المسلمين
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيشكون ثم يرجعون عن دينهم بهذا المكر والكيد ثم اوصى كعب
ومالك اصحابهما الذين امروهم بالايمان في وجه النهار الخ بقولهما لهم ولا تؤمنوا اي لا تصدقوا
ولا تقروا ايها اليهود بالقلب واللسان الا لمن تبع دينكم اي الا لمن وافق دينكم
اي الا لاهل دينكم لا لمحمد ومن تبعه بل كونوا معهم الى آخر النهار بالنفاق والمكر فاخبر الله نبيه
محمدا بمكرهم واظهره على سرهم واوحى اليه الآية وامره بان يجيبهم فقال له قل لهم يا محمد ان الهدى
هدى الله اي ان الدين دين الله وهو الاسلام وان التوفيق توفيقه يهدي من يشاء ويضل من يشاء

ومكر

وضر كيدكم ومكركم وحيلكم لا يتخطاكم فقوله قل ان الهدى هدى الله كلام معترض بين الكلامين
اي بين الوصيتين وما بعده متصل بالكلام الاول في وصيتهما لاصحابهما اي ولا تؤمنوا ايها اليهود الا
لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ايضا ولا تصدقوا ولا تتيقنوا ان يؤتى احد بان يعطي الله لاحد مثل
ما اوتيتم اي مثل ما اعطاكم الله من العلم والحكمة والكتاب والآيات من المن والسلوى وفلق البحر
وغيرها من الآيات والكرامات ثم اوصيا اصحابهما ايضا واثبتاهم على الكفر حيث قالا لهم او يحاجوكم
عند ربكم اي لا تصدقوا ولا تتيقنوا ولا تخافوا بان يحاجوكم ويخاصموكم عند الله يوم القيمة احد من
المسلمين لان دينكم احق وحجتكم اقوى واظهر مما عند المسلمين من البرهان والحجج فمن يحاجكم عند الله
فاخبر الله نبيه بان يجيبهم بقوله قل ان الفضل بيد الله اي الهداية والتوفيق وايتاء العلم
والكتاب بيده وحده فمن ابن لكم ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
كثير الفضل عليم بمن هو اهل لذلك يختص برحمته اي بالنبوة او الاسلام والدين الحق من يشاء فيعطيه
ما يناسبه والله ذو الفضل العظيم اي ذو المن الجزيل لمن اختصه بدين الاسلام فنور قلبه وايطال
لما ان عموه بالحجة الواضحة والله اعلم قال السلطان في تفسيره والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا الآية وقيل اثنا عشر رجلا من احبار خيبر
تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد
محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم اي ولا تقروا عن
تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم اي ثم اسلم فان رجوعهم
ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله اي يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه على المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى
المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل
او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه
الاول اي ألان يؤتى احد دبرتم وقرئ إن على انها النافية فيكون من كلام الطايفة اي ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين
وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحض حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم انتهى وقال الشيخ في تفسيره المراد بالطايفة اثنا عشر رجلا من احبار خيبر وقرى عرينة
او في شان القبلة لما حولت فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا الخ فاطلع الله رسوله على سرهم وانزل
وقالت طايفة الخ فقوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض ولا تؤمنوا
اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم واللام في لمن صلة اي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية
وقوله قل ان الهدى هدى الله هذا خبر من الله بان البيان بيانه ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض
بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبارا عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعناه ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من المن والسلوى وفلق البحر وغيرها

من الايات والكرامات ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم وقيل ان اليهود قالت
لسفلتهم لا تومنوا الا لمن تبع دينكم ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم اى لئلا يوتى احد ولا فيه
مضمر اى لا تصدقوهم لئلا يعلموا مثل ما علمتم فيكون لكم الفضل عليهم فى العلم ولئلا يحاجوكم عند
ربكم فيقولوا عرفتم ان ديننا حق ولم تتبعوه وهذا معنى قول ابن جريج وقرا الحسن والاعمش ان
يوتى بكسر الالف فيكون قول اليهود تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله عز وجل
يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان يوتى احد بمعنى الجحد اى ما يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة
محمد صلى الله عليه وسلم او يحاجوكم يعنى الا ان يجادلوكم اليهود بالباطل فيقولون نحن افضل منكم وقوله
عند ربكم اى عند فعل ربكم بكم ذلك فيجوز ان يكون او بمعنى حتى ومعنى الاية ما اعطى احد مثل
ما اعطيتكم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير آن يوتى بالمد
على الاستفهام معناه ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه
ولا تومنون به يعنى يقول الله قل يا محمد لليهود ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم
وبعث نبيا حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وقوله او يحاجوكم على
هذه القراءة رجوع الى خطاب المومنين ويكون او بمعنى ان لانهما حرفا شك وجزاء ويوضع
احدهما موضع الاخرى اى وان يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم فقل يا محمد ان الهدى هدى الله
ونحن عليه ويجوز ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم الاية ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
يا معشر المومنين ان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله وان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله
ويجوز ان يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تومنوا من كلام
الله تعالى يثبت به قلوب المومنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم فى دينهم يقول
لا تصدقوا يا معشر المومنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين
والفضل ولا تصدقوا ان يحاجوكم فى دينكم عند ربكم او يقدروا على ذلك قل ان الهدى هدى الله
وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الاية كلها خطاب الله للمومنين
عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا انتهى قال الواحدى وهذه الاية اى وقالت طايفة من
اهل الكتاب الخ من مشكلات القران واصعبه تفسيرا وحلا ولقد تدبرت اقوال اهل
التفسير والمعانى فى هذه الاية فلم اجد قولا يطول فى الاية من اولها الى اخرها مع بيان المعنى
وصحة النظم يقول الفقير محمود بن محمد قد زال حرفى بقول الواحدى قوله تعالى ومن اهل
الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك نزلت فى اليهود اخبر الله تعالى ان فيهم امانة
وخيانة قال مقاتل نزل فى مومنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وكفار اليهود اعنى
كعب بن الاشرف واصحابه يعنى ومن مومنى اهل الكتاب من ان تعطه امانة فى حفظ قنطار
اى مال كثير كما ذكرنا من ذهب وفضة يوده اليك من غير جحد ونقص وهو عبد الله بن سلام
استودعه رجل من قريش الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه فمدحه الله بذلك ومنهم
اى ومن مشركى اهل الكتاب من ان تامنه بدينار واحد لا يوده اليك وهو كعب بن الاشرف
او فنحاص

او فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فلم يوده اليه وجحده فذمه الله
وقيل ان المامونين على القنطار اى الكثير من المال طايفة النصارى اذ الغالب فيهم الامانة
والخاينين فى الدينار والقليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قايما اى
الا فى حال ملازمتك له او مدة دوامك قايما على راسه بان لا تفارقه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى
والترافع واقامة البينة عليه يعنى متى فارقته لا تنكره كما فعل كعب بن الاشرف حين جحد دينار
القرشى ذلك اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لا يوده اليك بانهم اى بسبب ان اهل
الكتاب الخاينين قالوا يعنى بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى ليس علينا
فى شان من ليسوا من اهل الكتاب كالعرب ومن لم يكونوا على ديننا اثم وذم وعتاب وكانوا
يستحلون ظلم من خالفهم والاضرار بهم ويقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل
بايع اليهود رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم
وادعوا انهم وجدوا ذلك فى كتابهم فكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله الكذب
بادعايهم جواز الخيانة فى كتابهم مع من يخالف دينهم وهم يعلمون انهم كاذبون لان
الله تعالى امرهم فى التوراة باداء الامانات الى اهلها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شىء فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها موداة الى
البر والفاجر ثم قال الله ردا على اليهود بلى اى ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل واثم
وعتاب ثم ابتدا بذكر ما هو كاين فى التوراة ردا لقولهم ليس علينا فى الاميين سبيل فقال
من اوفى بعهده اى لكن من اوفى وراعى بعهده او اوفى بعهد الله الذى عهد اليه فى التوراة
من الايمان بمحمد عليه السلام وبالقران واداء الامانة واتقى الله بترك المعاصى والشرك والخيانة
ونقض العهد وجواب من فان الله يحب المتقين عن الغدر والخيانة ونقض العهد
يعنى ومن كان هكذا فالله يحبه فقام عموم المتقين مقام الضمير الراجع من الجزاء الى من اوفى
فالجملة مستانفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع الى الله اى كل
من وفى بعهد الله واتقاه وانما وضع المتقين مقام الضمير للدلالة على ان التقوى يجلب محبة
الله تعالى لصاحبه وللاشعار بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهى ان الذين يشترون اى يستبدلون بعهد الله اى بما عاهدوا عليه
من الايمان بالرسول المصدق لما معهم والوفاء بالامانات والعهود وايمانهم اى وبما حلفوا
به من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه ثمنا قليلا اى متاع الدنيا كما قال الله قل متاع
قليل يعنى عرضا يسيرا من حطام الدنيا كالترؤس والرشا والهدايا التى كانت لهم من اتباعهم
اولئك الموصوفون بما ذكر لا خلاق لهم اى لا نصيب لهم فى الاخرة اى فى نعيمها وخيرها
ولا يكلمهم الله اى بكلام ينفعهم ويسرهم قيد به دفعا لما يتوهم من التدافع بين هذه الاية
وبين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين ويمكن الدفع ايضا بانه سبحانه وتعالى يخص اولياءه بكلامه بغير واسطة

تشريفا لهم ولا يكلم الكفرة والفساق كذلك وتكون المحاسبة معهم بكلام الملئكة او انه لا يكلمهم بكلام الرضى والعفو او بانه يقال ان نفى تكليمه اياهم كناية عن سخطه وغضبه لان ترك التكلم لازم للسخط عادة فاطلق لينتقل منه الى الملزوم واستشهد على كونه كناية عن غضبه عليهم بقوله **وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره تقاوله ويكثر النظر اليه فان قلت اى فرق بين استعمال النظر فيمن يجوز عليه النظر بتقليب الحدقة كالانسان كما قال السيد قدس سره وفيمن لا يجوز بالحدقة بل بان البصر صفة له كالبارى عز وجل كما قال قدس سره ايضا قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاد نظر عينيه اليه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمه نظر ثم جاء فى من لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى اللطف والاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وفى التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم والحق فى هذه المسألة وما شابهها نحو وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ان يؤمن بظاهره ولا يتعمق فى التاويل ويفوض علم ذلك الى الله ويستريح **وَلَا يُزَكِّيهِمْ** اى ولا يثنى عليهم كما يثنى على اوليائه كما قال التائبون العابدون الى اخره **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** على ما فعلوه من المعاصى قيل نزل فى اليهود خاصة لان الايات السابقة واللاحقة فيهم ومنهم من خصها بغير اليهود ومن قال فى اليهود يقول انها نزلت فى احبارهم حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد عليه السلام وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشتر به وقيل فى تنازع كان بين اشعث بن قيس ويهودى فى بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودى فحلف كذبا واخذ مطلوبه قال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقى الله وهو عليه غضبان رواه الشيخان قال صلى الله عليه وسلم من اقتطع مال مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قيل يا رسول الله وان شيئا يسيرا قال وان سواكا اخرجه الطبرانى والحاكم وصححه قال صلى الله عليه وسلم ان اليمين الكاذبة تنفق السلعة وتمحق الكسب اخرجه عبد الرزاق قال صلى الله عليه وسلم ان اليمين الفاجرة تعقم الرحم وتقل العدد وتدع الديار بلاقع اخرجه عبد الرزاق وقال سعيد بن المسيب ان اليمين الفاجرة من الكبائر ثم تلا ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الاية اخرجه عبد الرزاق **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا** اى ومن اهل الكتاب طائفة يحرفون التوراة ككعب ومالك وحيى لا يقتصرون على تغيير العهد بمجرد التاويل بل **يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ** اى يحطفون ويفتلون السنتهم بقراءة التوراة فيميلونها ويصرفونها عن المنزل الحق الى المحرف والمغير بشبه الكتاب ويحتالون لتبديل المعانى من جهة اشتباه الالفاظ وتشعب التاويلات كقولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك واللى المنزل هو الصرف فانهم حرفوا وغيروا وبدلوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته واية الرجم وغير ذلك **لِتَحْسَبُوهُ** اى لتظنوا المسلمون ان المحرف والمغير **مِنَ الْكِتَابِ** الذى انـ

مخاوى

على موسى تبا لهم ولصنيعهم **وَمَا هُوَ** اى ليس المغير والمحرف والمبدل **مِنَ الْكِتَابِ** الذى انزل الله على موسى **وَيَقُولُونَ** مع ذكرهم اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتعريض والتورية **هُوَ** اى المحرف **مِنْ عِندِ اللَّهِ** اى منزل من عند الله **وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ** فى نفس الامر فى اعتقادهم ايضا نفى تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع وتقبيح عليهم قاله فخر الاية فى تفسيره الكبير واعلم ان من الناس من قال انه لا فرق بين قوله لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب وبين قوله ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وكرر هذا الكلام بلفظين مختلفين لاجل التاكيد اما المحققون فقالوا المغايرة حاصلة وذلك لانه ليس كل ما لم يكن فى الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد يثبت تارة بالكتاب وتارة بالسنة وتارة بالاجماع وتارة بالقياس والكل من عند الله تعالى فقوله لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب هذا نفى خاص عطف عليه النفى العام فقال ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله انتهى بحروفه وايضا يجوز ان يكون المراد من الكتاب التورية ويكون المراد من قولهم هو من عند الله انه موجود فى كتب سائر الانبياء عليهم السلام مثل شعيا وارميا وذلك لان القوم كانوا متحيرين فى نسبة هذا التحريف الى الله تعالى ولا يخفى عليك ان النفى المستفاد من قوله وما هو من عند الله لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد الذى هو تحريف التورية هنا من الله تعالى اى من خلق الله تعالى وايجاده لان المراد من قوله وما هو من عند الله هو ان المحرف ليس منزلا من عند الله وهذا ليس بمناف ان يكون هو من عند الله خلقا وايجادا بل المذهب الحق ان التحريف وان كان فعل المحرف من كسبا لكنه بخلق الله وايجاده فهو بهذا المعنى من الله فلا تكون الاية حجة علينا فى قولنا فعل العبد من الله تعالى وان افعال العباد جميعا بخلق الله تعالى وايجاده قال شيخنا وامامنا قدوتنا الشيخ محى الدين عبد القادر الجيلانى قدس سره ومن جود الله انه اضاف الينا الافعال وهو الخالق لذلك فاندفع بهذا ما احتج الجبائى والكعبى له على ان فعل العبد غير مخلوق لله تعالى فقالوا لو كان لى اللسان بالتحريف والكذب خلقا لله تعالى لصدق اليهود فى قولهم انه من عند الله لانهم اضافوا الى الله ما هو من عند الله والله تعالى نفى عن نفسه ما هو عنده **وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى بذلك وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وقال الضحاك عن ابن عباس ان الاية اى وان منهم لفريقا الخ نزلت فى اليهود والنصارى ايضا وذلك انهم حرفوا التورية والانجيل والحقوا بكتاب الله ما ليس منه قوله تعالى **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ** تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وذلك ان نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فالمعنى ما ينبغى ولا يصح ولا يستقيم لبشر اى لعيسى والكتاب هو الانجيل وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وياتى هذا القيل قوله تعالى فيما ياتى

بعد اذ انتم مسلمون اخـرج عبد بن حميد عن الحسن قال بلغنى ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله فانه لا ينبغى
ان يسجد لاحد من دون الله فانزل الله ما كان لبشر الى قوله بعد اذ انتم مسلمون نفى هذا البشر
هو محمد عليه السلام والكتاب القران قالـه الشيخ والبشر جميع بنى ادم لا واحد له من لفظه
كالقوم والجيش ويوضع موضع الواحد والجمع والمعنى لا يجوز لا ينبغى لنا اى لاحد من البشر سواء كان
القران او التوراة او الانجيل او غيرها لك ان يامروا لاحد بالسجود لهم او لا يجتمع النبوة وهذا القول
والحكم الحكمة وهى السنة والفهم للشريعة بان يحمل على امر الله ونهاه عنه قولـه ثم يقول بالنصب
عطف على ان يؤتيه الله وبالرفع على الاستيناف ولكن يقول للناس كونوا ربانيين اى كاملين
فى العلم والعمل والربانى منسوب الى الرب اعنى البليغ فى طاعة ربه وزيادة الالف والنون للمبالغة
كما فى اللحيانى اى عظيم اللحية والرقبانى اى عظيم الرقبة وغلظها وقالـه على وابن عباس والحسن
كونوا فقهاء علماء وحكماء علما او فقها معلمين او الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره او علما
حلما نصحا لله فى خلقه اى العالم يعمل بعلمه والعالم بالحلال والحرام والامر والنهى العارف بانباء
الامة ما كان وما يكون قيـل الربانيون فوق الاحبار لان الاحبار العلماء والربانيين الذين
جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس وقالـه على كرم الله وجهه الربانى هو الذى يربى علمه
بعمله وقالـه محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون فالباء متعلقة بكونوا فالمطلوب هو الربانية المسببة عن العلم
والمعنى كونوا ربانيين بسبب كونكم معلمين اى عالمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين اى قارئين
للعلم فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل قرا ابن عامر وعاصم وحمزة
تعلمون بالتشديد من التعليم اى تعليم الكتاب لغيركم وقرا الاخرون تعلمون من العلم لانفسكم
ومعنى تدرسون اى تقرؤن العلم لانفسكم وتعملون به قيـل اذا لم يعمل العالم بعلمه فهو والجاهل سواء
ومن علم ودرسه ولم يعمل به فليس من الله فى شئ وانما ينسب العالم الى الله بعلمه وعمله وطاعته
لا بالعلم وحده وقرئ تدرسون بالتشديد اى تدرسون غيركم العلم ولا يامركم ان تتخذوا
الملئكة والنبيين اربابا اى معبودين كاتخاذ اليهود والنصارى
قريش وغيرهم الملئكة والنبيين كعيسى وعزير اربابا اى معبودين كاتخاذ اليهود والنصارى
ونصب ولا يامركم ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى
النفى فى قوله عز وجل ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر
باتخاذ الملئكة والنبيين اربابا او يكون لا غير مزيدة على معنى انه ليس لمن اعطاه الله الرسالة
ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ الملئكة اربابا بل ينهى عنه والاتخاذ ادنى من العبادة ورفع ولا
يامركم الباقون على الاستيناف اى لا يامركم الله ان تتخذوا الخ ونصح المعنى فى صورة زيادة
لا اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد
ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الخ وفى صورة عدم الزيادة معناه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح

فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر الخ وقالوا قراءة الرفع اقوى لقراءة ابن مسعود ولن
يامركم فانه لا يمكن كونه معطوفا على يقول لامتناع دخول ان الناصبة على لن والضمير فى لا يامركم للبشر
وقيـل لله وقيـل لمحمد وقيـل لعيسى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انكار عليهم
على طريق التعجب اى لا يقول هذا يعنى لا يقول بعبادة غير الله والسجدة له اى ايامركم بعبادة الملئكة
والسجدة للانبياء بعد كونكم مسلمين ومخلصين بالتوحيد لله فانه لا يجمع النبوة مع هذا الامر والضمير المستتر
فى ايامركم للبشر او لله والخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا للرسول الله صلى الله عليه وسلم
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم اى للذى اعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه هو على ظاهره من اخذ الميثاق لما فى الاية
من قوله لتؤمنن به ولتنصرنه واذا كان هذا حكم الانبياء جميعا كان الامم به اولى اى اذكر يا محمد وقت
اخذ الله ميثاق النبيين واممهم وعهدهم فى يوم الميثاق حين اخرجهم من صلب ادم ان يبلغ الاول
الاخر وان يصدق الاخر يعنى ان الله تعالى اخذ الميثاق على الانبياء مواثيقهم يصدق بعضهم بعضا
وينصر بعضهم بعضا بمعنى انه يوصى قومه ان ينصروا ذلك النبى الذى بعده بالجنود وهذا قول سعيد بن
جبير والحسن والطاوس وكثرة الروايات تدل على ان هذا الميثاق مختص بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم اخرج
ابن جرير عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال لم يبعث الله نبيا ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد فى
محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وامره باخذ العهد على قومه ثم
تلا واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واخـرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن السدى فى الاية قال
لم يبعث الله نبيا قط من لدن نوح الا اخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه ان خرج وهو حى والا
اخذ على قومه ان يؤمنوا به وينصروه ان خرج وهم احياء وهكذا روى عن ابن عباس ايضا فعلى
هذا يكون الميثاق مصدرا مضافا الى مفعوله والفاعل الاخذ للميثاق هو الله تعالى والماخوذ منهم هم
النبيون فاذا درجات الانبياء عليهم السلام اعلى واشرف من درجات الامم فاذا دلت الاية على ان
الله تعالى اوجب على جميع الانبياء ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا احياء فلان يكون الايمان بمحمد عليه
الصلاة والسلام واجبا على اممهم كان بطريق الاولى ويمكن ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافة الى
الفاعل الموثق لا الى المفعول الموثق عليه فيكون التقدير واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على
اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه ويمكن ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنوا
اسرائيل على حذف المضاف او ان يراد من لفظ النبيين اهل الكتاب فاطلق لفظ النبيين عليهم تهكما
بهم على زعمهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا النبيون وقالـه بعضهم
اراد اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم جميعا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء عن ذكر
الامم لان العهد مع المتبوع عهد على الاتباع وهذا معنى قول ابن عباس قرا حمزة لما اتيتكم بكسر اللام فهى
لام التعليل وما مصدرية ومعناه واذ اخذ الله ميثاق النبيين لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجى رسول
مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او اللام للتعليل وما موصولة والمعنى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لاجل الذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا الباقون بفتح اللام وتخفيف الميم فاللام فى لما هو

للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما حينئذ يحتمل ان تكون شرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط معًا ويحتمل ان تكون موصولة والضمير الراجع اليها محذوف والتقدير للذى
اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما بالفتح والتشديد بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن
ما بزيادة من فلما التقى ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها فى الميم فحذفت احدى
الميمات الثلث استثقالا ومعنى كون اللام موطئة للقسم يعنى كانها وطئت طريق جواب القسم اى سهلت
تفهيم الجواب وقيل هى التى تدخل على الشرط بعد تقدم القسم لفظا او تقديرا لتؤذن ان الجواب له
لا للشرط فافهم فانه كثير الوقوع وقرا نافع واهل المدينة اتيناكم على التعظيم وقرا الاخرون بالتاء
لموافقة الخط ولقوله وانا معكم قوله ثم جاءكم معطوف على اتيتكم اى للذى اتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق وهذا العطف على ان ما موصولة من غير حاجة الى العايد لان قوله لما معكم بمعنى له او بتاويل
المصدر ليكون عطف المفرد على المفرد قال الله تعالى بعدما اخذ الميثاق على الانبياء فى امر محمد عليه السلام
حين استخرج الذرية من صلب ادم عليه السلام والانبياء فيهم كالمصابيح والسرج أأقررتم بذلك
الميثاق بتصديقه ونصره اذا خرج فالاستفهام لتثبيت الاقرار وأخذتم اى قبلتم على ذلكم الميثاق
إصري اى عهدى وعقدى الذى عقدته عليكم فى شان حبيبى محمد وسمى العهد اصرا لانه مما يوصر
اى يشد ويعقد لان الاصر هو العهد الثقيل قالوا اى الانبياء أقررنا على ذلك وقبلنا الميثاق قال
الله فاشهدوا اى فليشهد بعضكم ايها الانبياء على بعض بالاقرار او فاشهدوا يا ملائكتى باقرار الانبياء بعضهم
على بعض وانا معكم من الشاهدين اى وانا على اقراركم على انفسكم من الشاهدين او انا شاهد عليكم
يا معشر الانبياء مع ملائكتى على استشهاد بعضكم بعضا ثم هددهم عن الرجوع من الميثاق بقوله فمن تولى
اى اعرض عن الايمان بهذا الرسول وبالاقرار ونصرته بعد ذلك اى بعد ذلك الاقرار والتوكيد فى
الميثاق فاولئك هم الفاسقون اى المتمردون من الكفرة يعنى الخارجون عن الايمان بالله وطاعته
بنقض العهد والميثاق ولما بين فى هذه الاية ان الايمان بمحمد عليه السلام شرع اوجبه الله تعالى على
جميع من مضى من الانبياء والامم تبين ان كل من كره ذلك فانه يكون طالبا دينا غير دين الله فقال
أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بين الجملتين للانكار والمعنى
فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره اتتولون فغير
دين الله يبغون فقدم المفعول الذى هو غير دين الله لانه المقصود والاهم بالانكار على فعله قرا
ابو جعفر واهل البصرة وحفص عن عاصم يبغون بالياء بلفظ الغيبة لقوله واولئك هم الفاسقون
وقرا الاخرون بالتاء لقوله لما اتيتكم وله اى لله أسلم انقاد واخلص من فى السموات
والارض اى اهلهما طوعا من غير اباء وكرها باباء اى طايعين بالنظر فى الادلة والانصاف من
انفسهم وكارهين بالسيف او بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون
والاشراف على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده او مختارين كالملئكة والمؤمنين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم قال الامام فى تفسيره الكبير رحمه الله الاسلام
هو الاستسلام والانقياد والخضوع اذا عرفت هذا ففى خضوع من فى السموات والارض لله تعالى ان كل

موكم

ما سوى الله ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فان كل ما سوى الله تعالى
منقاد خاضع لجلال الله تعالى فى طرفى وجوده وعدمه وهو نهاية الخضوع والانقياد وفى هذا
التفسير لطيفة اخرى وهى ان قوله وله اسلم يفيد الحصر اى وله اسلم جميع ما سواه لا لغيره فهذه
الاية تفيد ان واجب الوجود واحد وان كل ما سواه لا يوجد الا بتكوينه ولا يفنى الا بافنائه وهذا
هو الاصح عندى من بقية الاحتمالات التى يحتمله وإليه ترجعون قرئ بالياء والتاء اى تصيرون
الى الله فلا يقدرون على الاباء فيجازون على الاعمال قل يا محمد لاهل الكتاب انكم لم تؤمنوا
آمنا اى امنت انا والمؤمنون بالله وانبيائه وما أنزل علينا والقران كما هو منزل عليه
منزل على تابعيه بتبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم
عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له وما أنزل على إبراهيم اى الصحف العشرة وإسماعيل
وإسحاق ويعقوب والأسباط اولاد يعقوب وكان فيهم انبياء وعدى انزل هنا بعلى وفى البقرة بالى
لوجود المعنيين لان الوحى ينزل من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين والاخرى
بالاخر والخطاب فى البقرة لقوله تعالى قولوا امنا فلم يصح الا الى لان الكتب منتهية الى الانبياء والى
امتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى وللامة ضمنا فكان اللايق به على لان الكتب منزلة عليهم
لا شركة للامة فيه الا بواسطة النبى ولهذا السر قال الله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا
وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وساير المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ ايثار الايتاء
على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لان الكلام مع اليهود والنصارى كرر فى
البقرة الايتاء ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الايتاء هنا حيث قال لما اتيتكم والنبيون من عطف
العام على الخاص اى وما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من المعجزات والكتب
لا نفرق بين أحد منهم بالتصديق والتكذيب كما فعلت اليهود والنصارى فانهما امنوا
ببعض دون بعض ونحن له اى لله مسلمون اى منقادون او مخلصون فى عبادته يعنى
لا نجعل لله شريكا فى عبادة انفسنا ومن يبتغ غير الإسلام دينا نزلت فى شان حارث
ابن سويد واصحابه من المرتدين وكانوا عشرة او اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام فى المدينة
ولحقوا بمكة كفارا ثم رجع الى الاسلام واصلحهم وهو حارث بن سويد وحسن اسلامه وقال
ابن عباس والحسن بن ابى الحسن نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا بعث النبى وامنوا به
فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به وقال النقاش فى تفسيره نزل فى ابن ابيرق اى ومن
يطلب سوى دين الاسلام دينا يعنى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل ذلك منه
وهو فى الآخرة من الخاسرين اى من الذين وقعوا فى الخسران يعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها
واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان الايمان غير الاسلام لكان غير مقبول والجواب
ان قوله تعالى فلن يقبل منه ينفى قبول كل دين يباين الاسلام والايمان وان كان غير الاسلام لكن
دين الايمان دين الاسلام بل هو بحسب الذات وان كان غيره بحسب المفهوم قال الامام فى

تفسير الكبير اعلم ان ظاهر هذه الاية يدل على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غير الاسلام لوجب ان
لا يكون مقبولا لقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه الا ان ظاهر قوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا يقتضي كون الايمان مقابلا للاسلام ووجه التوفيق بينهما ان تحمل
الاية الاولى على العرف الشرعي والاية الثانية على الوضع اللغوي انتهى كلام الامام والحاصل ان النزاع
لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان
اريد الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله
تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وكيف لفظه
استفهام ومعناه جحد اى لا يهديهم الله او كيف يهديهم في الاخرة الى الجنة او الثواب مع حبط الاعمال
فهو استبعاد لان يهديهم الله فان المائل عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الهدى
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد مع انها مقبولة باجماع الامة وشهدوا
ان الرسول حق قوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل كانه قال من بعد ان امنوا
وشهدوا وهذا العطف انما يصح بحسب المعنى دون اللفظ لامتناع عطف الفعل على الاسم او الجملة على المفرد
وقيل ان قوله وشهدوا حال من ضمير كفروا باضمار قد اى كفروا وقد شهدوا وهو على الوجهين دليل على ان
الاقرار باللسان وحده خارج عن حقيقة الايمان ضرورة ان المعطوف مغاير للمعطوف عليه والكفر المقيد
بالشهادة بعد الايمان غير الايمان قال السلطان ونظيره فاصدق واكن فانه عطف اكن وهو مجزوم
على فاصدق وهو منصوب بتقدير ان لانه قد يكون مجزوما عند عدم الفاء كانه قيل لولا اخرتني الى
اجل قريب اصدق واكن من الصالحين فهو من قبيل العطف على المحل كما اجاب الخليل لسيبويه حين سأله
عنه يعني قال الخليل لسيبويه واكن مجزوم لا منصوب لان اصدق يكون مجزوما حين لا فاء وهو في
كلامهم شايع وجاءهم البينات اى الشواهد كالقران وساير المعجزات على صدق النبي عليه السلام
قال الامام في التفسير الكبير استعظم الله تعالى كفر هؤلاء المرتدين بعد حصول هذه الخصال
الثلث لان مثل هذا الكفر يكون كالمعاندة والجحود وهذا يدل على ان زلة العالم اقبح من زلة الجاهل
والله لا يهدي القوم الظالمين الكافرين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه يعني لا يهديهم ما داموا مختارين الكفر على الاسلام
ومقيمين على ذلك او لا يهديهم طريق الجنة اذا ماتوا كفارا نعوذ بالله من ذلك اولئك مبتدا
اشارة الى المذكورين الموصوفين بالصفات الشنيعة جزاؤهم مبتدا ثان وخبره ان عليهم
لعنة الله اى سخطه وطرده ولعنة الملائكة والناس اجمعين والتقدير ان لعنة الله
استقر وثبت عليهم ولعنة من يعتد بلعنته من خلقه ودلالة مفهومه على عدم استقرار
اللعن على غيرهم لا على عدم جوازه في حق غيرهم فالمراد بالناس المؤمنون ويجوز ان يراد العموم
لان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عن الحق ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اى في
اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اى لا يهون عليهم ساعة ولا يمهلون ليعتذروا ولا ينظر اليهم نظر

رحمة

رحمة ثم استثنى التائبين من الكفر والردة والمعصية بقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك
اى الا الذين رجعوا الى الاسلام بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا من اعمالهم ودخلوا في
الصلاح بالتوبة والعمل الصالح ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى دخلوا في الصلاح واعلم ان
الله ذكر الاصلاح بعد التوبة وعطفه عليها ليعلم ان مجرد الندم على ما مضى من الارتداد والعزم
على تركه في الاستقبال غير كاف بل لا بد من تدارك لما اخلوا به من الحقوق فان الله غفور
يقبل توبته رحيم يتفضل عليه بعد التوبة والاصلاح وقيل انها نزلت في الحارث بن سويد
كما ذكرنا وذلك حين ندم على ردته فارسل الى قومه بالمدينة ان سلوا هل لي من توبة فارسل
اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا بمحمد
عليه السلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب
المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم اى اذا غرغروا او ماتوا
كفارا او لانهم لا يتوبون ولا يوفقهم الله لذلك او لا يتوبون اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم
توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه او لعل انه ذكر في هذه الاية
انه لو كفر مرة اخرى بعد التوبة فان تلك التوبة الاولى تصير غير مقبولة وتصير كانها لم تكن
وانما قلنا او لانهم لا يتوبون او لا يتوبون اذا اشرفوا على الهلاك يعني انما حملنا الكلام على غير
ظاهره لئلا يلزم التناقض فان الاولى اثبتت قبول توبة المرتد والثانية عدم قبولها فلا
بد من المصير في الثانية على خلاف الظاهر لئلا يتوهم انه لا تقبل توبتهم وان تابوا واولئك
هم الضالون اى الثابتون على الضلال واو ان للحال اى لن تقبل توبتهم في حال كونهم على ضلال
الذي هم ثابتون عليه كاملون فيه لكون توبتهم نفاقا وان اريد بهم اليهود فكذلك ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
اى قدر ما يملأ الارض من شرقها الى غربها وذهبا نصب على التفسير والتمييز في لو ولو افتدى به
قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وادخل الفاء في قوله فلن يقبل من احدهم للايذان
بان الكلام بني على الشرط والجزاء يعني لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل
الفاء ههنا بخلاف قوله في الاية التي قبلها يعني لن تقبل توبتهم فان عدم قبول التوبة ليس
مسببا عن الكفر والارتداد لان التوبة تقبل عن الكافر والمرتد فلهذا تركت منه وفي هذه الاية
الموت هو سبب امتناع قبول الفدية فان قيل الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا اصلا فكيف معنى
ولو افتدى به قلنا معناه انهم اذا ماتوا على الكفر فلو انهم كانوا قد انفقوا في الدنيا اموالا كثيرة
لا تنفع ولا تكون مقبولة او على سبيل الفرض والتقدير ان الكافر يوم القيمة لو قدر على عز الاشياء
ثم قدر على بذله في غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من العذاب والمقصود

انهم آيسون من تخليص النفس من العذاب ومعنى قوله ولو افتدى به اى فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملأ الارض ذهبا او معطوف على مقدر تقديره فلن يقبل من احدهم ملأ الارض
ذهبا لو تقرّب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله
ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ
واحد والواو فى ولو افتدى به لتحقيق حكم السابق على تقدير الشرط وعدمه وقيل ان الواو
للحال او لبيان التفصيل بعد الاجمال لان قوله فلن يقبل يحتمل وجوها فنص على نفى القبول بجهة
الفدية اولئك لهم عذاب اليم مبالغة فى التحذير والاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما
يعفى عنه العذاب تكرما وقد نص عليهم بالعذاب وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب
او تخفيفه عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول لاهون اهل النار عذابا
يوم القيمة لو ان لك ما فى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون
من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيئا فابيت الا ان تشرك بى قوله لن تنالوا
البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا برّ الله الذى هو الرحمة والرضى
والجنة او ولن تكونوا ابرارا حتى تنفقوا اى تصدقوا مما تحبون اى من المال او ما يعمه
وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله فمن اراد البر
فلينفق بعض محبوباته ومن اراد البار فلينفق جميع ما يحبه ويقال اذا كنت لا تصل الى البر
الا بانفاق محبوبك فمتى تصل الى البار وانت تؤثر حظوظك نعم ما قال. تا جان ندهى بوصل
جانان نرسى. ومن فى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وفيه اشارة
الى ان انفاق كل المال غير مندوب بل غيرجائز لمن يحتاج اليه اذ يقول الله والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وعن ابن عباس ان المراد منه الزكاة وقال
المجاهد والكلبى ان هذه الآية نسخت آية الزكاة وقال الحسن كل انفاق يبتغى به المسلم وجه الله
حتى التمرة ينال بها هذا البر قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى
البر وان البر يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب صديقا
واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال عطاء معناه لن تنالوا اشرف الدين
والتقوى حتى تتصدقوا وانتم اصحاء اشحاء واخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن انس قال
كان ابو طلحة اكثر انصارى بالمدينة نخلا وكان احب امواله اليه بيرحا وكانت مستقبلة
المسجد وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت هذه الآية قال
ابو طلحة يا رسول الله ان الله يقول لن تنالوا البر الآية وان احب اموالى الى بيرحا بفتح الباء
وكسرها وبفتح الراء وضمها فى المد فيهما والقصر وفى المغرب انها بستان لابى طلحة بالمدينة
مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والآن وراء السور من ناحية سيدنا ذكى وبير البضاعة
وقيل بيرحاء اسم قبيلة وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله

حيث

حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وانى ارى
ان تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى
عمه فعلم من هذا ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وايضا لما تصدق
زيد بن حارثة بفرسه فقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم واعطى لاسامة لابنه وقال ابن الخطيب
حمل هذه الآية مخصوصة بايتاء المال على سبيل الندب وقال السلطان ان الآية تعم الانفاق
الواجب والمستحب وههنا لطيفة وهى ان الله تعالى قال فى سورة البقرة ولكن البر من آمن بالله
واليوم الآخر والملئكة والكتاب الآية وقال هنا لن تنالوا البر الآية والمعنى انكم ان فعلتم
ذلك المتقدم كله لا تفوزون بالبر حتى تنفقوا مما تحبون وذلك يدل على ان الانفاق من افضل
الطاعات وما تنفقوا ما شرطية جازمة لتنفقوا ومن فى من شئ لتبيين ما تنفقوا
والمعنى من اى شئ كان الانفاق طيب تحبونه او خبيث تكرهونه وقوله فان الله به عليم
تعليل لجواب الشرط واقع موقعه والمعنى اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل
شئ تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وفيه من الترغيب فى انفاق الجيد
والتحذير من انفاق الردى كل الطعام اى كل المطعومات والمراد اكل المطعومات الطعام اسم
لما يؤكل كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب على نفسه
كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان شفى لم يأكل احب الطعام اليه
وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج بهذا القيل من جوز
للنبى ان يجتهد ولمانع الاجتهاد ان يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء وان التحريم كان
فى شرع يعقوب عليه السلام كالنذر فى شرعنا لوجوب الوفاء بذلك وفى ترجمة ابن
ماجة فى سننه دواء عرق النسا وروى بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول شفاء عرق النسا الية شاة تذاب ثم تجزى ثلثة اجزاء ثم يشرب على الريق فى
كل يوم جزء وفى رواية عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرق النسا توخذ
الية كبش عربى لا صغير ولا كبير فيقطع صغارا فيخرج اهالته فيقسم ثلثة قسم فى كل يوم على
الريق قال انس فوصفته لاكثر من مائة فبرؤا باذن الله تعالى وسبب نزول هذه الآية ان
اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على دين ابراهيم وكان ابراهيم لا يأكل لحوم
الابل والبانها وانت تأكلها فلست انت على ملة ابراهيم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل كان ذلك
حلالا لابراهيم فقالوا كل ما نحرمه كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله تعالى
ردا على اليهود كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزل التوراة يعنى ليس الامر على ما قالوا لكذبا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان
الكل حلالا له ولبنى اسرائيل وانما حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التوراة يعنى ليست فى التوراة
حرمتها بل قال اسرائيل ان عافانى الله من هذه العلة والمرض فانى لا آكله ولا يأكله لى ولد ولم
يكن محرما عليهم فى التوراة على ما قال عطية وانما حرم عليهم بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من الذين

هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى
ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكانت بنوا اسرائيل اذا اصابوا طعاما عظيما
حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وفي رواية انما حرموه على انفسهم
اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله فقال قل يا محمد لهم فأتوا بالتورية ليتبين
صدق قولكم فاتلوها ان كنتم صادقين امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق
به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه
فلم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وفيه دليل بين على نبوة النبي وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فلما بهتوا بسبب افترائهم على الله قال الله فمن افترى على الله الكذب اي اخترعه
على الله وابتدعه بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم يعني بزعمهم
انه كان محرما في ملة ابراهيم ونوح من بعد ذلك اي من بعد اظهار الحجة بان التحريم انما كان
من جهة يعقوب على نفسه لا على عهد ابراهيم ونوح عليهم السلام فاولئك هم الظالمون
اي المفرطون في الظلم والعدوان لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله
في جميع اخباره وفيما اخبر به بان تحريم ما ذكر حادث بعد ابراهيم وفيه تعريض بكذب اليهود
اي ثبت ان الله صادق في قوله كل الطعام كان حلا الاية وانتم الكاذبون يا معشر اليهود فثبتت عليكم
الحجة ولزمتكم اتباع ملة ابراهيم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا لان في
اتباع ملة ابراهيم اتباع نبينا لموافقتهما في اكثر الشرايع والاحكام يعني فاتبعوا ملة الاسلام حنيفا
مخلصا في اسلامه مستقيما في سبيله لان ملة الاسلام التي عليها محمد وامته هي في الاصل ملة ابراهيم
او مثل ملته وامرهم بالاتباع حتى تخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث
اضطرتكم الى التحريم والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله
لابراهيم ومن تبعه قال الامام المقصود من الاية بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم في
الاصول والفروع وما كان من المشركين اراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار فقد كان مقدم
في الاعتبار وفيه تعريض بشرك اليهود وكفرهم واشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف
والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط ان اول بيت وضع للناس اي
وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرى على البناء للفاعل
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله ان اول بيت وضع للناس قال كانت البيوت
قبله ولكنه كان اول بيت وضع لعبادة الله تعالى وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان ومناسبة
هذه الاية لما قبلها هو ان اليهود طعن في نبوة النبي لما حول الى الكعبة وقال ان بيت المقدس افضل
من الكعبة واحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة وهو ارض المحشر وقبلة جميع الانبياء فنزلت ان
اول بيت الخ او لما قال اليهود والنصارى نحن على ملة ابراهيم فبين الله كذبهم في هذه الاية من حيث
ان حج الكعبة كان ملة ابراهيم وهم لا يحجون للذي ببكة خبر ان اي للبيت الذي ببكة وهي لغة
في مكة قال اكثر المفسرين مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد الحرام لقوله تعالى للذي ببكة فدل

على ان البيت مظروف بكة فلو كان بكة اسما للبيت لبطل كون بكة ظرفا وقيل بكة موضع المسجد
ومكة البلد من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها او من بكه اذا دقه اي ضرب عنقه فانها
تبك اعناق الجبابرة اذا ارادوا استهانة البيت كاصحاب الفيل واما اشتقاق مكة فانه من الامتكاك
لانها تمتك الذنوب اي تزيلها كلها سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اول بيت وضع للناس فقال
المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة كما في حديث الصحيحين
وفي حديث انه اول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض زبدة بيضاء فدحيت
الارض من تحته وفي تفسير القفال ان وضع البيت وضعها يوم وضع الشمس والقمر وقيل
اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم حي من اليمن ثم العمالقة ثم قريش وقيل
هو اول بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت
يقال له الضراح يطوف به الملئكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملئكة السموات وهو لا يلايم ظاهر الاية لان المقصود من سوق الاية
تفضيل الكعبة على بيت المقدس دفعا لشبهة اليهود او لان موضع التشريف هو تلك الجهة
المعينة والجهة لا يمكن رفعها الى السماء الا يرى ان الكعبة والعياذ بالله لو نقل احجارها الى محل اخر
لم يكن له شرف بحيث يكون قبلة للناس ويبقى شرف كونها من اجزاء كانت في تلك الجهة ويكون شرف
تلك الجهة باقيا بعد رفع الاحجار والاخشاب والتراب ويجب على كل مسلم ان يصلي الى تلك الجهة
بعينها الان فيقال بان المرفوع كان من اشياء الجنة وبقي شرف الجهة من حيث انها مكان المرفوع
ومحله والله اعلم ثم قالوا في بيان فضيلة البيت على القدس ان الباني هذا البيت هو الخليل
او الملئكة والباني بيت المقدس سليمان عليه السلام والموسس لمسجد الاقصى يعقوب عليه السلام
روى الواحدي في البسيط عن مجاهد انه خلق الله البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي
رواية خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين بالفي سنة وان قواعده
لفي الارض السابعة السفلى وقيل في كل سماء بيت وفي كل ارض بيت بعضهن مقابل البعض
وايضا ان الامر بعمارة البيت هو الله تعالى والمبلغ والمهندس جبريل والتلميذ المعين اسماعيل
عليه السلام فلهذا قيل ليس في العالم بناء اشرف من الكعبة ولا ابرك مباركا كثير الخير والنفع
من الثواب وتكفير الذنوب لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله ويحق اول ما اقترفت
بعد ما حججت ومباركا حال من للذي اي ذا بركة او من ضمير وضع وهدى للعالمين عطف على
الحال اي سببا لهدايتهم لانه قبلتهم ومتعبدهم يصلون اليها لاجل عبادة الله ويدخلون الجنة
بذلك ولان فيها ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على
مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده
بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى الذي او من ضمير وضع وقرا
ابن عباس اية بينة على الواحد اراد به مقام ابراهيم وحده وقرا الاخرون ايات بينات بالجمع ومن
الاية ان الغيث اذا كان من ناحية الشام مثلا كان الخصب بالشام واذا عم الغيث البيت كان الخصب

ومن

فى جميع البلدان مقام ابراهيم اى الحجر الذى قام عليه ابراهيم عندنا والبيت مبتدا محذوف
خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان للايات
على ان المراد بالايات المقام نفسه وجمع لاشتماله على ايات كثيرة فان كل واحد من اثر القدم
فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين والانة بعض الصخر دون بعض يعنى خصها الله
بالالانة من بين الصخار وابقائه دون ساير ايات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة
الاعداء الوف سنة اية مستقلة ومن الايات قلة ما يجتمع من حصى الجمار فيه فانه منذ الاف سنين
وقد يبلغ من يرمى فى كل سنة خمسمائة الف انسان كل واحد منهم سبعين حصاة ثم لا يرى هنالك
الا ما لو اجتمع فى سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذى ترمى اليه الجمرات مسيلا او مهب
رياح شديدة ولو اخذها السيل لكانت تسد الطرق والوادى ولكن جاء فى الاثر ان من قبلت حجته
رفعت جمراته الى السماء وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من
رفع الحجارة فغاصت فيه ومن لان لله لان له كل شئ وقيل معناه فيه ايات بينات مقام
ابراهيم والحجر الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وقيل مقام ابراهيم جميع الحرم **ومن
دخله كان امنا** جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لان معناه ومن
الايات البينات مقام ابراهيم وامن من دخل البيت او الحرم وذلك بدعاء ابراهيم عليه السلام
حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا اى من النهب والغارة وقال الله تعالى الم يروا انا جعلنا حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم وقوله رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وامنهم من
خوف فكيف يكون بدلا من الايات التى هى جمع اية قلنا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الاثنان فما فوقهما جماعة وقال صاحب اللباب فى تفسيره الثالث عند قوله ولله على الناس
حج البيت انا قد اشرنا ان المقام وان كان مفرد اللفظ الا انه يشتمل على ايات كثيرة فكان بمنزلة
الايات وايضا هذا من باب الطى وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعض الجمع لغرض من المتكلم
بحق قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة رواه
احمد والنسائى وغيرهما ذكر اثنين وهما الطيب والنساء وطوى ذكر الثالث لغرض له عليه
السلام فى ذلك وفى المدارك وغيره قوله قرة عينى فى الصلاة ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام
لانها ليست من الدنيا وكانه عليه السلام ترك الثالث تنبيها على انه لم يكن من شانه ان يذكر
شيئا من الدنيا فذكر شيئا من الدين ولان فى ذكر المقام وامن الداخل غنية عن غيرهما من
الايات فى الدارين منها بقاء الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام
من مات فى احدى الحرمين بعث يوم القيمة امنا وقال صلى الله عليه وسلم من دخل البيت دخل
فى حسنة وخرج من سيئة مغفورا له واخرج ابن المنذر عن عطا قال من مات فى الحرم
بعث امنا يقول الله ومن دخله كان امنا واخرج البيهقى فى الشعب عن سلمان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فى احد الحرمين استوجب شفاعتى وجاء يوم القيمة من
الامنين وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على

على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم
كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم
فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما
وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وقال عليه السلام من زارنى محتسبا الى المدينة
كان فى جوارى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يصبر مسلم على لاواء المدينة
وشدتها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان
يموت بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن يموت بها رواه احمد وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة قبة
الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم اهل المدينة
فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم
من آذى اهل المدينة آذاه الله تبارك وتعالى رواه الطبرانى وقال صلى الله عليه وسلم من ترك مالا فلاهله
ومن ترك عيالا فلى من قبلى وقال صلى الله عليه وسلم لكل احد عيال واهل المدينة عيالى وفى الصحيحين
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فان من مات بها كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة وفى
رواية فانه من يمت بها اشفع له واشهد له وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه
الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتى اهل البقيع فيحشرون معى ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين
وفى حديث اول من اشفع له من امتى اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطايف والاثر هذه الاحاديث
ذكره السيوطى فى تفسير هذه الاية قال الامام لما كانت الايات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت
وضع للناس موجودة فى جميع الحرم ثم قال ومن دخله كان امنا وجب ان يكون مراده جميع الحرم
واجمعوا على انه لو قتل احد احدا فى الحرم فانه يستوفى القصاص منه فى الحرم وانما الخلاف
فيما اذا وجب القصاص على عليه خارج الحرم ثم التجى الى الحرم كما يلتجى فى بلدنا الى المواجهة الشريفة فهل
يستوفى منه فى الحرم فقال الشافعى رضى الله عنه يستوفى فيه واحب البقاع الى الله تعالى ما يؤدى
فيه فرايض الله وحدوده ولقوله عز وجل ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون وقال
ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لا يستوفى بل يمنع منه الطعام والشراب
والبيع والشراء والكلام حتى يخرج ثم يستوفى منه القصاص وفى المدارك وكان الرجل فى الجاهلية لو
جنى كل جناية ثم التجى الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج وقيل اراد من دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان امنا كما قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقال الضحاك من حجه
كان امنا من الذنوب التى اكتسبها قبل ذلك وقال الحسن وغيره هذا اى امن من دخله
وصف حال كانت فى الجاهلية اذا دخل احد الحرم امن فلا يعرض له فاما فى الاسلام فان
الحرم لا يمنع من حد وجد الله وهذا قول اكثر المفسرين قال البغوى رحمه الله اخذ ابو حنيفة
رحمه الله بقول ابن عباس رضى الله عنهما وقيل معناه من دخله معظما له متقربا الى الله
تعالى كان امنا يوم القيمة من العذاب واما من دخل الحرمين ويعمل فيهما ما لا يليق بهما من هتك

حرمتهما ثم يتشهد بالاساءة على نفسه وعلى الحاضرين ليفرحوا بالمجاورة مع ما هم عليهم من المخالفات
رافعا بذلك صوته اللهم انا جيران بيتك او ببيتك فتجاوز عنا وان اسانا فهو تصحيح لايقاع
العوام فى الفتنة لقناعتهم بالمجاورة مع المخالفة وان كان الداعى صادقا فليدع بذلك فى قعر
بيته ويبكى على مخالفته وعنه صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت
منه جهنم مسيرة مائتى عام والظاهر ان يصبر لطاعة الله كما لا يخفى **ولله على الناس حج البيت**
بفتح الحاء وبالكسر بمعنى القصد اى استقر لله على الناس فرض حج بيته اى قصده للزيارة على الوجه
المخصوص واحتج ابعض الاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان ظاهر قوله تعالى ولله
على الناس حج البيت يعم المومن والكافر وعدم الايمان لا يصلح معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهرى
مكلف بالايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام مع ان الايمان بالله الذى هو شرط صحة الايمان بمحمد
عليه السلام غير حاصل فلم يكن عدم الشرط مانعا من كونه مكلفا بالمشروط فكذا ههنا **من
استطاع اليه سبيلا** اى طريقا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة
بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره وهو يويد قول الشافعى رحمه الله انها بالمال ولذلك اوجب
الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله انها بالبدن فيجب على
من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله انها بمجموع الامرين اى بالمال والبدن
والضمير فى اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشىء فهو سبيله وروى انه لما نزل ولله على
الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج
فحجوا فامنت به ملة واحدة اى هم المسلمون وكفرت به خمس ملل اى المشركون من العرب والنصارى
واليهود والمجوس والصابئون قال القرطبى دل الكتاب والسنة على ان الحج على التراخى وهو
قول مالك والشافعى ومحمد بن الحسن ويوسف فى رواية عنه وذهب بعض المتاخرين من المالكية
الى انه على الفور وهو قول داود والصحيح هو الاول لان الله قال فى سورة الحج واذن فى الناس بالحج
ياتوك رجالا وسورة الحج مكية وقال هنا ولله على الناس حج البيت وهذه السورة نزلت عام
احد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ولم يحج رسول الله عليه الصلاة والسلام الى سنة عشر
واجمع العلماء على ترك الحج تفسيق القادر على الحج اذا اخره عامين ولما قال اهل الملل الاربع
بذلك ولا نصلى اليه ولا نستقبله نزل قوله تعالى **ومن كفر** بالله اى بما فرضه عليه من الحج
فان الله غنى عن العالمين اى عن من حج وعن من لم يحج اى ان الله غنى عنهم وعن الانس والجن
والانبياء والملائكة وعن طاعتهم ولو شاء لم يخلقهم ولا يجب على الله شىء فهو فعال لما يريد واعلم
ان الله قد اكد امر الحج فى هذه الاية بوجوه منها قوله ولله على الناس حج البيت اى انه حق واجب
لله فى رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته وانه اوجب عليهم بصيغة الخبر
قال ولله لحج دون حجوا بصيغة الانشاء فان رحمه الله بصيغة الخبر ابلغ واكد من يرحمه الله
بصيغة الانشاء ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها
ذكر الاستغناء وذلك هنا يدل على المقت والغضب والخذلان ومنها قوله عن العالمين
دون

دون عنه لما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناول
الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على السخط الذى وقع عبارة عنه
فاصل الكلام ومن كفر فان الله ساخط عليه ولهذا التاكيد قال صلى الله عليه وسلم من مات
ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه مرض حابس او سلطان جائر او حاجة ظاهرة فليمت على اى
حال شاء يهوديا او نصرانيا قال سعيد بن جبير ان مات جار لى وله ميسرة ولم يحج لم اصل
عليه قال القفال المراد منه التغليظ اى قارب الكفر وعمل ما يعمله من كفر بالحج قال اهل
الاشارة رحمهم الله فى قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت اى حج البيت فرض على اصحاب
الاموال وحج رب البيت على ذوى الالباب فرض وقد ينسد الطريق الى البيت ولكن لا ينسد الطريق
الى رب البيت والبيت فقير للمال عن رب المال فشتان بين حج وحج قيل ان رجلا جاء الى
الشبلى فقال لى الى ابن فقال الى الحج فقال هات غرارتين فاملؤها رحمة والبسهما وجئ بهما لكون
حظنا من الحج نثرهما على من حضر وجئ بهما من زار قال فخرجت من عنده فلما رجعت اليه
قال لى احججت قلت نعم قال ايش عملت قلت اغتسلت واحرمت وصليت ركعتين ولبيت فقال
لى عقدت به الحج قلت نعم قال فسخت بعقدك كل عقد عقدت منذ خلقت مما يضاد هذا
العقد قلت لا قال فما عقدت قال ثم نزعت ثيابك قلت نعم قال تجردت عن كل فعل فعلته قلت
لا قال ما نزعت قال ثم تطهرت قلت نعم قال ازلت عنك كل علة بطهرك قلت لا قال ما تطهرت قال
ثم لبيت قلت نعم قال وجدت جواب التلبية مثلا بمثل قلت لا قال ما لبيت قال ثم دخلت الحرم قلت
نعم قال عهدت بدخولك ترك كل محرم قلت لا قال ما دخلت الحرم قال اشرفت على مكة قلت نعم قال
اشرف عليك من الله حال باشرافك قلت لا قال ما اشرفت على مكة قال دخلت المسجد الحرام قلت
نعم قال دخلت فى قربه من حيث علمته قلت لا قال ما دخلت المسجد الحرام قال رايت الكعبة قلت
نعم قال رايت ما قصدت له قلت لا قال ما رايت الكعبة ووقع بينهما السؤال والجواب الى ان تم مناسك
الحج وقال السلمى لما دخلت على الشيخ الحصرى رحمه الله ببغداد قال لى احاج انت قلت انا تابع القوم
فقال لى اليس فرايض الحج اربع الاحرام والدخول فيه بلفظ التلبية قلت نعم قال التلبية اجابة قلت
بلى قال والاجابة من غير دعوة سوء ادب قلت نعم قال فتحققت الدعوة حتى تجيب ثم الوقوف قلت
نعم قال فاجهد فيه فانه محل المباهات انظر كيف يكون والطواف وهو محل القربة من الحق فيكون
قربك منه بحسن الادب ثم السعى وهو محل الفرار اليه بالتبرى مما سواه فاياك ان تتعلق بعد سعيك
بعلاقة من الدارين وما فيهما **قل يا اهل الكتاب** اراد به شاس بن قيس الفتان بين الاوس و
الخزرج **لم تكفرون بايات الله** اى بالقران او باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق
محمد عليه السلام فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان
كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مومنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد
على ما تعملون** اى انه مطلع وشهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار
قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله اى لم تمنعون وتصرفون بتغييركم صفة محمد

صلى الله عليه وسلم عن دين الله الحق والصراط المستقيم المامور بسلوكه وهو الاسلام والحج من آمن
اى صدق بالاسلام والحج يريد بوا فى نبوته تبغونها اى تطلبون السبيل عوجا اى باغين
طالبين لسبيل الله اعوجاجا وميلا عن الحق والاستقامة اى مايلة عن الحق والاستقامة بتلبيسكم
اياها على الناس حتى توهموهم ان فيها اعوجاجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وتغييركم صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها وبان تحرشوا بين المومنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم
وانتم شهداء اى عالمون بان الدين المرضى هو القيم دين الاسلام كما فى كتابكم يعنى وانتم شهداء
ان فى التوراة مكتوب بانعت محمد صلى الله عليه وسلم وان دين الله الذى لا يقبل غيره هو الاسلام ولما
كان المنكر فى الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان فى هذه
الاية صدهم المومنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال الله تعالى وما الله بغافل
عما تعملون من القاء الفتنة بين المسلمين اى بين الاوس والخزرج لانهم ذكروهم ما بينهم فى الجاهلية
من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله واحتالوا لصدهم عن سبيل الله اى عن الاسلام كما ستسمع
تفصيل حيلهم على المسلمين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو
الشيخ عن زيد بن اسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا فى الجاهلية عظيم الكفر
شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وجماعتهم
وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع
ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملأهم بها من قرار فامر فتى شابا
من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم
بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى
تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى
سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة
وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة
فخرجوا اليها وانضمت الاوس بعضها على بعض والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا
عليها فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من اصحابه
حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ هداكم الله
الى الاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم من الكفر والف به بينكم ترجعون
الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
من ايديهم وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين
قد اطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس وانزل الله فى شأن شاس بن قيس وما صنع قل يا اهل

الكتاب

اهل الكتاب لم تكفرون الى عما تعملون ونزل فى شأن اوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما
من قومهما يا ايها الذين آمنوا الى كافرين وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول صلى الله
عليه وسلم بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء بان يخاطبهم
الله عز وجل ويكلمهم وكيف تكفرون استفهام تعجب وتوبيخ وانتم تتلى عليكم آيات الله
وفيكم رسوله استفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع يعنى كيف يوجد منكم الكفر مع وجود هاتين
الحالتين فانهما داعيتان للايمان صارفتان عن الكفر ومن يعتصم بالله اى من يتمسك بدينه على
مراده لان الاعتصام بالشئ التمسك به لقصد الامتناع به عما يضره وذلك متعذر فى حق الله تعالى
وفسر العلماء هكذا اى ومن يتمسك بدين الله او كتابه او يلتجى الى الله فى مجامع اموره فقد هدى
الى صراط مستقيم اى فقد حصل له الهدى لا محالة يعنى فقد ارشد الى الدين الحق ووفقت
له ثم اكد النهى عن طاعة المشركين واشار فى ضمنه الى معنى الاعتصام فقال يا ايها الذين آمنوا
ع٢ اتقوا الله تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف بعد تشريف والاتقاء فرط الصيانة
حق تقاته اى حق تقواه اى خوفه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب
والاجتناب عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن مسعود هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها ومن
توقع المجازاة عليها وقيل هو ان لا تاخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط والعدل ولو على
نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقى الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه واكثر المفسرين ان
قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم بيان لقوله فاتقوا الله حق تقاته وليس بناسخ لذلك لان معنى
حق تقاته بان يمتثل جميع ما امر الله ويجتنب عن جميع ما نهى الله عنه ويلزم من النسخ اباحة
بعض المعاصى والهوان بالطاعة وقال بعض المفسرين نقلا عن ابن عباس فلما نزلت هذه
الاية شق ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله فاتقوا الله ما استطعتم
فنسخت اول هذه الاية اى فاتقوا الله حق تقاته ولم تنسخ آخرها اى قوله ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابن المنذر والنحاس فى ناسخه من طريق على
عن ابن عباس رضى الله عنهم فى قوله اتقوا الله حق تقاته قال لم تنسخ ولكن حق تقاته ان
يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تاخذهم فى الله لومة لائم ويقوموا بالقسط ولو على انفسهم و
آبائهم وابنائهم كما اشرنا فعلى هذا معنى فاتقوا الله حق تقاته ومعنى فاتقوا الله ما استطعتم شئ
واحد لان من اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقاته لان حق تقاته ما يستطاع من التقوى
لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها والوسع دون الطاقة والذى يصدر عن الانسان سهوا او
نسيانا غير قادح فى رواية ابن مسعود لان التكليف مرفوع عنه واصل تقاة وقية قلبت الواو
المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت وقيل وانتم مسلمون اى مومنون او مخلصون مفوضون
اموركم الى الله او المحسنون الظن بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اتقوا الله

حق تقاته الاية فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرّت على اهل الدنيا معيشتهم
فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره **واعتصموا بحبل الله** اى تمسكوا بدينه الاسلام
او بكتابه او بجهده لقوله صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضى عجايبه ولا يخلق
عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم
فلفظ الحبل مستعار لدين الاسلام او للقران لان كل واحد منهما يشبه الحبل فى كونه سببا للنجاة عن الردى
والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان يزلق رجله فيه فاذا تمسك بحبل مشدود
الطرفين بجانبى ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب تعالى
طريق تزلق ودواعى الضلال عنها متكثرة زلق رجل كثير من الخلق فيها فمن اعتصم بالقران العظيم
وبقوانين الشرع القويم فقد هدى الى صراط مستقيم وامن من الغوايا المردية الى نار الجحيم كما يامن المتمسك
بالحبل من العذاب الاليم واخرج ابن ابى شيبة عن ابن ابى شريح الخزاعى قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان هذا القران سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن
تهلكوا بعده ابدا وقال صلى الله عليه وسلم فى خطبته اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتى
رسول ربى فاجيبه وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله
وخذوا به واهلى اذكركم الله فى اهل بيتى فلفظ الاعتصام ايضا مستعار اما للدين او القران
للوثوق بالدين او القران والاعتماد عليه ثم سرت الاستعارة الى المشتق وهو اعتصموا والمعنى
اجتمعوا واتفقوا على الاعتماد والاتباع لما هو بمنزلة الحبل لكم وهذه الاستعارة باعتبار معناها
الاصلى الحقيقى كانت ترشيحا للاستعارة الاولى لكون الاعتصام الحقيقى من ملايمات الحبل المستعار منه
جميعا اى مجتمعين عليه حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا بامر الله وطاعته ولا تفرقوا كما افترق
اليهود والنصارى قال صلى الله عليه وسلم ان الله يرضى لكم ثلثا ويسخط لكم ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولى امركم ويسخط لكم قيل وقال
واضاعة المال وكثرة السوال وقيل تمسكوا بالجماع وهو قول ابن مسعود فانه قال ايضا عليكم
بالجماعة فانها حبل الله الذى امر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة خير مما تحبون فى الفرقة
ولا تفرقوا اى ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اى كاختلاف اليهود
والنصارى او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلى يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
من القول والعمل وقال القرطبى رحمه الله ليس فى الاية دليل على تحريم الاختلاف فى الفروع فان ذلك
ليس باختلاف اذ الاختلاف ما يتعذر معه الايتلاف والجمع واما حكم مسايل الاجتهاد فان الاختلاف فيها
بسبب لاستخراج الفرايض ودقايق معانى الشرع وما زالت الصحابة مختلفين فى احكام الحوادث وهم مع ذلك
متوافقون وقال عليه السلام اختلاف امتى رحمة وقال ايضا من اجتهد فاصاب فله
اجران ومن اجتهد واخطا فله اجر واحد رواه الشيخان قال الشيخ واما من شتم الامة لمسئلة
خالفه فيها فانه حسيبه ومجازيه لغيبته وشتمه لهم لا للمسئلة ثم ذكر الله نعمته التى انعمها
عليهم بتبديل العداوة السابقة الطويلة بالالفة والمحبة بسبب الاسلام واتباع الرسول وانتقاله

من مكة اليهم منة عليهم بقوله **واذكروا نعمة الله** اى انعامه **عليكم** ايها الانصار **اذ
كنتم اعداء** قبل الاسلام **فالف** جمع الله **بين قلوبكم** بالاسلام تودّدا **فاصبحتم** اى تصيرتم
بنعمته اى برحمته **اخوانا** فى الدين والولاية اى متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله هذه الاية تدل
على ان الخطاب انما هو مع الاوس والخزرج ووصف القصة مستوعب فى التير قال بعض المشايخ
واعلم ان كل من كان وجهه الى الدنيا كان معاديا لاكثر الخلق فان الدنيا جيفة وطالبها كلاب ومن
كان وجهه الى خدمة المولى سبحانه وتعالى لم يكن معاديا لاحد لانه يرى الكل اسيرا فى قبضة القضاء
والقدر وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عليه السلام **وكنتم**
يا معشر الانصار **على شفا** اى طرف **حفرة من النار** يعنى كنتم مشرفين قريبين على الوقوع
فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار **فانقذكم منها** اى خلصكم الله
بالاسلام ونجاكم بالايمان من ذلك الحفرة او النار او الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب
والجانبة **كذلك** اى مثل ذلك التبيين الواضح والبلاغ البليغ المبين اى كما بين لكم ما ذكر **يبين الله لكم
اياته** اى دلايله وايات القران الذى فيه امره ونهيه ووعده ووعيده **لعلكم تهتدون** اى لكى
تنجوا من الضلالة وتعرفوا الحق بهذه النعمة يعنى ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه اى لتكونوا على
رجاء الهداية او لتهتدوا به الى الصواب وما ينال به الثواب ولما كانت الاوامر السابقة خاصة بانفسهم
اردفها باوامر متعلقة بالغير من الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال **ولتكن منكم
امة يدعون الى الخير** اى الاسلام والايمان **ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** اى لتوجد
منكم امة فكان تامة وامة فاعله ويدعون فى محل الرفع صفة لامة ومنكم متعلق بتكن ومن تبعيضية
لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدى له شروط
لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها
خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط
بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية وانما قلنا كالعلم بالاحكام الخ فان من لا يعلم ذلك يوشك ان
يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ فى مقام اللين ويلين فى مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده
الانكار الا التمادى والاصرار وقيل من بيانية وكان ناقصة اى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس فعلى هذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل الامة بقدر طاقتهم
والمعنى ولتكونوا كلكم امة يدعون جميع العالم الى الخير فيدعون الكفار الى الاسلام والعصاة الى
الطاعة هذا ما قاله الزجاج وقال البغوى شيخ المفسرين من صلة اى زايدة ليست للتبعيض
كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لم يرد اجتناب بعض الاوثان بل اراد فاجتنبوا الاوثان
كلها واللام فى ولتكن لام الامر اى تكونوا امة والخير الاسلام او يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى او
دنيوى وهذا اشمل وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على الخير من عطف الخاص الى العام للايذان
بفضله وقيل هذا محمول على انه يجب على الامراء باليد وعلى العلماء باللسان وعلى العوام بالقلب

و قد اجمعوا على ان من راى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لان قبحه معلوم لكل من اهل الاسلام
وقال في جواهر الحسان الناس في الامر بالمعروف وتغيير المنكر على مراتب ففرض العلماء فيه تنبيه
الولاة وحملهم على جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم اليد وفرض ساير
الناس رفعه الى الولاة والحكام بعد النهي عنه قولا قال صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وروى الامام احمد
وغيره انه صلى الله عليه وسلم سئل من خير الناس فقال امرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم للرحم وعن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوتين برجال
يوم القيمة ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله يكونون على
منابر من نور قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين يحببون الله الى الناس قيل فكيف يحببون الناس
الى الله قال يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا اطاعوهم احبهم الله وروى
عن بعض اصحابه ان الرجل اذا لم يستطع انكارا على ما راه فليقل ثلث مرات اللهم هذا منكر فاذا قال
ذلك فقد فعل ما عليه وذكر شيخنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره في كتابه الغنية
من شروط الامر ما يغنيك عن كثير من الكتب فراجعه وقيل من شرط الوجوب ان يغلب على ظنه
وقوع المعصية بظهور اماراتها كاعداد الات شرب الخمر ولا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة
غليظة وان يبتدى بالاسهل فان لم ينفع فبالاصعب وينهى الصبي والمجنون اذا راهما يضرب غيره
وينهى الصبي عن المحرمات حتى لا يتعود وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي
نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده
ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم قال
سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يقول يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذاب وعن نعمان بن بشير عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة
فصار بعضهم في اسفلها وبعضهم في اعلاها فكان الذي في اسفلها يمر بالماء على الذي في اعلاها
فتاذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه فقالوا ما لك قال تاذيتم بي ولا بد لي من
الماء فان اخذوا على يديه انجوه ونجوا انفسهم وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم واولئك
هم المفلحون اي الداعون الامرون الناهون هم الفايزون المخصوصون بكمال الفلاح والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يومر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام
والاظهر ان العاصي يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الاخر وقد اطنبنا في هذا الباب لاقتضاء الوقت والله اعلم ولا تكونوا لما امر الله المؤمنين
بالدعوة الى الخير وغيرها نهاهم عن التشبيه باهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما فعلوه من التفرق
والاختلاف في فهم الكتاب والقاء الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة لها كالذين

تفرقوا

تفرقوا بالعداوة واختلفوا في التوحيد والتنزيه وانما قال من بعد ما جاءهم البينات
اي الايات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه ليعلم ان الاجتهاد في موضع الاجتهاد ليس
بمنكر وذكر الفعل اي ما جاءهم للفصل ولكون البينة بمعنى الدليل واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدا وقوله لهم خبره وعذاب عظيم مرتفع بالظرف على
الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا والظرف خبره والجملة خبر المبتدا الاول وفيه من التاكيد
والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى واكثر المفسرين ان
الاية نزلت في اليهود والنصارى وقيل في المبتدعة من هذه الامة وقال ابو امامة هم
الحرورية كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد ايمانهم ثم قرا ولا تكونوا الى اكفرتم بعد ايمانكم وذكر
شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره ذكر فرق الضالة في كتابه الغنية فراجعه يوم تبيض
وجوه اي وجوه كثيرة وتسود وجوه كثيرة او وجوه المسلمين في الاول والكافرين في الثاني
على ما هو الظاهر ويوم منصوب بالظرف وهو لهم لانه ظرف للاستقرار او بعظيم او باذكر او بخو
به الموسون لخذ بن لهم من عاقبة التفرق بعد مجي البينات وترغيبا في الدين على التمسك بالدين اي
اذكروا يوم تبيض وجوه الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف
فيه لان بياض الوجه وصفاء لونه من لوازم السرور والفرح كما ان سواده وغبرته من لوازم الحزن
والكآبة فيكتفى بذكر كل واحد منهما عن ملزومهما والمعنى ان المؤمن يستبشر بحسناته ونعم الله و
الكافر على ضد ذلك قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة
ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك وعن سعيد بن جبير عن ابن
عباس انه قرا هذه الاية قال تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال اذا كان يوم القيمة رفع لكل قوم ما كانوا يعبدون فيسعى كل قوم الى
ما كانوا يعبدون وهو قوله تعالى نوله ما تولى فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن ويبقى
اهل القبلة واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئا مما رفع لهم فياتيهم الله تعالى فيسجد له من كان يسجد
في الدنيا مطيعا مؤمنا ويبقى اهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يؤذن لهم فيرفعون
رؤسهم ووجوه المؤمنين مثل الثلج بياضا واذا نظر المنافقون واهل الكتاب الى وجوه المؤمنين حزنوا
حزنا شديدا فاسودت وجوههم فيقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين فيقول الله
للملئكة انظروا كيف كذبوا على انفسهم فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين
اشهدهم على انفسهم بعد ما قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وايمانهم هو ذلك الاقرار او تمكنوا من
الايمان بالنظر في الدلايل والايات يعني نزلوا منزلة من امن حقيقة فجعلوا مؤمنين على طريق تسمية
المشارف للشي باسم ذلك الشي وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروا بقلوبهم

وقال قتادة هم اهل البدع وقال الحارث الاعور سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول
ان الرجل ليخرج من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج من
اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ثم نادى
هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة **فذوقوا العذاب** امر اهانة وتوبيخ **بما كنتم تكفرون**
اى بسبب كفركم بالقران ومحمد صلى الله عليه وسلم او جزاء لكفركم على ان الباء للمقابلة **واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله** اى ففي الجنة وهي الثواب المخلد عبر عن الجنة والثواب بالرحمة تنبيها على
ان المومن وان استغرق عمره في طاعة الله عز وجل لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب
تقديم الذين ابيضت على الذين اسودت ولكن قصد ان يكون اول الكلام واخره حلية المومنين وثوابهم
هم فيها خالدون اى لا يظعنون عنها ولا يموتون يعني ان ذلك الاستغراق في الرحمة هو على سبيل
الخلود لا زوال منه ولا انتقال يعني اخرجهم مخرج الاستيناف للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها
فقال هم فيها خالدون **تلك آيات الله** اى آيات القرآن الواردة في الوعد والوعيد **نتلوها
عليك بالحق** اى ملتبسة بالحق لا شبهة فيها **وما الله يريد** اى لا يشاء الله **ظلما للعالمين**
ان يظلم عباده فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن اى انتفى
ارادة الظلم عنه تعالى فضلا عن الظلم اذ يستحيل الظلم منه لانه لا حق عليه لشيء فيظلم بنقصه ولا يمنع
عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال **ولله ما في السموات وما في الارض** ملكا
وخلقا وعبيدا **والى الله ترجع** اى اليه تصير **الامور** اى احوال العباد في الاخرة خيرا كان
او شرا فيجازي كلا بما وعده واوعد **كنتم خير امة** اى كنتم يا امة محمد خير امة لخيرية
نبيكم دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ على الخيرية كقوله تعالى وكان الله غفورا
رحيما لان كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا دليل فيه على عدم سابق
ولا على انقطاع طارئ والاية سيقت للمدح ولا وجه لمدح يختص بما ثبت له فيما مضى ولم يثبت له
في الحال وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين باخبار انبيائهم لهم او وجدتم
او انتم قال عكرمة ومقاتل نزلت في ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي
حذيفة وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير
مما تدعوننا اليه فانزل الله وقيل نزل في المهاجرين مع النبي وقيل لاصحاب النبي خاصة الرواة
والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
كنتم خير امة اخرجت للناس تكون لاولنا ولا تكون لاخرنا قال صلى الله عليه وسلم خيركم قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا ادري اذكر النبي عليه السلام بعد قرنه مرتين
او ثلثا وقال ان بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم الخ قال انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها

واكرمها

واكرمها على الله تعالى **اخرجت للناس** اى اظهرت لهم قال ابو هريرة رضي الله عنه كنتم خير
الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقيل قوله اخرجت للناس
من صلة اخرجت معناه ما اخرج الله للناس امة خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
قوم قوله للناس من صلة قوله خير امة اى انتم خير الناس للناس وقال صلى الله عليه وسلم مثل
امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها انا وحرمت على الامم حتى
تدخلها امتي وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون من هذه الامة
تأمرون بالمعروف والمعروف ما عرف حسنه بالشرع والعقل واقتضاء المروة والمنكر لا يكون كذلك
وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وكانه قيل السبب في كونهم
خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية وخطاب المشافهة وان كان
خاصا بمن شاهد الوحي من المومنين لكن حكمه عام للكل كما اشرنا بانه يعم ساير امته صلى الله عليه وسلم
وتؤمنون بالله اى تثبتون على توحيده وعلى جميع ما يجب الايمان به من رسول وكتاب وبعث
وعقاب وثواب وغير ذلك فمن انكر شيئا منها فهو غير مومن بالله كما كان اهل الكتاب يومن
ببعض ويكفر ببعض واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كون الامة كلها امرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام في المعروف والمنكر للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم
على خلاف ذلك فان قيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله كانت حاصلة في ساير الامم فكيف
تكون علة لخيرية هذه الامة على ساير الامم قلنا ما هب عن مثلهم فيما ذكرت ولكن مواهب الله
امواج وهو فعال لما يريد ولا يسال عما يفعل وايضا ان القفال قال ان سبب تفضيل هذه الامة
المحمدية على ساير الامم لان هذه الامة امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر باكد الوجوه وهو القتال لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها القتال لانه القاء
النفس في خطر القتل واعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات
الكفر بالله فلما كان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لاجل ايصال الغير الى اعظم المنافع وهو في
شرعنا اقوى منه في ساير الشرائع فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على ساير الامم ويؤيد
ما ذكرنا ما ذكر ابن عباس في تفسير هذه الاية كنتم خير امة اخرجت للناس تامرونهم ان يشهدوا
ان لا اله الا الله ويقروا بما انزل الله وتقاتلونهم ولا اله الا الله اعظم المعروف والتكذيب هو انكر
المنكر **ولو امن اهل الكتاب** ايمانا كما ينبغي يعني لو امنوا بمحمد عليه السلام **لكان خيرا لهم**
اى لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على دين الاسلام للرياسة واستتباع العوام
منهم المومنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام ورهطه من اليهود والنجاشي
ورهطه من النصارى **واكثرهم الفاسقون** اى المتمردون في الكفر وهذه الجملة اى منهم المومنون
وما بعدها يعني لن يضروكم مع ما عطف عليه واردتان على سبيل الاستطراد لان الكلام في
ان اهل الكتاب لو امنوا لكان خيرا لهم ثم استطرد ان منهم المومنين الى اخر الجملتين **لن يضروكم الا**

اذى اى ضرارا يسيرا كطعن فى دين قال مقاتل ان روس اليهود عمدوا الى من آمن منهم كعبد الله
ابن سلام واصحابه فاذوهم فانزل الله لن يضروكم الا اذى يعنى لا يضركم ايها المؤمنون هولاء
اليهود الا اذى باللسان وعيدا وطعنا وكلمة كفر تتاذون بها وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
اى ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر بل يجعلون ظهورهم يليكم ويهربوا الى ادبارهم ثم لا ينصرون
اى ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى الله اضرارهم سوى ما يكون بقول باطل
وقرر ذلك بانهم لو تاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز و
الخذلان وقرى ثم لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا
بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبنى
قينقاع ويهود خيبر فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى ليسوا كذلك فالجواب انها
مخصوصة باليهود لما روى فى سبب النزول حيث قال مقاتل نزلت فى روس اليهود ضربت عليهم
الذلة اى الزمت على اليهود الهوان اى هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية
يعنى احيط باليهود الذلة من جوانبهم احاطة القبة المضروبة بما فيها وقد سبق تفسيره فى سورة البقرة
اينما ثقفوا اى حيث ما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام الا بحبل من الله اى الا بعهد
من الله بان يسلموا وحبل من الناس اى والا بامان من الناس فيؤدون اليهم الجزية
او بامان مجانا على راى الامام واجتهاده فيامنوا بذلك فالمراد بكلا الحبلين العهد والذمة
والامان فاستعير الحبل للامان يعنى ضربت عليهم الذلة فى عامة احوالهم الا ان يعتصموا بذمة
الله وعهده وامان المسلمين فيامنوا وباؤوا بغضب من الله اى رجعوا بالغضب مستوجبين
له يعنى صاروا احقاء بغضب الله وهو ارادة الانتقام منهم يقال باء فلان بفلان اذا كان حقيقا
بان يقتل به لمساواته وضربت عليهم المسكنة فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على
اهله واليهود فى غالب الامر فقراء مساكين عقوبة لهم على قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء او خوف
الفقر مع قيام اليسار او يظهرون من انفسهم الفقر كيلا تضاعف عليهم الجزية كما ذكرنا فيما مضى
فى البقرة ذلك اى ما ذكر من ضرب الذلة والبوء بالغضب وضرب المسكنة كائن بانهم اى بسبب
انهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق يعنى بسبب كفرهم بالقرآن
ومحمد عليه السلام ورضاهم بفعل آبائهم من قتل الانبياء فكانهم قتلوهم والتقييد بغير حق مع
انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم قال الامام رحمه الله واعلم
ان هولاء المتاخرين من اليهود وان لم يصدر قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم
مصوبين لهم فى تلك الاحوال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكان ذلك كانهم فعلوا فانهم
فتحقق سبب الذلة والمسكنة بهذا الاعتبار ذلك اى الكفر والقتل او الغضب من الله بما عصوا
امر الله وكانوا يعتدون عن حدود الله تعالى اى يتجاوزون الحلال الى الحرام وان الاصرار على
الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر ليسوا سواء فى القبائح والمساوى
اى ليس جميع اهل الكتاب متساوين متشاركين فى الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب
عليها

عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استيناف مبين لكيفية
عدم تساويهم والقائمة المستقيمة العادلة الثابتة على الحق كعبد الله بن سلام واصحابه او المسلمين
منهم مطلقا والمذمومة منهم قد ذكرناهم مرارا او ترك المذمومة بناء على ان ذكر احد الضدين
يغنى عن ذكر الضد الآخر روى ابن عباس ومقاتل انه لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه
قالت احبار اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم لقد كفروا وخسروا
فانزل الله هذه الاية لبيان فضلهم يتلون صفة ثانية لامة والصفة الاولى قائمة اى يتلون
آيات الله اى القرآن آناء الليل اى فى ساعاته يعنى فى تهجدهم بدليل وهم
يسجدون اى يصلون فى جوف الليل لان التلاوة لا يكون فى السجود عبر عن صلوة التهجد بالتلاوة
فى ساعات الليل والسجود ليكون ابلغ وابين فى المدح لما فيه من التفصيل لما هو العمدة فى الصلاة
من القراءة والسجود والتعبير الصريح عما هى فى نفسه من محاسن الاعمال والطاعات ومما به تميز
صلاتهم عن صلاة اهل الكتاب وفى الحديث ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الاخير خير
له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما عليهم وقيل المراد صلاة العشاء لان
اهل الكتاب لا يصلونها لما روى [illegible] الله عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون
الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم رواه الامام احمد و
النسائى وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وهذه صفات اخر لامة وصفهم بخصايص
ليست فى اليهود فانهم مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين
اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه
وما يفعلوا بالتاء ايها الامة المحمدية وبالياء اى الامة القائمة كعبد الله بن سلام ورهطه وقيل
تاء الخطاب ايضا للامة القائمة من حيث الالتفات يعنى لما وصفهم باوصاف جليلة اقبل الله
عليهم بتاء الخطاب تانيسا لهم واستعطافا عليهم فخاطبهم بان ما تفعلونه من خير
فلن يكفروه بالتاء والياء كما فى وما تفعلوا يعنى وما يفعلوا من خير لن يعدموا ولن يضيعوا
ولن ينقصوا ثواب ما يفعلوا وجزاءه بل يجازون عليه البتة بفضل الله ووعده سمى منع الثواب
كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا والله عليم بالمتقين اى بالمؤمنين بشارة واشعار بان
التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن
تغنى عنهم اى لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية ولا اولادهم بالنصرة والكثرة من
الله اى من عذابه فى الآخرة شيئا اى نفعا ما قاله رد لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما
نحن بمعذبين واولئك اصحاب النار اى ملازموها لانهم اهل النار واهل النار لا يخرجون منها
ولا يفارقونها [redacted] هم فيها خالدون اى دائمون فى النار معذبون
فيها نزلت حين انفقوا فى عداوة الله ورسوله ولم يبلغوا مرادهم مثل اى صفة اهل الكفار فى

ما ينفقون اى ما ينفق الكفرة قربةً او مفاخرةً او سمعةً او المنافقون رياءً وخوفاً قيل اراد
به نفقات ابي سفيان واصحابه ببدرٍ واحُدٍ على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او نفقة اليهود
على علمائهم او نفقات الكفار وصدقاتهم في هذه الحياة الدنيا ليذكرهم الناس بالجود
والسخاء وقصته العجيبة التى تجرى مجرى المثل فى الغرابة كمثل ريح فيها صر اى فيها
بردٌ شديدٌ وحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها السموم الحارة التى تقتل او فيها صوت اى
صوت لهب النار التى تحرق الزرع والشايع اطلاق الصر للريح الباردة كالصرصر لان الصر فى
الاصل مصدر بمعنى البرد نعت به الريح يعنى كمثل ريح فيها ريح صرٌ او فى الاصل نعت وصف به
البرد يعنى كمثل ريح فيها بردٌ فيكون الصر صفة مشبهة نحو ليلُ اليلُ وشعرٌ شاعرٌ وبردٌ باردٌ
اصابت اى تلك الريح الموصوفة حرث اى زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ومنع
حق الله فيه فاهلكته اى فاحرقته واتلفته عقوبةً على كفرهم ولم ينتفعوا به شيئاً او نماءً وصفوا
بظلم الانفس لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفارٍ
ضربته صرٌ فاستاصلته ولم تبق لهم فيه منفعةٌ ما لا فى الدنيا ولا فى الاخرة وهو من
التشبيه المركب الذى هو تشبيه حالٍ منتزعةٍ من امورٍ بحالٍ مثلها ولا يلزم فيه ان يكون ما يلى
الاداة هو المشبه به ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث الذى هو المشبه به
ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث اى الزرع فيكون المشبه به اعنى الحرث حينئذ
دالى كلمة التشبيه معنى وما ظلمهم الله بضياع نفقاتهم واهلاك حرثهم واهلاك
حرثهم ولكن انفسهم يظلمون بالكفر والمعصية الموجبتان لضياعها يعنى ما ظلم الله المنفقين
باهلاك نفقاتهم ولكن ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها والضمير فى وما ظلمهم الله للكفار
الذين تقدم ضميرهم فى ينفقون وليس هو للقوم ذوى الحرث كما قيل وقرئ ولكنّ بالتشديد على
ان انفسهم اسمها و يظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اى ولكن انفسهم يظلمونها قال التفتازاني
معناه ما نحن ظلمناهم ولكن هم ظلموا انفسهم كما تقول ما انا قلت هذا ولكن غيري قاله ولما شرح احوال
المومنين والكافرين انزل فى تحذير المومنين عن مخالطة الكافرين والمنافقين ومصادقتهم فقال
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة اى لا تجعلوا لكم صداقة ووليجة وصفوة تطلعونهم على
اسراركم فالبطانة هو الوليجة وهو صفي الرجل وخصيصه وصاحب اسراره شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار وهو ما يلى الجسد من الثياب قال صلى الله عليه وسلم الانصار شعارٌ والناس دثارٌ وهو
ما يلبس فوق الشعار من دونكم اى من غير جنسكم المومنين اى من غير اهل ملتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان رجال من المسلمين يصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهى
الله المومنين عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ثم بين العلة فى النهي عن مباطنتهم فقال لا
يالونكم خبالا اى لا يقصرون لكم فى فسادٍ دينكم اى لا يتركون ولا يقصرون جهدهم فى المكر والخديعة
والفسادِ حتى يورثكم الشر والرجوع عن الحق قال ابو حيان معناه التقصير والخبال الفساد ودوا ما
عنتم تمنوا عنتكم والعنت شدة الضرر والمشقة وما مصدرية يعنى غير جنسكم يودون لكم ما يشق

عليكم من الضرر والهلاك اى انهم لا يقصرون فى فساد امور دينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك
يحبُّ ذلك وتنبيه غزاليا عن قلوبهم بشهادة الله قد بدت البغضاء من افواههم
اى ظهرت البغضاء والعداوة من كلامهم بالشتيمة والوقيعة فى المسلمين لانهم لا يتمالكون انفسهم
لفرط بغضهم للمسلمين فيخرج ما يعلمون به من اسرار المسلمين من افواههم ويطلعون على اخوانهم المشركين
وما تخفي صدورهم اكبر اى وما تخفى صدورهم من العداوة والغيظ اعظم واكبر مما اظهروا
بافواههم لان بدوه ليس عن رؤية واختيار قد بينا لكم الايات اى ايات القران الدالة
على وجوب الاخلاص وموالاة المومنين ومعادات الكافرين ان كنتم تعقلون اى ان
كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين من الايات والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل
اى ان كل واحدة منها علة مستقلة للنهي عن اتخاذ البطانة ويجوز ان تكون الثلث الاول صفات
لبطانة بخلاف الاخيرة يعنى قد بينا فانه كلام مستانف لا يصلح صفة وهو ظاهر ها انتم اولاء
ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبر اى انتم ايها المومنون اولاء المخطئون فى موالات الاعداء من اهل
الكتاب والمنافقين وبيان خطائكم فى موالاتهم انكم تحبونهم لقرابتهم منكم وصداقتهم ولا يحبونكم
لمخالفتهم لكم فى الدين وتؤمنون بالكتاب كله اى بجنس الكتب كله اى بجميع الكتب المنزلة من الله وهم
لا يومنون بكتابكم المنزل من الله وفيه توبيخ للمومنين بان المشركين فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم
واذا لقوكم المنافقون قالوا امنا بمحمد انه رسول الله نفاقا وتغريرا واذا خلوا اى اذا كان
بعضهم مع بعضٍ عضوا عليكم الانامل يعنى اطراف الاصابع من الغيظ لاجل الحنق عليكم
لما يرون من ائتلافكم ومحبتكم بعضكم بعضا بقوة الاسلام وعز اهله فقال الله تعالى قل موتوا
بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به
قيل على وجه الدعاء عليهم والمراد اللعن والطرد لا على وجه الايجاب والا لماتوا كلهم واستاصلوا
من ساعتهم فمعناه اثبتوا على غيظكم الى الممات فتخرجون من الدنيا بحسرة وقل لهم ان
الله عليم بذات الصدور اى بما فى القلوب من العداوة للمومنين فيجازيهم عليهم او قل لهم
ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا ان تمسسكم اى تصبكم
ايها المومنون حسنة اى رخاء وخصب ونصرة وغنيمة تسؤهم اى تحزنهم اصابة
الحسنة وان تصبكم سيئة كهزيمة وجدب واختلاف بينكم يفرحوا بها وجملة الشرط
متصلة بالشرط فيفصل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متناهون فى عداوتكم الى حد حسدوا
ما نالكم من خير ونعمة وفرحوا بما اصابكم من ضر وشدة فلم توالونهم فاجتنبوهم والمس مستعار
للاصابة وان تصبروا على عداوتهم ومشاق الدين وتتقوا الله فى محارمه وموالاتهم
لا يضركم كيدهم اى مكرهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان
المجد فى الامر المتدرب اى المعتاد بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم قرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط وقرأ الباقون لا يضركم
بضم الضاد وتشديد الراء مرفوعة وضمة الراء للاتباع ضم الضاد وهذا تعليم وارشاد من الله تعالى

الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قالت الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك وانشد الشافعى رحمة الله عليه فى معناه اذا ما شئت ارغام الاعادى ❊ بلا سيف تسل ولا سنان ❊ فزد فى مكرماتك فهى اعدى ❊ على الاعداء من نوب الزمان ❊ ان الله بما يعملون محيط قرأ العامة بالياء على الغيبة اى ان الله بما يعملون فى عداوتكم عليم وقرى بالتاء على الخطاب يعنى ان الله عليم محيط مدرك من كل الجهات بما تعملونه من الصبر والتقوى وغيرهما فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت من اهلك اى اذكر يا محمد اذ خرجت من اهلك بالمدينة اى من حجرة عايشة رضى الله عنها الى احد ماشيا من غير ركوب والغدو الخروج اول النهار يقال غدا يغدو اى خرج غدوة والمقصود من ذكر هذه القصة تقرير قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا فجرى عليهم ما جرى لعدم الصبر والمخالفة تبوئ المؤمنين اى تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام اى تبوى للمؤمنين اختلفوا فيه قال الحسن هو يوم بدر وقال مقاتل هو يوم الاحزاب وقال سائر المفسرين هو يوم احد لان ما بعده الى قريب اخر السورة فى حرب احد والجملة حال من فاعل غدوت وهى حال مقدرة اى غدوت قاصدا تبوئة المؤمنين لان وقت الغدو ليس وقتا للتبوئة ويحتمل ان تكون مقارنة لان الزمان متسع المعنى فيهم الخ والدليل هو قراءته باللام كما قلنا مقاعد للقتال اى مواقف واماكن ومواطن له من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا قاموا بشر محلس اذ لا ماء ولا طعام وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل ولبس لامته فلما راوا ذلك ندموا فقالوا اصنع يا رسول الله ما شئت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب من احد اى بطريق فى الجبل يوم السبت النصف من شوال سنة ثلث من الهجرة ونزل فى عدوة الوادى اى جانب الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا اى ادفعوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم اذ همت بدل من اذ غدوت او متعلق بسميع عليم طائفتان منكم اى بنو سلمة

من الخزرج

من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر ان تفشلا اى ان تجبنا وتضعفا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعماية وخمسين رجلا ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط وهو حايط عند جبل احد تحول ابن ابى فى ثلثماية وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ولم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته والظاهر ان همهما ما كانت عزيمة بل خطورا وحديث نفس منهم لانه لا يليق بحال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والدون لنفى له عز وجل والله وليهما اى عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فمالهما تفشلان وقيل الهم دون العزم وذلك لان اول ما يمر بقلب الانسان يسمى خاطرا فاذا قوى سمى حديث النفس فاذا قوى سمى هما فاذا قوى سمى عزما ثم بعده اما قول او فعل فظهر ان المراد ايراد الاية تقريرا لقوله وان تصبروا وتتقوا الخ وقيل فى انتظام الاية ومناسبتها بما قبلها وجه اخر وهو ان الانكسار الواقع يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابى المنافق الذى اتخذه بطانة فتكون تقريرا للنهى عن اتخاذ المنافق بطانة وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكل المؤمنون على الله وحده ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر وقال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذى هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا ثم ذكرهم بما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة يعنى لما رجعوا الى المدينة منهزمين من المشركين بمشية الله وقضائه نزل تذكيرا لهم نعمة الله السابقة عليهم فى يوم بدر من الفتح مع كونهم فى حال قلة وذلة ولقد نصركم الله ببدر وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به وقيل هو اسم موضع بين مكة والمدينة وعليه الاكثرون وقيل هو اسم لبير هناك وقيل كانت بدر بيرا لرجل يقال له بدر كما ذكرنا قاله الشعبى وانكروا ذلك عليه وانتم اذلة لقلة العدد فانهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر وكان عدوهم مقدار الف مقاتل او تسعماية وخمسين رجلا من المقاتلة ومعهم ماية فرس والعدة الكاملة والعدد فانهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على بعير واحد وما كان معهم الا فرس واحد وتسعون بعيرا وست اذرع وثمانية سيوف وجاء بجمع القلة وهو الاذلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا والذلة بحسب العادة رثاثة الحال وقلة المال فلا تنافى العزة بالحجة وحسن العاقبة فى المال كما قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالاية تقرير لامر التوكل فاتقوا الله اى فى الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون اى لكى تشكروا ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول يا محمد للمؤمنين تقوية لقلوبهم اذ ظرف لنصركم فيكون الوعد بالامداد بثلثة الاف من الملئكة واقعا يوم بدر على ما عليه الجمهور والاية متصلة بما قبلها وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله

عليه السلام لهم الن يكفيكم الخ يوم احد لكن قال مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنايم وخالفوا امر الرسول عليه السلام لم تنزل الملئكة فان قيل انما
امد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بالف من الملئكة كما سياتي في سورة الانفال ان شاء الله حيث
قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة وهنا قال بثلثة الاف وخمسة الاف
فلا بنا سب يوم بدر والجواب في عدم مساعدة الملئكة لهم مخالفتهم للرسول وعدم الصبر
وروى الواقدي ان الملئكة قد حضرت يوم احد ولكن لم يقاتلوا روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول عليه السلام انه ملك امد به
وقال قتادة هذا الوعد كان يوم بدر وهو قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم
اذلة اذ تقول للمومنين الن يكفيكم كذا وكذا فعلى هذا لا اعتراض وقال قتادة ايضا امدهم
الله يوم بدر بالف من الملئكة على ما قال فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة ثم صار
ثلثة الاف ثم صار واخمسة الاف كما قال هنا في احد بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم
الله بخمسة الاف من الملئكة كما وعد وليس لاحد ان يقول انهم نزلوا لكنهم ما قاتلوا لانهم وعدوا
بالامداد ومجرد الانزال لا يحصل الامداد بل لا بد من الاعانة والاعانة حصلت يوم بدر لا يوم احد
وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربي
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله تعالى الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
اي الن يكفيكم ان يعينكم ربكم بثلثة الاف من الملئكة منزلين اي حال كونهم نازلين من السماء
ودخلت اداة الاستفهام على حرف النفي على سبيل الانكار لانتفاء الكفاية بهذا العدد وقوله من الملئكة
بيان لثلثة الاف او صفتها اي كاينين من الملئكة وانما جئ بلن دون لا اشعارا بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم وقوله منزلين حال من الملئكة او صفة لثلثة
الاف وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعدهم
الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم وعدهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال ان تصبروا على لقاء العدو مع نبيكم وتتقوا معصية الله ومخالفة امر نبيكم ويأتوكم
اي ويجيئكم المشركون من فورهم اي وجههم وساعتهم ووقتهم هذا اي يأتوكم مسرعين
من غير تراخ لغضبهم الذي غضبوه لبدر واصل الفور الغليان فاستعير للسرعة والاضطراب
والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم اي يعينكم بخمسة الاف من الملئكة في حال اتيانهم
وتاخيرهم لا يتاخر نزول الملئكة عن اتيانهم اي ان الله يعجل بنصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم
مسومين بكسر الواو اي معلمين خيولهم بالصوف الابيض وبفتح الواو سوّمهم غيرهم او نفوسهم
بعمامة صفراء او ثياب بيض اي بعلامة يعرفون بها في الحرب قال السلطان اي معلمين من التسويم
الذي هو اظهار سيماء الشئ لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملئكة قد تسومت اي

مرسلين

مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقيل والمعنى بكسر الواو ان الملئكة ارسلت خيولهم على
الكفار لقتلهم واسرهم او انهم ارسلوا اطراف عمايمهم على ظهورهم قال الشيخ السومة العلامة
التي يعلم بها الفارس نفسه في الحرب يعني من كسر الواو اراد انهم سوموا خيلهم ومن فتحها اراد
به انفسهم كما ذكرنا والتسويم الاعلام من السومة وهي العلامة واختلفوا في تلك العلامة قال
عروة بن الزبير كانت الملئكة على خيل بلق عليهم عمايم صفر وقيل عمايم بيض قد ارسلوها
بين اكتافهم وقيل اعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروى ان الزبير بن العوام كان
متعمما يوم بدر بعمامة صفراء فنزل جبريل على مثال الزبير بها وما جعله الله اي وما جعل
الله امدادكم بالملئكة لشئ من الاشياء الا بشرى لكم اي الا بشارة لكم بالنصر على اعدائكم و
لتطمئن قلوبكم به اي بالامداد اي ولتسكن قلوبكم بالامداد فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم
كما كانت السكينة لبني اسرايل كذلك وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد
وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على
قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا من تاخر عنهم العزيز
الذي لا يغالب في اقضيته واحكامه الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى
الحكمة والمصلحة يعني لا تتكلوا على الملئكة والجند فان النصر من الله وحده فاستعينوا به و
توكلوا عليه لان العز والحكم له ليقطع طرفا متعلق بنصركم او بما النصر الا من عند الله اي
ليهلك الله جماعة بالاستيصال من الذين كفروا باسر وقتل وهو ما كان يوم بدر من
قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم اي يخزيهم او يهزمهم ويصرعهم
لوجوههم او يهلكهم ويلعنهم والكبت شدة الغيظ اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة قال
ابو حيان شبه من قتل منهم وتفرق بالشئ المنقطع الذي تفرقت اجزاؤه وانخرم نظامه واو
للتنويع دون الترديد لجواز جمع القطع والكبت في التنويع بان يقطع طرفا من الكفار اي يهلكهم ويكبت
اخرين منهم ولا يجوز ذلك في الترديد فينقلبوا خائبين اي فيهزموا منقطعي الآمال غير ظافرين
بمبتغاهم ونزل لما كسر عتبة بن ابي وقاص او عبد الله بن قمئة رباعيته وقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم ليس لك من الامر شئ بل الامر لله فاصبر ولك خبر ليس ومن الاحوال
من شئ لانها صفة مقدمة على شئ وشئ اسم ليس او يتوب عليهم عطف على او يكبتهم
او ليقطع طرفا وليس لك من الامر شئ اعتراض بين المعطوف اي او يتوب عليهم والمعطوف عليه
اي او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او
يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شئ وانما انت حبيب مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقيل نزل في اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القراء فقتلهم عامر بن الطفيل فدعا رسول
الله على قاتليهم شهرا باللعن والسنين فنزلت ومن القراء من يجعل حتى ويحتمل ان يكون معطوفا
على الامر او شئ باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس
لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم والمراد من قولنا ويحتمل ان يكون معطوفا على

رسول الله
عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربوا سبعون جزءا ايسرها ان ينكح الرجل امه ط رضه عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة رضه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم ربوا ياكله الرجل وهو يعلم اشد من ستة وثلاثين زنية رواه احمد ط
وعن عبادة ابن الصامت رضه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال
هم سواء رواه مسلم الخ مشكوة

الامر الخ انه ذهب بعضهم الى ان يتوب ليس منصوبا بالعطف على ليقطع بل باضمار ان اى
او ان يتوب على انه من قبيل عطف المضارع المنصوب على الاسم المجرور اعني من الامر او لرفع
اعني شيء وعلى التقديرين هو عطف الخاص على العام ومعنى الاية على التقدير الاول ان امورهم
كلها لله وليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء كما ذكرنا وعلى التقدير الثاني
ليس لك من امرهم شيء او التوبة او تعذيبهم كما قدمنا وعن ابن عيسى ان او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك
او تعطيني حقي اى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي
منهم وقيل همّ ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن **فانهم ظالمون**
اى قد استحقوا التعذيب بظلمهم فهذا تعليل لقوله عز وجل او يعذبهم فالظلم ليس سببا موجبا
بحيث لا تعذيب بدونه ولا مغفرة مع وجوده كما ذهب اليه الكوفيه لانه لا يفيد الا مجرد الاستحقاق
العادي يعني انه لو اضيف اليه في مجاري القول لكان ملائما فلا الطاعة توجب الثواب ولا
المعصية توجب العقاب بل الكل من الله بحكم الهيته وقهره وقدرته وقيل في الاية تقديم وتاخير
ونظمه هكذا ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك كله وليس ذلك اليك ثم بين اختصاص ذلك لنفسه بقوله
ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا وعبيدا فله الامر كله **يغفر لمن يشاء**
للمؤمنين **ويعذب من يشاء** للكافرين صريح في نفي وجوب التعذيب يعني لا يجب عليه تعذيب
العصاة ولا تنعيم اهل الطاعة كما زعم اهل الاعتزال **والله غفور رحيم** لعباده سيما لاوليائه
واهل طاعته ولما كان اكل الربا واخذه محاربا لله ورسوله فالحقه باهل الحرب من الكفار في الذكر
فقال **يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة** اى لا تزيدوا زيادات
مكررة ولما كان اضعافا جمع قلة والمقصود الكثرة اتبعه بما يدل على ذلك وهو الوصف بقوله
مضاعفة وليس قوله اضعافا مضاعفة لتقييد النهي بالقيد وهو اضعافا مضاعفة ليستدل
بمفهوم القيد على ان الربا بدون هذا القيد جائز بل جاء الكلام بقيد المراعاة ما كانوا عليه من العادة
في تضعيف الربوا مع توبيخ لهم بصنيعهم ذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمديون
زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون بالكلية وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة **واتقوا الله** فيما نهيتم عنه من
اكل الربا وعمله **لعلكم تفلحون** تفوزون اى راجين الفلاح فان اتقاء الله واجب على
كل احد والفلاح موقوف على الفلاح وهذا يدل على ان الربا من الكبائر وتقدم الكلام على الربا
في سورة البقرة **واتقوا النار التي اعدت للكافرين** بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه
تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة او للكافرين بالتخليد وللعصاة
بالتاديب **واطيعوا الله** في كل ما امركم به ونهاكم عنه **والرسول** الذي يبلغكم اوامره ونواهيه
لعلكم ترحمون راجين رحمته اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل
وعسى من الله للايجاب والتحقيق ولكن في ذكرهما اشارة الى ان المتقين والمطيعين وان كانوا مجدين

في التقوى

في التقوى والطاعة لا ينبغي لهم ان يجزموا بحصول الفلاح والرحمة بل غايتهم الرجاء من
فضل الله الكريم لا الجزم بحصول المراد اتكالا بما فعلوا من التقوى والطاعة وذهب اهل السنة
والجماعة رضوان الله عليهم الى ان الغفران موجود للمذنبين من عصاة المؤمنين وان ماتوا بلا
توبة لمن عاد لئلا الخصم لا يسدون باب الغفران والكرم والاحسان وفي الاية رد على المرجئة
في قولهم لا يضر مع الايمان ذنب ولا يعذب بالنار اصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يعذبوا
ولكن عاقبة امره **وسارعوا** اى بادروا واقبلوا يعني لما امروا بتقوى النار امروا بالمبادرة الى اسباب
المغفرة والجنة **الى مغفرة من ربكم** اى الى الاعمال التي توجب المغفرة كالاسلام والتوبة
واداء الفرائض والهجرة والجهاد والتكبيرة الاولى والاخلاص **وجنة عرضها السموات
والارض** اى عرضها كعرضهما كقوله تعالى عرضها كعرض السماء والارض وذكر العرض للمبالغة والمراد
وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه يعني ان سعتها لا
يقاس بالشيء وخص العرض لانه في العادة ادنى واقل من الطول يقول هذه صفة عرضها فكيف
طولها وقال الزهري لا يعلم طولها الا الله تعالى اخرج البزار والحاكم وصححه عن ابي هريرة
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارايت وجنة عرضها السموات والارض فاين
النار قال ارايت الليل اذا لبس كل شيء فاين النهار قال حيث شاء الله قال فكذلك حيث
شاء الله وسئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء ام في الارض فقال واي ارض وسماء تسع الجنة
فقيل فاين هو قال فوق السموات السبع تحت العرش وذكر في تفسير جواهر الحسان انه ثبت
في حديث النبي عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كدراهم القيت في
فلاة من الارض وما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت في فلاة من الارض فهذه
مخلوقات اعظم جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله وفي البخاري
من طريق ابن مسعود ان آخر اهل الجنة دخولا وآخر اهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا
فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ان لك مثل الدنيا عشر مرات
وفي جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف
سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا الحديث فان قيل قال الله تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة في السماء فكيف
يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة في السماء وعرضها السموات والارض
كما اخبر وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين
السبع وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض وما روي
ان الجنة في السماء او في السماء السابعة فمعناه انها في جهتها لا انها فيها او في بعضها كما يقال
في الدار بستان وان كان يزيد عليها لان المراد بابها اليها قيل كل جنة من الجنان عرضها
كعرض السموات والارض لو وصل بعضها ببعض **اعدت للمتقين** اى هيئت لهم وفيه دليل

على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في السراء والضراء اى
فى العسر واليسر فاوّل ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة وعن يحيى بن سعيد
عن الاعرج عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب
من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من
الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من العالم البخيل هكذا ذكر
فى تفسير اللباب والامام البغوى روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة دار الاسخياء
فقوله فى السراء والضراء اى فى الفقر والغنى اى فى كل حال بما يليق بها او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة يعنى لا يخلو فى حال مّا بانفاق ما قدروا عليه من قليل وكثير كما يقال
السخي ما ملك فان قلت الاية تدل على ان الجنة معدّة للمتقين والتائبين دون المصرين
قلت جاز ان تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال اعدت هذه
المائدة للامير ثم قد يأكلها اتباعه الا ترى انه قال واتقوا النار اعدت للكافرين ثم قد يدخلها
غير الكافر بالانفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه اشد شئ على النفس وادل على الاخلاص ولانه
كان فى ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
والكاظمين الغيظ عطف على الذين ينفقون اى الجارعين الغضب فى اجوافهم عند امتلاء
نفوسهم به مع القدرة قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه
دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اىّ الحور شاء وقال صلى الله
عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملاه الله امنا وايمانا واخرج عبد بن حميد
والبخارى ومسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الشديد بالصرعة
ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب والعافين عن الناس اى المتجاوزين عن الجانى كائنا من
كان والتاركين عقوبة من استحق مواخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى
امتى قليل الا من عصمهم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت قال الكلبي عن المملوكين
سوء الادب وقال زيد بن اسلم ومقاتل عمن ظلمهم واساء اليهم اخرج ابن جرير
عن الحسن قال يقال يوم القيمة ليقم من كان له على الله اجر فما يقوم الا انسان عفا قال
صلى الله عليه وسلم من سره ان يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه ويعط
من حرمه ويصل من قطعه والله يحب المحسنين اللام للجنس فيتناول كل محسن من الاحرار
والمماليك ويدخل هؤلاء المذكورون او للعهد فيكون اشارة الى المذكورين فقط عن الثوري
الاحسان ان تحسن الى المسئ فان الاحسان الى المحسن متاجرة واخرج البيهقي عن علي بن
الحسين ان جارية جعلت تسكب عليه تهيئا للصلوة فسقط الابريق من يدها على وجهه
فشجه فرفع راسه فقالت ان الله يقول والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين
عن الناس قال قد عفى الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال اذهبي فانت حرة وقال
صلى الله عليه وسلم وجبت محبة الله على من اغضب فحلم وقال صلى الله عليه وسلم ان حسن

الخلق

الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى الله عليه وسلم الخلق السوء يفسد
الايمان كما يفسد الصبر الطعام واخرج البيهقي عن كعب بن مالك ان رجلا من بنى
سلمة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام خمس مرات فقال عليه السلام فى كل
ذلك حسن الخلق وعن جابر قال قالوا يا رسول الله ما الشوم قال شوم الخلق
وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله اخبرنى بوصية تصير
فالزمها قال لا تغضب يا معاوية بن حيدة ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد
الصبر العسل وقال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات
لقائم الليل الصائم النهار اخرجه احمد وابو داود وابن حبان والحاكم وصححه عن عائشة
رضى الله عنها واخرج الطبراني عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اوحى
الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا خليلي حسّن خلقك ولو مع الكفار تدخل مع الابرار
وان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي وان اسقيه من حظيرة قدسي
وان ادنيه من جوارى وقال صلى الله عليه وسلم خيار امتي خمسمائة والابدال اربعون
فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون كلما مات بدل ادخل الله عز وجل من الخمسمائة
مكانه وادخل فى الاربعين مكانهم فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون ينقصون فقالوا يا
رسول الله دلنا على اعمال هؤلاء فقال هؤلاء يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من اساء اليهم
ويواسون مما آتاهم الله قال وتصديق ذلك فى كتاب الله والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة اى ذنبا قبيحا كالزنا لقوله تعالى
واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قال عبد الله بن
مسعود قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب
اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا افعل كذا فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقال عطاء نزلت فى نبهان التمار وكنيته ابو مقبل
اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود فهل لك
فيه قالت نعم فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبّلها فقالت اتق الله فتركها وندم فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وقيل نزلت فى انصاري وثقفي آخى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فخرج الثقفي فى غزاة واستخلف الانصاري على اهله فجاء
الانصاري يوما الى زوجة الثقفي وقبلها ثم ندم وانصرف فهام على وجهه مدة ثم جاء
الى ابي بكر واخبره شانه فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار
للمقيم ثم جاء الى عمر فاجابه كذلك ثم جاء الى النبي عليه الصلاة والسلام فاجابه كذلك فانزل
الله عز وجل هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة اى قبيحة خارجة عما اذن الله فيه
او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك وقال بعضهم ظلم النفس ما دون

الزنا من قبلة ونظرة ومعانقة ولمس وقيل الفاحشة ما دون الزنا وظلم النفس
المعصية وقيل الفاحشة الكباير وظلم النفس الصغاير وقيل الفاحشة الكبير في
الفعل وظلم النفس في القول ذكروا الله اى تذكروا وعيده بان الله سايلهم عنه
او عقابه بان الله يحاسبه على حسب عمله او حقه العظيم بان يطاع ولا يعصى او ليذكروا
الله بلسانه وقلبه عند الذنب ليبعثهم على التوبة فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم
والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة اى فتابوا عن الذنوب لقبحها
نادمين قيل بكى ابليس حين نزلت هذه الاية ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي اى لا يغفر الذنوب الا الله وهو معترض بين المعطوف اى قوله ولم يصروا وبين
المعطوف عليه اى قوله فاستغفروا ومن مبتدأ يغفر خبره وفيه ضمير يعود الى من والا الله بدل
من الضمير في يغفر والتقدير ولا احد يغفر الذنوب الا الله وفيه بيان لوصفه تعالى بسعة
الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة وان جلت الذنوب
فان رحمته اجل وكرمه اعظم ولم يصروا على ما فعلوا اى ولم يقيموا على ذنوبهم غير
مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال
من يصروا اى لم يصروا على قبيح فعلهم عالمين بان الاصرار ضار او عالمين بان الله يتوب على
من تاب او بان الذى اتوه معصية او عالمين بان لهم ربا يغفر الذنوب او عالمين بان الله تعالى لا
يتعاظمه العفو وان كثرت وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار اولئك اى الموصوفون
بالصفات المذكورة جزاؤهم اى ثوابهم مغفرة من ربهم بتوبته وجنات برحمته تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها اى لا يخرجون منها ولا يموتون ونعم اجر العاملين اى
ثواب المطيعين ما اعد لهم من الجنة والطاعة قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مومن يذنب
ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له قال المعتزلي هذه الايات بيان
قاطع بان الذين امنوا على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين
دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال بعض علماء الشافعية ردا عليه
والجا ماله بقوله ومن اتبع عقله واطاع ربه علم ان ليس في هذه الايات سوى ان الجنة اعدت
للمتقين والتائبين او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنة واما سكوت عن حكم المصرين
او دلالة ظنية على انهم ليسوا كذلك ولا نزاع في ان الجنة ليست معدة لهم ولا جزاء لهم لكن من اين البيان
القاطع انهم لا يدخلون الجنة البتة وانه لا يجوز في حقهم التفضل والاحسان والرحمة من ارحم الراحمين
وهل القطع بذلك الا مكابرة للعقل ومكابرة للرب على ان الكلام وارد لترهيب اكلة الربا وكلا وعيدهم
في الاقلاع عنه ثانيا فالتقييد بعدم الاصرار لا يلائم الغرض فينتفي شرط مفهوم المخالفة وهو ان لا تظهر
سوى اختصاص الحكم فايدة اخرى ويمكن الجواب عنه ايضا بان المرتب على الصفات المذكورة كون
المغفرة والجنات جزاء وهما لهم ما مغفرة المصر الغير المستغفر فبمقتضى الفضل والاحسان فان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فانه لا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم

ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم
والجملة خبر للذين اذا فعلوا فاحشة اى غير معطوف على ما قبله ان ابتدات بالذين والجملة مستانفة
مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون وتنكير جنات على الاول اى على ان تكون
جملة اولئك الخبر الذين اذا فعلوا فاحشة يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين
تلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلتين انه فصل انهم بان بين
انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظون على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص
بكارمه وفصل اية هولاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض
ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه
النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت
من قبلكم سنن اى قد مضت معاملة الله في الامم المكذبة بالهلاك والاستيصال يعني بعد
امهالهم روى بدا ثم اخذهم وهذا خطاب للمومنين وتسلية لخواطرهم عما وقع لهم يوم احد من
القتل والهزيمة يعني لا يذهب بكم ان غلب الكفار المكذبون عليكم باحد فان العاقبة للمتقين بدليل قوله
تعالى فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقال
عطا سنن اى شرايع وقال الكلبي منهاج وقيل وقايع وقيل امم كما قال الشاعر ما عاين
الناس من فضل كفضلكم ولا راوا مثلكم في سالف السنن اى الامم فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اى اخر امر المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم
فلا تحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم واستدرجهم حتى يبلغ اجلي الذى اجلت في نصرة النبي واوليايه
وهلاك اعدايه وليس المراد بالسير وجوبا بل المقصود تعرف احوالهم وقد يعتبر من غير سفر فالعبر في
مقامات ولا يبعد ان يقال حثهم على السير لان مشاهدة اثار الاقدمين اثر اقوى من اثر السماع ودخلت
الفاء لان المعنى على الشرط يعني ان شككتم فسيروا في الارض التي فيها ديارهم الخربة واثار هلاكهم و
قيسوا على عاقبة امر المكذبين اخر امر اللاحقين بهم لتعتبروا هذا اى القران بيان للناس كلهم
وعامتهم وهدى اى ارشاد من الضلالة وموعظة للمتقين منهم خاصة ويحتمل ان يكون الاشارة
الى القران والى جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله
قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وما يتحقق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه
من النظر في سوء عاقبة المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم ولا تهنوا ولا تحزنوا
هذا تسلية لاصحاب النبي عليه السلام على ما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد ولا
يورثنكم ما اصابكم يوم احد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم
شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في
النار او لانكم اصبتم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة اى يكون
لكم النصرة والغلبة والظفر فيكون بشارة لهم وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مومنين
متعلق بالنهي اى ولا تهنوا ان صح ايمانكم يعني ان صحة الايمان يوجب قوة القلب والثقة بوعد الله

وقلة المبالات باعدايه او متعلق بالاعلون اى ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به
من الغلبة او اذ كنتم مومنين اولانكم مومنين حقا ان يمسسكم اى يصبكم باحد قرح بفتح
القاف وضمها جهد من جرح والم ونحوهما فقد مس القوم اى الكفار قرح
مثله فى يوم بدر والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم
لم يضعفوا ولم يجبنوا ولم يمنعهم عن معاودتكم الى القتال فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون
من الله ما لا يرجون وهذا الشرط والجواب ههنا بمعنى المضى دون الاستقبال وقيل كلا المسين
اى الاصابتين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام فانه
قتل من المشركين يوم احد نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوايهم وكثرت فيهم الجراحات
وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم فى اول النهار وقتل من المهاجرين
خمسة وقيل اربعة وهو الظاهر فمن المهاجرين حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عم
النبى عليه السلام واخوه من الرضاع ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس
ابن عثمان وقال انس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى كرم الله وجهه وعليه نيف
وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحها وهى تلتئم
باذن الله كان لم تكن ومن الانصار عمرو بن معاذ بن النعمان والحارث بن انس
وعمارة بن زياد وسلمة بن ثابت وعمرو بن ثابت ابنا وقش قيل وابوهما قتل ايضا و
رفاعة بن وقش وحسيل بن جابر ابو حذيفة وهو اليمان اصابه المسلمون فى المعركة ولا
يدرون وصيفى بن قيظى وحباب بن قيظى وعباد بن سهل بن عتيك وعبيد بن
التيهان ويقال عتيك بن التيهان وحبيب بن زيد ثلثة عشر نفرا ويزيد بن حاطب
وابو سفيان بن الحارث بن قيس من بنى ضبيعة ومالك بن امية وحنظلة بن ابى عامر
غسيل الملئكة وانيس بن قتادة وعمرو بن عوف وعبد الله بن جبير بن النعمان وامرؤ
القيس بن مالك بن الاوس خيثمة ابو سعيد بن خيثمه وعبد الله بن سلمة وسبيع بن حاطب
وعمرو بن قيس وابنه قيس بن عمرو وثابت بن زيد وعامر بن مخلد وابن هبيرة بن
الحارث وعمرو بن مطرف بن علقمة واوس بن مالك بن المنذر وانس بن نضر وهو عم انس
ابن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم وقيس بن مخلد وكيسان وسليم بن الحارث ونعمان
ابن عبد بن عمرو وخارجة بن زيد بن ابى زهير وسعد بن الربيع بن ابى زهير واوس بن
الارقم بن زيد ومالك بن سنان ابو ابى سعيد الخدرى وسعيد بن سويد وعتبة بن ربيع
ابن رافع بن معاوية وثعلبة بن سعد وثقف بن فروه ونوفل بن عبد الله وعباس بن عبادة
ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر ومجذر بن زياد وعباده الحسحاس ورفاعة بن عمرو
وعبد الله بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام وابو ايمن مولى عمرو بن الجموح وسليم بن عمرو بن
حديد ومولاه عنتره وسهل بن قيس وذكوان بن عبد قيس وعبيد بن المعلى فجميع من
استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار خمسة وسبعون

رجلا

رجلا على ما قاله ابن اسحاق وقال ابن هشام وممن لم يذكرا بن اسحاق من الشهداء مالك
ابن نميلة وعبد الله بن جيشم بن مالك ومالك بن اياس واياس بن عدى وعمرو بن الاياس
رضوان الله عليهم اجمعين وقال الكلبى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم
بعد احد وقال لا يخرج الا من شهد معنا بالامس اشتد ذلك على المسلمين وقد اصابهم من الجراح
ما اصابهم فانزل الله ان يمسسكم قرح الاية وتلك الايام اى الايام الجارية فيما بين الامم
الماضية والاتية كافة لا الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هو داخلة فيها
دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس اى نصرفها ونحولها
بينهم نديل اى نعطى الدولة والظفر لهولاء تارة ولهولاء اخرى فيوما لهم ويوما عليهم معناه
اديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين وادبل المشركون
من المسلمين يوم احد حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسا وسبعين والمداولة كالمعاورة يقال داولت
الشى بينهم فتداولوه يعنى يوما الغرقة ويوما الاخرى ليتعظوا وليعلم الله علم ظهور الذين امنوا
يعنى انما كانت هذه المداولة ليرى الله الذين امنوا منكم فيميز المومن من الكافر او ليعاملكم معاملة
من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التميز اى ليميز
الثابتين على غيرهم الايمان من غيرهم كما قال حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى ليظهر الله لكم الذين خلصوا
فى تصديقهم بالله ورسوله من غيرهم قيل معناه نداولها الضروب من التدبير مثلا ليرتفع درجات
المومنين بالهزائم ويزداد اسباب عقوبة الكافرين باضرار المومنين وايذائهم وليعلم الله المومنين
مميزين بالصبر والايمان من غيرهم كما علم قبل الوجود والقصد فى امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه
تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان لان علمه تعالى بالشى من لوازم تحقق
ذلك ولا شك ان عدم اللازم برهان لعدم الملزوم وكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد
تجدد معلومه لان علم الله قديم والتجدد والتغير انما هو فى تعلقه فالعلم قديم والتعلق حادث
ويتخذ منكم شهداء يعنى يتخذ اى وليكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد لا الاجل
نصر الكفار وحبهم او يتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة من قوله لتكونوا شهداء على
اخرج ابن ابى حاتم عن عكرمة قال لما ابطا على النساء الخبر خرجن يستخبرن فاذا
رجلان مقتولان على دابة او على بعير فقالت امراة من الانصار من هذان قالوا فلان وفلان
اخوها وزوجها او زوجها وابنها فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا حى قالت
فلا ابالى يتخذ الله من عباده الشهداء ونزل القران على ما قالت ويتخذ منكم شهداء والله
لا يحب الظالمين اى لا يحب من ليس من هولاء الثابتين على الايمان والمجاهدين فى سبيله وهم
المنافقون والكافرون بل يداقيهم وما ينعم به عليهم مكر واستدراج لهم وهو اعتراض بين
بعض التعليل وبعض وليمحص الله اى وليطهر الله الذين امنوا من الذنوب بما يصيبهم
ويمحق اى يهلك الكافرين وهو عطف على يتخذ والمحق نقص الشى قليلا قليلا ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى بل احسبتم يعنى لا تحسبوا دخول الجنة

ولا ينبغي لكم ان تحسبوا ذلك من غير جهاد وحقيقة الانكار النهي عن الحسبان وهذه الاية وما
بعدها عتاب لمن وقع منهم الهفوات يوم احد و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
علم ظهور اي ولم يجاهد بعضكم وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية لان من تبعيضية
والفرق بين لما ولم ان في لما معنى توقع الفعل فيما يستقبل فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى
توقعه فيما يستقبل و يعلم الصابرين ولم تجاهدوا وانتم صابرون والمعنى على قول المفسرين اظننتم
دخول الجنة من قبل ان يصيبكم شدة في دين الله وجهاد في سبيله يعني اتحسبون دخول الجنة
والحال انه ما اجتمع علم الله بالمجاهدين منكم وعلمه بالصابرين منكم في الشدائد كما تقول ما علم الله
في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه او احسبتم دخول الجنة وما جمعتم بين المجاهدة والصبر او احسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما تقع منكم مجاهدة لان كل معلوم تقتضي علما من الله تعالى فاذا انتفى تعلق علمه تعالى
به ينتفي المعلوم لا محالة يعني لا يليق بكم ان تحسبوا دخول الجنة كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم
وصبروا على الم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا مسالكهم وتصبروا صبرهم او احسبتم دخول الجنة
مع عدم الجمع بين متعلقي العلمين اعني الجهاد والصبر على ان الواو في ويعلم للجمع قال ابو البقا والتقدير
احسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الله المجاهدين وان يعلم الصابرين وحقيقته ولم تجمعوا بين
الجهاد والصبر لان نفي العلم لنفي المعلوم قال الامام حاصل الكلام ان حب الدنيا لا يجتمع
مع سعادة الاخرة لان سعادة الدنيا لا تحصل الا باشتغال القلب بطلب الدنيا وسعادة
الاخرة لا تحصل الا بفراغ القلب عن كل ما سوى الله وامتلائه من حب الله تعالى وهذان الامران
مما لا يجتمعان فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد في هذه الاية من اجتماعهما اقول لما كان
علم الله بالشيء كالجهاد والصبر عليه هنا من لوازم تحقق ذلك الشيء جعل عدم العلم كناية
عن عدم تحقق ذلك الشيء فصار معنى لما يعلم الله جهادهم وصبرهم اي لم يجاهدوا ولم يصبروا
حتى يتعلق بذلك العلم لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لان المتعلق
منتف بانتفاء العلم الذي هو المتعلق ونفي العلم من الله محال والله اعلم ولقد كنتم تمنون الموت
اي الحرب فانها من اسباب الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد
على الخروج اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجالا من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم كانوا يقولون ليتنا نقتل كما قتل اصحاب بدر ونستشهد وليت لنا يوما كيوم
بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيرا ونلتمس الشهادة والجنة والحياة والرزق فاشهدهم
الله احدا فلم يلبثوا الا ما شاء الله منهم فقال الله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان
تلقوه الضمير للموت او الحرب لدلالة الكلام عليه اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
وتصلوا اليه عيانا فقد رأيتموه وانتم تنظرون يعني فقد رأيتم الموت اي سببه وهو الحرب
باعينكم يوم احد وانتم تنظرون الى النبي عليه السلام ومن قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على
انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او توبيخ لهم على تمني الشهادة فان في تمنيها

تمني غلبة الكفار وما محمد ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق
الحمد فلا يستحقه الا المستولي على الامر في الكمال واكرم الله صفيه ونبيه باسمين مشتقين من اسمه
جل جلاله محمد واحمد وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه الم تر ان الله ارسل عبده
ببرهانه والله اعلا وامجد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه
والمزمل والمدثر وعبد الله وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي تعرض جماعة لتعداد اسمائه عليه السلام
فمنهم من بلغها تسعة وتسعين وقال ابن دحية اذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقران
والسنة بلغت ثلثمائة وبلغها بعض الصوفية الى الف والمراد حينئذ ما يشمل الاوصاف فاذا اشتق
له من كل وصف من اوصافه المختصة به او الغالبة عليه او المشتركة بينه وبين الانبياء بلغت ذلك
العدد بزيادة وسماه جده عبد المطلب بالهام من الله لرؤيا راه ان سلسلة من فضة خرجت
من ظهره لها طرف بالسماء وطرف بالمشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بمولود يتبعه اهلها
ويحمده اهل السماء والارض وينبغي تحري التسمية باسمه لخبر ابي نعيم قال الله تعالى وعزتي وجلالي
لا اعذب احدا يسمى باسمك في النار وورد اني اليت على نفسي ان لا ادخل النار من اسمه احمد ولا
محمد وروى الديلمي عن علي ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس
الله ذلك المنزل كل يوم مرتين ومحمد واحمد افضل اسمائه ومعنى احمد اي احمد الحامدين لربه لانه
يفتح له يوم القيمة بمحامد لم يفتح بها على احد قبله فيحمد ربه بها ثم لم يكن محمد حتى كان احمد حمد ربه
فنبأه وشرفه ولذلك تقدم احمد في قول موسى عليه السلام اللهم اجعلني من امة احمد وقول عيسى
اسمه احمد على محمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل فما حمد
ذكر قبل ان يذكر بمحمد وورد عن ابي نعيم انه سمي محمد قبل الخلق بالفي عام وورد عن كعب ان اسم محمد
مكتوب على ساق العرش وفي السموات السبع وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قصب آجام
الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملئكة الا رسول قد خلت اي
مضت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم
بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم وظهورهم
بين اممهم ابدا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما نزل النبي بالشعب امر الرماة
ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم
وقتل علي رضي الله عنه ابن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم
حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فهزموا ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما راوا انهزام الكفار
بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه صاحب ميمنة الكفار فلما راى
تفرق الكفار حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة
الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه واقبل يريد قتله فذب
عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد وكان اسدا رابضا

حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ودافع عنه ابو بكر وعلي
رضي الله عنهما ولم يبق مع النبي من المهاجرين الا ستة ابو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن
عوف وسعد بن ابي وقاص ومن الانصار سبعة كذا ذكره البغوي وظن ابن ابي قمئة انه قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ شيطانا
ففشا في الناس خبر قتله فانكفئوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله
حتى اجتمعت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا
وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا وكان من اجتمع على النبي ثلاثين صحابيا وكشفوا عن
النبي المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن نضر عم انس
ابن مالك عليه الرحمة والرضوان يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد
بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **افان مات او قتل انقلبتم على** انكار لارتدادهم
وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت في فراشه او قتل في الحرب بعد علمهم بخلو الرسل
قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء لتسبب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها وهي وما
محمد الا رسول قد خلت والهمزة لانكار الجزاء اي لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته يعني اتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل فان موسى عليه
السلام مات ولم ترجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى قتل ولم يرجعوا عن
دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من
قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانهم قالوا انه متقدم في النزول على وقعة احد قال
بعضهم وهذا يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة والفهم الثاقب الا ترى انهم لما سمعوا الخبر
قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وايراد الموت بكلمة ان مع العلم
به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال
في ساير الموارد فان كلمة ان في كلام الله لا يجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع
او اللاوقوع بل يحمل على اعتبار حال السامع او لامر اخر يناسب المقام **ومن ينقلب على عقبيه**
بان يرتد عن دينه **فلن يضر الله شيئا** بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين**
اي الذين لم ينقلبوا على اعقابهم بل شكروا نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس بن النضر واضرابه
واخرج ابن جرير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال المراد بالشاكرين هنا الثابتين
على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي رضي الله عنه يقول ابو بكر امين الشاكرين ومن
احباء الله والمعنى وسيجزي الله بالنصر والغلبة في الدنيا والثواب والرضوان في الاخرة
الشاكرين الذين لم ينقلبوا وثبتوا على الاسلام ثم شجعهم بقوله **وما كان لنفس ان تموت**
الا باذن الله اي وما جاز الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشية

الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه قال الاخفش اللام في لنفس منقولة
تقديره وما كانت نفس لتموت الا باذن الله اي بقضايه وقدره وقيل بعلمه وقيل بامره
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضايه لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه والاذن مجاز من المشية لكونها من لوازم الاذن
واما الاذن لملك الموت باخذ الروح فهو مستعمل في المعنى الحقيقي وفي الاية وعد للرسول
بالحفظ وتاخير الاجل ودليل على ان المقتول ميت باجله وان تغيير الاجال ممتنع ولهذا اكد
هذا المعنى بقوله **كتابا** اي كتبه الله كتابا **مؤجلا** اي موقتا بوقت معلوم في علم الله تعالى
لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة قال المفسرون اجل الموت وهو الوقت الذي في علم الله
ان روح الحي تفارق جسده ومتى قتل العبد علمنا ان ذلك اجله ولا يصح لو لم يقتل لعاش
بدليل قوله تعالى كتابا مؤجلا وقوله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ولا يستقدمون وقوله
ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لكل اجل كتاب خلافا لاهل الاعتزال فانهم يقولون يتقدم
الاجل ويتاخرون من قتل فانا هلك قبل اجله وكذلك كل ما ذبح من الحيوان كان هلاكه
قبل اجله لانه يجب على القاتل الضمان والدية فهذه الايات تكون ردا عليهم ولما كان
الذابح منهيا عن ذبح شاة الغير بلا امر والقاتل منهيا عن قتل الادمي المعصوم فانما
يؤخذ ويلام بارتكابه ما نهي عنه وعلى المكلف مراعاة ظاهر الامر والنهي دون
اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم الا ترى ان المؤمن يعاقب بارتكاب ساير المعاصي وان
علم الله منه ذلك بسبب ارتكابه ما نهي عنه فهذا مثله **ومن يرد** اي بعمله وقتاله
يوم احد او مطلقا **ثواب الدنيا** اي جزاء عمله اي الغنيمة وهو تعريض للذين شغلتهم
الغنايم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة
ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
نؤته منها اي نعطه من ثوابها ما قسم له منها كقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما
نشاء لمن نريد **ومن يرد ثواب الاخرة** اي اعلاء كلمة الله والدرجة في الاخرة **نؤته**
منها اي من ثوابها يعني جزاء عمله ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم
وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء من الجهاد يعني وسنجزي المؤمنين
المطيعين كعبد الله بن جبير والذين قتلوا معه يوم احد ثم وبخ ايضا من ترك الجهاد
يوم احد فقال **وكاين** اصله اي دخلت عليه كاف التشبيه وصارا في معنى كم التي
للتكثير وقرا ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم
رعملي في لعمري فصار كيايٍن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى
الفا كما ابدل من طائي **من نبي** بيان وتمييز لكاين اي وكثير من الانبياء **قاتل** اي
جاهد **معه ربيون كثير** اي جماعة كثيرة بكسر الراء نسبة الى الربة يعني الجماعة وربيون
مرفوع بالفاعلية والمعنى كثير من الانبياء قاتل معه جماعات كثيرة او علماء اتقياء او عابدون

لا علاء كلمة الله واعزاز دينه قال الشيخ وهي جمع ربّي وهو منسوب الى الرّبّ اى كثير
من الانبياء قاتل معه ربّيّون اى علماء اتقياء صلحاء او عباد يدعون ربهم لانفاذ امر الله
ورضى له واعزاز دينه وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قُتِلَ بالبناء للمفعول وقرأ
الباقون قاتل فمن قرأ قاتل فلقوله فما وهنوا ويستحيل وصفهم بان لم يهنوا بعدما قتلوا
ومانوا ولقول سعيد بن جبير ما سمعنا ان نبيا قُتِلَ في القتال والحرب وان قاتل اعم فما
وهنوا اى ما عجزوا عن القتال ولم ينكسر جدّهم لما اصابهم في سبيل الله من
الشدة وغلبة العدو وقتل الاخوان او قتل نبيهم اخرج ابن المنذر عن ابن عباس
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله قال لقتل انبيائهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين
اى ما ضعفوا في الجهاد عند قتل اخوانهم او نبيهم على قول من قال به وما استكانوا اي
وما خضعوا للعدو ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من
الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف
بقتله عليه السلام وباعتضاد البعض بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان وبعدم
صبرهم على قتال العدو والله يحب الصابرين على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره
في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم بنصب اللام خبر كان واسمه الا
ان قالوا اى ما كان قول الذين قاتلوا مع انبيائهم من الامم الماضية الا هذا القول
اى ربنا اغفر لنا ذنوبنا اى الصغائر واسرافنا الكبائر في امرنا باضافة
الذنوب والاسراف الى انفسهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين هضما لانفسهم
ومعنى اسرافنا اى تجاوزنا حد العبودية اى ما كان قولهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق
الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا طلب العفو والتجاوز
عما فرط منهم فرضا لكونهم ربانيين براء من التفريط وثبت اقدامنا في مواطن الحرب
بالتقوية والتائيد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين
قدّم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الاقدام والنصر ليكون طلبهم ذلك من الله
تعالى عن زكاة وطهارة من الذنوب فيكون اقرب الى الاجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة
فآتاهم الله اى فاعطاهم الله بسبب دعائهم ثواب الدنيا من النصر والغنيمة والعز
وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة اى الجنة وحسنه التفضيل فوق الاستحقاق وقيد
ثواب الآخرة بالحسن ليدل على فضله والاعتداد به عنده والله يحب المحسنين
في الجهاد والطاعة اى هم محسنون والله يحبهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم اى يرجعوكم الى الشرك بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين
مغبونين في الدنيا والآخرة لعموم لفظ الخاسر قال علي رضي الله عنه نزل قوله تعالى ان
تطيعوا الذين كفروا الخ في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في

في دينهم ولو كان محمد نبيا لما قُتِلَ وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم
يردّوكم الى دينهم قال ابن الخطيب والاقرب الى الذهن ان يتناول قوله ان تطيعوا
الذين كفروا كل الكفار سواء ابي سفيان وغيره لان لفظ الكافر عام وخصوص السبب لا يمنع
عموم اللفظ اما خسران الدنيا فالانقياد للعدو واظهار الحاجة اليه واما خسران الآخرة
فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العذاب المخلد بل الله مولاكم اى ناصركم وحافظكم
على دينكم فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره كانه اضراب من قول القائل فليس الكفار بناصركم
حتى تطيعوهم بل الله ناصركم وهو خير الناصرين ان ينصركم الله فلا غالب لكم فاطيعوه دون
الذين كفروا سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب اى سنقذف الخوف الذي يرهبنا وقذف في
قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب مع كثرتهم وفوقهم وشوكتهم
حتى نادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ثم ابهم ندموا فقالوا بئس ما
صنعتم انكم لو قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فقذف
الله في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا اعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا
فاخبرهم بانا قد جمعنا لهم فاخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء
الاسد فانزل الله في ذلك قال بعض العلماء هذا القول يعني لما رجعوا وكانوا
ببعض الطريق اولى بالمقام لان السين في سنلقي تقتضي ذلك قال الشيخ رحمه الله قال
القفال كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الانهزام والواقعة في يوم احد فان الله تعالى
سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان
وقد فعل وهذا ينبك بان الرعب وقع لهم وهم باحد وهذا انسب باكرام الله لنبيه
في ذلك الحال وعليه المحققون والله اعلم والجمهور على اسكان العين وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب الرُّعُب بضم العين بما اشركوا بالله متعلق بسنلقي دون الرعب وما مصدرية
اى قذف الرعب بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين
عليهم ما اى آلهة وشركاء لم ينزل الله به اى بالآلهة سلطانا حجة ودليلا والمعنى
كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم بالله آلهة وشركاء لم ينزل الله بشرك
ذلك الآلهة حجة ودليلا وعذرا وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك
لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا بعدم انزال الحجة هنا لعدمها
في نفسها وذا لانها لا بان تحقق ولم تنزل كقول الشاعر : لا يفزع الارنب اهوالها : ولا ترى
الضب بها ينجحر اى لا ضب هناك ولا انجحار ولا ارنب ولا خوف وهنا لا الهة ولا برهان اصلا ومأواهم
اى مرجع المشركين النار وبئس مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول
الله مع اصحابه المدينة قال ناس من اصحابه من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل
ولقد صدقكم الله وعده اى حقق الله وعده اياكم بالنصر والظفر والغلبة بشرط التقوى

در تبیان حاکم از ابن عباس رضی الله عنه نقل میکند که گفت که خدای تعالی در هیچ موطنی پیغمبر خود را این نصرت نکرد که در حرب احد یعنی بدین سخن انکار کردند
و ابن عباس رضی الله عنه فرمود که بین از کتاب خدای تعالی میگویم که فرمود وعده نصرت من با شما درست آمد اذ تحسونهم آنهنگام که می کشتید
کافران را از روی شتاب باذنه بخواست خدای یا حکم یا بمعونت او در اول روز ظفر شما را بود حتی اذا فشلتم الی آخره تفسیر حسینی

والصبر وعدم المخالفة اذ اى صدقكم فى وقت تحسونهم تقتلونهم قتلا كثيرا ذريعا فاشيا
عن ابن عباس حسّه بالقتل اى ابطل حسّه بالقتل باذنه اى بامره وتيسيره وتوفيقه وكنتم غالبين
حتى اذا فشلتم اى جبنتم وضعف رايكم وملتم الى الغنيمة اى دام لكم الغلبة الى وقت
فشلكم حين خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالسهام والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم وتنازعتم اى اختلفتم فى الامر
اى فى امر النبى صلى الله عليه وسلم بالمقام فى سفح الجبل للرمى فقال بعضهم نذهب فقد نصر
اصحابنا فما موقفنا ههنا وقال الاخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم
عبد الله بن جبير فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله عز وجل وعصيتم
امر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما اراكم الله ما تحبون من الظفر
والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم او منعكم النصر فهو منتم
منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الاخرة يعنى
الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرت ان احدا من
اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد ونزلت هذه الاية ثم عطف
على ما قبله والجملتان اى منكم من يريد الدنيا الى الاخرة اعتراض بين بين المتعاطفين صرفكم
عنهم اى بعد ما ظفرتم على الاعداء ثم خالفتم ردكم الله عن الكفار والقى اليكم الهزيمة
بعد ان اظفركم عليهم يعنى ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم فدل انصراف الله المسلمين
عن الكفار على ان افعال العباد طاعة كانت او معصية انما هى بخلق الله تعالى فان الله تعالى اضاف الصرف
الى نفسه مع ان الصرف عن العدو فعلهم وانه لكونه فرارا عن الزحف من كباير المعصية كيف والحال
انهم خالفوا صريح نهى رسول الله وامره ليبتليكم على المصائب فيظهر المخلص من غيره ويمتحن
ثباتكم على الايمان عندها وهو متعلق بصرفكم وان مضمرة بعد اللام ولقد عفا الله عنكم
ما ارتكبتموه من عصيان امر الرسول عليه السلام لما علم من ندمكم لما فرط منكم من المخالفة وذلك
تفضلا لان التوبة غير مذكورة فدل على انه تعالى قد يعفو عن اصحاب الكباير على رغم اهل الاعتزال
ثم قال والله ذو فضل على المؤمنين بالعفو تفضلا وبالتوبة منه ولان الابتلاء رحمة
كما ان النصر رحمة اذ تصعدون متعلق بقوله تعالى ولقد عفا عنكم اى عفا عنكم اذ تصعدون
هاربين الى فوق احد فرارا والرسول يدعوكم فى اخراكم الى عباد الله ارجعوا الى عباد الله
ارجعوا وقال ابو حيان قرا الجمهور تصعدون من اصعد والهمزة فيه للدخول اى دخلتم
فى الصعيد كاصبح اذا دخل فى الصباح والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال
اصعدنا من مكة الى المدينة فالمعنى اذ تذهبون فى الارض ويؤيد ذلك قراءة ابى اذ تصعدون
فى الوادى وقرئ تصعدون بفتح التاء والعين من صعد فى الجبل اذا ارتقى اليه والجمع بين
القراءتين انهم اولا اصعدوا فى الوادى ثم لما رهقهم العدو صعدوا فى الجبل وقال
صاحب الديوان الاصعاد فى الارض والتصعيد فى الجبل والصعود فى السلم ولا تلوون على احد

اى لا يقف

اى لا يقف احد لاحد ولا ينتظره ولا يقيم له وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم
يقال لا يلوى على فلان اى لا يلتفت اليه واصله تلويون فاعل بحذف اللام والرسول يدعوكم
وكان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة فى اخريكم اى فى
آخركم ومن ورائكم يعنى فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى فلم يلتفت احد منكم اليه حتى صعدتم الجبل
الاخرى هى المتاخرة يقال جئت فى اخر الناس واخراهم كما تقول فى اولهم واولاهم بتاويل
مقدمتهم وجماعتهم الاولى ففى هذا القول مدح له صلى الله عليه وسلم فان ذلك موقف الابطال فى
اعقاب الناس فانه صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس كما قال سلمة بن الاكوع كنا اذا احمر
البأس اتقيناه برسول الله صلى الله عليه وسلم فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله على صنيعكم
غما متصلا بغم اى غما مضاعفا بعد غم كغم القتل والجروح وغلبة المشركين والارجاف
بقتل الرسول وفوت الغنيمة والنصر اى فجازاكم الله غما بسبب غم اذ اغممتم رسول الله بعصيانكم
ومخالفتكم لامره قال ابو حيان وسمى الغم ثوابا على معنى انه قائم فى هذه النازلة مقام الثواب
الذى كان يحصل لولا الفرار فهو نظير قوله تحية بينهم ضرب وجيع وقال الراغب الثواب
يقال فى الخير والشر لكن الاكثر المتعارف فى الخير لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اى فعل الله بكم
ذلك لتتمرنوا وتتعودوا على الشدايد والمصايب وتجرع الغموم والنوازل فلا تحزنوا فيما بعد
على نفع فايت وضر لاحق ولا ما اصابكم اى ولا على ما يصيبكم من المضار وما اصابكم من القتل
والهزيمة قال الشيخ اللام فى لكيلا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان فى عفوه سبحانه
ما يزيل كل هم وحزن وان يتعلق بقوله فاثابكم ولا عند الجمهور باقية على معناها من النفى
يعنى غير زايدة فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة لتتمرنوا على تجرع الغموم
الخ كما ذكرنا وليصير ذلك زاجرا لهم عن المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وامر رسوله
وعلى قول الحسن جعلكم الله مغمومين يوم احد فى مقابلة ما جعلهم الله اى الكفار مغمومين يوم
بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصايبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوايدهم وقيل لا زايدة والمعنى
لتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل يجوز
ان يكون الضمير فى اثابكم للرسول اى فجعلكم الله اسوة وقدوة فى الاغتمام فكما غمه ما نزل به من
كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمكم بما نزل بكم من انواع المصايب فاثابكم غما غمه لاجلكم بسبب
غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو والله خبير بما تعملون
اى باعمالكم وبما قصدتم بها وهذه الجملة تقتضى تهديدا وخص العمل هنا وان كان خبيرا باقوال
والنيات ايضا تنبيها على اعمالهم من تولية الادبار والمبالغة فى الفرار وهى اعمال تخشى عاقبتها
لانهم هربوا الى الجبل والنبى ذهب اليهم يدعوهم حتى وصل الى الصخرة وهم على الجبل فعرفوا النبى
ونزلوا الى الصخرة فاقبل ابو سفيان واصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم
غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم من قبل فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليس لهم ان تعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض ثم ندب اصحابه
فرموهم بالحجارة حتى انزلوهم ثم عطف على قوله فاثابكم انزل عليكم يا معشر المسلمين والخطاب
لهم لا للمنافقين من بعد الغم اي الغم المذكور يعني فاثابكم غما بغم امنة اي الامن نعاسا
بدل من امنة اي نعاسا ساذا امنة والمعنى ثم انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف
الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا
فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن ونعاسا بدل من
امنة او هو مفعول وامنة حال منه متقدمة عليه نحو رايت راكبا رجلا والاصل عليكم نعاسا ذا
امنة اذ النعاس ليس هو نفس الامن وقد مر الفرق بين النوم والنعاس في تفسير اية الكرسي
ويجوز ان يكون امنة مفعولا له او حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن كبار
وبررة قال محي العرض والسنة الامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب
الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف ههنا قايما يغشى قرا حمزة والكسائي
تغشى بالتاء ردا الى الامنة وقرا الباقون بالياء ردا الى النعاس والجملة صفة له اي يعلو النعاس
في صف القتال طايفة منكم والطايفة المؤمنون حقا لانهم اهل اليقين والصدق والوثوق بالله
قال ابن مسعود رضي الله عنه النعاس في القتال امنة وفي الصلوة من الشيطان لانه في
القتال لا يكون الا من الوثوق بالله وفي الصلوة لا يكون الا بالغفلة عن عظمة الله وقال
ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن والخايف لا ينام وطايفة هم المنافقون
وطايفة مبتدا حذف خبره اي ومن بينكم طايفة منافقة فاجرة فاسقة قد اهمتهم انفسهم
اي اوقعتهم انفسهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وخلاصها لا هم الدين
ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكانوا يقولون لو كان لنا من الامر الخ يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ويجب ان يظن به وهو ان لا ينصر
محمد مع اخبار النبي بالنصر مع الصبر والتقوى وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة
الجاهلية واهلها اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله حيث ان النبي قد قتل
او لا ينصر فقوله قد اهمتهم صفة اولى لطايفة وقوله يظنون الخ صفة اخرى لها او حال او استينا
على وجه البيان لما قبله كانه قيل ما بالهم اهمتهم انفسهم فاجيب بانهم يظنون وغير الحق
نصب على المصدر اي غير الظن الحق الخ يقولون لرسول الله واصحابه بدل من يظنون هل لنا
اي ما لنا لفظه استفهام ومعناه نفي اي ليس لنا من الامر اي من امر النصر من شيء مما
وعدنا الله من النصر والغنيمة اصلا يعني انا منعنا تدبير انفسنا وتصويبها باختيارنا فلم يبق
لنا من الامر شيء او هل يزول قهر المشركين عنا فيكون لنا من الامر شيء وهذا قول ابي حين
اخبر بقتل بني الخزرج فالاستفهام ليس على حقيقته يعني للاسترشاد بل للانكار والجحد
والنفي وقال السلطان معناه هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط يعني
الاستفهام على حقيقته يعني انهم يقولون لرسول الله ويسالونه سؤال المؤمنين المسترشدين

هل لنا يريد ان هل لنا معاشر المسلمين نصيب مما امر الله تعالى ووعد من النصر والظفر على الكفار
قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهذه الجملة اعتراض واقع بين الحال وذيها وقرا ابو عمرو
ويعقوب كله بالرفع على الابتداء ولله خبره والجملة خبر ان وقرا الباقون بالنصب فيكون
تاكيدا لاسم ان والاية تدل على ان جميع المخلوقات بخلق الله وقضائه وقدره لان المنافقين
قالوا لو ان محمدا قبل منا راينا ونصحنا لما وقع في هذه المحنة فاجابهم الله بان الامر كله لله
كناية عن كونه لخواصه لكونهم بمكان من الله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين للانكار
والتكذيب اذ لو قالوا ذلك جهارا لما كانوا منافقين بل كانوا كفارا مجاهرين ففيه طباق ومقابلة
بين الاخفاء والابداء والاثبات والنفي يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض
وهو بدل من يخفون او استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون
فقيل يحدثون انفسهم يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي
ولو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم لغالبون لما غلبنا قط ولما
قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابن
ابي وغيره قل لهم لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقول
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في
اللوح المحفوظ الى مصارعهم ومحل قتلهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم احد فان الله قدر
الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه اي لا يجيء عقيب قضائه ما يغيره وليبتلي الله اي فرض
الله عليكم القتال ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل
محذوف كما قدرنا او عطف على علة محذوفة اي لبرز لنفاذ القضاء ولمصالح جمة وللابتلاء او
على قوله لكيلا تحزنوا وقيل عطف على ليبتلي الاولى وانما كررت لطول الكلام وليمحص ما في قلوبكم
التمحيص التصفية اي ليصفيه ويكشفه ويطهره ويميزه او ليخلصه من الوساوس والشبهات ويطهره
وينقدسه فان قيل قد ذكر الابتلاء في قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم فلم اعاده قلنا لان الابتلاء
الاول هزيمة المؤمنين وهنا في ساير الاحوال والله عليم بذات الصدور من الخير والشر وخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء والامتحان لانه عالم بجميع
المعلومات وانما امتحنهم ليميز المؤمنين ولتمرينهم ويظهر حال المنافقين ان الذين تولوا اي
انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين يوم التقى الجمعان اي جمع محمد وجمع ابي سفيان في غزوة
احد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين
وهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص كما ذكرنا من قبل انما استزلهم
الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان لعنه الله طلب منهم الزلل والخطيئة والحمل
بوساوسه وتسويله فاطاعوه وتركوا المركز ببعض ما كسبوا اي وذلك الزلل بسبب بعض ذنوب

صدرت منهم قبل لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة او المراد انما انهزموا
بسبب ما كسبوا في ذلك اليوم من الذنوب كالحرص على الغنيمة وعلى الحياة بعد النبي واصحابه
وترك المركز فمنعوا بشوم الذنوب التاييد الالهي وقوة القلب وهذا هو الظاهر وقيل استزلهم
الشيطان بذكر ذنوبهم سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة
من تلك الذنوب والاضافة الى الشيطان لطف وتقريب والتخليل بكسبهم وعظ وتاديب
ولم يواخذ بجميعها لانه سبحانه عفو يعفوا عن كثير ثم طيب قلوبهم بعد التوبيخ بقوله ولقد
عفا الله عنهم اى تجاوز عنهم لتوبتهم واعتذارهم الى النبي مما وقع لهم من الحيرة ان
الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب وهذا سر قوله عليه السلام
لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم يا ايها الذين امنوا لا
تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين كابي واصحابه وقالوا لاخوانهم في النسب
او النفاق والمذهب اى في حقهم ولاجلهم لان اوليك الاخوان كانوا ميتين عند هذا القول
ومعنى اخوتهم في الجنس او النسب فان بعض المقتولين من المسلمين كانوا من اقارب المنافقين
وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم بحال المومنين وتنفيرا من مماثلتهم اذا
ضربوا في الارض اى حين سافروا فيها وابعدوا للتجارة وغيرها فماتوا في سفرهم واذا
هنا بمعنى اذ الموضوع للماضي لان اذا مدخولها المضارع وهو غير مناسب لقوله وقالوا لانه
لا يجوز ان يكون القول الماضي مظروف زمان لم يات بعد ولهذا قال السلطان وكان حقه
اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا اى اخوانهم غزى جمع غاز
كعاف وعفى او خرجوا الى الغزو فاصابهم موت او قتل قال الامام الواحدي في الاية
محذوف تقديره اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وانما قوبل الضرب في الارض
بقوله او كانوا غزى باعتبار ان الغزاء قد يكون بدون السفر كما وقع في احد وكانوا
اى الاخوان عندنا اى مقيمين بالمدينة ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وذكر اخوانهم
بطريق الغيبة يعني بل لو كانوا عندنا الخ دون لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم يدل على ان
اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك اى ليصير الله قولهم لاخوانهم اذا ضربوا
الخ وظنهم واعتقادهم الفاسد حسرة اى غما وندامة في قلوبهم اى في قلوب المنافقين
فان الدنيا او الاخرة فاللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا فهو متعلق بقالوا
او متعلق بلا تكونوا ويكون اللام على حقيقة العلية والغرض اى لا تكونوا ايها المومنون كهوءلاء في النطق
بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك اشارة
الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان
مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت الواو للحال اى هو المحيي والمميت
وحده في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد فالاية رد لقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا والله بما تعملون بصير فيجازيكم على

الاعمال قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة على انه وعيد للذين كفروا والباقون بالخطاب
مع المومنين على انه تهديد لهم على ان يماثلوهم او وعد لهم لانهم ما ماثلوهم ولئن اللام
هي الموطئة للقسم محذوف وجوابه قوله لمغفرة وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده
لكونه دالا عليه قتلتم في سبيل الله اى والله ان قتلتم في الغزو والله تعالى او متم
في سبيل الله مومنين قرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات كخاف يخاف والاصل
موت بكسر العين كخوف والباقون بضمها من مات يموت لمغفرة كائنة من الله لذنوبكم بسببه
اللام لام الابتداء وهي مع ما بعدها جواب القسم وهي مرفوعة بالابتداء ومن الله صفة لها
ورحمة من الله اى ونعيم الجنة عطف على المغفرة مستاثان خير خبره ولا تكرار في ذكر الرحمة
مع المغفرة لانه يرحم ثم يغفر مما يجمعون قرأ حفص بياء الغيبة اى خير مما يجمعه الكفار و
الباقون بتاء الخطاب لجمع المسلمين من الغنائم جريا على قوله ولئن متم او قتلتم والمعنى ان
السفر والغزو ليسا مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع في سبيل الله فالذي تنالون
من المغفرة والرحمة بالموت او القتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة ولئن متم او قتلتم اى والله على اى وجه
اتفق هلاككم في سبيل الله لالى الله تحشرون اى لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة
تبعثون بعد الموت فيجازيكم بالثواب العظيم لا الى غيره سبحانه فتطلبون فبما رحمة من الله
لنت لهم اى فبرحمة وما صلة وزينة لتاكيد الحصر والجار والمجرور مقدم على
لنت للدلالة على ان لينه عليه السلام للاصحاب بعد الانهزام ما كان الا رحمة من الله ومعنى
لنت لهم سهلت لهم اخلاقك وكثرت حلمك وتلطفت وما عيرتهم وربطت على فزع قلبك
واضطرابه حتى اغتممت لهم بعد ان خالفوك في امرك والفاء للترتيب على ما دل عليه سياق الكلام
من انهم كانوا مستحقين للعقاب البليغ وان المرجو منه عليه السلام ما هو مقتضى الطبع البشري
ان يعنف عليهم ويغلظ في مخاطبتهم ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا سيئ الخلق والملكة
جافيا غليظ القلب اى قاسيه بان لا يرحم ولا يرق للمبتلى قال الراغب الفظ الكريه
الخلق قال ابو حيان الغلظ اصله في الجرم وهو تكثر اجزائه ثم استعمل في قلة الانفعال
والاشفاق والرحمة لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما
يختص بك اى تجاوز عن فعلهم باحد واستغفر لهم فيما لله اتماما للشفقة عليهم اى اطلب المغفرة
من الله لذنوبهم يعني اشفع حتى اشفعك فيهم وشاورهم في الامر اى في امر الحرب اذ بحثنا فيه او فيما
يصح ان يشاور فيه بان لم يرد فيه النص لان النص والوحي اذا جاء بطل الراى والمشاورة
ولهذا قرا ابن عباس رضي الله عنه وشاورهم في بعض الامر يعني شاورهم استظهارا برايهم
وتطييبا لقلوبهم فان سادات العرب اذا لم يشاوروا شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة
اصحابه وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به
بعده وتصير سنة فالمشاورة مقبولة قال عليه السلام ما تشاور قوم قط الا هدوا

لا يرشد امورهم قال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولما نزل
وشاورهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن الله جعلها
رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ومن تركها لم يعدم غيا رواه البيهقي في الشعب
بسند حسن وفيه دلالة على جواز الاجتهاد وبيان ان القياس حجة فاذا عزمت على امضاء ما
تريد بعد المشورة اي وطنت نفسك على شيء يعني اذا انقطعت الراي على شيء بعد المشورى
ووضوح الراي فتوكل على الله لا على المشورة ولا على اصحابها في امضاء امرك على الارشد
الاصلح فانه لا يعلم الاصلح سوى الله اي ثق بالله وقم بامر الله واستعنه وقال جعفر رضي الله عنه
امر الله رسوله باستقامة الظاهر مع الخلق وتجريد باطنه للحق الا تراه يقول فاذا عزمت فتوكل
على الله قال في العرايس العفو والاستغفار من سامحة الله لهم يعني فاعف عنهم تقصيرهم قلة
عرفانهم اقدارك واستغفر لهم ما يجري في صدورهم من الخطرات التي لا تليق بالمعرفة وما يجري
على صورهم من الحركات التي لا تليق بصحبتك ومجالستك لانك مستغرق في الربوبية وهم يطلبونك
في مقام العبودية وهم في وصف المحبة والارادة وانت في محل التوحيد تشاهد مطالع شموس
الازال واقمار الاباد وقال سادة المشايخ اذا عزمت بعد مشاورة استصواب الاراء المنورة
بنور الالهام فتوكل على الله لا على تلك الاراء فيما يظهر من الامور مما تكرهه وتحبه فانه اعلم
بالاصوب منه لك منك كما قال الله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية وقد ذكر شيخنا
عبد القادر الجيلاني قدس سره معاني التوكل في غنية فراجعه ان الله يحب المتوكلين
فينصرهم ويهديهم الى الصلاح وهذه الاية تدل على انه ليس التوكل ان يهمل الشخص نفسه
بالكلية والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للتوكل بل التوكل ان يراعي الاسباب الظاهرة
ولكن لا يعول عليها بل يعول على عصمة الحق ويفوض الامر اليه اذ التوكل الاعتماد على الله
مع اظهار العجز والجمهور على فتح التاء في عزمت وقرئ بضمها على التكلم اي فاذا عزمت لك
على شيء وعينته لك وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان ينصركم الله
كما نصركم يوم بدر يعني يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم فلا غالب لكم اي فلا احد يغلبكم
وان يخذلكم اي يترك نصركم كيوم احد فمن ذا الذي ينصركم اي من يمنعكم من عدوكم
من بعده اي من بعد خذلان الله او من بعد الله معناه اذا جاوزتموه فلا ناصر
ولا معين لكم سواه وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه وتحريض على فعل
طاعة يستحق به النصر من الله وتحذير على فعل شيء يستوجب خذلان الله ونظيره ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون
اي وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يقتضي
ذلك وما كان لنبي ان يغل اي ما صح لاحد من الانبياء ان يخون في الغنائم فكيف
لمن هو افضل الخلق فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه خفية والمراد منه ابراءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روي ان قطيفة

حمراء

حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها فنزلت او ظن به
الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا
فهو له ولا يقسم الغنائم فنزلت واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلايع
فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعث الطلايع فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع
فنزلت والمعنى على هذا ما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية
وتكون تسمية حرمان بعض الغزاة غلولا ارشادا او تعظيما لجانب الرسول عليه السلام حيث
عد ادنى زلة منه غلولا ان صح ذلك بل ذلك بعيد عن ساحة طهارته وليس تغليظا
وتقبيحا لصورة الامر اي لجعل بعض المستحقين محروما كما هو دابنة الاقرع في حقه عليه السلام
في كثير من الايات فان عادة الله قد جرت بالتلطف مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله
عفا الله عنك لم اذنت لهم بداءه بالتلطف والحلم وحيث لم يقل ما كان لك ان تغل بالخطاب
بل قال لنبي اي بنبي منكر غير معين اي ما صح لنبي من الانبياء ان يغل فيكون نفيا للعام فيستفاد
منه ضمنا نفيه عليه السلام فان فيه تعظيما لجانبه فلا يليق لاحد ان يتكلم هذه العبارة الشنيعة
في حقه عليه السلام مع امكان حمل الاية على احسن الوجوه واما قوله تعالى لئن اشركت او فلا
تكونن في مرية فهو من باب التعريض والكناية فلا يكون التقبيح متعلقا به عليه السلام وقيل
معناه ما كان يظن به ذلك ولا يليق به وقيل معناه ان يخون والمراد منه الامة وما كان
ان يخان يعني ان تخونه امته او ما كان لنبي ان يخون وينسب الى الخيانة سبحان من قدس
اسرار نبيه عن دنس الخطرات ووصفه بالامانة تعظيما لشانه عن انباء الغيب بحيث لم يجر
على قلبه الطاهر المغسول بيد الملئكة بماء الزمزم والثلج والبرد عند بيان الشريعة والطريقة
مداهنة لروية شريف ووضيع ولم يخف حق الله عن عباده واعطى علم الحق لاهل الحق
وبين للمحجوبين اية الحق ببرهان الحق ولم يخط خطوة لحظ نفسه فان الغلول هو
الخيانة في الغنيمة وغنيمة الانبياء في الحقيقة ما يجدون من الله كل حين من الواردات
الالهية التي لا يجدها احد غيرهم ويجب عليهم اظهار هذه الغنيمة وافاضتها الى
قلوب المحتاجين المنكرين لانهم خلقوا لهذه المصلحة قال يحيى العلوي ما كان لنبي ان
يضع اسراره الا عند الامناء من امته وسبحان من نزه انبياءه عن الغلول وصان
خصالهم واحوالهم عنه قبل النبوة وبعده اما خصالهم فان الغال خائن كما قلنا والانبياء
امناء الله على وحيه واما احوالهم لان من حال الغال ان يكون الغالب على امره النفس وهواها
ومغلوب النفس والهوى لا يصلح للنبوة لان النبي صالح ان يكون شفيعا لامته يوم القيمة والشفيع
هو الذي ينجو بنفسه ثم ينجي غيره ثم لنزاهة نبيه عن ذلك قال ومن يغلل يأت بما
غل يوم القيمة اي يات بالذي غله يحمله على عنقه فكيف المعاقب بجازات الغلول
ينجي غيره من العقوبة وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يغل احدكم شيئا الا جاء به يوم القيمة
يحمله على عنقه رواه الشيخان واخرج الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره ثم قال الا لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته
بعير له رغاء فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك لا الفين
احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته فرس لها حمحمة فيقول يا رسول الله اغثنى الى الحديث فعلى
هذا يكون المراد بما غل معناه الحقيقى اى يجئ بعين ما غله وعليه اكثر المفسرين وقال بعضهم
اريد بما غل اى بما احتمل من وباله واثمه قال الكلبى يمثل له ذلك الشئ فى النار ثم يقال له انزل
فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ موضعه وقع فى النار ثم كلف ان ينزل اليه فيخرجه
يفعل ذلك به مرارا وقال صلى الله عليه وسلم اذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا متاعه واضربوه وروى
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال
وضربوه وقال صلى الله عليه وسلم فى حق مدعم لما جاءه سهم غائر فاصابه فقتله فقال
الناس هنيئا له الجنة قال صلى الله عليه وسلم كلا والله ان الشملة التى اخذ يوم خيبر من المغانم
لم تصبها المقاسم تشتعل عليه نارا وقال عليه السلام لمن جاءه بشراك قد غله او شراكين
شراك من نار او شراكان من نار واخرج هناد وابن ابى حاتم عن ابى هريرة ان رجلا قال
له ارايت قول الله ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة هذا يغل الف درهم والفى درهم يات بها
ارايت من يغل مائة بعير ومائتى بعير كيف يصنع بها قال ارايت من كان ضرسه مثل احد
وفخذه مثل ورقان وساقه مثل بيضا ومجلسه ما بين الربذة الى المدينة الا يحمل مثل هذا
اما قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة قلنا معناه ياتى به مكتوبا فى
ديوانه او ياتى حاملا اثمه ومعنى فرادى اى منفردين عن الاموال والاهل ومعنى الشركاء فى
الفرار عن الهتهم المعبودة من دون الله وتمام الاية يشهد لكل فان قيل فى الصحيحين
عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الغال ياتى يوم القيمة حاملا عين ما غله على عنقه صامتا كان او
ناطقا قلنا فعلى هذا يكون المراد بقوله ولقد جئتمونا فرادى اى عن مال واهل يعرفون
بها ويتنصرون والمسروق لا يعتريه السارق فى ذلك الحال ولا يتنصر فهو منفرد عن مال ينفعه
ثم توفى كل نفس ما كسبت اى يعطى جزاء ما كسبت وافيا تماما وكان اللائق بما قبله ان
يقال ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله ياتى بما غل لفظا لكنه جئ بعام يدخل تحته كل كاسب
من الغال وغيره ليكون كالبرهان على المقصود الذى هو ان يوفى الغال جزاء ما كسبه لان
توفية كل نفس جزاء ما كسبت تستلزم توفية الغال جزاء ما غل مع المبالغة فى ذلك فانه اذا
كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه واثمه اولى بذلك وكلمة ثم للتفاوت بين
حمله ما غل وبين جزائه او للتراخى الزمانى اى بعد حمله ما غله مدة مديدة وجعله منتظرا فيما
بين الناس مفتضحا حاملا ما غله توفى منه كل نفس وهم لا يظلمون اى كل واحد من افراد
الناس المدلول عليهم بكل نفس لا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم افمن
اتبع رضوان الله بان اخذ الحلال من الغنيمة الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف اى امن
اتقى فاتبع بالطاعة رضاء الله اى سعى فى تحصيله كالنبى ومن يسير سيرته لم يقل مأواه الجنة ونعم

المصير اشارة الى ان رضوان ليس مما ينظر اليه فى نظر العارف مثوبة اخرى بل كان كلاهما سواء
فهو مضمحل فى جنبه كمن باء اى رجع بسخط اى بشدة ارادة انتقام كائن من الله
تعالى بسبب المعاصى كالغال ومن يدين بدينه والمراد بقوله افمن اتبع الخ نفى الغلول عن سيد الانبياء
صلى الله عليه وسلم كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل السافلين
ومأواه اى مقام من غل من الغنيمة جهنم وبئس المصير اى بئس المصير جهنم اى الموضع الذى
صار اليه النار والفرق بين المصير والمرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى لان فى صار
معنى الانتقال من حال الى حال وضعا نحو صار العصير خلا بخلاف رجع فانه ليس فى وضعه معنى
الانتقال المذكور فان الرجوع عود الى عين ما كان عليه من الحال الاول هم درجات مبتدأ
وخبر والضمير لمن اتبع رضوان الله ومن باء بسخط يعنى هم ذوو درجات اى اصحاب منازل
ورتب فى الثواب والعقاب عند الله قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى من اتبع رضوان الله
ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء
بسخط من الله العذاب الاليم والله بصير كما هو عليم بما يعملون اى باعمالهم ودرجاتها صادرة
عنهم فيجازيهم على حسبها من الغلول وعدمه وفسر الاعرج البصير بالعالم وكذلك السميع
اى والله عليم وتبعه ذوى الجهة والمدارك والسلطان فانه يحمل سمعه تعالى وبصره على العلم
بالمسموعات والمبصرات وهذا مخالف لما عليه الجمهور قال السيد الشريف قدس سره فى شرح المواقف
تنبيه قد تقدم فى مباحث العلم ان طائفة من اهل الاعتزال تزعمون ان الادراك اعنى السمع
والبصر نفس العلم بمتعلقه الذى هو المدرك وقد ابطلناه بانا اذا علمنا شيئا علما تاما جليا
ثم ابصرناه فانا نجد بالبداهة بين الحالتين فرقا ونعلم بالضرورة ان الحالة الثانية تشتمل
على امر زائد مع حصول العلم فيهما فذلك الزائد هو الابصار فهؤلاء زعموا ان السمع والبصر
نفس العلم بالمسموع والمبصر عند حدوثهما فيكونان حادثين وراجعين الى العلم لا صفتين
زائدتين عليه وفى المحصل اتفق المسلمون على انه تعالى سميع بصير لكنهم اختلفوا فى معناه فقالت
الفلاسفة والكعبى وابو الحسين البصرى ذلك عبارة عن علمه بالمسموعات والمبصرات وقال الجمهور
منا ومن المعتزلة والكرامية انهما صفتان زائدتان على العلم والقرآن وكذا الحديث مملو بهما بحيث
لا يمكن انكاره ولا تاويله لانه معلوم ضرورة بلا اشتباه فيه انتهى وقال المحقق التفتازانى
فى شرحه على العقائد العضدية ان الله سميع بصير للدلائل السمعية وهما صفتان زائدتان على
العلم كسائر الصفات لظواهر الايات والاحاديث وليسا راجعين الى العلم بالمسموعات والمبصرات
كما تقوله الفلاسفة وقال التفتازانى فى شرح المقاصد فان قيل لو كان السمع والبصر
قديمين لزم كون المسموع والمبصر كذلك لامتناع السمع بدون المسموع والابصار بدون المبصر
قلنا ممنوع لجواز ان يكون كل منهما صفة قديمة له تعلقات حادثة كالعلم والقدرة انتهى
وقد اطنبنا الكلام فى هذا المقام لاقتضاء المقام ذلك لقد من الله على المؤمنين
اى انعم على من امن مع الرسول من قومه واختصه اليهم ببعثة هذا الرسول وتخصيصهم

مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها والمنان في صفة الله تعالى المعطي ابتداء من
غير سوال وطلب عوض وقرئ لمن منّ الله على انه خبر مبتدإ محذوف والتقدير لمن منّ الله
على المومنين منه او بعثه ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر فريقي الرضوان وفريق
السخط مجملا فصّل احوال المومنين وسلاهم عما اصابهم يوم احد من القتل والجرح بما اتاهم يوم
بدر من الظفر والغنيمة ثم فصّل احوال المنافقين الذين هم اهل السخط اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم اي بعث رسولا كاينا من نسبهم اي من ولد اسماعيل كما انهم ولده او من جنسهم
عربيا مثلهم لا ملكا ولا عجميا ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق
والامانة والعفة والصيانة والرقة مفتخرين به كما قال الله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة عليها الصلاة والسلام من انفسهم بفتح الفاء اي
من اشرفهم لانه عليه السلام من اشرف قبايل العرب وبطونهم لان عدنان ذروة ولد اسماعيل
ومضر ذروة عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة
وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد
حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به
وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل يتلو عليهم اياته صفة اخرى لرسولا اي يتلو
عليهم القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم اي ويطهرهم بالايمان من دنس
الكفر والطغيان ومن سوء العقايد والاعمال او ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب اي القران
والحكمة اي السنة وهو صفة اخرى لرسولا وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان انهم كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر
ثم ان الله وقف المومنين على الخطاء في قلقهم للمصيبة التي نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار
فقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها صفة لمصيبة قلتم جواب لما
فانه ظرف بمعنى الحين انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو في ولما عاطفة للجملة التي قبله اي
على ما ذكرنا من قوله ولقد صدقكم الله وعده الى قوله وان كانوا لفي ضلال مبين لان الكلام متعلق
بقصة احد من غير تخلل اجنبي تقديره ولقد صدقكم الله الخ وقلتم حين اصابتكم الخ او معطوف على
فعل مقدر تقديره افعلتم كذا من الفشل والتنازع ولما اصابتكم باحد الخ او اقلتم حين اصابتكم
مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر
سبعين من اين اصابنا هذا القتل والهزيمة وقد وعدنا الله النصر ونحن مسلمون ورسول الله فينا
قل في جوابهم هو من عند انفسكم اي انتم السبب فيما اصابكم يعني بما اقترفته
انفسكم من مخالفة امر الرسول بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة
او بسبب اختياركم الفداء يوم بدر وذلك حين جاء جبريل عليه السلام الى النبي فقال يا محمد ان الله

قد كره

قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيّرهم بين امرين اما
ان يقدموا فتضرب اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان تقتل منهم عدتهم فذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا ناخذ
فداءهم فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره فقتل منهم
يوم احد سبعون رجلا عدة اسارى اهل بدر رواه علي الحديث حسن اخرجه ابن ابي شيبة
والترمذي وغيرها ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وقد جازاكم بمخالفتكم والايات من جملة معجزاته عليه السلام وما اصابكم
يوم التقى الجمعان اي جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله اي ليس من عند
انفسكم استقلالا بل ذلك كاين بقضاء الله وحكمه هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما اي بعلمه
وقضايه وتخليته الكفار وسمي التخلية اذنا لانها من لوازم الاذن فان الاذن في الشيء تخلى
بين المأذون ومراده ولا يمنعه منه وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا معطوفة على معنى
قوله فباذن الله والمعنى ما اصابكم فهو كاين ليتميز المومنون والمنافقون فيظهر ايمان هولاء وكفر
هولاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة اي قيل للذين نافقوا كابن ابي واصحابه
حين تفقدوا عن الحرب وانقطعوا عن احد او كلام مبتدأ تعالوا اي تعالوا ولا تنقطعوا
عنا قاتلوا في سبيل الله اعداءه لوجه الله لا لحظ انفسكم ولدفع البلاء عن اهليكم
او ادفعوا عن الانفس والاموال الكفار عنا بتكثير سوادكم ان لم تقاتلوا لوجه الله فهو تقسيم
للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال قالوا في الجواب
لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعني لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا اي شيئا ولو يسيرا من امر الحرب
لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء فكذبهم الله بقوله هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
والمعنى كانوا كاتمين للنفاق فكانوا في الظاهر ابعد من الكفر عند من ينظر الى ظاهرهم فلما ظهر منهم
ما كانوا يكتمونه صاروا اقرب للكفر لانهم لما انخزلوا وانقطعوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا
بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر او هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذ كان انخزالهم وبقاؤهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمومنين او يزيد قربهم الى الكفر ويبعد على قربهم
الى الايمان وهذا المعنى اظهر لانهم لما اظهروا من استهزائهم بالمعنى فعلا وقولا وكانوا قبل ذلك
اقرب الى الايمان في الظاهر وهذا هو معنى قولنا انهم قبل ذلك اليوم كانوا كاتمين الخ كما ذكرنا يقولون
اي قايلين بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف ما يضمرون لا يوافق قلوبهم السنتهم
بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد لصدور القول منهم ولنفي المجاز وتحقير لقولهم والله
اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم
تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا المراد هم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم
يريد من قتل يوم احد من اخوان المنافقين في النسب لا في الدين او من جنسهم في النفاق فيندرج

فيهم بعض الشهداء الذين مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدا محذوف وقيل مبتدا
وخبره قل فادرؤا بحذف العايد تقديره قل لهم الخ او نعت للذين نافقوا او بدل منه او مجرور
بانه بدل من ضمير افواههم **وقعدوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد اى قالوا وقد قعدوا عن
القتال بالانخزال فلا يرد الاعتراض بان عبد الله بن ابي قد خرج من المدينة يوم احد فكيف
يكون مرادا بالذين قالوا وقعدوا **لو اطاعونا** اى فيما امرناهم به ووافقونا **ما قتلوا** كما لم نقتل
وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا **قل** لهم يا محمد تبكيتا واظهارا لكذبهم
فادرؤا اى ادفعوا **عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين**. اى ان كنتم صادقين
انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى
بكم وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا والمعنى ان القعود غير مغن فان
الحذر لا يغني عن القدر وايضا ان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود
للنجاة قد يكون الامر بالعكس فعلم بالضرورة ان كلما يجري في العالم بقضاء الله وقدره فلا فرق في
التحرز بين الموت والقتل وان كان يوهم عند من لا بصيرة له بان التحرز عن القتل ممكن دون الموت
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا اى لا يظنن النبي بان الذين قتلوا في طاعة الله
امواتا **بل احياء** اى بل احسبهم احياء مقربين **عند ربهم** اى ذووا زلفى منه بمعنى القرب
شرفا ورتبة والغرض الاعلام بحياتهم ترغيبا في الجهاد ومعنى عند ربهم اى ارواحهم في حواصل طير
خضر تسرح في الجنة حيث شاءت يعني انهم يتنعمون كالاحياء عند ربهم **يرزقون** من الجنة
مثل ما يرزق ساير الاحياء من الماكل والمشارب وهو تاكيد لكونهم احياء اخرج الحاكم و
صححه عن ابن عباس قال نزلت قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا الخ في حمزة واصحابه
وهم قتلى احد استشهد منهم سبعون رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب
بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار وقيل نزلت في
شهداء بدر كانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقيل ان اولياء الشهداء
كانوا اذا اصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في نعمة واباونا وابناونا واخواننا
في القبور فانزل الله تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم اى لا تظنن الذين قتلوا الخ واخرج
ابو داود وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم
وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا وفي لفظ من يبلغ اخواننا انا احياء
في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله انا ابلغهم عنكم فانزل الله
هذه الايات ولا تحسبن الذين قتلوا الاية وفي رواية مسروق عن عبد الله عن هذه الاية
فقال عبد الله اما انا قد سالنا عن ذلك فقال ان ارواحهم كطير خضر ويروى في جوف طير

خضر

خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى قناديل معلقة بالعرش فبيناهم كذلك اذ طلع
عليهم ربك اطلاعة فقال سلوني ما شئتم قالوا يا رب كيف نسالك ونحن نسرح في الجنة حيث
نشاء فلما راوا انهم لا يتركوا من ان يسالوا فقالوا نسالك ان ترد ارواحنا الى اجسادنا في الدنيا نقتل
في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان لا يسالوا الا هذا تركوا يقول الكاتب محمد تابعه ربه اني رايت
في مشرة روح القدس الطاهر للطهر على تمثال طير اخضر في جوانب قبته الخضراء ولا يمكن الاحاطة
بذكر اوصافه سوى ان وجهه الكريم كوجه الانسان صلى الله عليه وسلم والحكاية طويلة وقرئ بالياء
على الاسناد الى ضميره عليه السلام او الى ضمير من يحسب اى لا يحسبن حاسب وقيل الى الذين قتلوا
والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جاز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبن الذين
قتلوا انفسهم امواتا وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين وقرئ احياء بالنصب على
بل احسبهم احياء بلفظ الامر **فرحين** حال من ضمير يرزقون **بما اتاهم الله من فضله**
وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتنعم بنعيم الجنة **ويستبشرون**
عطف على فرحين اى يسرون بالبشارة ويفرحون قال السدي يرى الشهيد بكتاب فيه
من يقدم عليه من اخوانه واهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وفلان يوم كذا فيستبشرون حين
يقدمون عليه كما يستبشر اهل الغايب بقدومه في الدنيا **بالذين لم يلحقوا بهم** اى باخوانهم
المومنين المجاهدين الذين لم يقتلوا معهم فيلحقوا بهم **من خلفهم** اى يريد الذين قد بقوا بعدهم
وخلفهم زمانا او رتبة يعني لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم او بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم **الا**
اى بان لا **خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل اشتمال من الذين مبين لكون استبشارهم وفرحهم
بحال اخوانهم لا بذواتهم والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من
المومنين وهو انهم يبعثون امنين يوم القيمة ويكونون احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور
وحزن فوات محبوب وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث وترغيب للباقين
بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء ورفعتهم عند الله و
اصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمومنين
بالفوز في المال قال السلطان والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر
مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ويويد ذلك قوله
تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها الاية والاحاديث بان ارواح الشهداء في اجواف طير خضر
الخ ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة لا بعد الموت في الحال في القبر
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان ومن تامل في الامور الواردة على
الانسان وجد احوال النفس متضادة لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الاخر
كان البدن يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات وتنفتح علم الارواح
واذا اعرضت النفس عن الطعام والشراب واقبلت الى مطالعة العالم العلوي زادت سرورا
وابتهاجا وفرحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وذهب

اكثر ارباب الشرع على انهم احياء فى الحال بحياة جسدانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد باجسادهم
الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع الكرامات والسعادات اليها ومنهم من قال
يتركها فى الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها واخرج ابو الشيخ بن حبان فى كتاب
الوصايا عن قيس بن قبيصة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوص لم يؤذن له فى
الكلام مع الموتى قيل يا رسول الله وهل يتكلم الموتى قال نعم ويتزاورون وقال الشيخ تقى الدين
السبكى حيوة الانبياء والشهداء فى القبر كحياتهم فى الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام
فى قبره فانه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راه فى قبره يصلى فان الصلاة تستدعى جسدا حيا وكذلك
الصفات المذكورة فى الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات اجسام فانه صلى الله عليه وسلم ذكر فى
حديث المعراج انه راه فى السماء الرابعة وانه راى ادم عليه السلام فى السماء الدنيا وراى ابراهيم
عليه السلام وقال له مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح وقال البيهقى فى كتاب الاعتقاد
الانبياء عليهم السلام بعد ما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم احياء عند ربهم كالشهداء
وقد راى نبينا عليه السلام جماعة منهم وامهم فى الصلاة واخبر وخبره صدق **يستبشرون**
كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم وفى تقديم الاستبشار بحال اخوانهم الى موجب الصدق فى الاخوة الدينية
وهو ان يكون صلاح حال اخيه اهم عنده من صلاح نفسه **بنعمة من الله وفضل** اى
يسرون بالنعم الله عليهم من الجنة وبما تفضل عليهم من زيادة الكرامة فيها او متعلق بمحذوف
وقع صفة لنعمة تقديره بنعمة كائنة منه تعالى ثوابا لاعمالهم وبزيادة عظيمة عليه فالنعمة
الجزاء والفضل التضعيف الحاصل لهم بمحض التفضل والاحسان ونظيره من حيث المعنى قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة **وان الله لا يضيع اجر المؤمنين** وان بالفتح عطف على فضل
او نعمة او هما وبالكسر على الاستيناف اى ثواب اعمالهم الحسنة وعلى ان الجملة اعتراض دال على
ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة **الذين**
صفة للمؤمنين **استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح** او نصب على المدح
او مبتدا خبره **للذين احسنوا** باتيان جميع المامورات **منهم واتقوا اجر عظيم**
بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين اى الاحسان والتقوى مدحهم بهما والتعليل
بان استحقاقهم الاجر العظيم لاتصافهم بهذين الوصفين وليس المراد بذكرهما تقييد الحكم بهما
لان التقييد يفيد ان المستحق للاجر العظيم من المستجيبين من يتصف بالاحسان والتقوى
لا غيره والحال ان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى فى سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان
واصحابه لما انصرفوا من احد فلما بلغوا الروحاء ندموا وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب
اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم بئس ما صنعتم ارجعوا فاستاصلوهم
فهموا بالرجوع فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين للخروج فى طلب ابى سفيان
وقال لا اريد ان يخرج الان معى الا من كان معى فى القتال فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من

الم القرح الذى اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن
معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر
وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن
مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن جراح رضى الله عنهم فى سبعين رجلا حتى بلغوا
حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال قال التفتازانى ليست هى بدر الصغرى
لان ذلك عقيب وقعة احد وبدر الصغرى بعد سنة روى انه من كان فيهم من يحمل صاحبه
على عنقه ساعة ثم كان يحمل المحمول ساعة اخرى وذلك لكثرة الجراحات فيهم فتحاملوا على
انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا ورجع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانت اى حمراء الاسد تعد غزوة فنزلت الاية هذا قول اكثر المفسرين
قال الامام ومعنى الاية هكذا ان الله لا يضيع اجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد
ما اصابهم اى نالهم الجرح تم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجابته الى الغزو واتقوا معصيته اجر عظيم وكانت عائشة رضى الله عنها تقول
لعبد الله بن الزبير يا ابن اختى والله ان اباك وجدك تعنى ابا بكر والزبير لمن الذين قال الله تعالى
الذين استجابوا لله والرسول **الذين قال لهم الناس** بدل من الذين استجابوا او صفة
للمؤمنين وهذه الاية نزلت فى غزوة بدر الصغرى **ان الناس قد جمعوا لكم** روى ان ابا سفيان
نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل فقال عليه السلام ان شاء
الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران وهى مسيرة يوم من مكة
فالقى الله الرعب فى قلبه فبدا له ان يرجع فلقى نعيم بن المسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا
فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وقد بدا لى ان لا اخرج اليها فالحق بالمدينة
فثبطهم ولك عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتريدون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم الا الشريد فقال عليه السلام والله لاخرجن ولو لم
يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدر الصغرى
واقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين
غانمين ولم يكن قتال ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم
لتاكلوا السويق فالناس الاول نعيم واطلق عليه الناس لانه من جنسه فهو من العام الذى اريد
به الخاص او الجمع الذى اريد به الواحد او سمى بذلك لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
فصاروا له اتباعا فى الاذاعة يثبطون تثبيطه والناس الثانى ابو سفيان واصحابه **فاخشوهم**
فخافوهم ولا تاتوهم ولا تخرجوا اليهم **فزادهم** اى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
او القول او نعيم **هم** اى الرسول عليه السلام ومن ثبت قلبه للخروج معه **ايمانا** اى تصديقا
بالله ويقينا وقوة والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ما تكلم به نعيم ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
وازدادوا ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل واضح على ان الايمان

يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان
جعل الطاعة من جملة الايمان وان لم تجعل منها ولم يجعل التصديق قابلا للزيادة والنقصان
فيحمل النصوص والاثار الدالة على انه يزيد وينقص على ان ذلك بحسب المتعلق اعني ما يؤمن
به **وقالوا حسبنا الله** اى محسبنا وكافينا الله امرهم من احسبه اذا كفاه قال صلى الله
عليه وسلم اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال صلى الله عليه وسلم حسبي
الله ونعم الوكيل امان كل خائف **ونعم الوكيل** اى ونعم الموكول اليه هو يعني المفوض اليه
الامر هو **فانقلبوا** اى فرجعوا من بدر الصغرى **بنعمة من الله** اى بعافية وثبات على الايمان
وزيادة فيه **وفضل** اى ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا
لم يمسسهم سوء اى لم يلقوا ما يسوءهم من جراحة وكيد عدو فهو حال من الضمير في انقلبوا
اى رجعوا منعمين بريئين من سوء **واتبعوا** في كل ما اتوا به من قول وفعل **رضوان الله**
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم الى وجه العدو على اثر تثبيطه وهو
معطوف على انقلبوا **والله ذو فضل عظيم** قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة والشجاعة على العدو وبالحفظ
عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفي قوله تعالى
فانقلبوا الى اخره تحسير ونكاية للمتخلف وتخطئة رأيه حيث فوت نفسه ما فازوا به **انما**
ذلكم اى القائل لكم ان الناس لخ اعنى نعيما او ابا سفيان وهو مبتدأ والخطاب للمؤمنين **الشيطان**
خبره اى حكم الله على المثبط بانه هو الشيطان على التشبيه البليغ وقوله **يخوف اولياءه**
اى يخوفكم باوليائه كذا في قراءة ابي بن كعب يعني يخوف المؤمنين بالكافرين او يعظم اولياءه
في صدورهم ليخافوهم قال السلطان اى اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول عليه السلام
فهو جملة مستانفة مبينة لتثبيطه من حال نعيم على التثبيط او صفته والجملة خبره ويجوز ان يكون
الاشارة الى قول المثبط على تقدير مضاف اى وانما ذلكم القول قول الشيطان يعني ابليس فالتجوز
في الاضافة حيث اضيف قول نعيم الى ابليس والضمير في يخوف للشيطان او لمقدر اى اولياء الشيطان
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني او للاولياء اى عن اوليائه **وخافون** في مخالفة امري فجاهدوا مع
رسولي **ان كنتم مؤمنين** اى مصدقين بوعدي فان الايمان يقتضي ان يؤثر العبد خوف الله على
خوف الناس والخطاب بان كنتم للقاعدين عن الخروج مع رسول الله **ولا يحزنك الذين يسارعون**
في الكفر اى يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن
الاسلام قال الضحاك هم كفار قريش نهى الله المؤمنين عن خوف اولياء الشيطان وامرهم بخوفه
ونهى رسوله عن الحزن لمسارعة من سارع في الكفر والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا
عليك الا ترى الى قوله عز وجل **انهم لن يضروا الله شيئا** اى انهم لا يضرون اولياء
الله بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر اى لن يضروه شيئا

من الضرر

من الضرر وانما اضاف الضرر الى نفسه تشريفا لاوليائه **يريد الله الا يجعل لهم حظا**
في الاخرة اى نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي
ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من سعة
رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد بهم ان يكون لهم حظ في الاخرة وهذا تنصيص
ورد على المعتزلة المبتدعة بان الخير والشر بارادة الله تعالى **ولهم عذاب عظيم** في النار لا يقادر قدره
مع الحرمان من الثواب يعني يريد الله حرمانهم من الثواب معد لهم عذاب عظيم **ان الذين**
اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوا الكفر بالايمان اى اخذوا الكفر بدلا من الايمان رغبة فيما اخذوه
واعراضا عما تركوه **لن يضروا الله شيئا** وانما يضرون انفسهم كما ذكرنا انفا تفسيره **ولهم**
عذاب اليم مولم وهذا تعميم للكفرة بعد تخصيص المنافقين من المتخلفين عن النبي اى من ارتد من الاعراب
او قوم من اليهود او تكرير وتاكيد للاية التي قبله بناء على ان هذه الاية مساوية لما قبلها لفظا في
لن يضروا الله ومعنى في الباقي اذ معنى يسارعون في الكفر يساوي معنى اشتروا الكفر بالايمان **ولا**
يحسبن الذين كفروا انما نملي الاملاء الامهال في تطويل الاعمار وتاخير الاجال **لهم خير لانفسهم**
عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الاية قرأ الجمهور غير حمزة بياء الغيبة وهو بناء الخطاب في
هذا وفيما بعده من قرأ بالياء فالذين في محل الرفع على الفاعلية تقديره ولا يحسبن الكفار ان
املاءنا خير لانفسهم اذا كان ما في انما مصدرية او لا يحسبن الكفار ان ما نمليه لهم خير لانفسهم
اذا كان ما موصولة وان بما في حيزها سادة مسد مفعولي لا يحسبن وهي ابن عامر وعاصم وحمزة
بين لا تحسبن في جميع القران ومن قرأ بالتاء وهو الانسب لمقام التسلية لان الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اى ولا تحسبن يا محمد حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم فالذين مفعول لا تحسبن
وانما نملي لهم بدل من الذين او مفعول ثان للفعل اما بحذف المضاف من المفعول الاول كما قررنا
او من المفعول الثاني تقديره ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
انما نملي لهم اى نمهلهم ونؤخر في اجالهم **ليزدادوا اثما** بكثرة المعاصي وهذا مكروا استدراج
وما في انما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة بخلاف الاولى حقها الانفصال عن ان ولكنها
وقعت متصلة في مصحف الامام فاتبع فانه امام المصاحف في الصحة فيجب اتباع جميع المصاحف
له وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها اى كبيان علة نفي السابق كانه قيل ما بالهم لا يحسبونه
الاملاء لهم خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما واللام في ليزدادوا لام ارادة عند اهل السنة
لانه تعالى فاعل الخير والشر مريد لهما ولا يزيد العمر ولا ينقص ذلك الا الله وليست بلام علة لان
افعاله تعالى غير معللة بالاغراض فالاية حجة لنا على المعتزلة المبتدعة في مسئلتي الاصلح وارادة المعاصي
ولهم عذاب مهين ذو اهانة في الاخرة اى والحال ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه التفات من الغيبة الى الخطاب لان مقتضى
الظاهر ان يقال على ما هم عليه وهذا الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم
مختلطين لا يعرف مخلصكم ومنافقكم **حتى يميز** اى يفصل **الخبيث** المنافق **من الطيب**

من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن
لها الا الخلّص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم
ويستدل به على عقايدكم وبعبارة اخرى ماكان الله مريدًا لان يترككم يا معشر المومنين على
ما انتم عليه من التباس المنافق بالمؤمن والمومن بالمنافق حتى يتميز المنافق من المؤمن
فيز الله تعالى المومنين من المنافقين حيث اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا حمزة وفي رواية والكسائي ايضا هنا وفي الانفال يميز بالتشديد والباقون بالتخفيف
قال الراغب الميز والتمييز الفصل بين المتشابهات قال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرضت على امتي في صورها كما عرضت على ادم عليه السلام واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ
ذلك المنافقين فقالوا استهزاءً زعم محمد انه يعلم من يومن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن
معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ما بال اقوام طعنوا في علمي والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا
انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول الله فقال حذافة فقام عمر
رضي الله عنه فقال يا رسول الله رضينا بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبالقران امامًا وبك
نبيًا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون هل انتم منتهون
ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الاية قال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم ان من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا
بمن يومن بك وبمن لا يومن فانزل الله هذه الاية **وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** اي لم يكن الله ليوتي احدكم فيطلع على ما في
القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات
او ينصب له ما يدل عليها فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة نفسه وفي المدارك الاية
حجة على الباطنية فانهم يدعون ذلك العلم لامامهم فان لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين
للنص حيث اثبتوا علم الغيب لغير الرسل وان اثبتوا النبوة صاروا مخالفين لنص اخر وهو قوله
تعالى وخاتم النبيين واعلم يا صفيي ان الله تعالى ما اجتبى احدًا من رسله لاطلاع الغيب
اجتباء سيد المرسلين اجتباه ليلة اسرى به بجسده الشريف من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
ثم عرج به الى السموات ثم دنى فتدلى حتى بلغ مقام قاب قوسين او ادنى فاطلعه على الانبياء
والملئكة والجنان والنيران وجميع تصرفات الملكوت ثم شرفه بكشف حجاب وجهه ورويته
عيانًا برؤية عين الراس جل جلاله وهذا الاطلاع مختص به لم يحصل لاحد من الانبياء فالذي
بارك الله فيما وجد واختص وجعل قلب حبيبه مظهرًا لجميع صفاته ومتخلقا بها وصفات الله
غيب ثم اظهر الله في قلبه بطريق الالهام فاخبره للامة ثم ظهر كما اخبر من الغيوب التي لا يعلمها
الا الله ومن علمه الله ذلك ثم اطلع حبيبه بانزال الوحي كما هو لساير الانبياء وهو عليه السلام
افضلهم كتابًا وامة واطلع حبيبه على غير الظاهر اعني بما اخبر الله عن امر الاخرة ولا يطلع عليها
الا من

الا من بلغ مقام اليقين وعلى غيب الباطن كغيب المقدورات المكتومة عن قلوب الاغيار وعلى
غيب الغيب كستر الصفات في الافعال وعلى ستر الغيب اعني نور الذات في الصفة وهو مقام
المحبين واما غيب السر فهو غيبة القدم التي لا يطلع عليها اسرار الخليفة ابدًا ومن اراد
زيادة توضيح فليراجع عين الحياة للطامة الكبرى قدس سره وقال الشيخ في قوله تعالى ولكن
الله يجتبي الخ مثل محمد وعيسى وموسى وابراهيم وادم صلوات الله عليهم اجمعين وذلك
مشروح في قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدًا الا من ارتضى من رسول **فامنوا
بالله ورسله** وهذا امر بابتداء الايمان في حق المنافقين واليهود وفي تجديد حذوهم و
بالدوام في حق المومنين اي امنوا بالله بصفة الاخلاص او بان تعلموا الله سبحانه وتعالى وحده
مطلعًا على الغيب وبرسله بان تعلموهم عبادًا مختارين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون
الا ما اوحي اليهم وتعميم الامر بالايمان بالرسل دون رسوله مع ان سوق نظم الكريم للايمان
بمحمد عليه السلام لان الايمان به هو الايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء
بصحة نبوته عليه السلام **وان تؤمنوا وتتقوا** اي وان تصدقوا حق التصديق والايمان
ايها المنافقون والكفار وتتقوا المعاصي وان تدوموا على الايمان والتقوى ايها المومنون **فلكم
اجر عظيم** لا يقادر قدره بمقابلة ذلك الايمان والتقوى **ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم** القراءات فيه ما سبق فمن قرأ بالياء فليقدر مضافا
يناسبه وبالتاء كذلك يعني لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرًا لهم او لا يحسبن البخلاء
بخلهم هو خيرًا لهم **بل هو** اي البخل **شر لهم** لاستجلاب العقاب عليهم **سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة** بيان لكون البخل شرًا لهم يعني سيلزمون وبال ما بخلوا به
الزام الطوق اي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقًا في اعناقهم كما جاء في الحديث ما
من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعله الله له شجاعًا في عنقه يوم القيمة ومناسبة هذه الاية
لما قبلها انه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل الاموال في الجهاد وغيره بين الوعيد الشديد
لمن يبخل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الاية نزلت في مانعي الزكوة وفي حكم
الزكاة ساير المصارف الواجبة كالانفاق على من وجب عليه نفقتهم وعلى المضطرين وفي
الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتخيين دفعهم بالمال وقيل نزلت في من كتم صفات
النبي في التوراة قال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرج
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم
يؤد زكوته مثل له شجاعًا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة فياخذ بلهزمتيه يعني
شدقيه يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الاية ولا يحسبن الاية **ولله ميراث السموات
والارض** اي يرثهما بعد فناء اهلهما يعني وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا
ينفقونه او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة
والعقوبة اي وله ما فيهما مما شانه ان يتوارثه اهلهما من مال وغيره كالملك والاحوال

التي تنتقل من واحد الى آخر ولا يعد في الشرع مالا ولعل في اهل السماء ايضا مثل ذلك قال
القرطبي اخبر الله تعالى ببقايه ودوام ملكه وانه في الابد كهو في الازل غني عن العالمين
فيرث الارض بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فتبقى الاملاك والاموال لا مالك لها الا
الله تجري هذا مجرى الوراثة في الحي وليس بميراث في الحقيقة لان الميراث في الحقيقة
هو الذي يرث شيئا لم يكن ملكه من قبل والله سبحانه مالك السموات والارض وما فيهما
وكانت الاموال عارية عند اربابها قال الشيخ يعني انه الباقي الدايم بعد فناء خلقه و
زوال املاكهم فيموتون ويرثهم دليله قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها والله بما
تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود اخرج ابن ابي حاتم وابن
مردوية والضياء المقدسي في المختارة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قالت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم حين انزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فقالوا يا محمد افقير ربك يسال عباده القرض فانزل الله وروي انه عليه السلام
كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة
وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سئل القرض
فلطمه ابو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد
ما قاله فنزلت تصديقا لقول الصديق عليه السلام والمعنى انه لم يخف عليه خافية
وانه اعد لهم العقاب واراد بالذين فنحاص ومن رضي بمقالته فجمع الجمع ولا يخفى ان الله
سميع لجميع المسموعات فمعنى تخصيص هذا القول بالذكر انه اعد لهم عقابا مناسبه على طريق
الكناية فان اخبار الله تعالى في مقام التهديد بانه سمع قولهم ذلك لازم لارادة وعيدهم
وتخويفهم لانهم اثبتوا لانفسهم صفات الربوبية وهو الغنى ولله صفة العبودية وهي الفقر
عكسوا الحال لقوله والله الغني وانتم الفقراء والنفس اذا تكاملت بالهوى تدعي الربوبية بكل الوجوه
كفرعون حيث قال انا ربكم الاعلى او ببعض الوجوه كقول بعض المغرورين انا هو من وجه وهو انا
من وجه فهذه الكلمات وامثالها من القاء الشيطان اليهم قال الله تعالى ان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم سنكتب ما قالوا اي سنكتب في صحايف الحفظة ما قالوا من الافك والفرية
على الله فنجازيهم او سنحفظه في علمنا او سنامر بكتب ما قالوا في صحايف اعمالهم ليجازوا عليه
والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن
والرسول عليه السلام ولذلك نظمه مع قتل الانبياء حيث عطف عليه قوله عز وجل وقتلهم
الانبياء ايذانا بان ذلك القول وقتل الانبياء في العظم اخوان وتنبيها على ان قولهم ذلك ليس
باول جريمة ارتكبوها بل قتلوا الانبياء هم قبل هذا القول لانهم رضوا بفعل اسلافهم واختلف
الفعلين لتاكيد الوعيد يعني اخبر الله عن الوعيد في الماضي بثبوته وفي المستقبل باثباته فكانه
قال لقد كتبنا ما قالوا بغير حق اي بلا جرم وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم
بالرفع

بالرفع ويقول بالنون والياء اي يقول الله لهم على لسان الملئكة ذوقوا عذاب الحريق اي النار
وهو بمعنى المحرق كما اذيقتم المسلمين الغصص ذلك اي ذلك العذاب بما قدمت ايديكم من قتل
الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر الاعمال بهن وان الله
ليس بظلام للعبيد اي وبان الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم وذنب وهو عطف على بما
قدمت اي ذلك العذاب بما كسبتم من المعاصي وبان الله ليس بظلام وسببيته للعذاب من حيث
ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء وصيغة المبالغة لا تنفي اصل
الفعل لكن جيء بها في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة فهي لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم لقوله ولا يظلم
ربك احدا وقال علام الغيوب اي قابلها بالجمع وقال عالم الغيب اي اذا انتفى الظلم الكثير ينتفي القليل
ضرورة او ليس بذي ظلم او اراد تاكيد النفي اي ليس بظلام ليس بظلام ليس بظلام وفي ذلك
وجوه كثيرة الذين نعت للذين قالوا ان الله فقير قالوا لمحمد عليه السلام وهم كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف وحيي وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية
واوصانا الا نؤمن اي الا نصدق لرسول اي لمدعي الرسالة وان جاء بمعجزات قاهرة حتى
يأتينا بقربان اي بهذه المعجزة المعينة وهو اسم لكل ما يتقرب به الى الله وصار في المتعارف اسما للنسيكة
التي هي الذبيحة تأكله النار صفة لقربان اي تحيله الى طبعها بالاحراق وكانت القرابين والغنائم لا تحل
لبني اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة وضعوها في وسط بيت مكشوف السقف فيقوم
النبي في البيت ويناجي ربه في قبولها وبنو اسرائيل يطوفون حول البيت خارجه فتنزل نار بيضاء فتاكل
ذلك القربان وتلك الغنيمة وتحرقها فيكون ذلك علامة القبول وان لم تقبل بقي على حاله وقال
السدي ان الله امر بني اسرائيل من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تاكله النار
حتى ياتيكم المسيح ومحمد عليهما السلام فاذا اتياكم فآمنوا بهما فانهما يأتيان بغير قربان وهذا
او ما نامن مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير
المعجزات سواء قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم قل يا محمد لهم توبيخا قد جاءكم يا معشر اليهود
رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات سوى القربان وبالذي قلتم اي بالقربان يعني قد جاء اسلافكم
الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم فلم قتلتموهم كزكريا ويحيى وشعيا وساير من قتلوا
من الانبياء عليهم السلام اي ان كان امتناعكم عن الايمان لاجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذي اتوا به ولم
قتلتموهم ان كنتم صادقين في انا ما قتلنا الا الكاذبين وانا انما كذبنا محمدا لعدم اتيانه بهذه المعجزة
المعينة ثم شرع في تسلية حبيبه من تكذيب قومه واليهود فقال فان كذبوك بعد بطلان عذرهم
فقد كذب رسل من قبلك من عند في التكذيب لانهم جاؤا بالبينات اي بالمعجزات الواضحة
صفة لرسل يعني فان كذبك اليهود فلا تحزن فقد فعلت الامم بانبيائها كذلك والزبر وهو الكتاب
المقصور على الحكم والزواجر والمواعظ والكتاب المنير اي بالشرايع والاحكام المعنى فالزبر
كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب المنير الكتاب الهادي كالتورية والانجيل وفي عطف
الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وان كتبهم لم تكن معجزة لهم والاعجاز

من خواص القرآن كل نفس ذائقة الموت اى هى النفس تخرج وتنفك عن البدن باد فى شئ من الموت
فكنى بالذوق عن القلة يعنى كلكم تموتون ولا تبقون فى الدنيا فهذه الجملة تسلية للنبى وللمؤمنين يقول الله
لا يحزنك تكذيبهم اياك والمؤمنين فمرجع الخلق الى فاجازيهم على التكذيب واجازيك والمؤمنين على
الصبر فالاية وعد ووعيد للمصدق والمكذب وفى الاية دليل على ان النفس غير البدن وانها
لا تموت بموته لانه تعالى جعلها ذائقة والذائق لا بد ان يبقى حال الذوق والمعنى ذائقة موت
البدن روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملئكة
مات اهل الارض فلما نزل كل نفس الاية قالت الملئكة متنا قال امام البغوى رحمه الله روى فى حديث
لما خلق الله ادم اشتكت الارض الى ربها لما اخذ منها فوعدها ان يردها ما اخذ منها فما من احد
الا يدفن فى التربة التى خلق منها قرأ الجمهور برفع ذائقة من غير تنوين وجر الموت بالاضافة اليه
وقرئ ذائقة بالتنوين والموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقول الشاعر ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجر اعمالكم من الطاعة والمعصية بمجرد الموت وانما توفون اجوركم اى انما تعطون
جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما كاملا وافيا يوم القيمة اى يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران رواه الطبرانى وغيره فمن زحزح اى بعد عن النار التى هى
مجمع الآفات والشرور وادخل الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز اى ظفر بالنجاة و
نجا من الخوف قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس حسناه بفعلهم ما يحب ان يؤتى اليه رواه مسلم وما
الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها والعيش فيها الا متاع الغرور اى الباطل والشيطان
يتمتع به قليلا ثم يفنى شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المشترى ويغر حتى يشتريه ثم يتبين
له فساده ورداءته والمدلس هو الشيطان هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة فهى
متاع بلاغ والغرور المصدر او جمع غار وعن الحسن هى كخضر النبات ولعب البنات لا حاصل
لها وقال الشيخ متاع الغرور اى منفعة ومتعة كالفاس والقدر والقصعة يزول ولا يبقى
فخذوا من هذا المتاع بطاعة الله ما استطعتم لتبلون اى والله لتختبرن يعنى ليتعاملن
معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة فى اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبه من الآفات وانفسكم بالجهاد والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض
والمتاعب قيل نزلت هذه الاية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفنحاص بن عازوراء وقد سبق
وقيل نزلت فى كعب بن الاشرف امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فخرج اليه جماعة جاؤا برأسه وكان
كعب ممن هجا النبى عليه السلام وسب المسلمين ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اى من قبل اتيانكم القرآن وهم اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا اى من العرب اذى كثيرا
اى طعنا فى دينكم وسبا لكم ولنبيكم واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم الله بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يعسر عليهم نزولها ومما سمع منهم عزير ابن الله

والمسيح ابن الله وثالث ثلثة وان الله عهد الينا ان لا نؤمن الاية وان الله كذا ونحن اغنياء وغير ذلك
وان تصبروا على الشدة والاذى وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك اى الصبر والتقوى من عزم
الامور اى من معزومات الامور التى يجب عليكم فعلها وتحملها بالعزم عليها فانها من اخلاق الانبياء
والاولياء يعنى من الامور التى يجب على العبد عزمها فالفاعل هو العبد او الله يعنى مما عزم الله عليه
اى امر به ثم اشار الى ان اذى اهل الكتاب اعظم من اذى المشركين لانهم يغيرون ما فى كتابهم وقد نعوا
كتمانه فضلا عن التغير بقوله واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذ الله ميثاق اى العهد الذين
اوتوا الكتاب بالوحى فى كتب انبيائهم يعنى به علماء اليهود والنصارى ذكر وابعنوان ايتاء الكتاب
مبالغة فى تقبيح حالهم لتبيننه اى الكتاب ولتظهرنه ولا تسترنه واللام جواب القسم الذى
ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين تقديره استحلفهم لتبينن الكتاب فى قراءة الياء لانهم غيب ولا
تكتمونه ولا تسترونه بالياء والتاء فى الفعلين والواو للحال اى استحلفتم بانكم لا تكتمون الكتاب
عن الناس او لتبيننه غير كاتمين فنبذوه اى طرحوا ما اخذ عليهم من الميثاق الموثق بنون التاكيد
والقوة وراء ظهورهم اى خلفهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والاية دليل على انه يجب على العلماء ان يبينوا
الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض دنيوى من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم او جر
منفعة او دفع اذية او لبخل بالعلم قال صلى الله عليه وسلم من سئل فكتمه الجمه الله بلجام من نار رو
عن على ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا الا بعد ان اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به ثمنا
قليلا اى واخذوا بدل الكتاب الذى امروا ببيانه عرضا يسيرا من حطام الدنيا وذلك بكتمان
نعت النبى عليه وبعض احكام الله فبئس ما يشترون اى فبئس ما يختارون لانفسهم هذا الشراء
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا اى بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من
الوفاء بالميثاق فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قرأ الكوفيون بتاء الخطاب وفتح الباء فى
كل من الفعلين فالخطاب للرسول ومن ضم جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد لتحسبن الاولى ومعنى الاية لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس والتلبيس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق و
الاخبار بالصدق بمفازة اى بنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه ولهم عذاب اليم بكفرهم
وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيه
واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بنفاقهم و
يستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة قال حاتم الاصم رحمه الله حذر
الله بهذه الاية سلوك طريق المرائين والمتقربين والمتزهدين والمتوسمين بسيماء الصالحين وهم
من ذلك خوال ولله ملك السموات والارض يصرفها كيف شاء اى فهو مالكهم اى خزائن
المطر والرزق والنبات وغيرها فمن قنع بالملك فانه مالك الملك ومن ظفر بالملك فلا يفوته الملك
والله على كل شئ قدير من الدنيا والآخرة فيقدر على عقابهم وانجاء المؤمنين ان فى

خلق السموات والارض ابتداءً من غير سبب اى فى انشائهما على ما هما عليه فى ذواتهما وصفاتهما
وما فيهما من العجايب من الامور التى تتحير فى فهم اجلائها العقول واختلاف الليل والنهار بالمجى
والذهاب والزيادة والنقصان او فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان
البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد
البعيدة منه ولياليها واما فى نفسها فان كروية الارض تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن
ليلاً وفى مقابلها نهاراً وفى بعضها صباحاً وفى بعضها ظهراً وعصراً وغير ذلك لايات لاولى
الالباب اى لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وبكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة
الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلايق النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية
المراقبين فى اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين فى بدايع صنايع الملك الخلاق المتفحصين عن حقيقة
سر الحق فى كل موجود فان كل ما سواه وجوده مرآة لمشاهدة جماله والة لملاحظة صفات كماله فان
كل ما ظهر فى مظاهر الابداع وحضر فى محاضر التكوين والاختراع سبيل سوى الى عالم التوحيد ودليل
قوى على الصانع المجيد فتامل فى هذه الاطوار والاسرار فان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار واعلم ان الله ذكر
فى سورة البقرة ثمانية انواع من الدلايل حيث ذكر الفلك والمطر وبث الدواب فى الارض وتصريف الرياح
والسحاب واقتصر فى هذه السورة على ثلثة انواع منها وترك البواقى لحكمة باقية لان الدلايل على كثرتها غاية
الكثرة منحصرة فى ثلثة انواع اما سماوية او ارضية او مركبة منهما كاختلاف الليل والنهار فانه يحصل
باسباب سماوية وارضية ولان مناط الاستدلال هو التغير وهذه الاية متعرضة لجميع انواعه
فانه اما ان يكون فى ذات الشى ونفسه كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها
او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها واعلم ان العقل له ظاهر وله لب ففى اول الامر
يكون عقلاً وفى حال كماله وخفائه امره يكون لباً واذا صار لباً يرى ان العرض المحدث فى الجواهر
يدل على حدوث الجواهر لان جوهراً لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها
يدل على محدثها وذا قديم والا لاحتاج الى محدث اخر ويتسلسل الى ما لا يتناهى وحسن صنعه
يدل على علمه واتقانه يدل على حكمته وبقاؤه يدل على قدرته وحكى ان فى بنى اسرائيل من اذا عبد
ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت امه لعل فرطة فرطت منك فى مدتك
قال ما اذكر قالت لعلك نظرت الى السماء مرة فلم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الا من ذلك
قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم
يتاملها وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات الاية وعن عبد الله بن عباس انه رقد عند النبى
صلى الله عليه وسلم فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول ان فى خلق السموات حتى ختم السورة
ثم قام فصلى ركعتين فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف ونام حتى نفخ ثم فعل ذلك
ثلث مرات بست ركعات فى كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الايات ثم اوتر بثلث ركعات
ثم اتاه المؤذن فخرج الى الصلاة وهو يقول اللهم اجعل فى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وفى لسانى نوراً

واجعل

واجعل من خلفى نوراً ومن امامى نوراً واجعل من فوقى نوراً ومن تحتى نوراً اللهم اعطنى نوراً
رواه كريب عن ابن عباس وزاد اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى بصرى نوراً وفى سمعى نوراً وعن
يمينى نوراً وعن يسارى نوراً اخرج ابن المنذر وابن ابى حاتم والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال اتت قريش اليهود فقالوا ما جاءكم به موسى من الايات قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين
واتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم قالوا كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى فاتوا النبى
صلى الله عليه وسلم فقالوا ادع لنا ربك ان يجعل لنا الصفا ذهباً فدعا ربه فنزلت ان فى خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب فليتفكروا فيها قلت من كان
له عقل سليم ولب مستقيم يعلم بادنى تامل بان هذه الايات من اعظم المعجزات والدلالات على
رسالة النبى وصدقه فى كل ما يقول ثم بعد دلايل الالهية ذكر وظايف العبودية وهى ان تكون
باللسان وبالاركان وبالجنان مع الرجحى فقال فى وصف اولى الالباب الذين يذكرون الله
باللسان والقلب قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم اى يذكرونه دائماً على الحالات كلها قائمين
وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين
صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء كذا اخرجه البخارى عن
عمران بن الحصين فهو حجة للشافعى فى ان المريض يصلى مضطجعاً على جنبه الايمن مستقبلاً بمقاديم بدنه
على هيئة استقبال الميت فى اللحد وقال صاحب العيون وعند ابى حنيفة يستلقى على ظهره ان عجز
عن القعود فاذا وجد خفة بعد هذا فى ترتيب صلاة المريض العاجز وعن ابن عباس يصلون كذلك
حسب الطاقة ويتفكرون فى خلق السموات والارض وما ابدع فيهما استدلالاً به على قدرة صانعهما
واعتباراً وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق لان القلب هو افضل ما فى الانسان ومورد العرفان والايمان وعنه عليه السلام بينما
رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك رباً وخالقاً
اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله لكن
بشرط ان لا يتغول فيه ويأبى الا ان يذكر دلايل اهل الزيغ بل يذكر دليل مذهبه ويرد على اهل البدع
ولا يذكر ادلتهم اصلاً حتى لا يقع فى سمع المبتدئين والله الهادى قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
لا تفكروا فى الله ولكن تفكروا فى ما خلق وقال صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الاء الله ولا تفكروا فى
الله وقال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر كما ذكرنا آنفاً قال ابن المعوت الفكرة تذهب الغفلة
وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا
استنارت بمثل التفكر والسبب فى عدم التفكر فى ذات الله هو ان الاستدلال بالخلق على الخالق
لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة لانه لا مثل للخالق وايضاً فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات
على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها من كل الوجوه على غناه عن العالمين
فالتفكر فى الاء الله وخلقه ممكن وفى ذات قدس صمديته لا يمكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات

على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لابد من تصورها وتصورذاته المقدس محال
لان تصور الشي عبارة عن حصول صورته في النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة
بها والمحيط بالواجب شي الا انه بكل شي محيط وقد احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا لكن
البصير اذا تفكر في مخلوقاته ولاسيما في السموات والارض مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم و
البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف اولا ان لها ربا وصانعا فان دلايل التوحيد محصورة
في الدلايل الافاقية والانفسية ولكن الاولى اجل واعظم كما قال الله تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس واما قول من قال ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله فهو محب لا يقع نظره على
المولى في مراقبته فاذا صحى راى الخلق وكان قبل الصحو كانه يرى الخالق وفي الحديث اعبدوا الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولكل مقام رجال ربنا ما خلقت هذا اى هذا الخلق الذي نراه على
ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك باطلا اى عبثا وهزوا بل نراه دليلا على كمال قدرتك يعني
ما خلقت هذا الذي تمكننا في خلقه من نفس السموات والارض وما فيهما من العجايب باطلا ضايعا
من غير حكمة بل خلقته بحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا
يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك فقوله
هذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى
المخلوق سبحانك اى تنزيها لك من العبث وخلق الباطل الذي لا حكمة فيه وهو اعتراض فقنا عذاب
النار اى اذا نزهناك وصدقنا رسولك بان لك جنة ونارا فاحفظنا بتوفيق طاعتك من
عذاب النار فالفاء دخلت لمعنى الجزاء اى فقنا للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضي الاخلال
وفايدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة
ربنا انك من تدخل النار للخلود كالكفار وللتاديب كالعصاة من المسلمين فقد اخزيته
اهنته وقيل اهلكته وقيل فضحته لقوله تعالى ولا تخزون في ضيفي فان قيل قد قال الله تعالى يوم لا
يخزي الله النبي والذين امنوا معه ومن اهل الايمان من يدخل النار وقد قال انك من تدخل
النار فقد اخزيته فكيف الجمع بينهما قال انس وقتادة معناه انك من تخلد في النار فقد
اخزيته وقال سعيد بن المسيب هذه خاصة لمن لا يخرج منها وقد روى انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى يدخل قوما النار ثم يخرجون منها اى بالشفاعة او العفو لا بالنصرة لان النصرة
دفع بقهر والشفاعة دفع بطريق المنة والتضرع وما للظالمين من انصار اى وما للمدخلين
النار انصار يمنعونهم من عذاب الله ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة كما ذكرنا الحيلة فان كان
الظالم هو الكافر فلا ناصر ولا شفيع وان كان الظالم بغير شرك فالشفاعة والعفو من العفو الرحيم
ربنا اننا سمعنا مناديا وهو محمد او القران ينادي اى يدعو الناس للايمان اى الى الايمان
الذي هو اس الحكمة واوقع الفعل على المسمع اى المنادي وحذف المسموع اى النداء لدلالة ينادي
وهو لفظ ينادي على المسموع وفيه مبالغة ليس في ايقاعه على نفس المسموع لان ذلك بمنزلة تكرير
ايقاع الفعل على المنادي وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول

عليه السلام

عليه السلام على ما قاله ابن مسعود وابن عباس واكثر الناس وقال القرظي المنادي هو القران
قال الفقير النبي ينادي امته بالقران الى الايمان قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك وقال وداعيا
الى الله باذنه وقال وادعو الى الله ان امنوا بربكم اى بان امنوا وصدقوا بربكم فامنا اى
فامتثلنا المنادي وصدقناه قال المفتي ولا مناسبة لمن قال قال الشيخ فيه دليل بطلان الاستثناء
في الايمان لانه لا يخطر هذا النزاع في هذا المقام ببال عاقل فضلا عن فاضل وللنزاع مقام اخر ولهذا
حين النزع قال التفتازاني معنى ان امنوا بلفظ الماضي حصول الايمان في الماضي ومعنى ان تؤمنوا
حصوله في المستقبل ومعنى ان امنوا طلبه ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اى كبايرنا فانها ذات تبعة في
مواخذة وكفر اى غط وامح عنا سيئاتنا اى صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة
عن مجتنب الكباير وتوفنا مع الابرار اى اقبض ارواحنا في جملة الابرار اى الانبياء والصالحين المتمسكين
بالسنة يعني مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم مستاهلين للاجتماع معهم وفيه
تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر كارباب
جمع رب وقيل جمع بار كاصحاب جمع صاحب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اى
على السنة رسلك من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك وان كان وعد الله تعالى لا يخلف سؤال
ان يجعلهم من مستحقيه لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وقيل ما وعدتنا على تصديق رسلك
من الثواب او ما وعدتنا منزلا على رسلك ولا تخزنا اى لا تعذبنا ولا تفضحنا ولا تهنا يوم
القيمة اى بان تعصمنا ذلك اليوم عما يقتضي الخزي كانه قيل اللهم وفقنا للطاعات واذا وفقتنا
فاعصمنا عما يبطلها ويوقعنا في الخزي انك لا تخلف الميعاد الوعد بالبعث بعد الموت
والجزاء اى باثابة المومن واجابة الداعي وعن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر
فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد قيل وكيف ذلك قال لان الله
حكى عنهم في هذه الايات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر الله عن اجابة دعائهم بقوله فاستجاب لهم
اى اجاب الى طلبتهم ربهم دعاءهم واعطاهم وعده اني اى باني لا اضيع اى لا اهمل عمل
عامل اى ثوابه منكم صفة عامل من ذكر او انثى بيان للعامل على ان المراد به الشخص
العامل لعموم الشخص الذكر والانثى اخرج الطبراني والترمذي عن ام سلمة قالت يا رسول الله لا اسمع
الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فانزل الله فاستجاب لهم الى اخر الاية واخرج ابن مردويه عن ام سلمة
قالت اخر اية نزلت هذه الاية اى فاستجاب لهم ربهم الى اخرها بعضكم من بعض جملة
معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال فان كون الذكر من الانثى والانثى
من الذكر او الانثى من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما في الخلق والسيرة او لاتفاقهما في الدين
والعمل قال الامام بعضكم شبه بعض والمعنى انه لا تفاوت في الثواب بين الذكر والانثى اذا استويا
في الطاعة وهذا يدل على ان الفضل في باب الدين انما هو بالاعمال لا بسائر صفات العاملين لان كونهم
ذكرا وانثى او من نسب خسيس او شريف لا تاثير له في هذا الباب انتهى فالذين هاجروا من مكة الى
اخر الاية تفصيل لعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين

هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير للدين اى فارين الى الله بدينهم الى حيث يأمنون عليه هجرة
الاصحاب وفى المدارك فالهجرة كاينة فى اخر الزمان كما كانت فى اول الاسلام ولكن قول السيوطى
رحمه الله اى الذين هاجروا من مكة الى المدينة وقول محى الفرض والسنة وهى المهاجرون الذين
اخرجهم المشركون من مكة ولا هجرة بعد الفتح يضيق عليه مدركه وفى العيون ايضا هاجروا من مكة
واخرجوا من ديارهم اى مومنوا اهل مكة واوذوا فى سبيلى اى عذبوا فى طاعتى ودينى
بالضرب والشتم ونهب الاموال وهم المهاجرون الذين اخرجهم الكفار من مكة وقاتلوا الكفار
وغزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوا قرا ابن كثير وابن عامر بالتشديد قال الحسن
يعنى انهم قطعوا فى المعركة والجهاد يعنى استشهدوا فى القتال وقرا الاخرون بالتخفيف وقرا
اكثر القراء وقاتلوا وقتلوا اى قاتلوا العدو ثم قتلوا واستشهدوا فى المعركة وقرا حمزة والكسائى
وقتلوا وقاتلوا ببناء فعل الاول للمفعول مشددا او مخففا والثانى للفاعل وهذه القراءة معناها
احدهما وقاتل من بقى منهم وقتلوا اى قتل بعضهم يقول العرب قتلنا بنى فلان وانما قتلوا بعضهم
لاكلهم والمعنى الاخرون قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم اى والله لامحون
واسترها لهم بالمغفرة ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار اشارة الى
ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير لهم ثوابا مصدر موكد
لما قبله بمعنى اثابة او تثويبا لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم يعنى اثيبنهم بذلك
اثابة من عند الله تفضلا منه والله عنده حسن الثواب اى حسن الجزاء على
الطاعة قادر عليه اى يختص به ولا يقدر غيره روى ان طايفة من المومنين قالوا ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد
اى لا يخدعنك ضرب الكفار وسيرهم وتصرفهم فى البلاد للتجارات وانواع المكاسب فان
تقلبهم وتصرفهم فيها متاع قليل اى منفعة يسيرة تفنى بادنى مدة لقوله عليه السلام
ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم ثم ماواهم
اى مستقرهم ومصيرهم الذى ياوون اليه جهنم وبئس المهاد اى وبئس الفراش
والقرار هى فلا تنفعهم تجارتهم واموالهم لمن كان قرارهم جهنم فقوله لا يغرنك الخطاب
وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم لكن المراد غيره لانه عليه السلام لم يغتر بذلك ابدا ولان سيد
القوم قد يخاطب بشئ ويراد به اتباعه لان خطابه عليه السلام يقوم مقام خطاب الامة
جميعا فكانه قيل لا يغرنكم ونظيره فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين هذا فى النهى وفى
الامر اهدنا الصراط المستقيم ويا ايها الذين امنوا امنوا ثم استدرك واضرب عن ماوى المومنين وما اعد لهم
فى الاخرة من الثواب والكرامة بقوله عز وجل لكن الذين اتقوا عن الشرك والمعصية
وعبدوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها اى لا يموتون
ولا يخرجون منها نزلا اى ثوابا وجزاء يعنى رزقا وعطاء من عند الله صفة للنزل
للجمهور على ضم الزاء والمراد به ما يقام للنازل عند نزوله من القرى وفيه تنبيه ان ما عند الله اعظم

كرامة

كرامة حيث قال وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الكفار من
لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله اى يصدق به وعن مجاهد
نزلت فى ابن سلام واصحابه وقيل فى اربعين من نجران وثلثين من حبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فاسلموا واخرج ابن جرير عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه اخرجوا
فصلوا على اخ لكم فصلى بنا فكبر اربع تكبيرات فقال هذا النجاشى اصحمة فنعاه جبريل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط
ولا هو على دينه فانزل الله وان من اهل الكتاب وانما دخلت اللام على اسم ان مع ان النحاة منعوا
دخول لام الابتداء عليه كراهة توالى حرفى التاكيد للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم
من القران وما انزل اليهم الى اهل الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقران فى الذكر مع ان
الامر بالعكس لتعظيم القران وكونه مهيمنا على الكتابين ومعيارا لهما او لتصافان ايمانهم بهما انما يعتبر
بتبعية ايمانهم بالقران اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته
بالقران والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم خاشعين لله اى خاضعين
متواضعين له حال من فاعل من يومن لان من يومن فى معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا
قليلا يعنى لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والماكلة كفعل غيرهم
من روساء اليهود اولئك الموصوفون بالصفات المذكورة لهم اجرهم عند ربهم
اى ما يختص بهم من الاجر والثواب وهو ما وعده فى قوله عز وجل اولئك يؤتون اجرهم
مرتين والمراد بالعندية ما هو معلوم عند الله من كثرة الجزاء ان الله سريع الحساب
لعلمه بالاعمال ومقادير الاجور ومراتب الاستحقاق واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد
ان اجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعى سرعة الجزاء فانه يحاسب
الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من ايام الدنيا ثم ختم السورة باية جامعة لاسباب سعادة
الدارين فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا اى على دينكم فلا تدعوه لشدة ولا رخاء قاله
الحسن او على طاعة الله قاله قتادة او على امر الله قاله الضحاك ومقاتل بن سليمان او على فرايض
الله قاله مقاتل بن حيان او على الجهاد فى سبيل الله قاله زيد بن اسلم او على البلاء والشدائد قاله
الكلبى قيل ان الشيطان يتعوذ من الصابرين كما يتعوذ المومن من الشيطان قال الجنيد كذا الصبر
حبس النفس على المكروه بنفى الجزع وقد ذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى غوث الله الاعظم معانى
الصبر فى غنيته ما يغنيك فراجعه ترنح والمعنى الجامع لذلك اصبروا على مشاق الطاعات وما
يصيبكم من الشدائد والمصائب وعن المعاصى قلت فاندرج فى الصبر مشقة النظر والاستدلال
والتوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومشقة اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن
المنهيات ومشقة تحمل شدائد الدنيا وافاتها ومحنها وفقاهنا فى الصبر وبما يتعلق بالمعاملة
مع الخلق فامر فيه بالمصابرة بقوله وصابروا اى الكفار فى الجهاد يعنى غالبوا اعداء الله فى الصبر
على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا فى القتال واعدى عدوكم فى الصبر على مخالفة

النفس والهوى لقوله عليه السلام اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وانما ذكروا صابروا
بعد الامر بالصبر مطلقا لشدة المصابرة قيل خير الدنيا والاخرة فى صبر ساعة ومن كلمات التى تحث
بها شيخنا عبد القادر قدس سره واتباعه واهل مجلسه يا غلام الشجاعة صبر ساعة قلت ويندرج فى
المصابرة تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة والسيف والسنان واما ما يتعلق بالانسان من تكلف اقسام
الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر فيه
بالمرابطة بقوله **ورابطوا** اى شدوا ابدانكم وخيولكم فى الثغور مترصدين مستعدين للغزو
قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وانفسكم على الطاعة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة رواه مسلم واخرج الشافعى ومالك واحمد
والترمذى والنسائى عن ابى هريرة رضى الله عنهم اجمعين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم
بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط واخرج البخارى وغيره
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما
عليها واخرج احمد ومسلم والترمذى وغيرهم عن سلمان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه واخرج الطبرانى فى الاوسط عن جابر رضى الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط يوما فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع
خنادق كل خندق كسبع سموات وسبع ارضين وفى البيضاوى وعنه عليه الصلاة والسلام من
رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن
صلاته الا لحاجة قال صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان له اجر صيام شهر
مقيم ومن مات مرابطا اجرى له مثل ذلك الاجر واجرى عليه الرزق وامن من الفتان وفى
معالم التنزيل فى معنى ورابطوا يعنى المشركين وقال ابو عبيدة اى داوموا واثبتوا والربط الشد
واصل الرباط ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم ثم قيل ذلك لكل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراءه
وان لم يكن له مركب وقال اهل الاشارة اصبروا على مجاهدة النفوس بنهيها عن هواها وامرها
بطاعة سيدها ومولاها اى اصبروا ايها المشتاقون فى ركوب عظائم الآلام المحبة والشوق على
قلوبكم بتذكيركم بلوغ وصالى فاذا اشتدت الامور عليكم بالصبر فى بلائى صابروا على مراقبة القلوب
مع الله بالتسليم والرضاء بالاحكام الازلية عند البلاء والابتلاء او اصبروا بمشاهدتى وصابروا
بوصلتى فى طلبكم حقائق معرفتى او اصبروا باسراركم وصابروا باسرارى ولا تكشفوها عند الاغيار
ورابطوا مرابطة الارواح الى الوصول بالله بالانقطاع عن غير الله **واتقوا الله** فى جميع احوالكم
واموركم فى مخالفة امر الله ونهيه **لعلكم تفلحون** تفوزون بالجنة وتنجون من النار الفلاح
البقاء مع المحبوب بعد الخلاص من المكروه اى لكى تظفروا بروبتى وقربتى فى دار كرامتى قال صلى الله عليه وسلم
من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله قيل زاد العقل هو التقوى من القبائح ولعل لتخليب الا لملال

يتكلوا

٣

يتكلوا على الآمال عن تقديم الاعمال وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء
ورابطوا فى دار الاعداء واتقوا اله الارض والسماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء لان الفلاح
الامن مما يخاف والوصول الى ما يرام قلت اتقوا الله اى اجتنبوا الترهات والشطحات فلا تنسب
ما هو للحق الى ما هو للخلق وبالعكس لعلكم تفلحون تبلغون مواقف اهل الصدق فانه محل الفلاح
مثلا لا تقل هو انا من وجه وانا هو من وجه وامثال هذه الهذيانات والانبساط رجال ولكنهم
شهود وليس كل جيلانى عبد القادر قال السلطان فاتقوا الله بالتبرى عما سواه لعلكم غاية الفلاح
او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المترتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة
النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة
والطريقة والحقيقة واعلم ان كل سورة تناسب اولها واخرها فهذه السورة افتتحت بذكر انزال
القران والتورية والانجيل من قبل وختمت بذلك فى قوله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
وما انزل اليهم قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما تأتيان يوم القيمة
كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تحاجان عن اصحابهما ذكره السيوطى
فى جامع الصغير قوله عليه السلام الزهراوين اى النيرين لكثرة ما فيهما من احكام انوار الشريعة
والاسماء الالهية قوله يأتيان اى ثوابهما قوله غمامتان اى سحابتان يظلان قارئهما عن حر
الموقف وكرب ذلك اليوم قوله او غيايتان تثنية غياية وهى ما اظل الانسان فوقه واراد
به ما له صفاء وضوء اذ الغياية ضوء شعاع الشمس قوله او فرقان اى او كانهما فرقان
بكسر فسكون اى قطعتان وجماعتان قوله من طير اى طائفتان منها قوله صواف اى باسطات
اجنحتها متصلا بعضها ببعض وكلمة او للشك بل للتنويع وتقسيم القارئين فالاول لمن يقرؤهما
ولا يفهم المعنى والثانى للجامع بين التلاوة ودراية المعنى لمن ضم اليهما التعليم والارشاد قوله تحاجان
عن اصحابهما اى يدفعان عنه الجحيم او الزبانية او يجادلان الله على سعيه فى الدين ورسوخه فى اليقين
واما درر هذه السورة وجواهرها فراجع فى الجواهر اسم كتاب لحجة الاسلام **سورة النساء
مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية** قال القرطبى هذه السورة مدنية الا اية
منها وهى قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فانها نزلت بمكة عام الفتح فى
عثمان بن ابى طلحة وقيل انها مدنية كلها والصحيح هو الاول فان فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله
عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلاف بين العلماء
ان النبى صلى الله عليه وسلم انما بنى بعائشة بالمدينة واما من قال يا ايها الناس مكى حيث وقع فليس بكلى
بل بطريق الاغلب لان البقرة مدنية وفيها يا ايها الناس فى موضعين وانما سميت بسورة النساء
لان ما نزل منها فى احكامهن اكثر مما نزل فى غيرها والمناسبة بين هذه السورة وآل عمران من حيث
ان آل عمران ختمت بالامر بالتقوى وافتتحت هذه السورة به وهذه السورة كالشرح لبقية مجملات
سورة البقرة فى آيات عديدة كآية اليتامى والوصية والمواريث والانكحة ونكاح الامة والصداق
والخلع والقتال وفى هذه السورة من المناسبة بسورة الفاتحة فى تفسير الذين انعمت عليهم فى قوله

فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس نداء عام وخطاب يشمل بني آدم باسرهم وقيل يا اهل مكة اتقوا ربكم اي خافوه او اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق ثم وصف ربوبيته بقوله الذي خلقكم من نفس واحدة يعني فرعكم من اصل واحد وهو من نفس آدم ابيكم وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى او عطف على محذوف هو صفة نفس واحدة تقديره من نفس واحدة خلقها وانشاها من تراب وخلق منها زوجها وهو اي خلق منها زوجها تقرير لخلقهم من نفس واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه وغيره خلق الله ادم ووحشا في الجنة وحده ثم نام فانتزع الله احد اضلاعه القصيرى من شماله فخلق منه حواء ويعضده الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم ان المراة خلقت من ضلع اعوج الحديث واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عمر قال خلقت حواء من خلق ادم الايسر وخلقت امراة ابليس من خلفه الايسر وسميت حواء لانها خلقت من حي قال صلى الله عليه وسلم عند نزول الاية خلقت المراة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب اي الزراعة والعمارة وبث منهما اي نشر وفرق واظهر من تلك النفس اعني ادم والزوج المخلوقة منها اعني حواء رجالا اي بنينا كثيرا ونساء اي بنات كثيرة ولم يصف النساء بالكثرة لدلالة كثرة الرجال على كثرتهن لامتناع مشاركة رجلين في امراة مع جواز اشتراك امراتين في رجل واحد قال السلطان والتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر اي من الرجال قلت لانهن بمنزلة المزارع المهياة لتحصيل الغلة فحقهن ان يكن اكثر من الازارع ولم يونث كثيرا لان الرجال بمعنى العدد او حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة معطيها وقدم الرجال لفضلهم وقرئ وخالق وبات على حذف مبتدا اي هو خالق وبات ثم امر بتقواه ثانيا للتاكيد وليحافظوا عليه ولا يغفلوا عنه فقال واتقوا الله الذي تساءلون به اي تقسمون بالله في حاجاتكم او يسال بعضكم بعضا فيقول اسالك بالله وبالرحم وانشدك بالله وبالرحم ان تقضي حاجتي مثلا على سبيل الاستعطاف وقرئ تسالون بالتشديد والتخفيف واصله تتساءلون فادغمت الثانية في السين وقرا عاصم وحمزة والكسائي بطرح التاء والارحام قرا العامة بالنصب على انه معطوف على اسم الله اي واتقوا الارحام ان تصلوها ولا تقطعوها او عطف على محل الجار والمجرور في به لان محله النصب كقولك مررت بزيد وعمرا وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور قال السلطان وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وذهب البصريون الى امتناع العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار وهنا ترك الجار اي ما قال وبالارحام وقال بعض المفسرين هذه القراة ثابتة بالتواتر فلا اعتماد على ما ذهب

اليه البصريون بزعمهم وقد طعن الزجاج في قراءة الجر لانها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم القسم بالارحام لانه قال لا تحلفوا بابائكم واجاب بعضهم عن الحديث بان المراد بالحلف بها على سبيل التعظيم واما على سبيل الاستعطاف فلا باس به وهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق ذكره صاحب اللباب فيه وقيل الواو في الارحام للقسم لا للعطف ورد بان قسم السوال يكون بالواو واجاب بانه ليس بقسم سوال بل قسم اخبار واستيناف كانه قيل والارحام الله عز وجل مطلع على ما تفعلون وقرئ على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتسال به وقد نبه سبحانه عز وجل على ان صلة الارحام بمكان منه عز وجل حيث قرن الارحام باسمه العظيم الاعظم وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله هكذا في الصحيحين برواية عائشة رضي الله عنها قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته رواه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا مطلعا عالما اي باسراركم حفيظا لاعمالكم مطلعا ناظرا اليها يسالكم عنها ويجازيكم بها قال صلى الله عليه وسلم ما من عمل حسنة اسرع ثوابا من صلة الرحم وما من عمل سيئة اسرع عقوبة من البغي ونزلت في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه وآتوا خطاب للاولياء والاوصياء اي اعطوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا لقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم وهو تعليم شريعة لا لغة اي سلموا اليهم اموالهم واليتامى جمع يتيم وهو الذي لا اب له من اليتم وهو الانفراد في العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود ه في الاية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بامتحانهم او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا لان المراد باليتامى هنا الكبار البالغون لان الولاة والقيم للايتام انما يومرون بدفع اموالهم اليهم بعد البلوغ فاللفظ مجاز باعتبار ما كان ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اي لا تستبدلوا الخبيث الحرام من اموال اليتامى بالحلال الطيب من اموالكم قال السعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي فربما كان احدهم ياخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعلون مكانها المهزولة وياخذ الدراهم الجيد ويجعل مكانه الزايف ويقولون درهم بدرهم وشاة بشاة فنهوا عن ذلك وقيل كان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان وياخذ الاكبر الميراث فنصيبه طيب وهذا الذي ياخذه خبيث وقال مجاهد لا تتعجل الرزق الحرام قبل ان ياتيك الحلال او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى يعني اختطافه واقتطاعه بالامر الطيب الذي هو حفظ اموالهم ولكن قيل في قولهم ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها هذا تبديل لان الباء دخلت على الماخوذ وليس بتبدل الذي يقتضي دخول الباء على المتروك كقوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي لا تاكلوا اموالهم مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله فلياكل بالمعروف نهى الله تعالى في الاية الاولى عن اكل مال اليتيم وحرمه

مخلوطة بغيره على ان يكون المراد بالخبيث مال اليتيم ثم نهى عن ضم اموالهم الى اموال انفسهم
وفى كلتا الكلامين اشارة الى التجنب عن اموالهم انه اى الاكل من اموالهم كان حوبا
اى ذنبا كبيرا عظيما وقرى حوبا بفتح الحاء قال مقاتل والكلبى نزلت قوله ولا تاكلوا اموالهم الى
رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه فترافعا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه
هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا كيف بقى الوزر يا رسول الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر
على والده وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى يقال للاناث يتامى كما يقال للذكور وهى
جمع يتيمة ويتيم اختلفوا فى تاويلها قال بعضهم معناه وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن
اذا انكحتموهن وتزوجتم بهن فانكحوا اى فتزوجوا ما طاب اى من حل لكم غير اليتامى من الغرايب
والاجانب لعدم تسلطكم على اموال الاباعد من النساء التى حل لكم نكاحهن يعنى دون المحرمات
التى ذكرت فى قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الاية سئل عايشة رضى الله عنها عن قوله تعالى وان خفتم
ان لا تقسطوا فى اليتامى قالت هى اليتيمة فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد ان يتزوجها
بادنى من سنة نسائها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا ويعدلوا لهن فى اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا
من سواهن من النساء اللاتى يحل لهم لان من النساء ما حرم لهم كاللاتى فى اية التحريم قال فى معنى
الاية ايضا ان خفتم ان لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن اذ
كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر
على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا
بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو
غير متحرج ولا تايب لانه يجب ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا
منه ولا يتهم ما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر
من الازواج والثمانى فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية
اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنا فباشرة
ما يدفع عنكم داعية الزنا فانكحوا ما حل لكم واستعملت كلمة ما فى النساء مع اختصاصها او غلبتها فى غير
ذوى العقول لان هذه التفرقة انما هى اذا اريدت الذات واما اذا اريدت الوصف كما تقول فى الاستفهام
ما زيد اى افاضل ام كريم فهو بكلمة ما دون من بحكم الوضع على ما ذكره صاحب المفتاح والبيضاوى
وغيرهما بان انكره البعض وههنا المراد الصفة اى فانكحوا الموصوفة باى صفة اردتم من البكر والثيب
والشابة والجلة والنسيبة واضداد ذلك الى غير ذلك من الاوصاف وقيل اجراهن مجرى غير العقلاء
لنقصان عقلهن وقرى تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا وتظلموا ثم رخص
فى نكاح اربع نسوة وبين لهم العدد لانهم كانوا يتزوجون ما شاؤوا من غير عدد فقال مثنى وثلاث
ورباع

ورباع ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه او مختلفين
كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة يعنى فانكحوا اثنتين اثنتين وثلثا
ثلثا واربعا اربعا ولا تزيدوا وعلى ذلك فان قلت الذى اطلق للناكح فى الجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع
فما معنى التكرير فى مثنى وثلث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع
ما اراده من العدد الذى اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذه الدراهم وهى الف درهم درهمين
درهمين الخ كما قررنا ولو افردت لم يكن له معنى وبحى بالواو ليدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جى
باو مكانها لذهب معنى التجويز اقول وليس من شان البليغ ان يعبر فى العبارة عن التسعة او تسعة
عشر باثنين وثلثة واربعة ومثنى وثلاث ورباع فمن قال اعط زيدا اثنين وثلثة
واربعة وهو يريد تسعة او اعط زيدا مثنى وثلاث ورباع وهو يريد تسعة عشر
كان ذلك اخبا كلام فالمراد من الاية الاذن لكل ناكح الخ كما ذكرنا يعنى فانكحوا الطيبات لكم معدودة
هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا على اختلاف الاحوال لان الاربع انما يحل نكاحهن
اذا لم يتقدمها ثلاث وكذلك الثلاث اذا لم يتقدمها ثنتان يعنى ابيح لكم ما حل هذا العدد دون ما عداه
ولنرجع الى الاعراب اتفق النحويون على ان فى مثنى وثلاث ورباع عدلا محققا وذلك انه ابدلها فانهم
امتروا ذى اجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه فى غير العدد مكرر على الاطراد فى كلام العرب
نحو قرات الكتاب جزءا جزءا وجاءنى القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة فكان القياس فى باب
العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلث
غير مكرر لفظا ومعناه مكرر حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلثة ثلثة فعند سيبويه منع
صرف مثل هذا للعدل والوصف الاصلى فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف العدد لغيره
وقيل انها منعت من الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وتحقيق
العدلين انها اخرجت عن اوزانها الاصلية الى اوزان اخر وعن تكررها الى التوحيد فان ذلك ايضا
تغيير للصيغة نظرا الى المجموع قال التفتازانى وما ذكر من القول انها منعت من الصرف لما فيها من العدلين
الخ عايد الى ما ذهب اليه ابن السراج ان فيها عدلين لفظيا ومعنويا لان مثنى معدول عن لفظ
اثنين وعن معناه اعنى الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين ومحلهن النصب على الحال من ما طاب
لكم لا من النساء اذ لا معنى له وانما المعنى تقييد نكاح ما طاب بكونها معدودات هذا العدد ومفصلا
هذا التفصيل نعم لو جعلت من بيانية لا تبعيضية لم يبعد جعلها حالا من النساء لكن الظاهر هو
التبعيضية لان منهن من لا تحل فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل
فيما فوقها او فى اليتامى فواحدة اى فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع بالكلية حتى الاثنينية فى
يستفاد من السوق ان الافضل تكثير الازواج الى الاربعة عند عدم الخوف وهذا اختاره رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرى بالرفع على انه فاعل فعل محذوف تقديره فتكفيكم واحدة او مبتدا والخبر
مقدر اى كافية او خبر والمبتدا مقدر اى فحسبكم واحدة او فالمقنع واحدة او اقتصروا على
ما ملكت ايمانكم اى ان خفتم ان لا تعدلوا فى عشرة واحدة من الحراير فما ملكت ايمانكم اى

متى ملكتم بالشراء او غيره من السراري لانها اخف مونة من الحرائر يعني فلا عليكم ان اكثرتم من السراري
او اقللتم عدلتم بينهن في القسم او لم تعدلوا عزلتم عنهن او لم تعزلوا فسوى الله بين الواحدة من
الازواج والعدد الكثير من السراري لخفة مونتهن وعدم وجوب القسم بينهن **ذلك** اي اختيار
نكاح الاربع فقط او الواحدة او التسري **ادنى الا تعولوا** اي اقرب من ان لا تميلوا وان لا تجوروا
يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وظلم وقال مجاهد اراد ان لا تضلوا وقال الفراء
معناه ان لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم واعلم ان معنى تعولوا بالواو اي تميلوا وتجوروا ومعنى تعيلوا
بالياء اي لا تكثر عيالكم وحكي ان الشافعي رضي الله عنه انه فسر ما هو بمعنى الميل بما هو بكثرة العيال
ويؤيده لو صح منه ذلك قراءة طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا بالياء او عبر عن كثرة العيال بكثرة الولد
على الكناية لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم فانه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم
فاراد الامام رحمه الله بذلك المعنى الكنائي لا المطابقي قال ابو حاتم كان الشافعي رحمه الله اعلم بلسان
العرب منا وهي لغة حمير وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم قال السلطان ولعل المراد
بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز
العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع **وآتوا النساء صدقاتهن** اي اعطوا
النساء مهورهن والقراءة المشهورة بفتح الصاد وضم الدال وقرئ بضم الصاد واسكان الدال جمع
صُدْقة كغرفة وزنا وقرئ بضمهما على التوحيد اي صدقتهن **نحلة** قال ابن عباس وقتادة
وابن جريج اي فريضة من الله لانها مما فرضه الله تعالى اي اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة
منه تعالى والخطاب للازواج وقيل الخطاب للاولياء كانوا يأخذون مهور البنات ولا يعطونهن
منه شيئا اي اعطوهن ديانة وشرعا وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه
عليهن والمعنى ان الله تعالى جعل الصداق نحلة للنساء فامر الازواج باعطاء مهور النساء بطيبة نفس
يعني من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة فيها لان ما يؤخذ بالمخاصمة لا يقال له نحلة اخرج ابن ابي شيبة عن
زيد بن اسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من نكح امراة وهو يريد ان يذهب بمهرها فهو عند الله زان
يوم القيامة وقال الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما فنهوا
عن ذلك وامروا بتسمية المهر في العقد **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا** يعني
ان وهبن لكم ايها الازواج من الصداق عن طيب نفس من غير اكراه ولا خديعة وشوم خلق
وخوف ضرب ونفسا تمييز لبيان الجنس **فكلوه هنيئا** لا اثم فيه **مريئا** لا اذى فيه كذا فسرها النبي
عليه السلام او طيبا محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة او سائغا طيبا وتخذوه وانفقوه حلالا
بلا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه او هما وصف مصدر
اي فكلوه اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وهذه عبارة عن المبالغة في
الاباحة وازالة التبعة وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت وتجوز للزوجة ابراء ذمة زوجها عن مهرها
قبل القبض لان الله لم يفرق بين كونه قبل القبض او بعد القبض وليس المراد نفس الاكل بل المراد منه حل التصرف

مطلقا

مطلقا اي سواء كان المهر عينا او دينا ولهذا فسر السلطان بقوله فخذوه وانفقوه كما ذكرنا وانما ذكر
الاكل لانه معظم المقصود من المال وعن علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم شيئا فليسأل امرأته
ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئا مريئا وشفاء
ومباركا **ولا تؤتوا** اي لا تعطوا ايها الاولياء **السفهاء** اي المبذرين الذين لا رشد لهم كالمجانين
واليتامى الغير البالغين **اموالكم** اي اموالهم التي محفوظة عندكم في تصرفكم كيلا يضيعوها وذهب
اكثر المفسرين على ان الخطاب للاولياء خاصة وهو الملايم للآيات السابقة اي وآتوا اليتامى اموالهم
واللاحقة وقيل الخطاب عام لكل احد ان يعمد الى ما اعطاه الله فيعطي امرأته واولاده وان كانوا
اصحاب رشد ثم ينظر الى ما في ايديهم **التي جعل الله لكم قياما** اي صيرها الله لكم قواما
ومعاشا يعني سبب القيام ابدانكم وبقائها ولانتظام دينكم كالحج والجهاد وغير ذلك من انواع الخيرات
وقياما مصدر قام اي تقوم بها معاشكم وصلاحكم فلا تضيعوها في غير وجهها وسمي ما به القيام قياما
للمبالغة وقرئ قيما جمع قيمة اي ما يقوم به الامتعة وكان السلف يقول ان المال سلاح المؤمن
اي من الفقر الذي يهلك دينه ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى
الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وقيل اكتسبوا المال فانكم
في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه فاحفظوا اموالكم من السفهاء لا من الفقراء واهل
الديانة واختلفوا في السفهاء فقيل هم النساء ازواجا او بنات او امهات وقيل الاولاد قال الزهري
يقول الله لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده وقيل النساء والصبيان
قال الحسن هي امرأتك السفيهة وابنك السفيه قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية اي لا تعمد الى
مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك
ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم قال
الكلبي اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما
على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق
عليه حتى يبلغ **وارزقوهم فيها واكسوهم** اي اجعلوا اموالهم مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها
وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه او اطعموهم منها واكسوهم لمن يجب عليكم رزقه ومؤنته وانما قال
فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا فالرزق من الله العطية من غير حد ومن العباد اجر
موقتا محدودا **وقولوا لهم قولا معروفا** اي كلموهم كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعدوهم
وعدا جميلا باعطائهم اموالهم اذا رشدوا يعني بان تقولوا لهم اذا اصلحتم ورشدتم سلمنا اليكم
اموالكم هذا اذا كان الخطاب للاولياء وهو الظاهر وان كان لكل احد فمراده يقال مثلا ان غنمت
في غزاتي او ربحت في تجارتي حصلت لكم حظا والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن يعني كل ما
سكنت اليه النفس لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه فهو منكر **وابتلوا
اليتامى** اي اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن
التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد حسب ما يليق بحال كل احد فولد التاجر يختبر بالبيع والشراء

اي الصبي

بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشراء منه وما فيهما من المفاسد والمصالح فيعرف بذلك مقدار فهمه و عقله
وبتجربة البنات بالغزل والقطن وتدبير البيت ثم الولي بعد ذلك يتم العقد ان اراد وهذا عند الشافعي
رضي الله عنه فان تصرف الصبي العاقل المميز لا يجوز عنده سواء اذن له الولي بذلك او لم ياذن
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه يجوز تصرفه باذن الولي حتى اذا بلغوا النكاح اي حتى اذا
بلغوا حد البلوغ بان يحتلم لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا وبلوغ النكاح كناية
عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو المقصود به وهو التوالد ومناط الاحكام بخروج المني
اي سواء بالاحتلام او بالجماع او غيرهما كالنظر فاذا وجد ذلك بعد استكمال تسع سنين من
الرجال او النساء يحكم ببلوغه او يستكمل خمسة عشر سنة لقوله عليه السلام اذا استكمل المولود خمسة
عشر سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه الحدود رواه البيهقي ولما روى مسلم عن ابن عمر رضي
الله عنهما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني ف
عرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمسة عشر سنة فاجازني وهذان يشتركان بين الغلام والجارية
ولهما امارتان اخريان الحيض والحبل والاطفال الكفار امارة زايدة هي انبات الشعر الخشن على
العانة وقال ابو حنيفة رحمه الله بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام بكمال ثماني
عشرة سنة فان انستم اي ابصرتم منهم رشدا اي صلاحا في دينهم ومالهم فالصلاح في الدين
هو ان يكون مجتنبا للفواحش والمعاصي التي يسقط العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا
والتبذير هو ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية ولا يحسن التصرف
فيغبن في البيوع فاذا بلغ الصبي وهو مفسد في دينه وغير مصلح لماله دام عليه الحجر ولا يدفع اليه
ماله ولا ينفذ تصرفه وعند بعضهم اذا كان مصلحا لماله زال الحجر عنه وان كان مفسدا في دينه
واذا كان مفسدا لماله لا يدفع المال اليه حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة غير ان تصرفه يكون نافذا
قبله والقران حجة لمن استدام الحجر عليه لان الله تعالى نفى الرشد عن فرعون في قوله وما امر فرعون
برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ولانه قال حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ لانه امر بدفع المال اليهم بعد البلوغ وايناس الرشد
والفاسق لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد
فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن فاذا بلغ واونس منه الرشد زال عنه
الحجر ودفع اليه المال رجلا كان او امراة تزوج او لم يتزوج وعند مالك رحمه الله انه اذا كانت
امراة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج واذا تزوجت دفع المال اليها ولكن لا ينفذ تصرفها الا باذن
الزوج ما لم تكبر وتجرب فاذا بلغ الصبي رشيدا وزال الحجر عنه ثم عاد سفيها نظر ان عاد مبذرا
لماله يحجر عليه وان عاد مفسدا لدينه فعلى وجهين احدهما يعاد الحجر عليه كما يستدام الحجر عليه
اذا بلغ بهذه الصفة والثاني لا يعاد عليه الحجر لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتداء وعند ابي حنيفة
لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روى عن هشام بن
عروة عن ابيه انه قال ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي رضي الله

لاتين عثمان فلاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الى الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك في
بيعك فاتى علي عثمان رضي الله عنهما وقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر
على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه ونظم
الاية ان اي الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه
لا يدفع اليهم ما لم يونس منهم الرشد ولا تاكلوها يا معشر الاولياء اسرافا اي مسرفين بغير حق
وبدارا اي مسارعين ومبادرين الى انفاقها مخافة وحذرا من ان يكبروا اي ان يبلغوا
رشدا فيلزمكم تسليمها اليهم وهما مصدران منصوبان وقعا موقع الحال اي مسرفين ومبادرين
كبرهم او مفعول لاجله اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم نقل عن ابن عباس انه قال كان الاولياء
يغتنمون اكل مال اليتيم لئلا يكبر فينتزع المال منهم يقال كبر بكسر الباء اي في السن وكبر بضم
الباء في القدر والعظم والمتعدي بعلى بمعنى المشقة يقال كبر علي اي شق ثم بين ما يحل للاولياء
من اموالهم فقال ومن كان غنيا فليستعفف اي فليمتنع من اكل مال اليتيم فلا يرزاه قليلا ولا كثيرا
والعفة الامتناع مما لا يحل وفي الانوار وليس للولي اخذ اجرة او نفقة من مال اليتيم ان غني
وان افتقر وانقطع بالولاية عن الكسب اخذ قدر النفقة باذن القاضي ولا ضمان ان قدر الحاصل
ان كان ولي اليتيم غنيا فليقنع بما رزقه الله تعالى اشفاقا عليه وطلبا للاجرة الاخرة ومن كان
فقيرا فلياكل بالمعروف اي ومن كان محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فلياكل بالمعروف
قال السيوطي اي بقدر اجرة عمله قال السلطان اي بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال
له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال
مما كنت ضاربا منه ولدك رواه ابو داود والنسائي وغيرهما وفي رواية اخرى ان رجلا قال يا رسول الله
اني فقير لا شيء لي وعندي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلفوا في
انه هل يلزم الولي القضاء فذهب قوم الى انه يقضي اذا ايسر وهو المراد من قوله فلياكل بالمعروف
والمعروف القرض اي يستقرض مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد
وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله بمنزلة اليتيم اذا استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال الشعبي لا ياكل الا ان يضطر اليه
كما يضطر الى الميتة ثم اختلف في ان الوصي او القيم اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه هل
هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كساير الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق
الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم
بانهم قبضوها وظاهر الامر للوجوب ولانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة
كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف بغير اقامة
البينة على ذلك وتنفيره الناس عن عدم قبول الولاية والوصاية وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا

فلا تخالفوا ما امرتم ولا تتجاوزوا ما حد لكم او كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض وفيه تهديد
للولي واليتيم ان يتصادقوا ولا يتكاذبوا وقال ابن عباس مجازيا للمحسن والمسيء ونزل ردا لما كان
الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار للرجال اي الاولاد والاقرباء نصيب اي حظ مما
ترك الوالدان والاقربون يعني للذكور من اولاد الميت حظ مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث
وللنساء اي للاناث نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اي من المال
المتروك او كثر من ذلك المال جعله الله نصيبا حظا مفروضا اي فريضة من الله مقطوعا
بتسليمه اليهم ونزلت الاية في وفات اوس بن ثابت الانصاري وخلف زوجته ام كحة
وثلث بنات وابناء عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة فزوى ابناء عمه المال ومنع الزوجة
والبنات على سنة الجاهلية فنزل للرجال الى مفروضا ثم نزل يوصيكم الله في اولادكم للذكر الخ
فاعطى النبي عليه السلام للمراة الثمن وللبنات الثلثين والباقي لابني العم احتج بعض اصحاب ابي حنيفة
بهذه الاية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال واولاد البنات لان الكل من
الاقربين واجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر والمراد
بالاقارب هنا اقرب الناس الى الميت وما ذاك الا الوالدان والاولاد واذا حضر القسمة اي قسمة
التركة بين الورثة اولوا القربى اي ذو القرابة ممن لا يرث بل يحزن لموت الميت واليتامى
والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة او فاعطوهم شيئا من
من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبالغين من الورثة وقيل امر وجوب
ثم اختلف في نسخه وقيل امر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل نسخ الوجوب باية الميراث والضمير في منه
لما ترك او ما دل عليه القسمة واما اذا كانت الورثة صغارا فليس الا القول المعروف كان يقول
الولي اني لا املك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم وان يكبروا فسيعرفون
حقكم وقولوا لهم اي قولوا لها الاولياء لليتامى والمساكين قولا معروفا وهو ان يدعو
لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وان كانت الورثة صغارا فقد علمنا كيف يدعوهم الاولياء
وليخش اي ليخف على اليتامى الذين اي الاوصياء لو تركوا اي لو قاربوا ان يتركوا من خلفهم
اي من بعد موتهم ذرية اولادا ضعافا صغارا خافوا عليهم الضياع فهذا امر للاوصياء بان يخشوا
الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم لو تركوا
اولادهم صغارا وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة
او الامر لمن حضر المريض عند الايصاء روي عن ابن عباس انه قال كان المريض يحضره من يحثه على
الوصية ويقول له قدم لنفسك خيرا فان ورثتك لا يغنون عنك من الله شيئا فيوصي بجميع ماله
ويترك ورثته عالة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم ان يحثوه على الوصية بثلث ماله ان كان
شيئا لا ويترك الباقي للورثة او الامر للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى
والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم
او الامر للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية وعلى التقادير مفعول ليخش محذوف بقرينة

وقوله

قوله فليتقوا الله ولو جوابه اعني به خافوا عليهم جعل صلة الذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب
كافلهم وكاسبهم جعل الله تعالى اخر ما دعاهم به الى حفظ مال اليتيم ان ينبههم على حال
انفسهم وذريتهم وذلك من اقوى البواعث في هذا المقصود على الاحتياط وفي ترتيب الامر بالخشية
على خوف من شارف ان يموت ويترك خلفه ذرية ضعافا فالاشارة الى المقصود من الامر والى
العلة فيه وتحث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده كما اشرنا وتهديد للمخالف
بحال اولاده فليتقوا الله في امر اليتامى وليأتوا اليهم ما يحبون ان يفعل بذريتهم من بعدهم
كما ذكرنا وليقولوا لمن قرب الزهوق قولا سديدا اي صوابا بان يامروه ان يتصدق
بدون ثلث ماله ويدع الباقي لورثته ويذكره التوبة وكلمة الشهادة ولا يتركهم عالة قال
ابو حيان ترتيب هذه الاوامر احسن ترتيب حيث بدأ اولا بالخشية التي محلها القلب وهي
الاحتراز من الشيء وهي الحاملة على التقوى ثم بالتقوى وهي مسببة عن الخشية اذ هي جعل
المرء نفسه في وقاية مما يخشاه ثم بالقول السديد وهو ما يظهر من الفعل الناشئ عن التقوى
الناشئة عن الخشية ولا يراد القول السديد فقط بل المعنى على الفعل والقول السديدين وانما
اقتصر على القول لسهولته على الانسان ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي ظالمين
او على وجه الظلم يعني حراما بغير حق انما يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي
يأكلون ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله تعالى
قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما الاية فان قيل الاكل انما يكون في البطن فما فائدة قوله يأكلون في بطونهم فالجواب
ان المراد به التأكيد والمبالغة كقوله تعالى يقولون بألسنتهم وقد ذكر الله الاكل والمراد منه كل
نوع من انواع الاتلاف ولكن الاكل هو المعظم وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا واي نار
قرئ بالبناء للفاعل والمفعول ثم لما اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب
فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اي يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم اي في شأن ميراثهم
وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص
على حظه لان القصد الى بيان فضله فله نصف المال ولاخته النصف وان كان معه واحدة
فلها الثلث وله الثلثان وان انفرد حاز المال كله فان كن نساء فقط اي الاولاد والبنات
باعتبار الخبر اعني نساء خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين اي نساء زائدات على اثنتين وفوق
صلة فلهن ثلثا ما ترك الميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت
وان كانت اي البنت المولودة واحدة اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت قرأ نافع بالرفع على
ان كان تامة والباقون بالنصب على كونها ناقصة فلها النصف ولما لم يكن حكم البنتين مذكورا
صريحا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض

البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لا يوجد المشروط بالوحدة وعن اكثر الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فيلزم ان يكون للبنتين الثلثان وايضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد آخر انثى وهو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على ان حكم الانثيين حكم الذكر حالة اجتماعه معهما وحكم الذكر حيازة الثلثين فكذا حكم الانثيين لتحصل المماثلة في الحظ وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين وقد فرض لهما الثلثان بقوله في آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى هذا قياس جلي وقيل في الاية تقديم وتاخير اي فان كن نساء اثنتين فما فوقهما تمهيد في معرفة بعض احكام علم الفرايض اعلم ان الوراثة كانت في الجاهلية بالذكورة والقوة وكانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان فابطل الله ذلك بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب الآية وكانت الوراثة ايضا في الجاهلية وابتداء الاسلام بالمحالفة قال الله تعالى والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ثم صارت الوراثة بالهجرة قال الله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فنسخ ذلك كله وصارت الوراثة باحدى الامور الثلثة بالنسب او النكاح او الولاء فالمعني بالنسب ان القرابة يرث بعضهم من بعض لقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله والمعني بالنكاح ان احد الزوجين يرث صاحبه وبالولاء ان المعتق وعصابته يرثون المعتق فنذكر بعون الله سنة في بيان من يرث من الاقارب وكيفية توريث الورثة فنقول اذا مات ميت وله مال يبدأ بتجهيزه ثم بقضاء ديونه ثم بانفاذ وصاياه فما فضل يقسم بين الورثة ثم الورثة على ثلثة اقسام منهم من يرث بالفرض ومنهم من يرث بالتعصيب ومنهم من يرث بهما جميعا فمن يرث بالنكاح لا يرث بالتعصيب ومن يرث بالولاء لا يرث بالفرض اما من يرث بالقرابة فمنهم من يرث بالفرض كالبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام ومنهم من يرث بالتعصيب كالبنين والاخوة وبني الاخوة والاعمام وبنيهم ومنهم من يرث بهما جميعا كالاب يرث بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد وان كان للميت ابن يرث الاب بالفرض السدس وان كان للميت بنت يرث الاب السدس بالفرض وياخذ الباقي بعد نصيب البنت بالتعصيب وكذلك الجد ايضا وصاحب التعصيب من ياخذ جميع المال عند الانفراد وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرايض وجملة الورثة سبعة عشر عشرة من الرجال وسبعة من النساء فمن الرجال الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد ابو الاب وان علا والاخ سواء كان لاب وام او لاب او لام وابن الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا والزوج ومولى العتاق ومن النساء البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة ام الام او ام الاب والاخت سواء كانت لاب وام او لاب او لام والزوجة ومولاة العتاق وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة والاسباب التي توجب حرمان الميراث اربعة اختلاف

الدين

الدين والرق والقتل وعمى الموت يعني باختلاف الدين ان الكافر لا يرث المسلم والمسلم لا يرث الكافر لما روى الشافعي عن ابن عيينة عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن اسامة ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم واما الكفار يرث بعضهم من بعض مع اختلاف مللهم لان الكفر كله ملة واحدة لقوله تعالى والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذهب بعض اهل العلم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث حتى لا يرث اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي واليه ذهب الزهري والاوزاعي واحمد واسحاق لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يتوارث اهل ملتين شتى وتاوله الآخرون على الاسلام مع الكفر فاما الكفر فكله ملة واحدة فيورث بعضهم من بعض لا يكون اثبات التوارث في اهل ملتين شتى والرقيق لا يرث احدا ولا يرثه احد لانه لا ملك له ولا فرق فيه بين القن والمدبر والمكاتب وام الولد والقتل يمنع الميراث عمدا كان او خطأ لما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القاتل لا يرث ونعني بعمى الموت ان المتوارثين اذا عمي موتهما بان غرقا في ماء او انهدم عليهما بناء فلم يدر ايهما سبق موته فلا يورث احدهما من الآخر بل ميراث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته واما المرتد فماله في بيت المال للمسلمين سواء اكتسب في الاسلام ام لا لا يرثه اقاربه المسلمون واما الانبياء عليهم السلام لا يورثون ثم السهام المحدودة في الفرايض ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض ثلثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او للابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام او للاب اذا لم يكن له ولد لاب وام والربع فرض الزوج اذا كان للميتة ولد وفرض الزوجة اذا لم يكن للميت ولد والثمن فرض الزوجة اذا كان للميت ولد والثلثان فرض البنتين للصلب فصاعدا او للابن عند عدم الصلب وفرض الاختين للاب والام او للاب فصاعدا والثلث فرض ثلثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسالتين احديهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث ما بقي بعد نصيب الزوج والزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسالة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة واما السدس ففرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او اثنان من الاخوة وفرض الجد اذا كان للميت ولد مع الاخوة اذا كان في المسالة صاحب فرض وكان السدس خيرا من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن اذا كان للميت ابنة واحدة للصلب تكملة الثلثين وفرض الاخوات اذا كان للميت اخت واحدة لاب وام تكملة الثلثين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر وفي الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب نوعان حجب نقصان وحجب حرمان فحجب النقصان هو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا يحجبون الام من الثلث الى السدس وحجب الحرمان هو ان الام تسقط الجدات واولاد الام وهم الاخوة

للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد الابن واولاد الاب والام يسقطون بثلثة بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق رحمهم الله واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلثة بالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم وبه قال الحسن وعطا وطاوس وابو حنيفة رحمهم الله واقرب العصبات يسقط الابعد من العصوبة فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد ابو الاب وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة او الاخوات للاب والام او للاب دون الام يشتركان في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم للاب والام ثم العم للاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد ثم على هذا الترتيب فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب حتى لو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم ياخذ من الثلثين شيئا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن وان سفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون عصبة مع البنت حتى لو مات عن بنت واخت كان النصف للبنت والباقي للاخت ولو مات عن بنتين فللبنتين الثلثان والباقي للاخت والدليل عليه ما اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ادم ثنا شعبة ثنا ابو قيس قال سمعت هزيل بن شرحبيل يقول سئل ابو موسى عن بنت وبنت ابن واخت فقال للبنت النصف وللاخت النصف وائت ابن مسعود فسيتابعني فسال ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين اقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم للبنت النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاتينا ابا موسى فاخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم ولنرجع الى ما نحن بصدده من تفسير الاية واعلم ان جميع ما ذكرنا من قوله تعالى يوصيكم الله الى هنا انما هو في حال انفراد الاولاد اما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله تعالى **وَلِأَبَوَيْهِ** اي ولابوي الميت **لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا** بدل من ابويه بتكرير العامل وفائدة البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما في السدس ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما لا على التسوية مع ان السدسين يقسم بينهما بالتسوية والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما **مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ** اي للميت **وَلَدٌ** او ولد ابن ذكرا او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة **فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ** اي للميت **وَلَدٌ** لا ذكرا ولا انثى **وَوَرِثَهُ** اي

الميت **أَبَوَاهُ** فقط او مع زوج **فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ** مما ترك والباقي وهو الثلثان للاب فكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب قرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة استثقالا للضمة بعد الكسرة وقرا الاخرون بالضم على الاصل وعلى ما ذكرنا بان للام الثلث والباقي للاب ينبغي ان يكون فرض الام فيما اذا خلف الميت زوجا وابوين او زوجة وابوين ثلث ما بقي من فرض احد الزوجين وقد ذهب اليه جمهور الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لا ثلث المال كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع **وَإِنْ كَانَ لَهُ** اي للميت **إِخْوَةٌ** اي اثنان فصاعدا ذكورا او اناثا **فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ** والباقي يكون للاب ان كان معها اب فالاخوة لا ميراث لهم مع الاب ولكنهم يحجبون الام من الثلث الى السدس وقال ابن عباس لا يحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان تكونوا ثلثة وقد تفرد به وقال لان الله قال فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يقال للاثنين اخوة فنقول اسم الجمع قد يقع على التثنية لان الجمع ضم شيء الى شيء وهو موجود في الاثنين كما قال الله تعالى فقد صغت قلوبكما ولم يقل قلباكما كما ذكر القلب بلفظ الجمع واضافه الى اثنين **مِنْ بَعْدِ** تنفيذ **وَصِيَّةٍ** ان كانت **يُوصِي بِهَا** بالبناء للفاعل والمفعول **أَوْ** قضاء **دَيْنٍ** ان كان فقوله من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد تنفيذ وصية ان كانت او دين ان كان لان ما يليه وحده وانما قال باو التي للاباحة والتسوية بين ما يوصى به والدين في وجوب الاخراج والاداء قبل القسمة دون الواو التي لا تفيد غير وجوب تقديم ما اوصى به والدين اذا وجبا جميعا دون ما اذا وجد احدهما اذ ربما يكون وجوب التقديم اثر الاجتماع فلا يتحقق عند الانفراد للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين او منفردين وقدم الوصية على الدين وان كانت مؤخرة عنه شرعا لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة قد يغفل عنها ويتهاونون بها فاكد بالتقديم للاهتمام به **آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا** يعني اباؤكم وابناؤكم الذين يرثون اموالكم من بعد موتكم لا تدرون ولا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب له انفع فيكون الابن انفع ومنكم من يظن ان الابن انفع فيكون الاب انفع وانا العالم بمن هو انفع لكم منكم وقد دبرت امركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه لاني جعلت التفاوت في السهام بحسب تفاوت المنافع وانتم لا تدرون تفاوتها وفرضت الفرائض على وجه الحكمة والمصلحة وانتم لا تعلمون فتخرقوا في ما وصيت لكم ولا تقصدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض وقال ابن عباس رضي الله عنه اطوعكم لله عز وجل من الاباء والابناء ارفعكم درجة يوم القيمة والله يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة رفع اليه ولده وان كان الولد ارفع درجة يوم القيمة رفع اليه والده لتقر بذلك اعينهم قوله اباؤكم الى قوله نفعا جملة اعتراضية موكدة للوصية باخراجها لا محل لها من الاعراب وقوله ايهم اقرب نفعا في محل النصب بتدرون **فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ** مصدر موكد اي فرض الله الميراث فريضة او مصدر يوصيكم لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم فلا تغيروا **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا** بمصالح خلقه ومراتبهم **حَكِيمًا** اي بنصب الاحكام فيما قضى ودبر وعلم

بزل متصفا بذلك ولكم اى للرجال نصف ما ترك ازواجكم اى نساءكم ان لم يكن لهن
ولد منكم او من غيركم فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى مما تركت ازواجكم
والمعنى ان لم يكن لهن ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا
كان او انثى منكم او من غيركم وان كان لهن ولد فارث الح فيكون كل واحد من هذه الاولاد حاجبا
للزوج من النصف الى الربع كما قال الله تعالى فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين
بها او دين اى اخذ النصف او الربع من بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصية ولهن اى الزوجات
تعدد ن ام لا الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد منهن
او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل
بحق الزوج ضعف ما للمراة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا فى الجهة والقرب
ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن
وقولنا الا اولاد الام اى فانهم حيث لم يفضل المعتق على المعتقة اذا مات المعتق ولم يخلف
صاحب فرض بل استوجب كل واحد منهما حق العصبة وههنا مسئلة ذهب الشافعى واحمد رحمهما الله
الى انه يجوز للرجل غسل زوجته لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم سماها زوجة بعد الموت وقال
ابو حنيفة رحمه الله لا يجوز لانها ليست زوجته لانه لا يحل له وطيها بعد الموت واجيب بانها لو لم تكن
زوجته لكان قوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم مجازا ولو كانت زوجته مع انه لا يحل له وطيها
لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص اولى كما بين فى اصول الفقه كيف
لا وقد علم فى صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطى كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان
وعند اشتغالها بالصلوات المفروضة والحج المفروض وان كان اى الميت رجل يورث
اى يورث منه صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فى يورث وعلى كل
واحد من هذين الاحتمالين يكون الرجل عبارة عن الميت وتكون الكلالة اسما للميت الذى لم
يخلف ولدا ولا والدا وهذا قول جمهور اهل اللغة وقول على وابن مسعود رضى الله عنهما وذهب
اكثر الصحابة رضى الله عنهم الى ان الكلالة اسم لمن عدا الوالدين والولد من الورثة ويرد هذا
القول بان الاية نزلت فى جابر رضى الله عنه روى عنه انه قال مرضت مرضا اشرفت منه
على الموت فاتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انى رجل لا يرثنى الا كلالة وليس
له يومئذ ولد ولا احد من الوالدين ويورث من باب الافعال والكلالة تنطلق على معان ثلثة
اعنى على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من
جهة الولد والوالد والكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء فاستعير
للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتها كالة ضعيفة ووصف بها المورث
والوارث وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال الكلالة ما خلا الولد
والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد
اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابى وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابى وقاص

وله اخ واخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر فى اخر السورة
من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث
ولم يزدادوا على الثلث شيئا انه يعنى بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد
من ساير الاخوة الاخياف اى لام والاعيان اى الاخوة لاب وام واولاد العلات اى الاخوة لاب
او امراة عطف على رجل اى او امراة تورث كلالة وله اى لواحد من الرجل والمراة وقيل للرجل
واكتفى بحكمه عن حكم المراة الوارثة لدلالة العطف على تشاركهما فى الحكم اخ او اخت اى من الام
ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام كما ذكرنا انفا ويدل عليه ايضا
ما ذكر فى اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر
ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما من الاخ وللاخت السدس
من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول واما على الاحتمال الثانى فالضمير عائد
الى الرجل والى واحد من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له او لواحد
من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى فان كانوا اى الاخوة والاخوات
من الام اكثر من ذلك اى من واحد بان كانا اثنين فصاعدا فهم شركاء فى الثلث لانهم
يستحقون بقرابة الام وهى لا ترث اكثر من الثلث ولهذا لا يفضل الذكر منهم على الانثى لان الادلاء
بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت
الابن فخص فيه بالاجماع قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطبته الا ان الاية التى انزل الله
فى اول سورة النساء من شان الفرائض انزلها فى الولد والوالد والاية الثانية فى الزوج
والزوجة والاخوة من الام والاية التى ختم بها سورة النساء فى الاخوة والاخوات من الاب والام
والاية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
من بعد وصية يوصى بها او دين انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول
الاولاد والوالدان والثانى الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة غير مضار حال من
ضمير يوصى اى يوصى الميت حال كونه غير مدخل الضرر على الورثة بان يوصى باكثر من الثلث قال
الحسن هو ان يوصى بدين ليس عليه يعنى لقصد الاضرار بهم دون القربة وروى عن عكرمة
عن ابن عباس ان الاضرار فى الوصية من الكباير ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابى هريرة
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف فى وصيته
ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم
له بخير عمله فيدخل الجنة وصية من الله اى يوصيكم الله بذلك وصية كائنة من الله فالتجريد
فى وصية مصدر مؤكد ليوصيكم كقوله عز وجل فريضة من الله والله عليم حليم اى عليم
بالمضار وغيره وحليم لا يعاجل بعقوبته تلك اى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا
والمواريث حدود الله اى شرايعه التى حدها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ومن
يطع الله ورسوله فى جميع الاوامر والنواهى التى من جملتها ما فصل من امر المواريث واظهار الا

الجليل النهاية يدخله قرأ نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء والضمير لله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها حال من مفعول يدخله وهي مقدرة لان الخلود بعد الدخول
وكذلك خالدين وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريتا على غير من هما له
وصيغة الجمع بالنظر الى الجمعية من حيث المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا
وذلك اي ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر من وصف الخلود الفوز العظيم الذي
لا فوز وراءه ومن يعص الله ورسوله قال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله و
يتعد حدوده اي ويتعد ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده
استحلالا يدخله نارا عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق وله اي لمن
يعص الله عذاب مهين اي وله مع العذاب الحريق الجسماني عذاب مبهم لا يعرف كنهه وهو
العذاب الروحاني كما يؤذن وصفه وفسر الضحاك المعصية هنا بالشرك والكلبي التعدي
بالاستحلال كما ذكرنا فعلى هذا ليس في هذه الآية ما يدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم
في النار كما زعمت المعتزلة المتدلة والخوارج لانها في حق الكفار اذ الكافر هو الذي تعدى
الحدود كلها كما يفهم من ظاهر الجمع واما المؤمن العاصي فهو مطيع بالايمان غير متعد حد
التوحيد وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ من وفي خالدين معناها كما اشرنا واللاتي
يأتين الفاحشة اي الزنا ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما امر بالاحسان الى النساء بذكر
ايتاء صدقاتهن وتوريثهن امر بتطهيرهن من اثم الزنا وهو في الحقيقة احسان اليهن اذ هو
من مصالح دينهن وآخرتهن والمعنى واللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم
فاستشهدوا عليهن الخطاب للحكام اربعة منكم اي من رجال المسلمين يعني فاطلبوا ممن قذفهن
اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن جعل الله تعالى ما ثبت به الزنا شهادة اربعة من
رجال المسلمين تغليظا على المدعي وسترا على العباد فان شهدوا فامسكوهن اي فاحبسوهن
في البيوت اي وامنعوهن من مخالطة الناس اي واجعلوا البيوت عليهن سجنا حتى يتوفاهن
الموت اي يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت وفي ذكر الموت تهويل للموت وابرازه
في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد
اي في حق البكر بالجلد والتغريب في غير المحصن وفي حق الثيب بالجلد والرجم ويحتمل ان يكون المراد
به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض
للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني وهذا قيل الحكمة في حبس الزواني انه يمكن
ان المرأة انما تقع في الزنا غالبا بسبب خروجها وبروزها للرجال فاذا حبست في البيت فقد
تخلصت عن السبب الذي ارتكب الزنا بسببه فلا تقدم على الزنا بل تستمر على العفة او الى
ان يجعل الله لهن سبيلا اي طريقا الى الخروج منها كتعيين الحد المخلص عن الحبس او
النكاح المغني عن السفاح امروا بالحبس في اول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها
عاما ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن

سبيلا

سبيلا رواه مسلم قال محيي السنة والفرض ثم نسخ الجلد في حق الثيب وبقي الرجم عند اكثر اهل العلم وذهب
الى انه يجمع بين الجلد والرجم روي عن علي رضي الله عنه انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة
ثم رجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة العلماء على ان الثيب
لا يجلد مع الرجم لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وعند ابي حنيفة التغريب
ايضا منسوخ في حق البكر واكثر اهل العلم على انه ثابت وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب فان قيل الحد جلد وتغريب في حق البكر ورجم
بالحجارة في حق الثيب وهذا بعيد لان السبيل والخلاص عليها لا لها فان الرجم اغلظ من الحبس قلت الرجم خلصها
من الحبس في الدنيا ومن نار جهنم في الآخرة فصار السبيل لها لا عليها واللذان يأتيانها منكم
الرجل والمرأة والهاء راجعة الى الفاحشة قرأ ابن كثير بتشديد النون وقرأ الآخرون بالتخفيف وصف الزاني
والزانية بما وصف به المذكران تغليبا للذكر على الانثى قيل والظاهر من لفظ منكم تخصيص الحكم بالمسلمين والمسلمات
هنا ومن لفظ ومن نسائكم فيما سبق فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد قال عطاء وقتادة يعني
عيروهما باللسان اما خفت الله اما استحييت من الله حين زنيت قال ابن عباس سبوهما واشتموهما قال ابن عباس
هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فان قيل قد ذكر الحبس في الآية الاولى وذكر في هذه الآية
الايذاء فكيف وجه الجمع بينهما قيل الآية الاولى نزلت في النساء وهذه في الرجال وهو قول مجاهد وقيل الآية
الاولى في الثيب وهذه في البكر فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا عنهما
اي فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا مبالغا في قبول
التوبة رحيما فلا يعذب من تاب عليه وهذا كله كان قبل نزول الحدود فنسخ بالجلد والرجم
فالجلد في القرآن قال الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والرجم في السنة
وقال الحسن اول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب
التلاوة قال السيوطي رحمه الله الاذى والحبس منسوخان بالحد ان اريد بالفاحشة الزنا وكذا ان اريد
بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده وان كان محصنا بل يجلد ويغرب وارادة اللواط
اظهر بدليل تثنية الضمير وقيل الآية الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية في سورة النور في
الزناة وجملة حد الزنا ان الزاني اذا كان محصنا وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف العقل والبلوغ
والحرية والاصابة بالنكاح الصحيح فحده الرجم مسلما كان او ذميا وهو المراد من الثيب المذكور في الحديث وذهب
بعضهم الى ان الاسلام من شرائط الاحصان ولا يرجم الذمي وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين
زنيا وكانا قد احصنا وان كان الزاني غير محصن بان لم يجتمع فيه هذه الاوصاف الاربع نظر ان كان غير بالغ
او كان مجنونا لا حد عليه وان كان حرا بالغا عاقلا غير انه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب
عام الى مسافة تقصر فيها الصلاة وان كان عبدا فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان ان قلنا يغرب فكم يغرب
فيه قولان اصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين على نصف الحر انما التوبة على الله اي التي كتب على
نفسه قبولها بفضله وكرمه لا وجوبا بحيث يلزمه تركه الاثم قال الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله فيكون على بمعنى
عند اي عند الله وقيل من الله قال السلطان يعني ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه

من تاب عليه اذا قبل توبته وليس المراد بها الوجوب اذ لا يجب على الله شيء لكنه تاكيد للوعد اى انه يكون لا محالة
كالواجب الذى لا يترك **للذين يعملون السوء بجهالة** قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراوه ان كل شيء عصى به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطا قال شيخنا عبد القادر رحمه الله فى كتابه جلاء الخاطر
الجاهل هو الذى لا يعرف الله حتى يطلب حوائجه منه وقال الزجاج يعنى بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية قال الكلبى لم يجهل انه ذنب لكن يجهل عقوبته قال ابن عباس يريد اذ ذنب المؤمن جهل منه ف
لذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع من جهالته **ثم يتوبون من قريب** اى الذى يتوب قبل
ان يحبط السوء حسناته فيحبطها او الذى يتوب فى صحته قبل مرض موته او قبل الموت او قبل معاينة ملك
الموت عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اى ما لم يتردد
روحه فى حلقه وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والظاهر من زمان قريب
اى قبل حضور الموت لقوله حتى اذا حضر احدهم الموت اى الغرغرة فبقى ما وراء الغرغرة فى حين القبول وعن ابن عباس
قبل ان ينزل سلطان الموت وعن ابراهيم النخعى ما لم يوخذ بكظمه وهو مجرى النفس ومن تبعيضية اى يتوبون
فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت بحيث يصير معرفته بالله
ضروريا كما لاهل الاخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق فى يده زمام الاختيار واقتضى الامر الى حد
الالجاء والاجبار وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك
يا رب لا ابرح اغوى عبادك ما دامت ارواحهم فى اجسادهم فقال الرب تعالى وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى
لا ازال اغفر لهم ما استغفرونى **فاولئك يتوب الله عليهم** اى يقبل توبتهم هذا وعد بالوفاء
بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله **وكان الله عليما** فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة **حكيما**
فى صنعه بخلقه فالحكيم لا يعاقب التائب ثم اوضح معنى القريب بقوله **وليست التوبة للذين يعملون
السيئات** اى ليس قبول التوبة للذين يعملون المعاصى والذنوب **حتى اذا حضر احدهم الموت
قال انى تبت الآن** ويصر على ما هو عليه الى حضور الموت ووقع فى النزع ويقول حينئذ انى
تبت الآن وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت واشار قال على انه لا سقاط ذلك عن درجة الاعتبار و
التحاشى عن تسميته توبة لان ذلك حالة السوق حين تساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من
عاص توبة قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا قال الامام البغوى فى تفسيره وكذلك
لم ينفع ايمان فرعون لفرعون حين ادركه الغرق **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف على الموصول
الذى قبله اى ليس قبول التوبة لمن سوف الى حضور الموت من الفسقة والكفار ولا لمن مات على الكفر
وانما ذكر من مات على الكفر مع انهم لا توبة لهم اصلا او اساسا مبالغة فى نفى التوبة وعدم الاعتداد فى تلك
الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء يعنى سوى الله بين من سوف التوبة
الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر لان حضور الموت اول احوال الاخرة
كما ان الميت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضور الموت لمجاوزة كل واحد
منهما اوان التكليف والاختيار ورايت بعض اعوان فرعون عدو الله معدا وراق يمدح فيه فرعون
ويؤول فيها القران وينسبها كذبا وافتراء الى بعض علماء الكرام والله المستعان قال سعيد بن جبير

قوله

نزلت الاية الاولى يعنى انما التوبة على الله فى المؤمنين والوسطى يعنى وليست التوبة فى المنافقين
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم والاخيرة يعنى ولا الذين يموتون وهم كفار فى الكافرين يعنى
لا توبة لمشرك ولا لمنافق اذا تابا عند حضور الموت وهو المنظر الى ملك الموت ولا لمن مات كافرا بلا
توبة لان التوبة لا تقبل فى الاخرة انتهى ما قاله السعيد **اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما** اى
للموصوفين باحد الوصفين التوبة فى وقت الاحتضار والموت على الكفر هيانا لهم عذابا مولما تاكيد لعدم
قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عليهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو
العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء **يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء** اى ذاتهن وانفسهن كالاموال **كرها** بالفتح قراءة العامة اى كارهات لذلك
وقرا حمزة والكسائى بالضم اى مكرهات ونزلت الاية نهيا عما كانوا عليه فى الجاهلية وفى اوائل الاسلام
من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء كان الرجل اذا مات وله قريب القى ثوبه
على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول الذى اصدقها الميت وان
شاء زوجها غيره من الاجانب واخذ صداقها لنفسه وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها
فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن على سبيل الارث على زعمكم كاتخاذ المواريث فتزوجوهن
كارهات لذلك او مكرهات عليه **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن** والمعنى لا يحل لكم
يا معشر ورثة الازواج ان تمنعوهن من التزويج لتاخذوا بما اتيتموهن من المهر فهو عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد نفى الحل اى ولا ان تمنعوهن من التزويج فالخطاب فى ان ترثوا ولا تعضلوا لورثة الازواج
لا للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه
وبقى بعضه وقيل الخطاب مع الازواج كان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته ومطلوبه حبسها
مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها او تختلع بمهرها او يرثوا منهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب
الازواج ونهاهم عن العضل قال ابن عباس هذا فى الرجل تكون له المراة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر
فيضارها لتفتدى منه وترد اليه ما ساق من المهر فنهى الله عن ذلك ثم قال **الا ان ياتين
بفاحشة مبينة** كالزنا والنشوز وسوء العشرة يعنى ان المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان
يسالها الخلع نقل عن ابن مسعود وغيره ان المراد بالفاحشة هى الزنا والنشوز فاذا زنت امراة
تحت رجل او نشزت عليه حل له ان يسالها الخلع وان يضارها ويسىء معاشرتها لتفتدى منه بالمهر
قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بفتح الياء اسم مفعول فى جميع القران اى بينها من يدعيها واوضحها الباقون
بكسرها اسم فاعل من بين بمعنى تبين وظهر والوجه لكسر الياء حقيقة لان الفاحشة لا تبين شيئا وقيل
بين المتعدى ومفعوله محذوف اى الا ان ياتين بفاحشة مبينة حال مرتكبها والمستثنى منه اما
عام الظرف تقديره لا تعضلوهن فى وقت من الاوقات الا وقت اتيانهن بفاحشة واما اعم عام
العلل اى لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لاتيانهن بفاحشة **وعاشروهن بالمعروف** اى بالانصاف
والعدل فى الفعل والقول الجميل الحسن والمبيت والنفقة قال ابن عباس رضى الله عنهما اصحبوهن بما
يجب لها عليك من الحق **فان كرهتموهن** اى صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن

ما يوجب الكراه فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا واصبر
على معاشرتهن وسوء خلقهن اوقبح صورتهن فعسى ان تكرهوا شيئا هواه نفسك وطبعك
ويجعل الله فيه اى فى ذلك الشئ او فى الكره خيرا كثيرا اى ثوابا جزيلا والفة ومحبة او
ولدا صالحا او يعطفه الله عليها كيف شاء وعسى فى الاصل علة للجزاء اقيمت مقامه كانه
قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه
وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه
خيرا كثيرا فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وكان الرجل اذا راى امراة
فاعجبته بهت التى تحته ورماها بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها فنزل فى نهى ذلك
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اى ان اردتم ايها الرجال تطليق امراة وتزوج اخرى
وقد اتيتم اعطيتم احديهن اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج جنس الزوجات
قنطارا اى مالا كثيرا عظيما فى صداقها كما مر فى آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات
فلو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله ما اصدق امراة اكثر من اثنتى
عشرة اوقية فقالت امراة اتتبع قولك ام قول الله واتيتم احديهن قنطارا فقال عمر رضى الله عنه
كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعوننى اقول مثل هذا فلا تنكرونه حتى ترد على امراة ليست من اعلم
النساء ثم قال الهى تزوجوا على ما شئتم فانظر الى تواضع الخليفة للحق مع امراة مع وفور علمه رضى الله عنه
وارضاه فلا تاخذوا منه اى من القنطار شيئا اذا لم يكن من قبل المراة نشوز ولا فاحشة
كما هو الظاهر اى شيئا قليلا فضلا عن الكثير ثم قال تشنيعا للاخذ اتاخذونه اى شيئا منه بهتانا
اى ظلما واثما مبينا اى بينا استفهام انكار وتوبيخ وهما مصدران واقعان موقع الحال من
فاعل تاخذونه اى اتاخذونه باهتين واثمين ويحتمل نصبهما على العلة بمعنى لبهتانكم وظلمكم اياهن واثمكم كما
فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الكذب والبهتان الكذب الذى
يبهت المكذوب عليه اى يحيره فى ما رماه به وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم
وكيف تاخذونه اى باى وجه تاخذون المهر وقد افضى بعضكم الى بعض والحال قد وصل
بعضكم الى بعض بالجماع المقرر للمهر واراد بالافضاء الجماع ولكن الله حيى يكنى واصل الافضاء الوصول
الى الشئ من غير واسطة واخذن منكم ميثاقا عهدا غليظا وثيقا قال الحسن والضحاك وابن
سيرين وقتادة الميثاق الغليظ هو قول الولى عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال
من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقال الشعبى وعكرمة هو الميثاق الغليظ ما روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
رواه مسلم والميثاق هو العهد الوثيق والغليظ المبالغة فى العهد وهو حق الصحبة والممازجة ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم اى ولا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة
اى وصف كون المراة منكوحة الاب لا خصوصية ذات المراة حتى يجب ان يعبر عنها بمن وقيل ما مصدرية
على ارادة المفعول من المصدر اى لا تنكحوا منكوحة ابائكم من النساء بيان ما نكح على الوجهين وقوله

من النساء يفيد التخصيص بعد التعميم قال ابن عباس رضى الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية
يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الاباء ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها
نصا واجماعا وههنا مسالة خلافية قال ابو حنيفة رحمه الله يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه
لان النكاح عنده عبارة عن الوطى ودليله قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل
بمجرد العقد وقال الشافعى رحمه الله لا يحرم عليه ذلك للايات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله
تعالى وانكحوا الايامى وكقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وكقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وكقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتى ولا شك ان الوطى من حيث هو وطى ليس سنة له والا لزم
ان يكون الوطى بالسفاح سنة له ولقوله عليه السلام ولدت من نكاح لا من سفاح ولان
من حلف ان اولاد الزنا ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث ولو كان الوطى نكاحا لحنث سيما ان الوطى
سمى به مع اجماع المفسرين ممن يعتبر كلامه على ان سبب نزول الاية هو العقد لا الوطى الا ما قد
سلف اى الا نكاحا قد وقع منكم قبل نزول اية التحريم فانه معفو عنه او المعنى ولا تنكحوا حلائل
ابائكم الا ما قد سلف اى من ماتت منهن ان امكنكم ان تنكحوه ولا يمكن نكاح الميتة فالغرض المبالغة
فى تحريم نكاح ازواج الاباء وانسداد الطريق الى اباحته كما تعلق بالمحال فى التابيد فى نحو قوله
تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط فالاستثناء اما من المعنى اللازم للنهى كما قلنا الا انكاحا قد وقع
منكم الخ او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كما قلنا او المعنى ولا تنكحوا حلائل الخ وقيل الاستثناء
منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر لانه عليه السلام ما اقر احدا
على نكاح امراة ابيه وان كان واقعا فيما مضى من زمان الجاهلية لما روى براء ابن عازب قال
مر بى خالى ابو بردة بن نيار ومعه لواء قلت اين تذهب قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى رجل تزوج امراة ابيه من بعده آتيه براسه واخذ ماله انه اى لانه علة للنهى اى ان
نكاح ما قد سلف كان فاحشة قبيحا عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ومقتا اى سببا لمقت
من الله وهو اشد البغض وممقوتة عند ذوى المروات ايضا ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه
المقتى وساء سبيلا اى بئس طريقا ذلك اى بئس سبيل من يراه ويفعله واعلم ان مراتب القبح ثلثة
القبح العقلى والشرعى والعادى فقوله فاحشة اشارة الى العقلى ومقتا اشارة الى الشرعى وساء سبيلا
الى العادى ومن اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية فى القبح ولما ذكر فى اول السورة نكاح ما
اى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هنا وهو نساء الاباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب
وسبع من السبب وبدأ بالنسب فقال حرمت عليكم امهاتكم اى نكاح اصولكم ووطيهن لان فيه
استهانة واستهانة الاصول قبيحة وتعمل الجدات من قبل الاب او الام وليس المراد تحريم ذاتهن
بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله
حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده فى النكاح والام حقيقة هى الوالدة وفى معناها كل امراة
رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة امك يعنى الامهات تعم من ولدتك او ولدت من
ولدك وان علت وعندنا اذا تزوج رجل بامه ودخل بها يلزمه الحد لان وجود هذا النكاح وعدمه

بثابتة واحدة لكونه محرما قطعا في حكم الشرع فيكون وطيها زنا محضا ثم اعلم ان حرمة الامهات
كانت ثابتة في جميع الاديان واما نكاح الاخوات فقد نقل ان ذلك كان مباحا في زمان ادم عليه
السلام وذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول انه تعالى بعث الحور من الجنة حتى تزوج
بهن ابناء ادم وبعث الغلمان حتى تزوج ببنات ادم ويرد عليه ان هذا النسل حينئذ لا يكون
محض اولاد ادم وذلك باطل بالاجماع **وبناتكم** اى فروعكم لانهن كالاصول في الجزئية وهي تتناول
من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت **واخواتكم** لانهن بعض اجزاء الاصول فنكاحهن هتك
بعض اجزاء الاصول وهي تتناول الاخوات من الاوجه الثلثة اى من الاب والام ومن الاب وحده
او من الام وحده وكذلك الباقيات **وعماتكم** لانهن فروع اصل الاب فنكاحهن هتك بعض اجزاء
الاب والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك يعني اخوات ابائكم واجدادكم **وخالاتكم** لانهن
فروع اصل الام والخالة كل انثى ولدها كل انثى ولدتك يعني اخوات امهاتكم وجداتكم قريبا او بعيدا
وبنات الاخ لانهن فروع فرع الاصل وجزء الجزء جزء فنكاحهن هتك بعض اجزاء الاصل ويدخل
في بنات الاخ وابن الاخت بنات اولادهم **وبنات الاخت** فحكم بنات الاخ فيما قلنا ثم شرع في السبب
فقال **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له
من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته
وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه وكل من ولدها من غيره فهم
اخوته واخواته لامه وحاصل الكلام ان امر الرضاعة على قياس النسب باعتبار المرضعة و
والد الطفل الذي در عليه اللبن قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رواه الشيخان
وهو حكم كلي جار على عمومه قال السلطان بيض الله وجهه واستثناء اخت ابن الرجل وام اخته
من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب انتهى وقد تلحق
باخت ابن الرجل وام اخته ام النافلة وجدة الولد فان كلا منهما يحرم من النسب لان ام النافلة
زوجة الابن وجدة الولد ام الزوجة ولا يحرمان من الرضاع كمن ارضعت ولد ولدك
واذا تحققت هذا فلا حاجة الى استثناء هذه الصور لان ما هو جهة الحرمة في النسب غير موجود
ههنا مثلا اخت الابن انما تحرم من جهة كونها بنتا لك او ربيبة واية جهة من هاتين لو تحقق
في الرضاع لكانت محرمة وتوضيحه ان اخت الابن اذا كانت بنتا تكون لها جهتان جهة الاختية
وجهة البنتية لك ولا شك في تغايرهما والحديث المذكور دل على الحرمة من جهة البنتية لا من جهة
الاختية للابن وكذلك اذا كانت ربيبة كانت لها جهتان متغايرتان الاختية للابن وكونها ربيبة
وجهة الحرمة منهما ليست الا كونها ربيبة على ان جهة الحرمة بحسب المصاهرة لا بحسب النسب و
كذلك الباقي فليتدبر ثم لا يخفى انه تعالى ذكر من الرضاع قسمين وان كان المحرم منه ايضا سبعا
تنبيها على الباقي فالامهات يستدل على قرابة الاولاد والاخوات يستدل بها على قرابة العمات
والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت واخر الرضاع عن النسب لكونه دونه واختلفوا في مقدار الرضاع

قال

قال مالك وابو حنيفة قليله وكثيره محرم لاطلاق الاية وقيل بالثلاث وما فوقه احمد واسحاق
ابن راهويه لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها لا تحرم المصة من الرضاع ولا المصتان
وذهب الشافعي الى خمس رضعات متفرقات لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات تحرمن ثم نسخت بخمس وصار الى خمس رضعات
معلومات يحرمن فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك واختلفوا ايضا في مدة الرضاع
فعند الشافعي شفعه الله فينا واماتنا الله والذرية على مذهبه انما تثبت حرمة الرضاع بشرطين
احدهما ان تكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
والثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات وعند ابي حنيفة نفعنا الله به مدة الرضاع ثلثون
شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا **وامهات نسائكم** يعني ان كل من عقد النكاح على
امراة يحرم على الناكح امهات المنكوحة وجداتها وان علون من الرضاع والنسب ذكر اولا محرمات
النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة
الزواج وهن محرمات بمجرد العقد **وربائبكم** جمع ربيبة وهي بنت امراة الرجل من غيره ومعناها مربوبة
سمي بها بنت الزوجة من غيره لانه يربيها كما يربي ولده في غالب الامر **اللاتي في حجوركم** اى في تربيتكم
واحتضانكم وحفظكم قوله واللاتي في حجوركم صفة لربائبكم موافقة للغالب فلا مفهوم لها ولذا
لم يذكر له مفهوم كما ذكر مفهوم قوله اللاتي دخلتم بهن بقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن الاية
وحجور جمع حجر بفتح الحاء المهملة وكسرها وكونها في حجره عبارة عن تربيتها كما قلنا وفائدة قوله
في حجوركم تقوية العلة وتكميلها للتحريم والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم
او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة
واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي رضي الله عنه انه جعل كونها في الحجر شرطا للتحريم
وفي المدارك قال داود اذا لم تكن في حجره لا تحرم **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن** اى
جامعتموهن ويحرم عليه ايضا بنات المنكوحة وبنات اولادها وان سفلن من الرضاع والنسب
بعد الدخول بالمنكوحة حتى لو طلق المنكوحة قبل الدخول بها او ماتت جاز له ان ينكح ابنتها ولا يجوز
له ان ينكح امها اى ام البنت التي طلقها قبل الدخول بها لان الله تعالى قد اطلق تحريم الامهات **فان لم
تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** وقال في تحريم الربائب فان لم تكونوا دخلتم
بهن اى بالامهات اصلا فيما قبل فلا جناح عليكم في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وقد قلنا ان
امهات نسائكم يحرمن عليكم بمجرد العقد **وحلائل ابنائكم** اى زوجات ابنائكم **الذين من اصلابكم**
اى من ظهوركم والمعنى يحرم على الرجل ازواج ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا من الرضاع والنسب بنفس العقد
وانما قال من اصلابكم ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي يتبناه فان النبي صلى الله عليه وسلم
تزوج امراة زيد بن حارثة وكان زيد قد تبناه الرسول صلى الله عليه وسلم وسميت الزوجة حليلة
لكونها حلالا لزوجها او لحلها مع الزوج حيث كان **وان تجمعوا بين الاختين** في موضع
الرفع عطفا على المحرمات والتقدير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم والجمع بين الاختين يعني لا يجوز للرجل

الجزء الخامس

ان يجمع بين الاختين فى النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب او بالرضاع فاذا نكح امراة ثم طلقها بائنا جاز له نكاح اختها وكذلك لو ملك اختين بملك يمين لا يجوز ان يجمع بينهما فى الوطى فاذا وطى احداهما لم يحل له وطى الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه وكذلك لا يجوز ان يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها لقوله صلى الله عليه وسلم لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها والحاصل لو عقد على الاختين معا فنكاحهما باطل وعلى الترتيب بطل الثانى واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احداهما ويشترى الاخرى فقد اختلفت الصحابة ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله عنهما حرمتهما اى الاختين اية واحلتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله تعالى وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان اية التحريم مسوقة له بخلاف اية التحليل لانه سيق فيها لايجاب العدل بين الازواج ولطريق الخلاص اذا خيف ان لا يقام العدل ولان اية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولان اية التحريم مدنية واية التحليل مكية ولقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحلال الا غلبه الحرام اذ لا خوف فى الاجتناب عن الحلال ولا امن فى الاشتغال بالحرام فينبغى الاجتناب بحكم دع ما يريبك الى ما لا يريبك **الا ما قد سلف** اى لكن ما مضى فى الجاهلية فى نكاحكم بعض ما ذكر فهو معفو عنه لانهم كانوا يفعلونه قبل الاسلام قال بعض العلماء ان اهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات الا نكاح امراة الاب ونكاح الاختين فلهذا قال فيهما الا ما قد سلف والدليل على الغفران قوله تعالى **ان الله كان غفورا** لما قد سلف منكم قبل النهى **رحيما** بكم فى ذلك قال عطاء والسدى يعنى ما قد سلف اى الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف عليه السلام وكانتا اختين ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب من ذنوبه واطاع الامر به فى الاسلام **والمحصنات** قرا الجمهور بفتح الصاد سواء كانت معرفة باللام ام نكرة والكسائى بكسرها فى الجميع الا فى هذه الاية فانه وافق الجمهور **من النساء** ذوات الازواج حرائر او اماء لئلا تختلط المياه فيضيع النسب اسند الاحصان الى غير النساء وهو اما الازواج او الاولياء فان الزوج يحصن امراته اى يعفها والولى يحصنها بالتزويج ايضا والمعنى وحرمت عليكم المحصنات اى المزوجات اللاتى هن محرمات على كل احد الا على ازواجهن ولذلك عطفن على المحرمات فى الاية التى قبلها قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه نزلت فى نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى عن ذوات الازواج فقال **الا ما ملكت ايمانكم** يعنى بالسبى من ازواج كفار فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبراء لان بالسبى يرتفع النكاح بينها وبين زوجها لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله ٭ وذات حليل انكحتها رماحنا ٭ حلال لمن يبنى بها لم تطلق ٭ وقال بعضهم لو سبى الزوجان معا لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى **كتاب الله عليكم** مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه اى كتب الله عليكم كتابا فى تحريم هؤلاء

فالزموه

سورة النساء

فالزموه ولا تغتروه وقرى كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وقرى كتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** قرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت عليكم والباقون على البناء للفاعل عطفا على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله كانه قيل كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم **ما وراء ذلكم** اى ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالحديث ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها كما اشرنا الى ذلك **ان تبتغوا** ان تطلبوا النساء **باموالكم** اى بصداق او ثمن **محصنين** اى متزوجين **غير مسافحين** اى غير زانين والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تطلبوا النساء باموالكم يعنى بالصرف فى مهورهن واثمانهن فى حال كونكم محصنين مصلحين غير مسافحين مضيعين فان الاحصان العفة فانها تحصين النفس عن اللوم والعقاب لئلا تضيعوا اموالكم التى جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسر دنياكم واخريكم واعلم ان تبتغوا اما مفعول له والمعنى كما ذكرنا يعنى به احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال وحينئذ لا يلزم تقدير المفعول ضميرا يعود اليه ليصلح بدل الاشتمال مثل اعجبنى زيد حسنه وسمى الزنا سفاحا لانه لا غرض للزانى الا سفح المنى اى صبه احتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية بان المهر لا يجوز الا بالمال دون المنافع لان الله قال ان تبتغوا باموالكم والمال عنده لا ينقص من عشرة دراهم والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعى يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة للجمع بالجمع فيقتضى توزيع الفرد على الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير فى هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى امراة فى نكاح كف دقيق او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة رحمه الله لو تزوج بها على تعليم سورة من القران لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع ولو تزوج امراة على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعى رحمه الله الاية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيها ان الابتغاء بغيره غير جائز وايضا قد خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا يدل على نفى ما سواه ومما يدل صريحا على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى فى قصة شعيب على ان تاجرنى ثمانى حجج والاصل فى شرع من قبلنا البقاء الى ان يظهر الناسخ وما رواه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال رجلا خطب الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم لما لم يجد الرجل الذى اراد التزوج بها شيئا قال صلى الله عليه وسلم هل معك شىء من القران قال نعم سورة كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القران **فما استمتعتم به منهن** قال الحسن ومجاهد اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح يعنى فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد فما عبارة النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهى اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها **فاتوهن اجورهن** اى اعطوهن مهورهن التى فرضتم لهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع ومنفعة

حال من الاجور يعني مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد لعامله المحذوف
اي فرض الله ذلك فريضة لهن عليكم وقال بعض العلماء هذا في نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة الى
مدة فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق وتستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث وكان ذلك
مباحا في ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الاهلية
والى هذا ذهب عامة اهل العلم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة وروى سالم عن عبد الله
ابن عمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه فقال ما بال اقوام رجال
ينكحون في هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد احدا ينكحها الا رجمته بالحجارة
وقال هذه المتعة نسخها النكاح والطلاق والعدة والميراث وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اني
كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة فمن كان عنده منهن
شيئا فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا وقال الربيع ابن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله
يقول لا اعلم في الاسلام شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة قلت يعني كرر فيها النسخ ونفي
حرمتها الى يوم القيمة **ولا جناح عليكم** اي لا اثم عليكم **فيما تراضيتم** انتم وهن **به من
بعد الفريضة** اي من بعد المفروضة للزوجة فمن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح المؤبد دون
المتعة قال المراد بقوله فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الابراء عن المهر والافتداء والاعتياض عنه
السلطان يعني فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق
ومن حمل على نكاح المتعة قبل النسخ اراد ان لا جناح على الزوجين اذا عقدا الى اجل معلوم بمال فاذا
تم فان شاءت المراة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجرة وان لم يتراضيا فارقها قال البيضاوي
في منهاج الوصول اتفق التابعون على حرمة بيع ام الولد وعلى حرمة المتعة وما نقل عن ابن عباس
في تجويزها قيل انه رجع عنه وقيل ان الاية نزلت في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتح مكة
ثم نسخت كما روي انه عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقال علي رضي الله عنه لابن عباس انك رجل تائه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة فرجع ابن عباس عنه وتاب وفي قوله قال والله ما بهذا افتيت
ولا هذا اردت **ان الله كان عليما** بالاشياء قبل خلقها او بمصالحها **حكيما** فيما شرع من الاحكام
من عقد النكاح الذي به حفظت الانساب **ومن لم يستطع منكم طولا** اي غنى وسعة وقدرة
ونيلا واعتلاء وفضلا وزيادة واصل الطول الفضل والزيادة يعني من لم يجد منكم سعة من المال
ان ينكح المحصنات المؤمنات بان يحتال ويرتفع ويتال به الى نكاح المحصنات او من لم يستطع
منكم ان يعتلي نكاح المحصنات يعني الحرائر قابل بالمملوكات والمحصنات بفتح الصاد وهي التي حصنهن
غيرهن من زوج او ولي وبالكسر احصنهن انفسهن بالحرية عن الرقية والابتذال والقصور والنقصان
ومنكم حال من فاعل يستطع وطولا مفعول لم يستطع وقوله ان ينكح المحصنات مفعول صريح لطولا
فان اعمال المصدر المنون شايع هذا اذا لم تقدر حرف الجر كما قلنا يعني ولم يستطع منكم ان يعتلي نكاح

المحصنات واما اذا قدرنا كما قلنا الى نكاح المحصنات فالجار والمجرور في محل النصب صفة لطولا اي
موصلا اليه او كائنا اليه او قادرا عليه **فمن ما ملكت ايمانكم** اي فلينكح امة من النوع الذي
ملكته ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج جارية
نفسه **من فتياتكم المؤمنات** يعني الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي في تحريم نكاح
الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا كما ستقف على الدليل
وقوله من فتياتكم حال من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما والمؤمنات صفة لفتياتكم وهي جمع
فتاة واصله الحديث السن ثم كنى بها عن المملوك تقول العرب للامة الفتاة وللعبد فتى عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي رواه البخاري وقال الامام الشافعي
رحمه الله ان الله شرط في نكاح الاماء ثلث شرايط اثنتان في الناكح الاول فقد طول الحرة وهو عبارة
عما يجعل صداقا للحرة فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف
مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثاني خشية العنت كما يجيء في اخر الاية والثالث
في المنكوحة وهو ان تكون الامة المسلم ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات
فالقيد الاول مستفاد من قوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم
المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان
الولد تابع للام في الحرية والرق وحينئذ يتعلق الولد رقيقا للكافر الا ان هذا القيد الغاه الكثر الا
لان الولد اذا رق للكافر بيع عليه في الحال واما فائدة القيد الثاني فهي الحذر من اجتماع النقصان
الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي رحمهما الله واما ابو حنيفة
عليه السلام فانه يقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على
الوطي ويقول المراد ان من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له
نكاحها ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحمل على التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على
جواز الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر ايضا بالمؤمنات واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين
ولا شك في ان الاية دالة على الحذر من نكاح الاماء وان الاقدام عليه لا يجوز الا ضرورة وذلك لاتباع
الولد الام في الرق ولان الامة ممتهنة مبتذلة ولما للمولى عليها من حق الاستخدام فلا تخلص
لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك وعلى قول من لا يرى ذلكم
فقد يسافر المولى الثاني بها او بولدها وذلك من اعظم المضار ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على هبة
مهرها من زوجها ولا على ابرائه **والله اعلم بايمانكم** جملة معترضة مناسبة لذكر المؤمنات وفي
فيها خطاب المذكورين ومعنى هذه الجملة هو انكم اكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل
ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه وقد كانت العرب تستنكف من
نكاح الاماء وتستهجنه ويؤيد التانيس قوله عز وجل **بعضكم من بعض** اي انتم وارقاءكم
متناسبون نسبكم من ادم عليه السلام ودينكم الاسلام فلا تفخروا بالانساب والاحساب

فان اكرمكم عند الله اتقاكم **فانكحوهن باذن اهلهن** اى الاماء اى مواليهن وارباهن
عبّر عن الموالى بالاهل لان مولى القوم منهم قال صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت واطلاق الاذن
يتناول المباشرة والتوكيل واعتبار اذنهن مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن حتى يحتج به الحنفية قال بعضهم ان هذه الاية ترد على الشافعى فانه يقول لا عبارة للمراة
فى النكاح فاذا ملكت المراة جارية وكلت من يزوجها والله تعالى شرط اذن اهلهن مطلقا فقد
ترك الظاهر والجواب فى الرد عليه هو ان المراد بالاذن الرضا ولا بد منه ويمكن ان يجاب عنه بوجه
اخر وهو ان يقال ان الاهل وان تناول الذكور والاناث لكنه عام والادلة الدالة على ان المراة
لا تنكح نفسها فاذا كانت مسلوبة فى حق نفسها ففى حق مملوكتها اولى ولا يخفى ان لفظ القران مقتصر
على الامة واما العبد فقد ثبت ان لا ينكح الا باذن سيده بالحديث روى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا تزوج
العبد بغير اذن سيده فهو عاهر **واتوهن** اى اعطوا الاماء **اجورهن** اى مهورهن باذن اهلهن فان
تسليمها اليهن تسليم الى الموالى لانهن وما فى ايديهن مال مواليهن او فاتوا مواليهن بحذف المضاف للعلم بان
المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يودى اليه وقال مالك رحمه الله المهر للامة ذهابا الى ظاهر الاية
بالمعروف بغير تاخير وضرار ونقصان **محصنات** حال من مفعول فانكحوهن اى فانكحوا الاماء باذن
مواليهن حال كونهن عفايف **غير مسافحات** اى حال كونهن عفايف غير مجاهرات بالزنا **ولا**
متخذات اخدان اى ولا متخذات احباب واخلاء واصدقاء يزنون بهن فى السر فنهى الله تعالى عن
نكاح الفريقين وكان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين والمحصنات قسيم لكل واحد منهما يعنى
كان اهل الجاهلية يحرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفى يقولون اما ما ظهر منه فهو لوم واما
واما ما خفى فلا باس بذلك فانزل الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال
الحسن المسافحة هى ان كل من دعاها تبعته وذات الخدن ان تختص بواحد لا ترى الا معه والعرب
كانت تحرم الاولى وتجوز الثانية فنهى الله عن الاثنين **فاذا احصن** قرا حمزة والكسائى وابو بكر
بفتح الالف والصاد على البناء للفاعل اى حفظن فروجهن بعد تزويج وقال مسعود اسلمن وقرا الباقون
احصن بضم الالف وكسر الصاد اى حفظن فروجهن بالتزويج وفايدة هذا الشرط نفى ما يتوهم من تفاوت
الاماء قبل التزوج وبعده كما فى الحراير وبهذا سقط الاستدلال بالاية على انه لا حد على المملوك قبل التزوج
والفاء فى قوله **فان اتين بفاحشة** اى بالزنا فاء جواب اذا والفاء فى قوله **فعليهن نصف**
ما على المحصنات يعنى بها الحراير الابكار اللاتى احصنهن الحرية عن الرقية اذا زنين فاء جواب
ان والشرط الثانى وجوابه مترتب على وجود الشرط الاول **من العذاب** اى من الحد يعنى يجلد الرقيق
خمسين جلدة وقوله نصفه يدل على ان عذاب العبد الجلد لا الرجم لان الرجم لا يتنصف فلا رجم
على العبيد بحال وهل يغرب فيه قولان فان قلنا يغرب ثم يغرب نصف سنة على القول الاصح ولا
فرق فى حد المملوك بين من تزوج او لم يتزوج عند اكثر اهل العلم وذهب بعضهم الى انه لا حد على من
لم يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات قال البغوى روى ذلك عن ابن عباس قال ابن عطية ان الصحابة كان يقررّ عندهم ان الامة

اذا لم تكن مزوجة فحدها نصف حد الحرة وهو خمسون جلدة ولم يعرفوا حد الامة اذا كانت
مزوجة فسالوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية ولما ذكر ان حد الامة نصف
حد الحرة علم منه ان حد العبد نصف الحر لاشتراكهما فى الرقبة ثم ذكر شرطا اخر لجواز نكاح الاماء
فقال **ذلك** اى نكاح الاماء **لمن خشى العنت منكم** اى لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى
الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم باحش
القبايح وقيل المراد بالعنت الحد وقال بعض المفسرين ان الشبق الشديد اى غلبة الشهوة فى حق النساء
قد يودى الى اختناق الرحم واما فى حق الرجال فقد يودى الى اوجاع الوركين والظهر **وان تصبروا**
خير لكم مبتدا وخبر اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم من نكاحهن لما بينا من
المفاسد الحاصلة فى هذا النكاح قال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاكه **والله**
غفور لمن لم يصبر **رحيم** بان رخص له بالتوسعة فى ذلك يعنى انه وان حصل ما يقتضى المنع من هذا
النكاح الا انه تعالى اباحه لاحتياجكم اليه فذلك من باب المغفرة والرحمة **يريد الله ليبين لكم**
اصله يريد الله ان يبين لكم شرايع دينكم ومصالح امركم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين
لما فيها من معناها كما فى جئتك لاكرامك او زيدت كما فى لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد
الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من الحلال والحرام ومن مصالحكم وافاضل اعمالكم **ويهديكم سنن**
الذين من قبلكم اى يريد الله ان يرشدكم شرايع من كان قبلكم ومناهجهم من الانبياء
الصالحين لتسلكوا مسالكهم فى دينهم ولتقتدوا بهم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت
محرمة على من كانت قبلكم وقيل يهديكم الى الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام **ويتوب**
عليكم ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف او يتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وليس
الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته تعالى فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة
حصلت لهم هذه التوبة **والله عليم** مبالغ فى العلم بالاشياء التى من جملتها ما شرع لكم من الاحكام
حكيم مراع فى جميع افعاله الحكمة والمصلحة فيما دبره لكم **والله يريد ان يتوب عليكم**
اى ان وقع منكم تقصير فى امر دينه كرر التوبة لتاكيد ارادة الحق التوبة منكم ولتقابل ما يريد منكم
اهل الشهوات من المفاسد وايضا لمناسبة البناء اى ليبنى عليه **ويريد الذين يتبعون الشهوات**
يعنى الفجرة يريدون منكم ايها المومنون **ان تميلوا** عن الحق **ميلا** بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات وتكونوا زناة فجرة فسقة كفرة مثلهم **عظيما** موصلا الى الكفر واختلفوا فى
الموصوفين باتباع الشهوات قال السدى هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون
نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا عن الحق فتزنوا
كما يزنون وقيل هم جميع اهل الباطل او عظيما بالنسبة الى من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها
بل يعاقب عليه بالاستحلال فتصيروا كافرا **يريد الله ان يخفف عنكم** اى ان يسهل عليكم احكام
الشرع فلذلك وضع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح
الامة توسعة لكم من فضله **وخلق الانسان ضعيفا** اى لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق

الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت
عليه الشمس او غربت اولهن يريد الله ليبين لكم والثانية والله يريد ان يتوب عليكم والثالثة
يريد الله ان يخفف عنكم والرابعة ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه والخامسة ان الله
لا يظلم مثقال ذرة والسادسة ومن يعمل سوءا والسابعة ان الله لا يغفر ان يشرك به والثامنة
والذين امنوا بالله ورسله الاية هكذا اخرجه ابن ابي الدنيا في التوبة وابن جرير والبيهقي في
الشعب عن ابن عباس **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** اي بالحرام
في الشرع فان الباطل اسم جامع لكل ما لا يحل كالربا والغصب والسرقة والخيانة نهى الله بهذه
الاية عن جميع المكاسب الباطلة ثم قال **الا ان تكون تجارة** قرا الكوفيون تجارة بالنصب على خبر
كان اي الا ان تكون الاموال تجارة وقرا الاخرون بالرفع اي الا ان تقع تجارة صادرة **عن
تراض منكم** اي بطيبة نفس كل واحد منكم فلكم ان تاكلوها وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين
صاحبه بعد البيع فيلزم البيع والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا والاستثناء منقطع والمعنى ولكن كون تجارة
عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة عن تراض وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة
عن تراضي المتعاقدين وخص التجارة بالذكر من بين الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير كالاكل
بطريق الهبة والوصية والارث واخذ الصدقات والمهور واروش الجنايات لان اكثر اسباب
الرزق يتعلق بالتجارة وقال ابو حنيفة عليه السلام خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات
المحضة لان التراضي المذكور في الاية متحصل وقال الشافعي رحمه الله لا شك ان هذا التراضي يقتضي
الحل الا ان الله ما قيد التراضي بالتفرق عن مكان العقد ولكن انا نثبت هذا العقد للمتبايعين الخيار
في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وفي العيون والتراضي
الاقتران عن مجلس البيع بتمامه متراضيين عند الشافعي عليه السلام او رضى المتعاقدين
مما تعاقدا عليه وقت الايجاب والقبول عند ابي حنيفة وفي المدارك والاية تدل على جواز البيع الموقوف
اذا وجدت الاجازة لوجود الرضى قال ابن علي في جريدته هذا رضاء سوف لا قبل فهو كمنابت
على شعرة واخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم التاجر
الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء وقال صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق تحت
ظل العرش يوم القيمة اخرجه الاصبهاني في الترغيب واخرج الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان التجار يبعثون يوم القيمة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق
وقال صلى الله عليه وسلم اعلم ان عون الله مع صالحي التجار وقال صلى الله عليه وسلم ان اطيب المكسب
كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا ائتمنوا لم يخونوا واذا اشتروا
لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا اخرجه الاصبهاني
عن معاذ بن جبل ثم ذكر عقيب النهي عن اكل الاموال بينهم بالباطل والحرام قوله **ولا تقتلوا انفسكم** اي
لا تقتلوا من كان من جنسكم من المومنين لان المومنين كنفس واحدة والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في
الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب
باقتراف

باقتراف ما يفضي اليه كاكل المحرمات والزنا وغير ذلك فانه القتل الحقيقي للنفس كما يشعر به
ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق كانه قال لا تقتلوا انفسكم باكل
المال بالباطل او لا يقتل الرجل نفسه بالبخع كما يفعله جهلة الهند حين ما يعرضه غم او خوف
او مرض شديد يرى قتل نفسه اسهل عليه وفي هذا المعنى قال ابو عبيدة اي لا تهلكوها كما قال
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت
عليه الجنة وجمع الله تعالى في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيق النفس من حيث ان المال
سبب قوام النفس استبقاؤهم بمقدار ما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار
اليه بقوله **ان الله كان بكم رحيما** اي امر ما امر ونهى ما نهى لفرط رحمته عليكم معناه
انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه **ومن يفعل ذلك** اشارة
الى القتل او الى ما سبق ذكره من المحرمات **عدوانا وظلما** العدوان مجاوزة الحد والظلم وضع
الشيء في غير موضعه ومن يفعل ما نهى الله عنه افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه او من يعتدي
على الغير ويظلم نفسه بتعريضها للعقاب **فسوف نصليه نارا** اي ندخله في الاخرة نارا يصلى
فيها اي يحرق فيها قرا الجمهور بضم النون من اصلاه بمعنى ادخله وقرئ بتشديد اللام من صلى ونحو
النون من صلاه يصليه وقرئ يصليه بضم الياء والضمير لله او لذلك في قوله ومن يفعل ذلك اي
او الضمير لما اشير بلفظ ذلك اليه لانه سبب للصلي وتنكير نارا للتهويل والتعظيم **وكان ذلك
على الله يسيرا** اي هينا سهلا يعني وكان اصلاء من يفعل القتل والمحرمات النار غير عسير
على الله ولا صارف له عن الاصلاء وهذا الوعيد في حق المستحل للتخليد وفي غيره لبيان استحقاقه
دخول النار مع وعد الله بمغفرته ثم لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر ذكر الوعد على اجتناب
الكبائر فقال **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** اي كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله
وقرئ كبير على ارادة الجنس **نكفر عنكم سيئاتكم** اي نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم والكبيرة
ما ورد عليها وعيد كالاشراك والقتل والزنا والسرقة وعن ابن عباس هي الى السبعمائة اقرب
منها الى سبع قال السلطان واختلفوا في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك
بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار عن الزحف وعقوق
الوالدين وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقال بعض الائمة ان معاصي الله تعالى كلها عندنا كبائر وعند المعتزلة صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها
الامران فمن عرض له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما
ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر وقيل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال
الا ترى انه عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان

يؤاخذه عليها قال الغزالي روح الله روحه ولا يليق انكار الفرق بين الصغاير والكباير وقد
عرفا من مدارك الشرع فانوا في جوابه القايلين بذلك ما انكروا نص القران لان الله يقول وكل
صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
فجعلها رتبا ثلثة وسمى بعض المعاصي فسقا دون بعض فالكباير هي الفسوق واكبرها الكفر والصغاير
العصيان وقال ايضا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال والذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش الا اللمم وهذه الايات صريح في انقسام الذنوب الى كباير وصغاير ولكن غلب عليهم الهيبة في
نفروا من تسمية معصية الله صغيرة نظرا الى عظمة الله تعالى وشدة عقابه واجلالا له عز وجل ومثل هذا
الفرق لا يخفى على عامي فكيف يخفى على هؤلاء الايمة وهم الذين شيدوا منار الاسلام كابي اسحاق الاسفرايني
والقاضي ابي بكر الباقلاني وامام الحرمين ذكره في الارشاد وابن القشيري في المرشد بل حكاه ابن فورك عن
الاشاعرة واختاره في تفسيره فقال معاصي الله كلها عندنا كباير ولم ينظر الجمهور الى اقوالهم لانهم عرفوا
مرادهم ومقاصدهم ولم يقدحوا فيهم وقسموا الذنوب الى الصغاير والكباير وذكروا لذلك دلايل من الكتاب
والسنة اما الكتاب فقد ذكرنا واما السنة فاخرج البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ابي حاتم
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هي يا رسول الله
قال الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق والسحر واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي من الزحف
وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقد ذكرنا ما روي عن ابن عباس ايضا قد اشرنا من قبل غرابته
ليس في هذا عقوق الوالدين وعن ابن مسعود الكباير كل ما نهى الله عنه من اول سورة النساء الى قوله
تجتنبوا وعنه ايضا الكباير ثلاثة الاشراك بالله والياس من روح الله والامن من مكر الله وزاد في
رواية عنه والقنوط من رحمة الله قيل الياس من روح الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم الكباير الاشراك
بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله واليمين الغموس عن عبد الرحمن عن ابي بكرة عن ابيه الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكباير قالوا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وجلس وكان متكئا فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت عن
عمرو بن شرحبيل عن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال
ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني حليلة جارك فانزل الله تصديق
قول النبي صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون
وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اكبر الكباير ان يسب الرجل والديه قالوا وكيف يسب
الرجل والديه قال يساب الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب اباه ويسب امه وعن سعيد بن جبير
انه قال ان رجلا سال ابن عباس عن الكباير اسبع هي قال هي الى السبعماية اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وقال وكل شي عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر فان الله لا يخلد
في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال علي
ابن ابي طلحة هي كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقال الحسين بن الفضل هي ما سماه
في القران كبيرا او عظيما نحو قوله انه كان حوبا كبيرا ان قتلهم كان خطا كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان

كيدكن عظيم سبحانك هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال سفيان الثوري الكباير
ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغاير ما كان بينك وبين الله لان الله تعالى كريم يغفر الذنوب
واحتج بما قال صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا معشر امة محمد ان الله تعالى قد عفا
عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم بينكم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكباير
ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكباير ذنوب العمد والسيئات الخطاء والنسيان
وما اكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكباير ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس
والصغاير ذنوب المستغفرين مثل ما فرط من ادم عليه السلام وقال السدي في الكباير ما نهى الله عنه من
الذنوب الكبار والسيئات مقدماتها وتوابعها وهي ما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة
والقبلة واشباهها قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج او
يكذب به وقيل الكباير ما يستصغره العباد والصغاير ما يستعظمونه فيخافون مواقعته وعن غيلان عن انس
انه قال انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الموبقات وقيل الكباير الشرك وما يؤدي اليه وما دون الشرك فهو من السيئات قال الله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الهي نادى ذنبي بعفوك فاغفر لي وروي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان
مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكباير واخرج النسائي والبيهقي وغيرهما عن ابي هريرة وابي سعيد رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات
الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويؤدي الزكوة ويجتنب الكباير السبع الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يوم القيمة حتى انها لتصطفق ثم تلا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم **وندخلكم مدخلا
كريما** اي حسنا وهو الجنة وما وعد من الثواب وادخالا مع الكرامة قرا نافع بفتح الميم والباقون
بضمها وكلاهما بمعنى المكان والمصدر ثم لما نهى الله تعالى عما سبق من الايات عن اكل الاموال بالباطل وعن
قتل النفوس بغير حق بتمني مال الغير وجاهه نهاهم عن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض
من الجاه والمال بقوله **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** لان ذلك
التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق
او قبض فيه فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له ولا يحسد اخاه على حظه فالحسد ان يتمنى ان يكون ذلك
الشي له ويزول عن صاحبه والغبطة ان يتمنى لنفسه مثل ما لغيره فالغبطة مرخص فيها والحسد
منهي عنه قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا من
الميراث فلو كنا رجالا غزونا مثل ما غزوا واخذنا من الميراث مثل ما اخذوا فنزلت هذه الاية وقيل لما
جعل الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء نحن احوج الى الزيادة من الرجال
لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على المعاش منا فانزل الله ولا تتمنوا الاية وقال قتادة والسدي لما نزل
قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الاخرة فيكون
اجرنا على الضعف من اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فقال تعالى **للرجال نصيب** ثواب **مما اكتسبوا**

اى بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره من الاعمال الصالحة وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة
ازواجهن وحفظ فروجهن او معناه ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء وذلك ان
الحسنة تكون بعشر امثالها يستوي فيها الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء
والحاصل لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل
بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني واسألوا الله من فضله عطف
على النهي وما بينهما اعتراض اى لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل
ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقيل هو سؤال التوفيق
على العبادة قال سفيان بن عيينة لم يامر بالمسألة الا ليعطي وقال صلى الله سلوا الله من فضله فانه يحب
ان يسئل وافضل العبادة انتظار الفرج وقال عليه السلام من لم يسئل الله يغضب عليه وفي الحديث
ان الله ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا اعطي عبدي حتى يسالني وقيل اتت امراة الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت رب الرجال والنساء واحد وانت الرسول الينا واليهم وابونا آدم وامنا حواء
فما السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الآية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا
فقال النبي عليه السلام ان للحامل منكن اجر الصائم القائم فاذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من
الاجر فاذا ارضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس وقد ذكر شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره في كتابه
الغنية ما للنساء من الثواب الجزيل فراجعه ان الله كان ولم يزل بكل شيء عليما فهو
عليم بمحل الفضل وبما يكون صلاحا للسائلين ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات
يعني هو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عليهم عن علم وتبيان وذلك على حسب مراتب استعداداتهم
الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الالهية ولكل من الرجال والنساء اذا ماتوا ولكل مال
وتركة جعلنا موالي اى جعلنا ورثة وعصبة مما ترك في تركته يلونها ويحرزونها ثم كانه
قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون وقوله مما ترك صفة مبينة لكل وفيه فصل بين الصفة
والموصوف بجملة جعلنا موالي وجاز ذلك لكون الفاصل ليس باجنبي عن الموصوف لان جعلنا عامل
في لكل وفي ترك ضمير راجع الى كل يعني جعلنا لكل ميت ورثة وعصبة يرثون مما ترك الميت وتلك
الورثة هم الوالدان والاقربون او في الكلام تقديم وتاخير اى ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون
جعلنا موالي ورثة ويمكن ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بن محذوف والعائد محذوف وكذا المبتدأ
تقديره ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون والوالدان وان دخلا في الاقربين
الا انهما افردا بالذكر لشرفهما وزيادة الاهتمام بشانهما والاقربون تشمل الاولاد ايضا ولا احتياج الى
التصريح بالاولاد لظهور امرهم والمراد من الموالي هنا الورثة فقط وان كانت شاملة على المعتق
والمعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه والحليف لان الحالف يلي امره بعقد اليمين وابن العم لانه
يليه بالنصرة والولي لانه يليه بالنصرة قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والذين
عاقدت ايمانكم اى احكمت عهودهم ايمانكم فآتوهم نصيبهم اى الحلفاء الذين عاقدتموهم
وعاهدتموهم واحكمتم ذلك بينكم في الجاهلية وفي ابتداء الاسلام على النصرة والارث فآتوهم اى اعطوهم

حظهم

حظهم من الميراث وهو السدس قرأ اهل الكوفة عقدت بلا الف اى عقدت عهودهم ايمانكم وقرأ
الآخرون عاقدت ايمانكم والمعاقدة المعاهدة والمحالفة والايمان جمع يمين من اليد والقسم وذهب
اكثر المفسرين بان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وبقوله
يوصيكم الله وذلك ان الرجل كان في الجاهلية يعاقد غيره وياخذ بيده عند المحالفة على الوفاء والتمسك
بالعهد ويقول حين المعاقدة لصاحبه دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك
وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من مال الحليف
وكان ذلك ثابتا في الاسلام فنسخ الله ذلك بقوله واولوا الارحام الآية كما ذكرنا آنفا وقال ابراهيم ومجاهد
اراد بقوله فآتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث لهم فعلى هذا الآية غير منسوخة لقوله تعالى
اوفوا بالعقود وقيل اراد به الزوج والزوجة والنكاح يسمى عقدا يعني لما بين ميراث الوالدين ذكر معهم
ميراث الزوج والزوجة وعند ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا
صح وعند الشافعي لا يصح وماله لبيت المال وفي المدارك بيانه اذا اسلم رجل او امراة لا وارث لها وليس
بعربي ولا معتق فيقول لآخر واليتك على ان تعقل عني اذا جنيت وترث مني اذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد
ذلك ويرث الاعلى من الاسفل انتهى وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي
عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روى ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق
ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار
لبيت المال ثم دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلام لفقره وعلى القطع ان هذه الموالاة لا تصح عند ابي حنيفة
ايضا الا بين العرب دون العجم لرخاوة امرهم ثم ان نسبة المعاقدة والعقد الى الايمان مجاز سواء اريد بالايمان
الجارحة او القسم وقيل في اعراب الموصول انه مبتدأ والخبر فآتوهم نصيبهم ودخلت الفاء في الخبر لتضمن الذين
معنى الشرط او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون
وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء
من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا مطلعا رقيبا فهو تهديد على منع نصيبهم او وعد على
اعطاء نصيبهم الرجال قوامون على النساء اى يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية يعني
مسلطون على تاديبهن بالامر والنهي وعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله قال صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما عظم الله حقه عليها وعلل وجه الحكومة بتفضيل
الرجال على النساء بامرين موهبي وكسبي فاشار الى الموهبي بقوله بما فضل الله بعضهم اى الرجال
على بعض اى النساء يعني فضل الله الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد
والعبادات كالجمعة والجماعات وان الرجل ينكح اربعا ولا يحل للمراة الا زوج واحد والطلاق بيد الزوج لا المراة
وبالميراث وبالدية وبالنبوة واشار الى الكسبي بقوله وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر
والنفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد
بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت الآية فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله والذي اراد الله

خبر ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما في اللطمة ونحوها فلا ثم قسم الله النساء
قسمين فبين الاول بقوله فالصالحات من النساء قانتات مطيعات لله قايمات بحقوق ازواجهن
حافظات للغيب اي حافظات لفروجهن في غيبة الازواج ولاسرارهم يعني حافظات لمواجب الغيب
اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امرأة
ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا
الاية وظاهر الاية اخبار والمراد امر فعلم منه ان المرأة لا تكون صالحة الا مطيعة لله ولزوجها حال حضوره
وحافظة لحق الزوج حال غيبته فالصالحات جمع محلى باللام فيحمل على الاستغراق فيدل على ان كل امرأة
صالحة لا بد ان تكون مطيعة لله تعالى ايضا ولزوجها كذلك حافظة بما حفظ الله وقرأ العامة
بالرفع اي بما حفظهن الله بايصاء الازواج بالقيام بحقهن بقوله وعاشروهن بالمعروف باداء
المهر والنفقة وقرأ ابو جعفر حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة لا مصدرية والمعنى حافظات بالامر
الذي حفظ حق الله او طاعته وذلك الحق هو التعفف والشفقة على الرجال وقيل بما وعد الله لهن
الثواب العظيم على حفظ الغيب وايعادهن بالعذاب الشديد على خيانتهن لازواجهن فما مصدرية
اي بحفظ الله اياهن حيث صيرهن كذلك ثم بين الثاني بقوله واللاتي تخافون نشوزهن اي
عصيانهن وترفعهن اي كبرهن عن مطاوعة الازواج والنشز الموضع العالي المرتفع فعظوهن
اي خوفوهن عقوبة الله والضرب واهجروهن اي باعدوهن ان لم يرجعن عن النشوز بالوعظ
والزجر في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن اي يعتزل عنها الى فراش اخر قال ابن عباس رضي الله عنهما الهجرة في المضاجع
هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها واضربوهن يعني ضربا غير مبرح اي لا يجرحها ولا يكسر لها عظما
ويجتنب الوجه قال عطا ضربا بالسواك امر بوعظهن اولا ثم بهجرهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم يرجع
فيهن الوعظ والهجران قال صلى الله عليه وسلم في حق المرأة ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت
ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت فان اطعنكم بترك النشوز فلا تبغوا اي لا تطلبوا
عليهن سبيلا اي طريقا الى ضربهن ظلما او عدوانا وتوبيخا وايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض
واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له يعني لا تجنوا عليهن
الذنوب وقال ابن عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن ان الله كان ولم يزل
عليا كبيرا اي اعلى عليكم واقدر قدرة منكم عليكم على من تحت ايديكم واكبر واعظم حكما عليكم منكم عليهن
فاحذروه ان يعاقبكم ان ظلمتموهن او انه على علو شانه وسلطانه وجلاله وكبريائه يتجاوز عن
سيئاتكم ويتوب عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر عن ان يظلم احدا او ينقص
حقه او انه سبحانه متعاليا من ان يكلف العباد ما لا يطيقونه وذهب بعضهم الى ظاهر الاية وقال
اذا ظهر منها النشوز جمع بين هذه الافعال وحمل الخوف في قوله واللاتي تخافون نشوزهن على العلم
اي واللاتي تعلمون نشوزهن كقوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا اي من علم ومنهم من حمل الخوف

على

على الخشية لا على حقيقة العلم كقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة وقال هذه الافعال على ترتيب الجرائم
كما اشرنا اليه يعني فان خاف نشوزها بان ظهرت اماراته منها من المخاشنة وسوء الخلق وعظها
فان ابت الا النشوز هجرها فان اصرت على ذلك ضربها ثم خاطب الحكام اي الامام والولاة بقوله
وان خفتم اي علمتم وتيقنتم شقاق اي خلاف بينهما اي بين المرأة وزوجها فابعثوا اليهما
برضاهما حكما من اهله وحكما من اهلها وجملة الامر انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق
واشتبه حالهما فلم يفعل الرجل الصفح ولا الفرقة ولا المرأة تادية الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل
قولا وفعلا بعث الامام رجلا وسطا عدلا حرا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله اليه ورجلا من اهلها
اليها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من
الاجانب جاز ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه وتوكل هي حكمها في اختلاع فيجتهدان
ويامران الظالم بالرجوع عن ظلمه او يفرقان ان راياه وقيل الخطاب للازواج والزوجات دون الحكام
واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان نصب الحكمين لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان
الحكمان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين ورضاهما وقال مالك لهما ان يتخالفا ان وجدا الصلاح فيه
ان يريدا اي الحكمان اصلاحا يوفق الله بينهما يعني بين الزوجين ومعناه ان قصدا الاصلاح
بين الزوج والمرأة اوقع الله بحسن سعيهما وبمن قصدهما الموافقة بين الزوجين وقيل ضمير يريدا
وبينهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما ليتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل الضميرات
للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على من
اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما بكل شيء خبيرا بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اي وحدوه
واطيعوه ولا تشركوا به شيئا اي صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا قيل العبودية اربعة
الوفاء بالعهود والرضاء بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه
انه قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله
ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اتدري يا معاذ ما حق الناس على الله تعالى
اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الناس على الله تعالى ان لا يعذبهم قال قلت يا
رسول الله الا ابشر الناس قال دعهم يعملوا وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا ببر
ولين جانب بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الحاجة وبذي القربى اي وبصاحب القرابة
اي بكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين والجار ذي القربى اي الجار
الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ ذا القربى بالنصب
على الاختصاص يعني اخص ذا القربى من الجار تعظيما لحقه قال صلى الله عليه وسلم في حق اليتيم انا وكافل
اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة وفرج بينهما شيئا وقال صلى الله عليه وسلم من مسح براس يتيم لم يمسحه
الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة
كهاتين وفرق بين اصبعيه وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما

احدى قال الى اقربهما منك قال صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه
طلق واذا طبخت مرقة فاكثر ماءها واغرف لجيرانك منها وقال صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل
يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه والجار الجنب اى البعيد عنك في الجوار او النسب
يعني البعيد الذي ليس بينك وبينه قرابة وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق
واحد وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب يعني الرفيق في السفر فانه صحبك وحصل بجنبك
وقيل الزوجة او الصاحب في كل امر حسن كتعلم علم او صناعة وتصرف او القاعد بجنبك في مجلس او مسجد
رجا نفعك وابن السبيل اى المسافر او الضيف وعليه الاكثرون قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او
ليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلثة ايام
فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه وما ملكت ايمانكم اى
العبيد والاماء اى احسنوا اليهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل
يتكلم ولا يفيض بها لسانه ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يانف عن اقاربه
وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا اى يتفاخر عليهم بغير الحق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة سيء الملكة وقال الشيخ الفخور صيغة مبالغة وهو من يعد مناقب نفسه ومحاسنه كبرا وتطاولا
وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردين وقد اعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان مختالا او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين
او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل والبخل في كلام العرب
منع السائل من فضل ما لديه وفي الشرع منع الواجب نزلت في يهود بخلوا بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها
او في كتمان العلم او في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم
الفقر ولا تدرون ما يكون قرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء وقرأ الاخرون بضم الباء وسكون
الخاء وهما لغتان كالرشد والرشد اى يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به
مقتا للسخاء قيل البخل ان يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح ان لا يأكل ولا يؤكل والسخاء ان يأكل ويؤكل
والجود ان يؤكل ولا يأكل ويكتمون اى يخفون ما آتاهم الله من فضله اى ما انعم الله عليهم
به من الغنى بالمال او العلم وقيل يبخل بالصدقة وفي الحديث اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى
نعمته على عبده واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اى ذا اهانة وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا
بان من كان هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء وقد قلنا بان الاية نزلت في اليهود وقال السدي نزلت في المنافقين وقيل في مشركي مكة
المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس

عطف على الذين

الذين يبخلون والكافرين نزل في المنافقين او المنفقين على عداوة النبي عليه السلام قوله رئاء
الناس مفعول له اى الذين ينفقون اموالهم للفخار وليقال ما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وانما
شارك المرائي في الانفاق البخلاء والكفرة لمشاركتهم اياهم في الاتصاف بامر قبيح او مبتدأ خبره محذوف
مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان والمعنى المراؤن في الانفاق قرينهم الشيطان ولا يؤمنون
بالله اى لا يصدقون به ولا باليوم الاخر كالمنافقين وكفار مكة فكانوا يبطنون الكفر
ويظهرون الاسلام مرائيا بذلك فقرينهم الشيطان الذي حملهم على ذلك العمل يقرن بهم في النار
ومن يكن الشيطان له قرينا صاحبا وخليلا يعمل بامره وهواه المذكورين فهم معه في النار
بالسلسلة فساء قرينا اى فبئس صاحبا الشيطان حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر والمراد
بالشيطان ابليس واعوانه الداخلة في باطن الانسان والخارجة عن الانسان ثم استفهم للتوبيخ
والتجهيل بقوله وماذا عليهم اى اى وبال واثم وتبعة تحيق بهم في الايمان بالله والانفاق
في سبيل الله لو آمنوا بالله واليوم الاخر مكان الشرك والنفاق وانفقوا مما رزقهم
الله من الاموال مكان البخل في غير رياء يعني لا يضرهم ذلك بل ينفعهم في الدنيا والاخرة والمراد
بماذا عليهم الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في الايمان بالله واليوم الاخر وهذا كما يقال
للعاق ما ضرك لو كنت بارا وقد علم الله انه لا مضرة في البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله بهم عليما
بانهم لم يؤمنوا فيجازيهم بما عملوا من الرياء وعدم الايمان فالاية وعيد لهم ان الله لا يظلم
مثقال اى ثقل وزن ذرة اى اصغر نملة بان ينقصها من حسناته او يزيدها في
سيئاته وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة
وقيل كل جزء من اجزاء الهباء الظاهر في شعاع الشمس في الكوة ذرة ولا يكون لها وزن وفي ذكر المثقال
اشارة الى ان الظلم وان صغر قدره عظم جزاؤه ونظم الاية ماذا عليهم لو آمنوا بالله وانفقوا
فان الله لا يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله وزن نملة الحمر الصغيرة وهذا مثل ضربه الله تعالى
يريد انه سبحانه لا يظلم شيئا كما قال في اية اخرى ان الله لا يظلم الناس شيئا وقال صلى الله عليه وسلم ان
الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة وقال واما الكافر و
المنافق فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا وان
تك حسنة اى وان يكن مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكون المثقال مضافا الى
مؤنث وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال وقرأ ابن كثير ونافع حسنة على كان التامة
اى وان توجد حسنة وقرأ الباقون بالنصب على معنى وان تك زنة الذرة حسنة من مؤمن يضاعفها
اى يجعلها اضعافا كثيرة يعني يضاعف ثوابها من عشر الى اكثر من سبعمائة وقرأ ابن كثير وكلاهما بمعنى
ويؤت من لدنه اى ويعط صاحبها من عنده مع المضاعفة من غير استحقاق على سبيل
التفضل زائدا على ما وعد من المضاعفة في مقابلة العمل اجرا عظيما اى عطاء جزيلا وانما سماه
اجرا لانه تابع للاجر يزيد عليه لا يثبت الا بثباته قال ابو هريرة رضي الله عنه اذا قال الله
اجرا عظيما فمن يقدر قدره مع انه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب

بالرفع

وابن عامر ويعقوب يضعّفها
والباقون يضاعفها بالالف

مدارك

الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة ثم وبخ اليهود وساير الكفار على ترك الايمان والعمل بالسيئات بقوله فكيف اى فكيف حال هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم وكيف يصنعون اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى كيف وقت مجيئنا من كل امة من امم الانبياء بشهيد يشهد عليهم بعملهم القبيح وفساد عقايدهم وهو نبيهم وجئنا بك اى واحضرناك يا محمد على هولاء شهيدا اى تشهد على صدق هولاء الشهداء يعنى الانبياء لعلمك على عقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم قال البغوى نبينا يشهد على من رآه وعلى من لم يره وعن عبد الله بن مسعود انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك انزل قال نعم فقرأت سورة النساء حتى اذا انتهيت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان وقيل هولاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل اشارة الى المومنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفى المدارك على هولاء اى على امتك شاهدا يعنى على من آمن بالايمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وفى العيون على هولاء اى على امتك الذين كذبوك تشهد بعملهم وقال الواعظ يشهد نبينا على ايمان من آمن من المومنين من امته عليه السلام وفى بعض التفاسير قيل فى معنى الاية ان الرسل يشهدون يوم القيمة على اممهم بتبليغ الرسالة اليهم من ربهم حين يسالهم الله هل بلغكم الرسل فيقول الامم ما بلغونا رسالة ربنا فيقول الرسل قد بلغنا ولنا شهود فيقول الله ومن شهودكم فيقولوا انه محمد فاوتى بامة محمد فيشهدون انهم قد بلغوا الرسالة اليهم فيقول الامم ان فيهم سراقا وفساقا لا تقبل شهادتهم فيجاء بالنبى عليه السلام على هولاء يعنى على امته شهيدا يشهد بالصدق فيهم ويزكيهم فيقول الكافرون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون فقال الله تعالى مخبرا عن حالهم يومئذ اى يوم مجى الانبياء بالشهادة على الامم وهو يوم يقوم الناس من قبورهم ويرون شدة الحول والامر عليهم يود يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول اى لم يعرفوا برسالته لو تسوى بهم الارض يعنى ان تسوى عليهم الارض فهو بيان لحالهم اى يود الذين جمعوا بين الكفر بالله وعصيان امر الرسول او الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا وانهم لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء او تصير البهايم ترابا فيودون حالها لعظم هول ذلك اليوم قرا اهل المدينة وابن عامر لو تسوى على معنى تتسوى فادغمت التاء الثانية فى السين وقرا حمزة والكسائى بفتح التاء وتخفيف السين على حذف تاء الفعل كقوله لا تكلم نفس الا باذنه وقرا الباقون بضم التاء وتخفيف السين على المجهول اى لو سويت بهم الارض وصاروا هم والارض شيئا واحدا ولا يكتمون الله حديثا اى ولا يقدرون كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم ولان ما عملوه لا يخفى على الله فهو كلام مستانف وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض والحال انهم لا يستترون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقال عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعته

فى التورية

سورة النساء

فى التورية قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس انى اجد فى القرآن اشياء تختلف على قال هات ما اختلف عليك قال قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ولا يكتمون الله حديثا وقال قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله طائعين فذكر فى هذه الاية خلق الارض قبل خلق السماء وقال وكان الله غفورا رحيما وعزيزا حكيما فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضى الله عنهما فى جوابه اما قوله فلا انساب بينهم فى النفخة الاولى وقال ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم فى النفخة الاخرة اقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فقال المشركون تعالوا فلنقل ما كنا مشركين فيختم على افواههم فتنطق ايديهم فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض واما قوله ام السماء بناها فخلق الارض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الارض ودحيها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما فى يومين آخرين فقال خلق الارض فى يومين فخلقت الارض وما فيها فى اربعة ايام وخلقت السموات فى يومين واما قوله وكان الله غفورا رحيما اى لم يزل كذلك ولا يزول فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله تعالى وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله فاعترفوا بذنوبهم وفى موطن يتساءلون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة اى لا تصلوا وانتم سكارى من الشراب حتى تعلموا ما تقولون اى تزولوا بان تصحوا والمعنى لا تقربوا الى الصلوة وانتم سكارى من نحو خمر او نوم او سكر الهوى ومحبة الدنيا حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون فى صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع مادبة فدعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى سكروا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت فكانوا بعد نزول هذه الاية يجتنبون السكر اوقات الصلوات حتى نزل تحريم الخمر وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرى سكارى بفتح السين وسكرى بفتح السين وسكون الكاف على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان الجملة فى موضع النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا اى لا تصلوا فى هذين الحالين والجنب الذى اصابته الجنابة بايلاج او انزال ويستوى فى الجنب المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجناب الا عابرى اى الا مجتازى سبيل اى طريق يعنى مسافرين حتى تغتسلوا من الجنابة

فلكم ان تصلوا فقوله الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا
الصلوة جنبا في جميع الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد لكون هذا
الشرط معتبرا ايراد اية التيمم عقيب هذا الحكم واشتراط صحة التيمم بعدم وجدان الماء او صفة
لقوله جنبا ومعناه لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اى جنبا مقيمين غير مسافرين
وفي الاية دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث لانه طهارة ضرورية ومن حيث انه
جاء بالغاية له بقوله حتى تغتسلوا ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الحسن والشافعي ومالك مطلقا لان بعض الانصار
كان عبورهم في المسجد لعدم الممر لهم الا في المسجد ولو كان في ذلك اثم لفتحوا لهم ابوابا في
غير المسجد ولا مانع لذلك وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء او الطريق وقال بعضهم
يتيمم للمرور في المسجد وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي
نفسه عما يجب تطهيرها عنه **وان كنتم مرضى** جمع مريض واراد به مرضا يضره
استعمال الماء مثل الجدري ونحوه او مرضا يمنعه عن الوصول الى الماء فان كان على موضع طهارته
جراحة يخاف من استعمال الماء فيه التلف او زيادة المرض فانه يصلي بالتيمم وان كان الماء موجودا
وان كان بعض اعضاء طهارته صحيحا والبعض جريحا غسل الصحيح منها ويتيمم عن الجريح والدليل
على ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه حيث قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه
في راسه واحتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر
على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرناه بذلك فقال قتلوه قتلهم الله
الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر او يعصب شك
الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين
التيمم والغسل وقالوا ان كان اكثر اعضائه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا
اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بينهما **او على سفر** اى مسافرين وانتم جنب
او محدثون اراد انه اذا كان في سفر طويلا كان او قصيرا وعدم الماء فانه يصلي بالتيمم ولا اعادة
عليه لما روى ابو ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصعيد الطيب وضوء المسلم وان لم
يجد الماء عشر سنين فاذا وجد الماء فليمسه بشرته اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا في سفر لكنه عدم
الماء في موضع لا يعدم فيه الماء غالبا بان كان في قرية انقطع ماؤها فانه يصلي بالتيمم ثم يعيد اذا
قدر على الماء عند الشافعي وعند مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وعند ابي حنيفة يؤخر الصلاة حتى
يجد الماء **او جاء احد منكم من الغائط** اى او يجي احد منكم من الخلاء يريد المجي من الخلاء
كناية عن الحدث ومعناه او احدث احد منكم بخروج الخارج من احد السبيلين والغائط اسم للموضع
المطمئن من الارض وكان عادة العرب اتيان الغائط للحدث **او لامستم النساء** اى او ماسستم
بشرتهن ببشرتكم من غير حائل وبه استدل ابن مسعود وابن عمر والزهري والاوزاعي والشافعي رحمهم
الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل معناه او جامعتموهن فلا ينقض بالمس واليه ذهب ابو حنيفة

رحمه الله

رحمه الله وقرا حمزة والكسائي هاهنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة وفي
كل حال اذا اصابكم المرض او السفر او الحدث او الجنابة **فلم تجدوا ماء** تتطهرون به للصلاة بعد
الطلب والتفتيش اما لعدم الاسباب او العجز عن الوصول اليه لوصحه وان كنتم جنبا مرضى او على
سفر او محدثين جئتم من الخلاء او لامستم النساء فلم تتمكنوا من استعمال الماء **فتيمموا** اى اقصدوا
بعد دخول الوقت **صعيدا** ترابا **طيبا** طاهرا نظيفا فاضربوا به ضربتين للوجه واليدين
وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الصعيد يختص بما يقع عليه اسم التراب الخالص مما يتعلق باليد
منه غبار لان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت تربتها لنا طهورا وجوز بعضهم التيمم بالزرنيخ والجص
والنورة وغيرها من طبقات الارض حتى قالوا لو ضرب بيده على صخرة صلد
لا غبار عليها او على تراب ثم نفخ فيه حتى زال التراب كله فمسح به وجهه ويديه صح تيممه وقال اصحابنا
لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من
بعضه ومسح بعض الصعيد لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه وجعل من لابتداء الغاية تعسف
اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واما من قال ان الصعيد هو وجه الارض لما روي عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا قلنا هذا مجمل وحديث حذيفة
يعني وجعلت تربتها لنا طهورا في تخصيص التراب مفسر والمفسر من الحديث يقضي على المجمل
وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ونحوها وقالوا الصعيد ما تصاعد
عن وجه الارض واعلم ان القصد الى التراب شرط لصحة التيمم عندنا لان الله تعالى قال فتيمموا
والتيمم القصد حتى لو وقف في مهب الريح واصاب الغبار وجهه ونوى لم يصح **فامسحوا بوجوهكم
وايديكم** يعني مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف واليد اسم العضو الى المنكب وما روي
انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد هاهنا
وايديكم الى المرافق وكيفية المسح عندنا ان يمسح الوجه واليدين مع المرفقين بضربتين
يضرب كفيه على التراب فيمسح جميع وجهه ولا يجب ايصال التراب الى ما تحت الشعور ثم يضرب
ضربة اخرى فيمسح يديه الى المرفقين لرواية الاعرج عن ابن الصمة انه قال مررت على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع
يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي السلام ففيه دليل على وجوب مسح اليدين
الى المرفقين كما يجب غسلهما الى المرفقين في الوضوء ودليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق باليدين غبار
لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لكان لا يحته
وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين الى المنكبين لما روي عن عمار انه قال تيممنا الى المناكب
وذلك حكاية فعله لم ينقله عن النبي صلى الله عليه وسلم كما روي انه قال اجنبت فتمعكت فسالت
النبي صلى الله عليه وسلم فامرني بالوجه والكفين انتهى اليه وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة واحدة للوجه
والكفين واتفقوا على انه يجوز له ان يصلي بتيمم واحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل الفريضة
وبعدها وانه يقرا القران ان كان جنبا **ان الله كان عفوا** بالترخيص **غفورا**

للتقصير فلذلك يسّر الامر عليكم ورخّص لكم الم تر الى الذين اوتوا اى الم تنظر الى
الذين اعطوا اذا كان من روية البصر واذا كان من روية القلب فمعناه الم ينته علمك الى الذين
اعطوا وعدّى بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا اى حظا يسيرا من الكتاب اى من علم
التوراة لان المراد احبار اليهود يعنى يهود المدينة لانه نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم
كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا بلسانهما وعاباه يشترون الضلالة يختارون
الكفر والبقاء على اليهودية على الهدى او يستبدلونها به بعد وضوح الايات لهم على صحة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل وقيل معناه
ياخذون الرشى ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون السبيل اى سبيل
الحق لتكونوا مثلهم فى الضلالة فلا تصاحبوهم ولا تجالسوهم والله اعلم منكم باعدائكم فاحذروهم
ولا تستشيروهم فى اموركم ولا تقبلوا نصحهم بعد ان اخبركم بعداوتهم معكم وارادتهم بكم وكفى
بالله وليا اى يلى امركم فى النفع يعنى كفى الله محبا وحافظا لكم وكفى بالله نصيرا اى
مانعا لكم من كيدهم ويكفيكم مكرهم ومعينا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والبا وتذكر
مع فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى باتصال الاضافى ووليا ونصيرا منصوبان على
التمييز او على الحال من الذين هادوا قيل متصل بقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب من الذين هادوا وبيان له او مستانف معناه من الذين هادوا من يحرفون
اى يغيرون الكلم الذى انزل الله فى التوراة من نعت محمد عليه السلام نحو اسمر ربعة
حرفوه بادم طوال مكانه وغير اية الرجم وجعل الحد بدله عن مواضعه التى وضعه
الله فيها وذلك بازالة الكلم عن مواضعها واثبات غيره فيها او يأولونه على ما يشتهون
فيميلونه عما انزل الله فيه ثم ذكرهنا عن مواضعه وسياتى ان شاء الله فى سورة المائدة من
بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على بيناه من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه
فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه يعنى حك الحق ووضع الباطل مكانه ومعنى من بعد
مواضعه انه كانت له مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا
له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان قال ابن عباس رضى الله عنه كانت اليهود ياتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا انصرفوا
من عنده حرفوا كلامه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك الذى امرتنا قيل اسروا به
واسمع اى قولنا غير مسمع حال من المخاطب بمعنى الدعاء عليه اى اسمع وانت غير مسمع وهو
قول ذو وجهين يحتمل الذم بمعنى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت قالوا ذلك اتكالا على
ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او لم تسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا
يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك
تنبو عنه فيكون مفعولا به لا حالا وعلى التقدير الاولين حال ويحتمل المدح اى اسمع غير
مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبّه وانما قال نفاقا قال الاسناد فى تفسيره فى معنى واسمع

غير مسمع اى اسمع منا ولا نسمع منك غير مسمع اى مقبول منك وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم
اسمع ثم يقولون فى انفسهم لا سمعت وكانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ايضا وراعنا اى انظرنا
وارقبنا نكلمك او نفهمك كلامك نقول هذا هى كلمة توقير واكرام وتعظيم ويحتمل الشتم والاهانة باللسان
العبرى او السريانى لانهم كانوا يتسابون بها لان معناها بلسانهم الرعونة وهى الحماقة فكانوا يكلمون
النبى عليه السلام بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون بذلك التوقير والتعظيم
كما هو عادة اهل النفاق والكفر وقيل كانوا يشبعون عين راعنا فتاتيهم اعراب القردة والخنازير
اخر الدهر ليا بالسنتهم اى فتلا بها وصرفا وتحويلا وتقليبا للكلام الى ما يشبه التحبيث
وضعف للشتيمة لما يتساوون به موضع انظرنا ووضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او
فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير نفاقا وطعنا فى
الدين الاسلام اى استهزاء به وسخرية او هو قولهم لو كان نبيا لاخبر بما نعتقد قوله فيه ولو
انهم اى اليهود قالوا سمعنا واطعنا بدل قولهم وعصينا واسمع فقط ولم يلحقوا به غير
مسمع وانظرنا اى انظر الينا بدل راعنا يعنى ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه على وجه السخرية
لكان قولهم ذلك خيرا لهم عند الله مما قالوا على وجه النفاق واقوم اى واسد واعدل
واصوب مما قالوه من الطعن والتحريف ولكن لعنهم الله بكفرهم اى ولكن قالوا ما قالوا
لان الله خذلهم وابعدهم بسبب كفرهم عن رحمته وهدايته فلا يؤمنون الا قليلا اى الا نفرا قليلا منهم
كعبد الله بن سلام ومن اسلم معه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات والرسل
ويجوز ان يكون ضعف ايمانهم وقلة تصديقهم لكونه بمجرد السنتهم لا فايدة فيه مع عدم التوحيد
او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون ثم اوعدهم بالعقوبة الشديدة لعدم ايمانهم بالقران العزيز
بقوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب اى اعطوا التوراة امنوا اى صدقوا بما نزلنا من القران
مصدقا لما معكم من التوراة من قبل ان نطمس اى من قبل ان نمحو ونقلع ونزيل وجوها اى
ما هو كاين فى الوجه كالعين والانف والفم والحاجب وساير الجبين والنقوش فنردها اى فنجعل
ونرد تلك الوجوه على ادبارها اى على هيئة الاقفاء والمجدورة لوحا واحدا كخف البعير
وقرص المترجين او نجعلها ونلبسها الى ورائها فى الدنيا قبل يوم القيمة او فى الاخرة او نلعنهم كما
لعنا اصحاب السبت اى او نخزى اصحاب الوجوه بالمسخ كالقردة والخنازير كما اخزينا بذلك اصحاب
السبت او نمسخهم مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام فالضمير لاصحاب
الوجوه على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء فان قيل قد اوعدهم الله بالطمس ان لم يؤمنوا
ثم لم يؤمنوا ولم يفعل بهم ذلك قلنا الوعيد كان معلقا بشرط ان لا يؤمن كلهم وقد امن بعضهم فان
ابن سلام عليه السلام لما سمع الاية جاء فلان من الشام اتى الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتى اهله ويده
على وجهه فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى فى قفاى وقيل
او الى اهلى قبل يطمس الله وجهى وكذلك كعب الاحبار لما سمع هذه الاية اسلم فى زمن عمر رضى الله عنهما
فقال يا رب امنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد هذه الاية لانه حمل الوعيد على تغيير الصورة

في الدنيا فهو بعد متوقف في اليهود قبل قيام الساعة وان كان المراد بالطمس تبديل احوال رؤسائهم
فقد كان يعني اجلاء بني نضير الى اذرعات واريحا من الشام وان كان المراد بالطمس تغيير احوالهم
فالهوان والحقارة والوساخة لانه لزم لهم لا يفارقهم اصلا وقيل في معنى قوله من قبل ان نطمس وجوها
اي بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها
عن الهداية الى الضلالة وقيل معناه من قبل ان تغير وجوها فنقلب وجاهتها واقبالها ونكسوها
الصغار والذلة والادبار كما قلنا بان ذلك لازم لهم **وكان امر الله** اي قضاؤه بايقاع شيء من
الوعيد والوعد **مفعولا** كاينا نافذا لا محالة فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا **ان الله لا**
يغفر ان يشرك اي الاشراك **به** ان مات عليه **ويغفر ما دون ذلك** اي ما سوى ذلك اي ما عدا
الشرك من الذنوب وان كانت كبيرة مع عدم التوبة على حسب ما تفضل بالوعد الشريف والحاصل ان
الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه بمن لم يتب اي لا يغفر لمن يشرك وهو
مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال صلى الله عليه وسلم من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم
تضره خطيئته وتقييده بقوله **لمن يشاء** لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق
من يشاء قال علي كرم الله وجهه ما في القران اية احب الي من هذه الاية وحمل المعتزلة على التايب
لان الكفر مغفور عنه بالتوبة كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه
اولى ان يغفر بالتوبة والاية سيقت لبيان التفرقة بينهما قال السلطان قوله لمن يشاء اي تفضلا
عليه واحسانا واقول للمعتزلة بالفعلي على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من
لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم ايات الوعيد
بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشية ينافي وجوب التعذيب قبل
التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب
شرك وان صاحبه خالد في النار قال الكلبي نزلت الاية في وحشي بن حرب واصحابه وذلك
انه لما قتل حمزة كان قد جعل له سيده على قتله ان يعتقه فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على
صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله انا قد ندمنا على صنيعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام
الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايات وقد دعونا مع الله الها
اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرأوهما كتبوا اليه عليه السلام
ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزل قوله
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقبل ذلك منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني
فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات كذا ذكره محي السنة في تفسيره وقال مطرف بن
شخير قال ابن عمر كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من اهل

النار

النار حتى نزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادات
وحكي عن علي رضي الله عنه انه قال ان هذه الاية ارجى اية في القران وقد ذكرنا في رواية
اخرى من قريب بانه احب اية اليه **ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** اي
فقد كذب كذبا عظيما وذنبا كبيرا استحق به عذابا اليما يعني ارتكب امرا يستحقر دونه الاثام
والافتراء كما يطلق على القول ويطلق على الفعل ايضا وكذلك الاختلاق ونزل فيمن زكى نفسه
من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقيل ناس من اليهود جاءوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل
على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل
كفر عنا بالنهار فنزل **الم تر الى الذين يزكون انفسهم** يخاطب الله رسوله على وجه التعجب
اي الم تنظر الى الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب بالسنتهم وفي معناه من زكى نفسه
واثنى عليها وليس الامر بتزكيتهم نفوسهم **بل الله يزكي من يشاء** اي يطهره ويبرئه
من الذنوب ويصلحه باكرام الهداية ونور الاسلام ويهدي الله لنوره من يشاء لانه هو العالم بمن
هو اهل التزكية **ولا يظلمون** اي لا ينقصون بالذنب في الدنيا والعقاب في الاخرة على تزكيتهم
انفسهم بغير حق **فتيلا** اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في الحقارة والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهرها وقيل
الفتيل من الفتل وهو ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ والضمير في لا يظلمون ان كان راجعا الى الذين
يزكون انفسهم بغير حق فالمعنى كما ذكرنا وان كان راجعا الى معنى من يشاء في قوله بل الله يزكي
من يشاء فالمعنى لا ينقص الذين يثابون على زكائهم من الخير والثواب والجامع بين المعنيين اي
الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكية انفسهم حق جزائهم او من يشاء يعني والذين زكاهم
الله بقوله بل الله يزكي من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من حسناتهم وثوابهم قدر فتيل
قال ابو السعود رحمه الله في معنى ولا يظلمون يعني يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون
في ذلك العقاب فتيلا وقال عبد الله بن مسعود رحمه الله في معنى التزكية هو تزكية بعضهم
لبعض يعني ان الرجل ليغدو من بيته ومعه دينه فياتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا
ولا نفعا فيقول والله انك لذيت وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرا الم
تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي ثم قال الله لحبيبه **انظر** يا محمد **كيف يفترون**
على الله الكذب اي كيف يختلقون على الله الكذب في تغيير كتابه او في زعمهم انهم ابناء الله
وازكياء عنده **وكفى به** اي بزعمهم هذا وبالافتراء والكذب **اثما مبينا** اي اثما ظاهرا
من بين اثامهم وساير سيئاتهم يعني لا يخفى كونه ماثما من بين اثامهم **الم تر** اي انظر يا محمد
الى الذين اوتوا اي اعطوا **نصيبا** اي حظا **من الكتاب** اي من التوراة **يؤمنون**
اي يصدقون عنادا او حسدا في الاسلام **بالجبت** وهو في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد
من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء **والطاغوت** اسم

لكل باطل من معبود او غيره او الجبت السحر والطاغوت الشيطان او الجبت الاوثان والطاغوت شيطان
الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنه فيغتر به الناس فهو كمن يرغب الناس على حب فرعون في
زماننا او الجبت الكاهن والطاغوت الساحر او الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن
او الجبت بلسان الحبشة شيطان وقال الضحاك الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن اشرف
ودليله قوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الاية قال صلى الله عليه وسلم العيافة والطرق
والطيرة من الجبت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان والاية نزلت في يهود
كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله تعالى مما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة
رسول الله فقالوا انتم يا معشر اليهود اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم
فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا وآمنوا بالهتهم ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلثون
ومنا ثلثون فلنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم
قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ولاة البيت ننحر للحجيج الكوماء
ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن
اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث
وهو يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك فقال كعب الشوم انتم والله اهدى سبيلا مما
عليه محمد عليه الصلاة والسلام فانزل الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت ويقولون للذين كفروا اى لاجلهم وفيهم يعني لابي سفيان واصحابه هؤلاء اى انتم
يا ابا سفيان واصحابك اهدى اى اقوم وارشد واصوب واصلح من الذين آمنوا اى من
الذين صدقوا بوحدانية الله وهم محمد واصحابه سبيلا اى دينا وطريقا اولئك الذين
لعنهم الله طردهم من رحمته وابعدهم من نظره ومن يلعن الله فلن تجد له
نصيرا مانعا من عذابه بشفاعة او غيرها اى نصيرا يعتد بنصره ثم وصف الله اليهود بالبخل
والحسد وهما شر الخصال يمنعون ما لهم ويتمنون ما لغيرهم فقال ام لهم نصيب
من الملك اى ليس لليهود حظ ونصيب من الملك فام منقطعة والهمزة لانكار ان
يكون لهم نصيب في الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان ملك النبوة والرسالة سيصير اليهم
في الدنيا او حكم في ملك الله فاذا لا يؤتون الناس اى لو كان لهم على زعمهم شيء من الملك فاذا اى
حين تمليكهم ذلك لا يعطون احدا من سائر الناس او النبي واتباعه نقيرا اى مقدار نقير وهي
النقطة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وهذا هو الاغراق في بيان شح اليهود فانهم
يبخلون بالنقير وهم ملوك فما بالك وظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين وهو مثل في القلة كالفتيل
ولم يعمل اذا في لا يؤتون لاجل فاء العطف والنون فيها اصل وليس بتنوين ولذا يكتب بصورة النون
ام يحسدون الناس فيما ذكرنا اى بل يحسد اليهود رسول الله واصحابه او العرب او الناس

جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكانت بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله
من فضله من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم او لكثرة النساء
يعني على ما احل الله له من النساء وقالوا ما له هم الا النكاح وقالوا لو كان نبيا لاشتغل عن النساء
فقد آتينا آل ابراهيم اراد بآل ابراهيم موسى وداود وسليمان الذين هم اسلاف محمد
وابناء عمه الكتاب المنزل عليهم من السماء اى التوراة والحكمة اى النبوة او العلم او الفقه
وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فكان ليوسف ملك مصر
ولداود وسليمان ما لا يخفى ومن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان
بكثرة النساء فانه كان لسليمان عليه السلام الف امراة مهرية بالنكاح الشرعي وسبعمائة سرية
وكان لداود مائة امراة او الا واحدة ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة فلما
قال لهم ذلك سكتوا وقال الواعظ اراد بآل ابراهيم اولاده يعني موسى وداود وعيسى عليهم السلام
واراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور واراد بالحكمة علم الحلال والحرام وفي التيسير اراد بآل
ابراهيم محمد عليه السلام وبالكتاب القران وبالحكمة الشرايع وبالملك العظيم دوام شريعته
الى يوم القيمة او تابيد ملكه فمنهم اى من اليهود من آمن به اى بمحمد كابن سلام واصحابه
او بما ذكر من حديث آل ابراهيم او بابراهيم نفسه قال السدي الهاء في قوله آمن به وصد عنه راجعة
الى ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام زرع ذات سنة وزرع الناس فهلك زرع الناس وزكى
زرع ابراهيم فاحتاج الناس اليه فكان يقول من آمن بي اعطيته فمن آمن منهم اعطاه ومن لم يؤمن
منعه ومنهم من صد عنه اعرض عنه اى عن محمد عليه السلام بانكار نبوته مع العلم ككعب
ابن الاشرف ومن تابعه او عن ما ذكر من حديث آل ابراهيم او عن ابراهيم عليه السلام وقيل معناه فمن
آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر به ولم يكن في ذلك توهين امر ابراهيم وكذا لا يوهن كفر
هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا اى كفى للصاد من نار مسعورة يعذبون بها يعني ان لم يعجلوا
بالعقوبة في الدنيا فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم هذه المرضيين اولا بقوله وكفى ثم ثنى بقوله
ان الذين كفروا باياتنا اى بمحمد والقران سوف نصليهم اى سوف ندخلهم نارا في
الاخرة يحترقون فيها كلما نضجت احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اى
اعدنا تلك الجلود بعينها غير محترقة على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا فالتبديل والتغيير
من شكل الى شكل ومن هيئة الى اخرى لتغاير تلك الهيئتين لا التغاير الاصلي عند اهل الحق لان
الله تعالى لو امر باحراق الجلود العاصية وخلق جلود غيرها وعذبها كان هذا تعذيبا لمن لم
يعص والعدل مناف لذلك خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضج غير نضج وبان تزال عين
الجلد العاصي اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه
ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وقيل يخلق مكان ذلك الجلد جلدا اخر
والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان ولم يزل

عزيزا اى غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه ما يريده بالمجرمين حكيما يعاقب على وفق حكمته ما يفعل بالمشركين قال ابن عباس رضى الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وقال عمر بن الخطاب عليه السلام تبدل فى ساعة واحدة مائة مرة وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا قال صلى الله عليه وسلم ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وقال صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام وقال السدى يبدل الجلد جلدا غيره من لحم الكافر ويعيد الجلد لحما ثم يخرج من اللحم جلدا اخر فالتبدل كاين فى الصفة لا فى الذات وهو كما يقول الرجل صغت من خاتمى خاتما غيره فالخاتم الثانى من الاول الا ان الصياغة والصفة تبدلت كما اشرنا قبيل هذا الى التمثيل بالخاتم والقرط وكمن يترك اخاه صحيحا ثم بعد مدة يراه مريضا دنفا فيقول انا غير الذى عهدت وهو عين الاول الا ان صفته تغيرت وقيل يعذب الشخص فى الجلد لا الجلد بدليل قوله ليذوقوا العذاب ولم يقل لتذوق وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم فتكون زيادة عذاب عليهم فكلما احترق جلد بدلهم الله جلدا غيره كما قال سرابيلهم من قطران فالسرابيل تؤلمهم وهى لا تالم فانواع العذاب على حسب شدة الكفر ولهذا اشار شيخنا عبد القادر قدس سره فى غنيته بان فرعون موسى اشد عذابا من ابى جهل وابى جهل فوقه بدرجة لان فرعون زاد عليه بدعوى الربوبية لعنهما الله وقد ذكر الشيخ قدس سره احوال اهل النار واحوال اهل الجنة فى غنيته مفصلا فراجعه اللهم انى اعوذ بك من ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم ثم انه تعالى قدم ذكر الكفار ووعيدهم ثم ذكر المؤمنين بما لهم من النعيم بعده لان الكلام فى الكفار وذكر المؤمنين بالعرض فقال والذين امنوا اى صدقوا محمدا والقران وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة التى امرهم الله بها سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اى مقيمين فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون حال من مفعول ندخلهم لهم فيها ازواج مطهرة من الحيض والنفاس ومن العيوب الظاهرة والباطنة وندخلهم ظلا ظليلا يعنى فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس والظليل مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ويعنى ظليلا بعبارة اخرى كنينا لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة وهو اشارة الى النعيم الدايم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات اى ما اؤتمن عليه من الحقوق الى اهلها والخطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه المفتاح فلوى على بن ابى طالب يده واخذ المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله العباس المفتاح لنفسه واراد ان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ان يرد المفتاح الى عثمان بن طلحة ويعتذر اليه

قال ففعل ذلك على فقال هاك خالدة تالدة فقال له عثمان اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال له على رضى الله عنه لقد نزل الله فى شانك اية وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال فكان المفتاح معه الى ان مات فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة فى اولادهم الى يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له وفى المدارك لما اسلم عثمان هبط جبريل عليه الصلاة والسلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة فى اولاد عثمان ابدا وعبارة السلطان ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا والى الان المفتاح بيدهم وناهيك باهل بيت نزل فيهم الوحى بانهم اهل الامانات والديانات الى يوم القيمة والاية وان نزلت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ولهذا قلنا الخطاب يعم المكلفين والامانات ثم خاطب جميع الحكام من الولاة والقضاة بالعدل فقال واذا حكمتم اى ويامركم الله اذا قضيتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم قوله ان تحكموا عطف على ان تؤدوا ومعناه يامركم بتادية الامانات وبالحكم بالعدل والحق او بالبينة على المدعى واليمين على من انكر ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به اعنى تادية الامانات والحكم بالعدل فما على هذا نكرة منصوبة موصوفة بيعظكم او نعم الشئ الذى يعظكم به فما موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها والمخصوص بالمدح محذوف اى نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به باداء الامانات والعدل فى الحكم كما ذكرنا انفا ان الله كان سميعا بصيرا اى باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات ولما امر الولاة باداء الامانات والحكم بالعدل امر الناس بان يطيعوهم بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله فى ما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول كذلك واولى الامر منكم اى اصحاب الامر اى اطيعوا امراء المسلمين فى عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الله الناس بطاعة الامراء والحكام والولاة بعدما امر الامراء بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعة الامراء والقضاة ما داموا على الحق وقيل اراد باولى الامر علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم لانهم هم الذين يعلمون الناس معالم دينهم وقال على كرم الله وجهه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك كان حقا على الرعية ان يسمعوا له ويطيعوا قال صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن يعصنى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى قال صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن عبادة ابن الصامت انه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى اليسر والعسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقوم او نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم وعن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اسمع واطع ولو لعبد حبشى كان راسه زبيبة وعن سليم بن عامر قال سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى حجة الوداع يقول اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابا بكر وعمر رضى الله عنهما وعن حذيفة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال عطاهم المهاجرون
والانصار والتابعون لهم باحسان بدليل قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
وعن الحسن عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في
الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح ودلت الاية والاحاديث على ان
طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم كقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق اللهم اجرنا من النار والدخان ومن مخالفة السلطان ويحكى ان مسلمة بن عبد الملك
ابن مروان قال لابي حازم الستم امرتم بطاعتنا بقوله واولي الامر منكم فقال ابو حازم اليس قد نزعت
عنكم اذا خالفتم الحق بقوله **وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ** اي ان اختلفتم انتم وامراء العدل يعني اولي الامر منكم **فِي
شَيْءٍ** من امور الدنيا والشرائع **فَرُدُّوهُ** اي فراجعوا في ذلك الشيء **إِلَى اللَّهِ** اي الى كتابه **وَالرَّسُولِ**
بالسؤال عنه مدة حياته والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب
رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى السنة المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل
والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة الرسول فانه يدل على ان
الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس والحاصل ان الرد
الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما وان لم يوجد فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله والرسول ان
تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم **إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ** اي تصدقون **بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**
اي بالبعث بعد الموت فان الايمان يوجب ذلك **ذَٰلِكَ** اي الرد الى الكتاب والسنة **خَيْرٌ** لكم عاجلا
من التنازع والدعوى والخصومة **وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** اي الرد اجمل واحسن من تأويلكم بلا رد واجمل عاقبة
ومرجعا ومآلا لكم **أَلَمْ تَرَ** اي انظر يا محمد **إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ** اي يدعون **أَنَّهُمْ آمَنُوا
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** اي القران **وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** اي بالتوراة وغيرها من الكتب المنزلة
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ هو كعب او كاهن اي لمن تجاوز في الطغيان والفساد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا واسمه بشر خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق
وقال نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله
فنزلت الم تر الى الذين الخ وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معنى الكعب كل من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه او
تشبيها بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال **وَقَدْ
أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** اي بالطاغوت ولا يوالوه وهو يذكر ويؤنث **وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ** اي كعب بن الاشرف
او حقيقة الشيطان **أَنْ يُضِلَّهُمْ** عن الحق والهدى **ضَلَالًا بَعِيدًا** مستمرا الى الموت فلا يهتدون
وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**

اي للمنافقين **تَعَالَوْا** بفتح اللام اصله تعاليوا امر للمنافقين اي جيئوا وقرئ تعالوا بضم اللام على
انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير **إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** اي الى ما امره في كتابه من
الحكم **وَإِلَى الرَّسُولِ** اي والى ما امره رسوله ليحكم بينكم **رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ** ويعرضون **عَنْكَ** الى
غيرك **صُدُودًا** اعراضا وهي مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه
غير محسوس والسد محسوس ثم اخبر عن عاقبتهم وحالهم بقوله **فَكَيْفَ** اي فكيف يصنعون وكيف
يكون حالهم **إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ** اي عقوبة كقتل عمر رضي الله عنه بشر المنافق او النقمة والغضب من الله
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ اي بسبب عملهم القبيح من الكفر والمعاصي ومن التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
يعني ايقدرون على الاعراض والفرار من المصيبة اذا اصاب لا وقيل هي كل مصيبة تصيب جميع المنافقين
في الدنيا والاخرة كما اشرنا انفا بالنقمة والغضب وتم الكلام ههنا ثم عاد الكلام الى ما سبق مخبرا عن
فعلهم فقال **ثُمَّ جَاءُوكَ** اي يجيئونك اصحاب المنافق واولياؤه لطلب دية المقتول يعتذرون
اليك فهو عطف على اذا اصابتهم او على يصدون وما بينهما اعتراض **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ** حال من جاؤك **إِنْ
أَرَدْنَا** اي ما اردنا وما قصدنا بالتحاكم الى غيرك **إِلَّا إِحْسَانًا** اي الا صلحا وطلبا للحق **وَتَوْفِيقًا**
اي وتاليفا بين الخصمين لا اساءة ومخالفة لك يعني ما اردنا بما فعلنا الا الفضل بالوجه الاحسن والتوفيق
بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا
ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه ثم اشار الى كذبهم بقوله سبحانه **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ
اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ** من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب اي في قبول
عذرهم بل دمه مهدر **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ** اي لا تعاقبهم على صنيعهم ومخالفتهم لمصلحة في استبقائهم
او اعرض عن قبول معذرتهم **وَعِظْهُمْ** اي خوفهم بلسانك عن النفاق والمكر والكذب وازجرهم من
ذلك بذكر عقاب الله في الاخرة **وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ** اي في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية
على النفاق يعني في خفيها وشانها او خاليا بهم فان النصح في السر انجع **قَوْلًا** كلاما **بَلِيغًا** اي يبلغ منهم
كل مبلغ يعني يؤثر فيهم ويعتمدون به وذلك بان يخوفهم بالله وقيل توعدهم بالقتل ان لم ينتهوا
من نفاقهم او تقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلناكم لانه يبلغ في قلوبهم كل مبلغ
وقيل هو منسوخ باية القتال والبلاغة ان يبلغ بلسانه كنه ما في جنانه قوله في انفسهم متعلق
بقل لهم وتعليقه ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف وفيه نظر لان ذلك اذا لم يكن معمولها ظرفا وههنا ظرف فجاز اعمالها فيما قبلها نص عليه صاحب
الكتاب **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ** في امم من الامم **إِلَّا لِيُطَاعَ** اي لكي يطاع فيما يامر به ويحكم ولا
يعصى ويخالف فهو متعلق بارسلنا **بِإِذْنِ اللَّهِ** اي بسبب اذنه ورضائه في طاعة الرسول وامره المبعوث
اليهم بان يطيعوه يعني بسبب ان امر الله المبعوث اليهم ان يطيعوه لان طاعة الرسول طاعة
الله لانها وجبت بامره ومعصيته معصية الله وقيل معناه بتيسير الله او بتوفيقه في طاعته
وبطاعته يطاع الله وكان عمر رضي الله عنه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكم الرسول وان
اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسل لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه

ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته الواجبة القبول ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل
وقيل الا ليطاع كلام تام كاف باذن الله اى بعلم الله وقضايه يعنى ان وقوع طاعته تكون
باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تايبين من
النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة
والاخلاص من مخالفتهم واستغفر لهم الرسول اى واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار
التايب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كباير الذنوب لوجدوا الله
اى لعلموه توابا رحيما اى قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه قيل جاء اعرابى بعد دفنه صلى الله عليه وسلم
فرمى بنفسه على قبره وحثى من ترابه على راسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما انزل عليك ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقد ظلمت نفسى وجيتك استغفر الله ذنبى فاستغفر لى من ربى فنودى
من قبره قد غفر لك وحكى ايضا ان اعرابيا جاء الى قبر رسول الله عليه السلام فقال الهى امرتنا باعتاق
العبيد على راس قبر الاصحاب وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقنى على راس قبر حبيبك فنودى اعتقناك
هلا سالت من على وجه الارض من العبيد حتى نعتقهم لتعلم ان هذا الحبيب عزيز علينا الهى
الكاتب عبدك جيران حبيبك يطلب به منك عفوك فلا وربك اى فوربك كقوله تعالى فوربك
لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم وقد تزاد لا فى الاثبات ايضا نحو لا اقسم بهذا البلد او التقدير
فلا اى ليس الامر كما يقولون ثم قال وربك لا يومنون وهذا كقولهم لا وابيه لا يومنون حتى يحكموك
اى يجعلوك حكما ويرضون بحكمك يا محمد فيما شجر بينهم اى فيما اختلف بينهم واختلط من امورهم
ومنه الشجر لتداخل اغصانه واصل التشاجر الاختلاط والتنازع ثم لا يجدوا فى انفسهم اى فى قلوبهم
حرجا مما قضيت اى ضيقا مما حكمت به بينهم او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره
حتى يلوح له الامر ويسلموا تسليما اى وينقادوا لحكمك انقيادا ظاهرا وباطنا من غير معارضة ويعنى
لا يكونون مومنين حتى يرضوا بحكمك وقضايك بينهم قال المجاهد والشعبى نزلت فى بشر المنافق واليهودى الذين
اختصما الى عمر رضى الله عنه وقيل نزلت فى الزبير ورجل من الانصار وكان ممن شهد بدرا حين اختصما
الى رسول الله فى مسيل الماء من الحرة فقال النبى عليه السلام يا زبير اسق به نخلتك ثم ارسل الماء الى جارك
فغضب الانصارى فقال يا رسول الله لان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ثم قال اسق واحبس حتى
يبلغ الجدر فاستوعب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينيذ للزبير حقه وكان عليه السلام قبل ذلك اشار
على الزبير براى سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه
فى صريح الحكم وروى ان الانصارى الذى خاصم الزبير كان اسمه حاطب بن ابى بلتعة فلما خرجا من عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم مرا على المقداد فقال لمن القضا فقال الانصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن
له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضيه
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى عليه السلام فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا
انفسكم

سورة النساء

انفسكم نفعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
رضى الله عنه اما والله ان الله ليعلم منى الصدق لو امرنى محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسى لفعلت
فنزل فى شان ثابت بن قيس بانه صادق فى قوله وفى توبيخ من نفر من حكم النبى وقضايه بقوله
ولو انا كتبنا عليهم اى لو امرنا واوجبنا وفرضنا وفى المدارك عليهم اى على المنافقين
يعنى لو وقع كتابتنا عليهم ان حرف تفسير اقتلوا انفسكم اى تعرضوا بها للقتل بالجهاد او
اقتلوها كما قتل بنو اسرايل او اخرجوا من دياركم بالهجرة كما امرنا بنى اسرايل بالخروج من مصر او من التيه
حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه اى المكتوب عليهم او القتل او الخروج الا قليل منهم
اى الا اناس قليل وهم المخلصون فثابت بن قيس من القليل الذى استثنى الله تعالى وقال الحسن ومقاتل
لما نزلت هذه الاية قال عمر بن الخطاب وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
وهم القليل والله لو امرنا لفعلنا فالحمد لله الذى عافانا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان
من امتى لرجالا الايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى قرا ابن عامر واهل الشام الا قليلا منهم
بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا كايتانهم وقيل فيه اضمار تقديره الا ان يكون قليلا منهم وقرا
الباقون قليل بالرفع على البدل من واو فعلوه تقديره الا نفر قليل او ناس قليل فعلوه كما ذكرنا قريبا
ولما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم
بقوله الا قليل منهم ثم زاد فى توبيخهم بقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول
الله والانقياد لحكمه والرضا بما يقضى بينهم طوعا ورغبة لكان خيرا لهم فى عاجلهم واجلهم
واشد تثبيتا اى لكان اقوى تحقيقا وتصديقا لايمانهم وابعد عن الاضطراب فيه لان نحو
ذلك اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز قوله فلا وربك
الى تثبيتا فى شان اليهودى والمنافق وقد اشرنا الى ذلك من قبل واذا جواب سوال مقدر
كانه قيل ما ذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل ولو تثبتوا اذا لاتيناهم اى لاعطيناهم لان اذا
جواب وجزاء من لدنا اى من عندنا اجرا عظيما وهو الجنة فى الاخرة او ثوابا وافرا
كبيرا لا ينقطع اعنى ايضا الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما اى ولوفقناهم وثبتناهم لازدياد
الخيرات فى الدنيا على الدين الحق وهو الاسلام قال السلطان يعنى يصلون بسلوكه جناب القدس
ويفتح عليهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول
مزيد ترغيب فى الجد والطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلايق واعظمهم قدرا اى من يطع الله
فى اداء الفرايض والرسول فى السنن فاوليك المطيعون مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين اى لا تفوتهم روية الانبياء ومجالستهم لا انهم يرفعون الى درجة الانبياء ومقامهم
والصديقين هم افضل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم او كافاضل صحابة الانبياء والصديق البالغ فى
الصدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة او الذين يصدق قوله بفعله والشهداء الذين استشهدوا
يوم احد وبدر وقيل هم الذين قتلوا فى الجهاد فى سبيل الله مطلقا وقال عكرمة النبيون ههنا
محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون ابو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم والصالحين

سائر الصحابة او من صلحت احوالهم وحسنت اعمالهم من المسلمين بالاخلاص وغلبت محبتهم لا يفوت
مجالستهم في الجنة اماتنا الله والاخوان على محبتهم **وحسن اولئك رفيقا** اى وما احسن اولئك
الموصوفون بهذه الصفات رفقاء في الجنة بان يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم
وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم ورفيقا منصوب على التمييز او الحال وفيه
معنى التعجب وهو مفرد بمعنى الجمع كالطفل والصديق والخليط والدبر كقوله عز وجل يخرجكم طفلا
اى اطفالا ويولون الدبر اى الادبار وعن انس ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق
بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وعن انس بن مالك قال قال رجل يا رسول الله متى الساعة
قال وما اعددت لها قال فلم يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال فانت مع من احببت
ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر والثواب ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى
فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم وهو مبتدأ وخبره **الفضل من الله** او الفضل صفته
لذلك ومن الله خبره او الفضل خبر لذلك كما اشرنا ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة والمعنى
انما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل عليهم لا انهم نالوه
بطاعتهم وسعيهم والاية نزلت على ان ما يفعل الله بعباده فهو محض فضل بخلاف ما يقوله المعتزلة
والاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه
فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير
لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة
حتى القاك ثم اذكر الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة دخلت
في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت ومن يطع الله والرسول
الاية وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة يا رسول الله وانت
في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فنزلت الاية وقد جاد في معنى الاية من قال قسمهم الله اى الذين
انعم عليهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم فهم
الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين
صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص والرغبة
على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم
في طاعته واموالهم في مرضاته واجاد ايضا بقوله ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون
بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون
اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون
كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة
وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن
اليها نفوسهم وهم الصالحون المطيعون **وكفى بالله عليما** بجزاء من اطاعه او بمقادير

الفضل

الفضل واستحقاق اهله فثقوا باخبركم به ولا ينبئك مثل خبير وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا وبشروا ولا تعسروا واعلموا انه لا ينجو احد منكم بعمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل وعن لطفه بنا قال
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم من اعدائكم اى تيقظوا واستعدوا لهم واحذروا واحترزوا
منهم يعني خذوا عدتكم والتكم من السلاح والحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والمثل والمثل
والشبه والشبه وقيل الحذر عبارة عما هو سبب للحذر كالسلاح وضبط الرجال امرهم والاخذ فيه
بالثقة **فانفروا ثبات** اى فاخرجوا الى الجهاد مع الاعداء جماعات متفرقة سرية بعد سرية
فالثبات الجماعات واحدها ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه **او
انفروا جميعا** اى امضوا الى قتالهم مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي
اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات قال الشيخ اى مجتمعين مع نبيكم
لان الجمع بدون الشمع لا يتم والعقد بلا واسطة لا ينتظم او انفروا ثباتا اذا لم يعم النفير وانفروا
جميعا اذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا **وان منكم لمن ليبطئن** اى وان منكم لمن اقسم بالله
ليتاخرن وليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي المنافق واصحابه رجع عن
الجهاد مع اتباعه يوم احد والاية نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان
في الجنسية والنسب واظهار الاسلام باللسان لا في حقيقة الايمان والدين واللام في لمن للابتداء
مثل اللام في ان الله لغفور ومن موصولة وفي ليبطئن جواب قسم محذوف كما قدرنا والقسم مع
الجواب صلة من والراجع الى من الضمير المستكن في ليبطئن وبطأ بمعنى ابطأ اى تاخر ويلازم
ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء وفي الحديث من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه **فان اصابتكم
مصيبة** اى قتل وهزيمة **قال** المبطئ اى المنافق **قد انعم الله علي** بالقعود او الرجوع
اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني مثل ما اصابهم **ولئن** لام
قسم **اصابكم فضل من الله** اى فتح وغنيمة **ليقولن** هذا المنافق نادما متلهفا متحسرا
على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة اكد الفعل تنبيها على فرط تحسرهم مما قلنا **كان** مخففة من
المثقلة ~~[illegible]~~ واسمها محذوف اى كانه **لم يكن** قرا ابن كثير وحفص ويعقوب
تكن بالتاء والباقون بالياء **بينكم وبينه مودة** اى معرفة وصداقة وهي اعتراض بين الفعل
وهو ليقولن وبين مفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم** في تلك الغزاة **فافوز** بالنصب لانه جواب
التمني **فوزا عظيما** اى فاخذ حظا وافرا من الغنيمة وقيل كان لم يكن بينكم وبينه مودة متصل
بقوله فان اصابتكم مصيبة تقديره فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم
شهيدا كان لم يكن لي [illegible] ده السلطان بقوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى اعني فان اصابتكم
الخ وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى **فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا** يجوز ان يكون امرا للمؤمنين بالقتال لوجه الله خاصة
والمعنى ان تاخر هؤلاء المنافقون عن القتال والجهاد لوجه الله فليقاتل في سبيل الله المسلمون المخلصون

الذين باذلوا انفسهم في طلب الاخرة وبايعوا الحياة الدنيا العاجلة واخذوا الاخرة الاجلة بدلها
ويجوز ان يكون امرا للمنافقين بالقتال لوجه الله اي ليقاتل في طاعة الله الذين يشترون
الحياة الدنيا العاجلة ويختارونها بدل الاخرة الاجلة فهو من باب الحث والترغيب على ترك ما حكي
عنهم من المخالفة وتغيير ما بهم من النفاق وبامرهم على ان يخلصوا الايمان بالله ورسوله وان
يجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والحاصل ان نزلت في المنافقين فمعنى يشرون يعني الذين يختارون
الدنيا على الاخرة ومعناه امنوا ثم قاتلوا وان نزلت في المومنين المخلصين فمعناه فليقاتل في سبيل
الله الذين يشرون اي يبيعون الحياة الدنيا وعيشها بالاخرة ويختارون الاخرة ومن يقاتل
في سبيل الله اي في طاعته فيقتل يعني يستشهد على يد المشركين او يغلب اي يظفر بعدوه
الكافر فسوف نوتيه اي نعطيه اجرا عظيما في الجنة والحاصل ان الله وعد المقاتل في سبيله
في كلا الوجهين ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر على اجتهاده في اعزاز دين الله وما لكم مبتدا
وخبر اي اي شيء حصل لكم غير مقاتلين فهو استفهام توبيخ يعني لا مانع لكم من القتال لا تقاتلون
في سبيل الله والجملة في محل النصب على الحالية والعامل فيها الاستقرار كما تقول ما لك قائما
ثم عطف على اسم الله والمستضعفين اي لم لا تقاتلون في سبيل الذين استضعفهم الكفار بالقيد
والاسر وهو تخليصهم عن ايدي المشركين وصونهم عنهم من الرجال والنساء والولدان بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان مع ان الصبيان لم يبلغوا حد ان يستذلوا او يمتحنوا مبالغة في
الحث على قتال المشركين وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الى الصبيان وبان
دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع
البلية وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء وهو جمع وليد قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت
انا وامي منهم الذين يقولون اي داعين يا ربنا يعني ان المستضعفين يقولون يا ربنا
اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اي الكافر اهلها اي اهل القرية بكفرهم وصدهم
المسلمين من الهجرة يعني القرية التي صفتها ان اهلها مشركون ظالمون وانما خفض الظالم لانه
نعت للاهل فلما اعاد الاهل على القرية صار كان الفعل لها كما يقال مررت برجل حسنة عينه
فالظالم وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وانما ذكر
لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو قيل الظالمة اهلها لجاز ايضا
لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويونث واجعل لنا من لدنك اي عندك وليا
مصلحا يتولى امرنا ويستنقذنا من اعدائنا واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا عليهم فاستجاب
الله دعوة المستضعفين بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي من المستضعفين
خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عليه السلام فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن
اسيد رضي الله عنه فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها ثم مدح الله المقاتلين في سبيله وذم
المقاتلين في سبيل الطاغوت بقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعته واعزاز

الدين يعني دينا يصلون به الى الله وقال عليه السلام في مدحهم مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت
الصايم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله تعالى الى اهله بما يرجعه من غنيمة واجر
او يتوفاه فيدخله الجنة وقال عليه السلام ايضا تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا
الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال
من اجر او غنيمة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يبلغ بهم الى الشيطان يعني
في طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المومنون اولياء الشيطان اي حزبه وجنوده وهم الكفار
ولما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد
الشيطان اي مكره وخدعه بالمومنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين كان ضعيفا واهيا لا يقاوم
كيد الله بالكافرين كما فعل يوم بدر لما راى الملائكة خاف ان تاخذه فهرب وخذلهم الم تر
انظر يا محمد الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي امنعوا ايديكم عن قتال مشركي مكة فاني لم اومركم بها
قال الكلبي الاية نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون
الجمحي وسعد بن ابي وقاص المكي وجماعة يلقون من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون
يا رسول الله ايذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني
لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة اي اتموها واتوا الزكوة اي اعطوها اذا وجبت عليكم ثم لما هاجروا
الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم من حيث الطبع لا من حيث عدم الرضا
بامر الله قال الله فيهم فلما كتب اي فرض عليهم القتال بعد ذهابهم الى المدينة اذا للمفاجاة جوابا
لما فريق منهم اي من الذين قيل لهم كفوا ايديكم يخشون اي يخافون الناس اي الكفار يعني مشركي
مكة ان يقتلوهم كخشية الله اي كخوفهم من عذاب الله يعني فريق منهم يخافون من الكفار كما يخافون الله
ان ينزل عليهم باسه من غير فرق بين الخشيتين او اشد خشية او اشد خوفا من الكفار من
اهل خشية الله اي مشبهين باهل خشية الله فاو بمعنى وقيل بمعنى الواو او للتخيير ومعناه ان
قلت خشيتهم للناس كخشية الله فانت صادق في ذلك وان قلت انها اشد واكبر واعظم من خشيتهم
ايضا صادق لانه حصل لهم مثلها وزيادة ومحل قوله كخشية الله النصب على الحال من الضمير في
يخشون ومحل او اشد خشية نصب عطف على محل الكاف في كخشية الله كما قلنا اي مشبهين باهل
خشية الله وقالوا جزعا من القتل باللسان او في ضمائرهم فحكى الله عنهم وهو عطف على قيل
لهم اي والذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال اي لم فرضت علينا الجهاد لولا اي هلا
اخرتنا اي امهلتنا الى اجل قريب يعني الموت يعني هلا تركتنا حتى نموت على فرشنا باجالنا
من غير قتال قال محيي السنة واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك قيل قاله قوم من المنافقين
لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمومنين وقيل قاله جماعة من المومنين لم يكونوا راسخين في العلم
قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا عن ذلك واهل الايمان يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم
كانوا مومنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا عن الجهاد وقال بعض المفسرين كان
سوالهم على وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض على حكم الله بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السوال الجيد

بقوله قل متاع الدنيا قليل اى ما يتمتع به فيها او الاستمتاع بها قليل آيل الى الفناء والزوال
والآخرة خير اى وثواب الآخرة اعنى الجنة خير كثير دائم وافضل لمن اتقى من الشرك
ومعصية الرسول او لمن اتقى عقاب الله بترك معصيته ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون ادنى
شئ من ثوابكم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه او لا تنقصون من آجالكم المقدرة قرأ ابن كثير وابو جعفر
وحمزة والكسائى بالياء والباقون بالتاء قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا كما يجعل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ثم اخبر ان الحذر لا ينجى من القدر بقوله اينما تكونوا يدرككم
الموت اى ينزل بكم الموت نزلت فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا فرد الله عليهم بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت وما زائدة لتوكيد معنى الشرط فى اين قرئ بالرفع
على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون
ولو كنتم فى بروج اى فى قصور وحصون وقلاع مشيدة اى مرتفعة مطولة فلا تخشوا القتال
خوف الموت قال قتادة معناه فى قصور محصنة قال عكرمة فى قصور مجصصة والمشيد المجصص
وان تصبهم حسنة نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه قال الله تعالى
وان تصبهم يعنى اليهود حسنة اى سعة ورخص فى السعر وخصب يقولوا هذه من عند الله
لنا نسبوها الى الله وان تصبهم سيئة اى جدب وبلاء وغلاء فى الاسعار كما حصل لهم عند
قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة يقولوا هذه من عندك اضافوها اليك والحسنة والسيئة
كما تستعمل فى الطاعة والمعصية تستعمل فى النعمة والبلية فكذبهم الله بقوله قل كل من عند الله
اى من قبله يبسط ويقبض حسب ارادته وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة
القتل والهزيمة يوم احد يعنى من عندك على هذا اى انت الذى حملتنا عليه يا محمد فهو من قول المنافقين
ثم عيرهم بالجهل والغباوة فقال فما لهؤلاء القوم يعنى المنافقين واليهود لا يكادون اى
لا يقاربون يفقهون حديثا ان يفهموا قولا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا
معانيه لعلموا ان الكل من الله وحده او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا من صروف الزمان
فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله عز وجل ما اصابك ايها الانسان خطابا عاما
وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره نظيره قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم من حسنة اى من نعمة وخير واحسان فمن الله تفضلا منه وامتنانا
فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال
عليه السلام ما يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة
اى من بلية ومصيبة وامر تكرهه فمن نفسك اى فمن عندك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى
اى فبما كسبت يداك يعنى بذنوبك وهو لا ينافى قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا
غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها ما من
مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله

الكفر

الكفر والايمان كما ترى لا حجة فيها لنا فى قوله تعالى قل كل من عند الله حتى نستدل به على مذهبنا
من ان جميع ما سوى الله بايجاده وارادته ولا للمعتزلة فى قوله تعالى وما اصابك من سيئة فمن نفسك
حتى يستدلوا باسناد السيئة الى العبد على مذهبهم من ان القبائح لا يسند اليه تعالى لا خلقا ولا ارادة
ولا امرا ولا ترغيبا فيها ولا نصا بها حاصله تعلق القدرية بظاهر هذه الآية وقالوا نفى الله تعالى
السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا متعلق لهم فيها
لانه ليس المراد حسنات الكسب ولا سيئاته من الطاعات والمعاصى بل المراد منها ما يصيبهم من
النعم والمحن وذلك انه ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم ولم ينسبها اليهم فقال ما
اصابك ولا يقال فى الطاعة والمعصية اصابنى انما يقال اصبتها ويقال فى النعم والمحن اصابنى
بدليل انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان
تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر حسنات الكسب والعمل وسيئاته نسبها
اليهم ووعد عليها الثواب والعقاب فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقيل معنى الآية ما اصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن
الله اى من فضل الله وما اصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم احد فمن نفسك اى بذنب
نفسك وشومها من مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله قل كل من عند الله
وبين قوله فمن نفسك قيل قوله كل من عند الله اى الخصب والجدب والنصر والهزيمة كلها من عند الله
وقوله فمن نفسك اى ما اصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك وعقوبة كما قال الله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم يدل عليه ما روى مجاهد عن ابن عباس انه قرأ وما
اصابك من سيئة فمن نفسك وانا كتبتها عليك وقال بعضهم هذه الآية متصلة بما قبلها والقول فيه
مضمر تقديره فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله ثم اشار الى الاعراض عن اليهود والمنافقين
بقوله وارسلناك يا محمد للناس رسولا حال قصد بها التاكيد ان علق للناس بارسلناك وقصد
بها التعميم ان علق برسولا تقديره وارسلناك رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصب رسولا على المصدر اى ارسلناك للناس ارسالا يعنى ارسلناك ذا رسالة
ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم ليتبعوك ويطيعوك فلا تنظر الى مقالهم وفعلهم وليس اليك الحسنة
والسيئة لانك رسول لا مقدر حتى ينسبوا اليك الشدة وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات
او شاهدا يشهد على اقوالهم وافعالهم او كفى بالله شهيدا ان الحسنة والسيئة كلها من الله
من يطع الرسول اى امره فقد اطاع الله لانه فى الحقيقة مبلغ والامر هو الله لانه لا يامر الا بامره
سبحانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى
فقد احب الله فقال بعض المنافقين او اليهود ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى ابن مريم وفى رواية قال بعض المنافقين الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا هذا فنزلت من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى اى اعرض عن

طاعته فقد خرج عن طاعة الله او من تولى عن الطاعة فاعرض يا محمد عنه فما ارسلناك
عليهم حفيظا اى حافظا لاعمالهم بل ارسلناك نذيرا والينا امرهم فنجازيهم يعنى ما ارسلناك
رقيبا حافظا لحفظ عليهم اعمالهم ونحاسبهم عليها ونعاقبهم انما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وهو حال من الكاف قيل نسخ الله هذه الاية باية السيف وامر بقتال من خالف الله ورسوله
ويقولون المنافقون اذا امرتهم بامر طاعة يعنى يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
انا امنا بك فمرنا فامرك طاعة قال النحويون اى امرنا وشاننا ان نطيعك او منا طاعة
على انه خبر مبتدا محذوف فاذا برزوا اى خرجوا من عندك بيت طائفة منهم
من المنافقين غير الذى تقول اى زورت ودبرت واضمرت خلاف ما قلت للطائفة او
وما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر
بالليل او من بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر قال قتادة والكلبى بيت اى غير
وبدل الذى عهد اليهم النبى صلى الله عليه وسلم ويكون التبييت بمعنى التبديل وقال ابو عبيدة
والقتيبى معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما اعطوك نهارا وكلما قدر بليل فهو تبييت وقال
ابو الحسن الاخفش تقول العرب للشئ اذا قدر قد بيت يشبهونه بتقدير بيوت الشعر وقرا
ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بادغام التاء فى الطاء لقربهما فى المخرج والله يكتب اى يثبت
ويحفظ او يامر بكتابة ما يبيتون اى يزورون ويبدلون ويغيرون ويقدرون
وعن ابن عباس ما يسرون من النفاق يعنى يثبت ذلك المبيت فى صحايف اعمالهم ويجازيهم
عليها او يثبت ما يبيتون فى جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم يا محمد بالصفح
او لا تحدث نفسك بالانتقام منهم او لا تخبر احدا باسماء المنافقين وتوكل على الله
اى ثق بالله فى الامور كلها سيما فى شان المخالفين وكفى بالله وكيلا اى كافيا لمن
توكل عليه يعنى يكفيك كيدهم وشرهم وينتقم لك منهم اى اتخذ ربك وكيلا وكفى به
وكيلا وناصرا ومعينا ومفوضا اليه ثم نسخ باية السيف ولما زعم الكافرون والمنافقون
بان القران من كلام البشر وانه سحر ونفوا معجزات النبى عليه السلام نزلت افلا يتدبرون
القران اى افلا يتاملون فى معانيه ومبانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبير النظر فى عواقب
الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل تفكر وتامل وقيل التفكر تصرف القلب بالنظر فى
الدلايل وهذا يرد قول من زعم من الروافض ان القران لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله
عليه وسلم والامام المعصوم وفى الاية دليل على جواز القياس وصحته وان من العلم ما يدرك بالنص
وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما لقوله افلا يتدبرون القران
ولقوله الاتى لعلمه الذين يستنبطونه منهم قال ابن عباس رضى الله عنهما افلا يتدبرون القران
يتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهى وان
وان احدا من الخلق لا يقدر عليه وان كان قريب الفهم ولكن لغور معانيه قال العلماء ان الله احتج
بالقران والتدبر فيه على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك من ثلثة اوجه احدها فصاحته

الذى عجز الخلائق عن الاتيان بمثله فى اسلوبه الثانى اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله نبيه
صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفون من مكرهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن
احوال الاقدمين واخبارهم وما ياتى فى المستقبل من الامور الغيبية التى لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته
عن الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله وكل ما
سواه فهو غيره ومباينه وهذا ينادى على ضلالة القايل بالاتحاد فلا يغرنه الايات المتشابهات
التى لا يعلم تاويلها الا الله وحده والمعنى لو كان سحرا ومن كلام البشر كما هو فى زعم الكفار لوجدوا
فيه اى فى القران اختلافا كثيرا قال ابن عباس يعنى تفاوتا وتناقضا وتباينا فى معانيه
ونظمه الكريم اى من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم او من حيث مطابقة بعض اخباره
المستقبلة للواقع دون البعض او من حيث موافقة العقل لبعض احكامه دون بعض او من حيث
البلاغة والفصاحة يعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام المخلوق بعضه فصيح بليغ
حسن وبعضه مرذول ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد فى الفصاحة والبلاغة
ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من حيث الكذب والصدق فى اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان كما قلنا
او من حيث مطابقة بعض اخباره الى اخره فلما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه
من عند قادر على ما لا يقدر عليه عالم بما لا يعلمه سواه واما تعلق الملحدة بايات يدعون فيها اختلافا
من نحو قوله عز وجل فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله عز وجل فوربك لنسالنهم
اجمعين وقوله عز وجل فاذا هى ثعبان مبين كانها جان فلها محامل ظاهرة وليس فى ذلك اختلاف
اصلا اذ السوال يكون فى مكان دون مكان يعنى ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسالون فى موطن
دون موطن وقال قتادة قد كانت مسالة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون ولا يسال احد عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسال للتوبيخ وان الجنة اسم جنس يقع على الذكر
والانثى والصغير فيجوز ان ينقلب العصى حية دقيقة صغيرة ثم يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا
فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مالها وان العصى كانت فى عظم الثعبان وسرعة
الجان وقد تفصى اهل الحق عن الاجوبة ولعل ذكر الاختلاف ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما
من الاحكام اى من احكام الايات الناسخة والمنسوخة ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال والاوقات
والحكمة والمصلحة لان كل حكم مختص بزمان غير زمان الحكم الاخر واذا جاءهم اى الى المنافقين
على ما عليه اكثر المفسرين حسبما تقدم ذكرهم او الى ضعفة المسلمين من حيث الراى والتدبير يعنى الذين
لا خبرة لهم باحوال الحرب وغيره كما قيل امر اى خبر من الامن اى مما يوجب الامن كالفتح
والغنيمة او الخوف اى مما يوجب الخوف كالقتل والهزيمة اذاعوا اى اشاعوا وافشوا
به اى بذلك الامر وكانت اذاعتهم مفسدة سواء كانت من المنافقين او الضعفة لانه
اذا علم الخصم الامن والفتح والغنيمة يسعى فى حفظ نفسه وماله ويتحصن من المسلمين واذا
علم الخوف والقتل يسعى فى القتال والمحاربة فيتاذى بذلك النبى والمؤمنون واصل هذا وبيانه

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون
عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يتحدث به رسول الله او يخبرهم النبي بذلك بما اوحي اليه
من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة فيضعفون به قلوب المؤمنين فنزلت الاية والباء مزيدة ويجوز
ان يكون اذاع بمعنى ذاع فالباء للتعدية وكذا اذا كان اذاع متضمنا معنى التحدث **ولو ردوه** اي
لو رد المذيعون الخبر الذي تحدثوا به يعني لو عرضوا ذلك الخبر قبل الافشاء **الى الرسول** اي
راي الرسول صلى الله عليه وسلم مستكشفين لمعناه وما ينبغي له عليه السلام من الراي والتدبير حتى
يكون هو عليه السلام الذي يخبر المذيعون بذلك ويحدثهم به ويظهره لهم لان ذلك عنوان
الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رايه وتدبيره **والى اولي الامر** اي اولي الفقه في
الدين يعني ذوي العقول والراي والبصر والرشد بالامور **منهم** وهم كبار الصحابة كابي بكر
وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وقيل هم امراء السرايا والبعوث لانهم يخبرون المذيعين بعد
الرجوع معاينة قال علي بن الخازن في لبابه وانما قال منهم على حسب الظاهر لان المنافقين كانوا
يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم **لعلمه** اي لعلم تدبير ما اخبروا به على اي وجه وكيفية
يظهرون ويذكر **الذين** فاعل علم **يستنبطونه منهم** اي يستخرجون تدبيره وهم المذيعون الذين
يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم وقيل وهم العلماء
الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع ويفشى وفي اللباب ومعنى الاية ولو ان هؤلاء المنا
والمذيعين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا
حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فاعلم علم بما ينبغي ان يشاع او يكتم والاستنباط في اللغة
الاستخراج يقال استنبط الفقيه اذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده واصله من النبط وهو الماء
الذي يخرج من البير اول حفرها واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من
المعاني والتدابير فيما يقصد فالموصول فاعل علم كما مضى واظهاره في موضع الاضمار للاشارة الى ان
اللائق بهم ان يستنبطوا علمه من الرسول واولي الامر فكلمة من في منهم ابتدائية متعلقة بقوله يستنبطو
ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي ايها المؤمنون بارسال الرسول وانزال الكتاب واظهار كيد
الشيطان والمنافقين **لاتبعتم الشيطان** كلكم بالكفر والضلال **الا قليلا** اي الا قليلا منكم تفضل الله عليه
بعقل راجح وعلم من لدنه اهتدى بهما الى الحق والصواب وعصمة عن متابعة الشيطان كزيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما قال الشيخ اما زيد بن نفيل فهو من موحدي الجاهلية
لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبيحة المشركين روي انه عليه السلام قال ثناء عليه يحشر يوم القيمة امة
واحدة قال بعضهم والتمثيل بورقة بن نوفل سهو لانه ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واخبره
بانهم يخرجونه من مكة ويعادونه وتمنى ان يدركه ذلك اليوم رواه البخاري او الا اتباعا
قليلا على الندور يعني لو وقع منكم الاتباع التام بجميع افراده ووجوهه الا قليلا منه فانه لا يقع
لاباء العقول الراجحة عنه فان قيل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان قيل هو
اي الاستثناء راجع الى ما قبله معناه اذاعوا به الا قليلا لم يفشه وعني بالقليل المؤمنين وهذا قول الكلبي

واختيار الفراء وقال لان علم السرايا اذا ظهر علمه المستنبط وغيره والاذاعة تكون
في بعض دون بعض وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ثم قوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان كلام تام وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران يقول لولا ذلك
لاتبعتم الشيطان الا قليلا هم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول ونزول القران كزيد وورقة كما ذكرنا
وقيل معناه ولولا فضل الله عليكم ايها الرسول والمؤمنون لاتبعتم الشيطان بالاصغاء الى المبطئين
في ترك القتال الا قليلا وهو الرسول واولو الامر وهذا انسب بالمقام وفيه ايماء الى حال الاتقياء
وتحريك حمية الضعفاء ولما ذكر قوله فيما مضى وان منكم لمن ليبطئن يعني لما ذكر تثبط المنافقين
عن المنافقين واظهارهم الطاعة والانقياد واضمارهم خلافها قال عز وجل **فقاتل في سبيل الله**
الفاء جواب محذوف اي ان تثبطوا وتاخروا عن القتال وتركوك وحدك فقاتل وقيل عاطفة على
جملة قوله فيما مضى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا او على جملة ما ذكرنا من قوله
فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال الشيخ نزل حين واعد النبي صلى الله عليه وسلم
ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى من ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى
الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله قوله فقاتل في سبيل الله **لا تكلف الا نفسك** يعني لا تترك جهاد
العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك فان الله قد وعدك النصر وعاتبهم
على ترك القتال فالفاء في فقاتل في سبيل الله جواب لقوله عز وجل فيما ذكر يعني ومن يقاتل في
سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل الى اخره وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف
بالنون وكسر اللام اي لا نكلفك الا فعل نفسك لان التكليف بالافعال لا بالانفس والذات يعني تقدم
الى الجهاد وان لم يساعدك احد لانه لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سبعين راكبا لم يلتفت على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده لقوله عز وجل **وحرض
المؤمنين** اذ ما عليك في شانهم الا التحريض وهو الحث على الجهاد والرغبة في الثواب فان قلت لا تجب
مقاتلة المؤمن الا مع اثنين واما لو زاد العدو فلا تجب فكيف ايجاب المقاتلة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع كونه منفردا على الاطلاق قلت كانه من خصائصه او لانه كان على ثقة من النصر والظفر
والحفظ لقوله تعالى والله يعصمك من الناس ولقوله **عسى الله** ان يعجزهم بك كما اعجزهم با
ان يكف اي يمنع عن التاثير **باس** اي شدة وحرب **الذين كفروا** وعسى من الله الكريم
كالواجب فان اطماع الكريم اكثر اعتمادا من الجان اللئيم كانه قال ان الله سيكف باس الذين
كفروا وقد فعل بابي سفيان وجيشه بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا **والله اشد باسا**
من قريش ومن كل ذي باس لان باسهم ليس من انفسهم يعني اشد صولة **واعظم سلطانا**
واشد تنكيلا اي عقوبة وتعذيبا منهم لان عذاب الله دائم وعذاب غيره لا يدوم ففيه تقريع
وتهديد لمن لم يتبعه وهذا كالالتيام للاول ثم لما امر الله تعالى رسوله عليه السلام بان يحرض
المؤمنين على القتال وهو طاعة حسنة بين ان **من يشفع** بين الناس **شفاعة حسنة**
موافقة للشرع يعني راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا **يكن له نصيب** اي ثواب واجر

منها أي بسببها والغرض منه أنه عليه السلام يستحق بالتحريض على الجهاد أجرا عظيما إذ
حقيقة هي الحسنة لأنها إما الدفع مضرة عن الغير أو جلب منفعة للغير فالتحريض على القتال لجلب
المنفعة للغير أو لدفع المضرة عنه وبأن من يصير شفيعا لمؤمن لم تكن له أهبة للجهاد إلى مؤمن
آخر ليعينه على الجهاد يستحق أيضا أجرا جزيلا والشفاعة من الشفع لأن الشافع يضم نفسه
إلى ذي الحاجة وقال بعض المفسرين ومن الشفاعة الدعاء لمسلم لأنه في معنى الشفاعة إلى الله تعالى
قال عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك رواه
مسلم وغيره **ومن يشفع شفاعة سيئة** أي مخالفا للشرع **يكن له** أي للشافع **كفل**
منها أي نصيب من وزرها مساو لها في القدر فإن الكفل هو المثل من الكفالة وهي القيام بمثل ما على
الغريم أثره لأن جزاء السيئة سيئة مثلها بخلاف الحسنة فإن الأجر فيها مضاعف وروي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس وحسن القول
بينهم ينال به الثواب والخير والشفاعة السيئة هي الفساد بين الناس والمشي بالنميمة
والغيبة والقول السيء ينال به الشر وعن أبي موسى أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه
رجل بسائل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه
ما شاء وعن الحسن قال من يشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يشفع لأن الله يقول
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ولم يقل يشفّع **وكان الله على كل شيء**
مقيتا أي مقتدرا مجازا من أقات على الشيء إذا اقتدر قال الشاعر ∴ وذي ضغن كففت الضغن
عنه ∴ وكنت على إساءته مقيتا ∴ أي مقتدرا أو شهيدا وحافظا واشتقاقه من القوت فإنه
يقوّي البدن ويحفظه **وإذا حييتم بتحية** الجمهور على أن المراد بالتحية السلام أي إذا سلّم
عليكم بأن قال السلام عليكم ودعي ببقاء حياتكم وصفاتكم التي هي كمال الحياة وهذا وجه
ربط الآية بما قبلها فإن الدعاء كما قيل نوع من الشفاعة والتحية في ديننا في الدارين بالسلام لقوله
عز وجل فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول
عند اللقاء حيّاك الله أي أطال الله حياتك فأبدل ذلك بعد الإسلام بالسلام والتحية تفعلة
من حيّاه يحيّي تحية وهي في الأصل البقاء والملك ومنه التحيات لله ثم استعملت في السلام مجازا
والمعنى إذا سلّم عليكم مسلم **فحيّوا** أي المحيّي يعني المسلّم **بأحسن منها** أي فأجيبوه بتحية
أحسن مما سلّم بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إن اقتصر المسلم على قوله السلام
عليكم وبأن تزيدوا وبركاته إن جمعهما أي هي النهاية لانتظام الكلمات الثلث جميع فنون
المطالب التي هي السلامة من المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **أو ردوها** أي أو أجيبوها
بمثلها أو بأحسن منها أفضل وأجمل وروى الإمام أحمد وغيره عن سلمان الفارسي أن رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله ثم أتى آخر فقال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء ثالث فقال السلام
عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وتلا الآية فقال إنك

لم تترك

لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله لأنه في التقدير عليك السلام ورحمة الله وبركاته وروي
أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا فقال ابن عباس
السلام انتهى إلى البركة وروي عن عمران بن حصين أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
فرد عليه وقال عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال عشرون ثم جاء آخر
فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه وقال ثلاثون واعلم أن السلام سنة ورده
فريضة وهو فرض على الكفاية وكذا السلام سنة على الكفاية وتشميت العاطس أيضا سنة
على الكفاية فإذا سلم واحد من جماعة كان كافيا في السنة وإذا سلم واحد على جماعة فرد واحد
منهم سقط الفرض عن جميعهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي الإسلام خير أي أي خصال الإسلام خير فقال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من
عرفت ومن لم تعرف رواه مسلم والبخاري وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى
تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم رواه مسلم وقال عليه السلام يا أيها
الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وعن أبي أمامة قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشي السلام
أخرجه ابن ماجة قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم قال نور الدين علي بن الخازن في تفسيره ويستحب للمسلم أن يرفع
صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فإن أخره ثم رد لم يكن يعد
جوابا وكان آثما بترك الرد ومما اتفق أن سلطان الإسلام الغازي مراد خان فاتح دار السلام رحمه الله
رحمة واسعة لما دخل قريتنا بقرب ميافارقين المشهور بدلكان خرجنا إليه للدعاء له فلما قرب إلينا
سلّم علينا ثلث مرات من بعيد بحيث لا نسمع صوته لكثرة الجيش والعسكر والدهشة فرفع صوته بالسلام
في الرابع فرددنا عليه ثم قال إني سلمت عليكم ثلث مرات فيا له من حلم وأدب اللهم أدخله مع أسلافه دار
السلام بالسلام ولو كان غيره من الأمراء والكبراء لكان ينتهرنا ويعاقبنا بمثل هذه الواقعة لا إثم
المسلّم عليه للعذر الواضح ويكتب ثواب المسلم بتمامه وقال صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي
والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال صلى الله عليه وسلم يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن
الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود قال صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام
أخرجه أبو داود وعن أنس أنه عليه السلام كان إذا مر بصبيان فسلم عليهم هكذا في الصحيحين وأما السلام
على النساء فإن كن جمعا جالسات في موضع أو مجتمعات في مسجد يستحب أن يسلم عليهن إذا لم يخف على نفسه أو عليهن
الفتنة لما روي عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه
أبو داود وفي رواية الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فألوى
بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن وإذا مر على امرأة منفردة أجنبية فإن كانت جميلة فلا يسلم عليها
ولو سلم فلا ترد هي عليه لأنه لم يستحق الرد وإن كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد

عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهم على بعض ويكره السلام على من
ان يتغوط او يجامع لان رجلا مر ورسول الله يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم ويكره على من في الحمام قيل
ان لم يكن عليهم ازار والا فلا يكره ويكره التسليم على النايم والناعس والمصلي والمؤذن والتالي في حال الصلاة
والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالتسليم في حال الخطبة لان الجلوس مأمورون بالانصات للخطبة ويكره
ان يبتدى المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هولاء هكذا
ذكره ابن الخازن وفي المدارك عن ابي يوسف لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير
الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وكان سيدنا الحبيب النسيب سيدي عبد الله بن محمد اطال الله بقاءه
اذا مر بمن يشرب الدخان اي التتن لا يسلم عليه في حال شربه واذا راى في طريقه بعض من يشتغل بامور
الدنيا من اهل الدولة يتحول الى ناحية اخرى وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين
فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة كذا ذكره ابو السعود في تفسيره واخرج
البيهقي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المؤمنان فسلم كل واحد منهما على
صاحبه وتصافحا كان احبهما الى الله احسنهما بشرا لصاحبه ونزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون
وللمصافح عشر اخرجه البيهقي وعن الحسن ان من الصدقة ان تسلم على الناس وانت منطلق الوجه وقال
صلى الله عليه وسلم ما من عبدين متحابين في الله عز وجل يستقبل احدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي
صلى الله عليه وسلم الا لم يفترقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر رواه ابن السني وقد ذكرنا هذا الحديث في
كتابي في المكفرات وفي كتابي في الصلاة على النبي عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا
وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما وفي رواية اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفرا
غفر الله عز وجل لهما وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب اي العوض او الرد على المتهب وهو قول
قديم للشافعي رحمه الله روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال في تاويل الاية اذا اهدي لكم هدية فكافوا
بافضل منها او بمثلها او ردوها فسر التحية بالهدية والعطية واعلم ان مذهب ابي حنيفة ان من وهب
لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها ما لم يثب منها فاذا اثاب فلا رجوع فيها وقال الشافعي له الرجوع
في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي لان هذا الامر محمول على الندب بدليل انه لو اثيب بما هو اقل
منه سقطت عنه الرد اجماعا مع ان ظاهر الاية يقتضي ان يثاب بالاحسن وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل
للرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده وقيل فحيوا باحسن
منها اذا كان الذي سلم مسلما او ردوها اي ردوا مثلها اذا لم يكن مسلما قال عليه السلام لا غرار في
تسليم اي لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبيه معه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اذا سلم عليكم
احدهم فانما يقول السام عليك فقل وعليك وعنه عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
ما قلتم وروي لا تبدء اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وفي تفسير ابي السعود وعن الحسن
انه يجوز ان يقول وعليك السلام دون الزيادة ان الله كان على كل شيء حسيبا اي
على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه حسيبا محاسبا مجازيا وقال مجاهد حفيظا وقال ابو عبيد
كافيا يقال حسبي هذا اي كفاني والحاصل هو يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها ويعطيكم الجزاء بحسب الحقوق

والزيادات اذ يقتضيه كمال جوده وكمال ذاته وصفاته اذ الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله
مبتدا ولا اله الا هو اعتراض والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم وليسوقنكم وليضطرنكم
اليه والمعنى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة والقيام والقيمة
كالطوال والطوالة فالواو دخلت التاء فيه للمبالغة وهي قيام الناس من القبور او للحساب يوم يقوم
الناس لرب العالمين ونزل للذين شكوا في البعث لدفع الشك عنهم بقوله لا ريب فيه اي في يوم القيمة
او في جمعكم فيه فهو حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه وضمير فيه حينئذ يرجع الى الجمع
وقال الشيخ هذه اللام لام القسم تقديره والله ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور الى يوم القيمة وسميت القيمة
قيامة لان الناس يقومون من قبورهم اليها قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا وهو قريب المعنى
الاول ومن اي لا احد اصدق من الله حديثا اي قولا ووعدا لانه عبارة عن كلامه الازلي الذي
لا دخل للكذب فيه لانه نقص والعجز وان دلت الدلايل على صدقه فكذبه ممكن ليس بمحال اذ لم ينظر
اليها ثم عاد الى حكاية حال المنافقين فقال فما لكم مبتدا وخبر والاستفهام للانكار في المنافقين
فئتين اي اي شيء كاين لكم يعني ما لكم تفترقون في امر المنافقين فرقتين وكان حقكم الاجماع على
نفاقهم اي ما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم وقد ظهرت دلايل ذلك وذلك انها نزلت في الذين رجعوا
او تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم
فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم تكلموا بالاسلام وقيل نزلت في قوم من العرب اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واسلموا واصابوا وباء المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله نريد ان نخرج
الى الصحراء فاذن لهم فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا
بالمشركين فتكلم المسلمون فيهم فقال بعضهم نافقوا وقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم بقوله
والله اركسهم اي الله ردهم الى حكم الكفرة كما كانوا او نكسهم بان صيرهم للنار او بددهم واصل
الركس رد الشيء مقلوبا بما كسبوا اي باعمالهم غير الزاكية من اظهار الارتداد والكفر والمعاصي واللحوق
بالمشركين بعدما كانوا على النفاق اتريدون ان تهدوا من اضل الله اي ان تجعلوه من
المهتدين وتعدوهم من جملتهم اي ان ترشدوا من اضل الله او تقولون ان هولاء مهتدون وقد اضلهم
الله يعني خلق الضلال فيه اي اتريدون ان تسموهم مهتدين وقد اظهر الله ضلالهم فيكون تعبيرا
لمن سماهم مهتدين ومن يضلل الله عن الهدى والحق والايمان فلن تجد له سبيلا اي
طريقا اليه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة للعالمين فاذا لم يقدر هو فغيره بطريق
الاولى ودوا اي تمنى اولئك الذين رجعوا عن الدين لو تكفرون كما كفروا اي كفرا مثل كفرهم
فتكونون سواء في الكفر اي فتكونون انتم وهم سواء في الكفر والضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني لجاز قال ابو يحيى وتنزل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كقوله ودوا والتقدير ودوا كفركم
لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك وقال ابن ابراهيم الشامي ولو كلمة تمن و لم ينصب فتكونون لانه عطف
لا جواب وهو كقوله ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم اي تمنى هولاء ان تكفروا
انتم فتستووا في الكفر المبيح للقتل والسبي فلا تتخذوا منهم اولياء قال ابو الخير الفادحوب

محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي عن ان تتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا
منهم اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم ماداموا على الكفر الموجب للمعادات وقال
الجلال المحلي والمعنى فلا توالوهم وان اظهروا الايمان **حتى يهاجروا في سبيل الله** هجرة صحيحة كائنة
لله ورسوله لا لاغراض الدنيا قال الشيخ والمعنى حتى يسلموا ويؤمنوا ويهاجروا في سبيل الله ويحققوا
ايمانهم بالهجرة الخالصة لوجه الله تعالى ورسوله لا لاغراض الدنيا فعند ذلك تعود والى سبب الموالاة
لانهم يصيرون من اولياء الله فتصلح موالاتكم اياهم ومعنى سبيل الله ما امر بسلوكه وقال شمس الافاق
ودليل اضمار الايمان والاسلام قوله في سبيل الله وذاك لا يكون الا بالاسلام الصحيح وهذا لانه ذكر كفرهم
بقوله كما كفروا فلا يزول ذلك الا بالاسلام وبعد الاسلام شرط الهجرة ايضا وكانت فرضا يومئذ وفي
تفسير الخازن وهذه هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاول هجرة المؤمنين في اول الاسلام من
مكة الى المدينة الثانية هجرة المنافقين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين
صابرين محتسبين كما حكى الله تعالى عنهم في هذه الاية منع المؤمنين عن موالاة المنافقين حتى يهاجروا في
سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه **فان تولوا** اى فان اعرضوا عن الايمان الظاهر
بالهجرة الصحيحة المستقيمة او عن اظهار الايمان واقاموا على ما هم عليه من الكفر واختاروا ذلك **فخذوهم**
اى اسروهم ايها المؤمنون اولئك الكفرة اذا قدرتم عليه ومنه الاسير اخيذ **واقتلوهم حيث وجدتموهم**
اى في الحل والحرم فان حكمهم حكم ساير المشركين اسرا وقتلا **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** اى
جانبوهم مجانبة كلية ولا تتولوهم ولا تقبلوا منهم ولاية ولا تستنصروا بهم على عدوكم ابدا فانهم اعدى اعدائكم
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من ضمير المفعول في قوله فخذوهم
واقتلوهم دون الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومن قال ان يصلون بمعنى ينتسبون
فالمعنى الا الذين ينتسبون ويلتجئون ويدخلون بالحلف والامان الى قوم بينكم وبينهم ميثاق وعهد
وهم قوم هلال بن عويمر الاسلمي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي
عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه
فلهم الجوار مثل ما لهلال وقال بعضهم والقول بان يصلون بمعنى ينتسبون ليس بسديد لان اكثر اهل مكة
ينتسبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يثبت لهم امان ومن قال ان يصلون بمعنى يتصلون
وينتهون ويلتجئون فالمعنى الا الذين يتصلون ويلتجئون الى قوم من اهل عهدكم بعهد وامان اى قصد
حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وتعذر الوصول اليه فالتجأوا الى قوم معهم للمسلمين عهد فامنوهم فانفذوا
امانهم ولا تقتلوهم وقيل اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة وقيل القوم هم الخزاعة
وخلاصة المعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم وميثاقكم فهم ايضا داخلون في عهدكم
قال شيخنا ولا وقف على قوله نصيرا لان الذين استثناء من ضمير المفعول في اقتلوهم وميثاق مرتفع بالظرف
لانه وقع صفة او مبتدأ والجملة في موضع جر صفة لقوم **او جاؤكم** عطف على الصلة اى والذين جاؤكم كافين
عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين
والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين

او الى قوم

او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول الاظهر لما سياتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الاخره
فانه صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وفي التيسير وجاؤكم ماض
بمعنى المستقبل لانه عطف على يصلون وهو كقوله تعالى اتى امر الله اي ياتي يعني والا الذين يجيئون مستامنين
منكم وقرئ جاؤكم بغير او العاطفة على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف **حصرت
صدورهم** حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم نصبا وقرئ حصرة بالجر على انه صفة لقوم
وقرئ حاصرات صدورهم بالالف بعد الحاء والراء وقرئ حصرات صدورهم بالالف بعد الراء وقرئ حصيرة
صدورهم على المبتداء والخبر وجعلها نصب على الحالية وقيل حصرت صدورهم صفة لموصوف محذوف
هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين ومعنى حصرت ضاقت وانقبضت اى ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون
قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم كانوا اقارب لبني مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا
قريشا ان لا يقاتلوهم وفي التيسير والمعنى فضيق صدورهم عن قتالهم للمؤمنين بالقاء الله الرعب في قلوبهم وضيق صدورهم
عن قتالهم لقومهم انهم على دينهم فكانوا لا يصلحون لخطب الاموال وقال ابو يحيى والمعنى وضيق صدورهم
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
ان يقاتلوا قومهم او لان يقاتلوا قومهم او كراهة ان يقاتلوا قومهم وقال صاحب اللباب والمعنى ضاقت صدورهم
عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعني من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم
ولا يقاتلوا قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم كذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبني
بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله
حكمهم في حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجأ الى معاهد او ترك
القتال فانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله
جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك
لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل وفي التيسير وقوله
حصرت صدورهم في معنى الحال كما يقال جائني فلان ذهب عقله اى ذاهبا عقله وقال سيبويه والمبرد
لا يجوز الحال بالماضي لان الحال اسم والماضي بعيد عن شبه الاسم بخلاف المستقبل لكنه على طريق الدعاء
كقوله لعنوا وقتلوا **ولو شاء الله لسلطهم عليكم** جملة مبتداة جارية مجرى التعليل للاستثناء
الطائفة الاخرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع
تحققهم بنا والذين عاهدونا كالطائفة الاولى اى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم بعد القبض
وتقوية قلوبهم بعد الضعف ونزع الرعب وازالته عنها **فلقاتلوكم** عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب
لو على التكرير والابدال من الاولى وفي التيسير وقوله فلقاتلوكم عطف على سلطهم وتكرار اللام للتاكيد ولو قال
فقاتلوكم لاستقام ايضا وقرأ مجاهد فلقتلوكم بالتخفيف من القتل وقرأ الحسن فلقتلوكم بالتذليل للتكثير وفي
قال المحلي والمعنى ولو شاء الله تسليطهم عليكم لسلطهم عليكم بان يقوي قلوبهم فلقاتلوكم ولكنه لم يشاء فالقى
في قلوبهم الرعب **فان اعتزلوكم** اى فان لم يتعرضوا لقتالكم وقوله **فلم يقاتلوكم** تفسير للاعتزال عند بعضهم

اى فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله تعالى قال ابو احمد كان هذا الاعتزال وترك القتال
فى يوم فتح مكة وذلك ان سراقة بن مالك قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت بلغنى انك تريد ان تبعث
الى قومى جيشا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما تريد قال اريد ان توادعهم فان اسلم قومهم دخلوا
والا لم تخش صدور قومهم عليهم فقال اصنع فذهب معه خالد فوادعهم ان اسلم قومهم دخلوا
معهم ومن وصل اليهم من الناس كانوا على مثل عهدهم وفيهم نزلت الا الذين يصلون الى قوم بينكم الاية **والقوا**
اليكم السلم اى الصلح والانقياد والاستسلام اى انقادوا واستسلموا وقرئ السلْم بسكون اللام **فما جعل**
الله لكم عليهم سبيلا اى فما اذن الله لكم عليهم طريقا فى اخذهم واسرهم وقتلهم فان مكافتهم عن
قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم عليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم
لهم وفى اللباب وقال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهى قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و
قال بعضهم هى غير منسوخة لانا اذا حملناه على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل **ستجدون**
اخرين قال ابن عباس والكلبى معناه ستجدون قوما اخرين من المنافقين وهم اسد وغطفان كانوا حاضرى
المدينة وكانوا تكلموا بكلمة الاسلام رياء ونفاقا وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه اذا امنت بماذا
امنت بهذا العقرب واذا لقوا اصحاب رسول الله قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفى
رواية عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبد الدار وكانوا منافقين وذلك لانهم اذا اتوا المدينة اظهروا الاسلام
ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا وقال السدى نزلت فى نعيم بن مسعود الاشجعى كان ياتى النبى صلى الله عليه وسلم
بخبر المشركين وياتى المشركين بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فيامنهم جميعا فامر الله تعالى نبيه بطرده وان يتركه يدخل
عليه فنفعل **يريدون ان يامنوكم** اى يريدون باظهار الايمان لكم ان يامنوكم بالنفاق فلا تتعرضوا لهم **ويامنوا**
قومهم بالوفاق اى باظهار الكفر لهم فلا تتعرضوا قال الحسن معناه اذا لقوا المؤمنين قالوا امنا واذا خلوا الى
شياطينهم قالوا انا معكم ليامنوا قتل الفريقين اياهم **كلما ردوا الى الفتنة** اى كلما دعوا الى الشرك والكفر
او الى قتال المسلمين **اركسوا فيها** اى قلبوا فيها ونكسوا على رؤسهم قبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل
عدو شرير والركس قلب الشئ على راسه قال الشيخ معناه عادوا اليها واجابوا اليها والفتنة الشرك قال الكهف
والفتنة اشد من القتل والاركاس الرد الى الحالة الاولى والفاعلون للاركاس قومهم بالدعوة ويجوز
ان يكون معنى اركسوا فيها اى وقعوا فيها من غير ان يكون لهم موقع كما يقال مجحف وقال بعضهم الفتنة ههنا
هى قتالهم المؤمنين ونصرهم الكافرين **فان لم يعتزلوكم** اى فان لم يتركوا قتالكم ولم يكفوا عن التعرض
لمحاربتكم بوجه ما **ولم يلقوا اليكم السلم** بالانقياد لكم وطلب الصلح بل نبذوا العهد والميثاق
وانما زاد لم لانه عطف على لم يعتزلوا **ولم يكفوا ايديهم** ولم يمسكوا عن قتالكم ومحاربتكم
وهو عطف على لم يعتزلوا ايضا **فخذوهم** اى اسروهم **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اى حيث وجدتموهم
وادركتموهم وتمكنتم من قتلهم سواء فى ذلك الحل والحرم والاشهر الحرم فان مجرد الكف لا يوجب نفى
التعرض **واولئكم** يعنى اهل هذه الصفة الردية **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** اى حجة نيرة واضحة
فى الايقاع بهم قتلا والتعرض لهم سبيا لظهور عداوتهم ووضوح نفاقهم وانكشاف حالهم فى الكفر
والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى اخذهم وسبيهم وقتلهم
واولا

واولا فى قوله اولئكم اسم اشارة الى جمع وكم خطاب جمع وهى فى محل الاضافة وعند بعضهم اولئكم
كلمة واحدة مبنية مع الكاف وكلاهما فى موضع الرفع بالابتداء ولذلك لا تزايل الكاف ولا تتصل بالهاء
فلا يقال واولائه واولائهم ولا بالياء والنون فلا يقال اولائى واولائنا ويجوز فيه الافراد والجمع
فى الخطاب قال الله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم وقال ذلكم يوعظ به وقال ذلكم ازكى لكم
واطهر وقال لا يستوى منكم من انفق ثم قال اولئك اعظم درجة وقال ههنا اولئكم ثم اشار
الى من قتل مؤمنا خطأ من غير تعمد بان يقصد شيئا فيصيب غيره او ان يرمى شخصا معتقدا انه
كافر فاذا هو مسلم بقوله **وما كان لمؤمن** اى وما صح له ولا استقام ولا لاق ولا ناسب بحاله
وشانه اى وما كان له البتة او وما كان له سبب جواز قتله **ان يقتل مؤمنا** بغير حق فان الايمان
زاجر عن ذلك **الا خطأ** اى الا مخطئا فى قتله من غير قصد قال الشيخ بعد قوله الا خطأ اى فانه على
عرضته وذلك لانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية ونصب قوله
خطأ على الحال اى ما كان له فى حكم الله ان يقتل مؤمنا فى حال من الاحوال الا فى حال الخطأ او على انه مفعول له
اى ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ وحده او على انه صفة لمصدر محذوف اى الا قتلا خطأ
وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى قال الكواشى
وغيره والاستثناء منقطع كقوله الا اللمم اى لكن ان يلموا وكقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والخطأ ما
لا يضامه القصد الى الفعل والشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور
كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير مكلف وقرئ خطاء بالمد وخطى كعصى
وعمى بتخفيف الهمزة والاية نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن فى اطم
من اطامها والاطم الحصن الحصين فجزعت لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابى جهل ابنى هشام
وهما اخوا عياش بن ابى ربيعة لامه والله لا يظلنى سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتونى به فخرجا فى
طلبه وخرج معهم الحارث بن زيد بن ابى انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو فى الاطم فقالا انزل فان
امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك الله علينا ان لا نكرهك
على شئ ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكرا له جزع امه واوثقا له بالعهد بالله نزل اليهم من حصنه فاخرجوه
من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهما مائة جلدة ثم قدموا به الى امه فلما اتاها قالت والله
لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذى امنت به ثم تركوه موثقا فى الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذى ارادوا
بلسانه دون قلبه فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد
تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا
قتلتك ثم ان عياشا هاجر الى المدينة ثابتا على ما كان عليه من الايمان واسلم الحارث بن زيد بعد وهاجر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر
قباء ان لقى الحارث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اى شئ صنعت انه قد اسلم فرجع عياش
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه قد كان من امرى وامر الحارث ما قد علمت وانى

لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ
فتحرير رقبة مؤمنة وخطأ صفة لمصدر محذوف اى ومن قتل قتلا خطأ قوله فتحرير مبتدأ
وخبره محذوف اى فعليه تحرير رقبة وهما خبر من ومؤمنة صفة لرقبة قال الشيخ والمعنى فعلى من
قتل مؤمنا خطأ تحرير رقبة او فموجبه تحرير رقبة اى اعتاق رقبة لان التحرير الاعتاق ومعنى الحر والعتيق
الكريم لان الكرم فى الاحرار واللؤم فى العبيد ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه وهو الخد ومنه
ايضا عتاق الطير وعتاق الخيل لكرائمها قال الكواشى والرقبة والنسمة كناية عن تمام بدن الانسان
والهاء للتانيث اللفظة لا للتانيث ذات الرقبة عطاء تجزى كل رقبة كانت على حكم الاسلام وعليه
عامة العلماء وعن ابن عباس والحسن انه لا يجزى الا رقبة قد صامت وصلت ولا تجزى الصغيرة
قالوا وفائدة ذلك انه لما اخرج نفسا مؤمنة بالقتل عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل بالاعتاق
نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها لان الرقيق كالميت اذ الرق اثر
من آثار الكفر والكفر موت حكما قال الله او من كان ميتا فاحييناه ولكون الرقيق ملحقا بالاموات
منع من تصرف الاحرار اذ لا حكم للرقيق فى نفسه انتهى وفى التيسير والمعنى فعليه اعتاق رقبة مسلمة
ذكرا او انثى كفارة لذلك حقا لله تعالى وقال الامام ابو منصور الماتريدى اختلف فى معنى اشتراط الايمان
قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله لعبادته فاوجب فى مكانها نفسا مؤمنة ليتعبد الله على ما عبدت
تلك لكن لو كان التاويل هذا كان يجب فى العمد ما يجب فى الخطأ لوجود ذلك لكن اوجب لا لذلك بل
اوجب التحرير تغليظا وتشديدا عليه بما اتلف نفسا لم يؤذن له فى ذلك كيلا يقدم على مثله ولله عز وجل
ان يوجب على من شاء ما شاء لما شاء من غير ان يقال لم وكيف والثانى انه تعالى اوجب عليه التحرير دون
القصاص لانه عز وجل ابقى للقاتل نفسا مؤمنة لم يجب عليها القصاص فاوجب عليها مثلها رقبة
مؤمنة انتهى قال ابو الخير والرقبة هى النسمة عبر بالرقبة عنها كما عبر عنها بالراس فى قولهم فلان يملك
كذا راسا من الرقيق والمؤمنة هى المحكوم باسلامها وان كانت صغيرة انتهى ودية مسلمة الى اهله
اى وعلى عاقلة القاتل وعصبته دية كاملة مؤداة الى ورثة المقتول واوليائه الذين يرثون منه بكل
قتل النفس كسائر المواريث واما اعتاق الرقبة ففى مال القاتل والهاء فى دية عوض عن الواو المحذوفة
اذ اصلها ودية كعدة وقد وداه يديه دية اى ادى ديته فالدية اسم للمال واسم للمصدر
ايضا الا ان يصدقوا واصله الا ان يتصدقوا فادغمت التاء فى الصاد قال الكواشى وقرئ بها والمعنى الا ان
يبرئ ويعفو اولياء المقتول وورثته القاتل والعاقلة عن الدية وهو كقوله وان تصدقوا خير لكم
فى آية الربوا وهو الابراء والعفو عن اصل المال وكذا كقوله فمن تصدق به فهو كفارة له اى عفا عن ذلك
وسمى العفو عن الدية صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
والاستثناء اما متصل او منقطع وان يتصدقوا اما متعلق بعليه او بمسلمة اى يجب الدية عليه او يسلمها
الى اهله فى جميع الاوقات الا وقت تصدقهم عليه فهو فى محل النصب على الظرفية والا حال تصدقهم عليه اى الا
كونهم متصدقين عليه فهو فى محل النصب على انه حال من الاهل او القاتل فان كان من قوم عدو
لكم وهو مؤمن اى فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين للمسلمين لا عهد

بين المسلمين

تال

الاحياء

٣

بين المسلمين والكفار او كان المؤمن المقتول فى تضاعيف الكفار كالمسلم التاجر فى دار الحرب فرمى المسلم
فقتل مؤمنا بين اهل الحرب ولم يعلم ايمانه فتحرير رقبة مؤمنة فعلى قاتله الكفارة ولا تسلم
الدية لاهله الكفار اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم كفار محاربون وايضا انه اسقط حق نفسه باختلاطه
باهل الحرب او تضييعه بوجه اخر وهو اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله من
لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وحمل صاحب التيسير من الحنفية الاية على رجل حربى اسلم
فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم فلا قصاص فيه ولا دية وفيه الكفارة لا غير والمحل الصحيح هو
الذى ذكرنا اذ كان الحارث ابن زيد المذكور حربيا من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة
دون الدية لانه لم يكن بين قوم حارث وبين المسلمين عهد وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما فى دار
الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة
ولا دية لاهله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة
قال البيضاوى والمعنى ان كان المقتول من قوم كفرة معاهدين او من اهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب
الكفارة والدية ولعله اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم انتهى قال المحلى والمعنى ان كان المقتول
من قوم بينكم وبينهم عهد كاهل الذمة فتسلم ديته الى اهله وهى ثلث دية المؤمن ان كان يهوديا او نصرانيا
وثلثا عشرها ان كان مجوسيا انتهى وقال العلم النسفى فى تيسيره الاية تدل ان دية الذمى كدية المسلم انتهى
قال شيخنا والاية المفسرة هذه الاية تدل على عدم الاستواء وهى قوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون اقول وسياتى احاديث عدم المساواة قريبا فمن لم يجد رقبة
مؤمنة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به الى تحصيلها من الثمن فصيام شهرين متتابعين اى فالواجب
عليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة ولم يذكر الله تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه اخذ
الشافعى فى اصح قوليه توبة نصب على انه مفعول له اى شرع لكم ذلك للتوبة من تاب الله عليه اذا
قبل توبته وفى اللباب معناه جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ انتهى وفى التيسير وقوله توبة من الله
اى تخفيفا منه كما قال علم ان لن تحصوه فتاب عليكم واصل التوبة الرجوع فالمذنب يتوب الى الله اى يرجع
اليه بالندامة والتوبة من الله اعادته الى الحالة الاولى والتخفيف عليه كذلك وقيل ان الكفارة توبة للعبد
وهى مشروعة من الله على العبد انتهى قال شيخنا ما ذكره صاحب التيسير بالقبول احسن مما ذكره بغير قبول ويجوز
ان يكون نصبها على المصدرية لتوكيد فعل محذوف اى تاب الله عليكم توبة قال ابو يحيى وتوبة منصوب
على المصدرية اى تاب الله عليكم توبة اى قبولا من الله ورحمة منه ومن الله متعلق بمحذوف صفة
لتوبة اى كائنة من الله ويجوز ان يكون توبة حالا من الضمير المجرور فى عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام
شهرين ذا توبة وكان الله عليما بجميع الاشياء التى خلقها ومن جملتها حال قاتل الخطأ حكيما
فيما حكم لقاتل الخطاء وامر فى شانه من الدية والكفارة ودبر جميع خلقه وكافة بريته او عليما بالقاتل
انه عامد او مخطئ وعالم بتكفيره انه ينوى به التوبة او الاصرار وحكيما فى شرع هذه الاحكام
فصل فى احكام تتعلق بالاية وفيه مسائل المسئلة الاولى فى بيان صفة القتل
قال الشافعى القرشى المطلبى الهاشمى القتل على ثلثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ اما العمد المحض فهو ان

يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة
في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصى خفيفة
او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب دية مغلظة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين
واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل يقصد شيئا اخر فاصابه فمات منه فلا قصاص عليه ويجب
دية مخففة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين ومن صور القتل الخطأ ايضا ان يقصد رمي مشرك
او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه لباس المشركين او شعارهم
فالصورة الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد المسئلة الثانية في حكم الديات ودية حر
المسلم مائة من الابل فاذا اعدمت الابل فيجب قيمتها من الدراهم او الدنانير في قول وفي قول بدله مقدر وهو
الف دينار او اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار او ثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب
يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر رضي الله عنه فقام خطيبا فقال ان الابل قد
غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة
وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية
اخرجه ابو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم
وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال الشافعي ومالك وذهب قوم الى انها مائة من الابل او
الف دينار او عشرة الاف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب ابي حنيفة ودية المرأة نصف دية الذكر
الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمان مائة
درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الامام الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي المعاهد
مثل دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روى عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه
النسائي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان
النصف ثم رفع في زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم
الدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها
اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان
شاؤا اخذوا الدية وهي ثلثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد
العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتيل العمد بالسوط والعصى والحجر مائة من الابل اربعون
ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية اخرى قال الا ان كل قتيل خطأ العمد او شبه العمد قتيل السوط
والعصا مائة من الابل منها اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي وذهب قوم الى ان الدية المغلظة ارباع

خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة
وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب ابي حنيفة واما دية الخطأ فمخففة وهي
اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت
لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار
والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون ببنات المخاض يروى ذلك عن
ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب ابي حنيفة والدية في قتل الخطأ وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات
من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضاء
والاطراف فحكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضاء المرأة على النصف من دية اعضاء الرجل والله اعلم المسئلة
الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا
رجلا او امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان
واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته
من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها
فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب
عليه استيناف شهرين وهو قول النخعي لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وهو ان يبني وهو
قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا
ينقطع التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله عز وجل على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز
عن الصوم هل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان احدهما انه ينتقل الى الاطعام
كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة
من الله نص على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقاتل الخطأ والله اعلم ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه قال البيضاوي وذلك لما فيه من التهديد العظيم
قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه
والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن ونحوه وهو عندنا
اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا ثم حمل على مسلم فقتله
ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم
عذابهم انتهى قوله متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات
وقوله فجزاؤه مبتدأ اي فجزاؤه الذي يستحقه لجنايته وجزاء جهنم خبر وخالدا فيها حال مقدرة
يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل
من ضمير جازاه ورد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لو اوقعته صفة ولا يخفى ان ما يقدر الحال
ان العطف عليه حقه اي العطف عليه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة
بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار

عن وقوعه كما ستقف عليه قال الاستادي وانما قال البيضاوي او المراد بالخلود المكث الطويل لانه
ذكر هنا التخليد دون التابيد وفي كل موضع ذكر الخلود مع الابد فهو للتابيد والتعمد وهو ان يقصد
قتل مومن بما يقتل غالبا عالما بايمانه وقتله لذلك وهو كفر او قتله مستحلا لقتله وهو كفر ايضا
قال بعضهم وهذا ما قيل من يستحله اي مؤول بان هذا جزاؤه ان جازاه وفي المدارك وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال هي جزاؤه ان جازاه وقول المعتزلة بخروج قاتل المومن من الايمان وان لم
يستحل ذلك يخالف قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى قال الكواشي ومذهب الاكثر
قبول توبة قاتل المومن عمدا لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ويحملون الاية على من قتل مومنا
مستحلا لقتله وعن ابن عباس ان توبة قاتل المومن عمدا غير مقبوله وانه يخلد في النار وعنه ايضا
انه ان لم يكن قتل احدا وسأل عن قتل مومن ليقتله يقال له في الجواب ان الله لا يغفر لك ان فعلت
ذلك لئلا يقدم على القتل بل ينزجر عنه وان كان قد قتل مومنا وسأل عن وعيد ذلك فيقال له في
الجواب ان الله يغفر لك لئلا ييأس من رحمة الله ويقنط منها انتهى قلت والذي صح في معنى هذه الاية
كما في اللباب والكتب المعتبرة انها نزلت في من اسلم ثم قتل مومنا وارتد بعد ذلك وقتل وهو متعلق باستار
الكعبة وذلك لما روى ابو روق انها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان اسلم هو واخوه هشام
فهاجر هشام الى المدينة فقتله بنو النجار وخط النجار اخوه مقيس فوجد اخاه هشاما قتيلا في
بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
بني فهر وهو زبير بن عياض وكان من اصحاب بدر الى بني النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم
ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس فيقتص منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه
ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته
فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له
كيف تقبل دية اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الفهري الذي معك فيكون نفسا بنفس وتلك
الدية فضلا فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى
مكة كافرا وقال في ذلك ابياتا شعر ∴ قتلت به فهرا وحملت عقله ∴ سراة بني النجار ارباب
فارع ∴ وادركت ثاري واضطجعت موسدا ∴ وكنت الى الاوثان اول راجع ∴ فنزلت فيه
ومن يقتل مومنا وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن امنه من اهلها وهو
متعلق باستار الكعبة واختلف العلماء في حكم هذه الاية هل هي منسوخة او هي على ظاهرها ناسخة
لغيرها من ايات المغفرة وهل لمن قتل مومنا متعمدا توبة ام لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت
لابن عباس هل لمن قتل مومنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية
نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف اهل الكوفة في قتل
المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شيء وفي رواية اخرى قال ابن عباس

نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني
عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله الى اخر الاية زاد في رواية
فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه في الصحيحين وروي عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه الاية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن
عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد
قال سمعت زيد بن ثابت يقول نزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
بعد التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
بستة اشهر اخرجه ابو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية له بثمانية اشهر وقال زيد بن
ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة
اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة والمراد بالغليظة هذه الاية التي في سورة النساء وباللينة اية الفرقان
وذهب الاكثرون من علماء السلف والخلف الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال
بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء والمتقدم
لا ينسخ المتاخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في سورة النساء ايضا وهو قوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث
ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور
في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخل النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما
تعارض وذلك بان يحمل مطلق اية النساء على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من
تاب وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة والزجر عن القتل فهو
كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تائبا يقال لك
توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة
ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله انه قال جاء اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة ومن مات يشرك به دخل النار اخرجه مسلم ق عن عبادة بن الصامت انه قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا
تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية لا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه
بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك
فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك **فصل**
وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علماء السنة
بان الاية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الاية على هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا
لقتله ومن استحل قتل مومن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل

مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله ان يتجاوز عن اجزائه فعل اخرجه ابو داود
وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للايام
خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها واذ ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله
خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع واذا ثبت هذا
كان معنى خلود المذكور في الاية ان يعذب قاتل المومن عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرجه منها
بفضله ورحمته وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل
ان قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان
الكفر اعظم من القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى ولنذكر كلام استادي فيما نحن
بصدده وان كان فيه نوع تكرار مع ما مر من العبارات ولكن لكل عبارة حلاوة فنقول قال استادي
رحمه الله ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد
وقد تايدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون
عند الله من قتل مومن وقوله صلى الله عليه وسلم لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه
وقوله صلى الله عليه وسلم من اعان على قتل مومن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من
رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسك الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المومن عمدا في النار
ولا متمسك لهم فيها الا ما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في
مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما اشتهرت حكايته ومرت في التفاسير قصته فان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص القاطعة
الناطقة بان عصاة المومنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس انه لا توبة لقاتل المومن
عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة
الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابى الله ان يجعل لقاتل المومن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس ان رجلا سأله ألقاتل
المومن توبة فقال نعم فسرك قلت لذلك كذا وهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت
كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت كيلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة
ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله
وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه
بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال امام المفسرين علي بن احمد الشافعي الشهير بالواحدي والاصل في ذلك
ان الله عز وجل يجوز له ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له
ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور

لانه

لانه اخبار منه عز وجل بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء
سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه عز وجل يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله
عز وجل ويعفو عن كثير وقال امامنا القشيري كما يحرم قتل غيرك عليك يحرم قتل نفسك عليك
ومن اتبع هواه سعى في دم نفسه ومن لم ينصح مريدا لحسن وعظه لم يعنه بهمه فقد سعى في دم
نفسه فهو ماخوذ بحاله ومحقق بان يكون عقوبته الابدية اي لا يستمتع بما صرت به على المريدين
من احواله ولقد قال الله تعالى يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له خادما قال ابو يحيى في معنى قوله
وغضب الله عليه اي انتقم منه لاجل كفره وقتله المومن متعمدا وهو عطف على مقدر يدل عليه
الشرطية ولانه واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك
قوله ولعنه اي وطرده من رحمته وابعده من فضله وقد ظهر ذلك فان النبي امر بقتله يوم فتح
مكة فقتله وهو متعلق باستار الكعبة وقيل وغضب الله لقتله بعد اخذ الدية ولعنه بقتله
غير قاتل اخيه وقيل وغضب الله عليه ولعنه معطوفان على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى
المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه ويلعنه
واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره لاجترائه على الله ورسوله يا ايها الذين امنوا
لما بين حكم القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المومن انما هو القتل خطا شرع في التحذير
عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم وذهبتم
في طريق الله للغزو والجهاد مع الكفار ولما كان في اذا معنى الشرط صدر قوله فتبينوا بالفاء
اي فاطلبوا بيان الامر وثباته في كل ما تاتون وتذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وتامل وفكر وروية
قال الشيخ معناه اذا سرتم في طريق الحرب فتبينوا في قتل من تقتلونه قراءة الجمهور فتبينوا وقرا حمزة
والكسائي فتثبتوا بالثاء المثلثة هنا وفي الحجرات من التثبت والمعنى على القراءتين اي تعرفوا حال من
تقتلون وتثبتوا في قتله ولا تقدموا عليه من غير تامل قال ابن عباس نزلت الاية في رجل من بني مرة
ابن عوف يقال له مرداس بن نهيك الغطفاني من بني تيم بن مرة وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه
غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة
الليثي فهربوا منه واقام ذلك الرجل المسلم لثقته بايمانه واسلامه فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين
فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة
ابن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة
يا رسول الله استغفر لي فقال كيف انت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ يعني وددت ان هذه الحادثة
وقعت لي في الجاهلية لا في الاسلام ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعتق رقبة وفي

روايةٍ امرِئٍ بردّ ماله وتحرير رقبة مؤمنة وروى ابو ظبيان عن اسامة انه قال قلتُ يا رسول الله انما
قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا وفي رواية عن ابن عباس
قال مرّ رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلّم عليهم
فقالوا انما يسلّم عليكم ليتعوّذ منكم فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه فاتوا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا اي فقفوا
وتثبّتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذي تقدموا عليه **ولا تقولوا لمن
ألقى اليكم السلام** هذا نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد
التي يجب فيها التبيين قرأه الجمهور السلام بالالف وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بكسر السين
وسكون اللام بغير الف فالاول بمعنى تحية السلام والثاني بمعنى الانقياد والاستسلام والخضوع
والمعنى ولا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية السلام او لمن القى اليكم الاستسلام والانقياد **لست
مؤمنا** اي لست من اهل الايمان وانما اظهرت ما اظهرت متعوّذا وتقيّة لحفظ مالك ونفسك بل اقبلوا
منه ولا تقتلوه اذا رايتم على اسلام شخص امارة ظاهرة من نحو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم ولست مؤمنا في محل النصب بالقول وقرئ مؤمَنا بفتح الميم الثانية اسم مفعول من آمنته
اي منك ولك الامان وقال محمد بن اسحق نزلت يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم الخ في محلّم بن جثّامة كان
خارجا في غزاة فمرّ به عامر بن الاضبط الاشجعي على قعود له فحياه وكانت بينهما احنة وبغض في
الجاهلية فقتل محلّم عامرا واخذ ماله فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بامر عامر دعى النبي صلى
الله عليه وسلم على محلّم وقال في دعائه اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة فوالله ما استكمل سبعا من الايام حتى مات محلم
ودفن فلفظته الارض حتى اضجع بين الحجرين واحكموا بالحجارة والطين فلفظته الارض ثانيا ثم
دفنوه ثالثا واحكم في البناء باحجار كثيرة فلفظته الارض ثالثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الارض
لتقبل من هو شرّ منه ولكن الله تعالى اراد ان يريكم العبرة فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية وقيل
نزلت الآية في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احسّ
بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوّذا
فقال صلى الله عليه وسلم افلا شققت عن قلبه وقوله **تبتغون عرض الحياة الدنيا** حال من فاعل
لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني والتثبت لكن على ان يكون النهي راجعا الى
القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا لست مؤمنا
حال كونكم طالبين لماله الذي هو منافع ومتاع وحطام وزخارف سريع الزوال والفناء
قال الشيخ العرض المال سمي به لسرعة فنائه وروي عن عصام المزني انه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا بعث جيشا او سرية يقول لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه
ابو داود والنسائي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي او النصراني انا مؤمن لا يحكم بايمانه لانه
يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى
يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الله

الى العرب

الى العرب خاصة لا انه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف ان محمدا رسول الله الى كافة الخلق وان الذي
كان عليه من التهود والتنصر باطل صح اسلامه وحكم بصحته وقوله **فعند الله مغانم كثيرة**
تعليل للنهي عن ابتغاء عرض الدنيا ومتاعها مع ما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله
وغنمه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم مغانم الله عن ارتكاب ما ارتكبتموه من قتله
وقتل امثاله لماله ومتاعه الدنياوية وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن وقال
ابو القاسم معناه فعند الله غنائم كثيرة من رزقه تغنمونها فيغنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام
ويتعوذ به وقال عمر النسفي معناه تطلبون متاع الدنيا وعند الله اجر عظيمة وقيل عند الله غنائم
كثيرة فاطلبوها من حيث اذن لكم واباح لكم وقوله تعالى **كذلك كنتم من قبل** تعليل للنهي عن
القول المذكور ولعل تاخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع
ما فيه من مراعاة المقارنة بين تعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآخره وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتاكيد المشابهة بين طرفي
التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في **فمنّ الله عليكم**
للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادئ اسلامكم لا يظهر منكم
للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمنّ الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها
دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم قال ابو الخير والمعنى كنتم اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم
بكلمتي الشهادة فحصنت لكم بها دماءكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم لالسنتكم انتهى وقيل قال اسامة
ابن زيد ان كان هذا مسلما فلم اقام بين الكفار فقال الله تعالى انكم كنتم تفعلون كذلك وقيل كذلك
كنتم كفارا من قبل هذا وقال ابن عباس معناه كذلك كنتم من قبل كفارا فتعاتلون عرض الدنيا وفي الكـ
والمعنى كما كان هذا الذي القى اليكم السلام فقلتم لست مؤمنا وقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان
يعز الله دينه وكنتم تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على
نفسه منه وقال ابو عبيدة فمنّ الله عليكم بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله محمد رسول
الله او فمنّ الله عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقال سعيد بن جبير كذلك كنتم تخفون
ايمانكم من قومكم بمكة فمنّ الله عليكم بالهجرة حتى اظهرتم الايمان قال استادي وقد ظهر في زماننا هذا
من يامر باخفاء التوحيد والمنع عن الجهر به وينسبون من يذكر جهارا الى النفاق ومرادهم كتم ذكر
الله ويجعلون كلمة النفاق والمرائية جنة لانفسهم والله حسيبهم والفاء في قوله تعالى **فتبيّنوا**
فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البيّن وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما
فعل الله بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي تقتضيه
جزالة التنزيل ويستلزمه فخامة شانه الجليل قال البيضاوي والمعنى وافعلوا بالداخلين في الاسلام
كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر
اهون عند الله من قتل امرئ مسلم انتهى وفي الارشاد ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في
الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على

مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار في الايمان والتقدم فيه وان صرتم فيه اعلاما فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في الكافة ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام الى اخره فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تخصيص الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهار الخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسير منة الله تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا لحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يعتقد ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فلم يتأت له ان يقول فحصنت دماؤكم واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقدير بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المنة اياه بناء على اساس واه كيف لا وان ما ذكر بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليهم في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى ينبغي ان يتعرض له ولا بامر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الى اخره وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فاستقصروا حاله نظرا الى حالكم هذه بل اعتبروها نظرا الى حالكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الاية الكريمة في شان مرداس بن نهيك كما هو مشهور بين المفسرين قوله فتبينوا في القراءة كالاولى وتكريره تأكيد لتعظيم الامر بالتبين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم والحاصل ان في تكريره تأكيد زجر على الاقدام والتعجيل على القتل بغير تحقيق **إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** اي عالما به وبالغرض منه فلا تقدموا على القتل ولا تتهافتوا واحتاطوا في ذلك فالجزاء على حسب العمل ان خيرا فخير وان شرا فشر والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف قراءة الجمهور بكسران وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ** عن الحرب **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** اي غير اولي عاهة من عمى وزمن وغيرهما والاية في بيان تفاوت طبقات المومنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المومنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم وغير بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي غير بالنصب على الحال من القاعدين او استثناء منهم وقرئ بالجر على انه صفة للمومنين او بدل منه خ عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه انه قال املى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا رسول

لو استطيع

٣ لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق عن البراء ابن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر وفي رواية اخرى انه قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير الجزري الكردي في كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين يعني لا يعدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المومنين **وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ** متعلق بالمجاهدين **وَأَنْفُسِهِمْ** عطف على باموالهم يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد م عن جابر انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض خ عن انس انه قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يستوي القاعدون من المومنين عن بدر والخارجون اليها ونظير هذه الاية قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ففي هذه تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضى وفي التيسير ثم استثنى اولي الضرر من القاعدين ليس لالحاقهم في الدرجة والثواب فان العذر لاسقاط الحرج والتكليف لا غير لكن معناه انه تحريض على الجهاد والاستثناء لبيان انهم غير مرادين بالتحريض لا انهم كالمجاهدين في الاثابة والتفضيل قال الله تعالى ليس على الاعمى حرج الاية انتهى قال الكواشي والوقف الكافي على قوله وانفسهم لان ما بعد جملة موضحة لنفي التساوي بين القاعد والمجاهد كانه قيل ما لهم لا يستوون فقيل **فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ** قال الكواشي اي على القاعدين عذرا **دَرَجَةً** لان المجاهد باشر مع نيته والقاعد له نية ولا مباشرة وقال المحلي على القاعدين لعذر درجة من حيث الفضيلة لاستوائهما وزيادة المجاهد بالمباشرة قال ابو الخير وجملة فضل الله المجاهدين موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه اي فضلهم تفضيلة كضربه سوطا اي ضربة وقيل نصبه على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم قال صاحب الارشاد قوله فضل الله استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سوال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الى اخره واما تقدير ما لهم لا يستوون فما لا يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وجه تعكيس ظاهر فان الذي حق

ان يكون مقصوداً بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما
فتصاري امره ان يكون توطية لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للجهد فتقييد كون الجهاد في سبيل
الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وكلاً مفعول
اول لقوله وعد الله ومفعوله الثاني الحسنى وانما قدم عليه لافادة القصر تاكيداً للوعد اي كل واحد
من فريقي القاعدين والمجاهدين وعد الله الجنة بايمانهم وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين
بدرجة وفي اللباب وقال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين على اولي
الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولي الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا
الجهاد فنزلوا عن المجاهدين بدرجة وفي التيسير وعد الله الجنة كل المؤمنين المجاهدين والقاعدين
بعذر والقاعدين بغير عذر وهذا لان الجهاد فرض كفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين
وفي الارشاد وكلا وعد الله الحسنى اي مثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله وارسلناك
للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين
على الاخر من حرمان المفضول وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ مطلقا او بغير عذر قال
الاستاد وهذا عطف على قوله فضل الله الى اخره واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر القيود التي تركت
على سبيل التدريج وقوله أَجْرًا عَظِيمًا مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجرهم اجراً وايثار ما هو مصدر
من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجراً لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء اي اعطاهم
زيادة على القاعدين اجرا عظيما قيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله دَرَجَاتٍ
بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله مِنْهُ متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة
على فخامتها وجلالة قدرها اي درجة كائنة منه عز وجل ويجوز ان يكون انتصاب درجات على
المصدرية كما في قولك ضربه اسواطاً اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات قال ابو يحيى في قوله درجات
منه هو تفسير للاجر العظيم والدرجات هي المنازل بعضها فوق بعض من الكرامة وقال قتادة كان يقال
للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات
هي سبع وهي التي ذكرها الله في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله
ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس
الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها
سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة
في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله خ
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلوة
واتى الزكوة وصام رمضان وحج كان حقاً على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه
التي ولد فيها فقالوا افلا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة درجة اعدها للمجاهدين في سبيل الله ما بين
الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه وسط الجنة واعلى الجنة
وفوقه

وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة
واحدة وذكر في هذه الآية درجات فما وجه الحكمة في ذلك قلت اما الدرجة الاولى فلتفضيل
المجاهدين على القاعدين من غير ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان يكون
الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات الثانية درجات الجنة ومنازلها كما في قوله
عز وجل وَمَغْفِرَةً بدل من اجراً بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط
منهم اي من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من
خصائصهم وقوله عز وجل وَرَحْمَةً بدل الكل من اجراً مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما
باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة لذنوبهم بسترها والصفح عنها ورحمهم رحمة ورأفة قال ابو يحيى ولعل
تكرير التفضيل بطريق العطف المبني عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وتارة بدرجات مع اتحاد
المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف
الذاتي تمهيداً لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روماً لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى لما جاء امرنا
نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل المجاهدين على
القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها ولا يبلغ غايتها وحيث كان تحقق هذا البون
البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير
بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف
بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى
واعطاهم عاجلاً في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل
الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير
الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة
درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني بالجنة توضيحاً لحالهما
ومسارعة الى تسلية المفضول والله اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر
واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي
اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد خلفتم في المدينة اقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت
جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر وغيره وقد روي عنه برواية
اخرى ان في المدينة اقواماً ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم
بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر
قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون
الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل
من غيرهم درجة كما لا ريب في انحطاطهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية انتهى ما افاده ابو يحيى وما وقع
من التكرار في العبارات المذكورة صحيح لا ضير فيه لبعده عن الخروج بالكلام كما يتوهمه الاذكياء

وأما القعقاع فله النصف وقال ابو الحسن الكوفي وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من
جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل في قوله
لا يستوي القاعدون الاية استثنى القاعد بعذر والحقه بالمجاهد في الثواب لتحسره على ما فات
وعلى ذلك يحمل قول النبي الجمعة حج المساكين وقوله الصلوة قربان كل تقي وقال الامام القشيري
رحمه الله اولياؤه في الكرامات حيث قال وكلا وعد الله الحسنى لكنه غاير بينهم في الدرجات فرب غني
وغيره اغنى منه ومن كبير وغيره اكبر منه هذه الكواكب منيرة ولكن القمر فوقها واذا اطلعت الشمس بهرت
جميعها بنورها ثم ذكر تذييلا للتقرير ما مر من وعد المغفرة والرحمة بقوله وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا
لما عسى يفرط من عباده المؤمنين من الذنوب والمعاصي رَحِيمًا بهم يتفضل عليهم بما وعدهم
من المغفرة والرحمة عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل ايما
عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما اصاب من اجر
وغنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي فصل اعلم ان الجهاد عندنا ينقسم الى
فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على
كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا اضرار به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن
انفسهم وعن اهلهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق
من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم على من قرب
منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق
الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين
في بلادهم فعلى الامام ان يخلي كل سنة من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه حتى لا يبطل
الجهاد لمطلق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد
المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق
القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم بمراده واسرار كتابه إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ وهذه الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس
ابن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا
معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه
وهم ستة ثلثة منهم يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع كما يسمى جبريل وحده بذلك في قوله فنادته الملائكة
وهو قائم وفي معنى التوفي هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول
الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ومعنى ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل
بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر
اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين
وقيل ظالمين انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت
الملئكة

الملئكة وجوههم وادبارهم قال الفراء محمد بن يزيد في قوله توفاهم هو فعل مضارع واصله تتوفاهم
سقطت احدى التائين تخفيفا فهو على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها وبعضده
قراءة من قرأ توفاهم مجهولا على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملئكة انفسهم فيتوفونها اي
يمكنهم من استيفائها فيستوفونها وقال بعضهم هو فعل ماض ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم
قال ابو يحيى وتنصب ظالمي انفسهم على الحالية من ضمير المفعول في توفاهم فانه وان كان
مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ
كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا
الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل حال كونهم ظالمين انفسهم اي انفسي المتوضين وسقطت النون
للاضافة وظلمهم انفسهم هو تركهم الهجرة والمقام في دار الشرك ثم الردة والعياذ بالله قَالُوا اي
قال الملئكة للمتوفين ببدر وكانوا اربعين او خمسين وقصتهم تقدمت عند قوله فما لكم في المنافقين
فئتين والحاصل ان الملئكة قالوا للمتوفين وسألوا منهم فيم كنتم ذلك توبيخا لهم بتقصيرهم في
اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها ونوبيخا لهم وتقريعا بذلك فِيمَ كُنْتُمْ اي
في اي شيء كنتم من امور دينكم حتى شغلكم عن الهجرة والجهاد او في اي الفريقين كنتم في فريق المسلمين
او المشركين فاعتذروا بالضعف والعجز عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم انهم
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ اي عاجزين عن الهجرة من ارض مكة وعن القيام بموجب الدين
بين اهل مكة اي كان اهل مكة يقهروننا فاخرجونا معهم لقتال المسلمين كارهين فتركنا الهجرة
واظهار الدين واعلاء كلمته لذلك قَالُوا اي قال الملئكة ابطالا لتعللهم وتبكيتا وتوبيخا
وتقريعا لهم أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قال النسفي والمعنى ان الملئكة قال
لهم الم تكن ارض المدينة امنة واسعة الرزق فتهاجروا اليها وهذا استفهام بمعنى الاثبات وهو رد
عليهم عذرهم ثم هذا الخطاب والجواب في حال سكرات الموت وان كان لا يجري بين المحتضر وسائر
البشر فانه حاجز بينه وبين الملئكة لانه لهيبتهم شغل عن غيرهم فيجوز شغله بهم وقال الامام
ابو منصور رحمه الله يقولون لهم هذا في الاخرة ويجوز ان يكون في القبر فقد ذكر هذا بعد التوفي
ودل ذلك على سؤال القبر وقال الامام القشيري رحمه الله الاشارة منه الى ان من ادركه الاجل وهو
في اسر نفسه وفي رق شهواته ليس له عذر حيث لم يهاجر الى الحظ في تربته لتخلص من هوى نفسه
اذ لا حجاب بينك وبين هذا الحديث الا هواك فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا قال مقاتل
هم اسلموا بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة
ابن ربيعة وابو قيس الفاكه بن المغيرة وعمرو بن امية بن سفيان بن امية بن عبد شمس والعلاء بن امية
ابن الخلف ثم انهم اقاموا بمكة ولم يهاجروا الى المدينة وخرجوا مع المشركين الى قتال بدر فلما رأوا
قلة المؤمنين شكوا في نبوة النبي فقالوا غر هؤلاء دينهم فلما قتل هؤلاء ببدر قال لهم الملئكة فيم كنتم الى
اخره انتهى وقال البيضاوي والمعنى قال لهم الملئكة تكذيبا لهم وتبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة انتهى قال استادي وارض الله في هذه الاية

هي ارض المدينة كبيت الله والمعنى ان الله اكذبهم في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا بكذبهم حيث قال
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وفي الارشاد قال الملئكة ابطالاً لتعللهم وتبكيتاً لهم الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله
من هاجر الى المدينة والى الحبشة وانما جُعل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجُعل جواب الملئكة
تكذيباً لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم
الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيباً
لهم وردّاً عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضاً حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة
قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملئكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك
منهم تقريعاً وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون
جوابهم بالاستضعاف تعللاً بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين
فردّ عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة انتهى وفي المدارك فتهاجروا
فتهاجروا على جواب الاستفهام انتهى وفي تفسير احمد الكواشي وتلخيص المعنى كنتم قادرين على
الخروج الى بعض البلاد فلم تخرجوا **فاولئك مأويهم جهنم** اى فاولئك الذين حكيت احوالهم
الفظيعة ونعوتهم القبيحة منزلهم في الاخرة النار لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار فاولئك
مبتدا وجهنم خبره والجملة خبر اولئك وهذه الجملة خبر ان الذين والفاء في قوله فاولئك لتضمن اسم
ان معنى الشرط وذلك لان الذين من الابهام المشابه بالشرط وقوله قالوا فيم كنتم حال من الملئكة باضمار قد
عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه
مستنتجة منه ومما في حيزه **وساءت مصيرا** اى بئس المصير مصيرهم الى جهنم وفي الاية دليل على
وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه كما يجب قال احمد الكواشي في تفسيره وفي
الحديث من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبراً من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام وقال الامام القشيري الشافعي صاحب الرسالة من هاجر
في الله مما سوى الله وصح قصده الى الله تعالى وجد نفحة في عقوة الكرم ويتبلا في ذرى القبول
وسعة في كنف القرب والمهاجر في الحقيقة من هجر نفسه وهواه ولا يصح ذلك الا بانسلاخه من
جميع مراداته ومن قصده ثم ادركه الاجل قبل وصوله فلا ينزل الا بساحات وصله ولا يكون محطّ رحله
الا اوطان قربه انتهى اللهم انت حسبي تخلّص هجرتي من دياري الى جوار نبيك وطيبته فلا تخرجني
من مدينته الا للزيارة بيتك والرجوع اليها والموت بها والدفن بالبقيع ولا تجعلني كمن اشتهر بجوار بيت
الله ثم الموت اشرّ البلاد من زمخشر ونحوه من ديار الرفض وفي الارشاد وقال المفسرون كل هجرة في غرض
ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله ورسوله ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفهم
فقال الله عز وجل **الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان** الذين **لا يستطيعون** اى لا يقدرون
على **حيلة** من وجدان اسباب الهجرة الى المدينة اما لضعف قوة في البدن او لعدم من الزاد والنفقة
والركب

والمركب **ولا يهتدون سبيلا** اى لا يعرفون طريقاً الى ارض الهجرة ولا يجدون من يهديهم قال عمرو بن عطا
المديني ولما نزل الوعيد السابق قال المسلمون هلك اخواننا الذين بمكة فنزل قوله الا المستضعفين
الى اخره قال ابو ايوب والاستثناء على قول عمرو منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة
اليه ومن في قوله من الرجال الى اخره متعلقة بمحذوف وقع حالاً من المستضعفين اى حال كونهم كائنين
منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك فظاهر وان اريد بهم الصبيان والاطفال فللمبالغة في امر الهجرة
وايهام انها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب
عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوّامهم واولياءهم يجب
عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً صفة للمستضعفين
او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل كلها نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف
التعريف في الظاهر فليس للتعريف في الحقيقة اذ لا توقيت فيه اذ ليس تعريفه لشئ بعينه وخصوصه فهو
كقوله ولقد امرّ على اللئيم يسبني ويجوز ان يكون حالاً عن المستضعفين او عن الضمير المستكن فيه
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم واسم الاشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات
العجز اى عسى الله ان يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله
تعالى اذا اطمع عبداً اوصله اليه قالوا وهي اخلاق الكريم اذا اطمع انجز وفي الارشاد وجئ بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذاناً بان الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها
عليه ذنباً يجب العفو عنه رجاء وطمعاً لا جزماً وقطعاً **وكان الله عفوا غفورا** لعباده قبل
ان يخلقهم وهذا تذييل مقرر لما قبله قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلوة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف وقال ابن عباس رضي الله عنهما ايضاً لما نزلت هذه الاية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى مسلمي مكة فلما سمعها رجل من بني ليث من الجندع وكان شيخاً كبيراً وبه مرض يقال له جندب بن ضمرة
او جندع بن ضمرة قال لبنيه اخرجوني واحملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق
واجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة فحمله بنوه على سرير
متوجهاً الى المدينة فمات بالتنعيم فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك
ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى
المدينة ولحق بنا لاتم الله اجره وثوابه وضحك المشركون من مقالته ومبايعته وقالوا ما ادرك ما طلب
فاعلم الله انه لا يخيب من التمس رضاه فانزل فيه **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في
الارض مراغما كثيرا** قال الزجاج يعني مراغماً مهاجراً يعني يجد في الارض مهاجراً لان المهاجر لقومه
والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم
انفه اذا لصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه

كناية عن حصول الذل له ويقال له راغمت فلانا بمعنى هجرته وعاديته ولم ابال انه رغم انفه ويقوى
ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج عن بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر عن
قومه خرج مراغما لهم اى مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفرا المراغم المضطرب والمذهب فى الارض
وانشد الزجاج فى المعنى الى بلد غير دانى المحل بعيد المراغم والمضطرب فعلى هذا يكون معنى الاية يجد موضعا
يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا قول اهل اللغة فى معنى المراغم قال ابو يحيى والمعنى عند المحققين ان
المهاجر يجد فى الارض متحولا من الرغام وهو التراب او يجد طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على
رغم انفهم وهو ايضا من الرغام وفيه ترغيب فى المهاجرة وتانيس لها وقال ابن عباس معناه يجد متحولا
يتحول اليه من ارض الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد متقلبا ينقلب اليه اى يجد مكانا
يتحول اليه على رغم انف اعدائه وقيل المراغم والمهاجرة واحد يقال راغمت قومى اى هاجرتهم وسميت
المهاجرة مراغمة لان المهاجر قومه يرغمهم وقال السدى معناه يجد مبتغى معيشة وقال المبرد يجد
مضطربا متحولا من الكفر الى الايمان واصله من الرغام وهو التراب اى يجد تربة غير تربته وقال
ابو عبيدة والقتبى فى قوله مراغما اى مهاجرا وهذا هو الحق فان المراغم موضع المراغمة وهى المهاجرة على
رغم من كان فيهم وقرئ مرغما قوله **وسعة** اى اتساع رزق وقيل توسعا من تضييق الكفار عليه وقيل
يجد سعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة فى الارض التى يهاجر اليها اقول والحمد لله على زيارة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليه فى كل حين والسعة فى الرزق والرغد فى العيش وارضى
بلاواء المدينة من جهة اخرى **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله** اى
الى حيث امر الله ورسوله ومهاجرا حال من الضمير فى يخرج **ثم يدركه الموت** فى الطريق قبل بلوغ
مهاجره كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى وفى الارشاد معناه ثم يدركه الموت قبل ان يصل الى المقصد
وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة ويدركه بالجزم عطف
على من يخرج اى على فعل الشرط وقرئ ثم يدركه بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى ثم هو يدركه
وقيل هذا الرفع هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما فى قوله ۞ من عنزى سبنى لم اضربه ۞
وصدر البيت ۞ عجبت والدهر كثير عجبه ۞ وقرئ ثم يدركه بالنصب كما فى قوله ۞ والحق بالحجاز
فاستريحا ۞ اى فان استريحا **فقد وقع اجره على الله** الوقوع والوجوب متقاربان
والمعنى فقد ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب هذا ما افاده البيضاوى قال استاذى رحمه الله
والمعنى فقد وجب اجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والفضل والكرم لا وجوب استحقاق
وختم قوله **وكان الله غفورا رحيما** اى ويغفر الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج
مهاجرا **واذا ضربتم فى الارض** اى اذا سافرتم فى الارض **فليس عليكم جناح** اى ليس عليكم
اثم ولا حرج **ان تقصروا من الصلوة** اى بتنصيف ركعاتها بان تردوا ذوات الاربع منها
الى اثنين كالظهر والعصر والعشاء ولا يعتبر البطأ والاسراع فى جواز القصر فلو سار مسيرة ثلثة ايام
فى يوم قصر وان سار مسيرة يوم فى ثلثة ايام لم يقصر والقصر عندنا رخصة فيجوز الاتمام والقصر
ولكن القصر افضل من الاتمام واما عند ابى حنيفة فالقصر عزيمة فلا يجوز الاتمام والاكمال ودليلهم حديث

ابن عباس

٤٧

ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين
ودليلهم ايضا قول عمر رضى الله عنه صلوة السفر ركعتان تام غير قصر على لسان نبيكم ودليلهم ايضا قول
النبى صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته رواه النسائى وابن ماجة فظاهر الامر للوجوب ودليلهم ايضا قول
عايشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر رواه الشيخان
والجواب ان حديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعا لا على ان الاتمام غير جائز واما قول عمر
وعايشة فظاهرهما يخالف الاية اذ ظاهر الاية التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل فان صحت
الرواية عنهما فقول عمر مأول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء وقول عايشة لا ينفى جواز الزيادة فى حق المسافر
فان المفهوم من الاية انه يجوز للمسافر ان يقصر الرباعية على ركعتين وان يزيد عليها ويمكن تاويل قول
عايشة بانها اقرت الصلوة فى الاجزاء فى السفر واجزت الزيادة فى الحضر وقال السلطان بعد قوله
والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم
ان يعتبر السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بها قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به انفسهم
واما الامر فهو للاباحة لا للوجوب انتهى وذهب جابر الى ان ركعتى المسافر ليستا بقصر انما القصر ان يصلى ركعة
واحدة فى الخوف وهو قول عطاء وطاوس والحسن ومجاهد وجعلوا شرط الخوف المذكور فى الاية باقيا وذهب
اكثر اهل العلم الى ان الاقتصار على ركعة واحدة لا يجوز خائفا كان او امنا واختلفوا فى حد ما يجوز فيه القصر
وكان جابر بن زيد يقصر بعرفة فعنده السفر القصير والطويل سواء فى القصر وعند الاوزاعى مسيرة يوم
وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران فى اربعة برد وهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك
واحمد واسحاق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى قال مسيرة
ليلتين قاصدتين وقال فى محل اخر ستة واربعين ميلا بالهاشمى والحاصل اقل سفر يقصر فيه ان يكون
طوله ستة عشر فرسخا بالهاشمى ذهابا لا ايابا كل فرسخ ثلثة اميال كل ميل اربعة الاف خطوة كل خطوة
ثلثة اقدام ويعتبر تحديدا فلو نقص شئ لم يقصر والمسافة فى البحر كالمسافة فى البر وان قطعها
فى ساعة وقال سفيان الثورى واصحاب ابى حنيفة مسيرة ثلثة ايام واما ما تعلق به ابو السعود
فى تفسيره من ذكر الدلائل والاعتذار فهو محذور قال شيخنا لو كان فيهم مراد القاضى ما كان يحوم حول الحمى
وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا من الصلاة للتبعيض عند سيبويه
ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش **ان خفتم** من اتمامها **ان يفتنكم** اى ان يعنتكم ويبتليكم بمكروه
الذين كفروا بيان للواقع اذ ذاك فلا مفهوم له وجواب ان خفتم محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره
ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة وهذا
الشرط خارج مخرج الغالب فى ذلك الوقت اذ غالب اسفار النبى صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو
ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لا يعتبر فى قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
وفى قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقد تظاهرت السنن على جواز القصر ايضا فى حال الامن
روى الترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة لا يخاف الا رب
العالمين يصلى ركعتين الى مكة وروى مسلم عن يعلى بن امية سالت عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ما لنا نقصر

وقد امن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقال الامام ان الكلام قد تم عند قوله ان تقصروا من الصلوة وقوله ان خفتم كلام مستانف وجوابه محذوف تقديره فاحتاطوا وتاهبوا وان المراد به القصر من شروطها واركانها حالة اشتداد الخوف بترك الركوع والسجود والنزول عن الدابة واستقبال القبلة ونحو ذلك لا من عدد الركعات وذلك القصر مشروط بالخوف انتهى وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم **ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** اى ظاهر العداوة فتحرزوا عنهم اينما كنتم ولا تغفلوا من اخذهم ثم بين لهم صلوة الخوف بالخطاب للنبي عليه السلام فقال **واذا كنت** يا محمد حاضرا **فيهم** اى في الخائفين **فاقمت لهم الصلوة** اى فاردت ان تقيم للمؤمنين الصلوة وهذا جرى على عادة القران في الخطاب فلا مفهوم له تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل جماعته وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها لتقتدي به الائمة بعده وانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره كانه قيل واذا كنت انت فيهم ومن يقوم مقامك فاقمت لهم الصلاة **فلتقم** اى فلتقف **طائفة منهم معك** وتتاخر طائفة يعني فاجعلهم الامام طائفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو تحرسهم فاذا صلى بمن معه ركعة قام وثبت قائما حتى اتموا صلاتهم وذهبوا الى وجاه العدو ثم اتت الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية وثبت جالسا حتى اتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم وهذه رواية سهل بن خيثمة بان النبي صلى الله عليه وسلم صلى كذلك بذات الرقاع واليه ذهب الشافعي ومالك واحمد واسحاق رحمهم الله وعند اهل الكوفة اذا قام الامام الى الركعة الثانية تذهب الطائفة الاولى في خلال الصلاة الى وجاه العدو وتاتي الطائفة الثانية فيصلي بهم الركعة الثانية ويسلم وهم لا يسلمون بل يذهبون وجاه العدو وتعود الطائفة الاولى فتتم صلاتها ثم تعود الثانية فتتم صلاتها قال محيي السنة ان رواية سهل اشد موافقة لظاهر القران واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو وذكر لذلك دليلا بينا **وليأخذوا** اى الطائفة التي قامت معك يصلون **اسلحتهم** معهم حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم وان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للمرتبي بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط **فاذا سجدوا** يعني المصلين السجدة المعلومة اى اذا صلوا **فليكونوا** اى غير المصلين اى الطائفة الاخرى **من ورائكم** يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب **ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا** وهم الذين كانوا في وجه العدو لاشتغالهم بالحراسة **فليصلوا معك** وظاهر الاية يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة ركعتين قال البغوي ولو صلى الامام اربع ركعات بكل طائفة ركعتين جاز ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذات الرقاع بطائفة ركعتين فتاخروا ثم صلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس

صلاة

صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم **وليأخذوا حذرهم** اى تحرزهم وتيقظهم **واسلحتهم** معهم الى ان تنقضي الصلوة وقد نقل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان قال السلطان جعل الله الحذر الة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ قال الشيخ وفي ضم الحذر الى الاسلحة رحمة للخائف في الصلاة بان يجعل بعض فكره في غير الصلاة ونظيره قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان يعني جعل الايمان كالمحسوس كما جعل الحذر قلت وهذا من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه الحذر الذي هو المعاني بالة محسوسة يستعملها الغازي وجعل اثبات الاخذ له دليلا على هذا التشبيه المضمر في النفس فيكون استعارة تخييلية **ود الذين كفروا** اى يتمنى الكفار **لو تغفلون** اى لو وجدوكم غافلين اذا قمتم الى الصلاة **عن اسلحتكم وامتعتكم** يعني تمنوا ان ينالوا منكم غفلة وغرة في صلاتكم **فيميلون عليكم ميلة واحدة** اى فيشدون عليكم شدة واحدة فيقتلونكم وهو بيان ما لاجله امروا باخذ الحذر والسلاح والمراد بالامتعة هنا ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا **ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى** من السقم في المزاج او من الجراحة في البدن ولم يقل او مرضى لعدم دلالته على العموم وهو المراد **ان تضعوا** اى ان تزيلوا عنكم **اسلحتكم** رخص في وضع السلاح في حال المطر والمرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب ثم امرهم مع ذلك باخذ الحذر فقال **وخذوا حذركم** اى وراقبوا العدو كيلا يهجم عليكم العدو غفلة قال البيضاوي وكما ان الاية دلت على وجوب الحذر عن العدو كذلك تدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة وبهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا قال الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا وهم لا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وكان قد وضع سلاحه حتى قطع الوادي فحال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله الا وهو قائم على راسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان قال لا احد قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ هذه الاية قلت هذا من نظاير ما وقع للخليل حين الرمي الى النار بل اعظم لكون هذا اقرب الى الهلاك قال سعيد ابن جبير عن ابن عباس في هذه الاية كان عبد الرحمن بن عوف جريحا **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** اى ذا اهانة يهانون فيه فهو وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم

لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فتوكلوا على الله **فاذا قضيتم الصلوة** اى اذا اديتم وفرغتم من الصلوة **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** اى فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او فاذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين بالسيوف ومقارعين بالرماح وقعودا جاثين على الركب مرامين بالسهام وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فالشافعي اوجب الصلوة على الخايف بكل حال وابو حنيفة يبطلها بحال القتال فاذا اي قضاها وعبارة الامام فاذا قضيتم الصلوة اى فرغتم من صلوة الخوف فاذكروا الله اى صلوا لله قياما في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة وقيل فاذكروا الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد على كل حال وعن عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه **فاذا اطمأننتم** اى سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم **فاقيموا الصلوة** اى ادوها بحقوقها يعني تعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة اى اتموها اربعا **ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا** اى مكتوبا يعني مفروضا **موقوتا** اى محدود الوقت فلا يخرج عنه بتفصيله فرضا محدود الاجل او اخراجها عن اوقاتها على اى حال كنتم خوف او امن وهذا تعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن ودليل ظاهر على ان المراد بالذكر الصلوة فانها واجبة الاداء على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمان فعليه القضاء في احد قولي امامنا محمد بن ادريس ابن عم الرسول وفي قوله الاخير انه لا قضاء واما عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان يطمئن ثم يقضيها كما ذكرنا وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعايه واللجاء اليه وانما قال على المؤمنين لان الكلام في اداء الصلوة والايمان شرط لصحته وان لم يكن شرطا لوجوبها ونزل لما بعث النبي طايفة في طلب ابي سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فشكوا الجراحات **ولا تهنوا** اى ولا تضعفوا ولا تتوانوا ولا تكسلوا **في ابتغاء القوم** اى في طلب الكفار بالقتال اى ابي سفيان واصحابه وقوله **ان تكونوا تالمون** اى تتوجعون من الم الجراح **فانهم يالمون** اى يجدون الم الجراح تعليل للنهي وتشجيع لهم **كما تالمون** اى كما تتوجعون من الجراح اى ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك مع ان جهادهم للشيطان ومالهم النار فالكم لا تصبرون مع انكم اولى بالصبر منهم حيث **وترجون** انتم **من الله** من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب في الاخرة على سعيكم **ما لا يرجون** اى ما لا يخطر ببالهم مما ترجون انتم من امور الدين وان كان لهم رجاء في محاربتهم معنا لكن رجاءهم طمع بناؤه على الباطل وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف اى تخافون من الله ما لا يخافون وقرى ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون ويكون قوله فانهم يالمون علة النهي عن الوهن لاجله **وكان الله عليما** باحوالكم واعمالكم وضمائركم لانه احاط بكل شيء علما **حكيما** في كل شيء وفيما دبر وامر ونهى **انا انزلنا اليك الكتاب** اى القران **بالحق** متعلق بانزل اى بالامر والنهي والفصل **لتحكم بين الناس** والاية نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق

درعا

درعا من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك اعتمادا على شهادتهم فنزلت رواه الترمذي وفي رواية فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظر الوحي فنزلت واطلعه الله على حقيقة الحال وفي العيون ان طعمة بن ابيرق كان منافقا شاعرا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **بما اراك الله** اى بما عرفك واوحى اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلثة مفاعيل وفي بعض التفاسير بما الهمك الله بالنظر في الاصول المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه عليه السلام **ولا تكن للخائنين** اى لاجلهم والذب عنهم **خصيما** للبراء اى معينا دافعا عنه اى لا تخاصم اليهود لاجل طعمة وعشيرته بني ظفر **واستغفر الله** مما هممت به قال مقاتل من جدالك عن طعمة او استغفر الله لما طرا على قلبك اعتمادا على شهادتهم اولا ولكن الذين يذبون عن طعمة ويشهدون له كذبا واعلم ان النهي عن الشيء لا يقتضي حصول المنهي عنه وكفى شاهدا على براءته عليه السلام قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فنفى الله عن نبيه قرب الركون الذي هو الميل اليسير فضلا عن وقوع الميل لانه ثبت في رواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه عليه السلام ان يدفع التهمة عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي كما ذكرنا ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبراءة طعمة ولم يظهر للرسول عليه السلام ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله على حقيقة الحال وامره بالاستغفار لاولئك الذين يدعون براءة طعمة **ان الله كان غفورا رحيما** اى مبالغا في الرحمة والمغفرة لمن يستغفره او يستغفر له الرسول **ولا تجادل** اعتمادا على غفران الله ورحمته **عن الذين يختانون انفسهم** اى يخونونها ويظلمونها بالخيانة والسرقة وانواع المعاصي والمراد بالموصول طعمة وامثاله او هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم اثموا وخانوا بالشهادة الكاذبة **ان الله لا يحب من كان خوانا** اى مبالغا مفرطا في الخيانة مصرا عليها **اثيما** منهمكا فيه وانما ذكر بلفظي المبالغة لانه تعالى علم من طعمة انه مفرط في الخيانة وركوب الاثم مجبول على الخيانة مايل بالطبع الى الاثام والمعاصي يباشرها متى تمكن منها حتى كان مباشرتها سببا لموته وهلاكه مرتدا كما روي انه عليه السلام حكم عليه بالقطع فهرب الى مكة مرتدا ونقب حايطا بمكة ليسرق متاع اهله فسقط الحايط عليه فقتله قال البغوي والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على احد الوجوه الثلثة اما لذنب تقدم قبل النبوة قلت والعلماء على ان الانبياء معصومون قبل النبوة وبعده او لذنوب امته وقرابته او لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار والاستغفار يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع **يستخفون من الناس** يريد بني ظفر اي يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم وهم لا يعلمون بواطنهم **ولا يستخفون من الله** اى ولا يستحيون منه وهو

احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم اى لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبح ويؤاخذ عليه وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة اى لا يستترون من الله لانه ليس لهم استعداد ذلك فانه الذى ثمرته الخوف والحياء من الله سبحانه قال عليه السلام انا اعرفكم بالله واخوفكم منه بين ان زيادة الخوف من زيادة المعرفة قال محمد بن الفضل من لم يكن اعظم شئ فى قلبه ربه كان جاهلا ومبعدا عنه اذ يبيتون اى يدبرون ويزورون ويقولون ليلا ما لا يرضى من القول اى من رمى البرئ بالخيانة وتبرئة الخاين والحلف الكاذب وشهادة الزور وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى عليه السلام فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع من اليهودى لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم وفضحهم عند نبيه واصحابه وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عن علمه شئ من اعمالهم الظاهرة والباطنة ثم يقول لقوم طعمة ها انتم يا هؤلاء اى يا قبيلة طعمة ها للتنبيه فى انتم واولاء وهما مبتدا وخبر فهو تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع وقيل تقريع لبعض المؤمنين حيث ساعد طعمة وقومه بدفع الحد عنه جادلتم عنهم اى خاصمتم عن طعمة وفى قراءة ابى عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله وسلمنا لكم ذلك فى الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا وصلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يعنى عن طعمة وامثاله يوم القيمة اذا اخذه الله بعذابه وعقابه اى لا يكون هناك من يستر عليه او يدفع عنه فضاحته ام من يكون عليهم وكيلا اى يتولى امره ويذب عنه او حافظا ومحاميا له من باس الله تعالى وانتقامه اى لا احد يفعل ذلك ثم لما ذكر الوعيد اتبعه بالدعوة الى التوبة فقال ومن يعمل سوءا اى من يعمل قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذبة وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة او السوء السرقة والظلم رمى البرى ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه حث ومزيد ترغيب للمذنبين على التوبة والاستغفار ويدخل فيهم طعمة وقومه دخولا اوليا فان قلت حق العبد لا يسقط بالاستغفار قلت المراد من الاستغفار ههنا التوبة بشرايطها ومنها استحلال حق الغير والاداء روى ابو سفيان عن ابن مسعود انه قال من قرأ هاتين الايتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له وعن على رضى الله عنه قال حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضى ويصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر له ثم تلا هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ومن يكسب اثما اى ذنبا من الذنوب فانما يكسبه على نفسه اى فلا يتعداه وباله الى غيره كقوله وان اسأتم فلها فليحترز عن تعريض النفس للعقاب والعذاب عاجلا واجلا قال محيى السنة المراد بالاثم قول طعمة بالباطل انه ما سرقه انما سرقه اليهودى والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة ولذلك لم يجز وصفه تعالى بالكسب وكان الله ولم يزل عليما بسارق

الدرع حكيما حيث حكم بالقطع على السارق او حكيما لا يؤاخذ احدا بذنب غيره ومن يكسب خطيئة اى صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما اى ذنبا كبيرا او ما كان من عمد ثم يرم به اى يقذف بالجنى ويسنده بريئا عما رماه به كما رمى طعمة زيدا اليهودى وضمير به للاثم وقيل للاحد الامرين المذكورين ومن يرمى البرئ بالخطيئة يكون باهتا لقوله فقد احتمل اى تحمل بهتانا وهو الكذب يرمى به الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهو له واثما مبينا اى ذنبا بينا لانه يكسب الاثم اثم وبرمى البرئ باهت فهو جامع بين الامرين وروى مسلم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان فى اخى ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ولولا فضل الله عليك بالرسالة والوحى باعلام ما همت عليه ورحمته اى ولولا عصمته والطافه لهمت اى اضمرت طائفة منهم اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة ان يضلوك اى بان يخطئوك فى الحكم مع علمهم بالحال وكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفى انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب فى انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اى لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اى لقد همت طائفة الى اخره وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال مكرهم وتلبيسهم عليهم من غير ان يصيبك منه شئ والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من زايدة للاحاطة شئ اى وما يضرونك شيئا من الضرر فهو عطف على وما يضلون يعنى ان الله عصمك وما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وقال القفال وما يضرونك فى المستقبل فوعد تعالى ادامة العصمة لما يريد الناس من ايقاعه فى الباطل ولذا ذكره بصيغة المضارع وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القران الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة او ما فى القران من الاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اى علمك بالوحى من خفيات الامور وضماير القلوب وقيل من علم الغيب اى علمك ما لا يمكنك علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد وما لا يعلم بذلك الا الله وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من الرسالة والمعرفة وقد خصك بالحظ الاوفر وقد اتيناك من لدنا علما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لا خير فى كثير من نجواهم اى من نجوى قوم طعمة وقال مجاهد الاية عامة فى حق جميع الناس والنجوى هو السرار فى التدبير وقيل النجوى ما ينفرد بتدبيره القوم سرا كان او علانية فمعنى الاية لا خير فى كثير مما يدبرونه بينهم ويقولونه اى من تناجى الناس او من المتناجين الا من امر بصدقة الزكاة او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر بصدقة فالنجوى ما يكون متصلا فهو بدل من كثير او من نجواهم او منصوب على الانقطاع اى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره وقيل يندرج فى المعروف القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وساير ما امر به فيكون ذكر المعروف من قبيل عطف العام على الخاص حاصله الا من امر بطاعة الله وما يعرفه الشرع واعمال البر كلها

معروف لان العقول تعرفها وفي المدارك او المراد بالصدقة الزكوة والمعروف التطوع او اصلاح
بين الناس اي لدفع العداوة والبغضاء من بينهم فهو عطف على او معروف وان كان داخلا
فيه وانما ذكر هذا الخاص لشرفه من بين افراد العام واخرج البيهقي عن ابي ايوب الانصاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال
تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا واخرج البيهقي عن النواس بن سمعان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب لا يصلح الا في ثلث الحرب فانها خدعة والرجل يرضى
امرأته لترضى عنه او اصلاح بين الناس وعن ام الدرداء عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة والصلوة قال قلنا بلى يا رسول الله قال
صلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الحالقة وقال صلى الله عليه وسلم ليس بالكذاب من اصلح بين الناس
فقال خيرا او نمى خيرا وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف
او نهي عن منكر او ذكر لله والسر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر هو ان اعمال الخير المتعدي
الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة
بقوله تعالى الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد
اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اي هذه الاشياء التي ذكرناها
يعني الصدقة والمعروف والاصلاح ابتغاء مرضات الله اي طلب رضاه وقيد الفعل بان
يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من
الله اجرا فسوف نؤتيه اي يؤتيه الله في الاخرة بنون العظمة على الالتفات وقرا ابو عمرو وحمزة
بالياء ومعناهما واحد اجرا عظيما اي يقصر عنه الوصف ووصف الاجر بالعظم تنبيها
على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا ومن يشاقق الرسول اي ومن يخالف
الرسول فيما جاء به من الحق والاية نزلت في طعمة بن ابيرق وذلك انه لما ظهرت عليه السرقة
خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة فهرب الى مكة وارتد عن الدين كما ذكرنا من بعد
ما تبين له الهدى اي من بعد التوحيد والحدود يعني من بعد ما ظهر له الحق بالوقوف
على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع طريقا غير سبيل المؤمنين اي غير طريقهم الذي هم عليه
من الدين من اعتقاد وعمل بان يكفر نوله ما تولى اي نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا
يعني نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره في الدنيا وقال بعضهم هذه
منسوخة باية السيف لا سيما في حق المرتد ونصله اي ندخله في الاخرة جهنم ليحترق فيها
وساءت مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع يعني اتباع غير سبيل المؤمنين
وروي ان طعمة اخرجوه من مكة لكثرة فساده فخرج مع تجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا
منزلا فسرق بعض متاعهم فهرب فطلبوه واخذوه فرموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره
للحجارة وقيل هرب الى جدة فاخذوه ورموه في البحر وقيل كان يعبد صنما لبني سليم الى ان مات
في حرة فانزل الله في طعمة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء وقد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد او لقصة طعمة وقد مر بانه مات كافرا
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه
وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر
فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن
طريق الحق وحرم الخير كله فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة
وانما ختم الاية الاولى بقوله فقد افترى اثما عظيما لانها كانت متصلة بقصة اهل الكتاب
ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله سبحانه وهنا ختم بقوله فقد ضل ضلالا
بعيدا لان هذا نزلت في شان قوم مشركين غير اهل الكتاب ولا علم عندهم فناسب وصفهم
بالضلال والبعد ثم انه تعالى بين كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال ان يدعون اي ما يعبدون
من دونه اي من دون الله يعني غيره الا اناثا جمع انثى هي اللات والعزى ومناة ونحوها
كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن
بنات الله او كانوا يزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملئكة بنات الله وايرادها بهذا
الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم فانهم يعبدون ما ينفعل ولا يفعل ومن حق
المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل والاية نزلت في كفار مكة وقد جاء الدعاء بمعنى العبادة كقوله عز وجل
وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني بدليل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي والاية ينادي
على من يفتري على الله بالاتحاد مع خلقه وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث ووثنا
بالتخفيف والتثقيل وكلاهما جمع وثن كاسد واسد واثنا قلبهما على قلب الواو لضمها همزة وكان
في جوف كل واحدة من الاصنام شيطان يترايا للسدنة والكهنة يكلمهم ويضلهم بذلك فلذلك
قال وان يدعون اي وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادة الاصنام
وامرهم بذلك فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا اي خارجا عن الطاعة عاريا
عن الخير ومنه الامرد لانه لا شعر على وجهه وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها والمارد والمريد
الذي لا يعلق بخير لعنه الله اي ابعده عن رحمته صفة ثانية للشيطان وقال اي قال
الشيطان حين لعنه الله حيث لم يسجد لادم لاتخذن اي لاجعلن من عبادك وهم
يتبعون خطواته نصيبا اي حظا مفروضا معلوما وقوله وقال لاتخذن عطف على الجملة المتقدمة
صفة اخرى للشيطان يعني ما يعبدون الا شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وبين هذا القول
الشنيع الصادر عنه عند اللعن اي لاتخذن الخ الدال على فرط عداوته للناس والمفروض المقطوع
اي نصيبا قدر لي فاطيع فيه ابليس فهو مفروضه وفي بعض التفاسير من كل الف واحد لله تعالى
وسايرهم لابليس وفي بعضهم من كل الف واحد لله وتسعمائة وتسع وتسعون لابليس وفي العيون
من كل الف واحد في الجنة وسايرهم في النار وهو المعنى المفروض للشيطان ومعنى الجمع واحد فان قيل
العقل والنقل يدلان على ان حزب الله اقل عددا من حزب الشيطان اما النقل فقوله تعالى فاتبعوه

الا قليلا منهم وحكى عن الشيطان قوله لاحتنكن ذريته الا قليلا وقوله لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين ولا شك ان المخلصين قليلون واما العقل فهو ان الفساق والكفار كلهم
حزب ابليس ولفظ النصيب انما يتناول القسم الاقل فالجواب ان هذا التفاوت انما يحصل في
نوع البشر اما اذا ضمت زمرة الملائكة مع غاية كثرتهم الى المؤمنين كانت الغلبة للمؤمنين وان كانوا
قليلين في العدد الا ان منصبهم عظيم عند الله والكفار والفساق وان كانوا اكثر في العدد فهو
كالعدم فلهذا وقع اسم النصيب على قوم ابليس ولاضلنهم يعني عن الحق وعن الهدى اراد به التزيين
والاضلال اليه من الاضلال لشي يعني ازين لعبادك بان في عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره
فايعبد فيها غيره لكن يجعل الخالق والمخلوق شيئا واحدا من غير مباينة بينهما وقالت المعتزلة في
قوله ولاضلنهم دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني
ان اهل السنة يقولون الاضلال عبارة عن خلق الكفر والضلال ونحن نقول ليس كذلك لان
الشيطان بالاتفاق لا يقدر على خلق الكفر والضلال واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة
على ان كلامه في هذه المسالة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر وهو هذا القول مع قوله لاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب اغويتني وتارة يظهر التردد فيه حيث قال ربنا هؤلاء الذين اغوينا
هم كما غوينا يعني انه قال هؤلاء الكفار نحن اغويناهم فمن الذي اغوانا عن الدين فلا بد من انتهاء الكل
بالاخرة الى الله تعالى خلقكم وما تعملون ولامنينهم اي بتبديل الاجر منك على عبادة الاصنام او بانكار
البعث والجزاء او بانه يحصل لهم احسن وجوه الجزاء او بطول بقائهم في الدنيا وبلوغ الامال
ليؤثروها على الاخرة وبالحث على المعاصي وتسويف التوبة يعني القي في قلوبهم ما يتمنون من الاهواء
الباطلة ولامرنهم على خلاف امرك اضلالا لهم بانه امرك وايقاعا لهم في امنية الثواب عليه
فليبتكن اي فليشققن آذان الانعام اي لاحملنهم على ان يشقوا آذان الانعام وقد فعلوا ذلك
بالبحاير والسوايب ليحرموها ما احللتها جمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع آذان البحاير كانوا
يشقون آذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع
بها ويسمونها بحيرة ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
وسعيد بن المسيب والضحاك معنى خلق الله اي دين الله ونظيره قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي
لدين الله يريد به تغيير ما وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقال عكرمة وجماعة
من المفسرين فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع الاذان حتى حرم بعضهم الخصاء وجوزه
بعضهم يعني الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة وانما قلنا رخصوا لان عموم اللفظ يمنع
الخصاء مطلقا واما في بني آدم فمحظور عندنا وكذلك عند ابي حنيفة وفي بعض التفاسير وعند ابي
حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل
تغيير خلق الله هو ان الله تعالى خلق الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار
لمنفعة العباد فعبدوها من دون الله وقال السلطان يندرج فيه ما قيل من فقوء عين الفحل وكانت
العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها ومن خصاء العبيد والوشم والوشر و
اللواط

سورة النساء

اللواط والسحق وغير ذلك مما يطول بيانه وفي الحديث لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات
وذلك لان المرأة تتوصل بهذه الافعال الى الزنا والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا
او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا اي ربا يتولاه ويطيعه من دون الله اي غيره
يعني اجابه الى ما دعاه اليه فقد خسر خسرانا مبينا في الدارين اذ اضيع راس ماله وبدل
مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم اي يوسوسهم بالوعد الكاذب ان لا جنة ولا نار
ولا بعث ولا حشر ويمنيهم ما لا ينالون كطول العمر ونيل الدنيا وما يعدهم الشيطان ذلك
الا غرورا اي الا باطلا وهو يري شيئا يظهر خلافه كاظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا
الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مبتدا اشير به الى اولياء الشيطان
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران مأواهم مبتدا ثان جهنم خبر
للثاني والجملة خبر للاول وانما قال مأواهم جهنم لان الغرور عبارة عن الحالة التي يستحسن ظاهرها
ويحصل الندم عند انكشاف الحال فيها والاستغراق في طيبات الدنيا وفي معاصي الله وان كان
في الحال لذيذا الا ان عاقبته جهنم وسخط الله وهذا معنى الغرور وان شئت معرفتها بالتمام
والكمال فطالع رسالة الغرور للامام الغزالي تدرك ولا يجدون عنها محيصا اي مفرا ومخلصا
ومهربا عنها والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر قوله والذين
مبتدا خبره سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار اي من تحت الغرف والمساكن خالدين فيها
ابدا اي لا ينتهي عمرهم فيها ولا يتغير حالهم الحسنة من النعم بالمستلذات باطمينان القلوب
وعد الله حقا اي وعدهم الله هذا كله وعدا صدقا لا خلف فيه اي وعده وعدا وحق ذلك
حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا اي
قولا استفهام بمعنى النفي اي لا احد اصدق منه والقيل مصدر كالقول والقال قال ابن السكيت
القال والقيل اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وهو توكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة
مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بمجرد امانيكم وشهواتكم ايها المسلمون ولا بمجرد
اماني اهل الكتاب وشهواتهم الباطلة وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم
عن السدي قال التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقالت اليهود للمسلمين نحن خير منكم ديننا
قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان
هودا وقالت النصارى مثل ذلك فقال المسلمون كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم
وقد امرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم فنحن خير منكم نحن على دين ابراهيم واسمعيل واسحاق ولن يدخل
الجنة الا من كان على ديننا فرد الله عليهم قولهم فقال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا
يجز به ثم فضل الله المؤمنين عليهم فقال ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله الاية وعن الحسن ليس
الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا ولو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل واخرج عبد

حميد وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال قالت اليهود والنصارى لا يدخل الجنة غيرنا وقالت قريش
لا نبعث فانزل الله تعالى ليس باما نيكم ولا امانى اهل الكتاب فعلى هذا يكون الخطاب للمشركين وهذا
هو الانسب لما تقدم من قوله تعالى ان يدعون الا اناثا **من يعمل سوء يجز به** عاجلا واجلا
لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما
تصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك رواه احمد وابن حبان وغيرهما قال ابن عباس وسعيد
ابن جبير وجماعة الاية عامة في حق كل عامل الى يوم القيمة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما
نزلت هذه الاية شق على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء فقال منه ما يكون في
الدنيا فمن عمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع
حسنات فويل لمن غلب احاده اعشاره واما ما كان جزاء في الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته
فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله وفي رواية قال
النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر لما شق عليه الاية اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى
تلقوا الله وليست لكم ذنوب واما الاخرون فيجمع ذلك عليهم حتى يجزون به يوم القيمة فان قيل كيف قال من يعمل
سوء يجز به والتائب المقبول التوبة غير مجزي بعمله وكذلك من عمل سيئة ثم اتبعها حسنة لانها مذهبة
لها وماحية بنص القران قلنا المراد من يعمل سوءا ويموت مصرا عليه الثاني ان المؤمن يجازى في الدنيا
بما نصيبه فيها من المرض وانواع المصايب والمحن كما جاء في الحديث والكافر يجازى في الاخرة **ولا يجد له
من دون الله** اي من غيره **وليا** يحفظه **ولا نصيرا** يمنعه منه وهذا وعيد للكفار ولانه
قال بعده **ومن يعمل شيئا من الصالحات** اي بعضها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها
قال ابن عباس اراد بالصالحات الفرايض وعن مسروق قال لما نزلت ليس باما نيكم الاية قال اهل الكتاب
نحن وانتم سواء فنزلت ومن يعمل من الصالحات الى قوله حنيفا فعلى عليهم **من ذكر او انثى** في موضع
الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كاينة من ذكر او انثى ومن للابتداء **وهو مؤمن**
حال شرط اقتران العمل الصالح بحال الايمان تنبيها على انه لا اعتداد بالعمل في استحقاق الثواب المذكور ما لم
يقترن به **فاولئك** اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
باعتبار لفظه **يدخلون الجنة** قرا ابو عمرو وابن كثير وابو بكر عن عاصم هنا وفي مريم واول غافر بضم الياء وفتح
الخاء مبنيا للمفعول والباقون بفتح الياء وفتح الخاء مبنيا للفاعل **ولا يظلمون نقيرا** بنقص شيء من الثواب
واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر
على ذكره عقيب الثواب ثم اشار الى ما عليه اهل الاسلام من الاعتقاد والعمل ردا لمن ادعى باهم مثل المسلمين
في العمل بقوله **ومن احسن** اي احكم **دينا ممن اسلم وجهه لله** اي لا احد احسن ممن انقاد واخلص عمله لله
وحده او بذل وجهه لله في السجود الذي هو اقصى الخضوع او اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وقيل فوض
امره لله وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية **وهو محسن** موحد اتي بالحسنات
تارك للسيئات **واتبع** عطف على اسلم اي ومن احسن دينا ممن اتبع **ملة ابراهيم** اي دين ابراهيم الموافق
لدين الاسلام المتفق على صحته **حنيفا** اي مايلا عن ساير الاديان الى دين الاسلام او مسلما مخلصا وهو حال

من فاعل اتبع او من ابراهيم او الملة قال ابن عباس ومن دين ابراهيم الصلوة الى الكعبة والطواف
بها ومناسك الحج وانما خص ابراهيم بذلك لانه كان مقبولا عند الامم اجمع وقيل لان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث على ملة ابراهيم وزيد له اشياء فاكثر شرعنا تشبه شرعه مع زيادة على شرعه كما هو
ظاهر وكان عليه السلام مخلصا بريئا مما سوى الله تعالى كما هو ظاهر وكان عليه السلام قال اني
بريء مما تشركون ولهذا امرنا باتباعه لقرب شرعنا الى شرعه لا انه ليس لنا شرع سوى شرعه واتباعه
في التصرع فقد نسخ شرعنا بعض شرعه **واتخذ الله ابراهيم خليلا** اي اصطفاه وخصصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وبعبارة اخرى اي اتخذه صفيا والخلة صفاء المودة وانما
اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها
وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان
في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يترافقان في الخصال والجملة اعتراض جي بها للترغيب
في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر اخرج البيهقي في شعب الايمان عن عبد الله
ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام
يا محمد وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس كان ابراهيم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق
يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له
كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل اليه فقال الخليل انه لو كان ابراهيم يريد لنفسه احتملنا
ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابراهيم عليه السلام فمروا ببطحاء
فقالوا انا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جينا بميرة فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة
فملئوا تلك الغراير رملا ثم اتوا ابراهيم عليه السلام فاعلموه وسارة نايمة فاغتم ابراهيم عليه
السلام لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى الغراير ففتحتها
فاذا هو اجود حوارى يكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح
الطعام فقال يا سارة من اين هذا قالت من عند خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله فسماه الله خليلا
وفي رواية فمن يومئذ اتخذه الله خليلا وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن ابا بكر اخي وصاحبي ولقد اتخذ الله
صاحبكم خليلا واخرج الترمذي وابن مردويه عن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم واذا بعضهم يقول ان الله
اتخذ من خلقه خليلا فابراهيم خليله وقال الاخر ماذا باعجب من ان كلم الله موسى تكليما وقال الاخر
فعيسى روح الله وكلمته وقال الاخر ادم اصطفاه الله فخرج اليهم وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم
ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليمه وعيسى روحه وكلمته وادم اصطفاه الله وهو
كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق
الجنة فيفتحها الله فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين يوم القيمة
ولا فخر قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل والخلة الصداقة وسمي خليلا لان الله احبه واصطفاه

وقيل هي من الخَلَّة وهي الحاجة سمي خليلاً اى فقيراً الى الله لانه لم يجعل فقره وفاقته الا الى الله تعالى
والاول اصح لان قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا يقتضي الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين
قال الشيخ والمحبة اصفى لانها من حبة القلب والحبيب افضل لان المحبة لب الخلة وعن جعفر بن محمد قال
اظهر الله اسم الخلة لابراهيم لان الخليل ظاهر في المعنى واخفى اسم المحبة لمحمد صلى الله عليه وسلم لتمام حاله
اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه بل يحب اخفاءه وستره لئلا يطلع عليه سواه ولا يدخل احد فيما
بينهما ولذا قال لنبيه وحبيبه وصفيه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم لما اظهر له حال المحبة قال ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله اى ليس الطريق الى محبة الله تعالى الا باتباع حبيبه ولا يتوسل الى الحبيب بشيء
احسن من متابعة حبيبه وطلب رضاه انتهى فطوبى لمن لم يسلك الا اتباع الحبيب اماتنا الله واحيانا
على اتباع شرعه ودينه وملته وحشرنا الله تحت لوائه **ولله ما في السموات وما في الارض** خلقا
وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء فلم يتخذ ابراهيم خليلا ومحمدا حبيبا لاحتياجه اليهما لخلة الانسان
ومحبته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل انما اتخذه خليلا وحبيبا لمحض الفضل والكرم ان كل من في السموات
والارض الا آتي الرحمن عبدا وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض
وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال **وكان الله بكل شيء محيطا** احاطة علم وقدرة
وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها يعني له ان يتصرف فيهما بما يشاء لكنه راعى مصالح
اهل كل عصر الا انه بكل شيء محيط اى علما وقدرة كما ذكرنا **ويستفتونك في النساء** اى يستخبرونك
ويطلبون منك الفتوى عاد الى ما كان مبنى السورة عليه من احكام النساء بعد ما استطرد من احكام
الجهاد والمنافقين والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلا بد من تقدير
مضاف اى يستفتونك في حكم النساء وميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد
القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت **قل** لهم يا محمد **الله يفتيكم فيهن**
اى قل الله يبين لكم حكمه فيهن على لساني والافتاء تبيين المبهم **وما يتلى عليكم في الكتاب**
اى وما يتلى عليكم في القرآن من آية الميراث يفتيكم ايضا فيهن وبعبارة اخرى اى قل يا محمد الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم وهو الله يفتيكم فيما يتلى عليكم حاصله ان الله يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن
وهو قوله وآتوا اليتامى اموالهم وقوله **في يتامى النساء** اى ما يتلى عليكم في شأنهن اى في ميراث
اليتامى منهن وهذا اضافة الشيء الى نفسه لانه اراد باليتامى هن النساء **اللاتي لا تؤتونهن**
اى لا تعطونهن **ما كتب لهن** اى ما فرض لهن من الميراث فانهم كانوا لا يورثون النساء او من صداقهن
وترغبون ان تنكحوهن اى ترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن او لا تؤتونهن
حقهن من الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء وترغبون ان تنكحوهن اى عن نكاحهن لدمامتهن
اما الاعراب فقوله وما يتلى عطف على اسم الله او على الضمير الراجع الى الله المستكن في يفتيكم فيكون الافتاء
مسندا الى الله والى ما تلي من الكتاب فيما سبق من قوله يوصيكم الله الآية والفعل الواحد ينسب الى
فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه وفي الكتاب متعلق بيتلى او

بحذف وفي اى يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد
بالكتاب اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وان العدل
في الحقوق المبينة في الكتاب من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فاتى
حينئذ بما تلي ما يتلى ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على
القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
لانه عطف على الضمير المجرور بلا اعادة الجار ومعنى لان الفتيا في حكم النساء وميراثهن فلو
عطف ما يتلى على الضمير المجرور يكون داخلا في الفتيا وهذا فاسد لان المراد انه تعالى يفتي فيما سألوه
من المسائل لا انه يفتي في حكم ما يتلى وقوله في يتامى النساء متعلق بيتلى اى ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى
الاخير بدل من فيهن والاضافة بمعنى من اى من يتامى النساء لانها اضافة الشيء الى جنسه وقلنا قبلا
الى نفسه وقرئ بيامى بياء على انه ايامى فقلبت همزته ياء والواو في قوله وترغبون يحتمل الحال
او العطف استدل بعضهم بهذه الآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ولا حجة لهم فيها
لاحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن اذا بلغن اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها
جريان العقد في صغرها ويدل على صحة قولنا ان قدامة بن مظعون زوج ابنة اخيه عثمان
ابن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغب امها في المال فجاءت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قدامة انا عمها ووصي ابيها فقال النبي عليه السلام انها صغيرة ولا تزوج
الا باذنها وفرق بينها وبين عمر **والمستضعفين من الولدان** عطف على يتامى النساء اى
يتلى في حقهم اى في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يعني يفتيكم في المستضعفين من
الولدان وهم الصغار اى اعطوهم حقوقهم لانهم كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء و
يامركم **ان تقوموا لليتامى** اى يتامى النساء حاصله يفتيكم او ما يتلى عليكم في ان تقوموا لليتامى بالقسط
اى بالعدل في مهورهن ومواريثهن فهو عطف ايضا على يتامى النساء اى ويفتيكم الله وما يتلى في ان تقوموا
هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن
اى يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا كما قدرنا وهو خطاب للائمة
في ان ينظروا اليهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة والعدل في شأنهم **وما تفعلوا
من خير** شرط وجوابه **فان الله كان به عليما** فيجازيكم عليه فيكون وعدا لمن
آثر الخير في ذلك **وان امرأة** فاعل فعل يفسره الظاهر **خافت من بعلها** اى توقعت
منه لما ظهر لها من المخايل القولية والفعلية **نشوزا** اى تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة في القول والفعل او بينهما
او اعراضا عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن او دمامة او سوء خلق او ملال
او غير ذلك **فلا جناح عليهما** اى على الزوجين حينئذ **ان يصلحا بينهما صلحا** يعني في
القسمة والنفقة بيانه ان يقول الزوج لها انك قد دخلت في السن واني اريد ان اتزوج امرأة
شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك

وان لم ترض بحقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان فان امسكها
ووفاها حقها مع كراهته فهو المحسن والاية نزلت في عمرة ويقال في خويلة بنت محمد بن مسلمة وفي
زوجها سعد بن ربيع ويقال رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج عليها امراة
شابة وآثرها عليها وجفا ابنة محمد بن مسلمة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه وقيل في
غير ذلك قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بتشديد الصاد بعدها الف يصالحا فابدلت
التاء صادا وادغمت للتخفيف والباقون يصلحا من باب الافعال وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح
والصلح خير يعني اقامتها معه بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسمة
والنفقة او هبة له شيئا تستميله به خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة كما يروى ان
سودة كانت امراة كبيرة فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفارقها فقالت لا تطلقني وانما بي ان ابعث
في نسائك وقد جعلت نوبتي لعائشة فامسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعائشة يومها
ويوم سودة وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما
والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة
له مطبوعة عليه فكانت بحيث لا تنفك عنه فلا تكاد المراة تسمح بحقوقها والرجل يسمح ويجود
بحسن المعاشرة مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها فتحدث بينهما بسبب ذلك منازعة
فالصلح خير والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وان تحسنوا
في العشرة وتصلحوا فيها بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك
مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا اي عليما به فيجازيكم عليه ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على العدل والتسوية بين النساء في ميل القلب
لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه
فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم
بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك
فلا تميلوا كل الميل اي فلا تميلوا الى التي تحبونها كل الميل في القسمة والنفقة اي لا تتبعوا اهواءكم
انها لكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة اخرج ابن ابي شيبة
واحمد وابو داود والترمذي والنسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان
فمال الى احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه ساقط وفي رواية وشقه مائل وفي رواية واحد
شقيه مائل وان تصلحوا بالعدل في القسم يعني كما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا في المستقبل الجور
فان الله كان غفورا كثير الغفران يتجاوز عما سلف مما كان في قلبكم من الميل رحيما اي يرحمكم فلا
يعاقبكم على ما مضى منكم من المخالفة وان يتفرقا وان يفارق كل واحد من الزوجين صاحبه بالطلاق
يغن الله كلا اي كل واحد من الزوجين من سعته اي من غناه ورزقه يعني يغني المراة بزوج اخر
والزوج بامراة اخرى وفيه زجر لهما من المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا فضله وطرق رزقه

٧ يكون بالزوج وتارة بعد به حكيما متقنا في افعاله واحكامه فربما كانت الفرقة
احسن عاقبة لهما وحاصل حكم الاية ان الرجل اذا كان تحته امرأتان او اكثر يجب عليه التسوية
بينهن في القسم فان ترك التسوية بينهن في فعل القسم فقد عصى الله تعالى وعليه القضاء للمظلوم
والتسوية شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لانه يدور على النشاط وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه
حرة وامة يبيت عند الحرة ليلتين وعند الامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات عنده
يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال على التوالي ان كانت بكرا وان كانت ثيبا فثلث ليال
ثم يسوي بعد ذلك بين الكل ولا يجب قضاء هذه الليالي للقديمات بحال ولله ما في السموات وما في
الارض خلقا والمملوكون عبيدا ورقا وهذا تنبيه على سعة فضله وكمال قدرته والحاصل حكمه نافذ
على اهلها يجب عليهم طاعته فيجب على الزوج التسوية بين نسائه الى اخره كما ذكرنا ولقد وصينا
اي امرنا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرنا اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم
في كتابهم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص
واياكم يا اهل القران في كتابكم عطف على الذين ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم
بان اتقوا الله وخافوا عقابه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان
التوصية في معنى القول والمعنى ان هذه التوصية قديمة ما زال الله يوصي بها عباده ولستم بها
مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وقلنا لهم ولكم ان تكفروا بما وصاكم به فان
لله ما في السموات وما في الارض اي فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم
كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم اشار الى عدم الحاجة الى الخلق بقوله
وكان الله ولم يزل غنيا عن الخلق جميعا وعبادتهم حميدا اي محمودا في ذاته حمدوه او لم
يحمدوه ووصيته بالتقوى لمحض الفضل لا للحاجة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل فان لله ملكة
في السموات والارض هم اطوع له منكم واعبد ولله ما في السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة
على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات يدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود بمحض
الجود لانه لو شاء ما اوجدهم من محض العدم وبانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا في ذاته
سواء اوجد الخلق ام لا فهو محمود بالذات سواء اثنوا به او كفروا وكفى بالله وكيلا ربا
فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره وعن ابن عباس يعني شهيدا ان فيهما عبيدا طائعين له اي شهيدا
بانهما وما فيهما له ملكا وخلقا قال السلطان وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من
سعته فان الله تكفل بكفايتهما وما بينهما تقرير لكونه تعالى يغني كل واحد من الزوجين عن الاخر
بعد ان او سعة وقيل وكيلا اي دافعا ومجيرا وحفيظا قال محيي السنة فان قيل اي فائدة في
تكرير قوله ولله ما في السموات وما في الارض قيل لكل واحد منها وجه اما الاول فمعناه ولله ما في السموات
وما في الارض وهو يوصيكم بالتقوى فاقبلوا وصيته واما الثاني فيقول فان لله ما في السموات وما في
الارض وكان الله غنيا اي هو الغني وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون واما الثالث يقول ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره كما فسرنا بذلك ثم هدد

عدل عن وصيته بالتقوى والطاعة فقال ان يشأ يذهبكم يا ايها الناس اى يفنكم
ويهلككم ويستأصلكم بالمرة ويعدمكم يعنى الكفار اوالناس اجمع اوالعاصى منهم ويأت بآخرين
اى بغيركم خيرا منكم واطوع اويوجد انسا آخرين غيركم مكانكم اوخلقا آخرين غيرالانس ومفعول يشأ
محذوف لكونه مضمون الجزاء اى ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الى آخره يعنى ان ابقاءكم
على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم من جميع الوجوه ولعدم تعلق مشيته المبنية
على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه واحتياجه اليكم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك
اى على اعدامكم وايجاد آخرين غيركم قديرا اى قادرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه
وقدرته وتهديد لكل من بيده حكم من الولاة وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب
ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا اى تحصيل الدنيا كالمجاهد
يجاهد للغنيمة والعالم يعلم للدنيا يعنى من يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد به وجه الله عز وجل
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اى تحصيلهما فما له يطلب احدهما دون الآخر والذى يطلبه
اخسهما والمعنى ان اراد ثوابهما فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة
وفى الآخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله
فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شئ او فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده كقوله ومن يرد حرث
الآخرة نزد له الآية وقال محيى الفرض والسنة معناه من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ولا يريد به
وجه الله عز وجل آتاه الله من عرض الدنيا او دفع عنه فيها ما اراد الله وليس له فى الآخرة من ثواب
ومن اراد بعمله ثواب الآخرة آتاه الله من الدنيا ما احب وجزاه الجنة فى الآخرة وكان الله سميعا
للاقوال وباحاديث نفوسكم بصيرا بالافعال الدالة على مطالبهم فيجزيهم على حسب اغراضهم ومطالبهم
وهو وعد ووعيد ثم امر الناس بالعدل ونهاهم عن الجور بقوله يا ايها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط اى كونوا مواظبين على العدل مجتهدين فى اقامته يعنى بالغوا فى العدل فى جميع الامور
مجتهدين فى ذلك حق الاجتهاد وقال ابن عباس كونوا قوالين بالعدل شهداء لله فى الشهادة
بالحق لوجه الله على من كانت يعنى ولو على انفسكم اى ولو كانت الشهادة على انفسكم بان
تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
اى ولو كانت على والديكم فاقيموها عليهم ولا تحابوا غنيا لغناه ورضاه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله
ان يكن اى المشهود عليه او المشهود له غنيا يبتغى فى العرف والعادة رضاه ويتقى عداوته
وسخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غنى او فقير على ان كان تامة وجواب
الشرط محذوف لدلالة قوله فالله اولى بهما عليه وتقديره فلا تمتنعوا عن الشهادة طلبا
لرضى الغنى او ترحما على الفقير فان الله اولى بجنسى الغنى والفقير المدلول عليهما بما ذكر فلولم تكن
الشهادة عليهما او لهما صلاحا لهما لما شرعها ومعنى كونه اولى انه اولى بجنسيهما كونه اولى بجميع الاغنياء والفقراء
ويدل عليه انه قرئ فالله اولى بهم ولا يجوز ارجاع الضمير فى بهما الى ما ذكر ولا الوجب ان يوحد قال

الحسن معناه ان الله اعلم بهما منكم اى بمصالحهما فلا تتبعوا الهوى فى شهادتكم ارادة ان تعدلوا
بان تميلوا عن الحق الى الباطل من العدول وكراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل حاصله اتركوا متابعة
الهوى حتى توصفوا بالعدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين
فقد حصل له الآخر وان تلووا اى وان تحرفوا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل هذا على
معنى قراءة العامة يعنى بلام ساكنة وواوين بعدها اولاهما مضمومة وان وليتم اقامة الشهادة
على قراءة ابن عامر وحمزة يعنى تلوا بلام مضمومة وواو ساكنة او تعرضوا عن اداء الشهادة
فتكتموها ولا تقيموها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا
هذه الآية متصلة بقوله كونوا قوامين بالقسط لان الانسان لا يكون قائما بالقسط والعدل الا اذا كان
راسخا فى الايمان بالاشياء المذكورة فى هذه الآية قال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت هذه
الآية فى عبد الله بن سلام واصحابه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك
وبموسى والتوراة وبعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم بل آمنوا
بالله ورسله محمد والقرآن وبكل كتاب قبله فانزل الله يا ايها الذين آمنوا يعنى بمحمد والقرآن
وبموسى والتوراة آمنوا صدقوا وداوموا على الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والكتاب الذى نزل على رسوله يعنى القرآن والكتاب الذى انزل من قبل اى من
قبل القرآن من التوراة والانجيل والزبور وساير الكتب لان المراد بالكتاب الثانى الجنس فالمعنى
آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان وقيل الخطاب مع المنافقين والتقدير
يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب ويؤيده قوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
وقيل الخطاب مع الذين قالوا آمنوا وجه النهار واكفروا آخره والتقدير يا ايها الذين آمنوا وجه
النهار آمنوا آخره وقيل الخطاب للمسلمين والتقدير يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله اى اثبتوا على
الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فى ذلك طمأنينة ويقينا وقيل يا ايها الذين آمنوا على سبيل التقليد
آمنوا على سبيل الاستدلال وقيل يا ايها الذين آمنوا بالاستدلال الجملية آمنوا بحسب الدلائل التفصيلية
قرأ نافع والكوفيون نزل وانزل على بناء الفاعل وهو الله وابن كثير وابن عامر وابو عمرو على بنائهما
للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير الكتاب وانما قال فى القرآن نزل وفيما قبله انزل لان القرآن
نزل نجما مفرقا فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه و
رسله واليوم الآخر اى ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق
المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه لان الكفر ببعضه كفر بكله كما اشرنا ان الذين آمنوا بموسى
وهم اليهود ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بموسى بعد عوده اليهم ثم كفروا
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام او اراد قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا
على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ما اقاموا عليه ولا ليهديهم
سبيلا اى طريقا الى الحق اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان لانهم اهل
الطبع والختم مستهزئون بالدين والرسل لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم

فان اكثر العلماء ذهبوا الى انه تقبل توبة المرتد وان تكرر منه الارتداد فالتقدير لم يكن الله ليغفر لهم
ما داموا على ذلك كما اشرنا واستدل الامام احمد به على ان من تكرر ارتداده لا تقبل توبته وروي عن
علي كرم الله وجهه انه لا تقبل توبته بل يجب ان يقتل لقوله لم يكن الله ليغفر لهم وخبر كان في امثال
ذلك محذوف تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم **بشر** اي اخبر يا محمد **المنافقين بان لهم
عذابا اليما** وهذا القول يدل على ان الاية نزلت في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر
مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان
انذر تهكما به والبشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان او غير سار وقال الزجاج معناه
اجعل في موضع بشارتك لهم العذاب كما يقول العرب تحيتك الضرب وعتابك السيف اي السيف والضرب
بدلا لك من التحية ثم وصف المنافقين فقال **الذين** بدل او نعت للمنافقين **يتخذون الكافرين اولياء**
اي يتخذون اليهود انصارا وبطانة **من دون المؤمنين** حال من فاعل يتخذون اي يتخذون
الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
فتولوا الكفرة **ايبتغون عندهم العزة** انكار لرأيهم وابطال له يعني لا يجدون عندهم العزة
والنصرة والقوة والمعونة والغلبة على محمد صلى الله عليه وسلم **فان العزة** اي القدرة والقوة والغلبة **لله
جميعا** كما له القوة كذلك في الدنيا والاخرة اي فائدة الحصار جميع افرادها في جنابه عز وجل
بحيث لا يتعزز الا من اعزه الله ولا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة والظهور بقوله
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره تعالى واستحالة الانتفاع به ان ينصركم
الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم **وقد نزل** قرأ عاصم ويعقوب على بناء
الفاعل اي وقد نزل الله **عليكم** الخطاب للمسلمين وقيل للمنافقين كانه قيل تتخذون وهم اولياء وقد
نزل عليكم **في الكتاب** اي في القرآن يعني به ما نزل الله في سورة الانعام واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقرأ الجمهور نزل على البناء للمفعول
والقائم مقام فاعله **ان** المخففة من المثقلة مع ما بعده واسمه ضمير الشان اي انه **اذا سمعتم
ايات الله** اي القرآن وهذا على طريقة قولهم سمعت فلانا يقول فالمسموح هنا استهزاؤهم
وكفرهم بايات الله تعالى الايات والجملة الشرطية خبر ان وقوله **يكفر بها ويستهزأ
بها** حالان من الايات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله **فلا تقعدوا معهم** اي مع
المستهزئين فكان اليهود يستهزئون بالقرآن وهم يسمعونه فلذلك نهاهم عن القعود معهم **حتى يخوضوا**
اي ياخذوا ويشرعوا **في حديث** اي في كلام **غيره** اي غير الكفر والاستهزاء بالقرآن الذي هو
جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه المؤمن هازئا معاندا غير مرجو عنه الايمان ويؤيده الغاية
فان حتى غاية للنهي وهذا تذكار لما نزل بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون الى اخره كما
اشرنا اليه بيان ذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم وهم بمكة فيستهزؤن
به فنهى المسلمين عن القعود معهم ما داموا خائضين وكان المنافقون بالمدينة يفعلون مثل فعل
المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة قال ابن عباس دخل في هذه الاية

كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيمة **انكم اذا مثلهم** في الاثم ان قعدتم معهم وهم
يخوضون ويستهزئون ورضيتم به فانتم كفار مثلهم وان خاضوا في حديث غيره فلا باس
بالقعود معهم مع الكراهية وقال الحسن لا يجوز القعود معهم وان خاضوا في حديث غيره لقوله
واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والاكثرون على القول الاول
واية الانعام مكية وهذه مدنية والمتاخر اولى وفي المدارك ولم يرد به التمثيل من كل وجه فان
خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية قلت والمدار على النية والرضا وعدمه
وفي تفسير جامع الاسرار قال العلماء هذا يدل على من رضي بالكفر فهو كافر اذا كان مع استحسان له
او عدم استقباح بخلاف الرضا بكفر العدو مع استقباحه قصدا الى زيادة عذابه كما قال الله تعالى
حكاية عن موسى واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فليس رضي بالكفر بل دعاء
على العدو باقبح الاشياء مع استقباحه ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر ذلك
كان في الاثم بمنزلة المباشر بهذه الاية وان لم يرض وحضر خوفا وتقية فلا اخرج ابن جرير وابن
المنذر عن ابي وائل قال ان الرجل ليتكلم في المجلس بالكلمة من الكذب او الغيبة ليضحك به جلساءه
فيسخط الله عليهم جميعا فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال صدق ابو وائل اوليس ذلك في كتاب الله
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ثم هدد الخائضين المستهزئين بالنفاق
بقوله **ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء
انه سائق على كفرهم ونفاقهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل
وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني
كقوله مثل ما انكم تنطقون ثم اخبر عن المنافقين بقوله **الذين** بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين
والكافرين او منصوب او مرفوع على الذم او مبتدا وخبره فان كان لكم فيما بعد **يتربصون بكم** اي ينتظرون
وقوع امر **بكم** من الدوائر والدواهي او ينتظرون لكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق **فان كان
لكم فتح من الله** اي ظفر بالكفار وغلبة عليهم **قالوا الم نكن معكم** في الجهاد والقتال
شاركونا في الغنيمة كما شاركنا في القتال **وان كان للكافرين نصيب** من الظفر على المسلمين وسمي
ظفر المسلمين فتحا تعظيما للمؤمنين ولفتح ابواب السماء بالرحمة حين الظفر وسمي ظفر الكافرين نصيبا
لانه حظ دنيوي ينقضي ولا يبقى منه الا اللؤم في الدنيا والعقوبة في الاخرى **قالوا** اي المنافقون
للكافرين **الم نستحوذ عليكم** اي الم نغلبكم ونستولي عليكم ونتمكن من قتلكم حين كان الظفر
للمسلمين وكنا قادرين على قتلكم وقد ابقينا عليكم او الم نطلعكم على سرهم ونخبركم عن حالهم بالارسال
اليكم اضبارهم واستحدثتم لهم برحمة منا لكم والاستحواذ الغلبة والاستيلاء وجاء الفعل على الاصل
اي بدون قياس مطرد يقال استحاذ واستحوذ **ونمنعكم من المؤمنين** اي الم نخذلهم
عنكم ونثبطهم بان ناخذ لنا المسلمين بتخييل ما ضعفت به قلوبهم بان حسبنا لهم
شوكتكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم قال
الله تعالى **فالله يحكم بينكم** ايها المؤمنون والمنافقون **يوم القيامة** بان يدخل المؤمنين الجنة

والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا اذا قامت القيمة او في
الدنيا والمراد بالسبيل الحجة اي السيادة والسلطنة والولاية واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر
المسلم وعلى ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه بدار الحرب لم يملكه وعلى ان المسلم لا يقتل بالذمي
واحتجت الحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون للمرتد سبيل على الحق
اذا عاد الى الاسلام قبل مضي العدة قال يسيع الحضرمي كنت عند علي رضي الله عنه فقال له رجل يا امير المؤمنين
ارايت قول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا احيانا فقال علي ذلك
يوم القيامة وقال عكرمة عن ابن عباس اي حجة وقيل ظهورا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
الشيخ يعني سبيلا اي طريقا بالاستيصال وقال السدي سبيلا في الدنيا ان المنافقين يخادعون الله
وهو خادعهم اي يعاملونه معاملة المخادع وهو مجازيهم على خداعهم وذلك انهم يعطون نورا
يوم القيمة كما يعطى المؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفى نور المنافقين فذلك قوله وهو خادعهم
وقد فسرنا مرة اخرى في اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلاة اي المنافقين قاموا كسالى
اي متثاقلين كالمكره على الفعل لا يريدون بها وجه الله فان راهم احد صلوا والا انصرفوا ولم يصلوا
قرا كسالى بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن الناس اي يقصدون بهم اعمالهم ليحسبوهم
مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم من الرؤية او للمقابلة فان المرائي يري من
يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا وهو في العلانية لوجوه الناس دون
السر اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان وهو قليل
بالاضافة الى الذكر وقيل المراد بالذكر اي لا يذكرونه في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم قال
ابن عباس والحسن ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقال قتادة انما قل ذكر المنافقين
لان الله تعالى لم يقبله وكل ما قبله الله فهو كثير مذبذبين بين ذلك اي مترددين متحيرين
يردهم الشيطان بين الايمان والكفر بتسويلاته فهو حال يراؤن اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين
والذبذبة جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرى بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او
دينهم وقرى بالدال المهملة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريق لا الى هؤلاء
اي ليسوا مؤمنين فيجب لهم ما يجب للمؤمنين ولا الى هؤلاء اي وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم
ما يؤخذ من الكفار او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ولذلك قيل هم اخبث طريقة من الكفار لان
الله تعالى ذم الكافرين في اول سورة البقرة في ايتين وذم المنافقين في تسع عشرة اية لانهم عدلوا عن
الكفر الى ما هو اخبث من الكفر لانهم ضموا الى كفرهم الاستهزاء والسخرية بالمسلمين ولهذا مقامهم الدرك
الاسفل من النار كما ياتي قريبا قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى
هذه مرة والى هذه مرة ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق
والصواب لعدم استعداده للهداية والتوفيق ونظيره قوله عز وجل ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور ثم لما ذم المنافقين على الذبذبة نهى المؤمنين عن موالات الكفار ظاهرا وباطنا فقال
يا ايها الذين امنوا بلسانهم وقلوبهم بالاخلاص التام لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون

المؤمنين

المؤمنين فانه من صنيع المنافقين ودينهم فلا تشبهوا بهم ثم اكد النهي بقوله اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم لاجل موالات المنافقين سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة على النفاق
لتعذيبكم في الاخرة لان موالات الكفار تشهد على النفاق فيكون حجة بينة على التعذيب ثم بين
مستقر المنافقين في الاخرة فقال ان المنافقين في الدرك وهو الطبقة التي في قعر جهنم الاسفل
من النار قرا الكوفيون بخلاف عن عاصم الدرك بسكون الراء والباقون بفتحها وسميت طبقات
النار دركات لان بعضها متداركة لبعض اي متتابعة وقال الضحاك الدرج اذا كان بعضها فوق بعض
والدرك اذا كان بعضها اسفل من بعض قال ابن مسعود الدرك الاسفل من النار توابيت من حديد
مقفلة في النار وقال ابو هريرة الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وفي
جامع الاسرار فان قيل قال الله في صفة المنافقين انهم في الدرك الاسفل من النار وقال في حق ال فرعون
واصحابه ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فايهما اشد عذابا المنافقون ام ال فرعون قلنا يحتمل ان
اشد العذاب انما يكون في الدرك الاسفل وقد اجتمع فيه الفريقان وفي عينية ضحناد ذكره ان فرعون
تحت ابي جهل بن هشام وانما كان المنافقون اشد عذابا من الكفار لانهم مثلهم في الكفر وضموا اليه نوعا اخر
من الكفر وهو الاستهزاء بالاسلام والخداع باهله وايضا لانهم يظهرون الاسلام ليتمكنوا من الاطلاع
على اسرار المؤمنين ثم يخبرون الكفار بذلك فتتضاعف المحنة واما قوله عليه السلام ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن
خان رواه مسلم ونحوه فمن باب التشبيه البليغ والتغليظ مبالغة في الزجر اي هو كالمنافق ولن تجد
لهم نصيرا مانعا من العذاب او ناصرا يخرجهم منه ثم استثنى التائبين من النفاق بقوله الا الذين تابوا
من النفاق وامنوا وهذا استثناء من المنافقين او من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم و
اعمالهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم من
الريا لله اي جعلوه خالصا لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه اراد بالاخلاص الاخلاص بالقلب لان
النفاق كفر القلب فزواله باخلاص القلب قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا
رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن المحارم فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين فيما
يؤتونه قال الفرا يعني من المؤمنين حاصل المعنى اولئك مع المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر منهم نفاق
اصلا منذ امنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات العاليات من الجنة وقد بين الله ذلك بقوله
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ثم استفهم مقررا
انه لا يعذب المؤمن الشاكر فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم نعمه وامنتم به وفيه تقديم
وتاخير اي ان امنتم وشكرتم لان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ومعناه انه لا يعذب المؤمن الشاكر
فان تعذيبه عباده لا يزيد في ملكه وتركه عقوبتهم على فعلهم لا ينقص من سلطانه والشكر ضد
الكفر فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها قال السلطان ومعناه ايتشفى به غيظا او يدفع ضررا
او يجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب العاصي بكفره لان اصراره عليه
كسوء مزاج يؤدي الى المرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونفى عنه نفسه خلص من تبعته وانما قدم الشكر

لان الناظر يدرك النعمة اولاً ثم يشكر شكراً مبهماً ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله
شاكراً اى مثيباً يقبل اليسير ويعطى الجزيل فان الشكر هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف
الثواب بمقابلته فعلم ان الشكر من العبد الطاعة ومن الله تعالى الثواب عليها عليماً بحق شكركم
وايمانكم او مبالغاً فى العلم بجميع المعلومات التى من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفى اجوركم
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول القبيح ولا غير الجهر ولكن الجهر افحش الا من ظلم
اى الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم
ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله
فلا حرج عليه لقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل روى ان رجلاً اضاف قوماً
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت قال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم
يعتد المظلوم وقال مجاهد هذا فى الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان
يشكو ذلك ويذكر ما صنع به وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغى للضيف
فاقبلوا فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم وقرأ الضحاك بن مزاحم وزيد بن اسلم
الا من ظلم بفتح الظاء واللام معناه لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقيل معناه لا يحب الله
الجهر بالسوء لكن يجهره من ظلم والقراءة الاولى هى المعروفة وكان الله سميعاً لدعاء المظلوم وكلامه
عليماً بعقاب الظالم ان تبدوا خيراً اى ان تظهروا طاعة وخيراً من اعمال البر كان جهر السوء
مخصوصاً احساناً الى المسىء او تخفوه اى تفعلوا الخير سراً خصوصاً الاحسان الى المسىء او تعفوا
عن سوء اى عن ظلم مع ما سوغ وجوز لكم من مؤاخذة المسىء والتنصيص على العفو مع اندراجه فى
ابداء الخير واخفائه لما انه المقصود وذكرهما توطئة وتمهيد له ولذلك رتب عليه قوله فان
الله كان ولم يزل عفواً اى يكثر العفو عن الآثام والعصاة قديراً اى مع كمال قدرته على
الانتقام فانتم اولى بالعفو فعليكم ان تقتدوا بسنته وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص
له فى الانتصار والانتقام حملاً على مكارم الاخلاق ثم لما ذكر قبائح المنافقين شرع فى ذكر قبائح الكفار
المجاهرين اى اليهود فقال ان الذين يكفرون بالله المنعم فضلاً عن الاعتراف بنعمه
ورسله الذين هم اعظم وجوه نعمه وقوله بالله توطئة لرسله بدليل قوله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله اى بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله والمراد بالتوطئة بيان ان الكفر بالرسل
كفر بالله فالتفريق خطأ ظاهر اذ لا واسطة بين الكفر والايمان ويقولون نؤمن ببعض من الرسل
ونكفر ببعض منهم معناه نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من
نبى من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقيقة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمن كفر بواحد منهم فقد كفر
بالكل وبالله تعالى ايضاً من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين الكفر
والايمان سبيلاً اى طريقاً يسلكونه ويذهبون اليه يعنى ديناً بين اليهودية والاسلام ومع انه لا وسط
بين الكفر والايمان اذ الحق لا يختلف فما بعد الحق الا الضلال وشبهتهم انهم كانوا يزعمون ان تصديق

الكل افراط وتكذيب الكل تفريط وخير الامور اوسطها وهو انما يتصور حيث يكون وسط وطرفان
وههنا لما تساوقا فى المعجزة والدعوة الى الحق والقيام بالخيرات فى انفسهم كان الكفر بواحد كفراً بالكل
بل كفراً بالله تعالى اذ يلزم عليه ان يعتقد فيه انه صدق الكاذب بخلق المعجزات واظهارها على يديه
اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة الذميمة هم الكافرون الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقاً اى هم الذين كفروا كفراً حقاً اى يقيناً ثابتاً محققاً فهو مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله اى
حق ذلك حقاً او صفة لمصدر الكافرين كما قلنا هم الذين الخ واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً اى ذا
اهانة هو عذاب النار ولما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال والذين آمنوا بالله
ورسله اى كلهم ولم يفرقوا بين احد منهم اى من الرسل وهم المسلمون يقولون لا نفرق بين
احد من رسله وكان الكفرة يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون بآخرين وانما دخل بين على احد لانه عام
فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما من حيث انه وقع فى سياق النفى اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة المذكورة سوف نؤتيهم اجورهم بايمانهم بالله وكتبه ورسله قرأ حفص عن
عاصم يؤتيهم بالياء وقرأ الباقون بالنون وكان الله غفوراً لاوليائه لما فرط منهم رحيماً
باهل طاعته بتضعيف حسناتهم والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد مرتكب الكبيرة لانه
تعالى اخبر ان من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم يؤتيه اجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله
ورسله ولم يفرق بين احد منهم فيدخل تحت الوعد يسألك يا محمد اهل الكتاب الآية وذلك
ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبياً
فأتنا بكتاب جملة من السماء كما اتى به موسى فانزل الله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم
كتاباً من السماء قرأ الجمهور بالتشديد وبالتخفيف مكى وابو عمرو ارادوا بالكتاب كتاباً محرراً
بخط سماوى على الواح كما كانت التوراة او كتاباً نعاينه حين ينزل او كتاباً الينا باعياننا بانك رسول
الله وكان هذا السؤال منهم تحكماً واقتراحاً لا سؤال انقياد واسترشاد والله تعالى لا ينزل الآيات
على اقتراح العباد قال الحسن ولو سألوه مسترشدين لاعطاهم لان انزال القرآن جملة ممكن
والمقصود من الآية بيان ما جبلوا عليه من التعنت فقد سألوا موسى اكبر من ذلك
جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اعظم منه ويحتمل ان يكون
الفاء عاطفة على جملة محذوفة تقديره لا تبال يا محمد بسؤالهم فانه عادتهم فقد سألوا موسى اعظم
من ذلك وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين
لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم
فقالوا يعنى السبعين الذين خرج بهم موسى الى الجبل ارنا الله جهرة عياناً كما يرى بعضنا
بعضاً وجهرة منصوب على انه حال من الفاعل اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم
الصاعقة اى الموت عقاباً لهم او نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها فلا تدل على ان الرؤية غير جائزة للمؤمنين فى الآخرة
ولا على ان سؤالها للتعنت بل لطلب تبين الحق منكر وباطل لانها ممكنة كما ان انزال القرآن جملة ولو كان

ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك احق لان حسنات الابرار سيئات المقربين فانه
قال رب ارني انظر اليك وما اخذته الصاعقة بل اطمعه الله تعالى وقيده بالممكن ولا يتعلق
بالممكن الا ما هو ممكن الثبوت مع ان قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وغيره من
الايات والاحاديث فدلائل دالة على وقوع الرؤية في الاخرة **ثم اتخذوا** اي الهاً **العجل** يعني
اتخذوه الهاً **من بعد ما جاءتهم البينات** اي المعجزات التي اظهرها لفرعون عدو الله من
العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغير ذلك لا التوراة لانها لم تنزل قبل اتخاذهم العجل **فعفونا**
عن ذلك بعد توبتهم والمراد بالعفو عن عبادة العجل انه تعالى لم يستأصلهم بجمعهم حين عبدوا
العجل بل امرهم بالتوبة فتابوا عنها فهذا استدعاء الى التوبة لخلف عبدة العجل معناه ان اولئك الذين
اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم حتى نعفو عنكم **وآتينا موسى سلطانا مبينا** اي تسلطا
ظاهراً عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل فاطاعوه وسلموا انفسهم
للقتل فقتل من قتل تائباً مغفوراً ثم وقع العفو عن الباقين منهم وقال محيي السنة هي الايات
التسع **ورفعنا فوقهم الطور** اي قلعنا الجبل فوقهم كانه ظلة **بميثاقهم** اي بسبب ميثاقهم
ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها
اخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة ورفعنا فوقهم الطور قال جبل كانوا في اصله فرفعه الله
فجعله فوقهم كانه ظلة فقال لتاخذن امري او لارمينكم به فقالوا ناخذه فامسكه الله عنهم
او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا
عن النقض وهو الانسب بما سياتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا **وقلنا لهم** على
لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم **ادخلوا الباب** قال قتادة كنا نتحدث انه باب
من ابواب بيت المقدس وقيل هو باب اريحا **سجدا** اي منحنين خاضعين متطامنين عند الدخول
رؤوسكم واصلابكم **وقلنا** على لسان داود **لهم لا تعدوا** اي لا تظلموا باصطياد
الحيتان يعني لا تستحلوا اخذ السمك **في** يوم **السبت** ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل
الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام قرأ
اهل المدينة بتشديد الدال وفتح العين وقرأ نافع برواية ورش لا تعدّوا اذ اصله لا تعتدوا فادغمت
التاء في الدال وقرأ الباقون بسكون العين وتخفيف الدال من عدا يعدو كغزا يغزو **واخذنا**
منهم على هذه الاحكام **ميثاقا غليظا** اي عهدا مؤكدا غاية التاكيد وهو قولهم سمعنا
واطعنا فنقضوه **فبما نقضهم ميثاقهم** الفاء فصيحة والباء سببية متعلقة بمحذوف
وما مزيدة لتاكيد مضمون الكلام والتقدير فخالفوا عهدهم المؤكد ونقضوه ففعلنا بهم ما فعلنا
من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم وروي انهم اعتدوا
في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلق بما ياتي قريبا اعني حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم فيكون التحريم بسبب النقض وبسبب ما عطف على النقض من قوله
وكفرهم وقتلهم وقولهم قلوبنا غلف فقوله فبظلم من الذين فيلزم ان يكون التحريم بسبب الكل ولا يخفى

ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم بهتانا متأخر عن التحريم وفيه بعد يعني في تعلق الباء بحرمنا
بعد لانه لا يمكن ذلك الا اذا جعل فبظلم من الذين هادوا ابدالا عن قوله فبما نقضهم وفيه بعد لطول
الفصل ولا ابدال الجار والمجرور مع الفاء ولا يجوز ان تكون الباء متعلقة بمحذوف دل عليه قوله بل طبع الله مثل
لا يؤمنون لان بل رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور السابق
اعني نقضهم فلا يعمل في جاره الذي هو باء فبما نقضهم **وكفرهم بآيات الله** اي بالقرآن او بما في كتابهم **و**
قتلهم الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما **بغير حق** اي بغير سبب يستحقون القتل مع علمهم انه بغير حق **وقولهم**
قلوبنا غلف اي ويقولهم قلوبنا ذات غلاف فلا نفقه حديثك وقرأنا في اكنة مما تدعونا اليه وهي جمع
اغلف يعني هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد من الذكر والوعظ او هو تخفيف
غُلُف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطا وقال الكلبي
يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا **بل طبع**
الله عليها بكفرهم اي بل ختم الله على قلوبهم وخذلها بسبب كفرهم ومنعها التوفيق والالطاف للتدبر
في الايات والتذكر بالمواعظ فصارت كالمطبوع عليها لا انها مخلوقة بالخلقة لا تقبل الذكر والايمان فهي
رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف وهو كلام معترض جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد
فلا يؤمنون الا قليلا من كذب الرسل الا من طبع على قلبه وختم لان من طبع الله على قلبه وختمه لا
يؤمن ابدا واراد بالقليل عبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه **وبكفرهم**
بعيسى عليه السلام معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع
هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى
ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام **وقولهم** اي قول اليهود **على مريم** البتول العذراء **بهتانا**
عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقذفها بيوسف بن ماثان خادم بيت المقدس فانكار اليهود قدرة الله
على خلق الولد من غير اب وكذا انكارهم نبوة عيسى عليه السلام كفر ونسبتهم مريم الى الزنا بهتان عظيم
لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دل على براءتها من كل سوء وعيب فلهذا وصف الله
تعالى طعن اليهود فيها بانه بهتان عظيم ووصف طعن المنافقين في الصديقة الحنيفة بنت الصديق
رضي الله عنهما بانه بهتان عظيم حيث قال سبحانك هذا بهتان عظيم فدل ذلك على ان الطاعنين في عائشة بمنزلة
اليهود الذين يطعنون في مريم قاتلهم الله فانى يؤفكون وقد ذكر شيخنا مشابهتهم باليهود في كتابه الغنية
فراجعه **وقولهم** اي قول اليهود **انا قتلنا المسيح** سمي مسيحا لان جبريل عليه السلام مسحه
بالبركة فهو ممسوح او لانه يمسح المريض والاكمه والابرص فيبرأ فسمي مسيحا بمعنى الماسح **عيسى ابن مريم**
رسول الله وصفوه بالرسالة تهكما واستهزاء كقول فرعون لعنه الله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
ويحتمل ان يكون استئنافا من الله بمدحه او وصفا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح رفعا لقدره وعيسى بدل
من المسيح او عطف بيان وكذلك ابن مريم ويجوز ان يكون صفة ايضا [illegible]
الثالثة ثم كذبهم الله في دعواهم بقوله **وما قتلوه وما صلبوه** تخصيص بعد تعميم او نفي لما ظنوا من
انهم قتلوه ثم صلبوه **ولكن شبه لهم** روي ان رهطا من اليهود سبّوه وامه فدعا عليهم فقال

اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبّني وسبّ والدتي فمسخهم الله قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه
شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان
رجلا منافقا فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس
وزير ملك اليهود بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ
وصلب وقيل غير ذلك وقد مضى من قصته في سورة آل عمران وشبه مسند الى الجار والمجرور وهو لهم
كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه او مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كانه
قيل ولكن شبه لهم من قتلوه **وان الذين اختلفوا فيه** اى في شان عيسى عليه السلام فانه
لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقيل المختلفون هم اليهود فانهم لما قتلوا الشخص المشبه به نظروا
الى بدنه وقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين
هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوتيته لا من جهة لاهوتيته
ومن هذه الامة من ذهب الى مذهبهم بقولهم ان الرب من وجه دون وجه يدعي اللاهوتية والناسوتية
ووصف الوجود بهذا الوجه ظهر الله والجماد والبلاد منهم وهو قريب من قول الحكماء ان القتل والموت
يرد على الهيكل لا على النفس المجرد وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المطلوبين ان نفسه كانت
قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم تالمها بسبب القتل وتخريب البدن
وقالت الملكانية القتل وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية القتل
والصلب وقعا للمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين قال الكلبي اختلافهم فيه هو ان اليهود
قالوا نحن قتلناه وقالت طايفة من النصارى نحن قتلناه وقالت طايفة منهم ما قتله هؤلاء
ولا هؤلاء بل رفعه الله تعالى الى السماء ونحن ننظر اليه قلت وهم الذين سمعوا من عيسى بان الله يرفعني
الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت وهذا قول النسطورية ايضا بهذه العبارة وقال
بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا لانه
قيل ان الله تعالى القى شبه وجه عيسى على وجه ططيانوس ولم يلق على جسده **لفي شك منه**
اى لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكده بقوله **ما لهم به** اى بقتل عيسى **من علم** اى من حقيقة انه قتل **الا اتباع الظن**
استثناء منقطع لان الظن ليس من جنس العلم ولكنهم يتبعون الظن في قتله ويجوز ان يفسر الشك بالجهل
والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء ولان الظن من جنس مطلق
الاعتقاد فان قيل ان اتباع الظن مذموم والقياس من اتباع الظن وقد ذم الله الكفار في سورة الانعام
كما سياتي ان شاء الله بقوله ان يتبعون الا الظن وقال ان الظن لا يغني من الحق شيئا والجواب لا نسلم ان العمل بالقياس
من اتباع الظن فان الدليل القاطع لما دل على العمل بالقياس كان الحكم المستفاد من القياس معلوما لا مظنونا
وما قتلوه يعني عيسى **يقينا** اى قتلا يقينا او ما علموا امر قتل عيسى على وجه التيقن به فيقينا حال او ذلك

لنفي القتل فهو تهكم بهم **بل رفعه الله اليه** وفي المدارك الى حيث لا حكم فيه لغير الله او الى السماء
وفي جامع الاسرار رفعه الله الى السماء التي هي محل كرامة الله تعالى فيكون هذا ردا وانكارا لقتله واثباتا
لرفعه واحتجت المشبهة به في اثبات الجهة وحديث المعراج ينادي عليهم بالانكار قال الله تعالى ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية وكانت الهجرة في ذلك الوقت الى المدينة والى الله ترجع
الامور واليه ترجعون واليه تحشرون واليه يرجع الامر كله وقال ابراهيم اني ذاهب الى ربي **وكان
الله عزيزا** لا يغلب فيما يريده يعني في الانتقام من اليهود وغيرهم ممن يخالف امره **حكيما**
فيما دبر لعيسى من رفعه الى السماء وفي جميع صنعه ومن حكمته انه سلط على اليهود ططيانوس بن
اسبيسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة **وان ما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن
به** اى بعيسى **قبل موته** اى قبل موت اهل الكتاب اى قبل زهوق روحه يعني حين يعاين ملك
الموت فلا ينفعه ايمانه او قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة فيؤمن به اهل الكتاب في ذلك الزمان
كما ورد في حديث توضيح المعنى والله ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف والضمير في به لعيسى
وفي قبل موته لاحد المقدر لعيسى على الراجح بانه فرى الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في
معنى الجمع روي عن ابن عباس انه قال لا يموت كتابي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته فقال له
عكرمة ارايت ان خر من بيت او احترق او اكله سبع قال لا يموت حتى يحرك بالايمان بعيسى شفتيه
وروي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى
يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك ان ينزل
فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله
احد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم
يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه رواه الحاكم وصححه موقوفا وابو داود وابن حبان مرفوعا
واخرج البخاري في تاريخه عن عبد الله بن سلام قال يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحبيه فيكون قبره رابعا واخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته قال اذا نزل عيسى فقتل الدجال لم يبق يهودي في الارض الا امن به فذلك حين لا ينفعهم
ايمانهم وذهب قوم الى ان الهاء في قوله قبل موته كناية عن عيسى معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
بعيسى قبل موته وذلك قبل نزوله من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد الا امن به حتى تكون الملة واحدة
ملة الاسلام وروي عن عكرمة ان الهاء في قوله ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت
كتابي حتى يؤمن بمحمد عليه السلام قال في جواهر الحسان وبعد نزول عيسى عليه السلام ترجع الاديان
كلها واحدا برجوعها الى دين محمد عليه السلام اذ عيسى واحد من امته وعلى شريعته ولهذا امثال
كما ورد في الحديث الصحيح انتهى اخرج احمد والبخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم قال الشيخ وكان عيسى نبيا الى ان بعث محمد صلى الله عليه

فلما رُفع الى ربه فلا يلزم عزله ولكن لا يبعد ان يصير بعد نزوله تابعا لمحمد عليه الصلاة والسلام
كما اشار عليه السلام الى مضمون هذا المعنى بقوله ولو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فلا يحتاج
الى ما ذهب اليه المتكلمون بان نزوله ينبغي ان يكون عند ارتفاع التكاليف او بحيث لا يعرف انه عيسى **ويوم**
القيمة يكون اى عيسى **عليهم** اى على اهل الكتاب **شهيدا** اى فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى
النصارى بانهم دعوه وسموه ابن الله **فبظلم** معطوف على قوله تعالى فبما نقضهم ومتعلق بقوله
حرمنا بعد اى بظلم عظيم اعني عبادة العجل وقد مر بان الله تعالى قد تاب عليهم **من الذين هادوا** اى
من اليهود وفي بعض التفاسير ولعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه
بعد ما هادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة بقتل النفوس كما ذكرنا قال محيي
السنة وظلمهم ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم بايات الله وبهتانهم على مريم وقولهم انا
قتلنا المسيح **حرمنا عليهم** على اليهود **طيبات احلت لهم** من المطاعم وغيرها وتلك الطيبات
المحرمة هي التي ذكر في سورة الانعام في قوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وحرم
عليهم الالبان قال الامام وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم الله عليهم بعض ما ذكرنا وما في سورة
الانعام وهذا اعني **وبصدهم** اى وبمنعهم وصرفهم الناس **عن سبيل الله** عن دينه **صدا**
كثيرا اى ناسا كثيرا فان قلت ولا صد عن سبيل الله قلنا ابتداء التحريم كان بظلم منهم لقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل واستمراره من الظلم الحادث فالمراد هنا استمرار التحريم الا يرى الى قوله
تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم في نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه في التوراة وكان الربا محرما في ساير الشرايع كما هو محرم علينا
وفيه دليل على ان النهي يفيد التحريم عند عدم الصارف وخص الاخذ وان كان المعطي ايضا
اثما لكونه اعظم جرما منه **واكلهم اموال الناس بالباطل** اى بالرشوة وساير الوجوه المحرمة
فهذا من عطف العام على الخاص **واعتدنا** عطف على حرمنا **للكافرين منهم** اى المصرين على
الكفر دون من تاب وامن **عذابا اليما** اى مولما او سيذوقونه في الاخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة
التحريم **لكن الراسخون في العلم منهم** المبالغون اى لكن الثابتون في العلم المتقنون
المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد بالراسخين عبد الله بن سلام واصحابه
نقوله لكن استدراك من قوله اعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا **و**
المؤمنون منهم او من المهاجرين والانصار **يؤمنون** خبر الراسخون اى يصدقون **بما انزل اليك**
يعني القرآن **وما انزل من قبلك** يعني ساير الكتب المنزلة **والمقيمين الصلوة** منصوب على
المدح لبيان فضل الصلوة ان جعل يؤمنون الخبر اى للراسخين لا اولئك او معطوف على ما انزل
اليك والمراد بهم الانبياء حينئذ اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ والمقيمون بالرفع عطفا على الراسخون
او بالضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم قال محيي السنة اختلفوا في وجه نصب
قوله والمقيمين الصلوة فحكي عن عائشة رضي الله عنها وابان بن عثمان انه غلط من الكاتب ينبغي ان يكتب
ويكتب والمقيمون وكذلك قوله في سورة المائدة ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله ان هذان

لساحران قالوا ذلك خطأ من الكاتب وقال عثمان رضي الله عنه ان في المصحف لحنا وستقيمه
العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة
واهل العلم على انه صحيح واختلفوا فيه قيل هو نصب على المدح او بتقدير اعني المقيمين الصلوة وهم
المؤتون الزكوة وقيل موضعه خفض ومعناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة
وقيل يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة **والمؤتون الزكوة** رفعه لاحد الوجوه
المذكورة **والمؤمنون بالله واليوم الاخر** عطف على والمؤتون قال الشيخ والمراد بالكل اي
بالمعطوفين والمعطوف عليهم مؤمنوا اهل الكتاب وصفوا بكونهم راسخين وبكونهم مؤمنين
بجميع الكتب المنزلة على الانبياء وبكونهم عاملين بما فيها من الشرايع والاحكام **اولئك** الموصوفون
بما عدد من الصفات الجميلة **سنؤتيهم اجرا عظيما** هو الجنة على جمعهم بين الايمان الصالح
والعمل الصالح وقرئ سنؤتيهم بالنون للجمهور وحمزة بالياء **انا اوحينا اليك** جواب لاهل
الكتاب عن اقتراحهم ان تنزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير
الانبياء يعني لم يتوقف نبوتهم على نزول كتاب دفعة فانت مثلهم ويكفي في اثبات النبوة ظهور
نوع من المعجزات وبدأ بذكر نوح عليه السلام بقوله **كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده**
اى بعد نوح كهود وشعيب وصالح وغيرهم اى اوحينا اليك ايحاء مثل ايحائنا الى نوح لانه ابو البشر
مثل آدم واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم
دعوته يعني اهلك الله اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في
نفسه لانه عمر الف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعرة ولم تنقص له قوة ولم يصبر احد
على الاذى من قومه ما صبر على طول عمره وقيل سبب نزول هذه الاية قول بعض احبار اليهود ما انزل
الله على بشر من شيء فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم **واوحينا الى ابرهيم** اى واوحينا اليك
كما اوحينا الى ابراهيم **واسمعيل واسحق** وهما ابنا ابراهيم **ويعقوب** وهو ابن اسحاق **والاسباط**
وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر سبطا فامرنا انبياءهم بالوحي لان يثبتوا على التوحيد ويدعوا الناس
اليه **وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان** اى اوحينا اليهم كذلك خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون اشراف الانبياء و
مشاهيرهم كذا في جامع الاسرار **واتينا داود زبورا** اى صحفا مكتوبة اذا كان بضم الزاي ونفتح
الزاي اسم لكتاب داود عليه السلام قال القرطبي الزبور كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس
فيها حكم ولا حلال ولا حرام وانما هي المواعظ والتحميد والثناء على الله وكان حسن الصوت وكان يبرز
الى البرية فيقوم العلماء خلفه ويجتمع اليه الجن والانس والدواب والطيور لحسن صوته وكان متواضعا
ياكل من عمل يده وكان يضع الدروع واعلم انه تعالى ذكر في هذه الاية اثني عشر نبيا ولم يذكر موسى معهم لان
اليهود قالوا ان كنت يا محمد نبيا فاتنا بكتاب من السماء دفعة واحدة كما اوتي موسى بالتوراة دفعة
واحدة فاجاب عن هذه الشبهة بان هؤلاء الانبياء كانوا انبياء ورسلا مع انه ما جاء منهم لم يات
بكتاب مثل التوراة دفعة واحدة واذا كان المقصود من تعديد هؤلاء الانبياء هذا المعنى لم يجز ذكر موسى

معهم عن ابي بردة ابن ابي موسى عن ابيه انه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال داود قلت اما والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته تحبيرا قال وكان عمر رضي الله عنه اذا راه قال ذكرنا يا ابا موسى فيقرا عنده **ورسلا** قيل منصوب على الاشتغال لوجود شرايطه اي وقصصنا رسلا والمعنى على حذف المضاف اي قصصنا اخبارهم فيكون قد قصصناهم عليك لا محل له لانه مفسر لذلك العامل المضمر فتكون الجملة معطوفة على قوله واتينا داود زبورا والذي عليه اهل التحقيق ان يكون نصبه باضمار فعل اي وارسلنا رسلا وذلك ان الاية نزلت رادة على اليهود في انكارهم ارسال الرسل وانزال الوحي يدل عليه واوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا انه منصوب بما يفسره قوله **قد قصصناهم عليك** اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله **من قبل** متعلق بقصصنا اي من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك** عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا كما قلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه عليه السلام وبين شئون من يعترفون بنبوته من الانبياء في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله انا اوحينا اليك منتظم لمعنى اتيناك وارسلناك حتى كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده واتيناك الفرقان ايتاء مثل ما اتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا اخرين لم نقصصهم قال الشيخ وربما يحصل لهم بالالهام بلا مطالعة من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسالونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور ذلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير مثله في الثاني وذلك ابين استحالة واظهر بطلانا كذا ذكره ابو السعود واجاد وذكر الشيخ الامام جلال المحلي قدس سره في سورة غافر روي انه تعالى بعث ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من ساير الناس وذكر في جامع الاسرار وفي المدارك ايضا سئل ابو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر اول الرسل ادم واخرهم نبيكم محمد واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم والاية تدل على ان معرفة الانبياء كل واحد لو كان شرطا لنص علينا كلهم ذلك ثم عطف على انا اوحينا اليك قوله **وكلم الله موسى** بلا واسطة يعني كما كلمنا مع موسى من وراء حجاب كلمناك مواجهة **تكليما** والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة ساير الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا منجما عند الحاجة مع ان ظهور ان نزولها كذلك بحكم مقتضية

لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما امنوا بها ومع ذلك ما امنوا بها الا بعدما راوا النبا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا عليه السلام بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم والجمهور على رفع الجلالة وتكليما مصدر موكد لرفع المجاز قال الفراء العرب تسمي ما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ولكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام وهذا يدل على بطلان قول من يقول خلق الله لنفسه كلاما في شجرة سمعه بل هو الكلام الحقيقي يكون به المتكلم متكلما **رسلا مبشرين ومنذرين** نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار اعني ارسلنا رسلا واللام في **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** تتعلق بارسلنا وقيل بمبشرين ومنذرين والمعنى ان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميم لالزام الحجة لئلا يكون لهم معذرة فيعتذروا بها قايلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وبايقاظه ايانا من سنة الغفلة وتنبيهه لنا بما وجب الانتباه له وتعليمه ايانا ما لا يعرف الا بالسمع كالعبادات والشرايع اعني في حق مقاديرها واوقاتها وكيفياتها دون اصولها فانها تعرف بالعقل وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه تعالى حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنه تعالى بمقتضى كرمه ورحمته بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه ووعد الجنة وما احد احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب وحجة اسم يكن وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كاينة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز ان يتعلق على الله بحجة وان كان المعنى عليه لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وبعد الرسل متعلق بحجة اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرايع الى الامم على السنتهم **وكان الله عزيزا** لا يغالب في امر من امور ويرين تقتضيه الامتناع عن الاجابة الى اسئلة المتعنتين **حكيما** فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز **لكن الله يشهد** اي يثبت نبوتك **بما انزل اليك** من القران المعجز الدال على نبوتك استدراك من مفهوم الكلام السابق وكانه لما تعنتوا وتمردوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون بصدقك في الرسالة لكن الله يشهد انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بان ما انزله اليك من كلام الله المعجز قال ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه ذات يوم جماعة من اليهود فقال لهم والله انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله لكن الله يشهد بما انزل اليك ان كذبوك وكذبوك **انزله** اي القران **بعلمه** الذي لا يعلمه غيره او انزله اليك وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه او انزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه اثبت لنفسه

العلم او انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او انزله ملتبسا
محفوظا من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون **والملائكة يشهدون** اى يشهدون
لك بالنبوة بما شهد الله علموا ذلك باخبار الله تعالى روى الدارمي مرفوعا ان الله تعالى قرا طه ويس قبل
خلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة القراءة قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا طوبى
لاجواف تحمل هذا طوبى لالسنة تتكلم بها وذكر شهادة الملائكة مع كفاية شهادة رب العالمين
تشريفا لهم او ليقابل شهادتهم تكذيب الكفار اياه وكانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكانه
قيل يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله العالمين يصدقك وملائكة السموات يصدقونك
على ذلك فلا تلتفت الى تكذيب اخس الناس واخسرهم **وكفى بالله شهيدا** اى كفى شهادة الله لك
ان لم يشهد غيره ثم قال **ان الذين كفروا** بالله او بما انزل الله وشهد به او بكل ما يجب الايمان به
والمراد بهم اليهود حيث كفروا به **وصدوا** اى منعوا الناس **عن سبيل الله** اى عن دين الاسلام
بكتمان محمد وصفاته **قد ضلوا ضلالا بعيدا** عن الحق والرشد لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه **ان الذين كفروا** بالله **وظلموا** محمدا بانكار
نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع
اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم والمراد بالفروع ما تتفرع صحته على الايمان كالصلاة والصوم
وغيرهما فان الكفار مخاطبون بفروع الايمان عندنا فيعذبون بتركها لقوله تعالى ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الاية خلافا للحنفية قيل وانما قال وظلموا مع ان
ظلمهم بكفرهم تاكيدا **لم يكن الله ليغفر لهم** ان ماتوا على الكفر والظلم **ولا ليهديهم طريقا** اى
دين الاسلام او طريقا من الطرق **الا طريق** المؤدي الى **جهنم خالدين فيها ابدا** اجرى حكمه
السابق ووعيده المحتوم على ان من مات على الكفر فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة لان الدلالة
الى الطريق ليس في حال الخلود بل في حال تقدير الخلود **وكان ذلك** اى جعلهم خالدين في جهنم **على
الله يسيرا** لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
والايتان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر **يا ايها الناس** اى يا جميع الناس
او يا اهل مكة **قد جاءكم الرسول** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **بالحق** اى بالقران او الاسلام **من ربكم**
اى جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى فهو تكرير للشهادة وتقرير لحقيته
المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان **فامنوا** به وبما جاءكم به من الحق **خيرا لكم**
اى يكن الايمان خيرا لكم او اقصدوا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او امنوا ايمانا خيرا لكم
وان تكفروا به فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم وطاعتكم وثنائكم له فهو محمود بالذات
فان لله ما في السموات والارض ملكا وخلقا وعبدا فلا يضره كفركم فمن هذا شانه فهو قادر
على تعذيبكم بكفركم لا محالة **وكان الله** لم يزل **عليما** باحوالهم او بمن يؤمن ومن يكفر او مبالغا في العلم
فهو عالم باحوال الكل اى بجميع خلقه فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا **حكيما** فيما دبره
او لا يسوى بين المؤمن والكافر في الجزاء **يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** اى لا تتجاوزوا الحد

بزيادة ونقصان ولا تشددوا فيه ما لا يحتمل الخطاب للفريقين يعني اليهود والنصارى غلت
اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ابن كذا قاتلهم الله والنصارى رفعه حتى اتخذوه
الها او ابنا لله قالت اليعقوبية والملكانية هو الله وقالت النسطورية ابن الله وقالت المرقوسية
ثالث ثلاثة عليهم ذلك رجل من اليهود يقال له بولس ذكره البغوي في سورة التوبة فراجعه وقد
ذكروا في نبينا بعض من لا خلاق له ما لا يليق بمنصبه فغلوا حتى تجاوزوا في ذلك المراكلها وغاية
الامر انه صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله وخير خليقته جملة وتفصيلا وقيل الخطاب النصارى خاصة
فانه اوفق لقوله عز وجل **ولا تقولوا على الله الا الحق** اى الا القول الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة
والولد والحلول والاتحاد قال شيخنا وسيل ابن حجر عن القول بوحدة المطلقة يعني بكون الخالق
والخلق شيئا واحدا من غير تميز فقال هو خارج عن طريق العقل والشرع وانه باطل وضلال وسيل
عن الاتحاد فقال هو لفظ مشترك فيطلق على المعنى المذموم الذي هو اخ الحلول وهو كفر وان كان قال
به النصارى الا انهم خصوه بعيسى او به و بامه ولم يعدوه الى احد وخصوه باتحاد الكلمة دون
اتحاد الذات وما احسن قول سيدي على وفا ٭ يظنوا بي حلولا واتحادا ٭ وقلبي من سوى التوحيد
خالي ٭ وعلمك ان الامر امري ٭ هو المعنى المسمى باتحادي ٭ **انما المسيح** وقدم معنى المسيح **عيسى ابن
مريم** لا ابن الله ولا الها معه ولا ثالث ثلثة بل هو ابن مريم العذراء البتول بنت عمران **رسول الله**
اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها فالرسول خبر المبتدا وهو المسيح وعيسى عطف بيان
للمسيح او بدل منه **وكلمته** عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يهتدي به كما يهتدي بالكلام قال الشيخ
يعني ان وجوده في بطن امه كان بكلمة الله تعالى وهو قوله كن فكان بشرا من غير اب فتله كمثل ادم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقيل معنى كلمته اى حجته وقال ايضا قيل لعيسى كلمة الله
وكلمة منه لانه وجد بكلمته اعني كن وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة فتسميته بالكلمة
تسمية للشيء باسم سببه فالذي لا يرضى بان يكون هو عين واحد من خلقه فكيف يرضى بان
يكون عين جميع خلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا واما مراد محققي الصوفية من الاتحاد
هو تسليم الامر كله لله وترك الارادة معه والاختيار والجري على مواقع اقداره من غير اعتراض و
ترك نسبة شيء ما الى غيره كذا قال ابن حجر الهيتمي فهو بائن عن جميع خلقه قائم بنفسه قيوم لغيره فهو
الباقي بالذات والاستقلال وحده وما سواه هالك باق بابقاء الله لان وجودهم ليس من ذواتهم
استقلالا وان شئت توضيح هذا فراجع مشكلة الانوار لحجة الاسلام فكذلك ولا تبال بتحريفات المحرفين
وكلماتهم الزائغة الملفقة من كل كلمة كلمة انما الله اله واحد وكل شيء هالك بتمنا الله من نوم
الغفلة وانما غرهم هذه الفسادات ليقال فيهم ان فلانا يتكلم في الحقايق ويقبل على نفسه الباب
فهو فلان وقته وعنده من العلوم لا يفهمها الا اهلها وقد قالوا فيهم ان فلانا كذا وكذا ومضى
والله الحسيب **القاها الى مريم** اى قذفها واوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل في درع مريم
قال محي السنة والقرض معناه القاها الى مريم اى اعلمها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله
تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم كما يقال القيت اليك كلمة حسنة اى اعلمتك بها

عز وجل القاها الى مريم حال وقد معه مقدرة اى والحال ان الله اوصلها الى مريم او اخرها بالكلمة من غير اب
ولا نطفة وفي العيون ان جبريل عليه السلام نفخ في جيب درع مريم فدخلت تلك النفخة بطنها
فتحرك عيسى في بطنها **وروح منه** عطف على رسول الله اى بتكوينه وتخليقه كقوله وسخر لكم ما في
السموات وما في الارض جميعا منه قال السلطان اى ذو روح منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة
وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب قال محي السنة قيل هو روح كسائر الارواح الا ان
الله سبحانه اضافه الى نفسه تشريفا وقيل الروح هي النفخ الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن
الله سميت النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح واضافه الى نفسه لانه كان بامره وقيل وروح منه
اى ورحمة منه وكان عيسى عليه السلام رحمة لمن تبعه وآمن به وقيل الروح الوحي اوحى الى مريم
بالبشارة والى جبريل بالنفخ والى عيسى ان كن فكان كما قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره يعني بالوحي
وقيل اراد بالروح جبريل عليه السلام معناه وكلمته القاها الى مريم والقاها اليها ايضا روح منه بامره
وهو جبريل كما قال تعالى تنزل الملائكة والروح فيها يعني جبريل وقال فارسلنا اليها روحنا يعني
جبريل عليه السلام وعن عبادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان
الجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل انتهى قال الشيخ وحاصل المعنى وسمي عيسى روحا
لانه ذو روح وجسد كغيره واضيف الى الله تشريفا له او ذو روح صدر منه تعالى بلا توسط الاب
والنطفة ومن لابتداء الغاية مجازا والمقصود انه لا نسبة ولا اتصال ولا خلط بين الله تعالى وعيسى
الا انه رسوله لان عيسى مركب ومتصف بسمات الحدوث والله تعالى منزه عن ذلك وانما هو ابن مريم
وجزء منها وليست من تبعيضية كما زعمه النصارى وبعض الزنادقة لاستحالة التجزي على الله
وهو يقول في سورة الزخرف وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين والآية ينادي
بكفر من يجعل بعض خلقه جزءا منه فكيف من يجعل الخالق عين خلقه كله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وحكي ان بعض النصارى اى
غلام الرشيد وكان طبيبا حاذقا ناظر بعض اكابر المسلمين اعني به علي بن حسين بن واقد
المروزي وقال ان في كتابكم ما يشهد بان عيسى جزء من الله تعالى واستشهد بقوله تعالى وروح منه يعني
بان من في منه تبعيضية فعارضه المسلم بقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
فقال اذا يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عندنا وعندكم
بالاتفاق فانقطع كلام النصراني واسلم وتقديم لفظ الرسول يسد باب تاويل النصارى والفرق
الضالة حاصله وتقديم كونه [redacted] عليه السلام رسول الله في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى
وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين ما لا يحتمله في
سد باب التاويل الزائغ **فآمنوا بالله** اى خصوه بالالوهية **ورسله** اجمعين اى ان عيسى من رسل الله
فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه الها **ولا تقولوا ثلثة** اى لا تقولوا الالهة ثلثة الله و
المسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح

ثم يقولون ان الله ثلثة اقانيم اى مركب من ثلثة اصول الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب
الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة **انتهوا** عن التثليث وعن كل ما لا يليق بجلال الاقدس **خيرا
لكم** اى يكن الانتهاء عن هذا القول الشنيع واتوا بما هو خير لكم اعني التوحيد **انما الله اله واحد**
اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما وهو مباين عن خلقه بجميع كمالاته فالله مبتدأ واله خبر
وواحد نعت اى متفرد في الوهيته **سبحانه ان يكون له ولد** اى انزهه تنزيها من هذه النقيصة
لان الولد يشارك الوالد ولو من وجه وليس كمثله شيء **له ما في السموات وما في الارض** ملكا وخلقا
فلا يجانسه شيء من ذلك فيتخذ منه صاحبة وولدا فالمملوك والمخلوق لا يتصور كونهما ولدا وزوجة
ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا فهو مباين لهم بجميع كمالاته فكيف يكون بعض
ملكه وخلقه جزءا منه **وكفى بالله وكيلا** اى شهيدا على ذلك او حافظا ومدبرا لهما ولما فيهما
ومن عجز عن كفاية امر يحتاج الى ولد يعينه فهو تنبيه على غناه عن الصاحبة والولد فان
الحاجة الى الولد ليكون وكيلا لابيه ليس الا والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
عمن يخلفه او يعينه لانه الغني المطلق بالذات لا يتطرق اليه الفناء والحاجة ثم لما قال وفد
نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله
ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى نزلت **لن يستنكف المسيح** اى لن يأنف
ولن يترفع ولن يتعظم ولا ينقبض ولا يتكبر عيسى انفا وحمية بان ينحي عن نفسه ما اوجب
الله له **بان يكون عبدا لله** فان عبوديته شرف يتباهى به اولا ترى ان اول مقالة قالها
للناس اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وهذا رد على النصارى **ولا الملائكة المقربون**
وهذا رد على من يعبدهم من العرب وغيرهم وهو عطف على المسيح والمقربون هم الكروبيون الذين
هم حول العرش قال الشيخ كجبريل وميكائيل ومن في مرتبتهم قال محي السنة والقرضي ولا الملائكة
المقربون وهم حملة العرش لا يأنفون ان يكونوا عبيدا لله وتشبث المعتزلة والقائلون بتفضيل الملك
على البشر بهذه الآية لان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا الى الاعلى اذ لا يقال لا يستنكف
فلان من كذا ولا عبده وانما يقال فلان لا يستنكف من كذا ولا سيده ولا حجة لهم فيه لانه لم يقل ذلك
رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على الذين يقولون ان الملائكة الهة كما رد على النصارى بزعمهم
فانهم يقولون بالوهية عيسى فقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله والحاصل ان خواص البشر
وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام افضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل
ونحوهم وخواص الملائكة افضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر افضل من عوام
الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك انهم قهروا نوازع الهوى في ذات الله مع انهم جبلوا
عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة في العصمة وتفضلوا عليهم في قهر البواعث النفسانية
والدواعي الجسمانية فكانت طاعتهم اشق لكونها مع الصوارف والموانع بخلاف طاعة الملائكة
لانهم جبلوا عليها فكانت ازيد ثوابا بالحديث **ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر** اى يترفع
عنها ويطلب الكبرياء والاستنكاف اخص من الاستكبار لانه تكبر مع الانفة ولذلك عطف عليه

وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فى الآخرة
فيجازيهم على استنكافهم واستكبارهم ويثيب غير المستنكفين على طاعتهم والضمير يعنى هم راجع الى
المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملئكة والتقدير فسيحشرهم وغيرهم
ثم قال فى شان الموحدين فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى الطاعات التى بينهم وبين ربهم
فيوفيهم اجورهم اى يتم ثواب اعمالهم من غير ان ينقص منها شيئا ويزيدهم من فضله
اى من رزقه فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تاكيدا فى شان
المستنكفين عن عبادته واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما اى حتى لما
هو عذاب النار او وجيعا دائما ولا يجدون لهم من دون الله وليا اى قريبا يلى امورهم ويدبر
مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس قد جاءكم اى
وصل اليكم وتقرر فى قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان اى حجة قاطعة روى عن ابن
عباس انه النبى صلى الله عليه وسلم وعليه اكثر المفسرين عبر عنه به لما معه من المعجزات التى تشهد بصدقه
وقيل عنى به المعجزات التى اظهرها وقيل هو الدين الحق الذى اتى به وقيل هو القران من ربكم عليكم
لتكميلكم وانزلنا اليكم نورا مبينا وهو القران يستضاء به فى ظلمات الحيرة يسمى نورا لوقوع نور
الايمان فى القلب لانه نير بنفسه منور لغيره مستغن فى ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى
عن غيره مبين لغيره الامور المذكورة هاد للخلق يخرجهم من الظلمات الى النور والحاصل جاءكم
دلايل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة فاما الذين آمنوا هذا تفصيل لقوله يا ايها
الناس بالله واعتصموا به اى عصموا بالله او بالقران انفسهم مما يهلكها من اتباع الهوى والشيطان
فسيدخلهم فى رحمة منه اى فى ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق
واجب وفضل اى واحسان زايد عليهم وروى عن ابن عباس انه قال اراد بالرحمة الجنة وبالفضل
ما يتفضل به عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وثواب رحمة وفضل
نعيمى ويهديهم اى يرشدهم اليه اى الى الله او الى الفضل او الى صراطه صراطا مستقيما اى طريقا مستويا
لا اعوجاج فيه وهو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الاخرة يستفتونك اى يستخبرونك
فى الكلالة حذفت لدلالة الجواب روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى كلالة اى ليس لى ولد ولا والد وفى رواية انما يرثنى كلالة وفى رواية ان لى كلالة فمن الوارث
لى الميراث منها او فكيف اصنع فى مالى فنزلت قال اهل العلم ان الله تعالى انزل فى الكلالة ايتين احدهما
فى الشتاء وهى التى فى اول هذه السورة والاخرى فى الصيف وهى هذه ولهذا سميت اية الصيف وقد
اشرنا فيما مر الى هذه المعنى وفى الصحيحين اخر اية نزلت فى الاحكام خاتمة اية الكلالة واخر سورة
نزلت كاملة براءة قل فى جواب السائل الله يفتيكم فى الكلالة وقد ذكرنا معنى الكلالة وحكم
الاية فى اول هذه السورة وفى هذه الاية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وللاب دون الام
ان امرؤ هلك اى مات ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك من مال الاخ ثم بين
ميراث الاخ من اختها بان مات الاخت وبقى الاخ بقوله وهو يرثها يعنى اذا ماتت الاخت فجميع

ميراثها

ميراثها للاخ لانه يستغرق مالها ان لم يكن لها اى للاخت ولد ابن فان كان ولدها انثى فللاخ ما
فضل عن فرض البنات ولنرجع الى تفصيل الاية معنى واعرابا فقوله ان امرؤ ارتفع بمضمر يفسره الظاهر
وهو هلك وقوله ليس له ولد صفة له اى امرؤ غير ذى ولد وقيل حال من المستكن فى هلك لا من
امرؤ لانه نكرة غير مخصوصة وقوله وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد بالاخت
من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه فى صدر السورة الكريمة حاصل الكلام
ان ظاهر الاية مطلق ولا بد فيه من تقييدات ثلثة الاول ان الولد مطلق والمراد به الابن لانه
هو الذى يسقط الاخت واما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روى عن ابن مسعود ان
النبى صلى الله عليه وسلم قضى فى بنت وبنت ابن واخت بان للبنت النصف ولبنت الابن السدس
والباقى للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقى للاخت بالعصوبة الثانى
ان ظاهر الاية يقتضى انه اذا لم يكن للميت ولد فان الاخت تاخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق
بل الشرط ان لا يكون للميت ولد ولا والد لان الاخت لا ترث مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله
اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر حكمهما فى اول
السورة قوله وهو يرثها اى واخوها يرثها ويستغرق مالها ان قدر الامر على العكس من موتها فى حياته
بعدها كما اشرنا قوله ان لم يكن لها ولد اى ابن كما قلنا لان ابن الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان
هنا فى الاخ من الابوين او من الاب كما اشرنا اما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا المراد
ان لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا يسقط الاخ لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها
فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ فان كانتا اى الاختان اثنتين فصاعدا لانها نزلت
فى جابر وقد مات عن اخوات فلهما الثلثان مما ترك الاخ وفايدة الاخبار باثنتين التنبيه على
ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اى الورثة اخوة واخوات رجالا
ونساء اى ذكورا واناثا فللذكر منهم مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر يبين الله لكم حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التى من جملتها حكمها ان تضلوا
اى يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا فى امر توريث الكلالة وغيره او يبين لكم ضلالكم
الذى من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتطلبوا خلافه وضده وقيل لئلا تضلوا فحذف
وهو قول الكوفيين والله بكل شىء عليم ومنه الميراث والمعنى علمه فى غاية الكمال فالذى شرع من
الاحكام ناش عن حكمة بالغة وان دقت على بعض الافهام فهو العالم بمصالح العباد والبلاد فى المحيا
والممات ويعلم الاشياء بكنهها قبل كونها وبعده ونزلت بداية الكلالة على النبى صلى الله عليه وسلم
وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم واخر ما نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله تعالى ثم مات
عليه السلام بعدها احدا وعشرين يوما انا لله وانا اليه راجعون سورة المائدة
مدنية نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى
الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته فقال يا ايها الناس ان سورة المائدة من اخر
القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وهى مائة وعشرون اية ثمان او ثلاث وعشرون

فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها الى كل
سور القرآن يجب ان يحل حلالها وان يحرم حرامها قلت هو كذلك وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم
هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهي كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة الاشهر وان كان لا يجوز
الظلم في شيء من جميع شهور السنة وانما افرد الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما
خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم ينزل في غيرها من سور القرآن وهي
قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا
بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا
قمتم الى الصلوة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت بسم

الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود

الوفاء هو القيام بمقتضى العهد واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله بوفائها فقال ابن جريج هذا
خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شان
محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم الله بالوفاء بالعقود قال ابن عباس رضي
الله عنهما هي عهود الايمان وما اخذ على عباده في القرآن فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت
في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك
هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا
بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم
وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقدة اليمين وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة
البيع وعقدة الشركة زاد بعضهم وعقدة الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندي بالصواب ما قاله
ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها
فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا هذا القول اولى بالصواب لان الله
تعالى اتبعه بالبيان والتفصيل عما احل لعباده وحرم عليهم بقوله عز وجل احلت لكم بهيمة
الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة كل حي لا يميز وقيل اسم لكل ذي اربع من الحيوان
لكن خص في التعارف لما عدا السباع والضواري والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا
يدخل فيها الحافر في قول جميع اهل اللغة قال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم
والمعز وهي الازواج الثمانية من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
فعلى هذا يكون اضافة البهيمة الى الانعام على وجه التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها
كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام
وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل وما يحرم من البهائم فلهذا قال تعالى احلت لكم
بهيمة الانعام وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت

او نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجة
وفي رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها
الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن ابن عمر رضي الله
عنهما في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان خرج ميتا اكله
قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه
ان بقرة نحرت فوجدت في بطنها جنين فاخذ ابن عباس رضي الله عنهما بذنب الجنين وقال هذا
من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاة اذا تم
خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا
بعد ذكاة الام وقوله الا ما يتلى عليكم يعني في القرآن تحريمه واراد به قوله تعالى في الآتي قريبا اي
حرمت عليكم الميتة والدم الخ قال السلطان اي الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد اي غير مستحلين الصيد وانتم حرم يعني احلت لكم الانعام
كلها لئلا يضيق عليكم والوحشية ايضا من الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون
في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه اي احلت لكم الانعام كلها الا ما كان
وحشيا فانه صيد لا يحل لكم في حال الاحرام بدليل قوله وانتم حرم والحرم جمع حرام وهو المحرم
والصيد يحتمل المصدر والمفعول ان الله يحكم ما يريد يعني ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من
من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه
مما فيه مصلحة لعباده يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة
وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج واعماله من الطواف والاحرام والسعي
والحلق والنحر ومن مرامي الجمار والمطاف والمسعى فانها علامات الحاج ودلائل النسك وهي امور يدرك
بالمشاعر اي الحواس والاضافة للتشريف والمعنى لا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويوافق مواقف
الحج باقامة ما شرع في كل موقف وقيل دين الله كقوله ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه
اي لا تقطعوا شيئا من فرائضه التي حدها لعباده واوجبها عليهم ولا الشهر الحرام اي لا تحلوا
بالقتال فيه او النسيء وهو تاخير حرمة شهر الى شهر اخر لاغراضهم الفاسدة والشهر الحرام هو
الاربعة المعروفة والتحقيق ان حرمة القتال في الشهر الحرام منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث ثقفتموهم ولا الهدي اي لا تحلوا الهدي اي ما اهدي الى الكعبة من ناقة او بقرة او شاة
وهو جمع هدية بتسكين الدال ولا القلائد اي ولا تحلوا ذوات القلائد من الهدي وعطفها
على الهدي مبالغة في التوصية بها بان لا يتعرض لها لان ذوات القلائد اشرف الهدي فهو من قبيل
عطف جبريل عليه السلام على الملائكة كانه قيل وذوات القلائد خصوصا او لا تحلوا القلائد انفسها
فضلا عن البدن المقلدة والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به من نعل او قشر شجر او غيرها ليعلم
به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام اي ولا تحلوا مقاتلة قوم قاصدين زيارة

بيت الحرام وهم الحجاج والعمار والبيت نصب على المفعول به لآمين يبتغون حال من الضمير في آمين
ولا يجوز ان يكون هذه الجملة صفة لآمين لان اسم الفاعل متى وصف بطل عمله على الصحيح فضلا رزقا
من ربهم بالتجارة ورضوانا منه والمعنى تفصيلا اي يطلبون فضول الاموال بالتجارة ورضوان الله
عنهم والعفو عن الجنايات اي يقصدون البيت لاصلاح اسباب المعاش والمعاد فان كان هذا في
حق الآمين المؤمنين فابتغاء رضوان الله منهم ظاهر وان كان في حق الكفار فمعناه انهم يزعمون اذ لا رضوان
في الواقع للكفار وقيل هو رضوان الله عنهم بتاخير العذاب عنهم وان لا يعاجلهم كما عاجل المكذبين
من الماضين ولعل كانت الحكمة في عدم التعرض لما ذكرنا اقامة مصالح اهل مكة وقوام عيشهم بحمل
الناس اليهم كل شيء يحتاجون اليه قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر
الحرام والهدي والقلائد وكان هذا امرا قديما ومعنى تجديد الخطاب بذلك ما روي في شان نزول
هذه الاية عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت عام القضية في حطيم واسمه شريح بن ضبيعة
ابن شرحبيل وذلك انه اتى المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الى ما تدعوا الناس فقال
الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكوة فقال حسن حسبي الا ان لي امراء لا
اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم ثم خرج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه
كافر وخرج بقفاء غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه وانطلق فتبعوه فلم يدركوه
فلما كان عام القابل خرج حاجا في حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقلد الهدي
فقال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الحطيم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الاية ولهذا قال ابن عباس ومجاهد الشعائر
هي مناسك الحج كانوا المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله
عز وجل عن ذلك وقال ابو عبيدة شعائر الله هي الهدايا وهي ههنا ان يطعن في صفحة سنام
البعير بحديدة حتى يسيل الدم وهو سنة في الهدايا اذا كانت من الابل روى البخاري عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم بيدي ثم قلدها واشعرها
واهداها فما حرم عليه شيء كان احل له وقاس الشافعي رضي الله عنه البقر على الابل في الاشعار
واما الغنم فلا تشعر بالجرح لانها لا تحمل الجرح لضعفها وعند ابي حنيفة لا يشعر الهدي وقال
الامام وهذه الاية الى ههنا منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يؤمن كافر بالهدي والقلائد وقرئ
تبتغون على خطاب المؤمنين وقيل استيناف على حذف الاستفهام وقيل حال من ضمير لا تحلوا واذا
حللتم من الاحرام فاصطادوا امر اباحة يعني اباح للحلال اخذ الصيد وظاهر الامر كان
للوجوب فهو ههنا للاباحة لان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام فاذا زال الاحرام وجب ان يزول
المنع ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ
بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا لان قرئ واحللتم يقال حل المحرم واحل

ولا يجرمنكم

ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم ولا يكسبنكم يقال فلان جريمة اهله اي كاسبهم وقيل لا يدعونكم وفاعل يجرمنكم
قوله عز وجل شنآن قوم اي شدة بغضهم وعداوتهم وهم كفار مكة قرأ ابن عامر واسماعيل
عن نافع وعاصم في رواية ابي بكر بسكون النون والباقون بفتحها وهما لغتان وهو مصدر بمعنى شدة
البغض والعداوة اضيف الى المفعول او الفاعل وقيل بالفتح مصدر وبالسكون نعت اي بغيض قوم وفعلان
في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام قرأ ابو عمرو وابن كثير بكسر الهمزة على انه شرط معترض
اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وبكسرها شرطا مستقبلا اي ان يصدوكم في المستقبل مثل ما مضى
في عام الحديبية والباقون بفتحها اي لاجل صدهم اياكم عن المسجد الحرام عام الحديبية وقد قال اكثر
المفسرون نزلت هذه الآية عام الفتح سنة ثمان والصد كان عام الحديبية سنة ست فالمعنى على
تقدير الاستقبال ان يقع منهم صد فيما يستقبل مثل ما مضى منهم في عام الحديبية ان تعتدوا اي فلا
تعتدوا عليهم بالقتل والانتقام يعني لا تتجاوزوا الحد في المكافات بالقتل واخذ الاموال وهو ثاني مفعولي
يجرمنكم والاول كم قال الامام والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء والتجاوز في حكم الله لانهم صدوكم
وبعبارة اخرى لا يحملنكم ولا يكسبنكم بغض قوم بان صدوكم الاعتداء او على الاعتداء ومن قرأ لا يجرمنكم
بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا امر معطوف
على النهي قبله اي ليعن بعضكم بعضا اي تناصروا على البر متابعة الامر اي فعل ما امرتم به كالعفو
والتقوى اي مجانبة النهي وفي الحديث الصحيح والله في عون العبد ما دام في عون اخيه ولا تعاونوا
على الاثم اي على المعاصي والكفر او على ما يورث المعصية والكفر والعدوان اي الظلم والتجاوز عن
الحق في حدود الله للتشفي والانتقام واتقوا الله في جميع اموركم يعني خافوا عقابه بان تطيعوه ولا
تخالفوه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك
في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس وقيل البر الاسلام والتقوى السنة والعدوان البدعة
ان الله شديد العقاب حقيق بان يتقى لانه شديد عقابه وانتقامه واخرج البخاري في تاريخه
والطبراني والبيهقي في شعب الايمان عن اوس بن شرحبيل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه ظالم فقد خرج من الاسلام واخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع حرمت
عليكم الميتة وهذا بيان وتفصيل لما ذكرنا من قوله عز وجل الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير
تذكية وكان اهل الجاهلية ياكلون الميتة وما عطف عليها والدم اي الدم المسفوح لقوله تعالى او دما
مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير اي كل اجزائه وتخصيص
اللحم بالذكر لانه معظم المقصود وقد قال الله تعالى في سورة اخرى فانه رجس والكناية ترجع الى الخنزير
فدل على ان كله نجس العين وما اهل لغير الله به اي ما ذكر على ذبحه غير اسم الله يعني رفع
الصوت لغير الله كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة هي التي تخنق فتموت قال ابن عباس
كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها او انخنقت بالشبكة او بغيرها والموقوذة
اي المضروبة بنحو خشب او حجر حتى يموت من وقذته اذا ضربته ومنها ما رمي بالبندق فمات

والمتردية

والمتردية اي المتردية من علو او في بئر فماتت فيدخل فيها ما اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على
الارض فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم انه زهق روحه بالتردي او بالسهم والنطيحة اي التي
نطحتها اخرى فماتت بسببه ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فرد
بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة للنقل لانها صفات الشاة بنا على
على اغلب ما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما اثبت النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء
كقوله كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور نحو قولك مررت بامراة قتيل فلان
فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه واما عبارة الامام وهاؤه للتانيث
تدخل على الفعيل اذا كان بمعنى الفاعل فاذا كان بمعنى المفعول استوى فيه المذكر والمونث نحو عين كحيل
وكف خضيب فاذا حذف الاسم وافردت الصفة ادخلوا الهاء فقالوا راينا خضيبة وكحيلة وههنا
ادخلوا الهاء لانه لم يتقدمها الاسم فلو سقط الهاء لم يدر انها صفة مونث ام مذكر ومثله الذبيحة و
النسيكة واكيلة السبع وقرئ المنطوحة وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح
الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل والسبع اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان ويفترس
الحيوان كالاسد وما دونه فان قيل ما اكله السبع عدم وتعذر اكله فكيف يحسن فيه التحريم حتى
حتى قال ما اكل السبع قلنا معناه ما اكل منه السبع يعني الباقي بعد اكله كما اشرنا ابتداء فلا تغفل الا ما
ذكيتم اي الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة
في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وسئل عن الشعبي عن رجل انتهى الى شاة وقد خرج من عامتها
الا ان عضوا يتحرك فذبحها ايؤكل قال نعم قال لو انتهيت الى مجروح خرج من عامة جسده الروح فقتلته
خطأ فعليك ديته وقال علي رضي الله عنه اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فهي
ذكية قال البغوي ومكنه قوله عز وجل الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء واصل التذكية
الاتمام يقال ذكيت النار اذا اتممت اشتعالها والمراد ههنا اتمام فري الاوداج وانهار الدم قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر واقل الذكاة في الحيوان المقدور
عليه قطع المري والحلقوم وكماله ان يقطع الودجين معهما ويجوز بكل محدد يجرح من حديد او قصب
او زجاج او حجر الا السن والظفر لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الذبح بهما وانما يحل ما ذكيته بعد ان جرحه السبع
او اكل شيئا منه اذا ادركته والحياة فيه مستقرة فذبحته اما ما صار بجرح السبع الى حالة المذبوح فهو في
حكم الميتة فلا يكون حلالا وان ذبحته وكذلك المتردية والنطيحة اذا ادركتها حية قبل ان تصير الى حالة المذبوح
فذبحتها تكون حلالا انتهى وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول
البيت نحو من ثلثماية يعبدونها ويذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وليست هي باصنام انما الاصنام
هي الصورة المنقوشة وقيل هي الاصنام المنصوبة وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام
في موضع الرفع بالعطف على الميتة والاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام اي وحرم
عليكم طلبكم القسمة والحكم بالازلام جمع زلم بضم الزاي وفتحها وهو قدح صغير لا ريش عليه ولا نصل قال
بعضهم ان الازلام كانت ثلثة مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل اي

لا كتابة عليه كانوا يجعلونها في وعاء فاذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا مهما اخرجوا
واحدا منها فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل عادوا الى العمل
قال محي السنة وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية في خريطة تكون عند سادن البيت مكتوب
على واحد نعم وعلى واحد لا وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل
وواحد غفل ليس عليه شيء فكانوا اذا ارادوا امرا في سفر او نكاح او ختان او غيره او تدارؤا في نسب
او اختلفوا في تحمل عقل جاؤا الى هبل وكان اعظم اصنام قريش بمكة وجاؤا بمائة درهم فاعطوها صاحب
القداح حتى يجيل القداح ويقولون يا الهنا انا اردنا كذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم يفعلوا
ذلك حولا ثم عادوا الى القداح ثانية واذا اجالوا على نسب فاذا خرج منكم كان وسيطا منهم وان خرج من
غيركم كان حليفا وان خرج ملصق كان على منزلته لا نسب له ولا حلف واذا اختلفوا في عقل
فمن خرج عليه قدح العقل حمله وان خرج الغفل اجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهى الله تعالى عن
ذلك وحرمه انتهى وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة المعهودة وهي عشرة اقداح الفذ
ثم التوأم ثم الرقيب ثم الحلس ثم النافس ثم المسبل ثم المعلى وهذه الاقداح السبعة لها انصباء من جزور ينحرونها
ويقسمونها على العادة المعلومة بينهم والثلثة الاخرى لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد وكان اهل
الجاهلية يجتمعون عشرة انفس ويشترون جزورا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزءا ويجعلون
لكل واحد من صاحب الازلام السبعة نصيبا معلوما للفذ سهم وللتوأم والرقيب ثلثة اسهم
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة ويجعلون الازلام في خريطة ويضعونها على يد رجل ثم
يجعلها ذلك الرجل يحركها فيخرج باسم كل رجل قدحا منها ومن خرج له قدح من ذوات الانصباء
يقسم الى الفقراء ولا ياكلون منها شيئا ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم يعني
اللئيم وقال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج بطلوع نجم كذا وفي
شرح التاويلات رد هذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يامر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل اولئك
ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على احكام الله تعالى ويجعل الله في النجوم معادن وعلامات يدرك
بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء ولا لائمة في ذلك انما اللائمة على من يحكم على الله تعالى ويشهد عليه ومن الكذبين
على الله من يقول انا من نزيهه دون وجه ذلكم فسق اي خروج عن الطاعة اشارة الى الاستقسام بالازلام
وكونه فسقا انما هو من جهة كونه توسلا في طلب علم الغيب الذي غيره الله كاستعلام الخير والشر من الكهنة
والمنجمين وفي حكمها من يقول انا عبد الله من وجه دون وجه حيث يزعمون ان في النجوم وما لها
من المواضع والبروج والاحوال والاتصالات طريقا الى علم الغيب ودلالة على الخير والشر والكهنة
يدعون اخبار الجن او بعض ما يظهر لهم من الصور والخيالات وافتراء على الله ان اريد بربي
الله وجهالة وشركا ان اريد به الصنم او اشارة الى تناول ما حرم عليهم هذا واما حال من يدعي
كونه عبدا من وجه دون وجه فيجعله نسبة التاثير الى نفسه واما مجرد استعلام الغيب واعتقاد
ان اليه طريقا ولو من قبل علم الحبوب الذي يطلع عليه بعض العباد فليس بحرام ولا اثم ان يكون
الاخبار ببعض الغيبات المعدوم للانبياء والاولياء باعلام الله تعالى باطلا وليس كذلك فليت

الفرعة التي قال بها الشافعي رحمه الله تعالى منه لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اراد سفرا اقرع بين نسائه وهو حق شرعي فيقاس عليه وقال الشيخ في تفسيره في تفسيره عن
سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها وقال مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون
بها وقال الشعبي وغيره الازلام للعرب والكعاب للعجم وقال سفيان بن وكيع هي الشطرنج وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد من الطرق الضرب بالحصى
وقال صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم او تطير طيرة تردّه عن سفره لم ينظر الى الدرجات
العلى من الجنة يوم القيمة **اليوم** لم يرد به يوما بعينه وانما المراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم على
ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها وبركت فهو ظرف ليئس ومعناه الآن وهذا
كما تقول انا اليوم قد كبرت تريد الآن **يئس الذين كفروا من دينكم** اي يئسوا من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في عود الاسلام الى دينهم فلما قوي الاسلام
ايسوا او من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى كان قد وعد باعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله ليظهره
على الدين كله فحقق ذلك النصر وازال الخوف **فلا تخشوهم** ان يظهروا عليكم بعد اظهار الدين وزوال
الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين بعد ما كانوا غالبين **واخشون** بغير ياء في الوصل والوقف اي اخلصوا
لي الخشية **اليوم** ظرف لقوله **اكملت** اي اتممت يقال كمل الشيء بالحركات الثلث لكم اي تم **لكم**
دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها بان كفيتكم خوف عدوكم واظهرتكم عليهم كما تقول الملوك
اليوم كمل لنا الملك اي كفينا من كنا نخافه او اكملت ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال وتحريم الحرام
والتوقيف على شرايع الاسلام وقوانين القياس قال ابن عباس رضي الله عنهما لم ينزل بعد هذه الاية حلال
ولا حرام ولا شيء من الفرايض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام قال ولما
نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال كنا في زيادة من ديننا فاما
اذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال صدقت وعاش بعدها صلى الله عليه وسلم احدا وثمانين يوما وتوفي
يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة او يوم الثاني
عشر من ربيع الاول روى البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل من اليهود يا امير المؤمنين
اية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اية اية قال اليوم
اكملت لكم دينكم الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو قائم بعرفة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك اليوم خمسة
اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد هذه الملل في يوم قبله ولا بعده
ولا يلزم من قوله اليوم اكملت لكم دينكم بان كان قبل ذلك اليوم ناقصا لان المراد ازالة الخوف عنهم او اكملت
لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وايضا المراد بكمال الدين انه تعالى بين حكم
جميع الوقايع بعضها بالنص وبعضها بان طريق الحكم فيها بالقياس وحاصل الكلام لا دليل لنفاة القياس في
هذه الاية لان كمال الدين هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظايرها منها بواسطة

قياسها

قياسها عليه **واتممت عليكم نعمتي** بالهداية والتوفيق او بكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الكفر
قال ابن عباس كان اتمام النعمة عليهم ان دخلوا مكة امنين مطمئنين ولم يخالطهم احد من المشركين وقيل
باتمام نزول الوحي حيث انتهى النزول وسد باب نسخ الحكم وقيل اتممت عليكم اي انجزت لكم وعدي
بقولي ولاتم نعمتي **ورضيت لكم الاسلام دينا** اي اخترت لكم الاسلام من بين الاديان واذنتكم بانه
هو الدين المرضي عند الله وحده ويؤيده قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وعن جابر بن عبد الله
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه
الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه قوله **فمن اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما
من قوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر واجهد الى تناول شيء من هذه
المحرمات كالميتة والدم الى اخره **في مخمصة** اي في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص
البطن اذا كان طاويا خاويا **غير** حال **متجانف لاثم** اي غير مائل الى اثم اي غير متجاوز سد الرمق بغير ما يحل
له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله تعالى غير باغ ولا عاد قال قتادة غير متعرض
لمعصية في مقصده وقال مجاهد يحيى بن سنة اي غير مائل الى اثم وهو ان ياكل فوق الشبع واستدل الشافعي رضي الله عنه
على ان العاصي بسفره لا يتناوله وحد الاضطرار ان يخاف الهلاك على نفسه او ما يقرب منه **فان الله**
غفور لا يتناوله ضرورة **رحيم** بعباده حيث احل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم الى اكله قال السيوطي
رحمه الله اي بخلاف المائل لاثم اي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلا فلا يحل له الاكل وعن واقد الليثي
ان رجلا قال يا رسول الله انا نكون بالارض فتصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال ما لم تصطبحوا
او تغتبقوا او تحتفئوا بقلا فشانكم بها **يسئلونك** يا محمد **ماذا احل لهم** من الطعام وفي السؤال معنى
القول فلذا وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية
لما قالوه لان يسئلونك بلفظ الغيبة كقولك اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن لجاز ايضا لان
كلا الوجهين شايع ذايع في امثاله وماذا مبتدا واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل
لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم منها فقال **قل**
احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يرد نص ولا قياس على حرمته يعني الطيبات ما ليس بخبيث من المطاعم وهو كل ما لم يات
تحريمه في كتاب او سنة او اجماع او قياس **وما علمتم** عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد
ما علمتم على حذف المضاف والعايد ان جعل ما موصولة او مبتدا على ان ما شرطية والجواب فكلوا قال ابو حيان
وهذا اظهر لانه لا اضمار فيه **من الجوارح** جمع جارحة والهاء للمبالغة والجرح الكسب ومنه قوله تعالى ويعلم
ما جرحتم بالنهار اي من كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع كالكلب والفهد والنمر ومن سباع
الطير كالبازي والصقر والشاهين والعقاب فكل ما قبل التعليم منها يكون صيده حلالا قال سعيد بن
جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم زيد
الخير قالا يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الاية وقيل سبب نزولها

ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل الكلاب قالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي امرت
بقتلها فنزلت هذه الاية فلما نزلت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلب التي ينتفع بها ونهى
عن امساك ما لا ينتفع به منها وقال ايما قوم اتخذوا كلبا ليس بكلب حرث او صيد او ماشية فانه
ينقص من اجورهم كل يوم قيراط وفي رواية قيراطان **مُكَلِّبِينَ** حال من فاعل علمتم اي معلمين اياها
الصيد اي اغرايكم اياها على الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها واشتقت هذه الحال من لفظ الكلب
الذي هو الحيوان المعروف وان كانت للجوارح يندرج فيها غيره حتى سباع الطيور تغليبا له لان الصيد اكثر
ما يكون به عند العرب ولان التاديب يكون اكثر فيه او اشتقت من الكلب والكلب يطلق على سبع ايضا
لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد والحديث رواه بمعناه الحاكم وصحح اسناده
فان قلت فما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فايدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في
علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب **تُعَلِّمُونَهُنَّ** اي تؤدبونهن اداب اخذ الصيد حال ثانية او استيناف
قال الشيخ وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل اخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية
واغوصهم على لطايفه وحقايقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع
ايامه وعض عند لقاء الاحبار انامله **مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ** اي من العلم الذي علمكم الله او مما علمكم الله لان من
بمعنى الكاف قاله السدي يعني مما الهمكم الله من كيفية التعليم ولطايف الحيل وطرق التاديب فان العلم بها
الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه وهو شرط في حل صيد الجارح
من الاسترسال بارساله والانزجار بزجره وعدم الاكل منه وهذا اوجه لان شرط المكلب ان يكون فقيها
في باب الصيد **فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ** اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه
فمن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة
حذف عايدها والمراد ان الجارحة المعلمة اذا خرجت بارسال صاحبها فاخذت الصيد وقتلته كان حلالا
والتعليم هو ان يوجد منها ثلثة اشياء اذا اشليت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت
الصيد امسكت ولم تاكل فاذا وجد ذلك منها مرارا واقلها ثلث مرات كانت معلمة يحل قتلها اذا خرجت
بارسال صاحبها روى البخاري عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ارسلت كلبك وسميت فامسك
وقتل فكل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه واذا خالطها كلاب لم يذكر اسم الله عليها فامسك وقتل
فلا تاكل فانك لا تدري ايها قتل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل
وان وقع في الماء فلا تاكل واختلفوا فيما اذا اخذت الصيد واكلت منه شيئا فذهب اكثر اهل العلم الى
تحريمه وروي ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك واصحاب
ابي حنيفة وهو اصح قولي الشافعي لقوله عليه السلام وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم
في اكله وروي ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك عن ابي ثعلبة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان اكل منه اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذ صيدا او المعلم
اذا جرح بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فلا يكون حلالا الا ان يدركه صاحبه حيا فيذبحه فيكون حلالا روى
البخاري عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله انا بارض قوم اهل كتاب افناكل في آنيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي

وبكلبي الذي يعلم وبكلبي الذي ليس بمعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا
فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير المعلم
فادركت ذكاته فكل **وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ** الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما
امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته قال البغوي فيه بيان ان ذكر الله على الذبيحة شرط حالة
ما يذبح وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة او السهم روى البخاري وغيره عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
ضحى بكبشين املحين اقرنين يطا على صفاحهما ويذبحهما بيده ويقول بسم الله والله اكبر **وَاتَّقُوا اللَّهَ**
اي واحذروا مخالفة امره في محرماته **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** فيؤاخذكم بما جل ودق **الْيَوْمَ أُحِلَّ
لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ** اراد باليوم اي الان وبالطيبات المستلذات المذكورة وكررت تاكيدا للمنة **وَطَعَامُ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** مبتدا خبره **حِلٌّ لَكُمْ** اي ذبايح اليهود والنصارى حلال لكم وقيل اراد بطعامهم
الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه الى الذكاة وقيل اراد به جميع المطعومات لعموم اللفظ الجمع وانفراد المخصص
والموصول يعم اليهود والنصارى فاخذ بعمومه ابو حنيفة واستثنى الشافعي رحمه الله متنصرة كتغلب
وتنوخ وبهرام وجذام ولخم وعاملة لما روى ابن جرير عن علي كرم الله وجهه انه استثنى المتنصرة
وقال لا تاكلوا ذبايحهم فانهم ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر والحقهم المجوس في
ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا اكلي ذبايحهم رواه الامام مالك رضي الله عنه **وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ** اي لا جناح عليكم ان تطعموهم من
طعامكم وان كانوا كافرين وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم فان قيل
كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون
خطاب الحل مع المسلمين وقيل لانه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم ان
تطعموهم حرام عليكم ان تزوجوهم **وَالْمُحْصَنَاتُ** هذا راجع الى الاول منقطع عن قوله وطعامكم حل لهم
مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ رفع على انه مبتدا حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بالمحصنات
الحراير العفايف عن الزنا واليه ذهب الشافعي فلم يجوز نكاح الامة لواجد طول الحرة لكن تخصيصهن
بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفايف
منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي لقوله تعالى **وَالْمُحْصَنَاتُ** اي الحراير
العفايف حل لكم ان تنكحوهن **مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ** وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي
الله عنهما لا يحل نكاح الحربيات فالحرة ان كانت اسرائيلية فذاك والا فلا يجوز نكاحها الا بعد العلم بدخول
ابائها في ذلك الدين قبل النسخ **إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد
وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المقدر وقيل شرطية
حذف جوابها اي اذا اتيتموهن اجورهن حللن لكم **مُحْصِنِينَ** اي حال كونكم اعفاء بالنكاح يعني
متزوجين هو حال من فاعل اتيتموهن وكذا قوله **غَيْرَ مُسَافِحِينَ** اي غير مجاهرين ومعلنين بالزنا بهن
وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين **وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** اي ولا مسرين بالزنا بهن يعني
لا تكونوا زانين سرا والخدن الصديق على الذكر والانثى وهو اسم مجرور عطف على مسافحين وزيدت لا للتاكيد

النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار الاوجه الثلثة قال الشعبي الزنا ضربان
السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنا في السر والله تعالى حرمهما في هذه الاية
واباح التمتع بالمراة بجهة الاحصان وهو التزوج فان اهل الجاهلية كانوا يعيبون من يزني في العلانية
ولا يعيبون من يزني سرا فحرمهما الله تعالى ردا عليهم **ومن يكفر** اي ومن يجحد **بالايمان** اي بشرايع الاسلام
وتكاليفه وما احل الله وحرم والمراد بالكفر به انكاره والامتناع عنه يعني ومن يرتد عن الايمان قال ابن
عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان وهو الله **فقد حبط عمله** الصالح الذي عمله قبل ذلك فلا
يعتد به ولا يثاب عليه ان مات على الكفر لقوله تعالى فيمت وهو كافر **وهو في الاخرة من الخاسرين**
اي من هلاكهم ولم يخرجه العمل السابق **يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة** اي اذا اردتم القيام
الى الصلاة وانتم محدثون كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله اي اذا اردت القراءة وظاهر هذه الاية
يقتضي وجوب الوضوء عند كل مرة يريد القيام الى الصلوة لكن اعلمنا بيان السنة من فعل النبي صلى الله عليه وسلم
ان المراد من الاية اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة احدكم اذا احدث
حتى يتوضا حديث صحيح وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد وانه صلى
الله عليه وسلم صلى يوم الفتح الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال عمر صنعت شيئا لم تكن صنعته فقال عمدا
فعلته يا عمر رواه مسلم وابو داود والترمذي وذكر الشيخ بعد قوله بوضوء واحد قوله ومسح على خفيه
فعلى ما قرره الجمهور ظهر ضعف قول من قال بوجوب الوضوء على كل قايم الى الصلوة وان لم يكن محدثا
بظاهر الاية قال زيد بن احمد معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة من النوم وقال بعضهم هو امر على طريق الندب
ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان على طهر روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من توضا على طهر كتب له عشر حسنات وروي عن عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك لكل
صلاة وقال بعضهم هذا اعلام من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة
دون غيرها من الاعمال فاذن له ان يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلاة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال كنا عند النبي صلى الله عليه فرجع من الغايط فاتي بطعام فقال الا تتوضا فقال لم اصل
فاتوضا وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهذا القيل ضعيف لقوله عليه السلام المايدة من اخر القران نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها كما وعليه اطباق الجمهور **فاغسلوا وجوهكم** اي امروا الماء عليه
ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وحد الوجه ما بين منبت الشعر الى منتهى الذقن طولا وما بين الاذنين
عرضا يجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والشارب
والعذار والعنفقة وان كانت كثيفة واما العارض واللحية فان كان كثيفين لا ترى البشرة من تحتهما لا يجب
غسل باطنهما في الوضوء بل يجب غسل ظاهرهما وهل يجب امرار الماء على ما استرسل من اللحية عن الذقن فيه
قولان احدهما لا يجب وبه قال ابو حنيفة لان شعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في جواز المسح
كذلك عن حد الوجه لا يكون حكمه حكم الوجه في وجوب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الله
تعالى امر بغسل الوجه والوجه ما يقع به المواجهة من هذا العضو يقال في اللغة تقبل وجه فلان وخرج وجهه

اذا نبتت لحيته **وايديكم الى المرافق** اي معها كما بينته السنة وهي جمع مرفق بالكسر والفتح مفصل
الذراع والعضد والجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله ويزدكم قوة
الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها عنه فلا دلالة لها
عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القران من اوله الى اخره وقوله تعالى فنظرة
الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك
في الاية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية
تقتضي خروجها والا لم تكن غاية لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤسكم اختلف العلماء في قدر الواجب من مسح الراس فقال مالك واحمد يجب مسح جميع الراس
كما يجب مسح جميع الوجه في التيمم وقال ابو حنيفة يجب مسح ربع الراس وعند الشافعي يجب قدر ما ينطلق عليه
اسم المسح واحتج من اجاز مسح بعض الراس بما روى الشافعي قال انا يحيى بن حسان عن حماد بن زيد وابن
علية عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفي عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا فمسح بناصيته
وعلى عمامته وخفيه فاجاز بعض اهل العلم المسح على العمامة بهذا الحديث وبه قال الاوزاعي واحمد واسحق
ولم يجوز اكثر اهل العلم المسح على العمامة بدلا عن مسح الراس وقالوا في حديث المغيرة ان فرض المسح سقط عنه بمسح
الناصية وفيه دليل على ان مسح جميع الراس غير واجب ومما يؤيد ما ذهب اليه الشافعي بانه لو قال مسحت
بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بكله ولو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في صدقه مسح اليد
ببعض من اجزايه فقوله وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء من اجزاء الراس وذلك الجزء غير
مقدر في الاية فان قدرناه بمقدار معين لم يتعين في ذلك المقدار الا بدليل غير الاية فيلزم صيرورة الاية
مجملة وهو خلاف الاصل وعلى ما قلناه تكون الاية مبينة فهو اولى وقال السيوطي رحمه الله الباء للالصاق اي
الصقوا المسح بها من غير اسالة الماء وهو اسم جنس فيكفي اقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعره وعليه الشافعي
قلت معنى المسح الاصابة على ما ذكره الامام وقيل الباء زايدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت
المنديل وبالمنديل ووجهه كون الباء للتبعيض انه يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل
والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا
وجوهكم فيقتضي الاستيعاب لان حرف الزايد يقتضي تاكيد ما دخل عليه فيفيد تاكيد مسح الراس وقال
السلطان فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع الراس لانه عليه السلام
مسح ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط نفعنا الله بهم جميعا في الحيوة والممات
يوجب ما يطلق عليه اسم المسح كشعرة واحدة بخلاف حلق الراس في الحج فانه لا يجزي عنده اقل من ثلث شعرات
لان الامر هنا مطلق المسح والامر هناك حلق شعر الراس واقل الجمع ثلثة عنده انتهى **وارجلكم** نصبه نافع
وابن عامر وحفص عن عاصم والكساي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة
وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر
كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة
باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح

وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب لا على افضليته وقرئ بالرفع على ارجلكم مغسولة ومن
الاحاديث في غسل الرجلين ما روى البخاري عن ابن عمر قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر سافرناه
فادركنا وقد ارهقتنا العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار
وروى البخاري وغيره عن حمران قال عثمان توضأ فافرغ على يديه ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلثا ثم يديه
كذلك ثم مسح براسه ثم غسل رجله اليمنى ثلثا ثم اليسرى ثلثا ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي
هذا ثم قال من توضأ وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وقال بعضهم اراد بقوله
وارجلكم المسح على الخفين لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع وضع يديه على ركبتيه وليس المراد منه انه
لم يكن بينهما حائل ويقال قبل فلان راس الامير ويده وان كانت العمامة على راسه ويده في كمه روى البخاري
عن عروة المغيرة عن ابيه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال امعك ماء فقلت نعم فنزل
عن راحلته حتى توارى عني في سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل وجهه ويديه وعليه
جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتى اخرجهما من اسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح براسه
ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما واخرج سعيد بن منصور عن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى قال اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين واخرج ابن ابي شيبة عن الحكم قال مضت السنة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمين بغسل القدمين وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين
من غير خف واخرج سعيد بن منصور وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن منذر وابن ابي حاتم والبيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قراها وارجلكم بالنصب يقول رجعت الى الغسل واخرج سعيد بن منصور وابن
المنذر وابن ابي حاتم عن علي كرم الله وجهه قرأ وارجلكم وقال عاد الى الغسل واخرج عبد بن حميد
قال كانوا يقرؤن وامسحوا برؤسكم وارجلكم بالخفض وكانوا يغسلون قال التفتازاني في قراءة النصب اوجب الغسل
لانه لا مجال للعطف على محل الجار والمجرور مع الالتباس فوجب حمل قراءة الجر على الغسل بطريق المشاكلة او الجر
على الجوار اذ العطف بالجوار لا يوجب الاشتراك في الحكم لانتفاء الالتباس بضرب الغاية مع ان الغسل اقرب الى
الاحتياط لما في الغسل من المسح اذ لا اسالة بدون الاصابة وانما حمل الجر على الجوار لان قراءة النصب دالة على
وجوب الغسل فقراءة الجر يجب ان تطابق تلك القراءة واما قوله عز وجل **الى الكعبين** وهما العظمان الناتيان
عند مفصل الساق والقدم في كل رجل كعبان فيجب غسلهما مع القدمين كما ذكرنا في المرفقين وحاصل المعنى فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتاخير فان قيل اكثر المفسرين
على ان الامر في قوله تعالى فاغسلوا للايجاب واطباق العلماء على ان وجوب الوضوء مستفاد من هذه الاية وهذه
السورة مدنية فكيف توضأ وا قبل نزول هذه الاية في مكة قلنا الوضوء فرض على امة محمد صلى الله عليه وسلم مع الصلوة
ليلة الاسراء وهو من الشرائع القديمة كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والذي من خصايصنا اما الكيفية المخصوصة
او الغرة والتحجيل او وجوبه للحدث مع ارادة الصلوة ونحوها **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي فاغتسلوا
بالغوا في تطهير البدن في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل
من الجنابة بدأ بغسل يديه ثم توضأ كما توضأ للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه

ثلث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله والجنابة سببان الاول نزول المني والثاني التقاء
الختانين فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها وباطلاق قوله فاطهروا علم انه امر بتحصيل
الطهارة في كل البدن والا خصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم
الوضوء على الغسل خلافا لابي داود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاسحاق فانه اوجب البداية باعلى
البدن وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك **وان كنتم مرضى** مرضا يضره معه استعمال الماء
او جنبا راكبين **على سفر** او محدثين مرضى او مسافرين **او جاء احد منكم من
الغائط** يعني رجع من مكان البراز محدثا بخروج الخارج من احد السبيلين او من ثقبة تحت المعدة
مع سد المعتاد **او لامستم النساء** اي او لمستموهن او لمسكم فانه اقيم مقام خروج الخارج لانه
سببه **فلم تجدوا ماء** في السفر بعد طلبه وفي معناه تعذر استعماله بعذر في السفر او مرض او برد في
الحضر **فتيمموا** اي اقصدوا **صعيدا طيبا** اي ترابا طاهرا **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي
بايصال شيء **منه** اي من الصعيد اليهما تنزيلا للعضوين الشريفين وتذليلا لاهل الافراط وتذليل
الرجل تفريط وقد سبق تفسيرها في سورة النساء ولعل ذكرها مرة اخرى ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة
ومسح اليدين مع المرفقين بضربتين والباء للالصاق وثبتت السنة ان المراد استيعاب العضوين بالمسح
وانما رخص الله لكم في التيمم لانه **ما يريد الله** اي لا يقصد الله الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم
ليجعل عليكم من حرج اي من ضيق في تحصيل الماء ولا ان يترككم في الحدث مانعا عن الصلوة يعني ما يريد
الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** اي لينظفكم بازالة الحدث
الذي هو النجاسة الحكمية والجنابة او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير الذنوب او ليطهركم حكما بالتراب
اي بالتذلل به فانه لما رفع التكبر فكانما رفع الحدث فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل
اللام زايد والمعنى عليه ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو
ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة **وليتم نعمته عليكم** اي نعمة الاسلام بالترخيص لكم بالتيمم يعني
وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه
عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** الله ونعمته فيثيبكم على ذلك قال كعب القرظي تمام النعمة تكفير الخطايا
بالوضوء كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه روى
عالم قريش محمد بن ادريس الشافعي عن حمران ان عثمان توضأ بالمقاعد ثلثا ثلثا ثم قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ وضوئي هذا خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه وقال صلى الله
عليه وسلم ما من امرء يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة الا غفر له ما بينه وبين الصلوة الاخرى حتى يصليها
وقال عليه الصلاة والسلام ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع
منكم ان يطيل غرته فليفعل والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود
وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان
الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام ليذكركم المنعم

في شكره وميثاقه اي عهده الذي عهده اليكم الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقداً وثيقاً وهو الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره وقبلتم اذ قلتم للنبي حين بايعتموه سمعنا واطعنا اذ ظرف لواثقكم به او لمحذوف
وقع حالاً من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائناً وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به
تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة
او في بيعة الرضوان وقيل انه اشارة الى قوله للذرية الست بربكم قالوا بلى واتقوا الله في ميثاقه ان تنقضوه
وفي نسيان نعمه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات
اعمالكم يعني هو عليم بسرائر الصدور من الخير والشرور وهو وعد ووعيد يا ايها الذين آمنوا هذا شروع
في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله اي
قائمين في كل حق يلزمكم لله من الامتثال لجميع ما امره الله به والاجتناب عن جميع ما نهى الله عنه معظمين
لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان يعني كونوا قوامين بالعدل
قوالين بالصدق امرهم بالصدق في افعالهم واقوالهم ولا يجرمنكم عدي يجرمنكم بعلى لتضمينه معنى الحمل
اي لا يحملنكم شنآن قوم اي بغض قوم من الكفار على ان لا تعدلوا اي على ترك العدل فيهم يعني
لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم لعداوتهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يجوز كمثلة
وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم ثم قال اعدلوا في اوليائكم واعدائكم هو
اي العدل اقرب للتقوى اي الى التقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم
عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين الذين هم اولياء
الله واحباؤه واتقوا الله اي خافوا غضبه وسطوته ان الله خبير بما تعملون من الخير والشر فهو وعد
ووعيد ولذا ذكر بعدها اية الوعد وهو قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعد يتعدى
الى مفعولين فالاول الذين آمنوا والثاني محذوف اي وعداً حسناً استغنى عنه بالجملة وهي قوله لهم
مغفرة واجر عظيم هو الجنة واما اية الوعيد وهو قوله والذين كفروا بالله وكذبوا باياتنا
اي محمد والقران وماتوا بلا توبة اولئك اصحاب الجحيم اي ملازمون لها لا ينفكون عنها يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روى مسلم ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان
قاموا الى صلوة الظهر معاً فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر
فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه الصلوة والسلام
اتى بني النضير ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها فامسك الله يده فنزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج رواه البيهقي وقيل نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال
من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني فقال
اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله اذ هم قوم ظرف لنعمة اي اذكروا نعمة الله في وقت هموا

ولا يجوز ان يكون اذ منصوباً باذكروا للتنافي زمانيهما فان اذ للمضي واذكروا مستقبل ان يبسطوا
اي بان يمدوا ويبطشوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه
لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم اي منعها ان تمد اليكم وعصمكم مما ارادوا بكم من المضرة
واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته باداء شكرها او في كل ما تأتون وتذرون
وعلى الله اي على الله تعالى خاصة دون غيره استقلالاً او اشتراكاً فليتوكل المؤمنون فانه الكافي
لايصال الخير ودفع الشر ثم لما خاطب المؤمنين بذكر نعمته وميثاقه اردفه ذكر ميثاق بني اسرائيل و
نقضهم اياه ثم لعنهم بذلك تحذيراً لهذه الامة من مثل ما فعلوه وفعل بهم فقال ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل بما يذكر بعد وبعثنا اي اقمنا فيه النفاذ عن الجنبة للجري على سنن الكبرياء منهم
اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد بوثقة عليهم والنقيب
فعيل بمعنى فاعل اي شاهداً من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلاً يكفل عليهم بالوفا
بما امروا به قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله اختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلاً يكون
نقيباً لهم وحاكماً فيهم وكفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون
واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا من ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم
اني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ
من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما قرب
الى ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراماً عظيمة
وقوة شديدة وشوكة عظيمة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا
ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف عليه السلام وفي تفسير البغوي فلكه موسى وسار ببني اسرائيل
حتى قربوا من اريحا من ارض الشام وهي الارض المقدسة وكانت لها الف قرية في كل قرية الف بستان
بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن
عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع وكان يحتجز بالسحاب ويشرب
منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم ياكله ويروى ان الماء طبق ما على
الارض من جبل وما جاوز ركبتي عوج وعاش ثلاثة الاف سنة وما بين حتى اهلكه الله على يد موسى عليه
السلام وذلك انه جاء بصخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخاً في فرسخ وحملها ليطبقها عليهم
فبعث الله الهدهد فنقر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وهو مصروع
فقتله وكانت ام عنق احدى بنات ادم وكان مجلسها جريباً من الارض فلما لقي عوج النقباء وعلى
راسه حزمة حطب اخذ الاثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء
الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت امراته
لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك وروى انه جعلهم في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم
بين يديه فقال الملك ارجعوا فاخبروهم بما رايتم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم في
خشبة ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع حبها خمسة انفس فرجع النقباء وجعلوا يتعرفون احوالهم وقال

بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخرتم بنى اسرايل خبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اخبروا موسى وهارون
عليهما السلام فيريانه رأيهما واخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا العهد وجعل كل واحد
منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا رجلان انتهى ما ذكره البغوى رحمه الله **وقال الله**
لبنى اسرايل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه
من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعيد **انى معكم** كيف شاء سبحانه وقال المفسرون
اى بالعلم والقدرة والنصرة اى انى معكم بالنصرة فلا يغلبونكم وان بلغوا من العظمة والقوة ما بلغوا الى
توكلتم على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الشيخ وتقف على انى معكم ثم ابتدا الكلام بما بعده لا تبدا الا
بالشرط الداخل عليه اللام الموطية للقسم وهو **لئن اقمتم** يا معشر بنى اسرايل **الصلوة** الجامعة عبادة
الظاهر والباطن من جميع اجزاء الانسان **واتيتم الزكوة** المطهرة من دنس البخل وكانت الصلوة
والزكوة فريضتين عليهم **وامنتم برسلى** اى من غير تفريق بين احد منهم **وعزرتموهم** اى وعظمتموهم
ونصرتموهم ووقرتموهم واصل العزر الذب والمنع والتعزير المشروع فى حق الجنايات هو منعهم عن المعاودة
بالتاديب وتعزير الانبياء نصرتهم بمنع الاعداء عنهم **واقرضتم الله قرضا حسنا** اى بالانفاق
فى سبيله بلا منة قيل هو اخراج الزكاة وقيل النفقة على الاهل والظاهر هو الاحسان الى كل محتاج فى اى
وقت وقع من غير كراهة فى القلب وامتنان على الفقير بل يطلب رضاء الله ويطيب نفسه **لاكفرن
عنكم سيئاتكم** اى لامحون عنكم ذنوبكم جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط
وجملة هذا القسم المشروط وجوابه مفسرة لذلك الميثاق المقدم **ولادخلنكم جنات تجرى من
تحتها الانهار** عطف على ما قبله داخل معه فى حكم الجواب متاخر عنه فى الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية
على التحلية **فمن كفر** برسلى او بشىء مما عدد فى حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر
على بيان حكم من امن تقوية للترغيب بالترهيب **بعد ذلك** اى الميثاق والشرط المؤكد بالقسم المعلق
به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا **منكم** متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير
الاسلوب حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال و
اسقاط من كفر عن رتبة الخطاب **فقد ضل سواء السبيل** اى اخطا طريق الحق وسواء كل شىء
وسطه فان قيل من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل ايضا ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان
الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فلذلك خصه الله تعالى بالذكر **فبما نقضهم** ما مزيدة لتفخيم الامر
يعنى فبشىء عظيم صدر منهم من **نقضهم ميثاقهم** المؤكد الموعود عليه النصر والمغفرة والاجر
لعناهم اى طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ومن اثر اللعنة ايقاعهم فى التيه
ويدل على لعننا اياهم انا **جعلنا قلوبهم قاسية** اى يابسة لا تلين لقبول الايمان والجهاد
ولا تتاثر ولا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائى قسية وهى اما مبالغة قاسية او بمعنى
ردية من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش من الذهب والفضة
فيه يبس وصلابة والخالص منهما فيه لين وقرئ قسية باتباع القاف للسين وبقيت تلك القساوة
واللعنة فى ذريتهم لذلك **يحرفون الكلم** اى كلم الله فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وغيره وذلك

بصرف الفاظه او معانيه **عن مواضعه** التى وضعه الله عليها بمقتضى كمال الحكمة والجملة استئنافية
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء ويجوز ان تكون الجملة حالا
من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيها **ونسوا حظا** اى وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا
وافيا **مما ذكروا به** اى امروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة
وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوا التوراة فزالت بشومه اشياء
منها عن حفظهم لما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا
هذه الاية **ولا تزال** يا محمد **تطلع** اى تقف وتظهر **على خائنة** اى على خيانة **منهم**
فهى بمعنى المصدر كالعافية او صفة لمؤنث اى فرقة خائنة او لمذكر اى قوم خائن فالتاء للمبالغة
كراوية فى قولهم رجل راوية للشعر والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم مع الانبياء
والرسل لا تزال ترى ذلك منهم يعنى بهم يهود بنى النضير منهم الحيت وهو كعب بن الاشرف حين اتاهم
النبى صلى الله عليه وسلم فى دية المسلمين فهموا بقتله وقتل من معه **الا قليلا منهم** اى من اسلم ولم
ينقضوا العهد ولم يخونوا كعبد الله بن سلام وامثاله والاستثناء من الضمير فى منهم وقيل الاستثناء من قوله
وجعلنا قلوبهم **فاعف عنهم واصفح** اى تجاوز عن عقوبتهم واتركهم ان تابوا وامنوا او عاهدوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف **ان الله يحب المحسنين** تعليل للامر بالصفح وحث
عليه رجاء لايمانهم على طريقة قوله تعالى فقولا له قولا لينا وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن
احسان فضلا عن العفو عن غيره وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه فاذا عفوت فانت محسن
واذا كنت محسنا فقد احبك الله وقال ابو مسلم المراد بهؤلاء المحسنين هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله
وفيه بعد ثم نزل فى النصارى خاصة وقيل فيهما فاكتفى بذكر احدهما **ومن** فى قوله **ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا** وهو الايمان بالله والرسول وافعال الخير يتعلق باخذنا اى واخذنا من
النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم او اخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل
الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما قال قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى
لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله
ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشياطين حيث اختلفوا وخالفوا الحق الذين
قالوا عيسى ابن الله والذين قالوا ان الله هو المسيح والذين قالوا ان الله ثالث ثلثة **فنسوا حظا مما
ذكروا به** اى مما امروا به فى الانجيل من الايمان وغيره ونقضوا الميثاق **فاغرينا** اى فالقينا والصقنا
والزمنا من غرى بالشىء اذا الصق به ولزمه **بينهم** اى بين النصارى اى الفرق الثلثة المذكورة
فان كل فرقة منها تكفر صاحبه او بينهم وبين اليهود **العداوة والبغضاء الى يوم القيمة** بتفرقهم
واختلاف اهوائهم بالجدال فى الدين وقد سبق ذكرهم فى قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شىء الخ ثم توعدهم فقال **وسوف ينبئهم الله** اى فى الاخرة **بما كانوا يصنعون** فى الدنيا فيجازيهم
بالعذاب الشديد ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد عليه السلام فقال **يا اهل الكتاب**
وحد الكتاب لانه للجنس واراد به اليهود والنصارى **قد جاءكم رسولنا** محمد صلى الله عليه وسلم **يبين**

لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اى من التوراة والانجيل مثل نعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم
وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام باحمد وهذا من الاعجاز الباهر لانه عليه السلام لم يقرا كتابا
وقد اخبرهم باسرار كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر دينى او يعفو
عن كثير منكم لا يواخذه بجرمه والفايدة فى الاخبار انهم اذا علموا كون الرسول عالما بكل ما يخفونه يصير
ذلك داعيا الى ترك الاخفاء لئلا يفتضحوا قد جاءكم من الله نور اى محمد لانه يهتدى
به كما سمى سراجا ولم يذكر اسمه ليعلم ان الرسل يعرفون بالايات والمعجزات دون الاسامى او تنزيلا له
عليه السلام شبهه بالنور لانه به يتميز الهدى عن الضلال والحق عن الباطل او المراد به القران فانه
الكاشف لظلمات الشك والشرك والضلال والمظهر لما كان خافيا على الناس او لانه ظاهر الاعجاز وكتاب
مبين اى قران بين ظاهر لما فيه بيان ما خفى على الناس من الحق البين والعطف لتنزيل المغايرة
بالعنوان منزلة المغايرة بالذات يهدى به الله وحد الضمير لان المراد بالنور والكتاب هو
القران اولان النبى والقران فى الحكم كشئ واحد اى من حيث ان المقصود بهما اظهار الحق وتبيينه والدعوة
اليه ولانهما سببا هداية ورشد او لان من اتبع احدهما لا بد ان يكون متبعا للاخر فقوله مبين ويهدى به الله
صفتان للكتاب من اتبع رضوانه اى من اتبع رضاء الله بالايمان منهم يعنى من آمن منهم فمن مفعول
اول ليهدى ومفعوله الثانى سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب او سبل الله وانما جمع مع ان
دين الاسلام طريق واحد ولذلك قال وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لان اصل الدين
واحد ولكن طرق الطاعات متفننة وكل طريق يفضى سالكه الى الجنة بوعد الله على تلك الطاعة لان
سالكيه متعددون فجمعه لاجتماع السالكين فان قيل كيف قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى
به الله من اتبع رضوانه مع ان العبد ما لم يهده الله اولا لا يتبع رضوانه فيلزم الدور قلنا فيه اضمار تقديره يهدى
به الله من علم انه يريد ان يتبع رضوانه كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اى والذين ارادوا
المجاهدة لنهدينهم سبل مجاهدتنا والجامع بين الحقيقة والشريعة يفهم ما قلنا كما افادنا السيد قدس سره
ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اى من انواع
الكفر والضلالات الى النور اى الى الايمان والاسلام باذنه متعلق بقوله ويخرجهم اى يخرجهم بارادته
وتوفيقه وعنايته وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم اى دين الاسلام لانه اقرب طرق الى الله
موصل اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وقيل المعنى ويثبتهم على الدين الحق
القيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهم اليعقوبية من النصارى لانهم
القايلون بالاتحاد لانه فيه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير المسيح كما فى قولهم الكريم هو
المتقى وكقوله عليه السلام فان الله هو الدهر اى الجالب للحوادث لا غير الجالب بخلاف زيد هو المنطلق
فانه معناه لا غير زيد وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا
واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
وهذا القايلين بالاتحاد فهو فرد من افراد العالم فلما كان القايلين باتحاد العالم اجمع ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا قل اى تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد فمن يملك من الله شيئا اى الا كان

الامر كما زعموه فمن الذى يقدر ان يدفع ويمنع من قدرة الله وارادته وقضائه شيئا ان اراد
الله ان يهلك المسيح ابن مريم المدعى الهيته بزعمكم وامه ومن فى الارض جميعا
احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كساير الممكنات ومن كان
كذلك بمعزل عن الالوهية وعطف من فى الارض على المسيح وامه ابانة انهما من جنسهم لا تفاوت
بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحم الامومية حتى يفارقه نقص البشرية ومن لا حت عليه
شواهد الحدثية انى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما اوجد لم يجد نقص
الى الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى له تعالى وحده تملك جميع الموجودات
والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا
يخلق ما يشاء اى يخلق اى شئ وخلق يشاء ان يخلق فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض
والاخرى من اصل كخلق ما بينهما وينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما
كخلق ساير الناس ويخلق بلا توسط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط
مخلوق اخر كخلق الطير على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
فيجب ان ينسب كل اليه تعالى لانه الخالق الحقيقى والمؤثر بالذات لا الى من اجرى ذلك على يديه
والله على كل شئ شاءه قدير اى قادر وما سواه فهو مقتدر بمفعول وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه جمع حبيب بمعنى المحبوب اخرج ابن اسحاق وابن
جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم والبيهقى فى الدلايل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم
نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله فيهم
فان قيل لم نر ولم يسمع ان قوما من اليهود او النصارى قالوا نحن ابن الله فكيف اخبر الله تعالى عنهم
بذلك قلنا المراد نحن ابناء الله اى خاصته المختارون بمزيد القرب ومقربون عنده قرب الاولاد من
والدهم بقرينة واحباؤه فيكون تشبيها بليغا وقيل فيه اضمار تقديره نحن ابناء انبياء الله ورسله
وقيل المراد به اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو ابن الزبير الخبيبيون ثم بكتهم
بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم
فى الاخرة وذلك باقراركم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وهى مدة عبادتكم العجل فى غيبة موسى عليه
السلام لميقات ربه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وخسف الارض كما فعل الله بقارون
وان الاب لا يعذب ولده والحبيب لا يعذب حبيبه وروى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله
لا يلقى الله حبيبه فى النار ثم رد الله عليهم دعويهم بقوله بل انتم بشر ممن خلق اى من
جملة من خلق الله كساير بنى ادم مجزيون بالاحسان والاساءة من غير مزية لكم عليهم ومن خلق صفة
لبشر يغفر لمن يشاء لمن تاب عن الكفر فضلا وهو من امن بالله ورسله ويعذب من يشاء
عدلا وهم من كفروا لا اعتراض فى فعله سبحانه لخلقه ولله ملك السموات والارض وما بينهما

من الموجودات لا ينتسب اليه شيء منها الا بالملوكية والعبودية والمخلوقية والمقهورية تحت ملكوته فاني على ما ينا في بن يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة واثابة وتعذيبا فاني لهم ادعاء ما زعموا **والية المصير** فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه حكمته فلا يملك النفع والضر هناك احد الا هو ثم خاطب الجنس بعد بيان حال كل فريق بقوله **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا** محمد صلى الله عليه وسلم **يبين لكم** الدين وشرائعه وحذف لظهوره او ما كنتم تخفون وحذف لتقدم ذكره او يبذل لكم البيان في كل ما تحتاجون اليه من امور الدين والجملة في موقع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم **على فترة من الرسل** اي على انقطاع متعلق بجاءكم او حال اخر قال ابن عباس اي على حين فتور من الارسال و انقطاع من الوحي وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة او خمسمائة وستون سنة روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان مدة الفترة كانت ستمائة سنة ولا نبي بين عيسى ومحمد عليهما السلام لقوله عليه السلام انا اولى الناس بابن مريم فلا نبي بيني وبينه وقال الكلبي خمسمائة واربعون سنة وعن الكلبي بين موسى وعيسى الف وسبعمائة والف نبي كلهم على شريعة موسى وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما اربعة ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي بانباء الوصرج وذكر محي الفرض والسنة في تفسير معنى الفترة بقوله وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى من غير انقطاع الى عيسى ولم يكن بعد عيسى سوى رسولنا صلى الله عليه وسلم والمقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكان لهم ان يقولوا في اعذارهم في ترك العبادات الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فزاح الله عليهم بازاحة هذه العلة فقال **لا ان لا تقولوا** اذا عذبتم **ما جاءنا من بشير** يبشرنا بالجنة للمطيعين وزيادة من في الفاعل لفايدة المبالغة في نفي المجيء والتنوين للتقليل اي حذرا ان تقولوا ذلك وتعتذروا به **ولا نذير** ينذر بالنار للجاحدين **فقد جاءكم بشير ونذير** متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم البشير والنذير فلا عذر لكم اذن **والله على كل شيء قدير** فيقدر على الارسال تترى كما بين موسى وعيسى عليهما السلام وعلى الارسال على الفترة كما بعث نبينا عليه السلام وعلى المغفرة والعذاب كيف شاء **واذ قال موسى** عطف على قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الخ واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوتك **لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء** فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء ولذا ذكرها بلفظ الجمع **وجعلكم ملوكا** اي وجعل منكم او لكم ملوكا اي اصحاب خدم وحشم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال ابن عباس الرجل اذا لم يدخل في بيته احد الا باذنه فهو ملك وقال ضحاك من كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك او لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم او لان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى بن مريم او لانهم كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا لانه جعلهم مالكين لانفسهم وامرهم بتخصيصه جعل فيكم الانبياء وهم قوام الدين وجعل فيكم الملوك وهم قوام الدنيا اي هيأ الله لكم اسباب معاشكم ومعادكم فاشكروا له **وآتاكم** من النبوة والخير المخصوص **ما لم يؤت احدا**

سورة المائدة

من العالمين من فلق البحر والآيات التسع وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى في التيه ونحوها ما اتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم ثم ان موسى امر قومه بالجهاد بعد ما ذكرهم من تعداد نعم الله عليهم فقال **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** اي الارض المطهرة اعني بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء او مسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله او ايليا وبيت المقدس او اريحا او دمشق وفلسطين وبعض الاردن قال كعب الاحبار وجدت في كتاب المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنز من عباده واخرج ابن عساكر عن معاذ بن جبل هي ما بين العريش الى الفرات واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة انه قال هي الشام كلها **التي كتب الله لكم** اي قسمها وهيأها لكم او خط في اللوح المحفوظ انها تكون لكم مسكنا ولكن ان آمنتم واطعتم لامر الله لقوله بعد ما عصوا فانها محرمة عليكم قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم **ولا ترتدوا على ادباركم** اي لا تنهزموا من خوف الجبابرة والاعداء او لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك في نبوة موسى واخباره بهذه النصرة او لا ترجعوا من الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم عنها الى مصر روي انهم لما سمعوا حال الجبابرة من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان والمخالفة وعدم الوثوق بالله **فتنقلبوا خاسرين** في سعيكم ثواب الدارين وفي تنقلبوا وجهان اظهرهما انه مجزوم عطفا على فعل النهي والثاني انه منصوب باضمار ان بعد الفاء في جواب النهي **قالوا** استيناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل ماذا قالوا في مقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك **يا موسى ان فيها قوما جبارين** اي متغلبين لا نتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وكانوا من بقايا عاد طوالا ذوي قوة **وانا لن ندخلها** بالقتال **حتى يخرجوا منها** من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها **فان يخرجوا منها** بلا قتال **فانا داخلون** اي الارض المقدسة حينئذ **قال** لهم **رجلان** مما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون عليهما السلام ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان وفيا بما قال لهم موسى عليه السلام احدهما يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فتى موسى والاخر كالب بن يوفنا ختن موسى على اخته مريم بنت عمران وكان من سبط يهوذا وكان من النقباء كما ذكرنا وهما **من الذين يخافون** اي يخافون الله ولا يخافون غيره وذلك بان **انعم الله عليهما** بالعصمة والتوفيق والثبات على الحق فكتما ما اطلعا عليه من حال الجبابرة الا عن موسى بخلاف بقية النقباء فافشوا حال الجبابرة وشوكتهم فجبنوا عن الحرب وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي هما من الجبابرة الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ يخافون بضم الياء اي المخوفون وعلى المعنى الاول يكون يخافون بضم الياء من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير ويخوفهم الوعيد اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين اياهم **ادخلوا عليهم الباب** اي ادخلوا على الجبارين من باب قريتهم غفلة يعني باغتوهم وزاحموهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار والخروج فانهم اجساد بلا قلوب **فاذا دخلتموه** اي باب بلدهم وهم فيه **فانكم غالبون** من غير حاجة الى القتال

فلا ذلك تيقنا بنصر الله وانجاز وعده او لانكم اذا هجمتم عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر
والفر لعظم اجسامهم فلا تخشوهم **وعلى الله** تعالى خاصة **فتوكلوا** في الامور كلها **ان**
كنتم مؤمنين اى مقرين بوجود الاله العزيز القدير ومصدقين لوعده اذ الايمان بالله وبرسوله
يقتضي التوكل عليه وهو قطع العلائق وترك التملق للخلائق وان شئت تفصيل التوكل فراجع كتاب
شيخنا عبد القادر قدس سره المسمى بالغنية **قالوا** اى قالوا غير مبالين بقول الرجلين ونصيحتهما
يا موسى انا لن ندخلها اى ارض الجبارين فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم نفوا دخولهم
على التاكيد والتابيد في المستقبل **ابدا** تعليق لنفي المؤكد بالدهر المتطاول **ما داموا فيها** بيان للابد
ويحتمل ان يكون بدلا من ابدا بدل البعض ثم انهم لجهلهم وقسوة قلوبهم بعبادة العجل واستخفافهم
موسى عليه السلام قالوا له **فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** عن
القتال قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك
وقيل قصدوا ذهابهما حقيقة كما قالوا ارنا الله جهرة ولا يخفى عليك اذا قابلت مقالة بني اسرائيل
بمقالة الانصار رضوان الله عليهم يوم بدر لما استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال قريش على
ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود انه قال لقد شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان اكون
انا صاحبه احب الي مما عدل به اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال والله
يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ولو خضت بحرا لخضناه معك ولو
تسنمت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا الى برك الغماد لتابعناك فلما سمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
تابعوه على ذلك قال فرايت وجه رسول الله يشرق لذلك كانه قطعة قمر وسر بذلك فهل لك ما
فضلت به من كونك من خير الامم **قال** موسى عليه السلام لما راى من بني اسرائيل من العناد على
طريقة الشكوى والحزن والبث الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصر **رب اني لا املك** لنصرة دينك **الا نفسي واخي** يعني لا املك الا اخي مع ملكي
لنفسي دون غيرنا فهو منصوب عطف على نفسي او على اسم ان وخبره محذوف اى وان اخي لا يملك الا نفسه
او مرفوع عطف على الضمير المستكن في لا املك وقيل معناه لا يطيعني الا نفسي واخي ولم يذكر الرجلين
المذكورين لعدم الوثوق بهما كل الوثوق لما راى من اطباق الاكثرين على التمرد او تقليلا لمن وافقه
او لكون المراد بالاخ من يؤاخيه في الدين وعلى هذا فيدخل الرجلان **فافرق** اى فافصل **بيننا**
يريد نفسه واخاه **وبين القوم الفاسقين** اى الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك
بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وهو في معنى الدعاء عليهم وقيل بالتبعيد بيننا
وبينهم وتخليصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين **قال** الله تعالى له **فانها** اى
فان الارض المقدسة **محرمة عليهم** اى لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم قال
الشيخ وانما اراد تحريم منع لا تحريم تعبد كقوله وحرمنا عليه المراضع **اربعين سنة** ان جعل ظرفا
لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون بين قوله محرمة وبين قوله كتب الله لكم مخالفة اذ المراد

يحرمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم
ممن بقي بعدها ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا
ففتحها ولم يمت في التيه والتيه بين فلسطين وايلة قالوا الاجماع العلماء على انه هو الذي قتل
عوج بن عنق حين توجه الى مقاتلة الجبارين قال في كشف البيان انما فتح الله اريحا لموسى عليه
السلام وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقي من بني اسرائيل وقتل الجبارين الذي كانوا بها
ثم دخلها موسى ببني اسرائيل فاقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله لا يعلم احد من الخلائق بقبره انتهى
وان جعل ظرفا لقوله **يتيهون في الارض** اى يسيرون في البرية متحيرين لا يرون طريقا يكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة
اولادهم قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان تطول البرية تسعين فرسخا وقدرناها في ستة فراسخ او تسعة
في ثلثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا
امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء
لهم وينزل عليهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه ولا يطول شعورهم ولا يبلى ثيابهم
ولا يبقى شيخ واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله والصحيح ان موسى وهارون
كان معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لبني اسرائيل وانهما ماتا فيه
مات هارون اولا ثم مات موسى بعده بسنة وقيل بثلاث سنين ثم دخل يوشع اريحا بعد وفات موسى بثلثة
اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع وعن همام بن منبه قال حدثنا ابو هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها فرجع
الملك الى الله فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت وقد فقا عيني قال فرد الله اليه عينه وقال
ارجع الى عبدي فقل الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة
فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة
رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ذكره
البغوي في تفسيره واوجها كثيرا في موته وموت اخيه فراجعه وعن مقاتل لما دعا موسى عليه السلام على بني
اسرائيل فاخبره الله بانهم يتيهون قالوا له لم دعوت علينا وندم على ما عمل برقة القرابة اوحى الله
اليه **فلا تأس** اى فلا تحزن **على القوم الفاسقين** فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وذكر
السيوطي رحمه الله ان يوشع نبئ بعد الاربعين وامر بقتال الجبابرة وذلك بعد وفات موسى وهارون
عليهما السلام في التيه وسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى
فرغ من قتالهم وروى احمد في مسنده حديث ان الشمس لم تحبس على بشر الا ليوشع ليالي سار الى
بيت المقدس ثم اخبر الله عن سيرة الصالح والطالح بقوله **واتل** يا محمد **عليهم** اى على قومك
نبا اى خبر **ابني آدم** اى ابناء آدم عليه السلام من صلبه يعني هابيل وقابيل **بالحق** اى تلاوة
متلبسة بالحق اى الواقع في كتب الاولين من غير تحريف فيها ولا سماع من اهلها او اتله نبأ متلبسا
بالصدق او اتل عليهم وانت محق صادق **واذ قربا** نصب بالنبأ اى قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت

قربانا الى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ولم يثن لانه مصدر في الاصل او لان التقدير اذ قرب
كل واحد منهما قربانا بدليل قوله فتقبل من احدهما اي قربانه وهو هابيل ولم يتقبل من الآخر
وهو قابيل وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما وآخرهم المغيث
وتوامته المغيثة ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين
الفا قال بعضهم تغشى آدم حوا بعد هبوطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته وروت جماعة من المفسرين
منهم ابن مسعود رضي الله عنه ان سبب هذا التقريب ان حوا كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فكان الذكر
يتزوج انثى البطن الثاني ولا تحل له اخته اي توامته وولدت مع قابيل اختا جميلة ومع هابيل اختا اسمها
ليوذا ليست كذلك فلما اراد آدم عليه السلام ان يزوجها من هابيل قال قابيل ان الله لم يامر ان اكبر
اختك اقليما لهابيل قال قابيل انا احق باختي فنهاه آدم وقال انها لا تحل لك فلم يقبل فاتفقوا على التقريب
فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته ووجب ان ياخذ اخت قابيل فحينئذ غضب قابيل واضمر الحسد
في نفسه الى ان حج آدم قال اي قابيل لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك
قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين وتقديره قال لم تقتلني وليس لي ذنب قال لان الله قربانك
ولم يتقبل قرباني فقال انما يتقبل الله من المتقين فلو كنت منهم لتقبل منك وقال الحسن والضحاك ابني آدم
الذين قربا بالقربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل كانت بينهما خصومة ولم تكن
القرابين الا في بني اسرائيل لقوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس
الآية والصحيح ان المراد بابني آدم لصلبه لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من الغراب ولو كان من
بني اسرائيل لما خفي عليه هذا الامر وفي قوله انما يتقبل الله من المتقين اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه
من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وعن
عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال اني اسمع الله يقول انما يتقبل
الله من المتقين لئن لام قسم بسطت اي مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط اي ما انا
باد جواب القسم يدي اليك لاقتلك فتح نافع وابو عمرو وحفص الياء واسكنها الباقون والمعنى
والله لئن باشرت قتلي حتما او عدلتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات
ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى من قابيل وابطش منه
ولكن تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت او
تحريا لما هو الافضل حيث اخرج احمد والحاكم عن خالد بن عرفطة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد
انه سيكون بعدي احداث وفتن واختلاف فان استطعت ان تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل
واخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني آدم ضربا مثلا لهذه
الامة فخذوا بالخير منهما وقوله تعالى اني اريد ان تبوء اي ان تحمل او ترجع باثمي اي باثم قتلي اذا قتلتني
واثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وهو عقوق الاب والحسد والحقد وكلاهما منصوبان على الحالية اي ترجع
ملتبسا بالاثمين حاملا لهما وانما اراد ذلك لكفره برده حكم الله تعالى انكارا وجحودا او لكونه ظالما وجزاء الظلم
جائز ان يراد من الله تعالى فيحسن من العبد ايضا تعليل آخر لامتناعه عن المقاتلة فتكون من اصحاب النار

لكفرك بالله او بما شرع الله تعالى لعباده وذلك جزاء الظالمين عند الله يحتمل ان يكون من قول هابيل
لاخيه وهو الظاهر ويحتمل ان يكون اخبارا من الله لمحمد عليه الصلاة والسلام فطوعت اي زينت
له نفسه قتل اخيه يعني فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت
على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله بعد التطويع التام وكان هابيل يوم قتل عشرين سنة
فلما قصد قابيل قتله لم يدر كيف يقتله قال ابن جريج فتمثل له ابليس واخذ طيرا فوضع راسه على
حجر ثم شدخ راسه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين قيل وهو مستسلم
وقيل اغتاله وهو في النوم فشدخ راسه فقتله فاصبح اي فصار قابيل من الخاسرين دينا ودنيا اما
دينا فحيث اسخط والديه وكفر واما دنيا فاذ لم يظفر بما قتله لاجله وحمله على ظهره سبعة ايام دائرا
به ماذا يفعل به روى الشيخان عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل نفس ظلما
الا كان على ابن آدم الاول منه كفل لانه اول من سن القتل واختلف في موضع قتله قال ابن عباس
جبل ثور وقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة وقيل بقاسيون جبل بدمشق فبعث الله غرابا
يبحث اي ينبش التراب بمنقاره في الارض ليريه الله او الغراب اي ليعلمه كيف يواري اي يستر
سوءة اخيه اي جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى روي انه لما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما
يصنع به لانه كان اول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على
ظهره فاروح فعكفت عليه الطير تنتظر ان يرمي به فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا بين يديه
فقتل احدهما صاحبه ثم حفر برجله ومنقاره حتى مكن في الارض ثم القاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر
اليه والضمير في ليريه لله او للغراب كما قررنا بذلك وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي
ليريه قال استيناف كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى كلمة جزع و
تحسر عند وقوع الداهية العظيمة والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك
والويل والويلة الهلكة اعجزت عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي
استفهام بمعنى التعجب وهذا التحسر منه على ما فاته من مقدار هذا العلم الذي وقف عليه الغراب وقوله
فاواري بنصب الياء عطف على اكون وليس جواب الاستفهام كما فهمه الكحل اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بسكون الياء على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف فاصبح اي صار
من النادمين لا يقال هذا القول يدل على ان قابيل كان تائبا لقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة لان ندمه
على ما عليه المفسرون لم يكن على قتل اخيه بل على حمله على عنقه مدة وعدم اهتدائه الى الدفن وتلمذه
للغراب او على فقد اخيه وكونه مطرودا بين الناس واسوداد وجهه وعدم نفعه بما فعله لاجله وتبري
ابيه منه وتمكثه بعد ذلك مائة سنة لا يضحك او كان الندم في شريعتهم ليس بتوبة فان الاولين كانوا
يعاقبون على جناياتهم بعد الندم كما عرف في الذين عبدوا العجل وندموا كما قال الله تعالى ولما سقط في
ايديهم ومع ذلك عوقبوا بقتل انفسهم وقال في التيسير انما جعل الندم توبة في هذه الامة خاصة او
نقول التوبة تؤثر في حقوق الله تعالى لا في حقوق العباد والقتل من حقوق العباد فلا تؤثر فيه التوبة

قال علي بن الحسين وكل به ملكان يطلعان مع الشمس اذا طلعت ويغربان به مع الشمس اذا غربت وينضحانه
بالماء الحار مع حر الشمس حتى تقوم الساعة وقال مجاهد عقدت احدى رجلي قابيل الى فخذها وساقها
وعلقت من يومئذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث ما دارت عليه حظيرة من نار وفي الشتاء
حظيرة من ثلج واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا
والفواحش حتى اغرقهم الله بالطوفان ايام نوح عليه السلام وبقي نسل شيث وقيل ان ياجوج وماجوج
من نسله واخبرنا ابو القاسم بن حبيب اسنده الى مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما قتل قابيل هابيل وادم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت
الارض فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل وفي بعض الروايات
ان الطيور والوحوش كانت تألف اولاد آدم فلما وقع هذا نفرت واستوحشت وهاجت ريح و
اظلمت لها الدنيا وكان ادم في مناسك الحج فقال لجبريل ما هذا فقال هذا من شؤم قتل ابنك قابيل اخاه
هابيل فحزن لذلك ادم وبكى ولم يضحك مائة عام فاتى على راس المائة فقيل له حياك الله وبياك
اي اضحكك وبشر بغلام فعند ذلك ضحك وكان مضى من عمره مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس
سنين ولدت له حوا شيث وتفسيره هبة الله اي خلفا من هابيل وانزل الله عليه خمسين صحيفة
وصار وصي ادم وولي عهده واخرج ابن جرير عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال لما قتل ابن
ادم اخاه بكى ادم فقال كلاما مضمونه هكذا ∴ تغيرت البلاد ومن عليها ∴ فلون الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ∴ وقل بشاشة الوجه المليح ∴ وزيد عليه هذه الابيات في اكثر الروايات
قتل قابيل هابيلا اخاه ∴ فواحزنا مضى الوجه المليح ∴ ومالي لا اجود بسكب دمع ∴ وهابيل تضمنه
الضريح ∴ وجاورنا عدو ليس يفنى ∴ لعين ما يموت فنستريح ∴ وجانت سهلة وهابيل ∴ هابيلها وقابيلها نصيح ∴ لقتل ابن النبي بغير جرم ∴ فقلبي
عند قتلته جريح ∴ ارى طول الحياة علي غما ∴ فما انا من حياتي مستريح ∴ وجاورنا عدو ليس يفنى
لعين ما يموت فنستريح ∴ وقالت حواء كلاما في جواب ادم مضمونه هذا ∴ اهابيل قد قتلا جميعا ∴
وصار الحي بالميت الذبيح ∴ وجاء بشرة قد كان منه ∴ على خوف فجاء بها يصيح ∴ وفي بعض الروايات
انها قالت ∴ دع الشكوى فقد هلكا جميعا ∴ بهلك ليس بالثمن الربيح ∴ وما يغني البكاء عن البواكي ∴
اذا ما المرء غيب في الضريح ∴ فبك النفس منك ودع هواها ∴ فلست مخلدا بعد الذبيح ∴ وقال
ابليس لعنه الله شامتا به في جواب ادم عليه السلام ∴ تنح عن البلاد وساكنيها ∴ ففي الارض
ضاق بك الفسيح ∴ وكنت بها وزوجك في رخاء ∴ وقلبك من اذى الدنيا مريح ∴ فما انفكت مكايدتي
ومكري ∴ الى ان فاتك الثمن الربيح ∴ فلولا رحمة الجبار اضحى ∴ بكفك من جنان الخلد ريح ∴ وروي عن
عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من قال ان ادم قال الشعر فقد كذب على
الله ورسوله ورمى ادم بالمأثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء عليهم السلام كلهم في النهي عن الشعر
سواء قال الله وما علمناه الشعر وما ينبغي له لكن لما قتل هابيل رثاه ادم مرثيته وهو اول شهيد في الارض
قال ادم لشيث يا بني انك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارث فحرض الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل
الى يعرب بن قحطان وهو اول من تكلم بالعربية كان يعرف والسريانية ايضا واول من خط بالقلم بالعربية

فكان

وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر
والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وما زاد فيه ولا نقص وفي تفسير الكحل انه كذب بحت وقد صح
ان الانبياء مخصوصون عن الشعر مع ان ذلك الشعر من غاية الركاكة بحيث لا يليق بالاحاد فضلا
عن الافراد وخصوصا من علمه الله الاسماء كلها حتى صار علمه حجة على الملئكة انتهى وكلاهما
حق والله اعلم فمن ادعى ان العصمة عن الشعر من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم فعليه البيان
وفي تفسير محي السنة والوضي ان المطلب بن عبد الله بن حنطب قال لما قتل ابن ادم اخاه رجفت
الارض بما عليها سبعة ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله عز وجل اين اخوك
هابيل قال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك
قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله تعالى على الارض يومئذ ان تشرب دما بعده ابدا انتهى
من اجل ذلك قرا ابو جعفر من اجل بكسر النون موصولا وقرا العامة بجزم النون اي بسبب ذلك القتل
وبعلته يعني من جراء ذلك القاتل وجنايته يقال اجل يا جل اجلا اذا جنى مثل اخذ ياخذ اخذا يعني من اجل
الذي فعل قابيل وهو قتله اخاه على سبيل العدوان مؤديا الى الخسران الدارين كتبنا على بني اسرائيل قيل
خصهم بالذكر وان اشترك الكل في ذلك لان التورية اول كتاب نزل فيه الاحكام يعني قضينا عليهم انواع القتل
والعقوبات اي شرعنا القصاص في حق القاتل فان قيل حكم القصاص ثابت في جميع الامم فما فائدة تخصيصه بني
اسرائيل فالجواب ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور في الاية
وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قسوة قلوبهم
واقدامهم على قتل الانبياء والرسل فيكون في كتبنا تسلية لرسولنا صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي عزموا فيها
على قتله وهو قوله تعالى اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديكم انه من قتل نفسا بغير نفس اي ان
من قتل نفسا بغير نفس يوجب القصاص او بغير فساد في الارض وذلك الفساد كالشرك وقطع الطريق
وكل فساد يوجب القتل فكانما قتل الناس جميعا في الذنب اي من حيث انه هتك حرمة الدماء
وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم
وعن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل القاتل الناس جميعا لم يزد على ذلك
جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياة النفس بعفو او منع عن
القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة بان انجاها من غرق او حرق او هدم او من ظالم او غير ذلك فكانما
فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود انه جعل قتل الواحد كقتل الجميع ترغيبا عن القتل لان المتعرض لقتل النفس
اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فيمتنع عن قتلها وجعل احياء النفس واختلفوا
في تاويلها فقال الامام اقرب ما قيل في تاويلها ان المراد من قتل نفسا واحدة بغير حق كان جميع الناس خصومه
في الدنيا ان لم يكن له ولي وفي الاخرة مطلقا لانهم من اب وام واحدة انتهى واخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله
عنهما في الاية قال من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا من حيث ابطال المنفعة على الكل لان نفعهما
عامة للكل ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل المراد من هو قابيل فان عليه
من الاثم بمنزلة اثم الكل لانه اول من سن القتل فكل قتل يوجد بعده يلحقه شيء من وزره لعلة التسبب لقوله

صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها قال الامام بعد نقله هذا القول وهذا
حسن في المعنى ولكن اللفظ لا يساعد عليه وهو قوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل لان هذا المعنى اذا اريد
به قابيل لا تخص كتابته ببني اسرائيل وقيل من قتل نفسا يجب عليه القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل
الناس جميعا وقيل من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا قال قتادة عظم
الله جزاء قتل النفس وعظم وزره معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما قتل الناس جميعا في الاثم لانهم
لا يسلمون منه ومن احياها وتورع عن قتل النفس فكانما احيا الناس جميعا في الثواب لسلامتهم منه قال سليمان
ابن علي قلت للحسن يا ابا سعيد هي لنا كما كانت لبني اسرائيل قال اي والذي لا اله غيره ما كان دماء بني اسرائيل اكرم
على الله من دمائنا ولقد جاءتهم اي بني اسرائيل رسلنا بالبينات اي بالايات والمعجزات الظاهرات الواضحات
في بيان الحلال والحرام والظلم والعدل هذه جملة مستقلة غير معطوفة اكدت بالتاكيد القسمي وحرف التحقيق
لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى اخره للتصريح بوصول رسالة اليهم فانه ادل على
تناهيهم في العتو والمكابرة ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم
من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحات تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم
في الارض لمسرفون بالقتل ولا يبالون به ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميز المشار اليه وانتظامه
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم
للتراخي في الرتبة والاستبعاد وهذا الظرف متعلق بقوله لمسرفون الذي هو خبر ان وكذا الظرف المتقدم ولا
يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها لان دخولها على الخبر على خلاف الاصل اذ الاصل دخولها على المبتدا وانما منع
منه دخول ان فكانها في حيزها الاصلي حكما في كل امر التساعد عن حد الاعتدال مع عدم المبالاة به ثم لما ذكر
عقوبة من قتل نفسا بغير نفس الاية ذكر بعده عقوبة من يسعى بالفساد في الارض فقال انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله اي انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او يحاربون اولياءهما وهم
المسلمون كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة فجعل محاربتهم محاربتهما تعظيما لهم ونظيره قوله
ان الذين يؤذون الله ورسوله واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كان
في مصر قال المفسرون لا يجوز حمل الاية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض و
لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد والنفي ولان حده يسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها ويسعون
في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص لان الفساد نوع من
السعي فان معنى يسعون ههنا يفسدون فالتقدير يفسدون في الارض بسعيهم فسادا اخرج الشيخان عن انس ان
نفرا من عكل قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا فاجتووا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتوا ابل
الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها فقتلوا راعيها واستاقوها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم فجيء بهم فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فانزل انما جزاء الاية فرفع
السمل فكانت الاية ناسخة لتلك السنة وعند امامنا الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقران كان الناسخ لتلك
السنة سنة اخرى ونزل هذا القران مطابقا للسنة الناسخة ووقف الامر على هذه الحدود واخرج مسلم
عن انس قال انما سمل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعين اولئك لانهم سملوا اعين الرعاء وقال الضحاك نزلت في قوم

اهل

من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل
وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون
اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بلا قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة
من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي جزاؤهم ان يقتلهم الامام قصاصا
من غير صلب ان انفردوا بالقتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وان
بقاءه مصلوبا في ممر الطريق اشهر وازجر وللفقهاء خلاف ذهب الشافعي الى انه ان قتل عمدا او
اخذ نصابا قتل وكفن وصلي عليه ثم صلب وترك ثلاثة ايام ثم انزل سال صديده او لا ولا
يصلب مكشوف العورة وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده وهو الوذك وذهب ابو حنيفة
الى انه يصلب حيا ثم يزرق بطنه برمح حتى يموت او يترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا
ثم ان انزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى تهرى فلا غسل ولا صلاة او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى لاخذهم المال وارجلهم اليسرى لاخافة الطريق ان
اخذوا المال ولم يقتلوا والتشديد في هذه الثلاثة لان القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ
ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الرجل
من خلاف او ينفوا من الارض اي ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان
اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس اخرج الشافعي في الام وعبد الرزاق والفريابي وابن
ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهم اجمعين
في قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية قال اذا خرج المحارب فاخذ المال ولم يقتل قطع من
خلاف واذا خرج فقتل ولم ياخذ المال قتل واذا خرج واخذ المال وقتل قتل وصلب واذا خرج فاخاف
السبيل ولم ياخذ المال ولم يقتل نفي ثم اختلف العلماء في لفظة او فقال ابن عباس في رواية والحسن
وسعيد بن مسيب ومجاهد والنخعي انها للتخيير والمعنى ان الامام مخير في المحاربين وقال ابن عباس في
رواية عطاء او ههنا ليست للتخيير بل لبيان الاحكام وترتيبها وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي
واحمد واصحاب ابي حنيفة ذلك اشارة الى الجزاء المتقدم من القتل والصلب وما عطف عليهما وهو مبتدا
لهم خزي مبتدا وخبر في الدنيا صفة لخزي والجملة خبر لذلك والخزي الدنيوي الفضيحة والهوان
ولهم في الاخرة عذاب عظيم اي لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قطع الطريق او من شركهم
واسلموا من قبل ان تقدروا عليهم اي قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تباعة
عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم او مال اما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل
ان يظفر بهم الامام يسقط عنه كل عقوبة وجبت عليه حقا لله تعالى ولا يسقط ما كان من حقوق العباد
فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي
القتيل ان شاء عفى عنه وان شاء استوفاه وان كان قد اخذ المال سقط عنه القطع وان كان قد جمع
بينهما يسقط تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه وقال بعضهم اذا جاء
تائبا قبل القدرة لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرد الى صاحبه

روى عن علي كرم الله وجهه في حارثة ابن زيد كان خرج محاربا فسفك الدماء واخذ الاموال ثم جاء
تائبا قبل ان يقدر عليه فلم يجعل علي عليه تبعة اما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها
وقيل كل عقوبة تجب حقا لله تعالى من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب تسقط
بالتوبة بكل حال والاكثرون على انها لا تسقط وقال السلطان هذا استثناء مخصوص بما هو حق الله
ويدل عليه قوله عز وجل فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط
بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط
الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل
القدرة وبعدها انتهى ما قاله ثم حذرهم عن ارتكاب المعاصي وحثهم في العمل الصالح فقال يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله فلا تؤذوا عباد الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما يقربكم اليه من طاعته
يعني ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الخيرات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب
اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة ثم لما امر بالتقوى وبكل فعل ينبغي وكل واحد منهما شاق ثقيل على
النفس اردف ذلك التكليف بقوله وجاهدوا في سبيله اي بمحاربة اعداء الله واعلاء دينه وخص
الجهاد بالذكر وان كان داخلا في معنى الوسيلة تشريفا له لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز
بكرامته ثم قال تهديدا للكفار ليؤمنوا فقال ان الذين كفروا لو ثبت ان لهم اي ان يكون
للكفار ما في الارض من صنوف الاموال وهو اسم ان ولهم خبرها قدم على الاسم جميعا تاكيد لما
ومثله معه اي لو ثبت ايضا ان لهم مثل ما في الارض جميعا معه وهو عطف على اسم ان وهو ما في الارض
ليفتدوا به اي ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة اي من العذاب الواقع يومئذ
واللام في ليفتدوا متعلق بالاستقرار المقدر والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى ما
الموصولة والى مثله ايضا وتوحيده وان تقدمه شيئان لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا
بذلك واشير به الى شيئين كما في قوله تعالى عوان بين ذلك اي بين البكر والفارض او لان الواو في ومثله
بمعنى مع وقيل الضمير في به راجع الى ما الموصولة والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف قوله ومن عذاب
متعلق بالافتداء كما ان الباء في به كانت متعلقة به اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية
لخلاص انفسهم من عذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم اي لم يقبل منهم ذلك الفداء وهو جواب لو ولو بما
في حيزه خبر ان والجملة تمثيل وتصوير للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه وليس المعنى على
انهم لو زادوا على المذكور تقبل منهم بل ايراد كلام يفهم منه دوام العذاب ولزومه على طريق الكناية وهذا
قيل يجوز ان يكون تمثيلا لحالهم في عدم التفصي عن العذاب بحال من يكون له امثال ما في الارض
ويريد بها الخلاص من العذاب ولا يجد اليه سبيلا ولهم عذاب اليم هذا تصريح بالمقصود من عدم
قبول فديتهم وكذلك قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار قراءة العامة بفتح الياء لقوله
عز وجل وما هم بخارجين منها وقرئ ان يخرجوا بضم الياء وفتح الراء من الاخراج لقوله قالوا ربنا اخرجنا
منها وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة قوله يريدون له وجهان احدهما انهم يقصدون
ويطلبون المخرج منها كما قال الله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي ان الملئكة يردونهم اليها

بمقامع من حديد والثاني يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال الله اخبارا عنهم ربنا اخرجنا منها روى انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقال للكافر يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به
مما رايت فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك سئلت ان لا تشرك بالله شيئا فابيت الا الشرك رواه
البخاري ولهم عذاب مقيم اي دائم لا يفارقهم ردا لما يقوله بعض الناس من انهم يخلدون فلا
يحسون بالالم فعلى ما ذكرنا من الاقوال والمعنى لمن يقول ان المراد بقوله عز وجل يريدون انهم ان العود
لا يكون الا بعد تمام الخروج لانه مناف ومناقض لدوام العذاب ثم بين حكم السرقة بقوله والسارق
والسارقة ال فيهما موصولة مبتدا اي الذي سرق والتي سرقت ولتشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو
فاقطعوا ايديهما اي يمين كل واحد منهما من الكوع وبينت السنة ان الذي يقطع فيه مال يخرج عن
الحرز ومقداره ربع دينار فصاعدا وهو قوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا رواه الشيخان وبهذا
اخذ الشافعي واحمد وعند ابي حنيفة عشرة دراهم وعند مالك ثلثة دراهم وانه ان عاد قطعت رجله اليسرى
من مفصل القدم ثم يده اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر هذا على ما ذكره الجلال السيوطي والمشهور من
قول البصريين ان السارق مبتدأ محذوف الخبر اي حكم السارق ثابت فيما يتلى عليكم ويكون قوله فاقطعوا
ايديهما بيانا لذلك الحكم المقدر والكلام على ما ذهب عليه البصريون جملتان الاولى خبرية والثاني امرية والكل
على ما ذكرنا اولا وهو مذهب المبرد بان ال موصولة مبتدأ وقوله فاقطعوا خبره جملة واحدة وهي الجملة الامرية
اي والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا فيكون الامر في الحقيقة جزاء الشرط المقدر اي ان سرق احد فاقطعوا
يده وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل وقراءة الجمهور الرفع
وهو الاولى لان هذه الاية ليس من باب ما اضمر عامله في امثال السارق والسارقة وقد استقصى السلطان
الكلام في معنى قوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا في شرح المصابيح فراجعه والمراد بالايدي
الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما والقطع عند الخوارج من المنكب والجمهور على انه من الرسغ كما ذكرنا
لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه من الكوع جزاء اي فاقطعوا للجزاء او يجازوهما جزاء بما
كسبا متعلق بجزاء او بفاقطعوا اي بسبب كسبهما او بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي و
جزاء نكالا اي عقوبة وترك العاطف لان المعنى ان القطع الذي للجزاء لقصد النكال والمنع عن
المعاودة من الله اي نكالا كائنا منه تعالى وقدم السارق لانه اكثر ما تكون السرقة في الرجال وقطع
العضو الجاني من السارق دون الزاني محافظة على العورة او ابقاء على النسل وقال القرطبي رحمه الله
بدأ الله بالسارق في هذه الاية قبل السارقة وفي الزنا بدأ بالزانية والحكمة في ذلك ان يقال لما كان حب
المال على الرجال اغلب وشهوة الاستمتاع على النساء اغلب بدأ بهما في الموضعين والله عزيز غالب على امره
لا يعارض في حكمه حكيم في كل ما شرع من الزواجر للعلم الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة فمن تاب
من السراق من بعد ظلمه اي من بعد سرقته واصلح العمل بالتفصي عن التبعات والعزم على ان
لا يعود اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقط بالتوبة
عند الاكثرين لانه جزاء على الجناية لقوله تعالى جزاء بما كسبا نكالا من الله فلا بد من التوبة بعد القطع ولذلك
قال الله فمن تاب من بعد ظلمه ان الله غفور رحيم اي يغفر للذنوب رحيم بقبول التوبة هذا اذا تاب

بينه وبين الله وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم خلافا لأهل
الكوفة فلا غرم عليه عندهم وبالاتفاق إن كان المسروق قائما عنده تسترد وتقطع يده لأن القطع
حق الله والغرم حق العبد فلا يمنع أحدهما الآخر كاسترداد العين ألم تعلم استفهام تقرير
والخطاب مع النبي والمراد به الجميع أي كل مخاطب صالح للخطاب والمعنى قد علمت أن الله له
ملك السموات والأرض أي يحكم في أهلهما ما يشاء لا اعتراض لأحد عليه لأن عنوان الألوهية مدار
أحكام ملكوتهما يعذب من يشاء تعذيبه لمن مات على الكفر أو أصر على الذنب ويغفر لمن يشاء
من تاب من الكفر ولم يصر على الصغائر وقدم هنا التعذيب على المغفرة لتقدم السرقة على التوبة وقيل
لتهويل شأن السرقة وتغليظها والله على كل شيء قدير ومنه التعذيب والمغفرة يا أيها
الرسول خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف لا يحزنك قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي
الذين يسارعون في الكفر والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين الذين يقعون في الكفر سريعا
يعني في إظهارهم الكفر إذا وجدوا منه فرصة فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه
الشيب أي أوقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه وذلك لموالاتهم المشركين وإظهار
آثارهم كيدهم للإسلام وفي الخبر نزل في شأن أبي لبابة حين حاصر النبي عليه السلام بني قريظة
فأشار إليهم أبو لبابة وكان حليفا لهم أنكم إن نزلتم عن حصونكم قتلكم فلا تنزلوا على خاطر نبيه
بقوله من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون من للتبيين
أي بيان للمسارعين في الكفر والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا
وقيل عطف على قالوا ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا وبه تم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم
إلى قسمين المنافقين واليهود سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف أي هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون
مبتدأ وخبره من الذين هادوا أي من اليهود قوم سماعون وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الأول
أي كون الضمير للفريقين يوقف على الذين هادوا واللام في قوله للكذب إما مزيدة للتأكيد أو لتضمين السماع
معنى القبول فإن السماع قد يستعمل ويراد منه القبول نحو سمع الله لمن حمده أي قبل منه حمده فتكون اللام
بمعنى من والمعنى اليهود قوم قابلون لما يفتريه أحبارهم من الكذب على الله ورسوله أو للعلة والمفعول
محذوف أي هم قوم سماعون كلامك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل
والتغيير وذلك أنهم كانوا يسمعون من الرسول عليه السلام ثم يخرجون ويقولون سمعنا منه كذا وكذا
ولم يسمعوا منه ذلك سماعون لقوم أي لأجل قوم آخرين من اليهود وجههم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك
لم يأتوك أي لم يحضروا ذلك القوم الآخر مجلسك وتباعدوا عنك تكبرا أو إفراطا في البغضاء وهو
صفة للقوم والمعنى على الوجهين أي هم مصغون لقوم آخرين قابلون كلامهم أو سماعون منك لأجلهم
وللإنهاء إليهم يعني أنهم جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم آخرين كما أشرنا ويجوز أن يتعلق
اللام بالكذب لأن سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم
الذي في التوراة كآية الرجم وتغيير صفات النبي من بعد مواضعه التي وضعه الله عليها والمعنى
يزيلون الكلم ويميلونه ويبدلونه ويغيرونه بعد أن وضعه الله من الصحة في بيان الحلال والحرام في مواضعها

إما لفظا

إما لفظا بإهماله وإسقاطه كآية الرجم وضعوا موضعها الجلد والتحميم وهو تسويد الوجه بالفحم
وإما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده والجملة صفة لقوم أو صفة لسماعون أو حال من الضمير
فيه أو استئناف لا محل لها من الإعراب أو في موضع الرفع خبر لمرفوع أي هم يحرفون ويجري في إعراب قوله
يقولون إلا في الوجوه المذكورة في إعراب قوله يحرفون أي هم يقولون لمن أرسلوهم إليك إن أوتيتم
هذا أي هذا المحرف فخذوه يعني إن أفتاكم محمد عليه السلام بالجلد والتحميم فاقبلوه واعملوا به
وإن لم تؤتوه بل أفتاكم محمد عليه السلام بخلافه فاحذروا أي فاحذروا قبول ما أفتاكم به قال
المفسرون روي أن رجلا وامرأة من أشراف خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حد الزنا في التوراة الرجم فكرهت
اليهود رجمهما لشرفهما فأرسلوا قوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسألوه عن حكمه في الزانيين إذا أحصنا
وقالوا لهم إن أمركم بالجلد فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا فلما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك
نزل جبريل بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأي
رجل هو فيكم قالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلام في التوراة قال
فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال وأنت أعلم اليهود قالوا كذلك
يزعمون قال أتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال عليه السلام أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى
وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم
الطور وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال ابن صوريا
نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في
كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم
قال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فماذا
كان أول ما ترخصتم به أمر الله عز وجل قال كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد
فكثر الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في أسوة الناس فأراد ذلك الملك رجمه
فقام عنه قومه فقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا ابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون
الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته
به وما كنت أهلا لما أثنينا عليك ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم إنه قد أنشدني بالتوراة ولولا
خشية التوراة أن تهلكني لما أخبرته به فأمر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب المسجد وقال اللهم إني أول
من أحيى أمرك إذ أماتوه فأنزل الله عز وجل يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ثم سأل ابن صوريا
عن أشياء كان يعلمها من أعلامه فأجابه بما هو المطابق للتوراة فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي
الذي بشر به المرسلون وفي بعض الروايات فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم فأبوا قبوله وقالوا ليس عندنا
إلا أن نسود وجوههما فأنزل الله قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فوضع القاري
يده على آية الرجم فقال عبد الله بن سلام جزه يرفع يده فرفعها فوجد آية الرجم فقال عبد الله بن عمر فأمر
برجمهما عند باب المسجد وأنا ممن رجمهما ومن يرد الله فتنته من مفعول مقدم وهي شرطية أي كفره

وضلالته قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه او فضيحته فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا
وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشتغال بظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له اى فلن تستطيع
له من الله شيئا في دفعها اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة
من البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم من رجس الكفر وخبث الضلالة والفضاحة لجهله منهم باختيار الكفر والضلالة ولو اراد التطهير
لكان وهو كما ترى رد على فساد قول المعتزلة فانهم ذهبوا الى ان الله تعالى اراد اسلام الكافر وتطهيره
عن الشرك لكنه لم يقع يعني يقولون ان الله يريد الايمان ولا يريد الكفر والجملة استينافية مبينة لكون
ارادته تعالى لفتنتهم متوطنة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء
لهم في الدنيا خزي اى للمنافق فضيحة وهتك سترهم باظهار نفاقهم ولليهود هوان بالجزية
وفضاحة ايضا بظهور كذبهم في كتمان نص الله تعالى في ايجاب الرجم وخزي مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق
بما تعلق به الخبر اى الاستقرار المقدر وكذا الحال في قوله ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في
النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل والجملتان استينافيتان مبنيتان على
سؤال نشأ من تفصيل احوالهم وافعالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في
الدنيا الخ سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ المقدر اى هم سماعون للكذب كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما
بعده من قوله تعالى اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وهو
ايضا خبر آخر للمقدر اى هم اكالون للسحت وارد على طريق الذم وفي الحديث كل لحم نبت من سحت
فالنار اولى به وقرئ السحت بفتح السين على لفظ المصدر واما حديث كسب الحجام سحت فالمراد انه سحت
المروة لا الدين والمراد به هنا الرشوة التي كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الرائجة
وهي التي تسحت اى تزيل الدين والمروة قال الحسن يعني في معنى السحت كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة
جعلها في كمه فيريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب وياكل وقال
الحسن انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا فاما ان يعطي الرجل الوالي يخاف
ظلمه ليدرأ به عن نفسه فلا بأس وقال ابن مسعود السحت الرشوة في كل شيء من يشفع شفاعة ليرد
بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي له فقبل فهو سحت وقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون قال ابو حنيفة رحمه الله اذا ارتشى الحاكم انعزل في الوقت وان لم يعزل وبطل
كل حكم حكم به بعد ذلك قلت هذا لا يجوز ان يختلف فيه لان اخذ الرشوة فسق والفاسق لا يجوز حكمه اخرج
الترمذي وقال حسن صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي
والمرتشي والطبراني بسند رجاله ثقات الراشي والمرتشي في النار واخرج الحاكم عن ابي هريرة قال لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي في الحكم والرائش الذي يسعى بينهما واخرج الحاكم من ولي عشرة فحكم
بينهم بما احبوا او بما كرهوا جيء به مغلولة يداه فان عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه وان حكم بغير
ما انزل الله وارتشى وحابا فيه شدت يساره الى يمينه ثم رمي به في جهنم فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام
قال ابن حجر في الزواجر من اعطى قاضيا او حاكما رشوة او اهدى اليه هدية فان كان ليحكم له بباطل او ليتوصل

بها الى نيل ما لا يستحقه او لحاجة ثم مسلم فسق الراشي والمهدي بالاعطاء والمرتشي والمهدى اليه بالاخذ
والرائش بالسعي وان لم يقع منه حكم بعد ذلك او ليحكم له بحق او لدفع ظلم عنه او لينال ما يستحقه
فسق الآخذ ولم يأثم المعطي لاضطراره الى التوصل لحقه باي طريق كان واما الرائش هنا فالذي
يظهر ان يقال فيه انه ان كان من جهة الآخذ فسق لما تقرر ان الآخذ يفسق مطلقا فمعينه كذلك
وان كان من جهة المعطي فان كان حكمنا بفسقه فسق رسوله والا فلا ثم رأيت بعضهم ذكر نحو ذلك في الرائش
فقال هو تابع للراشي في قصده ان قصد خيرا لم تلحقه اللعنة والا لحقته ولا فرق في الرشوة المقتضية لاخذ
الفسق بين قليل المال وكثيره قال الشافعي رحمه الله واذا اخذ القاضي رشوة على قضائه فقضاؤه مردود
وان كان بحق والرشوة مردودة واذا اعطى القاضي على القضاء رشوة فولايته باطلة وقضاؤه مردود
وليس من الرشوة بذل مال لمن يتكلم مع السلطان في امر جائز بمقابل باجرة عند ذي السلطان ان لم يكن
المتكلم منتصبا لها بحيث يجب عليه فان هذا جعالة مجازة انتهى فان جاؤك اى السماعون للكذب
يعني كتابيان من اهل الحرب لتحكم بينهم فيما شجر من الخصومات فاحكم بينهم اى ان شئت فاحكم بينهم
لانهم اتخذوك حكما او اعرض عنهم لانهم يسارعون الى الكفر بحكمك ولا يقبلونه فهذا تخيير لرسول
الله اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض وهذا التخيير ثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه
كتابيان من اهل الحرب واما اهل الذمة اذا ترافعوا فيجب الحكم لالتزامهم احكامنا ولالتزامنا دفع الظلم
عنهم والآية ليست في اهل الذمة ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان من اهل الحرب الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهذا
اي التخيير في اهل الكتاب من الحرب ووجوب الحكم في اهل الذمة وهو قول الشافعي رحمه الله وسواء في الوجوب
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وفي المعالم اختلف العلماء في الحكم في اهل
الكتاب اذا تحاكموا الينا قال اكثر اهل العلم الحاكم بالخيار واستدلوا بهذه الآية وقيل يرد الى دينهم الا ان يأتوا راغبين
في حكم الله وهو قول ابي حنيفة رحمه الله انتهى قال البغوي واختلف المفسرون في حكم الآية اليوم هل للحاكم الخيار
في الحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا الينا فقال اكثر اهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة المائدة منسوخ وحكام
المسلمين بالخيار في الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا لم يحكموا وان حكموا حكموا بالاسلام
وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة وقال قوم يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والآية منسوخة
نسخها قوله عز وجل وان احكم بينهم بما انزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة وروي ذلك عن ابن عباس
وقال لم تنسخ من المائدة الا آيتان قوله لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها وان احكم بينهم بما انزل الله فاما اذا تحاكم
الينا مسلم وذمي فيجب الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة انتهى وان
تعرض عنهم فلن يضروك شيئا اى بان يعادوك ويغتابوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك
من الناس وان حكمت فيهم ذكرنا اى ان اخترت الحكم على الاعراض فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل
الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين اى العادلين في الحكم بينهم ويعظم شأنهم ويحفظهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن على ...
وهذا التخيير في اهل الحرب واما اهل الذمة فيجب الحكم بينهم لالتزامهم احكامنا كما مر انفا وكيف

وعندهم التوراة وهذا تعجيب من تحكيمهم واستبعاد للنبي اي كيف يجعلونك الحاكم بينهم في حد
الزنا في المحصن ويرضون بحكمك يعني كيف يجعلونك حاكما بينهم كائنين على صفة عجيبة لانهم لا يؤمنون بك وبكتابك
وهذا الحكم الذي هو مطلوبهم ومقصودهم منصوص عليه ومقطوع به في الكتاب الذي هو عندهم اعني التوراة
الذي يدعون الايمان به وكيف وعندهم حالان مترادفان فيها حكم الله اي الرجم وهو حال من ضمير التوراة
المستكن في الظرف فانها مبتدأ ولا يجوز ان يقع الحال منه وقيل انها مرفوع بالظرف وتانيثها مع انها اسم عجمي وتاء
التانيث انما يكون في العربي لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون اي يعرضون عن حكمك
بالرجم الموافق لكتابهم من بعد ذلك اي من بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب و
الاستبعاد لان التحكيم مع وجود عندهم ما فيه الحكم الحق المغني عن التحكيم وان كان محلا للتعجب والاستبعاد
لكن مع الاعراض عن ذلك اعجب وايرادهم ثم للتراخي في الرتبة واذا لم ينقادوا لحكم التوراة ولا لحكمك
المطابق له علم انه وما اولئك بالمؤمنين اي بمصدقين بالتوراة ولا بك ولا بكتابك انا انزلنا
التوراة كلام مستانف لبيان علو شان التوراة ووجوب مراعاة احكامها تقريرا لكفرهم وقوله فيها
هدى ونور حال من التوراة فان فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق
الذي لا يحيد عنه ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات
الجهل نور يحكم بها النبيون من لدن موسى الى عيسى عليهما السلام وبينهما الف نبي واربعة الاف نبي واكثر
من ذلك على اختلاف الروايات وقيل المراد بهم موسى عليه السلام ومن بعده حتى نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وبه استدل من قال ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ الذين اسلموا اي انقادوا
لحكم الله في التوراة وهو صفة اجريت للنبيين على سبيل المدح لهم والتنويه والتعظيم للمسلمين والتعريض
لليهود بانهم غير مسلمين لعدم انقيادهم بدين الانبياء عليهم السلام يعني ان الانبياء عليهم السلام مع
علو شانهم ومقامهم منقادون لحكم التوراة وهؤلاء اليهود يعرضون عنه ويحرفونه وقال البغوي
رحمه الله معناه اسلموا وانقادوا لامر الله كما اخبر عن ابراهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين وكما قال وله اسلم من في السموات والارض فاراد بهم النبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام ليحكموا
بما في التوراة وقيل اسلموا لحكم التوراة وحكموا بها فان من النبيين من لم يؤمر بحكم التوراة منهم عيسى بن مريم عليه السلام
قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن والسدي اراد به محمدا صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم
ذكر بلفظ الجمع كما قال تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا انتهى قوله جل جلاله للذين هادوا متعلق بانزلنا
او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم فاللام لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من
ان يكون لهم او عليهم كانه قيل انزلنا التوراة الى اخره لاجل الذين ومنهم من فسر هادوا بتابوا اي تابوا
من الكفر قال البغوي فيه تقديم وتاخير تقديره فيها هدى ونور للذين هادوا ثم يحكم بها النبيون الذين
اسلموا والربانيون وقيل هو على موضعه ومعناه يحكم النبيون الذين اسلموا على الذين هادوا كما قال وان اساتم
فلها اي فعليها وقال لهم اللعنة اي عليهم اللعنة وقيل فيه حذف كانه قال للذين هادوا وعلى الذين هادوا
فحذف احدهما اختصارا ومنى قال اي يحكمون بما في التوراة لهم وعليهم اي ... ولذلك حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهم بالرجم بحكم التوراة و لم يختص بذلك الحكم بالانبياء بل يحكم به الربانيون اي الاولياء

سورة المائدة

وهم العلماء الزهاد وهو عطف على النبيون اي ويحكم الزهاد العالمون بربهم والاحبار جمع حبر بالفتح
والكسر اي العالم الكبير ومنهم من فسر الربانيون بالعلماء مطلقا والاحبار بالفقهاء والظاهر زهادهم
وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم ومنهم من قال اراد بالاول المجتهدين وبالثاني من دونهم بعد الانبياء والثاني
كاحاد العلماء وهذا منقول عن الفراء والكسائي وابي عبيدة بما استحفظوا من كتاب الله اي بسبب
امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين توضيح المعنى
اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سالوهم ان يحفظوها من التبديل والتغيير
على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم استخلاف ونواب لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي
ابهامها اولا ثم بيانها بقوله من كتاب الله من التفخيم ذاتا واضافة وصفا ووجوب رعاية لفظها ومعناها
ما لا يخفى والباء الداخلة على ما متعلقة بيحكم وهي سببية والمعنى ويحكم الربانيون والاحبار كالانبياء
بما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به الانبياء وسالوهم ان يحفظوه ويجوز ان يعود الضمير
في استحفظوا على النبيين والربانيين والاحبار جميعا وحذف الفاعل المنوب عنه البارى تعالى اي بما
استحفظهم الله يعني بما كلفهم الله حفظه اي بما استودعوا من كتاب الله وقال الشيخ اي بسبب الذي
طلبهم الانبياء حفظه من التبديل والتغيير والضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين و[illegible] جميعا
والاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه او للربانيين والاحبار والاستحفاظ من الانبياء
وكانوا اي العلماء بكتاب الله عليه اي على ما في الكتاب من الاحكام كالرجم وغيره شهداء
اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه او شهداء يبينون
ما يخفى من الكتاب فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم الى قوله هم الكافرون
على ما قيل بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم بطريق الدلالة دون العبارة ولما كان
مدار اجترائهم على تحريف التوراة وتغييرها خشية ذي سلطان ورغبة في الحظوظ الدنيوية نهاهم
عن كل واحد منهما صريحا ونهاهم عن التحريف للخشية بقوله فلا تخشوا الناس كائنا من كان واخشون
في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف التعرض لها بسوء لان الامر كله بيدي قال السلطان يعني للحكام
ان تخشوا غير الله عز وجل في حكوماتهم وتداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير وتجبارة
الجلال فلا تخشوا الناس ايها اليهود في اظهار ما عندكم من نعت محمد والرجم وغيرهما واخشون
في كتمانه ثم نهاهم عن التغيير لرغبة بقوله ولا تشتروا بآياتي اي ولا تستبدلوا باحكامي التي
انزلتها بان تخرجوها من التوراة او تتركوا العمل بها وتاخذوا بدلها ثمنا قليلا وهو الرشوة
والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فاتكم وقد
نظير هذا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما
انزل الله اي مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون اي بما انزل الله لاستهانتهم
به وتمردهم بان حكموا بغيره قال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فقد كفر وظلم وفسق لانه خاطب
بها الذين جحدوا اية الرجم ولم يقروا بها وقال ابن عباس في التوراة اية الرجم على الزاني فاما من اقر به ولم يحكم
به فانه ظالم وفاسق وعن رواية الوالبي عن ابن عباس احتجت الخوارج بالاية على ان كل من عصى الله

فهو كافر لأن الآية فيهم وللمفسرين في جوابهم وجوه الأول أنها مختصة باليهود لأن هذه الآيات الثلاثة
يعني هذه والتان بعدها يعني فأولئك هم الظالمون فأولئك هم الفاسقون نزلت في اليهود لا في أهل الإسلام
والثاني أن المراد بالكفر هنا كفران النعمة والثالث أنه فعل فعلا مثل فعل الكافر والرابع من أتى بضد جميع أحكام
الله فهو كافر والجواب الذي عليه الاعتماد هو أن معنى قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون
إنما يكفرون بالاستهانة به والإنكار لهم ولذلك وصفهم الله بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون
لكفرهم لإنكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن تكون الصفات الثلاث
موزعة على الطوائف بأن يكون كل واحدة من الصفات لطائفة مخصوصة هذه في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وقال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله
جاحدا به فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وسئل عبد العزيز بن يحيى الكناني عن هذه
الآية واللتان بعدها فقال إنها تقع على جميع ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق فأما من حكم بما أنزل الله من
التوحيد وترك الشرك ثم لم يحكم ببعض ما أنزل الله من الشرائع لم يستوجب حكم هذه الآيات وقال العلماء هذا
إذا رد نص حكم الله عيانا عمدا فأما من خفي عليه أو أخطأ في تأويله فلا قوله **وكتبنا** عطف على
أنزلنا التوراة أي أنزلناها وفرضنا **عليهم** أي على اليهود **فيها** أي في التوراة أن حكم الزاني
المحصن الرجم فغيروه وبدلوه وبينا أيضا في التوراة **أن النفس بالنفس** أي أن النفس تقتل بالنفس
فغيروا هذا الحكم فتفضلوا بني النضير على بني قريظة وخصصوا إيجاب القود ببني قريظة دون
بني النضير وقيل كان في بني النضير شرف وكانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الآية سواء فهذا وجه النظم الكريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت **والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن و**
السن بالسن يعني نفس القاتل بنفس المقتول وفاء يقتل به والعين بالعين تفقأ بها والأنف بالأنف تجدع
به والأذن بالأذن تقطع بها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أخبر الله تعالى بحكمه في التوراة وهو أن النفس بالنفس
إلى آخره فما لهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقأون بالعين العينين وبالأذن بالأذنين وخففنا نافع
في جميع القرآن وثقلها الآخرون والسن بالسن تقلع بها وسائر الجوارح قياس عليها في القصاص وقوله
جل جلاله **والجروح قصاص** أي ذات قصاص فهذا تعميم بعد التخصيص لأنه ذكر العين والأنف والأذن
والسن ثم قال والجروح قصاص أي فيما يمكن أن يقتص مثل الشفتين والذكر والأنثيين والأليتين والقدمين
واليدين وغيرها فأما ما لا يمكن القصاص فيه من رض لحم أو كسر عظم أو جرح يخاف منه التلف ففيه
أرش وحكومة لأنه لا يمكن الوقوف على نهايته وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا أيضا استدل
أبو حنيفة رحمه الله بقوله عز وجل أن النفس بالنفس على أن المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد بناء على
أن الله تعالى حكى لنا شرع من قبلنا على أنه شرعنا وخالفه الشافعي لما روى البخاري عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وحكى الإجماع على عدم قتل الحر بالعبد
وباقي الأحاديث والآثار فقد ذكر في تفسير قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
في سورة البقرة
فراجعه قرأ الكسائي والعين وما بعدها وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر والجروح بالرفع فقط

وقرأ الآخرون كلها بالنصب كالنفس قوله جل جلاله **فمن تصدق** أي من أصحاب الحق **به** أي بالقصاص
المتعلق بالنفس أو بالعين أو بما بعدها يعني من عفى عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه
فهو أي التصدق **كفارة له** أي للمتصدق يكفر الله تعالى به ذنوبه روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه وقيل الضمير له راجع لقوله تعالى فمن عفى وأصلح
فأجره على الله وقرئ فهو كفارته له أي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق حاصلة له لا ينقص
منها شيء وقال صلى الله عليه وسلم من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه **ومن لم يحكم**
بما أنزل الله في القصاص وغيره **فأولئك هم الظالمون** بالامتناع عن ما حكم الله به ثم شرع في بيان
الإنجيل إثر بيان أحكام التوراة فقال **وقفينا على آثارهم** عطف على أنزلنا التوراة قال ابن عباس أتبعنا
على آثار الأنبياء يعني بعثنا من بعد النبيين الذين أسلموا وانقادوا لله يقال قفيته بفلان إذا أتبعته إياه كأنك جعلته
في قفاه **بعيسى ابن مريم** لا ابن غيرها فقفى مفعول بأن عدي إليه الفعل بالباء والمفعول الأول محذوف
لأن الظرف الذي هو على آثارهم ساد مسده لأنه إذا قفي به على آثارهم فقد قفي به إياهم فيكون آثارهم
مفعولا أولا ولهذا قال السلطان أي وأتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير
للنبيين وأما على تفسير ابن عباس فعيسى مفعول به لقفينا ولا يقتضي مفعولا ثانيا فتكون الباء زائدة **مصدقا**
هو حال من عيسى **لما بين يديه** أي لما قبله **من التوراة** حال من ما أي مقرا بأن التوراة كتاب منزل
من عند الله وأنه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الإنجيل **وآتيناه الإنجيل** عطف
على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فالإنجيل كالتوراة مبشر بأن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم **فيه** أي ثابت
في الإنجيل **هدى** عن الضلالة **ونور** أي فيه بيان لأحكام الله ويجوز أن يكون فيه وحده حالا من الإنجيل
وهدى فاعل الظرف ويجوز أن يكون فيه خبرا مقدما وهدى مبتدأ مؤخرا والجملة حال **ومصدقا** حال من الإنجيل
على محل فيه هدى باعتبار أن يكون فيه وحده حالا أي الإنجيل ويجوز أيضا أن يكون مصدقا حالا من الإنجيل
باعتبار الثاني أي باعتبار كون الجملة حالا أي الإنجيل ومصدقا عطف على محله على القول المرجوح **لما**
بين يديه أي للكتاب الذي نزل قبله **من التوراة** بيان لما لتخصيص الكلام بجعل الإنجيل موافقا
لما تقدمه في التوراة في أصل التوحيد والطاعة وبعض الشرائع وقوله عز وجل **وهدى** أي هاديا إلى الحق مرشدا إليه
وموعظة أي واعظا معطوفان على قوله مصدقا ويجوز نصب هدى وموعظة على المفعول له عطفا على
محذوف كأنه قيل وآتيناه الإنجيل لمصالح شتى والهدى والموعظة وعلى هذا احتيج إلى تقدير المعطوف
عليه تقديره والهدى والموعظة والحكم بما أنزل الله آتيناه الإنجيل وتخصيص كونه هدى وموعظة **للمتقين**
أي بالمتقين لأنهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه **وليحكم** لتكون اللام واللام مستأنف لا الزام الحكم
أي وقلنا ليحكم وقرأ حمزة بكسر اللام ونصب الميم أي لكي يحكم **أهل الإنجيل** أي عيسى وعلماء أمته **بما أنزل**
الله فيه أي في الإنجيل لا بما في التوراة وإن تساويا في الهدى ولكنه لم يبق هدى بعد النسخ قال مقاتل أمر الله
تعالى الربانيين والأحبار أن يحكموا بما في التوراة وأمر القسيسين والرهبان أن يحكموا بما في الإنجيل فكفروا وقالوا
عزير ابن الله وعيسى ابن الله فاتهم الله وبيّن لهم أضلهم وهذه الآية والآية التي قريبا أعني
لكل جعلنا منكم شرعة تدلان على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثته

عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع قيل ان عيسى كان متعبدا باحكام التورية لان الانجيل مواعظ
والاحكام فيه قليلة قال الشيخ وحملهما على معنى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام
التورية خلاف الظاهر وقرئ وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته
بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله
في الانجيل وفي العيون وكان حكمهم العفو عن الجاني فاولئك هم الفاسقون اي العاصون امر الله الخارجون
عن حكم الله وطاعته او عن الايمان ان كانوا مستهينين به قال الشيخ والظالم المطلق والفاسق
المطلق هو الكافر فلم في الايات الثلث للجحود فيكون كافرا ظالما فاسقا كما زعم ان الحال الانجيل
وان نسخ التورية فهو منسوخ بكتابك كالتورية في بعض الاحكام التي لم تنسخ في الانجيل فقال وانزلنا
اليك يا محمد الكتاب القران بالحق اي بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطاء يعني بالحكم
الثابت الذي لا ينسخ بكتاب بعده الى يوم القيمة او ملابسا ببيان الحق مصدقا حال من الكتاب لما بين
يديه اي لما قبله وتقدمه من الكتاب اي من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس
ومهيمنا عليه اي شاهدا ورقيبا على سائر الكتب يحفظها من التغيير ويشهد له بالصحة والثبات
وقرئ على بنية المفعول اي هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله او الحفاظ في كل عصر
قال حسان رضي الله عنه ٭ ان الكتاب المهيمن لنبينا ٭ والحق يعرفه ذووا الالباب ٭ يريد شاهدا
ومصدقا فاحكم اي اذا كان حكمه ثابتا الى يوم القيمة ولم يبق احكام الكتابين مصالحا في هذا العصر
فاحكم بينهم اي بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليك بما انزل الله اي بما في القران ولا تتبع اهواءهم عما
جاءك من الحق اي لا تعرض عما جاءك من الحق ولا تتبع اهواءهم نهي ان يحكم بما حرفوه وبدلوه اعتمادا
على قولهم وضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذا عدي بعن وكانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا ارادة
واهواءهم وما يشتهونهم وان كان ذلك مشروعا بشريعتهم لعلة النسخ لكل التنوين عوض عن المضاف اليه
المحذوف وهذا يحتمل ان يكون لفظة امة ويراد بهم جميع الناس من المسلمين واليهود والنصارى ويحتمل
ان يكون الانبياء عليهم السلام لتقدم ذكرهم اي لكل نبي جعلنا منكم ايها الامم او الانبياء شرعة
اي شريعة يعني دينا وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ
بفتح الشين ومنهاجا قال ابن عباس والحسن ومجاهد اي سبيلا وسنة فالشرعة والمنهاج الطريق
الواضح في الدين تمشون عليه وكلما شرعت فيه فهو شرعة وشريعة ومنه شرايع الاسلام لشروع اهله
فاراد بهذا ان الشرايع مختلفة ولكل اهل ملة شريعة قال قتادة الخطاب للامم الثلثة امة موسى وامة
عيسى وامة محمد صلوات الله وسلامه عليهم للتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة
والدين واحد وهو التوحيد واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة كما ذكرنا انفا
فان قيل قد وردت ايات تدل على عدم التباين في طريقة الانبياء كقوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا وقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وايات دلت على التباين هذه الاية فالجواب الاول تنصرف الى اصول الديانات والثانية تنصرف
الى الفروع والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها احكام

شرع من قبلنا ولو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم امة واحدة اي جماعة متفقة
على ملة واحدة ودين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل وفيه دليل على ان الكل بمشية
الله تعالى ولكن جعلكم فرقا لانه اراد ليبلوكم اي ليختبركم في ما آتيكم من الشرايع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن فيتبين المطيع من العاصي والموافق من المنافق فاستبقوا الخيرات
اي فابتدروها وتسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفات والمراد بالخيرات كل ما امر الله ورسوله
به الى الله لا الى غيره من خلقه مرجعكم هذه الجملة استيناف في معنى التعليل لاستيناف
الخيرات وفيها الوعد للمبادرين والوعيد للمقصرين اي اليه ترجعون جميعا فاعملوا بالفرائض
والسنن ولا تتبعوا الاهواء والبدع فينبئكم اي يخبركم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم معطوف على بالحق اي انزلنا اليك الكتاب
بالحق وبان احكم او على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا
ان احكم بينهم بما انزل الله اعاد الله تعالى ذكر الامر بالحكم بعد ذكره في الاولى وهي قوله فاحكم
بينهم بما انزل الله اما للتاكيد فيهم واما لان الحكمين في هذه الاية والاية الاولى حكمان امر الله تعالى
بهما جميعا لما اخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلايل عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال كعب بن اسد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فاتوه وقالوا يا محمد انك قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا
يهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن
بك ونصدقك فابى ذلك وانزل الله وان احكم بينهم بما انزل الله الى قوله لقوم يوقنون ولا تتبع
اهواءهم في الحكم واحذرهم مخافة ان يفتنوك اي ان يضلوك ويصرفوك عن بعض
ما انزل الله اليك في كتابك وكتابهم في الحكم لاجلهم عن خصمائهم على خلاف المنزل وفايدة
الحذر قطع اطماع القوم فان تولوا عن الايمان لتوليك عن فتنتهم او اعرضوا عن الحكم بما انزل الله
اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم اي يعذبهم في الدنيا بالاهلاك الكلي ببعض
ذنوبهم وهو اذ يفتنوك عن بعض ما انزل الله والاهلاك دينهم بتحريف كتابهم او بذنب توليهم عن حكم الله
وارادة خلافه ويعذبهم في الاخرة على جميعها بالخلود في النار وان كثيرا من الناس اعني اليهود قاله
البغوي لفاسقون اي خارجون عن حكم الله مصرون على المخالفة لتفضيلهم بني النضير على بني قريظة
في باب القتل وهو لاء في طلب الحكم منك من حيث التلبيس والخداع مثلهم ا يفتنونك عن بعض ما انزل الله
ويتولون عن حكمك افحكم الجاهلية يبغون منك كانهم يرونه احسن الاحكام ومن احسن اي لا احد
من الله حكما وان خالف اهواء المحكوم عليه لكنه احسن لقوم يوقنون ينظرون بنظر اليقين الى العواقب
ثم نزل نهيا عن موالاة اعداء الدين قوله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
اي فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض وكلهم اعداء
للمؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة فان اليهود والنصارى وان كانت البغضاء مفروضة
بينهم لكنهم متحدين في الكفر ولهذا جعل بعضهم اولياء بعض مع ما بينهم من العداوة وقال بعض المفسرين

والضمير في بعضهم يعود على اليهود والنصارى على سبيل الإجمال والقرينة تحيّن أنّ بعض اليهود أولياء بعض
وأن بعض النصارى أولياء بعض إذ هما متباغضان وهذا التقدير لا يحتاج الى تقدير محذوف كما قيل
ليصح به المعنى وهو بعض اليهود أولياء بعض وبعض النصارى أولياء بعض قيل الآية نزلت في عبادة بن الصامت
رضي الله عنه وفي عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وذلك أنهما اختصما فقال عبادة إن لي موالي من يهود كثير
عددهم شديد شوكتهم وإني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن أبي
إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية يهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي يا أبا الحباب ما
بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت فأنزل الله يا أيها الذين الخ وفي رواية
قال صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال إذاً أقبل فأنزل
الله يا أيها الذين آمنوا الخ ونزل في عبادة إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا وقيل نزلت في أبي لبابة رضي الله عنه
وذلك حين غدرت قريظة العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم الى أبي سفيان بن حرب
يدعونه وقريشا ليدخلونهم حصونهم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة بن المنذر إليهم أن يستنزلهم
من حصونهم فلما أطاعوا له بالنزول أشار الى حلقه الذبح الذبح وقيل نزلت في وقعة أحد فإن بعض الناس
من المسلمين فيها خاف أن يظهر عليهم الكفار فأراد أن يهاجرهم ويواليهم ليأمن منهم فقال تعالى يا أيها الذين
آمنوا الخ والظاهر هو رواية الأول **ومن يتولهم منكم** أي يوافقهم ويعينهم **فإنه منهم** أي من جملتهم
وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد أنه كافر مثلهم قال السلطان أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم هذا
للتشديد في وجوب مجانبتهم أو أن الموالي لهم كان منافقين كما روى أبو داود وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أنا بريء من كل مسلم مع مشرك فقيل لم يا رسول الله قال لا تتراءى ناراهما قال عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري
رضي الله عنه لا تكرموهم إذ أهانهم الله تعالى ولا تأمنوهم إذ خوّنهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله
إن الله لا يهدي القوم الظالمين لأنهم ظلموا أنفسهم بموالات الكفار أو بموالات أعداء المؤمنين ثم خاطب
نبيه أو كل من يصلح لذلك بقوله **فترى الذين في قلوبهم مرض** أي نفاق وضعف اعتقاد
يعني عبد الله بن أبي وأصحابه الذين يوالون اليهود **يسارعون فيهم** أي تراهم مسارعين في موالاتهم ومعاونتهم
على المسلمين والجملة حال من الموصول ومفعول ثان والرؤية بصرية وقيل قلبية **يقولون نخشى أن تصيبنا**
دائرة أي يعتذرون عن موالاتهم بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر
وحادثة ومصيبة يدورها الدهر علينا من جدب أو غلبة ويكون الدولة للكفار ولا يتم أمر محمد عليه
السلام فلا يميرونا ولا يقرضونا قال الله تعالى ردا لزعمهم **فعسى الله** الفاء علة لمحذوف والتقدير لا تبالوا يا
أحباب الله بما قالوا ولا تحزنوا به فإن عسى منه تعالى وعد محتوم لأن الكريم إذا أطمع أطعم لا محالة فما ظنك
بأكرم الأكرمين **أن يأتي بالفتح** أي بالنصر للمؤمنين على أهل الكتاب وأن يأتي في محل النصب خبر عسى
على رأي الأخفش أو على أنه مفعول به على رأي سيبويه وأراد بالفتح فتح مكة أو خيبر أو فدك يعني فتح
جميع قرى اليهود وقيل أراد به القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه وإعزاز الدين **أو أمر**
من عنده أي يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وافتضاحهم وأراد به فعلا لا يكون للناس
فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم من الكفار أو أراد به أمرا يقطع أصل اليهود من القتل والإجلاء

وهتك

وهتك الستر والسر **فيصبحوا** أي هؤلاء المنافقون وهو عطف على أن يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وإن
لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فإن فاء السببية مغنية عن ذلك لأنها جعل الجملتين جملة واحدة نحو زيد يبكي
فيضحك خالد ولو كان العاطف غير الفاء لم يجز ذلك **على ما أسروا في أنفسهم** من النفاق **نادمين**
خبر فيصبحوا أي فيصبحوا نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول عليه السلام فضلا عما أظهروه
مما أشعر على نفاقهم **ويقول الذين آمنوا** بعضهم لبعض بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه جملة
سبقت جوابا للسؤال مقدر ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى
أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين أو يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الخبر
أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به هذا ما ذهب اليه
بعض المفسرين ويحتمل أن يقال أن قوله تعالى ويقول عطف على قوله فيصبحوا بلا تكلف وهذا أنسب بحسب
المعنى كأنه قيل يوجب إتيان الله بالفتح أو أمر من عنده أمرين ندم المنافقين على ما أسروا في أنفسهم
وشماتة المؤمنين بقولهم هذا وكمال سرورهم بما كانوا عليه فالمعنى يقول المؤمنون بعضهم لبعض مشيرين
الى المنافقين **أهؤلاء الذين أقسموا** أي أحلفوا **بالله** وإنما يقولون هذا القول تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله
عليهم من التوفيق في الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة
كما حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وقوله **جهد أيمانهم** أي بأغلظ أيمانهم نصب على
الحال على تقدير أقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك جاز
كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا **إنهم لمعكم** في الدين ومعاضدوكم على الكفار وهذه الجملة
لا محل لها من الإعراب فإنها تفسير وحكاية لمعنى القسم لا لألفاظهم إذ لو كانت حكاية لألفاظهم
لقيل إنا معكم **حبطت أعمالهم** أي ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا إيمانا وعقيدة وهذا من
من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال وتعجيبا من سوء حالهم أو دعاء عليهم بذلك كقوله قتل الإنسان
ما أكفره **فأصبحوا** أي صاروا **خاسرين** في الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة **يا أيها الذين**
آمنوا من يرتدد بالفك والإدغام يعني يرجع **منكم عن دينه** يعني من يرجع منكم عن دين الإسلام
الى ما كان عليه من الكفر والضلالة وهذه الآية من المغيبات التي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد
من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الأسود
العنسي اسمه عيهلة بن كعب تنبأ باليمن واستولى على بلاده فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل
ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض والقيام الى حربه فقتله
فيروز الديلمي رضي الله عنه على فراشه قال ابن عمر فأتى الخبر النبي صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي
قتل فيها فقال عليه السلام قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فاز فيروز
فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاكه فصاروا مسرورين بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد
وأتى خبر قتله المدينة في آخر شهر ربيع الأول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب تنبأ فيهم وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك

فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر الصديق بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة رضي الله عنهما وكان يقول
قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وفي عهد
ابي بكر رضي الله سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم
الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة
زوجة مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطيم بن زيد
وكفى الله المسلمين امرهم ونصر دينه على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله عنها
توفي النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي ما لو نزل بالجبال الراسيات
لهاضها قال انس بن مالك كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا اهل القبلة فتقلد
ابو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره قال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء
ثم حمدناه في الانتهاء قال ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود افضل من ابي
بكر رضي الله عنه وارضاه وحشرنا الله في زمرته تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد عمر رضي الله
عنه غسان قوم جبلة ابن الايهم تنصر وصار الى الشام فسوف يأتي الله اي مكان من ارتد بقوم
غيرهم ومحل يحبهم جر صفة قوم ويحبونه اي الله يعني يرضى بفعلهم ويثيبهم احسن الثواب ويرضون
بربوبيته ويطيعونه ولا يعصونه قال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر و
اصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وقيل هم اهل اليمن لما روى الطبراني والحاكم وصححه
انه صلى الله عليه وسلم اشار الى الاشعرة يعني ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لما روى
الترمذي انه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال
لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله ابناء فارس وقيل الذين جاهدوا في ايام عمر رضي الله عنه
يوم القادسية احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من
افناء الناس اي من انواع شتى لم يعلم من هم وقالت الرافضة الاية نزلت في علي كرم الله وجهه لما روي
انه صلى الله عليه وسلم دفع الراية الى علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقدم محبته لانها الاصل والموجبة لمحبة العبد ومعنى المحبة
بعبارة اخرى توفيق الله عبده للايمان والطاعة وغفران ذنوبه ومحبة العبد اياه امتثاله لجميع ما امره
الله به واجتنابه عن جميع ما نهى الله عنه وللناس في ذلك ستقاوتون تفاوتا يفوته الحصر اذلة
صفة لقوم ايضا اي عاطفين ارقاء رحماء على المؤمنين على وجه التذلل والتواضع يعني خافضين
لهم جناح الذل وهي جمع ذليل من الذل بضم الذال ضد العز لا جمع ذلول فان جمعه ذلل اعزة على
الكافرين اي اشداء متغلبين على الكفار من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال تخصيصه كما في قوله
عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم ومعنى يجاهدون
في اعلاء دينه مستمرين على الجهاد زمانا بعد زمان او حال من الضمير المستكن في اعزة اي يعزون مجاهدين

ولا يخافون لومة لائم اي ملامة الناس فيما يعملون من الطاعات يعني ليسوا كالمنافقين الذين
يخافون الكفار ويخشون ملامة اوليائهم وهو عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في
سبيل الله والتصلب في دينه واللومة المرة من اللوم قال الامام الرازي هذه الاية ادل الدلائل على فساد
مذهب الامامية لان الذين اتفقوا على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي لكان كلهم
مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد حصل الجزم بعدم النص
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وان نقوم
او نقول الحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ذلك اي ما ذكرنا من الاوصاف الحميدة فضل الله اي لطفه
واحسانه لانهم مستقلون في الاتصاف بها وهذا يدل على ان طاعات العبد مخلوقة لله يؤتيه من
يشاء اي يعطيه من يعلمه انه اهل له باختياره طاعته واجتنابه معصيته والله واسع
اي يسع فضله لمن يريده عليم بمن هو اهله قال الامام ابو منصور في هذه الاية دليل على اثبات
امامة ابي بكر رضي الله عنه لان الله تعالى مدح المجاهدين معه بامره فثبت ان الائتمار بامره طاعة و
انه مفترض الامر وفي ثبوت خلافته ثبوت خلافة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قال وفيها دليل على
ان عليا كرم الله وجهه لم تكن له الخلافة حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يحتمل ان يرى الحق
لنفسه في زمن ابي بكر ثم يترك طلبه وفيه تضييع حق الله تعالى عليه مع قوله يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم انتهى ما ذكره الامام ابو منصور انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا
اي محبكم او المتصرف في اموركم لما نهى عن موالاة الكفرة بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
واكد النهي بالجمل المذكورة ذكر عقيبه من هو اولياؤها بطريق الحصر ولم يجمع الولي وان كان المذكور
جماعة تنبيها على ان الولاية لله اصل ولغيره تبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين
امنوا لم يكن في الكلام دلالة على التفاوت بينهم بالاصالة والتبع مع انه لازم لما روى مسلم ان خطيبا
قام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ومن يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم انت واخرج ابن
مردويه من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اتى عبد الله بن سلام ورهط
معه من اهل الكتاب نبي الله صلى الله عليه وسلم عند الظهر فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا قاصية
لا نجد احدا يجالسنا ويخالطنا دون هذا المسجد وان قومنا لما راونا قد صدقنا الله ورسوله
وتركنا دينهم اظهروا العداوة واقسموا ان لا يخالطونا ولا يؤاكلونا فشق ذلك علينا فبيناهم يشكون
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت انما وليكم الله الاية فقالوا رضينا بالله تعالى وبرسوله وبالمؤمنين
اولياء ونودي بالصلوة صلوة الظهر وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد والناس يصلون بين راكع
وساجد وقائم وقاعد فاذا مسكين يسال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعطاك احد شيئا
قال نعم قال من قال ذاك الرجل القائم قال على اي حال اعطاكه قال وهو راكع قال وذلك علي بن ابي طالب
فكبر رسول الله عند ذلك وهو يقول ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون واخرج
ابن مردويه عن ابن عباس في قوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا قالت نزلت في الذين امنوا وعلى

ابن ابي طالب كرم الله وجهه او لهم الذين مرفوع على انه بدل من الموصول الاول او على المدح اي هم الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة او منصوب على المدح بمعنى اعني الذين والغرض تميز المومن المخلص عمن
يدعي الايمان نفاقا او يعني اي اخلاصا لكن مع تقصير في العمل عدم مواظبة عليه وهم راكعون حال
من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى
في امتثال اوامره واجتناب معاصيه وقيل هو حال مخصوصة بفاعل الفعل الثاني والركوع ركوع الصلوة والمراد
بالموصولين شخص واحد وهو علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه
كان واسعا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب
الناس في مثل فعله كرم الله وجهه وللاشارة الى عظم شانه وفيه دلالة على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة فاستدلت الشيعة بهذه الاية على ان الامام بعد الرسول صلى الله
عليه وسلم هو علي رضي الله عنه قالوا لان الولي هو الاولى بالتصرف في امور الامة وفي جامع الاصول وروي عن
ابي ذر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان اخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
الى قوله واشركه في امري فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم انا محمد نبيك
فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ازري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد اقرأ انما وليكم الاية واجيب بالمنع من ان المراد بالولي
هنا ليس بمعنى المتصرف بل المراد به المحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وما بعدها هو هذا المعنى
فكذا الولاية المأمور بها والاية القبلية هي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض فان الحصر انما يكون باثبات ما نفي عن الغير وولاية اليهود والنصارى المنهي
عن اتخاذها ليست التصرف والامامة بل النصرة والمحبة والاية البعدية هي قوله الاتي انفا ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ومما يدل على المحبة ايضا قوله تعالى ومن
يتولهم منكم فانه منهم لظهور ان ذلك تولي محبة ونصرة لا امامة وايضا اطلاق لفظ الجمع على
الواحد لاجل التعظيم مجاز يحتاج الى القرينة الصارفة بخلاف الحقيقة ثم ان علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه كان اعرف لتفسير القرآن الكريم من هذه الفرقة فلو كانت الاية دالة على امامته لاحتج
بها كما احتج بما ينقلون عنه انه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضايله
ولو لم يكن ابو بكر على الحق لنازعه هو وعباس كما نازع معاوية لان تركهما مع امكانهما مخل بالعصمة
اذ هو معصية كبيرة توجب ابطال العصمة والشيعة توجبونها في الامام ويجعلونها شرط الصحة امامة
الامام لا يقال لا يمكن منازعتهما له لانا نقول علي في غاية الشجاعة والتصلب في الامور الدينية وعامة
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا طالبين للحق بحيث لا يخفى على احد ممن ترك التعصب واتبع
الحق انهم يبرؤن عن الميل فلو كان على امامة علي رضي الله عنه نص جلي كما ادعته الرافضة
لاظهروه قطعا ولامكنهم المنازعة جزما وكيف لا وابو بكر رضي الله عنه شيخ ضعيف لا مال له ولا
شوكة فكيف يتصور امتناع المنازعة معه فلما وقع الاجماع على امامة ابي بكر رضي الله عنه عرفنا
انه حق قال التفتازاني في شرح المقاصد وفي ارسال ابي بكر وعمر ابا عبيدة الجراح الى علي رضوان الله عليهم

اجمعين

اجمعين رسالة لطيفة رواها الثقات باسناد صحيح ثم روي انه لما بويع لابي بكر رضي الله عنه وتخلف
علي والزبير والمقداد وسلمان وابو ذر ارسل ابو بكر من الغد الى علي فاتاه مع اصحابه فقال ما خلفك
يا علي عن امر الناس فقال عظم المصيبة ورايتكم استغنيتم برايكم فاعتذر اليه ابو بكر ثم اشرف على
الناس فقال هذا علي بن ابي طالب ولا بيعة لي في عنقه وهو بالخيار في امره الا فانتم بالخيار جميعا في
بيعتكم اياي فان رايتم لها غيري فانا اول من يبايعه فقال علي لا نرى لها احدا غيرك فبايعه
هو وسائر المتخلفين وتم الاجماع على امامته وعلى اهليته لذلك مع انها من الظهور بحيث لا يحتاج
الى البيان انتهى فعلم ان المراد بالذين امنوا المخلص جميعا فان بعضهم يجب ان يكون محبا لبعض
كما قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا اي ومن يتولاهم ويتخذهم اولياء اوثر الاظهار موضع الاضمار لما مر من نكتة بيان اصالته
تعالى في الولاية والمحبة كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون
والحزب الجماعة التي فيها غلظة وشدة فهو جماعة خاصة فان قيل كيف قال فان حزب
الله هم الغالبون وكم مرة غلب حزب الله تعالى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده الى يومنا هذا قلنا
المراد هي الغلبة بالحجة والبرهان وبالدولة والصولة ايضا لانه وان صار مغلوبا في بعض الاحيان فعاقبة
الغلبة لحزب الله وانصار دينه هم الرسول والمومنون غالبون بالحجة والقهر ابدا والعاقبة لهم
كيف ما كان ثم اخبر الله عن صفة الاعداء بانهم لا يصلحون للولاية بقوله يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يبيح ان
يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم يعني اليهود بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية
ضلالتهم والكفار اولياء اي المشركين قرأ اهل البصرة والكسائي والكفار بخفض الراء يعني ومن
الكفار وقرأ الاخرون بالنصب اي لا تتخذوا الكفار اولياء وبين الله ان المستهزئين صنفان اهل
كتاب وكفار عبدة اوثان واسم الكفر وان كان يطلق على الفريقين كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين وقوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين الا ان الغالب اطلاق الكافر
على غير اهل الكتاب لتضاعف كفرهم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رفاعة بن زيد وسويد
بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله يا ايها الذين الاية
واتقوا الله بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مومنين
حقا لان الايمان الحقيقي يقتضي الاتقاء عن موالات اعداء الدين وقيل ان كنتم مومنين بوعده ووعيده
ثم لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا ذكر بعض ما اتخذوه هزوا فقال واذا ناديتم
اي دعوتم الى الصلوة التي هي اقرب القربات واكملها بالاذان اتخذوها اي الصلوة او المناداة
هزوا ولعبا روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل من اتخذه مؤذنا فقال عليك بالعبد الاسود
يعني بلالا لانه جهير الصوت ومشهور في الملئكة واحب المؤذنين الى الله كذا في العيون قال
الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد

قاموا الا قاموا وصلوا الا صلوا على طريق الاستهزاء وضحكوا فانزل الله هذه الاية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه او جاريته ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فتطايرت منها شرارة فاحرقت البيت واهله قال بعض المفسرين فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام قلت ولو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اصوب يعني ان ثبوت الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الاية ايضا وقال بعضهم ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت شيئا لم يسمع به فيما مضى من الامم فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الاية ونزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية **ذلك** اي الاتخاذ **بانهم** اي بسبب انهم **قوم لا يعقلون** ما في الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ومعراج العبد ومحل مناجاة الرب او لا يفهمون ان في اللعب والهزء من السفه والجهل ونزل لما قال اليهود للنبي بمن تؤمن من الرسل فقال بالله وما انزل الينا الاية فلما ذكر عيسى قالوا لا نعلم دينا شرا من دينكم **قل يا اهل الكتاب** المعايب بالنقايص والكمالات التي يستحق الاستهزاء على تحققها وفقدها **هل تنقمون** بكسر القاف **منا** اي هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرى تنقمون بفتح القاف **الا ان امنا بالله** اي سوى ايماننا به وهو راس الكمالات كلها **وما انزل الينا** وهو اصل الاعتقادات والاعمال والاخلاق والمقامات **وما انزل من قبل** اي قبل القران كالتوراة والانجيل وغيرهما من الكتب المنزلة وليس هذا مما يوجب الانكار والعيب والعداوة **وان اكثركم فاسقون** اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقران مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وبعضهم اسلم كعبد الله بن سلام واصحابه وهو منصوب معطوف على ان امنا اي وما تنكرون الا ايماننا وفسقكم وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في الايمان وانتم خارجون منه او مجرور معطوف على ما اي وما تنكرون الا ايماننا بالله وبما انزل الينا وبان اكثركم لفاسقون وجوز بعضهم ان تكون الواو بمعنى مع اي وما تنكرون الا ايماننا مع فسقكم لانكم اقمتم على دينكم ولم تسلموا مع علمكم انكم على الباطل حبا للاموال والرياسة وقيل انه معطوف على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف ثم قال الله **قل** يا محمد **هل انبئكم** اي اخبركم **بشر من** اهل **ذلك** الذي ذكرتم يعني قولهم لم نر اهل دين اقل حظا ونصيبا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم يعني من اهل ذلك المنقوم **مثوبة** اي جزاء ثابتا ونصبها على التمييز عن بشر **عند الله** فان قلت المثوبة مختصة بالثواب والاحسان والجزاء دون الاساءة والعقوبة فكيف هنا وقعت بمعنى الاساءة قلت وضعت هنا موضع عقوبة فهو على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فالمنقوم

الايمان

الايمان والمنقوم منهم المؤمنون والمعنى هل اخبركم بشر من المؤمنين على زعمكم هو **من لعنه الله** اي من ابعده من رحمته او المعنى هل انبئكم بشر من اهل الايمان هو دين من لعنه الله يعني دين اليهود وانما قدرنا هنا التقدير لان الايمان المشار اليه غير مطابق لقوله من لعنه الله **وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير** قال السلطان بدل يعني من لعنه الله بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او جر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبابهم قردة ومشايخهم خنازير انتهى وكان المسلمون يعيرون اليهود بعد نزول الاية ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم بما فضحهم الله تعالى على لسان رسوله كذا رواه ابن عباس رضي الله عنهما وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه **وعبد الطاغوت** عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت والمراد بالطاغوت هنا العجل وقيل احبارهم وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وفي عبد الطاغوت اربع وعشرون قراءة ثنتان في السبع الاولى ان عبد فعل ماض مبني للفاعل وفيه ضمير يعود على من والطاغوت مفعول به له وهي قراءة جمهور السبعة غير حمزة والثانية عبد بضم الباء وفتح الدال وخفض الطاغوت على انه نعت ومعناه على هذه القراءة انه بلغ الغاية في عبادة الشيطان فيكون عطفا على القردة واما القراءات الشاذة فقرى عبدوا الطاغوت بواو الجمع مراعاة لمعنى من وقرى بفتح العين والدال وسكون الباء ونصب التاء اي وعبد الطاغوت قيل انه اريد وعبدا الطاغوت فحذف التنوين من عبدا لالتقاء الساكنين نحو لا ذاكر الله الا قليلا وقيل انه اريد وعبد بفتح الباء على انه فعل ماض كقراءة الجمهور الا انه سكن العين تخفيفا كسلف في سلف وقرى كهذه القراءة الا انه جر الطاغوت وهي واضحة وقرى وعبد الطاغوت مبنيا للمفعول والطاغوت رفعا فيكون عطفا على صلة من وقرى كهذه ايضا الا انه زيد في الفعل تاء التانيث اي وعبدت الطاغوت والطاغوت يذكر ويؤنث نحو والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وضعف هذين القراءتين اذ ليس في عبد الطاغوت وعبدت الطاغوت ضمير يعود الى من لعنه الله وذكر في توجيه القراءتين بان العايد محذوف تقديره وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وقرى وعابد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وفتح الدال ورفع الطاغوت ومعناه كما ذكره السلطان من انه صار معبودا اي من دون الله كامر اي صار اميرا فيكون العايد محذوفا اي فيهم او بينهم وقرى وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وجر الطاغوت قال ثعلب هو جمع عابد كشارف وشرف وقرى وعبدا الطاغوت بضم العين وتشديد الباء مفتوحة وفتح الدال وجر الطاغوت وهو جمع عابد كخلص في جمع خالص وقرى وعبد الطاغوت بضم العين وفتح الباء والدال وجر الطاغوت فهو بناء مبالغة كحطم ولبد وقرى وعبد الطاغوت بضم العين وتشديد الباء مفتوحة وفتح الدال ونصب الطاغوت فهو جمع عابد كضرب في جمع ضارب وحذف التنوين في عبد لالتقاء الساكنين

وقرئ وعابد الطاغوت بنصب عابد وجر الطاغوت وقرئ وعُبّاد الطاغوت بضم العين
وتشديد الباء بعدها الف ونصب الدال وجر الطاغوت وهي جمع عابد كضُرّاب في ضارب وقرئ
وعِبادَ الطاغوت بكسر العين وبعد الباء المخففة الف ونصب الدال وجر الطاغوت جمع عابد
كقائم وقيام وصائم وصيام وراكع في البواقي اي المطولات **أُولَٰئِكَ** الممسوخون الملعونون **شَرٌّ مَّكَانًا**
اي منزلة عند الله جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم لان التميز في المعنى فاعل واثبات
الشرارة لمكان الشيء كناية عن اثباتها له وقيل معنى مكانا منصرفا اي منقلبا وهو جهنم **وَأَضَلُّ** عطف على شر
مقرر له اي اكثر ضلالا **عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ** اي عن وسط طريق الحق في الدنيا والمراد مكان هؤلاء شر
واضل من مكان المؤمنين في الدنيا كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر نزل اخبر
عن حال منافقي اهل الكتاب او في عامة المنافقين بقوله **وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا** اي اذا
جاءكم ذريتهم او نسلهم لان اولئك المجعول منهم القردة والخنازير لم يجيئوا اليه صلى الله عليه وسلم
فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المؤمنين **وَقَد دَّخَلُوا**
بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ اي يخرجون من عندك متلبسين بالكفر ولم يؤمنوا كما دخلوا لم يؤثر
فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا
يعني دخلوا كافرين وخرجوا كافرين **وَاللَّهُ أَعْلَمُ** من الرسول وغيره **بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ** من الكفر
وغيره يجازيهم على شرهم وضلالهم وفيه وعيد لهم **وَتَرَىٰ** خطاب للنبي عليه السلام او لكل احد
من يصلح للخطاب والرؤية بصرية **كَثِيرًا مِّنْهُمْ** اي من المنافقين واليهود **يُسَارِعُونَ** اي يقعون
سريعا **فِي الْإِثْمِ** اي في الحرام وقيل في الكذب او في الكفر والمعاصي حال من كثير وقيل مفعول ثان والرؤية
قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم اي الظلم ومجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعدى الى غيرهم او الاثم ما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا فيها **وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ**
اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة وكانوا يأخذون الرشوة في الاحكام كذا ب زماننا العربيين العهد بالاسلام
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي لبئس شيئا كانوا يعملونه يعني يتزودهم السحت من الدنيا للآخرة **لَوْلَا** اي هلا
تحضيض لعلمائهم وفي ضمنه توبيخ لهم فان لولا اذا دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض
والتوبيخ الضمني يفهم من مقام الذم وقد مر في السورة معنى السحت والربانيين والاحبار **يَنْهَاهُمُ**
اي اهل الظلم والاثم **الرَّبَّانِيُّونَ** اي علماؤهم الزاهدون **وَالْأَحْبَارُ** العلماء بالشرائع والاحكام **عَن**
قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ الكذب والمنكر **وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ** الرشى يعني لم يمنع سفلتهم وهم من حكامهم الباطل واكلهم
الحرام ورضوا بفعلهم السوء ولم ينكروا عليهم **لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** حيث لا ينهونهم عن قولهم
الاثم واكلهم السحت يعني هم متمكنون من ترك الانكار على سفهائهم تمكن الصانع من صنعته ولان ترك الحسنة
اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ
الذم ويروى ان الله تعالى اوحى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم
وستين الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي
وواكلوهم وشاربوهم واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما في

القرآن

القرآن اية اشد توبيخا من هذه الاية واخرج ابن مبارك وغيره عن ضحاك قال ما في القرآن اية اخوف
عندي من هذه الاية واخرج احمد وابو داود وابن ماجه عن جرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم
يكون بين اظهرهم من يعمل بالمعاصي هم اعز منه وامنع لم يغيروا الا اصابهم الله منه بعذاب وعن النعمان
ابن بشير قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الفاسق في القوم مثل قوم ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل رجل
منهم نصيب فاخذ رجل منهم فاسا فجعل ينقر في موضعه فقال له اصحابه اي شيء تصنع تريد ان تغرق
وتغرقنا قال هو مكاني اصنع فيه ما شئت فان اخذوا على يديه نجوا ونجا وان تركوه غرق وغرقوا
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لعنهم الله بمقالتهم **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة ان الله كان قد
بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه
كف عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة لم يريدوا به
انها مغلولة الى عنقه لانهم اهل كتاب عارفين باستحالة ذلك في حقه تعالى ولكنهم ارادوا انها مقبوضة
محبوسة ممسكة عن الرزق فنسبوه الى البخل قال اهل المعاني لما قال هذه المقالة فنحاص فلم ينهه الاخرون ورضوا
بقوله فاشركهم الله فيها فغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود لعدم امكان الحقيقة هنا ومنه قوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
حتى انه يستعمل في ملك يعطي ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا
ما ابسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعل لليأس الذي هو
من المعاني كفان ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تأويل امثال هذه الاية واما فيما يمكن نحو يد زيد مغلولة
فيحتمل الكناية والمجاز ونظيره من المجازات التي لا يتصور فيها المعنى الحقيقي قوله جاد الحمى بسط اليدين
بوابل ؞ شكرت نداه تلاعه ووهاده ؞ ومن المجازات المركبة ؞ شابت لمة الليل ؞ وقيل ارادوا
به انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وقال الحسن معناه يد الله
مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبر قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل والاول اولى لقوله
ينفق كيف يشاء **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ** اي امسكت ايديهم عن الخيرات وقال الزجاج اجابهم الله انا الجواد
وهم البخلاء وايديهم هي المغلولة الممسكة وقيل هو من الغل في النار يوم القيمة لقوله تعالى اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل **وَلُعِنُوا** اي ابعدوا وعذبوا **بِمَا قَالُوا** بسبب قولهم ذلك فمن لعنهم انهم
مسخوا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة في الدنيا بما سمعت وفي الاخرة بالنار ثم اضرب
الله عنهم برد قولهم مبينا انه في غاية الكرم ليس ببخيل ومن جوده خلق الخلق فقال بل وسع رحمته
كل شيء **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** قال البغوي رحمه الله ويد الله صفة من صفاته جل وعز كالسمع
والبصر والوجه قال جل ذكره لما خلقت بيدي وقال صلى الله عليه وسلم كلتا يديه يمين والله اعلم بصفاته
فعلى العباد فيها الايمان والتسليم قال ائمة السلف من اهل السنة في هذه الصفات امروها كما جاءت
بلا كيف وقال شيخنا عبد القادر الجيلاني وكذلك في امثال هذه الصفات تفسيرها قراءتها فقط في عطف
على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس الامر كما زعموا بل هو في غاية الجود ونهاية السخاء واليهما
اشير بتثنية اليد فان اقصى ما تنتهي اليه هِمَم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بانفسهم بكلتا يديهم

وقيل التثنية للتنبيه على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام **ينفق كيف يشاء** اى ينفق كائنا على اى حال يشاء يعنى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا تعاقب سعة وضيق فى ذات يد وهو جملة مستانفة وارادة لتاكيد كالجود ثم بين حسد اليهود او النصارى بقوله **وليزيدن كثيرا منهم** اى من علمائهم ورؤسائهم وفاعل يزيدن قوله **ما انزل اليك من ربك** اى يزيدهم القرآن **طغيانا** اى تماديا فى المعصية **وكفرا** اى جحودا بالقرآن لانه كلما نزل شئ منه كفروا به فيزيد جحودهم لحسدهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله منهم صفة لكثيرا ومن ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك ثم انه تعالى لما بالغ فى وصفهم بالتمرد والعناد لاجل الحسد وحب الجاه والمال بين انه تعالى فرق شملهم وحرم عليهم سعادات الدنيا ايضا فقال **والقينا بينهم العداوة والبغضاء** يعنى اليهود والنصارى قاله الحسن ومجاهد وقيل بين طوائف اليهود ومن اختص هذا اراد بان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وكذلك بين فرق النصارى كالملكانية والنسطورية واليعقوبية فان قيل هذا المعنى حاصل بين فرق النصارى فكيف يمكن جعله عيبا فى اليهود والنصارى فالجواب ان هذه البدع انما حدثت بعد عصر الصحابة كما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ستفترق امتى ثلاثا وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة قيل ومن هم قال الذين هم على ما انا عليه واصحابى رواه الترمذى واما فى ذلك الزمان فلم يكن شئ من ذلك فلا جرم جعل ذلك عيبا فى اليهود على ان اختلاف هذه الامة رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم اختلاف امتى رحمة لانه اختلاف فى الفروع والجزئيات بخلاف اختلاف اليهود والنصارى فانه ليس كذلك **الى يوم القيمة** متعلق بالقينا او بالبغضاء اى ان التباغض بينهم الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والعداوة عمل وحرب والبغضاء لا تجاوز النفوس والحاصل لا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد **كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله** هذا استعارة بليغة يعنى كلما ارادوا حرب النبى واثارة شر عليه والمكر به وباصحابه ردهم الله عليه بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم وكلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم ططوس الرومى ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين عن قتادة لا تلقى يهوديا ببلدة الا وجدته من اذل الناس قلت الا بصر فان اليهود بركب وحواليه جماعة من المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا **ويسعون فى الارض فسادا** اى ويجتهدون فى دفع الاسلام ومحو ذكر النبى صلى الله عليه وسلم من كتبهم واراد بالارض جنس الارض او الارض المعهود ويعنى فسادا اى لاجل الفساد فى الارض وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم ودعوة الناس على عبادة غير الله **والله لا يحب المفسدين** اى لا يرضى بحملهم الفساد ولذلك لا يجازيهم الا شرا ويعاقبهم بانواع الهوان والحقارة **ولو ان اهل الكتاب** اى اليهود والنصارى **آمنوا** يعنى لو انهم مع ما صدر منهم من فنون الجنايات قولا وفعلا صدقوا بالله ومحمد والقرآن وما انزل من قبل **واتقوا** الكفر وقرنوا ايمانهم بالتقوى الذى هو طريق السعداء او ما عددنا من معاصيهم التى من جملتها مخالفة كتابهم **لكفرنا عنهم سيئاتهم** اى لمحونا عنهم ذنوبهم التى اقترفوها وان كانت فى غاية العظم ونهاية الكثرة **ولادخلناهم** مع ذلك **جنات النعيم** اى ولجعلناهم من المسلمين فى الآخرة من الداخلين فيها **ولو انهم اقاموا**

التوراة والانجيل اى لو اقاموا احكامهما واذاعوا حدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما انزل اليهم من ربهم** اى سائر كتب الله المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم وعبارة البغوى يعنى القرآن وقيل كتب انبياء بنى اسرائيل اقول قلت لان القرآن المجيد مصدق لكتبهم فانه من حيث انهم مكلفون بالايمان به كانه منزل اليهم وايراده بهذا العنوان للتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بنى اسرائيل فان بعضهم كانوا يقولون انه نبى لكن الى العرب **لاكلوا** اى رزقا **من فوقهم** اى من بركات السماء كالمطر ونحو ذلك **ومن تحت ارجلهم** اى من بركات الارض قال الفراء اراد به التوسعة يعنى يوسع عليهم الرزق ويفيض عليهم من كل جهة او يكثر لهم ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون منها ما هو من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على وجه الارض تبين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا الى الجنة لو سع عليهم وجعل لهم خير الدارين ثم فصل حال اهل الكتاب بقوله **منهم امة مقتصدة** اى طائفة عادلة مؤمنة غير مقصرة فى الدين كعبد الله بن سلام واصحابه من اليهود والنجاشى واصحابه من النصارى وقيل ثمانية واربعون من النصارى وقيل مقتصدة اى متوسطة فى عداوته صلى الله عليه وسلم **وكثير منهم** يعنى كعب بن اشرف واصحابه وغيرهم **ساء ما يعملون** اى بئس شيئا عملهم يعنى يقول فى حقهم هذا القول اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبى عليه السلام فما نكرة تمييز او موصولة فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف **يا ايها الرسول بلغ** اى اظهر **ما انزل اليك من ربك** اى بلغ الى الخلق جميع ما انزل اليك واى شئ انزل اليك بان لا تتوقف عن شئ مخافة احد بان ينالك مكروه منه ومراقبا فى تبليغه احدا وذلك ان رسالته عليه السلام تضمنت الطعن على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم فكان عليه يلقى منهم عنتا وربما خافهم احيانا قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس **وان لم تفعل** اى وان لم تبلغ جميع ما انزل اليك ولم تظهر كما امرتك **فما بلغت رسالته** اى فلم تؤد اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيئا اصلا قرأ نافع وابن عامر وعاصم فى رواية ابى بكر رسالاته جمعا والباقون رسالته مفردا ووجه الجمع انه صلى الله عليه وسلم بعث بانواع شتى من الرسالات كاصول التوحيد والاحكام على اختلاف انواعها واما الافراد فواضح لان القرآن رسالة واحدة او لان اسم الجنس المضاف يعم جميع ذلك وقد قال بعض الرسل ابلغكم رسالات ربى وبعضهم قال رسالة ربى اعتبارا للمعنيين فان قلت اذا كان معنى قوله ان لم تفعل يعنى وان لم تبلغ اتحد الشرط والجزاء فانه فى قوة فان لم تفعل لم تفعل او فان لم تبلغ لم تبلغ قلت توجيهه ما قال ابن الحاجب وتحقيقه انه اذا اتحد الشرط والجزاء كان المراد بالجزاء المبالغة كانه قيل وان لم تبلغ جميعه فقد ارتكبت امرا عظيما فكانك ما اديت شيئا من رسالته لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او ان لم تبلغ ادنى شئ فانت كمن لم يبلغ شيئا منها لان اداء بعضها ليس اولى من اداء البعض الآخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كمن لم يؤمن بكلها او ان لم تبلغ فلك ما يوجبه كتمان الوحى كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده ما رواه اسحاق بن

راهويه في مسنده من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله
الي ان لم تؤد رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد
وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه وايضا في بعض التفاسير قالت
الملاحدة قاتلهم الله هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لغلامك كل هذا الطعام فان لم تاكله فانك ما اكلته قلنا
هذا امر بتبليغ الرسالة في المستقبل اي بلغ ما انزل اليك من ربك في المستقبل وان لم تفعل اي وان لم تبلغ الرسالة
في المستقبل فكانك لم تبلغ الرسالة اصلا او بلغ ما انزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوكة والعدة فانك
فان لم تبلغ كنت كمن لم تبلغ اصلا او بلغ ذلك غير خايف احدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة
اصلا انتهى روي عن مسروق قال قالت عايشة رضي الله عنها من حدثك ان محمدا عليه السلام كتم شيئا مما
انزل الله فقد كذب وهو يقول يا ايها الرسول الاية وروي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا
وعلم من ان من الناس من يكذبه فنزلت يا ايها الرسول وفي نزولها اقوال كثيرة فراجع المطولات ثم ان
الله شجع نبيه على الجهاد بقوله **والله يعصمك من الناس** عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض
الاعادي وازاحة لمعاذيره عليه السلام وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الاية فقال انصرفوا
عني فقد عصمني الله رواه الحاكم وفي رواية فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس فان قلت اين
ضمان العصمة فقد شج راسه يوم احد وكسرت رباعيته قلنا المراد انه يعصمه من القتل كما اشرنا
بعصمة روحه وقيل نزلت بعد يوم احد علما ان سورة المايدة من اخر القرآن نزولا واراد بالناس الكفار ولذلك
قال الله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** اي لا يمكنهم مما يريدون بك لان التمكين لازم للهداية
ولما اراد الاعرابي قتله عليه السلام سقط السيف من يده كما في الحكاية المشهورة روي ان الحارس له
كان سعدا وحذيفة ثم قال الله تعالى تعليما لنبيه كيف يبلغ رسالته الى اليهود والنصارى وادعوا انهم على
ملة ابراهيم **قل يا اهل الكتاب لستم على شيء** اي على دين يعتد به حتى يصح ان يسمى شيئا لانه باطل
فلا ثواب لاعمالهم **حتى تقيموا التوراة والانجيل** اي حتى تعملوا بما فيهما من الاحكام والامور التي من
جملتها دلايل رسالة الرسول عليه السلام فان اقامتهما انما تكون بهذا واما مراعاة احكامهما المنسوخة
فليست من اقامتهما بل هي تعطيل لهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها فاذن اقامتهما
بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله **وما انزل اليكم من ربكم**
اي وحتى تعملوا بما في القرآن مع الايمان به وبمحمد والاذعان لحكمه فان اقامة لا يتاتى بغير ذلك والمراد اقامة
اصولها وما لم ينسخ من فروعها ثم اكد ضلالهم بقوله **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك** من القرآن قوله كثيرا مفعول الاول ليزيدن ومنهم صفة عبارة عن علمايهم ورؤسايهم وفاعل يزيدن
ما في ما انزل ومفعوله الثاني **طغيانا وكفرا** اي تماديا في المعصية وجحودا بالقرآن فعليك التبليغ وان لم
ينفعهم ذلك **فلا تأس على القوم الكافرين** اي لا تحزن على المكذبين بك وبالقرآن يعني الحزن
عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة
لك عنهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **ان الذين امنوا** كلام مستأنف مسوق للترغيب في المذكور
في الايمان والعمل الصالح اي الذين بالسنتهم فقط وهم المنافقون **والذين هادوا** اي دخلوا في اليهودية

والصابئون

والصابئون قال جلال المحلي في سورة الحج هم طايفة من اليهود وتبعه السيوطي في هذه السورة
ونص المحلي في شرحه على المنهاج بان الصابئين طايفة من النصارى وهكذا في شرح المنهج ثم قال
في شرحه على المنهاج ما نصه وقد نقل ان الصابئين فرقتان فرقة توافق النصارى في اصول الدين
واخرى تخالفهم وتعبد الكواكب السبعة وتضيف الاثار اليها وتنفي الصانع المختار وقد افتى الاصطخري
بقتلهم لما استفتى القاهر الفقهاء فيهم والمعنى هنا كما ذكره في جامع الاسرار وعليه ميل اكثر المفسرين الخارجين
عن الاديان كلها **والنصارى** اي الطايفة المعهودة وقد ذكرنا في سورة البقرة بانا نبين اعراب هذه الاية
فاقول وقد بقي هنا بحث نحوي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على
محل الذين لانهم لا يشترطون في صحة هذا العطف مضي الخبر فان ان عندهم لا يعمل في الاسم فقط والخبر مرتفع
بالابتداء كما كان قبل دخول ان عليه فلا يلزم اجتماع عاملين على اعراب واحد وذهب البصريون الى عدم
جواز ذلك مطلقا فان العطف على محل ان واسمها عندهم مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عاملان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء
وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه والنية التاخير عما في حيز ان لينبه على الفصل بين ان وخبرها الا انه
ليعلم ان الخبر ماذا والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وهو
كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وخروجهم عن الاديان كلها يتاب عليهم
ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون النصارى معطوفا على قوله
والصابئون ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض
والراي مختلف ولا يجوز عطفه على الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا
مع انه ليس كذلك وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة
وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو وقال البغوي وكان حقه والصابئين وقد ذكرنا في سورة البقرة وجه
ارتفاعه وقال سيبويه فيه تقديم وتاخير تقديره ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى من
امن بالله الى اخر الاية والصابئون كذلك انتهى **من امن** منهم **بالله واليوم الاخر وعمل صالحا**
ومن امن في محل الرفع بالابتداء وخبره **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
والجملة خبر ان والراجع محذوف اي من امن منهم كما قدرنا او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه
وخبر ان هو قوله فلا خوف عليهم اي حين يخاف الكفار العقاب ولا يحزنون حين يحزن المقصرون على
تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفايهما لا بيان انتفاء دوامهما وقرا نافع والصابيون
بقلب الهمزة ياء وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا ثم بين حال اليهود واعاد ذكر اخذ الميثاق ليترتب
عليه ساير قبايحه ليعلم ان نقض الميثاق منهم كان من وجوه شتى فقال **لقد اخذنا ميثاق بني
اسرائيل** على الايمان بالله ورسله وساير الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة **وارسلنا اليهم رسلا**
اي ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليبينوا لهم امر دينهم وليذكروهم مراعاة حق الميثاق ويطلعوهم
على ما ياتون ويذرون في دينهم **كلما جاءهم رسول** منهم جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع

محذوف اي رسولا منهم كما قدرنا بما لا تهوى انفسهم اي بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من الشرائع
ومشاق التكاليف وجواب الشرط محذوف دل عليه فريقا منهم كذبوا عيسى ومحمدا عليهما الصلاة
والسلام وفريقا منهم يقتلون كزكريا ويحيى كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وحاربوه وقوله
فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم وكيف حاربوهم وقال يقتلون بلفظ
المضارع على حكاية حال الماضية استفظاعا للقتل وتنبيها على ان القتل من شانهم وانتصب فريقا
وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل انه جواب الشرط وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى
والقتل مختص باليهود وحسبوا ظنوا الا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وفتنة
في الدنيا والاخرة بقتل الانبياء وتكذيبهم قرأ حمزة والكسائي وابو عمرو تكون برفع النون اي على ان ان
في ان لا هي المخففة من المثقلة على معنى انه لا تكون ونصبها الاخرون كما لو لم يكن قبله لا فان قيل كيف
دخل حسبوا على ان التي للتحقيق قلت نزل حسبانهم لقوته وتمكنه في صدورهم منزلة العلم وان
سواء كانت ناصبة او مشبهة بما في خبرها سادة مسد مفعوليه والحاصل انه متى وقعت ان بعد علم
وجب ان تكون المخففة واذا وقعت بعد ما ليس بعلم وجب ان تكون ناصبة وان وقعت بعد فعل يحتمل
اليقين والشك جاز فيها الرفع والنصب باعتبارين فان جعلناه يقينا جعلناها المخففة ورفعنا ما بعدها
وان جعلناه شكا جعلناها الناصبة ونصبنا ما بعدها والاية الكريمة من هذا الباب فعموا عطف على حسبوا
والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا مكر الله فتمادوا في الطغيان وفنون الغي والفساد وعموا عن
الدين والحق فلم يبصروه بعدما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن
استماع الحق يعني عموا وصموا بعد موسى حين عبدوا العجل او غير ذلك من المخالفات كقتلهم شعيا وحبسهم
ارميا ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم حين تابوا عن عبادة العجل او غير ذلك
ورفع الله عنهم العذاب والبلاء بعث عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا مرة اخرى كثير منهم كفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم العين والصاد فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم
وكثير منهم بدل من الضمير اي الواو وهو بدل البعض من الكل او هو خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم اي
العمي والصم كثير منهم او فاعل والواو علامة الجمع والله بصير بما يعملون اي بما عملوا من تكذيبهم
الرسل وقتلهم الانبياء فيجازيهم على ذلك ثم بين حال النصارى بعدما فصل قبائح اليهود بقوله لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم يعني اتخذ ناسوته بناسوت عيسى كما هو داب بعض
الهنود يقولون انا هو الله من وجه دون وجه قيل هذا قول الملكانية او اليعقوبية لانهم يقولون ان مريم
ولدت الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم حكى الله عن المسيح فقال وقال المسيح مخاطبا لهم يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم ولم يفرق المسيح بين نفسه وغيره
انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة
التي هي دار الموحدين اي يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم وماواه اي مقره ومصيره النار
اي نار جهنم المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي ليس للمشركين مانع ودافع يدفع عنهم العذاب
وهو من كلام الله او من كلام عيسى فان قيل كيف قال وما للظالمين من انصار مع ان بعض الظالمين وهم العصاة

من المؤمنين يشفع فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيمة فيكون ناصرا لهم قلنا المراد بالظالمين المشركون
يعلم ذلك من اول الاية ووسطها ثم بين حال الفريق الاخر من النصارى بقوله لقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة اي ثالث ثلثة الهة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكانية منهم القايلون بالاقانيم الثلثة وما سبق يعني ان الله هو المسيح قول اليعقوبية بالاتحاد
قال الشيخ والاشكال انه تعالى قال في الاية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال في
الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والجواب ان بعض النصارى كانوا يقولون كان المسيح بعينه
هو الله لان الله تعالى ربما تجلى في بعض الازمنة في شخص فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى فلهذا كان يظهر
من شخص عيسى افعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهب الى الهية ثلاث الله ومريم والمسيح و
انه ولد الله من مريم جل الله وقال محي السنة والغرض القايل بان الله ثالث ثلثة هم المرقوسية وفيه
اضمار معناه ثالث ثلثة الهة لانهم قالوا الالهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكل واحد من هؤلاء اله فهم ثلثة
الهة يبين هذا قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومن قال ان الله تعالى ثالث
ثلثة ولم يرد به الالهية لم يكفر فان الله يقول ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله عنه ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى ثم قال ردا عليهم وما من اله الا اله واحد
اي وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدئ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق يعني وما اله قط في الوجود الا اله موصوف
بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له والمراد بالاستغراق استغراق الجنس لتاكيد النفي في
الباب ليس في الدنيا مقالة اشد فسادا واظهر بطلانا من مقالة النصارى ثم هددهم بقوله
وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يتوبوا ولم يوحدوا ليمسن اي ليصيبن الذين كفروا
منهم عذاب اليم خص الذين كفروا منهم لعلمه ان بعضهم يؤمنون تبين في منهم ان كانت للتبعيض
فالمعنى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر عذاب اليم وان كانت للتبيين فالمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى
وانما وضع موضع الضمير الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر افلا يتوبون الى الله من الشرك
ويستغفرونه عن كفرهم وقولهم الاثم يعني الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرون
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد وحرف العطف مقدم على الهمزة
تقديرا اي ايثبتون على كفرهم فلا يتوبون بالانتهاء عن اباطيلهم والاستفهام للتعجب من حالهم واصرارهم
على الكفر يعني كيف لا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم يغفر لهم ويعفو عنهم ويمنحهم من فضله
ان تابوا ثم اشار الى بطلان التمسك بالهيتهما فقال ما المسيح المعلوم حدوثه من كونه ابن مريم بالخوارق
الظاهرة على يديه الا رسول قد خلت اي مضت من قبله الرسل اتوا بالخوارق القاهرة
وامه كجوارقها صديقة لانها صدقت بكلمات ربها ولو استدل بخوارقهما الهيتهما تعرض بانهما
كانا ياكلان الطعام عن احتياجهما اليه توضيح الاية بعبارة اخرى ما المسيح ابن مريم الا رسول اي ما هو الا رسول
كالرسل قبله وهذا كقوله عز وجل وما محمد الا رسول خصه الله بايات كما خصهم فان احيى الله الموتى على يديه
فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد

خلق آدم من تراب وأم وهو غريب وأما أمه فهي كسائر النساء اللاتي تلازمن الصدق كخديجة زوج
المصطفى عليه السلام وفاطمة البتول بنته وعائشة الصديقة وبوحيانة بنت لاوى وآسية وغيرهن
وتخصيص الطعام لان النصارى لا يقدرون على انكار بنوة الله اولا افصح لهما من الكمال بعد الرسالة
ولزوم الصدق ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس من يشاركهما في مثله ولا يحصر
لما وقع من الكرامات والخوارق لاعيان هذه الامة المحمدية قال الامام اليافعي وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني
يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله ثم نبه على نقصهما عن رتبة الربوبية وذكر ما ينافي ذلك وتنقض
ان يكونا من اعداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال
انظر كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على توحيد الله تعالى وبطلان اقوالهم الزائفة
بالاتحاد والالهية عيسى وامه ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وتكرير الامر
بالنظر للمبالغة في التعجب وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب
قل امر لنبينا صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم أتعبدون المسيح وامه مع انهما عندكم
من جملة من هو من دون الله اي من غيره ولا الهية للادنى وهو ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
يعني عيسى عليه السلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا
وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وفي جامع
الاسرار والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثار ما لكون الكلام في مقام الكبرياء تبعيدا له عن مقام الالوهية
راسا ببيان انتظامه في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا فهو عليه السلام لا يملك شيئا من ذاته انتهى
وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون اي
اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه فيجازي على ذلك ان خيرا فخير وان شرا
فشرا او تعبدون العاجز وتتركون القادر على ان عدم ضره ونفعه كناية عن عجزه كما ان السمع والعلم كناية
عن القدرة ثم نهى اليهود والنصارى وقيل النصارى فقط عن الغلو الباطل لان الغلو في الدين نوعان غلو
حق وهو التفتيش عن اباعد معاني الحق والتفحص عن حقائقه بالاجتهاد في تحصيل البراهين ليظهر الحق
كما يفعله وغلو باطل وهو ان يتجاوز عن الحق بالاعراض عن الحجة الواضحة الدالة على الحق ويتعلق بالآيات المتشابهات
ويفسرها على مراده كما يفعله اهل الاهواء ويتسبب ناسوته الى اللاهوت بوجه دون وجه كما مر مرارا فقال
قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا عن الحد غير الحق اي الى غير الحق او غلوا غير الحق
اي باطلا لان الغلو يكون حقا وباطلا فغلو النصارى رفع عيسى عليه السلام فوق قدره باستحقاق الالوهية
وغلو اليهود وضعه عليه السلام عن استحقاق النبوة ولا تتبعوا اهواء قوم وهم اسلاف اليهود
والنصارى قد ضلوا عن الهدى من قبل اي من قبل نزول القرآن ومبعث النبي في شريعتهم الاهواء
جمع هوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس والمراد هنا المذهب التي تدعو اليه الشهوة بلا حجة واضلوا
كثيرا ممن تابعهم من اصحابهم وضلوا ثانيا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل اي
عن الطريق المستقيم وهو الاسلام فان قيل ما فائدة قوله وضلوا بعد قوله قد ضلوا من قبل قلنا المراد بالضلال

الاول

الاول ضلالهم عن التوراة والانجيل وبالضلال الثاني ضلالهم عن القرآن وقيل الاول اشارة الى
ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني ضلالهم عما جاء به الشرع ثم لما خاطبهم بهذا الخطاب وصف اسلافهم
بقوله لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم في الانجيل قال اكثر المفسرين يعني اهل
ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة واصحاب
المائدة لما اكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا
خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى عليهما السلام
بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكذب به ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ وهو
مبتدأ وقوله بما عصوا اي بعصيانهم على الله وكانوا يعتدون اي وبكونهم معتدين ما حرم الله عليهم
يعني متجاوزين الحد ظلما في دينهم خبره ثم فسر الاعتداء والعصيان بقوله كانوا لا يتناهون اي لا ينهى
بعضهم بعضا عن منكر فعلوه اي عن قبيح فعلوه ويعني وصف المنكر بفعلوه ولا نهي بعد الفعل
انهم كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله او
المراد لا ينتهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم من رضي عمل قوم فهو منهم ثم عجب من سوء فعلهم
مؤكدا لذلك بالقسم توبيخا لهم بقوله لبئس ما كانوا يفعلون اي لبئس شيئا فعلوه من عدم انتهائهم عن
المنكر وفيه دليل على ان ترك النهي عن المنكر من العظائم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عنه عن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل اذا عمل العامل
منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيرا فاذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالامس
فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن
على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم ثم قال في
عتاب اهل الكتاب وحسادهم ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حين خرجوا
الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية يتولون الذين كفروا حال من كثيرا
لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وقيل الرؤية قلبية وعلى هذا
فيحتمل ان يراد باهل الكتاب المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يراد به اسلافهم لبئس ما قدمت
لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه لانفسهم ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اي موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم و
المخصوص محذوف اي لبئس شيئا موالاة الكفار لانه كسبهم السخط والخلود ثم قال توبيخا لهم على اتخاذهم الكفرة
اولياء ولو كانوا يؤمنون حقيقة بالله والنبي اي نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا عليه
السلام وما انزل اليه من التوراة ان كان نبيهم او القرآن ان كان نبينا ما اتخذوهم اولياء
اي ما اتخذوا الكفار اولياء لان موالاة المشركين تدل على نفاقهم ولكن كثيرا منهم فاسقون اي خارجون
عن دينهم او متمردون في كفرهم ونفاقهم متجاوزون حده ولو كان هؤلاء اليهود والنصارى يؤمنون بالنبي

الى انبيائهم ونبينا ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم اصلا اذ الدين يمنع عن موالاة المشركين ثم اخبر عن صعوبة اجابة اليهود الى الحق وعن سهولة ميل النصارى الى الاسلام بقوله عز وجل **لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا** يعني مشركي مكة وذلك لشدة شكيمتهم وصعوبة اجابتهم الى الحق وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومحاداتهم فالجملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها اكدت بالتاكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له والوجدان متعد الى مفعولين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وعداوة نصب على التمييز والذين متعلق بها قويت باللام لما كانت فرعا في العمل عن الفعل كما يتعلق بالمودة فيما بعد وظاهر الاية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين ولهذا قدمهم على المشركين في العداوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله **ولتجدن اقربهم** اي اقرب الناس **مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى** فان السلطان لين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل لان منهم قسيسين الخ قال ابن عباس وسعيد وابن جبير وعطاء والسدي المراد به النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على الرسول صلى الله عليه وسلم وامنوا به ولم يرد جميع النصارى لانهم في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتلهم واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا ولا كرامة لهم بل الاية فيمن اسلم منهم وقال اخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق كان فان قدروا على القتل فذلك والا فبنهب المال والسرقة او بنوع من المكر والكيد والحيلة واما النصارى فليس منهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام فهذا وجه التفاوت بالعداوة والمودة قال اهل التفسير ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله منهم ومنع الله رسوله بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا واراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بالهدايا الى النجاشي وامرائه ليردهم اليهم فعصمهم الله وذكرت القصة مرة اخرى فلما انصرفوا خائبين اقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان

وكانت

وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها فبعث اليه من عنده من المسلمين فارسل الى ام حبيبة جارية له يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فاعطتها اوضاحها سرورا بذلك فاذنت لخالد بن سعيد بن العاص حتى انكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فانفذ اليها النجاشي اربعمائة دينار على يد الجارية المذكورة فلما جاءتها بها اعطتها خمسين دينارا فردتها وقالت امرني الملك ان لا اخذ منك شيئا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت محمدا صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي منك ان تقريه مني السلام قالت وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها ولا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه وكان يسائلني عن النجاشي فقرات عليه من ابرهة السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان مودة يعني بتزوج ام حبيبة ولما جاء ابا سفيان خبر تزويج ام حبيبة قال ذاك الفحل لا يقرع انفه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ارهى بن اصحمة بن ابجر في ستين رجلا من الحبشة وكتب اليه يا رسول الله اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك يعني جعفرا واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني ارهى وان شئت ان اتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا سفينة في اثر جعفر واصحابه فغرقوا في وسط البحر ووصل جعفر واصحابه الى رسول الله في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكوا حين سمعوا القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران من بني الحارث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية رومية من اهل الشام وقال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا من اهل الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم صدقوه وامنوا به فاثنى الله عليهم ثم علل سهولة ميلهم وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله **ذلك** اي قرب المودة مبتدا **بان منهم قسيسين** خبره اي علماء **ورهبانا** اي عبادا وهو جمع قسيس كصديق صيغة مبالغة قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم والرهبان جمع راهب كراكب وركبان من الرهب وهو الخوف **وانهم لا يستكبرون** عن قبول الحق اذا فهموه بل يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود عن الايمان وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر لان هذه تجره الى الاسلام قال الشيخ بعبارة اخرى وفيه دليل على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وان كان علم القسيسين وكذا علم الاخرة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني **واذا سمعوا** عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وبسبب انهم اذا سمعوا **ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض**

الجزء السابع

من الدمع اى تمتلئ من الدمع او تمتلى بالدمع وقد وقع البكاء مرتين مرة حين قرأ جعفر على النجاشي واهل
مجلسه من سورة مريم وطه وحين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة يس على الذين وفدوا عليه وهم سبعون رجلا
مع جعفر ابن ابي طالب فهذه الشرطية مبينة لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم
عنه ومن في قوله مما عرفوا لابتداء الغاية وهي متعلقة بتفيض على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة
الحق اى من اجله وسببه ومن في من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا او للتبعيض على انهم عرفوا
بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا بما فيه من المعاني والبيان يقولون
حال من ضمير الفاعل في عرفوا ربنا آمنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين اى مع
الذين شهدوا بان القرآن حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وقالوا ذلك
لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وفي القرآن لتكونوا شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن بالله
اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله وما جاءنا من الحق اى وبما جاءنا من الحق يعني محمدا او القرآن
العظيم ونطمع حال من ضمير الفاعل في نؤمن والتقدير ونحن نطمع ان يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الصالحين
اى الانبياء والمؤمنين الاعراب فما استفهامية في محل الرفع بالابتداء ولنا خبره ولا نؤمن حال من الضمير في لنا
ومن الحق حال من فاعل جاءنا وقيل ان قوله نطمع عطف على نؤمن يعني ما لنا لا نجمع بين الايمان والطمع بالدخول
في الاسلام لان الكافر ماله ان يطمع في صحبة الصالحين وقيل نطمع معطوف على لا نؤمن اى في حال النفي على معنى
وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور ولما عيرهم اليهود وقالوا لم آمنتم اجابوهم بذلك ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله اى اعطاهم الله بما قالوا اى بما تكلموا به عن اعتقاد
وهو قولهم ربنا آمنا وتصديقهم لذلك جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين اى الموحدين المؤمنين الذين احسنوا النظر بالقلب والعمل بالجوارح او الذين اعتادوا الاحسان
في الامور وانما انجح قولهم وعلق الثواب بالقول لاقترانه بالاخلاص بدليل قوله من قبل ترى اعينهم تفيض من
الدمع مما عرفوا من الحق فدل على ان الاخلاص والمعرفة بالقلب من القول يكون وفي المدارك وفيه دليل على ان
الاقرار داخل في الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامية في الايمان بمجرد القول بقوله بما قالوا لكن
الثناء بفيض الدمع في السباق وبالاحسان في السياق يدفع ذلك وانى يكون مجرد القول ايمانا وقد قال الله تعالى ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب
قال اهل المعرفة الموجود منهم ثلثة اشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضاء بالقضاء فمن لم يكن
فيه هذه الثلثة فليس بصادق في دعواه والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اى
الملازمون لها غير الاسلوب دلالة على سعة رحمته وسبقها والتكذيب بالآيات وان كان داخلا في الكفر
لانه ضرب منه الا انه صرح به في مقابلة كلام المصدقين بما جاء من الحق جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اى ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها
انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وكانه
لما تضمن ما قبله مدح بعض النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي
عن الافراط في ذلك ليعلم انه لا يلزم علينا ايثار طريقتهم قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوما فوصف القيمة وبالغ في الانذار والتحذير فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت
عثمان بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فاتفقوا على
ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم
فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لم آمركم ان تكونوا
قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم و
رهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وصوموا
رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم
فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله يا ايها الذين آمنوا الخ وقد روي عن عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله اني اصبت من اللحم فانتشرت فاخذتني شهوة فحرمت
اللحم فنزلت الآية وقيل المعنى لا تحرموها على غيركم بالفتوى وقيل المعنى لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين
ونظيره قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الآية وقال بعض العلماء اراد بالرهبانية الرهبانية
المفرطة بحيث يقع الضعف في القلب والدماغ والانثيين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل
الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وفي تبصرة الرحمن في معنى لا تحرموا اى مقتضى ايمانكم
ان لا تغيروا شيئا من احكام دينكم وان كان مغيرا لما تقدم من الاديان ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين حدوده اى لا تتجاوزوا الحلال والحرام فان الله لا يحب المتعدي من الحلال الى
الحرام وبالعكس يعني لا تعتدوا عما حد الله بجعل الحلال حراما ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم
عليكم كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا تترخصوا فتحلوا حراما وقيل لا تسرفوا في تناول الطيبات و
كلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله قال عبد الله
ابن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما قوله حلالا فمفعول كلوا ومما حال منه
وانما قيد الرزق بالحلال ليؤذن بان الرزق قد لا يكون حلالا يعني لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة فان الرزق شرعا اعطاء الله تعالى الحيوان ما ينتفع به وهذا يشمل الحلال والحرام
فالتقييد بقوله حلالا لاخراج الحرام فيكون ردا على المعتزلة فانهم لا يسمون الحرام رزقا وقد مر في
اول سورة البقرة في قوله ومما رزقناهم ينفقون الى هذا المعنى مختصرا واتقوا الله تاكيد للوصية بما
امر الله به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فيما امر به ونهى
عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم وجه المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها هو ما تقدم من
ان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين حرموا على انفسهم المطاعم والملاذ واختاروا
الرهبانية وحلفوا على ذلك فلما نهاهم الله عن ذلك قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا فانزل
الله هذه الآية الى قوله ولكن يؤاخذكم الآية واللغو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله

وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقيل اللغو هو الحلف على ما يظن انه كذلك وليس كما يظن واليه
ذهب ابو حنيفة رحمه الله وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه وقد تقدم نظير
هذه الاية في سورة البقرة **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** اى وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية
وربط القلب والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به قرا حمزة
والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف دون الالف بعد العين وابن ذكوان عن
ابن عامر عاقدتم من باب المفاعلة والباقون عقّدتم بتشديد القاف قال الواحدي يقال عقد فلان
اليمين والعهد والحبل عقدا اذا وكده واحكمه ومثل ذلك ايضا عقّد بالتشديد اذا وكّد ومثله عاقد
بالالف **فكفارته** اى كفارة نكثه اى الفعلة التي تذهب اثمه وتستره احد هذه الامور وتسمى بالواجب
المخير هذا ولكن ذهب العلماء على ان العتق افضل ثم الكسوة ثم الاطعام وبدا الله تعالى عباده بالاطعام
لانه اعم وجودا والمقصود منه التنبيه على انه تعالى راعى التسهيل والتخفيف في التكاليف او نقال الايجاب على
طبق الهمم والتخيير ليبتلي المكلف بالاختيار الا على مزيد الاجر ويترقى في سعيه من الحضيض الى العالي واستدل
بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها
خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير رواه مسلم خلافا للحنفية فعندهم لا يجوز قبل الحنث لا بالمال
ولا بالصوم **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** اى من اقصده في النوع والقدر واختلفوا
في قدر هذا الاطعام فعندنا يطعم الناكث كل مسكين مدّ النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث من غالب قوت
البلد وكذلك في جميع الكفارات وهو قول زيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال سعيد
ابن المسيب والقاسم وسليمان بن يسار وعطا وحسن وقال اهل العراق عليه مدّان لكل مسكين وهو نصف
صاع يروى ذلك عن عمر وعلي وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع
وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم ولو غداهم وعشاهم لا يجوز عندنا وجوزه ابو
حنيفة ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه ولا يجوز عندنا الدراهم ولا الدنانير ولا الخبز ولا الدقيق بل يجب
اخراج الحب اليهم وجوز ابو حنيفة ذلك ولو صرف الكل الى مسكين واحد لا يجوز وجوز ابو حنيفة ان
ان يصرف طعام عشرة مساكين الى مسكين واحد في عشرة ايام ولا يجوز ان يصرف الا الى مسلم حر
محتاج فان صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجوز وجوز ابو حنيفة صرفه الى اهل الذمة واتفقوا على
ان صرف الزكوة الى اهل الذمة لا يجوز ومحل قوله من اوسط النصب لانه صلة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع
ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة **او كسوتهم** عطف على اطعام اى فكفارته اطعام عشرة
مساكين او كسوتهم والحاصل كل من لزمته كفارة يمين فهو فيها مخير ان شاء اطعم عشرة مساكين وان شاء
كساهم وان شاء اعتق رقبة فان اختار الكسوة فاختلفوا في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو كل مسكين
ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او كساء او نحوها وهو قول ابن
عباس والحسن ومجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وابو حنيفة وقال مالك يجب عليه كل انسان ما يجوز

فيه الصلوة فيكسو الرجال ثوبا والنساء ثوبين درعا وخمارا وقال سعيد بن المسيب لكل مسكين ثوبان
قرأ الجمهور كسوتهم بكسر الكاف وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة وقدوة وقرئ كاسوتهم بكاف الجر
الداخلة على اسوة والكاف في محل الرفع بالعطف على اطعام اى فكفارته اطعام عشرة مساكين او مثل
اسوة اهليكم قال الفخر الرازي معناه اى مثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط **او تحرير رقبة** عطف
على اطعام اى اعتاق انسان ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاثة مطلقا وتخيير المكلف في التعيين
فاذا اختار العتق يجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذا جميع الكفارات مثل كفارة القتل والظهار والجماع في نهار
رمضان واجاز ابو حنيفة اعتاق الرقبة الكافرة في جميعها الا كفارة القتل لان الله تعالى قيد الرقبة فيها
بالايمان قلنا المطلق يحمل على المقيد يعني ان الرقبة في هذه الاية مطلقة وفي كفارة القتل مقيدة فيحمل المطلق
على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة في موضع فقال واشهدوا ذوي عدل منكم واطلق في موضع
اخر فقال واستشهدوا شهيدين من رجالكم ثم العدالة شرط في جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك هذا
ولا يجوز اعتاق المدبر بالاتفاق عن الكفارة ويشترط ان يكون سليم الرق حتى لو اعتق عن كفارته مكاتبا او ام
ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة يعتق ولكن لا يجوز عن الكفارة
وجوز اصحاب ابي حنيفة المكاتب اذا لم يكن ادى شيئا من النجوم وعتق القريب عن الكفارة ويشترط ان يكون
الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل ضررا بينا حتى لا يجوز مقطوع احدى اليدين او احدى الرجلين ولا الاعمى
ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب لا تضر بالعمل ضررا
بينا وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز حتى جوز مقطوع احدى اليدين ولم يجوز مقطوع
الاذنين **فمن لم يجد** اى واحدا منها **فصيام ثلثة ايام** اى فكفارته صيام ثلثة ايام ان شاء تابع
وان شاء فرق والتتابع افضل وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشاذ
ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم ترو سنة **ذلك** اى المذكور من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة والصيام
اذا لم يجد واحدا من الثلاثة **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** اى اذا حلفتم وحنثتم فان الكفارة لا تجب الا بعد
الحنث **واحفظوا ايمانكم** عن النكث او لا تحلفوا بالله تصونوا وتخلوا بها ولا تبتذلوها لكل امر وبان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم والحاصل ان المراد حفظ اليمين عن الحنث
اذا لم يكن يمينه على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ترك مندوب او فعل مكروه فالافضل ان يحنث
ويكفر لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسال الامارة فانك ان اوتيتها عن مسالة
وكلت اليها ~~وانك ان اوتيتها عن مسالة وكلت اليها~~ وان اوتيتها عن غير مسالة اعنت عليها واذا حلفت
على يمين فرايت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير **كذلك** اى مثل ذلك البيان **يبين الله
لكم اياته** اى احكام شرعه واعلامه من الامر والنهي **لعلكم تشكرون** نعمته عليكم فيما يعلمكم ويسهل
عليكم المخرج منه يعني لعلكم تشكرون ربّ هذه النعمة العظيمة حيث جعل لكم مخرجا من ايمانكم بالكفارة
ولما كان الاقدام على الايمان ونكثها ومخالفة الشريعة بتسويل الشيطان ووسوسته بيّن طرفه
ليحترز الموحدون على الشروع فيها فقال **يا ايها الذين امنوا انما الخمر** اى تناولها **والميسر**
اى القمار **والانصاب** اى الاصنام التي نصبت للعبادة اذا كانت جمع نصب بفتح النون والصاد او هي حجارة

يصب عليها الدماء اذا كانت جمع نصب بفتح النون والصاد والازلام وهي القداح التي مرت تفسيرها قبل
ووجه اتصالها بما قبله انه تعالى قال الخمر من طيبات الى قوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ثم كان من
الامور المستطابة للجمهور في ذلك الزمان الخمر والميسر فبين الله تعالى انهما غير داخلين في المحللات بل في المحرمات
وقد تقدم بيان الخمر والميسر في سورة البقرة وبيان الانصاب والازلام في اول هذه السورة رجس اي نجس خبيث
مستقذرة يعاف عنه العقول السليمة وهو خبر عن هذه الاشياء المتقدمة فان قيل كيف اخبر عن جمع
بمفرد قيل في الجواب انه على حذف مضاف اي انما شان الخمر وعمل هذه الاشياء رجس ولا حاجة الى حذف
المضاف بل الحكم على هذه الاربعة انفسها انها رجس ابلغ من تقدير المضاف كقوله تعالى انما المشركون نجس وقيل
في الجواب وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف كانه قيل انما تعاطي الخمر والميسر
رجس من عمل الشيطان لانه يحمل عليه وكانه عمله فاجتنبوه اي امتنعوا الرجس او عمله الشيطان او المذكور
لعلكم تفلحون اي لكي تفلحوا بالاجتناب عنه في الاخرة اكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما
وقرنهما بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان تنبيها على
ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله من الفلاح ثم قرر ذلك بان بين
ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر اي في تناولهما ويصدكم عن ذكر الله اي عن طاعته وعن الصلوة
خصصها فانها وجه دينكم وانتم نهيتم عن اقامتها اذا كنتم سكارى لزوال عقلكم عن ادابها المعنى ان
الشيطان يريدان يهلككم ويخرجكم عن دينكم بالخمر والميسر فهل انتم منتهون عن تناولهما ام انتم
ثابتون على ما كنتم عليه كان لم توعظوا لغاية الغفلة فلما سمعوا الصحابة قالوا انتهينا يا ربنا
وانما خص الخمر والميسر بالذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان لان الاية نزلت
لنهي المومنين عن الخمر والميسر وهم ليسوا متعاطين الانصاب والازلام فذكرهما للدلالة على ان الخمر والميسر
مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر كعابد الوثن رواه ابن حبان قال ويشبه ان
يكون فيمن استحلها والرواية التي ذكرنا يعني شارب الخمر كعابد الوثن هي رواية البزار وروى ابو داود عن
ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة بايعها وشاربها وساقيها وشاربها وعاصرها ومعتصرها
وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها والمشتري له وخص الصلوة من الذكر بالافراد مع انها مندرجة فيه
للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده واخرج احمد بسند
صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه واتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لعن الخمر
وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها
واخرج الحاكم وصححه اربع حق على الله ان لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر واكل الربا
واكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه واخرج الطبراني ثلثة لا يدخلون الجنة ابدا الديوث و
الرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله اما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال الذي لا يبالي
من دخل على اهله قلنا فما الرجلة من النساء قال التي تتشبه بالرجال واخرج الحاكم وصححه اجتنبوا
الخمر فانها مفتاح كل شر واخرج الطبراني وابن خزيمة وحبان في صحيحيهما والبيهقي ثلثة لا يقبل الله
لهم

لهم صلاة ولا يصعد لهم الى السماء حسنة العبد الابق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده في ايديهم والمراة
الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو واخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من شرب
الخمر لم تقبل له صلوة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلوة اربعين صباحا فان
تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قيل
لابن عمر راويه وما نهر الخبال قال نهر من صديد اهل النار واخرج احمد عن اسماء بسند حسن واحمد والبزار و
الطبراني عن ابي ذر بسند حسن ايضا من شرب الخمر لم يرض الله عنه اربعين ليلة فان مات مات كافرا وان
تاب عليه فان عاد كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال قال صديد
اهل النار وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر ولم يسكر اعرض الله عنه اربعين ليلة ومن شرب
الخمر وسكر لم يقبل الله له صرفا ولا عدلا اربعين ليلة فان مات فيها مات كعابد الوثن وكان حقا على الله ان
يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال قال عصارة اهل النار القيح والدم قال البخاري
وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة الخمر قلت ورايت جماعة من اهل الصلاح لا يسلمون على من يشرب التتن في ما
الشرب وقال صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم وان شارب
الخمر يجي يوم القيمة مسودا وجهه مدلعا لسانه على صدره يسيل لعابه يقذره كل من راه قال ابن حجر رحمه الله
في الزواجر ولا يصح التداوي بالخمر وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت اشتكت بنت لي فنبذت لها في
كوز قالت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلي فقال ما هذا يا ام سلمة فذكرت له اني اداوي
به ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها وقال ابو موسى رضي الله عنه
يا رسول الله افتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن وهو من العسل نبيذ حتى يشتد والمزر وهو من الذرة
والشعير حتى يشتد قال وكان رسول الله قد اعطي جوامع الكلم بخواتمه فقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام
رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام قال ابن حجر في الزواجر واعلم ان الحشيشة
المعروفة حرام كالخمر يحد اكلها اي على قول قال به جماعة من العلماء كما يحد شارب الخمر وهي اخبث من
الخمر من وجه انها تفسد العقل والمزاج اي افسادا عجيبا حتى تصير في متعاطيها تخنث قبيح ودياثة
عجيبة وغير ذلك من المفاسد فلا يصير له من المروة شي البتة وتشاهد من احواله خنوثة الطبع وفساده
وانقلابه الى اشد من طبع النساء من الدياثة على زوجته واهله فضلا عن الاجانب ما يقضي منه
العجب العجاب وكذا متعاطي البنج والافيون انتهى ثم قال فيه الميسر والقمار باي نوع كان واخرج الديلمي اذا
مررتم بهولاء الذين يلعبون بهذه الازلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه اي وما شابه ذلك من كل
لهو محرم فلا تسلموا عليهم وان سلموا عليكم فلا تردوا عليهم واخرج احمد وابو يعلى والبيهقي وغيرهم
انه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم يصلي مثل الذي يتوضا بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم
يصلي اي فلا تقبل له صلاة كما صرحت به في رواية اخرى ثم قال الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة اللعب
بالشطرنج عند من قال بتحريمه وهم اكثر العلماء وكذا عند من قال بحله اذا اقترن به قمار او اخراج صلاة
عن وقتها او سباب او نحوها اخرج ابو بكر الاثرم في جامعه بسنده عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها

نصيب وفسر صاحب الشاه بلاعب الشطرنج لانه يقول شاه وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال اشد الناس عذابا يوم القيمة صاحب الشاه يعنى الشطرنج قال على كرم الله وجهه الشطرنج ميسر الاعاجم ومر على قوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون لان يمس احدكم جمرا حتى يطفى خير من ان يمسها قال مالك بلغنا عن ابن عباس انه ولى مالا ليتيم فوجدها فى تركة والد اليتيم فاحرقها ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز احراقها لكونها مال يتيم وفى فتاوى النووى رحمه الله الشطرنج حرام عند اكثر العلماء وكذا عندنا ان فوت به صلاة عن وقتها او لعب به على عوض فان انتفى ذلك كره عند الشافعى رحمه الله وحرم عند غيره وقال الامام الرافعى فى الشامل ان اللعب بها كهو بالنرد

ثم اعاد الله الحث على الاتيان بالاطاعة بصيغة الامر وقال **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** فيما امر به ونهيا عنه من اقامة الصلوة وشرب الخمر ولعب القمار **وَاحْذَرُوا** عن عقابه بترك الامر والنهى يعنى كونوا حذرين خاشعين فانه الداعى الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة **فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ** اى اعرضتم عن طاعة الله وطاعة رسوله او عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر **فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ بالايات فقط وقد ادى وانما ضررتم بالتولى انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم ومات قبله **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** اى اكلوا مما لم يحرم عليهم يعنى لا اثم عليهم لانهم اكلوا من القمار وشربوا الخمر قبل التحريم **إِذَا مَا اتَّقَوْا** اى لا يا ثمون وقت اتقائهم المحرم او الشرك **وَآمَنُوا** اى اذا ثبتوا على الايمان بالله **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** اى اتى بالاعمال الصالحة بعد الايمان **ثُمَّ اتَّقَوْا** عما حرم عليهم بنزول هذه الاية كالخمر والميسر بعد التحريم **وَآمَنُوا** اى ازدادوا ايمانا بتحريمه **ثُمَّ اتَّقَوْا** اى ثم استمروا وثبتوا على الاتقاء عن جميع المعاصى مطلقا **وَأَحْسَنُوا** الى الناس يعنى وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها واتقوا بالاحسان وكل محسن متق قالوا الاول عن الشرك والثانى عن المحرمات والثالث عن الشبهات وذكر الاحسان فى مرتبة الثالثة للاشارة الى ان كثرة مزاولة التقوى والعمل الصالح تنتهى الى الاحسان وهو ان تعبد الله كانك تراه للحديث فثم للتراخى لان الاتقاء عما حرم بنزول هذه الاية متراخ عن الاتقاء الواقع قبله وكذا الثبات على الاتقاء عن جميع المعاصى مطلقا متراخ عن اصل الاتقاء ويحتمل ان يكون المراد بكلمة ثم التراخى فى الرتبة لان الثبات على الشئ فوق احداثه كما قيل ؛ لكل الى جانب العلى حركات ؛ ولكن عزيز فى الرجال ثبات ؛ والعامل فى اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اى لا يا ثمون فيما طعموا اذا ما اتقوا المحرمات لانهم شربوها حين كانت محللة ولهذا قيل كان سبب نزول الاية ان الصحابة لما نزل تحريم الخمر قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويا كلون من مال الميسر فنزلت واشكل فى هذا المقام ان نفى الجناح على المباح لا يتقيد بما ذكر ودفع بان المراد مدح هولاء وثناء عليهم وحمد لاحوالهم فى الايمان والتقوى والاحسان للترغيب فيها والحث عليها لا تقييد نفى الجناح بما ذكر ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة

والسلام

والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلثة المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان تترك المحرمات توقيا من العذاب والشبهات تحرزا عن الوقوع وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وعلى كل واحد من هذه الاحتمالات يكون التكرير للتاسيس للتاكيد وقيل انه للتاكيد **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** الى الناس فلا يواخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار محبوبا ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم نزل **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** بالله ورسوله **لَيَبْلُوَنَّكُمُ** اى ليختبرنكم **اللَّهُ** معاملة المختبر وفائدة البلوى اظهار المطيع من العاصى والا لا حاجة الى البلوى **بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ** اى بشئ قليل من الصيد حالة الاحرام والوصف بالقليل ايذان بان من لم يثبت عند القليل لم يثبت فيما هو اشد منه ومن فى من الصيد للتبعيض اذ لا يحرم كل صيد على المحرم بل ابتلاهم بصيد البر خاصة وهو حرام عليه بخلاف صيد البحر **تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ** اى تاخذه وتصله يعنى الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد **وَرِمَاحُكُمْ** يعنى الكبار من الصيد لتطعنوه وامتحن الله تعالى امة محمد صلى الله عليه وسلم بصيد البر كما امتحن امة موسى عليه السلام بصيد البحر وانما ابتلينا **لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ** اى ليتميز عند هذه الامة المحمدية من علم الله انه يخاف من عقابه مع غيبته لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره اى تعلق المعلوم او ليستقر علمه تعالى وهو موجود كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليثيبه على عمله قيل معناه عزوف ذلك اولياء الله واظهار اسم الجليل لتربية المهابة واذا جعل الله تعالى هذا الاجتناب من الصيد حال الاحرام مميزا بين الخائف وغيره **فَمَنِ اعْتَدَى** اى ظلم واخذ الصيد **بَعْدَ ذَلِكَ** التحريم او الابتلاء والتميز **فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** اى فالوعيد لاحق به فان من لا يملك قلبه ولا يراعى حكم الله فيه فكيف يراعيه فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه اوله عذاب اليم فى الدنيا بالتعزير والكفارة وفى الاخرة بالتعذيب فى نار جهنم ان مات بغير توبة قال ابن عباس يسلب ثيابه ويوسع بطنه وظهره جلدا **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** اى لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وهو جمع حرام كردح فى جمع رداح ولعل ذكر القتل دون الذبح والذكاة ليعم حكم النهى ازهاق الروح باى طريق كان ولو قيد بالذبح والذكوة لكان المنهى عنه ازهاق الروح بطريق مخصوص اى الذبح ولانه قلما يمكن من ذبحه قال الشافعى رحمه الله المراد بالصيد هنا البرى المتوحش الماكول اللحم اما الاول فلقوله تعالى بعد ذلك واحل لكم صيد البحر واما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبى وان صار مستانسا ويخرج الانسى وان صار متوحشا ابقاء لحكم الاصل واما كونه ماكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه انه مما يحل اكله فى غير الاحرام ولانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن فى الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور والحق بالاجماع الحية بها وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ وقالت الحنفية المحرم اذا قتل سبعا لا يوكل لحمه ضمن وسلم ثم اختلف فى ان هذا النهى هل يلحق لحم الذبيحة فيلحق مذبوح المحرم بالميتة او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ذهب الى الاول الحنفية

والى الثاني الشافعية والآية نزلت في عمرة الحديبية في رجل يقال له ابو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله **ومن قتله منكم متعمدا** اى ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكر
المتعمد ليس لتقييد وجوب الجزاء فانه ان قتله ناسيا او مخطئا وجب الجزاء ايضا بل قيد بذلك لان
الواقعة التي كانت سبب نزول الآية كانت عمدا كما ذكرنا وقال الزهري نزل الكتاب بالعمد وورد بالسنة
بالوجوب في الخطاء وقال محيي السنة وكذلك اختلفوا في هذا العمد فقال قوم هو العمد لقتل الصيد مع
نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله لانه اعظم من ان تكون له كفارة
وهذا قول مجاهد والحسن وقال آخرون هو ان يتعمد المحرم قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فعليه الكفارة واختلفوا
فيما لو قتله خطا فذهب اكثر الفقهاء الى ان العمد والخطا سواء في لزوم الكفارة وقال كما ذكرنا على التعمد بالكتاب وعلى
المخطي بالسنة وقال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد بقتل الخطاء بل يختص بالعمد **فجزاء مثل ما قتل
من النعم** قرا الكوفيون فجزاء مرفوعا منونا على انه مبتدأ حذف خبره اى فعليه جزاء او خبر مبتدأ محذوف
اى فالواجب جزاء وقوله مثل على التقدير برفع صفة لجزاء والمعنى فعليه جزاء مماثل للمقتول من النعم والجملة جواب
الشرط وفي محل الرفع على الخبرية وعلى هذا التقدير لا يجوز ان يتعلق من النعم بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان
متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى
المفعول او اقحام مثل لانه لا يجب الاجزاء المقتول لا جزاء مثله فالجزاء على هذا على حقيقة المصدرية واما
على قراءة الاولى فهو بمعنى المجزي وانكر بعض النحويين هذه القراءة وقالوا ان ذلك يكون من اضافة الشيء الى
نفسه وهي غير مفيدة وليس كذلك لان الجزاء ههنا مصدر وهو غير المثل وانما هو فعل المجازي ومثل ههنا
اما مقحم كما ذكرنا او بمعنى ذات الشيء والمعنى فعليه جزاء ذات ما قتل وعلى هذا حمل محمد بن جرير قوله تعالى ليس كمثله شيء
اى ليس كذاته شيء وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على معنى فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مماثل ما قتل
وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي احتجاجا بقوله تعالى من
النعم فانه تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم ثم قال هديا بالغ الكعبة ومعلوم ان قيمة المقتول ليس هديا
بالغ الكعبة وباعتبار القيمة عند ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان
بلغت قيمته قيمة هدي تخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرام وبين ان
يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين
يوما وان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دون
يوم **يحكم به ذوا عدل منكم** هذه الجملة صفة جزاء بعد وصفه بقوله مثل ما قتل اى فعليه جزاء يحكم به
عدلان فقيهان فينظران الى اشبه الاشياء بالمقتول فيحكمان به وممن ذهب الى ايجاب المثل من النعم
عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم حكموا في بلدان
مختلفة وازمان شتى بالمثل من النعم فحكم حاكمهم في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة
وهو لا يساوي بقرة وفي الضبع بكبش وهو لا يساوي كبشا فدل على انهم نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من
حيث الخلقة وفي الحمام شاة وهو كل ما عب وهدر من الطير كالفواخت والقمري والدبسي وروي عن عمر
وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم انهم قضوا في حمام مكة بشاة وقضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الضبع

بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة **هديا بالغ الكعبة** اى يهدي تلك
الكفارة الى الكعبة فيذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين الحرم وهو حال من الهاء في به او من جزاء
وان نون لتخصيصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه ومعنى بلوغه الكعبة
ذبحه في الحرم لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غاية القرب والتلاصق ولكن لما كان
المقصود من بلوغ الهدي الحرم تعظيم الكعبة ذكر الكعبة تنبيها على ذلك فان دفع مثل الصيد المقتول
الى فقراء الكعبة حيا لم يجز ويجب عليه ان يتصدق بالمذبوح في الحرم لان نفس الذبح ايلام ولا قربة
فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة يذبح في الحرم ويتصدق به حيث شاء لانها
لما وصلت الكعبة فقد خرجت عن العهدة وقال في اللباب وفي در المصون فالمعنى يحكمان به هديا يساق
الى الكعبة فينحر هناك وهذا يؤيد قول من اوجب المثل من طريق الخلقة لانه تعالى لم يقل يحكمان به شيئا
يشترى به شيء وانما قال يحكمان به هديا وهذا صريح في انهما يحكمان بالهدي لا غير انتهى **او كفارة** عطف
على جزاء ان رفعته وان نصبت الجزاء فخبر محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة **طعام مساكين**
قرا نافع وابن عامر باضافة كفارة الى ما بعدها والجمهور بتنوينها ورفع ما بعدها اما قراءة الجماعة ففي
رفع طعام على احد ثلاثة اوجه احدها انه بدل من كفارة اذ هي من جنسه الثاني انه عطف بيان لها الثالث
انه خبر مبتدأ محذوف اى هي طعام واما قراءة نافع وابن عامر فوجهها ان الكفارة لما تنوعت الى تكفير
بالطعام وتكفير بالجزاء المماثل وتكفير بالصيام حسن اضافتها لاحد انواعها تبيينا لذلك فتكون من اضافة
العام الى الخاص كقولهم علم الفقه وشجر الاراك فتكون الاضافة بمعنى اللام قال الشيخ عبد الرحمن الجامي
في شرحه للكافية واعلم انه يلزم فيما هو بمعنى اللام ان يصح التصريح بها بل يكفي افادة الاختصاص الذي هو
مدلول اللام فقولك يوم الاحد وعلم الفقه وشجر الاراك بمعنى ولا يصح اظهار اللام فيه انتهى وقيل هذه
الاضافة تكون لادنى ملابسة وقيل الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة
بمعنى خاتم من فضة واورد عليه صاحب اللباب ودر المصون ان شرط الاضافة بمعنى من ان يضاف جزء الى كل
بشرط صدق اسم الكل على الجزء نحو خاتم فضة وكفارة طعام مساكين ليس كذلك بل هي اضافة كل الى
جزء وقال ابو حيان اما ما ذكره الجعل فليس من هذا الباب فان خاتم فضة من باب اضافة الشيء الى جنسه
والطعام ليس جنسا للكفارة بل الكفارة جنس والطعام نوع لها انتهى والمعنى عند امامنا الشافعي رحمه الله
او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا **او
عدل** عطف على فجزاء **ذلك** اشارة الى الطعام **صياما** تمييز للعدل المعنى او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما قال الفراء العدل بكسر العين المثل من جنسه وبالفتح المثل من غير
جنسه واراد به انه في جزاء الصيد مخير بين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق به على مساكين الحرم وبين
ان يقوم المثل دراهم ويشتري بالدراهم طعاما فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم او يصوم عن كل
مد من الطعام يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه لمساكين وقال مالك ان لم يخرج المثل
يقوم الصيد ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم وقال ابو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل
يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى طعام فيتصدق به وان شاء صام

من طعام كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره يوماً وقال الشعبي والنخعي جزاء الصيد على الترتيب والآية حجة لمن ذهب الى التخيير **ليذوق وبال امره** اى يجزى الجاني بما ذكر ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبته لهتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى وانما سمى الله تعالى التكفير بالجزاء المماثل او بالطعام او بالصيام وبالا لانه خيّر الجاني بين ثلثة اشياء الثاني منها توجب تنقيص المال وهو ثقيل على الطبع وهما الجزاء بالمثل والاطعام والثالث يوجب ايلام البدن وهو الصوم وذلك ايضا ثقيل على الطبع حتى يحترز عن قتل الصيد في الحرم وفي حال الاحرام فقوله ليذوق متعلق بفعل محذوف يدل عليه الكلام كانه قيل جوزى بذلك ليذوق او عليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل في المكروه ومنه الطعام الوبيل وقيل متعلق بجزاء وقيل بالاستقرار المقدر قبل فى له فجزاء اذ التقدير فعليه جزاء ليذوق وقيل بصيام اى صومه ليذوق وقيل بطعام اى طعام ليذوق **عفا الله عما سلف** اى عما مضى من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة **ومن عاد** الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم **فينتقم الله منه** اى يعذبه في الآخرة وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه لعايد الى المنهى عنه في الآخرة وانما قدر المبتدأ لان الفاء الجزائية لا تدخل المضارع واذا تكرر من المحرم قتل الصيد فيتعدد عليه الجزاء عند عامة العلماء وقال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا يسأل عنه هل قتلت قبلها شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه فانه اعظم من ان يجزى بالجزاء ولكن يملأ صدره وظهره ضربا وجيعا فيقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيئا حكم عليه وقال السلطان وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح **والله عزيز ذو انتقام** ممن اصر على عصيانه **احل لكم صيد البحر** والمراد بالبحر جميع المياه وبالصيد ما صيد منه وجميع ما يصطاد من البحر ثلاثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام واختلفوا فيما سوى هذين فقال ابو حنيفة انه حرام وقال الاكثرون انه حلال مما لا يعيش الا في الماء حلال لعموم هذه الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته رواه ابو داود والترمذى وغيرهما وصححوه وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر **وطعامه** قال ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ان الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما رمى به البحر او نضب عنه الماء من غير معالجة **متاعا لكم** مفعول له للاحلال اى احل لكم طعامه وصيده تمتيعا للمقيمين وحاضرى البحر يعنى هو يعزته منكم ياكلونه لحما طريا **وللسيارة** اى وللمسافرين منكم تتزودونه قديدا **وحرم عليكم صيد البر** اى ما صيد فيها او الصيد فيها فعلى الاول يحرم على المحرم ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوا او يصد لكم رواه الحاكم وصححه **ما دمتم حرما** اى حرم عليكم صيد البر مدة دوامكم محرمين يبقى ما سوى ذلك على الحل الاصلى وقرئ بكسر الدال من دام يدام **واتقوا الله** في الاصطياد في الحرم او في الاحرام **الذى اليه تحشرون** لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه او في الاحكام واتقوا الله في مخالفتها هذا الكلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم

والاحرام

والاحرام فقال **جعل الله الكعبة** اى صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه وتربيعه والعرب يسمى كل بيت مربع كعبة قال مقاتل سميت كعبة لانفرادها من البناء وقيل سميت كعبة لارتفاعها من الارض **البيت الحرام** وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظم حرمته قال النبي عليه السلام ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهو عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح اذ الكعبة اوضح او مفعول ثان وحينئذ يكون قوله **قياما للناس** منصوبا على انه حال واما على طريق الاول يكون مفعولا ثانيا وقيام الشئ وقوامه بانه صلاح الشئ واستقامته وكذلك البيت المعظم اذ به يحصل انتفاع شانهم اما اهل مكة فبكثرة المنافع فانه تعالى قد جعله بحيث يجبى اليه ثمرات كل شئ ويدفع المضار وقد صيره حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ويحصل الجاه والرياسة وتوفر الدواعى والرغبات وذلك بدعاء ابرهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام واما غيرهم فباتمام امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم الدينية والدنيوية وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على زنة فعل كشبع اعل عينه كما اعلت في فعله **والشهر الحرام** اراد به الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب اراد انه جعل الاشهر الحرم قياما للناس يامنون فيه القتال ويتمكنون من السفر فيها وقيل اراد بالشهر الحرام الذى يؤدى فيه الحج فقط وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وهو يحتمل عطف على الكعبة وجعل الشهر الحرام **والهدى** ما يهدى الى مكة ايضا قياما لهم **والقلائد** اى ذوات القلائد من الهدى قيام لهم خصوصا افردها بالذكر لانها اشرف واكثر ثوابا اذ الحج بها اظهر **ذلك** اشارة الى جعل الكعبة قياما خاصة والى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره ومحل ذلك النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو اللام بعده اى شرع الله لكم ذلك **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شئ من علمه المحيط فان قيل اين اتصال هذا الكلام بما قبله قيل اراد ان الله عز وجل جعل الكعبة قياما للناس لانه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الارض وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة الاخبار عن الغيوب والكشف عن الاسرار من قوله سماعون للكذب لقوم اخرين ومثل اخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض راجع اليه **وان الله بكل شئ عليم** تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شئ عليم الامور المتعلقة بتلك الموجودات من الاحوال والعوارض التى هى من قبيل المعانى **اعلموا ان الله شديد العقاب** وعيد لمن انتهك محارمه ولمن اصر عليه **وان الله غفور رحيم** لمن حافظ عليها او انقلع عنه بعد تعاطيه **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة ولا عذر لكم من بعد في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** فلا يخفى عليه نفاقكم ووفاقكم من تصديق وتكذيب فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا ثم لما رغب في الطاعة والتنزه عن المعصية بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب الى اخره

بنوع اخر من الترغيب فى الطاعة وترك المعصية فقال **قل لا يستوى الخبيث والطيب** اى لا يستوى
المشرك والمؤمن او الحلال والحرام قال استاذ الصناعة ومتبوع الجماعة سلطان المفسرين هنا حكم عام
فى نفى المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال
المال يعنى فيعاقب على الخبيث ويثيب على الطيب وان قل الطيب وكثر الخبيث وذلك قوله **ولو اعجبك**
كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير يعنى
اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى والخطاب لكل معتبر ولذلك قال
فاتقوا الله يا اولى الالباب اى العقول الخالصة والمعنى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر واثروا الطيب
وان قل **لعلكم تفلحون** راجين ان تبلغوا الفلاح والاطماع من الله تحقيق وقال القشيرى قدس سره
الخبيث ما اكتسبه العبد حالة الغفلة عن الحق والطيب ما اكتسبه على شهود الحق قال ويقال الخبيث ما
لم يخرج منه حق الله تعالى والطيب ما اخرج منه حقه قال ويقال الخبيث ما ادخرته لنفسك والطيب
ما قدمته بامر ربك روى انها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين
والمعنى فاتقوا الله يا اولى الالباب ولا تتعرضوا للحجاج ولو كانوا مشركين ونزل لما اكثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم
يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء روى البخارى عن ابن عباس ان قوما كانوا يسألونه
عليه السلام استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الاخر اذا ضلت ناقته اين ناقتى فنزلت روى
الترمذى انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك افى كل عام فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى
ما تركتكم فنزلت وفى رواية فقال لو قلت لكل عام لوجب عليكم ولو وجب عليكم ثم تركتموه لضللتم
ثم قال اتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم
بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتركونى ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عنى فانما هلك من كان قبلكم
بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم وقال القفال رحمه الله ان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله
عليه السلام اشياء من الغيب ومن المعجزات باشارة اليهود كما قال ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل فنهوا عن ذلك وهو السؤال عن امور لا حاجة لهم بها وعن اقتراح
ايات بعد وقوع الكفاية بمعجزات ظهرت لهم من غير سؤال وعن ابى هريرة وانس بن مالك انهم
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسألة فقام على المنبر فقال سلونى فوالله لا تسألونى
عن شىء فى مقامى هذا الا اخبرتكم فاشفق اصحابه ان يكون حدث امر فبكوا فقام عبد الله بن
حذافة السهمى وكان يطعن فى نسبه يعنى يدعى الى غير ابيه فقال من ابى فقال ابوك حذافة فقال
عليه السلام ابوك حذافة فدعاه لابيه فقام اليه عمر فقبل رجله وقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبك
نبيا وبالقران اماما فاعف عنا عفى الله عنك فلم يزل به حتى رضى فيومئذ قال الولد للفراش وللعاهر
الحجر وانزل عليه قد سألها قوم من قبلكم وقال يومئذ ايضا ما رايت فى الخير والشر كاليوم قط انه
صورت فى الجنة والنار حتى رايتهما وراء الحائط وفى رواية قام رجل فقال اين ابى فقال فى النار
فقام

فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا نعوذ بالله من غضب الله وغضب
رسول الله ثم قال يا رسول الله انا قريب العهد بالجاهلية والشرك والله اعلم من اباؤنا فسكن
غضبه ونزلت الاية واما اعلال اشياء فهى لا تنصرف لاجل همزة التانيث فى اخرها كحمراء لان
اصلها عند الخليل وسيبويه شيئاء بهمزتين بينهما الف الاولى لام الفعل كالفاء من طرفاء فاستثقل
اجتماع همزتين وان وجدت الالف فلا حاجز لها لسكونها وانها من جنس الهمزة فجعلوا اللام وهى الهمزة
الاولى قبل الفاء وهى الشين فصارت اشياء على لفعاء واصلها عند الاخفش افعلاء لان مفردها
عنده شىء كهين ثم خفف فقيل شىء كهين ثم جمع فقيل اشياء على وزن افعلاء كهين واهوناء ثم
حذفت الهمزة التى هى لام الكلمة فوزنها الان عنده افعاء ومن غيره على وزن افعال جمع لشىء من
غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه لانه لو كان كذلك لانصرف كاسماء والصحيح ان اشياء اسم
يدل على الجمع وليس بجمع كقصباء وطرفاء وعبارة السلطان واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت
لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشىء على ان اصله شىء كهين او شيىء كصديق
فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه كما اشرنا اليه ذريعا فى
التيسير ولم تصرف اشياء وان صرفت احياء واكفاء واسماء لان اصله اشياء على وزن افعلاء
وقيل كان اصل الواحد شيىء على وزن فعيل وجمعه افعلاء كالنصيب والانصباء ثم حذفت
الهمزة تخفيفا وبقيت غير منصرفة لاجلها فاما الاحياء ونحوها فهى افعال وهى منصرفة وكذا
اعلالها وقد صحح ولا ابالى وفى المدارك قال الخليل وسيبويه وجمهور البصريين اصله شيئاء بهمزتين بينهما
الف وهى فعلاء من لفظ شىء وهمزتها الثانية للتانيث ولذا لم تنصرف كحمراء وهى مفردة لفظا جمع معنى
ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان قدمت التى هى لام الكلمة فجعلت قبل الشين فصار وزنها لفعاء
انتهى وقد قدم الان مثل هذا ايضا ولا ابالى والله اعلم بمراده **ان تبد لكم تسؤكم** اى ان
تظهر لكم تغمكم وتحزنكم كما ظهر لذلك السائل ان اباه فى النار وفى ظهور الايات المقترحة ايضا
ما يسوءهم فانهم لو خالفوا بعد ذلك اهلكوا كما قال فى اخر هذه السورة فمن يكفر بعد منكم الاية وعلى هذا
التفسير يكون قوله ما على الرسول الا البلاغ اى ليس عليه ايراد الايات على جهة الاقتراح وقوله تعالى **وان**
تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم اى وان تسألوا عن نزول القران بها وفيها اشكال
وصعوبة تبد لكم اى تظهر لكم وهذا اطلاق للسؤال عند الانزال لحل الاشكال وتوبيخ لهم على السؤال
فيما لا حاجة لهم اليه فى الحال وقيل فيه تقديم وتاخير وتقديره وان تسألوا عن الاشياء وهى مبهمة
تبد لكم حين ينزل القران اى يظهر ذلك لكم فى القران المنزل فيه بعد ذلك وفى المدارك والجملة
الشرطية والمعطوفة عليها صفة لاشياء اى وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحى
وهو ما دام الرسول عليه السلام بين اظهركم تبد لكم تلك التكاليف التى تسوءكم اى تغمكم وتشق عليكم وتؤمروا
بحملها فتعرضوا انفسكم لغضب الله تعالى بالتفريط فيها وفى جامع الاسرار والمعنى لا تسألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر تغمكم وان تسألوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهاتان الشرطيتان
كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه وهذه العبارة ماخوذة من

البيضاوي بعينه وقال السيوطي والمعنى اذا سألتم عن اشياء في زمنه ينزل القرآن بابدائها ومتى ابداها
ساءتكم فلا تسألوا فان قيل ما ذكر من كراهية السؤال والنهي عنه يعارضه قوله تعالى فاسألوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون قلت هذا الذي امر الله به عباده هو ما تقرر وثبت وجوبه مما يجب عليهم
العمل به والذي نهى عنه هو ما لم يتعبد الله به عباده ولم يذكره في كتابه وذكر ابو السعود العمادي
في معنى الآية في تفسيره بقوله وجملة الكلام ان مدلول نظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال
عن الاشياء التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند
السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون
واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلق ممتنع في الصورتين معا ومنشأ
توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم ابتنائها هو موجود او بعرضية الوجود
من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم فان
هذا الايهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا ابداء المكروه **عفا الله عنها**
اي عن مسألتكم السابقة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام فلا تعودوا وقال السلطان وهذا صفة اخرى
لاشياء اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها **والله غفور رحيم** اي لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط
منكم ويعفو عن كثير او لا يعاقبكم الا بعد الانذار وروى ابو ثعلبة الخشني عن النبي عليه انه قال ان الله
تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا
عن اشياء من غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوها **قد سألها** الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا
ولذلك لم يعد بعن ويكون في موقع المصدر لا المفعول به بالواسطة كما في قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء التزم
التعدية بعن فيحمل على الحذف والايصال ولا يبعد الواسطة كما في سألته درهما بمعنى طلبته منه لا انهم سألوا
وانما سألوا عنها وعن حالها او لاشياء بحذف الجار **قوم** كقوم صالح وقوم طالوت وقوم عيسى
من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم لان ظرف الزمان لا يقع خبرا ولا صفة ولا حالا عن
الجثة **ثم اصبحوا بها** اي صاروا بسبب المسألة يعني بتركهم العمل بها **كافرين** فاهلكوا كما عرف في
بني اسرائيل حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا وفي التيسير اي سألوا آيات الاقتراح كقوم صالح سألوا الناقة
ثم كفروا بها وعقروها وقوم طالوت قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فلما كتب
عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وقوم عيسى سألوا المائدة فقال لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ثم
كفروا بها وقيل اي سألوا فلما اخبروا بما كرهوا وكذبوا الرسل وقيل سألوا البيان فلما بين لهم لم يعملوا به كانوا
شددوا على انفسهم كاصحاب البقرة فلما شدد عليهم تركوا وفي ارشاد العقل السليم معناه سألوا هذه
المسألة لكن لا بعينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة
في التحذير ثم شرع في الرد والابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية **ما جعل** ما وضع **الله** وما حرم
الله من الاشياء التي ذكرها او ما انزل الله ولا شرع في امور الدين ولا امر بذلك **من بحيرة ولا**
سائبة ولا وصيلة ولا حام والبحيرة الناقة التي تشق اذنها يقال بحرت اذن الناقة ابحرها بحرا
اي شققتها شقا واسعا ومنه البحر وهي اسم لا صفة ولذلك دخلت فيها الهاء كما في النطيحة والذبيحة

والنسيكة

والنسيكة وكانت الناقة اذا انتجت خمسة ابطن فكان آخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا
ركوبها وذبحها ولم يطرد عن ماء ولم يمنع عن مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها وقيل كانوا
يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن ونقل القرطبي عن امام المحدثين يعني الشافعي قدس سره انه
قال اذا نتجت الناقة خمسة ابطن اناثا بحرت اذنها فحرمت عندهم وقال مقاتل ان كان ولدها
الخامس ذكرا ذبحوه للآلهة وكان لحمه للرجال لا للنساء وان كانت انثى شقوا اذنها والبحر هو
وبر ولبنها للرجال دون النساء فاذا ماتت اشترك في لحمها الرجال والنساء ومن في من
بحيرة لتأكيد النفي على العموم اذ لو قال ما جعل الله بحيرة وقع عند السامع انه ما جعل بحيرة واحدة
بل جعل بحائر فنفى بكلمة من كل بحيرة والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت من قولهم ساب الماء
اي جرى على وجهه وانساب الحية كذلك كان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكذلك
كان من كثر ماله يسيب واحدة منها شكرا او كانت لا ينتفع بشيء منها ولا تمنع عن ماء ومرعى الى ان
تموت فيشترك في اكلها الرجال والنساء والوصيلة فعيلة بمعنى فاعلة هي الانثى من الغنم قال قتادة
هي في البطن السابع وقال السدي الشاة اذا ولدت ثلثة ابطن او خمسة وكان آخر ذلك جديا
ذبحوه واهدوه للآلهة وان كانت عناقا استحيوها وان كان جديا وعناقا استحيوهما جميعا وقالوا
انها وصلت اخاها وقيل هي الناقة تبكر فتلد انثى ثم تثني بولادة انثى اخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها
لآلهتهم ويقولون قد وصلت انثى بانثى ليس ذكر والحامي اسم فاعل من حمى يحمي اي منع قال ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهما هو الفحل يولد من صلبه عشرة ابطن فيقولون قد حمى ظهره فيتركونه كالسائبة
فيما تقدم يعني لم يزم ولم يركب ولم يمنع من ماء ولا مرعى فالمذكورات حرموا اهل الجاهلية على انفسهم
وقد نهى الله عن ذلك بقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقيل اول من فعل كل ذلك عمرو بن لحي
وقال مقاتل هو عمرو بن ربيعة بن لحي بن قمعة بن خندف الخزاعي وروى زيد بن اسلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اني لاعلم اول من سيب السوائب واول من غير دين ابراهيم عليه السلام قالوا
من هو يا رسول الله قال عمرو بن لحي لقد رأيته يجر قصبه في النار يؤذي ريحه اهل النار واني
لاعلم من بحر البحائر قالوا من هو يا رسول الله قال رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما
وحرم البانهما ثم شرب البانهما بعد فلقد رأيته وهما يعضانه بافواههما ويخبطانه باخفافهما
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته الى الله كانوا يزعمون
انه شرع ابراهيم روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن
لحي في النار يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام
كما مر قيل هذا قال ابن عباس يريد الله بقوله الذين كفروا عمرو بن لحي واعوانه يفترون وينحلون الله
هذه الاكاذيب ويقولون الله امرنا بها **واكثرهم لا يعقلون** ان ذلك افتراء لانهم قلدوا
فيه آباءهم وفي اكثرهم اشارة الى ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة
وتقليد الآباء ان يعترفوا به **واذا قيل لهم** اي اذا قيل لاتباعهم اتركوا تقليد القدماء من الآباء

والاجداد المفترين على الله الكذب تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول يعني هلموا الى
حكم الله تعالى ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة قال البغوي تعالوا الى ما انزل الله الى الحرث اي
في تحليل الحرث والانعام وبيان الشرايع والاحكام قالوا لافراط جهلهم وانهماكهم في التقليد لا حاجة
بنا الى كتاب الله ولا الى رسوله بل حسبنا من الدين ما وجدنا عليه اباءنا اي كافينا ذلك حسبنا مبتدأ
والجزء وجدنا وما بمعنى الذي اولو كان اباؤهم الواو للحال قد دخلت عليها همزة الاستفهام
الانكاري وتقديره احسبهم التقليد ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الى الحق فهاهنا
ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد ثم لما بين اصرارهم على ما مضى
عليه قدماؤهم ولم ينفعهم الايقاظ قال يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الجار والمجرور
من اسماء الافعال بمعنى الزموا صلاحها وهدايتها واحفظوها ما يضركم ولذلك نصب انفسكم وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر عليكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تزر وازرة وزر
اخرى او لا يضركم ضلال اخرين اذا كنتم مهتدين فان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب
العاصي اذا كان من المهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المطيع المنكر حسب طاقته ولهذا خطب ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا راوا المنكر فلم ينكروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال من راى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وروى الترمذي عن ابي ثعلبة قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال ائتمروا
بالمعروف وتنهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي
راي برايه فعليك بخاصة نفسك فان من ورائكم اياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل فيهن
مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال ابن المبارك وزاد في غيره قال يا رسول الله اجر خمسين
منهم قال اجر خمسين منكم ونقول الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر على نفسه وعرضه وماله وقيل معنى قوله انفسكم اهل دينكم كما قال الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اي اهل دينكم وقيل المراد به اخر الزمان عند فساد الناس وتعذر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو
زماننا هذا وقيل هذه الاية تتصل بما قبلها اي اذا دعوتموهم الى حكم الله فلم يجيبوا وقلدوا اباءهم
لم يضركم اذا اهتديتم انتم وفي سبب نزول هذه الاية وجوه احدها ما روى الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبل من اهل الكتاب الجزية طعن المنافقون في ذلك وقالوا عجبا
من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله صلى الله عليه وسلم وزعم انه رخص له
ان يقاتلهم حتى يعطوا الجزية فنزلت وثانيها ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار في كفرهم
وضلالهم فقيل لهم عليكم انفسكم الاية وثالثها انه كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباءك فنزلت
تسلية له بان ضلال ابائه لا يضره قرا الجمهور لا يضركم بضم الراء المشددة على انه كلام مرفوع مستانف
سيق للاخبار بذلك ويؤيده ان قرئ لا يضيركم بضم الراء من ضاره يضيره ضيرا او مجزوم اما على انه

جواب الامر

جواب الامر في عليكم واما على انه نهي مستانف غير متعلق بالامر قبله لكنه ضمت الراء لضمة الضاد المنقولة
اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرا لا يضركم بفتح الراء وقراءة من قرا لا يضركم بكسر الضاد من ضاره
يضيره وبضم الضاد من ضاره يضوره وكلاهما لغتان بمعنى يضره الى الله مرجعكم اي اليه
وحده رجوعكم يوم القيمة لا الى احد سواه جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فيجزي
من ضل ومن اهتدى كلا على وفق حاله فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال
فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يواخذ بعمل غيره ثم لما امر الله تعالى بحفظ النفس
امر بحفظ المال فقال يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم قال في درر المصون هذه الاية وما بعدها
من اشكل القران حكما واعرابا وتفسيرا ولم يزل العلماء يستشكلونها ويكعون عنها وانا استعين
بالله تعالى بوسيلة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في توجيه اعرابها واشتقاق مفرداتها وتصريف
كلماتها وقراءاتها ومعرفة تاليفها ومعانيها فنسال الله في تهذيبها وبالله الحول والقوة قرا الجمهور
شهادة بينكم برفعها مضافة لبينكم فتحتمل وجوها احدها انها مرفوعة بالابتداء وخبرها
اثنان ولا بد على هذا الوجه من حذف مضاف اما من الاول واما من الثاني فتقديره من
الاول ذوا شهادة بينكم اثنان وتقديره من الثاني شهادة بينكم شهادة اثنين والثاني
مرتفع بالمصدر الذي هو شهادة برفع الفاعل بفعله والتقدير فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان
ولفظ اذا على هذين الوجهين ظرف لشهادة اي ليشهد في وقت حضور الموت اي اسبابه
الثالث ان شهادة مبتدأ وخبره اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت
اماراته اي وقوع الشهادة في وقت حضور الموت الرابع ان شهادة مبتدأ وخبرها حين
الوصية واذا على هذا منصوب بالشهادة والجواز ان ينتصب بالوصية وان كان المعنى عليه
ويحتمل ان يكون بدلا من اذا او في ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرفا لحضر
وقوله اثنان على الوجه الثالث والرابع يرتفعان اما على الفاعلية اي ليشهد اثنان يدل عليه لفظ
شهادة واما على خبر مبتدأ محذوف مدلول عليه بشهادة ايضا اي الشاهدان اثنان وقرئ شهادة
بالنصب والتنوين فتكون منصوبة بفعل مضمر يدل عليه السياق واثنان مرفوع بذلك الفعل والتقدير
ليقم شهادة بينكم اثنان ذهب الى هذا ابن جني وتبعه الزمخشري وبينكم في قراءة من نون شهادة
نصب على الظرف وهي واضحة وفي قراءة الجمهور من باب الاتساع في الظروف اي يجعل الظرف كانه مفعول
للفعل المقدر او المصدر وقال ابو علي الجرجاني قوله تعالى شهادة بينكم اي ما بينكم وما بينكم كناية عن التنازع
والتشاجر ثم اضاف الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم في التنازع الواقع فيما بين
القوم والعرب يضيف الشيء الى الشيء اذا كان منه بسبب كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي مقامه بين
يدي ربه والعرب يحذف كثيرا اذكرنا وقوله ذوا صفة اثنان اي صاحبا عدل وكذلك قوله
منكم صفة ايضا لاثنان والمراد بقوله منكم من قرابتكم وعشيرتكم وقوله او اخران عطف على اثنان وقوله
من غيركم صفة لاخران اي من المسلمين الاجانب فكلمة او للتخيير وقيل منكم اي من اهل دينكم ومن
غيركم من اهل الذمة فعلى هذا يكون منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وكان جائزا

في ابتداء الاسلام لقلة المسلمين ثم اعترض بين آخران وصفته بقوله إن أنتم ضربتم في
الأرض أي سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل محذوف يفسره قوله ضربتم فأصابتكم مصيبة الموت عطف
على الشرط أي قاربتم الأجل وظهرت أسبابه وشدائده تحبسونهما أي تقفونهما عند المتبرك
تصبرونهما للحلف ففي هذه الجملة وجهان أحدهما أنها في محل رفع صفة لآخران وعلى هذا فالجملة
الشرطية وما عطف عليها وجوابها المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم معترضة بين
الصفة وموصوفها فإن قوله تحبسونهما صفة لقوله آخران وأفاد الاعتراض أن العدول إلى آخرين
من غير القرابة أو من غير الملة على ما قيل إنما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه وثانيهما
أنها لا محل لها من الإعراب لاستئنافها كأنه قيل بعد اشتراط العدالة في الشاهدين فكيف نعمل إن
ارتبنا فيهما وهذا الوجه أوفق للصناعة لأنه لا يلزم في الأول الفصل بكلام طويل بين الصفة وموصوفها
قال أبو حيان في قوله إن أنتم ضربتم الخ التفات من الغيبة إلى الخطاب إذ لو جرى على لفظ إذا حضر أحدكم
الموت لكان التركيب إن هو ضرب في الأرض فأصابته وإنما جاء الالتفات جمعا لأن أحدكم معناه إذا
حضر كل واحد منكم وفيه نظر لأن الخطاب جار على أسلوب الخطاب الأول من قوله يا أيها الذين
آمنوا شهادة بينكم الخ والخطاب في تحبسونهما لولاة الأمور لا لمن خوطب بإصابته الموت لأنه يتعذر
ذلك فيه ومن بعد متعلق بتحبسونهما الصلاة التي تعظمونها وهي صلاة العصر لأنه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل بعد أي صلاة كانت لأن الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر فيقسمان أي يحلفان بالله إن ارتبتم أي إن ارتاب الوارث منكم وجواب الشرط
محذوف تقديره إن ارتبتم في صدقهما وأمانتهما واتهمتموهما فحلفوهما ويقولان لا نشتري به
أي بالله أو الضمير للقسم ثمنا أي عوضا قوله إن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب
والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله عوضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا للطمع ولو كان المقسم
له والمشهود له ذا قربى أي قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشتري أكدوا به ليدل على معنى
أن هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا وأنهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ولا نكتم شهادة الله التي أعلمناها
وأمرنا بإقامتها والإضافة للتعظيم إنا إذا أي إذا شهدنا بالزور أو إن كتمنا شهادة
الله لمن الآثمين أي لمعدودين من المستقرين في الإثم والجمهور على رفع نكتم على أن لا نافية
والجملة تحتمل وجهين أحدهما وهو الظاهر كونها نسقا على جواب القسم فتكون أيضا مقسما عليها
والثاني أنه إخبار من أنفسهم بأنهم لا يكتمون الشهادة ويؤيده ما قرئ ولا نكتم على النهي
وهذه القراءة جاءت على القليل من حيث إن دخول لا الناهية على فعل المتكلم قليل ومنه إذا
ما خرجنا من دمشق فلا نعد ... بها أبدا ما دام فيها الجراضم ... والجمهور على شهادة الله
بالإضافة وهي مفعول بها وأضيفت إلى الله تعالى لأنه هو الآمر بها وبحفظها وقرئ شهادة الله
بتنوين شهادة ونصبها ونصب الجلالة وهي واضحة وقرأ الشعبي وغيره شهادة بالهاء ويقف
عليها ثم يبتدئ الله بقطع همزة الوصل ومد الهمزة على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام

منه وروي عنه بغير مد أيضا كقولهم الله لأفعلن فإن عثر مبني للمفعول والقائم مقام فاعله
الجار بعده أي فإن اطلع بعد حلفهما على أنهما أي الشاهدين أي الوصيين استحقا إثما أي
فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين بسبب خيانتهما على الورثة فآخران أي
فشاهدان آخران من أولياء الميت وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما في توجه اليمين عليهما
ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو قوله من الذين استحق عليهم
الوصية وهم الورثة يعني من الذين جني عليهم وهم الورثة لأن الفاء الجزائية أزالت كون الخبر
أجنبيا وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الأوليان والمفعول محذوف والمعنى من الورثة
الذين استحق عليهم الأوليان أي الأحقان بالميت والأقربان إليه من بينهم بالشهادة أن
يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهو خبر محذوف أي هما الأوليان
أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر
عن عاصم الأولين على أنه جمع أول مقابل آخر ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم
أحق بها وهو مجرور بالياء على أنه صفة الذين وهو الذين استحق أو بدل منه وقرئ الأولين على
التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الأولان وإعرابه إعراب الأوليان فيقسمان أي يحلفان على
خيانة الشاهدين بالله ويقولان لشهادتنا أي يميننا أحق أي أصدق من شهادتهما
أي من يمينهما وأولى بأن تقبل لأنا مسلمون وهما كافران خائنان وما اعتدينا أي وما تجاوزنا الحق
في اليمين ويقولان إنا إذا لمن الظالمين أي إن حلفنا بالكذب كنا من الواضعين الباطل
موضع الحق أو الظالمين أنفسهم إن اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي له أن
يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما
بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ
في الوقت فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ
بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه
بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن
تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوى إذ روى الترمذي أن تميما الداري وعدي
ابن بداء خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان
مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به
وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فأتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن
لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن عثر فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وحلفا فدفع الإناء إليهما ولعل تخصيص العدد

فيها الخصوص الواقعة **ذلك** اي الحكم الذي تقدم وهو رد اليمين الى الورثة بعد تعيين الدعوى وقيل رده
تحليف الشاهدين **ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها** اي اقرب الى اتيان الشهداء بالشها
على ما ينبغي من غير تغيير وخيانة فيها وقيل اقرب الى اتيان الاوصياء بالشهادة على ما ينبغي
الى الحق **او يخافوا** اي واقرب الى ان يخافوا ويحذروا من **ان ترد ايمان** اي ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة زيادة افتضاح
وانما جمع الضمير مع ان الكلام في اثنين من الشهود والاوصياء لانه حكم يعم الشهود كلهم **ق**
بعد ايمانهم من الايمان الكاذبة والخيانة في الامانة **واسمعوا** المواعظ سماع قبول **والله لا يهدي القوم**
الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم
الى الحجة او الى طريق الجنة فقوله **يوم يجمع الله الرسل** ظرف له اي لا يهديهم الى طريق الجنة
يومئذ كما يفعل بغيرهم وقيل بدل من مفعول واتقوا الله بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله
يوم جمعهم او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او وجمعه او منصوب
باضمار اذكر وقيل ذكر من اول السورة الى ههنا الاعمال وذكر ههنا يوم جزاء الاعمال **فيقول** الله
لهم توبيخا للمكذبين بهم **ماذا اجبتم** اي اي اجابة اجبتم من جهة امكم اجابة قبول
او اجابة رد **قالوا لا علم لنا** وقال ابن عباس انما قالوا لا علم لنا لانك تعلم ما اظهروا وما اضمروا
نحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم اقوى من علمنا لهذا المعنى نفوا العلم عن انفسهم لان
علمهم عند الله كلا علم ولهذا قالوا **انك انت علام الغيوب** فتعلم ما نعلم وما لا نعلم وفيه
التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وقيل هذا عند اول البعث ثم يشهدون بتبليغ الرسالة بعد ذلك وقيل هذا عند فزع جهنم فلا
يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل عند ذلك الا قال نفسي نفسي فعند ذلك قالوا لا علم لنا وهذا الجواب
وان ذهب اليه جمع كثير فهو ضعيف عندي لانه تعالى قال في صفة اهل الثواب لا يحزنهم الفزع الاكبر
وقال وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة بل انه تعالى قال ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يكون حال الانبياء
والرسل اقل من ذلك ومعلوم انهم لو خافوا لكانوا اقل منزلة من منزلة هولاء والذين اخبر الله عنهم انهم
لا يخافون البتة والتخصيص ببعض الاماكن تخصيص للايات بلا مخصص وفي التيسير وقيل يجوز ذلك
في اول الوهلة لان طبع الانسان على انه اذا راى امرا مخوفا دهش وتحير ذلك حتى موسى عليه السلام
حين دك الجبل ويوم القيمة يجاء بجهنم ولها زفير وتغيظ فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا بركبتيه فلعل
لحوقهم دهشة ثم تزول فيجيبون بما علموا اي يشهدون على ما شاهدوا وقرا علام بالنصب على ان
الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او
النداء وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع **اذ قال الله** نصب باضمار اذكر او بدل من
يوم يجمع وانما ذكر القول بلفظ الماضي دلالة على قرب القيمة حتى كانها قد قامت وقعت كما يقال
الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم ومحل **يا عيسى** مضموم على انه مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن

مضاف الى علم وهو المختار للتحقيق **ابن مريم اذكر نعمتي عليك** اراد الجمع وحذفت لانه
مضاف يصلح للجنس وانما قال **وعلى والدتك** لان النعمة على الولد نعمة على ابويه او المراد بالنعمة على الوالدة
الاصطفاء على نساء العالمين بان وهبت لها بسوال عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من
الايات فكذبتهم طايفة وسموهم وغلا اخرون فاتخذوهم الهة **اذ ايدتك بروح القدس** وهو ظرف
لنعمتي او بدل منها او حال منها اي قويتك بجبريل عليه السلام او باسم الاعظم وهو الكلام الذي
يحيى به الموتى او بجعل روحك طاهرة من العلايق الظلمانية بحيث تعلم انه ليس بواسطة البشر فيشهد ببراءتك
وبراءة امك ومن ذلك التايد قويت نفسك الناطقة ويويد الكلام قوله **تكلم الناس في المهد**
اعجازا **وكهلا** اي في ضعف الاحوال واقواها بكلام واحد لا تفاوت فيه والمعنى الحاق حاله في الطفولية
بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم بالمعجزة وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل الكهولة وقد
تكلمت في المهد ببراءة امك حيث قلت اني عبد الله اتاني الكتاب الاية والكهولة تكون بعد ثلثين سنة
قال السيوطي قوله وكهلا يفيد نزوله قبل الساعة لانه رفع قبل الكهولة كما سبق في ال عمران انتهى كلامه وفي
التيسير وكهلا اي بعد ثلثين سنة حين اوحى اليك بالرسالة قال البغوي فكان روحه تكلم الناس في المهد صبيا
وكهلا نبيا قال ابن عباس ارسله وهو ابن ثلثين سنة فمكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله اليه والله اعلم
بذلك **واذ علمتك الكتاب** اي واذكر نعمتي اذ علمتك الخط وكان يخط بغير تعلم او جنس الكتب اي ظاهر
العلم الذي يكتب **والحكمة** النظرية والعملية او باطن العلم الذي لا يكتب بل يخص به اهله **والتوراة والانجيل**
لتحكم بهما بين الناس او للاحاطة بالاسرار الالهية بعد الاحاطة بالعلوم المتداولة قال الشيخ الحكمة العلم
والفهم وفي بعض التفاسير قيل الكتاب والحكمة هما التوراة والانجيل وفي كل اسم معنى اخر ليس في واحد
وقيل الكتاب كتب الاولين قبل التوراة والانجيل **واذ تخلق من الطين** اي تقدر وتصور من الطين
صورة **كهيئة الطير** اي هيئة مثل هيئة الطير يعني على صورته **باذني** يعني بتسهيلي او باجازتي
لك ذلك التصوير فتنفخ فيها والضمير راجع للكاف في كهيئة الطير اي هيئة مثل هيئة الطير ولا يرجع الى
لفظ الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلق عيسى ولا من نفخه بشيء وكذا الضمير في **فتكون طيرا**
باذني اي بارادتي وتاثيري وتخليقي كما قال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بتخليق الله
موفقا يعني تكون طيرا حيا تطير باذني تحصل الروح من نفختك فيها فيما يظهر للناس وهو نافع
ويعقوب طايرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر **وتبرئ** اي تصحح وتشفي **الاكمه** عطف على اذ تخلق **و**
الابرص وهو مع كونه دون الاحياء **باذني** ثم اشار الى تاثيره في اعادة المعدوم فقال **واذ**
تخرج الموتى من القبور احياء **باذني** فهذا مما فعل الله به من جنس المنافع ثم قال هنا باذني
اربع مرات عقيب اربع جمل وفي ال عمران باذن الله مرتين لان هناك موضع اخبار فناسب الايجاز
وهنا مقام تذكير بالنعمة والامتنان فناسب الاطناب وقوله باذني حال اما من الفاعل او من المفعول
وقيل اخرج سام بن نوح عليه السلام ورجلين وامراة وجارية ثم اشار الى ما دفع عنه من المضار
فقال **واذ كففت** اي منعت **بني اسرائيل عنك** يعني اليهود عن قتلك حين هموا به لا الذنب
منك بل **اذ جئتهم** اي اذ اتيتهم **بالبينات** بالعلامات والمعجزات الدالة على نبوتك واذ ظرف لكففت

فقال الذين كفروا منهم اى الذين مضوا على كفرهم ان هذا اى ما هذا الذى جيت به الا
سحر مبين اى ظاهر لا يلتبس بالمجزات فهذه كلها نعم لازمة لا يتعدى منه ثم اشار الى النعم المتعدية
فقال واذ اوحيت اى واذكر نعمتى عليك بالتكميل حين اوحيت بطريق الالهام الى الحواريين الخواص
او الاصفياء او اراد بالوحى الامر يعنى امرتهم على السنة رسلى ان اى بان امنوا بى و
برسولى يعنى عيسى عليه السلام فلما بلغهم الرسالة قالوا امنا بالله وبرسوله واشهد
يا عيسى باننا مسلمون اى منقادون لكل ما تدعونا اليه ومخلصون من اسلم وجهه
لله اى اخلص دينه له اذ قال الحواريون منصوب باذكر او ظرف لقالوا يا عيسى بنصب
على اتباع حركته حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو ابن مريم هل يستطيع ربك اى تجيب دعوتك قرا
الجمهور بياء الغيبة ربك اذا دعوته وهو مرفوع والكسائى بتاء الخطاب لعيسى عليه السلام
ربك بالنصب على التعظيم وبقراة الكسائى قرات عائشة رضى الله عنها وكانت تقول الحواريون اعرف
بالله من ان يقولوا هل يستطيع ربك كانها رضى الله عنها نزهتهم عن هذه المقالة الشنيعة ان
تنسب اليهم وبقراة الكسائى قرا على ومعاذ وابن عباس رضى الله عنهم وحينئذ فقد اختلفوا
فى هذه القراة هل تحتاج الى حذف مضاف ام لا فالجمهور المعربين يقدرون المضاف اى هل تستطيع
سوال ربك اى هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عن سواله واختار ابو عبيدة هذه القراة قال
لان القراة الاخرى تشبه ان يكون الحواريون شاكين وهذه لا توهم ذلك وقال ابن الانبارى لا يجوز لاحد ان
يتوهم على الحواريين انهم شكوا فى قدرة الله تعالى وبهذا يظهر ان قول الزمخشرى المعتزلى انهم ليسوا مومنين
ليس بجيد قال ابن عطية ولا خلاف احفظه انهم كانوا مومنين واما قراة الجمهور فلا تدل على انهم
لان الناس اجابوا عن ذلك باجوبة منها ان معناه هل يسهل ربك ان نساله كقولك لاخر هل تستطيع
ان تقوم معى وانت تعرف استطاعته لذلك ومنها ان المعنى هل يفعل ذلك وهل يقع منه اجابة لذلك قيل
ما قيل لعبد بن زيد هل تستطيع ان تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا اى هل تحب ذلك قيل
ومنها المراد بالرب لانه كان يربيه ويربيه ويعينه ومنها ان الاستفهام عن الفعل لا عن القدرة كما يقول
الفقير للغنى القادر هل تقدر ان تطعمنى شيئا وهذه تسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة ومنها
المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب ان ينزل فى قراة الجمهور فى محل النصب
على انه مفعول به اى الانزال واما على قراة الكسائى فقالوا هو فى محل النصب على المفعولية بالسوال المقدر اى
هل تستطيع انت ان تسال الانزال علينا مائدة مائدة مفعول ينزل وهى الخوان عليه طعام فان لم يكن عليه
طعام فليست بمائدة قال ابو بكر الانبارى سميت مائدة لانها عطاء من قول العرب ماد فلان فلانا اذا احسن
اليه واعطاه قال الزجاج وهى فاعلة على الاصل وقال ابو عبيدة هى فاعلة بمعنى مفعولة مشتق من ماده
بمعنى اعطاه من السماء التى يتوهم فيها انها ليست محل الكون والفساد ويجوز ان يتعلق بالفعل قبله
وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لمائدة كائنة من السماء اى نازلة منها قال لهم عيسى اتقوا الله
اى احذروا ان يكون سوالكم سوال شك وريب او اتقوا ان توقفوا ايمانكم على روية مثلها او اتقوا الله فى اقتراح
المعجزات بعد الايات يعنى اتقوا الله ان تسالوه شيئا لم تساله الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايات

ان كنتم مومنين اى اذ كنتم مومنين اى كاملى الايمان اذ الايمان يوجب التقوى وان مقتضى الايمان
التقوى وقيل اتقوا الله من امثال هذه السوال ان كنتم مومنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعا
الايمان وقالوا الحكمة فى هذا الجواب من عيسى عليه السلام لهم كى يقولوا ما يدل على اخلاصهم وتصديقهم
وان سوالهم لم يكن عن ارتياب فلا يقع عند السامعين انهم شاكون او متعنتون وذلك قوله تعالى قالوا
امنا لكنا نريد سوالها من اجل ان ناكل منها فان الجوع قد غلب علينا والجوع عطا اخر فقد
روى انهم سالوها فى مفازة على غير ماء ولا طعام وقيل ان ناكل اكل تبرك لا اكل حاجة فنستيقن قدرته
فهو تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السوال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها ويكونوا مخصوصين بهذه
النعمة وتطمئن قلوبنا اى تسكن وتزداد يقينا كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى يعنى تطمين قلوبنا بانضمام
علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته فلا يعتريها شبهة اصلا ونعلم ان مخففة اى انك قد
صدقتنا اى نعلم صدقك فى دعوى الرسالة عيانا كما علمناه استدلالا وقيل نعلم صدقك فى ان الله يجيب
دعوتنا وقيل ان عيسى بن مريم عليه السلام امرهم ان يصوموا ثلاثين يوما فاذا افطروا لا يسالون
من الله شيئا الا اعطاهم ففعلوا وسالوه المائدة وقالوا ونعلم بالعيان والمشاهدة ان قد صدقتنا
فى قولك اذا صمنا ثلثين يوما لا نسال الله شيئا الا اعطاه ايانا ونكون عليها من الشاهدين
اى على المائدة ونزولها شاهدين على الجاحدين من بنى اسرائيل بوقوع العلم بالمشاهدة ولما كان السوال
لزيادة العلم واليقين لا للتعنت والشك وراى عيسى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك قال عيسى بن مريم
نسبه الى امه ليدل على انه عبد لله وافتقاره الى الله اللهم ربنا يا الله المطلوب لكل مهم الجامع
للكمالات الذى ربانا بما اصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم وربنا نداء ثان انزل علينا
بمقتضى تلك الجمعية والتربية مائدة من السماء التى ما تعدّ من نعيم الجنة تكون لنا يوم نزولها عيدا نعظمه
ونشرفه وقد تكون ضمير يعود على مائدة هو اسمه وخبره عيدا ولنا حال من عيدا والجملة فى محل النصب
صفة لمائدة والعيد مشتق من العود لانه يعود كل سنة قاله ثعلب وقال ابن الانبارى النحويون يقولون
يوم العيد لانه يعود بالفرح والسرور فهو يوم سرور للناس كلهم قلت الا ترى ان المسجونين فى ذلك اليوم لا
يطالبون ولا يعاقبون وكل احد له سرور لاولنا واخرنا متعلق بمحذوف لانه صفة لعيدا او بدل
من لنا باعادة العامل كانه قيل عيدا لنا لاولنا واخرنا قال ابن عباس رضى الله عنهما ياكل منها اخر الناس
كما ياكل اولهم ويحتمل ان يكون معناه نتخذ اليوم الذى انزلت فيه عيدا لاولنا لاهل زماننا واخرنا لمن
يجى بعدنا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقرئ لاولنا واخرنا بمعنى
الامة او الطائفة واية منك عطف على عيدا ومنك صفة لها اى اية كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتى او صدقى وعدك وتصديقك اياى وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها او النعم الاخروية الموعودة
وانت خير الرازقين يعنى اعطنا ما سالناك وانت خير المعطين تاتى بالنوال قبل السوال والاستحقاق
لانك خالق الرزاق ومعطيه بلا عوض قال الله مستجيبا له انى منزلها عليكم قرا نافع وابن عامر
وعاصم منزلها بالتشديد والباقون منزلها من باب الافعال فقيل ان انزل ونزل بمعنى وقيل التشديد
للتكثير فانها نزلت مرات متعددة ووعد الله الانزال وشرط عليهم شرطا بقوله فمن يكفر بعد اى او برسولى

بعد اي بعد نزول المائدة وبعد متعلق بيكفر وبني لقطعه عن الاضافة اذ الاصل بعد الانزال منكم
ايها المنعوتون بها متعلق بمحذوف لانه حال من فاعل يكفر فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا يعني انه اسم
مصدر بمعنى المصدر كالسلام بمعنى التسليم ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر
او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر اي لا اعذب به احدا من العالمين هذا وعيد بالعذاب
بابلغ ما يكون ثم قيل اراد به عالمي زمانهم كما في قوله واني فضلتكم على العالمين وقيل اراد به كل العالم فانه
مسخهم خنازير ولم يمسخ قوما كذلك قبلهم ولا بعدهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني
من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند
راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث لانه له رائحة كريهة واذا
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون وهو راس الحواريين يا روح الله ام من طعام الدنيا ام من طعام
الاخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم
من فضله فقال يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت
ثم قال عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم
اربعين يوما غبا يجتمع عليه الفقراء والاغنياء والصغار والكبار وكانت تنزل ضحى فياكلون حتى
اذا فاء الفيء ثم نظر دهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ
ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى انزالها بهذه الشريطة
وهي قوله فمن يكفر بعد فاني اعذبه الاية استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وهذا القول غير مرضي
لقوله تعالى اني منزلها عليكم فلا خلف في وعده فان قلت لو نزلت لبقيت الى اخر الدهر لقوله
عيدا لاولنا واخرنا وبه تمسك القائل عن الحسن قلت كان ذلك مشروطا بعدم كفرانهم وعصيانهم روي
عمار بن ياسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت خبزا ولحما وذلك انهم سالوا عيسى الطعام
ياكلون منه ولا ينفد فقيل لهم انها مقيمة لكم ما لم تدخروا وتخونوا وتخبؤوا وترفعوا فان فعلتم ذلك
عذبتكم قال فما جاءت نوبتهم حتى خانوا وخبؤوا ورفعوا وقال اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة
ان بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل ابدا فرفعت المائدة ومسخ هذه البعض قردة وخنازير قال
السلطان عن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان
حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسال
لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف
له ما هو على مقامه لعله لا يحمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا قال البغوي في تفسيره عن عبد الله

بن عمرو

ابن عمرو ان اشد الناس عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب المائدة وال فرعون وعن
عمار ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما
فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المائدة فاقبلت الملئكة بمائدة
يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم
قال كعب الاحبار نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملئكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم
وعن ابن عباس انه انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال قتادة كان عليها من ثمار الجنة وقال عطية
العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليها خبز رز وبقل وقال وهب انزل
الله اقرصة من شعير وحيتانا فكان قوم ياكلون ثم يخرجون ويجيء اخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم
وفضل وعن الكلبي ومقاتل انزل الله خبزا وسمكا وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف
ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن
اراد الله بخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي
ولا امراة فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وفي
التيسير روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال لما سال الحواريون عيسى عليه السلام ان يسال
الله ان ينزل لهم مائدة فقام عيسى بن مريم والقى الصوف عنه ولبس جبة من شعر ولحافا من شعر ثم
وضع يمينه على شماله وصف بين قدميه والزق كعب احدى قدميه مع الاخرى وسوى الابهام ف
طاطا راسه خاشعا لله وارسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو
ويتضرع الى ربه ثم قال ربنا انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى
تحتها منقضة في الهواء والناس ينظرون اليها وعيسى عليه السلام يبكي ويقول الهي اجعلها رحمة
ولا تجعلها عذابا الهي كم اسالك من العجائب فتعطيني الهي اعوذ بك ان يكون نزولها غضبا ورجزا
واسالك ان تجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة او فتنة فما زال يدعو ويتضرع حتى استقرت
بين يدي عيسى عليه السلام والناس حوله يجدون طيب ريحها لم يجدوا قط ريحا اطيب منها
فخر عيسى ساجدا وسجد الحواريون معه وبلغ ذلك اليهود فاقبلوا مغمومين مكروبين ونظروا
الى امر عجيب فاذا سفرة مغطاة بمنديل فرفع عيسى راسه واستوى قاعدا فقال لينظر من كان
خيرنا واحسننا عملا لربه واوثقنا بنفسه فليكشف عن هذه الاية حتى ننظر اليها ونحمد ربنا
عليها وناكل منها فقال الحواريون فانت اولى بذلك واحقنا يا روح الله وكلمته فقام عيسى وتوضا
وضوءا حسنا وصلى صلاة حسنة وبكى بكاء طويلا ثم اقبل حتى جلس عند السفرة ثم قال بسم الله
خير الرازقين وكشف المنديل فاذا سمكة مشوية ليس لها فلوس ولا فيها شوكة يسيل السمن منها
سيلانا وقد وضع حولها من الوان البقول الا الكراث وخل عند راسها وملح عند ذنبها
وخمسة ارغفة على كل رغيف زيتون وخمس رمانات وتمرات فقال شمعون وهو راس الحواريين
يا روح الله وكلمته امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال عيسى عليه السلام ما اخوفني
عليكم ان تعاقبوا فقال شمعون لا واله بني اسرائيل ما اردت بما سالتك عنه سوءا فقال عيسى نزلت

وما عليها من السماء شيء وليس شيء منها من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة وهو مما ابتدعه الله تعالى
بالقدرة الغالبة فقال له كن فكان فكلوا مما سألتم واذكروا اسم الله واحمدوا الحكيم واشكروه يزدكم
فانه القادر على ما يشاء فقال الحواريون يا روح الله كن انت اول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى
معاذ الله بل يأكل منها الذي سألها وطلبها فخرق الحواريون ان يكون نزولها سخطة وفيها مسلة فلم
يأكلوا منها فدعا عيسى اهل الفاقة والزمانة من العميان والجذم والبرص والمجذمين والمجانين ونحو هؤلاء من
من انواع اهل البلاء يا من الناس فقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واية من ربكم وليكن مهنأها لكم
وبلاؤها لغيركم فاكلوا فصدر عن تلك السمكة والطعام الف وثلثمائة من بين رجل وامرأة شباعا من بين
فقير جائع وذي فاقة وعيب فنظر عيسى الى السفرة فاذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم رفعت السفرة
الى السماء وهم ينظرون اليها ساعة وينظرون الى ظلها حتى توارت فاستغنى كل فقير اكل منها يوجد حتى
مات وبرأ كل مبتلى فلم يزل صحيحا غنيا حتى مات وندم الحواريون وساير الناس ندامة شابت منها حواجبهم
واشفار اعينهم فكانت اذا نزلت بعد ذلك اقبلوا اليها من كل مكان يسعون يزاحم بعضهم بعضا الاغنياء
والفقراء والرجال والصغار والكبار والكل صحيح ومريض يركب بعضهم بعضا فلما راى ذلك عيسى جعلها نوبة
بينهم كانت بعد تنزل غبا اي تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما وترد يوما فلبثوا بذلك
يوما تنزل ضحى فلا تزال موضوعة يوكل منها فاذا فاء الفيء ارتفعت صاعدة في السماء ينظرون اليها والى ظلها
في الارض حتى توارى عنهم ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي ورزقي لليتامى والزمنى
والفقراء دون الاغنياء من الناس فتعاظم ذلك عند الاغنياء واذاعوا القبيح وارتابوا وشككوا الناس فيها حتى
وقعت الفتنة في قلوب المرتابين وحتى قال قائلهم يا روح الله وكلمته ان المائدة لحق انها تنزل من عند ربنا
فقال عيسى عليه السلام ويلكم هلكتم العذاب نازل الآن ان لم يعفو الله ويرحم فاوحى الله تعالى الى عيسى اني
آخذهم بشرطي الذي شرطت عليهم واني معذب منهم من كفر بعد نزولها عليهم عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم قلت ولهذا وجه آخر فذكر في موضعه ان شاء الله تعالى فاخبرهم بنزول العذاب عليهم فمسخ
الله تعالى منهم ثلثمائة وثلثين رجلا وفي رواية ثلثمائة وثلثة وثلثين رجلا خنازير انتهى ما في التيسير
والله اعلم بذلك كله وقال القشيري قدس سره طلبوا المائدة ليسكن قلوبهم وكل يطلب على قدر حالته
حالته فمنهم من كان سكونه في مائدة من الطعام يجدها ومنهم من كان سكونه في فائدة من الموارد يردها
ومنهم ومنهم وعزيز من يجد الغنى عن برهان يتأمله او بيان يتطلبه وقال شتان بين امة طلب
نبيهم لهم سكونا بانزال المائدة وبين قوم بدأهم بانزال المائدة من غير سؤال السكينة عليهم من غير سؤال
احد في حقهم وقال لما وعدهم الانزال حذرهم بالعذاب ليعلم العالمون ان المراد اذا حصل فالخطر اشد
والحال من الآفة اقرب وكلما كانت الرتبة اعلى كانت الآفة اخفى قال بعضهم سألنا سؤال المائدة من السماء
لا من المائدة لما فيها من الروحانية والجنانية والملكوتية غير ممزوجة بعناصر الدهر الذي يتولد منه
عصيان الله تعالى والاشارة الى مائدة الاسرار والحقائق التي ينزلها من سماء العناية والتوفيق عليها
اطعمة الهداية لاهل الحق وارباب الصدق يزجون بها اوائل انفاسهم واواخرها فان ارباب الحقيقة يراقبون
الانفاس

الانفاس اولها واخرها التصعد بتوفيق الله معه والنزول بجنايته كذلك ففي صعود النفس بعد كون
عينا لاهل العرفان وفي هوينه معه كذلك ثم اشار الى انهم كما هلكوا بالتفريط في شكر تلك النعمة هلكوا اشد
منها في الافراط في حقه حتى استحق اللوم من جهتهم فقال توبيخا وتبكيتا وتقريعا للملك الكفرة المردة واذ
قال الله يا عيسى ابن مريم اي اذكر اذ يقول الله لعيسى في القيمة توبيخا لقومه اشار بنسبته الى نفي
الهيئة وباضا فته امه الى نفي وارثيته اختلفوا في ان هذا القول متى يكون فقال السدي قال الله تعالى هذا
القول لعيسى حين رفعه الى السماء لان حرف اذ يكون للماضي وقال ساير المفسرين انما يقول الله له هذا القول
يوم القيمة بدليل قوله تعالى من قبل يوم يجمع الله الرسل وقال من بعد هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
واذاهما يوم القيمة وقد يجي اذ بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا يعني اذا فزعوا القيمة وان لم تكن بعد وكنها
كالكائنة لانها اتية لا محالة ءانت ايها المرسل لدعوة الناس الى التوحيد قلت للناس بالمعنى
ذلك اللام فيه للتبليغ فقط اتخذوني وامي الهين لاثنين كائنا من دون الله قال ابو السعود الا
انما سعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ
ومحله النصب على انه حال من فاعله او متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من
دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشتراكهما به سبحانه والحاصل ومعنى دون اما المغايرة فيكون
فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
او القصور في المرتبة فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة
الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين موصلين بنا الى الله تعالى في قوله اتخذوني وامي دونه اتخذوا
ومريم توبيخ عظيم بانك قلت مع كونك مولودا وامك والدة ان يتخذوكما الهين مع ان الا لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد فان قيل فما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل ان عيسى لم يقله قيل هذا السؤال
عنه لتوبيخ قومه وتعظيم امر هذه المقالة كما يقول القائل للآخر فعلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم يفعله اعلاما
واستعظاما لا استخبارا واستفهاما وايضا اراد الله عز وجل ان يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه
ويظهر كذبهم عليه انه امرهم بذلك قال ابو روق اذا سمع عيسى هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت
من اصل كل شعرة عين من دم وقلت هذا حال من لم يذنب قط فكيف حال من غرق في بحر الذنوب اذا خاطبه
بالعتاب علام الغيوب ثم يقول مجيبا لله عز وجل تبرية لنفسه عن امره اياهم بذلك قال سبحانك
اي انزهك تنزيهك الكامل يعني انزهك تنزيها من ان يكون لك شريكا ما يكون لي اي ما يصح
مني بعد اذ بعثتني لهداية الخلق ان اقول في حق نفسي ما ليس لي بحق اي للحق ولا
ينبغي ولا يصح ان اقوله يعني ما استقر في قلوب العقلاء عدم استحقاقي له مما يضلهم وقد قلت في المهد
اني عبد الله فكيف اقول بخلافه في الكبر ان كنت قلته هذه الشرطية وان كانت ماضية اللفظ
فهي مستقبلة في المعنى والتقدير ان تصح دعواي لما ذكر وقدره الفارسي ان اكن الآن قلته
فيما مضى لان الشرط والجزاء لا يقعان الا في المستقبل فقد علمته اي فقد تبين وظهر علمك به
قبل ان اقوله فكيف ارسلت للهداية من علمته والحاصل اني لا احتاج الى الاعتذار لانك تعلم اني لم اقله
ولو قلته علمته لانك تعلم ما في نفسي اي تعلم ما اخفيه كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما في نفسك

بيان للواقع واظهار لقصوره اى ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وانى بقوله ما فى نفسك على جهة المقابلة
والمشاكلة وهى ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته وهى هنا قوله ما فى نفسى وقيل المراد بالنفس الذات
وقال ابن عباس رضى الله عنهما تعلم ما فى غيبى ولا اعلم ما فى غيبك وقال المبرد اى تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم
وتعلم ما اخفى ولا اعلم ما تخفى اى لا اطلع على معنى خطابك هذا وقيل نفس الشيء ذاته وهويته وقيل تعلم ما فى
حقيقتى ولا اعلم ما فى نفسك حتى ما يتعلق بنفسى من علمك بخفاياها او تعلم ما فى سرى ولا اعلم ما فى سرك وقال
ابو روق تعلم ما كان منى فى دار الدنيا يقول تعلم ما اعلم من حقيقة امرى ولا اعلم حقيقة امرك والمعنى كله متقارب
بعضه للبعض **انك انت علام الغيوب** تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه لافادته الحصر اى اثبات
علم الغيب لله تعالى ونفيه عمن سواه فالاثبات تقرير لتعلم ما فى نفسى لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيب
والنفى تقرير لا اعلم ما فى نفسك لانه غيب وغير الله لا يعلم الغيب لان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهى اليه
علم احد قال الشيخ على برق تعلم ما غاب عنى من صفات نفسى وضمايرها لكن لو كانت فى ما كنت مرسلى فان
رسالتك على اى **ما قلت لهم الا ما امرتنى به** اى ما امرتهم الا بما امرتنى به ثم فسر ما امر به فقال
ان اعبدوا الله ربى وربكم اى وحدوه واطيعوه وكذلك اخبر الله عنه بقوله وقال المسيح يا بنى اسرائيل
اعبدوا الله ربى وربكم وقال فى سورة الزخرف وان الله هو ربى وربكم ونحوه فى سورة مريم فان مفسرة بمعنى اى
وضع القول موضع الامر نزولا على قضية الادب الحسن لئلا يجعل نفسه وربه امرين يعنى تحاشا عيسى عن
يجعل نفسه فى سلك الرب فى الكون امرا وان اعبدوا الله بيان للضمير فى له او بدل منه ولا يجوز ابداله
من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ثم قال عيسى عليه السلام لا يتوجه على ما احدثوا
بعدى لانى انما **كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم** اى كنت رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان مدة كونى فيهم **فلما** رفعتنى الى السماء قبضت كانك **توفيتنى** اى
قبضتنى بذلك الرفع قال الشيخ معناه فلما اخذتنى من الارض بالرفع الى السماء لقوله انى متوفيك ورافعك الى
والتوفى اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى
منامها **كنت انت الرقيب عليهم** اى الناظر والمراقب والحفيظ لاحوالهم واعمالهم فتمنع من القول به من اردت
عصمته بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات **وانت على كل شىء شهيد**
اى مطلع على قولى وفعلى وقولهم وفعلهم **ان تعذبهم** من اقام على الكفر من الناس **فانهم عبادك**
اى ان تعذبهم بما شهدت منهم من اتخاذهم اياى وامى الهين فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على
المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك قال الزجاج
علم عيسى عليه السلام ان منهم من امن ومنهم من اقام على الكفر فقال فى جملتهم ان تعذبهم اى ان تعذب
من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لاياتك مكذبين لانبيائك وانت العادل فى ذلك
فانهم كفروا بعد وجوب الحجة عليهم **وان تغفر لهم** اى لمن اقلع منهم وامن فذلك تفضل منك **فانك انت
العزيز** اى انت عزيز غالب على امرك لا يمتنع عليك ما تريد وانت **الحكيم** فى صنعك لا تثيب المؤمن ولا
تعاقب الكافر الا عن حكمة وصواب قال البغوى ويدخل فى حكمته وسعة رحمته ومغفرته الكفار لكنه اخبر انه لا يغفر
لهم وهو لا يخلف خبره وهذه الاية فى قراءة الناس ومصاحفهم العزيز الحكيم وفى مصحف ابن مسعود وقرا به جماعة

الغفور

الغفور الرحيم وقد عبث بعض من لا يفهم كلام العرب بهذه وقال انما كان المناسب ما فى مصحف ابن مسعود
وخفى عليه ان المعنى متعلق بالشرطين وان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى
حكم الله تعالى والمقام مقام هذا لا ذاك ويوضح هذا ما قاله ابو بكر ابن الانبارى فانه نقل هذه القراءة عن
عن بعض الطاعنين ثم قال ومتى نقل الى ما قاله هذا الطاعن ضعف معناه فانه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط
الثانى ولا يكون له بالشرط الاول تعلق وهو على ما انزل الله وعلى ما اجمع على قراءته المسلمون معروف
بالشرطين كليهما اولهما واخرهما اذ تلخيصه ان تعذبهم فانت العزيز الحكيم وان تغفر لهم فانت العزيز
الحكيم فى الامرين كليهما من التعذيب والغفران فكان العزيز الحكيم اليق بهذا المكان لعمومه وانه يجمع الشرطين
ولم يصلح الغفور الرحيم ان يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم وكلامه فيه دقة وذلك انه لا يريد بقوله
انه معروف بالشرطين الى اخره انه جواب لهما صناعة لان ذلك فاسد من حيث الصناعة العربية فان
الاول قد اخذ جوابه وهو فانهم عبادك وهو جواب مطابق اذ معناه ان تعذبهم فانك تعذب عبادك الذين
استحقوا العذاب بكفرهم ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه فان العبد قابل لتصرف سيده وخالقه
ومالكه المطلق كيف يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وانما يريد بذلك انه متعلق بالشرطين جميعا
من جهة المعنى وقد اكثر الناس فى الكلام على هذه الاية بما لا يحتمله هذا الموضع وانما ذكرت بعضها لتعلقه
بالقراءة الشاذة والرسم الشاذ فان قلت ان تستعمل فى المشكوك فكيف استعملها عيسى عليه السلام
فيما تحقق الجزم به اى تعذيبه قلت ان التعذيب والغفران ممكن فى نفسه بعين وجود احدهما
نظرا الى الخارج فالعفو عن الكافر فى الاخرة جائز عقلا وانما امتنع لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اجيب ايضا بانه تعالى لما قال لعيسى عليه الصلاة والسلام أانت
قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله علم ان قوما من النصارى حكوا هذا الكلام عنه وحاكى
هذا الكفر لا يكون كافرا بل مذنبا بكذبه فى هذه الحكاية وغفران الذنب جائز فلهذا طلب المغفرة وايضا
بان المعنى ان تعذبهم باقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم بالايمان وهذا يستقيم على قول السدى ان
هذا السؤال كان عند رفعه الى السماء قبل يوم القيمة لان قبول الايمان فى القيمة لا ينفع وايضا بان هذا ترديد
فى فريقين منهم معناه ان تعذب من كفر منهم وان تغفر لمن امن منهم وهذا موافق لقول الزجاج واقرب
الى القبول وعن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى ابراهيم رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك
الاية فرفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فاسأله ما يبكيك
فاتاه جبريل فسأله فاخبره النبى بما قال فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى
امتك ولا نسوءك **قال الله** مخبرا اى عن كلامه لعيسى فى السؤال الذى تقدم ذكره **هذا** اى هذا
الكلام الذى بينى وبين عيسى واقع **يوم ينفع الصادقين صدقهم** قرا الجمهور يوم بالرفع من
غير تنوين ونافع بالنصب من غير تنوين اما قراءة الجمهور فواضحة على المبتدأ والخبر والجملة فى محل
النصب بالقول واما قراءة نافع ففيها وجهان احدهما ان هذا مبتدأ ويوم خبره كالقراءة الاولى
وانما بنى الظرف لاضافته الى الجملة الفعلية وان كانت معربة وهذا مذهب الكوفيين واستدلوا

عليه هذه القراءة واما البصريون فلا يجيزون البناء الا اذا صدرت الجملة المضاف اليها بفعل ماض وفي
هذه القراءة على ان يوم منصوب على الظرف وهو متعلق في الحقيقة بخبر المبتدا اى هذا واقع اى
في يوم ينفع فيستوي هذا مع تخريج القراءة الاولى وقيل انما ان يوم بالنصب ظرف لقال وخبر هذا
محذوف والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف من الصدق المستمر نفعهم
في الدنيا والاخرة كصدق عيسى وغيره من الانبياء والمؤمنين كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا
بالله ورسوله الى قوله اولئك هم الصادقون ومن وصية شيخنا عبد القادر الجيلاني عليكم بالصدق
ثم بين ثواب الصادقين فقال **لهم جنات** اى من غرس صدقهم **تجري من تحتها**
الانهار اى كما جرى لهم من صدقهم انهار المعارف والاعمال الصادقة ولا يختص لهم ذلك بيوم دون
يوم بل يكونون **خالدين فيها ابدا** واعلم انه تعالى اينما ذكر الثواب قال خالدين فيها ابدا واينما
ذكر عقاب الفساق من اهل الايمان فيذكر لفظ الخلود ولم يذكر لفظ التابيد واينما ذكر التابيد لاهل
الثواب لانهم **رضي الله عنهم** لصدقهم وطاعتهم وسعيهم المشكور **ورضوا عنه** تحقيقا
لصدقهم فلا يسخط لقضائه يعني ورضوا عنه بالمغفرة ودخول الجنة والفوز بالرضوان **ذلك**
الثواب المذكور **الفوز العظيم** بيان للنفع الذي لا يناله اهل التكذيب ثم قال بعظم كبريائه
وعظمته **لله ملك السموات والارض وما فيهن** اى خزاين المطر والنبات والرزق وغيرها
وعيسى وامه من جملة ذلك فهما مملوكان له فكيف يكونان الهين **وهو على كل شيء**
قدير وهو سبحانه قادر عليهما فهما مقدوران له فكيف يكونان ربين فهو تنبيه على كذب النصارى
وفساد دعواهم في المسيح وامه ولم قال وما فيهن ولم يقل ومن فيهن لتغليب غير العقلاء على العقلاء ونفي
التبيين وروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة المائدة
شفع له عيسى عليه السلام واعطي مثل اجر حواري عيسى عليه السلام وكتب له بكل اية قراها
مثل ثواب عمارة بيت المقدس نسأله ان يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بالحسنى انه على كل شيء
قدير. تم المائدة ولله الحمد وهذا شروع **في سورة الانعام** سميت بها لان اكثر احكامها
وجهالات المشركين فيها وفي التقرب بها الى اصنامهم مذكور فيها وقد اشتملت على اكثر جهالاتهم وتبيين
ظهورها بها **وهي مكية الا ست ايات** نزلت بالمدينة يعني قوله تعالى وما قدروا الله حق
قدره الى اخر ثلاث ايات وقوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر ثلاث ايات فهذه الست الايات
مدنيات ونزلت سايرها جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك يشيعونها قد سدوا ما بين
الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتقديس والتحميد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله العظيم وخر
ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم وعدد اياتها مائة وستون وخمس ايات في الكوفي وست
في البصري روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل علي سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا سورة الانعام صلى عليه السبعون
الف ملك بعدد كل اية من الانعام يوما وليلة وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا من
سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة

وينزل

وينزل ملك من السماء السابعة ومعه ارزبة فاذا اراد الشيطان ان يوسوس له او يوحي في
قلبه شيئا ضربه بها ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيمة قال الرب تعالى امش
في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت
عبدي وانا ربك وانتظام هذه السورة بسورة المائدة ان تلك السورة في رد مقالات اهل الكتاب وهذه
السورة في [illegible] رد مقالات المشركين وان تلك السورة في بيان الاحكام وهذه السورة
في بيان التوحيد وبهما تتم العبادة وربط هذه السورة باخر المائدة انه لما قال لله ملك السموات
والارض الخ ذكر هذه السورة المشتملة على دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وابطال مذهب المبطلين
والملحدين اثباتا له فقال **بسم الله الرحمن الرحيم**
الحمد لله اى جميع المحامد بما حمد به نفسه او خلقه او حمده به الخلق ربهم او بعضهم مخصوص
به سبحانه وهو الوصف بالجميل ثابت له سبحانه وهل المراد الاعلام بذلك للايمان به او الثناء
به او هما احتمالات افيدها الثالث قاله المحلي في سورة الكهف ولفظ الحمد مفرد محلى باللام يفيد
ان هذه الماهية لله وذلك يمنع من ثبوت الحمد لغيره قال المحقق اعلم ان المحمود والمشكور في الحقيقة
هو الله لان صدور الاحسان من العبد يتوقف على حصول داعية الاحسان في قلب العبد وحصول
تلك الداعية في القلب ليس من العبد والا لافتقر في حصولها الى داعية اخرى ولزم التسلسل بل
حصولها ليس الا بتوفيق الله تعالى والهامه فتلك الداعية عند حصولها يجب الفعل وعند زوالها يمتنع
الفعل فالمحسن في الحقيقة ليس الا الله فيكون المستحق لكل حمد في الحقيقة هو الله وقد فهمني هذه
الدقيقة واللطيفة سيدي عبد الله لطف الله به في الدارين وهذه المسالة طويلة الذيل فلنرجع الى
ما نحن بصدده قال مقاتل قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ربك فقال الذي خلق السموات والارض
فكذبوه فانزل الله عز وجل ردا عليهم وتصديقا لنبيه الحمد لله **الذي خلق السموات والارض**
قال السلطان اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون
حجة على الذين هم بربهم يشركون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طباقها مختلفة بالذات
متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وخلقها بغير عمد من تحتها
ولا علاقة من فوقها ولا سلسلة من جوانبها قال المفسرون خلقها في يومين الاحد والاثنين والارض
كذلك يعني في يومين الثلثا والاربعا **وجعل** اى انشا وخلق **الظلمات والنور** اى كل ظلمة
ونور وجمع الظلمة دون النور لكثرة اسبابها وهذا من دلايل وحدانيته عز وجل وقدمت الظلمات
في الذكر لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم
الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل قال الشيخ ايضا وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها لانه ما من جنس من الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد
وهو النار او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد هكذا روي
ابن عباس رضي الله عنهما وقال الواقدي كلما في القران من الظلمات والنور هو الكفر والايمان الا في هذه
الاية فانه يريد به الليل والنهار وروي عن الضحاك انه قال هذه الاية نزلت تكذيبا للمجوس في قولهم الله

[illegible]

خالق النور والشيطان خالق الظلمات تبا لهم وفي التيسير انه رد على الوثنية في اضافة خلق النور الى يزدان
وخلق الظلمات الى اهرمن وعلى ذلك خلق كل خير وشر واعلم ان جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى
احدث وانشأ والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين كانشاء شيء او تصيير شيء
شيئا او نقله من مكان الى مكان وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما ولذلك عبر عن احداث
النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية بل الظلمات من الاجرام المتكاثفة
والنور من النار وفي التيسير روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور يومئذ فقد اهتدى ومن اخطأه ضل
وقال ابن عباس خلق الله الظلمة قبل النور وقال قتادة خلق الله السموات قبل الارض والظلمة قبل النور و
الجنة قبل النار قالوا خلق الله السموات اولا لانها اشرف من الارض وخلق الظلمة اولا لانها اشأل للمشك
والحيرة ثم يجليها البيان والبرهان وفي بعض التفاسير جعل الظلمات والنور لا نخلقهما كان قبل خلق
السموات والارض قال وهب بن منبه اول ما خلق الله مكانا مظلما ثم جعل جوهرة فاضاء لها ذلك
المكان ثم نظر الى الجوهرة نظر الهيبة فذابت فصارت ماء وقيل انما جمع الظلمات ووحد النور لانه مصدر
كالطول والهون فيستوي فيه الواحد والجمع انتهى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وثم عطف على قوله
الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة على العباد ثم الذين كفروا مع قيام الدلائل
والبرهان على وحدانيته يسوون الاوثان فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء
اسبابا لتكون فهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمدوه عليها ولا يكفروا او عطف على قوله خلق على انه خلق ما لا يقدر
عليه احد سواه ثم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء
على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الكفار يعدلون بربهم الاوثان
اي يسوونها به وفي التيسير وكلمة ثم كلمة تعجب يقول الرجل لاخر اني فعلت بك كذا وكذا ثم تجفوني اي من العجب
هذا ونظيره في القرآن ثم انتم تمترون ثم يطمع ان ازيد كلا ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعنى الاية ثم المشركون
مع اقرارهم بان الله خلقهما يعدلون بربهم سواه اي يسوون به الاوثان قاله قطرب يقال عدل الكافر بربه
عدلا وعدولا اذا سوى به غيره فعبده والعدل التسوية عدل الشيء بالشيء اذا سواه به وقال النضر
بن شميل بربهم يعدلون اي عن ربهم يميلون وينحرفون وهو كقوله يشرب بها عباد الله اي منها انتهى وقال الربيع بن
انس من اول السورة الى قوله يعدلون في التوراة ستمائة اية هو الذي خلقكم من طين اي هو الله الذي
خلق السموات والارض والظلمات والنور خلقكم من آدم وآدم من تراب وخلط ترابه بالماء فصار طينا ثم صار
حمأ مسنونا ثم صلصالا ثم بشرا سويا وقال القشيري قدس سره اثبت القوالب من الطين واودعها عجائب
السر واظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالاصل الاصل تربة والوصل قربة والاصل
نطفة وقطرة والوصل تحفة ونضرة ومن في من طين لابتداء الغاية اي ابتداء خلق اصلكم يعني آدم منه
قال السدي بعث الله تعالى جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك
ان تنقص مني فرجع ولم يأخذ فقال يا رب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت

فعاذت

فعاذت منه بالله فقال فانا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه الارض فخلط الاحمر
والاسود والابيض فلذلك اختلفت الوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت
اخلاقهم فقال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من
اخلق من هذا الطين بيديك ثم اي بعد ما تم خلقكم قضى اجلا اي حكم وقدر لكم يا بني آدم مدة
تموتون عند انتهائها وهو اجل الموت ووقته الذي كتب في جباهكم هذا هو اجل الاول ثم اشار الى
اجل الثاني بقوله واجل اي مدة مسمى اي معين عنده اي مثبت عند الخالق لا يعلمه غيره ولا يقبل
التغيير اصلا وهو اجل القيمة منتهاها واجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره وقيل الاول ما بين الخلق
والموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها كما يقال
اجل الدين سنة وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول آجال الماضين من الخلق والثاني آجال
الباقين منهم وآجال من لم يأت بعد وقيل هما واحد ثم اي بعد هذا البيان انتم ايها الكفار تمترون
اي تشكون في البعث بعد علمكم انه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر فالاية
الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث قال القشيري قدس سره جعل الله تعالى للامتحان اجلا
وللامتنان اجلا فاجل الامتحان في الدنيا واجل الامتنان في العقبى قال ويقال ضرب للطلب اجلا
وهو وقت المهلة ثم عقبه باجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة لها مدى ومنتهى والوصلة لا مدى
لها ولا منتهى وهو الضمير لله الله مبتدأ وخبر في السموات وفي الارض اي هو الههما والظرف
متعلق باسم الله يعني بالمعنى الوصفي الذي ضمنه لفظ الله والمعنى وهو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله
تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف بالالهية والمتوحد بالالهية فيهما او هو الذي
يقال له الله لا يشركه في هذا الاسم غيره سبحانه او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر
والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد
فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما وقوله يعلم سركم وجهركم
بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلة المصدر لا يتقدم عليه قيل هو مقدم في التقدير اي
هو الذي يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض قال مقاتل يعلم سر اعمالكم وجهرها وقيل يعلم ما يسرون
من القول وما يجهرون به وهو كقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال محمد بن جرير معناه وهو
الله في السموات ويعلم سركم وجهركم في الارض ويعلم ما تكسبون اي ما تعملون من خير وشر قال
بعضهم قيل اي يعلم سركم اي ما تضمرون في القلوب وجهركم ما تنطقون به ويعلم ما تكسبون من الفعال
التي تعمل بالجوارح يعلم ذلك كله فيحصيه ويحاسبكم به ويجزيكم عليه قال تعالى وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله قال وقيل يعلم سركم اي ما خلق في اعضائكم من الاسرار كالسمع في الاذن والبصر
في العين والشم في الانف والنطق في اللسان وجهركم اي ظواهر هذه الاعضاء والبشر لا يعرفون معنى
هذه الاسرار وحقايقها وعبارة السلطان لعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال
الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح او ل الكسب اخص من الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضي الى
اجتلاب نفع او اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب لانه سبحانه منزه عن جلب نفع

او دفع ضرر وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير ولكونه اهم حيث لا يلزم منه عطف الشيء
على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب او عقاب وما تأتيهم من
آية من آيات ربهم اى وما يظهر قط لاهل مكة من آيات كالقرآن وانشقاق القمر وغيره لكن
الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا كانوا عنها معرضين اى تاركين للنظر لا يلتفتون
اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفي واستغراقه وتعميمه والثانية
للتبعيض وهذا فسر السلطان عن تفسيرنا بقوله اى ما يظهر لهم قط دليل من الادلة او معجزة من المعجزات
او آية من آيات القرآن انتهى قال ابن عباس من آية هي انشقاق القمر وكان بمكة الا كانوا عنها معرضين
اى مكذبين ولذلك ذكر التكذيب فيما بعده وهو قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما اى بالقرآن ومحمد عليه السلام وقال مقاتل فقد كذبوا اى ابو جهل والوليد وامية بن خلف
وتخصيص الحق بالقرآن على معنى انهم اعرضوا عن القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه وكذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون والانباء جمع نبأ
وهو ما يعظم وقعه من الاخبار في عواقب الامور اى سيظهر لهم وبال استهزائهم عند نزول
العذاب بهم في الدنيا كيوم بدر او في الآخرة او عند ظهور الاسلام وغلبته ثم انه تعالى لما ذكر قبائحهم
اتبعه بما يجري مجرى الموعظة وعظهم بالقرون الماضية فقال ألم يروا اى المكذبين في اسفارهم الى
الشام وغيرها كم خبرية بمعنى كثير اهلكنا من قبلهم اى من قبل اهل مكة من قرن اهل قرن اى من امة
من الامم الماضية كعاد وثمود وغيرهما واختلفوا في الرؤية وفي كم وقرن والظاهر ان كم يجوز ان تكون
استفهامية وخبرية وعلى كلا التقديرين فهي معلقة للرؤية عن العمل لان الخبرية تجري مجرى
الاستفهامية في ذلك ولذلك اعطيت احكامها من وجوب التصدير وغيره والرؤية هنا علمية ويضعف
كونها بصرية فان كانت علمية فكم وما في حيزها سادة مسد المفعولين وان كانت بصرية فمسد
واحد وكم يجوز ان تكون عبارة عن الاشخاص فتكون مفعولا بها ناصبها اهلكنا ومن تبيين
لابهامها اى كثيرا من القرون اهلكناها وان تكون عبارة عن المصدر فتنتصب انتصابه باهلكنا
اى اهلاكا ومن قرن على هذا صفة لمفعول اهلكنا اى اهلكنا قوما او فوجا من القرون لان قرنا يراد
به الجمع ومن تبعيضية والاولى لابتداء الغاية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون
بعد ذلك بالموت وذلك الزمان قد اختلفوا فيه فالاكثر على انه مائة لما روى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة وقيل في الاغلب ستون سنة وقيل
سبعون وقيل ثمانون وقيل القرن الزمان نفسه فالآية على حذف المضاف تقديره من اهل قرن
وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت سموا بذلك لاقترانهم به
مكناهم في الارض اى اثبتناهم فيها ممكنين اباهم وآتيناهم فيها كناية من طول اعمارهم كما ان
التالية كناية عن بسط معيشتهم ما لم نمكن لكم مكنه ابلغ من مكن له اى جعل له مكانا وهما
متقاربان وهنا جمع بينهما في الآية فكأنه قيل اعطيناهم ما اعطينا عاد وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة
في الاموال ما لم نعطكم يا اهل مكة ما يقرب منه والالتفات للتنبيه والتمييز بينهم وبين المحكي عنهم وارسلنا

السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها فان المطر ينزل من الفلك الى السحاب
ومن السحاب الى الارض والمراد بارسال السحاب على هذين التقديرين ارسال مطره مدرارا اى متتابعا
كثيرا عند الحاجة فهو حال من السماء وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اى من تحت بساتينهم ومساكنهم
فعاشوا في الخصب والرخاء بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى بسبب تكذيبهم الانبياء
وبكفرانهم نعم الله ولم يغن ذلك عنهم شيئا ولم يدفع العذاب وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين
اى واحدثنا وخلقنا بعدهم قوما آخرين بدلا منهم فليحذروا ان ينالهم مثل ما نال اولئك اذا فعلوا فعلهم
والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود واصحاب مدين وينشئ آخرين مكانهم يعمرون بلاده
قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا اى مكتوبا في قرطاس اى في ورق او رق ولا يقال قرطاس
الا اذا كان مكتوبا والا فهو طرس وكاغذ فلمسوه ابلغ من عاينوه بايديهم اى فمسوه وتخصيص
اللمس لان التزوير والحيل لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولان اللمس يتقدمه الابصار
حيث لا مانع وتقييده بالايدي مع ان اللمس لا يكون الا باليد لدفع التجوز فانه قد يتجوز به الفحص عن الشيء اى
البحث عنه كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا تعنتا بعد قوله فلمسوه بايديهم للتسجيل عليهم
بالكفر والعناد ان اى ليس هذا المعظم هذه الوجوه الدالة على انه لا يكون الا من الله الا سحر
مبين لنفسه لا يحتاج الى بيان معناه انه لا ينفع معهم شيء لما سبق من علمه وهذا دليل على عنادهم
وغاية خبثهم وتمردهم وفسادهم قال الكلبي في معنى الآية اى ولو نزلنا عليك كتابا اى القرآن في صحيفة
اى مكتوبا في بياض فلمسوه بايديهم اى مسوه ولم يقل عاينوه بابصارهم لان ذلك ثابت مقتضى الانزال
وهو مكتوب معاين واراد به المعنيين اى عاينوه بابصارهم ومسوه بايديهم لقالوا ما هذا الا سحر ظاهر نزلت
في النضر بن الحارث وعبد الله بن امية المخزومي ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب
من عند الله جملة ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فنزلت ولو نزلنا
الآية وفيها قطع طمعه عليه السلام عن ايمانهم وهو في قوم علم الله منهم انهم لا يؤمنون كما قال ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة ونظير هذا الاقتراح قوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقالوا لولا اى هلا
انزل عليه اى على محمد صلى الله عليه وسلم ملك يشهد له بالرسالة فقال الله ولو انزلنا ملكا كما اقترحوا
ولم يؤمنوا لقضي الامر اى لوجب العذاب وفرغ من الامر وهذا سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا
آية فانزلت ثم لم يؤمنوا بها استؤصلوا بالعذاب ثم لا ينظرون اى لا يؤجلون ولا يمهلون لتوبة او معذرة
وقال قتادة لعجل لهم العذاب ولم يؤخر طرفة عين ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار
والمهلة جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ثم انهم
كانوا يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون ان الرسل اذا
كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم اكثر وقدرتهم اشد فمهابتهم اعظم فاجاب الله عن
مقترحهم بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اى لا نفع لهم فيما سألوا لانا لو جعلنا الرسول ملكا
لا انا لجعلنا ذلك الملك المرسل في صورة رجل كما مثل جبريل في صورة دحية ولو انزلنا على صورة الملك
لم يعاينوه على العادة التي اجراها للناس لان البشر لا يطيق رؤية الملك في صورته واذ لم يعاينوه لم ينتفعوا

بكلامه ولما قالوا لولا انزل عليه ملك اى لولا انزل على محمد ملك يصدقه ويشهد له ... انه صوت ملك او غيره ولو انزلنا الملك وجعلناه رجلا للبسنا اى لشبهنا عليهم ما اى مثل ما يلبسون على انفسهم بان يقولوا ما هذا الا بشر مثلكم لانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملئكة وفى التيسير ولو وقع اللبس ههنا كما يقع فى ارسال البشر واللبس والتلبيس تخليط الامر واضافته اليه على معنى انهم لا ينكرون فى محمد انه بشر وينكرون انه رسول ولو انزل ملك فى صورة رجل لانكروا رسالته وانكروا كونه ملكا وكان ذلك بانزالنا فيكون اللبس منا حينئذ قال الامام ابو منصور رحمه الله ولا يجوز اضافة اللبس الى الله تعالى ابتداء ويجوز على وجه المجازاة كما فى الاستهزاء والمكر والخدع قال السلطان وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحد ولبّسنا بالتشديد للمبالغة والتكثير وعن ابن عباس قال هم اهل الكتاب فرقوا دينهم وحرفوا الكلم عن مواضعه فلبس الله عليهم ما يلبسون ثم قال فى تسلية رسوله على ما يرى من قومه ولقد استهزئ برسل من قبلك قرا حمزة وعاصم وابو بكر بكسر الدال والباقون بالضم على الاتباع فحاق اى احاط من الجوانب كلها او نزل او حل بالذين اى بالمستهزئين الذين سخروا منهم متعلق بسخروا والضمير للرسل يعنى بأولئك الرسل عليهم السلام قال الله تعالى ان تسخروا منا فانا نسخر منكم والباء فى بالذين متعلقة بحاق وما فى ما كانوا به يستهزءون فاعل حاق والمعنى فاحاق الشئ الذى كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا وعذبوا من اجل استهزائهم به ويعلى هذا ما موصولة واما مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم به وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قال مقاتل فدار بهم وكانوا يستهزءون بوعيد العذاب فنزل بهم وقال الزجاج اى نزل بهم مكروه من جهة نعلم وقال تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ثم امر الله رسوله بان يقول لهم قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة اى اخر امر المكذبين قال ابن عباس رضى الله عنهما اى سافروا فاعتبروا بخراب بلادهم وزوال سلطانهم بتكذيبهم انبياءهم كقوله تعالى وانهما لبامام مبين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون ويحتمل هذا السير بالعقول والفكر ويحتمل السير بالاقدام فان قيل ما الفرق بين فانظروا بالفاء وبين ثم انظروا بثم ولم يجئ فى القرآن العطف فى مثل هذا الموضع الا بالفاء فلم عدل هنا عنه واتى بثم قال الزمخشرى والبيضاوى والمدارك فى الفرق انه جعل النظر مسببا عن السير فى فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما فى ثم انظروا فقالوا معناه اباحة السير فى الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر فى آثار الهالكين وقالوا نبه على الاجابة والاباحة بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قال بعض مشايخ بلادنا ولا يخفى ان ما ذكروه من الفرق انما مناقض لانهم جعلوا النظر متسببا عن السير فكان السير سببا للنظر ثم قالوا فكانه قيل سيروا لاجل النظر فجعلوا السير معلولا بالنظر والنظر سبب له فثبت تناقضا ودعوى ان الفاء سببية لا دليل عليها وانما معناه التعقيب فقط وانما جاز ما ذكره بفهم السببية من قرينة غيرها ولئن سلم افادتها السببية فلم كان السير هنا سير اباحة وفى غيره سير ايجاب فتامل قال بعضهم اراهم آيات سمعية فلم ينفعهم ذلك فامرهم بالنظر فى الآيات الحسية وقال الامام القشيرى قدس سره بنزول دوحوا الارض

واستبحروا الطول منها والعرض ثم انظروا هل انفلت من حكمنا احد وهل وجد من امرنا ملتحد قل لمن ما فى السموات والارض قل لله اى قل يا محمد للمكذبين المستهزئين لمن ملك ما فى السموات وما فى الارض فان اجابوك فذاك والا فقل انت لله عقيب سؤالهم ليكون ابلغ فى التاويل واكد فى الحجة وهو سؤال توبيخ وتبكيت وكانوا مقرين بان الله هو الخالق والمالك فليس لهم ان يجعلوا مع الله من خلقه وملكه شريكا وكذا اذا كان ذلك كله له فهو قادر على ان يعاجلهم بالعذاب واتصال هذا بالاول من هذين الوجهين وقوله قل لله اى ان لم يقولوا هم انه لله فقل انت انه لله لا لغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اشار الى استعطافه للمتولين عنه الى الاقبال اليه واخبارهم بانه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة ويقبل الانابة والتوبة فقال كتب على نفسه الرحمة اصل كتب اوجب والزم ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره فان العبد لا يجب له على الله شئ لكن سبيله سبيل ما ذكر بكلمة على من قوله على الله رزقها علينا نصر المؤمنين والمراد به انه وعد ذلك وعدا موكدا وهو منجزه لا محالة وقال الحسن حكم على نفسه بالرحمة للتوابين ان يدخلهم الجنة فانما يدخلونها برحمته لا باستحقاقهم وقال بعضهم كتب على نفسه الرحمة ان جعل لهم الجمع يوم القيمة وفيه اثابة المطيعين وتعذيب العاصين داع فى الدنيا الى التوبة وترك المعصية وفعل الطاعة وهو من الرحمة وقيل ومن رحمته تاخير العذاب عنهم الى يوم القيمة وهذا من رحمته فى حق هذه الامة فان الامم الماضية عذبوا كما كذبوا وقوله تعالى ليجمعنكم هذا جواب قسم محذوف وقع موقعه كتب الى يوم القيمة لا ريب فيه اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة لا شك فى ذلك اليوم او الجمع فيجازيكم على شرككم وساير معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية او تكون الى بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه او تكون بمعنى فى اى ليجمعنكم فى يوم القيمة الذين خسروا انفسهم منصوب على الذم اى اريد الذين خسروا انفسهم باختيار الكفر على الايمان او مرفوع على الذم اعنى الذين الخسر او هم الذين او هو مبتدا والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون الخسران ذهاب راس المال اى من فاتته نفسه وهلكت فى الحقيقة فهو الذى لا يؤمن وقال القشيرى قل لمن ما فى السموات والارض سائلهم هل فى الديار ديار : وهل المكون بعد الحق مقدار : فان يقولوا عن جواب ينثنى : فقل الله فى الربوبية يكفى : وقال فى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اى اخبر وحكم واراد كما علم : فمن تعلق بحانه علمه : سبق بدو رحانه حكمه : ومن علمه فى ازاله انه يبقى : تقدر شقاوته فى البلاء يبقى وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتابه وفى نسخة كتب كتابا فهو عنده فوق العرش رحمتى سبقت غضبى وفى رواية ان رحمتى سبقت غضبى وفى ايضا فى رواية اخرى انه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى وفى رواية عنه ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله مائة رحمة واحدة بين الجن والانس والهوام والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تتعاطف الوحوش على اولادها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قدم على النبى صلى الله

عليه وسلم بسبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى اذ وجدت صبيا في السبي فاخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه قلنا لا فقال لله ارحم بعباده من هذه بولدها فتوكل وتدبر في تعلق نجاته على سبق بدر رجاته حكمة تشير الى معانى هذه الاحاديث كما لا يخفى على من له مسكة وفطنة قوله تعالى
وله عطف على لله ما سكن اى حل في الليل والنهار اى في كل شىء تحويه وخالقه ومالكه
قال ابن عباس رضى الله عنهما اى وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقال ابن عرفة ان من الخلق ما يستقر نهارا وينتشر ليلا ومنها ما يستقر ليلا وينتشر نهارا وقيل المراد به سكون الاشياء بقدرته وعظمته وقيل معناه وله ما سكن وتحرك لكن اكتفى بذكر احدهما لعلم المخاطب به اختصارا كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد وقيل سكن اى تمكن وهو لكل متحرك وساكن اجمع مجموع بكل الاشياء انه خالق كل زمان ومكان وله ما تحويه الامكنة والازمنة وهو السميع العليم اى يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولا يخفى عليه شىء مما يشتمل عليه الملوان قال البغوى فكذلك وهو السميع لاصواتهم العليم باسرارهم انتهى ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قاله البيضاوي فكذلك ويؤيد كلامه ما نقل عن الكلبي ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد انا قد علمنا انه ما يحملك على هذا الذى تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجمع لك من اموالنا ما يغنيك حتى تكون من اغنانا فنزل قوله وله ما سكن في الليل والنهار اى ما استقر في الليل والنهار من خلق وقال السميع لمقالة قريش العليم من حيث بر فهم وقال القشيرى كلمة اى الحادثات لله ملكا وبالله ظهورا ومن الله والى الله رجوعا وهو السميع لانين المشتاقين العليم بحنين الواجدين وقال بعض مشايخ الصوفية في معنى قوله وله ما سكن الى آخره واجاد يعني له عز وعلا من سكن في ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية ومن سكن نهار الروحانية الى المواهب الربانية كلا ملكا له يظهر عليهم آثار صفات قهره ولطفه فالمعنى فالهم يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وتطهرهم في ذلك ان الله هو السميع اى كان سميعا لما يسمعون من الانبياء والاولياء ويطعنون فيهم ويكذبونهم العليم بما كانوا يضمرون ولا يظهرون من حيث عقايدهم فجازاهم به وهو السميع لتاوه من سكن اليه العليم بتعلق من اشتاق اليه فاشير في هذه الآية الى قلوب المنقبضين بصولة العظمة وقلوب المنبسطين ببسط نور جمال المشاهدة سكنت قلوب اهل القبض في الليالى بنعت الاذابة في سرادق كبريائه والسكون في مقام التواضع عند بروز سطوات عزة ذاته حيث تخلصت عن ازدحام اهل الغفلة وسكنت قلوب اهل البسط برؤية انوار جماله في مناظر آياته في النهار ولطايف صنع صفاته حيث تخلصت من رؤية اعلام عظمته وكبريائه اى له هذه القلوب العاشقة والافئدة المتحيرة لا لغيره من الحدثان خصها لنفسه والنظر الى مشاهدته فعلى هذا يكون معنى قوله وهو السميع العليم يسمع انينها من شوقه ويعلم ضمائرها المحزونة بداء شوق جماله ولهذا قيل اختص الحق بقلوب العارفين لسكونها اليه قل بطريق الانكار على نفسك ايماضا للنصح او للمشركين اغير الله الذى له الكمالات بالذات اتخذ وليا ناصرا ومعبودا مع انه لا كمال له في ذاته

وهو مفعول ثان لاتخذ والاول غير وانما ادخل همزة الاستفهام على مفعول اتخذ لا عليه لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولى فكان احق بالتقديم وحاصل المعنى قل يا محمد للمشركين ايحق ان يظن ان اتخذ غير الله سبحانه وليا بالحفظ والكفاية والنصرة كما تعلمتم انتم فاتخذتم من دون الله اولياء فيحتمل انهم دعوه الى موافقتهم على الشرك فقال لهم ذلك ويحتمل انه تلطف في الجواب استدعاء لهم الى الاجابة واراد به اتتخذون انتم غير الله وليا وقوله تعالى فاطر السموات والارض بالجر صفة الله فانه بمعنى الماضى فلذلك قرئ فطر والمعنى اى مبدع السموات والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وقرئ بالنصب والرفع على المدح وهو يطعم على بناء الفاعل ولا يطعم على بناء المفعول اى هو يرزق غيره ولا يرزقه احد وهو كقوله تعالى لا نسألك رزقا نحن نرزقك وما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى المنافع كلها كقوله تعالى لا نسألك من عنده ولا يجوز الانتفاع من الغير وقرئ ولا يطعم بفتح الياء والعين وقرئ بعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن مرتبة الحيوانية فان قيل الكلام مع عبدة الاصنام والصنم لا يطعم كما لا يطعم قلنا صح ذلك بالنظر الى اطلاق غير الله فان منه من يطعم كالمسيح من معبود الكفرة فغلب او ورد على طريقتهم في اطعام الاصنام وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقيل هو على ظاهره اى هو الذى يغذى الخلق وهو غنى بذاته عن شىء منزه عن الوصف بالطعم فهو غنى والخلق فقراء اليه قال الله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله الآية وقال القشيرى قدس سره له وصف الكرم فلذلك يطعم وحق القدم فلذلك لا يطعم وقوله تعالى قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لله من هذه الامة في الاسلام بمعنى الاستسلام لامر الله لان النبى عليه السلام سابق امته في الدين قال بعض علماء بلادنا معناه اول من اسلم وجهه لله مخلصا له من الامة لان الرسول عليه السلام امام امته في الاسلام واول داع الى الله فلا يمكن تقدم غيره عليه كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقيل لى قل يا محمد ولا تكونن من المشركين والمعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك فكيف اتخذ غير الله وليا قل انى اخاف ان عصيت ربى بعبادة غيره عذاب يوم عظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما اى قل يا محمد لاهل مكة انى اعلم ان عصيت فعبدت غيره عذاب يوم القيمة ووصفه بالعظيم لانه فيه الامور العظام والحاصل هذا مبالغة في قطع اطماع الكفرة عنه عليه السلام وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول وجواب الشرط محذوف دل عليه الجملة والتقدير ان عصيت ربى استحققت العذاب الاليم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه اى اراد له الخير ونجاه وانعم عليه قرأ الكسائى وعاصم في رواية ابى بكر يصرف بفتح الياء اى من يصرف الله عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله وقرأ الباقون بضم الياء على بناء ما لم يسم فاعله اى من يصرف عنه عذاب يوم القيمة فقد ذكر العذاب في الآية الاولى وقوله فقد رحمه اى رحمه الله الرحمة العظمى وهى النجاة من العذاب في ذلك اليوم

للرسل والاولياء وانما هو افتراؤهم فقال لهم غير اصل أئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة
اخرى هذا الى اخر هذه الاية متصلة بما قبله وقوله تعالى واوحي الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ
هذا معترض وهذا الاستفهام اى أئنكم الخ استفهام تقريرهم مع انكار واستبعاد وتوبيخ وتبكيت
قل لاهل مكة ردا عليهم لا اشهد شهادتكم بان مع الله آلهة اخرى يعني انى برئ مما تشركون
وكرر قل توكيدا انما هو اله واحد يعني لا يشارك في الهيته ولا في صفات كماله احد حاصله
قل اشهد ان لا اله الا الله وما في انما كافة لانه يمنع من العمل وهو مبتدا واله خبر وواحد صفته
او بمعنى الذى في محل النصب بان وهو مبتدا واله خبره والجملة صلة الذى وواحد خبره وهذا
الوجه اوقع وانني برئ مما تشركون بالله او معه من الاصنام امر اولا بان يخبرهم بانه لا
يوافقهم في الشهادة ويلزم من ذلك افراد الله تعالى بالالوهية فامر به ثانيا ثم امر ثالثا بان
يخبرهم بالتبري من اشراكهم وهو التاكيد لما قبله الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم
لقد سالنا اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر اخرج عن تعيين الشهيد مسارعة
الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك انك رسول الله والمراد بالموصول اليهود
والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للاية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان
بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم بانه رسول الله بذكر حليته
ونعته في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا قال الحسن وقتادة
والزجاج يعرفونه محمدا اى ان اهل الكتاب الذين يرجع اليهم هؤلاء المشركون في السؤال يعرفون ان محمدا
رسول حق كما يعرفون اولادهم لذكره في كتابهم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال
عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام رضي الله عنه انزل الله تعالى على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة
فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني لاني
لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى وقال بعضهم ويجوز ان يكون معنى الذين
آتيناهم الكتاب اى القران وقد امروا بالاتيان بمثله فعجزوا عنه فلزمتهم الحجة وثبتت لهم به المعرفة والادلة
اوقع في النفس الذين خسروا انفسهم يجوز ان يكون نعتا لقوله الذين آتيناهم الكتاب ويجوز ان يكون مبتدا
وخبره قوله فهم لا يؤمنون قال بعضهم في توضيحه الذين خسروا انفسهم اى من اهل الكتاب والمشركين
الجاحدين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والعقل السليم واعرضوا عن البينات
الموجبة للايمان فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان وبيان الخسران ان الله تعالى
جعل لكل ادمي منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيمة جعل الله للمؤمنين منازل اهل النار
ولاهل النار منازل اهل الجنة في النار ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لتشبيه
الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل انه نعت للموصول الاول كما مر
وقيل النصب على الذم فقوله فهم لا يؤمنون على الوجه الاخير عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب
الخ ومن اظلم اى اكفر استفهام يتضمن معنى النفي اى لا احد اظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير
موضعه واشنع الظلم اتخاذ المخلوق معبودا ممن افترى اى اختلق على الله كذبا اى زورا

الشريك اليه فيصفه بما لا يليق بجناب قدسه ويصف النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه فانه
افتراء على الله او يقول الملئكة بنات الله وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان
كذبوا بالقران ومحمد وبساير المعجزات وسموها سحرا انه اى الامر والشان لا يفلح الظالمون اى
لا يفوز المشركون وقيل المشركون واهل الكتاب ما داموا على ظلمهم واذكر يوم نحشرهم اى نبعثهم جميعا
اى العابدين والمعبودين يعني يوم القيمة قرا يعقوب يحشرهم ههنا وفي سبا بالياء ووافق حفص في
سبا وقرا الجمهور بالنون ثم نقول للذين اشركوا مع الله غيره توبيخا لهم اين شركاؤكم اى آلهتكم
التي جعلتموها شركاء لله الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء او تزعمون انها تشفع لكم عند ربكم
المعنى على ما قاله الشيخ يعني انه لا يفلح الظالمون ايام الدنيا ويوم نحشرهم وقيل ولن يتقوا يوم نحشرهم اى
نبعثهم ونجمعهم كافة ثم نقول للمشركين اين من اشركتموهم بالله من الهتكم رجاء نفعهم اياكم عند الله اضاف
شركاء اليهم لانهم هم الذين جعلوها شركاء وزعموا انهم شركاء لان ايديهم نحتوها وقال في اية اخرى
اين شركائي فاضافهم الى نفسه لانهم جعلوها شركاء لله وهذا كما قال في الاجل في قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر
وقال فاذا جاء اجلهم اضاف الاجل الى نفسه في اية اخرى لانه هو الجاعل واضافه اليهم في اية اخرى لانهم
هم المجعول لهم وقوله الذين كنتم تزعمون اى تقولون وقال القشيري فكما يجمعهم يوم الحشر والنشر لكنه يفرقهم
في الحكم والامر فالبعث يجمعهم لكن الحكم يفرقهم قال الله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا قرا حمزة والكسائي ويعقوب يكن بياء التذكير وفتنتهم بالنصب وهو خبر كان واسمه
قوله الا ان قالوا لان ان مع الفعل مصدر وتقديره الا قولهم بالرفع وقرا نافع وعاصم في رواية
ابي بكر وابو عمرو تكن بتاء التانيث وفتنتهم بالنصب وعلى هذا تقديره الا مقالتهم برفع التاء فتكون اسما وفتنتهم
خبرا وقرا ابن كثير في رواية قنبل وحفص عن عاصم يكن بياء التذكير وفتنتهم بالرفع وهو اسم يكن
والتذكير لتقدم الفعل عليه ولان تانيث الفتنة غير حقيقي ولانها مصدر بمعنى الفتن او الافتتان كما مر انا
ومعنى قوله تعالى فتنتهم اى جوابهم او قولهم او معذرتهم او كفرهم بين يدي الله تخصيصه ثم لم تكن عاقبة
كفرهم الذى لزموه اياهم مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبري عنه بقولهم والله
ربنا الخ قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوبه ثم تصيبه
فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا
العذاب تبرؤوا منها يقول الله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان قالوا يعني الا قولهم وهم
بين يدي ربهم على رؤس الخلايق والله ربنا ما كنا مشركين بك شيئا وانما عبدنا الاصنام ليقربونا
اليك قال الحسن هذا في المنافقين كانوا يكذبون في الدنيا ويروج كذبهم فيظنون في الاخرة انه
يروج كذبهم فيقولون ذلك قرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء المضاف اى يا ربنا وقرا
الباقون ربنا بالخفض نعتا لقوله تعالى والله وقال مجاهد ومقاتل هذا قول جميع المشركين اذا جمع
الله الخلايق وراى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة الرسول للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا
نكتم الشرك لعلنا ننجو من اهل التوحيد فاذا قال الله تعالى لهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على افواههم فتشهد عليهم ايديهم وارجلهم بالكفر

قال السلطان يكذبون ويحلفون على عدم صدور الشرك منهم مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة
كما يقولون ربنا اخرجنا وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله تعالى
انظر يا محمد كيف كذبوا مع علام الغيوب بعد كشف الغطاء عنه بحضرة من لا يخفى عليه خافية فزادوا
به ضررا على انفسهم بنفي الشرك لان نفيهم ذلك تاكيد لا قرارهم في الدنيا وتنظر ذلك يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وضل اى غاب وتلاشى وذهب وزال عنهم ما كانوا يفترون على الله
من الشركاء والاصنام وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها فبطل كله في ذلك اليوم قال
القشيري رحمه الله هذا الذي اخرجهم غاية التمرد حيث جحدوا على ذلك واقسموا ولو كان
لهم علم بالله لتحققوا بانه يعلم سرهم ونجواهم فلا يخفى عليه شيء من احوالهم واحوالهم لكن الجهل
الغالب عليهم استنطقهم بما رجع بالفضيحة عليهم ومنهم من يستمع اليك اى ومنهم من الطائفة
من يستمع اليك حين تتلو القران كالمظهر للقبول والانقياد وهو مصر على الجحود والعناد وجعلنا
على بواطن قلوبهم اكنة ان يفقهوه اى كراهة ان يفقهوا ما يسمعونه من القران ومعنى الكنة
اى اغطية جمع كنان وهو الغطاء اى ما يستر الشيء وقد كن الشيء اى صانه واكنه اى غطاه وقوله تعالى
وفي اذانهم وقرا اى جعلنا في اسماعهم ثقلا مانعا من سماعه وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم
بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم ومج اذانهم له والوقر لانه مصدر
وهو حجة على المعتزلة في الاصلاح لان جعل المذكور لا يؤدي الى الاجبار بل هو حقوبة لهم على اختيارهم
الكفر وعلى اصرارهم عليه ويدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا
بها اى كل اية اقترحوها من الايات المقترحة وغيرها وهو في قوم علم الله منهم الاختيار للكفر
على الابد اى يدخلون الشبه فيها ويقولون لعلها سحر ولعلها اساطير الاولين وذلك لانهم مخلوقون
على النار بختوم على قلوبهم او لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم قال الشيخ ولا بد من تخصيص الاية
بغير الملجئة دفعا للمخالفة بينه وبين قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم اية من السماء فظلت اعناقهم لها
خاضعين وقوله تعالى حتى اذا جاؤك يجادلونك اى يحاجونك يعني بلغ تكذيبهم الايات
الى انهم جاؤك يخاصمونك وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة هي قوله اذا جاؤك وجواب
اذا هو قوله يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤا ان اى ما هذا اى القران
الا اساطير اى اكاذيب الاولين كالاضاحيك والاعاجيب قال ابن عباس رضي الله عنهما اى
احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اى يكتبونها وقال ابو عبيدة واحدها اسطار وهي
الترهات وقال الاخفش قيل واحدها اسطارة كالاضبارة وقيل اسطورة كالاضحوكة قال
وهو عندي جمع لا واحد لها كالعباديد والابابيل وقال الزجاج هو جمع جمع سطر واسطار واساطير
وقال الكلبي سمع اليه ابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة
ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحارث بن عامر سمعوا الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا للنضر بن الحارث ماذا يقول محمد قال والذي جعل الكعبة بيته ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان كثير الحديث عن القرون

وقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع
اليك اى الى حديثك وقال محمد بن اسحاق كل ما في القران من ذكر الاساطير فهو من قول النضر بن الحارث
كان يسافر الى العجم فيحفظ حديث رستم واسفنديار ويعارض به القران وقوله تعالى وهم
ينهون عنه اى هؤلاء الكفار ينهون الناس عن اتباع النبي عليه الصلاة والسلام وعن
الاستماع منه القران يعني لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون
الناس عن اجتماعه واستماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به وضميرهم راجع للمذكورين وفي عنه
للقران او النبي قوله وينأون عنه اى يتباعدون بانفسهم عنه عليه السلام او القران اظهارا لغاية
نفورهم عنهما وتاكيدا لنهيهم عنهما وقيل ضمير عنه مختص بالنبي وهم لابي طالب ولعل جمعه باعتبار
استتباعه لاتباعه ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ابي طالب كان ينهى
ان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عما جاء به وروي ان قريشا لما همت بقتل النبي عليه
السلام وقالوا لابي طالب خذ شابا من اصحابنا وجيها وادفع الينا محمدا فقال في جوابهم ما انصفتموني
ادفع اليكم ولدي لتقتلوه واربي ولدكم ثم قال للنبي اعلمت ان قريشا همت بقتلك قال نعم قال
ومن انباك به وهذا امر خفي قال انبأني به ربي قال الله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فقال
ابو طالب نعم الرب ربك يا محمد فاوصيك به وروي ان النبي عليه السلام دعاه الى الايمان فقال لولا
ان تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن اذب عنك ما حييت ثم خرج ابو طالب وقال
للملأ وهم مجتمعون يا قوم ان محمدا ابن اخي وولدي ومن همّ به فانا امرؤ هو روحه فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجاء يحرضه على الايمان فقال ابو طالب وذلك ابياتا ❊ ودعوتني وزعمت انك
ناصحي ❊ ولقد صدقت وكنت قبل امينا ❊ وعرضت دينا لا محالة انه ❊ من خير اديان البرية
دينا ❊ لولا الفضاضة او حذاري سبة ❊ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ❊ والله لن يصلوا
اليك بجمعهم ❊ حتى اوسد في التراب دفينا ❊ فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ❊
وابشر بذاك وقر منه عيونا ❊ فنزلت فيه هذه الاية واعلم ان القول الاول يعني ضميرهم للمذكورين
وعنه للقران اشبه لوجهين احدهما ان جميع الايات المتقدمة في ذم طريقتهم فكذلك ينبغي
ان يكون قوله وهم ينهون عنه محمولا على امر مذموم ولو حملناه على ان ابا طالب كان ينهى
عن اذائه لما حصل هذا النظم وثانيهما قوله تعالى بعد ذلك وان يهلكون الا انفسهم يعني به ما
تقدم ذكره ولا يليق ذلك بالنهي عن اذيته لان ذلك حسن يوجب المدح لا الهلاك وقوله تعالى
وان ما يهلكون بالناي عنه عليه السلام الا انفسهم لان ضرره عليهم وان نافية
وانفسهم مفعوله وهو استثناء مفرغ وما يشعرون بان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم وما ينفعون
بعلمهم ثم لما بين انهم يهلكون انفسهم شرح كيفية ذلك الهلاك فقال ولو ترى يا محمد اذ
وقفوا اى عرضوا على في النار او حبسوا على الصراط وجواب لو محذوف اى ولو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها ويطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرايت امرا شنيعا وقرئ على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا وقوله تعالى فقالوا يا ليتنا

نُرَدُّ. اى الى الدنيا تمنوا رجوعهم ليؤمنوا وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين اعلم ان القراء قد اتفقوا على رفع نرد لكونه داخلاً فى التمنى لا محالة
وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير والكسائى برفع الفعلين وذكر لهذه القراءة ثلثة اوجه الاول ان التمنى
قد تم عند قوله يا ليتنا نرد واما قوله ولا نكذب الى اخره فانه خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة
لا تعلق لها بما قبلها وليست بداخلة فى حيز التمنى على انه تعالى حكى عنهم امرين فتكون هذه
الجملة مع ما عطف عليه فى محل النصب على انها مقول القول والتقدير فقالوا يا ليتنا نرد وقالوا
نحن لا نكذب ونكون من المؤمنين على كل حال كقولهم دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود على كل حال
تركتنى او لم تتركنى والثانى ان يكون كل واحد من الفعلين معطوفاً على نرد وداخلاً فى التمنى والثالث
ان تكون الواو واو الحال اى فاعل نرد والتقدير يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين
فيدخل المجموع تحت حكم التمنى واورد على هذين الوجهين ان المتمنى لا يكون كاذباً وقد قال الله
وانهم لكاذبون واجيب بان هذا تمن قد تضمن معنى الوعد فان قولهم يا ليتنا نرد يتضمن
الوعد بانا لو رددنا الى الدنيا لآمنا وما كذبنا فالتكذيب راجع الى الخبر الضمنى فجاز ان يتعلق
به التكذيب وقرأ بنصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد واو العطف الواقعة
بعد التمنى اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب ثم
رد الله عليهم تمنيهم حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب ونكون من المؤمنين بقوله بَلْ للاضراب
عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى بَدَا ظهر لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ يكتمون من الناس
بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين مِنْ قَبْلُ فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم فيكون
اضراباً عما ينبئ عنه التمنى من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اى انهم ما تمنوا العود الى
الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل ذلك التمنى لاجل خوفهم
من العذاب الذى شاهدوه وعاينوه الذى كانوا يخفونه فى الدنيا كما قال
وبدا لهم سيئات ما كسبوا وقيل بدا للاتباع ما اخفى الرؤساء منهم من صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن حقيقة البعث يوم القيمة بدليل قوله وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
وقيل ان هذا نزلت فى المنافقين كانوا يسرون الكفر فيظهر الله تعالى نفاقهم على رؤس الاشهاد
يوم القيمة وفى ذلك اقوال كثيرة والاولى حمل الآية على الكل لانه يوم تبلى السرائر وحصل ما فى الصدور
والضمائر فلا جرم يظهر الفضائح والقبائح وتنكشف الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا
سيئاتنا وتوفنا مع الابرار وَلَوْ رُدُّوا الى الدنيا فى حالة التكليف فرضاً بعد الوقوف والظهور
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ رجعوا الى ما نهوا عنه من الشرك والمعاصى وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فى قولهم ونكون
من المؤمنين يعنى فيما وعدوا من انفسهم فى ضمن التمنى فان قيل كيف العود بعد مشاهدة الاحوال والهول
ومعرفة الله تعالى قلنا المراد تركيب جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم
سألوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك وغلبت عليهم شقوتهم لعنادهم وسوء فعالهم
الا ترى ان ابليس لعنه الله قد عاين ما عاين من آيات الله تعالى ثم عاند وكفر فابى واستكبر وكان
من الكافرين

من الكافرين وقال القشيرى رحمه الله بل بدا لهم غداً ينهتك الاستار وتظهر الاسرار فكم من متجلل
بثوب تقواه حكم له معارفه انه زاهد فى دنياه راغب فى عقباه محب لمولاه مفارق
لهواه تكشف الامر عن خلاف ما توهموه وافتضح عندهم بغير ما ظنوه وكم من متهتك
ستر ما اظهر عليه ظن الكل انه خليع العذار مشوش الاسرار ظهر لذوى البصائر طهارته
ديره من خفايا السر حقيقته وقوله تعالى وَقَالُوا منكروا البعث عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه فى الدنيا إِنْ ما هِيَ اى الحيوة إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الاولة وَمَا
نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ اى بعد ما فارقنا هذه الحيوة كأنه لم يروا ما رأوا من الاحوال والاهوال وَلَوْ تَرَى
الذين لو ردوا بعد ما وقفوا على النار لقالوا انه ربنا باطلة إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ الكلام فيه
كالذى مر فى نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى
بين يدى سيده للعتاب لاستحالة حمله على حقيقته وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه
حق التعريف كما قال الله وقفوهم انهم مسؤلون وكما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين وجواب لو مضمر
اى لرأيت امراً عظيماً ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قَالَ أَلَيْسَ
هَذَا الذى عاينتم وشاهدتم من حديث البعث والجزاء وما يتبعهما بِالْحَقِّ اى بالكائن الموجود وهذا
تعيير لهم على التكذيب للبعث ولقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا
انه لحق اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال ابن عباس هذا فى موقف وقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين فى موقف آخر وللقيامة مواقف ففى موقف يقرون وفى موقف ينكرون ثم كانه سئل ماذا قيل
لهم بعد الاقرار فاجيب قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اى بسبب كفركم فى الدنيا
وبه له وذلك ليعلم ان الاقرار فى غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى
هذا العالم الجسمانى الكثيف واعطى الآلات الجسمانية والقوة العاقلة لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق
الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد فى تحصيل
اللذات الفانية الى ان ينقضى اجله فقد ضيع رأس المال والربح وذلك قوله تعالى قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ اى خسروا انفسهم بتكذيبهم المصير الى الله تعالى اى بالبعث بعد الموت اذ فاتهم
النعيم واستوجبوا العذاب المقيم قال السلطان وغيره ولقاء الله البعث وما يتبعه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ
بَغْتَةً اى حتى اذا اتتهم القيامة فجأة وسميت القيمة ساعة لسرعة الحساب فيها قال الله تعالى وهو السريع
كأنه قيل وما هى الا ساعة حتى يحصل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وحتى غاية لكذبوا بلقاء الله
لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له قَالُوا جواب اذا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا اى يا ندامتنا على
على ما قصرنا فى حقها اى فى حق القيامة من الاستعداد لها بالايمان بها وتقديم الاعمال الصالحة لاجلها
ونداء الحسرة مجاز لا يتأتى منها الاقبال فكأنه قال ان كان لك وقت فهذا اوانك فاحضرى والتفريط
التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ آثامهم عَلَى ظُهُورِهِمْ تمثيل لاستحقاقهم آصار
الآثام وثقلها خص الظهر لان المعهود حمل الاثقال على الظهور كما عهد الكسب بالايدى والحمل مجاز
عن لزوم العذاب على وجه لا يفارقهم وقال السدى وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن

شئ صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبنى فقد طالما
ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا وانا الكافر يستقبله
اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتنى
فى الدنيا فانا اليوم اركبك فهو معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ونظير الحمل على الظهر ما ذكر
من جعله فى العنق قال الله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه وما روى يأتى احدكم بالشاة
فى عنقه وقوله عليه السلام من غصب شبرا من ارض طوقه الى سبع ارضين يوم القيمة وروى
المقبرى عن ابى هريرة فى حديث يرفعه قال اذا كان يوم القيمة بعث الله مع كل امرئ مؤمن عمله وبعث
مع الكافر عمله فلا يرى المؤمن شيئا يروعه ولا شيئا يفزعه ويخافه الا قال له ابشر بالذى يسرك فانك
لست بالذى يراد بهذا ولا يرى الكافر شيئا يفزعه ويروعه ويخافه الا قال له عمله ابشر يا عدو الله
بالذى يسوءك فوالله انك لانت الذى تراد بهذا الا ساء ما يزرون وقال ابن عباس رضى الله عنهما
معناه بئس الحمل حملوا قال السلطان يعنى بئس شيئا يزرونه وزرهم ثم رغب فى الحياة الباقية
وزهد فى الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى باطل وغرور لا بقاء لها اما
الطاعات فيها وما يعين عليها فمن امور الاخرة جواب لقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا واللعب ترك
ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد الى الهزل وهو ما يشغل الانسان عما يعنيه والمعنى على حذف
المضاف اى ما اعمال الحيوة الدنيا والاشتغال فيها من حيث هى هى الا لعب ولهو لانها لا تعقب منفعة
كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة تخصيصه اى وما الحياة الدنيا التى دعوتم الناس الى التمتع فيها
وقلتم لا حياة غيرها فى قصر مدتها وسرعة انقضائها فى جنب حيوة الاخرة الا كلعب الصبيان
ولهو الفرسان قال الامام رحمه الله اى الحياة الدنيا للدنيا خاصة لعب ولهو وهو كالعبث
المذكور فى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا يقول لو لم يكن هذه الحيوة لدار اخرى يرجى بها الثواب
ويخشى بها العقاب لم يكن فيها حكمة بل كانت لهوا ولعبا وكذلك خلق البشر لو لم يكن للبعث والجزاء
على العمل كان عبثا وللدار مبتدأ الاخرة اى الجنة والعمل لها صفتها قراءة الجمهور بلامين الاولى
لام الابتداء والثانية للتعريف وقرأ ابن عامر بلام واحدة وهى لام الابتداء وبجر الاخرة
بالاضافة وفى هذه القراءة تاويلان احدهما قول البصريين وهو انه من باب حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه والتقدير ولدار الساعة الاخرة او ولدار الحيوة الاخرة والثانى وهو قول الكوفيين
انه اذا اختلف لفظ الموصوف وصفته جاز اضافتها اليها قال الفراء هى اضافة الشئ الى نفسه
كقولك يوم الخميس وحق اليقين ومسجد الجامع وربيع الاول وانما يجوز عند اختلاف اللفظين وخبر
المبتدأ على القراءتين خير اى اتم لذة فى الحيوة الدنيا للذين يتقون الشرك وذلك لدوامها وخلوص
منافعها ولذاتها ومعنى الاية ان نعيم الاخرة خير من نعيم الدنيا لانه يزول ولا يحول ولا ينقص ولا
يتنغص وخص به المتقين لانهم هم المنتفعون به والصائرون اليه تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين
فهو لعب ولهو افلا تعقلون ان الاخرة افضل من الدنيا او اى الامرين خير فيؤمنوا او افلا يعقلون
ان الامر كما ذكر فتزهدوا فى الدنيا قرأ ابن عامر ونافع وحفص عن عاصم بالتاء خطابا لمن كان بحضرته

صلى الله عليه وسلم وفى زمانه او تغليبا للحاضرين على الغائبين والباقون بياء الغيبة وفى التيسير
افلا يعقل المشركون هذا فيعملون به وهى كلمة استبطاء ولما قال ابو جهل لعنه الله ما نكذبك يا محمد انك
عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به نزل قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون وقد ههنا للتكثير
والمراد به كثرة العلم والمبالغة فيه يعنى فى متعلقات العلم لان الكثرة فى علمه تعالى ممتنعة كقول الشاعر
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء فى انه ضمير الشأن بعد العلم لكان لام الابتداء فى خبرها وهو قوله
ليحزنك والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اى الذى يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان
هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك كقول قريش له عليه السلام انك ساحر كذاب مجنون شاعر وقرئ
ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك حقيقة وانما يكذبون
الله لان تكذيب الرسول تكذيب المرسل ولهذا قال ولكن الظالمين بايات الله القرآن يجحدون اى ينكرونها
او يكذبونها بقول انهم لا يكذبونك فى السر لانهم قد عرفوا صدقك فيما مضى وانما يكذبون وحيى و
يجحدون اياتى كما قال يجحدوها واستيقنتها انفسهم ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم عند الله عز وجل
فى غاية القدر ورفعة المحل جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا له عز وجل ولاياته على طريقة
قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال
قربه اليه عز وجل وقال ابو يزيد المدنى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا جهل فصافحه فلقيه
بعض شياطينه فقال له رايتك تصافحه فقال والله انى لاعلم انه لصادق ولكنا متى كنا تبعا
لبنى عبد مناف فنزلت الاية وقال السدى لما كان يوم بدر التقى الاخنس بن شريق وابو جهل
فقال الاخنس يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامى
غيرى وغيرك فقال له ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى
باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقال مقاتل نزلت فى الحارث
ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصى كان يكذب النبى صلى الله عليه وسلم فى العلانية فاذا خلا به مع
اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا وقال للنبى انا لنعلم ان الذى تقوله لحق
والله لا يمنعنا ان نتبع الهدى معك الا المخافة من ان يتخطفنا الناس من ارضنا فنزلت الاية
وقال الحسن رحمه الله فانهم لا يكذبونك بان الله ليس بخالقهم ولا برازقهم ولكن المشركين يكذبون
الاسلام يجحدون وقيل انما يكذبونك بالسنتهم لا بقلوبهم وفى تفسير مالك بن سليمان فانهم لا يكذبونك
يعنى المؤمنين ولكن الظالمين اى الكافرين بايات الله يجحدون وهو نظير قوله فان يكفر بها هؤلاء فقد
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين وقال القشيرى فذكرك قد علمنا ما قالوا فيك وانما قالوا ذلك بسببنا و
لاجلنا ولقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل اداء الرسالة وكانوا يسمونك محمدا الامين
وانما اصابك لاجلنا فغير ضائع لك وهذا عندنا وحالك فيك كما قيل شعر اشاعوا لنا فى الحى اشنع
قصة وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا قرأ نافع والكسائى لا يكذبونك مخففا من الكذب والباقون
مثقلا من كذب واختلف الناس فى ذلك فقيل هما بمعنى واحد وقيل بينهما فرق قال الكسائى العرب تقول
كذبت الرجل بالتشديد اذا نسبت الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به دون ان

بنسبته اليه ويقولون اكذبت الرجل اذا وجدته كاذبا كاحمدته اذا وجدته محمودا فمعنى لا يكذبونك
بالتخفيف لا ينسبون الكذب اليك ولا يجدونك كاذبا وهو واضح واما التشديد فيكون خبرا محضا
عن عدم تكذيبهم ولقد كذبت رسل من قبلك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان
قوله لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه مطلقا وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكن اهانوني وتصدير
الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير اي والله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير
وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي فصبروا على
تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك من قومك من المكروه وما مصدرية واوذوا عطف
على كذبوا وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف حتى اتاهم نصرنا اي عدتنا اهلاكهم
يعني كان غاية صبرهم نصر الله اياهم وفيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله
اي لا مغير لمواعيده في القران انه سينصرك والذين امنوا معك كما نصر الانبياء قبلك كما قال ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وكقوله لاغلبن انا ورسلي ولقد
جاءك من نبإ المرسلين ما تسكن به قلبك اي جاءك من بعض خبرهم وقصصهم في القران كيف
انجينا المرسلين ودمرنا قومهم وان شرطية كان كبر اي شق وعظم عليك اعراضهم عنك
وعن الاسلام لحرصك عليهم واعراضهم فاعل كبر وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والجملة في محل النصب على الخبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان فان استطعت الى آخره
شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن
الايمان بما جئت به من الايات البينات وعدم عدهم اياها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه
اقتراحا فان استطعت ان تبتغي ان تطلب وتتخذ نفقا اي سربا ومنفذا تنفذ فيه الى ما تحت
الارض حتى تطلع لهم اية يؤمنوا بها وكانوا اذا سالوا اية احب صلى الله عليه وسلم ان يريهم الله ذلك
طمعا في ايمانهم كما اشرنا في الارض صفة لنفقا وهذه الصفة لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض
وقال ابو عبيدة نفقا معناه غارا او سلما اي درجا ومصعدا في السماء فتصعد به الى السماء
فتنزل منها باية وهو صفة لسلما فتأتيهم منهما باية مما اقترحوا فافعل والمعنى انك لا تستطيع
ذلك فالتزم امر ربك فاصبر حتى يحكم الله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لجعلهم بحيث
يختارون الهدى بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا ولكن لما علم الله في علمه الازلي انهم يختارون
الكفر لم يشا ان يجمعهم على الهدى لعدم صرف اختيارهم الى جانبه مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات
الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على
الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين قال البيضاوي
اي بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة انتهى قال السيوطي بدل كل الى
قال البغوي اي بهذا الحرف وهو قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وان من يكفر لسابق علم الله فيه
انتهى قال الواعظ صورة الخطاب مع النبي عليه السلام وفي المعنى مع امته انتهى قال صاحب بحر الاسرار اي لا تكونن
من الذين يجهلون ذلك فنهى الله رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من ارادة الحرص الشديد على اسلامهم

والميل

والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتبا اياه على عدم تعلق مشيئته بهدايتهم والمعنى
اذا عرفت انه تعالى لم يشا هدايتهم وايمانهم فلا تكونن بارادة الحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى
نزول مقترحاتهم من كذا انتهى وقال ابو السعود والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشا هدايتهم وايمانهم
باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من
الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم
توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار انتهى وفي تفسير الرحمن
اي بما يقتضيه الصفات الالهية بل عما يقتضيه عموم المملكة انتهى وقال عبد الله بن احمد بن محمود النسفي
في مداركه من الذين يجهلون ذلك انتهى وفي التيسير معناه بان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وقيل
من الجاهلين ان بعضهم يؤمن دون بعض قال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي عليه السلام
يحرص على ان يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وهذا وقوله
من الممترين يجوز خطابه صلى الله عليه وسلم به عرف انه وان كان معصوما ولكن العصمة لا تزيل المحنة
على ما عرف انتهى قال الامام فان قيل كيف قال لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين فخاطبه
بهذا الخطاب وقال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين فخاطبه بهذا مع ان محمدا صلى الله
عليه وسلم اعظم رتبة واعلى منزلة منه قلنا لان نوحا كان معذورا في حمله لانه تمسك بوعد الله تعالى في
انجاء اهله وظن ان ابنه من اهله ومحمد صلى الله عليه وسلم ما كان معذورا لانه كبر عليه كفرهم مع علمه
ان كفرهم وايمانهم بمشيئة الله تعالى وانهم لا يهتدون الا ان يهديهم الله تعالى انتهى قال الفقير ابو عمر محمود بن محمد
ابن علي القادري وفي هذه الكلمة تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم لان المقصود تبعيد عز وجل رسوله عن قرب حاله
عليه السلام لحال الجاهلين فان النهي لا يقتضي اقدامه عليه السلام على مثل هذه الحالة كقوله تعالى ولا تطع
الكافرين والمنافقين ولكنه يفيد تاكيد الامتناع عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على من لم
يشاء الله ايمانه وفيه ايضا تربية وتاديب له عليه السلام كما قال عليه السلام ادبني ربي فاحسن
تاديبي بيان ذلك انه عز وجل خاطب حبيبه بذلك لئلا يبالغ في الشفقة على غير اهلها لانه صلى الله
عليه وسلم لما خوطب بقوله عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية بالغ عليه السلام في
اللين والشفقة وحرص على ايمان القوم وكبر عليه اعراضهم حتى قيل واغلظ عليهم وقيل فلعلك باخع
نفسك على اثارهم الاية وقيل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقيل وان كان كبر عليك اعراضهم الاية وقيل
ان يكون المعنى فلا تكونن من الجاهلين بمعارفك ومحاسنك فتفكر من انت واين بلغت واين تبلغ انت
الحبيب انت القريب انت الذي خلقتك لاجلي وخلقت ما سواك لاجلك بشهادة لولاك الخ فلا يكبر عليك
اعراضهم عند تذكر نعماء الله تعالى على انه ينزل عليهم البلاء والعذاب بمقابلة اعراضهم عنك او لا
تكونن من الذين لا يعلمون الحكمة فيما جعلنا بعضهم قابلي نور الهداية والايمان وبعضهم غير قابلين
للطف والقهر وفي هذا اثبات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما بهذه الحكمة وفيه اشارة اخرى الى ان
خطابه ازلي خاطب النبي في الازل فقال فلا تكونن من الجاهلين في الدنيا فان كل ما خاطب به النبي
صلى الله عليه وسلم هو امر التكوين وكذلك النهي هو نفي الامتناع عن الكينونة ثم وصف له عليه السلام

المستبعدين لقبول الهداية فقال انما يستجيب الذين يسمعون اى انما يستجيب دعاءك الذين يستجيبون
دعاءك للايمان والقبول والانقياد فاما من ألف الشرك وتمادى فى الطغيان فلا وقيل يسمعون
اى ينتفعون بالسماع يعنى سماع تفهم واعتبار والموتى اى كفار مكة شبههم بهم فى عدم السماع
يبعثهم الله فى الاخرة ثم اليه يرجعون للجزاء توضيحه انما يجيب دعوتك الى الايمان ويقبل ذلك
منك الذين يسمعون ما تلقى اليهم سماع فهم وتدبر وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء
الذين تحرص على ايمانهم كلوبهم مختوما على قلوبهم فى حكم الموتى الذين لا يسمعون ولا قدرة لك
على احياء الموتى بغير امرى ونظيره كقوله انك لا تسمع الموتى ان الله يسمع من يشاء وما انت
بمسمع من فى القبور واستعار الموتى للجهال لان العلم حياة القلب فالذين لا يسمعون انما لا يسمعون
لان قلوبهم موتى بالجهل والموتى يبعثهم الله اى فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان لان ذلك يوم الجزاء
والوقوف بين يدى الله لا يوم الكسب وانت لا تقدر على اعلامهم وقالوا لولا نزل عليه
اية من ربه اى قال كفار مكة هلا نزل عليه اية كما نقترحها من جعل الصفا ذهبا وتوسيع
ارض مكة وتفجير الانهار خلالها ونتق الجبل اى رفعه على رؤسهم وفلق البحر والناقة والعصا واليد
البيضاء ونحو ذلك قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل اية كما اقترحوا
وتعاندوا وطلبوا معجزة ملجئة او مقترحة وان الله لا ينزل الاية الملجئة لان المقصود من انزالها
طلب الايمان النافع ولا ينفع معها وذلك كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلو جاءهم الحجارة او الغرق او العذاب فالحكم النجاة والخلاص
حتى يؤمنوا او لو امنوا لما ينفعهم الايمان وقد انزل الله على نبيه ايات باهرات اعظمها القران وفتح
الحصى وانشقاق القمر واحياء الشاة للكلام معه ونبع الماء من بين اصابعه وتسليم الاحجار ونحو
عليه ونحو ذلك وقد افرد العلماء بالتاليف ومعجزاته اعظم من معجزات الانبياء ولكن اكثرهم لا يعلمون
بان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره
قال القفال رحمه الله اى لا علم لهم بوجه تخصيص كل نبى بمعجزة وان موسى عليه السلام خرج
فى زمن السحرة فاتى بمعجزة من جنس ذلك وعرفوا ان ما اتى به ليس مما يدخل فى وسع البشر وعيسى
عليه السلام خرج فى زمن الاطباء فاتى بمعجزة من جنس ذلك وعرفوا ان ما اتى به ليس فى وسعهم ذلك
فلزمتهم به الحجة ومحمد صلى الله عليه وسلم خرج فى زمن البلغاء والفصحاء فاتى بالقران وعجزوا عن
معارضته ولزمتهم الحجة ولو اتى بجنس ما كان من المعجزات لسائر الانبياء لكان لاهل عصره ان
يقولوا ليس هذا من جنس عملنا فلا نقدر على معارضتك ولعجزنا ان يعارضك وقال بعضهم ولكن اكثرهم
لا يعلمون انه اذا انزلت الاقتراحية ولم يؤمنوا استؤصلوا ومحمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة فلا استيصال
فى زمانه ويحتمل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله لا ينزل الاية الا عند الحاجة بهم اليها ولا حاجة
اليها فقد نزلت الايات العقلية والسمعية والحسية اى القران والاخبار عن الكاينات وتكثير الطعام
والشراب وقيل لا يعلمون اى لا يطلبون بذلك العلم بل التعنت وقرا ابن كثير ينزل والمعنى واحد ثم تابين
الله تعالى ان انزال الاية المقترحة لو كان مصلحة لهم لفعل ذلك الكرة بما يؤذن ان اثار فضله فى احسانه

ولطفه

ولطفه وامتنانه واصلة الى جميع الحيوانات فضلا عن الانسان فان الحيوان اما ان يكون بحيث
يدب او يكون بحيث يطير فقال وما من دابة اى حيوان فى الارض صفة دابة اى تمشى
على وجهها وانما خص من الدواب ما فى الارض بالذكر دون ما فى السماء او فى الماء لان رعاية مصالح
الادنى يستلزم رعاية مصالح الاشرف ويمكن ان يقال ان الماء ايضا من جملة الارض لانهما كرة واحدة
ولا من طاير يطير بجناحيه قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لان غير الطاير قد يقال فيه طار
اذا اسرع فى المشى وللتاكيد كقوله تعالى الهين اثنين قال علماء البلاغة انما وصف الدابة بكونها فى الارض
والطاير بكونه يطير بجناحيه ليعلم انهما باقيان على عمومهما اذ بينهما يجوز ص الجنسين المتعارفين
ثم لقوله بعده الا امم امثالكم فى تقدير خلقها ورزقها واحوالها يعنى ليس شئ من هذين الجنسين
الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها وانما جمع الجزاء الامم مع كون المبتدا وهو الدابة
مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة ولا طاير دال على الاستغراق الجنسى مغن من ان يقال وما من دواب
وطيور فكانه قيل وما من جنس دابة قط فى جميع الارضين السبع ولا من جنس طاير قط فى جو السماء الا
امم امثالكم قال الفراء كل صنف من البهايم امة قال مجاهد اصناف مصنوفة تعرف باسمائها يريد
ان كل جنس من الحيوان امة كالطيور امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها مثل بنى ادم
يعرفون باسمائهم قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود
بهيم ووجه المناسبة بين البشر والدابة والطاير نقل الواحدى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
يعرفوننى ويوحدوننى ويسبحوننى كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال
ابو هريرة رضى الله عنه اى يحشر يوم القيمة كما تحشرون انتم ثم يقتص للبهايم بعضها من بعض ثم
يقال لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا قال وقيل الا امم امثالكم اى يفقه بعضها
من بعض قال وقيل امثالكم فى معرفة ما يؤتى وما يتقى وقيل امثالكم اى مسخرة لكم وليس يكون منهم ما يكون
منكم من العناد وتكذيب الرسل والخروج عليهم ما فرطنا اى ما تركنا فى الكتاب فى القران او فى
اللوح المحفوظ من زايدة للتحسين والاستغراق شئ اى فلم نكتبه توضيح الاية يقال فرط الشئ اى
ضيعه وتركه ويقال فرط فى الشئ اى اهمل ما ينبغى ان يكون فيه واغفله فقوله فى الكتاب اى القران
على الاول ظرف لغو ومن شئ متعلق لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق كما اشرنا اى ما تركنا فى القران
شيئا من الاشياء المهمة التى من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغى مجملا او
مفصلا وعلى الثانى مفعول للفعل ومن شئ فى موضع المصدر اى ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من
التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره واياما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل فى الكتاب
اى اللوح المحفوظ فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة فى اللوح غير مقصورة على
هذا القدر المجمل فان اللوح المحفوظ مشتمل على جميع ما يجرى فى العالم مفصلا قال صلى الله عليه وسلم جف
القلم بما هو كاين الى يوم القيمة ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض
كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها وذكر الضمير تغليبا للعقلاء
على غيرهم وفى بعض التفاسير فى معنى يحشرون اى يبعثون للحساب والجزاء وهم بنو ادم والملائكة

بالواو والنون وقيل الحشر لكل الامم كما اشرنا لكن قال ابن عباس حشر الحيوانات موتها وقال عامة الصحابة والتابعين منهم ابوذر وابو هريرة والحسن حشرها بعثها يوم القيمة للقصاص بين الجماء والقرناء قال صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وغيره لكن والدليل على ان الحشر هو البعث دون الموت قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملئكة ونظيره قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم ولما ذكر من خلايقه واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال **والذين كذبوا باياتنا** الموصول مبتدا خبره ما بعده اى بما فرطنا في الكتاب من شيء من الامور المهمة وازخبايه العلل والاعداد والمكذبون بهذه الدلايل والمنكرون لهذه العجايب **صم** اى لا يسمعون مثل هذه الايات الدالات على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا يتاثر به نفوسهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات ويقترحون غيرها **وبكم** لا ينطقون بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها **في الظلمات** خبر ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمات الجهل وظلمة التقليد فيكون عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمى او حال من المستكن في الخبر كانه قيل انهم غافلون عن هذه الدلايل حال كونهم مستقرين في الظلمات او صفة لبكم اى بكم كائنين في الظلمات اى باب الفهم والتفهيم لايات الله منسد عليهم **من يشاء الله يضلله** اى من يشاء اضلاله اى بان يخلق فيه الضلال يضلله اى يخلقه فيه فيموت على الكفر لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة المبدلة **ومن يشاء يجعله على صراط** اى طريق **مستقيم** دين الاسلام بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه فيموت على الاسلام قال القشيري والذين فاتتهم العناية الازلية سد الحرمان اسماعهم وغشى الخذلان ابصارهم والارادة لا تعارض والمشية لا تزاحم والحق سبحانه غالب **قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين** ومعناه قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعدلون بربهم اخبروني عنكم وعما تزعمون عليه انفسكم يعني هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم ان اتاكم عذاب الله قبل الموت كما اتى من قبلكم وقيل هو ما اتاهم يوم بدر واحد والاحزاب او اتتكم القيمة وهولها بغتة الى غير الله من اصنامكم وتلتجئون في صرف العذاب عنكم يعني اتخصون الهتكم بالدعوة لتخلصكم مما نزل بكم فيما هو عادتكم اذا اصابتكم ضر وبلية ام تدعون الله دونها وتقرون انه خالقكم ورازقكم ان كنتم صادقين بان الاصنام الهة فادعوا تخبكم وهذا تبكيت لهم وقوله قل ارايتكم هذه كلمة استفهام وعند البصريين يجرى التوحيد والجمع والتذكير والتانيث والتثنية على الكاف وما بعدها والتاء على حالة واحدة مفردة مفتوحة نحو ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتك بفتح التاء وكسر الكاف ارايتكن وعند الكوفيين يجرى في التاء ايضا فيقال ارايتماكما وارايتموكم وارايتك بكسرهما وارايتن كن بنونين مشددتين وعلى الطريقة الثالثة التاء رفع لانه فاعل والكاف نصب لانه مفعول وعلى الطريقة الاولى الكاف كالتاء رفع على انه فاعل قال السلطان استفهام تعجب وكم حرف خطاب اكد به الضمير لتاكيد الاسناد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت

الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقوله **بل اياه تدعون** اى بل الله تدعون في الشدايد لا غيره يعني بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع كقوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وتقديم المفعول لافادة التخصيص **فيكشف** عطف على تدعون اى فيكشف اثر دعائكم **ما تدعون اليه** اى ما تدعونه الى كشفه يعني يكشفه عنكم من الضر ونحوه **ان شاء** اى ان شاء ان يكشف عنكم كشفه تفضلا اذ لا اكراه عليه تعالى الله **وتنسون ما تشركون** عطف على قوله بل اياه تدعون اى وتتركون ما كنتم تشركون بالله فما معنى عبادتكم الاصنام بعد هذا وهي لا تفرج عنكم الشدايد ولا تجيب دعواتكم بالمقاصد وقال القشيري ومكنكم ان ترددتم بنفوسكم واطلتم الفكرة بقلوبكم لم تجدوا من دونه احدا وزاعن حكمه ملتجا فتعودون اليه في استكشاف الضر واستعطاف البر كما قيل الى بابي نعود وان تناءت ديارى بعد معرفة الرجال وكما قيل قد تركناك والذين تريد نحسي ان نلقهم ونعود فاذا اجربت الكل وذقت الحلو والمر تقضي بك الضرورة الى بابه فاذا رجعت بنعت الانكسار وشواهد الاضطرار فانه يفعل ما يريد ان شاء اتاح اليسر وازال العسر وان شاء ضاعف الضر وادام المر فله الخلق والامر **ولقد ارسلنا الى امم من قبلك** اى قبلك رسلا فكذبوهم ومن زايدة للتحسين **فاخذناهم** اى فكفروا وكذبوا رسلهم فاخذناهم **بالبأساء** بالشدة والفقر **والضراء** اى بالافات كالمرض ونقصان الانفس والاموال وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون** اى لكي يتذللون ويتوبون على ذنوبهم في كشفها ولعل كلمة ترج ومعناه كان الانبياء يترجون منهم التضرع والتذلل لكنهم بالوا بذلك **فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا** معناه نفي تضرعهم في وقت مجيء الباس مع قيام ما يدعوهم الى التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم كما قال الله **ولكن قست قلوبهم** اى غلظت فلم تكن للاتعاظ بسبب اصرارهم على سوء اختيارهم وقيل ما جفت العيون الا بقسوة القلوب ولا قسوة القلوب الا بكثرة الذنوب **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** اى حسن اليهم اعمالهم السوء فاصروا عليها فلم يتوبوا عنها يعني لم يكن لهم مانع عن التضرع الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم **فلما نسوا** اى تركوا **ما ذكروا به** اى ما وعظوا وخوفوا به من البأساء والضراء فلم يتعظوا ولم يتضرعوا وقد امتحنوا **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** من انواع النعم مراوحة عليهم والمراد بكل شيء التكثير دون التعميم كما في قوله تعالى واوتيت اى بلقيس من كل شيء والفتح المذكور معبر عن تيسير مطالبهم الدنيوية اى امتحناهم وابتليناهم بالضراء والسراء والشدة والرخاء مخاشنة وملاطفة الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم ويجوز ان تكون التوسعة عليهم مكرا واستدراجا لما روى في مسند احمد بن حنبل عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به الاية فالتوسعة في بعض الاحيان تهر خفي في صورة اللطف كما ان الاخذ بالبلاء في بعض الاحيان لطف خفي في صورة البلاء وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد للتكثير في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف

والبا قون بالتخفيف حتى اذا فرحوا بما اوتوا اى اعجبوا وبطروا واشروا بما اوتوا من النعم ولم
يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه قال البغوى هذا فرح بطر مثل فرح
قارون بما اصاب من الدنيا اخذناهم بالعذاب بغتة اى اهلكناهم فجاة وهو اشد الاهلاك
اذ لم يتقدم شعورهم به فتوطن على لقائه فاذا هم مبلسون اى متحسرون آيسون من كل خير واصل
الابلاس الاطراق حزنا لما اصابه او ندما لما فاته وقيل هو انقطاع الحجة وقيل الحيرة عند حلول البلية
وقيل تغير اللون وقيل الانقياد للهلاك وفى الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اى اهلكوا جميعا اى من اولهم واخرهم بحيث لم يسبق منهم احد لان دابر من
قولهم دبره يدبره اى اتى بعده فاذا قطع الجانى بعدهم فقد اهلكوا كلهم واستاصلوا والحمد لله
رب العالمين على اهلاكهم ونصر الرسل فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض
من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها وقيل حمد نفسه بنفسه اذ نصر اولياءه
وقهر اعداءه وقيل بل امر محمدا عليه السلام بان يحمد الله على ذلك وقال الحسن اذا سمعت بموت
ظالم فاحمد الله بهذه الاية وقيل اى الله محمود على كل حال بما كثر المواعظ والاذكار ولم ينزل بهم العذاب
الا بعد الاعذار والانذار وقيل احمد الله على اهلاك من لم يحمد الله قال محى الفرض والسنة حمد الله
نفسه على ان قطع دابرهم لانه نعمة على الرسل فذكر الحمد تعليما لهم ولمن امن بهم ان يحمدوا الله على كفايته
شر الظالمين وليحمد محمد واصحابه ربهم اذا اهلك المكذبين اللهم لك الحمد كما انت اهله وصل على محمد كما انت اهله
وافعل بنا ما انت اهله ثم ذكر ما دل على قدرته وتوحيده بقوله قل يا محمد للمشركين من اهل مكة امر الله
نبيه بتكرير التبكيت والالزام عليهم ارايتم اى اخبرونى ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اى ان
اصمكم الله واعماكم وختم على قلوبكم اى طبع وسد قلوبكم فلم يصل اليها فهم اى فلا يعرفون
شيئا من اله غير الله يأتيكم به اى بما اخذ منكم تخصيصه اخبرونى ان سلب الله حواسكم
من يأتيكم به غيره سبحانه فان الله هو الذى يأتيكم به ان شاء فالاستفهام بمعنى النفى اى فلا اله
سوى الله يأتى بالماخوذ وانما قلنا بالماخوذ لدلالة الفعل عليه او اراد بارجاع الضمير الى المذكور او
بكل واحد مما ذكر وقيل اى بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة يعنى افرد ضميره مع كونه راجعا
الى جميع المذكورات لتنزيله منزلة اسم الاشارة فى سبيله واله خبره وغير الله صفة لاله ويأتيكم
به صفة اخرى انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون اى انظر واعجب يا محمد كيف
نبين ونكرر لهم الشواهد على بطلان الشرك وحقية الاسلام ثم هم يعرضون عنها اى عن تدبرها
وقبولها فلا يؤمنون بها وثم عطف على نصرف داخل فى حكمه وهو العمدة فى التعجب قل ارايتكم
اى قل يا محمد اخبرونى ان اتاكم عذاب الله بغتة اى فجاة من حيث لا تعلمون او جهرة اى
معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس رضى الله عنهما ليلا او نهارا هل يهلك الا القوم
الظالمون اى المشركون وقرى يهلك بفتح الياء ثم ذكر وظايف منصب الرسالة بقوله عز وجل وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين قال الكلبى معناه الا مبشرين المومنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار
ليس اليهم الا هذا وليس بايديهم انزال الايات التى تقترحونها فمن امن بالله ورسله واصلح ما يجب

اصلاحه على ما شرع لهم من الاعمال والاخلاق فلا خوف عليهم من العذاب حين يخاف اهل النار ولا هم
يحزنون بفوت الثواب اذا حزن من فات عليه الثواب فى الاخرة والذين كذبوا عطف على من امن
باياتنا المصرفة فلم يؤمنوا بها ولم يصلحوا اعمالهم واخلاقهم قال بعض مشايخ بلادنا قوله باياتنا اشارة
الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار انما هو اياته تعالى فمن امن به فقد امن بايات الله
تعالى ومن كذب به فقد كذب بايات الله فيه من الترغيب فى الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى يمسهم
العذاب اى يصيبهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه حى يفعل بهم ما يريد من الالام وهنا استعارة بالكناية
فاسند اليه المس واستغنى بتعريفه عن التوصيف بالشدة بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم وخروجهم
عن الطاعة واستمرارهم على الكفر قيل انه تعالى علل عذاب الكفار بكونهم فاسقين فاقتضى ان يكون كل
فاسق كذلك والجواب ان هذا مخصوص بالذين كفروا وكذبوا بايات الله فمن لم يكن مكذبا بايات الله لا يلحقه
هذا الوعيد ولما اقترح المشركون على رسول الله من الايات ما ليس فى مقدور البشر كقولهم لولا انزل اليه قال تعالى
قل لا اقول لكم عندى خزاين الله اى خزاين رزقه فاعطيكم ما تريدون جمع خزينة وخزانة
وهو ما يخزن اى يحرز بحيث لا تناله الايدى او خزاين الله مقدوراته اى لا املك ان افعل كل ما اريد
مما تقترحون على من الايات او اتيكم بكنوز الاموال فافجر لكم الانهار فى الجنان كما قلتم لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ولا اقول لكم انى اعلم الغيب فاخبركم بكل ما
تسالون عنه ما لم يعلمنيه الله عز وجل او اعلم الامر الذى اذا جئتكم به امنتم او اعلم عواقب الامور فاخبركم
بما غاب مما مضى وما سيكون ولا اقول لكم انى ملك اقوى ما لم يقو عليه البشر فاخبركم على ما اريد
منكم بقوتى وانما انا عبد مربوب بشر مثلكم ان اى ما اتبع الا ما يوحى الى ربى فابلغكم وقيل اى لا انزل نفسى
فوق ما انزلنيه الله فلا اقول عندى خزاين الله ولا اعلم الغيب ولى قوة الملك بل انا رسول من له الخزاين
ولا اعلم الغيب ولى قوة الملك بل انا رسول من له الخزاين وله علم الغيب وله الملائكة وساير الخلق وقيل
معنى هذه الثلثة يرجع الى شى واحد وهو التبرى عن العلم بالوقت الذى ياتيهم فيه العذاب الذى انذروا به
يقول ليست عندى خزاين الله اى ما خزنه الله من العذاب الاليم فى الغيب اى لم يطلعنى الله على ما خزنه
من هذا ولست اعلم الغيب بنفسى فاخبركم به ولست ملكا فاشاهد ما يشاهد الملك اذا نزل العذاب
من السماء ما اتبع العلم الا ما ياتينى به الوحى ولم ياتنى به الوحى وقت عذابكم وهذا كله جواب قولهم متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين وقال الامام ويحتمل ان يكون معناه لا اقول شيئا من هذه ولو قلت عندى
خزاين الله وانا اعلم الغيب ولى قوة الملك كان ذلك اشد لاباتكم على وطاعتكم ولكنى اقول انا بشر مثلكم يوحى
الى ما اتبع الا الوحى لتعلموا انى صادق فى قولى محق فى دعواى وتعلقت المعتزلة بظاهر الاية فى تفضيل الملك على
البشر وليس لهم به متعلق لما قلنا انه اراد به قوة الملك فى البطش او اختصاصه بمشاهدة ما فى السماء دون
الفضل والقدر فانه صلى الله عليه وسلم خير خلق الله كلهم ثم ضرب الله مثل الكافر والمومن فقال قل اى يا محمد لهم
هل يستوى الاعمى اى الكافر والبصير المومن افلا تتفكرون فى ذلك فتؤمنوا وقيل مثل الجاهل
بالقران والعالم به قال القشيرى فى قوله قل لا اقول لكم عندى خزاين الله لا اتخطى خطى ولا اتعدى
حدى ولا اثبت شيئا من ذات نفسى وما اتبع الا امر ربى وقال مجاهد اراد بالاعمى الضال وبالبصير المهتدى

افلا تتفكرون انهما لا يستويان انا انى لا ادعى ما لا يليق فان الملئكة وان لم يذق طعاما ولا شرابا ولكن رتبة
الرسالة اعلى وافضل من جهة اخرى فان الله امرهم بالسجود لادم ثم لما وصف الرسل بكونهم مبشرين
ومنذرين امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال وَأَنْذِرْ اى خوف بِهِ اى بما
يوحى اليك وهو القران الَّذِينَ يَخَافُونَ وهم المومنون العاصون أَنْ يُحْشَرُوا اى يبعثوا ويجمعوا إِلَى
رَبِّهِمْ الى حكمه وقضايه فلا يلزم منه مكان ولا جهة وفى التيسير اى خوف بالقران فقد سبق ذكره ما فرطنا
فى الكتاب من شىء الذين يخافون وهم المومنون لان الكفار المقترحين ليسوا بقابلين انذارك فامر فى الآن
ادامة الانذار الى المومنين الذين يخافون البعث والحساب والجزاء قال بعضهم اراد بالخايفين المومنين
المفرطين فى العمل والكافرين المجوزين للحشر والمترددين فيه فان الانذار يوثر فيهم دون الجازمين باستحالته
فان من لا يعتقده لا ينفع فى الانذار ومشركوا العرب منهم من يعتقد الحشر ومنهم دهرية يقولون ما يهلكنا الا الدهر لَيْسَ
لَهُمْ مِنْ دُونِهِ غيرهم وَلِيٌّ اى قريب ينصرهم وينفعهم وَلَا شَفِيعٌ يشفع لهم غير الله وانما نفى الشفاعة
لغيره مع ان الانبياء والاولياء يشفعون لانهم لا يشفعون الا باذن الله لا استقلالا فهو من الله فى الحقيقة
وهذا مثل ما يقول هو الذاكر والمذكور والشاكر والمشكور لان الذكر والشكر لا يكونان الا بتوفيقه وعنايته
والجملة فى موضع الحال من فاعل يحشروا اى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه
الحال لان الحشر مطلقا ليس بمخوف وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة فان كان الضمير للكفار فالكلام ظاهر
لان الكافرين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع وان كان للمومنين فلا ينافى ايضا مذهب اهل السنة فى
اثبات الشفاعة للمومنين لان شفاعة الرسل والملايكة لهم انما تكون باذن الله تعالى كما ترى فصح انه
ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ لكى يتقوا ويدخلون فى زمرة اهل التقوى باقلاعهم عما
فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما لكى يخافوا فى الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصى قالت المعتزلة فيه دلالة
على انه تعالى اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان الترجى راجع الى العباد ثم لما امر الله تعالى نبيه
بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش فقال وَلَا
تَطْرُدِ اى لا تبعد الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ قال مقاتل نزلت
فى الموالى عمار وبلال وصهيب وخباب وسالم ومهجع وسعيد بن مالك وسلمان الفارسى وعامر
وابن مسعود ونحوهم وذلك ان ابا جهل واصحابه قالوا انظروا الى هولاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا
وخدمنا رذالة الناس واوباش كل حى فذكروا ذلك لابى طالب فقال ابو طالب لرسول الله ذلك
وقال لو طردت هولاء عنك لعل سراة قومك يتبعونك فانزل الله هذه الاية وقال السدى جاء الاقرع
ابن حابس وعيينة بن حصن فوجدا رسول الله مع بلال وصهيب وخباب وناس من ضعفاء
المسلمين فحقروهم فخلوا به فقالوا انا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف العرب به فان وفود العرب
تاتيك فنستحيى ان ترانا مع هولاء الاعبد فاذا نحن جيناك فاطردهم عنك فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم
قال نعم قالوا فاكتب لنا بذلك كتابا فدعا عليا بالكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل جبريل عليه السلام بقوله
تعالى ولا تطرد الذين الاية ثم ذكر الاقرع وعيينة فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض وقال خبير بن نفير ان
قريشا اتوا رسول الله فقالوا ان كنت ارسلت الينا فاطرد هولاء السقاط عنك فنكون من اصحابك فرفع

اليهم فانزل الله وان كادوا ليفتنونك الاية وانزل ولا تطرد الذين الاية قال الكلبى قالوا لرسول الله هات
الله عن طرد هولاء فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا
وول ظهرك اليهم فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الى قوله فرطا وفى رواية
لما قال الاقرع وعيينة مقالتهم يعنى نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرفه العرب لنا قال النبى صلى الله عليه وسلم
نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر قال لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا وقالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلى فنزلت ولا تطرد الذين الاية وقعد جبريل
بين الفقراء ترى تبرئهم فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده واعتذر عمر عن مقالته ثم
دعا الضعفاء فاتوا اليه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا بعد ذلك نقعد معه فاذا
اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها
قمنا عنه وتركناه حتى يقوم وقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر مع قوم من امتى معكم المحيا
ومعكم الممات قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى قوله يدعون ربهم اى يعبدونه واراد بالغداة صلاة
الصبح وبالعشى صلاة العصر وروى عنه ايضا ان المراد منه الصلوات الخمس وذلك ان ناسا من الفقراء كانوا
مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اهل الاشراف اذا صلينا فاخر هولاء فيصلوا خلفنا فنزلت الاية وقال مجاهد
صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما اسرع الناس
الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله يدعون ربهم بالغداة والعشى قال او فى هذا هو انما ذلك
فى الصلوة التى انصرفنا عنها الآن وقال ابراهيم النخعى يعنى يذكرون ربهم وقيل المراد منه حقيقة الدعاء ومعنى
يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم انتهى وقال بعضهم فى معنى يريدون وجهه
اى يطلبون بدعائهم وذكرهم وصلاتهم وعبادتهم رضاه وقال بعضهم فى معناه فالوجه يعبر به عن ذات
الشىء وحقيقته وفى التبصرة يريدون وجهه اى رويته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار اولى والاليق
ان يفوض امر معرفة الوجه واليد والاصابع والصعود والهبوط والمشى والهرولة واشباه هذا الى الله وعلى مراده
ولكن تفسير الوجه كما قال البغوى فى تفسيره يريدون الله بطاعتهم او قعوا بعدهم وهم المحتجون لان اسم الله
ووجهه عبر سلطانه عن اشارة التشبيه والتعطيل مندرج تحته جميع الصفات من السمع والبصر والكلام
ويتعلق به جميع الصفات كذلك واراد بالوجه ذاته وصفاته الا يرى الى قوله تعالى كل شىء هالك الا وجهه
الا نفسه اى ذاته وصفاته وقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فاذا كان كذلك كانت
الصحابة رضوان الله عليهم يريدون الله بجميع ذاته وصفاته وكمالاته بوصف المحبة والشوق وقد خصهم
الله بارادته عما سواهم كما قال الله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة وقال الله تعالى يريدون وجهه
لكل احد يريد شيئا وهم لا يريدونه عن الله تعالى الا ذاته كما قيل: لكل له سول ودين ومذهب ووصلكم
سولى ودينى رضاكم: قال الشيخ قدس سره وكما انه احب الانبياء والرسل احب الاولياء والاصفياء محبة
بلا علة وكما انه سبحانه وتعالى وتقدس خص نبينا صلى الله عليه وسلم بالروية والرسالة وفضله على جميع

خلقه بغير علة اصحابه وجميع الخلايق من الجن والانس والملك خص اصحابه الكرام بشرف الولاية بغير
من جهته ولا جهد من جهدهم وصحة ذلك قوله تعالى ما عليك من حسابهم من زايدة شئ وما من
حسابك عليهم من شئ كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك ان المشركين طعنوا في دينهم واخلاصهم
فشهد الله تعالى لهم بالاخلاص وقال للرسول صلى الله عليه وسلم ما عليك اي لا يلزمك اعتبار بواطنهم
واخلاصهم بعد اتسامهم بسيرة المتقين وصلاح ظواهرهم انما ذلك على الله او عليهم اخلصوا ام لم
يخلصوا لا عليك وحالهم في ذلك كحالك بالنسبة اليهم سواء لا يتعدى ذنب احد الى صاحبه كقوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فالجملتان في تادية المعنى المراد بمنزلة جملة واحدة لتخصيصه لا تكلف امرهم ولا
يكلفون امرك والكلام وان كان مسوقا لبيان حسابهم الا انه اردفه بحسابه ليستوفي معنى قوله تعالى
ولا تزر الخ ومن الثانية زايدة لتوكيد معنى الاستغراق والاولى ابتدائية والجار والمجرور حال من شئ قدم عليه
لكونه نكرة وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تواخذ بحسابهم ولا هم
بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا في ايمانهم فتطردهم فتكون من الظالمين ومعنى فتطردهم
اي تبعدهم وهو جواب النفي بالفاء وهو قوله ما عليك وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي بالفاء وهو قوله
ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي ان فعلت ذلك كنت وضعت التقريب والتبعيد غير موضعهما اي لا تطردهم
فتدخل في زمرة الظالمين وحاشاك من الطرد لانك معصوم وقال الامام ويجوز ان اولئك لم يكونوا من اهل الحكمة
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من وضع الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها من اهلها فقد ظلمهم
وقال الامام ابو منصور رحمه الله ذهب عامة اهل التاويل الى ان النبي هم بطرد هولاء فعاتبه الله في ذلك و
لكنه بعيد نسبة البنوة النبي عليه السلام الى قبح فعل ولو حسنة ويحتمل ان يكون النبي عليه السلام يقرب
الاعداء ويبعد الاولياء ولو فعل ذلك لوجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعو الناس الى الايمان به والتوحيد
والاتباع له فاذا دخلوا ذلك واجابوه طردهم وابعدهم هذا امر مدفوع في عقل كل عاقل ولكن يجوز ان يكون
طلب ذلك منه اولئك فاما ان يهمّ هو بذلك فلا ويجوز ان يكون هذا من الله ابتداء تاديب وتعليم له
في صحبة اصحابه ومعاملتهم واخبارا عن عظيم قدر الصحابة عنده عليه السلام وان كان معصوما لان
العصمة لا تزيل المحنة ولا ترفع النهي وقال القشيري رحمه الله هذا وصية للنبي عليه السلام في باب الفقراء
والمستضعفين وذلك لما قصر لهم لسان المعارضة واستدفاع ما عرض لهم من اجلاء الرسول مجلسه
عنهم سكتوا متصدعين بقلوبهم بين يدي الله عز سلطانه داعين له حسن الابتهال فتولى الحق سبحانه
وتعالى خصومتهم فقال ولا تطرد الذين الى الخ لا تنظر يا محمد الى خرقتهم على ظواهرهم وانظر الى حرقتهم
في سرايرهم كانوا مستورين فشهرهم الله ولولا انه سبحانه وتعالى قال يريدون وجهه فشهد لهم بالارادة
والا فمن كان يتجاسر ان يقول ان مخلوقا يريد الحق سبحانه وتعالى وقد تكلموا في الارادة فاكثروا وتحقيقها
احتياج يحصل في القلب يسلب القرار عن العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا
ولا يجد من دون وصوله اليه سكونا ولا قرارا ولم يدخل كما قال قايلهم ثم قطعت الليل في مهمه
لا اسدا اخشى ولا ذيبا ∴ يغلبني شوقي فاطوي السرى ∴ ولم يزل ذو الشوق مغلوبا ∴ وقيد الله
دعوتهم بالغداة والعشي لانها من اعمالهم الظاهرة وهي موقتة وادام ارادتهم فاستغرقت جميع اوقاتهم

لانها

لانها من الاحوال الباطنة وهي مويدة اضحى الاشغل لهم من دنياهم ولا مطلوب لهم من عقباهم ولا هم
لهم سوى حديث مولاهم واحسن من هذا ما قال شيخنا وامامنا وقدوتنا الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره
في غنيته اما الارادة فترك العادة وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وترك ما سواه فاذا ترك
العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا والاخرى فيجرد تحسين ارادته فالارادة مقدمة كل امر لم يحقها
القصد ثم الفعل فهي بدء طريق كل سالك واسم اول منزلة كل قاصد قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام
ولا تطرد الذين يدعون الاية فنهى نبيه عليه السلام عن طردهم وابعادهم وقال في اية اخرى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية فامره بالصبر معهم وملازمتهم وتصبير النفس في صحبتهم
ووصفهم بانهم يريدون وجهه ثم قال ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا فبان بذلك ان
حقيقة الارادة ارادة وجه الله بحسب دون زينة الدنيا والاخرة ثم قال فاما المريد هو من كانت
فيه هذه الجملة واتصف بهذه الصفة فهو ابدا مقبل على الله عز وجل وطاعته مول عن غيره واجابته
يسمع من ربه فيعمل بما في الكتاب والسنة ويصم عما سوى ذلك ويبصر بنور الله عز وجل فلا يرى
الا فعله فيه وفي غيره من ساير الخلايق ويعمى عن غيره فلا يرى فاعلا في الحقيقة غيره عز وجل بل يرى
آلة وسببا مسخرا كما مدبرا مرادا مسخرا قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمي ويصم اي يعميك عن
غير محبوبك ويصمك عنه لاشتغالك بمحبوبك فاحب حتى اراد وما اراد حتى تجردت ارادته وما
تجردت ارادته حتى قذفت في قلبه جمرة الخشية فاحرقت كل ما هنالك قال الله عز وجل ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة كما قيل انما الوقعة تهون كل رفعة فنوم
غلبة واكله فاقة وكلامه ضرورة ينصح نفسه ابدا فلا يجيبها الى محبوبها ولذاتها وينصح عباد الله
ويانس بالخلوة مع الله ويصبر عن معاصي الله ويرضى بقضاء الله ويختار امر الله ويستحيي
من نظر الله ويبذل مجهوده في محاب الله ويتعرض ابدا لكل سبب يوصله الى الله ويقنع بالخمول والاخفاء
فلا يختار احد عباد الله ويتحبب الى ربه بكثرة النوافل مخلصا لله حتى يصل الى الله عز وجل فيحصل في زمرة
احباب الله ومراديه فحينئذ يسمى مراد الله فتحط عنه اثقالها الى طريق الله ويغسل بماء رحمة الله
ورافته ولطفه فيبنى له بيت في جوار الله ويخلع عليه انواع الخلع وهي المعرفة بالله والانس به
والسكون والطمانينة اليه وينطق بحكمة الله واسرار الله فيصير بعد ذلك الصريح بل الحر من الله عز وجل في
يلقب بالقاب يتميز بها بين احباب الله فيدخل في خواص الله ويسمى باسماء لا يعلمها الا الله ويطلع
على اسرار تخصه فلا يبوح بها عند غير الله فيسمع من الله ويبصر بالله وينطق بالله ويبطش بقوة
الله ويسعى في طاعة الله ويسكن الى الله وينام مع طاعة الله بذكر الله في كلاءة الله وحرز
الله فيكون من امناء الله وشهدائه واوتاد ارضه وشحنة عباده وبلاده واحبابه واخلائه
قال النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى لا يزال العبد المومن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفواده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش
فهذا عبد حمد عقله العقل الاكبر وسكنت حركاته الشهوانية لقبضة الحق عز وجل فصار قلبه خزانة
الله فهذا مراد الله ان اردت ان تعرف يا عبد الله انتهى وكذلك اي ومثل ذلك الفتن العظيم وهو

اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا كالفقر والغنى والرياسة والدناة يعنى كما فتنا وابتلينا رؤساء
قريش فى مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع بحار الحيوة الابدية المشتملة على جواهر
الحكم يتموج بها على كل احد كذلك فتنا بعضهم اى ابتلينا الاغنياء ببعض بالفقراء والشريف
بالوضيع بان قدمناه بالسبق الى الايمان قال الشيخ وذلك ان الشريف اذا نظر الى الوضيع قد سبقه بالايمان
امتنع من الاسلام بسببه وكان فتنة له ثم بين الفتنة بقوله ليقولوا اى الاغنياء والرؤساء
اهؤلاء الفقراء والضعفاء من الله عليهم بشرف الايمان تخصيصا لهم من بيننا
اى طايفة الشرفاء والرؤساء ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وذلك ان المشركين
لقصور نظرهم عن حطام الدنيا كانوا يستبعدون وينكرون ان يكون الفقراء ممنونا عليهم
بالتوفيق دونهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه فقال عز وجل انما مننا عليهم بنعمة الايمان لانا
علمنا انهم يعرفون قدر هذه النعمة فيشكرونها حق شكرها والرؤساء والشرفاء لا يعرفون قدرها فلا يشكرونها
اليس الله باعلم بالشاكرين له فيعطيهم النعمة ويمنعها غيرهم والاستفهام للانكار ونفيه للاثبات وهى
بلى هو الله اعلم بالشاكرين اى بمن شكر الاسلام اذا هداه الله وقد اقتضت حكمته بان يكون الشاكر منعما
عليه بالاسلام والكافر مخذولا فى النيران ومعنى الشاكرين المطيعين لله وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم يستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء
رسول الله فقام علينا فلما قام رسول الله سكت القارى فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى
جعل من امتى من امرنى ان اصبر نفسى معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا
وبرزت وجوههم له فقال فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف احدا منهم غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيمة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف
يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت فى الذين
نهى الله نبيه عليه السلام عن طردهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا راهم بدأهم بالسلام وقال
الحمد لله الذى جعل من امتى من امرنى ربى ان ابدأهم بالسلام واذا امضوا بجوابه اى فقل سلام
عليكم وقت مجيئهم اليك اى واذا اتاك المؤمنون بالقرآن وساير الايات من العرب والعجم والرؤساء
والاتباع فابدأ بتحية الاسلام وكلمة السلام وقل سلام عليكم وهو الدعاء بالسلامة عن الافات كلها
فى الدين والنفس والمال وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه اى ذاته وحقيقته التى ليس مثله شئ الرحمة اى
قضى ووعدكم ربكم بالرحمة والاحسان وعدا موكدا على سبيل الفضل والكرم لا الايجاب وقيل ان قوما
جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنهما لما جاء يسلم كان يستحيى من الدخول على النبى عليه السلام
لما جنى فى حق حمزة فامر الله نبيه ان ابتداه بالسلام تسكينا لقلبه وقال عطاء نزلت فى ابى بكر وعمر
وعثمان وعلى وبلال وسالم وابى عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر
والارقم بن ابى الارقم وابى سلمة بن عبد الاسد والله اعلم بسبب النزول قيل وههنا اشكال وهو ان الناس اتفقوا
على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان كذلك فكيف يمكن ان يقال فى كل واحد من ايات هذه السورة

ان سبب نزول هذه الاية الامر الفلانى بعينه بل الاقرب ان يحمل هذه الاية على عمومها فكل من امن بالله
دخل تحت هذا التشريف واجاب النيسابورى عن هذه الاشكال حيث قال قلت لا استبعاد ان تنزل
السورة دفعة واحدة ويتنزل للصحابة كل اية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقايق التنزيل
واعلم بدقايق التاويل لانهم اهل مشاهدة الوحى وارباب مزاولة الامر والنهى انه اى الشان برالى
الرحمة من عمل منكم سوءا بجهالة منه حيث ارتكبه يعنى من عمل ذنبا وهو جاهل بما يتعلق به من
المضرة والمفسدة او جعل جاهلا لايثاره المعصية على الطاعة وقال بعضهم اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة
ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه صلحا فى اسلامهم كما مر قريبا فتكون
جهالة فى موضع الحال من فاعل عمل لانه رضى الله عنه ما كان يعلم ما يترتب على اشارته من المضرة فلما ظهر
اعتذر او المراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره فى العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من
اهل السفه والجهل لا من اهل العلم والحكمة قال الحسن كل من يعمل حلالا من حرام فمن جهالته بعاقبة الامر ركب
الامر قرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى انه بكسر الهمزة على الاستيناف او اضمار القول وقرأ عاصم وابن
عامر بالفتح ترجمة عن الرحمة اى كتب انه وقرأ نافع انه بالنصب ثم تاب من بعده اى بعد العمل السوء
واصلح عمله بالتدارك والعزم على ان لا يعود الى السوء فانه فتحها من فتح ان غير نافع على اضمار خبر اى فله
غفرانه او اضمار مبتدأ اى فامره انه غفور له رحيم بالمؤمنين قال الشيخ وقد اجمع القراء على الكسر
فاء الجزاء فى قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكذلك الكاف نعت لمصدر محذوف
والاشارة بذلك الى التفصيل السابق تقديره نفصل تفصيلا مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات
او نبين الايات القرآنية فى صفة المطيعين والمجرمين والتائبين قال بعضهم وكذلك نبين الايات ونميز
البعض بالبعض ونخاطبك مخاطبة الرؤساء والفقراء ولتستبين سبيل المجرمين فتجتنبه منهم قرأ
نافع بتاء الخطاب ونصب سبيل لانه مفعول به اى ولتستوضح يا محمد صلى الله عليه وسلم طريق المجرمين
فتعامل كلا بما يليق فصلنا ذلك التفصيل وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء
الفوقانية من استبان بمعنى تبين لمجيئه متعديا ولازما وبرفع سبيل على انه فاعله والسبيل مؤنث
على لغة اهل الحجاز فالمعنى لتتبين سبيلهم وقرأ الباقون بالياء التحتانية وضم اللام جعل السبيل فاعلا
وذكر على لغة بنى تميم فالمعنى ليتضح لك سبيل المجرمين فان قيل كيف ذكر سبيل المجرمين ولم يذكر سبيل
المطيعين وكلاهما محتاج الى بيانه قلنا لانه اذا ظهر سبيل المجرمين ظهر سبيل المطيعين ايضا اذ
السبيلان متميزان فيكون سبيلهم مرادا تقديرا وانما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه
كما فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد قل انى نهيت اى نهانى الله قبل النبوة بالنور الفطرى
وبما ركب فى من العقل السالم من معارضة الوهم وبعدها بالايات الزاجرة من عبادة غيره ان
اعبد الذين تدعون اى تعبدون من دون الله اى عبادة ما تعبدون من دون الله او
ما تدعونها الهة اى تسمونها فالبعض المشركين لرسول الله استلم بعض الهتنا حتى نؤمن بالهك فقال
الله تعالى قل يا محمد انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اى الاصنام والملئكة والشياطين
والجن قل يا محمد لا اتبع اهواءكم فى عبادة من هو غير الله وفى طرد الذين يدعون ربهم

وفى كل شئ قد ضللت اذًا اى ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين الى طريق الحق
فى شئ ما دمت اتبعكم وفيه غاية التنفير عن طريقهم ثم لما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب
اتباعه بقوله قل انى على بينة من ربى اى على بصيرة وبيان فاصل بين الحق والباطل من معرفة
ربى وانه لا معبود سواه وهو النبوة ونزول الوحى وقال بعضهم اى انى على حجة تجزئ ما بعدها ولا يعبد
اتباعا لهوى انفسهم وهو يعبد الله اتباعا للحجة والعقل وما يتبع بالهوى يجوز ان يتركه صاحبه ويتبع
غيره لما يهوى نفسه هذا بعد اول واما ما يتبع بالحجة والعقل والسمع لا يجوز له ترك اتباعه ويتبع
غيره وقد كذبتم تقليدا لابائكم به اى بما جئت به او بربى حيث اشركتم به غيره ثم اعقب الجملة
بما دل على انهم احقاء بان يعاقبوا بالعذاب المستأصل فقال ما اى ليس عندى ما تستعجلون
به اى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم قال الكلبى
نزلت فى النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون ائتنا بالعذاب الذى تعدنا به استهزاء منهم
وقيل اريد به القيمة لقوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ان الحكم الا لله اى ليس الحكم والقضاء
فى تعجيل العذاب وتاخيره وفى كل شئ الا لله وحده يقض الحق اى كل ما قضى به فهو الحق لا اعتراض
لاحد عليه بحكم المالكية يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ
وسقوطها فى اللفظ لالتقاء الساكنين وانتصاب الحق على انه صفة مصدر محذوف اى يقض القضاء الحق
او على انه مفعول به من قولهم قضى الدرع صنعها اى يصنع الحق ويدبره واصل القضاء الفصل
بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه
قرأ نافع وابن كثير وعاصم يقص بصاد مهملة مشددة مرفوعة من قص اثره اذا تبعه اى يتبع الحق
والحكمة فيما يحكم به ويقدره او يخبر بالحق ولا خلف فى وعده ووعيده والباقون بضاد معجمة مخففة
مكسورة وهو خير الفاصلين اى الحاكمين والفاصلين بين الحق والباطل فيما يجرى بين عباده لانه
لا يخفى عليه الحق والباطل فالقضاء اليق اذ الفصل هو القضاء قل يا محمد لهم لو ان عندى
اى فى قدرتى ومكنتى وبيدى ما تستعجلون به من العذاب الذى ورد به الوعيد فى قوله
يستعجلونك بالعذاب ومتى هذا الوعد يعنى بان يكون امره مفوضا الى من جهته لقضى الامر
بينى وبينكم اى لاتم الامر بينى وبينكم بتعجيل ذلك لكم غضبا لربى حيث كذبتم به وفى بناء قضى
للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الحقيقى الذى هو الله تعالى وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى والله اعلم بالظالمين حتى يعاقبهم يعنى والله اعلم بحال الظالمين وبان بعضهم مستحق
للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الى بتعجيل العذاب وفوض
امرى الى الله فيجازيكم على ظلمكم وعنده تعالى مفاتح الغيب اى خزائنه او الطرق الموصلة الى
علمه لا يعلمها الا هو مفاتح جمع مفتح بكسر الميم والقصر وهو الاقليد الذى يفتح به وقوله مال ان مفاتحه
جمع مفتح بفتح الميم وهو الخزنة التى فيها المال تفتح وتغلق ويتصل هذه الاية بالاية الاولى اى ليس
عندى علم وقت العذاب الذى تستعجلونه وعند الله مفاتح الغيب اى خزاين الرزق والعذاب
يعنى عند الله الاشياء التى يفتح بها المتغلق من الامور التى تغيب علمها عن الخلق وقيل هو العالم بكل

شئ من مبدئه الى منتهاه لا يعلمها الا هو اى لا يعلم الاشياء على حقايقها جملة وتفصيلا الا هو قال
عطاء وعنده مفاتح الغيب ما غاب عنكم من الثواب والعقاب والاجال والاحوال والشقاوة والسعادة
وخواتيم اعمال العباد وما يصير اليه امرى وامركم وروى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الاية كما رواه البخارى
جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى الخزاين المستوثق منها بالاغلاق
والاقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل اليها والمعنى انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل
اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما فى المخازن قيل عنده مفاتح الغيب
وعندك مفاتح العيب فمن امن بغيبه اسبل الله الستر على عيبه وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب
خزاين الارض وعلم نزول العذاب وقيل هى ما لم يكن بعد انه يكون ام لا يكون وما يكون كيف يكون
وما لا يكون ان لم يكن كيف يكون قال الشيخ تلخيصه ان الله هو المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها والعالم
بالطرق الموصلة اليها الا هو وما فى تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت
به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها لان الغيب شامل للاشياء التى لم توجد فى
الخارج فاذا علم فى الازل لم توجد ثبت علمه بالاشياء قبل وقوعها و لا ينحصر علمه سبحانه فى ذلك بل
يعلم ما اخرج واحدث من خزائنه فافاضه على ما فى البر والبحر اى يعلم ما فيهما من الموجودات
مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وكثرة افرادها قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى
والامصار وقيل البر المعروف والبحر المعروف وهو عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن
اختصاص العلم بالمغيبات والعباد يعلمون ان ما فى البحر ماء وحيتان وفى البر مثلا حصى واشجار
واوراق ونحوها من حيث الجملة والله يعلم مقاديرها وظواهرها وبواطنها وما اودع فيها ولا يختص
علمه سبحانه فى الكليات والجزئيات التى لا تتغير بل وما للنفى تسقط من زايدة لاستغراق الجنس
ورقة الشجر هذا بيان لتعلق علمه تعالى باحوال المشاهدات بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال
السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكره عن ذكر ساير الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها
خاصة دون احوال ساير ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سايرها
قال ابن عباس رضى الله عنهما ما من شجرة فى بر ولا بحر الا وكل بها ملك يكتب ما يسقط من ورقها وقال كعب
وكل بها ملكان يكتب احدهما ما يسقط منها ويكتب الاخر ما يطلع وقال ابو بكر بن عبد الله ما يسقط من ورقة
الا يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان سقطت على الارض وفى التاويلات قال بعض الحكماء ما من ورقة الا وبقدر
ثلثة اشياء بالهواء والارض والماء ولو اجتمع حكماء العالم لم يدركوا ان الورق والنبات كم مقدارا يأخذ
من الهواء وما يأخذ من الارض وما يأخذ من الماء ولم يدركوا المعنى الذى به الجمع والتربية والله تعالى يعلم
ذلك كله وكيف لا يعلم وبه اخذ ما اخذ وبه اجتمع وتضمن وتربى والمعنى ما تسقط ورقة فى حال من
الاحوال الا فى حال كونه تعالى عالما بها يعنى يعلم عددها واحوالها قبل السقوط وبعدها ثم بالغ فى احاطة علمه
سبحانه باحوال الجزئيات فقال ولا حبة عطف على ورقة اى ولا تسقط حبة من الحبات المحرقة
فى ظلمات الارض اى فى بطون الارض وقيل تحت الصخرة فى اسفل الارضين قال سعيد بن جبير

مامن حبة الا مكتوب عليها هذا رزق فلان ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها اى الا يعلمها
وهذا للتعميم قال ابن عباس المراد بالرطب الماء وباليابس البادية وفى نسخة وباليابس البرى يعنى
التراب وقيل المراد بهما ما ينبت وما لا ينبت وقيل ولا حى ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شى
وقيل الرطب لسان المؤمن واليابس لسان الكافر الا فى كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل
الكل على ان كتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرى
المعطوفات الثلثة بالرفع للعطف على محل من ورقة او للابتداء والخبر الا فى كتاب مبين قال محى الرض
والسنة يعنى ان الكل فى اللوح المحفوظ وقال الشيخ هو لوح القدر قال ابو منصور اى هو محفوظ كله عند
الله ويحتمل ان يكون معناه فى كتاب اى فى تقدير وحكم وقيل هو ما يكتب ليلة القدر او ليلة البراة
من النسخ ويدفع الى الملئكة قال الحسن انما ذكر اثبات هذه الاشياء فى اللوح المحفوظ ليعلم ابن ادم
ان عمله اولى بالاحصاء لانه للحساب والجزاء ونظير قوله وعنده مفاتح الغيب قوله ان الله عالم
غيب السموات والارض وكذا قوله له مقاليد السموات والارض ومن عنده مفاتح فله الخزائن فى
الملك والعلم والتصرف قال الشيخ وقوله الا فى كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى
الا فى كتاب مبين واحد وهو علم الله او اللوح وانما ذكر كثرة الوجوه والاقاويل وان كان يتوهم التكرار
فى العبارات ليفهم من هو متلى والله اعلم بالضماير والنيات فقوله وهو الذى يتوفيكم بالليل
اى يقبض ارواحكم اذا نمتم بالليل قال بعضهم اى الذى ينيمكم وهو كقوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتوفى فى اللغة هو قبض الشئ على تمامه قال السلطان اى ينيمكم ويراقبكم فى
وقت النوم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتميز فان
اصله قبض الشئ بتمامه وانما عبر عن وقت النوم بالليل وعن وقت الكسب بالنهار لانهما معظما
اوقاتهما او خصهما بالذكر جريا على ما هو العادة ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ويعلم ما كسبتم بالنهار
من الاثام وغيرها وجوارح الصيد كواسبها وما علمتم من الجوارح من ذلك والاجتراح الاكتساب
قال الله ام حسب الذين اجترحوا السيئات والجوارح الاعضاء للفاكواسب وليس فى تخصيص الجرح
بالنهار انه سبحانه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولا انه لا يتوفانا بالنهار وانما قيد بذلك لانه زمان
حركة للانسان غالبا والليل زمان نومه غالبا كما قلنا على ما هو العادة لذلك ان تخصيص الشى
فى حال بالذكر لا يدل على سقوط ذلك فى حالة اخرى ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم من منامكم فى
النهار اطلق البعث ترشيحا للتوفى ليقضى على البناء للمفعول اجل مفعول ما لم يسم فاعله مسمى
صفته واللام فى ليقضى متعلقة بما قبلها من مجموع الفعلين اى يتوفاكم ثم يبعثكم لاجل ان يبلغ
المتيقظ اخر اجله المسمى المعين لكل فرد فرد لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين
لتحصيل تمام مدة الحيوة اى استيفاء العمر على التمام قال السلطان ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى
له فى الدنيا ثم اليه مرجعكم اى رجوعكم بالبعث بعد الموت يعنى فى الاخرة لا الى غيره من العبيد ثم
ينبئكم اى يخبركم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الايام والليالى
وقيل الخطاب فى الاية مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون الاثام بالنهار

وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شان ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل ليقضى
الاجل ثم ينبئكم بما تعملون فى ليلكم ونهاركم بالجزاء والظاهر ان الاية عامة لكل من نام واستيقظ مؤمنا
كان او كافرا ولهن اخر جزاء العمل كذلك لعموم اللفظ ولهذا قال فى التيسير هذا وعد ووعيد وهو
القاهر مستعليا لانه فوق عباده والقهر للروءة اى هو المتصرف فى امورهم لا غير يفعل بهم ما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك لا كالاصنام التى اتخذتموها الهة وهى لا تضر ولا تنفع
قال بعضهم ليس المراد الفوقية بالجهة تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا بل المراد الفوقية من حيث القدرة
فانه قهار للممكنات المعدومة بالايجاد والتكوين وللممكنات الموجودة بالافساد والافناء وقهار
لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والليل بالنهار والنهار بالليل وقهار للعناصر التى
تالف البدن منها فانها مع كونها متنافرة متباعدة بالطبع والخاصية وقد الف الملك القهار بينها
بان خلع عنها كيفياتها المتضادة واودع فيها كيفية واحدة متوسطة بين تلك الكيفيات الصرفة
وقهار للروح والبدن حيث جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة الكاملة وجعل كل واحد منهما مستكملا
بصاحبه منتفعا بالاخر فان الروح يصون البدن عن العفونة والفساد والبدن يصير الة
للروح فى تحصيل السعادات الابدية والمعارف الالهية مع ما بينهما من كمال المباعدة من حيث الكثافة
واللطافة واذا تاملت فيما ذكرنا علمت ان ما سوى الله مقهورة تحت قهر الله ومسخرة بتسخير الله كما قال وهو
القاهر فوق عباده ويرسل عطف على وهو القاهر عليكم ايها المكلفون حفظة اى ملئكة كراما
كاتبين يكتبون اعمالكم واقوالكم فيحفظونها عليكم قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون والفائدة فى جعل الملئكة موكلين على المكلفين ان المكلف اذا علم ان الملئكة موكلون به
ويكتبون عليه اعماله فى صحيفته تعرض على رؤس الاشهاد فى مواقف القيمة كان ذلك زجرا له
عن القبايح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه
من خدمه المتطلعين عليه هذا وقيل يحتمل ان يكون الكتابة لفائدة وزن تلك الصحايف يوم القيمة
لان وزن الاعمال غير ممكن وانما توزن الصحايف فيمكن واختلف الاثار فى عدد الحفظة روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والاخر عن يساره فاذا
تكلم الانسان بحسنة كتبها من عن يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره
لعله يتوب منها فان لم يتب كتب عليه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين
الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا اعمل العبد
حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه تسع ساعات
لعله يسبح او يستغفر قال الامام ذكر ارسال الحفظة بعد قوله وهو القاهر ليعلم ان ارسالهم لم يكن لحاجة
عز وجل الى ذلك لان المحتاج لا يكون قاهرا بل للحكمة وهى امتحان الحفظة بما امرهم به ولله ان يمتحن
عباده بما شاء حتى اذا جاء احدكم الموت اى وقته وامارته وحتى لغاية حفظ الاعمال
اى ذلك داب الحفظة مع المكلف مدة الحياة الى ان يأتيه الممات توفته اى استوفت روحه
رسلنا اى الملئكة الموكلون بقبض الارواح باذننا وتفويضنا يعنى اعوان ملك الموت يقبضونه

فيدفعونه الى ملك الموت فيقبض روحه كما قال الله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقيل الاعوان يتوفونه
بامر ملك الموت فكان ملك الموت توفاه لانهم لا يصدرون عن امره وقيل اراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر
الواحد بلفظ الجمع تعظيما له قال ابن عباس رضي الله عنهما اعوان ملك الموت سبعة من ملئكة الرحمة
وسبعة من ملئكة العذاب فاذا اقبض ملك الموت نفسا مؤمنة دفعها الى ملئكة الرحمة واذا اقبض نفسا
كافرة دفعها الى ملئكة العذاب وجاء في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة
فيقبض من ههنا ومن ههنا فاذا كثرت الارواح يدعو الارواح فتجيب له قرا الجمهور توفته ماضيا
بتاء التانيث لتانيث الجمع وقرا حمزة توفاه بالف ممالة من غير تاء التانيث **وهم لا يفرطون** الجمهور
على التشديد ومعناه وهم لا يقصرون فيما يؤمرون به من قبض الارواح طرفة عين وقرئ بالتخفيف
من افرط يعني لا يجاوزون الحد فيما امروا به وقيل التفريط التواني والتاخر عن الحد والافراط
مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت
لبيان اعتنائهم بما امروا به **ثم ردوا** عطف على توفته والضمير لكل العباد المدلول عليه بقوله احدكم
الموت **الى الله مولاهم الحق** اي العدل والمعنى ثم رد المتوفون برد الملئكة وقيل برد الله بالبعث
والحشر مولاهم الذي يلي امورهم على الاطلاق اي مالكهم الحق يعني الى حكمه وجزائه في موقف الحساب
لا كموالي الدنيا المتغلبين ولما جعل هذا في حق الكفار فقوله مولاهم الحق هنا مع قوله في موضع اخر
وان الكافرين لا مولى لهم يكون تخصيص المعنى ان المولى ههنا هو المالك والسيد وهناك المعين والناصر
والمولى والحق صفتان لله وقرئ بالنصب على المدح **الا له الحكم** اي له القضاء النافذ فيهم يومئذ
صورة ومعنى لا حكم فيه لغيره بوجه من الوجوه وصدرت بحرف التنبيه ايقاظا للسامع **وهو اسرع**
الحاسبين اي يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن
شان قال السيوطي في تفسيره اي يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك
لانه لا يكون فيه حاجة الى فكرة وروية وعقد يد قيل لعلي رضي الله عنه كيف يحاسب الله العباد في
يوم واحد قال كما يرزقهم في الدنيا في يوم واحد وناك القشيري وذكر ردهم الى نفسه وما غابوا
عن قبضته لحظة ولا خرجوا من سنيته خطرة ولا لفظة والرد الى من رباك خير من البقاء
مع من اذاك **قل من ينجيكم** هذا نوع اخر من الدالة على كمال القدرة الالهية وكمال الرحمة والفضل
والاحسان والاستفهام للتقرير والتوبيخ قرا الجمهور بالتشديد ويعقوب بالتخفيف والمعنى واحد
اي قل يا محمد لاهل مكة من يخلصكم **من ظلمات البر** كخوف الغرق والحريق واضلال الطريق
استعيرت الظلمة للشدة يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب **والبحر** كخوف الغرق
والعدو والضلال وسكون الريح وغير ذلك من الشدائد فلولا انه سبحانه المنجي فلم **تدعونه** حال
من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له كانوا اذا اسافروا في البر والبحر فضلوا
الطريق او خافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فينجيهم فذلك قوله تدعونه **تضرعا وخفية** اي علانية
وسرا يعني تدعونه اعلانا متذللين تحقيقا للعبودية واسرارا مخلصين تحقيقا له وتحقيقه
الشكر موكدا بالقسم اذ تقولون **لئن انجيتنا** يا رب **من هذه** يعني تدعونه قائلين لئن خلصتنا

من هذه

من هذه الشدائد والظلمات **لنكونن من الشاكرين** وهو معرفة النعمة مع القيام بحقها اي لنكون
من المؤمنين الموحدين شكر الله على نعمه بطاعته قرا الكوفيون انجانا بلفظ الغيبة مراعاة لقوله تدعونه
والباقون بالخطاب حكاية لخطابهم حالة الدعاء **قل الله ينجيكم منها** اي من تلك الظلمات والشدائد
يعني سلهم يا محمد من ينجيكم منها فاذا اقروا بذلك فقل هو كما قلتم الله ينجيكم من تلك الظلمات
فتهتدون الى الطريق وهو ينجيكم منها **ومن كل كرب** اي ومن كل غم سوى ذلك الشدائد والظلمات
او قبلها والكرب غاية الغم الذي ياخذ بالنفس وقرا اهل الكوفة وابو جعفر ينجيكم بالتشديد مثل
من ينجيكم وقرا الاخرون هذا بالتخفيف **ثم انتم** بعد النجاة **تشركون** بالله اي لا تخلصون حين
تخلصون ولا تشكرون بل تشركون يعني تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد حيث قلتم لئن انجيتنا الى
اخره يريد انهم يقرون ان الذي يدعونه عند الشدة هو الذي ينجيكم ثم تشركون معه الاصنام
التي قد علموا انها لا تضر ولا تنفع وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله
فكانه لم يعبده **قل** يا محمد للمؤمنين وقيل للمشركين بعد النجاة الموعود عنها بالشكر انما انزلتم لامنكم من
الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشاء الخوف وهو القدرة الالهية على انواع الشدائد من
الجهات كلها اذ **هو القادر على ان يبعث عليكم** سيما اذا ابدلتم وعد الشكر بعد النجاة بالشرك
عذابا اعظم من تلك الشدة **من فوقكم** قال الحسن وقتادة نزلت الاية في اهل الايمان وقال قوم
في المشركين كما اشرنا قوله عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم
شعيب وقوم لوط واصحاب الفيل وقوم نوح يعني الله الذي قدر على انجائكم هو قادر على اهلاككم
بانواع العذاب من فوقكم **او من تحت ارجلكم** يعني الخسف والرجفة كما فعل بقارون وفرعون
وبقوم شعيب وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم
العبيد السفلة وقال الضحاك من فوقكم اي من قبل كباركم او من تحت ارجلكم اي من اسفل منكم وقيل هما
حبس المطر والنبات **او يلبسكم** عطف على يبعث **شيعا** اي فرقا وجماعة ومعنى يلبسكم اي يخلط
امركم خلط شقاق ونفاق وخلاف لا وفاق واجتماع فيجعلكم مختلفي الاراء متحزبين على اهواء شتى
تنشب القتال بينكم قال الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
وشيعا نصب على الحال وهي جمع شيعة وهي من يتقوى بهم الانسان تخصيصه او يخلطكم فرقا ويثبت
فيكم الاهواء المختلفة **ويذيق** يطعم عطف على يبعث والاذاقة استعارة **بعضكم باس بعض** اي
يقاتل بعضكم بعضا بالسيوف المختلفة وقرئ بنون العظمة قيل الراجح لبعض الاول الكفار وبالاخر المؤمنون
ففيه وعد ووعيد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ
بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
باس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي
عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني
جبريل عليه السلام ان فناء امتي بالسيف وفي رواية اخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد
بني معاوية ركعتين فناجى ربه طويلا ثم قال سالت ربي ثلثا سالته ان لا يهلك امتي بالطاعون فاعطانيها

وسألته ان لا يهلك امتى بالسنة فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وفى رواية
دعا النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد فسأل الله ثلثا فاعطاه اثنتين ومنعه واحدة سأله ان لا يسلط
على امته عدوا من غيرهم فيظهر عليهم فاعطاه ذلك وسأله ان لا يهلكهم بالسنين فاعطاه ذلك
وسأله ان لا يجعل بأس بعضهم على بعض فمنعه ذلك والاية حجة على المعتزلة فى خلق افعال العباد
وروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بين يدى الساعة لهرجا
قلنا وما الهرج قال القتل والكذب ثلاث مرات فقلنا يا رسول الله انا نقتل الكفار فوالله انا
لنقتل فى العام الواحد كذا وكذا قال ليس بقتلكم الكفار ولكن قتل بينكم يا معشر اهل الاسلام حتى يقتل
الرجل جاره ويقتل صاحبه واخاه واباه فقلنا يا رسول الله ومعنا عقولنا وفينا كتاب ربنا قال
تذهب عقول اكثر اهل ذلك الزمان حتى يروا انهم على شئ وليسوا على شئ **انظر كيف نصرف**
الايات بالوعد والوعيد **لعلهم يفقهون** يعلمون ان ما هم عليه باطل اى كيف نردد عليهم
المختلفة من بيان الحق واجابة الدعاء والانجاء من الظلمات وتصريف الليل والنهار والامر والنهى والوعد
والوعيد من اول السورة الى ههنا ليستنبط هؤلاء المشركون منها بطلان قولهم وتناقض مذاهبهم
وقال القشيرى قد كره ويذيق بعضكم بأس بعض لا طعم اذوى من طعم الانسان ان نبت فى الولاية
والمحبة وان ثبت فى العداوة والبغضة فمن منى بالعصبية مع اشكاله تنغص عيشه فى الدنيا
ومن منى بمحبة امثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن صانه الله عن الخلق فهو المحفوظ المعافى
وكذب به بالقران وقيل بالعذاب وقيل بتصريف الايات **قومك** قريش **وهو الحق** اى والحال
انه الكتاب الصادق الكائن الثابت الذى لا شك ولا ريب فى وقوع كل ما نطق به **قل لهم لست**
عليكم بوكيل اى لست بحافظ اعمالكم حتى اجازيكم عليها بل الله يجزيكم بها قاله الحسن وقيل لست
عليكم بمسلط امنعكم جبرا ان تكفروا بل انما انا منذر والى الدعوة والتبليغ وهذا قبل الامر بالقتال وهذا
قال ابن عباس رضى الله عنهما نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل لست عليكم بوكيل
املك تصريفكم على ما اريد وانفكم عن اهوائكم كالتكذيب وغيره من المفاسد وانما انا منذر وقد
خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما هو فى الكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين **لكل نبإ** اى لكل
خبر يخبره الله تعالى **مستقر** اى وقت استقرار ووقوع يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير ومنه
عذابكم **وسوف تعلمون** عند وقوعه فى الدنيا او فى الاخرة يعنى حقيقة خبر ما كذبتم به وهى كلمة
وعيد فقيل انهم علموا ذلك يوم بدر ويجوز ان يكون بعض وعيدهم يتحقق فى الاخرة او يتحقق كله فى
وقيل اى لكل وعد ووعيد من الله وقوع واستقرار وسوف تعلمون اذا نزل وهو كقوله ولتعلمن نبأه
بعد حين وقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله وقال الحسن اى لكل عمل جزاء فمن عمل خيرا جوزى به الجنة ومن
عمل سوءا جوزى به النار وسوف تعلمون يا اهل مكة وقال بعضهم يحتمل ان يكون هذا صلة قوله قل لست
عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر اى لم اسلط على قتالكم الآن ولكل نبإ مستقر فان اغنم اموالكم واسبى
ذراريكم اذا ورد الامر بالقتال **واذا رايت** الخطاب للنبى ويريد به الامة كما سيأتى قريبا **الذين يخوضون**
فى اياتنا اى فى القران بالتكذيب والاستهزاء والطعن فيه **فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث**

غيره مما يحل قال الحسن وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير هو خوض تكذيب واستهزاء
قلت يعنى بهما القران والنبى كما قال ابن عباس امر الله رسوله اذا رأيت المشركين يكذبون بالقران ويكذبون
ويستهزؤن بذلك فاترك مجالستهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اى حتى يكون خوضهم فى غير القران
فحينئذ يجوز مجالستهم **واما ينسينك الشيطان** ان شرط وما زائدة ادغم النون فيها والنون
للتأكيد ومعناه وان ينسك الشيطان بوسوسته بعد النهى عن القعود معهم فقعدت معهم **فلا**
تقعد بعد الذكرى اى بعد تذكرك ما امرت به من ترك مجالسة الخائضين **مع القوم الظالمين**
اى مع المشركين فقم اذا ذكرت قرأ ابن عامر ينسينك بفتح النون وتشديد السين وقرأ الباقون
ينسينك بسكون النون وتخفيف السين من انساه كقوله وما انسانيه الا الشيطان وانساه الشيطان
وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية واذا رأيت الذين يخوضون فى اياتنا
فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفى رواية
قال المسلمون فانا نخاف الاثم حين نتركهم ونقوم عليهم وهم يخوضون ولا ننهاهم فانزل الله تعالى
وما على الذين يتقون اى وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم
من حسابهم من شئ اى شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم واستهزائهم **ولكن ذكرى**
اى ولكن على المتقين ان يذكروهم تذكيرا ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة
والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى النصب على المصدر اى ولكن يذكرونهم
ذكرى اى تذكيرا والرفع على انه مبتدأ حذف خبره تقديره ولكن عليهم ذكرى او عليك ذكرى
فذكرى مبتدأ وعليك خبره قال الشيخ ولما كان قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون فى اياتنا خطابا
لرسول الله والمراد به امته ردا للكلام اليهم فقيل وما على الذين يتقون الكفر والمعاصى من حساب الكفار
الخائضين شئ لكن عليهم ان يعظوهم وعظا بحسب الامكان وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال لما قدم النبى عليه السلام المدينة جعل المنافقون اذا رأوا المسلمين جلوسا اتوهم فجلسوا
معهم ثم استهزؤا برسول الله وبالقران واذوهم فنزل عليهم بالمدينة وقد نزل عليكم فى الكتاب
اى بمكة ان اذا سمعتم ايات الله اى القران يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا
فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان رضيتم بخوضهم اشارة الى هذه الاية وقوله **لعلهم يتقون**
اى لعل الخائضين يجتنبون الخوض اذا وعظتموهم حياء او كراهة لمساءتهم يعنى فرخص لهم مجالستهم
للوعظ لعلهم يمنعهم الوعظ عن الخوض او كراهة المؤمنين اياهم من الخوض فى الاستهزاء وقيل يجوز
ان يكون الضمير فى لعلهم للمتقين اى لعل المتقين يثبتون ويستمرون على تقواهم اذا نهوا المشركين عن
ذلك المنكر وقيل هذه الاية متصلة بقوله وهو اسرع الحاسبين وما على المتقين حساب ولكن ذكرهم الله
الحساب ليتقوا المعاصى **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا** يتصل بقوله ولكن ذكرى
وبين ان التذكير والوعظ يجب ان يكون بالقران وهو كقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله
وذر اى اترك محاجة هؤلاء بايراد الحجج عليهم لانها انما تنفع لمن تدبر وتفكر وطلب الحق بدلائله
وهؤلاء الخائضون اتخذوا دينهم عبثا لا يقصدون طلب الحق ولا يطلبون دلائله ولا يفكرون فى معاده

ولا جزاء والحساب وقال الشيخ ويحتمل التقديم والتاخير اى وذر الذين اتخذوا اللهو واللعب لهم دينا حتى
لا يفارقوا ذلك كالدين الذى يتخذ للابد ويحتمل اتخذوا دينهم ما هويته انفسهم ودعتهم
اليه الشياطين ومن فعل ذلك فهو عابث لاعب وانما اضاف اليهم الدين ولم يكن للمشركين دين
لانهم اتخذوا الدين الحق شيئا من جنس اللعب واللهو وهو عبادة الاصنام او لانهم اتخذوا دين
الاسلام الذى هو دينهم الذى كلفوا به لعبا ولهوا حيث يسخرون به وقيل اراد بالدين العيد الذى
يعاد اليه كل حين مخصوص بالوجه الذى شرعه الله كعيد المسلمين فان عيدهم بالصلوة والصدقة
والتكبير او بالوجه الذى اعتادوه من اللعب واللهو كاعياد الكفرة من المشركين وغيرهم تخصيص
المعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ولذا قيل يجوز ان يكون تحذيرا وتهديدا لهم كقوله
تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وكقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن
حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم نسخه باية السيف وغرتهم الحيوة الدنيا اى لذاتها
حتى انكروا البعث يعنى اوهمتهم الشياطين وخيلت لهم ان ما اعطوا فيها من رياسة على الضعفة و
وسع لهم فيها من الرزق واطيل لهم فى البسطة انما هو لكرامتهم على الله قال الشيخ يعنى فلا تتعرض لهم وهذا
قبل الامر بالقتال كما اشرنا وذكر به اى عظ بالقران وبين لذات البينات لمن اراد الميل اليها والحاقها بانه
سبب ان تبسل اى تسلم الى الهلاك نفس بما كسبت هذا الغرور عن انكار الاخرة فصارت ليس لها
من دون الله اى غير الله ولى ناصر يقربها منه ولا شفيع يمنع عنها العذاب توضيحه عظ بالقران
ان تبسل نفس بما كسبت يعنى مخافة ان تمنع من النجاة وتسلم الى الهلكة والعذاب بسبب كسبها وترهن
بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع لان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو المخصوص الخروج منه ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه بقوته وهذا بسل عليك
اى حرام قال الاستاذ وعظ بالقران ان تبسل اى ان لا تبسل اى لا تسلم نفسك للهلاك بما كسبت قاله
مجاهد وعكرمة والسدى وقال ابن عباس ان تبسل اى تهلك وقال قتادة معناه ان تحبس وقال الضحاك
تحرق وقال ابن زيد تؤخذ ومعناه ذكرهم ليؤمنوا لئلا تهلك نفس بما كسبت وقال الاخفش تبسل تجازى
وقيل تفضح وقال الفراء ترتهن والبسل نعت لكل تشديد ينفى ويترك وان تعدل كل عدل اى
وان تفد تلك النفس المغرورة بالحياة الدنيا لخلاصها من عذاب الله كل فداء اى كل نوع من انواع الفدا
لا يؤخذ منها اى لا يقبل من تلك النفس والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء اى انه
مصدر مؤكد اولئك اى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وهو اسم الاشارة مبتدء وخبره الذين
ابسلوا اى اهلكوا واسلموا الى العذاب بما كسبوا اى بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزايغة
بيانه مرة اخرى يعنى اولئك الخائضون الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى اهلكوا واسلموا للهلكة
وحبسوا وفضحوا بما كسبوا من الشرك والخوض فى الباطل والمعاصى لهم خبر ثان لاولئك شراب من
حميم يعنى اولئك المبسلون ثابت لهم شراب من ماء حار شديد السخونة يتجرجر فى بطونهم يعنى
يصهر به ما فى بطونهم ويقطع امعاءهم جزاء على الاشربة المحرمة وعذاب اليم وجيع مؤلم
يعنى نار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم وفى التيسير وقيل لهم شراب من حميم بما

شربوا من الشهوات وعذاب اليم بما تناولوا من الشهوات قال الكلبى ونزلت فى عبد الرحمن
ابن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما وقد دعا اباه الى عبادة الاوثان قبل اسلامه قوله تعالى قل
يا محمد نيابة عن الصديق لما بينهما من الاتصال والاتحاد ما لا يخفى اندعوا اى انعبد من
دون الله الضار النافع ما اى اصناما لا ينفعنا اى لا يقدرون على نفعنا ان دعوناهم
وعبدناهم ولا يضرنا ان تركناهم وعصيناهم يعنى انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع
الكمالات الالهية التى من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر عليهما وادنى مراتب المعبودية القدرة
على ذلك ونرد عطف على ندعو داخل فى الانكار والنفى على اعقابنا اى نرد راجعين الى الشرك وهو
حال من ضمير نرد بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام يعنى فلا يكون ذلك الرد على
الاعقاب كالذى استهوته اى لا يكون مثلنا كمثل الذى استغوته واضلته واستمالته عن
الطريق الواضح الشياطين الكاف فى محل النصب على انه حال من فاعل نرد اى نرد على اعقابنا مشبهين
بالضال الذى ذهبت به مردة الجن والغيلان فى الارض اى فى المفازة البعيدة والمهالك او على
انه نعت لمصدر محذوف اى نرد ردا مثل رد الذى استهوته الجن حيران اى متحيرا ضالا عن
الطريق المستقيم لا يدرى الى اين يذهب كالسكران له اى لهذا المستهوى اصحاب رفقة صفة
لحيران يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب يعنى لهذا الرجل المستهوى اصحاب مشفقون به
يريدون له الخير يدعونه يعنى هذا الرجل المستهوى الى الصراط المستقيم وقال السلطان اى الى ان
يهدوه الطريق المستقيم او يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى مبالغة وقرا الجمهور استهوته
بتاء التانيث وحمزة استهواه بالف ممالة اى يقولون للمستهوى ليهدوه الطريق ائتنا اى دع طريق
الضلالة وعد الينا هذا مثل ضربه الله عز وجل لمن يدعو الى الالهة ولمن يدعو الى الله تعالى كمثل رجل فى
رفقة ضل به الغول عن الطريق يدعوه اصحابه من اهل الرفقة هلم الى الطريق ويدعوه الغول فيبقى
حيران لا يدرى اين يذهب فان اجاب الغول انطلق به الى الهلكة وان اجاب من يدعوه الى الطريق اهتدى
قل ان هدى الله الذى هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال كقوله
تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وتكرير الامر بالقول للاعتناء
بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان
اختصاص الهدى بهدى الله تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا اى وقل امرنا
لانه عطف على ان هدى الله واللام فى لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد
به من الاوامر الثلاثة اى الاسلام واقامة الصلاة والتقوى يعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل
الاسلام لا لغرض اخر وقيل اللام زائدة على حذف الباء وقيل هى بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم وان
اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم على الوجوه الثلثة اى امرنا بذلك لنسلم ولنقيم الصلوة
ولنتقى قال الشيخ اى تذللوا له سبحانه بالعبادة واتقوه فلا تخالفوا امره ونهيه بالمعصية ثم اعلم
انه تعالى لما بين اولا ان الهدى النافع هو هدى الله اردف ذلك الكلام الكلى بذكر اشرف اقسامه
على الترتيب وهو الاسلام الذى هو رئيس الطاعات الروحانية والصلاة التى هى رئيسة الطاعات

الجسمانية والتقوى التي هي رئيسة باب التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغي ثم بين منافع هذه
الاعمال ونتيجتها فقال وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة للحساب والجزاء يعني ان منافع هذه
الاعمال انما تظهر حين تجمعون في الموقف للحساب ثم انه تعالى لما بين في الايات المتقدمة فساد طريق
عبادة الاصنام ذكر بعدها ما يدل على انه سبحانه مباين عن خلقه ولا معبود الا هو فقال وهو
الذي خلق السموات والارض وما بينهما وما فوقهما وما تحتهما واياتهما بالحق اي قائما بالحق
والحكمة او للحق ولم يخلقها باطلا وقيل لمنافع العباد او اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته
فالباء بمعنى اللام او محقا او ملتبسا بالحق او خلقا ملتبسا به واذكر يوم يقول للحشر او للشيء
كن فيكون قيل راجع الى خلق السموات والارض والخلق بمعنى القضاء والتقدير كل شيء قضاه قال له
كن فيكون وقيل يرجع الى يوم القيمة يدل على سرعة امر البعث والساعة كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا
فيموتون وقوموا فيقومون قوله الحق اي الصدق الواقع لا محالة يريد ان ما وعده كائن وله
الملك كما قال والامر يومئذ لله والامر لله في كل وقت وحين ولكن لا امر في ذلك اليوم لاحد مع امر الله
قال الشيخ قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم
الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى قوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك
الشيء اي فيوجد ذلك الشيء فيكون برهانا على ذلك وهو الذي خلق السموات والارض بالحق لدخول
كينونتهما تحت هذا العموم وفي قوله يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه
بالحق وقوله الحق مبتدأ او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون قال الاستاد
قوله ويوم يقول كن فيكون متصل بقوله وان اقيموا الصلوة واتقوه يوم وهذا ابتداء واضمر فيه واحذروا
يوم يقول لذلك اليوم كن فيكون اي يكونه سريعا وعلى هذا تم هذا ثم قوله تعالى قوله الحق مبتدأ وخبر
وقوله وله الملك كذلك وهما كلامان تامان مطلقان وقيل هذا يتصل بالاول ويوم يقول كن فيكون اي يوم
يكون قوله الحق اي قوله الصدق ويقع حكمه الفصل وله الملك يومئذ كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
انتهى يوم ينفخ في الصور فيه وجوه احدها انه بدل من يوم يقول فيكون حكمه حكم ذلك
والثاني انه ظرف لتحشرون اي اليه تحشرون في يوم ينفخ في الصور والثالث انه منصوب بنفس الملك
اي وله الملك في ذلك اليوم ثم اختلفوا في معنى الصور فقال جماعة ومنهم ابو عبيدة والحسن الصور هو الصور
جمع صورة وهذا ليس جمعا صناعيا وانما هو اسم جنس اذ يفرق بينه وبين واحده بتاء التانيث والمعنى
نفخ الارواح في الصور وهو قول غير صحيح وقال جماعة الصور هو القرن قال مجاهد كهيئة البوق
وايد ذلك وصححوه بما ورد في الاحاديث الصحيحة قال عبد الله بن عمرو بن العاص جاء اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ما الصور فقال قرن ينفخ فيه وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف انعم وصاحب
الصور قد التقم الصور واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يومر بالنفخة فقالوا يا رسول الله وما تامرنا
قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وجاء في حديث انه قرن استدارته كاستدارة السموات والارض فيه
ثقب بعدد انفاس جميع الخلائق انسها وجنها وغيرها فتنفخ النفخة الاولى فيصعق من في السموات
ومن في الارض ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وعن الكلبي لا ادري معنى الصور قال السيوطي في

يعني

يعني يوم ينفخ في الصور القرن النفخة الثانية من اسرافيل لا ملك فيه لغيره ان الملك اليوم لله عالم
الغيب والشهادة يعني يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه لا يغيب عن علمه شيء وهو
خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم الغيب والشهادة او رفع على المدح وهو الحكيم اي المصيب في
اقواله وافعاله من الاماتة والاحياء والايجاد والافناء وغير ذلك الخبير بواطن الاشياء واحوالها
كظاهرها بلا فرق قوله عالم الغيب متصل بقوله وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ثم اخبر عن ضلال
الجهال فقال واذ قال ابرهيم لابيه ازر قال محي السنة قرا يعقوب ازر بالرفع يعني يا ازر
والقراءة المعروفة بالنصب وهو اسم اعجمي لا ينصرف فينصب في موضع الخفض قال محمد بن اسحق والضحاك والكلبي
ازر اسم ابي ابراهيم وهو تارح ايضا مثل اسرائيل ويعقوب وكان من كوثا قرية من سواد الكوفة وقال
مقاتل بن حيان وغيره ازر لقب لابي ابراهيم واسمه تارخ وقال سليمان التيمي هو سب وعيب ومعناه
في كلامهم المعوج وقيل معناه الشيخ الهرم بالفارسية وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم فعلى
هذا يكون في محل النصب تقديره اتخذ ازر الها انتهى بحروفه وقال السلطان ازر عطف بيان لابيه
وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وازر وصف
ومعناه الشيخ او المعوج ولعله منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر
والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كغابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزومه عبادته او
اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد ازر
ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه ان قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انتهى بحروفه وقال بعضهم اي
اذكر لهؤلاء المعاندين لي برهيم قصة ابرهيم وهو اب العرب وهم اولى الناس بالاقتداء به لانهم
ذريته وبه مفاخرهم اذ قال ابرهيم لابيه ازر منكرا عليه ومتعجبا منه قال وهب هو ابراهيم
ابن تارح بن ناحور بن اشرع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح
وفي التورية تارح مكان اشرع انتهى وفي التبصرة اذ قال ابراهيم الذي يزعمون انهم على دينه ويفتخرون
به لابيه منكرا عليه وهم ينكرون انكارك على ابائك ولا ينكرون عليه الملقب ازر ومعناه المعوج
او المخطي واسمه تارح انتهى وفي المدارك ازر هو اسم ابي ابراهيم او لقبه لانه لا خلاف بين
النسابين ان اسم ابيه تارح وهو عطف بيان لابيه ووزنه فاعل وقال السيوطي في تفسيره يعني
الجلالين ازر هو لقبه واسمه تارح وفي العقل السليم واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي عليه السلام معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر بعد ما
انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من
شئونه تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه ازر على عبادة الاصنام
فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة لان المبالغة في ايجاب ذكرها انتهى وفي تفسير الواعظ ازر ابوه ثم قال وفي كتب التواريخ
اسمه تارح ولقبه ازر ومعناه الشيخ الفاني انتهى ترجمته ثم اني رايت في تفسير الاستاد ما يشفي به

العليل فقال فيه واذ قال ابراهيم اذ منصوب بفعل محذوف وهو معطوف على قل اندعوا من دون الله
اى واذكر للكفار بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله
وقت قول ابراهيم الذى هو رسول يعترف بفضله جميع الطوائف والملل والمشركون كانوا معترفين بفضله مفتخرين
بانهم من اولاده فلهذا السبب ذكر الله تعالى حاله فى معرض الاحتجاج والسبب فى خصوص هذه المرتبة لابراهيم
على نبينا وعليه السلام انه سلم قلبه للعرفان بقوله اسلمت لرب العالمين ولسانه للبرهان لمناظرته
مع نمرود وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع
فى الوقت من الحوادث مع انها المقصودة للمبالغة فى ايجاب ذكرها قوله لابيه آزر بالرفع لبعقوب اى
يا آزر والباقون بالنصب على انه جر بالفتحة لانه عطف بيان لابيه فظاهر الاية يدل على ان اسم والد
ابراهيم عليه السلام آزر ومنهم من قال ان اسمه تارح بالحاء المهملة قال الزجاج لا خلاف بين النسابين
ان اسمه تارح ومن الملاحدة من طعن فى هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع المفسرين النسابين
لا عبرة به لان ذلك ينتهى الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب وغيرهما ولان اجماع النسابين
لا عبرة به فى مقابلة صريح القران ولو سلم ان اسمه كان تارح فهو لا يمنع ان يسمى بآزر ايضا لانه يسمى
شخص واحد باسمين مختلفين كاسرائيل ويعقوب فيحتمل ان يكون اسمه الاصلى آزر وكان تارح لقبا
له فاشتهر هذا اللقب وخفى الاسم فالله تعالى ذكره باسمه الاصلى ويحتمل ان يكون بالعكس ويجوز ان لا يكون
آزر اسما له بل يكون لفظا دالا على صفة الذم كالمخطئ والضال والمعوج فيكون منصوبا على الذم او على انه
الالف واللام قالهما الزجاج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه كآدم والاقرب انه علم اعجمى على فاعل
كعابر وشالخ لانه هو الظاهر واعتبار معنى الوصفية لا دليل عليه يعتد به وقيل انه بمعنى الشيخ
الهرم بلغة وهذا عند من يجوز اشتمال القران على الفاظ قليلة من غير لغة العرب وقيل ان آزر اسم
صنم ويجوز ان يلقب به للزومه عبادته واريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر وقال بعض المفسرين ان والد ابراهيم كان تارح وكان
آزر عما له والعم قد يكون الغم منه ولم خال عن الخيرات خالى قال فى القاموس آزر اسم عم ابراهيم
واما ابوه فانه تارح انتهى وقال الجلال السيوطى الامام المجتهد فى رسالة الدرج المنيفة فى الاباء الشريفة
روينا بالاسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر بابا ابراهيم انما هو
ابراهيم بن تارح ووقفت على اثر فى تفسير صرح فيه بانه عمه ولا يخفى ان العم قد يطلق عليه اسم
الاب الا ترى ان يعقوب لما قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسماعيل واسحاق الها واحدا سموا اسماعيل بكونه ابا ليعقوب مع انه كان عما له وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ردوا على ابى العباس فسماه ابا مع انه كان عمه قال فى اللباب ويحتمل ان يكون آزر كالاب والد
وقد يقال له الاب قال الله تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية
ابراهيم مع ان ابراهيم كان جد عيسى من قبل الام وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق الحسن ان ابنى هذا
لح فثبت بهذه الوجوه ان آزر ما كان والد ابراهيم انتهى ما ذكره الاستاد رحمه الله ثم ان ابراهيم احتج
على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منكرا على آزر وقومه **اتتخذ اصناما آلهة** تعبدها دون الله

استفهام

استفهام توبيخ يعنى تعبد صورا مصنوعة كصور لعب الصبيان المسماة باسماء الملوك والوزراء والمشايخ
يعنى اتجعل الاصنام معبودة لك تعتقدها آلهة اتى بصيغة الجمع مبالغة فى تجهيله حيث لم يرض باله اخر
من دون الله وليس هذا القول منه بطريق الهزل بل **انى اراك وقومك** باتخاذ الاصنام آلهة **فى ضلال**
عن الحق **مبين** بين لان ما لا يسمع ولا يبصر بينه وبين الالوهية بون بعيد **وكذلك نرى ابراهيم**
ملكوت السموات والارض ليستدل به على وحدانيتنا قيل اى كما اريناه ضلال آزر وقومه
حتى قال انى اراك وقومك فى ضلال مبين اريناه ملكوت السموات والارض ونرى مستقبل بمعنى الماضى
كما فى قوله واذ تقول للذى انعم الله عليه اى واذ قلت وقيل اى وكما اريناك يا محمد ملكوت السموات
والارض والايات كذلك ارينا ابراهيم والملكوت بمعنى الملك وهو السلطان وتقديره ملكوتنا فى
السموات والارض قال ابن عباس رضى الله عنهما خرج بابراهيم الى السماء فراى عبدا على فاحشة فدعا
عليه فاهلكه ثم راى عبدا اخر على فاحشة فدعا الله فقال الله يا ابراهيم كف دعوتك عن عبادى
فان عبدى بين خلال ثلاث اما ان اخرج منه ذرية طيبة او يتوب فاغفر له او النار من ورائه او ما
علمت ان من اسمائى الحليم وقال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر الى ما فيهن حتى انتهى نظره
الى ما فيهن حتى انتهى نظره الى العرش وفرجت الارضون السبع حتى نظر الى ما فيهن قال الضحاك
اقيم على صخرة وفتحت له السموات فنظر الى ملك الله فى السموات حتى نظر الى مكانه فى الجنة وفتحت له الارض
حتى نظر الى اسفل الارضين فذلك قوله تعالى وآتيناه اجره فى الدنيا اى ارى مكانه فى الجنة وقال قتادة
اراه الله تعالى ملكوت السموات والارض ملكوت السموات الشمس والقمر والكواكب وملكوت الارض الاشجار
والبحار وقيل نظر فى المصنوعات فراى بما فيها من الدلالة على الله والشهادة له بالحكمة والتعالى عن الاضداد
والانداد وابطال ان يعدل به شئ سواه وقال الاستاد فى تفسيره فى قوله ونرى ابراهيم الاخو اى
نرى ابراهيم اراءة كاينة مثل تلك الاراءة وهذه الاراءة من رؤية البصر لكنه استعيرت للمعرفة ونظر
البصيرة يعنى كما وفقنا الاطلاعه على ضلال قومه شرحنا صدره بالمعارف لان الملكوت بمعنى السلطنة
والربوبية والالهية ليست مما يبصر اى عرفناه وابصرناه قوله وكذلك اى مثل ذلك التبصير من قبح
عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نبصر ابراهيم ملكوت السموات والارض اى ربوبيته وملكوتيته
لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى تبصيرا اخر ادقيته
والملكوت مصدر على فعلوت بمعنى الملك وبنى على هذه الزنة للمبالغة كالرهبوت من الرهبة والجبروت
ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر وقال الراغب الملكوت مختص بملك الله لا يستعمل فى غيره تعالى
وهذا هو الاظهر وقال ابو حيان ومن كلامهم ملكوت اليمن وملكوت العراق فعلى هذا التخصيص
وقيل ملكوتهما عجايبهما وبدايعهما يعنى كشف له عن السموات والارض حتى راى العرش واسفل الارضين
ونظر الى مكانه فى الجنة ثم انه وان كان يقتضى هذه الرؤية ان يكون بصرية لكن المراد اطلاعه
على حقايق السموات والارض والعرش واسفل الارضين كما هى قرا الجمهور نرى بنون العظمة وقرئ
ترى بالتاء ورفع الملكوت باسناد الفعل اليه اى تبصره عليه السلام دلايل الربوبية انتهى ما ذكره
الاستاد **وليكون من الموقنين** عطف على المعنى معناه نريه ملكوت السموات والارض ليستدل بها

على وحدانية الله تعالى وليكون من الموقنين اى ليكون من زمرة الراسخين فى الايقان البالغين درجة
عين اليقين من معرفة الله تعالى واليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التامل
ولهذا المعنى لا يوصف علم الله تعالى بكونه يقينا لان علمه غير مسبوق بالشبهة وغير مستفاد من الفكر والتامل
قال الامام ثم ليس هذا دلالة الشك فى الابتداء او الجهل المحال لكن لبيان ابتناع العلم له ابتداء بهذه الدلايل كقوله
رفع السموات بغير عمد ترونها ليس هذا رفعا عن وضع وقوله يخرجكم من الظلمات الى النور ليس هذا اخراجا
عن ادخال وقوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون ليس هذا تركا بعد شروع بل هذا كله اثبات ابتداء
فكذلك هينا فلما جن عليه الليل اى اظلم عطف على قوله واذ قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نرى
ابراهيم الى قوله ليكون من الموقنين جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه راى كوكبا اى
زهرة والمشترى وكان آزر وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم
على الخطا فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان
شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها وان لها محدثا احدثها ومدبرا دبرها طلوعها وافولها وانتقالها
ومسيرها وسائر احوالها فلما راى الكوكب الذى كانوا يعبدونه قال ابراهيم هذا ربى اى قال
لهم هذا ربى فى زعمكم او المراد هذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكتفى عن حروف الاستفهام
بنغمة الصوت تقديره اهذا والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكى قوله
كما هو غير متعصب لمذهبه لانه ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم نكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة
فلما افل اى غاب ذلك الكوكب قال لا احب الافلين اى لا احب عبادة الارباب المتغيرين
من حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام فلما راى القمر بازغا يقال بزغ الربيع جاء اوله
اى مبتديا فى الطلوع اثر غروب ذلك الكوكب قال هذا ربى على الاسلوب السابق يعنى قال ربى
موافقة للخصم والتنزل معه ليقطعه بالحجة لا معتقدا له فان قيل كيف يقول للقمر هذا ربى فلما افل
كانه غاب عن نظره او لم يكن حين رآه فى ابتداء الطلوع بل كان فى وراء الجبل ثم طلع منه او فى جانب آخر
لا يراه او كان الجبل فى ناحية الغرب والافلا احتمال لان يطلع القمر بعد افول الكواكب ثم يغرب قبل طلوع
الشمس قال لئن لم يهدنى ربى اى يثبتنى على الهدى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه
واظهر ان هدايته من الله تعالى وانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الهه فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ
وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع اختفاء واحتجاب فلما راى
الشمس بازغة اى مبتديا فى الطلوع قال على النهج السابق هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير
الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث ولهذا قالوا فى صفات الله علام ولم يقولوا علامة وان
الثانى ابلغ تباعدا عن علامة التانيث هذا اى الشمس اكبر من الكوكب والقمر جرما ونورا فكان
اولى بالالوهية فى زعمكم لكبرها استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت الشمس كافول الكوكب
والقمر وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا قال مخاطبا للكل يا قوم انى برىء مما تشركون من الاجرام
المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بوقت وتخصص او من اشراككم وقيل هذا

كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله تعالى والاول اظهر لقوله يا قوم انى برىء مما تشركون والمراد
بالاول قوله هذا ربى على سبيل التسليم للخصم صورة لا على سبيل الاخبار عن معتقده لان قوله عليه السلام
لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين يدل على انه عليه السلام كان عارفا بان له ربا يستحق العبادة
ومنه الهداية وان قومه على الضلال ويشعر بان محاجته كانت مع منكر مبالغ فى الانكار حيث احتيج
الى القسم فان اللام فى قوله لئن لم يهدنى موطئة للقسم وفى لاكونن جواب القسم ومما يدل على انه عليه السلام
كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة بالدليل انه تعالى اخبر عنه انه قال لابيه قبل هذه الواقعة اتتخذ اصناما
آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين ومما يدل عليه ايضا انه تعالى قال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين اى ليكون بسبب تلك الادلة من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل
والفاء تقتضى التعقيب فدلت على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين
بربه ومما يدل عليه ايضا انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على
نفسه ومما يدل عليه ايضا انه دعا آزر الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالرفق حيث قال لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ومما يدل عليه ايضا قوله تعالى فى صفته اذ جاء ربه بقلب سليم وقال ولقد آتينا
ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ونظيره قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته فثبت بمجموع ما ذكرنا من الادلة
ان المقصود مما حكاه الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام هو الزام القوم وارشادهم الى الحق وانه عليه السلام
كان كاملا مكملا ومن كان منصبه فى الدين كذلك وعلمه بالله كذلك كيف يليق به ان يعتقد الهية الكواكب
فالانبياء والرسل عليهم السلام بريئون عن مثل هذا قبل النبوة وبعدها واعلم ان العلماء ذكروا فى منشاء
غلط من يعبد الكواكب وجوها كثيرة الاول ان الناس راوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات
احوال الكواكب فان قرب الشمس وبعدها من سمت الراس يحدث الفصول الاربعة وبسبب تلك الفصول تحدث
الاحوال المختلفة فى هذا العالم والذين رصدوا احوال ساير الكواكب زعموا ان ما وقع من السعادات والنحوسات
فى هذا العالم منوط بالاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا فى تعظيمها وعبدوها
قوله فليت شعرى للقائل بتاثير كل شىء من وجه دون وجه كيف يكون مع عابد الكواكب والاصنام فى درجة واحدة
او من جعل لله وخلقه شيئا واحدا كيف يثبت لنفسه التوحيد اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ومن الضلالة
بعد الهداية ثم ان عبدة الكواكب فريقان منهم من يقول انه تعالى خلق هذه الكواكب وهى المدبرات لهذا العالم بالاذن
قالوا فيجب علينا ان نعبدها ثم ان هذه الكواكب تعبد الله وتطيعه فهؤلاء اثبتوا الوسايط بين الاله الاكبر وبين
هذا العالم ثانيا ومنهم قوم غلاة ينكرون الصانع ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود
لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهى المدبرات لاحوال هذا العالم الاسفل وهؤلاء الدهرية ثم ان كل
واحد من الفريقين اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها ثم لما راوا ان هذه الكواكب قد تغيب عن الابصار فى
اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوبة الى الشمس وهى الياقوت والالماس واتخذوا صنم
القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها والوجه الثانى منشاء غلط
عبدة الاصنام ما ذكر من ان اهل الصين والهند كانوا يثبتون الاله والملئكة الا انهم كانوا يعتقدون
انه تعالى جسم ذو صورة كاحسن ما يكون من الصور والملئكة ايضا ذوو صور حسنة الا انهم كلهم محتجبون

عنا بالسموات فلاجرم اتخذوا تماثيل حسنة الرواء والهياكل انيقة المنظر فيتخذون صورة في غاية الحسن
ويقولون انها هيكل الاله وصور اخرى دون الصورة الاولى ويجعلونها على صور الملائكة ثم يواظبون على عبادتها
قاصدين بتلك العبادة التقرب الى الله تعالى من الملائكة والوجه الثالث ان القوم يعتقدون ان الله فوض
تدبير كل قسم من اقسام العالم الى روح سماوي بعينه فيقولون مدبر البحار ملك ومدبر الجبال ملك اخر ومدبر
الغيوم والامطار ملك ومدبر الارزاق ملك ومدبر الحروب والمقاتلات ملك اخر فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا لكل
واحد من اولئك صنما مخصوصا وهيكلا معينا ويطلبون من كل صنم ما يليق بذلك الروح الفلكي من الاثار
والتدبيرات وذكر وجوها اخرى في منشأ غلطهم كلها باطل والحق ان الله تعالى واحد لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قاتلهم الله انى يؤفكون
ولنرجع الى ما ذكر المفسرون في احوال سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال الامام ونحن
نتبرأ الى الله ان نجعله رجلا بالغا جرى عليه القلم والتكليف وهو عند الله بمكان كان بهذه الغفلة حتى يتوهم
ذلك في نجم او قمر او شمس مع ما يرى فيها الظهور بعد ان لم تكن والافول بعد الطلوع ثم اثار التسخير والعجز
ثم يتوهم ذلك مع ما قال الله في حقه اذ جاء ربه بقلب سليم الى اخر ما ذكر من دلايل كماله وها نذكر ما قال ابن
عباس في قصته وهي انه عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح وكان
جبارا وله كهان يخبرونه بما يكون في الارض فقالوا له انه يولد في هذه السنة غلام يفسد الهة الارض
ويدعو الناس الى غير دينهم ويكون هلاك ملكك على يديه وقيل انهم وجدوا في كتب الانبياء وقيل قال
المنجمة ذلك وقيل ان نمرود راى ذلك في المنام فقالوا له ذلك وقال الامر في هذا ان يعزل الرجال عن النساء و
تنظر كل حبلى في مملكتي فاذا ولدت غلاما قتل واذا ولدت جارية تركت الى ان تمضي هذه السنة التي فلم
تجد نعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا طهرت امراة حيل بينها وبين زوجها الى ان
تحيض فرجع آزر الى امراته فوجدها قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت فقال الكهان ان
الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه الليلة فقال نمرود كل امراة قد استبان حملها فخلوا سبيلها واحبسوا
اللواتي لم يستبن حملهن وكل من ولدت غلاما فاقتلوه فلما دنت ولادة ابراهيم واخذها الطلق خرجت
هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء
ورجعت واخبرت زوجها بانها ولدت وانه في موضع كذا فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له
سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه فاذا
وقمطته حتى شب فاذا رجعت من عنده نص لها امه وقال ابو روق كلما دخلت ام ابراهيم عليه
وجدته يمص اصابعه فقالت ذات يوم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع
لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وفي حديث السدي لما عظم بطنها وخشيت عليه
انطلق بها آزر الى ارض بين الكوفة والبصرة فانزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها فولدت
ابراهيم في ذلك السرب وشب وكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وفي حديث محمد بن محمد بن اسحاق
لما بلغ ابراهيم خمسة عشر شهرا قال لامه اخرجيني انظر فاخرجته عشاء وذكر حديث روية الكوكب
والقمر والشمس وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال لامه ذات يوم من ربي قالت انا قال فمن ربك

قالت

قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فاخبرته بذلك فاتاه ابوه
فقال لابيه من ربي قال امك قال فمن ربها قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه
لطمة وقال مقاتل انطلق آزر بابراهيم حين غابت الشمس فنظر الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه
قال ابل وخيل وغنم فقال في نفسه ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق وطلع المشتري وكان تلك الليلة
اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فلم يمكث ان سقط الكوكب فلما افل قال لا احب الافلين يقول
لا احب ربا يغيب ثم طلع القمر فراه اعظم واضوء من الكوكب فقال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي
لاكونن من القوم الضالين واصبح وطلعت الشمس فراها اعظم واضوء من القمر فقال هذا ربي هذا اكبر
فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون فنودي ان اسلم لرب العالمين فاسلم وكان لا يرى شيئا الا قال
ما لهذا بد من ان يكون له رب واخذ في طعن الهتهم وجعل ابوه يزينها له فلا يزداد لها الا بغضا ومنها
بعدا وقال الامام روي في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجى في السرب ولم يكن نظر الى شيء من
خلق السماء فنظر عن باب السرب في اول الليل فرأى الزهرة بضوئها وتلالؤها وكان في علمه ان له
ربا وانه يرى فلم ير اضوء منها ولا انور فقال هذا ربي فلما افل علم ان الرب دائم لا يزول فقال لا احب
هذا اي ليس هذا برب لان الرب لا يقهر وسلطانه لا يزول قال محي السنة في قوله هذا ربي فاجراهم
بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله واتاه رشده فلم يضره
ذلك في حال الاستدلال وايضا كان ذلك في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا وانكر الاخرون هذا
القول وقالوا لا يجوز ان يكون لله رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله موحد وبه عارف ومن كل معبود
سواه بريء فكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال اذ جاء ربه بقلب
سليم اقول وقد سمعت ما ذكرنا لكمال انه عليه السلام من الدلايل على عصمته في صغره وكبره ثم لما تبرا ابراهيم عليه السلام
عن الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص به توجه الى موجدها
ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت اي قصدت بوجهي وبوجه قلبي وروحي
وبطاعتي وعبادتي يعني اخلصت ديني وسلمت نفسي للذي اي لرضاء من فطر السموات والارض
اي خلقهما جميعا مبتدئا خلقهما حنيفا مخلصا جعلت ديني دين الله فليس لي ذات ووجه اتصف به الا دين
ربي ووجهه فتح ياء وجهي نافع وابن عامر وحفص عن عاصم والباقون اسكنوها حنيفا حال من فاعل
وجهت اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقايد الزايغة كلها وما انا من المشركين بالله شيئا من خلقه
وقال القشيري قدس سره اني وجهت وجهي اي افردت قصدي لله وطهرت عقدي من غير الله وحفظت
عهدي في الله لله • وخلصت وجدي بالله • فانا لله • وبالله • بل محو في الله • فالله الله • وحاجه
قومه اي خاصموا ابراهيم نوحه في التوحيد وجادلوه وخوفوه بالهتهم ان تصيبه بسوء ان تركها ونفى عنها
في مغالبته في امر التوحيد ونفي الشركاء كما قال مشركو العرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل الالهة الها واحدا ان
هذا لشيء عجاب او بان قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قال استيناف وقع جوابا
عن سوال نشا من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام حين حاجه قومه قال منكرا لما
اجترؤا عليه اتحاجوني اي اتجادلونني في الله اي في توحيده بالباطل قرا نافع وابن عامر بتخفيف النون

والباقون بتشديدها وقد هدان ربي الى وحدانيته ومن هداه الله لا يصير مغلوبا بل يكون
غالبا فلست اخاف للمتكلم التي تشركونها بالله لانها لا تضر ولا تنفع وهذه الجملة حال من فاعل اتحاجوني
او مفعوله ولا اخاف ما تشركون به اي بالله من الاصنام ان تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء يعني
لا اخاف معبودا انكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا اي في حال مشيئة ربي
شيئا ان يصيبني من جهتها بضر فيكون لانه القادر على ان يجعل في معبود انكم شيئا ذا ضر لا الاصنام وسع
ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي
مكروه من جهتها حاصله فلا تصيب عبدا شيء من ضر او نفع الا بعلمه يعني انه عليم بما كان وبما يكون وما
هو كائن فلا يفعل الا الخير والصلاح والحكمة افلا تتذكرون اي افلا تتعظون بهذه الحجج القاطعة امر الله في
لا اله غيره وانه الضار النافع وانه تولى اصلاح شاني بذلك وهو تقرير وتوبيخ ولا محل لهذه الجملة من الاعراب
لاستينافها اي اليس لكم تذكر وتامل وتفكر في احوال اصنامكم فتعلمون انها جماد لا تستحق العبادة ثم
تعجب من جهلهم بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تاثير له قال ابن عباس رضي الله عنهما خاصة في
وخوفوه باصنامهم فقال وكيف اخاف من ضرر ما اشركتم بالله اي من ضرر اصنامكم ولا يا تي منها ضرر
ولا نفع اي ما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ومعنى
كيف هنا الاستبعاد ولا تخافون انتم يا عابد الاحجار من الله انكم اشركتم بالله اي بالمعبود الذي
بيده الضر والنفع لا انا ما اصنام ما لم ينزل به اي باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا
اي باشراك الله يعني بالاصنام عليكم سلطانا اي حجة وبرهانا وعذرا لكم في كتاب الله باشراك
اصنامكم بالله وهذا على طريقة التهكم فان اقامة الحجة والبرهان في كتاب الله على الشرك ممتنع واتى
بكلمة ما في قوله ما اشركتم وفي قوله ما لم ينزل لانهم غير عقلاء اذ هي جمادات واحجار واخشاب كانوا
ينحتونها ويعبدونها واما قول السيوطي في الجلالين بعد قوله سلطانا اي حجة وبرهانا وهو القادر
على كل شيء فهم منه عدم الامتناع تامل وكذلك قال البغوي بعد قوله تعالى سلطانا اي حجة وبرهانا وهو
القاهر القادر على كل شيء وفي المدارك بعد قوله سلطانا اي حجة اذ الاشراك لا يكون عليه حجة وفي
غاية الاماني بعد قوله سلطانا اي دليلا قاطعا لا يجوز مخالفته فان حسن الاشياء وقبحها منه تعالى
وفي التبصرة بعد قوله سلطانا اي حجة مع انه انما يتصور جعل المملوك شريكا للمالك بجعله اياه شريكه فان كان
لهذا المملوك الضعيف تاثير بالضر لمن انكر توحيده فاي الفريقين اي فريقي الموحدين او المشركين وانا الم
يقل فاينا انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه احق بالامن من العذاب ان كنتم تعلمون من
اي ما يحق ان يخاف منه او ان كنتم من اولي العلم وان كنتم تعلمون شيئا وجواب الشرط محذوف فاخبروني
بحقيقة الامن وهو نحن فاتبعوني وقال بعض علماء بلادنا لا احتاج الى القول بالاحتراز عن تزكية نفسه لانه
قال نبينا صلى الله عليه وسلم للمشركين وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا النوع من الكلام يسمى كلام
المنصف قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
استيناف من ابراهيم عليه السلام او من الله بالجواب عما استفهم من قوله عز وجل اي الفريقين
احق بالامن اي الفريق الاحق بالامن الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يخلطوا تصديقهم الشرك بالله

كما يفعله

سورة الانعام

كما يفعله الفريق المشركون اولئك المصدقون لهم الامن من عذاب الله وهم مهتدون الى الحق خاصة
لا المشركون واختلف العلماء في الجواب بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا الخ ممن كان قال ابن زيد وابن اسحاق
هو من الله على فصل القضاء بذلك بين ابراهيم وبين قومه وقال ابن جريج هذا جواب قوم ابراهيم لما سالهم
فاي الفريقين احق بالامن فقالوا الذين امنوا ولم يلبسوا الخ فقضوا على انفسهم فقالوا الذين امنوا الخ وقال
الزجاج هو جواب ابراهيم كما يسال العالم ويجيب بنفسه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما نزلت
هذه الاية قالوا يا رسول الله وايّنا لم يظلم فقال صلى الله عليه وسلم انما هو كقوله ان الشرك لظلم عظيم وروي
انه عليه السلام سئل عن هذه الاية فلم يجبهم حتى جاء رجل فاسلم فلم يلبث قليلا حتى جاهد فاستشهد
فقال عليه السلام هذا منهم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يفسره بالشرك وعن عمر رضي الله عنه
انه كان يفسره بالذنب والظلم يقع على ذلك كله فعلى تفسير الصديق رضي الله عنه معناه اولئك لهم
الامن من العذاب المؤبد وعلى تفسير الفاروق معناه اولئك لهم الامن من العذاب الموقت وقال الحسن
والكلبي اولئك لهم الامن في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا وقال ابو روق اولئك لهم الامن من العذاب وهم
مهتدون الى الجنة وتفسير الظلم بالشرك في حديث الصحيحين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من
قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني في الله الى قوله وهم مهتدون
وتلك مبتدا حجتنا خبر تلك اتيناها ابراهيم على قومه اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها ووفقنا
للوقوف عليها قوله على قومه متعلق بحجتنا وقيل باتيناها وقال مجاهد والحجة هي قوله الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وقيل اراد بتلك حجتنا الذي حاج به نمرود حين قال انا احيي واميت على
ما سبق في سورة البقرة او حاج به قومه حين كسر اصنامهم فيجوز ان يكون اسم الحجة شاملا لهذا كله نرفع
درجات من نشاء اي نرفع مراتب من نشاء من عبادنا فنؤتيه النبوة والملك والامامة في الدين والعلم
والحكمة قرا الكوفيون ويعقوب درجات بالتنوين وهي مفعول نرفع ومن مفعول ثان ههنا وقرا الباقون
بغير تنوين على الاضافة وافراد المفعول به وهو درجات وفي الاية نقض قول المعتزلة في الاصلح ان ربك حكيم
في صنعه وافعاله اي في رفع من يشاء وخفضه عليم بحال من يرفعه ويخفضه حاصل المعنى انه
سبحانه يضع الاشياء مواضع استحقاقها ومن الحكمة ارسال الرسل وتخصيص النبيين بالرسالة وتاييد
الرسل بالمعجزات وهو اعلم حيث يجعل رسالاته وفي وضع الرب مضافا الى ضمير الرسول عليه السلام
موضع نون العظمة في نضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ووهبنا له عطف على قوله وتلك حجتنا او على اتيناها اي رزقنا لابراهيم جزاء
على نصرة الدين ومحاجة المشركين اسحاق ولدا من صلبه من حرة عجوزة ويعقوب نافلة فانه ولد
اسحاق عليهما السلام عدة نعمة لان الذرية الصالحة من النعم الجزيلة خصوصا اذا كانوا ائمة في
الدين فكيف وهم انبياء فان قيل لم لم يذكر اسماعيل عليه السلام مع اخيه اسحاق مع انه هو الاكبر بل
اخر ذكره بمراتب كما ياتي قريبا فالجواب ان المقصود بالذكر هنا انبياء بني اسرائيل وهم بأسرهم اولاد اسحاق
واما اسماعيل عليه السلام فانه لم يخرج من صلبه نبي الا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يناسب المقام ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم لانه تعالى امره ان يحتج على العرب في نفي الشرك بان ابراهيم لما ترك الشرك واصر على

التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدنيا بان آتاه اولادا كانوا انبياء وملوكا فاذا كان المحتج
بهذه الحجة محمد صلى الله عليه وسلم امتنع ان يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسماعيل
عليه السلام مع اخيه اسحاق وقيل الجواب هو ان اسحاق وهب له من حرة واسماعيل من امة او
اسحاق وهب له من عجوز عقيم فكان المنة فيه اظهر كلا منهما هدينا للحق ووفقنا وارشدنا لذلك
وكلا مفعول هدينا ونوحا هدينا اي وهدينا وارشدنا نوحا للحق من قبل اي من قبل ابراهيم عد الله
تعالى هدايته نعمة على ابراهيم عليهما السلام لانه ابوه وشرف الوالد يسري الى الولد ومن ذريته الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل الضمير لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم
فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة
عطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم
وان كان منهم من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا عليه السلام ابن اخي ابراهيم والعرب
تجعل العم ابا وقال بعض المفسرين الضمير لابراهيم والمذكورون من الانبياء كلهم من ذريته تغليبا
وانما قال تغليبا ليدخل فيه لوطا ويونس لما ذكرنا انهما ليسا من ذريته ثم علل وقال المحلي هذا هو الراجح
لان سوق الكلام له بانه لما قرر حجة التوحيد وذب عنها اكرمه الله تعالى برفع الدرجات وجعل سائر
الانبياء من ذريته وقال محي السنة ومن ذريته اي من ذرية نوح ولم يرد من ذرية ابراهيم لانه ذكر في جملتهم
يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وهكذا في الوسيط والكواشي وفي الجلالين وغير ذلك وقال الامام لان
نوحا اقرب المذكورين وذكر ما قالوه وقال ومن قال ان الضمير لابراهيم يقدر ومن ذرية ابراهيم داود
وسليمان هدينا لان ابراهيم هو المقصود بالذكر وذكر نوح لتعظيم ابراهيم ولذلك ختم بيونس ولوط وجعلهما
معطوفين على نوحا هدينا لا على داود ويكون عطف جملة على جملة قال بعضهم قال الفراء الضمير راجع لنوح لانه
نسق عليه ذكر يونس ولوط وليسا من ذرية ابراهيم بل هما من ذرية نوح عليه السلام ثم قال ودلت
الآيات ان من نال درجة او فضيلة فانما نال بفضل الله ومنته ثم ذكر عيسى فيهم دليل على ان النسب
يثبت من قبل الام لانه جعل من ذرية نوح وهو لا ينتسب الا بالام وحكي ان يحيى بن يعمر كان ينازع
الحجاج في ان العلويين اولاد النبي عليه السلام وكان الحجاج ينفي ذلك ويقول هم اولاد علي كرم الله وجهه
لا غير حتى احضره مقيدا في يوم مظالم وقال لتاتيني بحجة ظاهرة على ذلك والا لاقتلنك فقرأ يحيى هذه
الآية وقال ان عيسى ما كان له اب ومع ذلك جعله من ذرية نوح بسبب امه وكذلك احتج بقوله
تعالى ندع ابناءنا وابناءكم ان الله دعا يومئذ الحسن والحسين فكانا من ابنائه فاطلقه والله اعلم
بالضمير والضماير داود بن ايشا وسليمان يعني ابنه والمعنى وهدينا من ذريته داود وسليمان وكلها
ما عطف عليها وايوب هو ابن اموص بن الرزح بن روم بن عيصا بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم على محمد وعليهم الصلاة والسلام وموسى بن عمران بن يصهر
ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون وهو اخو موسى اكبر منه بسنة وكذلك اي كما جزينا ابراهيم
على توحيده في منازعته لقومه برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم نجزي المحسنين على احسانهم
والمراد بالمحسنين الجنس والمماثلة جزاءهم لجزاء ابراهيم مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان

لا المماثلة

لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان جزاء الانبياء بكثرة الاولاد مما اختص به ابراهيم عليه السلام وقيل
بعضهم وكذلك اي كما جزينا هؤلاء الانبياء نجزي المحسنين على اعمالهم وفسر النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان
بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقيل المراد بجزي المحسنين اعطاء
الذرية الطيبة المهدية وقيل بالذكر والشرف والثناء الحسن وقيل بالثواب والدرجات في الآخرة وليس
على ذكرهم في ترتيب ازمانهم وزكريا هو ابن آذن بن برخيا ويحيى هو ابن زكريا وعيسى وهو ابن مريم
بنت عمران قال البيضاوي وفي ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد البنت والياس اختلفوا فيه قال
ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في ولد نوح
وادريس جد نوح او جد ابي نوح وهو الياس بن يس بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران كل
ممن ذكر من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل ابن
ابراهيم عليهما السلام واليسع هو ابن الاخطوب بن العجوز وقيل هو يوشع بن نون وقرا الجمهور بلام واحدة
وفتح الياء بعدها وقرأ حمزة والكسائي والليسع بلام مشددة وياء ساكنة بعدها وعلى القراءتين علم اعجمي
ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد في قوله . رايت الوليد بن اليزيد مباركا . شديدا باعباء
الخلافة كاهله . وقال بعضهم اللام زائدة ويونس بن متى وفي التبصرة الذي قال النبي عليه السلام
في حقه من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب او كما قال وقد ذكر العلماء لتوجيه الحديث معاني كثيرة فتامل
وقد قلنا انه من ذرية نوح وفي جامع الاسرار انه ايضا من ذرية ابراهيم لما ذكر في جامع الاصول انه كان
من الاسباط في زمن شعيا عليه السلام ارسله الله تعالى الى اهل نينوى من بلد الموصل ولوطا وهو ابن
هاران بن آزر اخي ابراهيم فيكون خارجا من الذرية لان المراد بها حقيقة الاولاد ولكن لما كان ابن اخيه وامن
به وهاجر معه الى الشام امكن ان يجعل من الذرية على سبيل التغليب فعلم بما ذكرنا من قول ابن عباس
رضي الله عنهما وغيره ان هؤلاء الانبياء منسوبون الى ذرية ابراهيم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر ههنا اربعة
من الانبياء ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر من الانبياء فان قيل رعاية الترتيب واجبة والترتيب اما ان يعتبر
بحسب الفضل والدرجة واما ان يعتبر بحسب الزمان والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر ههنا
فما السبب فيه اجيب بان العلماء استدلوا على ان الواو لا توجب الترتيب بهذه الآية وعلى ان رعاية
الترتيب غير واجبة وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق وفي
الجامع اي كلا من الانبياء فضلناهم على كل من سواهم من العالمين واستدل بعضهم بهذا على ان الانبياء
افضل من الملائكة وذلك لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة ثم ان الكلام في
ان بعض الانبياء افضل من بعض كلام اخر لا تعلق له بهذا بل بين في بعض الآيات الاخر قوله وقد
من بحث ولكن صح بان نبينا عليه السلام افضل الخلق جملة وتفصيلا وهو كذلك وقال محي السنة اي على
عالمي زمانهم ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا
هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا قال السيوطي ومن للتبعيض
لان بعضهم لم يكن له ولد كيحيى وعيسى وبعضهم في ولده كافر وقال البغوي من فيه للتبعيض لان
اباء بعضهم كانوا مشركين قال ابو السعود ومن ابائهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية

والمفعول محذوف اى وهدينا من ابائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن
تبعيضية اى وفضلنا بعض ابائهم واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا بمعنى اصطفينا الانبياء
المذكورين وهديناهم الى صراط مستقيم وهو الدين الحق تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا
اليه والمعنى اخترناهم وارشدناهم الى صراط مستقيم قال الشيخ ذكر في فريق انهم محسنون وفي فريق
انهم صالحون وفي فريق فضلناهم على العالمين وفي فريق الاجتباء والهداية وهذا ليس على تخصيص كل فريق
بما ذكر من الوصف ولكنه على الجمع انهم كذلك ثم هذا التفضيل يحتمل انه بالنبوة ويحتمل انهم كانوا مفضلين
على العالمين بالاحسان والصلاح لو لم يكن رسالة ولا نبوة قال وقوله من ابائهم هم من تقدمهم وذرياتهم
من تاخر عنهم واخوانهم من عاصرهم قيل وذرياتهم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المؤمنون بعدهم والاجتباء
يكون بالرسالة وهو خاص لهم ويكون بالتوحيد والاسلام وهو يعم الانبياء والمؤمنين ويحتمل انه برفع
الدرجات والفضائل ذلك اى الدين الذي هدوا اليه هدى الله يهدي به من يشاء من
عباده يعني ذلك التفضيل والاجتباء والهداية الى الطريق المستقيم هو هدى الله قال الشيخ ومعناه
ما ذكر في قوله كلا هدينا وفي قوله وهديناهم هو هدى الله وله ان يهدي به من يشاء من عباده قال
الاستاذ وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا
ولو اشركوا اى لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو درجاتهم وشانهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون اى لكانوا كغيرهم في ابطال اعمالهم بسقوط ثوابها فان الله غني عن العالمين
كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك وهذا امر فرضي ولذلك اتى بلو الدالة على استحالة وقوع الشرط
والحاصل هذا انباء عن الحكم فيهم لو اشركوا لا انهم يشركون لان الله تعالى عصمهم واختارهم لرسالته ذكر هذا
ليعلموا ان الحكم واحد فيمن اشرك بالله غيره وضيعا كان او شريفا وكذا قال في حق الملئكة ومن يقل
منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقوله لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى من الحسنات والخيرات
وقال امامنا القشيري بين الله لولا تخصيصه اياهم بالتعريف وتفضيله لهم على من سواهم بغاية
التشريف لم يكن لهم استحقاق ذلك ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى لو لاحظوا غيرا او شاهدوا
من دوننا شيئا او نسبوا شيئا من الحوادث الى غير قدرتنا لتلاشى ما اسلفوه من عرفانهم واحسانهم
فان الله لا يغفر الشرك بحال وان كان يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ما يشاء من عصيانهم اولئك
اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر
من الهداية وغيرها من الصفات الجليلة الثابتة لهم وما في اسم الاشارة للبعد للايذان بعلو
طبقتهم ورفعة منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا وقوله الذين اتيناهم الكتاب
اى الكتب المنزلة عليهم خبره والمراد بالكتاب جنسه المتحقق في ضمن اى فرد كان من افراد الكتب
السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والدقائق والتمكين من الاحاطة بمرواته
اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم
كتاب معين والحكم اى الحكمة والفقه والقضاء على الناس على ما يقتضيه الحق او فهم الكتاب
والنبوة والرسالة قال الاستاذ اى اتيناهم الكتب من الصحف والتوراة والانجيل والزبور وفهم

لانه

لانه جنس او وصينا اليهم وجعلناهم الحكام على الامم وارسلناهم بالنبوة فان يكفر اى يجحد
بها اى بالوحدانية بان يجعل له شريكا او من وجه دون وجه او بالكتاب والحكم والنبوة
او بالايات القرآنية او بالنبوة الجامعة لها هؤلاء اى كفار قريش فانهم بسبب كفرهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم وبما انزل اليه وهو القرآن العظيم الشان كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار و
المجرور على الفاعل للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اى امرنا بمراعاتها وارصدنا
لها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما فخاما ليسوا بها بذلك الثلثة بكافرين اى بجاحدين
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء والذين ليسوا بها بكافرين
هم الانصار واهل المدينة او الانبياء الثمانية عشر الذين ذكرهم ههنا او الملئكة اى فان يكفر بها اهل الارض
فقد وكلنا بها اهل السماء او اصحاب النبي مطلقا او كل مؤمن من بني آدم او الفرس فان كلا من هؤلاء
الطوائف موفقون للايمان بالانبياء والكتب المنزلة عليهم اولئك اى الانبياء المتقدم ذكرهم الذين
هدى الله الى الحق والطريق المستقيم فبهداهم اقتده اى بسننهم وسيرتهم وطريقتهم اتبع ولا تتجاوز
بغيرهم اى فاختص هداهم بالاقتداء يعني اجعل اقتداءك مقصورا على هداهم وهذا معنى تقديم المفعول
قرا حمزة والكسائي فبهداهم اقتد بحذف الهاء في الوصل واثباتها ساكنة في الوقف وابن عامر بكسر الهاء
على انها ضمير راجع الى الاقتداء الذي هو مصدر اقتد والباقون بسكونها واتفق الكل على السكون في
الوقف قال الاستاذ والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون
الفروع المختلفة والشرايع المنسوخة فانها بعد النسخ لا تبقى هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي
بهم جميعا فلا دليل في الاية على انه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله وموافقته عليه السلام
على هذا الوجه لا يدل على ان يكون منصبه عليه السلام اقل من منصبهم بل احتج العلماء طاب ثراهم
بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء لان خصال الكمال وصفات الشرف
كانت متفرقة في الانبياء كالشكر في داود وسليمان والصبر في ايوب والجمال في يوسف والمعجزات
الباهرة في موسى وهارون والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسماعيل والتضرع في يونس
ولما امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بجميع ما في الانبياء والصفات الحميدة امتنع ان يقال انه قصر
في تحصيلها فثبت انه عليه السلام حصلها ومتى كان الامر كذلك ثبت انه اجتمع فيه من خصال الخير
ما كان فيهم متفرقا باسرهم وينادي على ما قلنا وانك لعلى خلق ومتى كان الامر كذلك وجب ان يقال
انه افضلهم بكليتهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وعلينا معهم يا ارحم الراحمين قال
القشيري فكذلك يعني اولئك الذين طهر الله عن الجحد اسرارهم • ورفع على الكافة اقدارهم • فاقتد
يا محمد بهداهم المختار • فانه من سلك اثر المختار • وقال الاستاذ الهدى اسم لما يهتدى به وليس بهم
الا فعاله لا يقال لتارك الصلوة او الصوم او الزكوة ضال فيدل هذا على ان الانبياء كانوا على دين
واحد والدين لا يحتمل النسخ والتغيير قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واما الشرايع
فهي مختلفة تحتمل النسخ وقيل معناه ان الانبياء كانوا صابرين صالحين خاشعين عابدين
زاهدين محسنين كما ذكروا في ايات ونحوها وقيل المراد به ما بعدها اى لم يكونوا يسالون الاجر

من الامم على التبليغ فلكن لك وذلك قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اى على التبليغ او على
القران فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا اى اجرة من جهتكم كما لم يسأله
من قبلي من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امر الرسول عليه السلام بالاقتداء بهم
فيه وكان الانبياء عليهم السلام قال في قصة هود يا قوم لا اسالكم عليه اجرا الاية وقال في
قصة صالح لا اسالكم عليه اجرا ان اجرى الا على الله وقال في قصة نوح وما اسالكم عليه من اجر
وقال في قصة شعيب وما اسالكم عليه من اجر فكذلك في حق نبينا في هذه السورة وفي سورة حم عسق
وقال في سورة الطور ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون واخذ بعض الاية بظاهر الاية على عدم
جواز الاجرة على تعليم القران والعلم ورواية الحديث وعلى الامامة والاذان ان هو اى القران
او التبليغ او الغرض منهما الا ذكرى للعالمين اى عظة وتذكيرا لهم وفيه دليل على انه عليه السلام
كان مبعوثا الى جميع العالمين قال ابن عباس اراد بالعالمين الجن والانس وقال بعضهم اراد بذلك كل من يعقل
من الثقلين وما قدروا الله حق قدره منصوب على المصدرية اى ما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل جميعا وفي ضمن
ذلك نفي نبيهم وكتابه والوحي وبعثة الرسل من عظائم رحمته وجلائل نعمته او ما عرفوه حق معرفته في السخط
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار
انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله عز وجل قل في الرد على اليهود من انزل الكتاب الذى
جاء به موسى نورا بكشف الحقائق بالدلائل وهدى للناس اى برفع اللبس والشبهات
عنهم قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى وما قدروا الله الخ اى ما عظموا الله حق تعظيمه وقال هو ايضا
قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل من السماء كتاب فانزل الله وما قدروا الله
وقيل معناه ما وصفوه حق صفته وقدرته وعظمته وهذه المعاني كلها صحيحة ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها
من الايات انه لما ذكر رؤساء الانبياء وانقيادهم في الملة واصل الدين وبين شان القران العظيم وانه
نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك
ببيان عميهم عنها وكفرهم بها على وجه سرى الى الكفر بجميع الكتب الالهية وقال سعيد بن جبير
جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم انشدك بالذى انزل التوراة
على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب فقال ما انزل الله على بشر الاية فلما رجع الى قومه قالوا له ويلك
ما هذا الذى بلغنا عنك اليس الله انزل التوراة على موسى قال نعم اغضبني فلذلك قلت ما قلت قالوا
كلما غضبت قلت بغير حق وتركت دينك فاخذوا الرياسة والحبرية عنه وجعلوها الى كعب بن الاشرف
فنزلت هذه الاية وما قدروا الله حق قدره فان قيل قد اتفق اكثر المفسرين على ان هذه السورة مكية
وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرة اليهود مع الرسول كانت مدنية فكيف يمكن حمل هذه الاية على تلك
المناظرة وايضا لما نزلت السورة دفعة واحدة كيف يمكن ان يقال هذه الاية المعينة انما نزلت في الواقعة الفلانية
اجاب عنه الامام بان القائلين بان سبب نزول هذه الاية هو مناظرة هذا اليهودي قالوا السورة كلها مكية

نزلت دفعة واحدة الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة الا ان الامام ابا الليث
صاحب التيسير روى ان هذه السورة كلها مكية وكان مالك بن الصيف يخرج مع نفر الى مكة معاندا
ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وقد كان من احبار اليهود ورؤسائهم فوقعت المنازعة
في مكة على ما ذكرنا وقد ذكر قريبا نحو هذا السؤال والجواب وفي التيسير قال مجاهد الاية في مشركي قريش
وفيه ايضا في معنى قل من انزل الكتاب الخ اى قل يا محمد للمشركين هذا الكلام فانهم وان كانوا لا يؤمنون
بموسى والتوراة فانهم يرجعون الى اهل الكتاب في كثير من امورهم ويصدقونهم فيها وقد مر قريبا ان
القائلين هم اليهود بدليل نقض كلامهم الخ وبدليل قراءة الجمهور تجعلونه اى كتاب الذى جاء به موسى
قراطيس اى تكتبونه في دفاتر مقطعة واوراق متفرقة بحسب اغراضكم الفاسدة تبدونها
اى تظهرون تلك القراطيس ما تحبون ابداءها وتخفون من العامة كثيرا مما فيها كنعت النبي واية
الرجم بالتاء وقد قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على اذ قالوا وما قدروا وقوله عز وجل وعلمتم
ما لم تعلموا انتم من امر دينكم ودنياكم ولا اباؤكم الاكثرون على ان هذا الخطاب لليهود يعني وعلمتم
ايها اليهود زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم على محمد صلى
الله عليه وسلم في القران من المعارف والحكم التي خص القران بهما ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذى هم فيه يختلفون وان كان المراد بها المشركين فالامر ظاهر لانهم ما علموا ولا اباؤهم قال الحسن
معناه وجعل لهم علم ما جاء به محمد عليه السلام فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هو خطاب
للمسلمين من هذه الامة قل الله اى انزله الله او الله انزله امر الله نبيه بان يجيب عن اليهود
اشعارا بان الجواب متعين لا جواب غيره وتنبيها على انهم بهتوا لا يقدرون على الجواب وفي التيسير
يعني اذا قلت لهم من انزل الكتاب الذى جاء به موسى فلم يجيبوا فقل انت الله انزله وقيل هو الله وقيل
اى الله الحكم بيننا امر الله رسوله بترك من كفر واعرض فقال ثم اى بعد ذكرك ذرهم اى اتركهم
في خوضهم اى في اباطيلهم الذى يخوضون فيه فلا باس عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون
اى لاعبين يعني دعهم وما هم فيه من التخليط والتكذيب بالكتب على غير معرفة فانهم انما يلعبون نسيا الى
الجزاء على خوضهم ولعبهم وهي كلمة وعيد وقيل هو امر بالكف عن القتال الحال يامر ربه ولهذا قال بعضهم
الاية منسوخة باية القتال قال الاستاد وهو بعيد لان قوله ثم ذرهم الخ مذكور لاجل التهديد وذلك
لا ينافي حصول المقاتلة فلم تكن اية القتال رافعا لشىء من مدلولات هذه الاية فلا نسخ فيها ويلعبون
حال من هم في ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لـ
ذرهم وهذا اى القران كتاب التنوين للتفخيم ويؤكده انزلناه فان اسناد الفعل الى نون العظمة
مما يدل على التعظيم فهذا تحقيق لنزول القران بعد انزال التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنيعة
مبارك اى كثير الخير والفوائد وجليل المنافع مصدق الذى بين يديه يعني التوراة والانجيل والكتب التى
قبله فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي ساير اصول الشرائع
التى لا تنسخ ولتنذر قرأ الجمهور بتاء الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن عاصم بالياء الغيبة
والضمير للقران وهو الظاهر وهو عطف على معنى ما قبله اى انزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به

ام القرى اى اهل ام القرى يعنى مكة سميت بذلك لانها قبلة اهل الدنيا ولان من اصول عبادات اهل
الدنيا الحج وهو انما يكون فيها فلهذا السبب يجتمع الخلق اليها كما يجتمع الى الام قال ابن عباس رضى الله عنهما
سميت بذلك لان الارضين دحيت من تحتها فهو اصل الارض كلها كالام فانها اصل النسل وقيل
لانها اعظم القرى شانا وقيل لانها مكان اول بيت وضع للناس وفى المدارك لانها سرة الارض
ومن حولها اى اهل المشرق والمغرب والمعنى لتنذر من حول ام القرى والذين يؤمنون اى يصدقون
بالاخرة اى بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به اى بالنبى والقران وهم اى المؤمنون بهما من اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم على صلاتهم يحافظون خوفا من عقاب الله توضيح المعنى ان من صدق بالاخرة
خاف العاقبة ولا يزال الخوف يقلقه ويحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان فمن اقامها فقد اقام الدين
ومن تركها فقد هدم الدين ومن اى لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بادعاء
النبوة فلم يكن نبيا لما بين كونه القران كتابا نازلا من عند الله وبين شرفه ورفعته ذكر عقيبه وبال
على وعيد من ادعى النبوة والرسالة كذبا وافتراء قال قتادة نزلت فى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة
وفى اسود العنسى صاحب صنعاء كانا يدعيان النبوة والرسالة من عند الله كذبا وافتراء واختلق
عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحى ومتابعيه والمعنى هو اظلم من كل ظالم او قال اوحى الى
ولم يوح اليه شىء كعبد الله بن ابى سرح كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم الوحى فلما نزل قد افلح
المؤمنون املاه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك
الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان وتقلبه فى اطواره فقال الرسول صلى الله عليه وسلم اكتبها
فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ثم رجع اليه قبل فتح مكة اذ نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمر الظهران وفتح الكثير بلاد العرب على يديه فى زمن عثمان وقال الكوسج كان يكتب فى موضع عليم حكيم عزيز
حكيم وفى موضع سميع عليم غفور رحيم قال الاستاذ وهذا القول باطل ولا يجوز روايته لانه تابع
لبعض المؤرخين كابن الجوزى اذ لو وقع منه لثبت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال بعض المفسرين وقال الدجى الى نزلت فى مسيلمة الكذاب وكان يقول
محمد رسول الله رسول قريش وانا رسول بنى حنيفة روى ابو هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم اذ اتيت من خزائن فوضع فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على واهمانى
فاوحى الى ان انفخهما فنفختهما فذهبا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب
اليمامة وفى رواية عن قتادة ايضا انه نزلت فى مسيلمة الكذاب الحنفى وكان يسجع ويتكهن فادعى
النبوة وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لهما اتشهدان ان مسيلمة نبى قالا نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل
لضربت اعناقكما ومن قال اى ومن اظلم ممن قال سانزل مثل ما انزل الله الذى
اعجز كلامه كل منطق بليغ كنضر بن الحارث وغيره من المستهزئين بالقران والطاحنات طحنا فالعاجنات

عجنا

عجنا فالخابزات خبزا فاللاقمات لقما كانه يعارض القران واين نسج الخذرنق من نسج داود
ولو ترى يا محمد والجواب محذوف اى لرايت امرا عظيما اذ الظالمون حذف مفعول ترى
لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين المذكورين فى اول هذه الاية او المذكورين من اليهود من
قبل فتكون اللام للعهد ويجوز ان يكون اللام للجنس فيشملهما فى غمرات الموت اى فى سكراته
وشدائده جمع غمرة وهى معظم الشىء من غمرة الماء اذا غشيه وغطاه والملائكة باسطوا ايديهم
اليهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة من غير امهال
وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اى اخرجوا ارواحكم كرها لان نفس المؤمن
تنشط للقاء ربه فان قيل لم قالوا اخرجوا الحق لا قدرة لهم على ذلك قلنا قال ذلك على جهة الاهانة والاذلال
والتغليظ عليهم او اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد والعذاب وخلصوها من ايدينا ان كان ما زعمتم
حقا فى الدنيا والمعنى اخرجوا انفسكم الينا لنقبضها اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد
من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى تجزون الهوان والذل يريد به العذاب
المتضمن لشدة واهانة واضافة العذاب الى الهون لاصالة الهون وتمكنه فى العذاب وذلك انه
ليس كل عذاب يكون فيه هون لانه قد يكون على سبيل الزجر والتاديب بما كنتم تقولون على
الله غير الحق من ان له شريكا وصاحبة وولدا ومن دعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن
اياته تستكبرون اى فلا تتاملون فيها تيها ولا تؤمنون بها حمية ويقال لهم اذا بعثوا يعنى
يقول الله للكفار يوم القيمة ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى اى منفردين عن
المال والاولاد والمعين والطواغيت التى عبدتموها وعن جميع ما اثرتموه من الدنيا وهو جمع فريد
كاسير واسارى او فردى كسكران وسكرى والالف للتانيث وقرئ فرادا بالتنوين كرجال وفرادى
كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اى على الهيئة التى ولدتم عليها
فى الانفراد او حال ثانية جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة
حفاة بهما غرلا او صفة مصدر محذوف جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم وتركتم اى خلفتم ما خولناكم
اى الذى اعطيناكم من الاموال والاولاد فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم اى خلف ظهوركم
فى الدنيا يعنى ما قدمتم منه شيئا اليوم تشتد اليه الحاجة فلم ينفعكم ولم تحتملوا منه شيئا ويقال لهم توبيخا
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم اى فى استحقاق عبادتكم شركاء
الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبوديتكم وذلك ان المشركين زعموا انهم يعبدون الاصنام لانهم
شركاء الله وشفعاؤهم عنده لقد تقطع بينكم قرا الجمهور بينكم برفع النون اى لقد تقطع وتفرق
وصلكم وتشتت جمعكم وذلك مثل قوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب اى الوصلات وقرا نافع والكسائى
وحفص عن عاصم بنصب النون اى تقطع ما بينكم من الوصل او تقطع الامر بينكم يعنى تقطع الوصل بينكم
او السبب بينكم والبين من الاضداد يكون وصلا وفصلا وضل اى غاب وضاع عنكم ما كنتم
تزعمون ان الاصنام شفعاؤكم وان لا بعث ولا جزاء ثم لما قرر التوحيد واردفه بتقرير امر النبوة
وتكلم فى بعض تفاريع هذا الاصل عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وعلمه

تنبيها على ان المقصود الاصلى من جميع المباحث النقلية والعقلية معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وقال ان الله فالق الحب والنوى اى ان الله الذى انتم ايها المشركون غير معترفين به هو الله الذى فلق الحب اى شق الحب فى الارض فاخرج منه النبات والزرع وفلق النوى اى شق النوى فاخرج منه الغراس والاشجار قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة وقال مقاتل ان الله فالق الحب اى خالق البر والشعير والذرة والحبوب كلها والنوى يعنى كل ثمرة لها نوى كالخوخ والنبق والمشمش والسفرجل والاجاص وغير ذلك والحب جمع حبة وهو اسم لجميع البزور والحبوب وفى الفلق دليل على انه فعل صانع واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا شقه منعه الاخر وفيه دليل على انه على تدبير خروج الاجزاء فاحسن انفق ذلك كله فى كل عام على وجه واحد وقوله تعالى يخرج الحى يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق فالق الحب والنوى من الميت اى مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى اى هو مخرج ما لا ينمو من الحيوان والنبات مما ينمو ذكره بلفظ اسم الفاعل حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له قال ابن عباس رضى الله عنهما يخرج الحى من الميت اى الانسان من النطفة وقال الحسن اى المؤمن من الكافر وقيل الطايع من العاصى وقيل الطير من البيضة وقيل السنبلة من الحبة والشجرة من النواة وقوله ومخرج الميت من الحى اى وهو مخرج الميت من الحى اى النطفة من الانسان والبيضة من الطير والكافر من المؤمن والعاصى من الطايع والحبة من السنبلة والنواة من الشجرة ومخرج متصل بقوله فالق الحب وقع بينهما يخرج لانه فعل دايم والاسم الماخوذ من الفعل يدل عليه فتجانسا ذلكم الله اى ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى يحق له العبادة والربوبية لا الاصنام فانى تؤفكون اى فالى اين تصرفون عنه وعن توليه الى غيره بعد وضوح الامر بما ذكرنا ثم لما استدل على قدرة الصانع باحوال النبات والحيوان استدل عليها بالاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح اى هو شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه او عن بياض النهار ونوره او شاق ظلمة الصبح وهو الغبش الذى يلى الصبح والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح قال الضحاك خالق النهار والاصباح مصدر كالاقبال والادبار وهو الاضاءة واراد به الصبح وهو اول ما يبدو من النهار يريد مبدئ الصبح وموضحه وجاعل الليل سكنا اى هو جعل الليل سكونا فيه لخلقه يعنى ليستريح فيه من تعب بالنهار فى امر المعاش لقوله تعالى هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اى عن كد المعيشة الى نوم الغفلة او عن وحشة الخلق الى الانس بالحق قرا الكوفيون جعل الليل فعلا ماضيا اتباعا للمصحف ولان اسم الفاعل الذى بمعنى المضى قبله فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى ولمناسبة ما بعده من قوله جعل لكم النجوم وانشاكم من نفس واحدة وانزل من السماء والباقون بصيغة اسم الفاعل والليل منصوب بجعل عند الكوفيين فى قراءتهم ومجرور عند غيرهم وسكنا مفعول ثان لجعل عند الكوفيين اى على انه حال من الليل وكذا ينتصب سكنا بجاعل على قراءة الجمهور اذا قصد به الجعل المستمر فى الازمنة المتجددة وحسب تجددها لا الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى وان كان بمعنى الماضى لانه لما اضيف الى المفعول الاول تعين نصبه للثانى لتعذر الاضافة بعد ذلك وفى تفسير الشيخ قرا حمزة والكسائى

وعاصم

وعاصم وجعل وهو فعل والليل نصب لانه مفعول وسكنا وهو مفعول ثان وقرا الباقون وجاعل الليل سكنا وهو صفة كقوله فالق الاصباح والليل مضاف اليه وسكنا مفعول لا لفعل الذى دل عليه قوله وجاعل لا به والشمس والقمر حسبانا اى وجعل الشمس والقمر يجريان فى الفلك بحساب معلوم لا يختلف على مرور الزمان او منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما والحسبان جمع حساب كالشهبان جمع شهاب وقيل اى بحساب ما يحتاج اليه العباد فى معايشهم ومعاملاتهم اما الشمس فللنماء والحرث والنسل وفى ذلك قوام العالم واما القمر فلاجال الديون ومواقيت الاشياء كما قال فى الاهلة هى مواقيت للناس وقال وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فانه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم دورتها فى سنة ودورة القمر فى شهر والحاصل انه سبحانه وتعالى خلقهما لنفع العباد قرا الجمهور الشمس والقمر بالنصب وقرئ النصب واضحة على قراءة الكوفيين وحسبانا كسكنا فيما ذكرنا ثم انهما على قراءة الباقين وان جعل جاعل بمعنى الماضى فلا بد من اضمار فعل ينصبهما اى وجعل الشمس وان قلنا انه ليس بمعنى الماضى يكون نصبهما بالعطف على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر وقرئا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا ذلك اى ذلك التسيير البديع بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسخرهما للعباد وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما ثم شرع فى بيان نعمته فى الكواكب اثر بيان نعمته فى النيرين فقال وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر يعنى ان الله خلق النجوم وانشاها وابدعها لثلثة اشياء الاول وهو ان راكب البحر والساير فى القفار يهتدى بها فى الليالى الى مقاصدهم مع بعد ما بين السماء والارض من المسافة والثانى انها زينة السماء كما قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح والثالث انها رجوم للشياطين كما قال الله تعالى وجعلناها رجوما واضافة الظلمات الى البر والبحر دون الليل فيهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلك او فى مشتبهات الطرق وانما سمى المشتبهات بالظلمات على طريقة الاستعارة وهو افراد لبعض منافع النجوم بالذكر بعد ما اجمل المنافع بقوله لكم قد فصلنا الايات اى بينا الدلالات على وحدانيتنا وقدرتنا فصلا فصلا لقوم يعلمون اى يتدبرون فانهم المنتفعون بها ثم ذكر نعمة اخرى دالة على عظم قدرته ولطيف صنعه فقال وهو الذى انشاكم اى خلقكم مع كثرتكم من نفس واحدة هو ادم فمستقر ومستودع وفى التبصرة اى فمنكم من يستقر مدة مديدة ومنكم من يستودع فى اقرب مدة كانه مستودع يعنى لا يستبعد اختلاف مدة اللبث فى القبر فكانه كاختلاف مدة الحياة الدنيا قرا ابن كثير وابو عمرو بكسر القاف والباقون بفتحها واما مستودع فاتفق القراء جميعا على فتح الدال فالمعنى على قراءة المستقر بفتح القاف يكون اى فلكم استقرار فى الاصلاب الاباء او فوق الارض او استيداع فى ارحام الامهات حتى يولد او تحت الارض حتى يبعث او موضع استقرار واستيداع والمعنى على قراءة المستقر بكسر القاف يكون المستقر اسم فاعل يراد به الاشخاص والمستودع اسم مفعول حتى يكون عبارة عن الاشخاص ايضا فيكون الخبر محذوفا حينئذ منكم لا لكم والتقدير فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قال ابن عباس لسعيد بن جبير هل تزوجت قال لا قال اما انه ما كان من مستودع

في ظهرك فيخرجه الله تعالى قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون اي يفهمون ذكر مع ذكر النجوم
يعلمون لان امر النجوم ظاهر ومع ذكر تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من
السماء ماء هذا تذكير لنعمة اخرى على عبيده اي انزل من السحاب او من جهة العلو فان ما علاك
سماء ماء خاصا وهو المطر فاخرجنا فيه التفات عن الغيبة الى الاخبار عن نفسه مجمعا لخطاب
الملوك وهو متعارف اهل اللسان به بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء اي نبت كل صنف
من الاشياء التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص
والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله عز وجل تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه اي من النبات او من الماء خضرا اي شيئا
اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحب المتشعب يعني كان رطبا اخضر اول
ما نبت من القمح والشعير ونحوهما فان كان ذلك الاخضر من الحب نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا
متراكبا اي حبات كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض لالتفافها كما هو ظاهر في سنابل الحنطة
ونحوها والحب جمع حبة وانما لم يقل متراكبة لظاهر اللفظ الذي هو للواحد في الوضع ثم شرع في تفصيل
حال الشجر الذي يحصل من النوى اثر بيان حال الحب فقال ومن النخل خبر مقدم وقوله من طلعها
بدل منها وكررت من مع النخل والطلع لان الاولى تقدمت موضعها فاعيدت في موضعها والطلع هو
اول ما يخرج من ثمر النخل في الكمام قنوان اي عراجين مبتدأ قدم عليه الخبر كانه قيل وحاصله
من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو من النخل بمنزلة العنقود من الكرم ويسمى العذق قال الاستاد
ويجوز ان يكون تقدير الكلام واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي قنوان نخرجه من النخل وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول
وقد شاهدنا ببلدتنا اعني المدينة المنورة من النخل ما يكون اعذاقه على الارض او قريبة بعضها من بعض
لقوة الشجر بكثرة حملها وانما اقتصر على الدانية ولم يعطف عليها ما يقابلها اي ومنها قنوان بعيدة لدلالة
الدانية على البعيدة وزيادة النعمة في القريبة وجنات بكسر التاء وهو نصب على قراءة الجمهور عطفا على
نبات كل شيء اي واخرجنا بالماء جنات اي بساتين من اعناب اي من نبات اعناب على حذف
المضاف لان الجنات لا تكون من العنب نفسه بل من النبات والاشجار وقرئ بالرفع على الابتداء اي
ولكم جنات او ثمة جنات ولا يجوز عطف وجنات على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل ولفساد المعنى
اي وحاصلة او مخرجة من طلع النخل قنوان وجنات من اعناب والزيتون والرمان بالنصب
عطفا على جنات على قراءة النصب لا على اعناب او عطفا على قوله نبات كل شيء او حبا متراكبا
قال السلطان عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم اي لكونهما
اشرف الثمار عندهم مشتبها وغير متشابه قال قتادة معناه مشتبها ورقهما مختلفا ثمرهما لان ورق
الزيتون يشبه ورق الرمان وفي المدارك وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه في القدر واللون

والطعم

والطعم قال السلطان حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة
والقدر واللون والطعم قال الاستاد ويحتمل ان يريد يتشابه في الطعم ويتباين في المنظر وهذه الاحوال
موجودة بالاعتبار في انواع الثمار يقال اشتبه وتشابه بمعنى اي الافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا و
قال الطبري جائز ان يتشابه في الثمر ويتباين في الطعم وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين لانه اراد به
جنس الثمر كله او اراد به المذكور وخص الرمان والزيتون بالذكر من بين سائر الاشجار لقرب مكانهما
من القوم المخاطبين وقال الزجاج هما شجرتان تزعم العرب ان ورقهما يشتمل على الغصن من اوله
الى آخره والبركة في ورق اشتماله على عوده كله انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا يا مخاطبين
الى ثمر كل واحد من ذلك نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره اي اول ما يبدو وكيف هو يعني
كيف يخرجه ضعيفا لا لون فيه ولا طعم يعتد به قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة
كخشبة وخشب او جمع ثمار ككتاب وكتب والباقون بفتحتين وهو اسم جنس مفرده ثمرة كشجر وشجرة
وبقر وبقرة وجزر وجزرة وينعه اي وانظروا ايضا الى حال نضجه اذا ادرك كيف يصير الى كماله
اللائق به ويكون شيئا جامعا للمنافع جمة والينع مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر
وتجار ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي ان في ما امرتم بالنظر اليه دلالات على ان لها صانعا
عليما حكيما قادرا وعلى تتابع نعمه على عباده وعلى البعث بعد الموت بما ترون من اعادة
النبات بعد التلاشي وعلى وجوب الشكر له وبطلان اشراك غيره به وخص المومنين بها لانهم
المنتفعون بها في الايمان كما قال هدى للمتقين بخلاف الكافرين وقال القشيري ذكر به تجانس
اجزاء الارض وتوافقت اقطار الكون وتباين النبات في الطعم واللون دل لكل مخلوق بلسان
فصيح وبيان صريح ان الله لا يستقل بنفسه وانه موجود بايجاد ربه وجعلوا لله شركاء الجن
اي جعل المشركون الجن شركاء لله وهم الذين قالوا يزدان واهرمن وقيل هو رد على بني مليح
قالوا ان الله صاهر الجن فولدت له الملئكة وهم بناته بناتهم وعبارة السلطان وجعل المشركون
لله شركاء الجن اي الملئكة بان عبدوهم وقالوا الملئكة بنات الله وهو قريب من معنى الاول
وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين اي جعلوا الشياطين شركاء لله لانهم اطاعوهم
كما يطاع لله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان
خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعل لفظ الله وشركاء والجن ليس بمفعول
بل بدل من شركاء او مفعولاه شركاء الجن شركاء مفعول ثان والجن الاول قدم استعظاما قال لله
متعلق بشركاء او حال منه انتهى وفي تفسير الاستاد قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة اشركوا
لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع
والحيات والعقارب وهذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وهو ان ابليس من الجنة قال في تفسير
الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان
الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل عليه من عند الله سمي بالزند والمنسوب اليه زندي
ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير

فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا وقرئ الجن
بالنصب وقرئ بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وقرئ بالجر على الاضافة التي للتبيين وقد
خلقهم اي وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن فكيف يكونون شركاءه وليس من يخلق كمن لا
يخلق وقرأ خلقهم بفتح اللام وقرئ وخلقهم بسكون اللام عطفا على الجن اي وجعلوا الجن وما
يخلقونه من الاصنام شركاء له او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه سبحانه وتعالى
وخرقوا له اي اختلقوا وافتروا على الله بنين وبنات اي بنسبة البنين والبنات اليه سبحانه
بغير علم اي جهلا فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب
الملائكة بنات الله وقرأ اهل المدينة وخرقوا بتشديد الراء على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف ثم نزه
الله نفسه عن مقالتهم الشنيعة فقال سبحانه اي تنزيها له وتعالى عما يصفون والمعنى
انزه الموصوف عما وصفوه وتعالى عن تلك الاوصاف بان له شريكا وولدا وهو بديع السموات
والارض اي مبدعهما من غير مثال سبق وهو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع
سمواته وارضه من غير سبق مثال يعني هو مبدع لفطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة وفاعل
على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة وقوله بديع مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه مبتدأ
وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد لان الولد انما يحتاج اليه للاعتضاد به
او للخدمة منه او للاستيناس منه او لبقاء الذكر به بعد الموت والله تعالى يتعالى ويتعاظم عن ذلك
كله علوا كبيرا يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك سبحان الله تسبيحا لجلال
من له التسبيحات ولم تكن له صاحبة اي كيف يكون له الولد ولم يكن له زوجة يكون منها الولد لان
الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا ولان الصاحبة لا تكون
الا كفوا ولم يكن له كفوا احد وقرئ بالياء للفصل بين تكون وصاحبة بله او لان الاسم ضمير الله
او ضمير الشان وخلق كل شيء اي خلق الاشياء كلها بتخليقه وفي ملكه وحكمه فلا كفو له
من خلقه ولا حاجة له الى غيره وهو بكل شيء من الواجبات والممتنعات والجائزات عليم
اي مبالغ في العلم ازلا وابدا ولا يخفى عليه خافية لانه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك
غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من صفات الالوهية وما في ذلكم من معنى البعد
للايذان بعلو شان المشار اليه وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الموصوف
بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة وهو ربكم لا شريك له في ذاته وصفاته وافعاله
خالق كل شيء مما كان ومما سيكون وما كاين وانما اعاد وصف الخالقية لانه من اجلى البراهين
على التوحيد ولذلك اكثر الله تعالى ايراده في القرآن فاعبدوه اي فاطيعوه ووحدوه فان من
جمع فيه هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وهو على كل شيء وكيل اي بالحفظ
له والتدبير فيه يعني هو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها وتوسلوا بعبادته الى انجاح
ماربكم لا تدركه الابصار اي لا تحيط به حاسة النظر لان الاحاطة تكون بالمحدود والله

يتعاظم عن ذلك اولا تدركه اصلا ابصار من سبق ذكرهم من اهل الشرك والضلال والابصار جمع
بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع
الرؤية حيث قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل قول القائل ادركته ببصري وما
رأيته متناقضان وقالوا معنى قوله لا تدركه الابصار اي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال
وهو باطل اذ ليس الادراك مطلق الرؤية كما زعموا بل الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الوقوف على
كنه الشيء والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون الرؤية بلا ادراك قال الله في قصة موسى فلما تراءى
الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وقال لا تخاف دركا ولا تخشى فنفى الادراك مع اثبات الرؤية
فالله تعالى يجوز ان يرى من غير ادراك واحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به قال الله تعالى ولا يحيطون به
علما فنفى الاحاطة مع ثبوت العلم قال سعيد بن المسيب في معنى لا تدركه الابصار اي لا تحيط به الابصار
وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به وقال ابن عباس ومقاتل معناه لا تدركه الابصار
في الدنيا وهو يرى في الآخرة ويدل على ابطال قول المعتزلة ايضا بان النفي في الاية ليس عاما في
الاوقات كلها بل مخصوص ببعض الحالات يعني لا تدركه الابصار في الدنيا بل تدركه من غير احاطة
اذ تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الآخرة ويدل ايضا على ابطال قولهم بان النفي في الاية ليس
عاما في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه فيفيد انه يدركه بعض الابصار اعني ابصار المؤمنين
دون الكافرين والحاصل ان كل شيء له جهة يرى في الجهة كالخلق ومن لا جهة له سبحانه وهو الله يرى
في غير جهة يعني هو يرى نفسه ايانا بقدرته على الوجه الذي يشاؤه ويريده كما اعلم ذاته ايانا
على الوجه الذي شاءه واراده ولو شاء ان يرى ذاته ايانا في الدنيا لفعل ذلك ولا مانع ولكن خص بذلك
حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلت الاشاعرة على جواز الرؤية بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى حكاية
عن موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
وجه الاستدلال به ان سؤال موسى عليه السلام الرؤية يدل على امكانها لان العاقل فضلا عن النبي
لا يطلب المحال ولا يمكن لاحد ان ينسبه الى الجهل باستحالة الرؤية لكونه من مشاهير اولي العزم وهم محمد ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى وكان شيخنا يقول وآدم والله اعلم ومن وجه الاستدلال ايضا على جواز
الرؤية انه سبحانه وتعالى علق الرؤية على استقرار الجبل وهو امر ممكن في نفسه والمعلق على الممكن ممكن واما
العقل فهو انا نرى الاعراض كالالوان والاضواء والحركة والسكون والاجتماع والافتراق وغير ذلك كما نرى
كالطول والعرض في الجسم فلا بد من علة مشتركة تكون بين الواجب والجواهر والاعراض وهي السبب
الاول للرؤية وذلك السبب المشترك هو الوجود لانه مشترك بين الواجب والممكنات لاطلاقه عليهما بخلاف
الحدوث والامكان لا يطلقان على الواجب اذ الحدوث والامكان وان كانا عبارة عن الوجود لكن مع اعتبار
عدم سابق عليهما فيجوز رؤيته تعالى عقلا هذا وثبتت وقوع رؤيته تعالى في الآخرة بالكتاب والسنة
اما الكتاب فكقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وكقوله فمن كان يرجو لقاء ربه وغير
ذلك من الآيات الدالة على اللقاء وكقوله تعالى كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على
النزل لا يليق في حق الكريم فالزائد هو الفردوس بطريق الدوام لا يكون الا اللقاء وكقوله تعالى كلا انهم عن

ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين فان الله ذكر الحجاب تحقيرا لشان الكفار فلزم
منه كون المؤمنين مبرئين عن الحجاب فوجب ان لا يكونوا محجوبين عن ربهم بل راءين له تعالى وكقوله
وفيها ما تشتهي الانفس ولا شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله تعالى على اكمل الوجوه واكمل
طرق المعرفة هو العيان وكقوله واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا فيمن قرأ بفتح الميم وكسر اللام واما
الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور الذى ذكره الشيخان انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
ولا تضامون فى رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية فى الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى كذا فى جامع
الاسرار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا هكذا ذكره البغوى فى تفسيره **وهو يدرك**
الابصار اى لا يخفى عليه شئ ولا يفوته بل يحيط علمه بها يعنى هو للطف ادراكه للمدركات
مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع على ماهيتها عليم بعوارضها وذاتياتها فان قيل كيف خص الابصار بادراكه
سبحانه لها ولم يقل هو يدرك كل شئ مع انه ابلغ فى التمدح قلنا لوجهين احدهما مراعاة المقابلة اللفظية
فانه نوع من البلاغة الثانى ان هذه الصفة يعنى ادراك الابصار خاصة به تعالى وبين الابصار انه
يدركها بمعنى الاحاطة بها وهى لا تدركه فاما غيره مما يدرك الابصار فهى تدركه ايضا فلهذا خصها بالذكر
وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهى رقة القوام والذات فان ذلك من صفات
الاجسام بل المراد لطف صنعه فى تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة و
المنافذ الضيقة التى لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف فى الانعام والرحمة لا ياءمرهم فوق طاقتهم
وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثنى عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية
قال السلطان يدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار يعنى فانها لا تدرك نفسها والله يدركها قال ابن عباس اللطيف
باوليائه الخبير بهم او اللطيف الذى ينسى العباد ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر فى الاشياء والخبير
العالم بالعباد واعمال العباد وقيل اللطيف العالم بخفيات الاشياء والخبير الحليم بظواهر الاشياء وقيل اللطيف
العالم بدقائق الامور ومشكلاتها وقال بعضهم الخبير بظواهر الاشياء وخفياتها واللطيف الذى اعطى فوق
الكفاية وكلف دون الطاقة وقيل اللطيف المحسن المتفضل الرفيق باللطيف فوق كل لطيف الطف بى
امورى كلها ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قل يا محمد **قد جاءكم بصائر من ربكم**
اى حجج ظاهرات التى تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من قد جاءكم من جهة مالككم ومربيكم ومبلغكم
الى كمالكم اللائق بكم ما هو كالبصائر للقلوب من الوحى الناطق بالحق والصواب وقد جاءكم بصائر كائنة من ربكم
فمن عرفها و**ابصر**ها فامن **فلنفسه** ابصر الخيرة لان ثواب ابصاره له ونفعها مخصوص بنفسه يعنى فمن
تدبرها منصفا لا معاندا ولا متعصبا ابصر الرشد وكان نفعه له **ومن عمى** عن الحق والحجج وضل
فعليها اى تضرر ذلك على نفسه قال الكلبى قد جاءكم بصائر من ربكم اى القران فمن ابصر صدق القران
وامن بمحمد فلنفسه عمل واحرز الثواب ومن عمى فلم يصدق فعلى نفسه جنى العذاب **وما انا عليكم**
بحفيظ اى قل يا محمد وما انا عليكم فى هذه الحالة برقيب احصى عليكم على قوله بل انما انا منذر والله هو الذى
يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول فيكون تقول لقول حضر كما اشرنا
بقولنا قل يا محمد الخ ونسخه اية القتال وقال القشيرى فكذلك اوضح السبيل والاح الدليل وازاح

العلل

العلل وانار السبيل ولكن قيل فى معناه شعر وما انتفاع اخى الدنيا بمقلته اذا استوت عنده
الانوار والظلم **وكذلك نصرف الايات** اى وكما صرفنا وبينا واوضحنا الايات السابقة الدالة
على الوحدانية نصرف ونبين سائر الايات ليعتبروا **وليقولوا** الكفار فى عاقبة الامور **درست** اى قرات
على غيرك وتعلمت منهم ثم جئت تقرأ علينا تزعم انه من عند الله هذا على قراءة درست من غير الف وجواب
ليقولوا محذوف اى وليقولوا درست نصرفها ونبينها ودارست بالالف معناه وكذلك نبين
سائر الايات لئلا يقولوا الكفار يعنى حتى لا يقول لك الكفار دارست اهل الكتاب وذاكرتهم اى قرات
على اهل الكتاب وقرأوا عليك والحاصل ان اللام فى ليقولوا اصلها للعلة والغرض ثم استعير من ذلك
للعاقبة وهى اللام التى تدخل على ما يترتب على شئ وليس مقصودا قرأ ابن كثير وابو عمرو دارست بالالف وفتح
تاء الخطاب والمعنى كما ذكرنا والباقون درست بغير الف وفتح التاء والدرس القراءة والتعلم بمعنى قرات على يسار
وجبر كانا عبدين لقريش من سبى الروم كان قريش يقولون له عليه السلام انك تعلم منهما ثم تزعم انه من عند الله
واستثنى من الباقين ابن عامر ويعقوب فانهما قرأا درست بفتح السين وسكون التاء من الدروس وهو
البلى والمحاء الاثر اى الايات التى تقرأ وتتلوها علينا اخبار قديمة قد درست وامحت وعفت كقولهم
اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء وفتح السين وسكون التاء مبالغة فى درست اى اشتد دروسها
وعفاؤها وقرئ درست على البناء للمفعول بمعنى قرئت اى قرأ عند غيره او بمعنى عفت وامحت وقرئ دارس
بالالف وفتح السين وسكون التاء بمعنى درست وامحت الاثر او بمعنى دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ
درسن بفتح الراء وسكون السين وبعدها نون اى حفظن او درس اى محمد وقرئ دارسات اى قديمات وذات درس
كقوله فى عيشة راضية وفى التيسير واختلاف القراءات لاختلاف اقوال الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من قال
انما يعلمه بشر فهو تاويل درست ومنهم من قال ان هذا الا اساطير الاولين وهذا تاويل درست بسكون التاء
ومنهم من قال ان هذا الا افك مفترى وهذا تاويل درست بفتح التاء وقوله **ولنبينه** عطف على ليقولوا
واللام للعلة والغرض والضمير للقران او للايات لانها فى معنى القران او للمصدر وقال الشيخ واللام
فى ليقولوا لام العاقبة والصيرورة اى لتصير عاقبة امرهم الى ان يقولوا درست وهو كقوله تعالى فالتقطه
ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صار
عاقبة امرهم الى العداوة واما اللام فى لنبينه فللتعليل اى فلذلك الايات صرفت للتبيين ولم تصرف
ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين فشبه به **لقوم يعلمون** الحق من
الباطل متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لانهم المنتفعون به قال ابن عباس يريد اولياءه الذين
هداهم الى سبيل الرشاد فاما المعاندون فيقولون هذا شئ اخذته من الكتاب ثم لما حكى عن المشركين قدحهم
فى تصريف الايات عقب ذلك بامره صلى الله عليه وسلم بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم
فقال **اتبع ما اوحى اليك من ربك** اى القران يعنى دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحى اليك
من الشرائع والاحكام التى عمدتها التوحيد ولا تتبع اهواءهم قال ابن عباس دعى المشركون رسول الله الى ملة
ابائه فانزل الله اتبع الى اخره **لا اله الا هو** فاياه فارج واياه فخف اعترض بين الامرين اعنى اتبع
واعرض او حال عن ربك **واعرض عن المشركين** اى فلا تحاجهم ولا تحاقهم الى ان يرد الامر بالقتال ومن جملة

منسوخة باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شاء الله** توحيدهم وعدم اشراكهم
ما اشركوا وهذا دليل على انه لا يريد ايمان الكافر لكن يعني انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى
انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض
مؤكد للاعراض عن المشركين وكذا قوله **وما جعلناك عليهم حفيظا** اى رقيبا مهيمنا من
قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وتاخذهم باجرامهم وكذا قوله **وما انت عليهم بوكيل** يعني
تقوم بامورهم او تسلط على اكراههم على الاسلام وليس عليك الا التبليغ الى ان نومر بقتالهم قال عطا
وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني اى لم تبعث لحفظ المشركين عن العذاب انما بعثت مبلغا وما انت
عليهم بوكيل ثم ذكر تحقيق قوله واعرض عن المشركين بقوله **ولا تسبوا الذين يدعون** اى يعبدون
من دون الله اى ولا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح بان تقولوا تبا لكم ولما تعبدون
من دون الله او تقولوا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **فيسبوا الله عدوا بغير علم** اى فيسب
المشركون الله ظلما واعتداء وتجاوزا عن الحق الى الباطل غير عالمين بالله تعالى وبما يجب ان يذكر من الكمالات
قرا الجمهور عدوا بفتح العين وسكون الدال وتخفيف الواو وقرا يعقوب عُدُوًّا بضم العين والدال وتشديد
الواو ويقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله تعالى ان يسبوا
اوثانهم وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فانهم
قوم جهلة وقال السدي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنامرنه
ان ينهى ابن اخيه عن الهتنا فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات
قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو
بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا
والهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فقال هؤلاء قومك يقولون نريد
ان تدعنا والهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان اعطيتكم
هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم فقال ابو جهل نعم وابيك وعشرة امثالها
فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان القوم قد فزعوا منها قال يا عم
ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمنك ونشتمن
من يامرك به فانزل الله تعالى ولا تسبوا الذين الاية فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تسبوا
الهتهم فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقة النهي عن سب
الله تعالى لانه سبب لذلك وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر
شر مثاله سب الاصنام وبغضها من الطاعات وقد نهى الله تعالى عنه لكونه مؤديا الى معصية عظيمة وهي
شتم الله وشتم رسوله وفتح باب السفاهة تعلم منه ان ما كان طاعة في نفسه انه اذا ادى الى منكر يكون
منكرا فان قيل الكفار كانوا مقرين بوجود الله ويزعمون انهم انما يعبدون الاصنام طمعا في شفاعتهم عند الله
كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يعقل اقدامهم على شتم الله وسبه والجواب انه ربما كان بعضهم
قائلا بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي بهذا النوع من السفاهة وايضا المشركون لانكارهم النبوة كان

بعضهم من كان يعتقد ان شيطانا يحمله على ادعاء النبوة والرسالة ويامره بها فلو سمع من احد عيب
الاصنام والطعن فيها لحمله ذلك السماع على سب من امره بانكار عبادة الاصنام وتعييبها فيرجع ذلك
السب الى سب الله عز وجل **كذلك زينا لكل امة** من امم الكفار **عملهم** اى كما زينا لهؤلاء عبادة الاوثان
وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة قبلهم عملهم قال الاستاذ زينا لكل امة عملهم
من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا وتزيينا مثل تزيين المشركين سب الله
وعبادة الاوثان ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفار لان الكلام فيهم قال بعضهم في معنى الاية يعني
كما زينا لهؤلاء المشركين عبدة الاوثان طبعا باختيارهم ذلك واصرارهم على ذلك طوعا زينا لكل امة
من الامم عملهم والمعتزلة يحملون هذا على معنى اخر فقالوا معناه زينا لهم الايمان والطاعة بالامر والوعد لكنهم
تركوا واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الكفر والمعصية وقالوا ان الله ذكر تزيينه في خير الايمان فقال ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وذكر تزيين المعاصي من الشيطان
فقال زين لهم سوء اعمالهم فلا يجوز ان يزين الله ما يزين الشيطان وقال الامام التزيين على قسمين
تزيين في العقول وهو تزيين من طرق الايات والبراهين وذلك لا يحتمل في الكفر والضلال ان يكون من جهة الله تعالى
وتزيين في الطباع والشهوات ويجوز ان يكون ذلك للكافر في الكفر والمعصية من الله تعالى وليس اضافة ذلك اليه
باكثر من اضافة الاغواء والاضلال اليه فقد ثبت ذلك قلت والحاصل قوله عز وجل كذلك زينا لكل امة عملهم كقوله افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو حجة لنا في الاصلح **ثم الى ربهم**
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون اى ثم يكون الى جزاء الله مصيرهم يوم القيامة فيخبرهم بما عملوا في الدنيا و
يجزيهم عليه ثم لما طلبت قريش منه صلى الله عليه وسلم نزول الملائكة واحياء الموتى وحلفوا انهم يؤمنون
عند ذلك وكان المؤمنون يحبون ذلك ليؤمن المشركون نزلت **واقسموا** كفار مكة **بالله جهد ايمانهم**
اى يحلف هؤلاء المشركون بالله مجتهدين في الحلف مظهرين للوفاء به والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم
على الرسول عليه السلام في طلب الايات واستحقار ما تلقوا منها **لئن جاءتهم اية** من مقترحاتهم **ليؤمنن**
بها اى ليصدقن بها وليشهدن لك بالنبوة وليدعن عبادة الاصنام قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت
قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان
يحيي الموتى فاتنا من الايات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا
ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا حتى نساله عنك احق ما تقول ام باطل او ارنا الملائكة يشهدون لك فقال لهم رسول الله
فان فعلت بعض ما تقولون تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعك اجمعون وسال المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ان يجعل الصفا
ذهبا فجاءه جبريل عليه السلام فقال له ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان
تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله واقسموا الى **قل** لهم
يا محمد **انما الايات عند الله** اى هو مختص بها يعني هو القادر على ان ياتي بها لا انا وانما انا نذير وليس شيء منها بقدرتي
وارادتي **وما يشعركم** اى وما يدريكم بايمانهم استفهام انكار اى انتم لا تدرون ذلك **انها** اى الايات

المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون لما سبق في علمي كان المؤمنون يتمنون مجيء الاية المقترحة لعلها تكون
سببا لايمانهم فرد الله عليهم بانكم لا تدرون عدم ايمانهم اذا جاءت تلك الايات فليس ذلك منهم فالنفي
انما توجه الى ما هو الواقع لا الى ما ادعاهم وقال بعضهم معناه انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون وانتم تقولون
ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون
على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي بهم من انهم لا يؤمنون وفيه تنبيه على انه انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا
جاءت لا يؤمنون قال الشيخ انكر السبب اعني العلم والدراية بايمانهم واريد نفي المسبب وهو الايمان اى
اريد انكاره لاظهار الحرص على ايمانهم يعني انتم لا تدرون هذه المسالة فلذلك تطمعون في ايمانهم والمعاني
كلها قريبة بعضها الى بعض قرا العامة انها بفتح الهمزة وابن كثير وابو عمرو بكسرها فاما قراءة الكسر فواضحة لانها
استيناف اخبار بعدم ايمان من طبع على قلبه ولو جاءتهم كل اية كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم وقيل الخطاب للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة
لا تؤمنون بالتاء واما قراءة الفتح فقد فسروها بوجوه اظهرها انها بمعنى لعل اذ قرئ لعلها حكى الخليل ائت السوق
انك تشتري اللحم اى لعلك والثاني ان تكون لا زايدة نحو قوله تعالى وما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد والثالث
ان في الكلام حذف معطوف والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون او يؤمنون فحذف او يؤمنون لعلم
السامع به والرابع ان لا غير زايدة وليس في الكلام حذف وليس ان بمعنى لعل اذ هذا كله خروج عن الظاهر لغير
ضرورة بل حمل الكلام على الظاهر اولى وهو واضح شايع ونعني بالشايع انكم لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر
السبب مبالغة في نفي المسبب كما اشرنا في الاول وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فيكون
انكارا لهم على حلفهم بانهم يؤمنون عند مجيئها اى يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم
حينئذ مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات فلا يؤمنون بها وفي استعمال اذا موقع ان مع
انه ما جاءهم مقترحهم مبالغة في عدم ايمانهم كانه حقق مجيء الاية وعلم عدم ايمانهم ونقلب افئدتهم
اى نحول قلوبهم عن الحق فلا يفقهونه تمثيل لحالهم بحال الظرف المقلوب الذي لا يمسك شيئا وابصارهم
عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها فهو عطف على لا يؤمنون والمعنى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم
عن الحق فلا يفقهونه الخ كما لم يؤمنوا به اول مرة اى وهم لا يؤمنون بالمقترحات كما لم يؤمنوا بالايات
التي انزل الله قبل الاقتراح قال ابن عباس يعني ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالايات التي سالوا ما
امنوا بها كما لم يؤمنوا بما قبلها من الايات من انشقاق القمر وغيره كما لم يؤمنوا به اول يعني معجزات موسى وغيره
من الانبياء عليهم السلام لقوله تعالى او لم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وفي الاية محذوف تقديره فلا يؤمنون
كما لم يؤمنوا اول مرة وقال علي بن ابي طلحة المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة الى الدنيا نقلب افئدتهم
وابصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم قال الله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونذرهم
عطف على لا يؤمنون اى وندعهم في طغيانهم يعمهون اى في ضلالهم اى يترددون متحيرين يعني
متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين قال عطا نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون وقيل معناه وما يشعركم
انا نذرهم في طغيانهم يتحيرون وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول واسناد
الى الافئدة ثم شرع في تفصيل ما اجمله في قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا اليهم

الجزء الثامن

الملائكة اى لو ارسلنا الى هؤلاء المقترحين كل الملائكة فراوهم عيانا وشهدوا لك بالرسالة وان كانوا
سالوا ملكا واحدا بقولهم لولا انزل عليه ملك وكلمهم الموتى اى واحيينا اليهم كل الاموات باحيائنا
باحيائنا اياهم فشهدوا لك بالنبوة وان كانوا سالوا منك احياء اثنين من موتاهم قصي بن كلاب
وجد عثمان بن عمرو وكانا كبيرين فيهم صدوقين بينهم وشهدوا لك بانك رسول الله وحشرنا اى
وجمعنا عليهم كل شيء قبلا اى وجمعنا على المقترحين كل حيوان من الفيل الى البعوض اى اقتنا
القيمة وشهدوا لك بالرسالة او صاروا لك كفلاء وضمناء على ما تدعيه من التبشير والانذار ما
كانوا ليؤمنوا اى لم يؤمنوا برؤية هذه الايات لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله
ايمانهم فيؤمنوا حينئذ قرا نافع وابن عامر قبلا هنا وفي الكهف بكسر القاف وفتح الباء والكوفيون هنا
وفي الكهف بضمهما وابو عمرو وابن كثير بضمهما هنا وكسر القاف وفتح الباء في الكهف فاما قراءة نافع وابن عامر
ففيها وجهان احدهما انه بمعنى مقابلة اى معاينة وانتصابه على هذا على الحال فهو مصدر في موضع
الحال كما اشرنا وثانيهما انه بمعنى ناحية وجهة وانتصابه حينئذ على الظرف واما قراءة الباقين في
هذه الاية ففيها اوجه احدها ان يكون قبلا جمع قبيل بمعنى كفيل الثاني ان يكون جمع قبيل لكنه بمعنى جماعة
جماعة او صنفا صنفا والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء فوجا فوجا ونوعا نوعا من ساير المخلوقات الثالث
ان يكون قبلا بمعنى قبلا كالقراءة الاولى في احد وجهيها وهو المواجهة اى مواجهة ومعاينة ومنه ايتك
قبلا لا دبرا اى ايتك من قبل وجهك قال الله تعالى ان كان قميصه قد من قبل وعلى الوجوه المذكورة نصب على
الحال من كل وان كان نكرة لعمومه واضافته الا في احد وجهيه فانه ينصب على الظرفية كما قدمنا والا
في قوله الا ان يشاء الله مفرغ من اعم الاحوال اى لا يؤمنون في حالة من الاحوال الا حالة مشية الله
ايمانهم وقيل الاستثناء منقطع وهو حجة ظاهرة على بطلان قول المعتزلة وقال الامام ودل هذا على
ان الاية وان عظمت فانها لا تضطر الى الايمان فلا اية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه ويكون معنى قوله ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها
خاضعين اى ان شاء الله ان يخضعوا لا ان الاية تضطرهم وتلجئهم الى ذلك ودل ايضا انهم انما لم يؤمنوا
لان الله تعالى لم يشا ولو شاء لامنوا ومن علم الله منهم اختيار الكفر والاصرار عليه شاء له ذلك ومن
علم منه اختيار الايمان شاء له ذلك ولكن اكثرهم يجهلون ولم يقل كلهم وان كانت جهالة
الكفر تعمهم لان المراد والله اعلم ولكن اكثرهم يجهلون انه لو اتاهم كل اية يقترحونها ما امنوا بعبارة
اخرى اى يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله اغلظ ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم ذكر في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم
قوله وكذلك الخ اى وكما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل ظاهر على ان عداوة
الكفرة بفعل الله تعالى ولان تلك العداوة معصية وكفر فلزم ان يكون خالق الخير والشر والايمان والكفر هو
الله تعالى لا العبد فتكون الاية حجة لنا على المعتزلة شياطين الانس والجن اى مردة الفريقين وهو
منصوب على انه بدل من عدوا او على انه المفعول الاول لجعلنا وعدوا مفعول ثان له ولكل نبي متعلق بجعل

او حال منه توضيح المعنى اى وكما جعلنا لك يا محمد اعداء من المشركين مجتمعين على عداوتك يسألونك
الايات المقترحة ويصورونه عند اصحابهم انك عاجز عن الاتيان بها فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا
قال عكرمة والضحاك والسدى والكلبي معناه شياطين الانس التي مع الانس وشياطين الجن التي مع الجن
وليس للانس شياطين وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا منهم الى الجن
وكلا الفريقين اعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شياطين الانس
لشياطين الجن اضللت صاحبي فاضل صاحبك بمثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك
وحي بعضهم الى بعض قال قتادة ومجاهد والحسن ان من الانس شياطين كما ان من الجن شياطين والشيطان
العاتي المتمرد من كل شيء قالوا ان الشياطين اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو
شيطان الانس فاغواه بالمؤمن ليفتنه يدل عليه ما روى عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
تعوذت بالله من شياطين الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم هم من شر شياطين
الجن وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي من شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب
عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي وفي المدارك قال عليه السلام قرناء السوء شر
من شياطين الجن **يوحي** يوسوس **بعضهم الى بعض** الوحي الكلام الخفي والقول السريع الذي يلقى
سرا والمراد به هنا وسوسة الشياطين اى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى
بعض وبعض الانس الى بعض **زخرف القول** وهو قول مموه مزين بالباطل لا معنى تحته **غرورا** حال
او مفعول له اى ليغروهم ويخادعوهم **ولو شاء ربك ما فعلوه** اى لو شاء ربك ايمانهم
ما فعلوا ذلك يعني ما فعلوا معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء وحده
او الزخرف او الغرور كذلك وفي الاية دلالة على ان الشر بمشية الله تعالى فيكون حجة ظاهرة على
المعتزلة قال الامام البغوي ما فعلوه اى ما القوه من الوسوسة في القلوب **فذرهم وما يفترون**
اى اذا عرفت ان ذلك بمشية الله ومشيته تابعة لحكمته فاتركهم وكفرهم هذا قبل الامر بالقتال
يعني فذرهم وما يفترون عليك وعلى الله فان الله يجزيهم وينصرك ويخزيهم قال القشيري فلما
كان المحل اعلى كانت البلايا اوفى والمطالبات اقوى ولما كانت رتبة الانبياء اشرف كانت العداوة
معهم اشد واصعب **ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة** والمعنى اى
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل الى زخرف القول قلوب الذين لا يصدقون
بالبعث وهو عطف على غرورا لكون اللام لعلة الايحاء او متعلق بمحذوف يدل عليه المقام اى فعلنا ذلك
من معاداة الانبياء وايحاء الزخارف جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا في الجعل قالوا اللام
في قوله ولتصغى وما عطف عليه للعاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر
وضعفه اظهر لانه لم يجزم الفعل **وليرضوه** عطف على ولتصغى اى وليختار الكفار معاداة الانبياء
وايحاء الزخارف لانفسهم بعدما مالت اليه ذلك افئدتهم **وليقترفوا** عطف على ما قبله اى وليكتسبوا
الكفار ذلك المعادات والايحاء **ما هم مقترفون** اى ما يريدون ان يقترفوا قال الزجاج اى ليعملوا من
الذنوب ما هم عاملون ولما قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك قاضيا من احبار اليهود
او من

او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك نزلت قوله تعالى **افغير الله ابتغي**
حكما اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقد حكم
الله بنبوتي وخصني بمثل هذا الكتاب المفصل الكامل البالغ الى حد الاعجاز وغير مفعول ابتغي
وحكما حال منه ويحتمل عكسه ونظيره قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقيل
معناه قل لاهل مكة اغير الله ابتغي ربا اعبده **وهو الذي انزل اليكم الكتاب** اى القران المعجز
مفصلا اى مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وقيل مفصلا اى مبينا مفرقا
في عشرين سنة سورة سورة وخمسا خمسا وعشرا عشرا وفيه تنبيه على ان القران باعجازه وتقرره
مغن عن سائر الايات كاف في امر الدين فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم فان قيل لم قال اليكم دون اليك
مع ان الله قال وانزلنا اليك الكتاب قلنا لما كان انزاله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبلغه الى الخلق
وليهديهم به كان في الحقيقة منزلا اليهم لكن بواسطة النبي عليه السلام فصح اضافة الانزال اليه
واليهم **والذين اتيناهم الكتاب** يعني علماء اليهود والنصارى الذين اتيناهم التوراة والانجيل
وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وقال عطاء هم رؤس اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والذين
اتيناهم مبتدأ وخبره قوله عز وجل **يعلمون انه منزل من ربك بالحق** تأكيد لدلالة الاعجاز على ان القران
ملتبس بالحق منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه صلى الله عليه وسلم
لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف الله جميع اهل الكتاب بالعلم لان اكثرهم يعلمون
نزول القران من الله ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بتشديد
الزاي مبالغة لانه نزل نجوما والباقون بتخفيفها لانه نزل مرة واحدة الى البيت العزة **فلا تكونن من**
الممترين اى لا تكن من الشاكين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم
وكفرهم به فيكون من باب التهييج اى ترغيبه وتحريضه عليه السلام على ثباته على تقوية الدين
وثباته كقوله ولا تكونن من المشركين لا من باب كفه ومنعه عليه السلام عن الشك والامتراء فانه عليه
السلام ليس ممن يمتري في شيء من علم اهل الكتاب بانزال القران من ربه بعد ان اخبر الله تعالى بانه
يعلمون انه منزل من ربهم والخطاب له عليه السلام والمراد امته لانه الواسطة والمترجم عن احوالهم او المراد
بالخطاب كل احد على معنى لا يليق باحد الامتراء في ذلك لان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا يخفى على احد
بانه تنزيل من رب العالمين وقيل لا تكونن من الشاكين انهم قد غيروا ما في كتبهم **وتمت كلمات ربك**
والمراد بكلماته جميع ما تكلم به من امره ونهيه ووعده ووعيده واراد بتمامها بلوغها الغاية في كونها
كافية في بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيمة علما وعملا والمعنى من حيث السبك بلغت الغاية
اخبارها واحكامها ومواعيدها في كونها كافية في بيان ما يحتاج اليه المكلف **صدقا** في الوعد والوعيد
اى في الاخبار والمواعيد **وعدلا** في الامر والنهي اى في الاقضية والاحكام قرأ اهل الكوفة ويعقوب كلمة ربك
على التوحيد لان كلام الله واحد لا يتعدد وقرأ الباقون كلمات ربك بالجمع على التفخيم والتعظيم
ولان كلماته تعالى متنوعة بالنسبة الى الامر والنهي والوعد والوعيد قوله صدقا وعدلا يحتمل التمييز
والحال والمفعول له وقد اجمع على الجمع في قوله **لا مبدل لكلماته** قال ابن عباس رضي الله عنهما اى

لا رادّ لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده والحاصل لا احد يبدله شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا
احد يقدر ان يحرّفها بالزيادة والنقص كما فعل بالتوراة على ان المراد بالكلمات القرآن فيكون ضمانا لها
من الله تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون ويحتمل ان يكون تمت بمعنى استقرت اى استقرت ودامت
الكلمات الى يوم القيمة اذ لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وهو السميع لما يقولون
العليم بما يضمرون فلا يهملهم ثم لما اجاب عن شبهة المكابرين ان عند ظهور الحجة والبرهان
لا ينبغى لعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من فى الارض اى الكفار لانهم
الاكثرون او الجهال او اتباع الهوى وقيل ارض مكة يضلوك عن سبيل الله اى عن الطريق الموصل
اليه فان الضال فى غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان يتبعون اى ما يتبعون اهل الضلال الا
الظن وهو ظنهم ان اباءهم على الحق فهم يقلدونهم وعلى اثارهم مهتدون او جعلا الهتهم وآلهة
الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم قال السيوطى اى الا الظن فى مجادلتهم لك فى امر الميتة اذ
قالوا ما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم ويؤيده ما قال عكرمة لما نزل تحريم الميتة كتب مجوس فارس
الى مشركى قريش ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله وما ذبح الله بسكين من ذهب يعنون
به ما اماته الله من غير ذبح فلا ياكلونه واما ما ذبحوهم فياكلونه فكتب بذلك المشركون الى اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فوقع فى انفس ناس من المسلمين من ذلك بشئ فنزلت الاية وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم الشياطين اهل فارس واولياؤهم قريش وكانت العرب لا ناكل ما مات حتف
انفه وانما حملهم المجوس على المحاجة به تظاهر الا انهم كلهم مشركون وان هم اى وما هم الا
يخرصون اى يكذبون على الله فيما ينسبونه من تحليل الميتة وتحريم البحاير وما ينسبون اليه كاتخاذ
الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه او يقدرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت
ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تلتفت اليهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان
المهتدى من هو والضال من هو فيجازى كل احد بما يليق بعمله ومن موصولة او موصوفة فى محل
النصب بفعل مخفى وهو يعلم والمعنى ان ربك هو اعلم من كل احد يعلم من يضل عن سبيله دل عليه
اعلم اى يعلم من يضل عن سبيله لا باعلم لانه افعل التفضيل ولا ينصب ذلك الظاهر فى مثل ذلك وهذا
عدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان اكثر ما يستعمل افعل من يستعمل مع الماضى نحو زيد
افضل من حج واعتمر من هذا الركب فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة وانما قلت فى مثل
ذلك احترازا عن مثل قولهم ما رايت رجلا احسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد فان احسن قد رفع
الكحل لكونه بمعنى حسن فانه بمعنى قولك ما رايت رجلا حسن فى عينه الكحل مثل حسنه فى عين زيد فانه
يعمل فى الظاهر اذا كان بحسب اللفظ جاريا على شئ وهو فى المعنى صفة لامر آخر متعلق بذلك بحيث
يكون ذلك الامر مفضلا باعتبار ذلك الشئ ومفضلا على نفسه باعتبار غير ذلك الشئ فان احسن فى المثال
المذكور جار على رجل وهو فى المعنى صفة للكحل المتعلق به والكحل مفضل باعتبار الرجل ومفضل على
نفسه باعتبار غير الرجل وهو عين زيد وجوز بعضهم ان تكون من استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل

يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل بضم الياء وكسر الضاد اى من يضله الله
تعالى فتكون من منصوبة بالفعل المقدر اى يعلم او مجرورة باضافة اعلم اليه اى اعلم المضلين
من قوله تعالى من يضلل الله والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه والمعنى اذا انتهيتم عن اتباع المضلين
وكنتم بايات الله مؤمنين فكلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه ولا تاكلوا الميتة فانها لم تذبح على اسم الله نهى
اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر على ذبحه اسم الله لا ما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه
ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بالايات تقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه
فان قيل الاية نزلت فى المؤمنين على ما عليه الاكثرون فكيف علق الكون من المؤمنين باكل الذبيحة
المسمى عليها والكون من المؤمنين حاصل وان لم يؤكل من الذبيحة اصلا قلنا المراد اعتقاد الحل لا نفس
الاكل فاذا بعض كل من يعتقد حل الميتة من العرب كان يعتقد حرمة الذبيحة قال ابو منصور رحمه
الله صرف اهل التاويل الاية الى اهل الكفر بقصة المجوس وكفار مكة التى ذكرنا ولا شبه ان تصرف الى
اهل الاسلام لانه ذكر فى اخر الاية ان كنتم باياته مؤمنين ويكون هذا فى حق قوم امتنعوا عن
الطيبات كما ذكرنا فى قوله ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم فنهوا عن ذلك بتلك الاية وامروا باكلها
فى هذه الاية او علم الله تعالى ان قوما من المتقشفة والمتزهدة يحرمون ذلك على انفسهم فنهاهم عن
ذلك وان حملت الاية على المشركين فمعنى قوله ان كنتم باياته مؤمنين لما تعلمون ان الامر والخلق له وقد
بين من الايات ما تعلمون به ذلك وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اى واى غرض لكم
فى ان تتحرجوا عن اكل ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما
حرم عليكم مما لم يحرم فى حال الاختيار فى سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح
على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق فالذى ذكر فى المائدة من المحرمات تفصيل لما ذكر فى هذه
الاية مجملا اعنى ما حرم عليكم وهذا ما ذهب اليه اكثر المفسرين وقال بعضهم تفصيل هذا المجمل اعنى
ما حرم عليكم ذكره فى هذه السورة كما ياتى قريبا بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم
يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به
قال الاستاذ ومن فصل ما حرم عليكم بما فى هذه السورة دون ما فى المائدة للاشكال المشهور وهو ان
سورة الانعام مكية وسورة المائدة من اخر ما انزل الله تعالى بالمدينة وقوله فصل يقتضى ان يكون
التفصيل سابقا على هذه الحكاية والمدنى متاخر عن المكى فكيف يصح ان يخبر عن ما سياتى بلفظ
الماضى والجواب ان التفصيل سابق فى علم الله وفى اللوح المحفوظ هذا مع ان الاجمال كالتنجيز وهى تذكر
فى اول الدليل وتاخره وقال الامام الاولى ان يقال المراد بالتفصيل المحكى عنه بلفظ الماضى ما ذكر بعد هذه
الاية بقوله قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الاية وهى وان كانت مذكورة بعد هذه الاية
بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد خصوصا ان هذه السورة نزلت دفعة وان
باجماع المفسرين فيكون التفصيل متقدما بالنسبة الى زمان تبليغ جبريل عليه السلام هذه الاية

تناول قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ببناء فصّل وحرّم للمفعول ونافع وحفص عن عاصم ببنائهما للفاعل يعني اخبار ان الله تعالى فصل ذلك وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم ببناء الاول للفاعل وبناء الثاني للمفعول **الا ما اضطررتم اليه** مما حرم عليكم فانه ايضا حلال لكم في حال الضرورة وهي شدة المجاعة الى اكله بحيث يخاف على هلاك النفس وفي غاية الاماني فانه يحل تناوله ايضا خصة مع قيام المحرم ابقاء المهجة المؤمن وذلك بقدر الضرورة وما يسد به الرمق **وان كثيرا ليضلون** بتحليل الحرام وتحريم الحلال **باهوائهم** اي بما تهواه انفسهم من تحليل الميتة وغيرها **بغير علم** اي يحتجون بقولهم تاكلون ما امتم ولا تاكلون ما اماته الله وهذا حكم بالهوى من غير مستند الى دليل يفيد العلم والحكم في التحليل والتحريم لمالك الاعيان وهو الله فالحلال ما احله والحرام ما حرمه **ان ربك هو اعلم بالمعتدين** اي المتجاوزين حدود الله من الحلال الى الحرام فيجازيهم عليه قرأ الكوفيون ليضلون بضم الياء والباقون بالفتح **وذروا ظاهر الاثم وباطنه** اصل كل الاثم الشرك وظاهره تكذيب اللسان وباطنه جحود القلب والسورة في محاجة اهل الشرك وقال بعضهم معناه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وبالقلب وقال السدي ظاهر الاثم الزنا في الحوانيت مع المتخذات بها وباطنه الزنا في الصديقة سرا والخصيصة دعوا كل ما يوجب الاثم ما يؤتى به جهارا وما يفعل سرا سواء بين العبد والعبد والعبد والرب **ان الذين يكسبون الاثم** ظاهرا وباطنا **سيجزون** يوم القيمة **بما كانوا يقترفون** اي يكتسبون في الدنيا **ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام واختلف اهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليه فذهب قوم الى تحريمها سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي وداود واحتجوا بظاهر هذه الاية وذهب قوم الى تحليلها سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا وهو قول ابن عباس والشافعي ومالك واحمد وذهب قوم الى انه ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا تحل حكى الخرقي من اصحاب احمد ان هذا مذهبه وهو قول اصحاب ابي حنيفة ومن اباحها قال المراد من الاية الميتات او ما ذبح على اسم غير الله بدليل انه قال تعالى **وانه لفسق** في ذكر اسم غير الله تعالى فان الواو فيه وانه في موقع الحال ولا يستقيم عطفه على الانشاء وهو ولا تاكلوا لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن ولا يستقيم ايضا عطفه على الصلة وقد بين الله الفسق في ما اهل لغير الله به في اخر هذه السورة حيث قال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله به واحتج من اباحها بما اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انبانا احمد بن عبد الله النعيمي انبانا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا ابو خالد الاحمر قال سمعت هشام بن عروة يحدث عن ابيه عن عايشة قالت قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك ياتونا بلحمان لا ندري يذكرا اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا ولو كانت التسمية شرطا للاباحة كان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح واحتج ايضا من اباحها بقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه رواه عبد بن حميد عن راشد بن سعد مرسلا واحتج ايضا من اباحها بما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن متروك التسمية فقال كلوه فان تسمية الله تعالى في قلب

كل مؤمن

٩

سورة الانعام

كل مؤمن شيئ اولم يسم والضمير في وانه لما في مما لم يذكر الخ والمعنى ان ما لم يذكر اسم الله عليه فسق وقلنا اراد بالفسق ما اهل به لغير الله ويجوز ان يكون الضمير في وانه للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا فالاحاديث والمعاني الصحيحة حجة لمن يبيحه ومن الحجة قوله عز وجل **وان الشياطين ليوحون** اي يوسوسون **الى اوليائهم** من الكفار **ليجادلوكم** في تحليل الميتة لان الجدال لهم في قولهم لم لا تاكلون ما قتله الله وتاكلون ما قتلتموه انتم وذلك انما يصح في الميتة فيدخل بقوله وانه لفسق ما اهل لغير الله به وبقوله وان الشياطين ليوحون الميتة فيتحقق ما قاله الشافعي من ان هذا النهي مخصوص بما ذبح على اسم النصب او ما يتصف انه **وان اطعتموهم** اي الكفار في استحلال ما حرمه الله او تحريم ما احله الله **انكم لمشركون** فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرمه الله او حرم شيئا مما احله الله تعالى فهو مشرك فعلى قول الزجاج لا ينبغي لمتدين تناول المتروك لاختلاف العلماء فيه ولسفك دماء المسلمين عليه ولتنفر طباع السليم عنه ولما فيه من اليبس من جهة الطب والريح الخبيث واحراق المال لما لا نفع فيه شرعا سوى الهوى والهوس كما قاله شيخنا في حاشيته على المنهاج وانما حسن حذف الفاء من انكم لان الشرط بلفظ الماضي ثم انه تعالى بعد ما ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب الله مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحياه الله واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات اي في ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة منغمس فيها ولا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام فقال **او من كان ميتا** بالكفر قرأ نافع ميّتا وكذا لحم اخيه ميّتا والارض الميّتة بالتشديد في الكل وقرأ الاخرون بالتخفيف **فاحييناه** اي هديناه بالايمان **وجعلنا له نورا** اسلاما اي يقينا بالله وهو نور الحجج والايات **يمشي به في الناس** حيث اراد من غير تعب ولا نكد يحصل به مطالبه من يتامل به في الاشياء مستضيئا فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل يخصه يبصر به الحق من الباطل حيث كان وهو الايمان **كمن مثله** اي كمن صفته الغرق **في الظلمات** لا يهتدي الى مقصد بل يخابط فيها **ليس بخارج منها** ابدا لا بالارشاد ولا بابصار الصراط المستقيم يعني لا يفارقها ولا يتخلص منها بحال فلا يستويان فقوله أو بادخال همزة الانكار على واو العطف فبقيت مفتوحة ومن بمعنى الذي مرفوعة المحل مبتدأ وكمن خبره ومثله في الظلمات جملة اسمية وقعت صلة للموصول وليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر **كذلك** اي كما زين للمؤمن الايمان **زين للكافرين ما كانوا يعملون** من الكفر والمعاصي والظاهر ان الاية عامة لكل من هداه الله ولكل من اضله الله وقيل نزلت في رجلين باعيانهما قال ابن عباس رضي الله عنه يريد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابا جهل لعنه الله وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من الصيد وبيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل فضرب راسه بقوسه وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وحده

لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله هذه الاية وعن مقاتل انها نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم
وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه
والله لا نؤمن به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه وعن عكرمة انها في عمار بن ياسر رضي الله
عنه وابي جهل وعن الضحاك انها في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابي جهل فانهما كانا يؤذيان رسول الله
فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهما واستجيب له في عمر رضي الله عنه فان قيل كيف اتهم الله فاعل التزيين
فقال وكذلك زين بالبناء للمفعول وقال في اية اخرى وزين لهم الشيطان اعمالهم وقال في اية اخرى
زينا لهم فمن هو مزين الاعمال للكفار في الحقيقة قلنا التزيين من الشيطان بالاغواء والاضلال والوسوسة
وايراد الشبه ومن الله تعالى خلق جميع ذلك فصحت الاضافتان وقيل الحياة انواع حياة بالروح قال الله تعالى
وكنتم امواتا فاحياكم وحياة الارض بالمطر قال الله تعالى فاحيا به الارض بعد موتها وحياة بالايمان
كما في هذه الاية وحياة بالطاعة كما في قوله اذا دعاكم لما يحييكم وقال القشيري قد كان اهل الغفلة اذا الهوى
الذكر فقد صاروا احياء بعد الممات وارباب الذكر اذا اعترتهم نسيان فقدوا تواجد الحياة والذي هو في
انوار القرب وروح الاستبصار لا يدانيه من هو في اسر الظلمات ولا يساويه من هو رهين الافات
وكما جعلنا بمكة اكابر وعظماء مجرميها وفساقها ليمكروا وليتجبروا فيها وكذلك جعلنا في كل
قرية اي كذلك جعلنا وصيرنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي اكابر مجرميها وعظماءها
للمكر فيها وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم كما قال في قصة نوح انؤمن
لك واتبعك الارذلون وانما خص الاكابر والعظماء الفساق بالمكر لانهم اقوى على استتباع الناس
والمكر بهم وذلك انهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب وما يمكرون الا بانفسهم
اي وما يرجع ضرر مكرهم وحيلهم الا عليهم واللام في ليمكروا للعلة والغرض لا للعاقبة كما زعم
المعتزلة ويقولون معناه وما جعلهم الله اكابر ليمكروا ولكن وجد منهم العاقبة كذلك وهو كقوله
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم ما التقطوه لذلك لكن صار في العاقبة كذلك وقال
الشيخ في الجواب لا يخلو هذا اما ان يقال انه تعالى خلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم انهم لا يكونون
لما خلقهم وذلك ليس فعل حكيم ان يعمل عملا يعلم انه لا يكون او يقال خلقهم لذلك وهو لا يعلم انهم
يكونون كذلك وهو جهل بالعواقب والله تعالى يتعالى عن ذلك علوا كبيرا والحق انه تعالى خلقهم ليكونوا على ما علم
انهم يكونون كذلك ويختارون ذلك وما يشعرون اي وما يعلمون ان ضرر ذلك واقع بهم ثم انه تعالى
حكى قول ابي جهل واضرابه حيث قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف الخ وقول وليد بن المغيرة لو كانت
النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم اكابر اهل مكة
اية اي معجزة قاهرة او حجة على صدق النبي قالوا لن نؤمن اي لن نصدق لذلك حتى
نؤتى اي يعطي الله لنا من الوحي والمعجزات مثل ما اوتي رسل الله من الرسالة ويوحى الينا الخ ما
وكبر سنا وهو غاية سفه ان يقال لرجل ابن نيف لا او صرح حتى يجعلني الله نبيا وقال الضحاك سال
كل واحد من القوم ان يخص بالوحي والرسالة كما اخبر الله تعالى عنهم بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا

منشرة

منشرة ثم اعلم الله تعالى انه اعلم من يصلح للرسالة فقال الله اعلم حيث يجعل رسالته اي ليس
اعطاء الرسالة بالشهوات وانما هو تخصيص الله بها من راه اهلا لها وهؤلاء الكفار محرومون
عن صفات الحمد متعرون قرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته بالافراد والباقون رسالاته
بالجمع قال السلطان قوله الله اعلم الاية هذا استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال
انما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه سيصيب الذين اجرموا من اكابرها وعظمائها وصناديدها
بقولهم لن نؤمن الخ صغار اي ذل وهوان وحقارة عند الله اي من عند الله وقال البعض
والعندية ههنا مجاز عن حشرهم يوم القيمة او مجاز عن حكمه وقضائه بذلك اي ناشيا من قبله
في الدنيا وفيه دلالة على ان المجرم يستحق الذل والهوان وان الرسل انما فازوا بتلك العزة والكرامة
لعصمتهم عن الجرائم وعذاب شديد وهو عذاب النار او القتل والاسر بما كانوا يمكرون اي بسبب
مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه مسبب عن الكلام السابق اي اذا تبين ان
النبوة ليست الا فضلا منه تعالى فمن يرد الله ان يعرفه طريق الحق ويرشده لذلك ويوفقه
للايمان يشرح صدره للاسلام اي يوسع وينور قلبه للاسلام وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سئل عنه عند نزول هذه الايات قالوا يا رسول الله كيف يشرح الصدر قال اذا انزل النور في
القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت ومن يرد الله ان يضله اي يخذله ويثبت
له صفة الضلالة يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان قرا
ابن كثير ضيقا بسكون الياء والباقون بتشديد الياء وقرا نافع وابو بكر عن عاصم حرجا بكسر الراء
اي شديد الضيق والباقون بفتحها وصفا للضيق اي ضيقا ذا حرج او حارجا او عين حرج
روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراها يوما بفتح الراء فقراها له بعض الصحابة بكسر الراء فقال
ابغوني رجلا من كنانة وليكن راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاء قال له يا فتى ما الحرجة عندكم
قال الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه
شيء من الخير كانما يصعد قراءة الجمهور بتشديد الصاد والعين في السماء اي كان هذا الضيق
الصدر متى حاول الايمان وفكر فيه يجد صعوبته عليه والعياذ بالله كصعوبة الصعود في السماء
اي كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد
قرئ به وقرا ابن كثير يصعد بفتح الياء وسكون الصاد وابو بكر عن عاصم يصاعد بتشديد الصاد
وبعدها الف بمعنى يتصاعد اي يتعاطى الصعود ويتكلفه وهذا الاضلال والخذلان في حق من
علم الله منه اختيار الضلال والاية دامغة للمعتزلة في انكارهم الهداية والاضلال من الله تعالى
وقال القشيري قد بين من شرح الله صدره للاسلام فاتيته وعلامته ان لا يتحرك في باطنه

عز وفي لمنازعة التقدير لان الاسلام يقتضى تسليم الكل لله ومن استثقل شيئا من التكليف او نفى
لكراهة شئ فهو غير مستسلم لحكمه ويقال نور في البداية هو نور العقل ونور في الوسايط هو نور العلم
ونور في النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع البرهان وصاحب العلم مع البيان وصاحب
المعرفة في حكم العيان ويقال من وجد انوار الغيب ظهر له خفايا الامور ولم يشكل عليه شئ عند ظهور
النور قال النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ويقال اول ابتداء لانوار الغيب في
العبد بتنبهه على نقايص قدره ومساوى عيبه ثم تشاغله عن شهود نفسه بما يلوح له من شهود
ربه ثم غلبات الانوار على سره حتى لا يشهد الشرجية كما ان يشهد كالنظر في قرص الشمس يستهلك
انوار بصره في شعاع الشمس فكذلك يستهلك انوار البصيرة حقايق الشهود وفيه جمود العبد بالكلية وبقاء
الاحدية بنعت السرمدية وقوله تعالى كذلك اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق بتسليط
الشيطان عليه في الدنيا يجعل الله الرجس اى العذاب او اللعن والغضب قال الله تعالى قد وقع عليكم
من ربكم رجس وغضب على الذين لا يؤمنون بالله ورسوله تخصيصه اى يجعل العذاب والخذلان
عليهم في الاخرة كالخاتمة على الختم قال الشيخ ومعناه كما جعل عليهم الضيق والحرج في الدنيا يجعل عليهم
العذاب في الاخرة قال ابن عباس الرجس ما لا خير فيه وقال عطا الرجس العذاب مثل الرجز اللهم انى
اتضرع اليك بسوابغ فضلك وسوابق افضالك وابتهل لجنابك الاقدس ان تشرح صدرى
وتقذف النور في قلبي انك انت الوهاب وادعوك بما دعى به حبيبك صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل في
قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصرى نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وامامي نورا وفوقي نورا
وتحتى نورا وارزقني الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل
وهذا اى هذا الذى بينا في كلامنا او هذا الذى انت عليه من الشرايع والدين صراط ربك اى طريق
ربك ودينه الذى ارتضاه لنفسه مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا او هو حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل في الحال معنى الاشارة قال ابن عباس اراد بالصراط المستقيم الاسلام
وقال ابن مسعود هو القرآن قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون اى قد اوضحناها وبيناها
لمن يتعظ ويتذكر العهد الذى اخذ عليهم في عالم الميثاق او في الكتب السماوية على لسان الانبياء
فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير وشر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال
العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون لهم اى لاهل الصراط المستقيم
والمتذكرين دار السلام اى السلامة من المكاره وهي الجنة او السلام اسمه جل وعز اضاف الجنة الى
نفسه تعظيما لها واختير من اسمايه تعالى للمح معنى السلامة فيه عند ربهم اى في نزله وضيافته
كما تقول نحن اليوم عند فلان اى في كرامته وضيافته وهو اشارة الى مقام القرب كما قال واسجد واقترب
وقال الشيخ اى مضمونة عند ربهم حتى يوصل اليهم وهو وليهم اى مواليهم ومحبهم وقيل ناصرهم
بما كانوا يعملون اى بسبب اعمالهم الصالحة اى متولى امورهم بجزاء اعمالهم فيتولى ايصاله اليهم
ويقال قيمة الدار بالجار قال قايلهم شعر انى لاحسد جاركم لجواركم طوبى لمن اضحى لدارك جارا
يا ليت جارك باعنى من داره شبرا لاعطيه بشبر دارا اللهم انا جيران بيتك مقصرين لاداء حقه

سورة الانعام

فارحمنا به مع جمع احبابنا فانك بعبادك رؤف رحيم وانت قلت في حق نبينا في كتابك المهيمن
لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ويوم يحشرهم
جميعا اى اذكر او نقول والضمير المستتر في يحشرهم وهم لمن يحشر من الثقلين قرا الجمهور بالنون وقرا
حفص بياء الغيبة باسناد الفعل الى الضمير الرب في قوله عند ربهم اى نقول يوم نحشرهم ونجمعهم للجزاء
جميعا يا معشر الجن يريد الشياطين منهم لما ذكرنا في قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وانما قدرنا المضاف اى من اغوائهم لان الجن لا يقدرون على
الاستكثار من نفس الانس لان القادر على ايجاد الجسم واحيائه وتكميله بالعقل وساير القوى ليس
الا الله فوجب ان يكون المعنى قد اضللتم ايها الشياطين خلقا كثيرا من الانس وكثرتم الاتباع منهم حيث
اتبعوكم في الدنيا وحشروا معكم في العقبى وهذا الكلام تبكيت للجن وتوبيخهم على اضلال الانس واغوائهم
ويتضمن تبكيت الانس على اتباعهم الجن والقبول منهم فلما بكت كل واحد من الفريقين حكى جواب الانس
التابعين للجن بقوله وقال اولياؤهم اى اولياء الشياطين من الانس الذين اطاعوهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الجن بالانس والانس بالجن فاما انتفاع الانس بالجن بان
دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وانتفاع الجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بالجن على زعمهم في الجاهلية اذا نزل مسافر منهم في مفازة يقول اعوذ بسيد هذا
الوادى من سفهاء قومه فيبيت امنا في جواره وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج الانس
اليهم وتلك مرتبة جلية عند الجن وشرف ظاهر وقيل انتفاع الانس بالجن اخذ السحر والكهانة والباطل
القول منهم فان قلت كيف خاطب الجن واجاب الانس دون الجن وما وجه ذلك قلت خطاب الجن
كان لتقريع الانس وتوبيخه لكونه مع شرفه وعلو شانه يصير تابعا لذلك الشرير الخسيس الخبيث
فلم يستحق الخطاب فانه نوع تكريم فكان الجواب من الانس لكونهم مجرمين محتاجين الى نوع اعتذار
وان كان لا يجزى بطايل وقيل معناه تعاون بعضنا ببعض في المعصية والمخالفة هؤلاء بالدعاء
وهؤلاء بالاجابة وقيل استمتاع الجن بالانس ان عظمنا طاعاتهم وارونا انفسنا علف دوابهم
وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنى القيامة والبعث لانهم كانوا ينكرون ذلك فاقروا به حينئذ
وهذا القول منهم اعتراف على انفسهم بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث
وتحسر وندامة على حالهم وقال الماتريدى اراد بالاجل الموت قال الله تعالى لهم على لسان ملائكته
النار مثواكم اى ماواكم ومنزلكم يعنى هذا الاعتذار لا يغنى شيئا فان النار مقركم ومقامكم وذات
اقامتكم خالدين فيها اى حال كونكم دايمين فيها الا ما شاء الله اى الا الاوقات التى تنقلون
من النار الى الزمهرير او الايام البرزخ وهو ما بين الموت والبعث او بعد البعث الى استقرار فريق
في الجنة وفريق في النار وقال عطا الا ما شاء الله من سبق في علمه انه يؤمن كما في قوله واخرين منهم
لما يلحقوا بهم فمنهم من آمن قبل الفتح كجبير بن وهب وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وجبير بن
مطعم وجماعة اخرى ومنهم من آمن بعد الفتح كعكرمة بن عمرو بن الحارث بن هشام وحكيم بن حزام

وسهيل بن عمرو ونضر بن الخطاب وهبار بن الاسود وغيرذلك وقال الحسن الاماشاء الله من كونهم
في الدنيا بغير عذاب إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ في افعاله وصنعه بما يفعل باوليائه واعدائه عَلِيمٌ باعمال
الثقلين واحوالهم اى بالمطيعين والعاصين يجزي كلا على وفق عمله وَكَذَٰلِكَ اى مثل ما فعلنا من تمكين
الجن من اغواء الانس نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا اى يجعل بعض الظالمين وليا على بعض
يتجزونهم ويغوونهم او يجعل بعضهم يتولى بعضا وهذا يدل على ان الرعية اذا كانوا ظالمين
فالله يسلط عليهم ظالما مثلهم روى عن ابن عباس ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم
خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم وروى مالك بن دينار قال جاء في بعض كتب الله
انا الله لا اله الا انا ملك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني
جعلتهم عليه نقمة ولا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى اعطفهم عليكم او نجعل بعضهم
اولياء بعض وقرناءهم في القيمة كما كانوا في الدنيا وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والمعاصي ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى المحو سبيل
يوم القيمة وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ يقال لهم يوم يحشرون أَلَمْ
يَأْتِكُمْ في الدنيا رُسُلٌ مِّنكُمْ اى ما عذركم في الكفر وقد اتاكم رسل منكم اى من الانس خاصة لكن لما
جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك الخطاب ونظيره يخرج منهما اى من العذب والملح اللؤلؤ والمرجان
والمرجان يخرج من الملح دون العذب ونظيره ايضا قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في سماء واحدة
ويتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم
لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وبهذا قال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن ثم قرا ولوا الى
قومهم منذرين وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا وليس للجن رسل وسئل الضحاك عن الجن
هل ارسل اليهم منهم فقال بلى الم تسمع الله يقول الم ياتكم رسل منكم يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن
واستدل ايضا بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير والجواب قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي
اليهم قال الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الجن والانس جميعا وقال ابو العباس المبرد
منكم اى من اهل الارض والانس والجن من اهل الارض بخلاف الملئكة لانهم من اهل السماء فقوله تعالى منكم متعلق
بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم وقوله تعالى يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي صفة اخرى لرسل
ومعناه يقرؤن عليكم كتبي في الامر بالايمان والطاعة والنهي عن الكفر والمعصية وَيُنذِرُونَكُمْ اى يخوفونكم
لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا اى يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من انواع العقوبات الهائلة فكانه قيل
ماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قَالُوا في الجواب شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا بانهم قد بلغوا بالجرم
والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب قال الكلبي وهذه الشهادة حين شهدت
عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى حكاية عنهم فاعترفنا وقال قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقال قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ثم ذمهم الله بقوله وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
اى واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت
به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذرهم اياه فلم يؤمنوا وذمهم ايضا

بقوله

بقوله وَشَهِدُوا في الاخرة عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا في الدنيا كَافِرِينَ بالايات والنذر التي اتى
بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكى الله تعالى
عنهم بقوله عز وجل وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفي شهادتهم على انفسهم من
تحسرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ اى ذلك الارسال الى الجن والانس لاجل ان ربك ليس من صفته
ان يهلك القرى بظلم منها واهل تلك القرى غافلون بان لم ينبهوا برسول وكتاب يعني لم يكن ليهلكهم من قبل
ان ياتيهم رسل ينهاهم اى لانهم ان رجعوا والا اتاهم العذاب قوله ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك
وان مصدرية تقديره والامر ذلك لانتفاء كون ربك الى اخره او مخففة من المثقلة فالتقدير الامر ذلك لان
الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال وَلِكُلٍّ من
المكلفين اى العاملين دَرَجَاتٌ جزاء ومراتب مِّمَّا عَمِلُوا من اعمالهم او من اجلها ومن اجلها وعلى
حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وفي التيسير وما ربك بغافل عن اعمالهم التي
يعملونها من المعصية ولكن يؤخر تعذيبهم رحمة منه كما قال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يؤخرهم الاية او المعنى انه سبحانه على علم باعمالهم خلقهم لا عن جهل لما ان ضرر اعمالهم يرجع
اليهم لا اليه وقال القشيري فكذلك في معنى قوله ولكل درجات مما عملوا المحسن في روح الثواب بمقتضى
والمجرم في نوح العقاب متالم قال ابو يوسف ومحمد ان الجن لهم ثواب بالطاعات فانه قدم ذكر
الجن والانس ثم قال ولكل اى من الفريقين وقال ابو حنيفة رحمه الله الكلام في اكثر هذه الايات ولكن
في الاية التي قبل هذه الاية في مشركي الانس ومؤمنيهم فالظاهر انه فيهم والاصل ان الثواب لا يستحق
بالعمل بل هو محض فضل الله فلا نشهد به الا من سبق له الوعد ولا نتيقن بذلك في حق الجن انتهى
قلت من تامل في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام الى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يفهم ان المؤمن
منهم يدخل الجنة قرا العامة يعملون بالغيبة ردا على قوله ولكل درجات وقرا ابن عامر تعملون بتاء
المخاطبة على تغليب الخطاب على الغيبة اورد على قوله يا معشر الجن والانس او مراعاة للاية التي بعد
هذا يعني ان يشا يذهبكم الاية وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ المطلق عن العالمين وعبادتهم يعني لا يحتاج الى طاعة
المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين يعني لا ينتفع بطاعتهم ولا يتضرر بمعصيتهم فانما
لهم وعليهم ذُو الرَّحْمَةِ البالغة عليهم والتجاوز عنهم لانه يترحم بمحض فضله على المكلفين من الثقلين
بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة تكميلا لهم وبامهالهم على المعاصي وفيه تنبيه على انه ارسل الرسل وشرع
الاحكام لا لنفعه بل لترحمه على خلقه وفي التيسير ذو الرحمة يعني فلا يعاجل بالعقوبة وقال القشيري
رحمه الله الغني يشير الى عزه وذو الرحمة يشير الى لطفه اخبر بقوله الغني عن جلاله وبقوله ذو الرحمة
عن افضاله فبجلاله يكاشفهم فيفنيهم وبافضاله يلاطفهم فيحييهم وسماع غناه يوجب محوهم
وسماع رحمته يوجب صحوهم فهم في سماع هذه الاية بين فناء وبقاء واصطلام واكرام وتذويب
وتقريب واجتياح وارتياح قال الجوزي الغني عن خلقه ذو الرحمة قال ابن عباس باوليائه واهل طاعته

وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز ومن اعتقد بانه سبحانه محتاج لحينئذ بوجه دون وجه فقد كفر
اما انه غني في صفاته وافعاله عن كل ما سواه فلوجوب وجوده وان ما سواه ممكن لذاته مفتقر
في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كلما دخل في الوجود
من الخيرات والدرجات والكرامات والسعادات من الروحانيات والجسمانيات لا من غيره وبايجاده
وابداعه وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وغيرها وهاذ كله الا رحمة
الكاملة ورافة الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاده اعيه ذلك فيهم
ومع ذلك فتمكين الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ثم انه لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان
ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا ومكانا معينا فبين ان ذكر الغني والرحمة تاسيس وتقرير لما بعده وهو قوله
ان يشا يذهبكم اي ما به اليكم حاجة وانما ابقاكم رحمة لتداركوا ما فرطتم ان يشا يذهبكم ايها العصاة
من اهل مكة وغيرها بالاهلاك **ويستخلف من بعدكم** اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون
الا على طريق البدل من فائت **ما يشاء** من الخلق المطيع لامره قال بعضهم يعني يجعل فيها من يخلفكم من غيركم
من الناس او من غيرهم فانه قال ما يشا ولم يقل من يشا فلا يختص بالعقلاء وقيل ما ههنا بمعنى من والمراد به
ويات بقوم هو اطوع منكم قال عطا هم الانصار والتابعون باحسان تخصيصه انه قادر على وضع الرحمة
في هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن
العالمين اتم واكمل **كما انشاكم من ذرية قوم اخرين** جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ونسلا قوم
كانوا قبلكم وفي المدارك اي من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح وقيل من
نسله كما يقال اعطيتك من دينار ثوبا اي انشاكم بدلا منهم حاصله اذهب قوما اخرين وابقاكم في اماكنهم
رحمة لكم لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء هذه الصور المخصوصة قدر على تصويرها بصور
اخرى مخالفة لها ثم ذكر حال المعاد فقال **ان ما توعدون** اي الذي توعدون من البعث والحشر والعذاب
او العذاب والثواب في الدنيا والاخرة او ظهور هذا الدين على الدين كله **لات** اي لكائن لا محالة كقوله
انما توعدون لواقع وانما اثر لات على لواقع لبيان كمال سرعة وقوعه بصورة طالب راغب لا يفوته
هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى **وما انتم** يا اهل مكة **بمعجزين** اي لستم بخارجين عن قدرتنا وحكمنا
يعني ما انتم بفائتين عذابنا اي يدركم حيث كنتم فهو رد لقولهم من مات فقد فات قال الاستاد اي ما انتم
بفائتين طالبكم من اعجزه الشيء اذا فاته ماخوذ من عجز الشيء وهو مؤخره ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بتهديد منكري البعث فقال **قل** يا محمد لهم **يا قوم اعملوا على مكانتكم** حالتكم قرا العامة بالافراد
هنا وفي جميع القرآن وابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في الجميع فمن افرد فلارادة الجنس ومن جمع فليطابق
ما بعدها فان المخاطبين جماعة وقد اضيفت اليهم وقد علم ان لكل واحد مكانة واختلف في ميم
مكان ومكانة وقيل هي اصلية وهما من مكن يمكن وقيل هما من الكون فالميم زائدة فيكون المعنى على الاول
اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وقدرتكم وقوتكم وامكانكم فسترون عاقبة عملكم الفاسد وعلى
الثاني اعملوا على جهتكم وطريقتكم وحالتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه وصيغة الامر ومعناه التهديد **اني عامل** على حالتي وجهتي

اي اثبت على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام وهو على طريق قوله اعملوا ما شئتم مبالغة
في الوعيد توضيحه قد انذرتكم ونصحت لكم وانتم مقيمون على تكذيبي فاثبتوا على ما انتم عليه من الكفر
والضلال والمعاصي فاني ثابت على الايمان والطاعة وعلى مصابرتكم واينا اكمل **فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار** قرا الجمهور بتاء التانيث لان فاعله مؤنث لفظية اي فسوف تعلمون من تكون له العاقبة
المحمودة في دار السلام والاخرة نحن ام انتم او عاقبة دار الدنيا في النصر والظفر ووراثة الارض وقرا حمزة
والكسائي بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي ومن موصولة مفعول تعلمون او استفهامية في محل الرفع على الابتداء
وتكون خبرها والجملة قائمة مقام المفعولين لتعلمون اي فستعلمون اينا يكون له العاقبة المحمودة التي لها هذه
الدار وهي الدنيا ومن اذا كانت موصولة يكون العلم بمعنى المعرفة اي فسوف تعرفون الذي له عاقبة الدار وهي
العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار **انه لا يفلح الظالمون** وضع الظالمون موضع الكافرين لانه
اعم واكثر فائدة لاشتماله الكافر وغيره وقال بعضهم وانتم الظالمون الكافرون فلا تفسد وننا لا تفلحون
ثم حكى الله من جهالات الكفرة وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات
الى اقوالهم فقال **وجعلوا** اي مشركوا العرب **لله مما ذرا** اي مما خلق **من الحرث** اي من الزرع **و
الانعام** اي من المواشي **نصيبا** يصرفونه الى الضيفان والمساكين ولشركائهم واصنامهم نصيبا يصرفونه
الى سدنتها وخادميها بدليل قوله تعالى **فقالوا هذا لله بزعمهم** اي مما يجب ان يصرف في ابواب البر
وهذا لشركائنا التي نتقرب الى الله زلفى فلا بد ان نصرف بعضا اخر اليها لكونها وسيلة الى المحبوب **فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم** قال الاستاد فهؤلاء
الجهلة الكفرة كانوا يميزون بين الله وبين ما سواه وبعض الناس لا يميز بينهما ويجعل كلاهما شيئا واحدا نعوذ
بالله من غضب الله ولنرجع الى المراد فمعنى لا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى
الضيفان والتصدق على المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه على سدنتها وخدمتها روي انهم
كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم
وينفقون على خدمة الاصنام ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى واحسن بدلوه بما
لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى واطيب تركوها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه على فرط جهالتهم
فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه على الله بان جعلوه وفي قوله بزعمهم ايضا
تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به قرا الكسائي في الموضعين بضم الزاي والباقون بفتحها
والفتح لغة الحجاز وهي افصح وبنو اسد فيه الكسر كالود **ساء ما يحكمون** اي بئس حكمهم هذا فيما
فعلوا من ايثار الهتهم على الله وعملهم بما لم يشرع لهم وقيل ما بمعنى الذي والتقدير وساء الذي يحكمون
حكمهم فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه **وكذلك** اي مثل ذلك التزيين
المذكور في وجعلوا لله مما ذرا الخ يعني تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله وبين الالهة **زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم** بالرفع فاعل زين قال مجاهد شركاؤهم اي شياطينهم
والمعنى شياطينهم زينوا وحسنوا للمشركين واد البنات اي دفن البنات حية خيفة العيلة
سميت الشياطين شركاء لانهم اطاعوهم في معصية الله واضيف الشركاء الى المشركين لانهم

اتخذوها وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم لا الاصنام المواصلات السدنة هم الذين يزينون للكفار
قتل الاولاد فكان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله
ثم افداه بمائة من الابل قرا العامة زين مبنيا للفاعل وقتل نصب على انه مفعول زين واولادهم خفض
بالاضافة وشركاؤهم رفع على الفاعلية وهي قراءة واضحة المعنى والتركيب وقرا ابن عامر زين مبنيا
للمفعول قتل رفعا على ما لم يسم فاعله اولادهم نصبا على المفعول بالمصدر شركائهم خفضا على اضافة
المصدر وهو قتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهذه القراءة صحيحة متواترة لا يصح ان يطعن فيها لانه قراءة
النبي وكان ابن عامر اعلى القراء السبعة سندا ولا يقدح الفصل بين المضاف والمضاف اليه لانه واقع
في كلام الفصحاء ومن طعن في هذه القراءة المتواترة لكونها تخالف القواعد العربية فقد زلت قدمه لان
العربية وساير العلوم تثبت بالقران لا القران بالعربية وقال ابن الانباري هذه قراءة صحيحة واذا كان
العرب قد فصلت بين المضاف والمضاف اليه بالجملة في قولهم هو غلام ان شاء الله اخيك يريدون
غلام اخيك فان يفصل بالمفرد اولى وقال ابن مالك في شرح الكافية اضافة المصدر الى الفاعل مفصولا بينهما
بمفعول المصدر جايزة في الاختيار اذ لا محذور فيها مع ان الفاعل كجزء من عامله فلا يضر فصله وقال الرضي
ولا يضاف موصوف الى صفته وقد جاء الفصل بالمفعول في السعة اذا كان المضاف مصدرا والمضاف اليه
فاعلا كقراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم وقرئ زين بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه فكانه قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم **ليردوهم** اي ليهلكوهم بالاغواء اي بالشرك
قتل الولد **وليلبسوا عليهم دينهم** وفي التبصرة بدين ابراهيم في ذبح اسماعيل او وليخلطوا عليهم
ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجبوا عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان
التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة **ولو شاء الله ما فعلوه** اي لو شاء الله عدم
اهلاكهم ما فعل المشركون ما زين لهم والشركاء التزيين فدلت الاية على ان ما فعله المشركون والشركاء فهو بمشية
الله وهي داحضة المعتزلة **فذرهم وما يفترون** اي اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالى فذرهم وافتراءهم
او ما يفترون من مخترعاتهم وينسبونه الى الله ويزعمون انه شرعه فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما
انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم ثم شرع في نوع اخر من انواع كفرهم بقوله **وقالوا**
كفار قريش **هذه** اشارة الى ما جعلوه لالهتهم والتانيث للخبر **انعام وحرث** للاوثان **حجر** اي
حرام قرا الجمهور حجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم بمعنى المحجور والممنوع كالذبح والطحن يستوي فيه الواحد
والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر وقرئ حجر بالضم والسكون وحرج اي مضيق وفي البصرة
حجر اي وقف وهذه الانعام والحرث هي التي ذكرت قبل هذا في قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا وقد فسرناهما وقال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وقد مضى ذكره فانهم كانوا
اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا **لا يطعمها الا من نشاء** يعنون خدم الاوثان من
الرجال دون النساء **بزعمهم** اي قالوا هذه المقالة ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة فان الزعم قول
بالظن يشوبه الكذب **وانعام** اي هذه انعام **حرمت ظهورها** يعني البحاير والسوايب والحوامي كانوا
لا يركبونها بل يسيبونها ومعنى الحامي ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه

ولا يمنع عن مرعى ولا ماء وقد مر معناه **وانعام** اي هذه انعام **لا يذكرون اسم الله عليها** اي
يذبحونها باسم الاصنام لا باسم الله وقال ابو وايل لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت
العادة بذكر اسم على فعل الخير عبر بذكر الله على فعل الخير والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه الاقسام الثلثة
ونسبوا ذلك الى الله **افتراء عليه** اي كذبا على الله انه امرهم بذلك **سيجزيهم بما كانوا يفترون**
اي سيجزيهم بسبب الافتراء او بسببه وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وايما زاد لفظ كانوا للدلالة
على ان ذلك الافتراء عادة مستمرة منهم فيظهر بذلك استحقاقهم العذاب **وقالوا ما في بطون**
هذه الانعام المحرمة **خالصة لذكورنا** هذا نوع اخر من اباطيلهم يعني قالوا ما في بطون البحاير
والسوايب حلال ومباح لذكورنا فينا ولدت منها قراءة العامة خالصة بالرفع والتنوين وليست
التاء للتانيث بل للنقل من الوصفية الى الاسمية ويقال في الاسم خالص وخالصة قال الشاعر كنت امني
وكنت خالصتي وليس كل امري بموتمن والخالص الذي لا شوب فيه ويجوز للتانيث بناء على ان ما
عبارة عن الاجنة وتذكير قوله ومحرم بعبارة اخرى وقيل الهاء للمبالغة كما يقال راوية
للشعر وعلامة ونسابة وقرا سفيان بن الحسين خالصة بالنصب والتنوين على المصدر كالعافية
والعاقبة اي خلوصا لذكورنا وقرا ابن عباس خلوصة لذكورنا برفع الصاد وهاء الاضافة اي الخالص
منه لذكورنا وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه خالص لذكورنا على التذكير لانه نعت لما في بطون
وكذا بعده ومحرم معناه وقالوا ما في بطون البحاير ونحوها من الالبان او الاجنة مباح لذكورنا والبذر
في قوله **ومحرم على ازواجنا** اي جنس ازواجنا اي النساء مع انه معطوف على خالصة وهما
عبارتان عن شيء واحد وهو ما في البطون باعتبار اللفظ وهذا الحكم منهم ان ولد حيا وهو الظاهر
المعتاد **وان يكن** ما في البطون **ميتة** بالرفع والنصب مع تانيث الفعل وتذكيره اي ان ولدت
~~وهو الظاهر المعتاد~~ ما في البطون ميتة **فهم** اي الذكور والاناث **فيه** ما في البطون **شركاء** ياكلون
منه جميعا **سيجزيهم** الله **وصفهم** يعني سيجزي الله تعالى جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل
من قوله وتصف السنتهم الكذب وقال الاستاذ اي بوصفهم اي على وصفهم بالكذب على الله يعني
جزاء وصفهم ونسبتهم الى الله ما هو بريء عنه واصل الكشف والاظهار تقول وصفت زيدا اذا اظهرت
ما فيه مدحا كان او ذما **انه حكيم** في ذلك الجزاء **عليم** باستحقاقهم وروت عمرة عن عايشة
رضي الله عنها قالت يعمل احدهم الى ماله فيجعله للذكور من ولده دون الاناث فيحق المراة الغريبة فيحج
في ماله وجعلت ابنته تمتد عيناها الى مال ابيها ما فعلوه الا كما اخبر الله عنهم خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وقال القشيري قد سن اخر عن اشياء ابتدعوها على ما ارادوا فامر بشرعها على الوجه
الذي اعتادوا ثم اضافوا ذلك الى الحق بمجرد دليل ولا من جهة اذن ورسوله ولا اشارة فيه ان من تخاخى
في زيادة شيء في الدين او نقصان شيء من شرع المسلمين فهو مضاه لهم في البطلان ومخرط في سلكهم
في الطغيان **قد خسر** اي خاب وهلك **الذين قتلوا اولادهم** يريد بهم العرب الذين
كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر نزلت في ربيعة ومضر وبعض العرب من غيرهم كانوا يدفنون
البنات احياء مخافة السبي والفقر وكانوا بنو كنانة لا يفعلون ذلك وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا

بالتشديد للتكثير والباقون بالتخفيف **سفها بغير علم** اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله
رازق اولادهم لا هم ارزاقهم ويجوز نصب سفها على الحال اى ذوى سفه او المصدر على غير لفظ عامله
لان هذا القتل سفه قال الامام فان قيل ما فائدة قوله سفها بغير علم والسفه لا يكون الا كذلك قلنا مع
قوله بغير علم اى بغير حجة وقيل بغير علم بمقدار قبحه ومقدار العقوبة فيه وعلى الوجوه لا يكون مستفادا من
الاول ومن السفه قتل النفوس المحرمة خصوصا وهو ولدك وبعض منك ومن لم يذنب اليك ولا الى
غيرك ولا جنى جناية وفيه قسوة قلب وقلة رحمة وقطيعة رحم واساءة الى برئ وجرأة على **وحرموا
ما رزقهم الله** من البحاير والسوايب وغيرها **افتراء على الله** حيث قالوا ان الله امرهم بها وهو
مفعول له **قد ضلوا وما كانوا مهتدين** الى الحق والصواب اى ما كان فى شانهم الاهتداء او
ما صاروا مهتدين بارسال الرسل او ضلوا فى القتل والتحريم وما كانوا مهتدين فى امر من الامور يعنى
بعد ما ضلوا لم يهتدوا مرة اخرى فان من الناس من يضل ثم يهتدى بعد ضلاله ثم انه تعالى لما ذكر
شرح احوال الاشقياء وتهجين طريقتهم شرع فى بيان كمال قدرته وتوحيده تهديدا للعصاة وتثبيتا
للمطيعين على ملازمة طاعته فقال **وهو الذى انشأ** خلق وابتدا **جنات** اى بساتين من
الكرم **معروشات** اى مرفوعات على ما يحملها **وغير معروشات** اى متروكات وملقيات على وجه الارض
لم تعرش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعايم وسمكا تعطف عليه القضبان وعرش البيت
سقفه وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت بغير غرس الناس فى البرارى
والجبال وقد قدر السيوطى فى تكملته جنات معروشات بساتين مبسوطات على الارض كالبطيخ وغير
معروشات بان ارتفعت على ساق كالنخل والاستار والعرش فى اللغة الرفع وسمى السرير عرشا لارتفاعه وقوله
خاوية على عروشها اى اعاليها **والنخل والزرع مختلفا اكله** عطف على جنات والمراد بالزرع ههنا
جميع الحبوب التى يقتات والمعنى انشأهما مختلفا جنسه وثمره الذى يؤكل فى اللون والطعم والحجم
والرايحة يعنى منها الحلو والحامض والجيد والردى وقوله مختلفا حال مقدرة لان النخل والزرع وقت انشائها
لا اكل فيهما حتى يكون مختلفا والضمير فى اكله للنخل والزرع داخل فى حكمه لان الزرع معطوف عليه
او لكل واحد منهما او لهما باعتبار ما ذكر **والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه** اى يتشابه
بعض افرادهما فى الهيئة والكيفية وفى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها او ورقهما دون ثمرها وقيل
متشابها فى اللون وغير متشابه فى الطعم او متشابها فى المنظر وغير متشابه فى الطعم مثل الرمانتين لونهما
واحد وطعمهما مختلف **كلوا من ثمره** اى من ثمر ما ذكر والامر للاباحة يعنى استبيحوا من ثمر كل واحد مما
ذكر ولا تحرموه كتحريم المشركين قرا حمزة والكسائى بضمتين والباقون بفتحتين **اذا اثمر** اى وقت النضج
وظهور ثمره فانه قيل ما فائدة قوله اذا اثمر قلنا فائدته نفى توهم توقف الاباحة على الادراك
والنضج بل انه على الاباحة من اول اخراج الثمر وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله
تعالى **وآتوا حقه** اى زكاته **يوم حصاده** اى جداده قرا ابن عامر واهل البصرة وعاصم حصاده
بفتح الحاء وقرا الآخرون بكسرها ومعناهما واحد كالصرام والصرام والجذاذ والجذاذ والجداد والقطاف
واختلفوا فى هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب

انها الزكاة المفروضة من العشر ونصف العشر فالحجة فى تقسيم العشر وقال على بن الحسين وعطا
وقتادة ومجاهد والحكم هو حق فى المال يتصدق يوم الحصاد سوى الزكاة المفروضة امر بايتائه لان الاية
مكية وفرض الزكاة بالمدينة قال ابراهيم هو الضغث اى يعطى منه ضغثا وقال الربيع هو لقاط السنبل و
قال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فيأكل منه الضيف ومن مر به وقال يزيد بن الاصم كان
اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيعلقونه فى جانب المسجد فيجئ المسكين فيضربه بعصاه فيسقط
منه فيأخذه وقال مجاهد اذا حصدت وحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته وذريته فاطرح
لهم منه واذا عرفت كيله فاعزل زكاته وقال سعيد كان هذا حقا يؤمر بايتائه فى ابتداء الاسلام فصار
منسوخا بايجاب العشر قال مقسم عن ابن عباس نسخت الزكاة كل نفقة فى القرآن وفائدة الامر بايتائها يوم
الحصاد مع ان الحب يوم الحصاد فى السنبل ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر وقت الاداء وليعلم بان الوجوب
بالادراك لا بالتنقية **ولا تسرفوا** فى التصدق باعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شئ لقوله تعالى ولا تبسطها
كل البسط فان من اعطى كل ماله الى الفقراء ولم يوصل الى عياله شيئا فهو مسرف مجاوز حد الاعطاء لانه
قد جاء فى الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول روى ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة **انه لا يحب
المسرفين** المجاوزين ما حدتهم اى لا يرضى فعلهم وقال الزهرى لا تسرفوا اى لا تنفقوا فى المعصية وقال
عبد الرحمن بن زيد هو امر للسلاطين اى لا تأخذوا فوق حقكم وقال مقاتل وعطية العوفى اى لا
تشركوا الاوثان فى الحرث والانعام وقال القشيرى قدس سره ولا تسرفوا الاية كل ما انفقته فى حظ نفسك
فهو اسراف وان كانت سمسمة وما انفقت فى سبيله فليس باسراف ولو اربى على الالف وقال سعيد بن المسيب
معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الاية على هذا لا تتجاوزوا الحد فى البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة
وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله وقال لو كان ابو قبيس ذهبا لرجل انفقه فى طاعة الله
لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا فى معصية الله كان مسرفا وفى الامالى نافلا عن مجاهد اى لا تصرفوه
فى المعصية اذ لا سرف فى الانفاق فى وجوه البر لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال
اياس بن معوية ما جاوزت به امر الله فهو سرف واسراف وقوله كلوا الى انه لا يحب المسرفين اعتراض **ومن
الانعام** عطف على جنات اى وانشأ من الانعام **حمولة وفرشا** والحمولة الصالحة لحمل الاثقال
كالابل الصغار والغنم سميت فرشا لانها كالفرش للارض لدنوها منها وقيل الفرش ما يفرش
ويبسط للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره **كلوا مما رزقكم الله** اى كلوا
واستبيحوا اكل هذه الانعام وهى الابل والبقر والغنم قال الاسناد ما فى عبارته عما ذكر من حمولة وفرشا
ومن تبعيضية اى كلوا ما احل لكم منه يعنى بعض ما رزقكم الله هو حلاله فالاية لا تدل على ان كل رزق
ماكول شرعا فلا يلزم منه ان لا يكون الحرام رزقا لانه ليس بماكول **ولا تتبعوا خطوات الشيطان**
اى طرائقه ووساوسه وتسويلاته فى التحليل والتحريم من عند انفسكم كفعل اهل الجاهلية فى تحريم الحرث
والانعام **انه لكم عدو مبين** اى ظاهر العداوة وقيل اى مظهر العداوة فانه هو على انفسكم واذيانكم
ثم بين الحمولة والفرش فقال **ثمانية ازواج** نصبها على البدل من الحمولة والفرش والمعنى انشأ
من الانعام ثمانية اصناف او نصبها على انها مفعول كلوا يعنى كلوا مما رزقكم الله ثمانية اصناف فكونوا

قوله ولا تتبعوا خطوات معترض والمراد بالازواج الثمانية الانواع الاربعة مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ بدل
من ثمانية ازواج منصوب بناصبه اى انشأ من الضأن زوجين الكبش اى الذكر والنعجة اى الانثى
وقرئ اثنان على الابتداء خبره من الضأن والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين على وزن
فعيل او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة من الضأن وهو لغة فيه وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ عطف
مثله شريك له فى حكمه اى وانشأ من المعز زوجين التيس وهو الذكر من هذا النوع والعنز وهى
الانثى من هذا النوع قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بفتح العين والباقون باسكانها وهو جمع
ماعز كصاحب وصحب وقرئ المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل لقوله فرشا ولعل تقديمها
فى التفصيل مع تأخر اصلها فى الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذى هو معظم ما يتعلق
به الحل والحرمة قُلْ يا محمد تبكيتا لمن حرّم ذكور الانعام تارة واناثها اخرى ونسب ذلك الى
الله واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذَّكَرَيْنِ الهمزة الاستفهامية للانكار والمراد بالذكرين
ذكر الضأن وذكر المعز حَرَّمَ الله عليكم أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ام حرّم الله عليكم الانثيين ما ونصب
الذكرين والانثيين بحرّم أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ او ما حملت اناث الجنسين ذكرا
كان او انثى فان الارحام لا تشتمل ولا تجمع ولا تحوى ولا تنضم الا على ذكر او انثى يعنى ام حرّم الاجنة
التى اشتملت عليها ارحام الانثيين دون الالحاق الذكور ولا اناث فان كان حرّم الذكور فيجب ان
يكون كل ذكر حراما فان كان حرّم الاناث فيجب ان يكون كل انثى حراما وان حرّم الجنين فيجب ان يكون
كل جنين حراما وهم لا يقولون ذلك فبنا قضت مقالاتهم وظهرت محالاتهم والغرض من هذا الانكار
ان يحرّم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوع ذكورها او اناثها مما تحمل الاناث وذلك انهم
كانوا يحرّمون ذكورة الانعام تارة واناثها طورا واولادها كيف ما كانت ذكورا واناثا او مختلطة
تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم والزمهم بقوله نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ اى اخبرونى
بحجة وامر معلوم من جهة الله يدل على ان الله تعالى حرّم شيئا من ذلك إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
فى دعوى التحريم بان الله حرّم ذلك لما جمعوا على مد الذكرين لان هذه الهمزة همزة استفهام دخلت
على همزة الوصل لتفرق بين الاستفهام والخبر فهذا توضيح المعنى بعبارة اخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمشركين انكم حرّمتم اصنافا من النعم على غير اصل فمن اين جاء التحريم أَمِنْ قبل الذكر ام من قبل
الانثى فلم يجب صلى الله عليه وسلم لانهم لو قالوا بسبب الذكورة لحرّم جميع الذكور او بسبب الانوثة
لحرّم جميع الاناث او بسبب اشتمال الرحم لحرّم الكل لان الرحم تشتمل على الكل فيكون ردّا عليهم
فانهم كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارة كالحامى واناثها تارة كالبحيرة والسائبة واولادها
كيف كانت زاعمين ان الله حرمها وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين
اى وانشأ من الابل اثنين وهما الجمل والناقة وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ اى الثور والبقرة قُلْ انكارا
لهم فى امر هذين النوعين كالنوعين الاولين آلذَّكَرَيْنِ منهما حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ من ذينك النوعين الكلام هنا اى فى البقر والابل كالكلام المتقدم فى
الضأن والمعز ام اى بل أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ حاضرين شاهدين عند ربكم إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا

اى حين وصّاكم بهذا التحريم فاعتمدتم ذلك ليس الامر كذلك بل انتم كاذبون فى اقوالكم ظالمون فى امركم
فَمَنْ اى لا احد أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فنسب اليه تحريم ما لم يحرّم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك الافتراء او عمرو بن لحيى الموسس لذلك فانه اول من غيّر دين اسماعيل وبحّر البحائر
وسيّب السوائب لِيُضِلَّ النَّاسَ متعلق بافترى اى عمل عمل القاصد اضلالهم من اجل دعائهم
الى ما فيه الضلال له وان لم يقصد الاضلال ولذلك قال بِغَيْرِ عِلْمٍ اى افترى عليه تعالى جاهلا
بصدور التحريم عنه تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اى الكاملين فى الظلم المختوم
على قلوبهم اى الذين فى علمه تعالى انهم يختمون على الكفر ثم بين ان التحريم والتحليل يكون من الوحى
والتنزيل وذلك حين سأل مالك بن عوف النصرى الجشمى وكنيته ابو الاحوص عن النبى صلى الله عليه وسلم
ما هذه التى حرمها اباؤنا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فنزل قوله قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ
إِلَيَّ مُحَرَّمًا وهذا اشارة بان مناط الحل والحرمة هو الوحى وانه صلى الله عليه وسلم قد تتبع جميع ما اوحى
اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصّل وفيه مبالغة فى بيان انحصارها فى ذلك ومحرما صفة
لمحذوف اى لا اجد ريثما تفحصت ما اوحى الى طعاما من المطاعم التى حرمتموها عَلَى طَاعِمٍ اى اى
طاعم كان من ذكر او انثى ردّا على قولهم محرّم على ازواجنا وقوله تعالى يَطْعَمُهُ لزيادة التقرير والمعنى
على آكل يأكله إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً مات حتف انفه اى الا ان يكون الشئ المحرم ميتة قرأ
الجمهور يكون بياء الغيبة ونصب ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن
عامر بالتاء ورفع ميتة اى الا ان يقع ميتة على ان كان هى التامة أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا اى مصبوبا
مراقا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الحيوان وهى احياء وما يخرج من الاوداج عند الذبح
ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانها جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما ولا ما اختلط باللحم والعروق
لانه غير سائل قال عمران بن جدير سألت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها
حمرة الدم فقال لا بأس به انما نهى عن الدم المسفوح قال ابراهيم لا بأس بالدم فى عرق او مخ
الا المسفوح الذى تعمد ذلك قال عكرمة لولا هذه الاية لاتبع المسلمون من العروق ما يتبع اليهود أَوْ
لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ اى فان الخنزير ولحمه نجس حرام خبيث والهاء راجع الى الخنزير او دلّ
على انه نجس العين أَوْ فِسْقًا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعنى فانه رجس اعتراض مقرر لحرمة
الخنزير اى او مسفوحا به وهو المذبوح لاجل الصنم كما قال تعالى أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ اى رفع الصوت
على ذبح باسم غير الله فهو منصوب المحل صفة لفسقا وانما سمى ذلك فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون فى قوله الا ان يكون ميتة والمستكن فى
يكون وذهب بعض اهل العلم الى ان التحريم مقصور على هذه الاشياء الاربعة يروى ذلك عن عائشة
وابن عباس قالوا ويدخل فى الميتة المنخنقة والموقوذة وما ذكر فى اول سورة المائدة واكثر العلماء
على ان التحريم لا يختص بهذه الاشياء فالمحرّم بنص الكتاب ما ذكر ههنا وذلك معنى قوله قل لا اجد فيما
اوحى الى محرما وقد حرمت السنة اشياء يجب القول بها منها ما روى عن ابن عباس انه قال نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير ومنها ما روى عن ابى هريرة

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكل كل ذي ناب من السباع حرام والاصل عند الشافعي
رحمه الله ان ما لم يرد فيه نص تحريم او تحليل فان كان مما امر الشرع بقتله كما قال خمس فواسق يقتلن
في الحل والحرم او نهى عن قتله كما روي انه نهى عن قتل النحلة والنملة فهو حرام وما سوى ذلك فالمرجع
فيه الى الاغلب من عادات العرب فما يأكله الاغلب منهم فهو حلال وما لا يأكله الاغلب منهم فهو حرام
لان الله تعالى خاطبهم بقوله قل احل لكم الطيبات فثبت ان ما استطابوه فهو حلال **فمن اضطر**
اي فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك المحرمات **غير باغ** اي غير متعد على مضطر آخر مثله
ولا عاد على قدر الضرورة اي ولا متجاوز قدر سد الرمق **فان ربك غفور رحيم** مبالغ في المغفرة
والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بغير باغ لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها
بل للتحذير من حرام آخر وهو اخذ حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله
فحرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حق المضطر الآخر وذكر حال الثانية اعني ولا عاد
لتحقق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث
انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه
والآية محكمة غير منسوخة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي اليه الى وقت الوحي بهذه الآيات محرما غير هذه
الاربعة وذلك لا ينافي ورود التحريم في آيات اخر كالخمر والربا وغيرها فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب
بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غير الاربعة الا مع الاستصحاب **وعلى الذين هادوا** اي على اليهود خاصة
لا على من عداهم من الاولين والآخرين **حرمنا كل ذي ظفر** وهو ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم
والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط وقال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب
وحكاه عن بعض المفسرين وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم في قوله تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال ما يخالفه من
فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة
على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وقيل قوله تعالى حرمنا تكذيب لهم في قولهم ان الله
لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه **ومن البقر والغنم حرمنا**
عليهم شحومهما اي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه ولم نحرم من البقر والغنم
الا شحومهما وهي الثروب وشحوم الكليتين **الا ما حملت ظهورهما** من الشحم اي الا ما علقت بظهورهما
وجنوبهما من داخل بطونهما فانه باق على اباحته **او الحوايا** وهي المباعر اي مكان البعر يعني الامعاء
واحدها حاوية او حاويا او حوية اي ولا ما حملته الامعاء من الشحم فانه باق على اباحته **او ما**
اختلط بعظم اي ما اتصل به كالالية وما في القوائم والرؤس والعيون والآذان والمخ فانه باق على
اباحته وعن جابر بن عبد الله انه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح وهو بمكة ان الله
~~الله صلى الله عليه وسلم~~ حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارأيت شحوم الميتة
فانه يطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم شحومهما اجملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه
ذلك اي ذلك التحريم او الجزاء المذكور وهو مفعول ثان لقوله **جزيناهم** والتقدير جزيناهم ذلك
وعاقبناهم **ببغيهم** اي بسبب ظلمهم من قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم
اموال الناس بالباطل فهو نظير قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة
على الامم فرد الله ذلك عليهم واكد بقوله **وانا لصادقون** في الاخبار والوعد والوعيد وليس بنا
حاجة الى معرفة دقائق شرايعهم لانه تلك شريعة قد نسخت ولكن بنا ان نعرف ان ذلك التحريم
كان ببغيهم وبطل بذلك دعواهم نحن ابناء الله واحباؤه فان الاب والحبيب لا يحرم الحلال على
الابن والحبيب بادنى ظلم ودلت الآية على صدق رسالة النبي عليه السلام فانه اخبر عما كانوا يخفونه
ولم يكن ذلك ظاهرا عند احد من غيرهم فدل انه بالله علم ذلك بوحي منه اليه وقوله تعالى
فان كذبوك فيما اوحيت اليك من ان تحريم المحرمات المذكورة خاصة بهم او فيما جئت به مطلقا
فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بسعة رحمته وامهاله
فانه يمهل ولا يهمل وفي طي ذلك مكرا واستدراجا **ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين**
اي لا يرد عذابه مع سعة رحمته عن القوم الكاملين في الاجرام يعني ان عذابه وان تأخر فاذا
جاء لا يمكن رده عن المجرمين او معناه ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد على
المجرمين وقيل ذكر قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة بعد قوله فان كذبوك دعاء لهم الى ترك
التكذيب وبيان لهم انهم اذا تركوه رحمهم قاله الحسن قال امامنا القشيري قد ذكر فان كذبوك فقل
ربكم ذو رحمة واسعة اي بالمصدقين ولا يرد بأسه عن المكذبين • وفيه بيان تخصيص الاولياء
بالكرامة والرحمة • وتخصيص الاعداء بالطرد واللعنة • فالصورة الانسانية جامعة لهم • والقسمة
الازلية فاصلة بينهم • **سيقول الذين اشركوا** حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار عن
المستقبل ووقوع مخبره حتما اخبر به كما يحكيه قوله عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما
عبدنا من دونه من شيء دليل على كونه من عند الله يعني هذا اخبار ما سوف يقولونه حاصله لما لزمتهم
الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا **لو شاء الله**
ان لا نشرك **ما اشركنا نحن ولا آباؤنا** من قبل **ولا حرمنا من شيء** من البحائر والسوائب
وغيرها ولكن شاء فهذا عذرنا والحاصل ارادوا ان يجعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة لهم
على سبب اقامتهم على الكفر وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله
فلولا انه رضي بما نحن عليه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك وبعبارة اخرى يعني لو
شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا اراد بذلك
انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم
حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله **كذلك كذب الذين من قبلهم** اي مثل
ما كذبوك في قولك ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف اباق

على الضمير في اشركنا من غير تأكيد لأجل الفصل بلا حتى غاية لامتداد التكذيب ذاقوا بأسنا
اي عذابنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم ففي هذا ايماء بانه سينزل عليهم ما انزل على اولئك
ان لم يؤمنوا قل هل عندكم من علم بان الله راض بشرككم اي ليس عندكم بذلك امر وحجة
معلومة يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي تظهروه لنا وهذه مجاراة للخصم ليرى ما
للتبكيت والاتيان بالعلم والحجة عندهم معلوم الانتفاء ولذلك حصر حالهم واعتقادهم في الظن بقوله
ان تتبعون الا الظن اي ما يتبعون في ذلك الا الظن الذي لا يجدي في مقابلة القاطع
وان انتم الا تخرصون اي وما انتم الا تكذبون على الله في ذلك الظن وفي التيسير ظنهم
وفهمهم ان مشية الله عذر لهم وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث
يعارضه قاطع اذ الاية فيه قل ان لم يكن لكم حجة فلله الحجة البالغة اي التامة على خلقه
بالكتاب والرسل والبيان اي لله البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات باوامره
ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيته وارادته فلو شاء مشية الرضا لهداكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هدايته الكل بل شاء هداية قوم صارفين هممهم الى سلوك
طريق الحق بمشيته ورضاه وضلال آخرين صرفوا اختيارهم على خلاف ذلك بمشيته دون رضاه
والاية دامغة المعتزلة المبطلين لانها تدل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه قل هلم
اي هاتوا واحضروا يقال للواحد والاثنين والجمع هلم وهو اسم فعل غير متصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لمّ من لمّ اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هل أمّ فخففت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل
لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في هذه ولازما كقوله هلم الينا شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا الذي حرمتموه على انفسكم قيل اراد بالشهداء الاصنام فانهم كانوا يسمونها
شهداء بدليل قوله تعالى وادعوا شهداءكم قال الاستاد اراد بالشهداء قدوتهم في الشرك امر الله رسوله
عليه السلام باستدعاء احضار الشهداء من الكفار ليلزمهم الحجة ويظهر انه لا شاهد لهم على تحريم
ما حرموه وانما لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون لهم بالتحريم
وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولذلك
قيد الشهداء بالاضافة اليكم ووصفهم بما يقتضي العهد بهم وقال فان شهدوا كاذبين
فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم وبيّن لهم فساده فان
تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة قال الاستاد ولا يتصور منه الشهادة ولكن هذا
مبالغة في النهي كما قال ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وقيل هلم شهداءكم
ولا يجدون من يشهد لهم بذلك الا انفسهم فان شهدوا لانفسهم او بعضهم لبعض فلا تقبل
شهادتهم ولا تصغ اليها ولا تقبلها ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا اي لا تتبع شهادتهم الباطلة
المبنية على الاهواء والهوس هذا تعميم بعد التخصيص لان تلك الشهادة من جملة الهوى واتباعهم
موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع الهوى لا غير اذ لو اتبع الدليل والحجة لم يكذب

الا مصدقا بآيات موحدا لله والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان هم المشركون بالله
وهم بربهم يعدلون اي وهم يسوون الاصنام بربهم ويجعلون له عديلا وشريكا قال
القشيري اشار الى ان ما تجرد عن برهان يصححه وبيان يوضحه فغير مقبول من قائله ولا
عذر لقائله ثم لما بين فساد ما قال الكفار في باب تحريم الحرث اتبعه البيان الشافي في هذا الباب
فقال قل يا محمد للذين حرموا الحرث والانعام تعالوا امر من التعالي فهو من الخاص الذي صار
عاما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه فاتسع فيه بالتعميم اتل اي
اقرأ ما حرم ربكم عليكم قال الاستاد معناه قل للمشركين احضروا اقرأ عليكم ما حرم ربكم
عليكم اي الآيات المشتملة على التحريم فهي المحرمة دون ما تحرمون بهواكم وهذه الاية والايات
بعدها آيات محكمات كانت احكامها ثابتة في كل الامم لم تنسخ ولا تنسخ وهو جوامع اصول
الدين ومعالي الاخلاق وفيها مصالح الدارين أن مفسرة لفعل التلاوة ألا تشركوا به شيئا
ولا للنهي قال الزجاج ويجوز ان لا تشركوا به شيئا من الاشراك وقيل يقع عليه حرم ويحذف
لا وتقديره حرم عليكم ان تشركوا به شيئا كما في قوله يبين الله لكم ان تضلوا وبالوالدين
احسانا وانما ذكره في المحرمات لان ايجاب الاحسان تحريم لترك الاحسان فهو معطوف على المحرم
معنى لا لفظا ولا تقتلوا اولادكم بالوأد من إملاق اي من اجل املاق اي فقر وخشية فسر الفقر بالخشية
لان القرآن يفسر بعضه بعضا وقد وقع في موضع آخر خشية املاق وما احسن ما قيل ان
المخاطب بكل منهما صنف وليس المخاطب فيهما واحدا فالمخاطب بقوله من املاق المبتلى بالفقر
وبقوله خشية املاق من لا فقر له لكنه يخشى الفقر ولهذا قدّم رزقهم هنا فقال نحن نرزقكم
واياهم اي رزقكم ورزقهم مثلا منكم فلا يحملكم على قتلهم وقدّم رزق اولادهم في مقام الخشية
فقال نرزقهم واياكم فهذا تعليل للنهي ازاحة للعذر في ترك المنهي عنه ولا تقربوا الفواحش
اي كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش وهو مثل قوله ظاهر الاثم
وباطنه قال الشيخ اي اجتنبوا القبائح كلها ظاهرها وباطنها فان الله مطلع على جميعها وقيل المراد
بالفواحش الزنا كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الا انه جمع هنا بصيغة الجمع قصد الى
النهي عن انواعها كان الزنا علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو
عادة اشرافهم وقيل الظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الله او الظاهر بالجوارح
والباطن بالقلب وتعلق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها
داع الى مباشرتها وقد مر معناه في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه ثم افرد من جملة الفواحش قتل
النفس لعظمه فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام
او بالعهد فيخرج منها الحربي الا بالحق اي الا بامر الشرع كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ومن
ذلك ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل نفس بغير حق وعن مسروق عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ يشهد ان
لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق

للجماعة ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا من التكاليف الخمسة وهو مبتدأ خبره قوله وصاكم به
اى امركم ربكم بحفظه امرا موكدا لحرمه فالجملة استيناف جئ به تجديدا للعهد وتاكيدا للحا
المحافظة على ما كلفوا به ولما كان الامور المنهى عنها مما تقتضى بداهة العقل بقبحها فصلت الاية
الشريفة بقوله لعلكم تعقلون هذه الاشياء اى لكى ترشدوا فان كمال العقل هو الرشد فالشرك
وعقوق الوالدين وقتل الاولاد للفقر منشاه الجهل الحاصل فى الشرك من استهانة المنعم بالايجاد وبالاتقى
الاساءة الى الوالدين من مقابلة الاحسان بالاساءة وقربان الفواحش من متابعة الهوى والقتل من
متابعة الغضب وكلها اضداد العقل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالخصلة التى هى احسن
من غيرها وهى ما يفعل بماله بما فيه صلاحه كحفظه وتثميره وخص مال اليتيم بعدم القربان الا بالاحسن
مع ان البالغ مثله لان طمع الطامعين فى مال اليتيم اكثر لعجزه وقلة الحافظين له والناصرين فالمجاهد
والخصلة الاحسن هو التجارة فى ماله والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده
اى حتى يصير بالغا فانه غاية من حيث المعنى فان المعنى احفظوا ماله حتى يصير بالغا رشيدا
فحينئذ سلموه اليه كما فى قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولو جعلناه غاية
للفظ لكان التقدير لا تقربوه حتى يبلغ فاقربوه وليس ذلك مرادا والاشد جمع شدة كنعمة وانعم
او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك وأوفوا اى اتموا الكيل والميزان
بالقسط يعنى اتموا الكيل فى المكيلات والوزن فى الموزونات اذا اديتم ما عليكم منها والقسط العدل
والتسوية فان قيل ايفاؤهما هو عين القسط فما فائدة التكرير فالجواب ان الله تعالى امر المعطى
بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب زيادة وفى النقص
والزيادة وعيد قوله تعالى ويل للمطففين الاية لا نكلف نفسا الا وسعها اى طاقتها فلا يؤاخذها
بتقصير يقع فى الكيل والوزن من غير قصد مع الاجتهاد فى مراعاة العدل لان الوقوف على حد السواء
فيهما عسر جدا قال الشيخ معناه لم نكلف المعطى اكثر مما وجب عليه ولم نكلف صاحب الحق الرضا باقل
من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل نامر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه قال السيوطى فمن
فان اخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث واذا قلتم
فاعدلوا اى واذا قلتم قولا فى حكومة او شهادة او غيرهما فاصدقوا فيها ولو كان المقول له
او المقول عليه ذا قربى اى ذا قرابة منكم وانما خص العدل بالقول دون الفعل ليعلم وجوب العدل
فى الفعل بالطريق الاولى كما قال الله تعالى ولا تقل لهما اف ولم يقل ولا تشتمهما ولا تضربهما فلذا وبعهد
الله اوفوا يعنى بما عاهدكم الله عليه من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع كقوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان او بعهد الله يوم الميثاق وفى الامر والنهى والنذر واليمين ذلكم اشارة
الى ما فصل من التكاليف الخمسة المذكورة وصاكم به اى امركم به امرا موكدا لعلكم تذكرون
اى تتعظون به قرأ حمزة والكسائى وحفص بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بتشديدها
وختمت هذه الاية بالتذكر لان الاربعة قبلها خفية تحتاج الى اعمال فكر ونظر حتى يقف متعاطيها
على العدل فناسبها التذكر وهذا بخلاف الخمسة الاشياء فانها ظاهرة يجب تعقلها وتفهمها فلذلك

ختمت

ختمت بالعقل قال ابن عباس رضى الله عنهما من عمل بهذه الايات المحكمات الغير المنسوخات دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار وان هذا اى هذا الذى وصاكم به فى هاتين الايتين وقيل اشارة الى
جميع ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة صراطى اى طريقى
ودينى مستقيما اى مستويا قويما فاتبعوه اى اسلكوه ولا تزيغوا عنه قرأ حمزة والكسائى وان بالكسر
على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف على انها مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان
والباقون بالفتح مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ
وهذا صراطى بدونه ان وهذا صراط ربك وهذا صراط ربكم ولا تتبعوا السبل اى الطرق المختلفة
التى عدا هذا الطريق المستقيم الذى هو دين الاسلام مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل الباطلة
كالمجوسية وعبادة الاوثان او البدع والشهوات فتفرق بكم اى فتفرقكم وتزيلكم وتميلكم فتشتت
بكم عن سبيله اى عن طريق الله ودينه الذى ارتضى وبه اوصى وهو اتباع الوحى ذلكم اى الاتباع
الذى ذكرت وصاكم به لعلكم تتقون اى لتكونوا على رجاء اصابة التقوى من المحارم
والمهالك والضلال والتطرق عن الحق روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مستقيما
ثم قال هذا سبيل الرشد وصراط الله فاتبعوه ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثم قال
هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه فاجتنبوها وتلا هذه الاية ثم يصير كل واحد من اثنى
عشر طريقا ستة طرق فيكون اثنين وسبعين ثم آتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم
به وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم التراخى
من تلك التوصية انا آتينا موسى الكتاب وعبارة الاسناد هكذا يعنى فان قيل لم قال ثم آتينا وحرف ثم
للتعقيب وايتاء موسى الكتاب كان قبل مجئ القرآن بل معناه ثم اخبركم انا آتينا موسى الكتاب فدخل ثم لتاخر الخبر
لا لتاخر النزول وقال بعضهم اى ثم اتل عليهم هذا وهو ههنا الترتيب الاخبار لا الوجود اى ثم نخبركم انا آتينا
موسى كما آتيناك يا محمد وهو ما تتلو عليهم وقيل هذا متصل بقصة الانبياء يعنى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
وكذا كذا ثم آتينا موسى الكتاب تماما للنعمة على الذى احسن اختلفوا فيه قيل تماما على المحسنين
من قوم موسى فيكون الذى بمعنى من اى اتماما للنعمة والكرامة على من احسن بالقيام بالكتاب وكان
فيهم محسن ومسئ يدل عليه قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا وقال ابو عبيدة معناه على كل من احسن
اى اتممنا فضيلة موسى بالكتاب على المحسنين يعنى اظهرنا فضله عليهم والمحسنون هم الانبياء والمؤمنون
وقيل الذى احسن هو موسى والذى بمعنى ما اى على ما احسن موسى تقديره آتيناه الكتاب يعنى التوراة
اتماما للنعمة عليه لاحسانه فى الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم
اى آتيناه الكتاب زيادة على ذلك وقيل معناه تماما منى على احسانى الى موسى عليه السلام وقرئ برفع
احسن على انه خبر مبتدأ محذوف والذى وصف للدين او للوجه اى على الدين الذى هو احسن او على
الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وهو عطف على تماما اى وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين يعنى من الشرايع والاحكام قال الاسناد ففيه دلالة على انه لا اجتهاد
فى شريعة موسى عليه لانه نزع الاجمال فى بعض الامور الدينية وهدى ورحمة هذا فى صفة التوراة يعنى

هدى باقامة الدليل ورفع الشبه ورحمة بافاضة الفوايد الكشفية لعلهم اى لعل بني اسرايل بلقاء
ربهم يؤمنون قال ابن عباس كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب يعني بلقاء ثوابه
وعقابه يوم الجزاء وهذا اى القران كتاب عظيم الشان عطف على اتينا موسى الكتاب داخل في حيز ثم
وانما لم يذكر على اسلوب اتينا ولم يقل وانزلنا اليك الكتاب اظهارا لشرفه ومزيد رتبته ولذا جعل الفاء
صلة ثم لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وههنا لعلكم ترحمون انزلناه اسنده الى نفسه بنون العظمة اظهارا
لزيادة شرفه مبارك اى كثير النفع انما فرق بينه وبين قرينه بانزلناه لان الانتفاع به بعد نزوله
فاتبعوه يا اهل مكة بالعمل بما فيه واتقوا مخالفة الكتاب او اتقوا الكفر لعلكم ترحمون بواسطة
اتباعه وهو العمل بما فيه علق الرحمة بكلمة الترجي لان حصولها بالختم على الايمان وفيه خطر وقوله
ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا يا اهل مكة يوم القيمة او لئلا تقولوا كما قال يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا
وقرى بياء الغيبة فيكون حينئذ التفاتا من خطاب فاتبعوه واتقوا الى الغايب فجعلهم الله غايبين
عند مكانة اقوالهم الردية قال الكسايي معناه ان تقولوا يا اهل مكة انما انزل الكتاب اى التورية والانجيل
على طايفتين اليهود والنصارى من قبلنا وصح الحصر في التورية والانجيل لان الزبور لم يشتمل على الاحكام و
الصحف فليست من جنس الكتاب في عرف العرب ودل هذا على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب اذ لو كانوا
كذلك كانوا ثلث طوايف وان كنا وان هي المخففة من المثقلة واسمها محذوف اى وانا او وانه قد كنا
عن دراستهم اى عن قراءة الطايفتين الكتاب لغافلين اى لا ندري ما هي ولا علم لنا بشيء من ذلك لانه
لم يكن على لغتنا فلم نقدر على قراءته تخصيصه انزلنا عليكم القران يا اهل مكة حتى لا تقولوا في عذركم انه قد
انزل الكتاب على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته او تقولوا في عذركم
لو انا انزل علينا الكتاب اى بشيء من الكتب لكنا اهدى منهم لجودة اذهاننا
وثقابة افهامنا يعني لكنا ارشد واطوع من اليهود والنصارى وانما جمع لفظ منهم وهما طايفتان
لانهما جماعات فقد جاءكم بينة من ربكم الفاء جواب شرط محذوف مقدر او ان صدقتم
فيما تقولون لو انا انزلنا الخ فقد جاءكم حجة واضحة بلغة تعرفونها لا تقع الشبهة فيها وهي القران
وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهدى بيان ورحمة نعمة لمن تامل فيه وعمل واتبع سبيله وفي التيسير هما
صفتان للقران او للنبي عليه السلام فمن اظلم اى لا اظلم ممن كذب بايات الله يعني لا احد
اظلم لنفسه او لا احد اوضع للشيء غير موضعه ممن كذب بالقران وقيل بحجج الله بعدما ان عرف صحتها
او تمكن من معرفتها وصدف اى اعرض بنفسه او صد ومنع الناس عنها عن ذلك البينة فضل
واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا اى يعرضون او يصدون الناس عنها
سوء العذاب اى اشده اى العذاب السيئ الشديد الموصوف بنهاية النكاية فهو من اضافة الصفة
الى الموصوف بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم الناس هل ينظرون اى ما ينتظرون
اهل مكة او مطلق المكذبين بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران يعني ما ينتظرون في ترك الايمان
بعد ما اقيم الحجج الوحدانية وثبوت الرسالة وابطلنا ما يعتقدون من الضلالة الا ان تاتيهم
الملايكة اى ملايكة الموت او العذاب قرا حمزة والكسايي بالياء والباقون بالتاء وهم وان لم يكونوا

منتظرين

منتظرين لمجي الملكة ولكنهم في حكم المنتظرين او ياتي ربك بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه في يوم
القيمة او امر ربك بالعذاب كما صرح في اية اخرى او ياتي امر ربك اى باقامة القيامة فاذا تقوم بامره
وقد قال الله اتى امر الله فلا تستعجلوه اى القيمة او ياتي ايات يوم القيمة كلها والهلاك الكلي ولذلك
قابله بقوله او ياتي بعض ايات ربك هي طلوع الشمس من مغربها روى مسلم عن حذيفة بن اسيد
الغفاري قال اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قلنا نذكر
الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من
مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا
بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى المحشر والحاصل ينتظرون ارتفاع الغيب
باحد هذه الاشياء ووقوع العيان ولا قبول للايمان الا بالغيب يوم ياتي بعض ايات ربك يعني
الايات الكبرى من الايات المذكورة انفا لا بعض اشراط الساعة مطلقا اى بعض كان روى الامام احمد
ابن حنبل ومسلم والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا
خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض فالمراد بها الايات
المذكورة كلها الا بعض اشراط الساعة مطلقا لان الايمان نافع بعد ظهورها كيف ونزول عيسى عليه السلام
لدعوة الخلق الى دين الحق بعد خروج الدجال انتهى لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر لزهوق الروح
اذ صار الامر عيانا والايمان برهاني قال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا
طلعت وراها الناس امنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع الاية وقال عليه السلام يد الله بسطان لمسيء
الليل ليتوب بالنهار ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع من مغربها قال عليه السلام تاب قبل ان
تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال عليه السلام ان الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة
عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله عز وجل يوم ياتي بعض
الاية لم تكن امنت من قبل اى من قبل اتيان بعض الايات يعني لا ينفعهم الايمان عند ظهور الاية
التي تضطرهم الى الايمان والجملة صفة لنفسا وايمانها فاعل لا ينفع وهو عامل فيها فلا ضير بالفصل لكونه
او نفسا لم تكن كسبت في ايمانها خيرا اى طاعة وقيل اخلاصا قال البغوي يريد لا يقبل ايمان كافر ولا
توبة فاسق وفي الاماني عطف على امنت استدل به على عدم نفع الايمان المجرد من العمل وذلك ان
او ياتي لعموم النفي كقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اى واحدا منهما ولنفي العموم وذلك اذا قد حط النفي
على النفي ثم جيء باو والاية من قبيل الثاني لتعذر الاولى لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير والطاعة
في الايمان بالضرورة فالمعنى انتفاء الايمان وانتفاء كسب الخير فيه سيان والجواب انه من قبيل
اللف التقديري اى لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه فهو
ساير الايات والحديث او هو من قبيل القلب اى لم تكن كسبت خيرا او امنت من قبل وفايدة هذا القلب
التنبيه بتقديم الايمان على انه الاصل الذي نيط به النجاة انتهى قال الاستاد ومعنى الاية انه لا ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وقد استدل به اهل
الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بشيء لان المعنى هكذا يعني لا ينفع الايمان

حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب دينه فيتحقق النفع بايمانها
كان حسب ما ينطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وقال ابن الحاجب في الامالي الايمان قبل
مجي الايات نافع وان لم يكن عمل صالح غيره ومعنى الاية لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها وهو العمل الصالح لم تكن
امنت قبل ولم يعمل العمل الصالح قبل فاختصر للعلم به وقال بعضهم معناه اى كما لا يقبل ايمان الكافر بعد طلوع الشمس
من مغربها لا يقبل اخلاص المنافق ايضا او توبته وتقديره لا ينفع ايمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل
مجي بعض الايات قلت وهذه عبارة جيدة يقبله العقل السليم **قل انتظروا** يا اهل مكة اتيان احد
الثلثة المذكورة انفا **انا منتظرون** له فحينئذ لنا النيل ولكم الويل ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم
ان الذين فرقوا دينهم اى بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام
افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وتركوا دينهم والباقون بالتشديد
من التفرقة والتشتت وهي التجزية والتبدد وهذا اوفق لقوله تعالى **وكانوا شيعا** جمع شيعة وهي
الفرقة المتابعة بعضها بعضا اى فرقا تشيع وتتبع كل فرقة اماما وقد شايعه اى تابعه وشيعته
اى اتبعه وقال قتادة هم اليهود وقال مقاتل والسدي هم اليهود والنصارى تركوا دينهم وكانوا
فرقا قال الله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقال وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملئكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا واحزابا في الضلالة وعن مجاهد انهم من هذه الامة
وهم اهل البدع والشهوات **لست منهم في شيء** اى من السؤال والبحث عنهم ومن تفرقهم
او من عقابهم او انت بريء منهم ومن دينهم لانك متمسك بالحق والبراهين وهم متمسكون بتقليد الاباء
والاهوية الباطلة وقيل لست من قتالهم في شيء يعني لا تتعرض لقتالهم لانك غير مامور بهم وهو منسوخ باية
السيف وهذا على قول من يقول المراد من الاية اليهود والنصارى ومن قال المراد بالاية اهل الاهواء والبدع
قال المراد من قوله لست منهم في شيء اي انت منهم بريء وهم منك براء يقول العرب ان فعلت كذا فلست
مني ولست منك اى كل واحد منا بريء عن صاحبه **انما امرهم الى الله** يتولى جزاءهم ويكافيهم
ثم ان شاء عاجلهم بالعقوبة وان شاء اخرها الى الاخرة وان شاء وفقهم للرجوع عنها فعفى عنهم
ثم ينبئهم يخبرهم في الاخرة **بما كانوا يفعلون** فيعاقبهم ويجازيهم على ذلك وهذا كالتسلية
لمن جنى عليك يقول الله سأخبره بما فعلت **من جاء بالحسنة** بلا اله الا الله او كل خصلة حسنة
فله عشر امثالها اى له بجزاء عشر حسنات امثالها فضلا من الله قال عطاء عن ابن عباس رضي الله
عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات اذ لا حسنة لغير المصدق اى لغير المؤمن
وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد الله من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة لا الحصر في العدد الخاص

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها
تكتب بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى وروي عن
ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب الي شبرا تقربت منه
ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض
خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة قال ابن عمر الاية في غير الصدقات من الحسنات فاما الصدقات
يضاعف سبعمائة ضعف **ومن جاء بالسيئة** اى بالخصلة السيئة كائنا من كان من العاملين
فلا يجزى الا مثلها يعني جزاء اى واحدة بواحدة بحكم الوعد لا باقتضاء العدل كما توهمه المعتزلة
اذ لا حق للخلق على الخالق **وهم لا يظلمون** بنقص الثواب وزيادة العقاب وهذا الكلام جار على
المتعارف والا فالظلم من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد او نقص قال سفيان الثوري لما نزلت هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زدني فنزل قوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية فقال رب
زدني فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة الاية فقال رب زدني
فنزل قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال الامام القشيري حسنة النفس توفير الخدمة
وحسنة القلب حفظ الحرمة • وحسنة الروح مراعاة اداب الحشمة **قل انني هداني ربي**
الى صراط مستقيم موصل الى الحق اى لما بين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا امر نبيه ان يقول لاولئك
المتفرقين دينهم ارشدني الله الى الدين المستقيم بالوحي بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي من ربي
دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا لقوله ويهديك صراطا مستقيما او مفعول
فعل يضمر دل عليه الملفوظ او منصوب على الاختصاص **قيما** قائما مستقيما بكل اعتقاد صحيح
واحكام ائمة فائدة واكثر ثمرة من احكام الذين فرقوا دينهم قرأ اهل الكوفة والشام قيما بكسر القاف وفتح
الياء على انه مصدر بمعنى القيام وصف به الدين مبالغة وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله
كالقيام وقرأ الاخرون بفتح القاف وكسر الياء مشددة ومعناهما واحد وهو القويم المستقيم وانتصابه على
معنى هداني ربي دينا قيما لا عوج فيه **ملة ابراهيم** عطف بيان لدينا لما في الاضافة زيادة التوضيح وقيل
بدل لدينا باعتبار ان ما شرعه الله على لسان الرسل يسمى دينا واسلاما باعتبار الانقياد لمن شرعه وملة باعتبار الاملاء
عليه لان الملة من املت الكتاب اى امليته وما شرعه الله لعباده يسمى ملة من حيث انه يدون ويملى ويكتب
ويتدارس بين من اتبعه ويجمع عليه من المؤمنين وشرعا وشريعة باعتبار وصول المتمسكين به الى نيل رحمته
حنيفا حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة **وما كان من المشركين** رد على المشركين الذين
يزعمون انهم على ملته وهو اعتراض مقرر لنزاهة ابراهيم عليه السلام مما عليه المتفرقون لدينه من عقيدة
وعمل والمعنى ما كان منهم في امر من امور دينهم اصولا وفروعا صرح بنفي الشرك عنه ردا على الذين يدعون
انهم على ملته من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله
ولما طعن كفار مكة فيه عليه السلام بقولهم انك يا محمد تصلي الى الكعبة وتطوف بها وتنحر لها الهدايا وتقبلها
ولا تفعل باصنامنا فرد الله عليهم وامر نبيه بان يقول في جوابهم **قل** يا محمد **ان صلاتي** الى جهة الكعبة

٣٣٣

ونسكي اى طوافى وذبحى للهدايا وعبادتى كلها وانما افرد الصلاة لشرفها لانها عماد الدين ومحياي
ومماتي اى ما يقارب حياتى من الطاعات كالصوم والصلوة وغير ذلك وما يقارب مماتى من الخيرات
المضافة الى الممات كالصدقة الجارية والعلم النافع والولد الصالح على ما نطق به الحديث او نفس
حياتى ومماتى وقرا ورش عن نافع باسكان الياء فى الوصل لان زيادة المد تقوم مقام الحركة لله خاصة
له لا للكعبة كما يزعم عابد الاوثان واهل الكتابين رب العالمين لا شريك له سبحانه فلا طاعة ولا
عبادة الا له وحده وبذلك اى بلا شريك له امرت او بذلك القول او الاخلاص امرنى ربى وانا اول
المسلمين قال قتادة وانا اول المسلمين من هذه الامة قال بعضهم اى اولهم اسلاما من حيث الزمان
لان الاسلام كل نبى متقدم على اسلام امته او رتبة لان احدا لا يلحقه عليه السلام فى كمال الاسلام وقال بعضهم
اى وانا اول المنقادين لامر من اهل هذا الزمان قال القشيرى رحمه الله من علم انه لله لم يبق نصيب لغير
الله فاستسلم لحكم الله ولم يعترض على تقدير الله ولم يعارض باختياره اختيار الله ولم يعرض عن
اعتناق امر الله قل اغير الله ابغى ربا انكار لان اتخذ ربا سواه يعنى لا يجوز فى العقل السليم ان اطلب
لى مدبرا او سيدا والها غير الله فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة
الهتهم وفى التبصرة فان زعموا انك تعبد الكعبة بالصلوة والطواف والذبح وتستر هذه العبارة فقل فى جوابهم
اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء حال فى موقع العلة موكدة للانكار اى والحال ان كل ما سواه مربوب
مثلى لا يصلح للربوبية بوجه من الوجوه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان الوليد بن المغيرة يقول
اتبعوا سبيلى احمل اوزاركم فقال الله تعالى ولا تكسب كل نفس ذنبا الا عليها يعنى والحال ان جناية
كل نفس لا تتخطاها فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غير الله ما انتم عليه من ذلك والحاصل لا تكون جناية نفس من
النفوس الا عليها فلا فائدة لقولكم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم قال الاستاد ويحتمل ان يكون معناه لا تعمل
عمل نفس الا على وجه يكون عليها او تركت واختيارها لكن الله تعالى يوفقها ويعصمها وهو كقوله وما
ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى وكيف يتصور صدور الاثم عن شخص وقراره على شخص
اخر ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى اى لا يؤاخذ احد
بذنب غيره ثم الى ربكم مرجعكم اى تعودون بين يديه يوم القيمة للجزاء وهذا اشارة الى تشديد الوعيد
فينبئكم اى يخبركم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون يبين الله الرشد من الغى والحق من المبطل
قال الاستاد اراد بالاختلاف فى الاديان التى فرقتموها واذا كان الامر بذلك وعيدا راجعا الى حكم الله
وحده فلا عذر فى ابتغاء رب سواه وهو الذى جعلكم خلائف الارض جمع خليفة قال الكلبى اى
وهو الذى جعلكم يا امة محمد خلائف الامم الماضية فى الارض يعنى اهلك القرون السالفة واورثكم الارض
يا امة محمد صلى الله عليه وسلم من بعدهم فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وكل من جاء
من بعد من مضى فهو خليفته لانه يخلفه قال الاستاد الخلافة هى النيابة عن الغير والحلول محله اى جعلكم خلفاء
الامم السابقة السالفة لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف فى الارض لننظر كيف تعملون على ان الخطاب عام اى يخلف
بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله فى ارضه يتصرفون فيها على ان الخطاب لخواص الامة الذين هم خلفاء الله
فى ارضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق

ورفع

ورفع بعضكم فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة فى الشرف والعلم والعقل والجاه والمال والرزق
والخلقة وكل شىء ليبلوكم فيما اتاكم ما ذكر كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والعالم
بالجاهل والغنى بالفقير والحر بالعبد قال الاستاد ليختبركم فيما رزقكم يعنى بنيل الغنى والفقر والشريف والوضيع
والحر والعبد ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب بحاصله اعطاكم ذلك ليظهر المطيع منكم والعاصى
وليعاملكم معاملة المختبر ان ربك سريع العقاب لاعدائه ولمن كفر نعمته وانما كان عقابه
سريعا لانه لا يحتاج الى استعمال الالات ولا يتوقف على استعمال الالات ولا يتوقف على استحصال الادوات قال
البغوى لان ما هو ات فهو سريع قريب قيل هو الهلاك قال السلطان لان ما هو ات قريب او لانه يسرع
اذا اراده قال الشيخ لان وقوعه متعلق بارادته لا غير وانما قدم العقاب لان الكلام مع المشركين وانه
لغفور رحيم لاوليائه المومنين وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة
وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب
بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها قال عطاء سريع العقاب لاعدائه غفور
لاوليائه رحيم بهم او غفور لمن تاب عن متابعة النفس والهوى ومخالفة الحق والهدى وامن وعمل
صالحا للخلافة رحيم بمن رحمه ووفقه لرضاته سورة الاعراف مكية روى ذلك عن ابن
عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انها مكية الا خمس ايات اولها واسالهم عن القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات
فى سورة الاعراف مدنية اولها واسالهم عن القرية الى قوله واذ اخذ ربك وهى مائتان وست
ايات او خمس ايات على خلاف فى ذلك بسم الله الرحمن الرحيم
المص قال ابن عباس معناه انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم
الله به وهو اسم من اسماء الله تعالى قال قتادة المص اسم من اسماء القران وقال الحسن هو اسم
للسورة وقال السدى هو بعض اسمه تعالى المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح
اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هى حروف مقطعة
استاثر الله بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الاعظم وقيل هى حروف تحوى معانى دل
الله بها خلقه على مراده وهذه الحروف اما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب واما
اسم للسورة او القران فمحله الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف والتقدير هذا المص اى مسمى به
وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر
المشاهد وقوله تعالى كتاب خبر مبتدإ محذوف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا به السورة
او القران كتاب الخ هذا على الوجه الاول اى كون الحروف مسرودا وعلى الوجه الثانى اى كون الحروف
اسما للسورة او القران فهو خبر بعد خبر وقد جوز كونه خبرا للمص مبتدا اى المسمى بالمص كتاب انزل
اليك هذه الجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه بنى الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا
بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه والمعنى هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران
فلا يكن فى صدرك حرج منه اى فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس

للعطف ويحتمل الجواب ايضا اى اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه او هذا كتاب انزلناه
اليك فلا يكن بعد انزاله حرج فى صدرك واللام فى **لتنذر به** متعلق بانزل اى انزل اليك لانذارك
به او متعلق بالنهى لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذا اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار
لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه والمعنى انزلنا اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك ما نذاره
وذكرى للمؤمنين معناه ولتذكر وتعظ به المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب
انزلناه اليك وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن فى شك منه لان
الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قال مجاهد معنى حرج اى شك فالخطاب
للرسول عليه السلام والمراد به الامة وقال ابو العالية حرج اى ضيق معناه لا يضيق صدرك بالابلاغ
وتادية ما ارسلت به كما تر انفا وذكرى فى محل النصب باضمار فعلها اى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى
اسم بمعنى التذكير او الرفع بالعطف على كتاب وهو ذكرى للمؤمنين او بانه خبر مبتدا محذوف او الجر بالعطف
على محل لتنذر اى للانذار وللذكرى وخص الذكرى بالمؤمنين لانهم المنتفعون به واطلق الانذار لعموم
الفريقين والتحقيق فى الاطلاق والتخصيص ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة
فى بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوى ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم
القدس فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف والثانى لم تحتج الا الى تذكيره وتنبيهه فثبت انه تعالى
انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا فى حق بعض الناس وذكرى فى بعض اخر ثم لما امر الله
نبيه بالتبليغ والانذار امر الامة بمتابعته وقبول ما انزله اليه فقال **اتبعوا ما انزل اليكم**
من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والمعنى قل يا محمد لقومك اتبعوا يا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم
القران الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا ويحب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج
اتبعوا القران وما اتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وتخصيص المعنى ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذر به فكان
معنى الكلام انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك
وقيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب
للكفار اى اتبعوا ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى **ولا تتبعوا من دونه**
اى من دون ربكم **اولياء** تطيعونهم فى معصية الله تعالى يعنى لا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر
والشرك اولياء فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق شياطين
الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة **قليلا ما تذكرون**
والمعنى ما يتعظون الا قليلا وقال السلطان اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله
وتتبعون غيره وعلى هذا يكون قليلا صفة مصدر محذوف او ظرف وما مزيدة لتاكيد القلة وقرا
حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بتاء واحدة وتخفيف الذال وابن عامر بياء تحتانية بعدها

تاء وتخفيف الذال والباقون بتاء وتشديد الذال ثم ذكر ما فى ترك المتابعة من الوعيد فقال **وكم**
من قرية اهلكناها اى كثير من اهل القرى اهلكنا اهلها اى اردنا اهلاك اهلها ففيه حذف
وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها بالخذلان **فجاءها باسنا** اى عذابنا فان قلت
مجى الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية
حكمنا باهلاك اهلها فجاءها باسنا وقال الفراء ان الاهلاك والباس قد يقعان معا كما يقال اعطيتنى فاحسنت
الى فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده وانما وقعا معا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتنى فاحسنت
الى او احسنت الى فاعطيتنى فيكون احدهما بدلا من الاخر **بياتا** اى بايتين كقوم لوط يعنى جاءها عذابنا
ليلا قبل ان يصبحوا **او هم قائلون** عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب والقيلولة
هى نوم نصف النهار للاستراحة فيه او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها باسنا
غفلة وهم غير متوقعين له ليلا وهم نائمون على فرشهم او نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك
وقت الغفلة ومقصود الاية انهم جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم
على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة
فان عذاب الله اذا نزل دفعة واحدة **فما كان دعواهم** اى قولهم ودعاؤهم ربهم وتضرعهم
واستغاثتهم اليه او ما كانوا يدعونه من دينهم وفى التبصرة اى ما كان حجتهم التى يدعون التمسك بها
لدفعه يعنى ما كان دعاء اهل القرية التى جاءهم باسنا والدعوى بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه
تقول العرب اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم **اذ جاءهم باسنا** اى عذابنا ورأوا اماراته **الا ان قالوا انا كنا ظالمين** اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا
عليه وبطلانه تحسرا عليه يعنى انهم لم يقدروا على رد العذاب ودفعه عنهم وكان حاصل امرهم الاقرار
بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف **فلنسألن الذين ارسل اليهم** اى فلنسألن المرسل اليهم
وهم الامم ماذا عملتم فيما جاءكم به الرسل لقوله تعالى ماذا اجبتم المرسلين الفاء فصيحة **ولنسألن**
المرسلين لقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم يعنى ولنسألن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم
هل بلغتم رسالاتى واديتم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم ام قصرتم فى ذلك والنفى فى قوله تعالى
لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وفى قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان السؤال عن الذنب
لا مطلق السؤال قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى هذه الاية يسأل الله الناس عما اجابوا المرسلين
ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيمة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال
السدى يسأل الامم عما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر
عنهم بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم فى قوله انا كنا ظالمين فما فائدة هذا السؤال مع اعترافهم على انفسهم
بذلك قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود
من هذا التقريع والتوبيخ للكفار لا الاستخبار والتقرير لقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ
فان قلت فما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم
قلت اذا كان يوم القيمة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فكان مسئلة الرسل

على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه
من الامم فتكون هذه المسالة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك
خزيهم وهوانهم وغمهم ويتضاعف الامهم الله تعالى للرسل الظهور براهينهم عن جميع موجبات
التقصير **فلنقصن عليهم بعلم** يعني فلنخبرن الرسل حين يقولون لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
علام الغيوب ومن ارسلوا اليهم بعلم يقين بما عملوا في الدنيا اي لنقصن على الفريقين حال كوننا ملتبسين
بعلم كامل شامل لظواهرهم وبواطنهم قال ابن عباس ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله هذا كتابنا ينطق
عليكم بالحق **وما كنا غائبين** عن الامم وعن الرسل وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم فيما
اجابوا وفايدة السوال مع العلم التوبيخ للكفار ودخول السرور على الانبياء بالتبليغ **والوزن** مبتدا اي القضاء
او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء **يومئذ** ظرفه **الحق** خبره اي والوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم
هو الحق الثابت الواجب الوقوع او الحق صفته والخبر يومئذ اي الوزن العدل كائن يومئذ وفي كيفية الميزان
قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد
خيرها وشرها على ما ذهب اليه جمهور المفسرين وكيف يوزن فيه اعمال العباد وجهان احدهما ان المومن تصور
اعماله بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن
يعود الى الصحف التي تكون فيها اعمال العباد مكتوبة يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يوزن
يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى برجل يوم القيمة
الى الميزان ويوتى له بتسع وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة
الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فتوضع في الاخرى
فترجح قيل يجب ان يحمل هذا على انه ياتي بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية
ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من ساير الاعمال
لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال والقول الثاني ان المراد من الميزان العدل لان العدل في الاخذ
والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل وفي اللباب قال ابن الجوزي جاء
في الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفته
حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة وقال حذيفة جبريل عليه السلام صاحب
الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب
ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم تكن له حسنة اخذ من سيات
المظلوم فترد على سيات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قيل اليس الله عز وجل يعلم مقادير
اعمال العباد فالحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها
امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير
وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد
في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ونقل
البغوي عن بعضهم انه توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجه
في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد لا يزن عند الله
جناح بعوضة اي مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه وفي اللباب الصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال
توزن او نفس الاعمال تجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك **فمن ثقلت موازينه** اي حسناته اي ما
يوزن به حسناته جمع ميزان فان قلت اورد عليه على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب
قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على
الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هي جمع موزون يعني رجحت اعماله
الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر واعتبار **فاولئك هم المفلحون** اي الذين ثقلت موازينهم
هم الفائزون بثواب الله وجزائه **ومن خفت موازينه** بالسيات يعني موازين اعماله وهم الكفار
بدليل قوله تعالى **فاولئك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله
وكرامته **بما كانوا باياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله ودلائل توحيده يجحدون
ولا يقرون بها روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق
لميزان يوضع فيها الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيمة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا واولئك مبتدا
والذين خسروا خبره وبما كانوا متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون قيل في الاية دلالة
على ان الذين تكون حسناته وسيئاته متعادلين متساويين غير موجود واجيب بان هذا في من
ثقلت موازينه لان الحسنات تتضاعف كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فمجرد الايمان يدخل
المومن فيه فاذا ضم الى ايمانه بعض الاعمال يدخل فيه بطريق الاولى ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب
الاجل رغب الخلايق في قبول دعوة الانبياء بطريق اخر فقال **ولقد مكناكم في الارض** اي جعلناكم
ايها الناس في الارض مكانا تسكنونه او جعلناكم متمكنين متصرفين فيها كيف شئتم يعني اقدرناكم على
التصرف فيها بالسكنى والزرع **وجعلنا لكم فيها معايش** اي انشانا واوجدنا لمصالحكم ومنافعكم
فيها اسبابا تعيشون بها وهي جمع معيشة وهي ما يعاش به يعني به قوام الحياة من المطاعم والمشارب
وغيرها او ما يتوصل بالتخصص به الى ذلك وبالجملة اريد بها وجوه المنافع التي تحصل بتخليق الله تعالى
ابتداء كالثمار او بواسطة كالاسباب وقراة العامة معايش بالياء لانها اصلية لكونها من العيش
وعن ابن عامر او نافع في بعض الروايات الهمز تشبيها بصحايف واستبعده النحويون البصريون لانه لا يهمز
عندهم الا ما كان حرف المد زايدا نحو صحايف ومداين واما معايش فالياء فيها اصلية كما ذكرنا
وانت خبير بان ابن عامر ونافع قرا على جماعة من الصحابة الذين قرءوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا
اعتبار باستبعادهم ثم بين الله تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي
فقال تعالى **قليلا ما تشكرون** يعني فيما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وما مزيدة لتاكيد القلة وفي الاية
دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر

على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ثم انه
تعالى لما ذكر كثرة نعمه على العباد اتبعه بذكر انه خلق اباءنا وجعله مسجود الملئكة الكرام والانعام على
الاب يجري مجرى الانعام على الابن فقال **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** قال السلطان اي خلقنا
اباءكم ادم طينا غير مصور يعني حكمنا بخلقه ثم صورناه اي صورناه من طين وانما خاطبه بصيغة
الجمع وهو واحد تعظيما له ولانه اصل الجميع والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة نزل خلق
وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره لانه اصل الكل كما تقدم او ابتدانا بخلقكم ثم تصويركم اي بان خلقنا ادم
ثم صورناه او بان خلقنا اباكم ادم ثم صورناه وانتم في ظهره او لقد قدرناكم ايها المخاطبون في علمنا ثم
صورناكم في ظهر ادم **ثم** نخبركم ان **قلنا للملئكة اسجدوا لادم** وفي اللباب ولقد خلقناكم ايها
الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم في ارحام النساء صورة مخلوقة
ثم اخبرناكم انا قلنا للملئكة اسجدوا لادم وعلى هذا كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر
على المخبر وقال ابن عباس خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا السجود كان على سبيل التحية والتعظيم
لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله وانما كان ادم كالقبلة للساجدين
وقيل بل كان السجود لله لكون ذلك بامر الله تعالى وقال الشيخ الامر بسجود الملئكة كان قبل خلق بني ادم فاوجه قوله
ثم قلنا وثم للتعقيب والتراخي قيل على قول من يصرف الخلق والتصوير الى ادم وحده يستقيم الكلام
اما على قول من يصرفه الى الذرية ففيه اجوبة احدها ان ثم بمعنى الواو اي وقلنا للملئكة فلا يكون للترتيب
والتعقيب وقيل اراد ثم اخبركم انا قلنا للملئكة اسجدوا كما اشرنا وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره ولقد خلقناكم
يعني ادم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم ثم صورناكم قوله تعالى **فسجدوا** يعني الملئكة بعد الامر من غير تلعثم **الا
ابليس** قال السيوطي هو ابو الجن كان بين الملئكة **لم يكن من الساجدين** اي لم يكن ممن سجد لادم
ولم يدخل في زمرتهم وفي اللباب وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان من الملئكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان
الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملئكة لانه خلق من نار والملئكة من نور وانما استثناه من الملئكة لانه كان
مامورا بالسجود لادم مع الملئكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثناه منهم
قال الله لابليس **ما** اي اي شيء **منعك ان** زايدة بدليل ما منعك **تسجد اذ** حين **امرتك** بالسجود
يعني قال الله لابليس اي شيء منعك عن السجود اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا في قوله ان لا تسجد صلة
زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم اي اقسم وقوله وحرام على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي
والفراء والزجاج والاكثرين وحكى الواحدي عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الاية ليست زايدة ولا توكيدا لان
معنى قوله ما منعك ان لا تسجد اي من قال لك لا تسجد لادم فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول
حكاه ابو بكر عن الفراء وقال الطبري والصواب في ذلك ان يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود
فاحوجك ان لا تسجد لادم فترك ذكر احوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الامام فخر الدين
الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة
الله تعالى عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها فان قلت لم ساله عن المانع من السجود

وهو

وهو اعلم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وافتخاره باصله وحسده لادم ولذلك لم يتب
منه قال الاستاد وظاهر الاية يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك
فان المقصود طلب ما منعه من السجود اي اي شيء منعك من السجود كما فسرنا هكذا **قال** ابليس مجيبا
عما ساله عنه **انا خير منه** يعني منعني عن السجود علو رتبتي ومنزلتي اذ انا خير منه وهذا جواب
من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان جواب لفظ ما منعك ان يقول منعني كذا استانف الابليس به
ليعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر يعني لا ينبغي ان يكون مثلي مامورا بالسجود لمثل ادم
كانه قال انا خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يومر به انكر اللعين
امر الحق لوروده على خلاف مقتضى عقله وقياسه وهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح
العقليين اولا وهو بعينه مذهب المعتزلة فيهما فلما نظر الخبيث الى ظاهر علو عنصره قال لاثبات
قوله انا خير منه **خلقتني من نار** ومركزها الى فلك القمر فوق الهواء والماء والتراب **وخلقته
من طين** ممزوج من تراب وماء ومركزها دون مركز النار والنار خير من الطين وانور قال الامام
وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه فضلا وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار
على الطين الذي خلق منه ادم فجهل عدو الله ابليس وجه الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم
ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وتفريق الاشياء وهذا الذي حمل الخبيث
ابليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم عليه السلام
والاستخفاف بامر فاورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والصبر
والحلم والحياء والتثبت وجمع الاشياء وان الطين سبب الحياة فان حيات النبات والاشجار بها مع الماء
وهذا كان الداعي لادم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى
التوبة من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اول من
قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس واصل هذا القياس
الذي قاسه ابليس لما راى ان النار افضل من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار و
خلقته من طين ولم يتدبر ان الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة
الاصل والجوهر وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر
القرشي فان الله تعالى خص صفيه ادم عليه السلام باشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه
من روحه واسجد له ملئكته وعلمه اسماء كل شيء واورثه الاجتباء والتوبة والهداية الى غير ذلك من
ما خص الله به ادم عليه السلام العناية التي سبقت له في القدم واورث ابليس كثرة اللعنة والطرد للشقاوة
التي سبقت له في القدم **قال فاهبط منها** من الجنة او السموات قال ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا في عدن
لا في جنة الخلد وقيل من الرتبة المنيفة والمنزلة الرفيعة فانه كان من زمرة الملئكة المقربين وان الخروج
من زمرتهم هبوط واي هبوط وقيل من الهيئة والصورة كان عليها لانه كان مشرق اللون فرجع اسود
مظلما قال شيخنا غوث الله الاعظم الشيخ محي عبد القادر الجيلاني في كتابه فتوح الغيب ما نصه رايت ابليس اللعين
وانا في جمع كثير فهممت بقتله فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي ان جرى القدر بالشر فلا اقدر اغيره الى الخير

وانقله اليه وان جرى بالخير فلا اقدر اغيره وانقله الى الشر واى شئ بيدك ورايت صورته على صورة الخنافي
لين الكلام مسنون الوجه فيه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة عظيم الخلق وكانه يتبسم في وجهي تبسم خجل
ووجدت ذلك في ليلة الاحد ثاني عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين واربعمائة انتهى ومما يتعجب منه ان بعض الناس
يستشهد باشعار الكفرة لاثبات قراءة ولغة ولا يستشهد باقوال الصادقين الذين تواترت كراماتهم الكاملين في
العلوم ولنرجع الى ما نحن فيه واعلم ان الهبوط هو الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف
قوله تعالى فما يكون لك ان تتكبر وتعصي فيها اى فما يصح ولا يستقيم ولا يليق بشانك ان تتكبر
في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة او في السماء متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما
غير الجنة والسماء فقد يسكنها المتكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون في الارض وفيه تنبيه على
ان المتكبر لا يليق باهل الجنة لانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه قال النبي صلى الله عليه وسلم من
تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله رواه البيهقي والتكبر في وصف المخلوق اظهار الكبر بالتكلف بلا اعتبار
من الحال وفي وصف الخالق اظهاره على وجه الكمال فلهذا صار ذما في الاول ومدحا في الثاني فاخرج انك
من الصاغرين اى انك من الاذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة يعني اخرج من الجنة لانك ممن
اهانه الله به لتكبره قال ابليس طالبا لاستيفاء حظه من الدنيا ايسا من نعيم الاخرة انظرني اي
امهلني لا تمتني الى يوم يبعثون اى الى ان يخرج الناس من قبورهم وهو النفخة الاخرة قال
ابن عباس رضي الله عنهما اراد اللعين ان لا يذوق الموت اذ لا موت بعدها فابى الله تعالى عليه قال انك
من المنظرين اى الى النفخة الاولى فتموت مع من يموت ودليل ابائه قوله في سورة الحجر انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم اى في علم الله وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك
من المنظرين وليس احد ينظر ويؤخر ويمهل سواه قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى
ذلك الوقت باجالهم بعضهم فان قيل كيف اجيب ابليس الى الانظار ليفسد احوال عباد الله تعالى ويغويهم قلنا
لما في ذلك من ابتلاء العباد ولما في مخالفته من عظيم الثواب ونظير ذلك ما خلق الله تعالى في الدنيا من انواع الزخارف
واصناف الملاذ والملاهي وما ركبه الله في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده وقيل اراد اللعين بالانظار
يعني اخر عقوبتي الى يوم الجزاء ولا تواخذني قبل يوم القيمة لا ان يبقيه حيا الى النفخة الثانية بان لا يميته اصلا
فعلى هذا الاحتمال اجابه الله تعالى الى ما ساله حيث اخر عقوبته الى يوم البعث ثم قال اللعين لارادة الانتقام
من ذريته ادم الذي صار سببا لهلاكه فبما اغويتني قال الاسناد والباء سببية وما مصدرية اى فبعد
ما امهلتني لاجتهدن في اغوائهم واضلالهم حسب طاقتي ومقدرتي بسبب اغوائك اياي اى بسبب ايقاعك
الغي والباطل في قلبي وعقيدتي بواسطتهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم كما قال ودوا لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء فالهمزة للصيرورة وهذا النص اما من جهة التسمية او من جهة حمله اياه على الغي
فالاسناد على التقديرين حقيقي او من جهة انه تعالى كلفه بما غوى بسببه فالاسناد مجازي والباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه لان لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام وقيل الباء
للقسم ولاقعدن جوابه كما في قوله فبعزتك وما مصدرية اى اقسم بقدرتك ونفاذ سلطانك في بالاغواء
والاضلال لافعلن كذا وقال الشيخ معناه فاي شئ اضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله

اغويتني

اغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن لهم لبني آدم صراطك المستقيم اى على الطريق الموصل اليك
يعني لاجلسن على صراط القويم وهو طريق الاسلام او الطريق الموصل الى الجنة وذلك بان اوسوس
اليهم وازين الباطل وما يكسبهم الماثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني يمنعهم
من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول اولى لانه يعم جميع المفاسد ومعنى الاية لاصدن بني ادم عن
عبادتك وطاعتك ولاغوينهم ولاضلنهم كما اضللتني ونصب صراطك على الظرف اى في صراطك كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وقيل على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن
عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
فقعد له في طريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دين ابائك واباء ابائك فعصاه واسلم وقعد له بطريق
الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه وهاجر وقعد له
بطريق الجهاد فقال اتجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه وجاهد قال
فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله ان يدخله الجنة او وقصته دابته
كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النسائي وقوله اخبارا عن ابليس ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم يعني من قبل
الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم
وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وانما جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم مستقبلون اليها وصائرون
اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
اخرى عنه من بين ايديهم اى من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة
ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذه
الرواية لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غائبة عنه فهي خلفه
وقال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاثبطهم
عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة
اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم
اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم
اليها اتاك يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك ولم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله وقال
مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون وعنه
انهم يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون يعني انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون
وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم
فلا يتوبون عما سلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن
خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور وقال شقيق البلخي ما من صباح الا وياتيني الشيطان
من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله
غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فا

وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيا تيني من الشاء فاقر او العاقبة للمتقين
واما من قبل شمالي فيا تيني من قبل الشهوات فاقر او حيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر الجهات
الاربع انما اريد بها التاكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن ادم وانه لا يقتصر في ذلك ومعنى
الاية على هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقيل شبه حال وسوسته
لبني ادم باتيان العدو من الجهات الاربع وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوت
السعادات الروحانية احدها القوة الخيالية تجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم
من الدماغ واليه الاشارة بقوله تعالى من بين ايديهم وثانيها القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات
بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها الباطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة
ومحلها الكبد التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو الشق الايسر فالشياطين
الخارجة مالم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة قوله تعالى **ولا تجد اكثرهم شاكرين**
يعني ولا تجد يا رب اكثر بني ادم شاكرين لك على نعمتك التي انعمت بها عليهم لقوله وقليل من عبادي الشكور
وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم موحدين اي مؤمنين مطيعين لك فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك
حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
وقيل انه كان عارفا على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال
هذه المقالة وقيل انه راه مكتوبا في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع لانه علم
مراده **قال** الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك يا ابليس **اخرج منها** اي من الجنة فانه لا ينبغي
ان يسكن فيها العصاة **مذؤما** بالهمزة من ذامته اذا ذممته اي اخرج منها معيبا اشد العيب
اي بذم اضلال الخلائق مع ذم ضلالك وقرئ مذوما مكسورا بمعنى عابه **مدحورا** يعني مطرودا
مبعودا من الرحمة قال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من
الجنة ومن كل خير **لمن تبعك منهم** بفتح اللام لانها موطئة لقسم محذوف ومن شرط مبتدأ وقوله
لاملان جهنم منكم اجمعين جواب القسم ساد مسد جواب الشرط والجملة خبر المبتدأ تقديره والله من
تبعك من بني ادم لاملان وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك له هذا الوعيد
والحاصل اقسم الله ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه ان يملأ جهنم منه وممن كفر من بني ادم
وابليس وذريته ومن تبعه منهم ثم اخبر الله تعالى عن كلامه لادم في الجنة فقال **ويا ادم** اي وقلنا
يا ادم عطف على قلنا للملائكة اسجدوا لادم على ما بعد قلنا الفاء المعنى اذ يصير المعنى هكذا اي قلنا للملائكة
يا ادم **اسكن انت** وانت تاكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه وزوجك **وزوجك الجنة** اي انت انت
ولتثبت حوا في جنة الخلد وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة **فكلا من حيث
شئتما** اي فكلا من ثمار الجنة وفواكهها من اي مكان شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو
وقال هنا فكلا بالفاء فما الفرق قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على
سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة
البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع وتوجيه الخطاب اليهما للتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة

المامور به فان حواء مثله في الاكل خلاف السكنى فانها تابعة له فيها ولتعلق النهي بهما صريحا في قوله
ولا تقربا هذه الشجرة اي بالاكل منها وهي الحنطة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغير مذكره ذي
وهو ذا على ذيا والهاء بدل من الياء وتقدم الكلام في الشجرة في سورة البقرة **فتكونا من الظالمين**
اي فتصيرا من الذين ظلموا على انفسهم فتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب **فوسوس
لهما الشيطان** اي فعل الوسوسة وتكلم بكلام خفي مكررا اي وسوس اليهما يعني القاها اليهما
قال الاستاد الوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان فان قلت كيف وسوس اليهما وادم وحوا
في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر الامام فخر الدنيا والدين في الجواب عن هذا السوال عن الحسن انه
قال كان ابليس يوسوس في الارض الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقال ابو مسلم الاصبهاني بل كان
ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من ان ابليس
دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال الاخرون ان ادم وحوا ربما
قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من الاخر فحصلت الوسوسة
هناك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله قلت
يحتمل ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد
ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في
ادم حتى اكل من الشجرة **ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما** اي ليظهر لهما ما غطي وستر
من عوراتهما وقوله ما ووري ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسوأة
فرج الرجل سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الاية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمة
وفي جامع الاسرار وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن
في الطباع وكانا لا يريان ذلك من انفسهما ولا احدهما من الاخر وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
ما رايت منه ولا راى مني واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة
ظهور عورتهما وانما كان يحملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عورتهما والجمهور
على قراءة الهمزة سوءاتهما بالجمع من غير نقل ولا ادغام وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
الى الواو وقرئ وسوّاتهما مشددا بقلب الهمزة واوا وادغام الواو في الواو **وقال** اي وقال
ابليس لادم وحواء **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة** يعني عن الاكل من هذه الشجرة **الا ان
تكونا** اي الا كراهة ان تكونا **ملكين** في حصول الملكات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة
والاشربة اذ لا احتمال لقلب الحقائق وانما اتت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات
المذكورات فلا دلالة فيه على فضل الملك على النبي مطلقا وقرئ ملكين بكسر اللام **او تكونا من
الخالدين** يعني انما نهاكما عن هذه الشجرة لئلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر او تكونا من
الباقين الذين لا يموتون وانما اطمع ابليس لادم بهذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش
فاستشرف لذلك ادم واحبه او انه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكون من الخالدين الذين لا يموتون
ابدا قال الاستاد فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك افضل من الانبياء لان ادم عليه السلام طلب ان

يكون من الملئكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس فى ظاهر الاية ما يدل على ذلك لان ادم عليه السلام
لما طلب ان يكون من الملئكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم عليه
السلام فطلب ان يكون من الملئكة او من الخالدين وعلى تقدير ان يكون هذه الواقعة وقعت فى زمان النبوة
بعد ان شرف بها ادم انما طلب ان يكون من الملئكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلتحق بهم فى
الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملئكة لطول اعمارهم او من الخالدين الباقين الذين لا يموتون ابدا
وقوله تعالى **وقاسمهما** اى واقسم وحلف لهما بالله وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد واخرج قسم
ابليس على زنة المفاعلة لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكانها من اثنين **انى لكما لمن**
الناصحين قال قتادة حلف بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وانا اعلم
منكما فاتبعانى ارشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له **فدليهما** اى حطهما ونزلهما
عن منزلتهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** اى بما غرهما به من القسم بالله فانهما ظنا ان احدا لا يحلف
بالله كاذبا فقيل ان الله تعالى قال لادم ما اجرأك على ان عصيتنى قال رب ان اللعين حلف بدين بينا
انه لمن الناصحين وما ظننت ان احدا من خلقك يحلف باسمك كاذبا وهو اول من كذب من خلق الله
وانخدع به ادم وفى مثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وانشد
نفطويه فى معناه ❊ ان الكريم اذا تشاء خدعته ❊ وترى اللئيم مجربا لا يخدع ❊ والغرور اظهار
النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون
الا من علو الى سفل والحاصل ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله
كاذبا **فلما ذاقا الشجرة** اى اكلا منها لان الذوق يدل على الاكل اليسير يعنى فلما وجدا طعمها اخذا
فى الاكل منها **بدت لهما سوءاتهما** يعنى ظهرت عوراتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ازدردا
يعنى قبل ان يبتلعا اخذتهما العقوبة وهى ان بدت وظهرت لهما سوءاتهما وتهافتت عنهما لباسهما حتى
ابصر كل واحد ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك كما ذكرنا وقال وهب كان لباسهما من
النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما وقال قتادة كان
لباس ادم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع فى الذنب كشط عنه وبدت سوءته **وطفقا** اى اخذا واقبلا
وجعلا **يخصفان** اى يرقعان ويلصقان ويلزقان ورقة بعد ورقة **عليهما** اى على عوراتهما
ليستتراها **من ورق الجنة** وهو ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما
ويخصفان من خصف بتشديد الصاد ويخصفان واصله يختصفان روى عن ابى بن كعب
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير
شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سوءته وكان لا يراها فانطلق هاربا فى
الجنة فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسلينى قالت لست بمرسلتك فناداه
ربه يا ادم امنى تفر قال لا يا رب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى من طريقين
موقوفا ومرفوعا وقوله تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة** يعنى ان الله تعالى نادى
ادم وحواء وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة فيه دليل على ان النهى يفيد تحريم المنهى عنه

ان لم يصرف عنه صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع للقريب اولا والبعيد ثانيا لان ادم وحواء
بعد وقوع ما وقع واطلاعهما على تغرير ابليس فرا من الشجرة فكانت الشجرة حين العتاب
بعيدة عنهما **واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين** اى الم اعلمكما ان الشيطان قد بان
عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا وفى المدارك هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطاء وروى
انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما
ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا بكد يمين وعرق
جبين فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وذرى وطحن وعجن وخبز
قال ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التى نهيتك قال حواء امرتنى قال فانى قد اعطيتها
ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال
محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتنى حواء قال لحواء لم اطعمتيه قالت امرتنى
الحية قال للحية لم امرتيها قالت امرنى ابليس قال اما انت يا حواء فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر
واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ راسك من لقيك واما انت يا
ابليس فملعون مدحور يعنى مطرودا عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم اما خلقتك بيدى اما نفخت
فيك من روحى اما اسجدت لك ملائكتى اما اسكنتك جنتى فى جوارى **قالا** معتذرين **ربنا**
ظلمنا انفسنا بمعصيتنا وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه السلام وحواء واعترافهما على
انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك
وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نفعله من اكل الشجرة التى نهيتنا عن اكلها **وان لم**
تغفر لنا يعنى وان انت يا ربنا لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعنى وتتفضل علينا برحمتك **لنكونن**
من الخاسرين يعنى من الهالكين قال قتادة قال ادم رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا
ادخلك الجنة واما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال
الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هى الكلمات التى تلقاها ادم من ربه عز وجل قال السلطان فى قوله
لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة
عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من
السيئات واستحقار العظيم من الحسنات **فصل** وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء
عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبياء عليهم السلام فى الرفعة والعلو والمعرفة بالله
عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت
منهم على سبيل التاويل والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصى غيرهم وكان ما صدر منهم مع طهارة هممهم
ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل
ذنوبا وهى حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين يعنى انهم يرونها بالنسبة
الى احوالهم كالسيئات وهى حسنات لغيرهم قوله تعالى **قال اهبطوا** الخطاب لادم وحواء وذريتهما اف

لهما ولابليس لن لامرله تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر الله عما قال لهم ثم قال الامام فخر الدين الرازي ان الذي تقدم ذكره هو ادم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب ان يتناول هؤلاء الثلثة وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعني من السماء الى الارض فقال السدي اهبطوا يعني الى الارض ادم وحواء وابليس والحية وقوله **بعضكم لبعض عدو** يعني ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية وذريته كل واحد من ادم وابليس والجملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين ونزل الجملة منزلة المفرد فلحسن ترك الواو هذا ما قاله اكثر المفسرين **ولكم في الارض مستقر** استقرار او موضع قرار تستقرون فيه قال ابن عباس ومعناه مستقرا لقبوركم **ومتاع** اي تمتع وانتفاع **الى حين** اي الى ان ينقضي فيه آجالكم اي الى انقطاع الدنيا يعني الى يوم القيمة ومعنى الاية ان الله عز وجل اخبر ادم وحواء وابليس وحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** يعني قال الله عز وجل لادم وذريته ولابليس واولاده فيها تحيون يعني في الارض تعيشون ايام حياتكم **وفيها تموتون** يعني في الارض يكون وفاتكم وموضع قبوركم **ومنها تخرجون** اي ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب والجزاء يوم القيمة كقوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى **يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم** اعلم ان وجه اتصال هذه الاية بما قبله هو ان الله عز وجل لما امر ادم عليه السلام وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر العورة وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان انزل عليهم لباسا يواري سوآتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا يعني لم ذكر بعلى قلت ذكر العلماء فيه وجوها احدها ان انزل بمعنى خلق ورزق وعليكم بمعنى لكم خلقنا لكم او رزقناكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السماء وهو سبب انبات اللباس فكانه انزله عليهم والمعنى خلقنا اللباس لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال الله وانزلنا الحديد وانزل لكم من الانعام اي قضى لكم او قسم لكم وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح قال امامنا البغوي رحمه الله وسبب نزول هذه الاية انهم كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها وكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة قال قتادة وكانت المراة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول: اليوم يبدو بعضه او كله ۞ وما بدا منه فلا احله ۞ فامرهم الله عز وجل بالستر فقال يا بني ادم قد انزلنا عليكم الاية يعني فلا تطوفوا عراة **وريشا** الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته كالثياب التي يتجمل بها الانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال الله تعالى لتركبوها وزينة

وقال

وقال ولكم فيها جمال وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال قرا الجمهور وريشا وقرا عاصم وابو عمرو في رواية عنهما ورياشا قال الجوهري الريش والرياش اللباس الفاخر وقيل الريش والرياش المال الخصب والجمال والمعاش وقيل هو اللباس الحسن **ولباس التقوى** قرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب عطفا على ريشا والباقون بالرفع على الابتداء وخبره **ذلك خير** اي اللباس الذي انزلنا عليكم لتستروا عوراتكم خير من الطواف عريانا او خبره خير وذلك صفة لباس التقوى يعني ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير هذا على قول من حمل اللباس على نفس الملبوس وحقيقته واما من حمله على المجاز فقيل لباس التقوى العمل الصالح والطاعة كذا نقل عن ابن عباس واستدل عليه بقول الشاعر ۞ اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى ۞ تقلب عريانا وان كان كاسيا ۞ وخير خصال المرء طاعة ربه ۞ ولا خير فيمن كان لله عاصيا ۞ وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال زيد بن علي رضي الله عنهم هو الدرع والمغفر والساعدان والساقان والالات التي يتقى بها الباس وقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال الحسن هو الحياء وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن والحاصل ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشدوا في المعنى ۞ اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى ۞ عريت وان واريت القميص قميص ۞ وقيل لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها اهل الورع وقوله تعالى **ذلك من آيات الله** يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده وفضله ورحمته وقدرته **لعلهم يذكرون** يعني يذكرون نعمته وفضله عليهم فيشكروها قال السيوطي قدس سره معناه فيؤمنون فيه التفات الى الخطاب او معناه يعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح او يتذكرون هذه المشاهدة مشاهدة الاخرة ثم قال تحذيرا عن طاعة الشيطان الذي اضل اباهم ادم فاخرجه من الجنة فقال **يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة** قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم الشيطان بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس ليحذر بذلك اولاد ادم فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني ادم وحواء من الجنة والمعنى انه قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه الافعال الردية في قلوب بني ادم فهذه فتنته التي نهى الله عباده وحذرهم منها حاصله لا يضلنكم عن طاعتي باتباعه فيمنعكم من دخول الجنة يعني لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخرج بها ابويكم قال الاسنادي والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به **ينزع عنهما لباسهما** حال من ابويكم او من فاعل اخرج اي اخرجهما نازعا عنهما لباسهما بان كان سببا في ان ينزع عنهما والنازع هو الله في الحقيقة وانما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه وانما قال ينزع بصيغة المضارع لاستحضار الصورة وذكر في اللباب اقوال كثيرة والاقرب هو من ثياب الجنة لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس **ليريهما سوآتهما** يعني ليرى ادم عورة

٣٤٣

حواء وترى حواء عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة بعض ثم بالغ في التحذير من فتنته فقال
انه اي الشيطان يريكم هو وقبيله يعني ان ابليس يريكم يا بني ادم هو وقبيله اي من هو
من نسله وذريته او جنوده من الشياطين وقبيله عطف على الضمير في يريكم ولفظ هو تاكيد وليس القبيل
معطوفا على هو المنفصل لان معمول يريكم هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل
من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال البيضاوي ردا على الكشاف ورؤيتهم من حيث لا نراهم
في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم باذن الله لنا انتهى وفي غاية الاماني ولا دلالة في الاية على
عدم امكان الرؤية وقد ورد في الاحاديث رؤية جماعة من الصحابة رواه البخاري وغيره انتهى اقول
وانا ممن رايتهم في الهواء على صورة البشر لا على صورهم الاصلية وحديث رؤية بعض الناس الجن مما يكاد يتواتر
ومنه ما ذكر في قصة سليمان عليه السلام وقصة جن نصيبين مما لا يخفى على احد فلا عبرة بما نقل عن الكشاف
في نفي رؤيتهم فانه مبني على مذهبه الفاسد الكاسد وفي اللباب قال العلماء ان الله خلق في عيون الجن ادراكا
يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه
في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى
شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها لنا
وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان الله جعلهم يجرون من ابن ادم مجرى
الدم وجعل صدور بني ادم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس
فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى ونخرج من
تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك ابن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله
وقال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الكريم الستار الرحيم
الغفار وقد علمنا الله طريق دفع كيد الشيطان بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
وقال عز وعلا وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون انا جعلنا الشياطين
جعل قبيله من جملته فجمع اولياء يعني اخوانا وقرناء للذين لا يؤمنون بالله ورسوله قال الزجاج يعني
سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم فيه دلالة على خلق الافعال وصرح بان من يوالي الشياطين ليس
بمؤمن واسند الجعل الى نفسه دلالة على كونه حتما مقضيا وقال الاستاذ انا صيرناهم قرناء مسلطين
عليهم بما وجدنا من المناسبة في الخذلان والغواية او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم
على ما سول لهم والجملة تعليل اخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة قال
ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء قال عطاء هي الشرك والفاحشة اسم
لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد في
طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في
انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا على هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله
تعالى قالوا جوابا للناهين تقدير الكلام واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها
اباءنا فاقتدينا بهم والله امرنا بها بتلك الفاحشة ايضا فذكروا لانفسهم عذرين احدهما

محض

محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل القبيح اباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر
الثاني قولهم ان الله امرنا بهذه الفاحشة وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله عنه بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشاء اي بالمعاصي ولا يرضى لعباده الكفر والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل
الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشاء بل جرت عادته
على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال وما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا وتوبيخا اتقولون
على الله ما لا تعلمون اي اتكذبون على الله بما لا تعلمون حقيقته فهو استفهام انكار وتوبيخ والمعنى انكم
ما سمعتم كلام الله ابتداء من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين
عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون ثم امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم ما امر به بقوله قل امر ربي بالقسط اي بالعدل وقال ابن عباس
بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الاية مشتمل على معرفة الله سبحانه بذاته وصفاته وافعاله وانه
واحد لا شريك له والمراد بالقسط هو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط وقل يا محمد لهم
واقيموا معطوف على معنى بالقسط اي قال لهم اقسطوا واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ومعنى
الاية في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا
حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي
قال الشيخ فان قلت قل امر ربي بالقسط اخبار وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر
لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
فحذف قال لدلالة الكلام عليه وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا وادعوه اي واعبدوه
مخلصين له الدين اي مخلصين الطاعة والعبادة والدعاء لله عز وجل لا لغيره فان اليه مصيركم
كما بدأكم تعودون اي كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق
والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه
وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم وهذا قال ابن
عباس ان الله عز وجل بدأ خلق بني ادم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى وهو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
ثم يعيدهم يوم القيمة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله في سياق الاية فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم وزاد البغوي في
روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار الى
ما ابتدأ عليه خلقه وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاء
ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاء كما ان سحرة فرعون كانوا يعملون
بعمل اهل الشقاء ثم صاروا الى السعادة ويصحح هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل
ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى

الاية كما بداكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القيمة
ويشهد لصحة هذا القول ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بموعظة فقال ايها الناس انكم محشورون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى فريقا هدى يعني هداهم الله الى الايمان
به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة يعني وخذل فريقا
حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في الازل بانهم اشقيا وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله عز وجل ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن
اخطاه ضل اخرجه الترمذي ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعني السبب
القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اي ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا
الشياطين نصراء واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى
الكفر والمعاصي هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لان الشياطين يقدرون على اضلال احد
وقوله ويحسبون انهم مهتدون يعني انهم مع ضلالهم يظنون ويحسبون انهم على هداية
وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء وفيه
دلالة على ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد من القطع واليقين والاية حجة لنا
على اهل الاعتزال في الهداية والاضلال يا بني ادم انما خاطبهم بهذا تذكيرا لسنة ابيهم ادم عليه السلام
في ستر العورة خذوا زينتكم اي لباسكم والموارى لعوراتكم عند كل مسجد لطواف او صلاة ومن
السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة في الصلوة لان الصلاة مناجات الرب عز وعلا وفيه دليل على وجوب
ستر العورة في الصلوة والحاصل انه امرهم باقامة الوجوه نحو القبلة في الصلوة امر بستر العورة الذي هو من شرطها
ايضا وانما عبر عنه بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة وقيل بل المراد يكون المصلي لابسا
من الثياب اجملها كما ورد الامر بذلك في الجمع والاعياد وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية
كانت المراة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا فتجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو
بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه مسلم
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار
والنساء بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال
مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد
عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر عليه والا فطاف عريانا فانزل الله فيه ما تسمعون
خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عريانا الا الحمس وهم قريش
واحلافهم فمن جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمس فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه
فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه القاها اذا

قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله عز وجل خذوا زينتكم عند كل والمراد من الزينة
لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يوارى العورة
عند كل مسجد لطواف او صلاة وقوله وخذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة
واجبة في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله وكلوا واشربوا مما طاب لكم يعني الطيب الطاهر ولا تضيقوا
على انفسكم فيما ابيحه الله تعالى لكم من الاكل والشرب قال الكلبي كانت بنو عامر لا ياكلون في ايام حجهم
الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقالوا نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل
وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم ولا تسرفوا يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم او
بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام اي في الاكل والشرب والحرص عليه او باظهار الخيلاء او باكل المستلذ
على الفقراء الجايع وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف اية فقال وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا وفي هذا الباب عن ابي هريرة عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق
بالسقم وفي المدارك ولا تسرفوا بالشروع في الحرام او في مجاوزة الشبع انتهى وفي الاية دليل على ان جميع المطعومات
والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره
الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل وفي المدارك وكان للرشيد طبيب نصراني حاذق فقال لعلي
ابن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان
فقال علي جمع الله الطب في نصف اية كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم
شيء في الطب فقال علي قد جمع رسولنا الطب في الفاظ يسيرة وهو قوله عليه الصلاة والسلام المعدة
بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا وفي اللالى المنتثرة للسيوطي المعدة بيت الداء لا اصل له انه لا يحب المسرفين يعني ان الله
لا يحب من اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه
الاشياء لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم يحبه علم انه تعالى
ليس هو راض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد في الاسراف وصيغة التعميم لانواعه فانه منهوم في
كل امر قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين
يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها في
الطواف وغيره من الثياب وساير ما يتجمل به وفي اللباب ثم في تفسير الزينة قولان احدهما هو قول جمهور
المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين
الرازي انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد
بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النساء
قال الاستاد والذي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن
المعادن كالدروع والطيبات من الرزق والمعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها

الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى هذه الاية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم
الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك
ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون
اشياء احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه
حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول
الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من ساير المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه
قال البيضاوي والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم و
الملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من حرم زينة الله للانكار اي لا تحريم هذه الاشياء
وفي الاماني والطيبات من الرزق هي الماكل والمشارب المستلذات والاباحة انما علمت من هذه النص ولا دلالة
فيه قلت رد على البيضاوي بقوله والاباحة على ان الاصل فيه الاباحة قبل الشرع قل هي اي قل
يا محمد ان جملة ما ذكر من الزينة والطيبات ثابتة بالاصالة والاستحقاق للذين امنوا في الحيوة الدنيا
لانها خلقت لهم والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع ولهذا قال ومن كفر فامتعه قليلا خالصة اي خاصة
بالمومنين لا يشاركهم فيها احد من الكفرة يوم القيمة قال البغوي وفي الاية حذف تقديره هي
للذين امنوا وللمشركين ايضا في الحيوة الدنيا فان اهل الشرك يشاركون المومنين في طيبات الدنيا وهي
في الاخرة خالصة للمومنين لا حظ للمشركين فيها وقيل خالصة يوم القيمة من التنغيص والغم للمومنين
فانها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم قرا نافع خالصة بالرفع اي قل هي للذين امنوا مشتركة في الدنيا
خالصة يوم القيمة بالمومنين وقرا الاخرون بالنصب على القطع قال الاستاد معناه جملة ما ذكرنا ثابتة
او مستقرة للذين امنوا في حال كونها خالصة لهم يوم القيمة وان اشتركت الطايفتان فيها في الدنيا
كذلك اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل الايات ساير الاحكام لقوم يعلمون اي لقوم علمهم
النظر والاستدلال حتى يتوصلوا الى تحصيل العلوم النظرية قال الشيخ معناه يعني كذلك نبين الحلال
بما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي
ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بما حرم عليهم بقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش
اي قل يا محمد لهولاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل
الطيبات مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم هو لكم بل احله الله لعباده وطيبه لهم
وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال قيل اراد بالفواحش الكباير وقيل الزنا ما ظهر منها
وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها قال ابن عباس كانوا لا يرون بالزنا سرا باسا
وكانوا يستقبحونه علانية فنهوا عنها جميعا ف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة تغير القلب وهيجان الحفيظة
بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص كل واحد منهما

بصاحبه

بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره واما الغيرة في وصف
الله تعالى فمنعه من ذلك وتحريمه ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش وقد يحتمل
ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقابه والله اعلم قال محي السنة اراد بما ظهر منها
طواف الرجال بالنهار عراة واراد بما بطن طواف النساء بالليل عراة وتخصيص الفواحش بالذكر
مع انتظامها في سلك الاتي ذكره اهتماما والاثم اي وحرم الاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص
وقيل اريد به ما بين العبد وبينه تعالى من الذنب وقيل اريد به شرب الخمر كقول الشاعر شربت
الاثم حتى ضل عقلي كذلك الاثم تذهب بالعقول وقيل اريد بالفواحش الكباير وبالاثم الصغاير
اي قل انما حرم ربي الكباير والصغاير وقيل الفواحش ما يوجب الحد والاثم ما لا يوجب الحد و
البغي اي وحرم البغي بغير الحق والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة
الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ما له بحق خرج من ان
يكون بغيا وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي ان الله حرم ان تشركوا به
شركاء لا ثبوت لها ولا انزل الله باشراكها سلطانا وحجة وبرهانا بل اخترعوها سفاهة
منا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهانا بان يشرك به غيره فهو من قبيل ولا ترى
الضب فيها ينجحر اي لا ضب فيها ولا انجحار والحاصل ومعلوم انه لا برهان بالاشراك حتى ينزل
به سلطانا وبينة واذا لم يثبت ولم يجز انزال البرهان كان ذكر ما لم ينزل به سلطانا استهزاء
وسخرية بالكفرة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي حرم ان تفتروا على الله بنحو واحده
امرنا بها وتحريم ما لم يحرم والالحاد في صفاته وذاته ولكل امة اي لكل احد من احاد الامة
اجل اي مدة ومعنى الاجل الوقت المعين لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور قولان
احدهما انه اجل نزول العذاب والمعنى ان كل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم
الى ذلك الوقت فاذا جاء اجلهم اي فاذا قرب وحل وقت مجي عذابهم واهلاكهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون يعني لا يوخرون ولا يمهلون قدر ساعة بعد الاجل ولا اقل من
ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسما للاوقات في العرف وهذا حين سالوا نزول العذاب
فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم فلا يوخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل اجل الحياة ومدة عمرهم
فاذا انقرضت وانقضى ذلك المدة والاجل وحضر الموت فلا يوخر ساعة ولا يقدم ساعة
وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد من احاد الامة اجل لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال
الله تعالى لكل امة لتقارب اعمار اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا
يكون المقتول ميتا باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله وقيل معنى الاية لا يطلبون التاخر ولا
التقدم في الاجل لشدة الهول وانما قال فاذا جاء اجلهم لانه قبل مجي الاجل يقبل التقدم والتاخر فلذا
ما تحمل على ما افصح عنه في قوله ويوخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر يا بني
ادم الخطاب عام لجميع بني ادم سابقهم ولاحقهم ولكن ورد هذا بعد ارسال الرسل وانزال الكتب وهو

في الحقيقة حكاية مخاطبته تعالى كل قوم وقت ارسال الرسل حالية او مقالية وقال مقاتل اراد بقوله يا بني
ادم مشركي العرب يعني اهل مكة ومن يلحق بهم واراد بالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم فذكر الجمع واريد به
الواحد للتعظيم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى الكافة اما يأتينكم ان يأتيكم اذ هي الشرطية وما
زايدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة وجزاء الشرط قوله فمن اتقى الآتي ذكره رسل
منكم اي من جنسكم ومثلكم من بني ادم صفة لرسل واعلم ان الرسول اذا كان من جنسهم كان
اقطع لعذرهم من التخلف واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرته
او بقدرة امثاله علموا ان ذلك الذي اتاه به معجزة وحجة على من خالفه وانما ذكر فعل الشرط بحرف الشك وهو
ان مع ان الظاهر انه يذكر معه اذا لان اتيان الرسل امر محقق للتنبيه على ان اتباعهم امر جائز غير
واجب على الله كما ظنه اهل التعليم يقصون عليكم اياتي يقرؤون عليكم كتابي وادلة احكامي و
شرايعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى منكم الشرك ومخالفة رسلي وتاب عن المعصية واصلح
اي زكى عمله الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب عما نهيت عنه فلا خوف عليهم يعني حين
يخاف غيرهم يوم القيمة من العذاب يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها لاستغراقهم فيما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والذين كذبوا باياتنا اي باحكامنا منكم يعني ومن محمد
اياتنا وكذب رسلنا واستكبروا اي تكبروا وتعظموا عنها اي عن الايمان بالايات وبما جاءت به رسلنا
اولئك المذكورون اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا وادخال
الفاء في الخبر الاول وهو قوله فلا خوف دون خبر الثاني وهو اولئك للمبالغة في الوعد والمسامحة
في الوعيد فمن اظلم اي فمن اشد ظلما اي لا احد اشنع ظلما والفاء للترتيب على قولهم ممن افترى على
الله كذبا اي ممن تقول على الله ما لم يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد
من كل الوجوه او كذب باياته اي او كذب بالقرآن العظيم الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم اولئك اي اولئك المفترون ينالهم اي يصل اليهم نصيبهم اي حظهم من
الكتاب اي مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك قال الحسن والسدي اراد من الكتاب
ما كتب لهم وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال الزجاج اراد من الكتاب المذكور
في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب
على قدر ذنوبهم في الكفر وقيل اراد من الكتاب مما وعدوا فيه من خير قاله مجاهد والضحاك وهو رواية
عن ابن عباس ايضا وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني
هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري قول ابن زيد وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل
ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين
حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان
ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا او يتوبوا وقوله تعالى حتى هي غاية
لما يصل الى الكفار وهي التي يبتدأ بعدها الكلام اي يصل الى المشركين رزقهم حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم

وحتى

والمجيء حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لتقبض
ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة تفيد هذا المعنى قالوا جواب اذا
اي يقول رسلنا الملائكة تبكيتا للكفار المفترين على الله اين ما كنتم تدعون اي تعبدون
من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها من دون الله في الدنيا ادعوهم ليدفعوا
عنكم ما نزل بكم وما وصلت باين في خط المصحف فاتبع وحقها الفصل لانها موصولة قالوا اي
الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا اي غابوا عنا فلم نرهم يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا
عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يعني يقول الله تعالى
وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا في الدنيا جاحدين وحدانية الله تعالى
واعترفوا على انفسهم بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه وفي الغاية قوله ضلوا عنا اقرار منهم بعبادتها
فان قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بعبادتها قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بالكفر
فما فائدة قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قلت فائدته زيادة التوبيخ واظهار لفظ
الكفر الذي دل عليه قولهم ضلوا التزاما انتهى ولعله اريد بوقت مجيء الرسل لقبض ارواحهم
الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل
الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء
كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت
قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها
من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال ادخلوا في امم قد خلت من
قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك لهؤلاء المفترين
عليه الكذب وجعل له شركاء من خلقه ادخلوا في امم اي في جملة امم مصاحبين لهم قد مضت وسلفت من
من قبلكم من كفار الجن والانس في النار متعلق بادخلوا اي ادخلوا جميعا في النار التي هي
مستقركم وماواكم وفي اللباب وانما اراد الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس
وفي الاية دليل واضح على ان الجن من يدخل تحت التكليف وانهم يثابون ويعاقبون كالانس قال
الاستاد وفي الاية اشارة الى ان دخولهم في زمرتهم وجماعتهم اشد عليهم من عذاب النار ولذلك قد
كما قال في النفس المطمئنة فادخلي في عبادي وادخلي جنتي لان دخولها في تلك الطايفة اشرف واعلى
من دخول الجنة اشرف المكان لا في المنزل كلما دخلت امة اي كلما دخلت جماعة النار لعنت
اختها وهي الطايفة التي سنت ذلك الكفر ودخلت قبلها وكما ان المؤمنين اخوة في الدين فكذلك الكفرة
فيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة بل فيهم سابق ولاحق قال الاستاد رحمه الله
اراد بكلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة وقيل في الاقتداء بها فالمشرك يلعن المشرك واليهود
يلعن اليهودي والنصراني يلعن النصراني وكذا المجوس وساير اديان الضلال وقيل المراد بكلما دخلت
امة التي لها اخت من الامم الضالة ومن ليس لها اخت يعذب ما شاء الله ولا لعن قال الكلبي كلما دخلت
اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين واراد باختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب حتى

٦٨٣

اذا اداركوا فيها جميعا اى حتى اذا تلاحقوا واجتمعوا فى النار وادرك بعضهم بعضا واستقروا
فيها واصله تداركوا ادغم التاء فى الدال وجئ بهمزة الوصل للابتداء فصار اداركوا قالت اخراهم
لاولاهم قال ابن عباس يعنى قال آخر كل امة لاولها وقال السدى قال اخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان
لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعنى قال اخراهم دخولا فى النار وهم الاتباع و
السفلة لاولاهم دخولا ومنزلة وهم المتبوعون والقادة والرؤس وقوله القائل هو مختار السلف
لان القادة يدخلون النار اولا وان الخطاب مع الله لامع المتبوعين ربنا اى يا ربنا هؤلاء
اضلونا يعنى يقول الاتباع يا ربنا هؤلاء الرؤساء والقادة اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان
وسنوا لنا الضلال فاقتدينا وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين
من اسلافهم فسلكوا سبيلهم فى الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة
فلما كان يوم القيمة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا اتبعناهم سبيلهم
فاتهم اى اعطهم عذابا ضعفا مضاعفا على عذابنا من النار اى اضعف لهم العذاب
لانهم ضلوا واضلوا قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشئ مرة واحدة وقال الازهرى والذى قال ابو عبيدة
هو ما يستعمله الناس فى مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربى مبين ويرد تفسيره الى موضوع كلام العرب
والضعف فى كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجائز فى كلام العرب هذا ضعفه اى مثلاه
وثلاثة امثاله لان الضعف فى الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشياء به ان يجعل عشرة امثاله وقيل
الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج فى تفسير هذه الاية فاتهم عذابا ضعفا
اى مضاعفا لان الضعف فى كلام العرب على ضربين احدهما المثل والآخر ان يكون فى معنى تضعيف الشئ
اى زيادته قال يعنى قال الله لكل ضعف يعنى لاولاكم ضعف ولاخراكم ضعف وقيل معناه للتابع
ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا فى الكفر جميعا وفى جامع الاسرار للقادة ضعف بالكفر والاضلال
وللاتباع ضعف بالكفر والاقتداء يعنى ليس المراد به تضعيف ما يستحقه كل واحد لانه ظلم وما الله
يريد ظلما للعباد بل المراد به تضعيف عذاب الضلال بان يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد ولكن
لا تعلمون قرأ العامة بتاء الخطاب وقرأ ابو بكر عن عاصم بياء الغيبة فمن قرأ بالتاء معناه لا تعلمون
ايها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب ومن قرأ بياء الغيبة فالمعنى لا يعلم كل فريق مقدار عذاب
الفريق الآخر وقالت اولاهم يعنى فى الكفر وهم القادة والرؤساء لاخراهم يعنى للاتباع فما كان لكم
علينا من فضل لانكم لم تكفروا بسببنا فنحن وانتم سواء يعنى قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما
كفرنا وقيل فى معنى الاية وقالت كل امة سلفت فى الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل
من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا
اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالكم وكفركم فذوقوا العذاب وهذا
يحتمل ان يكون من قول الرؤساء للاتباع والامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل ان يكون
من قول الله تعالى والمعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعنى بسبب
من الكفر والاعمال الخبيثة قال الامام فى التفسير الكبير ان قول القادة ليس لكم علينا من فضل كذب

سورة الاعراف

لان الرؤساء لهم عذاب الضلال والاضلال وللاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية
قول الكفار يوم القيمة والكذب عليهم جائز عند نا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان حملنا
ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم
على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا بسبب الضلال وقبول قول الرؤساء الضالين المضلين
ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال ان الذين كذبوا باياتنا يعنى كذبوا بدلائل
التوحيد فلم يصدقوا قواطعها ولم يتبعوا رسلنا قال الاستاد هذا من تمام وعيد الكفار والمراد بالايات
الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اى وتكبروا عن
الايمان بالايات والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا
لا تفتح لهم ابواب السماء يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم
الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد
الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار
وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح
ابواب السماء لارواحهم ولا لاعمالهم روى الطبرى بسنده عن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر فانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملئكة
الا قالوا ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا
بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقيل فى معنى الاية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء
فاذا لم تفتح لهم ابواب السماء فلا ينزل من البركة والخير والرحمة شئ قال السيوطى فى تكميله ومعناه اذا عرج
بارواحهم اليها بعد الموت فيهبط بها الى سجين بخلاف المؤمن فيفتح له وتصعد بروحه الى السماء السابعة
كما ورد فى حديث وفى جامع الاسرار انه جاء فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها
ابوابها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهى الى السماء الرابعة ويستفتح
لروح الكافر فيقال ارجعى ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء بل يهوى بها الى سجين تحت الصخرة الخضراء التى
تحت الارضين قرأ الجمهور لا تفتح بتاء التانيث لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وابو عمرو بضم التاء
الفوقانية والتخفيف وحمزة والكسائى بالياء التحتانية والتخفيف لان التانيث غير حقيقى والفعل
مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء من فوق على ان الفعل للايات وبالياء على ان الفعل
لله فالابواب على القراءة الشاذة مفعول به وعلى ما تقدم مفعول ما لم يسم فاعله ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل اى يدخل البعير فى سم الخياط اى فى ثقب الابرة فكانه
قيل لا يدخلون الجنة حتى يوجد هذا المستحيل يعنى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم عند العرب فيما هو
مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذلك ما توقف عليه وهذا كقولك لا آتيك
حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلى وصار القار كاللبن
الحليب والولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل والسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط

والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات لانه
اكبر من ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر: جسم الجمال واحلام العصافير. ووصف
من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل وقرئ بضم الجيم وتشديد الميم الجُمَّل كالقُمَّل والجُمَل كالنُّغَر
اسم طرق الجمل كالقفل والجُمُل كالنُّصُب والجُمْل كالجَبْل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل
السفينة وقرئ سُم بالضم والكسر وفي سم الخياط **وكذلك نجزي المجرمين** اي مثل ذلك الجزاء
الفظيع الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين الكاملين في الاجرام لانه تقدم من صفتهم انهم
كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما
بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها فقال
تعالى **لهم من جهنم مهاد** اي لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد المتمهد الذي يقعد
عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط **ومن فوقهم غواش** جمع غاشية وهو الغطاء كاللحاف
ونحوه ومعنى الاية الاخبار عن احاطة النار بالكفار من كل جانب يعني من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن
كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواشي اللحف وقال البراء بن عازب قال النبي
صلى الله عليه وسلم فيهم فرش الكافر لوحان من نار في قبره فذلك قوله لهم من جهنم مهاد اي تمهد لهم النار
فتكون مهادهم فبئس المهاد ومن فوقهم غواش مثل كبات من النار ولهبها والنحاة في الجمع الذي على فواعل
اذا كان منقوصا حذف لامه خلاف هل هو منصرف او غير منصرف فذهب غير الخليل وسيبويه الى انه منصرف
والتنوين الذي فيه تنوين التمكن لانه قد زال صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن سلام وجناح
وذهب الخليل وسيبويه الى انه ممنوع من الصرف والتنوين الذي فيه ليس تنوين التمكن حتى يمنع من الصرف
بل تنوين عوض عن الياء المحذوفة عندهما وعن حركتها عند المبرد فالسين مكسور تقديرا وبعض العرب
يعرب غواش ونحوه بالحركات على الحرف الذي قبل الياء المحذوفة ولذلك قرئ ومن فوقهم غواشٌ برفع
الشين على الغاء المحذوف والتنوين في مهاد وغواش للتعظيم والتهويل **وكذلك نجزي الظالمين**
اي مثل ذلك الجزاء بالنار نجزي الظالمين انفسهم بترك الايمان واختيار الشرك عبر عنهم تارة بالمجرمين
وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الصفات الذميمة وفي الغاية وكذلك
نجزي الظالمين اي العابدين غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم من عدم دخول الجنة دخول
النار انتهى ثم عقب الوعيد بالوعد فقال **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا
وسعها** والمعنى والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله اليه وتنزيله عليه
من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يعني
لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها
ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض
عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود وقال الكرماني في
المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس
هذا

هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرهم
وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا
مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعائد محذوف كانه قال
لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العائد للعلم به وقرئ لا تكلف نفسٌ بالرفع وقوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني نخرج من قلوبهم اسباب العداوة او نطهرها منه حتى
لا يكون بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم قال البغوي وكذلك معناه اخرجنا ما في صدورهم من غش وعداوة كانت بينهم في
الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض
ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعها ان ترد على القلب روي عن علي
رضي الله عنه ايضا انه قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة
فو الذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه
الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا
من احداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم
نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو والكمال
فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه
من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل بان
الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محروم عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه
ولا يغتم بسبب حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بازالة
الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى يكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة
من الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته فكمل سروره وبهجته وقوله تعالى
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وتوفير الحظ الباصرة مع انه يسري سروره
الى ساير الحواس ويذهب عن القلب الحزن واراد من تحتهم اي من تحت قصورهم والجملة حال من الضمير
في صدورهم **وقالوا** عند الاستقرار في منازلهم **الحمد لله الذي هدانا لهذا** اي لعمله هذا
جزاؤه يعني ارشدنا لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان وصرف عنا عذاب جهنم بفضله
وكرمه **وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله** يعني وما كنا لنرشد لهذا العمل الذي هذا ثوابه لولا
ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه الله تعالى
ومن لم يهده الله فليس بمهتد وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها جملة مبينة للاولى وعلى قراءة الجمهور
الجملة اعتراضية للتاكيد فلا يحتاج الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك

قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى انهم راوا ما وعدهم الرسل عيانا فهو اعترافهم
بعد عين اليقين كما اعترفوا فى الدنيا بعد علم اليقين ايضاحه بجعله واسطة لهدايتنا فاهتدينا الى
هذا بارشادهم يقولون ذلك بينهم اغتباطا بما نالوا وسرورا بما شاهدوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا
وتعبدا لان الجنة ليست دار التكليف وحكى الله تعالى عنهم ذلك لتكون حكايته لطفا لمن سمع
ونودوا ان مخففة اى انه او مفسرة فى المواضع الخمسة الاتية تلكم الجنة يعنى ونادى
مناد عند رؤية اهل الجنة الجنة من بعيد او بعد دخولهم فيها ان هذه تلكم الجنة التى كانت الرسل وعدتكم
بها فى الدنيا واختلفوا فى المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملئكة ينادون بامر الله تعالى عن ابى
سعيد الخدرى وابى هريرة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة
نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون رواه مسلم وقوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم بمقابلة اعمالكم
الصالحة فى الدنيا روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل
فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة
زاد فى رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء
وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفى الشرع ان الاحياء يرثون الاموات فقال اورثتموها يعنى
ان المؤمن حى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه فى حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤل الى الجنة كما ان
الميراث يؤل الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التى عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا
لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما
يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل
الصالح لن يناله المؤمن ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسببية الرحمة كان
دخول الجنة فى الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى
دار الدنيا والله اعلم قال السلطان والمنادى له بالذات او ثتموها بما كنتم وهو حال من الجنة والعامل فيها
معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدأ وخبر والجنة صفة والخبر اورثتموها وقال الاستاد رحمه الله ان
المعتزلة خالفوا الله فيما اخبر به عليه السلام وكلام اهل الجنة والنار وابليس لانه قال تعالى يضل من
يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
وقال اهل الجنة ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقال اهل النار لو هدانا الله لهديناكم وقال ابليس
فبما اغويتنى وقد تقدم نظير هذا ثم لما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التى تدور
بين الفريقين فقال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اى ونادى اهل الجنة اهل النار
توبيخا وتبكيتا لهم وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة فى اهل الجنة واهل النار فى النار وانما ذكر
بلفظ الماضى لان المستقبل الذى يخبر الله تعالى عنه موجب لتحقق وقوعه كالماضى اى يقول اهل الجنة
يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا فى الدنيا على السن رسله من الثواب على الايمان به وبرسله
وطاعته

وطاعته حقا اى ثابتا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من
العذاب والعقاب على الكفر حقا صدقا قالوا نعم اى قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة
نعم وجدنا ذلك حقا وصدقا وقرأ الكسائى حيث كان والباقون بفتحها قال الاستاد فان قلت هذا النداء
من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادى من كان يعرفه
من الكفار فى دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء
وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب
ويحتمل ان يكون ذلك حين يرمى النار الى الهواء حتى يقرب الى اهل الجنة فيكلمهم وقدرة المحيط المحيط
بكل شئ وما اراد ان يعلم احوال الجنة والنار بالتفصيل فليطالع غنية شيخنا وامامنا وقدوتنا
ومرشدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس سره وقوله عز وجل فاذن مؤذن بعد استقرار الفريقين
وانقضاء تلك المحاورة بينهم يعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا المنادى من الملئكة وقيل انه
اسرافيل عليه السلام ذكره الواحدى ان لعنة الله على الظالمين اى يقول المؤذن لعنة الله
على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد ونصب اللعنة
وقرئ ان بالكسر والتشديد والباقون بتخفيف ان ولعنة الله رفعا ثم فسر الظالمين منهم فقال تعالى
الذين يصدون عن سبيل الله يعنى الذين يمنعون الناس عن الدخول فى الاسلام و
يبغونها عوجا اى يطلبون لسبيل الله زيغا وميلا الى الباطل يعنى يحاولون ان يغيروا
دين الله وطريقته المستقيم التى شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله
ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلوة لغير الله وتعظيم ما لم يعظمه
فاخطأوا الطريق وضلوا عن السبيل وهم بالاخرة كافرون اى وهم بالدار الاخرة وكونها
واقعة جاحدون منكرون لها ثم لما كانت مناداة الفريقين منبئة عن القرب بينهما وظنة ان
يتوهم وصول نفع الجنة الى اهل النار وضرها الى اهل الجنة دفعه بقوله عز وجل وبينهما اى
بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب او بين الجنة والنار ليمنع وصول احدهما
عن الاخرى حجاب اى حاجز مانع عن الادراك والمراد به ههنا السور المذكور فى قوله
فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف
حجاب بين الجنة والنار وقال السدى وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وعلى الاعراف
قال السيوطى هو سور الجنة رجال اى وعلى اعراف الحجاب المذكور اى على عالى ذلك الحجاب اعنى
السور المعروف بينهما جمع عرف وهو على السور مستعار من عرف الفرس والديك وقيل العرف
ما ارتفع من الشئ فانه يكون بظهوره اعرف من غيره وقال ابن عباس الاعراف الشئ المشرف وعنه
قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من
اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء فى صفة الرجال الذين اخبر الله عنهم انهم على
الاعراف وما السبب الذى من اجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن اصحاب الاعراف

فروى عن حذيفة انه سُئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم
فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى
الله فيهم وقال البيضاوى رجال من المؤمنين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله فيهم
ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء واخيار المؤمنين وعلمائهم او ملئكة يرون فى صورة
الرجال انتهى قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة
ولا من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس فى الآخرة دار الا الجنة او النار وقال
ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيمة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته
اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت حسناته وسيئاته
كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا
الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون
فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود ان العبد اذا عمل حسنة كتبت له بها عشر واذا عمل سيئة
لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلب وحدانه اعشاره وقال ابن عباس الاعراف سور
بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا
اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ
ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم تبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت
الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى قال تمنوا ما شئتم فيتمنوا حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم
لكم الذى تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون
مساكين اهل الجنة ذكره ابن الجوزى فى تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا
فى الغزو بغير اذن اباءهم ورواه الطبرى بسنده الى يحيى بن شبل مولى لبنى هاشم عن محمد بن عبد الرحمن
عن ابيه قال سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لاباءهم
فمنعهم قتلهم فى سبيل الله عن النار ومنعهم معصية اباءهم ان يدخلوا الجنة زاد فى رواية فهم
اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزى انهم قوم رضى اباؤهم دون امهاتهم او امهاتهم دون اباءهم وروى
عن ابراهيم وذكر عن ابى صالح مولى التوأمة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا
فى الفترة وفيه بعد لان اخر امر اصحاب الاعراف الجنة وهؤلاء الذين ماتوا فى الفترة الله اعلم
بحالهم وهو متولى امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه
الى القول الذى قبله لانه داخل فى حكمه فهذه الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة
فى الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون
فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم شرفهم
وفضلهم وقيل انهم انبياء حكاه ابن الانبارى وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالى
تمييزا لهم على ساير اهل القيمة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة
والنار ومطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب

الاعراف

سورة الاعراف

الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم يعنى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابى مجلز ان الله
تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملئكة فقال ان الملئكة ذكور ليسوا باناث وضعف
الطبرى قول ابى مجلز قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بنى ادم دون اناثهم
ودون ساير الخلق اقول وفى قول ابى مجلز بعد عن الحق لان الله قال فى حقهم لم يدخلوها وهم
يطمعون وان الملئكة لا يمنعون من الجنة لعدم عصيانهم وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف
افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله فى ذلك المكان العالى ليميزوا بين
اهل الجنة واهل النار والله اعلم بمراده واسراره وقوله تعالى **يعرفون كلا بسيماهم** يعنى ان اصحاب
الاعراف يعرفون اهل الجنة واهل النار فى محفل القيمة بسيماهم اى بعلاماتهم التى اعلمهم الله كبياض الوجه
وسواده اذ موضعهم عال وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملئكة والسيماء العلامة الدالة على الشئ
قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب النار عرفوا
بسواد الوجوه **ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم** يعنى نادى رجال الاعراف حين
راوا اصحاب الجنة انه سلام عليكم يعنى سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة وهو تهنية منهم
لاهل الجنة بنجاتهم من المكاره وفى الغاية وهذا السلام حين دخولهم الجنة او بعده وقال البيضاوى
اى اذا نظروا سلموا عليهم **لم يدخلوها** حال من فاعل نادوا اى نادوهم ولم يدخل اصحاب الاعراف
الجنة والحال **وهم يطمعون** اى حال كون اصحاب الاعراف طامعين مترقبين لدخول الجنة قال
الحسن لم يطمعهم الا لكرامة يريدها بهم وعن الحسن بعبارة اخرى ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة
يريدها بهم وروى الحاكم عن حذيفة قال بينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد
غفرت لكم وبرواية اخرى عن الحسن الذى جعل الطمع فى قلوبهم يوصلهم الى ما يطمعون قلت فعلى هذا الطمع
هنا مجاز **واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار** اى واذا قلبت وميلت ابصار
رجال الاعراف تلقاء اصحاب النار وجهتهم ووجاههم وحيالهم وفيه ان صارفا يصرف ابصارهم
الى جهة اهل النار لينظروا الى سواد وجوه اهل النار وما هم فيه من انواع العذاب **قالوا** اى اصحاب
الاعراف حينئذ متعوذين بالله تعالى **ربنا لا تجعلنا** فى النار **مع القوم الظالمين**
اى الذين ظلموا انفسهم بالشرك قال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم قالوا ربنا الاية
والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم
منهم **ونادى اصحاب الاعراف رجالا** يعنى ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء فى الدنيا
وهم رؤساء الكفار فى النار **يعرفونهم بسيماهم** يعنى يعرفون اصحاب الاعراف اولئك الرجال
بعلاماتهم بمعرفة سابقة فى الدنيا او كما ذكرنا بسواد وجوههم وزرقة اعينهم مع العلامة السابقة
فى الدنيا **قالوا** اى قال اصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم فى النار **ما اغنى عنكم** من النار
وما اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية **جمعكم** اى كثرة اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال
والاولاد **وما كنتم تستكبرون** ما مصدرية اى وما اغنى عنكم ما افادكم تكبركم على الخلق وعن
قبول الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة اى من الاموال والجنود قال الكلبى ينادونهم وهم على السور

يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة ويرون فيها الفقراء
والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقول اصحاب
الاعراف لاولئك الكفار **أهؤلاء** لفظ استفهام يعني هؤلاء الضعفاء **الذين اقسمتم** اي حلفتم
بالله وانتم في الدنيا **لا ينالهم الله برحمة** يعني انكم يا جمع اهل النار حلفتم بالله بان هؤلاء
الضعفة لا يدخلهم الله جنته وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى او الملئكة بامره سبحانه لاصحاب
الاعراف **ادخلوا الجنة** بفضلي ورحمتي **لا خوف عليكم** يا اهل الاعراف فيما يستقبل من النار
ولا انتم تحزنون على ما مضى وقرئ ادخلوا على بناء المجهول ودخلوا على الاستيناف وتقديره
دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال
لهم اهل النار ان اولئك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيروهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون
الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملئكة لاهل النار اهؤلاء يعني اصحاب الاعراف الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة ثم تقول الملئكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
وفي الغاية ولما قال اصحاب الاعراف الفقراء والضعفاء بصدد الدخول الى الجنة قالوا للكفار اهؤلاء
الذين بصدد الدخول الى الجنة اقسمتم الخ ثم التفتوا الى ناحية الفقراء المترصدين ومتهيئين لدخول الجنة
بعلامة ظاهرة ادخلوا الجنة والله اعلم **ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء** قال ابن عباس رضي الله عنه لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا
يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظروا الى قراباتهم
في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد
وجوههم فينادي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول قد
احترقت افض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل
النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء باهل النار وما يرون ويلقون
من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل
النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء **او مما رزقكم الله** يعني اطعمونا
مما رزقكم الله ولو سعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم اهل الجنة **قالوا ان الله حرمهما على الكافرين**
اي منعهما منع المحرّم عن المكلف وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهوتهم في الدنيا
في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الاخرة بشدة الجوع فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من
طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم وصف الكافرين فقال
عز وجل **الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا** اي جعلوا دين ابيهم اسماعيل عليه السلام عيدا
يلعبون فيه بتحريم البحيرة والتصفيق والصفير حول البيت يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم
ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت
عنه قال ابن عباس هم المستهزؤن اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا بالله اعتراكم
بالله عز وجل **وغرتهم الحيوة الدنيا** اي وخدعتهم بتزيين الباطل للوقوع فيه فالشيخ يعني

وخدعتهم

وخدعتهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان
بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة غفلة
في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل
له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا ولذاتها وما هو فيه من ذلك ولما
وصفهم الله بهذه الصفات الذميمة قال **فاليوم** اي يوم القيمة **ننساهم** اي نفعل بهم فعل الناسين
اي نتركهم في النار **كما نسوا لقاء يومهم هذا** اي كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه
ببالهم ولم يستعدوا له ولم يهتموا به حاصله فاليوم نتركهم جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم
هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي **وما كانوا باياتنا يجحدون** معطوف على ما نسوا
وما فيهما مصدرية ويجوز ان يكون الكاف في كما نسوا للتعليل والمعنى اي لنسيانهم وكونهم جاحدين
بايات الله حاصله ونتركهم في النار كما كانوا بدلايل حلايتنا يكذبون وقال الاستاد اي وكما كانوا
منكرين انها من عند الله قلت وتلخيصه نجازيهم بمثل ما فعلوا **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه**
اي ولقد جئنا هؤلاء الكفار يعني اهل مكة بالقرآن الذي انزلناه عليك يا محمد بينا معانيه من العقايد
والاحكام والمواعظ والحرام والحلال والقصص مفصلة **على علم** عالمين بوجه تفصيله وتبيينه
حتى جاء حكما وفيه دليل على انه عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي
على ساير الكتب عالمين بفضله قال الاستاد ومعناه اي بيناه على علم منا بما نفصله ونبينه **هدى و
رحمة** حال من منصوب فصلناه يعني جعلنا القرآن هاديا وذا رحمة **لقوم يؤمنون** بالقرآن
لانهم المنتفعون به لا غير **هل ينظرون الا تأويله** يعني ما ينتظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا
باياتنا من اهل مكة وغيرهم وجحدوها وانكروها استكبارا ولم يؤمنوا بها الا تأويل الكتاب ومعنى
تأويل الكتاب اي ما يؤول اليه امر الكتاب من تبيين صدق الكتاب بظهور صحة ما نطق به الكتاب من
الوعد والوعيد قال مجاهد يعني تأويله اي جزاءه وقال السدي عاقبته ومعناه هل ينتظرون
الا ما يؤول اليه امرهم من العذاب ومصيرهم الى النار فالحاصل ما ينتظرون ويتوقعون اهل مكة الا
ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم ومآلهم الى النار **يوم يأتي تأويله** اي يوم
يتبين صدق الكتاب بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد وهو يوم القيمة لانه يوم الجزاء وما يؤول
اليه امورهم وشأنهم **يقول الذين نسوه من قبل** يعني يقول الذين تركوا العمل بالكتاب ولم يؤمنوا
به في الدنيا عند معاينة العذاب يوم القيمة **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اي قد تبين انهم
جاؤا بالصدق وظهر ما اخبروا عنه يعني اقروا على انفسهم بحقية الكتاب والرسل حين لا ينفعهم
ذلك الاعتراف والاقرار لانهم شاهدوا ما نطق به الرسل من الحشر والنشر والبعث يوم القيمة معاينة
وذلك حين لا ينفعهم ولما رأوا انفسهم في العذاب قالوا بعضهم لبعض **فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل** يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص والنجاة
مما نحن فيه من العذاب الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب
او نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة

بالطاعة والانابة فيقال لهم لا قال الله تعالى **قد خسروا انفسهم** بصرف اعمارهم الى الكفر والمعاصي
يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم انفسهم لانهم كانوا في الدنيا والاخرة
لم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله
فيهم **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبونه في الدنيا
من ان الاصنام تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين
ان ربكم الله يعني لما عير رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار على عبادتهم الاصنام فقالوا
من ربك يا محمد فنزل ان ربكم الله يعني ليس ربكم ومدبركم وحافظكم ما عبدتموه من الاصنام
والكواكب والملائكة والجن بل كل ذلك مربوب ومخلوق محتاج الى مدبر وحافظ بل ربكم وحافظكم
وسيدكم ومالككم ومصلح اموركم وموصل الخيرات اليكم ويرفع عنكم المكاره **الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام** اي في ستة اوقات وانما فسرنا بالاوقات لان الايام لا تتحقق
الا بعد خلق السموات والارض والشمس والقمر لا قبل ذلك او خلق في مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف
زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حين خلق السموات والارض وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على
ايجادها دفعة دليل على انه سبحانه فاعل بالاختيار وارشاد للعباد على التاني والتثبت في الامور خلقا
باخلاق الله وفي اللباب اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشيء من غير اصل سبق
ولا ابتداء تقدم فقوله خلق السموات والارض في ستة ايام يعني ابدعهما وانشأ خلقهما على غير مثال
سبق وقدر ايجادهما في ستة ايام فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان هو من طلوع الشمس
الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف
العلماء في اليوم الذي ابتدأ الله عز وجل بخلق الاشياء فيه فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحاق قال
ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق
الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق
ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث
وان كان في صحيح مسلم فقد انكره بعض العلماء فيه من المخالفة للاية الكريمة لان الله تعالى يقول
خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الحديث
وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلماء وقد ذكر الازهري
في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث فقال وقال الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى
ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله
بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات
والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد

قال بدئ الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدئ الخلق يوم الاحد
والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم
من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده
قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن
في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله عز وجل خلق التربة التي هي الارض
بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين
وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها واخرج ماءها ومرعاها وخلق اقواتها
ووحوشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في يوم الجمعة اخر الخلق في
اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها
وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق ادم يوم الجمعة
واسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما
خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق
الظلمة والنور ثم خلق العرش من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس
وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب
وغير ذلك ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى الارض فكان
جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا
فان قلت ان الله عز وجل قادر على ان يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله وما امرنا الا واحدة
كلمح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى
وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شيء حدا محدودا ووقتا
معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتاني
في الامور كما في الحديث التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشيء اذا احدث دفعة واحدة
فلعله ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشيء انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيئا بعد شيء
على سبيل الحكمة والمصلحة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله اراد ان يوقع في
كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت
ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر قدرته في خلق الاشياء
بكن فيكون وفي بعض التفاسير ان المراد بالسموات والارض وما بينهما كذلك وقد فصلها في حم السجدة
اي من الاحد الى الجمعة لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا وللاعلام بالتاني في الامور وان لكل عمل يوما ولان
انشاء شيء بعد شيء ادل على عالم مدبر مريد يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته **ثم استوى
على العرش** وفي الغاية اي بعد ما كمل خلق الاشياء اجرى احكامه على الموجودات ايجادا
واشقاء واماتة واحياء لان ذاته تعالى وان كانت قديمة لم تزل ولكن اثار سلطنته انما ظهرت بعد ظهور
الاشياء ووجودها فتمثل حاله بحال ملك جلس على سرير ملكه للنظر في شان من تحت حكمه والقول

ان العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام مما لا دليل عليه شرعاً وان ثبت ان عرش الرحمن فوق
السموات جسم نوراني عظيم انتهى وبهذا التفسير كان يفسر شيخنا محمد شريف رحمه الله حين قرأت
عليه سورة الم السجدة وفي اللباب العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس السلطان
عرشاً اعتباراً بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان
ثل عرشه يعني ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله
عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما يذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك
لكان حاملا له تعالى عن ذلك علوا كبيرا وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب
واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف
وضعفها كلها وقال اما الاستواء فالمتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم
في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند الامام مالك بن انس فدخل رجل فقال
يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك واخذته الرحضاء ثم رفع
راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل
سوء صاحب بدعة اخرجوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجاء
رجل يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء
ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا
فامر به ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه
فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل
مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتأخرين ابو سليمان الخطابي قال
البغوي اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به
الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستواء وقد تقدم وروي عن سفيان الثوري
والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات
التي جاءت في الصفات المتشابهات امروها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلائل
العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز
وعند هذا حصل للعلماء الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة
ولا نخوض في تاويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله عز وجل فهو الذي قررناه في تفسير قوله
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول
به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال
فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال
ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى
على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته في صفاته
وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال

قدرته

قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال ويدل على
هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى على
العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض
والله منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله كان قبل خلق السموات والارض مالكها لكن لا يصح ان
يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه
بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة
وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر ثم استوى بشر على العراق من غير سيف
ودم مهراق وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات
ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في
ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فاي تخصيص للعرش
هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا
سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة او غيرهما من افعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه
جعل من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال
الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا
انه قال استوى بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان
متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفي التحيز وانه ليس مما يحويه طبق او يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك
طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت
بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية فقال وقال بعض
اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه وانه فوق الاشياء
بائن منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة تعالى الله ربنا
عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه
وروي ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على العرش استوى قال
انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي ما يدريك
العرب لا تقول استولى على الشيء فلان حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد استولى
عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر ومن اراد زيادة معرفة فليطالع
كتاب غوث الثقلين الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره المسمى بالغنية وقال البيضاوي
معناه اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة بلا كيف والمعنى ان له استواء
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به
لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدبير تنزل منه وقيل الملك انتهى قال بعضهم استوى
اي استولى على العرش اضاف الاستيلاء الى العرش وان كان سبحانه مستوليا على جميع المخلوقات لان
العرش اعظمها واعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما يقوله المشبهة باطل لانه تعالى

كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لان التغير من صفات الاكوان والمنقول عن الصادق
والحسن ومالك وابي حنيفة رحمهم الله ان الاستواء معلوم والتكيف عنه مجهول والايمان به واجب
والجحود به كفر والسؤال عنه بدعة اولى وقياس من قاس الصفات الازلية على الصفات الزمانية
غير منتظم لعدم الجامع اذ الباري تعالى مقدس عن الانتقال والحلول وانما خلق العرش ليعلم المتعبدون
الى اين يتوجهون بقلوبهم بالعبادة والدعاء في السماء كما خلق الكعبة ليعلموا الى اين يتوجهون بابدانهم
في العبادة في الارض ومن لم يفرق بين معنى حي على الصلاة ومن حي على المقابل والشهوات لم يوفق
بين معنى الشمس والامس نبهنا الله عن نوم الغفلة وفي التبصرة ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض فلا يبعد عليه ابطال هذه الادوار وخلق دون رجال لفها اذ ليست قديمة ولا مخلوقة
في يوم واحد بل في ستة ايام لترتب ما فيها فخلق الافلاك ثم الكواكب ثم العناصر ثم المعادن ثم
النباتات ثم الحيوانات ثم استوى على العرش ليفيض عليها بواسطة الحركة اليومية وبهذه الحركة
يغشي الليل النهار يعني انه تعالى يأتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنور النهار
اي يغطي ايته ويستر النهار بالليل ولم يذكر عكسه يعني يغشي النهار الليل للعلم به اولان اللفظ يحتملها
ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر و
حفص هنا وفي سورة الرعد يغشي مخففا من اغشى على افعل والباقون على التشديد للتكثير سبحان من يكور
النهار على الليل ثم لما كان احدهما لا ينفك عن الاخر قال **يطلبه** اي يطلب كل منهما الاخر **حثيثا** يعني
سريعا وذلك اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه قال الامام الرازي امام المفسرين وجه
اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استواءه على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه واطراد
تدبيره بين ذلك في عيان وشهود بان اراهم اياه فيما يشاهدونه من اثار ملكه وتصرفه لينضم العين
الى الخبر ويتضح المقصود كمال الاتضاح وتزول الشبهة عن كل الجهات وجعل تعاقب الليل والنهار الى اخر
مدة الدنيا ولو انقطعت الحركات المتعاقبة المتواصلة لانتقض انتظام العالم ثم انه تعالى وصف هذه الحركة
بالسرعة والشدة لانها انما تحصل بحركة الفلك الاعظم فتلك الحركة اشد الحركات سرعة وكلها شرح حق
ان الباحثين عن احوال الموجودات قالوا الانسان اذا كان في العدو الشديد الكامل الى ان يرفع رجله ويضعها
يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل فلا جرم يكون التعاقب المتفرع على مثل هذه الحركة الشديدة في
غاية السرعة فلهذا السبب قال الله تعالى حثيثا ثم اعلم ان الشمس لها نوعان من الحركة احدهما حركتها
لا بواسطة حركة العرش وهي انما تتم في سنة كاملة وبسبب هذه الحركة تحصل السنة والنوع الثاني
حركتها بسبب حركة العرش وهذه الحركة تتم في اليوم بليلته فلما كان الليل والنهار لا يحصلان
بسبب حركة الشمس بل يحصلان بسبب حركة العرش ذكر الله قوله يغشي الليل النهار عقيب ذكر العرش
بقوله ثم استوى على العرش تنبيها على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة العرش الاعظم لا حركة
الشمس والقمر **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** هو امر تكوين قرأ ابن عامر كلها بالرفع
على الابتداء والخبر وقال في الغاية وهذه القراءة هو المختار لكونه ابلغ في القدرة ولعدم احتياجه الى
تقدير العامل والباقون بالنصب عطفا على قوله خلق السموات والارض اي خلق هذه الاشياء مسخرات

ت للآت جاريات في مجاريها بامر الله وقضائه وارادته وتكون المسخرات على قراءة النصب حالا
من هذه المفاعيل وقوله بامره متعلق بمسخرات اي بقضائه وتصريفه وارادته لها في ذلك بدأ
بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر كالنائب وثلث بالنجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان
النهار والقمر سلطان الليل والشمس للتسخين والقمر للترطيب فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر
والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من سائر
السيارات ومن الثوابت بقوة اخرى لا بد ان تستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات
بامره اي ليس لهن تاثيرات من انفسهن **الا له الخلق** جميعا **وله الامر** اي هو الذي خلق
الاشياء وله الامر كله يعني لا خلق ولا تاثير ولا تصرف لغير الله تعالى اما الخلق لانه خلقهم وله الامر اي
وله ان يامر فيهم بما اراد من التسخين والترطيب وغير ذلك وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا
المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي واستخرج سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل
غير مخلوق فقال ان الله فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو
كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في
العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشئها
فلا يبقى بعد هذا لاحد شيء وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية
دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل وفيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات في هذا
العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق فليس
لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه قال
الامام قوله الا له الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ما سوى الله تعالى اما من عالم الخلق او من عالم
الامر اما الذي هو من عالم الخلق عبارة عن التقدير فكل ما كان جسما او جسمانيات كان مخصوصا بمقدار
معين فكان من عالم الخلق وكل ما كان بريئا من الحجمية والمقدار كان من عالم الارواح ومن عالم الامر فدل
على انه تعالى خص كل واحد من اجرام الافلاك والكواكب التي هي من عالم الخلق بملك من الملائكة وهم من عالم
الامر والاحاديث الصحيحة مطابقة لذلك وقد روي في الاخبار ان لله ملائكة يحركون الشمس والقمر عند الطلوع
والغروب وكذا القول في سائر الكواكب وايضا قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى ان الملائكة
الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم اذا دققت النظر علمت ان عالم الخلق في تسخير الله وعالم الامر
في تدبير الله تعالى واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله فلهذا المعنى قال الا له الخلق والامر
قال الاستاذ قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن ملك او فلك او جني او انسي فخالق ذلك الاثر هو الله تعالى
وحده لقوله الا له الخلق والامر وقوله خلقكم وما تعملون ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثاني
مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم بوجه من الوجوه اصلا ومن قال بالتاثير نكفره وان
القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما تزعمه الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وذكر شيخنا
عبد القادر الجيلاني قدس سره في غنيته ما نصه وروى عبد الله بن عبيد الغفاري عن نافع عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا ذكر القران فقولوا كلام الله غير مخلوق فمن قال مخلوق فهو كافر وقال عز وجل الا

له الخلق والامر ففصل بين الخلق والامر فلو كان امره الذى هو كن الذى به يخلق الخلق مخلوقا لكان ذلك
تكرارا وعبثا لا فائدة فيه كانه قال الا له الخلق والخلق والله يتعالى عن ذلك ومن اراد بيان ذلك فليرجع
الى الشفاء وانما اطلق الخلق والامر ليعلم انه تعالى لو اراد خلق الف عالم مثلا بما فيه من العرش
والكرسى والكواكب فى اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات
ولما بين ان له الخلق والامر ذكر انه يستحق الثناء فقال **تبارك الله رب العالمين** اى تعالى
بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية قال الشيخ تبارك الله اى تمجد وتعظم وارتفع ومعنى
البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله رب العالمين يعنى انه هو الذى يستحق التعظيم
وذلك ان الله افتتح هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات وذكر اشياء من عظيم خلقه وان
له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء
والتعظيم وقال ابن عباس معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقدس والتقديس الطهارة وقيل
معناه تبارك باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال واصل
البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد به التوقيف ثم امر عباده بان
يدعوه متذللين مخلصين فقال **ادعوا ربكم** قيل اعبدوا ربكم لان الدعاء طلب الخير من الله وهذه صفة
العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه
وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح والمراد به هنا لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من انواع العبادة
لان الداعى لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله
وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعى فعند ذلك
يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى **تضرعا**
يعنى ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهما اظهار الذل الذى فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان
اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا حقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين
بالدعاء له تعالى **وخفية** يعنى سرا فى انفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء ان يكون
خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون
يجتهدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وان الله ذكر عبدا صالحا ورضى فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا عن ابى
موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا
وهو معكم والذى تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا
بالله فى نفسى فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول
ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم يعنى ارفقوا بها واقصروا عن الصياح فى الدعاء
قال البيضاوى بيض الله وجهه بنوره معنى تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء
دليل الاخلاص قلت تلخيصه اى ادعوا ربكم متضرعين متذللين ذوى خفية كيلا يشوب الدعاء شئ من الرياء

فان الاخفاء دليل الاخلاص وفى الجامع وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى وفى
الامالى وعنه صلى الله عليه وسلم يفضل دعاء السر على الجهر بسبعين ضعفا **انه لا يحب المعتدين**
فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت او المجاوزين لما امروا به فى الدعاء وغيره قال ابن مجلز هم الذين يسألون
منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم انى اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة
اذا دخلتها قال اى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتداء
رفع الصوت والنداء والصياح فى الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد فى كل شئ فكل من خالف امر الله ونهيه
فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين قلت ومن الداخلين تحت هذا الوعيد جهلة الناس
المرقين للطمع المترصدين فى المواجهة الشريفة الرافعين اصواتهم فى الدعاء بحيث يشوش على
المعتكفين فى الروضة والله المستعان وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا
وخفية هل الافضل اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء العبادة والطاعات افضل
من اظهارها لهذه الاية ولكونها ابعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدى به
الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذى فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء
فالاولى اخفاء العبادات صونا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ فى الصفاء وقوة اليقين الى
التمكين حيث صار مباينا عن شائبة الرياء كان الاولى فى حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء
به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفائها فصلاة المكتوبة فى المسجد
افضل من صلاته فى بيته وصلاة النفل فى البيت افضل من صلاتها فى المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل
من اخفائها واخفاء صدقة التطوع افضل من اظهارها ويقاس على هذا ساير العبادات انتهى
قلت واما فى زماننا فمنهم من انكر ذكر الجهر مطلقا ومنهم من انكر الاخفاء مطلقا والحق مسطور قليل والله
المستعان وقال عطاء فى معنى الاية هم الذين يدعون بما لا يحل وعلى المؤمنين فيقولون اللهم اخزهم
اللهم العنهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى
اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم تلا قوله
تعالى انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها** اى ولا تفسدوا ايها الناس
فى الارض بالمعاصى والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرايع
والدعاء الى طاعة الله عز وجل وهذا معنى قول الحسن والسدى والضحاك والكلبى وقال عطية لا تعصوا
فى الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها
يعنى بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا فى الارض شيئا بعد ان اصلحه الله
تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل وافسادها بقطع بعض اعضائها وافساد الاموال بالغصب
والسرقة واخذها من الغير بوجه الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء المضلة وافساد
الانساب بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة فى الدنيا
هى هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد فى ماهيتها **وادعوه خوفا وطمعا** اى خائفين من الرد

وعقابه نظرًا الى قصور اعمالكم وقلتها وعدم استحقاقكم بالنظر الى كبريائه طامعين رحمته
بالنظر الى بحر كرمه وجوده وعموم عطايه ووفور فضله واحسانه امر الله تعالى بان يكون
الانسان في حالة ترقب وتحرز وتاميل لله عز وجل حتى يكون الخوف والرجاء له كالجناحين
للطاير يحملانه في طريق الاستقامة وان انفرد احدهما هلك الانسان وفي اللباب والمعنى وادعوه
خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل
وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء والذكر في الدعاء وطمعا في الاجابة فان قلت
قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي على نفسه فما
الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع
والاخبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فايدة الدعاء احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى
في بيان شرط صحة الدعاء والاية الثانية في بيان فايدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم بين
الخوف والرجاء في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حقوق الله في العبادة والدعاء وان اجتهدتم
فيها وقال كثير من العلماء ينبغي ان يكون الخوف اغلب من الرجاء طول الحياة فاذا قرب الموت فالغلب
اعتمادا على فضله تعالى وسعة رحمته **ان رحمة الله قريب من المحسنين** المطيعين والمحسن
من كان حاضرا بقلبه غير لاه عن ربه ولا ايس رحمته واليه الاشارة في الحديث الاحسان ان تعبد الله
الحديث واراد بالرحمة هنا الاحسان المجرد عن الرقة فرحمة الله عبارة عن الافضال والانعام على عباده
وايصال الخير اليهم فعلى هذا تكون الرحمة من صفات الافعال او عبارة عن ارادة ايصال الخير والنعمة
الى عباده فتكون الرحمة من صفات الذات ولم يقل قريبة لان الرحمة بمعنى الثواب فرجع النعت الى
المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتانيث
عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار
عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين الرحمة
التي هي الثواب في الاخرة الا الموت وهو قريب من الانسان وفي الغاية معنى الاية اشارة الى ما يتوسل به
الطامعون الى رحمته وفي الاسناد ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم بضم الراء مذكر لكن بمعنى الرحمة قال الله واقرب رحما او لانه صفة محذوف اي ان رحمة
الله امر قريب او شي قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول او تشبيهه بفعيل الذي هو
مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره يقال هذه قريبة منه في النسب
وقريب منه في المسافة **وهو الذي يرسل الرياح** عطف على قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وعلة الاتصال بما قبله هو انه لما ذكر الله الشمس والقمر والنجوم من العالم العلوي اتبعه بذكر
ما يدل على كمال قدرته من العالم السفلي قرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة والباقون
الرياح على الجمع والريح هواء يتحرك يمنة ويسرة وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا لدام بدوام
الذات فهو متحرك بتحريك فاعل مختار **نشرا** قرا الجمهور نُشُرًا بضم النون والشين جمع نشور
ناشرات اي متفرقات وهي الرياح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقرا ابن عامر نُشْرًا بسكون

الشين وضم النون حيث وقع وحمزة والكسائي نَشْرًا بفتح النون وسكون الشين حيث وقع على
انه مصدر في موضع الحال بمعنى ناشرات وهي الريح الطيبة اللينة قال الله تعالى والناشرات نشرا
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بُشْرًا بضم الباء وسكون الشين وهو
تخفيف بُشُر جمع بشير اي انها مبشرات بالمطر بدليل قوله تعالى والرياح مبشرات وقد قرئ به وبَشْرًا
بفتح الباء مصدر بَشَره بمعنى بشّره والرياح اربع الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال
وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان الرياح ثمان اربع منها
عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات
والذاريات **بين يدي رحمته** يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة
الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه
الفتن تكون بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا اذا كانت يدا
الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذت
الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه
شيئا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في مؤخر الناس
فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها وسلوا الله من خيرها
واستعيذوا بالله من شرها رواه محمد بن ادريس الشافعي واخرج ابو داود المسند منه وقال كعب
الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر اهل الارض قال الشيخ الصبا تثير السحاب
والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وانما قال في هذه السورة والروم يرسل الرياح بلفظ
المستقبل لان ما قبله ادعوه خوفا وطمعا وهو مستقبل لانهما يناسبان المستقبل ولما في الروم فليناسب
ما قبله ومن اياته ان يرسل وقال في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبلها كيف مد
الظل وما بعده وهو الذي جعل وكذا في فاطر بني على اول السورة فاطر السموات والارض جاعل
الملئكة وهما بمعنى الماضي **حتى اذا اقلت سحابا ثقالا** والمعنى اي يرسل حتى اذا حملت هذه الرياح
سحابا ثقالا بما فيها من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين
الخافقين وهو طرف السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السماء
كيف يشاء ثم تفتح له ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله
دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيتراكم
وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى **سقناه لبلد ميت** قرا بالتخفيف
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والباقون بالتشديد والمعنى انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى
الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت خضرة قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر
او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن
الوحش والجن قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الخ قال الاعشى وبلدة مثل ظهر الترس موحشة

للجن بالثقل في حال قلنا رجل ﴿فأنزلنا به الماء﴾ اختلفوا في الضمير في قوله به فقال الزجاج وابن
الانباري جائز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز ان يكون المعنى وانزلنا بالسحاب
الماء لان السحاب آلة لانزال الماء ويجوز ان يكون راجعا للسوق او الريح والباء للسببية واراد
بالماء المعهود وهو ما تقل السحاب ﴿فأخرجنا به﴾ اي بذلك الماء لانه اقرب لفظا ومعنى لان
انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك البلد الميت وقيل الضمير
للبلد والباء حينئذ في فانزلنا به للالصاق واذا كان الضمير لغير البلد فالباء للسببية ﴿من كل
الثمرات﴾ اي من كل انواعها يعني فاخرجنا بذلك الماء او البلد بعد موته وجدوبه من اصناف
الثمار والزروع ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ اي كما اخرجنا الثمرات نخرج الموتى من القبور ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس قال ابن عباس وابو هريرة
رضي الله عنهم اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى ارسل الله عليهم مطرا كمني الرجال من ماء
تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية اربعين
يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم تلقى عليهم
النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم
يجدون طعم النوم في رؤوسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد
اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح
الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيائه الارض ومن قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب
اليابس قادر على ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم ﴿لعلكم تذكرون﴾
يا منكري البعث فتعلمون انه من قدر على ذلك قدر على هذا فتؤمنوا بالله ورسوله واصله
تتذكرون بطرح احدى التائين وحاصل المعنى انكم يا منكري البعث شاهدتم الاشجار وهي
مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك
الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها
قادر على احياء الاجساد بعد موتها فتلخيص المعنى يقول الحق عز وجل انما وصفت ما وصفت من
التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يحيي ثم ضرب مثلا
لمن ينتفع بالوعظ ولمن لا ينتفع به ﴿والبلد الطيب﴾ اي الارض الكريمة التربة السهلة السمحة
وهو كل موضع من الارض عامرا كان او غير عامر خاليا او مسكونا كما مر معنى البلد قريبا ﴿يخرج
نباته باذن ربه﴾ اي بمشيئته وتيسيره يعني انه اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن ربه
حسنا وافيا كذلك المؤمن اللين القلب اذا سمع الموعظة يدخل في قلبه فينتفع بها عبر بقوله باذنه
عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة نكدا ﴿والذي خبث لا يخرج
الا نكدا﴾ والمعنى والبلد الطيب الذي خبث ارضه فهي سبخة لا تخرج نبات تلك الارض الا عسرا
نكدا بمشقة وكلفة يعني لا يخرج قليلا عديم النفع فنكدا حال من المستتر في خبث واصل النكد الضيق
والعسرة

والشرع قال الشاعر: لا تنجز الوعد ان وعدت وان :: اعطيت اعطيت تافها نكدا. ومعنى البيت انك ان
اعطيت اعطيت القليل عديم النفع بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فشبه
المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة
فاذا انزل المطر عليها اخرجت انواع الثمار والازهار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع
به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الخبيثة
السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدقه
ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة
والحاصل ان الكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم منهم خبيث
وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة
قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس
فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ
فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل
هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين ﴿كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾
يعني كما ضربنا هذه الامثال كذلك نصرف ونبين الآيات الدالة على التوحيد والايمان آية بعد آية
وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتجنبهم سبل الضلالة فيؤمنون
وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بسماع ﴿لقد ارسلنا نوحا الى قومه﴾
اعلم ان الله تعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعته الدالة على
توحيده وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء
عليهم السلام وما جرى لهم مع اممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه
عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة
اولئك الذين كذبوا الرسل كان الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة العذاب العظيم فمن كذب
محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي
ذكر هذه القصص دليل واضح على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا
من العلماء في زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره
عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحي اليه ذلك فكان ذلك دليلا
واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا
جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو
ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا اي بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نوح
نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة
متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن

ابن اربعين سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل ابن مائتين وخمسين سنة وقيل هو ابن ثلثمائة سنة
والاصح انه عاش الف سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه
فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم
فقال له اخسأ يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب **فقال** يعني نوحا لقومه **يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني اعبدوا الله ووحدوه وافردوه بالعبادة واطيعوه
لتفرده بالالوهية فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله ومعبود سواه
فانه هو الذي يستوجب ان يعبد قرأ الكسائي غيره بكسر الراء حملا على اللفظ اي صفة تابعة
للفظ اله او بدلا والباقون برفعها حملا على المحل بدلا من اله لان من زائدة وهو مرفوع بالابتدا
وقرئ بالنصب على الاستثناء ثم قال لبيان الداعي الى عبادة الله **اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم** يعني ان لم تقبلوا ما امركم به من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي
خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيمة ولم اتى بكلمة الشك يعني اخاف
وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم اياتيهم
ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم القيمة **قال** في مقابلة نصحه **الملا من قومه** اي قال الاشراف
منهم الذين يملؤن العيون منظرا وحسنا **انا لنراك** اي يا نوح **في ضلال مبين** اي في خطاء
وزوال عن الحق بين ظاهر واضح **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بي ضلالة** يعني ما بي شيء مما تظنون
من الضلال اي ليس بي نوع من انواع الضلالة البتة بالغ نوح في نفي الضلالة كما بالغ القوم في
اثباتها **ولكني رسول من رب العالمين** يعني استدرك نوح لتاكيد نفي الضلالة عن نفسه
بقوله ارسلني الله اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا به اكون ضالا لظهور التنافي بين الرسالة والضلالة
ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم اي ابلغكم يا قوم ما اوحي الي من تكاليف الله وشرايعه
وارشدكم الى وجه الاصلح والاصوب وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي نخصه
ابلغكم ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشاير
والنذاير واقصد صلاحكم باخلاص وحقيقة النصح ارادة الخير لغيركم مما تريده لنفسك او النهاية
في صدق العناية او انصح لكم في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به قرأ ابو عمرو ابلغكم
بالتخفيف والباقون بالتشديد وجمع الرسالات والحال ان له رسالة واحدة لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها كالعقايد والاحكام والمواعظ كما اشرنا او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء
قبله كصحف شيث وهي خمسون وصحف جده ادريس وهي ثلاثون **واعلم من الله ما لا تعلمون**
يعني اعلم من صفاته ما لا تعلمون يعني بها قدرته الباهرة وشدة بطشته على اعدائه وان باسه
لا يرد عن القوم المجرمين اي اعلم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا
يعذبكم في الاخرة عذابا عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر
وقيل لعل الله تعالى اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله ما لا تعلمون **او عجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم** اي اكذبتم وعجبتم من ان جاءكم وحي ورسالة وموعظة من مالك

امركم ومربيكم والهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف تقديره اكذبتم وعجبتم كما
قدرنا **على رجل منكم** اي على لسان رجل من جملتكم او من جنسكم او على رجل تعرفونه بانه منكم
وذلك لان كونه منهم لا يزيل التعجب **لينذركم** العذاب ان لم تؤمنوا يعني ليحذركم عاقبة الكفر
والمعاصي فاللام علة للمجيء اي جاءكم لينذركم **ولتتقوا** اي جاءكم لاجل ان تتقوا الله منهيه
بسبب الانذار **ولعلكم ترحمون** بعد التقوى يعني لتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم والمقصود
بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة وانما ذكره بلفظ الترجي على داب الملوك وان كان مقطوعا
به كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او للاشارة الى ان التقوى لا توجب شيئا والترحم فضل
منه تعالى وليلا يتعمد العاملون على عملهم **فكذبوه** صريحا في دعوى الرسالة لان قولهم انا لنريك
في ضلال مبين غير صريح يعني كذبوا نوحا في دعوى الرسالة **فانجيناه** اي انجينا نوحا من الطوفان
والغرق **والذين معه في الفلك** اي وانجينا الذين امنوا به وصحبوه في السفينة وكانوا
اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به وفي الفلك
اما متعلق بمعه او بانجينا او حال من الموصول او الضمير في معه **واغرقنا** القوم **الذين كذبوا
باياتنا** اي بالطوفان **انهم كانوا قوما عمين** قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله
قال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر اي عمي القلوب غير
مستبصرين واصله عميين خفف وقرئ عامين والاول ابلغ للدلالة على الثبات بخلاف عام فانه
يدل على عمى حادث قال الشيخ وعمين جمع عم اصله عمي على وزن حضر فاعل كما علل قاضي فقال
مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق ثم شرع في قصة نبي اخر فقال **والى عاد** عطف على
نوحا الى قومه يعني ارسلنا الى عاد وكان عاد قبيلة باليمن وقيل هو اسم اب الكبير فسميت به
القبيلة وقيل كان في الاصل اسم ملك ينسب القوم اليه وهو عاد ابن عوص بن ارم بن سام
ابن نوح وهي عاد الاولى **اخاهم** اي في النسب لا في الدين **هودا** عطف بيان لاخاهم وسماه
اخا مجازا لانه كان واحدا من جنسهم لا من جنس الملئكة والجن كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم
فعلى هذا ليس هو اخاهم نسبا ولا دينا بل جنسا فقط وفي اللباب واتفقوا على ان هودا عليه السلام
لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة
فيتوجه قوله اخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة
وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم لا من الملئكة ويكفي هذا القدر في تسمية
الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل
ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني انه اخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمي
صاحب القوم اخاهم واما نسبه الشريف فهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص
وقال ابن اسحاق هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وفي رواية بجعل قوله ابن سام
ابن ابن عم ابي عاد وانما جعل من القوم لانهم افهم لقول هود واعرف بحاله وارغب في اتباعه
وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال علي كرم الله

وجهه ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر تخالطه مدرة ذات اراك وسدر
وسياتي قريبا تمام قصتهم ان شاء الله تعالى ثم كان سائلا يقول فما قال لهم هود فقال قال
اي هود يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي يا قوم اعبدوا الله وحده واتركوا
عبادة الاصنام ولا تجعلوا مع الله الها آخر فانه ليس لكم رب غيره وذكر في قصة نوح فقال
بالفاء التعقيبية وهنا بقال من غير فاء لان نوحا عليه السلام كان مواظبا على دعوته
قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب واما هود عليه السلام فكان دون نوح في
المبالغة في الدعاء وقوله تعالى افلا تتقون اي اتشركون بالله فلا تخافون من عذاب الله
بعبادتكم غيره عرض على التقوى كقوله الا تنزل والجواب محذوف اي تامنوا من عذاب الله تعالى
قال الملأ الذين كفروا من قومه اي من قوم هود انا لنراك يا هود في
سفاهة اي في حمق وجهالة قال ابن عباس تدعونا الى دين لا نعرفه وانما وصف الملأ بالذين
كفروا هنا دون الملأ من قوم نوح لان في اشراف قوم هود من آمن به كمرثد بن سعد فاريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن واما غير الاشراف فقد آمن بعضهم
كما يدل عليه قوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقوله ايضا وما آمن معه الا قليل وقوله في
سورة المؤمنين فقال الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم وفي اللباب اخبر الله عن قوم نوح انهم
قالوا له انا لنراك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما
ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك
في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الماء شيء واما هود عليه السلام
فانه لما زيّن عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا
انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من انك رسول من رب
العالمين قالوه لتوغلهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح والفكر الثاقب ثم قال مستعطفا
لقومه ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمات الشنيعة الموجبة لتغليظ القول
والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة كاملة راسخة
او شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين اي لكني انا رسول كامل العقل
بامر الدارين يعني رب العالمين اليكم ابلغكم رسالات ربي اي اؤدي اليكم ما ارسلني
به من اوامره ونواهيه وشرايعه وتكاليفه وانا لكم ناصح اي انا لكم يا قوم ناصح فيما امركم
به من عبادة الله تعالى وترك ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح ولا امين الثقة
عليها او مؤتمن عليه وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم
كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح قال اهل الاسناد وفي قوله
انا لكم ناصح دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه
تفسيره لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه وقدره واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم

نوح اي واذكروا نعمة الله عليكم واحذروا من انتقام الله اذ اهلك قوم نوح وجعلكم خلفاءهم
في الارض او في مساكنهم بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج
الى بحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس بسطة يعني طولا وقوة
وجسامة في الخلق فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة
الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين
ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان رأس احدهم مثل القبة العظيمة وفي الغاية
انهم كانوا في غاية من كثرة الاموال وقوله تعالى في حق قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اشارة الى قوم عاد فان شداد بن عاد ملك المعمورة من رمل عالج الى بحر
عمان وقد نبهنا الى هنا آنفا فاذكروا آلاء الله اي فاذكروا نعم الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك
واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم
تفلحون اي لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح وهو البقاء في الآخرة قالوا اي قال
قوم هود مجيبين له عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده اي
لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا من الاصنام ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من
مكان اعتزل به هود عن قومه كما اعتزل نبينا عن قومه الى غار حراء او من السماء على التهكم
لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك او القصد
على المجاز كقولهم ذهب يشتمني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون او
صرح هود بمجيء العذاب عليهم ان لم يؤمنوا بالله ان كنت من الصادقين اي في قولك انك رسول الله
او في الاخبار بوقوع العذاب وجواب ان محذوف اي فات به قال هود مجيبا لهم قد وقع اي
نزل وحق ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب اي عذاب وسخط والسين بدل من الزاي
اي رجز قال البيضاوي من الارتجاس وهو الاضطراب وجعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة
الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان اتجادلونني في اسماء اي في مسميات اسماء
سميتموها اي وضعتموها انتم وآباؤكم لها اسماء من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام
على سبيل الانكار عليهم لانهم سموا الاصنام بالالهية وذلك معدوم فيهم لان المستحق للعبادة بالذات
هو الموجد للكل من محض العدم ما نزل الله بها من سلطان برهان دال على استحقاق عبادتها
او على هذه التسمية وانما سميتموها انتم وآباؤكم من عند انفسكم بغير دليل يعني تجعلونها لكم وقول
آبائكم حجة لكم بانها آلهة وهذا امر لا يعول عليه عاقل فانتظروا يعني العذاب اني معكم من
المنتظرين للنجاة واستيصالكم قال بعضهم فانتظروا اي هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم
بالعذاب من ربي قال الله تعالى فانجيناه اي فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه
والذين معه برحمة منا اي وانجينا ايضا من العذاب اتباع هود يعني الذين آمنوا به وصدقوه
لانهم مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي واهلكنا الذين كذبوا هودا
من قومه واراد بالايات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا هلاك استيصال لان دابر الشيء آخره

فأهلكهم جميعا ولم يبق منهم احد وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا بآياتنا والمعنى استأصلناهم
لأنهم ما كانوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام قيل ارسل الله عليهم الريح العقيم
التي تحت الارضين السبع مقدار ما يخرج من حلقة الخاتم فجاءتهم فهربوا منها فدخلوا بيوتهم فأخرجتهم
الريح منها وحملت الرجال والدواب كالأوراق في الهواء فأهلكتهم كلهم وأمالت عليهم الرمال سبع
ليال وثمانية ايام ثم رمتهم في البحر هذه قصتهم مختصرا واما تفصيلا فعلى ما ذكره محمد بن اسحاق و
اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام
الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فشوا في الارض كلها
وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل
صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام
وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم موضعا فأمرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان
يكفوا عن الناس لم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه
منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد
بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع
آية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك امسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى
جهدهم وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك
عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم معظم
مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان
مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام
وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري
وهو رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا
جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال من هذيل
وعتيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري
خال معاوية بن ابي بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة
من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر
مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده
وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي
واصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحيي
ان آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من
قومهم جهدا وعطشا قال وشكى ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به
ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية ∴ الا يا قيل ويحك قم فهينم ∴ لعل الله

يصبحنا

يصبحنا غماما ∴ فيسقي ارض عاد ان عادا ∴ قد امسوا لا يبينون الكلاما ∴ من العطش
الشديد فليس نرجو ∴ به الشيخ الكبير ولا الغلاما ∴ وقد كانت نساؤهم بخير
فقد امست نساؤهم ايامى ∴ وان الوحش تأتيهم جهارا ∴ ولا تخشى لعادي سهاما ∴
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم ∴ نهاركم وليلكم التماما ∴ فقبح وفدكم من وفد قوم
ولا لقوا التحية والسلاما ∴ قال فلما قال معاوية هذا الشعر غنتهم به الجرادتان وسمع القوم
ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد
ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد رضي الله عنه انكم والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال شعرا
عصت عاد رسولهم فأمسوا ∴ عطاشا ما تبلهم السماء ∴ لهم صنم يقال له صمود ∴
يقابله صداء والهباء ∴ فبصرنا الرسول سبيل رشد ∴ فابصرنا الهدى وجلي العماء ∴
وان اله هود هو الهي ∴ على الله التوكل والرجاء ∴ وزاد في رواية
لقد حكم الاله وليس جورا ∴ وحكم الله اذ غلب الهواء ∴ على عاد وعاد شر قوم
فقد هلكوا وليس لهم بقاء ∴ واني لن افارق دين هود ∴ طوال الدهر او ياتي الفناء ∴
فقال جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد بن عفير حين فرغ من مقالته وعرف انه قد اتبع
دين هود وآمن به عليه السلام ∴ ابا سعد فانك من قبيل ∴ ذوي كرم وامك من ثمود ∴
فانا لا نطيعك ما بقينا ∴ ولسنا فاعلين لما تريد ∴ اتأمرنا لنترك دين رفد
ورمل وآل صد والعبود ∴ ونترك دين آباء كرام ∴ ذوي رأي ونتبع دين هود ∴
ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود
وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد رحمه الله
من منزل معاوية بن بكر حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشيء مما خرجوا اليه
فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سؤلي وحدي
ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط
قيلا ما سألك وقال الوفد معه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد
وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي
فاعطني سؤلي وسأل طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان
هود صادقا فانا قد هلكنا فاسقنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم
ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه السحائب فقال قيل قد اخترت
السحابة السوداء فانها اكثر السحائب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا يبقي من آل عاد
احدا وساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت
عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله
عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء اي كل شيء مرت عليه بأمر ربها وكان

اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها
من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ماذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب
النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع
من العاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه
من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذها الانفس وانها لتمر بالضعن من عاد فتحملهم
بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر
فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك مساء ثالثة
من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر
فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث
الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين
السماء والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت الريح ففتحت
ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم ارسل الله عليهم
طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا
تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الريح
ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة
فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد
ابن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا
لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي
ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ
حين يخرج من البيضة وكان ياخذ الذكر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم
يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من
النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه ما اصاب قومه
فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فاصابه الذي اصاب عادا فهلك
ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم
جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه
الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت
يروى عن علي بن طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر
وقد ذكرنا هذه الرواية مع ما قبل بعبارة تقرب هذا وسيأتي قريبا في قصة نوح بان صالحا
عليه السلام مات بحضرموت وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة
وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة ويروى ان النبي من
الانبياء اذا اهلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها ويروى

هذه الرواية

هذه الرواية ما ذكره البيضاوي في تفسيره بقوله بخاهرة والى نوح معه فاتوا مكة وعبدوا
الله فيها حتى ماتوا والى ثمود عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد يعني وارسلنا
الى ثمود وثمود قبيلة اخرى من العرب وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو
جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين مدينة الرسول عليه السلام والشام الى وادي
القرى وما حوله ومعنى الكلام وارسلنا الى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة كما ذكرنا
قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي
ينسبون اليه وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر ومنع الصرف
بتاويل القبيلة ومعنى اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن
ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني قال
لهم صالح عليه السلام حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا فما لكم
من اله يستحق ان يعبد سواه قد جاءتكم بينة من ربكم اي قد جاءتكم معجزة ظاهرة
الدالة على صحة رسالتي اليكم وكانه قيل وما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية
واية نصب على انها حال من الناقة والعامل معنى الاشارة في هذه كانه قيل اشير اليها اية ومعنى
انها علامة على صدقي قال العلماء ووجه كون هذه الناقة اية على صدق صالح ومعجزة له خارقة
للعادة انها خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر وانثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج
لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب
يوم وهذا من المعجزات ايضا لان ناقة تشرب ما يشربه قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها
قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا ايضا معجزة وقيل ان ساير الوحوش والحيوانات
كانت تمتنع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا
ايضا معجزة وانما اضافها الى الله في قوله ناقة الله على سبيل التعظيم والتفضيل والتشريف كما يقال
بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى
وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح فذروها تاكل في ارض الله العشب فان الارض ارض الله
والناقة ناقته وليس لكم في الارض شيء لانه هو الذي انبت فيها العشب والكلاء ولا تمسوها بسوء
اي بعقر او ضرب او غير ذلك من انواع الاذى نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع
لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر وقت نزول البلاء فياخذكم عذاب اليم
منصوب بانه جواب النهي اي ان تمسوها بسوء مما يسوءها ياخذكم عذاب اليم في الدارين جزاء لكم على
اية الله بابطالها واذكروا افاضة الحياة الدنيوية عليكم لترجوا الحيوة الاخروية منه اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض [illegible] وفيه
ايماء الى انهم ان خالفوا يصيبهم مثل ما اصاب قوم عاد من الهلاك وبوأكم اي واسكنكم وانزلكم
في الارض اي في ارض الحجر بين مدينة الرسول والشام تتخذون من سهولها قصورا تسكنونها
في الصيف يعني تبنون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والآجر المتخذ

من الطين السهل التي تجمع سهل ضد الجبل والحرونة وتنحتون الجبال بيوتا تسكنونها في الشتاء
ومعنى تنحتون اي تنقبون وتشقون بيوتا من الجبال لان بيوت الطين ما كانت تبقى مدة اعمارهم
لطول اعمارهم او لاجل الشتاء كما قلنا وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفهين قرا الجمهور بكسر الحاء
وقرئ تنحتون بفتحها وتنحاتون باشباع فاذكروا آلاء الله اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه
عليها هذا تعميم بعد تخصيص وقيل ما مر من ذكر السابق وهذا من الذكر القلبي ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي لا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعثي اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة
وقيل هو على ظاهره يندخل فيه النهي عن جميع الفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي قال
الاشراف والرؤساء الذين تعظموا عن الايمان بصالح للذين استضعفوا يعني للمساكين منهم
اي للذين استضعفوهم واستذلوهم يعني لم يلتفتوا الى صالح ولم يخاطبوه استهانة بل خاطبوا ضعفاء
القوم الذين كانوا مؤمنين بصالح كما هو شان الرسل في اول الامر مثل بلال وصهيب وعمار لنبينا
صلى الله عليه وسلم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير في منهم لقومه وبدل
البعض ان كان للذين استضعفوا فيندرج في المستضعفين بعض كفار قومه والمعنى قال الرؤساء
المتعظمون في انفسهم تهكما لاتباعهم الذين امنوا بصالح وهم الضعفاء والمساكين من قومه اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله الينا واليكم قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون يعني قال الضعفاء في جوابهم انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون
قال الذين استكبروا اي عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح في جواب المؤمنين انا بالذي
آمنتم به كافرون اي جاحدون ومنكرون فعقروا الناقة وفي المدارك اسند العقر الى جميعهم
وان كان العاقر [واحدا] قدار بن سالف لانه كان برضاهم وكان قدار احمر ازرق قصيرا كما كان
فرعون كذلك وقال عليه الصلاة والسلام يا علي اشقى الاولين عاقر ناقة صالح واشقى الاخرين
قاتلك انتهى والحاصل فعقرت ثمود اي القبيلة الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر
عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي واستكبروا عن امر ربهم وعصوه
يعني انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا ما بلغهم صالح بقوله فذروها تأكل في ارض الله
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من المرسلين اي اذ كنت تزعم انك رسول
الله فان الله ينصر رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب
فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة العظيمة او الصيحة يعني الزلزلة
من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين يعني فاصبحوا في
بلدهم جاثمين باركين خامدين موتى على وجوههم لا يتحركون فتولى عنهم اي فاعرض عنهم
صالح وفي وقت هذا القول قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويؤيد هذا القول
قوله تعالى فاصبحوا [جاثمين] لان الفاء للتعقيب يعني انه جعل هذا التولي بعد جثوهم وهو موتهم
وكانوا الفا وخمسمائة دار وخطابهم بيا قوم لقد ابلغتكم كخطاب نبينا صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر
حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او خاطبهم على سبيل التحسر والتحزن

على ما فاتهم من نعمة الاسلام والقول الثاني ان صالحا تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم
ويؤيد هذا القول انه خاطبهم احياء وقال اي صالح يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقديم وتأخير
تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل انما خاطبهم صالح وهم اموات ليكون ذلك عبرة لمن معه
ولمن ياتي بعدهم فينزجرون عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها وفي اللباب وكانت قصة ثمود على
ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا ان عادا
لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا
حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا
وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم
صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم
وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون
فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم اية تصدقه
على ما يقول فقال صالح اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون
فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة قالوا تدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا انت قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح
معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حواش
وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها
الكاثبة ناقة مخترجة ومعنى المخترجة اي ما شاكلت البخت من الابل عشراء وهي التي اتت عليها عشرة
اشهر بعد طروق الفحل جوفاء اي عظيمة البطن والصلب وبراء اي كثيرة الوبر فان فعلت صدقناك وامنا بك
فاخذ عليهم صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت لتصدقنني ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين
ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة مثل تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما سالوا ووصفوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت
سقبا مثلها في العظم ومعنى سقبا اي ولدا فامن به جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد بقية
اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبي اوثانهم
ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال
لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في بئر في الحجر
يقال لها بئر الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتتفحج
حتى تفحج لهم اي تفرج ما بين رجليها فيحلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى
يملؤوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت

حتى اذا كانت من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاء الله من الماء ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة
فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء
تشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم
للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك وعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة
فاجمعوا على عقرها وكان امراتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت
عجوزا مسنة وهي امراة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم
والمراة الاخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة وكانتا من اشد
الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما
فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه
نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له
نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت
عنيزة بنت غنم قدار بن سالف لعنه الله وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان
ابن زنية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك
على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه ف عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه انه
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث
اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث يعني قام بسرعة والعارم
الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن اراده فانطلق قدار ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة
رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها
قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها
بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنيم وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت
من احسن الناس وجها فرآها قدار ثم ذمرته يعني حضته على عقرها واغرته به فشد قدار
على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن قدار في
لبتها فنحرها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا
منيعا يقال له صور وقيل قارة واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل وخرج
اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح
انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فرأوه على
الجبل فذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجاء صالح فلما
رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة
اجل يوم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من

التسعة

التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب
قلبه ثم جر برجله فانزله والقوا لحمه مع لحم امه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله
ونقمته قالوا وهم يستهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت
الاحد اول والاثنين اهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت
شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس
ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم
مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح عليه السلام ذلك قال التسعة الذين عقروا
الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا قد الحقناه بناقته فاتوه
ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطأوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم
قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلونه
ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا فلم تزيدوا ربكم الا غضبا
عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس وجوههم
مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا
قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل
على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه فعدوا الى
اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم
يعذبوننا لندلهم عليك قال نعم فدلهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي
وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما انزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا
بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني
اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا
باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة
كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم
ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الرابع تكفنوا وتحنطوا والقوا انفسهم
الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد
الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت
في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلف
وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجليها بعد ما عاينت العذاب واصاب ثمود
فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استسقت
ماء فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقر الناقة قال اوحى الله عز وجل الى صالح
عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه
سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر

الا قتلناه قال فولد تسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه
لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد احمر ازرق فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر
بالتسعة فراوه قالوا لو كان لنا ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان
سبب قتل ابنائنا فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فنرى الناس
انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه
فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله
وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل
كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده
فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط الغار عليهم فقتلهم فانطلق رجال
ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون يا
صالح تقتل اولادهم حتى قتلتهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق كان التسعة قد تقاسموا
على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدار فكان يشب
سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون الخمر فارادوا ماء يمزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب
الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة
ولو كنا ناخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا فقال الغلام
هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين
ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله
ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا
بها العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان
يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخاري رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل
الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما بعد فلا تسالوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة
فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وانهم من تحت الفصيل
من الغارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض
ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب
الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال
فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة
من قوم صالح اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت
ثم بنى الاربعة الاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة

وهو

وابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة انتهى ما ذكره صاحب اللباب والبغوي وفي
بعض التفاسير وروي انه خرج في مائة وعشرة وهو يبكي فلما علم انهم هلكوا رجع عن معه فسكنوا
ديارهم ولوطا اي وارسلنا لوطا او واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن اخي
ابراهيم وابراهيم عمه اذ قال لقومه اي ارسلنا وقت قوله لقومه والمراد بقومه اهل سدوم
واليهم كان قد ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام فنزل ابراهيم
ارض فلسطين وانزل لوطا الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم
القبيح اتاتون الفاحشة اي ادبار الرجال يعني اتفعلون الفعلة الخبيثة السيئة القبيحة
التي هي غاية في القبح والاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح واللام
للعهد كانه علم بين الفواحش لا يذهب الذهن الى غيرها ما سبقكم بها من احد من العالمين
الانس والجن اي ما فعلها قبلكم احد قط من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
والثانية للتبعيض وجيء بالجملة المستانفة للتوبيخ بعد الانكار كانه وبخهم باتيان الفاحشة ثم
باختراعها لان جرمهم مبتدع المعصية وفي الحديث ما قتل احد ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منه
لانه اول من سن القتل رواه البخاري وفي الحديث من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها قال
عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط انكم لتاتون الرجال قرا نافع وحفص
عن عاصم انكم بكسر الهمزة على الخبر المستانف على انه بيان لتلك الفاحشة وقرا الباقون بالاستفهام
المفضي للتوبيخ والتقريع والانكار وهذا ابلغ من قوله اتاتون الفاحشة في ذلك لانه يفيد بانهم
البتة فعلوا ذلك الفعلة الفاحشة فيفيد زيادة التاكيد شهوة مفعول له اي للاشتهاء يعني لا حامل
لكم عليه الا مجرد الشهوة او مصدر في موضع الحال اي مشتهين من دون النساء الاحق المباح
يعني ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء او اتاتون الرجال منفردين من النساء او تاتون
الرجال شهوة كاينة من دونهن وفي التقييد بالشهوة وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وابقاء النوع لا قضاء الوطر وفائدة قوله
دون النساء قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة بل انتم ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون
الحلال الى الحرام وعادتهم وخبرهم وتجهيلهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان
وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع
فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف وجاز واعتدى لانه وضع
الشيء في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليس محلا للولادة التي هي مقصوده بتلك الشهوة المركبة
في الانسان وكانت قصة قوم لوط عليه السلام على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير
انه كانت قرى قوم لوط مخصبة وثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم
وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما
الح الناس عليهم وقصدوهم ناصابوا غلمانا صباحا حسانا فاحتشوا فاستحكم ذلك فيهم قال
قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي

ان اوله من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت فقصدها اهل البلدان
فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في دبره فامر الله تعالى
السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وفي جامع الاسرار واخرج البيهقي عن عبد الله بن المبارك
قال دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه فاني ارى مع كل امراة شيطانا
ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا وذهب محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله الى ان اللواطة توجب الحد
وقال بعضهم لا توجبه بل يعذر فاعلها اخرج عبد الرزاق واحمد وابو داود والترمذي والنسائي
والبيهقي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من وجد تموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل و
المفعول به واخرج ابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط
لعن الله من عمل عمل قوم لوط واخرج الطبراني والبيهقي اربعة يصبحون في غضب الله تعالى ويمسون
في سخط الله قلت من هم يا رسول الله قال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال
والذي ياتي البهيمة والذي ياتي الرجال واخرج الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه لا ينظر الله عز وجل
الى رجل اتى رجلا او امراة في دبرها وقال ابن عباس ان اللوطي اذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا
قال شيخ الشيوخ اعني ابن حجر في الزواجر اختلف اهل العلم في حد اللوطي فذهب قوم الى ان حد الفاعل
حد الزنا ان كان محصنا يرجم وان لم يكن محصنا يجلد مائة وهو اظهر قولي الشافعي رحمه الله ويحكى ايضا
عن ابي يوسف ومحمد بن الحسن وعلى المفعول به عند الشافعي على هذا القول جلدة مائة وتغريب عام رجلا كان
او امراة محصنا او غير محصن وذهب قوم الى ان اللوطي يرجم ولو غير محصن رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن
ابن عباس وروي عن الشعبي وبه قال الزهري وهو قول مالك واحمد واسحق واحتجوا عليه بان الله تعالى
عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ما ثبت الى ان يرد الناسخ ولم يرد في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ما نسخه
فوجب الحكم ببقائه وروى حماد بن ابراهيم عن النخعي قال لو كان احد يستقيم ان يرجم مرتين لرجم اللوطي
والقول الاخر للشافعي انه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في الحديث قال الحافظ المنذري حرق اللوطية
بالنار اربعة ابو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك وروى ابن ابي الدنيا
ومن طريقه البيهقي باسناد جيد عن محمد بن منكدر ان خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما انه وجد رجلا يعمل عمل قوم لوط فجمع لذلك ابو بكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي
كرم الله وجهه فقال ان هذا ذنب لم تعمل به امة الا امة واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم ارى ان نحرقوه بالنار
فاجتمع راي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحرق بالنار فامر به ابو بكر ان يحرق بالنار فحرقه
خالد واجمعت الامة على ان من فعل بمملوكه فعل قوم لوط كان من اللوطية المجرمين الفاسقين الملعونين
فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين انتهى كلامه في الزواجر وكلامه نور حق يطابق الكتاب والسنة
كما لا يخفى على الراسخ فيهما قال الكلبي فلما استحكم ذلك في قوم لوط فظهر عجت الارض الى ربها فسمعت
السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله ان يحصبهم وامر الارض ان يخسف بهم وان
اللوطي تارة بقوله بل انتم قوم مسرفون وتارة بانهم قوم عادون وتارة بانهم قوم يجهلون وما كان
جواب قومه اي ما كان جواب قوم لوط للوط عليه السلام اذ وبخهم على فعلهم القبيح

سورة الاعراف

ما حرم الله تعالى عليهم من الفعل الخبيث الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم
من قريتكم اي اخرجوا لوطا واتباعه واهله بنته من بلدكم تخصيصه ان قوم لوط ما جاؤا بما
يكون جوابا عما نفاه عن كلامه من انكار الفاحشة ووصفهم بصفة الاسراف الذي هو اصل
الشر ولكن قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين والاستهزاء بهم فقالوا انهم
اناس يتطهرون من ادبار الرجال اي انهم يتنزهون عن فعلكم لانه موضع النجاسة ومن
تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن الاثام والمعاصي
فقد تطهر فلهذا قالوا انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام فانجيناه واهله اي
فانجينا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب وعلى هذا
فالمراد باهله ابنتاه الا امراته اي زوجته وهي واهلة استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر
كانت من الغابرين اي من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا وهي معهم لانها كانت كافرة وعبارة
اللباب كانت من الغابرين اي من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين
المعمرين قد اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من
الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين انتهى وفي بعض التفاسير
وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وفي التيسير معنى من الغابرين اي من الباقين في دارهم
فاصابها ما اصابهم وامطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل قد عجنت بالكبريت والنار
يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر فيكون قوله
تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل بيانا وتفسيرا لقوله وامطرنا عليهم مطرا والمعنى وامطرنا
عليهم نوعا من المطر عجيبا لان نزول الاحجار او الكبريت والنار بدل الماء امر عجيب فانظر كيف
كان عاقبة المجرمين اي انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا
الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه الصلوة والسلام فادخل جناحه تحت
مداين قوم لوط عليه السلام وكانت خمس مداين فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها
اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر المراد به نظر القلب وهو الفكر والبصيرة والخطاب وان
كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل من يتاتى منه النظر من امته ليعتبروا بما جرى على
اوليك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة وفي جامع الاسرار روي
ان لوطا لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما السلام من ارض بابل الى الشام نزل ابراهيم بفلسطين
وانزل لوطا بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله تعالى وينهيهم عما اخترعوه من
الفواحش فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم وقد قررنا نحو هذا المعنى عند قوله اذ قال لقومه وروي ان تاجرا من قوم
لوط كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه
وقد اشرنا الى نحو هذا مختصرا فلا تغفل قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله
يعني وارسلنا الى ولد مدين لان اكثر المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل مدين

بالالف ابن ابراهيم الخليل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين
اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدى وبنو اسد وقيل مدين اسم الماء الذى كانوا عليه وقيل
هو اسم للقبيلة وعلى هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله
اخاهم شعيبا يعنى فى النسب لا فى الدين وشعيب هو ابن توبة بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
قاله عطاء وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
وام ميكيل بنت لوط وقيل هو شعيب بن يثرون بن توبب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام
وكان شعيب عليه السلام يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وفصاحته و
طلاقة لسانه وغاية بلاغته فى تبليغ الاحكام والدعاء الى الله تعالى كان قومه اهل كفر وبخس
فى المكيال والميزان **قال** اى شعيب **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم** اى قد جاءتكم حجة ومعجزة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق
ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبى معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله
غير ان تلك المعجزة التى كانت لشعيب لم تذكر فى القران وليست كل ايات الانبياء مذكورة
فى القران وقيل اراد بالبينة مجئ شعيب عليه السلام بالرسالة اليهم وما روى من محاربة
عصى موسى التنين حين نام موسى وترك الغنم ترعى ومن ولادة الغنم التى دفعها شعيب
الدرع خاصة وكانت هى الموعودة لموسى من اولادها ومن وقوع عصى ادم فى يد موسى فى
التسع فمتاخرة عن المقاولة اذ كانت بعد تقرر نبوة شعيب فلم تكن فى معرض التحدى حتى تكون معجزة
لشعيب عليه السلام ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته بل هذا متعين لانه قد
روى ان موسى عليه السلام انما ادرك شعيبا بعد هلاك قومه وقيل اراد بالبينة الموعظة وهى قوله
فاوفوا الكيل والميزان اى فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم قال الاستاد معناه اوفوا
الة الكيل على الاضمار واطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعايش لاجل قوله والميزان هنا وكما فى سورة
هود حيث قال واوفوا المكيال والميزان فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان
مصدرا كالميعاد بمعنى الوعد فلا يحتاج الى تاويل الكيل بما ذكرنا **ولا تبخسوا الناس اشياء
هم** اى ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان
فى الكيل والوزن اذا انقصه وطففه قال السلطان وانما قال اشياءهم للتعميم بعد التخصيص
وللتنبيه على انهم كانوا يبخسون فى الجليل والحقير والقليل والكثير وذكر الكيل والميزان لعزة احتياج
الناس اليهما وقيل كانوا مكاسين عشارين لا يدعون شيئا الا مكسوه **ولا تفسدوا فى الارض
بعد اصلاحها** اى لا تفسدوا فى الارض بالكفر والظلم بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل والانبياء
والاولياء وكل نبى ورسول يبعث الى قوم فهو صلاحهم واضافة الصلاح الى الارض كاضافة
المكر الى الليل والنهار فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار اى مكركم فى الليل والنهار **ذلكم** يعنى
الذى ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك البخس والظلم **خير
لكم** اى مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس قال الشيخ المراد بالخيرية اما الزيادة المطلقة او فى

الامانة

سورة الاعراف

الامانة وحسن الاحدوثة اى ذكر الجميل فى الدنيا فقط اذ لا خير فيما كانوا عليه او الزيادة
فى الكسب والربح لان الناس اذا عرفوا منكم الامانة والعدالة رغبوا فى متاجرتكم ولانه لا بركة
مع الخيانة **ان كنتم مؤمنين** اى ان كنتم مصدقين بما اقول لكم لانهم لم يكونوا من الايمان
فى شئ قال السيوطى اى ان كنتم مريدى الايمان فبادروا اليه ودعوه **ولا تقعدوا
بكل صراط توعدون** يعنى ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من
طرق الدين والحق وتمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم وتخوفونهم على ذلك
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب
قال السيوطى معنى توعدون اى تخوفون الناس باخذ اثيابهم او المكس منهم والاول اقرب
لقوله تعالى **وتصدون عن سبيل الله من آمن به** يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله
عن دينه وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل واخذ المال قال ابن عباس رضى الله عنهما
كانوا يجلسون على الطرق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذى تريدون كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم واضافة السبيل اليه مثل بيت الله وناقة الله **وتبغونها عوجا** اى وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبهة او وصفها للناس بانها معوجة وتريدون اعوجاج الطريق
عن الحق وعدولها عن القصد وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى
والرشاد ثم ان شعيبا عليه السلام ذكرهم بانعم الله عليهم بقوله **واذكروا اذ كنتم
قليلا فكثركم** يحتمل لذلك ثلثة اوجه اى كثر الله عددكم بالبركة فى النسل وقت كونكم قليلى
العدد او كنتم مقلين فقراء فجعلكم اغنياء مكثرين موسرين بالمال او كنتم ضعفاء لا قدرة لكم فكثركم
بالقدرة بعد الضعف فى البدن وخلاصته اكثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله
عليكم واعبدوه **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** يعنى وانظروا وتدبروا نظر اعتبار
ما نزل بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله
من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط لقوله وما قوم لوط منكم ببعيد فانظروا كيف
ارسل الله عليهم حجارة من السماء بما عصوه وكذبوا رسله **وان كان طائفة منكم آمنوا
بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا** يعنى قال شعيب لقومه وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم
فرقتين فرقة آمنت بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت **فاصبروا** اى انتظروا
وتربصوا فيه وعيد وتهديد **حتى يحكم الله بيننا** يعنى حتى يقضى الله بيننا ويفصل بيننا
فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم بقوله وكان حقا
علينا نصر المؤمنين **وهو خير الحاكمين** اذ يستحيل فى حقه الظلم ولا معقب لحكمه ولا حيف
فيه والحاصل انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض
الاشخاص حاكما على صورة المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين
قال الملأ الذين استكبروا من قومه اى من قوم شعيب عليه السلام يعنى قال الجماعة من
اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب **لنخرجنك**

يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب
لم يلتفتوا الى نصحه وقابلوه على داب السفهاء بما يكره وهو احد الامرين اما اخراجك عن القرية
ومن تبعك على دينك او لترجعن وتعودن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه من الكفر والضلالة
والتدوير بالقسم لفرط الاهتمام به وهذا فيه اشكال بيانه ان شعيبا عليه الصلاة والسلام
لم يكن قط اى لا قبل النبوة ولا بعده على دينهم وملتهم حتى يعود ويرجع على ما كان عليه اولا
فما معنى قوله او لتعودن واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب عليه السلام كانوا قبل
الايمان به على ملة اولئك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب تبعا
وان لم يكن هو عليه السلام على ملتهم اصلا وقطعا وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود
على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق
منه مكروه اصلا كما قال الشاعر ۞ فان تكن الايام احسن مرة ۞ الى فقد عادت لهن ذنوب
اراد الشاعر فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان ودفع
الاشكال بعبارة اخرى قال الشيخ فان قلت كيف معنى او لتعودن في ملتنا ومعنى ان عدنا في ملتكم ومعنى
بعد اذ نجانا الله منها والكفر على الانبياء محال قبل النبوة وبعده قلت اراد عود قومه الا انه نظم
نفسه في سلكهم وحملتهم على حكم التغليب يعني به لما غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو واتباعه
بخطابهم وعلى التغليب اجاب شعيب قومه بقوله قال شعيب أ نعود في ملتكم أولو كنا
اى انا واتباعي حيث ما قال او لو كنت كارهين لملتكم ودينكم والمعنى كيف نعود فيها ونحن كارهون
لها اى اتعيدوننا في حال كراهتنا وبغضنا لدينكم بتخصيصه لا نعود في ملتكم ولا نلحق بكم وان اكرهتمونا
واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يعني ان شعيبا عليه السلام اجاب قومه اذ دعوه ومن آمن
به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حين
العود ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان
ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك ومعناه بعبارة اخرى قد اختلقنا على الله كذبا
وتعرضنا عليه من القول باطلا وزورا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه
من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وقيل انه جواب قسم محذوف
حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا والاشكال في ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
كالاشكال في قوله او لتعودن والجواب عن هذا كالجواب عن ذلك يعني وهو ان نقول ان الله نجى
قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا عليه السلام نظم نفسه في جملتهم وان
كان بريئا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا
قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصها منها وما يكون لنا اي ما يصح أن نعود فيها الا أن
يشاء الله ربنا ارتدادنا وفي الغاية معناه اي يستحيل ذلك العود منا الا اذا علقت مشيته
به فانه يقع لا محالة وهذا صريح في ان الكفر بمشية الله تعالى والاية دامغة للمعتزلة وقال

الاستاذ معناه وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله
ارتدادنا وخذلاننا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله تعالى ان نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء
الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيته علينا وقال الواحدي معنى العود هنا الابتداء والذي عليه
اهل العلم والسنة في هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا الله على انها
ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله تعالى غير خارجة عن قبضته
يسعد من يشاء بالطاعة ويشقي من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشية ولم تزل
الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وعلى جده ابراهيم وسلم كثيرا
ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يكون قد سبق في علم الله ومشيته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله تعالى وسع ربنا كل شيء علما
يعني انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشياء كما
فالسعيد من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى وفي الغاية وما علمه لا يبدل وقرعه ايمانا
وكفرا قال الشيخ والمعنى اي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم يعني احاط علمه كل شيء مما يكون
منا ومنكم والحاصل هو عالم بكل شيء فهو يعلم احوال العباد كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وفي
الجامع في معنى الا ان يشاء الله يعني هذا صريح في ان الكفر بمشية الله وذلك مما لا يكاد يقع كما ينبئ
عنه قوله ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم في هذا المقام مما ينبئ عن عدم مشيته
تعالى ارتدادهم وخذلانهم وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلايل
عدم مشيته لعودهم فيها اذ اللايق للكريم ان لا يشاء عودهم فيها بعد تنجيتهم مع اعتصام نبيه
شعيب به خاصة يعني دون قومه كما يدل عليه قوله على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان
ويخلصنا من الاشرار ويتم هذه النعم علينا يعني على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه
الكافي لمن توكل عليه بتخصيصه على الله توكلنا الا على غيره فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ولما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعاء فقال ربنا
اي اقض واحكم فافصل بيننا وبين قومنا بالحق اي بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف يعني
بحكمك الذي هو الحق المبين قال القاضي والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة وانت خير الفاتحين
يعني خير الحاكمين والكاشفين بين الخلق قال الفراء ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح شعر
الا ابلغ بني عصم رسولا فاني ۞ عن فتاحتكم غني ۞ اي عن حاكمهم وقاضيهم وكان ابنة ذي يزن
تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك وعند جمهور المفسرين الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح
اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجايز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا
حتى ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى
كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتمييز وقال الملأ الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون يعني وقال جماعة من اشراف قوم

شعيب ممن كفر به لآخرين منهم والله لئن اتبعتم شعيباً على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه
انكم اذاً لخاسرون يعني انكم لمغبونون في فعلكم لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه وقال
عطاء جاهلون وقال الضحاك عجزة فأخذتهم الرجفة يعني الزلزلة الشديدة وهكذا في سورة
العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من
مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى وفي المنا وقيل اتاهم
العذاب من فوقهم ومن تحتهم وقال القاضي وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
فأصبحوا في دارهم جاثمين اي في منازلهم اي ميتين قصة اهلاكهم على ما رواه ابن عباس
رضي الله وغيره هو ان الله فتح على قوم شعيب باباً من جهنم فارسل عليهم حراً شديداً فاخذ
بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليتبردوا فيها فوجدوها اشد حراً
من الظاهر فخرجوا هرباً الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم
وهي الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً فنادى بعضهم بعضاً حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة
رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا
كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا رماداً وروي ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط
عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيباً الى اهل الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب
الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا
جميعاً قال ابو عبد الله البجلي كان ابو جاد • وهوز • وحطي • وكلمن • وسعفص • وقرشت
ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب عليه السلام يوم الظلة اسمه كلمون فلما هلك قالت
ابنته شعراً تبكيه وترثيه به كلمون هد ركني ... هلكه وسط المحلة ... سيد القوم اتاه الحتف
ناراً تحت ظلة ... جعلت ناراً عليهم ... دارهم كالمضمحلة ... هكذا ذكره في اللباب وفي معالم التنزيل
وقوله تعالى الذين كذبوا شعيباً مبتدأ كأن اي كأنهم لم يغنوا فيها خبره قال ابن
عباس في معنى كأن لم يغنوا فيها اي كأن لم يعيشوا في القرية متنعمين مستغنين يعني استؤصلوا
بالمرة وصاروا كأنهم لم ينزلوا ولم يقيموا بقريتهم اصلاً اي عوقبوا بتكذيبهم وصاروا هم
المخرجين من القرية اخراجاً لا دخول بعده ابداً والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى
قال الشاعر ... ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الاوتاد ... اراد فيها اقاموا
الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين اي الكاملين في الخسران ديناً ودنيا بانفسهم واموالهم
لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين فتولى عنهم اي فاعرض
عنهم شعيب عليه السلام شاخصاً من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر شعيب على
نفسه تأسفهم فقال فكيف آسى اي فكيف احزن على قوم كافرين يعني ليسوا اهل حزن
لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد
بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق لم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم

وقرئ

وقرئ فكيف ايسى بامالتين واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على قولين
سبقا في قصة هود عليه السلام وما ارسلنا في قرية والقرية مجمع القوم فتشمل المدينة من
نبي ومن من مزيدة لتأكيد النفي وصفة نبي محذوف تقديره من نبي كذب الا اخذنا اي عاقبنا
اهلها بالبأساء والضراء قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض يعني عاقبنا
اهل ذلك القرية التي تكذب النبي بشدة الفقر والمرض لعلهم يضرعون اي لكي يتضرعون
ويتذللوا ويتبعوا الانبياء ويحطوا اردية الكبر عن اكتافهم والمراد من قوله وما ارسلنا في قرية
الخ ان الله عز وجل لما عرّف نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه
من اخبارهم وعرّفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب
عرّفه في هذه الاية انه قد ارسل رسلاً الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالبأساء والضراء
كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير للكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا
عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين الله تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط
واحد وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا
اي اعطينا مكان السيئة اي العذاب الحسنة اي الغنى والصحة لان ورود النعمة على البدن
والمال بعد الشدة والضيق تستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة
كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل والمعنى اعطيناهم بدل ما كانوا
فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين كقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات
والسيئات حتى عفوا اي كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات اذا كثر
وتكاثر قال مجاهد حتى كثرت اموالهم واولادهم قال الشيخ معنى عفى اي كثر وطال ومنه اعفاء
اللحية اي توفيرها وتكثير شعرها قال عليه الصلاة والسلام اعفوا اللحى اي وفروها وكثروها
وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعدما صاروا الى الرخاء والسعة قد مس آباءنا الضراء
والسراء يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديماً وحديثاً لنا ولآبائنا ولم يكن ما مسنا من
الشدة والضراء عقوبة لنا من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم من قبل
فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضراء والسراء فبين الله تعالى انه ازال عذرهم
وازاح علتهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك بل فسدوا على التقديرين فاخذناهم بغتة
اي اخذناهم بالعذاب فجأة اشد الاخذ وافظعه امن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم
وندامتهم وهم لا يشعرون بنزول العذاب بهم كما فعل بقوم هود ظنوا ان في الغيم مطراً
فكان فيه ريح فيه عذاب اليم وقوم لوط كانوا نائمين على فرشهم وقت السحر والمراد بذكر هذه
القصة بل جميع القصص اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب ولو ان اهل
القرى آمنوا واتقوا يعني ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا المدلول عليها بقوله
وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل اراد بها مكة وما حولها يعني انهم لو آمنوا بالله وبرسوله
واطاعوه فيما امرهم به واتقوا عما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات

من السماء والارض اى لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب والمراد من بركات
السماء المطر ومن بركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق
والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت
الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض
لانه نشأ من بركات السماء وهى المطر وقال البغوى اصل البركة المواظبة على الشئ اى تابعنا عليهم
بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب وقرأ ابن عامر لفتحنا
بالتشديد واخرج ابن ابى حاتم عن موسى الطائفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز
فان الله انزله من بركات السماء واخرجه من بركات الارض وفى رواية من يتبع ما يسقط من
السفرة غفر له واخرج ابن ابى شيبة عن الحسن قال كان اهل قرية اوسع الله عليهم حتى كانوا
يستنجون بالخبز فبعث عليهم الجوع حتى انهم كانوا ياكلون ما يقعدون به ولكن كذبوا
الانبياء والرسل فاخذناهم اى فعاقبناهم بما كانوا يكسبون من المعاصى والكفر والاعمال
الخبيثة والحاصل انهم فعلوا وصنعوا ما صنعوا فاخذناهم بسبب افامن اى ابعد ذلك
امن اهل القرى المكذبون او اهل مكة وما حولها وهو استفهام بمعنى الانكار وفيه تهديد وزجر
والفاء عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك
امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا اى عذابنا بياتا اى ليلا اى بائتين داخلين فى الليل
وهم نائمون اى غافلون عن الباس او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى
يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار قال الشيخ الضحى ارتفاع الشمس قدر رمح قال فى ضرام السقط
اول اليوم الفجر وبعده الصباح ثم الغداء ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجيرة ثم الظهر ثم
الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الاصيل ثم العشاء الاول ثم العشاء الاخير وذلك عند مغيب
الشفق انتهى وهم يلعبون اى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من
الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى
بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها
لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم فى كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع قرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر او بسكون الواو على الترديد والباقون بفتحها افامنوا مكر الله تقرير لقوله
افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فان اصل
المكر اظهار المحبوب واخفاء المكروه وان شئت قلت اضرار احد من غير ان يشعر به فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون الفاء متعلقة بمحذوف كانه قيل فلما امنوا خسروا فلا يامن
اى الذين خسروا انفسهم بالكفر وترك النظر والاعتبار حتى صاروا الى النار يعنى انه لا يامن ان
يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر فى اخراه وهلك مع الهالكين وعن
الشبلى قدس الله روحه العزيز مكره سبحانه وتعالى بهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع
ابن خثيم لابيها مالى ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد
قوله تعالى

قوله تعالى ان ياتيهم باسنا بياتا اولم يهد اى اولم يتبين قرأ قتادة ويعقوب نهد بالنون
على التعظيم والباقون بالياء للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى اولم يبين للذين
يرثون الارض بالسكنى فيها من بعد اهلاك اهلها الذين كانوا من قبلها فورثوها عنهم وخلفوهم فيها
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى ان الشان لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم
بجزاء ذنوبهم وكفرهم كما اصبنا وعاقبنا من قبلهم وهو فاعل يهد على القراءة الاولى ومعنى
لم يتبين هذا الشان الطريق المستقيم لهم وعلى القراءة الثانى تكون ان مع ما فى حيزها مفعول نهد
ونطبع اى ونحن نختم على قلوبهم فهم لا يسمعون اى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون
الايمان والحاصل لا يسمعون اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها بما فى تضاعيفها
من انواع الهداية قال الزجاج والفراء قوله ونطبع كلام مستانف وقال السلطان وغيره عطف
على ما دل عليه اولم يهد اى لا يهتدون ويغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل وقال البناء
ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم كما ذكرنا ويجوز عطفه على الماضى يعنى
اصبنا ولفظه لفظ المستقبل والمعنى لو شئنا طبعنا على قلوبهم وقال السلطان لا يجوز عطفه
على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب لو لا فضائه الى نفى الطبع عنهم تلك القرى
مبتدا اى القرى المهلكة التى ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود
وقوم لوط وقوم شعيب وخبره قوله نقص عليك من انبائها يعنى نخبرك عنها وعن اخبار
اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين
امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم
رسلهم ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات اى وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم والقرى المهلكة
رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكاثرة المتواردة عليهم الواضحة الدالة على صحة رسالته
الموجبة للايمان به حتما فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف المفسرون فى معنى فما كانوا
الخ قال ابن عباس والسدى معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين اهلكناهم من اهل القرى
ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين
اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وقال السدى يعنى
امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم
العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اهلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجئ الرسل بما سبق
لهم فى علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابى بن كعب
كان سبق لهم فى علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يؤمنون وقال الربيع بن انس يحق على
ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم وان لا ياتوا علم ما اخفى الله عنهم فان علمه
نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال الله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع

من المعاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال بالصواب
قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك انه من سبق في علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن
ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون
ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما عاهدهم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسول وعند مجيئهم
اليهم **كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين** يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنوا من قومك يا محمد **وما
وجدنا لاكثرهم من عهد** اي ما وجدنا لاكثر الناس من وفاء بعهدهم والآية اعتراض قال
الاستاد ومعناه وما وجدنا لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد
من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق حين اخرجهم من صلب
آدم قال ابن عباس رضي الله عنهما انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم
هم به **وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين** وان مخففة ووجدنا بمعنى علمنا واللام لام الفارقة
ولا يصح دخولها ان المخففة عند الجمهور الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند بعض الكوفيين
ان ان نافية واللام بمعنى الا والمعنى على الاول اي وان الشأن علمنا بان اكثرهم خارجون عن الطاعة
مارقون عن الدين متمردون ناقضون للعهد وعلى الثاني اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين خارجين
عن طاعتنا وامرنا قلت والمعنى الاول اوفق للقواعد العربية والله اعلم **ثم بعثنا من بعدهم** الضمير
للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم قال الاستاد معناه ثم بعثنا من بعد الانبياء الذين
تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام **موسى** وانما لم يتبع قصة
موسى في تلك القصص لاشتمالها على وقايع كثيرة وغرايب عجيبة عظيمة **باياتنا** اي بالمعجزات
التسع والحجج الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك على ما سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى
الى فرعون وملائه الذين هم كالبلد الخبيث لا يخرج عنهم نبات الايمان اصلا قيل ان كل من
ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك
الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون لعنه الله الذي ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن
مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملا الجنود واشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن
الاشراف امن الاتباع هكذا في اللباب قال البيضاوي وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك
فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وقيل الفرعون باللام التمساح
لقب الوليد ولشهرته بالعتو والطغيان يشتق من اسمه الفعل فيقال تفرعن لكل من طغى وتجبر
فظلموا بها اي فكفروا بالآيات وجحدوها اجري الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد قال
اسان الشرك لظلم عظيم او ظلموا الناس بسببها حين اوذوا من آمن بها او لانه اذا وجب الايمان
بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف
اهلكناهم وفي الغاية الخطاب عام انتهى وكيف خبر كان وعاقبة المفسدين اسمه والجملة في محل

سورة الاعراف

النصب مفعول انظر وفي الجامع المراد بهم الكافرون المكذبون بالرسل **وقال موسى** عليه
الصلاة والسلام حين دخل هو واخوه هارون على فرعون وهو مضطجع على ثم بعثنا **يا فرعون
اني رسول من رب العالمين** اي اني رسول اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله خالق
الخلق وهو سيدهم ومالكهم وهو الذي ارسلني اليك وانما وصفه برب العالمين ليدخل هو
فيه قال له فرعون لعنه الله كذبت فقال له موسى عليه السلام **حقيق** اي واجب **على ان
لا اقول على الله الا الحق** يعني اني رسول من رب العالمين والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه
وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره بيانه بعبارة اخرى اي واجب وحق على اداء الرسالة على
الوجه المطابق لنفس الامر هذا على قراءة التشديد كما هو قراءة نافع واما على قراءة غيره بسكون
الياء فمعناه انا حقيق اي جدير ولائق بان لا اقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كقولهم
رميت على القوس اي بالقوس وجيت على حال حسنة اي بحال حسنة ويؤيده قراءة ابي
بالباء فانه قرأ حقيق بان لا اقول قال الاستاد معناه على قراءة غير نافع اي اداء الرسالة حق
واجب على القول الحق ان اكون انا قايله لا يرضى الا بمثله ناطقا به وقال ابو عبيدة معنى حقيق اي
حريص يعني انا حريص على ان لا اقول على الله الا الحق والله اعلم **قد جئتكم ببينة من ربكم**
اي ببرهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد بينته معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم
ان موسى لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال **فارسل معي بني اسرائيل**
يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل واستعملهم
في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة وفي المدارك معناه
فخلهم يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي
غلبت فرعون نسل الاسباط واستعبدوهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي
دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام **قال** فرعون **ان كنت جئت
باية فات بها ان كنت من الصادقين** يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ
الرسالة ان كنت جئت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتني بها واحضرها
عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت قال ابو منصور دلت الاية على ان اللعين عرف
نبوته نفسه والتلبيس بالحيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده
اله لقال متى ارسلك ولم يطلب منه الاية **فالقى عصاه** قال ابن عباس العصا اعطاه جبريل
حين توجه الى مدين وقالوا كانت من الجنة حملها آدم منها الى الدنيا وهي من الآس **فاذا
هي ثعبان مبين** اي بين ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا والثعبان الذكر من الحيات وصفه
هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات لعظيم الضخم ووصفه في اية اخرى كانها جان والجان
الحية الصغيرة البيضاء والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت في عظيم الجثة كالثعبان العظيم
وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس والسدي انه لما القى العصا
صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من

الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل فى الارض ولحيها الاعلى على سور
القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث فى ذلك
اليوم اربعماية مرة وقيل استطلق بطنه من الخوف ولم يكن احدث قبل ذلك بل كان يستفرغ ما
ياكله وقيل انها اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم
بعضا فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى
انشدك بالذى ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فعادت فى يده عصا
كما كانت وفى كون الثعبان المبين وجوه الاول انه تميز وبان ذلك عما عملته السحرة من التمويه
والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبياء عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثانى انهم
شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين الوجه
الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كانه ابان صدق قول موسى فانه
رسول من رب العالمين ونقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهارون عليهما السلام لما
دخلا دار فرعون وتقاما بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعا بها فقال لا اله الا الله الحليم
الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم انى
ادرأ بك فى نحره واعوذ بك من شره واستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت فتحول ما فى قلب
موسى من الخوف امنا وتحول ما فى قلب فرعون من الامن خوفا فمن دعا بهذا الدعاء وهو خائف امنه
الله ونفس كربته وخفف عنه كرب الموت انتهى واخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال عصا
موسى اسمها ماشا واخرج ايضا ابن ابى حاتم عن مسلم قال عصى موسى هى الدابة يعنى دابة الارض
وقال الحسن ولما عاين ذلك يا موسى ارجع بومك هذا وكف ثعبانك هذا قاله سرا دون اصحابه
وقال لاصحابه ان هذا لساحر عليم ثم لما راى فرعون عجايب العصا قال هل من اية غيرها **ونزع**
يده اى اخرج يده من جيبه او من تحت جناحه **فاذا هى بيضاء للناظرين** اى بيضاء
بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار اى ذات شعاع لهم لا الفا كانت
بيضاء فى جبلتها روى ان موسى عليه السلام كان ادم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه
وتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ثم ردها الى كمه
ثم اخرجها فاذا هى لونها الاول قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير
سوء يعنى من غير برص وانما قال من غير سوء لانه لما كان البياض المفرط عيبا فى الجسد وهو البرص
قال فى اية اخرى بيضاء من غير سوء والحاصل فاذا هى منيرة لها شعاع كشعاع الشمس تكل منها
الابصار يسطع نورها فى السماء فاضاء الارض بياضا عجيبا يتعجب منه فان قيل ما الحكمة
فى القاء العصى ونزع يده من جيبه وتغيرهما بعد ذلك ولم لم يغيرهما الله وهما بحالهما قلت
واعلم الله ذلك بعد اخراجه من سلطانه ويده بيده ليعلم انهما صارتا كذلك بصنع الله
لا بفعله فانها صارت حية بعد ما اخرجها من يده وصارت يده بيضاء بعد ما غيبها عن الشمس
ليعلم انهما صارتا كذلك بالله لا به والمعجزة على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة
ولكن

ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
كتمنى الموت فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فما اجترءوا على تمنيه مع قدرتهم عليه علما
انه من عند الله ودل على صدق نبينا صلى الله عليه وسلم مع حرص اليهود على تكذيب
النبى عليه السلام الضرب الثانى ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب
العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من
بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التى عجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبى بشئ من تلك
المعجزات الخارجة الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذى
اظهر ذلك المعجز على يد نبيه لتكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت
بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل
سبق لها واخراجها من العدم البحت المحض الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخرق
العادات سبحان من هو باين عن خلقه وليس كمثله شئ قوله تعالى **قال الملأ من قوم فرعون**
ان هذا اى موسى **لساحر عليم** يعنون انه لياخذ باعين الناس حتى يخيل اليهم العصى
حية والادم ابيض ويرى الشئ بخلاف ما هو به وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب
فى ذلك الزمان فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا الساحر عليم اى فايق فى علم السحر وفى الشعراء انه
من قول فرعون نفسه فكانهم قالوه معه على التشاور والسحر لطف الحيلة فى اظهار عجوبة
توهم انها من خرق العادة لخفاء سبيلها فقال فرعون عدو الله ورسله ولكل نبى وولى
تنفيرا لهم من موسى كليم الله **يريد ان يخرجكم** بسحره **من ارضكم** يعنى يريد موسى ان
يخرجكم ايها القبط من ارض مصر **فماذا تأمرون** بفتح النون وما فى محل النصب على
انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار كما قاله بعضهم والتقدير باى شئ تامرونني ان نفعل
به خبث الملعون عند غلبة سلطان المعجزة نسى دعوى الربوبية ومرتبة كونه امرا ناهيا
لهم فخاطبهم خطاب الاذلاء المقهورين المكلفين المامورين فماذا تامرون **قالوا** اى الملأ
لفرعون عند تحيره **ارجه واخاه** هارون وكان معه على ما ذكر فى موضع اخر قرا ابو بكر
وابو عمرو ويعقوب ارجئه بهمزة ساكنة وهاء مضمومة من ارجأت وكذلك قرا ابن
كثير وابن عامر فى رواية هشام ارجئهو بهمزة ساكنة وهاء ساكنة متصلة بواو على الاصل
وقرا نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى ارجهى بهاء متصلة بياء من ارجيت
بمعنى اخرت وهما يشبعان الهاء كسرا وفى رواية قالون ارجه بهاء مكسورة بغير ياء للاكتفاء
بالكسرة عنها وقرا حمزة ارجه بسكون الهاء لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل رجه كابل
فى اسكان وسطه وقرا ابن عامر فى رواية ذكوان ارجئه بالهمز وكسر الهاء ووجه ان
الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها والمعنى اخر امرهما حتى تنظر فى امرهما فلا تقتلهما
ولا تؤمن بهما فان هذا يدل على تقدم شئ فكانه هم بقتله فقالوا اخر قتله ليتبين سحره عند
الخلق جميعا فلا يتبعهما انهما صادقان ويدل على ذلك قوله تعالى وقال فرعون ذروني

اقتل موسى ومن فسر الارجاء بالحبس فما اصاب المراد لان فرعون ما كان يقدر على حبس
موسى بعد ما راى من امر العصا ما راى وَاَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ اى مداين صعيد مصر
حَاشِرِينَ يعنى رجالا يجمعون ويحشرون اليك السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم
قالوا لفرعون ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك وهم الشرط يحشرون الكثير فيها
من السحرة وكان رؤساء السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه وتبعناه
وان غلبوا على موسى علمنا انه ساحر فذلك قوله يَاْتُوكَ اى الشرط بِكُلِّ سَاحِرٍ
قراءة الجمهور سحار بتشديد الحاء بعدها الف وقراءة ايضا بسين بعدها الف والفرق بين الساحر
والسحار ان الساحر هو المبتدى فى صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذى
يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذى يدوم سحره
ويعمل فى كل وقت عَلِيمٍ يعنى ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحق والسدى
ان فرعون لعنه الله لما راى من سلطان الله وقدرته فى العصا قال انا لا نقابل موسى
الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بنى اسرايل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر
فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاؤا ومعهم معلمهم
فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان
يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون فى مملكته فلم يترك ساحرا الا اتى
به واختلفوا فى عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين
اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بنى اسرايل وقال الكلبى كان الذين
يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا
اثنى عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال
محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدى كانوا بضعا وثمانين الفا ويقال رئيس القوم
شمعون وقيل يوحنا وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ اى لما اجتمعوا وجاؤا الى فرعون قَالُوا
اى السحرة لفرعون اِنَّ لَنَا لَاَجْرًا اى جعلا وعطاء تكرمنا به قرا اهل الحجاز وحفص
ان لنا على الخبر من غير استفهام وقرا الباقون بالاستفهام ولم يختلفوا فى الشعراء انه مستفهم
اِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ يعنى لموسى قال الامام فخر الدين ولقايل ان يقول كان من حق الكلام
ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ
جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قَالَ نَعَمْ اى قال السحرة
فرعون لكم الاجر والعطاء وَاِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ اى ولكم المنزلة الرفيعة عندى مع الاجر يعنى
لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة انى اجعلكم من المقربين عندى قال
الكلبى تكونوا اول من يدخل على واخر من يخرج من عندى قَالُوا اى السحرة يَا مُوسٰى
اِمَّا اَنْ تُلْقِىَ اى عصاك وَاِمَّآ اَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ يعنى عصينا وحبالنا خيروا موسى اما مراعاة
للادب او اظهارا للجلادة قال الاستاد وههنا دقيقة لطيفة وهى ان السحرة راعوا مع موسى
عليه السلام

عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم فى الالقاء الجرم ان الله عز وجل عوضهم
حيث تادبوا فى الظاهر مع نبيه موسى ان من عليهم بالايمان والهداية قَالَ اى قال لهم
موسى اَلْقُوا يعنى انتم فقدمهم على نفسه فى الالقاء اكراما وتسامحا او استهزاء وثوقا
على شانه فان قلت كيف جاز لموسى ان يامرهم بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر والنهى
عنه فرض والجواب ان معناه ان كنتم محقين فى القائكم فالقوا والا فلا تلقوا او امرهم بالالقاء
اى لا واذن لهم فى ذلك توسلا به الى اظهار الحق يعنى امرهم بالالقاء لتظهر معجزته لانه
اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى فى عصاه او علم موسى عليه السلام
انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير فى التقديم والتاخير فاذن لهم
فى التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبتهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلبة وظهور عليهم فلهذا
المعنى امرهم بالالقاء اولا فَلَمَّا اَلْقَوْا اى حبالهم وعصيهم سَحَرُوا اَعْيُنَ النَّاسِ
اى صرفوها عن حقيقة ادراك المسحور به موهوا وخيلوا اليهم ما لا حقيقة له والفرق
بين السحر والمعجزة ان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشىء والمعجزة قلب نفس
نفس الشىء وحقيقته كقلب عصى موسى عليه السلام حية تسعى وَاسْتَرْهَبُوهُمْ اى خوفوا
الناس وارهبوهم حيث خيلوا عصيهم وحبالهم فى اعين الناس حيات تسعى وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ فى بابه وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كامثال
الجبال قد ملات الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا
داخل تلك العصا زيبقا والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها
على البعض حتى تخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سقفها سرب فى ميل وصارت
كلها حيات وافاعى ففزع الناس من ذلك واوجس فى نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة
لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله انهم
لن يغلبوهم وهو غالبهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزة هو من باب
السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه
عليه السلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام
ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس فى نفسه خيفة موسى وَاَوْحَيْنَآ
اِلٰى مُوسٰى اَنْ اَلْقِ عَصَاكَ فالقاها فصارت حية فَاِذَا هِىَ تَلْقَفُ قرا حفص تلقف ساكنة
اللام خفيفة القاف وقرا الاخرون بفتح اللام وتشديد القاف اى تبتلع سريعا مَا يَاْفِكُونَ
اى ما يكذبون فيه ويزورونه يعنى ما يقلبون بتمويههم لان اصل الافك قلب الشى وصرفه
عن غير وجهه قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى ان لا تخف والق عصاك فالقاها
فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فقال
بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هى تلقف اى تبتلع كل شى اتوا
به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم

الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون
الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت اول مرة فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه
من امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا
سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى فوقع الحق يعني فظهر وثبت الحق الذي جاء
به موسى وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لازداد جرم العصا او لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا
ان ذلك من امر الله وقدرته فغلبوا هنالك اي في ذلك الزمان او المكان الذي
هلك فيه اللقم غلب فرعون وسحرته وجنوده وانقلبوا صاغرين اي صاروا اذلاء
مقهورين بين الناس او رجعوا اذلاء مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني خروا
لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به او جعلهم ملقين على
وجوههم كانما القاهم ملق لشدة خرورهم ولم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا فكانوا
اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة رضي الله عنهم وكذلك قالوا اي القوا
ساجدين قائلين امنا برب العالمين اي تبرؤا من كفرهم وامنوا بربهم ولما سمعوا من
موسى وهارون حين اتيا فرعون ما قالا انا رسول رب العالمين حفظوا هذا الاسم ففهموا
يوم القاء العصا فتكلموا به وهكذا ينبغي لمن سمع علما ان يحفظه وان كان لا يعمل به في الحال
لانه ينفعه في المآل ولما قالوا امنا برب العالمين فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب
موسى وهرون فبهت فرعون لردهم عليه وابدال الثاني من الاول وانما ابدلوا لئلا يتوهم
فرعون بانهم ارادوه به وضموا الى موسى هارون لان فرعون قد ربى موسى صغيرا
فلما قالوا وهارون زالت الشبهة بالكلية وعرف الكل بانهم كفروا بفرعون وانما قدموا
السجود على الايمان شكرا على ما هداهم اليه والهمهم بذلك فلا اعتراض فان قيل كيف حكى الله عن
السحرة في هذه السورة بقالوا امنا الى وتوفنا مسلمين ثم حكى عنهم هذا المعنى في سورة طه والشعراء
بزيادة ونقصان في الالفاظ المنسوبة الى السحرة وهذه الواقعة ما وقعت الا مرة واحدة قلنا
لان بعضهم تكلموا بخلاف عبارة صاحبه فكرر الله لنا اختلاف عباراتهم وحكمة اقتضت التكرار
والاعادة وهي تاكيد التحدي واظهار الاعجاز وايضا محاوراتهم كانت بلغتهم لا بالعربية فمرة
حكى الله الحكاية مطابقا للفظهم في الترجمة رعاية للفظ ومرة حكاها بالمعنى جريا على عادة
العرب في التبيين في الكلام والمخالفة بين اساليبه كيلا يمل اذا محض تكراره قال فرعون
للسحرة حين امنوا امنتم به اي بموسى وصدقتموه قبل ان اذن لكم اي قبل ان امركم بالايمان
به واذن لكم فيه قرا حفص امنتم على الخبر ههنا وفي طه والشعراء وقرا الاخرون بالاستفهام
اي اامنتم بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة يعني ان
هذا الصنع الذي صنعتما انتم وموسى في مدينة قبل خروجكم الى هذا الموضع والميعاد يعني الا
على ما قاله ابن زيد وذلك ان فرعون راى موسى قبل خروجه الى الميعاد يحدث كبير السحرة
بان قال

سورة الاعراف

بان قال له ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به حق قال الكبير منهم لاتين غدا بسحر
لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لاومنن بك ولاشهدن انك حق وفرعون ينظر اليهما
وظن انهما قد تواطآ عليه وعلى اهل مصر ولهذا قال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اذا التقيتما
لتخرجوا منها اهلها يعني لتستولوا على القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل ثم قال فرعون اظهارا
لقوته وتخويفا لهم فسوف تعلمون اي فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر وعيده فقال
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فخالف
بينهما في القطع ثم لاصلبنكم اي لاعلقنكم بعد القطع اجمعين يعني على شاطئ نيل مصر
قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي والارجل فرعون قالوا مجيبين لفرعون
حين وعد بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعني انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربه وثوابه
ورحمته او انا جميعا نموت انفسهم وفرعون ينقلب الى دار الاخرة فيحكم الله بيننا يعني
فيجازيك على ما فعلت بنا على الباطل ويجازينا على اتباعنا الحق والصبر على عذابك وانا ميتون
لا محالة سواء كان بفعلك او بطريق اخر والحاصل انهم استطابوا القتل لكونه وصلة الى لقاء الله
تعالى وما تنقم منا اي وما تنكر منا او وما تكره منا او ما تطعن علينا او ما تعيب منا
او ما تعيب عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا الا ايماننا وتصديقنا بايات ربنا
لما جاءتنا وهو خير الاعمال وافضل المناقب واساس المآثر ومنه قوله : لا عيب فيهم غير
ان سيوفهم : بهن فلول من قراع الكتائب ثم فزعوا الى الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب
فرعون لعنه الله اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ
الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد اللعين قال الاستاد اي اصبب علينا
صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ المنكر يعني صبرا واي صبر عظيم وفي الغاية وقد روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لم يعط احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وتوفنا مسلمين اي منقادين
لقضائك ثابتين على الاسلام غير مفتونين من الوعيد ولا يخفى ان الاية الكريمة ساكتة عن انه فعل
بهم ذلك ام لم يفعل ولذلك وقع الخلاف قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في اول النهار سحرة
وفي اخر النهار شهداء وقال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وذكر غيره انه
لم يقدر عليهم لقوله تعالى فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون ثم ان فرعون
لعنه الله لما راى موسى خافه اشد الخوف فلهذا لم يامر بحبسه ولم يتعرض له بل خلى سبيله كما
قص الله عنهم بقوله وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه يعني وقال جماعة
من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرائيل ليفسدوا في الارض
اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك روي انهم لما غلب موسى ستمائة
الف من بني اسرائيل فخافهم ذلك فتقاولوا هذه المقالة ويذرك والهتك يعني ويتركك ليذرك
ويذر الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال السيوطي وكان اللعين صنع لقومه اصناما صغارا
يعبدونها وقال انا ربكم وربها ولذا قال انا ربكم الاعلى قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة وكان

يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال
الذي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب
هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب ان يقال فرعون لعنه الله كان
دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هي الكواكب فاتخذ اصناما
على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم
في الارض فلهذا قال انا ربكم وقرا ابن مسعود وابن عباس والشعبي والضحاك ويذرك والهتك
بكسر الهمزة ومعناه ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل اراد
بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال اي فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى
وقومه سنقتل قرا نافع وابن كثير بالتخفيف والجمهور بالتضعيف ابناءهم المولودين ونستحيي
نساءهم يعني نتركهن احياء كفعلنا بهم من قبل وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني
اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون
اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى
بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك
بقوله وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة والقدرة عليهم ففعلوا بهم ذلك فشكى بنوا
اسرائيل الى موسى ما نزل بهم من قتل اولادهم مرة اخرى قال موسى تسكينا لقومه حين
سمع شكواهم استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة من قتل الاولاد
وتعد بيكم ان الارض لله اي ارض مصر واذا كانت الارض كلها لله تعالى يورثها يعطيها
من يشاء من عباده وهذا اطماع من موسى لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنوا
اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وعلق الايراث بالمشية فاجمل ثم بينه بقوله والعاقبة
المحمودة للمتقين وهذه بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين من بني اسرائيل من القبط او النصر والظفر
او السعادة والشهادة وقيل الجنة وقري والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اوذينا
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعني قال بنوا اسرائيل لموسى اوذينا بقتل الاولاد وتسخير من
نصف النهار من قبل ان تاتينا بالرسالة ومن بعد مجيئك باعادة القتل مرة اخرى وتسخير
كل النهار ويظهر من شكوى بني اسرائيل بانهم كرهوا مجيء موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب
بان موسى كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة ~~عليهم قالوا اوذينا~~ والمشقة فظنوا ان
ذلك على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا الى اخره فمتى يكون ما وعدتنا
به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم اي
فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض اي ويجعلكم تخلفونه في ارضهم بعد اهلاكهم وهذا تصريح
بما رمز اليه من البشارة وكشف له لان عسى في مثل هذا المقام تاكيد وتحقيق لا مجرد توقع
ورجاء ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم من بعدهم
قال السلطان وقد روي ان مصر انما فتح في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون

وترى

اي فيرى ربكم ما تعملون من بعدهم من شكر وكفر وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم قال الزجاج فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه
منهم انما يجازيهم على ما يقع من اعمالهم قال البغوي فحقق الله ذلك فاغرق فرعون واستخلفهم
في ديارهم واموالهم فعبدوا العجل وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة
وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب المنصور زيادة لعمرو فلم يوجد رغيف اخر فقرا
عمرو هذه الاية ثم دخل عمرو عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف
تعملون قوله عز وجل ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين اي عبادة الالد على عبارة القوم
لانتظامها الاخذ حقيقة ودخول فرعون في الحكم المذكور بطريق الدلالة هذا شروع في تفصيل
مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في حفظ بل رتبت
اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال والسنون جمع
سنة بالفتح وكسرت السين في الجمع ليدل على انها جمعت على غير قياس واصلها سنوة فحذفت
بالحذف والمراد بها عام القحط لكثرة دورانها على السنتهم ولان الوقايع بها تؤرخ فصارت
كالدابة والنجم ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا والمعنى ولقد اخذنا ال فرعون
بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة وهي سبع سنين يقال للحرب سنتهم السنة اي جدب
السنة وشدة السنة ونقص من الثمرات اي بكثرة العاهات وتلاف الغلات بالافات
قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار لعلهم يذكرون
اي يتعظون فيؤمنون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة والجوع
والامراض ونقص الاموال ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير قال سعيد
ابن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة لم ير مكروها
ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط
وقيل عاش اللعين اربعمائة سنة ولم يصبه مكروه في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصاب اللعين
في تلك المدة جوع او الم او حمى او طاعون لما ادعى الربوبية ثم بين الله تعالى انهم عند نزول
تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب
والسعة والسلامة من الافات قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها ولنا
هذه السعة والغنا ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه وان تصبهم
سيئة اي القحط والجدب والمرض والبلاء وراوا ما يكرهونه في انفسهم يطيروا اي
يتشاموا واصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء لانهما من طرف اللسان واصول الثنايا والتطير
التشاؤم في قول جميع المفسرين بموسى ومن معه اي انهم قالوا ما اصابنا بلاء الا حين
رايناهم وما ذلك الا بشوم موسى ومن معه وهذا القول منهم نهاية في غباوتهم وقساوة قلوبهم
لان نسبة السيئة الى من هو مستغرق في شكر نعمة الله قائم باوامر الله ونواهيه نهاية الغي والجهالة
الا انما طائرهم عند الله اي ليست خيرهم وشرهم الا عند الله وهو حكمه ومشيته المتضمنة

للحكم والمصالح او ليس سبب شومهم وهو اعمالهم السيئة الا عند الله اى مكتوبة لديه فانها التى
ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طاير وقيل جمع له
وان شئت قلت معناه ان نصيبهم من الخير والجدب والخير والشر كله من الله اى من عند الله
قال ابن عباس طايرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفى رواية عنه شومهم
عند الله ومن قبل الله يعنى انما جاءهم الشوم بكفرهم بالله وقيل معناه الشوم العظيم هو الذى
لهم عند الله من عذاب النار والحاصل اتفقوا فى التطير انه بمعنى التشام واختلفوا فى الطاير
فقيل هو بمعنى السبب وقيل بمعنى النصيب وقيل بمعنى القضا وقيل بمعنى الشوم قلت وبالله التوفيق ولو
فسروا الطاير بالشوم كالتطير لكان انسب لما نقل عن الازهرى انه قال العرب تسمى الشوم طايرا
او طايرا وطيرة لتشامهم ببارحها وبنعيق غرابها وباخذها ذات اليسار اذا اثاروها
وكانت العرب تزجر الطير فتتشام بالبارح وتتبرك بالسانح والسانح من الطير ما يجى من
جهة مياسر الانسان ويجوز الى جهة يمينه ويتبرك به لانه يمكن رميه بخلاف البارح فانه الذى
يجى من جهة يمين الانسان ويجوز الى جهة يساره فلا يمكن رميه حتى يتحرف الرامى اليه وقال
رؤبة السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقيل ان كثيرا من اهل الجاهلية
كان اذا اراد الحاجة ذهب الى الطير فى وكرها ينفرها فاذا اخذت يمينا مضى الى حاجته وهذا
هو السانح عندهم واذا اخذت شمالا رجع وهذا هو البارح عندهم فنهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك بقوله اقروا الطير على وكناتها الوكنة موقع الطير حيثما وقعت وجمع وكنات
وقال صلى الله عليه وسلم من رجعه التطير عن حاجته فقد اشرك قيل وما كفارة ذلك يا رسول الله
قال ان يقول احدكم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضى الى حاجته وما جعلوا
الطاير امارة ودليلا على الشوم تسمى الشوم طايرا وطيرا تسمية للمدلول باسم الدليل هذا
وجه ما نقل عن الازهرى وهو المنقول فى رواية عن ابن عباس حيث قال طايرهم اى شومهم من
قبل الله كما ذكرنا وقال الفراء وقد تشامت اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا غلت
اسعارنا وقلت امطارنا وكثرت امواتنا مذ اتانا محمد صلى الله عليه وسلم ثم اعلم الله تعالى على لسان
رسوله ان طيرهم باطلة فقال عليه السلام لا طيرة ولا هام وكان صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير واصل
الفال الكلمة الحسنة وكانت العرب مذهبها فى الفال والطيرة واحدا فاثبت النبى صلى الله عليه وسلم الفال
وابطل الطيرة والفرق بينهما ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية
فالكلمة التى تجرى على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان
ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شئ من الاحوال وفى التبصرة ومعناه اى شومهم
كفرهم ومعاصيهم فانها اسباب الافات والحاصل الخير والشر جميعا من عند الله ولكن
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما اصابهم من الله وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون
الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر وبعضهم يعلمون ان ما اصابهم من
البلايا والمصايب ليس الا من الله بما كسبت ايديهم ولكن لا يعلمون بمقتضاه عنادا او استكبارا

لان تصايرهم عن الاعتبار مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة وافهامهم
عن ادراك المعانى مردودة فلا يعرفون ان الضار والنافع والمطلوب والمقصود هو الله وكل
ما يفعله المحبوب فهو محبوب فلذلك قالوا ما قالوا **وقالوا** اى قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه
السلام بعدما راوا من شان العصا عزم **مهما تاتنا به** اصلها ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة لتاكيد معنى الشرط فصار ماما واستثقال التكرار قلبت الالف هاء فصار مهما
وهذا مذهب البصريين وقيل مركبة من مه التى بمعنى الكاف اى الزاجر المانع بمعنى من
يكف غيره لان مه اسم الفعل بمعنى الكف وما الشرطية ومحلها الرفع على الابتداء او محلها
النصب بفعل يفسره تاتنا به اى ايما شئ تحضرنا تاتنا به **من اية** بيان لمهما وانما سموها
اية ومعجزة على زعم موسى لا لزعمهم واعتقادهم بل لانهم يستهزؤن بموسى ومن معه والحاصل
قال قوم فرعون لموسى ● فكلما تاتنا بمعجزة على ظنك من عندك فهى عندنا سحر يدل عليه
قولهم **لتسحرنا بها** اى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين يعنى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا ديننا
والضمير فى به وبها يرجع الى ما الشرطية فى مهما الا ان به ذكره باعتبار لفظها قبل التبيين او من اية
وانث بها باعتبار المعنى بعد التبيين لانه فى معنى الاية من حيث المرجع **فما نحن لك بمؤمنين**
اى بمصدقين افتاط موسى من ايمانهم ورجع له عن الاشتغال باظهار المعجزات وكان موسى
رجلا حديدا مستجاب الدعوة فشتد غضبه ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه فقال الله عز وجل
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا لما امنت السحرة
ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله تعالى
عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وقد اراهم قبل ذلك من المعجزات
اليد والعصى فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا فى الارض
وبغا وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة
ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء
وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا فى الماء
الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى اسرائيل شئ وركد الماء
على ارضهم فلم يقدروا على التحرك ولا يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من
السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطاعون بلغة اهل اليمن
وقال ابو قلابة الطوفان الجدرى وهم اول من عذب به ثم بقى فى الارض وقال مقاتل
الطوفان الماء طغى فوق حروثهم وفى رواية ابن عباس ان الطوفان امر من امر الله عز وجل
طاف بهم فلما راوا ذلك قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك
بنى اسرائيل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة
شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلاء والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء

الا نقمة علينا فلم يؤمنوا واقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم
وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى
اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلأت دور القبط
ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا هذا
الرجز لنؤمنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم
الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله
الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد
من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فلن نترك
ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا في
عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي
والكلبي القمل الدباء وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان
وهو ضرب من القراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ والقمل
بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب
رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهال
عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض وكان
يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ قملا قال سعيد بن
المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحا
فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان عليهم اشد من القمل واخذت
اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدري
عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا
البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى
السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا
قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دوابا فدعا موسى عليهم بعدما
اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وافنيتهم
واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل
يجلس في الضفادع فيبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم تثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت
تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته
الضفادع حتى يكون عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل
سبقه الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلأ ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلأت
ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية
فلما

فلما ارسلها الله عز وجل على فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في
القدور وهي تغلي وعلى النار وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها
برد الماء فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقوه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب
ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع
بعدما اقامت سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا
الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه السلام فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل
عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الابار والانهار وجدوه
دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون لعنه الله وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم
فقالوا من اين يسحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيئا من الماء الا دما عبيطا وكان فرعون
يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما
ويقومان الى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المراة من آل فرعون تاتي الى
المراة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيصير
في الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون
اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها دما فمكثوا
على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الذي سلطه الله عز وجل
عليهم كان الرعاف فاتوا موسى على نبينا عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقوا وقالوا
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه
فكشف ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم **آيات مفصلات** اي يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقيم عليهم
اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر **فاستكبروا** اي عن الايمان فلم يؤمنوا **وكانوا قوما
مجرمين** يعني آل فرعون لاقامتهم على كفرهم بعدما راوا تلك الآيات العظام قوله تعالى
ولما وقع عليهم الرجز اي ولما نزل بهم العذاب الذي في الآية المتقدمة من الطوفان والجراد
والقمل الخ او الطاعون وهو العذاب السادس بعد الطوفان الى الدم قيل نزل بهم الطاعون
حتى مات منهم في يوم واحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون **ق** عن اسامة بن
زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طايفة
من بني اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض
وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه **قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** اي
ادع الله لنا بعهده عندك وهو النبوة فان النبوة عهد من الله لرسله كما يكتب العهود الى النواب
او بالدعاء والاسماء والاسرار التي علمك واوصاك ان تدعو به فيجيبك كما اجابك في آياتك الخ
وعلى الوجهين الباء صلة لادع او حال اي متوسلا اليه بعهده عندك او الباء متعلق بفعل
محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك والباء للقسم

لئن كشفت عنا الرجز اى العذاب الذى وقع بنا بدعائك لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بنى اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا العذاب بدعائك لنصدقن
بما جئت به منقادين لك ولنرسلن ونخلين بنى اسرائيل حتى يذهبوا معك حيث شاؤا فلما
كشفنا عنهم الرجز اى العذاب بدعوة موسى الى اجل هم بالغوه اى الى حين من
الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه او مهلكون ولا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال
وكشف العذاب الى حلوله قال الشيخ معناه الى الوقت الذى اجل لهم وهو وقت اهلاكه بالغرق
فى اليم قال الاستاد اى الى اجل هم بالغوه فى علم الله وهو الوقت المقدر لعذابهم او لاهلاكهم
وقيل الى وقت عينوه لايمانهم وكانهم عينوا وقتا لجتمع فيه الحاضر والبادى ولو جيههم الاد
فاذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم الرجز فاجئوا النكث ونقضوا العهد
من غير توقف وتناخر وتامل فى النكث فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال فرعون
وقومه انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة فى توليها واظهار الكثير منها فالجواب
على مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل واما على قول
المعتزلة فى رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم يؤمن بتوالى تلك
المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده فانتقمنا منهم اى
فاردنا الانتقام منهم لما اسلفوا من المعاصى والجرائم وانما فسرنا الانتقام بارادة الانتقام
لان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان
يكون المراد مطلق الانتقام والفاء فى فاغرقناهم تفسيرية كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه
فقال رب الى اخره فى اليم اى فى البحر المالح الذى لا يدرك قعره وهو القلزم وقيل النيل
وقيل فى لجته ومعظمه والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا
عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى وقت لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله
فاغرقناهم فى اليم يعنى البحر قال الازهرى اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم
اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل على استعمال اليم فى البحر المالح والعذب قوله تعالى
فاقذفيه فى اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب لان موسى عليه السلام رمى فى النيل
بانهم كذبوا باياتنا يعنى اهلكناهم واغرقناهم بسبب انهم كذبوا باياتنا الدالة على
وحدانيتنا وصدق نبينا وكانوا عنها اى عن اياتنا غافلين اى معرضين
او عن حلول النقمة بهم غافلين لم يلتفتوا اليها ولم يتفكروا فيها حتى صاروا غافلين
عنها قيل لما تمت الايات والمعجزات عليهم امر الله ان يخرج بنى اسرائيل من ارض مصر
ليلا فاستعارت نساؤهم من نساء القبط ثيابهم وحليهم بعلة العرس فخرجوا وهم
ستمائة الف من رجل وامراة وصبى فاخبر بذلك فرعون فركب وقت الصبح ومعه الف
الف ومائتا الف فادركهم وقت طلوع الشمس وانتهى موسى الى البحر فضرب البحر بعصاه فانفلق
له اثنا عشر طريقا فعبر كل سبط فى طريق واتبعه فرعون ومن معه حتى انتهوا حيث عبر موسى
فدخلوا

فدخلوا فى ذلك الطريق فى طلبهم فلما دخل اللعين مع جنوده وقومه وهم اولهم ان يخرج
من البحر امر الله البحر فغرقهم فرجع موسى ببنى اسرائيل فسكنوا ارض مصر فقال الله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون اى واعطينا وملكنا القوم الذين كانوا يستذلون
ويقتلون بذبح الابناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو اسرائيل فقوله الذين كانوا
يستضعفون صفة للقوم والمعنى ان فرعون وقومه اى القبط كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل
فقتلوا ابناءهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض
ومغاربها اى ارض الشام ومصر ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها
كلها واراد بمشارق الارض ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق الارض
ومغاربها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد جميع
جهات الارض كما اشرنا وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان عليهما السلام كانا
من بنى اسرائيل وقد ملكا الارض والحاصل ان الله رفع بنى اسرائيل من حضيض المذلة الى اوج
العزة بمحض فضله وعظيم احسانه ولطفه التى باركنا فيها بالماء والثمار والاشجار و
الزروع والخصب والسعة وهذا يدل على ان تلك الارض المقدسة وقد قدسها بانها مواطن
الانبياء ومثابة الاولياء وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل اى مضت وكملت
ووفت كلمة الله الاحسن الاكمل وهى وعد الله لبنى اسرائيل بالنصر على عدوهم وتمكينهم
فى الارض من بعد اهلاك عدوهم وقيل كلمة الله وعده الجميل لبنى اسرائيل بقوله عز وجل
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم الوارثين والحسنى صفة للكلمة
وهى تانيث الاحسن واتمام الكلمة عبارة عن انجاز ما وعد الله لبنى اسرائيل من تمكينهم فى الارض
بعد اهلاك اعدائهم واستعمال التمام بعلى مبالغة فى انجاز وعد الكريم كانه استعلاء لبنى اسرائيل
على القبط ورفعتهم بما صبروا يعنى انما حصل لبنى اسرائيل ذلك التمام وهو ما انعم الله
به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى عدوهم فرعون لهم
ودمرنا اى واهلكنا والتدمير الهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون وقومه
القبط فى ارض مصر من العمارات والبنيان والقصور وما كانوا يعرشون يعنى يسقفون
ويرفعون من ذلك البنيان والجنات قرا ابن عامر بضم الراء والباقون بكسرها وقال الحسن
ما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور
فان قيل كيف الجمع بين قوله عز وجل ودمرنا ما كان يصنع الخ وبين قوله عز وجل فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بنى اسرائيل قلنا معناه ابطلنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من المكر والكيد فى حق موسى عليه السلام وما كانوا يعرشون اى يبنون
من الصرح الذى امر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته الى السماء قال الاستاد والاولى
ان الحمل على ظاهره اولى لان الله تعالى اورث ما كان يصنع فرعون لبنى اسرائيل ثم دمر جميعه
وهذا اخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بايات الله ثم اخبر الله عن جهالة بنى اسرائيل

وما احدثوه بعد انجائهم من عذاب فرعون وقومه تسلية لنبيه مما راى من بنى اسرائيل بالمدينة
فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر يعنى وعبرنا وقطعنا ببنى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون
وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وقال الكلبى
عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم اى فمر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون
اى يقيمون ويواظبون على عبادة اصنام لهم يعنى تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج
كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شان العجل قال قتادة كان اولئك القوم من
لخم وكانوا نزولا بالرقة يعنى بالرقة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين
الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقال البيضاوى والقوم كانوا من العمالقة الجبارين
الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم انتهى قرا حمزة والكسائى يعكفون وقرا الاخرون
بضمها وهما لغتان قالوا اى قال بنو اسرائيل لموسى لما راوا ذلك التمثال يا موسى اجعل
لنا الها اى تمثالا وصورة نعبده ونعظمه كما لهم الهة يعنى كما لهم اصنام يعبدونها
ويعظمونها فاجعل لنا انت الها نعبده ونعظمه وفى العناية معناه اجعل لنا الها نتقرب به
ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقى كما هم يتوسلون بها الى المعبود الحقيقى ويؤيد هذا ما قال
البغوى قدس سره بقوله ولم يكن ذلك شكا من بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل
لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك
لشدة جهلهم وقال غيره هذه تدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة
غير الله بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانية الله وكمال قدرته وهى الايات التى توالت
على قوم فرعون حتى اغرقهم الله فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم الى ان قالوا
لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها الخ وما فى كما لهم الهة كافة للكاف عن العمل ولذلك
وقعت الجملة او الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها والهة
بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذى استقر هو لهم قال يهودى لعلى رضى الله
عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال على فى جوابه قلتم لموسى اجعل لنا الها ولم
تجف اقدامكم من ماء البحر وفى رواية اخرى قال بعض اليهود لعلى كرم الله وجهه ما دفنتم
نبيكم حتى اختلفتم فقال اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم
لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون اى قال موسى فى الرد عليهم انتم
قوم تجهلون عظمة الله حيث قابلتم نعمة الله عليكم بقولكم الشنيع وانه لا يستحق ان يعبد
سواه لانه هو الذى انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وانجاكم منه عن ابى واقد
الليثى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين
كانوا يعلقون عليها اسلحتهم يقال لها ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات
انواط كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى

اجعل

اجعل لنا الها كما لهم الهة والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذى ولما
وصفهم بالجهل المطلق واكده بان وبتوسط قوم وجعل ما هو المقصود بالاخبار وصفا له لبعد
ما صدر عنهم عن العقل بعد ما راوا من الايات الكبرى ان هؤلاء اى هؤلاء القوم متبر اى
مكسر وهالك ومدمر ما هم فيه اى فى عبادة الاصنام ويحطم تماثيلهم ويجعلها رضاضا
على يدى والحاصل ان هؤلاء العاكفون على الاصنام مهلك اصنامهم اى يهلك الله تماثيلهم على
يدى وباطل ما كانوا يعملون اى وباطل مضمحل ما عملوا من عبادة الاصنام وان قصدوا بها
التقرب الى الله تعالى يعنى لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لانه عمل لغير
الله فكان باطلا لا نفع فيه والحاصل تماثيلهم مهلك على يد موسى وعملهم باطل لا ينفعهم سوى
الخذلان فى الدارين فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثانى بالنظر الى العمل ولذلك نسب الى الاول الهلاك
والى الثانى البطلان ثم قال اى موسى عليه السلام لهم توبيخا لان الاستفهام فى قوله اغير الله
للانكار ابغيكم الها اى اطلب لكم يا بنى اسرائيل معبودا غير الله اجابهم على سبيل التعجب والانكار
وهو فضلكم على العالمين اى على عالمى زمانكم يعنى والحال انه سبحانه خصكم بنعم لم يعطها غيركم
كالايات الباهرة التى لم تحصل لغيركم وان كان غيركم افضل منكم ثم بين الله تعالى انعامه عليهم
بقوله واذ انجيناكم قرا ابن عامر انجاكم مفردا وكذلك هو فى مصحف اهل الشام والفاعل هو
الله تعالى والباقون جمعا لتعظيم المتكلم اى اذكروا صنيعة الله معكم فى هذا الوقت من ال فرعون
اى من عذابهم يسومونكم من سام السلعة اذا طلبها اى يكلفونكم ويطلبونكم ويذيقونكم
ويعذبونكم سوء العذاب اى اشده ثم بين العذاب بقوله يقتلون ابناءكم اى اولادكم الذكور
من يسومونكم قرا نافع بفتح الياء واسكان القاف وضم التاء مخففا والباقون مشددا على التكثير
ويستحيون اى يبقون نساءكم للخدمة وفى ذلكم اى فى قتل الابناء واستحياء النساء او
فى الانجاء من تعذيب ال فرعون لكم بلاء ابتلاء او انعام اى نعمة او محنة من ربكم
عظيم اى نعمة عظيمة من الله فى الانجاء او نقمة منه فى العذاب فلا تغفلون فتنتهون عما قلتم
قال الاسناد والبلاء يطلق على النعمة والنقمة وهذه الاية تقدم فى سورة البقرة تفسيرها والفائدة
والفائدة فى ذكرها هنا انه تعالى هو الذى انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال
بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة وواعدنا موسى ثلثين ليلة قرا ابو عمرو
ويعقوب ووعدنا بدون الالف والباقون بالالف يعنى وواعدنا موسى للاتيان الطور
وانزال الكتاب ولمناجاتنا تمام ثلثين ليلة وكلمه عند انتهائها او مكث ثلثين ليلة وهى ذو
القعدة واتممناها بعشر يعنى عشر ذى الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون
ان موسى عليه السلام وعد بنى اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب
من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى ربه
عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى اسرائيل فامره ان يصوم ثلثين يوما فصامها
فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملئكة

كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له
اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرايل في تلك العشر
التي زادها الله لموسى وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلثين يوما ويعمل فيها ما
يتقرب به ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل
الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة
فذكره هناك على الاجمال وذكرها هنا على التفصيل **فتم ميقات ربه اربعين** حال **ليلة**
تمييز اي وقت وعده تعالى بكلامه لموسى عليه السلام يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى
وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا
قيل مواقيت الحج ثم لما اراد الانطلاق الى الجبل امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه ليشهدوا
على ما يشاهدونه من كرامات الله تعالى اياه ففعل واستخلف هارون اخاه على قومه وذلك قوله
وقال موسى عند ذهابه الى الجبل **لاخيه هارون اخلفني في قومي** يعني كن انت خليفتي
فيهم من بعدي حتى ارجع اليك لان هارون وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب الشريعة
واقدم منه وان كان اصغر سنا منه **واصلح** اي ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا بينهم
واحملهم على عبادة الله عز وجل وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم **ولا
تتبع سبيل المفسدين** بموافقتهم على المعاصي يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا
تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هارون صلى الله عليه وسلم لم يكن ممن يتبع سبيل
المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد يعني دم على ما انت عليه من القعود
ولما جاء موسى لميقاتنا اي لوقتنا الذي وقتناه ان نكلمه فيه واللام للاختصاص اي
اختص مجيئه بذلك الوقت **وكلمه ربه** قال في الغاية اي كلمه من وراء حجاب بلا واسطة
كما يكلم الملئكة اي اسمعه كلامه القديم بلا صوت وحرف او اوجد اصواتا وحروفا في سمعه
انتهى قال المعتزلي وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في
الالواح هذا كلامه الفاسد ولا شك في بطلان مذهب المعتزلي وفساده لان الشجرة او ذلك
الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري فثبت بذلك بطلان
مقالته الشنيعة قال البيضاوي بيض الله وجهه اي كلمه من غير واسطة كما يكلم الملئكة
وفيما روي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم
ليس من جنس سماع كلام المحدثين انتهى قال السيوطي معناه كلمه ربه بلا واسطة كلاما يسمعه
من كل جهة انتهى قال البغوي فكلمه الله وناجاه حتى اسمعه وكان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه
ربه وادناه حتى سمع صرير القلم انتهى وفي المدارك كلمه ربه بلا واسطة ولا كيفية وروي
انه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر ابو منصور في التاويلات ان موسى سمع صوتا دالا على
كلام الله وكان اختصاصه باعتبار انه سمعه صوتا تولى تخليقه من غير ان يكون الصوت مكتسبا
لاحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهمون منه كلام الله انتهى قلت وفي البخاري
حدثنا

حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ام المؤمنين
رضي الله عنها ان الحارث بن هشام رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله كيف ياتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا ياتيني مثل صلصلة
الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا
فيكلمني فاعي ما يقول وذكر ايضا في اول كتابه هذه الاية يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده وفي العقل السليم مثل ما ذكره البيضاوي بعينه وفي التبصرة فسمع كلام الله
من جميع الجهات بجميع اجزايه قال الواحدي نقلا عن المفسرين رحمهم الله تعالى لما اراد الله تعالى
ان يكلم موسى اهبط الى الارض ظلمة سبع فراسخ فلما دنى موسى من الظلمة طرد عنه شيطانه
وطرد هوام الارض ونحى عنه ملكاه ثم كلمه الله وكشطت له السماء فراى الملئكة قياما
في الهواء وراى العرش بارزا وكان بعد ذلك لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي وجهه
من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له امراته انا ايم منك منذ كلمك
ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت
لله ساجدة وقالت ادع لنا ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك ان لم تتزوجي بعدي فان
المراة لاخر ازواجها انتهى وفي اللباب وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله حروف
واصوات متقطعة وانه قديم يقول الفقير محمود بن محمد بن علي الشافعي وليس مراد سيدنا احمد
ابن حنبل بانه حروف واصوات كاصوات الادميين فان غوث الثقلين ذكر في غنيته
في العقيدة ما نصه قال محمد بن كعب قال بنو اسرايل لموسى بما شبهت صوت ربك حين
كلمك من هذا الخلق قال شبهت صوته بصوت الرعد حين لا يرتجع وهذه الايات والاخبار
تدل على ان لله صوتا لا كاصوات الادميين كما ان علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشبه
صفات الادميين كذلك صوته وروى البخاري في صحيحه باسناده عن عبد الله بن انيس انه قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه
من قرب انا الملك انا الديان فاحمد رضي الله عنه يثبت لله ما ثبت له الرسول من حيث
اللفظ وليس عنده التشبيه بكلام الخلق اصلا كما نحن نثبت لله عز وجل الاستواء بلا كيف على
مراده سبحانه ومن تامل في كلام احمد حق التامل يعلم بان مذهبه في الكلام كمذهب الاشاعرة من
غير تفاوت ومن طالع في غنية الشيخ وكذلك في باب العقيدة يفهم ما قلت ان شاء الله تعالى
وقول الشيخ قد ذكره في الغنية وقد نص احمد على اثبات الصوت في رواية جميع الاصحاب خلاف
ما قالت الاشعرية من ان كلام الله معنى قايم في نفسه مراده اثبات لفظ الصوت لا التشبيه
بكلام الخلق فانه لا يقول بالتشبيه احد ومما قال احمد وهو مذكور في الغنية انا نقول ان الله
متكلم بلا كيف ولا تشبيه وهذا البحث طويل الذيل ولنقتصر على ما نحن فيه وفي اللباب وذهب
جمهور المتكلمين الى ان كلام الله صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة
ازلية والقايلون بهذا القول قالوا ان موسى سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا كما انه

لا يبعد رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه
ليس بصوت ولا حرف ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله
تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار
لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء
وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وقدر في
رواية الواحدي سبع فراسخ وطرد الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له
السماء فراى الملئكة قياما في الهوى وراى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف القلم
على الالواح وكلمه الله تعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع
ما كلم الله تعالى به موسى وفي مجمع الاسرار اختلفوا في انه تعالى كلم موسى وحده او مع اقوام
اخرين وظاهر الاية انه تعالى كلمه وحده لانها تدل على تخصيص موسى بهذا التشريف وقيل بل
السبعون المختارون سمعوا كلام الله لان الغرض من احضارهم ان يخبروا قوم موسى
عما جرى هناك والله اعلم ولما سمع الكلام فاستحلى له هاج شوقه الى روية المتكلم قال رب
ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك قاله الزجاج وقال ابن عباس اعطني انظر اليك
او تجلى لي فانظر اليك واراك وانما سال الروية ظنا منه عليه السلام بانه تعالى يرى
في الدنيا وفي جامع الاسرار قال المحقق الشريف قدس سره في شرح المواقف اجمعت الائمة من
اصحابنا على ان رويته تعالى في الدنيا والاخرة جايزة عقلا واختلفوا في جوازها سمعا
في الدنيا فاثبته بعضهم ونفاه اخرون انتهى قال البيضاوي معناه ارني نفسك بان
مكني من رويتك او تجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على انه رويته تعالى جايزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته
لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا
الله جهرة خطاء اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم
حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رويته اياه
على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الروية وفي المدارك وهو دليل لاهل السنة على جواز
الروية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى مرئي حتى سالها واعتقاد جواز ما لا
يجوز على الله كفر قال الاستاد قال موسى عليه السلام الهي سمعت كلامك فاشتقت
النظر اليك فقال انك لن تراني في الدنيا لانه من نظر الي في الدنيا مات فقال موسى
ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم
الله موسى عليه السلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض حتى خرج من بين
قدمي

قدمي موسى عليه السلام فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الروية
فقال رب ارني انظر اليك قال الله تعالى لموسى لن تراني اي لا سبيل لك الآن في الدنيا
الى النظر الي ومما يرد به على اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة قوله تعالى في صفة
اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيمة بدليل قوله تعالى اخبارا عن حال اليهود
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فعلم ان لن ليس للتابيد
دنيا واخرى بل للدنيا فقط لموسى لا لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه قد جاء في الحديث الصحيح ان المؤمنين
يرون ربهم عز وجل يوم القيمة في الدار الاخرة وان محمدا راى ربه ليلة المعراج مرارا برد موسى
محمدا على ربه للصلاة ومما يدل على جواز الروية تعلقه على استقرار الجبل وهو قوله تعالى
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه ولم يتزلزل فسوف تراني اي فتقدر على ان تراني
وهو امر جايز الوقوع في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته جايز الوجود وقد روى
البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون
في رويته وحمل الروية على المعرفة لا وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة قال وهب ومحمد
ابن اسحاق لما سال موسى عليه السلام ربه عز وجل الروية ارسل الله الضباب والصواعق
والبرق والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فراسخ من كل جانب وامر الله
اهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملئكة السماء الدنيا كثيران البقر
تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال
موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملايكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى
فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد
الضعيف موسى بن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه ثم قال لقد
ندمت على مسالتي فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه شيء فقال له خير الملئكة ورئيسهم
يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة السماء الثالثة ان
اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال النسور لهم قصف ورجف
ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم
الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحيوة فقال له خير الملئكة
ورأسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم امر الله ملئكة السماء
الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين
مروا قبلهم الوانهم كلهب النار وساير خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية
بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه
وارعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملئكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سالت
فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملئكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا
عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم

يسمع مثل اصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له حبر الملئكة و
رأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى ملئكة السماء السادسة
ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة
نار اشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهيب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان
فبانهم من الملئكة كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا
يموت في رأس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول
يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا ادري انفلت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان
اقمت مت فقال له كبير الملئكة ورأسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع
قلبك فاصبر للذي سألت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه في ملئكة السماء السابعة فلما بدا
نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملئكة اصواتهم جميعا
يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك
كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه
فارسل الله تعالى برحمته الروح فتغشته وقلبت عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار
عليه كهيئة القبة لئلا يحترق موسى واقامت الروح عليه مثل اللأم فلما افاق موسى قام
يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك احد فيحيى ومن نظر الى ملئكتك انخلع
قلبه فما اعظمك واعظم ملئكتك انت رب الارباب وملك الملوك والاله الاعظم لا
يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك
يا رب العالمين فذلك قوله تعالى **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا** اي لما ظهر للجبل عظمة
رب موسى وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه ومعنى جعله
دكا اي مدكوكا مفتتا قرأ حمزة والكسائي دكاء بالمد اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء
للتي لا سنام لها والباقون دكا بالقصر مع التنوين للصرف مصدر بمعنى مدكوكا مجزا
والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا بضم الدال والتنوين اي قطعا وهو جمع
دكاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال
الضحاك اظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام
وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار دكا
وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر
فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وقال السيوطي اي ظهر من نوره نصف انملة الخنصر
كما في حديث صححه الحاكم انتهى واخرج الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة
اصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه
الا من

الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين
الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا
كما اشرنا اليه وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي
صار رملا هائلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسرا جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله
تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى ووقع ثلثة بمكة
وهي ثور وثبير وحراء واخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى تطايرت سبعة اجبال ففي الحجاز منها خمسة وفي اليمن
اثنان في الحجاز احد وثبير وحراء وثور وورقان وفي اليمن حضور وصبر واخرج
ابن مردويه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال اسمع
موسى قال له اني انا الله قال وذاك عشية عرفة وكان الجبل بالموقف فانقطع على سبع قطع
قطعة سقطت بين يديه وهو الذي يقوم الامام عنده في الموقف يوم عرفة وبالمدينة ثلاثة
طيبة واحد ورضوى وطور سيناء بالشام وانما سمي الطور لانه طار في الهواء الى الشام قال
الشيخ ابو منصور الماتريدي معنى التجلي للجبل ما قال الاشعري رحمه الله انه تعالى خلق في الجبال
حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين
جهل منكري الرؤية روى الشيخان والترمذي عن ابي هريرة ان الناس قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم
ترونه كذلك وعنهم وعن ابي داود عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله فنظر الى القمر
ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته وقد ذكرنا
هذا الحديث قريبا وعن مسلم والترمذي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا
الجنة وتنجينا من النار قال فكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى
وفي باب الرؤية في الآخرة آيات واحاديث كثيرة دامغات لعيون اهل الاعتزال ومن جهل اهل
الاعتزال مقابلة الآيات والاحاديث الصحيحة بالاشعار الشنيعة والهجو القبيحة حيث يقول
الزمخشري في حق اهل الحق ناقلا بعض سخريات العدلية بقوله انظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية
في هذه الآية ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه
العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال
بعض العدلية فيهم * لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمري موكفة * قد شبهوه
بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفة * ولقد عورض ما انشده اولا بما من
الهذيان * لجماعة كفروا برؤية ربهم * ولقاية حمر لعمري موكفة * هم عطلوه عن
الصفات وعطلوا * عنه الفعال فنالها من سلفه * هم نازعوه الخلق حتى شركوا * بالله
زمرة حاكة واساكفة * هم غلقوا ابواب رحمته التي * هي لا تزال على العاصي موكفة * نعم

قواعد في العقايد ولة ٭ ومذاهب مجعولة مستنكفة ٭ يبكي كتاب الله من تاويلهم
بدموعه المنهلة المتوكفة ٭ وكذا احاديث النبي دموعها ٭ منهم على الخدين منفكة ٭
فالله امطر من سحاب عذابه ٭ وعقابه ابدا عليهم اوكفه ٭ والحاصل نحن معاشر اهل
السنة همتنا مصروفة لنيل النظر الى لقاء ربنا الكريم لوعده الكريم على لسان نبيه الكريم
واهل الاعتزال همتهم الاشتراك مع اخوانهم المجوس في الدرك الاسفل من النار ومن اراد ان
يطلع على سوئهم وعقايدهم الفاسدة فليطالع كتاب غوث الثقلين الشيخ عبد القادر الجيلاني
قدس سره المسمى بغنية الطالبين وان اردت تحقيق مسالة الروية بادلتها ففي علم الكلام وقوله
وخر اي سقط موسى صعقا اي مغشيا عليه من هول ما راى هكذا فسره ابن عباس
والحسن وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله تعالى فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال
افاق من غشيته وفي اللباب قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي
التورية يوم الجمعة يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملئكة السموات ما لابن عمران
وسوال الروية وفي بعض الكتب ان ملئكة السموات اتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه
ويقولون يا ابن عمران اطمعت في روية رب العزة انتهى فلما افاق من غشيته ورجع عقله
اليه وعرف انه سال امرا عظيما لا ينبغي له لانه ساله من غير استيذان قال تعظيما لما
شاهده سبحانك اي تنزيها لك من النقايص كلها او تنزيها لك من ان اسالك شيئا بغير اذن
منك في الدنيا تبت اليك من الجرءة والاقدام على السوال بغير اذن او في غير اوانه
وفي اللباب وقيل لما كانت الروية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت
اليك يعني من سوالي ما ليس لي وقيل لما سال الروية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السوال
وحسنات الابرار سيئات المقربين وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك او بانك
لا ترى في الدنيا مع جوازها او انا اول المومنين يعني من بني اسرائيل لان النبي اول من امن بالله
امته وفي التبصرة معناه وانا اول المومنين بانه لا يستقر لرويتك من بقي فيه مناسبة الحدثان
بل لا بد ان يتصف بما يناسب الصفات القديمة وذلك عند غلبة الروحانية في الاخرة قال
الاستاد في كتابه سئل الحسين بن المنصور لم طمع موسى في الروية وسالها قال لانه انفرد للحق فانفرد
الحق به في جميع معانيه وصار الحق مواجهه في كل منظور اليه ومقابله دون كل محظور لديه على
الكشف الظاهر اليه لا على التغير فذلك الذي حمله على سوال الروية لا غير وقال ابو عثمان المغربي لما قال
موسى رب ارني انظر اليك قال الله تعالى يا موسى اضرب بعصاك الجبل فضرب بعصاه الجبل فظهر سبعون
الف بحر في كل بحر سبعون الف جبل على كل جبل سبعون الف موسى عليهم الكساء بايديهم العصا يقولون
كلهم ارني انظر فلما راى ذلك خر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين
٭ انطمع في ليلى وتعلم انها ٭ تقطع اعناق الرجال المطامع ٭ قال الله تسلية لكليمه من عدم
الاجابة الى سوال الروية كانه قيل ان منعتك يا موسى من الروية فقد اعطيتك من النعم العظام
ما لم اعط احدا في عالمي زمانك فاغتنمها واشتغل دائما بشكرها وهي اني اصطفيتك اي اخترتك

واتخذتك

واتخذتك صفوة اعني فضلتك واجتبيتك واثرتك على الناس اي الموجودين في زمانك
وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع قال بعضهم
اراد بالناس الذين ليس من نبي برسالاتي اي باسفار التورية يعني باحكام التورية فان
كل حكم رسالة من الله تعالى قرا اهل الحجاز برسالتي على التوحيد والاخرون بالجمع وبكلامي
اي وبتكليمي اياك والحاصل خصصتك برسالتي وبكلامي من غير واسطة لان غيره من الرسل
سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع
ان كثيرا من الانبياء قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السوال جوابين احدهما
ذكره البغوي قدس سره فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله
اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان
كان قد شاور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لان من
جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى وغيره من الانبياء
والمرسلين فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي فقال ان الله تعالى
بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت
انه انما حصل التخصيص هنا لانه سمع الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا
لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلى واشرف ممن
سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه
برسالته وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه يا محمد
يدل عليه قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله
يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي
يعتمد في الجواب عن هذا السوال ان الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على
الناس الذين كانوا في زمانه كما اشرنا الى ذلك وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت اعلى منصبا
ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزل التورية فثبت ذلك على انه
اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم كما فسرنا
هكذا فيما سلف فخذ ما اتيتك اي ما اعطيتك من شرف الرسالة والنبوة والحكمة يعني ما
فضلتك وكرمتك به وكن من الشاكرين اي على نعمائي عليك التي هي اقصى مراتب البشر
وان تفاوتت الافراد فيها فلو حصلت الروية لموسى فلم يبق لسيد البشر محمد ما يمتاز به
عن ساير الرسل وكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم ثم اخرج ما اعطاه اياه فقال وكتبنا له
في الالواح اي وكتبنا لموسى في الواح التورية من النقوش كنقش الخاتم قال ابن عباس يريد الواح
التورية قال البغوي وفي الحديث كانت من سدرة الجنة طول اللوح اثنى عشر ذراعا وجاء في
الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التورية بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت

الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء
وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي
كتب به الذكر واستمد من نهر النور وفي حديث كتب الله الالواح لموسى وهو يسمع صرير
الاقلام في الالواح وقال الربيع ابن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع
الالواح من صخرة صماء لينها الله فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى صرير القلم
بالكلمات العشرة وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على
طول موسى وقيل ان موسى خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى التورية يوم النحر وهذا
اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح فروى عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح
وروى عنه انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جمعت على عادة العرب في اطلاق
الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن انس
نزلت التورية وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى
ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليه السلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها ويقرأها
عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الاية في التورية بالف اية يعني قوله وكتبنا له
في الالواح قوله **من كل شيء** اي مما يحتاجون اليه من امر الدين امرا ونهيا من الاحكام
وغيرها في محل النصب مفعول كتبنا **موعظة** بدل من محل المجرور ومعنى موعظة اي نهيا
عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته **وتفصيلا** اي تبيينا **لكل شيء**
بدل من الجار والمجرور قبله اي كتبنا له في الالواح كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام من
الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام روى الطبري بسنده عن وهب بن منبه
قال كتب له يعني في التورية لا تشرك بي شيئا من اهل السماء ولا من اهل الارض فان كل ذلك
خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقر والديك ورى
البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التورية فقال اني
اجد امة خير الامم اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب
الاول والكتاب الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي
قال هي امة محمد يا موسى فقال رب اني لاجد امة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا
امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم
وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون
المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد فقال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على
شرف كبر الله واذا هبط وادیا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث
ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء
غر محجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم
احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها وان عملها كتبت بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف

فاجعلهم

فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذي
اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما
فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب
اهل الجنة يصفون في صلاتهم كصفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار
احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فلما عجب موسى من الخير الذي
اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله تعالى اليه ثلاث ايات يرضيه
بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى **فخذها بقوة**
عطف على كتبنا على اضمار اي فقلنا خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء
فانه بمعنى الاشياء او للرسالات والمعنى وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الالواح من كل شيء خذها بجد
واجتهاد في العمل بما فيها او بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة كما هو شأن اولي العزم لان
من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور **وامر قومك يأخذوا باحسنها** يعني ارشد قومك
الى الاولى والاحسن فان التورية فيها الاحسن والحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم
وقوله تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه يعني مرهم ان يأخذوا في التورية
بما هو ادخل في الحسن واكثر في الثواب كالاقتصاص بالنسبة الى العفو والانتصار بالنسبة الى الصبر
فيكون الامر على طريقة الندب والحث على الافضل او مرهم بواجباتها فان الواجب احسن من غيره قال
ابن عباس معناه يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها
وكان موسى عليه السلام اشد عبادة من قومه فامر بما لم يؤمروا به وقيل ظاهر قوله وامر قومك
يأخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على
موسى اشد كانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله يأخذوا باحسنها
يدل على ان في التورية ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله يأخذوا باحسنها قلت
ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص حسن والعفو عنه احسن وكالانتصار حسن
والصبر احسن منه فامروا ان يأخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب
كما اشرنا الى ذلك وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد
والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها اي بحسنها وكلها حسن وقال بعضهم وامر قومك الذين
ليس لهم القوة يأخذوا باحسنها اي بعزائمها دون رخصها قوله **سأريكم دار الفاسقين**
وكيف خلت منهم لفسقهم فلا تفسقوا مثلهم فتهلكوا اهلاكهم يعني سأريكم دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها ويؤيد هذا قراءة قسامة بن زهير ساوريكم دار الفاسقين او سأريكم في
اسفاركم منازل الهالكين كعاد وثمود وغيرهم من الذين اهلكتهم لفسقهم وتكبرهم عن الايمان
لتتعظوا وتعتبروا او سأريكم يوم القيمة مأوى الخارجين من الطاعة وهو جهنم فتحذروا والله تعالى
ما جعلكم من اهل الجنة وقرئ ساوريكم بواو خالصة بعد الهمزة يعني سابين لكم دارهم من اوريت

الرشد وقال قتادة ساذخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا
بها قوله تعالى **ساصرف** اى سامنع بخذلانى ومكرى **عن اياتى** اى عن فهم دلايل قدرتى و
اياتى المنصوبة فى الافاق حتى لا يتفكروا فيها ولا يعتبروا بها وفى الانفس حتى لا يروا فنا دها ويحجوا
بها **الذين** اى قلوب الذين **يتكبرون** على الخلق او يتعظمون عن الانقياد للانبياء عليهم السلام طلبا
للعلو والرياسة وانما قال **فى الارض** اشارة الى كونهم من عالم السفلى الذى لا يليق الترفع بشان من كان
فيها ففيه تمهيد لقوله **بغير الحق** اى بدون الاستحقاق حال من فاعل يتكبرون او صلة اى
يتكبرون بما ليس بحق اى يتكبرون بالباطل وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة المتكبرين الذين طبع
على قلوبهم بسبب شوم التكبر فلا يتفكرون فى الايات ولا يعتبرون بها غفلة باشتغالهم
وافتخارهم بما هم فيه من الشهوات الفاسدة وقيل ساصرفهم عن ابطال الايات والمعجزات
وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم وقال سفيان بن عيينة سامنعهم
فهم القران قال ذو النون قدس الله روحه ابى الله ان يكرم قلوب البطالين مكنون حكمة القران
قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادى ويحاربون اوليائى ساصرفهم عن قبول اياتى التصديق
بها حتى لا يومنوا بى عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقيل حكم الاية لاهل مصر خاصة واراد بالايات
التسع التى اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الاية عامة وفيها دليل المذهب اهل السنة على ان الله
تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن اياته وعن قبول الحق من يشاء ويوفق للتفكر فى
اياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء ويريد لا يسئل عما يفعل وهم يسألون قال الاستاد
ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم ولعل هذه فى
زماننا هذا صفة من يتشبث بمتشابهات القران ويظهر لضعفة المسلمين بتلك المتشابهات مذ
هبا جديدا ويصرفهم عن المحكمات ويسمون انفسهم اهل الحقايق والفرار منهم واجب قال الله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وسيماهم انهم لا يميزون بين الخالق والمخلوق نبهنا الله
من نوم الغفلة والاشتغال بما لا يعنى والحاصل التكبر فى صفة الله عز وجل صفة مدح وفى صفة
المخلوق صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه **وان يروا كل اية** منزلة او معجزة
لا يومنوا بها لعنادهم او لاختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى والتقليد لان الله طبع
على قلوبهم فلا يتفكرون فى الايات ولا يعتبرون بها **وان يروا سبيل الرشد** يعنى طريق الحق
والهدى والسداد والصواب **لا يتخذوه سبيلا** يعنى لا يختارون لانفسهم طريقا يسلكونه
الى الهداية لان على ابصارهم غشاوة قرا حمزة والكسائى الرشد بفتحتين والباقون الرشد بضمه
وسكون وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام **وان يروا سبيل الغى**
اى طريق الضلال **يتخذوه سبيلا** لاستيلاء الشيطنة عليهم وقد اراهم الله تعالى السبيلين
قال الله تعالى وهديناه النجدين فاثروا الغى على الرشد قال الله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى
والمتفق عليه على ما لا خلاف فى بطلانه والمتشابهات على المحكمات **ذلك بانهم كذبوا**
باياتنا اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تفكرهم وتدبرهم للايات ويجوز ان ينصب
ذلك

ذلك على المصدر اى ساصرف ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات وذلك الذى
اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغى بسبب انهم كذبوا بايات الله الدالة على توحيده
وكانوا عنها غافلين اى معرضين عن التفكر فيها والاتعاظ بها وذلك الغفلة غفلة اعراض
وعناد واصرار على الباطل لا غفلة سهو وجهل **والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة** اى بلقائهم
الدار الاخرة ومشاهدتهم احوالها او لما وعد الله فى الاخرة من الثواب والعقاب **حبطت**
اعمالهم اى بطلت وصارت كان لم تكن فلا ينتفعون بها والمعنى انه قد يكون فى الذين يكذبون
بايات الله من يعمل البر والاحسان والخير كصلة رحم وصدقة فبين الله تعالى بهذه الاية
ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله وانكارهم الدار الاخرة والبعث **هل**
يجزون الا ما كانوا يعملون اى هل يجزون فى العقبى الا جزاء العمل الذى كانوا يعملونه فى الدنيا
والحاصل لا يجزون الا جزاء ما عملوا من الكفر والمعاصى **واتخذ قوم موسى من بعده** اى من بعد انطلاق
موسى عليه السلام الى الطور لمناجات ربه قيل هذا معطوف على قوله وواعدنا موسى فيكون عطف قصة
على قصة **من حليهم** التى استعاروها من قوم فرعون يعنى القبط وذلك ان بنى اسرايل كان لهم عيد
فاستعاروا من القبط الحلى ليتزينوا به فى عيدهم فبقى عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه
فبقى الحلى ملكا لبنى اسرايل فلذلك نسب الحلى اليهم حيث قال من حليهم وقيل اضافة الحلى اليهم
لانها كانت فى ايديهم عوارى والاول اولى ونسب اليهم الاتخاذ وان اتخذه السامرى وحده لانهم
رضوا بفعله واتخذوا العجل معبودا لفرط جهلهم بالله ولصرف الله قلوبهم عن تدبر اياته
والحلى جمع حلى بفتح الحاء وسكون اللام كثدى وثدى قرا حمزة والكسائى بكسر الحاء واللام وتشديد
الياء والباقون بضم الحاء وقرا يعقوب على الافراد اى من حليهم والحاصل لما ابطا موسى عليه السلام
على بنى اسرايل جمع السامرى ذلك الحلى وكان رجلا مطاعا فى بنى اسرايل وكان صايغا فصاغ لهم
عجلا مفعول اتخذ **جسدا** بدل من عجلا اى جثة وبدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب
خاليا عن الروح وانما قال جسدا لئلا يتوهم انه كان مخطوطا او مرقوما **له خوار** اى صوت بقر
وحاصل المعنى ان السامرى القى فى ذلك الجسد الخالى عن الروح من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام
فتحول عجلا جسدا لحما ودما له صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل
اهل التفسير وهذا مناسب لقوله تعالى فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت
كان خفيف الريح ودويها وذلك انه جعله بنوع من الحيل والتلبيس مجوفا ووضع فى جوفه
انابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت فى تلك الانابيب يسمع لها صوت كصوت البقرة
والقول الاول اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه يخور كثيرا وكلما خار سجدوا له
واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى
وقرئ جوار بالجيم والهمزة وهو الصوت الشديد وفى المعالم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كانت
فتنتهم فى العشر التى زادها الله تعالى فلما مضت ثلثون ليلة وان السامرى كان قد اخذ قبضة من

من اثر فرس جبريل في البحر فقال حين مضى ثلثون ليلة يا بني اسرايل ان معكم من حلي القبطيين
وهي حرام عليكم فهاتوا ما عندكم فحرقها فاتوه بها فاوقدنا نارا ثم القى الحلي في النار فلما ذاب
القى تلك القبضة من التراب فصار حيا وخار خورة فقال السامري ان موسى ذهب يطلب ربكم فهذا
الهكم واله موسى فنسي اي اخطأ موسى الطريق وههنا الهه فان قلت الحلي كان للقبط وكان
مستعارا في يد بني اسرايل والغنايم لا تحل لاحد قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وامته بل كانوا يجمعون الغنايم
فيحرقونها في النار قلت لعل موسى لم يطلع على تلك الحلي في ايدي بني اسرايل ولذلك احرق العجل
بعد رجوعه ونسفه في اليم نسفا او قضية بني اسرايل مستثناة لقتل القبط ابناءهم واستعبادهم
اباهم يدل عليه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرايل ثم عجب
من عقولهم الخسيفة فقال توبيخا على غباوتهم وفرط ضلالهم واخلالهم بالنظر **الم يروا انه**
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اي الم يروا بنظر العقل الذين عبدوا العجل واتخذوه الها انه لا يقدر
على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر قيل ان
بني اسرايل كلهم عبدوا العجل وهارون عليه السلام ينهاهم عن ذلك بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى
وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو العمدة واجيب عن قوله واتخذ قوم موسى ونحو
انه خرج على الاغلب **اتخذوه** اي اتخذ قوم موسى العجل الها واقدموا على هذا الامر الشنيع **وكانوا ظالمين**
لانفسهم على الاقدام باتخاذ العجل الها لانهم اعرضوا عن عبادة الله الذي يضر وينفع واشتغلوا
بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب وانما اعاد الاتخاذ مقيدا
بالظلم ليفيد زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ اول منكر صدر عن بني اسرايل بل دابهم الاستمرار على
وضع الاشياء في غير موضعها واتخاذها في غير وجهها **ولما سقط في ايديهم** اي لما ندموا على
على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك كناية عن اشتداد ندمهم
لان من شان من اشتد ندمه وتحسره ان يعض يده غما ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة
على فخذه لان السقوط عبارة عن النزول من اعلى الى اسفل وقال بعضهم وقوله ولما سقط في ايديهم
هذا كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير اليد مسقوطا فيها والفاء
ساقط وواقع في اليد واصل الكلام ومعناه ووقع فوهم في ايديهم ندما على ما جرى من صنيعهم
الشنيعة قال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده
مكروه وان استحال ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد وفي الاماني
معناه اي ندموا غاية الندم لان من اشتد ندمه يعض بنانه قال الشاعر وكاني سبابة المتندم
وقيل لان من ندم وضع ذقنه في يده فالذقن ساقط واليد مسقوط فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل
بمعنى وقع العض فيها **وراوا انهم قد ضلوا** اي وعلموا وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل
قالوا تائبين **لئن لم يرحمنا ربنا** بانزال التوراة **ويغفر لنا** بالتجاوز عن الخطيئة اي بعناه
ان لم يتب علينا على ما جرى علينا من المخالفة ويتجاوز عنا **لنكونن من الخاسرين** اي من الذين
خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها قرا حمزة والكسائي الفعلين بالتاء على الخطاب

وذهب

ونصب الباء على ان ربنا منادى والباقون بالياء على الغيبة ورفع الباء على انه فاعل وهذا
كلام التائب النادم على ما فرط منه ورغب الى الله في اقالة عثرته وانما قالوا ذلك بعد ما رجع
موسى اليهم وهو قوله تعالى **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا** والمعنى لما رجع موسى
من مناجات ربه الى قومه من بني اسرايل رجع غضبان اسفا شديد الحزن على ما كان
منهم في غيبته عليه السلام وفي الحديث ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين بكاء وهما حالان
من موسى وانما رجع غضبان اسفا لان الله كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم
وكان موسى في حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب او قال شديد
وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان لان
الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك
ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا **قال** موسى **بئسما**
خلفتموني من بعدي اي بئس الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم حيث عبدتم العجل والخطاب للسامري
ومن تبعه او بئس خلافة خلفتموني بها خلافتكم اي بيما قمتم مقامي في الخلافة حيث لم تمنعوا من
عبادة العجل والخطاب لهارون عليه السلام والمؤمنين معه او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه **اعجلتم امر ربكم** اي اسبقتم وعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم
امر ربكم وهو ما امركم الله به من الانتظار اربعين يوما واتياني لكم بالتوراة بعد تمام هذا الاجل
والحاصل انركتم امر ربكم غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي
وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم روي ان موسى وعدهم في الرجوع في اربعين يوما فلما
تعدوا عشرين يوما اربعين اعتدادا بالليالي لفرط بلادتهم وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة
قال البيضاوي كانه ضمن عجل معنى سبق فعدى تعديته ومعنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذا
صار مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء اول وقته ولقايل ان يقول لو كانت العجلة
مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا
له ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال **والقى الالواح**
اي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين وكان حاملا لها وفيها التوراة قال
البغوي وغيره فالقاها على الارض من شدة الغضب قال الرواة واصحاب الاخبار كانت التوراة
سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح وتكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها
ما كان من اخبار الغيب فانه كان فيها تفصيل وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي
ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره الله به حق وصدق ومع ذلك لم يلق
التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة
ومنهم من فسر القى بمعنى وضع لا بمعنى الطرح والرمي ثم قال ولقايل ان يقول ليس في القران الا انه القى الالواح
فاما انه القاها بحيث تكسرت فليس في القران وانه عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالانبياء ويرد
قول القايلين بالكسر والرفع قوله تعالى بعد ذلك ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح يعني اخذها

باعيانها وكمالها من غير رفع وكسر قال ابو منصور ولا يظن بموسى عليه السلام انه طرح الالواح
بحيث تكسرت لانه يشبه الاستخفاف بكلام الله والمراد بالالقاء الوضع لا الطرح كما في قوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقوله والقى في الارض رواسي فان موسى عليه السلام قصد ان ياخذ
راس اخيه يجره اليه وكان لا يمكنه ذلك مع بقاء الالواح في يده فوضعها لهذا واخذ براس
اخيه اي بشعر راسه بيمينه ولحيته بشماله لشدة غضبه يجره اليه عتابا لا هوانا به
بل توهما منه بانه قصر في كفهم عن عبادة العجل وهارون كان اكبر منه بثلث سنين
وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وهذه الجملة وقعت حالا من فاعل
اخذ اي اخذ جاذا اليه وقال ابن الانباري لما رجع موسى وجد قومه مقيمين على المعصية
كبر ذلك على موسى واستعظمه فاقبل على اخيه هارون يلومه ومد يده الى راسه لشدة موجدته
عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل وتلافاهم فاعلمه هارون انما اقام بين اظهرهم
خوفا على نفسه من القتل وهو قوله عز وجل قال اي هارون ابن ام منادى حذف حرف
ندائه تخفيفا واضافته الى الام وان كانا من اب وام واحد تذكيرا لحقها لانها قاسيت المخاوف
فيه ليرققه عليه ويستعطفه قرا ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر الميم تخفيفا كالمنادى المضاف الى
اليا والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر وقيل كان اخاه لامه ان القوم
الذين عبدوا العجل استضعفوني اي استذلوني وقهروني ولم ال جهدا في كفهم عنها وكادوا يقتلونني
اي وقاربوا او هموا ان يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء اي لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه
يعني بعتابك اياي واصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ولا تجعلني مع القوم الظالمين
اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير واراد بالقوم عبدة العجل ولما اتضح لموسى عليه
السلام عذر اخيه قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون اي مما اقدمت عليه من الغضب و
لاخي اي واغفر لاخي هارون ان وقع منه تقصير في الخلافة مطلقا او في الانكار على عبدة العجل ضم
موسى نفسه الى هارون في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا جميعا في
رحمتك التي وسعت كل شيء في الدنيا والاخرة وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا
لانك تجزي النوال على قليل الشكر ان الذين اتخذوا العجل اي الها عبدوه من دون الله
سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا اي سيصيبهم انتقام وعقوبة
من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا والحاصل الذين
اتخذوا العجل ان كان المراد بهم التائبين فالغضب هو قتلهم انفسهم وان كانوا غير التائبين
فعذاب الاخرة واراد في الحياة الدنيا خروجهم عن ديارهم لان ذل الغربة شديد فان قيل
الغضب والذلة كيف يتصور مع التوبة قلنا نفس القتل عبارة عن الغضب واستسلامهم للقتل
واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا عبارة عن الذلة قال ابن جريج في هذه الاية ان هذا
الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وقيل اراد بالذين اتخذوا
العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي

صلى الله عليه وسلم واباؤهم الذين عبدوا العجل وقال اراد بالغضب عذاب الاخرة وبالذلة في الدنيا
الجزية وقال عطية العوفي سينال اولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى
هذا القول فعير الابناء بقبائح افعال الاباء كما هو عادة العرب يعني وصف اليهود الذين كانوا في
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباؤهم فعلوا ذلك ثم حكموا على اليهود
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بانهم سينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا
وهنا حذف مضاف تقديره ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم وقوله
عز وجل وكذلك نجزي المفترين اي وكما جازينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها كذلك نجزي كل
من افترى على الله كذبا او عبد غيره من خلقه ويومن بعض الوجوه وافريه اعظم من ادعاء
الالوهية في ولد البقر حيث قال السامري هذا الهكم واله موسى ومن الناس من يثبت الناثر كل ما
سوى الله ويتسترون انفسهم بقولهم بالاذن وقال ابو قلابة هي جزاء كل مفتر الى يوم القيمة ان يذله
الله وقال سفيان هذا في كل مبتدع الى يوم القيمة وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد
فوق راسه ذلة قلت وقولهم حق وصدق في ان المبتدع مفتر في دين الله ويكفي في ذلة مبتدع زماننا
كتمان علومهم وعباداتهم الفاسدة وتاويلاتهم الزايغة تبا لهم اخر الدهر والذين عملوا السيئات
اي عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبيرا او صغيرا حتى الكفر فما دونه ثم تابوا من
بعدها اي ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة بالاخلاص وامنوا اي صدقوا بوحدانية الله
تعالى واشتغلوا بمقتضاها من الاعمال الصالحة او صدقوا بان الله هو يقبل توبة التايب ويغفر
الذنوب ان ربك يا محمد او يا ايها الانسان التايب من بعدها اي من بعد توبتهم لغفور
رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرايم بني اسرائيل ومعنى الاية ان من اتى بجميع
السيئات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشاير
للمذنبين التايبين ولما سكت اي سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار اخيه هرون
او بتوبة القوم وفي نسبة السكوت الى الغضب مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له
على ما فعل كالامر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ اسكت واسكت على ان المسكت
هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح اي التي القاها كما كان قال الامام فخر الدين والدنيا
فظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم يرفع من التوراة شيء وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل
والتحويل فاذا انتسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقل ما في الاصل الى
الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لان الالواح نسخت من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتسبة
من الالواح التي اخذها موسى من الالواح بعد ما تكسرت والتخليص المعنى اخذ موسى الالواح التي وضعها
وفيما نسخ وكتب في تلك الالواح من اللوح المحفوظ هدى ورحمة اي هدى من الضلالة وبيان
للحق وارشاد الى الصلاح والخير قال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين
يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الاولى بعينه فتكون نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر

واخذ هاموسى بعينها بعد ما القاها يكون معنى وفى نسختها المكتوب فيها هدى من الضلالة ورحمة
من العذاب للذين هم لربهم يرهبون اى للخائفين من ربهم ودخلت اللام على المفعول اى لربهم
لضعف عمل الفعل المتقدم المفعول مثله قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او المفعول محذوف واللام
للتعليل اى يرهبون المعاصى لربهم لا للرياء واختار موسى اى بامر الله اياه قومه
اى من قومه سبعين رجلا لميقاتنا اى للوقت الذى واعدناه ان يأتينا فيه قال اصحاب
الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال موسى
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم اجر مثل من خرج فقعد يوشع بن نون
وكالب بن يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرا
فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات
ربه واختلف اهل التفسير فى ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذى كلمه فيه ربه وسال فيه الرؤية
وذلك انه لما خرج الى طور سيناء اخذ معه هؤلاء السبعين الذين لم يعبدوا العجل فلما دنا موسى
من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا
حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما
انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة
المذكورة فى هذه الاية وقال السدى ان الله امر موسى ان ياتيه فى ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة
العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما
اتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك ياموسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة
فماتوا فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا
الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم
من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان
لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاء
ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام
حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع على
جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بنى ادم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم
حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ
اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه
يقول رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان الله تعالى امر موسى ان
يختار من قومه سبعين رجلا فاختار موسى سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا
الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم

فاخذتهم

فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى وقيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم
ادعوا على موسى انه قتل هارون قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه انطلق موسى وهارون
الى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل قالوا له انت قتلته
حسدتنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا فى بنى اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا
من شئتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلنى احد ولكن
توفانى فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يارب لو شئت اهلكتهم من
قبل واياى الاية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لكونهم لم يفارقوا عبدة العجل لا انهم
من عبدة العجل قال ابن عباس رضى الله عنهما انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين عبدوا
العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال
مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج
موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم
قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظى لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم
عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله فلما اخذتهم الرجفة اى
الصاعقة او رجفة الجبل اى اضطرابه الشديد الذى يحصل معه التغير والهلاك فماتوا منها لقوله تعالى
ثم بعثناكم من بعد موتكم فان قلت قوله تعالى فى سورة النساء فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات يدل على ان اتخاذ العجل متاخر عن رجفة الجبل قلت ثم هناك محمول على التراخى
الرتبى على ان اتخاذ العجل كان قبل مجىء موسى بالتوراة ولانه حكى فى سورة البقرة قضية العجل قبل اخذ الصاعقة
والقرآن يفسر بعضه بعضا قال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا بل كان هيبة واضطرابا
شديدا فلما راى موسى ذلك خاف عليهم الموت فدعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة
فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال اى موسى رب اى يارب
لو شئت اهلكتهم اى عبدة العجل من قبل واياى اى من قبل عبادتهم العجل او من قبل هذا اليوم
او قبل خروجى بهم ليعاين بنو اسرائيل ذلك ولا يتهمونى وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على
السبعين اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتهم يعنى قبل خروجهم
الى الميقات واياى معهم فكان بنو اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونى ولكن ترحمت عليهم بالنجاة
من فرعون ومن البحر من قبل هذه الجريمة فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك
وفى بعض التفاسير ان موسى تمنى هلاكهم وهلاك نفسه وهذا امر بعيد من منصبة النبوة لما رواه البخارى
لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به اتهلكنا جميعا بما فعل السفهاء منا اى بما طلب الجهال منا الرؤية
عيانا وهم عبدة العجل قال الفراء ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا
بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسالتهم الرؤية وهو قولهم ارنا الله جهرة
وهذا قول الكلبى وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى يهلك
قوما بذنوب غيرهم ولكن اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحد اى لست تفعل ذلك هذا

قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف اى لا تهلكنا ولا تعذبنا بذنوب غيرنا بل
ارحمنا اذ قد علم موسى عليه السلام ان الله تعالى اعدل من ان ياخذ احدا بجريمة غيره ان هى اى
الفتنة التى وقعت فيها السفهاء الا فتنتك اى ابتلاؤك واختبارك او حدثت فى العجل جوارا فزعوا
به او طلبوا الرؤية عيانا بما راى من لطفك ونسوا المكر قال الواحدى الكناية فى هى تعود الى الفتنة كما تقول
ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التى وقعت فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اى الا اختبارك
وابتلاؤك وهذا تاكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك
الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا
على دينك وهو المراد من قوله تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء قال الواحدى وهذه الاية من
الحجج الظاهرة على القدرية التى لا يبقى لهم معها عذر انت ولينا القائم بامورنا الدنيوية والاخروية
وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما كسبناه من المعاصى فى الباب سال موسى لنفسه ولقومه
المغفرة اما لنفسه فلقوله ان هى الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقولهم ارنا
الله جهرة والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل من شان الولى المغفرة والرحمة وارحمنا
بافاضة اثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين يعنى ان كل من سواك من غيرك
خلقك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض
ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين لانك تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب
لنا اى قال موسى فى دعائه واثبت لنا واقسم فى هذه الدنيا حسنة اى حسن معيشة وعافية و
حياة طيبة وتوفيق طاعة قال الاستاذ معناه اى اجعلنا ممن كتبت له حسنة وهى ثواب الاعمال الحسنة
والحياة الطيبة قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى فلنحيينه حياة طيبة وفى الاخرة اى
واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهى المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه انا
تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان
اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم العامة على ضم الهاء
من هاد يهود بمعنى رجع وقرى بكسرها من هاده يهيده اذا اماله وحركه ويحتمل ان يكون هدنا
بالكسر مبنيا للفاعل بمعنى املنا اليك انفسنا وللمفعول بمعنى املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال اى قال الله عز وجل عند دعاء موسى عليه
السلام عذابى اصيب به من اشاء تعذيبه من خلقى وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكى
وعبيدى ومن تصرف فى خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتى وسعت كل شىء يعنى
ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وكفى بذلك ايجادهم الى الوجود من محض العدم وتجنبه
بمحض جوده قال السلطان اى فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره انتهى قلت لانه ما من مسلم الا وعليه
اثار رحمته ونعمته فى الدنيا فبها يتعيشون وبها ينقلبون وقال بعضهم هنا من العام اريد به الخاص
فرحمته سبحانه عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الاخرة وقيل للمؤمنين خاصة
فى الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيمة

وجبت

وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتى وسعت كل شىء تطاول ابليس اليها
وقال انا من ذلك الشىء فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة
والذين هم باياتنا يؤمنون فايس ابليس منها والمعنى فساثبتها فى الاخرة او فساكتبها كتبة
خاصة منكم يا بنى اسرائيل للذين يتقون الشرك وساير ما نهوا عنه ولمن يعطى الزكاة خصها بالذكر لشرفها
وفيه تعريض على بنى اسرائيل حيث كانت الزكاة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع شرفها على
ساير العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذى هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن اخرها
ولمن يؤمن بجميع اياتنا وكتبنا فلا يكفر بشىء منها وفيه تعريض بنى اسرائيل بكفرهم بالايات العظام واثابوا
بالعمل المالية بقوله ويؤتون الزكوة وبالقلبية والذين هم باياتنا يؤمنون قال الشيخ قوله للذين يتقون
ويؤتون الزكوة افرده بالذكر لكونه اشق وهذه لامة موسى ثم اردفه بمن هو من امة محمد صلى الله عليه وسلم
ومن يؤمن به عليه السلام من اهل الكتابين بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون وبعض المفسرين
خص الاية كلها بامة محمد فقال للذين يتقون اى يتقون الشرك من امة محمد صلى الله عليه وسلم الى اخر الاية
على هذا الاسلوب ولكن لا يساعده ما عليه اكثر المفسرين حيث قالوا لما سمعت اليهود والنصارى قوله تعالى
فساكتبها الى قوله باياتنا يؤمنون قالوا نحن نتقى ونؤتى الزكوة ونؤمن بالتورية والانجيل فنزعها الله من
اليهود والنصارى واثبتها لامة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى مبتدا
خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم
كعبد الله بن سلام واضرابه وانما سماه رسولا بالنسبة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامى الذى
لا يكتب ولا يقرا وهو قول ابن عباس وصفه به تنبيها على كمال علمه مع حاله احد معجزاته وقال الشيخ
الامى بالضم نسبة الى الام كانه باق على حالته التى ولد عليها او الى امة العرب فان اكثرهم لا يكتبون
ولا يقرءون قال جمهور المفسرين المراد بالذين يتبعون الرسول الخ جميع امته الذين امنوا به واتبعوه
سواء كان من بنى اسرائيل وغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى
الله عليه وسلم وذكر فى معنى الامى حديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة لا نكتب ولا نحسب وقال
اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم
اتى بهذا الكتاب العظيم الذى اعجز عنه الخلايق فصاحته وبلاغته وكان يقراه عليهم بالليل
والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك
فلا تنسى ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير
مطالعة كتب ولا اشتغال على احد دل على كونه معجزة له عليه السلام وقيل سمى اميا لانه عليه السلام
منسوب الى ام القرى وهى مكة عظمها الله والامى عند المحققين من لم يعلم من الدنيا شيئا ولا من الاخرة
الا ما علمه ربه حالته مع الله حالة واحدة وهى الطهارة بالافتقار اليه والاستغناء عما سواه
الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل اى النبى الامى الذى يجدون صفته ونعته
ونبوته واسمه مكتوبة عندهم فى الكتابين المختصين بهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم
كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافون منه

فزالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان ذكر الامام فخر الدين فى معنى الذين يتبعون وجهين
احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته فى التورية اذ لا يجوز ان
يتبعوه فى شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق قال وفى قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا فى الانجيل
لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثانى ان المراد من لحق من بنى اسرايل
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هولاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه
قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين هذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها
بنو اسرايل الا من اتقى واتى الزكوة وامن بالايات فى زمن موسى ومن كانت هذه صفته فى ايام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبى صلى الله عليه وسلم فى شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله
الذين يتبعون الرسول النبى الامى من بنى اسرايل خاصة اقول وجمهور المفسرين على خلاف ذلك كما ذكرنا انفا
بان المفسرين قالوا المراد بهم جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سواء كان من بنى اسرايل او غيرهم وقال
بعض المشايخ الصوفية رضوان الله عليهم ومعنى الذين يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل بانه
خلقه الله وخلق ما سواه لاجله وخصه بخطاب خلقتك وخلقت ما سواك لاجلك لولاك لولاك لما
خلقت الافلاك انتهى خ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التورية فقال اجل انه الموصوف فى التورية ببعض صفته فى القران
يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
شرح غريب الفاظ الحديث الفظ السيء الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين
والصاد وهو الكثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجاء الكفر
والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شيء ينفعه شبهه بالاغلف كانه فى غلاف وروى اماماً
البغوى قدس سره عن كعب الاحبار قال انى لاجد فى التورية مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ
ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحمادون يحمدون الله
فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد ياتزرون على انصافهم ويوضئون اطرافهم صفهم فى الصلوة
وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده
بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وعلامة الامى هو انه **يامرهم بالمعروف** اى بالايمان وتوحيد
الله ومكارم الاخلاق قال الزجاج هذا كلام مستانف لا محل له من الاعراب او خبر للذين يتبعون
وينهاهم عن المنكر اى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف
فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام
وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام **ويحل لهم الطيبات** اى الحلالات التى
كانت محرمة عليهم بشوم ظلمهم فى التورية وهى لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا
يحرمونه على انفسهم فى الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل والحامى وقيل هى المستلذات التى

يستطيبها

تستطيبها الانفس **ويحرم عليهم الخبايث** كالدم والخنزير وكالربا والرشوة وما اهل به لغير الله
وغيرها من المكاسب الخبيثة وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل فى
المضار الحرمة الا ما له دليل منفصل الحل وفى العبادات **ويضع عنهم اصرهم** اى التكاليف
الشاقة عليهم كقطع الاعضاء الخاطئة وكتعيين القصاص فى العمد والخطا وقرض موضع النجاسة
عن البدن واصل الاصر الثقل الذى ياصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة لثقله قال الاستاد والمراد
بالاصر هنا العهد والميثاق الذى اخذ على بنى اسرايل ان يعملوا بما فى التورية من الاحكام وكانت
تلك شديدة وفى الحديث من تاخر عن الجمعة له كفلان من الاصر اى الاثم وعليه يحمل الان التكاليف
الشاقة عملت من قوله **والاغلال التى كانت عليهم** يعنى ويخفف ويضع عنهم ما كلفوا به
من الاثقال والشدايد التى كانت عليهم فى دين موسى وشريعته كترك العمل فى السبت وان صلاتهم
لا تجوز الا فى الكنايس وتتبع العروق من اللحم ونحو ذلك مما ذكرنا انفا شبهت تكاليفهم بالاغلال
مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد الى
العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام التى نهيت عنه وهذه الاثقال و
التكاليف نسخت كلها بمجى محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية
السهلة السمحة وعن عطاء انهم كانوا يغلون ايديهم الى اعناقهم فى الصلوة وقرا ابن عامر اصارهم
بصيغة الجمع وقيل هذه القراءة هى المختار لكونها نصا فى الانواع وموافقة للاغلال والباقون اصرهم
لانه اسم جنس والله اعلم **فالذين امنوا** منهم **به** اى بمحمد صلى الله عليه وسلم **وعزروه** اى
وقروه وعظموه بالتقوية واصل التعزير المنع والنصرة ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح
وتعزير النبى تعظيمه واجلاله واكرامه ودفع الاعداء والحساد عنه قرا الجمهور بالتشديد وقرى
بالتخفيف **ونصروه** على اعدايه **واتبعوا النور الذى انزل معه** اى مع نبوته يعنى القران وانما
سماه نورا لان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء العلم واليقين
قال الاستاد وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر او لانه كاشف الحقايق مظهر لها فان
قلت ما معنى انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته اى مصاحبا لنبوته لان
استنباه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يتعلق معه باتبعوا اى واتبعوا القران المنزل
مع اتباع النبى بالعمل بسنته وبما امروا به ونهى عنه او واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له عليه
السلام فى اتباعه وقيل مع بمعنى على اى انزل عليه وقد سمى النبى عليه السلام ايضا بالنور كما فى قوله تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين **اولئك هم المفلحون** اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة
هم الناجون الفايزون بالهداية ثم بين الله شرف نبيه على ساير الخلق بقوله **قل يا ايها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا** الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا
لا الى بعضكم دون بعض ففى الاية دليل الى انه مبعوث الى كافة الثقلين وساير الرسل الى قومهم وجميعا
حال من اليكم خ عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلى كان
كل نبى يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لى الغنايم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت

لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب
على العدو بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطهن احد
من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته
الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة
وبعثت الى الناس عامة وفي الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب
وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا يكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس
والجن م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع
الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي
النبيون قال الاسناد ثم لا يخفى ان المراد من قوله عز وجل اني رسول الله اليكم جميعا انه صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى من كان موجودا بعد بعثته ولو بعد وفاته الى قيام الساعة ولا يخفى ايضا انه عليه السلام مبعوث
الى قيام الساعة امر مختص به صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه ما قيل من ان ادم عليه السلام كان مبعوثا الى جميع
اولاده ونوحا لما خرج من السفينة كان مبعوثا الى الذين كانوا معه وهم جميع الناس في ذلك الزمان
لانهما ما كانا مبعوثين الى كافة الناس الى يوم القيمة بل كانا مبعوثين اليهم في زمانهما اي عمم بعض العلماء
ان رسالته عليه السلام عام لكن دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين لقوله عليه السلام رفع
القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق والجواب انه
رفع القلم عن الاصناف الثلثة ايضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب والتكليف
ثم لما امر الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل
على صحة دعواه بقوله **الذي له ملك السموات والارض** يعني ان الذي له ملك السموات والارض هو
مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني ان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا والموصول مجرور على
انه صفة الله وتوسيط اليكم لا يقدح في كونه صفة الله او منصوب او مرفوع على المدح او مرفوع على
انه مبتدأ خبره **لا اله الا هو يحيي ويميت** وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيها وانه القادر
على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه وهو على الوجه الاول
بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي المدارك لا اله الا هو بدل من الصلة وهي
له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها وفي يحيي ويميت بيان
لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره **فامنوا بالله ورسوله النبي الامي**
الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه قال قتادة اراد
بكلماته يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله
كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله اعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها
بقوله فامنوا الخ واما عملية واليها الاشارة بقوله **واتبعوه** اي واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به
او ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال
بان يمتثل التابع جميع ما يامر به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة
في الافعال

في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله واداءه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت
الدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه لعلة الاختصاص **لعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا وترشدوا
وتصيبوا الحق في متابعتكم اياه جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه
بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة **ومن قوم موسى** اي من بني اسرائيل **امة** اي جماعة وطايفة
هم على الحق **يهدون** الناس **بالحق** اي يهتدون على الحق وبكلمة الحق ويستقيمون عليه ويعملون به
ويرشدون اليه **وبه يعدلون** يعني وبالحق يحكمون بينهم وبالعدل ياخذون ويعطون
وينصفون قال البيضاوي المراد بها الثابتون على الايمان القايلون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم
ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر
وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وفي
الباب واختلفوا في هؤلاء من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام واصحابه
فانهم امنوا بموسى والتورية وامنوا بمحمد عليه السلام والقران واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين
ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم
كما في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل
التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جرير وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما
قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق
بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك
حنفاء مسلمون مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا رواه
الطبري وحكى الامام البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق
على نهر يجري الرمل يسمى نهر اوداق ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون
بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر لنا ان جبريل عليه السلام ذهب
بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي
الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقرأهم عشر سور من القران نزلت عليه
بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة فامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان احدا منا لا يصل واذا كان الامر كذلك فمن
اوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به
وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ايمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاصين
في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج
انه سلم عليه في السماء السادسة وايضا قولهم اقرأهم عشر سور من القران وقد نزل عليه بمكة اكثر
من ذلك وكان فرض الزكوة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضها فاذا ثبت ما ذكرناه بطلان هذه
الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها اما ان يكون نزلت في قوم كانوا مستمسكين بدين موسى

قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان يكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه والله اعلم بمراده انتهى اقول ورايت هذه الحكاية على وجه غير هذا
بحيث ينفر منه الطبع ولا يقبله العقل فتركته قوله تعالى **وقطعناهم** يعني وفرقنا بني اسرائيل و
صيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض **اثنتي عشرة اسباطا** يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو
اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا واثنتي عشر مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير
او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة وتميزه محذوف فتقديره اثنتي عشرة قبائل او امة او فرقة و
اسباطا بدل منه ذلك التميز ولذلك جمع والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وقرئ بكسر الشين واسكانه
امما بدل بعد بدل او نعت لاسباطا ومعنى امما اي جماعات وقبائل **واوحينا الى موسى اذ استسقاه**
قومه اي حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا لمجرد استسقائهم اياه
عليه السلام بل باستسقائه لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه **ان اضرب بعصاك الحجر**
فضربه **فانبجست** اي انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس **منه** اي من الحجر وحذفه للايماء على ان موسى لم
يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن له تاثير في ذاته بل كان ذلك بمحض فضل الله **اثنتا عشرة عينا**
يعني لكل سبط عين **قد علم كل اناس** اي سبط منهم **مشربهم** اي عينهم الخاصة بهم **وظللنا عليهم**
الغمام في التيه ليدفع عنهم حر الشمس **وانزلنا عليهم المن** هو الترنجبين **والسلوى** جنس من الطير هو
السماني جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه وقلنا لهم **كلوا من طيبات ما رزقناكم** اي من حلاله
ولا ترفعوا منه شيئا لغد فرفعوا فرفع عنهم انزال المن والسلوى ولو لم يرفعوا لداموا عليه
الانزال **وما ظلمونا** اي وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم قال الاستاد في الكلام حذف
تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاجموا ذلك وساموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسالوا
غيره **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** فيرجع وبال ظلمهم اليهم ولا يضرنا شيء والمكلف اذا امر بشيء
فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في
ملكنا وسلطاننا نقصا وضررا بمسالتهم ما سالوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بمخالفتهم ما امروا به وقد
تقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة ولا باس باختلاف بعض الكلمات والقصة واحدة اذ لم يكن
بين العبارتين تناقض فانه قال هناك واذ قلنا وهنا واذ قيل لهم اسكنوا بدل ادخلوا وهناك قال
فكلوا وهنا وكلوا واسقط هنا رغدا وذكر هناك وغير ذلك مما هو ظاهر للمتامل وستقف على الاختلاف
قريبا مبينا وقوله تعالى **واذ قيل لهم** اي واذكر يا محمد لقومك وقت قوله تعالى لبني اسرائيل **اسكنوا هذه**
القرية يعني بيت المقدس او اريحا ولا منافاة بين ادخلوا واسكنوا لان كل ساكن في موضع لا بد له
من الدخول اليه **وكلوا منها حيث شئتم** اي بالسعة عليكم لا بالضيق يعني وكلوا من ثمار القرية
وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم واين شئتم قال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا وكلوا بالواو
والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقيب الدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب وكما ان
السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاؤوا وقال في البقرة
رغدا وترك هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل واما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن

دخوله

دخوله لفظة رغدا هناك بخلاف هنا **وقولوا حطة** اي مسالتنا حط ذنوبنا عنا **وادخلوا**
الباب اي باب القرية وقيل باب القبة التي يتعبد فيها موسى وهارون **سجدا** اي منحنين بالسجود لله
تعالى شكرا على اخراجهم من التيه وقدم وادخلوا الباب سجدا على قوله وقولوا حطة في البقرة
وهنا كما ترى ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع
والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير **نغفر لكم خطيئاتكم** يعني نغفر لكم ذنوبكم
ولا نواخذكم بها وانما قال هنا خطيئتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء
كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء
وضمها وفتح الفاء وقرا الباقون بالنون وفتحها وكسر الفاء وقرا ابن عامر خطيئتكم على التوحيد
ورفع التاء وقرا ابو عمرو خطاياكم بالجمع وقرا اهل المدينة ويعقوب خطيئاتكم بالجمع ورفع
التاء وقرا الاخرون خطيئاتكم بالجمع وكسر التاء **سنزيد المحسنين** بالطاعة ثوابا وعد اولا بالغفران
وثانيا بالزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس
في مقابلة ما امروا به وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو قال الاستاد ومعناه انه وعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لانه استيناف مرتب على تقدير قول
القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل**
لهم اي غير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امر الله من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل لهم وامروا به وذلك
انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة شعيرة ودخلوا يزحفون على استاههم **فارسلنا**
عليهم اثر مخالفتهم من غير تاخير **رجزا من السماء** اي عذابا كائنا منها والمراد به الطاعون لما روي
انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة
انزلنا لانهما لا يكونان الا من اعلى الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر
بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا **بما كانوا يظلمون** يعني ارسال العذاب
عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا انفسهم بما
غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله وقد تقدمت هذه القصة في سورة البقرة **واسالهم**
السوال للتوبيخ والتقرير بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا يعلم الا بتعليم ووحي
ليكون لك معجزة عليهم **عن القرية** اي عن خبرها وما وقع باهلها **التي كانت حاضرة البحر** اي
مجاورة بحر القلزم وقريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل هي مدين وقيل
طبرية الشام قال ابن عباس هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية نزلت حين قالت
اليهود نحن ابناء ابراهيم فلا يعذبنا الله الا مقدار عبادتنا العجل فامر الله رسوله ان يسال عن اليهود الذين
هم جيرانه عن حال اهل القرية التي كانت ملاصقة البحر من اليهود كيف عذبهم الله وقد كان صلى الله عليه وسلم
يعلم حال اهل القرية بوحي الله عز وجل اليه ولكن امره بالسوال عنهم للتوبيخ واظهار معجزة نبيه عليه الصلاة
والسلام كما اشرنا **اذ يعدون في السبت** اي يتجاوزون حدود الله بالصيد فيه وقد نهوا عنه واذ
يعدون بدل من القرية او ظرف لكانت او لحاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال **اذ تاتيهم**

حيتانهم يوم سبتهم شرعا اى ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تاتيهم متتابعة يتبع بعضها
بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض قوله اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل وقرى يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون من الاعداد اى يُعِدّون ويهيئون الات الصيد
يوم السبت اى يوم تعظيمهم امر السبت لانهم قد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت سبتها بالتجرد للطاعة وقيل هو اسم اليوم المعروف واضافة السبت اليهم لاختصاصهم
باحكام فيه ويويد المصدرية انه قرى يوم اسباتهم والحيتان جمع حوت ابدلت الواو ياء لسكونها وانكسار
ما قبلها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اى يوم لا يعظمون السبت بالعبادة ولا يدخلون فيه يعنى ساير
الايام غير السبت لا تاتيهم حيتانهم ابتلاء من الله ويوم ظرف لا تاتيهم كذلك نبلوهم اى مثل هذا
الاختبار الشديد نختبرهم مع علمنا بحالهم قال الاستاد معناه اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم
معاملة من نختبرهم لتظهر عداوتهم ونواخذهم به بما كانوا يفسقون اى ذلك الاختبار والابتلاء
بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به وقرا الحسن لا يُسبتون بضم الياء اى لا يدخلون
فى السبت والقراءة المعروفة بنصب الياء ومعناه لا يعظمون السبت كما فسرنا بالروايتين قال اهل التفسيرات
اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله تعالى امرهم بتعظيمه ونهاهم عن
العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم فى يوم السبت
ينظرون اليها فى البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل بلاء ابتلوا به فوسوس اليهم
الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم
انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم
الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى الا قد احل لنا فاصطادوا و
اكلوا وباعوا فصار اهل القرية احزابا ثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث
سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا
امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم فى قرية
واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم
داود عليه السلام وكانوا فى زينه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان
لهم شانا لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذى بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا
اليهم فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتى انسابها
من الناس فتشم ثيابهم فتقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجى الناهون
وهلك سايرهم فذلك قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم عطف
على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب واختلفوا فى القايلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية
افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل القبيح وفرقة
امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم قلت
قلت الظاهر من كلام البيضاوى ان اجتهد فرقتان من صلحاء الامة فى موعظة الفرقة المعتدية ثم احدى

هاتين

هاتين الفرقتين ايسوا من اتعاظهم لعدم تاثير الوعظ فيها فقال الايسون لاخوانهم الناهين الغير
الايسين لم تعظون الى اخرها وهذا كلام وجيه غرابة لا يوافق لما سياتى من قول ابن عباس لا ادرى
ما فعل الله بالفرقة الساكنة او معذبهم فى الاخرة عذابا شديدا يعنى انهم لاموهم على موعظة
قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لاموهم قالوا معذرة
الى ربكم يعنى ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب علينا
فوعظتنا هولاء عذر لنا عند الله يعنى موعظتنا اياهم عذر الى الله حتى لا ننسب الى التقصير والتفريط
فى النهى عن المنكر ولعلهم يتقون اى ونحن نرجو ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما
هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة
عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة
الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت
لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى فلم تعظونا وقد علمتم
ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى
ربكم خطابا من الناهية للمعتدية ولقال ولعلكم تتقون قوله ولعلهم عطف على معذرة وقرا حفص
عن عاصم معذرةً بالنصب على المفعول من اجله اى وعظناهم لاجل المعذرة او على المصدر بفعل مقدر من
لفظها تقديره نعتذر به معذرة او وعظناهم معذرة وفى المدارك ولعلهم يتقون اى ولطمعنا فى ان يتقوا
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا ما ذكروا به اى فلما تركوا ما وعظوا به يعنى تركوا ما وعظهم به
صلحاؤهم كترك الناسى للشىء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شىء من تلك المواعظ اصلا
انجينا الذين ينهون عن السوء اى المنكر او عن العذاب الشديد وهم الفرقة الناهية والساكتة
روى عكرمة عن ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس فلا ادرى ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكى قال عكرمة فقلت له جعلنى الله فداك
الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله انجيتهم لم يقل الله
اهلكتهم قال فاعجبه قولى فرضى به وامر لى ببردين فكسانيهما وقال يمان بن رئاب نجت الطايفتان
الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال
ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه اشد اية فى ترك النهى عن المنكر واخذنا الذين
ظلموا يعنى الفرقة المعتدية العاصية لله بصيد الحيتان بعذاب بئيس شديد وجيع وهو مسخهم قردة
كما يشير بقوله فلما عتوا قريبا وقيل المسخ يكون بعد العذاب فى العامة بئيس على وزن فعيل من بؤس
باسا اذا اشتد وقرا نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلت فى ذيب او على انه فعل الذم يوصف به
فجعل اسما وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة بعدها على انه بئس كحذر كما قرى فخفف عينه بنقل
حركة الهمزة الى الفاء ككبد فى كبد وابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وقرى بيّس بتشديد الياء بكسرة
على قلب الهمزة ياء ثم ادغمها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا يفسقون اى انا اخذناهم
بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا ولم يكن مواخذتهم بمجرد التعدى بل باعتبار حاله

ذلك لا نستلزم ايهما للكفر ثم اخبر الله عن عذاب من تعدى فى السبت بقوله فلما عتوا اى تكبروا عن
ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر ربهم قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والمعنى
فلما تمردوا فى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك
فى يوم السبت واكله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة
لما عتوا عن ما نهوا عنه مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا وقال ابن عباس جعل
الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان الشيخة صاروا خنازير وقيل انهم
بقوا ثلثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا وقال صاحب الغاية وفى الحديث لم يبق من الامة الممسوخ
نسل فان قيل كيف امرهم بهذا واستطاعتهم من صورة البشر الى صورة القردة ليس فى وسعهم بان يجعلوا انفسهم
قردة قلنا هو امر ايجاب فهو مثل قوله تعالى كن فيكون يعنى تعلقت ارادته تعالى بذلك عبر عنه بالقول على سنن
الملوك او جرت عادته بايجاد الاشياء بقوله كن قال بعضهم الظاهر من قوله تعالى واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس انه
عذبهم بعذاب بئيس شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم قردة فلته وقيل الاكثرون الى ان قوله فلما عتوا تفصيل
وتقرير لقوله فلما نسوا ما ذكروا به الى بعذاب بئيس وفى المدارك وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب
البئيس هو المسخ انتهى والله اعلم وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك لما ذكر الله
قبائح اليهود ذكر ههنا حكمه عليهم بالذلة الى يوم القيمة ان لم يرجعوا الى الاسلام واذ منصوب بمضمر معطوف
على قوله تعالى واسالهم عن القرية وتاذن بمعنى اذن اى اعلم كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم لان
العازم على الشىء يوذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذا اجيب بجواب
القسم وهو ليبعثن عليهم اى اذكر يا محمد لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ليسلطن عليهم الى
يوم القيمة اى الى اخر الدهر من يسومهم اى من يعذب اليهود ويكلفهم سوء العذاب
كالاذلال والاهانة لقوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا وكضرب الجزية بعث الله تعالى بعد سليمان
عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من
بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا
تزال مضروبة الى اخر الدهر وقوله الى يوم القيمة لا ينافيه رفع الجزية عنهم بعد نزول عيسى عليه السلام
لان ظهوره بعض اشراط الساعة يعد من الساعة قال الاستاد واذا نزل عيسى يضع عنهم الجزية على
ما ورد فى الحديث المرفوع ولكنا نقلب تكليف الجزية الى اشد وهو تكليف الاسلام بالقتل قال البغوى واذ
تاذن ربك اى واعلم ربك قال ابن عباس تاذن ربك واذ قال ربك وقال مجاهد اى امر ربك وقال عطاء اى
حكم ربك وقيل اقسم ربك لان اللام فى قوله ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن ربك جار مجرى القسم
لكونه جزما كما اشرنا قال الاستاد الخطاب فى ربك للنبى صلى الله عليه وسلم كما اشرنا وفى اللباب واختلفوا فى
الضمير فى عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق
الذل بهم وقيل بل المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من اهل القرية كانوا صالحين والذى
بعثه الله هو بخت نصر وسنحاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن
عليهم

عليهم اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعثه الله عليهم هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم
القيمة واورد على هذا بانه فى اخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه
واشياعه واجيب عنه بان ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال
فيزدادون كفرا الى كفرهم فاذا اهلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار
المشار اليه بقوله ليبعثن الاية وهذا نص فى ان هذا العذاب انما يحصل لهم فى الدنيا مستمرا الى يوم القيمة وهذا
يفسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم
وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب اى لمن كان يعاقبهم فى الدنيا ولا يحتاج الى اعداد الالات
واحضار الاسباب قال الشيخ معناه لمن اقام على الكفر ففيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب
الاخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم فى الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله الكريم وانه لغفور رحيم
يعنى لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام وقطعناهم فى الارض امما اى
وفرقنا بنى اسرائيل فى الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة
تتميما لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط قال ابن عباس فى كل ارض تدخلها قوم من اليهود قلت
وهذا التفرقة من سخط الله عليهم لئلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر وامما مفعول ثان ان جعل قطع
بمعنى صير او حال ان بقى على اصل معناه منهم الصالحون اى من هؤلاء الذين وصفهم الله من بنى اسرائيل
صالحون وهم من امن بالله ورسوله موسى وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك
قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبرى ولم يذكر غيره وروى البغوى وغيره من المفسرين
عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به وقال
البيضاوى وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم وهكذا فى الغاية والمدارك وفى اللباب والصحيح ما ذكره
الطبرى يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما يكون بعد من هلك الذين وصفهم بالصلاح
من بنى اسرائيل ومنهم الصالحون صفة لقوله امما او بدل منه ومنهم دون ذلك دون صفة لمبتدأ
محذوف اى ومن بنى اسرائيل ناس دون ذلك الوصف منحطون عن درجة الصلاح وهم الذين فسقوا وكفروا
وبدلوا وغيروا منهم وبلوناهم اى اختبرناهم وامتحناهم جميعا الصالح وغيره بالحسنات بالنعم الوافرة
والخصب والعافية والسيئات اى بالجدب والشدة والنقم الكثيرة والمحن الشديدة لعلهم يرجعون
اى لكى يرجعوا ويتوبوا عن الكفر والفسق الى الايمان والصلاح قال اهل المعانى كل واحد من الحسنات والسيئات
اذا قرنتا بالنعم والشدة يدعو الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب فى الطاعة
واما الشدة فيخاف سوء عاقبتها فيرهب منها فخلف من بعدهم اى من بعد انقراض الذين وصفناهم
خلف اى خلف سوء وبدل شر لا خير وصدق يعنى قام مقامهم جماعة شؤم وسوء وشر وهم من
عاصر نبينا صلى الله عليه وسلم من اليهود او من خلف بعد الصالحين الذين امنوا بالله وموسى وثبتوا على
دينه قبل مبعث عيسى على القولين المذكورين وخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
هو جمع والمشهور انه بسكون اللام يستعمل فى الطالح غالبا وانما قلنا غالبا لانه قد يجى بسكون اللام فى المدح كما

حسان بن ثابت في المدح شعر لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع فكسر
اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وبفتح اللام يستعمل في الصلح غالبا وانما قلنا غالبا لانه قد يفتح اللام
ويريد المدح كقول لبيد في الذم شعر ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
بفتح اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا تغير وفسد في السقاء ويقال للردى
من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف فم الصائم تخيص الكلام والخلف القرن الذي يجيء بعد
قرن كان قبله ورثوا الكتاب اي انتقل اليهم الكتاب عن ابائهم والمراد بالكتاب التوراة والحاصل تعلموا
التوراة من ابائهم ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها ياخذون عرض
هذا الادنى يعني انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه
من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها احقر منها فاليهود
ورثوا التوراة من ابائهم وعلموا ما فيها من الحق وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام كذا با
ربانيا يقولون بدل الرشى هذا حق الدخان وحق القهوة ثم ان اليهود مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم
واصرارهم عليه يقولون سيغفر لنا ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن اوس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل
ان تحاسب يوم القيمة وموضع الاستشهاد من الحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على
الذنوب اعتمادا على تمنيهم جهلا منهم والجملة حال من فاعل ورثوا العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال
الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمراد هذا
الادنى الدنيا وما يتمتع فيها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب الزوال والاشارة بهذا الادنى لخساسة
وحقارتها ويقولون سيغفر لنا اي سيغفر لنا اخذ العرض الادنى يعني لا يواخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه
وهو عطف على ياخذون او حال عن فاعل ياخذون بتقدير وهم يقولون والفعل مسند الى الجار والمجرور
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه اي ان اليهود اذا اتاهم شيء من الدنيا اخذوه حلالا او حراما
ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على
الذنوب قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول
سيغفر لي فيطعن عليه الاخرون فاذا مات وعزل من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا
يقول الله عز وجل وان يات الاخرين عرض الدنيا ياخذوه والحاصل انهم كانوا يرجون المغفرة مصرين على
الذنوب عائدين الى مثلها غير تائبين عنها الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الم يؤخذ على
هؤلاء المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب يعني في التوراة والاستفهام للتقرير ان لا
يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او بدل منه او متعلق منه والمعنى انا اخذنا عليهم العهد
في التوراة ان لا يقولوا على الله الا الحق والصدق فافتروا على الله فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم
سيغفر لنا يعني اثبتوا لانفسهم المغفرة وقطعوا بها مع الاصرار على الذنب وهو خلاف ميثاق الكتاب واهل السنة
وان جوزوا المغفرة مع الذنب لكنهم لا يقطعون بها قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي
يزالون

لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فان الا
للتقرير كانه قيل اخذ ميثاقهم في الكتاب وعلموا وقرأوا ما فيه ولكن ضيعوا العمل به او عطف على ورثوا الكتاب
وقوله الم يؤخذ اعتراض والدار الاخرة خير اي وما في الدار الاخرة مما اعد الله لاوليائه واهل طاعته
العاملين بما امر الله به في كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام خير من ذلك العرض الحقير الخسيس
الدنيء للذين يتقون محارم الله من الرشى وغيره افلا تعقلون بان الدار الاخرة خير فيوثروها على
الدنيا قال بعضهم افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولهم وتشعرون فيما هو الخير وقال بعضهم افلا تعقلون فعلوا
ذلك ولا يستبدلون الادنى الدنيء المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وتلخيص المعنى افلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض
الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى للضاد ان المتقين قرأ ابن عامر ونافع وحفص بالخطاب والباقون بالغيبة فالخطاب
يحتمل وجهين احدهما انه التفات من الغيبة الى الخطاب والمراد بالضمير حينئذ شيء واحد والثاني ان الخطاب
لهذه الامة اي افلا تعقلون انتم حال هؤلاء وما هم عليه وتتعجبون من حالهم واما الغيبة فجري على ما تقدم من الضماير
ونقل ابو حيان ان قراءة الغيبة لابي عمرو واهل مكة وقراءة الخطاب للباقين والذين يمسكون بالكتاب
والامساك والتمسك الاعتصام والتعلق بالشيء والمراد هنا العمل بما في الكتاب من احلال حلاله وتحريم
حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الاية في الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله
بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول وهو التوراة ولم يحرفوه ولم يغيروه ولم يبدلوه فاداهم
ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران قرأ العامة يمسكون بالتشديد وقرأ ابو بكر عن عاصم
يمسكون بسكون الميم وتخفيف السين من امسك وهما لغتان قال البغوي مسك وقرأ ابي بن كعب رضي
الله عنه والذين تمسكوا بالكتاب على الماضي وهو جيد لقوله واقاموا الصلوة اذ قلما يعطف ماض على
مستقبل الا في المعنى واراد الذين يعملون بما في الكتاب قال مجاهد هم المؤمنون من اهل الكتاب كعبد الله
واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة وقال
عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى واقاموا الصلوة اي وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما
افردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم
العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله ويجوز ان يكون والذين يمسكون مبتدأ والخبر انا لا نضيع اجر
المصلحين على تقدير منهم او على وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من
التضييع واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة اي واذكر يا محمد اذ قلعنا جبل الطور من اصله
فرفعناه فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا على الانسان كالسقف
ونحوه وانما قلنا الطور لقوله تعالى ورفعنا فوقكم الطور والنتق الرفع بعد القلع من اصله وظنوا
اي وعلموا وتيقنوا انه واقع بهم اي ساقط لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم يوعدون به
وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله
الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا اي وقلنا لهم خذوا او قائلين
لهم ذلك واضمار القول كثير في القران وكلام العرب ما اتيناكم اي اعملوا بما اعطيناكم من احكام التوراة
بقوة اي بجد واجتهاد وعزم بليغ على تحمل مشاقه وتكاليفه وهو حال من الواو في خذوا وتقديره

خذوا ما تبيين بجد تام واذكروا ما فيه اى ما فى التورية من الاوامر والنواهى ولا تنسوه يعنى واعملوا
بما فيه من الاحكام ولا تتركوها ترك المنسى لعلكم تتقون اى لكى تبلغوا درجة التقوى التى هى اسنى
المراتب فتتركوا الاعمال القبيحة والاخلاق الرذيلة قال اصحاب الاخبار ان بنى اسرائيل ابوا ان يقبلوا
احكام التورية لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبرئيل فرفع جبلا عظيما وهو الطور حتى صار على
رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده وحاجبه
الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لا يسجد اليهود الا على شق وجوههم
اليسرى ولما اخبر الله نبيه عن نقض ميثاق اليهود اخبر له ايضا عن اخذ ميثاقه على ذرية ادم بتوحيده
بقوله واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على
ما يتوالدون قرنا بعد قرن فان قلت جاء فى الحديث ان الله سبحانه اخذ الذرية من ظهر ادم وفى الاية
الكريمة من ظهور بنى ادم قلت لا منافاة فى ذلك لان بنى ادم مخرجون من ظهر ابيهم ادم فالمخرج من ظهور
الاولاد مخرج من ظهر ادم وقد قال البيضاوى قدس سره ونور ضريحه فى شرحه على المصابيح والتوفيق بين
الاية والحديث ان يقال ان المراد من بنى ادم فى الاية واولاده وكانه صار اسما للنوع كالانسان والبشر
والمراد من الاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان واقتصر فى الحديث على ذكر ادم اكتفاء بذكر
الاصل عن ذكر الفرع انتهى فقوله تعالى من ظهورهم بدل من بنى ادم بدل البعض قال السيوطى بدل
اشتمال مما قبله باعادة الجار والضمير راجع لادم وبنيه لا لبنيه خاصة والا يلزم اخراج اولاده من
جزء الارادة قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع والباقون بالافراد واشهدهم على
انفسهم الست بربكم بان نصب لهم من الادلة على ربوبيته ووحدانيته وركب فى عقولهم وبصائرهم
ما يدعوهم الى التمييز بين الحق والباطل حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلسان المقال
على ما ثبت فى الحديث بلى اى انت ربنا وقيل اجابوا بلسان الحال فنزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب
الدلايل وخلق الاستعداد فيهم منزلة اشهادهم على الربوبية والاعتراف بها على طريقة التمثيل ويدل عليه
قوله قالوا بلى شهدنا اى اقررنا واعترفنا بانك ربنا فاستدلوا بما شاهدوا من اثار صنع الله فيهم على ان
لهم الها قادرا منفردا بالربوبية وكمال العلم والقدرة وهو الفطرة الاصلية فطر الناس عليها يتمكن بها
الانسان لما له وما عليه وفى اللباب قوله تعالى واذ اخذ ربك الاية عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه سئل عن قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه
ذرية فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل
الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل النار اخرجه
مالك فى الموطا وابو داود والترمذى وقال الحديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم
فى هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبرى فى بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن

مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ◌ عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
من ذريته الى يوم القيمة وجعل بين عينى كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال اى رب
من هولاء قال هولاء ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال
داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمرى اربعين سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمرى اربعون قال
اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسى ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطئ
فخطئت ذريته اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى واذ اخذ ربك
يعنى واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم يعنى من ظهور بنى ادم وانما لم يذكر ظهر ادم
وانما لم يذكر ظهر ادم وان كان الله اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم
بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الاباء فلذلك قال الله تعالى من بنى ادم من ظهورهم
فاستغنى عن ذكر ظهر ادم لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغناء
ثم للعلماء فى تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت
به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه
الطبرى باسانيده فمنها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعنى عرفة قلت وفى تفسير امامنا البغوى قال ابن عباس
ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وروى عنه انه بدهناء من ارض الهند وهو الموضع الذى هبط
ادم عليه السلام وقال الكلبى بين مكة والطايف وقال السدى اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه
من السماء ثم مسح ظهره فاخرج ذريته انتهى ما ذكره البغوى ولنرجع الى قول صاحب اللباب فقال
بعد قوله يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا
وقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس فى
هذه الاية قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة بنعمان هذا الذى وراء عرفة
واخذ ميثاقهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال اول ما اهبط الله ادم الى
الارض اهبطه بدهنا ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيمة ثم اخذ
عليهم الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين زاد فى رواية عنه فجف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وفى رواية عنه قال لما خلق الله ادم اخذ
ميثاقه انه ربه وكتب رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب اجالهم وارزاقهم
ومصائبهم وفى رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة
فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادها فى صلبه فلن تقوم
الساعة حتى يولد كل من اعطى الميثاق يومئذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق
الاول ومن ادرك الميثاق الاخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الاخر

مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبرى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا
بلى قالت الملئكة شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج ذرية
ادم من ظهره فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها فى صلبه فليس احد من
الخلق الا وقد تكلم فقال ربى الله وان القيمة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه وقال
السدى اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة
الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سودا
فقال ادخلوا النار ولا ابالى فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال
الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية زاد فى رواية وذلك
حين يقول وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظى اقرت له بالايمان والمعرفة
الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر
يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا ادم هولاء
ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هولاء فى الجنة برحمتى وهم اصحاب اليمين وقال للسود
هولاء فى النار ولا ابالى وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا فى صلب ادم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج
اهل الميثاق جميعا وروى ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيرى وانا ربكم لا رب لكم غيرى
فلا تشركوا بى شيئا فانى سانتقم ممن اشرك بى ولم يومن بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى
وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم
كتب اجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم ادم عليه السلام فراى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة
ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على
بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق قال الزجاج وجائز ان يكون الله تعالى
جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال فى النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب اصحاب الحديث وكبراء اهل العلم فى هذه الاية ان الله تعالى اخرج
ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه
فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا
بقوله يا جبال اوبى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره
وانقادت قلت وللغزالة والضب وتعظيم المسمومة وللحصى وغير ذلك مما لا يحصى كذلك جعل الله فيهم العقل
حتى تكلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب
للربوبية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى انت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية واعتراف
على انفسهم بالعبودية وقال الامام فخر الدين فى تفسير هذه الاية قولان مشهوران الاول وهو مذهب المفسرين واهل الاثر
انه تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيمة على ما ذكره المفسرون من
من الاثار الواردة فى هذا المعنى ثم قال الامام رحمه الله والمعتزلة اطبقوا على انه لا يجوز تفسير هذه الاية بهذا الوجه

اى بالحديث واحتجوا على فساده بوجوه الوجه الاول قالت المعتزلة فى مدعاهم ان قوله تعالى من ظهورهم بدل من
قوله بنى ادم فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بنى ادم فلم يذكر انه اخذ من ظهر ادم شيئا الوجه الثانى قولهم ولو
كان المراد انه اخرج من ظهر ادم لما قال من ظهورهم بل يجب ان يقول من ظهره وذريته واجاب الامام عن
الوجهين بقوله ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى اخرج الذرية من ظهور بنى ادم واما انه اخرج كل تلك الذرية من
صلب ادم فليس فى لفظ الاية ما يدل على ثبوته ولا على نفيه الا ان الخبر قد دل فثبت اخراج الذرية من ظهور بنى ادم
بالقران واخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر ولا منافاة بينهما فوجب المصير اليهما معا صونا للاية والخبر عن الاختلاف
هذا جواب الامام قلت والنبى عليه السلام اعلم من جميع الخلق بمعنى القران وعليه نزل فخريته هو تفسير القران
الوجه الثالث ان المعتزلة قالوا وانه لو صح القول باخذ الميثاق لوجب ان يتذكره الانسان الان واجاب الامام
عن هذا الوجه بقوله بان خالق العلم بالاحوال الماضية هو الله تعالى وهو فاعل مختار جاز ان لا يخلقه الوجه
الرابع ان المعتزلة قالوا وان مجموع تلك الذرات يمتنع حصولها باسرها فى ظهر ادم واجاب الامام عن هذا الوجه
بقوله بان البنية ليست شرطا عندنا لحصول الحياة والعلم فان الجزء الذى لا يتجزى قابل للحيوة والعقل فاذا جعلنا كل
واحد من تلك الذرات جوهرا فردا فلم قلتم ان ظهر ادم لا يتسع لجمعها هذا اذا قلنا ان الانسان عبارة عن
الجوهر الفرد واما اذا قلنا ان الانسان هو النفس الناطقة وانه جوهر غير متحيز والحال فى المتحيز فالسوال زائل
الوجه الخامس ان المعتزلة قالوا وانه تعالى حكى عن اولئك الذرية انهم قالوا انما اشرك اباؤنا من قبل وهذا لا يليق
باولاد ادم لانه عليه السلام ما كان مشركا واجاب الامام عن هذا الوجه بقوله ان الذرية التى قالوا هذا هم اولاد
المشركين من بنى ادم لا اولاده الصلبى الوجه السادس ان المعتزلة قالوا وان الله تعالى قال فلينظر الانسان مم خلق
خلق من ماء دافق ولو كانت تلك الذرات عقلاء فهمين لكانوا موجودين قبل هذا الماء الدافق واجاب الامام
عن هذا الوجه بان للانسان وجودا علميا فى علمه تعالى القديم ووجودا روحيا فى عالم الارواح ووجودا
خلقيا فى عالم الخلق والاجساد ثم قال الامام ولهم فى ذلك كلام كثير اكتفينا عنه بهذا المقدار والغرض توقيف
الطالبين على مواضع الاشكال والتوفيق بين الاية والحديث مع ان هذه الوجوه المذكورة من المعتزلة انما ترد
اذا حملنا معنى الاية على ظاهر الحديث وان فسرناها بالاستعارة التمثيلية كما فسرها بها كثير من اهل التحقيق
فلا يرد شئ مما ذكروا كما لا يخفى على من له دراية فى الكلام ثم قال الامام والقول الثانى من القولين المشهورين
فى تفسير هذه الاية قول اصحاب النظر وارباب المعقولات وهو انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من
اصلاب ابائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى واودعها فى ارحام الامهات
وجعلها علقة ثم مضغة حتى جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم
من دلائل وحدانيته وغرائب صنعه فبالاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول
باللسان ونظيره قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال الجدار للوتد
لم تدقنى قال سل من يدقنى وقول الشاعر امتلا الحوض وقال قطنى ثم قال الامام وهذا القول
الثانى لا طعن فيه البتة وانه لا ينافى صحة القول الاول يقول مولف هذا الكتاب ثم لا يخفى على المتامل بانا
ذكرنا اولا ما ذكره صاحب اللباب بقوله ثم للعلماء فى تفسير هذه الاية مذهبان الخ ثم مذهب الاول
فراينا ما يناسب المقام من ذكر قولى الامام فكتبناهما بالتمام ثم نرجع الى المذهب الثانى مما ذكره صاحب اللباب

وان كان فيما ذكره الامام استغناء عما في الباب لان مآل قول الثاني من قولي الامام ومذهب الثاني مما ذكره في الباب واحد ولكن الاختلاف في بعض الالفاظ كابن فحملني ذلك الى الكتابة فقال والمذهب الثاني في معنى هذه الاية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الاباء وهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول واراهم من عجايب خلقه وغرايب صنعه ودلايل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم انه ربهم وذلك بما اظهر لهم من دلايل اياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم وبارئهم ورازقهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي به يؤخذ الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الاية واذ ياخذ ربك من بني ادم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيمة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى اخرج الذرية من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ هذه الاية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله تعالى مسح ظهر ادم فاخرج ذريته واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الحديث والاية كما تقدم في تفسير الفاظ الاية من ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعضهم كما في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر ادم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الاية والحديث اذ ليس في معنى الفاظ الاية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الاية والحديث وحكى الواحدي رحمه الله عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية ادم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا الفصل انه تعالى اثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات والدلايل التي نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره فايدة اخذ الميثاق عليهم في القديم ان من مات منهم صغيرا دخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما اقروا بالمعرفة كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاؤا به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا يقول اخلافهم انما اشرك اباونا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم او فكيف يذكرونه يوم القيمة حتى يحتج عليهم به قلت لما اخرج الذرية

من صلب

من صلب ادم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا الى صلب ادم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم ثم ابتداهم بالخطاب على السنة الرسل واصحاب الشرايع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لامدادهم بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم القيمة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات انتهى وقوله عز وجل **ان تقولوا يوم القيمة** قرا الجمهور بالتاء على خطاب الذرية في هذا وفيما بعده معناه لئلا تقولوا ايها الذرية يوم القيمة قال الاستاد قوله ان تقولوا مفعول لقوله واشهدهم على انفسهم اي انما فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول السليمة كراهة ان تقولوا يوم القيمة **انا كنا عن هذا** الميثاق والتوحيد **غافلين** اي لم ننبه عليه وقرى ان يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا غافلين بدليل **او تقولوا** عطف على ان تقولوا وفي الجامع فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عني ببني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين باباءهم والدليل على ان الاية للمشركين واولادهم قوله او تقولوا ايها الذرية **انما اشرك اباؤنا من قبل** اي من قبلنا **وكنا ذرية من بعدهم** اي وكنا اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك والتقليد بعد قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصح عذرا حتى تقولوا في عذركم **افتهلكنا بما فعل المبطلون** يعني افتعذبنا بما فعل اباؤنا المبطلون بتاسيس الشرك قال البيضاوي والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال الله **وكذلك نفصل الايات** اي مثل ذلك التفصيل البليغ نفصل سائر الايات يعني نبين جميع الايات مثل ما بينا الميثاق قطعا لعذرهم وليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله **ولعلهم يرجعون** من الشرك الى التوحيد ومن تقليد الاباء واتباع الباطل الى الحق او لكي يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه **واتل عليهم** اي واقرا يا محمد على اليهود وان لم يتوجهوا بذكر الميثاق او على قومك **نبا الذي اتيناه اياتنا** اي خبر من اعطيناه علم التوراة واسم الله الاعظم قال البيضاوي هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله انتهى وقيل كان كاهنا من كهان الجاهلية يظن انه النبي المبعوث فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مات حاسدا قال ابن عباس هو بلعام بن باعورا وفي رواية عنه انه كان من بني اسرائيل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مجاهد هو بلعام بن باعر وقال عبد الله بن مسعود هو بلعم بن ابر وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال

له بلعم تعلم اسم الله الاعظم فلما نزل بهم موسى اتاه بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد
ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله ان يرد عنا موسى ومن معه
قال انى ان دعوت الله ان يرد موسى ومن معه مضت دنياى واخرتى فلم يزالوا به حتى
دعا عليهم فسلخ ما كان فيه انتهى وفى بعض الروايات عن غير ابن عباس فوقع موسى وبنو
اسرائيل فى التيه بدعاء بلعم فلما انقضت المحنة قال موسى يا رب باى ذنب وقعت لنا هذه المحنة
قال بدعاء بلعم قال فلما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع
عنه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره
حمامة بيضاء قلت ولا يخفى على كل عاقل ان احتباس موسى عليه السلام مع قومه فى التيه ليس بدعاء
بلعم بل كان ذلك الاحتباس بقول قوم موسى له اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
او بعبادتهم العجل او بقولهم لموسى اجعل لنا الها فالرواية غير مرضية وايضا كيف يستجاب دعاء بلعم
بالباطل على موسى وقومه المامورين بحرب الجبارين بامر الله وايضا كيف يدعو موسى عليه السلام
بزوال الايمان المومن والانبياء كلهم مامورون بدعوة الناس الى الايمان مع ان الرضا بالكفر كبيرة
ومحال ان يصدر عنهم الكبائر ولكن يمكن ان يدعو موسى على بلعام بعد ان ثبت عنده ان بلعام
كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه
عليه والله اعلم والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار فى كتبهم من غير
نظر فيه والبحث عن معناه وقيل لما علم بلعم بانه كفر وذهب دينه ودنياه قال لقومه لم يبق لى
الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال ثم قال لهم جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن
الى عسكر بنى اسرائيل يبعنها عليهم ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل ارادها فانه ان زنى رجل
منهم بواحدة منكم كفيتموهم ففعلوا ذلك فاوقع ما دخل النساء العسكر وقع رجل من بنى اسرائيل وهو زمرى بن
شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب على امرأة اسمها كشتى بنت صور وسمع فنحاص بن العيزار بن
هارون وهو صاحب امر موسى الحكاية فاخذ حربته وكان له قوة شديدة فدخل عليهما وهما متضاجعان فطعنهما
بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك فبينما قتل
فنحاص الزانيين ووقع الفاحشة بينهم مات منهم سبعون الفا بالطاعون ثم رفع وذلك فى ساعة
واحدة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه الاية فى امية بن ابى
صلت وكانت قصته انه كان قد قرا الكتب القديمة وعلم ان الله مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول
فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب شعر وحكمة وموعظة
حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل قتلهم محمد صلى الله عليه وسلم
فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد
احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى
قال ابى قالت فسالته عن ذلك فقال خير اريد بى فصرف عنى ثم غشى عليه فلما افاق من غشيته قال

كل عيش

كل عيش وان تطاول دهرا ... صائر مرة الى ان يزولا ... ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى ... فى قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ... شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ... ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدينى
من شعر اخيك فانشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز
وجل واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفى رواية عن ابن عباس انها نزلت فى البسوس
وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها ولد فقالت
اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا
لها فصارت اجمل النساء فلما علمت انه ليس فى نساء بنى اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها
فصارت كلبة نباحة وذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها اليهم وقالوا ليس بنا على هذا الامر قرار قد صارت
امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت
فذهبت فيها الدعوات جميعا وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وفى رواية
اخرى عن ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسال الله شيئا الا اعطاه وقال السدى كان
يعلم اسم الله الاعظم وفى رواية اخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اوتى كتابا قلت معناه فهم كتاب
لا انه كان نبيا اوحى اليه كتاب لان الله يقول ولقد اخترناهم على علم على العالمين فالله اعلم حيث يجعل
رسالته اى من كان محلا للرسالة ولايقا لها فكيف يرسل من لا اهلية له للرسالة والانبياء كلهم معصومون
ومع هذا والله فاعل مختار يفعل فى خلقه ما يشاء فانسلخ اى خرج منها اى من الايات التى كان الله اتاه
اياها كما تنسلخ الحية من جلدها بان كفر بها واعرض عنها قال ابن عباس نزع منه العلم وقد اشرنا فى معنى الايات
بانه علم التورية واسم الله الاعظم فاتبعه الشيطان خطواته يعنى ادركه ولحقه وهو مبالغة فى لحقه حتى
جعل اماما للشيطان ومتبوعا له فى معصية الله تعالى وفى اللباب معناه يعنى لحقه وادركه وصيره الشيطان
لنفسه تابعا فى معصية الله ويخالف امر ربه ويطيع الشيطان وهواه تخصيصا ادركه فصار قرينه وصاحبه
اللهم انى اعوذ بك من الحور بعد الكور فكان من الغاوين اى من الهالكين الضالين عن طريق الهدى
بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه ولو شئنا لرفعناه بها اى لو اردنا اصلاحه لرفعناه درجته و
منزلته بتلك الايات التى اوتيها الى منازل العلماء وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه
ولو شئنا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه بالايات ولكنه اخلد اى ركن وسكن واطمان قلبه الى الارض
اى الى عالم الاسفل وهى الدنيا الدنية لان الاخلاد هو الاقامة والدوام قال الاستاد والارض هنا عبارة عن
الدنيا واتبع هواه فى ايثار الدنيا ولذاتها على الاخرة ونعيمها والحاصل انه اعرض عن التمسك بما اتاه من
الايات واتبع الهوى فخسر دنياه واخرته ووقع فى هاوية الردى والهلاك وهذه الاية من اشد الايات على
العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا
الرجل باياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم والاكبر وجعل دعاءه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى
الدنيا ورضى بها عوضا عن الاخرة فنزع عنه ما كان اعطاه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والاخرة ومن
الذى يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه
عن كعب بن مالك الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان ارسلا فى غنم

بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي ودلت الاية على ان الكفر بمشية الله تعالى
وانه لو شاء ايمانه كان واقعا فالاية دامغة للمعتزلة وفي المدارك وقيل لما دعى بلعم على موسى عليه السلام
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ثم ضرب الله مثلا لهذا الرجل الذي اتاه اياته فانسلخ
منها واتبع هواه فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اي وصفه من اتيناه اياتنا ولم يعمل بها
يعني صفته التي هي مثل في الخسة كصفة الكلب في اخس احواله وهي ان تزجره وتطرده يدلع لسانه ويخرجه
من النفس الشديد او ان تتركه ولم تتعرض له يدلع لسانه ايضا يعني هو يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر او لم
تتعرض له لضعف فؤاده وليس غيره من الحيوانات كذلك يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش
وشدة الحر والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين وملازما لذلك دائما والحاصل ان ذلك العالم شبه
بالكلب لانه صار ضالا وعظته او لم تعظه قال الاستاد معناه ان شددت عليه واهجته لهث او
تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص
لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له
لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب ثم انه تعالى مثل حال من اوتي الايات البينات بحال الكلب ثم
عمم بهذا التمثيل جميع المكذبين بايات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا يعني ان المثل
الذي ضربناه للذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود فانهم بدلوا
نعت رسول الله وصفته وحرفوا الكلم عن مواضعها ركونا الى حطام الدنيا وزخارفها قال الاستاد اي ذلك
المثل السيء في الخسة مثل اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذكر القران
المعجز يعني صدقوا النبي اولا وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به فانسلخوا من حكم التوراة كما تنسلخ الحية من جلدها فاقصص القصص اي اقرأ يا محمد القصة المذكورة
على اليهود او على قومك يعني اخبرهم احوال من كفر بايات الله والحاصل اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء
المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ فيؤمنون
وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله
عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه وامانته فكذبوه ولم يقبلوا منه قال الامام
فان قيل قوله تعالى فمثله كمثل الكلب تمثيل لحال بلعام ثم قال بعده ساء مثلا القوم الذين الخ والكلام يضرب
الواحد قلنا في الجواب اولا المثل في الصورة وان ضرب لبلعام ولكن اريد به كفار مكة كلهم لانهم صنعوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسبب ميلهم الى الدنيا وشهواتها من الكيد والمكر ما يشبه فعل بلعام مع موسى عليه السلام
وثانيا ان ساء مثلا الى اخره راجع الى قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين لا الى اول الاية انتهى ساء مثلا
القوم الذين كذبوا باياتنا يعني بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وقوله ساء الخ استيناف
مسوق لبيان كمال حال المكذبين بايات الله بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ و ساء بمعنى بئس
وفاعلها مستتر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وقرئ
ساء مثل القوم برفع مثل على حذف المخصوص بالذم وانفسهم كانوا يظلمون اي بتكذيبهم باياتنا
وهو عطف على كذبوا باياتنا داخل في الصلة اي الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطع عنها
يعني وما

يعني وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم لا يتخطاها وباله قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي
اي من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي او من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدي قال الاستاد
المراد هنا الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا والمعنى من يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء فهو المهتدي لا غير
قال الاستاد وياء المهتدي ثابتة عند جميع القراء لثبوتها في الرسم ومن يضلل اي ومن يتولى الله ضلالته
بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك هم الخاسرون اي
اولئك الموصوفون بالضلالة هم الكاملون في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى اللفظ وجمع الخاسرون
نظرا الى معناه للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال وفي الاية دليل على ان الله هو الهادي
والمضل قوله عز وجل ولقد ذرأنا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا
لجهنم متعلق بذرأنا كثيرا من الجن والانس وهم كفار الفريقين اهل الطبع والرين المعرضون
عن تدبر ايات الله والحاصل ان الله اخبر نبيه تسلية له بانه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم
الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل
امامنا البغوي قدس سره على صحة هذا التاويل بما رواه عن عائشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة
لم يعمل السوء ولم يدركه قال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب
ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم وهم في اصلاب ابائهم اخرجه مسلم قال الشيخ الامام محيي الدين النووي
في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه
ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلى
الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابي وقاص
اعطه اني لاراه مؤمنا فقال او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين
في الجنة فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلثة مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم
وتوقفت طائفة فيهم والثالث هو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ويستدل له
باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس
قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي
الاية دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خالق اعمال العباد جميعها خيرها وشرها لان الله بين
بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه
دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب لدخول
النار وهو الله عز وجل وقيل اللام في لجهنم لام العاقبة اي عاقبتهم جهنم يعني لما كان عاقبتهم جهنم
جعلوا كانهم خلقوا لها وهو قول اهل الاعتزال يفرون به عن ارادة المعاصي وهذا عدول عن الظاهر فالحق ان
اللام متعلق بذرأنا وفي المدارك ولا منافاة بين قوله تعالى ولقد ذرأنا الخ وبين قوله عز وجل وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لان من علم الله منه في الازل انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه انه

يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص ثم وصفهم بقوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون
بها يعني لا يفهمون بها ولا يعقلون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله يعني لا يتفكرون بها في
ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها شيئا من الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله قوله
لهم قلوب صفة لكثيرا وقوله لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب ولهم اعين لا يبصرون بها
اي لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في ايات الله وادلة توحيده والحاصل لا ينظرون
الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها يعني لا يسمعون ايات القران ومواعظه فيعتبروا
تلخيص الكلام ان الكفار مع ما لهم هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امور الدين ثم ضرب لهم مثلا في
الجهل والاقتصار على الاكل والشرب فقال اولئك الموصوفون بالصفات المذكورة وما فيه من معنى البعد الابذا
بعد منزلتهم في تيه الضلال كالانعام اي كالبهايم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وساير
الحيوانات متشاركون في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على ساير
الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدي الى معرفة الحق من الباطل والخير من الشر فاذا كان الكافر لا يعرف
ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئا وفي الجامع روي انه لما نزل اولئك كالانعام
تضرعت الانعام الى ربها وقالت يا ربنا شبهت الكفار بنا ونحن لا ننكر وحدانيتك فاعذرها الله الانعام فقال
بل هم اضل يعني بل ان الكفار اضل من الانعام لانها اذا احست خروجها عن الطريق عادت اليها والكفار
لا يرجعون الى طريق الحق بعد ما عرفوا ضلالتهم عنه ولان البهايم تميز بين المضار والمنافع فلا تقدم على
المضار والكفار يقدمون على النار معاندة مع العلم بالهلاك اولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة او
ضرب هذه الامثال لهم وهذا كالتاكيد لقوله بل هم اضل ولذلك لم يدخل العاطف ثم ذكر بعد ما هو موجب لدخول
النار وهو التصميم على الكفر والغفلة عن الحق ما هو موجب لدخول الجنة فقال ولله الاسماء الحسنى
قال البيضاوي لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات انتهى والمراد من
احسن المعاني من تحميد وتقديس وتمجيد فمنها ما يستحقه بحقايقه كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء
والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثله شيء ومنها ما يستحسنه الانفس لاثارها كالغفور
والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالمفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع
والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر قال الامام الحافظ جلال الدين السيوطي
اراد باسماء الحسنى التسعة والتسعين الواردة بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن انتهى وفي اللباب
قال مقاتل ان رجلا دعا الله ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الاية ولله الاسماء الحسنى والحسنى
تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسماء الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والحسنى
ان الاسماء الحسنى ليست الا لله تعالى ان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء الفاظ دالة على معان
فهي انما تحسن بمعانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي
محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها

دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من احصاها وفي رواية اخرى لله تسعة وتسعون اسما
مائة الا واحدة لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري احصاها حفظها
وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل
الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح
العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل
اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب
الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم
الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر
الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال
والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع
الباقي الوارث الرشيد الصبور قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح و
لا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا الحديث
قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما
الحديث قال الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه وليس معناه
انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من
احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث
الاخر اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر
بن العربي المالكي ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل
الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد اي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة
لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى احصاها احضر بباله
عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسمياتها ومقدسا لذات
الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الوتر
الفرد ومعناه في وصف الله انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات
وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤوف والكريم واللطيف
من اسماء الله ولا يقال من اسماء الرؤوف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم
قال ابو القاسم القشيري الشافعي فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره كما قال

ولله الاسماء الحسنى وقال الامام فخر الدين دلت الاية على ان الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة
لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم
القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الحسنى لله واضافة الشي الى
نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشي المسمى به وهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم
تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف
ذات الشي والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع
النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه ايضا ثم ان شيخنا وامامنا وقدوتنا الى الله الشيخ محي الدين عبد القادر
الكيلاني مكر بين في كتابه المسمى بالغنية لطالبي طريق الحق سور التي فيها هذه الاسماء فقال فصل
ونعتقد ان لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة وذلك مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله تسعة وتسعون اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وجميعها
في القران في سور متفرقة منها خمسة اسماء في الفاتحة وهي يا الله · يا رب · يا رحمن · يا رحيم · يا ملك
وفي سورة البقرة ستة وعشرون اسما يا محيط · يا قدير · يا عليم · يا حليم · يا تواب · يا نصير · يا واسع
يا بديع · يا روف · يا شاكر · يا اله · يا واحد · يا غفور · يا حكيم · يا قابض · يا باسط · يا لا اله الا هو · يا حي
يا قيوم · يا علي · يا عظيم · يا ولي · يا غني · يا حميد · وفي ال عمران اربعة اسماء · يا قايم · يا وهاب · يا سريع
يا خبير · وفي سورة النساء ستة اسماء · يا رقيب · يا حسيب · يا شهيد · يا غفور · يا مقيت · يا وكيل · وفي الانعام
خمسة اسماء · يا فاطر · يا قاهر · يا قادر · يا لطيف · يا خبير · وفي الاعراف اسمان · يا محيي · يا مميت · وفي
الانفال · يا نعم المولى · ويا نعم النصير · وفي هود سبعة اسماء · يا حفيظ · يا رقيب · يا مجيد · يا قوي · يا
مجيب · يا ودود · يا فعال · وفي الرعد اسمان · يا كبير · يا متعال · وفي ابراهيم اسم واحد وهو يا منان · وفي
الحجر اسم واحد وهو يا خلاق · وفي النحل اسم · يا باعث · وفي مريم اسمان · يا صادق · يا وارث · وفي المؤمنين
اسم · يا كريم · وفي النور ثلثة اسماء · يا حق · يا مبين · يا نور · وفي الفرقان · يا هادي · وفي سبا · يا فتاح
وفي المؤمن اربعة اسماء · يا غافر · يا قابل · يا شديد · يا ذا الطول · وفي الذاريات ثلثة اسماء · يا رزاق
يا ذا القوة · يا متين · وفي الطور · يا منان · وفي اقتربت · يا مقتدر · وفي الرحمن ثلثة اسماء · يا باقي
يا ذا الجلال · يا ذا الاكرام · وفي الحديد اربعة اسماء · يا اول · يا اخر · يا ظاهر · يا باطن · وفي الحشر
اسماء · يا قدوس · يا سلام · يا مؤمن · يا مهيمن · يا عزيز · يا جبار · يا متكبر · يا خالق · يا باري · يا مصور
وفي البروج · يا مبدئ · يا معيد · وفي قل هو الله · يا احد · يا صمد · هكذا ذكرها سفيان بن عيينة رحمه الله
وذكر عبد الله بن احمد رحمة الله عليهما اسماء زوايد على هذه وهي · يا فاضل · يا فالق · يا رفيع · يا جواد
يا سبوح · يا احكم الحاكمين · وذكر ابو بكر النقاش في كتاب تفسير الاسماء والصفات عن جعفر بن محمد يعني الصادق
رضوان الله عليه ان لله ثلثمائة وستين اسما وروي ايضا عن غيره مائة واربعة عشر اسما وذلك عن علي
انهم وجدوا في القران اسماء متكررة فعدوها اسماء والصحيح ما ذكرنا انتهى قوله تعالى فادعوه بها اي ادعو الله
وسموه باسمايه التي سمى بها نفسه مثل يا الله · يا رحمن · يا رحيم · وغير ذلك او سماه بها رسوله ففيه دليل
ان اسماء الله توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز

ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان
يقال يا طبيب وللدعاء شرايط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة
المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعايه مع كثرة التعظيم والتمجيد والتقديس لله ويعزم المسالة مع
رجاء الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء
وكان له اثر عظيم وذروا الذين يلحدون في اسمائه قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد ومن قرأهم
لحد اي مال عن القصد والاستقامة والباقون بضم الياء وكسر الحاء من الحد اي امال وقال ابن السكيت
الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال لحد في الدين والحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال
المفسرون ومعنى الالحاد في اسمايه تعالى اطلاق اسمه الشريف على غيره وذلك ان المشركين سموا اصنامهم بالالهة
واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من
العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله
هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء الله كلها توقيفية
كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل يدعو الله باسمايه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه
التعظيم ويراعي حسن الادب في الدعاء فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد
بل يقال يا ضار يا نافع يا معطي يا مانع يا خالق الخلق ولا يجوز تسمية الله باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه
باسم لا يليق اطلاقه على الله عز وجل ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة قال السمرقندي في تفسيره وقال
الزجاج لا ينبغي لاحد ان يدعوه بما لم يصف به نفسه ولم يسم به نفسه فيقول يا جواد ولا ينبغي له ان يقول
يا سخي لانه لم يسم به نفسه وكذلك يقول يا قوي ولا يقول يا جلد انتهى والمعنى ذروهم والحادهم فيها ولا توافقوهم
عليه او اتركوا تسمية الزايغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اي لا اذن فيه من جهة الشارع او يا نوهم
معنى نا يسد كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه وكقول بعض الزنادقة لتلامذتهم انتم اولاد الالهين ومراده
اولاد الله ولكن يستر بهذا اللفظ تاويلهم او لا تبالوا بهم بانكارهم ما سمى الله به نفسه كقولهم لا نعرف الا رحمن
اليمامة او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون اي سيعاقبون في الاخرة
بعملهم من الشرك والالحاد في الاسماء وهذا قبل الامر بالقتال ففيه وعيد وتهديد لمن الحد في اسماء الله وذاته
وصفاته عز وجل والجملة مستانفة ثم لما قال ذرانا لجهنم كثيرا كالضالين والملحدين عن الحق اتبعه بما دل
على ان من خلق للجنة ايضا من كان مستحقا لها فقال وممن خلقنا امة اي جماعة وعصابة كثيرة للجنة
يهدون بالحق يعني يدعون الناس بالحق الى الحق وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون فيلزمهم العلماء والدعاة
الى الدين و فيه دليل على ان اجماع كل عصر حجة لانه لا يخلو قرن وزمان من قايم بالحق ويعمل به ويهدي
اليه اذ لو اختص بعهد الرسول او الصحابة وحده لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم نزلت الاية حين قال ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله قد ذكر الله بني اسرايل بالخير بقوله ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق ونحن قد امنا بك وبالرسل والكتب فقال الله تعالى ذلك تسلية لقلوبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة
محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قرا هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها [illegible] قوم موسى امة يهدون بالحق

وبه يعدلون ق عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قائمة
بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك والذين كذبوا باياتنا يريد
به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول
الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه سنستدرجهم قال الازهري سناخذهم قليلا قليلا وذلك ان
الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكونون وقيل
سندنيهم ونقربهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة
وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان
الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم روي ان عمر بن الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك
ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انه استدراج لهم حيث
جدد الله لهم النعمة كلما جددوا ما يستحقون به النقمة فاغتروا به حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله انعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج
ثم تلا هذه الاية واملي لهم اي وامهلهم عطف على سنستدرجهم وانما لم يقل ونملي لهم على وفق سنستدرجهم
للفرق بينهما فان الاستدراج بالتدبير العادي الذي توسط فيه المدبرات امرا والاملاء بالتدبير الالهي الذي لا دخل
فيه لاحد والمعنى اني اطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والعصيان ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب
التوبة ان كيدي متين اي ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
والمتين من كل شيء هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه
الاية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الاية دليل على
مسالة القضاء والقدر وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولما نسبوا
النبي عليه السلام الى الجنون نزل اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني بنبيهم الذي يصحبهم ويخالطهم
ليلا ونهارا وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما نافية بعد وقف اي اولم يتفكروا في قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله
ما بصاحبهم من جنة وعبر عنه بالصاحب لان المصاحبة تظهر ما عنده من كرم الاخلاق ولو كان به
جنون كما زعموا لم يخف عليهم قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو
قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان يحذرهم باس الله ووقائعه فقال
قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل
واعمال الخاطر في عاقبة الامر والمعنى اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة والجنة حالة من الجنون
وادخال لفظة من في قوله من جنة توجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو
بريء منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا
على الاخرة ونعيمها ومشتغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال
ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون وقال تعالى ان هو اي ما هو الا نذير مبين
اي منذر من الله موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر ثم حثهم على النظر المؤدي الى العلم بالوحدانية فقال
عز وجل اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض اي في ملكه العظيم الذي

يدل عليه ملكهما وما خلق الله من شيء اي وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها
العدد ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة
ما يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع
القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شيء خلقه الله ويراه فيه دليل على وحدانية الله وآثار قدرته
كما قال الشاعر وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وان عسى ولم ينظروا ولم يتفكروا في ان اي انه وهو
على ما قبله او الملكوت وان مخففة من المثقلة تقدر فيها ضمير الشان لا مصدرية لان عسى غير متصرفة لا مصدر له
يأول به عسى ان يكون قد اقترب اي قرب اجلهم والمعنى ان الشان والحديث ان يكون قد اقترب اجلهم
فيسارعوا الى طلب ما ينجيهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العذاب قال البيضاوي وان مصدرية او مخففة من
المثقلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق
والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت ونزول العذاب قال الاستاد معناه ولعل آجالهم يكون قد اقترب فيموتوا
على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر
المؤدي الى الفوز بالنعيم المقيم فباي حديث اي كتاب بعده يعني بعد القرآن يؤمنون يعني يصدقون
اذا لم يصدقوا به والمعنى فباي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا
بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم وهو غاية في الابلاغ لانه
اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو مرتبط بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل
اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فاذا لم يؤمنوا به فباي حديث
احق منه يريدون ان يؤمنوا به من يضلل الله فلا هادي له وهذا كالتقرير والتعليل لقوله فباي حديث
الخ وتلخيص الكلام ليس في صاحبهم جنون ولا في ملكوت السموات والارض خفاء في الدلالة على وحدانية الله تعالى
ولا في القرآن نوع اشتباه بل كل من اراد الله اضلاله فلا احد يقدر على هدايته يعني ان اعراض هؤلاء عن الايمان
لاضلال الله اياهم ولو هداهم لآمنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون والمعنى ونتركهم في ضلالتهم وتماديهم
في الكفر يترددون متحيرين لا يهتدون سبيلا قرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بياء الغيبة كقوله ومن يضلل
وحمزة والكسائي بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم
وقرا الاخرون بالنون ورفع الراء على انه كلام مستانف اي ونحن نذرهم ويعمهون في موضع النصب على انه
حال منهم ونزل في شان اهل مكة قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن
قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا
كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسالونك يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيمة سميت ساعة لانها
تقوم في ساعة غفلة وبغتة او لان حساب الخلائق ينقضي فيها في ساعة واحدة وايان سؤال استفهام عن
الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها ومتى وقوعها وقيل الساعة
الوقت الذي يموت فيه الخلائق واصل الارساء الثبات والاستقرار يقال رسا يرسو اذا ثبت قال الاستاد ومعناه
يسالونك يا محمد اليهود عن القيمة تعنتا وعنادا وان كانوا عالمين بان علم الساعة مما استاثر الله بعلمه ولم يطلع

عليه احد من خلقه او يسألونك مشركوا قريش عن شئ لا يعنيهم ويتركون ما هو المهم والمطلوب واختلف
النحويون في ايان هل هي بسيطة او مركبة فذهب بعضهم الى ان اصلها اي أوان واختلفوا فيها هل هي
مشتقة ام لا فقيل انها مشتقة من اي آن واصله اوي قلبت الواو ياء وادغمت لان معناها اي وقت
وهو من اويت الشئ لان البعض آوى الى الكل **قل** يا محمد **انما علمها عند ربي** اى لا يعلم الوقت
الذى تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا قال المحقق
وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا على حذر وخوف ووجل منها لان ذلك ادعى
لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية **لا يجليها لوقتها الا هو** يعني لا يبينها ولا يظهر
امر وجودها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره يعني ان الخفاء بالساعة مستمر لغير الله الى وقت
وقوعها كاخفاء الاجل وليلة القدر وساعة الاجابة في يوم الجمعة **ثقلت في السموات والارض** يعني ثقل
علمها وخفي امرها على اهل السموات والارض وكل شئ خفي فهو ثقيل شديد قال الحسن اذا جاءت
ثقلت وعظمت على اهل السموات وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب
قال الشيخ معناه شقت وكبرت على اهلها من الملئكة والثقلين لشدة هولها وعظمها كأنه اشارة الى حكمة
اخفائها اى لا يطيقون حمل اخبارها او ثقل عليهم اخفاؤها فان ما خفي امره ثقل على النفوس **لا تأتيكم الا
بغتة** اى فجأة على حين غفلة منكم كما قال الله ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا
يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة
العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه
يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة **يسألونك كأنك حفي
عنها** اى يسألونك يا محمد مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اى مبالغ في العلم بالساعة حتى كأنه
عالم بها من حفي عن الشئ اذا بحث عنه واستحكم علمه فيه وقد قرئ حفي بها قال الاستاذ معناه يسألك
قومك عن الساعة كأنك حفي بهم يعني بارّ بهم شفيق عليهم يعني على هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسألونك
عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كأن بينك وبينهم مودة وكأنك صديق لهم قال ابن عباس لما
سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم
فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسألونك
عنها كأنك حفي بها اى عالم بها من قولهم احفيت في المسألة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها انتهى والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف وعنها متعلق بيسألونك **قل انما علمها عند الله** يعني يا محمد
لقومك استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل لقوله ان الله عنده علم الساعة ونزل الغيث
الاية فان قلت قوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا يسألونك كأنك حفي عنها فيه تكرار قلت
فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن احوالها من ثقلها وشدتها
فلم يلزم التكرار ولما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت

قيامها عند ربي ولما كان السؤال الثاني واقعا عن احوالها وشدائدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله
علم ذلك عند الله لانه اعظم الاسم وهذا هو الفرق بين الصورتين في الجوابين **ولكن اكثر الناس لا يعلمون**
بان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب
الذى من اجله اخفى علم وقت قيامها المغيب عن الخلق **قل لا املك لنفسي نفعا** اجلبه لها **ولا ضرا**
ادفعه عنها يعني اذ لم يكن لي علم بما ينفع نفسي التي هي اقرب الاشياء الي فكيف العلم بالساعة وهو
اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيب مما يختص بالربوبية قال ابن عباس ان اهل مكة قالوا يا محمد
الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتريه فتربح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد ان تجدب
فترحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله قل لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اى اجتلاب نفع بان اربح فيما
اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر ان ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى الخصبة واترك الجدبة
الا ما شاء الله ان يوصله الي من النفع والضر ويوفقني له لانه ان شاء اغنى عبده وان شاء افقره
فانه على ما يشاء قدير يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد **ولو كنت اعلم الغيب** اى ما غاب عني
علمه **لاستكثرت من الخير** يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب والجدب لاستكثرت من المال ومن
الاشياء النافعة في الدين والدنيا **وما مسني السوء** اى المضار من القحط والشدة لاحترازى عنه باجتناب
المضار قال ابن جريج معناه لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب يريد وقت
الموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح وفي اللباب فان قلت قد اخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات
وقد جاءت احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت
اعلم الغيب الخ قلت يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان يطلعني
الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما اطلعه الله اخبر به كما قال
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك
اظهره الله تعالى على اشياء من المغيبات فاخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
انتهى **ان انا الا نذير** اى ما انا الا رسول من رب العالمين ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا
وبشير اى وابشر بثوابه **لقوم يؤمنون** اى يصدقون بقيام الساعة بعد الموت كما قال الله انما انت منذر من
يخشيها **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** هذا خطاب لمشركي مكة بما فيه الامتنان هذا كلام مستأنف يعني هو
العظيم الشأن الذى خلقكم وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من رسوله ادم عليه السلام
وجعل منها زوجها اى وخلق منها زوجها حواء وقد مر بيان خلق حواء من ضلع ادم في اول سورة النساء
ليسكن اليها اى ليأنس بها ويأوي اليها يعني ليطمئن اليها كما يطمئن الانسان الى ولده ويحب محبة نفسه
لكونه جزءا منه **فلما تغشاها** يعني جامعها كنى به عن الجماع احسن كناية يقال غشيها وتغشاها
اذا علاها **حملت حملا خفيفا** وهو اول ما تحمل المرأة من نطفة او علقة او مضغة فانه اخف عليها
بالنسبة الى ما بعده ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه اياهم
متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة **فمرت به** جمهور يعني بتشديد
الراء يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها وقرئ فمرت بتخفيف الراء من المرية

اى فشككت بسببه اهو حمل ام مرض وقرئ فارت اى جاءت وذهبت وقرئ فاستمرت به ومعناه واضح وقيل ان معناه حملت حملا خفيفا عليها وما اثقلت اصلا ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية فمضت بالحمل الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق قوله تعالى فلما اثقلت اى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى دعا وتضرع آدم وحواء الى الله ربهما اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء والتذلل والتضرع وسبب تضرعهما انهما لم يعهدا الحمل ولم يعرفا ما له فاهتما به وقالا لئن آتيتنا صالحا اى ولدا ذا صلاح ودين ننتفع به او لئن اعطيتنا صالحا يعنى بشرا سويا مثلنا لا نقص فى خلقه لنكونن من الشاكرين على هذه النعمة المجددة علينا قال المفسرون لما اهبط آدم وحواء الى الارض القيت الشهوة فى نفس آدم فاصاب حواء فحملت من ساعتها فلما اثقلت الحمل وكبر فى بطنها اتاها ابليس فقال لها ما الذى فى بطنك قالت ما ادرى قال اللعين انى اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا وما ترين فى الارض الا بهيمة او نحوها قالت انى اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك ام من فيك او ينشق بطنك فيقتلك فخافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزالا فى غم من ذلك ثم عاد اليها فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحارث فذكرت ذلك حواء لآدم فقال لعله صاحبنا الذى قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وامره اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة قال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وكان ذلك من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وخديعته كما جاء انه خدعهما مرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض قال ابن عباس رضى الله عنهما لما ولد له اول ولد اتاه ابليس فقال انى سانصح لك فى شان ولدك هذا سمه عبد الحارث وكان اسمه فى السماء الحارث فقال آدم اعوذ بالله من طاعتك انى اطعتك فى اكل الشجرة فاخرجتنى من الجنة فلن اطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال اطعنى والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل فلما آتاهما صالحا اى لما اعطاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلا له اى لله شركاء فيما آتاهما قال ابن عباس اشركه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما اشرك آدم وحواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان وقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما القراءة شركاء وقرئ شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرئ شركاء بضم الشين مع المد جمع شريك يعنى ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحارث

قال

العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولا ان الحارث ربهما لان آدم عليه السلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحارث ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر: وانى لعبد الضيف ما دام ثاويا. اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز مصر انه ربى احسن مثواى اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك هذا وانما اخبر عن آدم بقوله جعلا له شركاء فيما آتاهما لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاهما ثم ابتدأ فى الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد آدم وحواء لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعانى وان اراد به ما سبق من معنى الاية فيستقيم ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك فى التسمية فكان الاولى ان يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفى معنى الاية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركاء فحذف ذكر الاولاد واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الاباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير به اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة اى خلق كل واحد من ابيه وجعل منها زوجها اى وجعل من جنسها ادمية مثله وهذا قول حسن الا ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولادا فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك انتهى ما ذكره صاحب اللباب وهذا قال الاستاذ فى تفسيره ومعنى اشراك اولادهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ويحتمل ان يكون الخطاب فى قوله تعالى هو الذى خلقكم لال قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار وعلى هذا التفسير يكون الضمير فى يشركون لقصى ولزوجته ولاعقابهما المقتدين بهما وقوله عز وجل ايشركون بهمزة الانكار توبيخا لمشركى مكة قال الشيخ قرئ بالتاء على خطاب الكفار وبالياء على الغيبة ما لا يخلق شيئا وهم ابليس والاصنام وهم يخلقون اى وهم مخلوقون وضمير هم وفى يخلقون للاصنام والشيطان جمع بضمير العقلاء على زعمهم انهم الهة ولا يستطيعون اى لا تقدر اصنامهم لهم لعبدتهم نصرا اى على نصر من عبدها واطاعها ولا تقدر على ضر من عصاها فكيف يليق بالعاقل ان يعبد ما لا ينفعه ولا يدفع عنه ضره ولا انفسهم ينصرون اى لا يدفعون عن انفسهم ما يعتريها من كسر ونحوه من النوازل بها بل عبدتها يدفعون عنها فالمعبود اضعف واعجز من العابد

ثم خاطب المؤمنين بقوله **وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى** اى وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى
لَا يَتَّبِعُوكُمْ لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبل الهداية قال الاستاد ومعناه اى وان تدعوا
ايها المشركون الاصنام الى الهدى اى الى ان يهدوكم الى ما تحتاجون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم
يعنى الى مرادكم ولا يجيبوكم لانهم اجساد لا ارواح فيها والله تعالى مجيب من دعاه بالاخلاص والمعنى الاول
اظهر والله اعلم بمراده قرا نافع بتخفيف التاء والباقون بتشديدها **سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ** ايها المومنون
أَدَعَوْتُمُوهُمْ اى الكفار الى الدين والهدى **أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** عن دعائهم الى الايمان اى فهم
فى كلا الحالين لا يومنون ومن قال بارجاع الضمير فى ادعوتموهم الى الاصنام يقول ان المشركين كانوا
اذا وقعوا فى شدة وبلاء تضرعوا الاصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم
لا فرق بين دعائكم الاصنام لدفع ما نزل بكم او سكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ**
اى تعبدون من الاصنام وتسمونهم الهة **مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ** من حيث انها مملوكة مسخرة
لله مثل ما انتم مسخرون مملوكون وانما قال للاصنام عباد امثالكم مع ان الاصنام اجساد لا روح
فيها قلنا لانهم امثالهم من حيث التسخير لا من كل الوجوه او على حسب ظن المشركين بان لها عقولا وقال
مقاتل فى قوله عباد امثالكم انها الملئكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملئكة والقول الاول اصح والحاصل ان
المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ
يعنى عباد امثالكم وقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا قوله تعالى
فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ اى فادعوا اصنامكم فليستجيبوا لكم فيما تدعونهم اليه من جلب نفع او كشف ضر **إِنْ**
كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى كونها الهة ثم بين غاية عجز الاصنام وفضل عابديهم عليهم مع مبالغ التوبيخ فقال
أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما يكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الالات يستعين بها
فى جميع اموره والاصنام ليس لها خلق الهى من هذه الاعضاء والجوارح شىء فهم يفضلون عليهم بهذه
الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشى واليد الباطشة والعين الباصرة
والاذن السامعة على هذا القياس فظهر بهذا ان الانسان له الفضل ولا فضل لمثل الاحجار والاخشاب
المنحوتة البتة واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بمن له الفضل ان يعبد ما لا فضل له البتة ثم كرر التحكم بهم
فقال **قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ** اى قل يا محمد لهولاء المشركين ادعوا شركاءكم التى تخوفونني بهم واستعينوا بهم
فى عداوتى وهلاكى حتى يتبين لكم عجزهم **ثُمَّ كِيدُونِ** انتم وشركاؤكم جميعا فبالغوا فيما تقدرون عليه
من الكيد والمكر قرا ابو عمرو باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا والباقون بحذفها فى الحالين **فَلَا تُنْظِرُونِ**
اى فلا تمهلونى بل عجلوا فى كيدكم فانى لا ابالى بكم لن تقدروا على ولا بتعذيبى وحفظه **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ** اى
ان الذى يتولى حفظى منكم وينصرنى عليكم هو الله **الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ** اى القرآن يعنى كما ايدنى بانزال
الكتاب على كذلك يتولى حفظى وينصرنى **وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من
عباده بنصره وحفظه فضلا عن انبيائه ورسله فاذا لا يضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم
ممن ارادهم بسوء او كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا والمعصو

وفى هذه مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه لا يضره شىء قوله تعالى **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ** اى تعبدون
مِنْ دُونِهِ اى غير الله **لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** هذه الاية قد تقدم
تفسيرها والفائدة فى تكريرها ان الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة
على جهة الفرق بين من يستحق له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين من
لا يستحق له العبادة وهى هذه الاصنام وقال السلطان وهذه الاية من تمام التعليل لعدم مبالاته
عليه السلام بهم وقوله تعالى **وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ**
لَا يُبْصِرُونَ قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا
دعاءكم لان اذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى ببصائر
قلوبهم واما عيون الراس ناظرة اليك وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية واردة فى صفات الاصنام لانها
جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر والمعنى اذ كانت واردة فى صفات الاصنام فهو ان الله قال لرسوله
بلفظ الجمع تعظيما له دون المفرد لثبوت الوارد الجازم او قال الله لنبيه والمومنين وان تدعوهم اى
الاصنام الى الهدى لا يسمعوا شيئا لكونهم جمادا وتراهم اى ترى الاصنام يا محمد ينظرون اليك اى بقابلونك
كالناظر وهم لا يبصرون شيئا لعدم بصرهم وبصيرتهم وقيل يجوز ان يكون الخطاب فى قوله وان تدعوهم
للمشركين والمعنى وان تدعوا يا كفار مكة اصنامكم الى مصالحكم لا يستجيبوا لكم والله اعلم باسرار كتابه
ومعانيه ثم امر الله رسوله بمكارم الاخلاق بقوله **خُذِ الْعَفْوَ** اى المساهلة بالناس فى الدين
ولا تشق عليهم بالكلفة حتى لا ينفروا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا او خذ العفو من المزيد
اى الفضل وما تسهل من صدقاتهم بلا كلفة وذلك قبل وجوب الزكاة وقيل العفو عن ظلمك والمعنى
بعبارة اخرى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فيتولد منه العداوة
والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول
الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو المساهلة فى كل شىء خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت
خذ العفو وامر بالعرف الا فى اخلاق الناس وفى رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من
اخلاق الناس كذا فى جامع الاصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يأخذ العفو من اقوال الناس او كما قال وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفا لك من اموالهم فما اتوك به
من شىء فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال
السدى خذ العفو اى الفضل من المال نسختها اية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من اموالهم وهذا
قبل ان تفرض الصدقة المفروضة والحاصل عامل السهل من الامور ولا تعسر فانه ادعى لهم الى اتباعك
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ اى بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول اى المعروف التى به عن ذكر النهى حاصل
المعنى وامر بكل ما امرك الله به وهو كلما عرفته بالوحى من الله تعالى وكل ما يعرفه الشرع وقال عطاء وامر بقول
لا اله الا الله **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** اى ان بدا منهم شىء يسوءك يعنى لا تقابلهم بسفههم ولا تخاصمهم
ولا تكافيهم بمثل افعالهم وهذا قبل ان يومر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخ
باية القتال قال بعضهم اول هذه الاية واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد نسخ اولها اخذ الفضل

من الاموال نسخ بفرض الزكاة والامر بالعرف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال روى انه
لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق
امر الله عز وجل نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة رضي الله عنها
قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروى امامنا البغوي بسنده عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال وهذا كله اذا لم ينتهك حرمات
الله وقالت عائشة رضي الله عنها لم ينتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط واذا انتهك شيء من حرمات
الله لم يقاومه احد وسئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقرات
الاية قوله تعالى **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ** اي وان يصيبك من الشيطان وسوسة وتسويل
واصل النزغ الطعن وفي الحديث صياح المولود حين يولد نزغة من الشيطان ويطلق على الافساد كقوله
تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قوله واما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة قال
ابن زيد لما نزل قوله تعالى خذ العفو الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف الغضب يا رب فانزل الله واما
ينزغنك الاية يعني واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة **فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**
اي فاستجر بالله والجا اليه في دفعه عنك وهذا جواب الشرط وجواب الامر محذوف اي فانه يدفعه عنك
إِنَّهُ سَمِيعٌ لدعائك وقولك **عَلِيمٌ** بحالك وبما لك مهمة واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء
عليهم السلام بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج
الى الدواء وهو الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان
فاستعذ بالله وانه لم يحصل النزغ له عليه السلام البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو عليه السلام بريء من الشرك
البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله قد عصم نبيه عليه السلام
عن قبولها وثباتها م عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد
وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه
فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ الامام محيي الدين النواوي يروى فاسلم بفتح الميم وضمها فمن رفع قال
معناه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من الاسلام اي صار مسلما مؤمنا لا يامرني
الا بخير قال الخطابي الصحيح الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال
القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره
وخاطره وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه اعلمنا انه معنا لنحترز
منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به
غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ** الذين اتقوا الذنب لخوف
عقاب الله اذا اصابهم لمة ووسوسة من الشيطان اللعين ومعنى طائف اي ما يطوف حول الشيء يعني الشيء

سورة الاعراف

الذي يلم بالانسان ويطوف حوله ويدور به ولم يقدر ان يؤثر فيه او من طاف به الخيال يطيف
طيفا قرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طائف بالالف والباقون طيف بغير الف فالاول اسم فاعل من
طاف يطوف كان الوسوسة طافت بهم والثاني مصدر او تخفيف طيف كلين وهين وهذا تاكيد لما تقدم
من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان والمراد بالشيطان جنسه ولذلك جمع ضميره في اخوانهم
ويمدونهم والحاصل من عادة المتقين اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسة **تَذَكَّرُوا** عقاب
الله وثوابه او ما امر الله به ونهى عنه او عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن
جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غضبه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله
فيقوم ويدعه **فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** الحق من الباطل فيرجعون او مبصرون بذلك التذكر مكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه فيها وعبر عن العلم الحاصل بعد التذكر بالابصار مبالغة في تيقنهم به قال السدي معناه
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة
الله عز وجل والحاصل انهم يعرفون مواقع الخطا بالتذكر والتفكر **وَإِخْوَانُهُمْ** اي اخوان الشياطين من المشركين
مبتدا **يَمُدُّونَهُمْ** خبره اي يمدهم الشياطين يعني واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين قال الكلبي
لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي يطيلون لهم **فِي الْغَيِّ** اي في الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل
يزيدونهم في الضلالة بالتزيين والتسويل والحمل عليه **ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ** اي ثم لا يمسكون الشياطين عن
اغوائهم ولا يكفون عن ضلالتهم ولا يتركونهم حتى يردوهم ويهلكوهم ويجوز ان يكون الضمير راجعا
للشياطين يعني لا يكفون الاخوان انفسهم عن الغي ولا يقصرون كالمتقين لان المؤمن المتقي اذا اصابه طيف
من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر يستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يعرف وقال ابن
عباس لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون
على فعل الانس والشياطين جميعا **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ** اي واذا لم تات المشركين يا محمد باية ومعجزة ظاهرة
مما اقترحوا **قَالُوا** اي قال المشركون **لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا** اي هلا انشاتها واختلقتها وافتعلتها من قبل نفسك
واختيارك كسائر ما تقراه لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى قال الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي
صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها اي هلا احدثتها وانشاتها من
عندك يعني هلا اقترحتها على ربك ان كنت صادقا فان الله يقبل دعاءك ويجيب التماسك فالايات دون
نعتهم قولهم للنبي عليه السلام لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وعند هذا امر الله رسوله ان يجيبهم
بالجواب الشافي فقال **قُلْ** يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سالوا الايات **إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي**
يعني القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي
اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق دعواه معجزة قاهرة فهي كافية في تصحيح النبوة فطلب
الزيادة تعنت فلا جرم قال قل يا محمد **هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ** اي هذا القران الذي اوحي الي حجج وبرهان
وبيان تورث البصائر او كالبصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وفي التبصرة هذا امور تبينه عليها
لكي تعرفون انها من ربكم قلت والحاصل لما كان القران سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد
اطلق عليه اسم البصيرة **وَهُدًى وَرَحْمَةٌ** اي هو سبب هداية من الضلالة ورحمة من الله وسبب ايمان

العذاب لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم المنتفعون بالقران لا غير فالقران بصاير لمن بلغ النهاية فى علم التوحيد وهداية
لمن بلغ درجة النظر والاستدلال ورحمة لعامة المومنين ثم لما عظم شان القران بقوله هذا بصاير الى اخره
اردفه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته بقوله وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا
والمعنى واذا قرئ عليكم ايها المومنون القران فاصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه
وانصتوا عند قراته اى اسكتوا للاستماع واختلف العلماء فى الحال التى امر الله عز وجل بالاستماع لقارى
القران فيها والانصات له اذا قرا لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء فى ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر
ان تجرى هذه الاية على العموم ففى اى وقت واى موضع قرئ القران فيجب على كل احد الاستماع له والسكوت
القول الثانى انها نزلت فى تحريم الكلام فى الصلاة روى عن ابى هريرة انهم كانوا يتكلمون فى الصلوة بحوايجهم
فامروا بالسكوت والاستماع لقراة القران وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض فى الصلاة سلام على فلان
وسلام على فلان فجاء القران واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت فى ترك
الجهر بالقراة خلف الامام روى عن ابى هريرة قالت نزلت هذه الاية فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا
قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله قال الكلبى كانوا يرفعون اصواتهم فى الصلوة حين يسمعون
ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت فى السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد
وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصوت فى اثنين عند الرجل يقرا القران
وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة
واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه فى الصحيحين
واختلف العلماء فى القراة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراة او اسر يروى
ذلك عن عمر وعثمان وعلى وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعى واليه ذهب عالم قريش محمد بن ادريس
وذهب قوم الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراة ولا يقرا اذا جهر ذلك وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن
محمد وبه قال الزهرى ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرا سواء اسر الامام او جهر يروى
ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب ابى حنيفة حجة من لا يرى القراة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من
قال يقرا فى السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع لقراة القران ودلت السنة على وجوب
القراة خلف الامام فحملنا مدلول الاية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلايل
الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراة خلف الامام فى صلاة السرية والجهرية قال ان الاية واردة فى
غير الفاتحة لان دلايل السنة قد دلت على وجوب قراة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية
قالوا واذا قرا الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه فى القراة ولا يجهر بالقراة خلفه ويدل عليه
ما روى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراة
فلما انصرف قال انى اراكم تقرؤن وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اى والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة
ثم

لمن لم يقرأ بها اخرجه الترمذى بطوله واخرجاه فى الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب م عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابى هريرة انا نكون وراء
الامام قال اقرأ بها فى نفسك وذكر الحديث وفى جامع الاصول وعامة العلماء على استحباب استماع القران والانصات
له خارج الصلاة وقيل معناه اذا قرأ عليكم الرسول صلى الله عليه وسلم القران عند نزوله فاستمعوا له وانصتوا
قال البيضاوى ومن احتج بظاهر الاية ولم ير القراة على الماموم وهو ضعيف قلت لان الاية لا تدل على
ترك القراة خلف الامام لان هذا الانصات المامور به نهى عن الكلام فى الصلاة لا عن القراة لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ اى لكى يرحمكم ربكم باتباع ما امركم به من اوامره وفرايضه وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ سرا
هذا عام فى الاذكار من القراة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراة سرا بعد فراغ الامام عن قراته كما هو
مذهب الشافعى كذا ذكره البيضاوى تَضَرُّعًا وَخِيفَةً اى متضرعا ومتذللا الى وخائفا من عذابى وَ
دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ اى ومتكلما كلاما باللسان فوق السر ودون الجهر حتى يحصل منه الحث بسمع ما يقرأ
فى صلاته وغيرها من الفاتحة وغيرها فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ اى اوايل
النهار واواخره يعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات لانها اشرف الاوقات ومظان الاجابة وقيل معناه
فى جميع الاوقات وعبر عنها بذكر الطرفين وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق
للغدو والآصال جمع اصل واصل جمع اصيل والاصيل من العصر الى المغرب فهو جمع الجمع ولا يجوز ان يكون
الآصال جمعا للاصيل لان فعيلا لا يجمع على افعال ثم عمم الامر بالذكر بقوله وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عن
ذكر الله وما يقربك الى الله قال ابن عباس يريد بالذكر القراة فى الصلاة يريد يقرأ سرا وتضرعا وخيفة
يريد يتضرع الى ويخاف منى هذا فى صلاة السر وقوله ودون الجهر يعنى الجهر فى صلاة الجهر جهرا
شديدا بل فى خفض وسكون حتى تسمع من خلفك وقال مجاهد وابن جريج امر الله تعالى ان يذكروه
فى الصدور بالتضرع اليه فى الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح بالدعاء وقيل ان اعمال
العباد تصعد اول النهار واخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر
الى المغرب فاستحب له الذكر فى هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت
الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله فى هذين الوقتين
ليكون فى جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من صلاة او ذكر حتى لا يكون من الغافلين اصلا
إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ قال البغوى يعنى الملئكة المقربين بالفضل والكرامة وفى المدارك مكانة ومنزلة
لا مكانا ومنزلا يعنى الملئكة لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ اى لا يتعظمون ولا يتكبرون عن طاعته
وَيُسَبِّحُونَهُ اى وينزهونه عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا وفى الغاية ويقدسونه
عن الاحتياج الى عبادتهم بل انما يعبدونه تشرفا بعبادته وَلَهُ يَسْجُدُونَ اى يخصونه بالخضوع
والعبادة فكونوا مثلهم عبر عن اعتقاد القلب بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله
يسجدون وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيستحب للقارى والمستمع ان يسجد عند قوله وله
يسجدون ليوافق الملئكة المقربين فى عبادتهم ق عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته
في غير وقت صلاة م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت
فلي النار م عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك
بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة قال بعض المشايخ
في معنى ولله يسجدون يعني في حال الوجود والعدم من الازل الى الابد سجدته من الازل في العدم منقادين
مسخرين لاحكام القدرة في ايجاد الوجود وسجدته الى الابد في الوجود يبذل الوجود منقادين مسخرين قابلين
لاحكام القدرة في تصاريف الاعدام والايجاد والافناء والابقاء والله اعلم بمراده واسرار كتابه **سورة**
الانفال مدنية كلها الا سبع ايات منها نزلت بمكة وهي من قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى
اخر سبع ايات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس او ست او سبع وسبعون اية
سميت بها لانها مبدأ هذه السورة **بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال**
جمع نفل بفتحتين وهو الغنيمة والمطلوب بيان حكمها والمعنى يسألونك يا محمد عن الغنائم لمن هي وانما سميت
الغنيمة نفلاً لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على
سهمه قال الشيخ ومعناه يسألونك عن الانفال استفتاء يعني يسألك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو
سؤال استفتاء لا سؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى
من وقيل عن صلة اي يسألونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة
واصله الزيادة سميت الغنائم انفالاً لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين انها نزلت
في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم
يصنع فيه ما يشاء ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف
اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا
فله كذا وكذا ومن اتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلاً فله كذا فتسارع الشبان وبقيت الشيوخ
تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا
تذهبوا به دوننا فانا كنا ردءاً لكم ولو انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله
يسألونك عن الانفال قال لاهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله
انك وعدت ان من قتل قتيلاً فله كذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال
ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك
فتعطف عليه خيل من المشركين فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله الناس كثير
والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه الاية يسألونك
عن الانفال وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحت
وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبه فما جاوزت الا قليلاً حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول

صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الان قد صار لي فاذهب فخذه ورفعه
محمود عن ابي امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر
نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله
واصلاح ذات البين وقال ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء وما
اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكاً فهو غلول وفي الغاية نزلت بعد وقعة
بدر وهي اول سورة نزلت بعد الهجرة وابتداء وقعة بدر فانها البطشة الكبرى قوله تعالى **قل الانفال**
لله والرسول اي امرها وحكمها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به واختلف العلماء في حكم هذه
الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الاية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان
لله خمسه وللرسول الاية كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شاء ولمن شاء ثم نسخها الله بالخمس
وقال بعضهم هذه الاية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراماً على الامم الذين من
قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس
وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال لله
وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول
الاية وصح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلاً فاصاب كل واحد
منا اثنا عشر بعيراً ونفلنا بعيراً بعيراً اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الاية محكمة وللامام ان ينفل من شاء من
الجيش ما شاء قبل التخميس وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها
وقيل يسألونك الانفال اي يسألونك التشاد ما شرطت لهم **فاتقوا الله** في الاختلاف والمشاجرة واتركوا المنازعة
والمخاصمة في الغنائم وكونوا متآخين في الله **واصلحوا ذات بينكم** اي الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما
رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول وفي الغاية اصلحوا الاحوال التي بينكم من التخالف والتخاصم في امر الغنيمة في
ابدلوها بالتحابب والاتفاق والتآلف والتخاصل واصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك المنازعة وسميت الاحوال ذات
البين لكونها ملابسة للبين ومنه ذات الصدور اي مضمراتها **واطيعوا الله ورسوله** فيما يأمركم به وينهاكم
عنه اي والتسليم لحكمهما **ان كنتم مؤمنين** اي مصدقين بوعد الله ووعيده فان الايمان يقتضي الطاعة
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي المؤمنون الكاملون في الايمان هم الذين اذا ذكر الله
فزعت قلوبهم لذكره استعظاماً له وهيبة من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه
خوفاً من عقابه قال الاستاد والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم
الذين اذا ذكر الله خضعت وخافت ورقت قلوبهم قال اهل الحقائق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العامة
وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص فان قلت ان الله تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم اي خافت وقال في اية
اخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب
والاطمئنان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعا

في اية واحدة وهي قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى
انه تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم عند ذكر رحمته ورجاء ثوابه وهذا حاصل في
قلب المومن ثم قال تعالى **واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا** يعني واذا قرئ عليهم ايات القران زادتهم
تصديقا قاله ابن عباس والمعنى انه كلما جاءهم شيء من عند الله امنوا به فيزدادون بذلك ايمانا وتصديقا
لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما
حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلايل
وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون
بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف
صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شيين كان
اكثر ممن يصدقه في شي واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انه كلما سمعوا اية
جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس ان الايمان
هل يقبل الزيادة والنقصان ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع
اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة
عن مجموع امور ثلثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على
ذلك بهذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة
عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في
هذه الاية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا وذلك
يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحياء شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان ذو اعلى وادنى
واذا كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا
قيل فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن
عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل
الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وفي الغاية والحق ان نفس التصديق ايضا يقبل الزيادة والنقص
للفرق الظاهر بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة ولهذا اشار علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لبلوغه غاية الغضوي(?) قال بعض اكابر القوم قدس الله روحه في
معنى زادتهم ايمانا اي زادته طمانينة بما عنده فلا يوثرون عليه شيئا ويزيدهم ما يتلى عليهم من اياته تصديقا
على تصديق وتحقيقا على تحقيق فجعل من شروط الايمان الحاصل في القلوب ازدياده عند سماع القران وتلاوة
ذكر الله وطاعته وذلك لان الايمان الحقيقي هو النور الواقع في القلوب بقدر انفتاح روزنة القلب من نور
تجلي شموس صفات مالك يوم الدين للقلوب المشتاقة فيكون وجوه القلوب الناضرة من دنس حب الدنيا
بذلك النور الحق وجوها الى ربها ناظرة فكلما تليت على اصحابها الايات او ذكروه او عملوا عملا صالحا ازداد انفتاح

روزنتها

روزنتها بتعلقه بصدقها وشوقها فيزيد منها نور الايمان فيزدادوا ايمانا مع ايمانهم **وعلى ربهم يتوكلون**
اي يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه لعلمهم بان لا موثر الا قدرته ولا موجب الا ارادته
قال شيخنا وقدوتنا عبد القادر الجيلاني(?) الشافعي المفتي على مذهب امامه محمد بن ادريس واحمد بن حنبل
في غنيته ما نصه وحقيقة التوكل تفويض الامور الى الله والتنقي عن ظلمات الاختيار والتدبير الى ساحات
شهود الاحكام والتقدير فيقطع العبد ان لا تبديل للقسمة فما قسم له لا يفوته وما لم يقدر له لا يناله
فيسكن قلبه الى ذلك ويطمئن الى وعد مولاه فيأخذ من مولاه فللتوكل ثلاث درجات التوكل والتسليم والتفويض
فالمتوكل يسكن الى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه انتهى وقد ذكر ايضا
في الكتاب المذكور فصلا في كون الايمان قولا باللسان ومعرفة بالجنان وعملا بالاركان وانه يزيد بالطاعة وينقص
بالعصيان ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وبالتوفيق يقع كما قال الله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون وما جاز عليه بالزيادة جاز عليه النقصان ثم ذكر اشياء كثيرة الى ان قال واعلم ان زيادة الايمان
انما تكون على التحقيق بعد اداء الاوامر وانتهاء المناهي والتسليم في القدر وترك الاعتراض على الله عز وجل في فعله في جميع
خلقه وترك الشك في وعده والاقسام والرزق والثقة به والتوكل عليه والخروج من الحول والقوة والصبر
على البلاء والشكر على النعماء والتنزيه للحق وترك التهمة له عز وجل في ساير الاحوال واما مجرد الصلوة والصيام فلا
انتهى وفي اللباب واعلم ان هذه المراتب الثلثة اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل
على الله من اعمال القلوب ولما ذكر الله تعالى هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اي الذين يقيمون الصلوة المفروضة فيتمونها ركوعا
وسجودا وقياما في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكوة
وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق والتصدق في انواع البر والقربات ثم عظم الله من هذه صفته
بقوله **اولئك هم المومنون حقا** اي يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس برئوا من الكفر وقال قتادة
استحقوا الايمان واحقه الله لهم وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا ثابتا وفيه دليل على انه
لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة
وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسالة اصولية وهي ان العلماء اتفقوا على انه يجوز
للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة
الاولى ان يقول انا مومن حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجوه
الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسالة
يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله قال ابو عمر العراقي لا تشبيه في قول
القايل انا مومن حقا او ان شاء الله بقول من يقول انا متحرك ان شاء الله وهو متحرك ومثل ذلك الاكل والشارب
والجالس والقايم والراكب لان في هذه المسايل وجه واحد وهو الحركة والاكل الخ فلا حاجة فيها الى الاستثناء الا
تبركا بذكر اسم الله بخلاف قولك انا مومن حقا فانه يصح ذلك بحسب يقين القايل حينئذ ولا يحسب ما هو
كاين عند الله فقد يموت المومن كافرا والكافر مسلما في اخر عمره وانما العبرة بالخاتمة الوجه الثاني انه تعالى قال
اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا وفي قوله انا مومن ان شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم

وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مومن ان شاء الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول
ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك
فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شاء الله وان كان اعتقاده
واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك
الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شاء الله ليس على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن حقا فقد مدح نفسه
باعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال ذلك العجب وحصل له الانكسار فالاستثناء
لزوال العجب لا لزوال الشك وروي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة اتباعا لابراهيم
عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة هلا اقتديت به في قوله اولم
تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم قال بعد قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي
فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون
الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والتوكل على الله والاتيان بالصلوة كما امر الله
وايتاء الزكوة كذلك ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا يعني من اتى بمجموع هذه الاوصاف وثبت عليها الى
اليقين كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شاء الله
قال ابن ابي نجيح سأل رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سالتني عن الايمان بالله وملئكته وكتبه
ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن
المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم شيئا قال
هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم ان المومنين هم اهل … وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم يشهد انه
في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع انا اذا قلنا انا مومن ان شاء الله للتبرك
لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي انه لاحق باهل القبور الوجه
الخامس ان المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن
ان يقال انا مومن ان شاء الله فالمراد بصرف هذا الاستثناء الى الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب
الشافعي عن استدلال اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله ان الفرق بين وصف
الانسان بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يبقى فحصل
الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين
حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة
ويموت عليها ولم يرتد وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من
اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله اعلم وقد ذكر الشيخ عبد القادر
الجيلاني قدس سره في غنيته في مبحث العقائد هذه المسالة فراجعه قلت والحق كما قال الاستاد ان النزاع بين الفريقين
لفظي لان من جوز الاستثناء انما جوزه نظرا الى الخاتمة لا انه ليس مومنا في الحال ومن منعه انما منعه
بالنظر اليه اذ لا ريب انه لا طريق له الى الخاتمة وقال البيضاوي في معنى اولئك هم المومنون حقا لانهم
حققوا

حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح
التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة انتهى وقد ذري على من طهر وجوه اهل السنة عن غبار البدعة
حيث قال فيه وقد احتج عبد الله على احمد فقال ايش اسمك فقال احمد فقال اتقول احمد حقا او انا احمد ان شاء الله
فقال انا احمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثني وقد سماك الله في القرآن مومنا تستثني وكان الاستاد
يقول ليس هناك عبد الله ولا احمد ولكن امثال هذه الترهات ياتي بها اهل الحشويات ثم اخبر الله عن مآل حالهم بقوله
لهم درجات عند ربهم اي لهم كرامات وعلو منزلة يعني لهم منازل عالية في جوار ربهم وفي اللباب يعني لهم مراتب
بعضها اعلى من بعض لان المومنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تفاوتت مراتبهم في
الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس
سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة والحضر العدو وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله
عن ابي سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن
لوسعتهم ومغفرة اي تجاوز لما فرط منهم من الذنوب ورزق كريم اي رزق حسن صاف عن
كدر الاكتساب وخوف الحساب اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي مدده قال الشيخ وصفه بكونه كريما
لان منافعه خالصة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
والحق قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالوحي لطلب المشركين الى بدر
للحرب وان كرهوا قال الاستاد الكاف فيه مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره حالهم في كراهة ما
رايت من تنفيل الغزاة على السوية مثل حالهم في كراهة اخراجك ربك الى حرب بدر من المدينة وهم لا يعلمون ان
ذلك خير لهم فكرهوه ويجوز ان تكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف تقديره استقرت الانفال لله
وللرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني من بيتك الكاين بالمدينة او من نفس
المدينة التي هي مهاجرتك ومسكنك كبيت المختص بك الى حرب بدر اخراجا ملتبسا بالحق والصواب اي بحكمة
واذنه ومراده فطوبى لبيته بالمدينة والحمد لله على ذلك وقيل معناه امض لربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت
لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك
خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل معناه راجع الى قوله
لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المومنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق فانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل الكاف متعلقة بما بعدها تقديره كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على اي امض على الذي اخرجك
ربك من بيتك فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذي اخرجك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق
وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة
الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر وقد اشرنا الى معناه والله
اعلم بمعاني كتابه وان فريقا من المومنين لكارهون الواو للحال يعني اخرجك ربك في حال كراهتهم للقتال و
وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدد عدوهم وكثرة سلاحهم وذلك ان ابا سفيان اقبل من الشام في

في عير اي قافلة فيه تجارة عظيمة لقريش وفيه اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن
نوفل والقول بان عمرو بن هشام كان معهم سهو لان عمرو بن هشام اسم ابي جهل اللعين ان يراد رجل آخر
يوافق له في الاسم والاب وكان في النفير والجيش لا في العير فنزل في بدر فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى
ابو جهل فوق سطح الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد
لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبلها بثلثة ايام عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ
صخرة من الجبل ثم رمى بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها اخاها العباس وبلغ ذلك
ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له
ان العير اخذت ساحل البحر ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر
الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب
ما اراد وانا قد غضضناه فمضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب يجتمعون عليه لسوقهم يوما في السنة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير
واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير
فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة سيد
الخزرج من الانصار فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال
مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي
بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم كانوا عدد الجيش ووجوه العسكر وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه
حتى يصل الى ديارهم يعني المدينة فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة ففطن بذلك سعد
ابن معاذ من الانصار وقال لكانك تريدنا يا رسول الله فقال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر
على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله
لكاني انظر الى مصارع القوم عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان قال ويضع يده على
الارض ههنا وههنا فما ماط احدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له صلى الله عليه وسلم لما فرغ
من بدر عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح هذا الوجه فقال له لم فقال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله **يجادلونك في الحق** اي في ايثارك الجهاد اظهارا

للحق

للحق لايثارهم تلقي العير عليه والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك ربك في حال مجادلتهم اياك حيث قالوا
له لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم **بعد ما تبين**
اي بعد ما بين لهم انك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد بعد تبيين الحق وعضدهم
باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا **كانما يساقون الى الموت** اي لشدة كراهتهم القتال يعني يكرهون
القتال كراهة من يساق الى الموت **وهم ينظرون** الى الموت عيانا في كراهتهم له قال الاستاذ شبه حالهم في فرط
فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه آتيه قال الشيخ ولم تكن كراهتهم ذلك
لجبنهم بل لانهم لم يخرجوا على هيئة القتال اذ روي انهم كانوا رجالة ما كان فيهم الا فارسان وكان الكلام
من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل المشاورة ولذلك لم يعزم فيه العزم فلما تكلموا احسنوا في القتال ولما لاقوا
العدو فعلوا ما يفعله الابطال **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين** اي اذكروا وقت وعد الله اياكم
احدى الفرقتين فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير واذ نصب بالمفعولية لاذكروا واحدى
الطائفتين مفعول يعدكم وابدل عن احدى الطائفتين بدل اشتمال قوله تعالى **انها لكم** اي احدى الفرقتين
لكم **وتودون** عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي اذكروا اذ تحبون وتريدون وتتمنون **ان غير
ذات الشوكة تكون لكم** اي وتتمنون ان العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة
والقوة ويقال السلاح قال السلطان والشوكة الحدة مستعارة من حدة الشوك ومعنى ذات الشوكة اي ذات
السلاح يعني انكم تحبون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا سلاح فيها ولا تريدون الطائفة التي لهم سلاح
وقوة اعني النفير **ويريد الله ان يحق الحق** اي يظهر الحق ويعليه ويحكمه ويثبته **بكلماته** اي باياته
المنزلة في محاربة ذات الشوكة او بامر الله ملائكته بالنزول لنصر المؤمنين وامدادهم وبما قضى وقدر من قتل
الكفار واسرهم وقرئ بكلمته مفردا قال الاستاذ ومعنى بكلماته اي بامره اياكم بالقتال وبعداته التي سبقت
لكم من اظهار الدين واعزازه **ويقطع دابر الكافرين** اي ويستأصلهم حتى لا يبقى احد منهم والحاصل انتم تريدون
متاع الدنيا العاجلة والله يريد معالي الامور من هلاك العدو ونصرة دين الاسلام واظهاره واعلاء الحق والفوز
في الدارين **ليحق الحق ويبطل الباطل** اي ليثبت الاسلام ويمحق الكفر فعل ذلك يعني فعل الله ما فعل لهذا الغرض
الذي هو سيد الاغراض ارادكم العدو فلا تكرار لان الاول لبيان مراده ومرادهم وهذا لبيان تفاوت الغرض
قال الشيخ ومعنى احقاق الحق اظهار حقيقته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا الحال ابطال الباطل
ولو كره المجرمون اي ولو كره المشركون احقاق الحق وابطال الباطل **اذ تستغيثون ربكم** بدل من قوله
واذ يعدكم الله او متعلق بقوله ليحق الحق اي يحق الحق وقت استغاثتكم والاستغاثة طلب الغوث والنصر
والمدد والمعنى اذكروا يا محمد اذ تستجيرون بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصرة وفي المستغيثين
قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الازهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان
يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل
نبي الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول اللهم انجز ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه

١١م

عن منكبيه فاتاه ابو بكر فاخذ رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني
ممدكم بالف من الملئكة مردفين فامده الله بالملئكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من
المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول
اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم انفه وشق وجهه
كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين واسروا سبعين فاستجاب لكم
يعني فاجاب لكم دعاءكم عطف على اذ تستغيثون اني ممدكم اي باني ممدكم ومعينكم يعني مرسل
اليكم مددا وردءا لكم فحذف الباء وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بكسر الهمزة لان الاستجابة نوع
من القول بالف من الملئكة مردفين اي متتبعين المؤمنين او يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع
بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم
ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها بين اكتافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه
وقال ابو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش
ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع
خ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه قال يوم بدر هذا جبريل آخذ براس فرسه
عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سيماء الملئكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين
عمائم خضر ولم تقاتل الملئكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا
وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم
اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملئكة والاصح انهم قاتلوا يوم بدر
لما ذكرنا من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فخطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى
يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم وقرأ نافع
ويعقوب مردفين بفتح الدال متبعين يعني انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها بمعنى مترادفين واصله مرتدفين فادغمت التاء في الدال وقرئ بآلاف ليوافق
ما في سورة آل عمران وهو قوله بثلثة آلاف من الملئكة منزلين ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان
المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم وفي الغاية ومعنى مردفين
يلحق الملئكة الى ان بلغ خمسة آلاف فيوافق هذا ما في آل عمران فيكون ذلك تفصيلا لهذا الاجمال لان تلك السورة
متاخرة نزولا وما جعله الله اي الامداد بالملئكة الا بشرى اي الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به
قلوبكم اي لتسكن بالامداد قلوبكم اذا رايتم مدد السماء وكثرة العدد وفي قصر الامداد على البشارة والطمأنينة
اشعار بعدم مباشرة الملئكة للقتال وهذا راه بعض السلف وقد صح الحديث بانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما
سواه من الايام وما النصر الا من عند الله اي وما حقيقة النصر على الاطلاق الا كائن من عنده
عز وجل من غير ان يكون فيه شركة للاسباب والحاصل لا اثر للكثرة والقلة لقوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

قال النبي

قال النبي معناه ان الله هو ينصركم ايها المؤمنون وينصر ملئكته فثقوا بنصر الله ولا تتكلوا على قوتكم وقوة
الملئكة وشدة باسكم فالواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله بيده
النصر والاعانة ان الله عزيز حكيم اي قوي منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء
ويغلبه وحكيم في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده اذ يغشيكم النعاس
اي يجعله غاشيا لكم وغالبا عليكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى او منصوب
باضمار اذكر اي اذكروا اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف والفاعل هو الله تعالى قرأ نافع يغشيكم بضم
الياء وتخفيف الشين النعاس نصبا وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بفتح الياء واسكان الغين من المجرد والباقون
بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين المكسورة فالقراءة الاولى من اغشاه الشيء اذا غشيته اياه والفاعل
هو الله تعالى والقراءة الثالثة من غشى بالتشديد وفاعله ايضا هو الله تعالى والنعاس فيهما مفعول به وغشى واغشى
لغتان بمعنى والقراءة الثانية من غشي يغشى والفاعل هو النعاس اي من غشيه النعاس اي اخذه النوم امنة
منه اي امانا حاصلا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله
وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس امنة في القتال ان الخائف على نفسه لا ياخذه النوم فصار
حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم
وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القي عليهم النوم حتى حصلت لهم
الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث
لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان امنة من الله انه
وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد
امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقيل كان من
حق النعاس ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم بامر الله فكانه حصلت النعاس امنة من الله لولاها لم
يغشهم على طريقة التمثيل بابراز المعقول في صورة المحسوس كقول الشاعر: يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك
فهو نفار شرود. وقد ذكر في بعض مناقب شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره بان النوم كان يشرد منه وهو يجري
وراءه ليبطشه وينزل قرأ الجمهور بالتشديد عليكم من السماء ماء اي المطر ليطهركم به اي بذلك الماء
من الحدث والجنابة وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب
وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث وبعضهم جنب
واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اولياء الله وقد
غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا
سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الاسقية واطفأ الغبار ولبد
الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله
عليهم بذلك وكان ذلك دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب
عنكم رجز الشيطان اي وسوسته التي القاها في قلوبكم واصل الرجز العذاب وسميت به لانها سبب العذاب
وقيل المراد منه الجنابة لانه من تخييله وقرئ بالسين اي رجس الشيطان وهو القذر فجعل ما ينبغي ان

العذاب رجز لقذارته وليربط على قلوبكم اى وليربط ويحبس قلوبكم بالصبر وما وقع فيها من
اليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال السلطان وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم قلت وهذا تثبيت الباطن واما تثبيت الظاهر فقوله ويثبت
به الاقدام اى بالمطر حتى لا تغيب في الرمل يعني ان ذلك المطر لبّد الارض وقوى الرمل حتى تثبت عليه
الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب حتى تثبت في الحركة اذ يوحي
ربك بدل ثالث من اذ يعدكم او متعلق بيثبت الى الملائكة انى بفتح الهمزة معكم يعني ان الله اوحى الى الملائكة
الذين امدّ بهم النبي واصحابه اني معكم ايها الملائكة بالامداد والنصر والمعونة قال الاستاد معنى انى معكم اى
في اعانتهم وتثبيتهم يعني ليس القصد الى ازالة الخوف لان الملائكة لا خوف لهم من الكفار بل الى الاعانة
وهو مفعول يوحي وقرئ اني بكسر الهمزة على ارادة القول فثبتوا الذين امنوا اى بشروا ايها الملائكة النبي
واصحابه بالنصر والظفر على الكفار وكان الملك يمشي بين الصفين في صورة رجل فيقول ابشروا ايها المؤمنون
فان الله ناصركم او بتكثير سوادهم قال الشيخ واختلف في كيفية هذه التثبيت والتقوية فقيل كما ان للشيطان
قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر فكذلك للملك قوة في القاء الالهام في قلب ابن ادم بالخير و
يسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت حضورهم
معهم القتال ومعونتهم لهم اى تثبتوهم بقتالكم معهم المشركين سالقي اى ساقذف في قلوب الذين
كفروا الرعب اى الخوف وهذا تفسير لقوله اني معكم فثبتوا ولا اعانة اقوى من القاء الرعب في قلوب الكفرة
ولا تثبيت اشد من ضرب الاعناق واجتماعهما غاية النصر فاضربوا فوق الاعناق اى اعالي الاعناق
التي هي المذابح يعني المفصل الذي بين الراس والعنق او الراس لكونه امكن للمقطع قيل هذا خطاب مع الملائكة فيكون
متصلا بما قبله وقيل خطاب مع المؤمنين فيكون الكلام منقطعا عما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف
كيف تقاتل بني ادم فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق وقال الضحاك فوق صلة والمعنى فاضربوا الاعناق وقيل
معناه فاضربوا على الاعناق فيكون فوق بمعنى على واضربوا منهم كل بنان اى اصابع ومفصل والمعنى جزّوا
رقابهم واقطعوا اطرافهم حتى لا يأتي منهم الحرب قال ابن عباس معناه الاطراف وهي اطراف اصابع اليدين وقيل
والرجلين كذلك وقيل معناه اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وخصت اطراف اليدين
لان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب روي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع
رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف
قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه
السيف وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة
النبوية ذلك اشارة الى الضرب او الامر والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين والحاصل ان ذلك العقاب
الذي اصابهم من الضرب والقتل والاسر والعقاب العاجل في يوم بدر بسبب انهم اى كفار قريش
شاقوا الله ورسوله اى خالفوا الله ورسوله قال الاستاد معناه انهم شاقوا اولياء الله وهم المؤمنون
او شاقوا دين الله وذلك مبتدأ وبانهم شاقوا الله ورسوله خبره ثم قال ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب اى لمن يشاق الله ورسوله يعني ان العذاب الذي نزل بهم في ذلك

من القتل

من القتل والاسر شيء قليل في جنب ما اعدّ الله لهم من العقاب يوم القيمة ذلكم اشارة الى القتل والاسر
الذي نزل بهم فذوقوه ايها الكفار ذلك العذاب عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى المؤجل
الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله وان للكافرين عذاب النار يعني في الاخرة قال
الشيخ الخطاب في ذلكم مع الكفرة على طريق الالتفات من الغيبة في شاقوا الله والمشار اليه اما نفس العقاب او ما
تقتضيه التوطئة من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بفعل يستدعيه قوله فذوقوه
والواو في قوله وان للكافرين بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم
عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان
محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وان للكافرين الاخره معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا
العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار لكم اجلا وقوله فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد
والضمير في فذوقوه على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقرئ بكسر ان في قوله وان للكافرين
على الاستيناف ثم اخبر عن اداب القتال مع الكفار بقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا اى كثيرا بحيث يرى لكثرتهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا
سمي الجيش العظيم بالمصدر وجمع على زحوف وانتصابه على الحال والحاصل من مقتضى ايمانكم اعتقاد ان
النصر من عند الله وانه ناصر لاوليائه وان له سطوة على اعدائه اذا رايتم جيش الكفر من كثرتهم حين
على مقاعدهم مجتمعين متزاحفين بعضهم الى بعض لقتالكم فاثبتوا لقتالهم فلا تولوهم الادبار
بالانهزام في هذه الحالة فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرّض
المؤمنين ومن يولهم يومئذ دبره اى ومن ينهزم ويولي دبره يوم الحرب والقتال الا متحرفا لقتال
اى قاصدا للرجوع اليهم يريد بذلك الكر بعد الفر وتغرير الحرق فانه من مكايد الحرب والحاصل بان يرى
عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة والرجوع على العدو والعود اليه وهذا احد ابواب الحرب
وخدعها ومكايدها او متحيزا الى فئة اى او منضما وصائرا الى جماعة اخرى من المؤمنين على القرب يريد
العود الى القتال ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم رواه ابو
داود والترمذي وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا
او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله
يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فئة من المسلمين
هم فقد رجع بغضب من الله اى التزمه وماواه جهنم لان فراره سبب لقتل المسلمين وبئس المصير
وفي التبصرة وان لم يوجب الخلود هذا الوعيد اذا لم يزد العدد على الضعف كواحد من اثنين لقوله تعالى
الان خفف الله عنكم الاية وعلى هذا اكثر العلماء ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم الفرار
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ويتحازوا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنه
من فر من ثلثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر وقيل الاية مخصوصة باهل بدر ولهذا حضروا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في الحرب وفي الغاية والقول بان الاية مخصوصة باهل بدر ومن مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب او

لا مخالف للاجماع الفرار من الزحف اذا لم يبلغ العدد الرخصة من اكبر الكبائر انتهى وفي الديباج فصل
في حكم هذه الاية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز
لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله
عليه وسلم ولو انحازوا لانحازوا الى المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان
المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة
والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم
مدبرين قال بعضهم حكم الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل ان قوله يا ايها الذين امنوا هذا
خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وفي الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة بقوله الان
خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الا في هذه العدة انتهى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم قال مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول
انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم
يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة والقاء الرعب في قلوب
الكفرة والربط في قلوب المؤمنين على القتال باذهاب الفزع والجزع عنهم والفاء في فلم تقتلوهم جواب
شرط محذوف تقديره وان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
وما رميت اذ رميت بصورة الرمي الموصل يعني وما رميت يا محمد اعين القوم اذ رميت بالحصاة
لان كفا من الحصا لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ولا يقدر على ذلك احد من الخلق ولكن الله رمى
بايصال ذلك اليهم يعني ولكن الله اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم
من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه قال اهل التفسير والسير
والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش
وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي
ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم
قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم
ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام
وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية
بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد القت
اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب
الذي منه جاؤا الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك

اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم به فلما التقى الجمعان
تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم
المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر
ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه
فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصى
في وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله عز وجل قلت فاثبت لنفسه التاثير والخلق ولنبيه الكسب وان كان افعال
العباد كلها كذلك ولكن لما كانت هذه الرمية امرا خارقا للعادة وقد يشتبه عليه بعض عقول القاصرة خص
رميه بالذكر فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الاية وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميتك قيل
وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا وقيل انه نزل في
طعنة طعن رسول الله بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات وقيل في رمية سهم
رماه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن الحقيق على فراشه والاصح انها نزلت
في يوم بدر وادخال غيرها في اثناء القصة كلام اجنبي عنها وذلك لا يليق واحتج اهل السنة بهذه الاية على ان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الجلالة في الموضعين والباقون
بالتشديد ونصب الجلالة وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا يعني ولينعم على المؤمنين منه نعمة عظيمة
بالنصر والغنيمة والاجر والثواب واجماع المفسرين على ان البلاء هنا بمعنى النعمة ولا اعطانا اجزل من قهر الخلق
تلخيصه ان الله فعل ذلك ليقهر الكافرين وليبلي المؤمنين ان الله سميع لدعائكم واستغاثتكم ايها
المؤمنون عليم باحوالكم ونياتكم وقصدكم اعلاء كلمة الله ذلكم اي الامر ذلكم يعني الذي ذكرت من امر القتل
والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلكما الذي فعلنا وان الله اي واعلموا ان الله مع
ذلك موهن اي مضعف كيد الكافرين اي مكرهم وكيدهم يعني المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
فعلى هذا يكون عطفا على وليبلي قرأ ابن عامر والكوفيون موهن بسكون الواو وتخفيف الهاء وتنوين النون من
باب الافعال وقرأ حفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف والباقون موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين
فكيد منصوب على انه مفعول به في قراءة غير حفص ومخفوض في قراءته واصله النصب ان تستفتحوا اي ان تطلبوا
يا اهل مكة قضاء الله وحكمه فيكم وفي محمد واصحابه فقد جاءكم الفتح اي القضاء بقتلكم واسركم
قال السدي هذا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم لما ارادوا الخروج الى بدر تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فالمعنى ان
تستقضوا فقد جاءكم القضاء على القول بان الفتح بمعنى القضاء وان كان بمعنى النصر فالمعنى ان تستنصروا فقد
جاءكم النصر وقيل قال ابو جهل ومن معه يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم ايّنا كان افجر يعني نفسه ومحمدا
عليه السلام واقطعنا للرحم فاحنه اليوم فانزل الله ان تستفتحوا الاية والمعنى ان تستفتحوا الله على اقطع الحزبين
للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم

والحق على المبطل والمقطوع على القاطع قال الاسناد في معنى الآية لما دعا النبي ربه ببدر وسأله انجاز ما وعده
من احدى الطايفتين وألح في الدعاء والمسألة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا
النصر وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم
وانجاز ما وعدكم من النصر على الاعداء مع كثرتهم وطغيانهم وكان اعظمهم في عداوتكم ابو جهل واقرانه فعلنا
بهم ما فعلنا اكراما لكم ق عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي
فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اضلع منهما فغمزني احدهما فقال
اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني
الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي سألتماني
عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما قتله فقال كل
واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله
وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء
ق عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده
قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قاله انس قال
وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل فلو غير اكار قتلني عن عبد الله بن مسعود قال
مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا جهل قد اخزى الله الآخر قال ولا اهابه
عند ذلك فقال اعمد من رجل قتله قومه فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده
فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال
هل اعمد من رجل قتلتموه وفي رواية اخرى عن ابن مسعود رضي الله قال وجدت ابا جهل باخر رمق فعرفته
فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني
لمن الدبرة قلت لله ولرسوله وروي عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى
صعبا ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا راس عدو الله ابي جهل فقال
الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وقال
ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه
امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في القتلى وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه
فضربته ضربة طيرت قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت
بجلدة من جنبي واجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها رجلي
ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه وبه رمق فمر به
عبد الله بن مسعود ففعل به ما فعل قوله عز وجل **وان تنتهوا فهو خير لكم** اي وان تنتهوا عن قتال محمد صلى
الله عليه وسلم وعن تكذيبه ومعاداته فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تؤمنوا به وتكفوا عنه فيحصل
لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر **وان تعودوا** لمحاربة

محمد

محمد صلى الله عليه وسلم **نعد** اي بمثل الوقعة التي وقعت بكم يوم بدر بنصره عليكم وتسليطه اياكم **ولن تغني** اي لن تدفع
عنكم فئتكم يعني جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم **شيئا** من الاغناء **ولو كثرت** اي وان كثرت فئتكم
وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة قرأ نافع وابن عامر وحفص بالفتح اي ولان الله مع المؤمنين لن
تغني عنكم فئتكم والباقون بالكسر وهذه ابلغ لان الجملة تفهم منها مع الاستقلال فان قيل هذا يوم احد
فانهم عادوا وفيه المحاربة وكانت الغلبة لهم والجواب ان الغلبة كانت اولا للمسلمين فلما تركوا المركز وخالفوا امره
عليه السلام جرى ما جرى ثم لما خاطب الكفار بقوله ان تنتهوا فهو خير لكم اتبعه بتاديب المؤمنين فقال **يا ايها
الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله** في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس **ولا تولوا عنه** اي عن الرسول
صلى الله عليه وسلم والضمير في عنه للرسول لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا
عنه وعن معونته ونصرته في الجهاد **وانتم تسمعون** اي والحال انتم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته
والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وتصديق لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة **ولا تكونوا
كالذين قالوا** بالسنتهم **سمعنا** اي ادعوا السماع وهم الكفار او اهل الكتاب او المنافقون **وهم لا يسمعون**
سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعونه راسا والحاصل انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول
في بعض الامور عن قسمة الغنائم وغيرها اشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال **ان شر الدواب عند الله**
اي ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله اي في حكمه وقضائه وقدره **الصم** عن سماع الحق
وجمع الصم مع انه خبر شر حملا على المعنى لانه يراد به الكثرة **البكم** عن النطق به فلا يقولونه **الذين لا يعقلون**
اي لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يقبلونه وانما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس
هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد
وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة **ولو علم الله فيهم**
اي في هؤلاء الصم البكم **خيرا** اي سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات او شيئا من جنس الخير الذي من جملته
صرف قواهم الى طلب الحق واتباع الهدى **لاسمعهم** اي لجعلهم سامعين سماع تفهم وانتفاع وقبول للحق
يعني لاسمعهم المواعظ والحجج حتى يقفوا على حقيقة الرسول والقرآن ويطيعوه ويؤمنوا به قال الامام فخر الدين
في معنى ولو علم الله يعني انه لو كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه
فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم
الله الحجج والمواعظ اسماع تعليم وتفهيم وقد علم الله استحالة ذلك منهم **ولو اسمعهم** يعني بعد ان علم ان
لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل **لتولوا وهم معرضون** اي ولتولوا عن سماع
الحق ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره
قال الاسناد لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم عنادا للعلم بانهم اهل الطبع
وكلمة لو هنا مثلها في قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ان يكون نقيض
الشرط اولى بالترتب على الجزاء فالمعنى ان التولي منهم حاصل على تقدير الاسماع فعلى تقدير عدمه بطريق
الاولى قال ابو البقاء وكذا في قوله عليه يعني المبالغة وهو انه لو لم يكن عنده خوف لما عصى الله فكيف
يعصي وعنده خوف وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا

حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن لك فقال الله تعالى ولو احياهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا عن الايمان وهم معرضون
عن البرهان ثم علّم الله المؤمنين ادبا اخر فقال يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوا
بالطاعة والانقياد لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحّد الضمير في قوله اذا دعاكم لان
استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة
والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض واستدل اكثر الفقهاء بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من
امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعاه الله
ورسوله اليه خ عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه
ثم اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا ابي ان تجيبني اذ
دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي ان استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شاء الله وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد غيره وقيل
لو دعاه احد لامر مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وعبارة السلطان واختلف فيه فقيل
هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي
ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول وفي الغاية ان من راى اعمى يقع في بير يجب عليه
قطع صلاته اجماعا لانه لا يحتمل التاخير فالقول بان دعاءه عليه السلام كان لامر لا يحتمل التاخير يهون ان
الاجابة لا تختص به اذا كان الامر لا يحتمل التاخير والاية مسوقة لبيان شرفه وان شانه عليه السلام يباين
شان ساير الناس فيجب اجابته عليه السلام مطلقا سواء الامر يحتمل التاخير ام لا قوله عز وجل لما يحييكم
من امر الدين لانه سبب الحياة الابدية يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان وقال قتادة هو القرآن
لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله
اعزكم به بعد الذل وقيل هي الشهادة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون وقيل الاعمال التي هي
[illegible] وقيل اريد به علوم الديانات والشرايع لان العلم حياة القلب كما ان الجهل موته قال الشاعر لا تعجبن الجهول
حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل فيه ايضا وفي الجهل قبل الموت موت لاهله واجسادهم
قبل القبور قبور وان امرأ لم يحي بالعلم روحه فليس له حتى النشور نشور واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه لا يهتدي قلبي الى غيركم لانه سد على الطرق قال الواعظ معنى يحول
بالفارسية جدا كند اي يفرق ويفصل قال السلطان هذا تمثيل لغاية قربه سبحانه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه يطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها
او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير
وتخييل لتملكه سبحانه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد
سعادته

سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر وقلبه بالتشديد على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه والعامة بفتح الميم وسكون الراء وهمزة مكسورة
بعدها انتهى قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله
وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن
او يكفر الا باذنه قلت واختار البيضاوي قول السدي وقد ثبت بالبراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب
اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي ابدا تستدعيها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله
فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف يشاء هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به
فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء اخرجه الترمذي وهذا الحديث
من احاديث الصفات يجب على المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجزم بتنزيه الله عن الجارحة والجسم وقيل
في معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى
القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جرأة وقد فسر بعض اهل الاعتزال وتبعه
بعض اهل السنة معنى الاية هكذا يعني ان الله تعالى يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي فرصة
التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا
قلوبكم لطاعة الله ورسوله ثم قال والمجبرة على انه تعالى يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن
تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال المحقق التفتازاني رحمه الله ما ذكره يعني انه يميته الخ تاويل المعتزلة
وعند اهل السنة انه تعالى يحول بين الكافر وطاعته حتى اذا اراد ان يؤمن والله لا يريده حال بينه وبين قلبه
كيف شاء وكذا اذا اراد المؤمن ان يكفر ولم يرد الله وبالجملة فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله وهذا
منقول عن ابن عباس والضحاك فلا يكون قول الظالمين بل رده قول الجاهلين انتهى كلام التفتازاني وفي
التصرف في معنى يحول اي يوقع حايل الحجاب اذا لم يستجيبوا لله وللرسول والله اعلم باسرار كتابه وانه اليه
تحشرون اي واعلموا انكم او ان الشان الى الله تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى
طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة عطف على استجيبوا قال الاستاذ لما امر الله عز وجل انه يحول على مراده بين المرء وقلبه حذر
من وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم منكم خاصة بل تعم وتتعدى
اليكم جميعا وتصل الى الصالح منكم والطالح واراد بالفتنة الابتلاء والاختبار وفي رواية الذنب والعذاب
كما يأتي في رواية ابن عباس وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم
قال المفسرون نزلت هذه الاية في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه اتقوا فتنة تصيب الظالم
وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه

الاية زمانا وما اراناهن اهلها فاذا الخى للعيبون بها يعنى ماكان منهم فى يوم الجمل وقال الكلبى
ومقاتل والضحاك وقتاده هذا فى قوم مخصوصين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابتهم
الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله
بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم وروى البغوى ره بسنده عن عدى بن عدى الكندى
قال حدثنا مولى لنا انه سمع جدى يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب
العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا
فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذى ذكره ابن الاثير فى جامع الاصول عن عرس بن عميرة
الكندى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها
ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها اخرجه ابو داود وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على
ان يغيروا عليهم ولم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد
اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى
خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ او معاذا فليعذ به وعن ام سلمة رضى الله عنها
انها قالت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث فان قلت ظاهر الحديث وقوله تعالى
واتقوا فتنة لا يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة
الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفى ملكه يتصرف فيهم كيف شاء لا
يسأل عما يفعل وهم يسألون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية ولانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من
المصلحة والله اعلم بمراده. اللهم طيب طينتنا من هذه البدع والخدع وايد اهلها بمدد من عندك بحق
ساكنها عليه الصلاة والسلام ولو فصلنا البدع لشد البائس وطار الراس والله المستعان من شر
الجنة والناس. واعلم ان السلطان فسر الاية هكذا يعنى اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم
والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل بالجهاد على ان قوله لا تصيبن
اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم فتنة لا تصيب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان واما صفة
لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقوله حتى اذا
جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت الذيب قط. واما جواب قسم محذوف لقراءة من قرا لتصيبن
وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقا الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على
ان الظلم منكم اقبح من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب** اى اذا نزل عقابه فهو شديد ولذلك
يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه فالمراد منه الحث على لزوم الاستقامة وفيه تحذير ووعيد لمن واقع
الفتنة التى حذره الله منها قوله عز وجل **واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض** يا معشر المومنين

المومنين بطاعته وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر
المومنين اذ انتم قليل فى العدد اذ ظرف ناصبه محذوف تقديره واذكروا حالكم الثابتة فى وقت قلتكم
يستضعفكم كفار قريش فى ارض مكة فى ابتداء الاسلام **تخافون ان يتخطفكم الناس** اى يأخذكم كفار
قريش بسرعة او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وقيل الخطاب للعرب كافة فانهم كانوا
اذلاء فى ايدى فارس والروم **فآواكم** اى جعل لكم ماوى وهى المدينة تحصنون به عن اعدائكم **وايدكم
بنصره** اى وقواكم بالانصار او قواكم يوم بدر بالملائكة **ورزقكم من الطيبات** يعنى الغنائم احلها لكم وما
احلها لاحد قبلكم **لعلكم تشكرون** اى لكى تشكروا الله على هذه النعم وتتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب
الانفال ثم لما ذكر انه رزقهم من الطيبات منعهم من الخيانة بقوله **يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول** بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى الغنائم قال
الزهرى والكلبى نزلت هذه الاية فى ابى لبابة هارون بن عبد المنذر الانصارى من بنى عوف بن
مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من
ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان
عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انتزل على حكم سعد بن معاذ فاشار
ابو لبابة بيده الى حلقه يعنى انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماى عن مكانهما حتى عرفت
انى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية
من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءنى لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فانى لا اطلقه حتى يتوب الله
فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة
قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله
بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا
الله والرسول وقال السدى كانوا يسمعون الشئ من النبى صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين
فنزلت هذه وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل عليه السلام النبى عليه
السلام فقال ان ابا سفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا سفيان فى موضع
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزلت
هذه الاية وقيل نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة حين كتب الى اهل مكة لما هم رسول الله بالخروج اليها قال
ابو العباس المقرى ورد لفظ الخيانة فى القرآن باربعة معان اولها الذنب فى الاسلام
كهذه الاية لما نزلت فى ابى لبابة وثانيها السرقة وثالثها نقض العهد ورابعها المخالفة وخامسها الخيانة
وتخونوا اماناتكم ومعنى الاية لا تخونوا الله ورسوله ولا تخونوا اماناتكم فهو مجزوم بالعطف على النهى قبله

وقيل منصوب باضمار ان بعد الواو الواقعة بعد النهي اي احفظوا عهد الله ورسوله بالوفاء بهما ولا تخونوا
في الامانات بينكم مما ائتمنكم فيه احد من الخلائق من مال او اهل او سر او ولا تخونوا ما ائتمنتم عليه من الدين
وغيره **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن والقبيح او انتم تعلمون ان الخيانة قبيحة
في كل شيء او انتم تعلمون ان ما فعلتم من الاساءة الى الخلق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من
خان شيئا فقد انتقصه والخيانة ضد الامانة وقيل معنى الاية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك
فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته وتخونوا
اماناتكم قال ابن عباس اراد بامانتكم ما يخفى عن اعين الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التي ائتمن
عليها العباد وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ائتمنكم عليه من فرايضه وحدوده
ومن كانت عليه امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليه ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب **وَاعْلَمُوا
أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** لكم صادة عن امور الاخرة قيل هذا مما نزل في ابي لبابة وذلك لان
امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه
لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة هو حب المال والولد نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم
فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر عن المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصير
محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن وروى امامنا البغوي بسنده عن عايشة رضي الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله واخرج الترمذي
عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم وهو محتضن احد ابنتيه وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال
الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا من خولة قوله لمن ريحان الله اي لمن رزق الله والريحان
في اللغة الرزق وانما قدم الاموال لعمومها في الناس او لكونها شقيق الروح ثم انه تعالى قال في اية اخرى ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم من التبعيضية لان جميع الازواج والاولاد ليس عدوا بل بعضهم عدو وهو الذي
يكون سببا للمعصية وبعضهم يكون سببا للخيرات بخلاف الفتنة وهي الاختبار فانها عامة للاولاد والازواج
كما لا يخفى فلذا ما قيد الفتنة بمن التبعيضية والحاصل اموالكم واولادكم ابتلاء من الله تعالى ليبلوكم كيف تحفظون
فيهم حدود الله فعليكم ان لا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى لا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة
رضي الله عنه **وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** لمن اثر رضا الله ورسوله على الاموال والاولاد وعلى نفسه واهله
وراعى حدوده فيهم فانيطوا او اربطوا هممكم بما يؤديكم اليه قال الاستاد معناه لمن ادى الامانة ولم يخن
وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهي المال والولد وفي قوله
عنده تشريف للاجر المذكور وبيان انه مصون عن الضياع وتخصيص العوض عنده اجر عظيم لا يحاط بمقداره
فلا تفوتوه بحب الاموال والاولاد الفانية والخيانة القبيحة **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ** اي بطاعته
وترك معاصيه في كل ما تأتون وما تذرون او تتقون الله بالامانة وغيرها **يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا** اي هداية ونورا
في قلوبكم تفرقون بذلك بين الحق والباطل لدى الاشتباه لقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله او نصرا يفرق
بين الحق

بين الحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين في الدنيا والاخرة كما يشهد بذلك وقعة بدر ولذلك
سمي يوم بدر يوم فرقان قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من
الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل
يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه
ويشهر امركم ويبث صيتكم ويبطل الكفر ويخفضه **وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** اي ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم
وَيَغْفِرْ لَكُمْ اي ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة ومنهم من فسر تكفير السيئات وغفرها بالتجاوز
والعفو عن الذنوب وقيل السيئات الصغاير والذنوب الكباير يعني يحمل السيئات على الصغاير والغفران
على الكباير لان المتقي تايب والتوبة تجب ما قبلها من الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل
بدر وقد غفرها الله لهم وفي الغاية لان الله اطلع عليهم يوم بدر فقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم
ولا حرج **وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** لا يحيط علم احد بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات
التايب حسنات وفيه تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه تعالى واحسان وليس مما يوجب
تقواهم عليه لان العبد لا يستحق اجرا على عمله الذي عمل لمولاه بطريق الوجوب قوله تعالى **وَإِذْ
يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا** عطف على واذكروا اذ انتم قليل لان القلة والمكر كانا بمكة وهذه السورة مدنية
لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل والاسر ورد امر الغنيمة اليه وامر المؤمنين بطاعته
واستجابة دعايه والمسارعة لامتثال اوامره ذكره سوابق نعمه ليتوفر على القيام بشكرها اي
اذكر حادثة ذلك الوقت لما مات ابو طالب وهاجر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
هاجر وبايعه الانصار واسلموا فشق ذلك على كفار مكة وخافوا من تفاقم امره اجتمعوا في دار
الندوة للمشاورة في شانه صلى الله عليه وسلم وتفصيل ذلك ما قال ابن عباس وغيره من اهل التفسير
قالوا اجتمع نفر من كبار قريش في دار الندوة ليتشاوروا في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان رؤسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي والنضر
بن الحارث وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج وامية بن خلف فاعترضهم ابليس في صورة شيخ فقالوا له من انت قال انا شيخ
من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل
فدخل فقال ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه
وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصون به ريب المنون حتى
يهلك كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الراي
رايتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان
يثبوا عليكم فيقاتلوكم وياخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو
من بني عامر بن لؤي فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم
ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل
قد افسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه

واخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم
اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم برأي ما ارى غيره
انى ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسطا فينا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه
ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب
قريش كلها وانهم اذا راوا ذلك قالوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم
رايا والقول ما قال لا ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجمعون عليه فاتى جبريل عليه السلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل
له عند ذلك بالخروج الى المدينة الشريفة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان يبيت
في مضجعه وقال له تسج ببردي وفي رواية اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم فخرج وجعل ينثر التراب على رؤسهم
وهو يقرأ انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف
عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودايع التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات
المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا
فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت
فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا واصل المكر احتيال في خفية هذا ما اتفق عليه المفسرون واما ما جرى بين الكفار
وبين علي من السؤال والجواب وما جرى من حكاية سراقة مع النبي وغير ذلك فمذكور في السير قوله تعالى
ليثبتوك اي ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيئا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحراك وقرئ
ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك **او يقتلوك** بسيوفهم كما اشار عليهم ابو جهل **او**
يخرجوك من مكة **ويمكرون** اي ويحتالون ويدبرون في امرك يعني ويخفون المكايد لك ويخفون ذلك **ويمكر**
الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم الله جزاء مكرهم فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم
معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم
والله تعالى اظهره وقواه ونصره فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره **والله خير الماكرين**
اي اعلمهم به فان قلت كيف قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين
فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون ان مكرهم فيه خير بزعمهم
فقال في مقابلته ومشاكلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله خير مطلقا قال الشيخ
ويعني والله خير الماكرين اذ لا يعبأ بمكرهم عند تدبير الله واستدراجه اياهم بنعمة مع ما اعد لهم من نقمة
قال الراغب والمكر المحمود وهو ان يتحرى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قال الله والله خير الماكرين والمكر المذموم
ان يتحرى به فعل قبيح قال الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله قال البيضاوي فكذلك اسناد امثال
هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم انتهى وفي المدارك اي مكره انفذ
من مكر غيره وابلغ تاثيرا انتهى قلت والحاصل مكر الخلق من الحيلة والعجز ومكر الخالق من القدرة والحكمة
والتدبير

والله يبرّ والله اعلم بمراده **واذا تتلى عليهم اياتنا** المنسوبة الى عظمتنا التي حققنا انه تحير لها
هممُ الجبال العجز عن الاتيان بمثلها **قالوا قد سمعنا** اي سمعنا من بلغاينا وفصحاينا **لو نشاء لقلنا مثل**
هذا وفي الاماني هذا قول ابي جهل لعنه الله كذا اسنده البخاري وقيل قول نضر بن الحارث وكان قد جاء
باكاذيب العجم من قصة رستم الكردي واسفنديار وكانت قريش يجتمع عليه عند الركن ويقرأ عليهم
تلك الاكاذيب ويزعم ان الله احسن قصصا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسر يوم بدر فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الزبير فضرب عنقه وانما لم يصف الايات بالبينات اشارة الى فرط عنادهم وانهم
لم يقولوا تلك المقالة عن تدبر فيها انتهى قال الاستاد نزلت الاية في النضر بن الحارث بن علقمة
من بني عبد الدار والسبب في تكلمهم بهذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القران ويذكر اخبار
القرون الماضية في قراءته فقال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا الخ لانه كان يتردد الى الحيرة وفارس
والروم ويسمع اخبارهم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى
فيراهم يقرأون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون فاذهم الله بن فهم الحق الذي لا شبهة
فيه بادعاهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك ولو
قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة وفرسان البلاغة تبادر بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان يقص عليهم القصص وقد
الذين اجتمعوا في دار الندوة قال الشيخ وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا شيئا
من ذلك فاي شيء منعهم ان يشاءوا وقد تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرعهم بالعجز عشر سنين
ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب
البيان واعلم ان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله لو نشاء لقلنا مثل هذا يدل على انه ما شاءوا
وما قالوا لعجزهم **ان** ما **هذا الا اساطير الاولين** اي ما سطره الاولون من القصص والحكايات
الكاذبة نقلت اليه **واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق** اي اذكر يا محمد وقت قول النضر ومن مثله
من الكفار اللهم ان كان ما يقوله محمد ويقرأه هو الحق المنزل **من عندك** لا مما يليه العامة على نصب
الحق على انه خبر كان وهو ضمير فصل لا محل لها من الاعراب وقرئ برفع الحق على انه خبر هو والجملة خبر كان روي انه
لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال اللهم ان كان هذا والمعنى
ان كان القران حقا منزلا من عندك كما يدعيه محمد من انه هو الحق لا من شعره ورأيه **فامطر علينا حجارة**
من السماء كما امطرتها على قوم لوط او كاصحاب الفيل عقوبة على انكارنا القران قوله من السماء صفة
الحجارة وليس متعلقا بامطر اذ الامطار لا يكون الا منها كانه قيل فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة
للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل **او ائتنا بعذاب اليم** سوى امطار الحجارة يعني ائتنا بهذا
مثل ما عذبت به الامم الماضية قال الاستاد والمراد من التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا اذ
لو احتملت الحقيقة عندهم لما طلبوا ما طلبوا اذ لا يطلب العاقل ارسال الحجارة من السماء او العذاب الاليم
على تقدير حقيته شيء بل يمنع احتمال الحقيقة فعلم ان مقصودهم الاستهزاء وفي النضر بن الحارث نزل سال
سايل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بضع عشرة اية فحاق به ما سال من العذاب يوم بدر

قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي وعقبة بن
ابي معيط والنضر بن الحارث وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة
يعني بلقيس فقال الرجل في جوابه اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا
هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له قال ابن عباس لما قص
رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان بن
مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لا اله
الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان كان هذا الى اخره وروي عن
انس بن مالك ان الذي قال ذلك ابو جهل بن هشام ق عن انس قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد قوله عز وجل **وما كان الله ليعذبهم** بما
سالوه من العذاب **وانت فيهم** اي انت مقيم بين اظهرهم هذا كلام مستانف بقوله الله تعالى اخبارا عن
نفسه جوابا لكلمتهم الشنعاء وبيانا للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم قال المفسرون نزلت هذه
الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم خرج من بينهم وبقيت بها بقية من ضعفة المسلمين يستغفرون
فانزل الله **وما كان الله معذبهم وهم** اي ضعفة المسلمين **يستغفرون** لانفسهم وللكفار بالاسلام
ثم خرج اولئك المسلمون من بينهم فعذبوا واذن الله في فتح مكة وهو العذاب الاليم الذي وعدهم
قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى قرية حتى يخرج النبي منها والذين امنوا ويلحق بحيث امر وقيل المراد بالاستغفار
قولهم في طوافهم اللهم غفرانك غفرانك او فرضه على معنى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي لو استغفروا
ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام و
الاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد
وعكرمة وهم يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية
انه يؤمن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم
ابن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر فان قيل قال الله تعالى وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم ويوم بدر عذبهم بالقتل والاسر وهم فيهم قلنا معناه وانت تقيم بمكة وكان كذلك لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام بمكة لم يعذبوا فلما اخرجوه من مكة وخرجوا للحرب به عذبوا وقيل وما كان
الله ليعذبهم العذاب الاستيصال وانت فيهم وقيل معناه وما كان الله ليعذبهم العذاب الذي طلبوه وهو
الحجارة وقال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيمة اخرجه الترمذي وقال
بعض المفسرين كتبه في تفسيره بقوله ولا يخفى انهما باقيان في المدينة المنورة على منورها افضل الصلاة والسلام الحمد لله
الذي جعلنا من اهلها انتهى قلت ايضا ونحن نحمد الله على ذلك كذلك ولفظ مضيت عبارة عن الانتقال وهو في
نفس الامر قريب اظهرنا اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك واعلم انه ليس خبر كان الاول على خلاف ما اتى به في خبر

الثاني

الثاني فانه اما ان يكون محذوفا وهو الارادة كما يقدره البصريون اي ما كان الله مريدا لتعذيبهم وانت فيهم
وانتفاء ارادة العذاب ابلغ من نفي العذاب واما انه هو المذكور المؤكد بلام الجحود على راي الكوفيين لان كينونته
صلى الله عليه وسلم فيهم ابلغ في كونها سببا لعدم تعذيبهم من استغفارهم فشتان بين وجوده صلى الله عليه وسلم
فيهم وبين استغفارهم **وما لهم الا يعذبهم الله** بيان لاستحقاقهم العذاب بالقتل والاسر عقيب بيان ان
المانع ليس من قبلهم اي اي شيء لهم من انتفاء عذاب الله عنهم يعني لا حظ لهم فيه وهم معذبون البتة
متى زال ذلك المانع وكيف لا يعذبون **وهم يصدون عن المسجد الحرام** اي وحالهم انهم يمنعون المؤمنين
عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية قال
الحسن الاية الاولى وهي قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان
الاخبار لا يدخلها النسخ **وما كانوا اولياءه** اي ليسوا اولياء المسجد الحرام كما زعموا يعني وما استحق اهل
الشرك مع شركهم وعداوتهم لاهل الدين ان يكونوا ولاة امر المسجد الحرام وهو رد من الله لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت الحرام فنصد من نشاء وندخل من نشاء **ان اولياؤه** اي وما اولياء المسجد الحرام والذابون وولاة
امره **الا المتقون** من الشرك الذين لا يعبدون غيره اي الا المؤمنون الموحدون الابرار المطيعون بالتقوى
يعني لا يصلح كل مسلم ايضا ان ياتي ولاية امره فكيف يصلح له الكفرة فان المشركين بمعزل عن الصلاح لولاية بيت الله عز وجل
وقيل الضمير ان لله تعالى **ولكن اكثرهم** اي لكن اكثر المشركين **لا يعلمون** ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر
ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر الله بعض اسباب الولاية عنهم على زعمهم فقال
وما كان صلاتهم عند البيت اي ما كان دعاؤهم او ما يسمونه صلاة على زعمهم او ما يضعون موضعها
الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر والمكاء بالقصر كالبكاء **وتصدية** اي تصفيقا من الصدى
اي الصوت او من الصد وهو المنع والتصدية فيها قولان احدهما انها من الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت
في الامكنة الخالية الصلبة يعني الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم ولا يرجع قوله الى شيء والمراد بها ههنا ما يسمع
من صوت التصفيق وهو ضرب احدى اليدين على الاخرى وثانيهما انها من الصد وهو المنع والاصل تصددة بدالين
فابدلت ثانيتهما ياء قال الاستاذ المكاء اسم طائر ابيض يكون بالحجاز له صفير قال الازهري والمكاء والتصدية
ليسا بصلاة ولكن الله اخبرهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت رضي الله عنه
صلاتهم التصدي والمكاء قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون
قال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤن به ويدخلون
اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة
سالت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى
الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول ابن عباس رضي الله عنهما كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم
وعلى قول غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل ابن عباس لان الله سماه ذلك صلاة على حسب معتقدهم
وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه
فلا عيب له قرا العامة صلاتهم رفعا مكاء نصبا وقرئ صلاتهم نصبا مكاء رفعا وخطا الفارسي هذه القراءة

وقال الزجاج ان يخبر من النكرة بالمعرفة والجواب عنهما انهما اسما جنس لانهما مصدران واسم الجنس تعريفه
وتنكيره متقاربان **وَذُوقُوا الْعَذَابَ** يعني القتل والاسر يوم بدر في الدنيا وقيل يقال لهم في الاخرة
ذوقوا العذاب **بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** اى بسبب كفركم في الدنيا اعتقادا او عملا واللام يحتمل ان يكون للعهد
والمعهود ايتنا بعذاب اليم **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ** في حرب النبي عليه السلام **لِيَصُدُّوا**
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقيبه عبادتهم المالية
التي لا جدوى لها في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل
ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام
والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل
والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر
اسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم النبي عليه السلام وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتيبة نزلت
في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية اثنان واربعون مثقالا
وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش
من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما
اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة
ابن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش قد اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا
سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم
وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارنا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله اى ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون
اموالهم على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقال الشيخ المراد بسبيل
الله دينه واتباع رسوله يعني كان غرضهم من الانفاق الصد عن اتباع محمد عليه السلام وهو سبيل الله وان
لم يكن عندهم كذلك **فَسَيُنْفِقُونَهَا** اى سينفقون اموالهم في ذلك الوجه بتمامها بلا فائدة ولعل
الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاقهم في يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل
وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته
انفاقهم وانها لم تقع بعد **ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً** يعني ما انفقوا من اموالهم تكون عاقبة ذلك حسرة
وندامة وغما لفوات الاموال من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة **ثُمَّ يُغْلَبُونَ**
اخر الامر ولا تظفرون بما تاملون وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك لان العاقبة للمتقين كتب الله لاغلبن
انا ورسلي فهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما اخبر **وَالَّذِينَ كَفَرُوا** اى الكافرين منهم
من اسلم وهذا اخص وقال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم في حرب النبي **إِلَى جَهَنَّمَ** في الاخرة
اى يساقون اليها **لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** اى ليفرق الله ويفصل بين فريق الكفار وهم الفريق
الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال تميز اهل السعادة من اهل الشقاوة
وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق

الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله وقال الاستاد معناه ليميز الكافر من المؤمن
او الفساد من الصلاح واللام على هذين القولين متعلقة بيحشرون او يغلبون وليميز ما انفقه
المشركون من عداوة رسول الله عليه السلام ومما انفقه المسلمون في نصرته كانفاق ابي بكر وعثمان
رضي الله عنهما واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة قرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز بالتشديد
من التمييز والباقون بالتخفيف من الميز والاول ابلغ **وَيَجْعَلَ** عطف على ليميز **الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ**
اى بعضه فوق بعض **فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا** اى فيجمعه جميعا ويضم بعضه على بعض حتى يتراكم لفرط ازدحامهم
او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين **فَيَجْعَلَهُ** اى المجموع المتراكم اعني الخبيث **فِي جَهَنَّمَ**
اى في جملة من يعذبون فيها من الكفار **أُولَئِكَ** اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث وان
كان مفرد اللفظ لكن معناه الفريق وهي جمع **هُمُ الْخَاسِرُونَ** اى الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة
ثم لما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى طريق الصواب بقوله **قُلْ** يا محمد **لِلَّذِينَ**
كَفَرُوا كابي سفيان واصحابه قل يا محمد لاجل الذين كفروا في شانهم وحقهم وبلغهم **إِنْ يَنْتَهُوا** عن
الشرك ومعاداة الرسول بالدخول في الاسلام **يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** اى ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم
قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله على عمومه في الحربي لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما
الذمي فيسقط عنه بالاسلام ما عدا حقوق العباد قال التفتازاني والاحتجاج بهذه الاية على ان
من عصى طول العمر ثم ارتد ثم اسلم لم يبق عليه ذنب في غاية الضعف لانه يكون سببا لاختيار
الارتداد كما لا يخفى قال الاستاد استدلوا بهذه الاية على صحة توبة المنافق لانه كافر حقيقة وعلى ان الكفار
ليسوا مخاطبين بالفروع لانها لا تصح منهم في حال الكفر وبعد الاسلام لا يلزمه قضاؤها وعلى ان المرتد اذا اسلم
لا يلزمه قضاء العبادات التي تركها في حال الردة وفي الاخرين تامل **وَإِنْ يَعُودُوا** الى قتاله عليه السلام
واصروا على الكفر **فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ** اى الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى
على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك او مضت سنة الاولين في اهلاك اعدائه ونصر اوليائه وفي التبيان
ومعنى الاية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم
ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك
اعدائه ونصر انبيائه واوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر لم يلزمه
شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه يعني بذلك انه
ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجو ان لا يعجز
عن هدم ما بعده من ذنب انتهى **وَقَاتِلُوهُمْ** اذا اصروا على الكفر **حَتَّى لَا تَكُونَ** اى لا توجد **فِتْنَةٌ**
اى شرك او بلاء **وَيَكُونَ** العامة على نصبه عطفا على تكون قبله **الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** وحده ولا
يعبد غيره يعني حتى تكون الطاعة والعبادة خالصة لله دون غيره قال قتادة حتى يقال لا اله الا الله
عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم او حتى لا يفتتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه
شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركاء **فَإِنِ انْتَهَوْا** عن الكفر وقتال المسلمين وايذائهم **فَإِنَّ اللَّهَ**

بما يعملون بصير اي فان الله لا يخفى عليه شيء من اعمال العباد ونياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم يعني
فيجازيهم على انتهائهم عن الكفر واسلامهم هذا على قراءة الغيبة وعن يعقوب تعملون بالتاء خطابا
للمؤمنين والمعنى على هذه القراءة قاتلوهم حتى لا تكون فتنة فان انتهوا عن الشرك فان الله يجازيكم
ايها المؤمنون بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم
ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على ان انتهاءهم عن الكفر كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم
وهم المؤمنون المخاطبون في هذه القراءة للتسبب وان تولوا اي وان اعرضوا عن الايمان واصروا
على الكفر ولم ينتهوا وعادوا الى قتال المسلمين وايذائهم فاعلموا ايها المؤمنون ان الله مولاكم
اي ناصركم وحافظكم ومتولي اموركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى اي ان الله سبحانه نعم
المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير اي وهو نعم الناصر لكم لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم
اخذتم من الكفار قهرا من شيء فان لله خمسه يامر فيه بما يشاء وللرسول والاية نزلت
في غنائم بدر بعد ما ردها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدر ذلك المجمل وقنن قانونا يمشون عليه
مدى الدهر والمعنى اعلموا ايها المؤمنون المنصورون بنصر الله ورسوله علما مقرونا بالعمل ان كل شيء جليلا كان
او حقيرا حتى الخيط والمخيط الذي غنمتموه واخذتموه من اموال الكفار على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل
فثابت لله خمسه لنصره لكم وشكرا له على ذلك وذلك الخمس يعطى خواص عباده فيعطى خمس منه للرسول الذي
هو الاصل في اسباب النصر واعلم ان العلماء اختلفوا هل الغنيمة والفيء اسمان لمسمى واحد ام يختلفان
في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه عنوة
واما الارض فهي فيء وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال ففيه
الخمس واربعة اخماسه لمن شهد الوقعة والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس هو لمن سمى
الله وقيل الغنيمة ما اخذوا من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل
ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفيء والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء
واحد والصحيح انهما يختلفان فالفيء ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف خيل وركاب فذكر الله في هذه الاية
الكريمة حكم الغنيمة فقال واعلموا ان ما غنمتم من شيء اي من اي شيء وما بمعنى الذي ولا يجوز ان يكون الا منفصلا
اذ لو كتب موصولا لوجب ان تكون ما كافة وغنمتم صلته ومن شيء بيانه وانما ادخلت لما في الذي من معنى
وان مع اسمها وخبرها خبر لمبتدأ محذوف تقديره فثابت ان لله خمسه او فالحكم ان لله خمسه وللرسول وقرئ فإن
بالكسر وذهب اكثر المفسرين والفقهاء على ان ذكر قوله لله للتعظيم ولافتتاح الكلام على سبيل التبرك وهذا كقوله
تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وانما اضافه الى نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد
منه سهما لله مفردا لان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا
سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها لمن قاتل عليها واحرزها
والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح
خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين

وما فيه

الجزء العاشر

وما فيه قوة الاسلام وهذا قول الشافعي واحمد رحمهما الله وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو
للخليفة وقال ابو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على اربعة
اصناف المذكورين في الاية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقوله عز وجل
ولذي القربى يعني ان سهما من خمس الخمس لذي القربى يعني لقرابة النبي من بني هاشم والمطلب كما هو
مذهب الشافعي وليس عندنا لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي
عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب
وبنو هاشم شيء واحد وفي رواية اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير
ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود
ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم من الخمس بين
بني هاشم وبني المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئا وقرابتنا
وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية
النسائي قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني
المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي صلى الله عليه وسلم
فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال
اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شيء واحد وشبك بين اصابعه فطوبى
لعالم قريش ومحسرتا لمن يعاديه واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم
ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت فيعطى فقراؤهم واغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين
وهو قول مالك والشافعي وذهب ابو حنيفة واصحابه الى انه غير ثابت يعني ساقط قالوا سهم النبي
صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى
والمساكين وابن السبيل فيصرف الى فقراء ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيائهم وحجة
الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضل فقير على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب
مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي رحمه الله بالميراث الذي يستحق باسم
القرابة غير انه يعطى القريب والبعيد وقال يفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين والانثى سهما قال
الاستاذ قال قوم اراد بذي القربى جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي
ابن الحسين هم بنو هاشم وقيل الخمس كله لذوي القربى والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان
من ذوي القربى والعطف للتخصيص قوله عز وجل واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى
واليتيم الذي له سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه يعني اراد باليتامى اطفال

المسلمين الذين هلكت اباؤهم وهم فقراء والمساكين وهم اهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل
وهو المسافر البعيد المنقطع في سفره عن ماله من المسلمين فيعطى من خمس الخمس لفاقته وحاجته
فهذا مصرف خمس الغنيمة ويقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين الذين شهدوا الوقعة وحازوا
الغنيمة فيعطى الفارس ثلثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى الراجل سهما لما روى عن ابن
عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية
نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسهم للرجل ولفرسه ثلثة اسهم سهما له وسهمين لفرسه وهذا قول اكثر اهل العلم واليه ذهب
الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق رحمهم الله وقال ابو حنيفة رحمه الله
للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار
الذي استولى عليه المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة تخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين
ان يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل مشركا من
المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة لما روي عن ابي قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل
والسلب ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان ركبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش
من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين ساير الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة
في سهمان الغنيمة ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث
من السرايا لانفسهم خاصة سوى عامة الجيش عن حبيب بن مسلمة الفهري رضي الله عنه قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء في ان
النفل من اين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب
وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما افاء الله عليكم قدر هذه الا
الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة
وهو قول احمد واسحق وذهب قوم الى ان النفل من راس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفي وهو
ما اصابه المسلمون من اموال الكفار بغير ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما
اخذ من اموالهم اذا دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت منهم واحد في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله في
ومال الفي كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته قال عمر رضي الله عنه ان الله قد خص رسوله
صلى الله عليه وسلم في هذا الفي بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرا عمر وما افاء الله على رسوله منهم الاية فكانت
هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ما بقي
يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف اهل العلم في مصرف الفي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبت اسماؤهم في ديوان
الجهاد لانهم هم القايمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني انه لمصالح المسلمين ويبدأ

بالمقاتلة

بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف اهل العلم في تخميس الفي
ذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة
وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن
مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفي فقال ما انا احق بهذا الفي منكم وما احد منا احق به من احد الا
انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل
وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو داود واخرج امامنا البغوي بسنده انه سمع عمر بن الخطاب
يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا الفي حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله عز وجل ان كنتم امنتم
بالله وصدقتم بوحدانيته فاعلموا ذلك واعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالايمان يوجب الرضا بالحكم
والعمل بالعلم قال الاستاد جزاء قوله ان كنتم امنتم بالله محذوف دل عليه اعلموا تقديره ان كنتم امنتم
بالله فاعلموا ان الله جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي
اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا
اي وان كنتم امنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسالونك عن الانفال وقال السلطان العبد هو محمد صلى الله عليه وسلم
وما انزله عليه من الايات والملئكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان
اي يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل ويوم منصوب
بانزلنا او ببدل منه يوم التقى الجمعان يعني يوم جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة
ابن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة
من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف
والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير
ولذلك نصر المؤمنين مع قلة عددهم وعددهم على الكافرين مع وجود كثرتهما فيهم بالامداد بالملئكة
اذ منصوب بانه بدل ثان من يوم الفرقان انتم اي اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المؤمنين اذ انتم
كائنون بالعدوة الدنيا اي بشاطئ الوادي وجانبه يعني بشفير الوادي القريب من المدينة والدنيا هنا
تانيث الادنى والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
بكسر العين والضم افصح لانه لغة حجاز وهم يعني المشركون بالعدوة القصوى اي بالجانب البعدى
من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى وكلاهما من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء
في القصوى كالعليا والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود واستحوذ وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها
وكانوا في موضع اسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلثة اميال من بدر وانما يطلق الركب على ركاب
الابل في السفر اذا كانوا فوق العشرة قال الاستاد اراد بالركب العير او قوادها ابو سفيان واصحابه والركب
مبتدا واسفل منكم منصوب على الظرف واقع موقع الخبر اي في مكان اسفل من مكانكم يعني ساحل البحر والجملة

حال من اذ انتم حاصل الكلام اذكر يا محمد نعمتى عليكم وعلى اصحابكم اذ كنتم فى شدة وقد بلغ ضعفكم من
حيث العدد والعدد والمكان لان عدوة الدنيا كانت رخوة تدخل فيها الارجل ولا يمشى فيها الا
بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف عدوة القصوى فانها كانت ارضا صلبة وفيها ماء وكلاء وهذه الفايدة
ذكر المركب مع الفريقين ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ انتم مع الكفار القتال ثم علمتم ما انتم عليه من ضعفة
الحال وشدة قوة الاعداء ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ﴾ انتم ايها المومنون وهم ايضا ﴿فِي الْمِيعَادِ﴾ لقلتكم وكثرتهم قال الاستاد
هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم فنبّه الله تعالى ما ذكر من الفوايد ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الظفر ليس الا
صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزداد وا ايمانا وشكرا ﴿وَلَٰكِن﴾ جمع الله بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
وتلاقيتم للقتال ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فى علمه وحقيقا بان يفعل من نصر الاسلام ومحق الكفار
فعلى ذلك ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ بكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾ اى بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهى نصر المومنين مع قلتهم
على الجيش الكثير يعنى ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ اى يومن بالله
﴿مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ او ويعيش من عاش عن بينة راها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق
معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويومن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هى الايمان
ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعنى يسمع
دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قال الاستاد اى لسميع اقوالكم فيسمع كفر من كفر وايمان من امن
عليم بنياتكم فيعاقب الكافر ويثيب المومن وانما اردف الهلاك والحياة بهذين الوصفين لان كلا منهما يكون بالقول
والاعتقاد فان للحى له قول واعتقاد كما ان للشرف على الهلاك كذلك ﴿إِذْ﴾ مقدر باذكر يعنى اذكر يا محمد نعمة الله
عليك اذ يريكهم اسلو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم مصالحكم اذ ﴿يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ اى اذ
يريك الله المشركين يعنى اذ يقللهم ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ اى فى نومك وقيل فى عينك ﴿قَلِيلًا﴾ وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم راهم فى منامه قبل الحرب شرذمة قليلة فاخبر بذلك اصحابه ليكون ذلك مسرة لهم وتثبيتا
وتشجيعا على عدوهم ولما كانوا ذليلين بقهر الله كانوا قليلين فى المعنى وقيل راهم رؤية عين والمنام هو
العين لانها موضع النوم وليس فيه زيادة معنى مع العدول عن الحقيقة قوله قليلا نصب على الحال من المفعول
﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ اى لجبنتم وضعفت قلوبكم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا
فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم جمع الخطاب فى الجزاء وقد افرده فى الشرط صرفا
للخطاب عنه صلى الله عليه وسلم الى اصحابه ليعصمه عن نحو ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ اى اختلفتم فى امر القتال
بان يقدم عليه بعضكم ويحجم البعض وقيل معنى التنازع فى الامر هو الاختلاف الذى يكون معه
مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم وتفرقت كلمتكم واختلفت
اراءكم ثباتا وفرارا كما ذكرنا ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ اى ولكن الله انعم عليكم بالسلامة من الفشل والهزيمة
والتنازع والمخالفة فيما بينكم ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ اى بما فى القلوب وبما سيكون فيها
وبما يغير احوالها قال الشيخ معناه انه تعالى يعلم ما يحصل فى الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع قال
ابن عباس رضى الله عنه معناه انه عليم بما فى صدوركم من الحب لله عز وجل ففيه اشارة الى انه علم
نياتهم الصادقة فى الدين فنصرهم ولم يقتصر على الرؤية المنامى بل اراهم فى اليقظة ايضا فقال ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾

الضمير او مفعولا ثانيا اى ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ اراهم لا عن بعد بل ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ﴾ اى وقت اللقاء للحرب
﴿فِي أَعْيُنِكُمْ﴾ اى لا فى حينا لكم والخطاب المشترك منكم على ما فى المنام ﴿قَلِيلًا﴾ حال من المفعول الثانى
ولا يقتضى مفعولا ثالثا لانها من رؤية البصر وانما قللهم الله تعالى فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
رضى الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرويا الرسول
صلى الله عليه وسلم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ يعنى ويقللكم يا معشر المومنين فى اعين المشركين فى اليقظة ليقدموا
عليكم ولا يرجعوا ولا يتداركوا حتى قال ابو جهل ان محمدا اكلة جزور قيل قد قللهم فى اعينهم قبل اللقاء
ثم اكثرهم فيما بعد حتى اراهم اياهم مثليهم كما فى ال عمران لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وذلك
التقليل من ايات الله ولذلك قيل الحكمة فى تقليل المشركين فى اعين المومنين تصديق رويا النبى صلى الله
عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المومنين وتزداد جراءتهم عليهم ولا يجبنوا عن قتالهم والحكمة فى تقليل
المومنين فى اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا فى الاستعداد والتاهب
لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت
ذلك ممكن فى القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة النبى صلى الله عليه وسلم والمعجزة
من خوارق العادات فلا ينكر ذلك قال الاستاد ولما كانت الرؤية وساير الادراكات بخلق الله وتاثيره
وحده من غير سبب من الاسباب فله ان يخلق رؤية القليل فى صورة الكثير وبالعكس والحاصل قوله ويقللكم
فى اعينهم كان هذا قبل التحام الحرب فلما التحم اراهم اياهم مثليهم ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾
اى امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان اهله فان قلت قد قال فى
الاية المتقدمة ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا وقال فى هذه الاية ليقضى الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار
قلت المقصود من ذكره فى الاية المتقدمة ليحصل استيلاء المومنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون
ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره فى هذه الاية لانه تعالى قلل عدد
الفريقين فى اعين بعضهم بعضا للحكمة الذى قضاها فلذلك قال ليقضى الله امرا كان مفعولا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ﴾ اى تصير الامور فى الاخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسئ باسائته او يغفره قال
الاستاد معناه لا يبعد ايجاد الخوارق اذ لا تاثير للاسباب اصلا بل الى الله ترجع الامور الى الاسباب فلا يبعد
ايجاد شئ على خلاف مقتضاها ثم لما ذكر الله نعمته على المومنين يوم بدر علمهم اذا التقوا للحرب ادبين وهما
الثبات وثانيهما ذكر الله تعالى فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بان ناصر الضعفاء هو الله وحده دون الاسباب
﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ اى حاربتم جماعة كافرة او بغاة لقوله تعالى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله او قطاع
الطريق لقوله تعالى يحاربون الله ورسوله قال الشيخ ولم يصف الفئة لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار
واللقاء وان كان بينهما ولكن اشتهر استعماله فى القتال ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا﴾ فى مواطن الحروب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره وقل فى دعائكم اللهم اخذلهم اللهم
اقطع دابرهم قال الاستاد يعنى كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله
عباده المومنين واولياءه الصالحين بان يذكروه فى اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه
تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على

العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله تعالى عباده ان يسالوه الظفر والنصر على العدو عند اللقاء
ليفيض عليهم الثبات المستمر ولا يكفي في ذلك الذكر والتوحيد القليل بل فاذكروه كثيرا جهارا وخفية وقال
بقول المنافق هؤلاء لعلكم تفلحون اي تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة فان قلت ظاهر الاية يوجب
الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لاية التحيز والتحرف قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة
والمقاتلة في الجملة واية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود لا يحصل
الا بذلك التحرف والتحيز وفي الاية تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدائد
ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال ثم ذكر ان هذا الفلاح منوط
بطاعة الله ورسوله فقال واطيعوا الله ورسوله في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو وفيما امركم
من كثرة الذكر ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر فاحد وفيكم رسول الله الذي ياتيه الخبر والمدد
من السماء ساعة فساعة وفيه انه لا ينبغي عنده التنازع فتفشلوا اي فتجبنوا لان التنازع يوجب الجبن
وهو جواب النهي فيكون منصوبا باضمار ان ويجوز ان يعطف على النهي فيكون مجزوما وتذهب ريحكم
اي قوتكم او دولتكم او نصرتكم او جرأتكم او جدكم او حدتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على
المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد قال الاستاد استعار الريح للدولة لانها في التمشي
والنفوذ كالريح في الهبوب يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة قال: اذا هبت رياحك فاغتنمها
فان لكل عاصفة سكونا: وقيل المراد بها الحقيقة لان عادة الله تعالى جرت بان من تكون الريح من صوبه
وجاءه العدو له النصر قال قتادة وابن زيد اراد بالريح ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله
تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور رواه الشيخان
وعن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول
النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصرة اخرجه ابو داود قال الشيخ احتج نفاة
القياس بهذه الاية فقالوا القياس يفضي الى المنازعة والمنازعة محرمة بهذه الاية فوجب ان يكون
العمل بالقياس حراما والجواب انه ليس كل قياس بل قياس كل عالم يوجب المنازعة وايضا قوله ولا تنازعوا
معطوف على قوله فاثبتوا وهو جواب الشرط في قوله اذا لقيتم فئة فالمحرم التنازع عند لقاء فئة الكفار
فلا حجة فيها واصبروا على مخالفة اهويتكم الداعية الى التنازع فان الصبر مستلزم للنصر يعني اصبروا عند
لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم ان الله مع الصابرين بالكلاءة والحفظ والنصر والعون يعني هو معينهم
وناصرهم لا غير ق عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي
فيها انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية
فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل
الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا ثم اشار الى ان طالب النصر من الله
يجب ان يكون خروجه من بيته لله ورسوله ويستمر عليه الى حين القتال فقال ولا تكونوا كالذين
اي لا تكونوا شابهين لهم بوجه فضلا ان تتصفوا بصفتهم خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين

خرجوا

خرجوا منها لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا بالشجاعة وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان
النعمة اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها في المفاخرة على الاقران وكاثر بها على ابناء الزمان
وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته
فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها ورئاء الناس ليثنوا
عليهم بالشجاعة فان البطر مقابلة النعمة بالتكبر والخيلاء والرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان
القبيح والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان
المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الاية في كفار
قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وفرح وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد
اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان
لما راى انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا
فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام
قال فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا تزال يهابوننا
ابدا فامضوا زاد غيره فقال فلما وافوا بدرا سقوا كؤس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان
القيان ونطعموا بها العذاب وسمع انهم خسروا في الدنيا والاخرة فنهى الله عباده المومنين ان يكونوا مثلهم
والمعنى لا يكونن امركم ايها المومنون رياء وسمعة ولا التماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا
حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره والله بما يعملون محيط
عالم بجازيهم به فيه وعيد وتهديد لمن يرائي ويتسامع لانه سبحانه وتعالى احاط بكل شيء علما لا يخفى عنه خافية
فيجازي المحسنين ويعاقب المسيئين ثم لما كان اعتقاد كون البطر والرياء من اسباب النصر انما هو من تزيين
الشيطان قال واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اي واذكروا ايها المومنون اذ زين ابليس للمشركين
اعمالهم الخبيثة وقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس من جيش محمد وغيره واني جار لكم
اي مجير لكم عوضا من لكم السلامة من اعتراض المعترضين قال بعضهم كان تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم وخيل
اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين فعلى هذا يكون قال في قوله وقال لا غالب لكم
مقالة نفسانية من غير ان يتحول ابليس في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن
مالك بن جعشم وكان تزيينه ان قريشا لما اجمعت على المسير الى بدر لتخليص العير ذكرت الذي بينها وبين
بني بكر من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم عن المسير اذ كانوا قتلوا منهم قتيلا فلم يامنوا يوم خروجهم
الى بدر ان ياتوهم من ورائهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان
من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس
جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن
مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل

عليه السلام الى ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى
مدبرا وشيعته فقال له رجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله
شديد العقاب وذلك حين رأى الملئكة فقوله لا غالب اسم لا ههنا مبنية ولكم فى موضع رفع خبر لا
اى لا غالب كائن لكم او فى موضع نصب على انه صفة لا غالب وخبره محذوف اى لا غالب كائنا لكم واقع
موجود واليوم معمول الخبر ومن الناس حال من الضمير فى لكم ولا يجوز ان يكون اليوم منصوبا بغالب ولا من الناس
حالا من الضمير فى غالب لان اسم لا اذا عمل فيما بعده لا يجوز بناؤه لانه مشابه بالمضاف فكان منصوبا كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا فلما ترآءت الفئتان اى التقى الفئتان المؤمنة والكافرة ورأى ابليس ان
الملئكة قد نزلوا من السماء لنصر المؤمنين علم عدو الله ابليس وحقق انه لا طاقة له بهم نكص على
عقبيه اى رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وهو حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون
على العقبين وقيل معناه بطل كيده وصار ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال انى برئ
منكم ومن جواركم وقال الكلبى لما التقى الجمعان كان ابليس فى صف المشركين على صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وهو آخذ بيد الحارث بن هشام فنكص عدو الله على عقبيه فقال له الحارث افرارا
من غير قتال وجعل يمسكه فدفع فى صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس
سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغنى انكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغنى هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا فى يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا
انى ارى من الملئكة النازلة لامداد المؤمنين ما لا ترون من الملئكة قالوا رأى ابليس الملئكة
ورأى جبريل متعمما معتجرا ببرد يمشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام يقود الفرس
ما ركب كذا فى اللباب وفى الجامع يعنى يقود فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء معه للادب قال
قتادة قال ابليس انى ارى ما لا ترون وصدق وقال انى اخاف الله وكذب ما به مخافة
الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه
اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك فقال انى اخاف الله
كذا ذكره السيوطى وقيل خاف ان يأخذه جبريل فيعرف حاله فلا يطيعوه احد وقيل معناه انى
اخاف الله اعلم صدق وعده لاوليائه لانه على ثقة من امره وقيل لما رأى الملئكة قد نزلت
من السماء خاف ان تكون القيمة والله شديد العقاب يجوز ان يكون مستأنفا من كلام الله
تعالى اى يحق لابليس ان يخاف من خوف عقابه ويجوز ان يكون من تتمة كلام ابليس اظهارا
للمقدرة والمعنى على هذا انى اخاف الله لانه شديد العقاب واذا قلنا تم كلام ابليس عند قوله انى
اخاف الله فيكون والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خالف
وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى الشيطان يوما هو
فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة
وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر فانه قد رأى جبريل يزع الملئكة اخرجه
مالك فى الموطا قوله ولا ادحر بالدال المهملة والحاء المهملتين من الدحور وهو الابعاد والطرد

مع الاهانة

مع الاهانة قوله يزع الملئكة اى يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم
ويتأخر فى الصف ليصلحه فان قلت كيف يقدر ابليس على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف
يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملئكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة
البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة اذ يقول المنافقون ظرف لزين
او لاذكر اى اذكر وقت قول المنافقين من اهل المدينة وفى الجامع وهم قوم من الاوس والخزرج والذين فى
قلوبهم مرض اى شك وارتياب وضعف اعتقاد وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقو الاسلام فى
قلوبهم ولم يتمكن وكانوا بمكة مستضعفين وقد اسلموا وحبسهم اقرباؤهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر
اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء اى المسلمين دينهم اى
غر هؤلاء المسلمين ثقتهم بدينهم والمعنى ان هؤلاء المسلمين نفر قليلون يقاتلون اضعافهم فقد غرهم دينهم
وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب فى الاخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال الاستاد والذين فى قلوبهم مرض
اى والذين لم يطمئنوا الى الايمان وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين انتهى وقال المدارك فجوابهم
رغما عليهم ودفعا لشبهتهم بقوله ومن يتوكل على الله اى ومن يثق بالله ويفوض امره اليه ويقطع
النظر عن الاسباب يغلب فان الله عزيز غالب لا يغالب ما يفعله ولا يذل من استجار به وان قل
حكيم اى انما يفعله ما يفعله لحكمة بالغة فينصر اولياءه ويقهر اعداءه وان كان ذلك مما يستبعده العقل
فى بادى الراى ولما شرح احوال الكفار شرح احوال موتهم والعذاب الذى يصل اليهم بقوله ولو ترى اى
لو رأيت يا محمد وعاينت وشاهدت اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة اى حين تقبض الملئكة ارواح الذين
كفروا عند الموت يوم بدر وغيره لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم فى ذلك الوقت
واعلم ان لو ترد المضارع الى الماضى كما ترد ان الماضى على الاستقبال يضربون وجوههم وادبارهم
بمقامع من حديد كلما ضيفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملئكة وجوه الكفار وادبارهم
بسياط من نار وان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم عند الاقدام وادبارهم
عند الانهزام وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت الملئكة وجوههم بالسيوف
واذا ولوا ادبارهم ضربت الملئكة ادبارهم وقال ابن جريج يريد ما اقبل من اجسادهم وادبر يعنى يضربون
جميع اجسادهم قوله واذ ظرف لترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة وحالهم يوم بدر او غيره
قوله يتوفى قرأ ابن عامر بتاء على ارادة الجماعة والباقون بياء من تحت قوله والملئكة فاعل يتوفى ويدل
عليه قراءة ابن عامر وقيل ويجوز ان يكون فاعل يتوفى على قراءة العامة ضمير الله عز وجل والملئكة حينئذ مبتدأ
خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو ويضربون على الاول
حال من الموصول او من الفاعل او منهما لاشتماله على الضميرين وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار
القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب اليم قال الشيخ وتقول لهم الملئكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق اى
النار وقيل كانت الملئكة معهم مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار فى جراحاتهم
وقال ابن عباس تقول لهم الملئكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيمة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب
الحريق ذلك اى اللاهية التى نزلت بكم من القتل والضرب والحريق وهو مبتدأ خبره بما قدمت ايديكم

اى انما حصل لكم بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصى وانما عبّر بالايدى دون غيرها وصح ان الكفر محله
القلب لان اكثر الافعال تزاول بها قال الاستاد اليد ليست محلاً للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد
محله القلب وظاهر الاية يقتضى ان فاعل هذا الكفر هى اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد
هى الة العمل والقدرة المؤثرة فى العمل فجعل اليد كناية عن القدرة قال الشيخ قوله بما قدمت لح رد على الجبرية ويحتمل
ان يكون ذلك لح من كلام الملئكة وهو الظاهر وان يكون من كلام الله **وَاَنَّ اللّٰهَ** عطف على ما اى وبان
الله **لَيْسَ بِظَلَّامٍ** اى بذى ظلم **لِلْعَبِيدِ** يعنى ان الله تعالى لا يعذب احدًا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه
لا يظلم احدًا من خلقه وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصى على عصيانه
لانه متصرف فى ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه تعالى مع خلقه كونه
وتعذيبه عليه ظلم بل تعذيبه عدل ظاهر فلهذا قال وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم فى ملكه وتحت قدرته
فهو يتصرف فيهم كيف شاء ولا يحتمل الظلم الذى هو ملك الغير من ليس له التصرف مطلقا قال السلطان قوله وان الله لح
عطف على ما فى قوله بما قدمت ايديكم للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم
بغير ذنوبهم لان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى
الظلم سببا للتعذيب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير لاجل العبيد فلو وقع الظلم على تلك الافراد لكان ظلما كثيرا
قال صاحب الغاية قوله وان الله لح عطف على الخبر اى ذلك العذاب بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب
احدًا بغير ذنب وانما اتى بصيغة المبالغة للتكثير للتنفاد من الاستغراق ولو وقع الظلم على تلك الافراد لكان
ظلما كثيرا والاشارة الى شدة العذاب والمعنى ان ذلك العذاب العظيم الذى يحيق بهم لو عذب به من لا يستحقه
لكان ظلمًا عظيمًا لا ظلمًا فى الجملة انتهى والله اعلم ثم ان داب من ذكرنا من الكفرة **كَدَأْبِ** اى كعادة
اٰلِ اى قوم **فِرْعَوْنَ** عدو الله وعدو كل رسول ونبى وملك وولى وكل من اتبعه فوالله يحشر معه قال
شيخنا فى غنيته وهو تحت ابى جهل بدرجة فى الدرك الاسفل من النار وفى اللباب والمعنى ان عادة هؤلاء
الكفار فى كفرهم كعادة ال فرعون فى كفرهم قال الشيخ اى كصنيع ال فرعون وفعلهم وعادتهم وعملهم الذى
داموا فيه اى داوموا عليه واصروا على ذلك الى الوفات فجوزى هؤلاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزى
فرعون مع قومه بالاغراق **وَالَّذِيْنَ** اى وكعادة الذين **مِنْ قَبْلِهِمْ** اى من قبل ال فرعون من الكفرة او من
قبل قريش من المشركين ايضا **كَفَرُوْا** تفسير لداب اللعين واله **بِاٰيٰتِ اللّٰهِ** اى ان عادة ال فرعون
والامم السالفة هو كفرهم بايات الله قال ابن عباس معناه ان ال فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبى
من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما
انزل بال فرعون **فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ** اى عاقبهم الله **بِذُنُوْبِهِمْ** اى بسبب كفرهم ومعاصيهم كما اخذ هؤلاء **اِنَّ
اللّٰهَ قَوِيٌّ** على ما يريد شديد القوة لا يقاومه احد تلخيصه هو قوى فى اخذه وانتقامه ممن كفر به
وكذب رسله **شَدِيْدُ الْعِقَابِ** لمن كفر به وكذب رسله بحيث لا يغلبه فى دفعه شئ وفى الجامع
ان الله يمهل الظالم فاذا اخذه لم يفلته والملك من ملوك الدنيا اذا عاقب نهاية عقابه القتل وعقاب
الله تعالى الكافر العذاب السرمد ثم ذكر ما يجرى مجرى العلة والعقاب الذى انزله بهم فقال **ذٰلِكَ** اى تعذيب
الكفرة وما حل بالمثبته والمشبه به **بِاَنَّ اللّٰهَ** اى بسبب ان الله **لَمْ يَكُ** اصله يكون فحذف الحركة

للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا **مُغَيِّرًا نِّعْمَةً اَنْعَمَهَا عَلٰى قَوْمٍ**
اى مزيلا ومبدلا اياها بالنقمة **حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِاَنْفُسِهِمْ** بتركوا شكرها ويجعلوا مكانه الكفر كقوله
تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وكقوله لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد او حتى
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء والنعمة التى غيرها قريش هى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران فلم يشكروا
تلك النعمة لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا يتلو عليهم اياته كفروا بهما فنقلهما الى الانصار بالمدينة
وقيل هى انه تعالى اطعمهم من جوع وامنهم من خوف فلم يشكروا الله لذلك فجعل لهم الخوف مكان الامن والجوع
مكان الرخاء وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى تغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادة
الله تغييره متى يغير واحالهم قال الشيخ معناه ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وامنهم من خوف
وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما
بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعقاب قال الاستاد ان الله لم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند
قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال نعم لم يكن لال فرعون ومشركى مكة حال مرضية فغيروها الى حال مسخوطة لكن
كما يغير الحال المرضية الى الحال المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة النبى
اليهم كفرة عبدة الاصنام فلما بعث اليهم بالايات فكذبوه وسعوا فى اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء
ما كانت فغير الله ما انعم عليهم به من الامهال وعاجلهم بالعذاب **وَاَنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ** اى وبان الله سميع
لما يقولوا مكذبو الرسل ولا قوال الخلقه كله لا يخفى عليه خافية **عَلِيْمٌ** بما فى صدورهم فيكون تعليلا ثانيا لما حل
من العذاب **كَدَأْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ** يعنى ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم
كصنيع ال فرعون **وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوْا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ فَاَهْلَكْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ** يعنى اهلكنا
بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا
كفار قريش بالسيف **وَاَغْرَقْنَا اٰلَ فِرْعَوْنَ** اى قومه معه وبسببه **وَكُلٌّ** اى كل من الامم المكذبة او من
غرق فى القبط وقتلى قريش **كَانُوْا ظٰلِمِيْنَ** انفسهم بالكفر والمعاصى اشار الى سبب اخذهم بالعقاب ظلمهم
وفيه تقرير لقوله وان الله ليس بظلام للعبيد اى المشبهون الذين هم قتلى قريش والمشبه بهم الذين هم ال
فرعون والذين من قبلهم كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى فتسبب شدة ظلمهم لعقابهم فما
ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفى الاسراد وكل كانوا ظالمين اى ظالمى انفسهم لافساد استعدادهم
وان لم يبلغوا فى الظلم والكفر ما بلغ فرعون انتهى فان قلت ما الفائدة فى تكرير هذه الاية مرة ثانية قلت
فيها فوائد منها ان الكلام الثانى يجرى مجرى التفصيل للكلام الاول لان الاية الاولى فيها ذكر اخذهم
وفى الاية الثانية ذكر اغراقهم فذلك تفسير للاول والفائدة الثانية انه ذكر فى الاولى انهم كفروا
بايات الله وفى الاية الثانية انهم كذبوا بايات ربهم ففى الاولى اشارة الى انهم انكروا بايات الله وجحدوها
وفى الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان تكرير هذه القصة
للتاكيد وفى قوله كذبوا بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ
بالذنوب ثم لما وصف الكفار بقوله وكل كانوا ظالمين افرد بعضهم بزيادة فى الشر والفساد وهم بنو قريظة
فقال **اِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ** اى شر ما يدب على وجه الارض **عِنْدَ اللّٰهِ** اى فى علمه وحكمه وقضائه

وان كان عند الناس اعقلهم الذين كفروا اى اصروا على الكفر وتجاوا فيه وقال الاستاذ معناه
ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فهم في تلك الاية
فهم لا يؤمنون لاصرارهم على الكفر والطبع فلا يتوقع منهم الاسلام وهذا اخبار عن بني قريظة المتمردة
رهط كعب بن الاشرف والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف ويترك
من الذين كفروا قوله الذين عاهدت منهم اى اخذت العهد والميثاق منهم قيل من صلة يعني الذين
عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف وهذا اقرب ثم ينقضون
عطف على عاهدت وفي عطف المضارع على الماضي الدال على استمرار النقض عهدهم في كل مرة
عاهدتهم فيها قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا
يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم قالوا نسينا واخطانا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون
اى انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد
حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو
من شر الدواب فاما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة تثقفنهم اى فان تجدن وتصادفن
وتظفرن يا محمد بهؤلاء الذين نقضوا عهدك في الحرب معهم فشرد بهم اى ففرق عن محاربتك
والمحاربة معك ونكل عنها بقتلهم وهلاكهم والنكاية فيهم من خلفهم اى من وراءهم من الكفرة
قال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم قال ابن عباس نكل بهم من وراءهم اى اجعلهم عبرة ونكالا لمن خلفهم
من المشركين واصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الاية انك اذا ظفرت يا محمد بهؤلاء الكفار
الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل والتعذيب تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى
يخافك من وراءهم وخلفهم من اهل مكة واليمن وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر يعني فرق
وقرئ من خلفهم من الخارة والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم اى لعل
خلفهم يذكرون يعني اهل المشردين من وراءهم يتذكرون ويتعظون ويعتبرون من نقض العهد بهم يعني لعل ذلك
النكال يمنعهم من نقض العهد واما تخافن اى وان تعلمن يا محمد من قوم عاهدوك خيانة
اى نقض عهد بما يظهر لك منهم من اثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير تخصيصه فان تعلمن ممن عاهدك
نكثا ونقضا بامارة تلوح لك بان لم يبدو منهم ما يوجب نقض العهد البتة بل لاح لك رائحة المخالفة
فانبذ اليهم اى فاطرح اليهم عهدهم على سواء حال من النابذ والمنبوذ اليهم او منهما اى فاطرح
عهدهم حال كونك مستويا انت وهم في العلم بنقض العهد بان تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ومنهم من قال
على سواء اى على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون
انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد اولا بنصب الحرب معهم ومنهم من قال
معناه على سواء اى على عدل وطريق سوي في العداوة ولا تعاجلهم في الحرب فانه يكون خيانة فان الحرب
وهم على توهم بقاء العهد خيانة وهي لا تليق بك فاخبرهم قبل حربك اياهم بان قد نقضت العهد ان الله

لا يحب

لا يحب الخائنين اى في نقض العهد وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة
ينصب عند استه وينادى عليه هذه غدرة فلان عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين
معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس
او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فساله
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى
ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عن سليم بن
عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة او فرس واما حكم الاية فقال
اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن
نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب
على الامام ان ينبذ اليهم عهدهم ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب
واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة ونزل فيمن هرب وانفلت من المشركين
يوم بدر قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا الله اى فاتوه وافلتوا من ان يظفر بهم قال البغوي
قد كسر قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص يحسبن بالياء وفتح السين وقرا الاخرون بالتاء وكسر
السين ومعنى سبقوا اى فاتوا فمن قرا بالياء يقول لا يحسبن الذين كفروا انفسهم سابقين فائتين
من عذابنا ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب والخطاب للنبي والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا اي
خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون اى انهم بهذا السبق والانهزام لا يعجزون الله
اى لا يفوتونه من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزونه قرا ابن عامر انهم لا يعجزون بفتح الالف
اى لانهم لا يعجزون ولا يفوتون نبي وقرا الاخرون بكسر الهمزة على الابتداء ومعنى الاية واعرابها على ما ذكر في الاسرار
هو هكذا يعني قوله ولا تحسبن الذين كفروا قرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء وفتح السين وفي فاعله
وجهان احدهما هو مضمر اى لا يحسبن احد او من خلفهم والمفعول الثاني سبقوا اى فاتوا وافلتوا من
ان يظفر بهم وتخلصوا من العذاب وثانيهما ان الفاعل الذين كفروا والمفعول الاول محذوف اى انفسهم
فحذف للتكرار وقيل على تقدير ان سبقوا وان مصدرية سادة مسد مفعولي لا يحسبن وهو بعيد لان ان
المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون على قراءة ابن عامر فانه قرا بفتح الهمزة وان
لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل النهي اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون
الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت كما هو قراءة غير ابن عامر الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
بخلاف ما لو فتحت همزة ان فان الجملة حينئذ متعلقة بالجملة الاولى انتهى بحروفه والله اعلم ثم ان الصحابة لما قصد

الكفار يوم بدر بلا الة وعدة امر اسلئلا يعودوا لمثله وان يعتدوا للكفار ما امكنهم من الة وقوة فقال
واعدوا ايها المومنون لهم اى لقتالهم اى لقتال ناقضى العهد والكفار ما استطعتم من قوة اى من
كل ما يتقوى به فى الحرب فان الاعداد اتخاذ الشئ لوقت الحاجة وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة هى الرمى قالها ثلاثا اخرجه
مسلم خ عن ابى اسيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش اذا
اكثبوكم يعنى غشوكم وفى رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفى رواية اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل
م عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله
فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمى قال قلت لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين
وانت شيخ كبير ويشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه قال قلت
وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا او قد عصى عن ابى نجيح السلمى قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة فى الجنة فبلغت يومئذ ستة عشر سهما
وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائى والترمذى
بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر الجنة صانعه يحتسب فى عمله الخير والرامى به
والممد به وفى رواية ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الى من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو
محمود الا الثلثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اى نبله فانهن من الحق ومن
ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى مختصرا
الى نبله خ عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالسوق
فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا بنى اسمعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بنى فلان فامسك احد الفريقين
بايديهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمى وانت معهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارموا وانا
معكم كلكم وفى المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع الاسلحة والالات التى تكون لكم قوة فى الحرب على
قتال عدوكم الثانى انها الحصون والمعاقل الثالث الرمى بالسهم وقد سمعت احاديثه الرابع انها جميع
ما يتقوى به فى الحرب على العدو فكل ما هو الة يستعان بها فى الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها
وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمى لا ينفى كون غير الرمى ليس من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة
وقوله الندم توبة فكذا ههنا نحمل معنى الاية على الاستعداد للقتال فى الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات
كالرمى بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض الكفايات
وقوله تعالى ومن رباط الخيل اى واعدوا ايضا من اجناس الخيل الذكور والاناث للغزو واصل الربط
الشد والصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف لكونها اقوى على الكر والفر
ويختارون اناث الخيل عند البيات والغارات لقلة صهيلها وخص الخيل بالذكر تفضيلا لها ق قال النبى صلى الله
عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والغنيمة رواه عروة ابن الجعد البارقى والرباط فعال
بمعنى مفعول كلباس بمعنى ملبوس او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط بمعنى

مربوط

مربوط كفصيل وفصال وقيل اسم للخيل التى ترتبط فى سبيل الله وعطفها على القوة كعطف جبريل
على الملئكة وقد يطلق الرباط على انتظار الصلوة بعد الصلاة اخرج البخارى ومسلم فى شعب الايمان
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل
وزر فاما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فاطال لها فى مرج او روضة فما اصابت
فى طيلها ذلك من المرج او الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا
او شرفين كانت اثارها وارواثها حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها
كان ذلك حسنات له فهى لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى
رقابها ولا ظهورها فهى لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك
وزر ق عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم
القيمة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل على فيها شئ الا هذه الاية الجامعة
الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وفى بعض الروايات فمن ربطها
عدة فى سبيل الله وانفق عليها احتسابا فى سبيل الله فان شبعها وجوعها وريها وظماها وارواثها
وابوالها فلاح فى موازينه يوم القيمة ومن ربطها رياء وسمعة وفرحا ومرحا فان شبعها و
جوعها وريها وظماها وارواثها وابوالها خسران فى موازينه يوم القيمة وفى بعض الروايات
وعليكم بكل كميت اغر محجل او اشقر اغر محجل او ادهم اغر محجل الطيل الحبل الذى يشد به الفرس
وقت الرعى واستنان الجرى والشرف الشوط الذى يجرى فيه الفرس وقوله تغنيا استغناء
بها عن الطلب لما فى ايدى الناس وحق ظهورها هو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها
فقيل اراد به الاحسان اليها وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل
الاسلام النواء المعاداة يقال ناوات الرجل مناواة اذا عاديته ترهبون به يعنى لا يكون
اعدادكم للخيلاء بل ترهبون وتخوفون به والجملة حال من فاعل اعدوا اى اعدوا حال كونكم
مرهبين به او استيناف تعليل للامر وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير فى به لما استطعتم
او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك
لغاية عتوهم وبما وزنهم الحد فى العداوة والمعنى تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله
وعدوكم وقال ابن عباس معناه تخزون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم عطفا على
عدو الله اى وترهبون من غيرهم من الكفرة قوله من دونهم صفة لاخرين اختلف العلماء فى
الاخرين قال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدى هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله
لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله
الله يعلمهم اى يعرفهم باعيانهم فانه يعلم الكليات والجزئيات وفيه تنبيه على ان علمه تعالى
كاف فى ذلك فلا تهتموا وتلافى عداوتهم واعداد الة الجهاد قال الاسناد واورد على قول ابن زيد
بان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل
واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم

كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبرى
قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم ولا شك ان المومنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم
بانهم مشركون وانهم حرب للمومنين اما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعنى يعلم احوالهم واماكنهم
دونكم ويعضد هذا القول ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا فى
داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزى وغيره من المفسرين بغير اسناد وفى المدارك ان فى الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن انتهى
والله اعلم وفى اللباب وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله وما تنفقوا من شىء فى سبيل
الله اى وما تنفقوا لاعداد القتال وساير وجوه الخيرات قل او جل لاعزاز دين الله يوف اليكم
اجره وجزاءه يعنى فى الاخرة ويعجل لكم عوضه فى الدنيا من الفىء والغنيمة والجزية والخراج وانتم
لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب فى الاخرة شيئا وان جنحوا للسلم فاجنح لها يعنى لما امر
الله عباده المومنين باعداد القوة وما يرهب العدو قال لهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا
اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا يعنى مالوا ومنه الجناح لميلانه على الطاير وبه يميل الطاير الى
احد شقيه وقد يعدى باللام والى ومعنى السلم اى للصلح والاستسلام قرا ابو بكر عن عاصم بكسر السين
والباقون بفتحها ومعنى فاجنح لها اى وعاهد معهم وملّ الى المصالحة وتانيث الضمير لحمل السلم مع
انه مذكر على نقيضها انثه قال الشاعر ❊ السلم تاخذ منها ما رضيت به ❊ والحرب يكفيك من
انفاسها جرع ❊ روى عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير
منسوخة لكنها تتضمن الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه
من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان يهادنهم سنة كاملة واذا كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم
عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة مدة عشر سنين
ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة قال السيوطى على ما رواه عن ابن عباس انها منسوخة باية السيف
وقال مجاهد مخصوصة باهل الكتاب او نزلت فى بنى قريظة وتوكل على الله يعنى فوض امرك
الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك فى جميع احوالك تخصيصه توكل على الله ولا تخف من ابطانهم
خداعا فى الميل الى الصلح فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم فانه لا يحيق المكر السيئ الا باهله انه
هو السميع لاقوالهم الباطلة ولدعوتك واستغاثتك العليم باحوالهم ونياتهم القبيحة وبتوكل
وبكيفية العصمة وان يريدوا بميلهم للصلح ان يخدعوك اى يغدروا بك بان يستعدوا لك
قال مجاهد يعنى بنى قريظة والمعنى ان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم فلا تخف من
خديعتهم فان حسبك الله اى فان الله كافيك بنصره ومعونته يعنى فان محسبك الله
كافيك لا تحتاج معه الى احد ويستوى فى حسبك الجمع والمفرد هو الذى ايدك بنصره هو قواك
واعانك بنصره يوم بدر مع عدم اعداد قوة ولا رباط و الان قد ايدك بالمومنين جميعا او بالانصار
فان قلت اذا كان الله قد ايده بنصره فاى حاجة الى نصر المومنين حتى يقول بالمومنين قلت والتاييد
والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة

فاما الذين

فاما الذين يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذى ايدك بنصره لان اسبابه باطنة بغير وسايط معلومة
واما الذين يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله بالمومنين لان اسبابه ظاهرة بوسايط وهم
المومنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذى اقامهم لنصره عليه السلام ثم بين كيف ايده بالمومنين
فقال والف اى جمع بين قلوبهم اى قلوب المومنين وهم الاوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين
سنة وفى الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم مشهور وكانت الغلبة فيه للاوس حتى بعد
القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتدعون بدعاية الجاهلية وانا بين اظهركم فعلموا
انها نزغة من الشيطان فندموا وتعانقوا وقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ايضا يا معشر الانصار الم اجدكم
ضلالا فهداكم الله بى وكنتم من المتفرقين فالفكم الله بى وعالة فاغناكم الله بى فانتبهوا وتعانقوا وكانوا
قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم اليهم على الحصبية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والاطوار
الضغينة فى ادنى شىء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل قبيلته حتى يدركوا ثارهم
لا يكاد يا تلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وامنوا به واتبعوه صاروا كنفس واحدة وهذا
من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس نزلت هذه الاية فى المتحابين فى الله عن مجاهد قال اذا لقى
الرجل اخاه فصافحه تحاتت الذنوب بينهما كما ينثر الريح الورق وقد روى سهل بن سعد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال المومن مالفة لا خير فيمن لا يالف ولا يولف وروى مالك فى الموطا عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيمة اين المتحابون لجلالى اليوم اظلهم فى ظلى يوم
لا ظل الا ظلى فالظل كناية عن الرحمة او ظل العرش لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اى لتمكن العداوة فيهم دهرا طويلا وكثرة الدماء والثارات يعنى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح
ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح اذ لا يدخل تحت قدرة البشر لكونها من عالم الغيب
ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء وفى الاية دليل على ان القلوب
بيد الله يصرفها كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم انه عزيز اى تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده يعنى غالب لا يغلبه على مراده
شىء حكيم اى متقن فى صنعه جعلهم بعد ذلك التفرق يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء كلمته
تخصيصه حكيم لا يخرج شىء عن حكمته يعنى يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده او انه عزيز يقهر من
يخدعونك حكيم ينصر من يتبعونك او انه قادر قاهر يمكنه التصرف فى القلوب والعقايد فينقلها من العداوة
الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب والله اعلم قوله تعالى يا ايها النبى حسبك
الله اى كافيك الله وان لم يكن معك احد لما وعده بالنصر عند مخادعة الاعداء وعده بالنصر والظفر
فى هذه الاية مطلقا وعلى هذا التقدير لا يلزم منه التكرار و حسبك وكافيك ومن اتبعك من المومنين
اى ان نظرت الى الاسباب حسبك من اتبعك من المومنين فعلى هذا من مرفوع المحل عطفا على اسم الله اى
حسبك الله وحسبك المومنون ويحتمل ان يكون منصوبا محلا على المفعول معه فالمعنى كفاك الله مع من
اتبعك من المومنين ناصرا لقوله ❊ فحسبك والضحاك سيف مهند ❊ او مجرورا بالعطف على الكاف عند
الكوفيين فانه جاز عندهم بلا اعادة الجار وهذه الاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر قبل القتال

وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى
الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر وقيل نزلت في اسلام حمزة رضي الله عنه حين
كمل اسلامه اربعين رجلا من المسلمين وظهر الاسلام بمكة باسلامه قال المفسرون فعلى هذين
القولين هذه الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اللباب وقيل
اراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار والاية [illegible] نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع
المهاجرين والانصار ومعنى الاية حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك
الله ومتبوعك من المؤمنين انتهى ثم بعد ما بين كفايته لرسوله وللمؤمنين بالنصر والامداد امر
رسوله صلى الله عليه وسلم بترتيب مبادي نصره وامداده فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على
القتال اي بالغ في حث المؤمنين وترغيبهم على قتال المشركين بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها
تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته قال الزجاج التحريض في اللغة ان يحث الانسان غيره على
شيء حتى يعلم منه انه ان تخلف عنه كان حارضا والحارض هو الذي قارب الهلاك ففي الاية اشارة الى
المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي صلى الله عليه وسلم عليه كانوا حارضين اي هالكين قال الله تعالى
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون يعني رجلا
صابرون عند لقاء العدو محتسبين انفسهم يغلبوا مائتين من عدوهم وظاهر لفظ الاية خبر
ومعناه امر كانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين
ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله تعالى الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الخبر انما يدخل
على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب اولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله
وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر يسهل عليه الثبات مع الاعداء وان يكن منكم مائة يعني
صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا فحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من
الكفار قال الاستاد هذه عدة من الله وبشارته بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة
امثالهم بعون الله وتاييده قرا ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بتاء التانيث في الايتين ووافقهم ابو عمرو
ويعقوب في وان تكن منكم مائة والباقون بياء التذكير واما قوله تعالى ان يكن منكم عشرون وان يكن
منكم الف فبالتذكير عند جميع القراء ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني بسبب ان المشركين قوم جهلة
قلوبهم خالية عن المعرفة لا يثبتون ثبات المؤمنين لرجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا
يستحقون من الله الا الهوان والخذلان وتخصيصه ان المشركين لجهلهم بالله لا يرجون من الله [illegible]
باعتقادهم على المصابرة على القتال بخلاف المؤمنين فانهم موقنون بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو
الدرجات والوصول الى اللذات ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وشتان بين
من يقاتل حمية ومن يقاتل لله روي ان خالد بن الوليد رضي الله عنه في بعض الحروب مع الروم بارز
من الايام بنفسه وكان امير الجيش فقتل الف بطل من ابطال الروم ثم تقدم عليه بطرق فقال
له يا امير المؤمنين اخبرك نبيك انك لا تموت قال خالد لم ذلك قال الآن ما تفعله من الاقدام انما يفعله
من اخبره صادق بانه لا سبيل للموت اليه فقال خالد اخبرني صادق القول بانه كل نفس ذائقة الموت

واخبرني

واخبرني ايضا بما اعد الله لمن يقتل في سبيل الله من النعيم المقيم وكان غذائي اليوم خبز الشعير مبتلا
بالماء فانا استعجل الموت للفوز بذلك النعيم فاسلم البطريق مكانه اخرج ابو الشيخ وابن مردويه
عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال الاية ثقلت على المسلمين فشق
عليهم ان يقاتل عشرون مائتين ومائة الفا فخفف الله عنهم فنسخها بالاية الاخرى فقال الآن خفف
الله عنكم اي لاجلكم وان زاد ثم وزاد قوة الاسلام وعلم ان فيكم ضعفا اي ضعفا
عن قتال الواحد العشرة والمائة الالف واراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين
فيها لا يقال تقييد التخفيف بقوله الآن ظاهر الاستقامة لكن في تقييد العلم بالضعف اشكال لايهامه انتفاء العلم
بالحادث قبل وقوعه لانا نقول ان العلم متعلق به ابدا اما قبل وقوعه فبانه سيقع وحال الوقوع بانه يقع وبعد
الوقوع بانه وقع وفي قوله ضعفا لغتان فتح الضاد وهو قراءة حمزة وعاصم وضمها وهو قراءة الباقين وفي
اللباب خ عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر
واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر مائة من
مائتين وفي رواية اخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين
فنزلت الآن خفف الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة ونقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف
عنهم فظاهر هذا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر
فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الآن
خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة انتهى فان يكن منكم مائة
صابرة محتسبة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وان يكن منكم الف يغلبوا الفين
باذن الله اي بارادته وتيسيره وتسهيله فرد من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف
من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا فايما رجل فر من ثلثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر والمعنى ليقابلوا
مثليكم وتثبتوا لهم وجوبا والله مع الصابرين يعني بالنصر والتاييد والمعونة فكيف لا يغلبون ونزل
لما اخذوا الفداء اسرى بدر قوله تعالى ما كان لنبي اي لنبي امر بالتحريض على القتال وقرئ للنبي على
العهد قيل المراد به عتاب نبينا عليه السلام بالطف وجه حيث لم يقل ما كان لك ان تفعل كذا وفيه
من التعظيم له ما لا يخفى ان يكون له اسرى احتباس كافر للفداء يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي
او ما صح ولا استقام وما كان ينبغي له اسرى وقال ابو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك
يا محمد يعني ما كان لنبي ان يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده اسيرا للفداء والمن والاسرى جمع اسير
واسارى جمع الجمع قرا ابو جعفر واهل البصرة تكون بالتاء الفوقية نظرا الى لفظ الاسرى وقرا ابو جعفر
اسارى بالالف والاخرون اسرى روي عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسارى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم
واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله
كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر
فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب

فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعتك رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي قد مر وأخرج مسلم في أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض إلى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من أفراد مسلم بزيادة فيه قوله عز وجل **حتى يثخن في الأرض** والمعنى حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم بأن يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله فإذا حصل ذلك فله أن يقدم على الأسر فيأسر الأسارى الإثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال أثخنه المرض إذا أثقله واشتدت قوته عليه وقرئ حتى يثخن بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** يعني تريدون أيها المؤمنون حطام الدنيا ومتاعها بأخذكم الفداء من المشركين والخطاب

لاصحاب

لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال تريدون دون تريد وكان مراده عليه السلام إسلام قومه لا عرض الدنيا وإنما سمي منافع الدنيا عرضا لأنه لا ثبات لها ولا دوام فكأنها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فإنها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة **والله يريد الآخرة** يعني أنه تعالى يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لأنها دائمة بلا زوال ولا انقطاع الجمهور على نصب الآخرة وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله: أكل امرئ تحسبين امرأ ... ونار توقد بالليل نارا **والله عزيز** لا يقهر ولا يغلب بل هو غالب على ما أراد من تغليب أوليائه على أعدائه **حكيم** في تدبير مصالح عباده يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله في الأسارى فإما منا بعد وإما فداء فجعل نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار إن شاؤوا قتلوهم وإن شاؤوا استعبدوهم وإن شاؤوا فادوهم وإن شاؤوا أعتقوهم قال السيوطي وهذا منسوخ بقوله فإما منا بعد وإما فداء قال الإمام فخر الدين والدنيا إن هذا الكلام يوهم أن قوله تعالى فإما منا بعد وإما فداء يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الأمر كذلك لأن كلتي الآيتين متوافقتان وكلاهما يدلان على أنه لا بد من تقديم الإثخان ثم بعده أخذ الفداء والله أعلم قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والأوقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف قال البيضاوي والآية دليل على أن الأنبياء يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه وفي اللباب فصل قد استدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الأنبياء وبيانه من وجوه الأول أن قوله ما كان لنبي أن يكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الأسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني أن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل أسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان لأجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الأول أن قوله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض يدل على أنه كان له الأسر مشروعا ولكن بشرط الإثخان في الأرض وقد حصل لأن الصحابة قتلوا سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الإثخان في الأرض قتل جميع الناس فدلت هذه الآية على جواز الأسر بعد الإثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني أن الأمر بالقتل إنما كان مختصا بالصحابة لإجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بمباشرة قتال الكفار بنفسه وإذا ثبت أن الأمر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لا نسلم أن أخذ الفداء كان محرما وأما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة فهو عتاب لطيف لتعرض أخذ الفداء من الأسارى والمبادرة إليه ولا يدل أيضا على تحريم الفداء إذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر قعدا يبكيان يحتمل أن يكون لأجل أن بعض الصحابة لما خالف الأمر بالقتل واشتغل بالأسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا وإشفاقا من نزول العذاب عليهم

لسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدية والله اعلم انتهى بحروفه لولا كتاب من الله سبق
قال ابن عباس كانت الغنايم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان
فكانت النار تنزل من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في اخذ الغنايم والفداء انزل الله
لولا كتاب من الله سبق اى لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم والاسرى
وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا ممن شهد بدرا مع
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا فعلا جهالة بانه لم يصرح لهم بالنهي عن ذلك او ان الفدية التى
اخذوها ستحل لهم او لولا حكم وقضاء سبق اثباته من الله في اللوح المحفوظ بان لا يعاقب المخطى
في اجتهاده لمسكم اى لنالكم واصابكم فيما اخذتم اى بسبب ما اخذتم يوم
بدر من الفداء من الاسارى قبل ان تومروا به عذاب عظيم اى لعظم ما جئتم به وهو الميل الى الدنيا
من اخذ الفداء من الاسرى قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر بدرا الا واحب الغنايم الا عمر
ابن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول
الله كان الاثخان في القتل احب الى من استبقاء الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب
من السماء ما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ فقوله تعالى كتاب مبتدأ ومن الله صفته اى لولا كتاب ثابت
من الله وسبق صفة اخرى له وخبر المبتدأ محذوف اى لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز
ان يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها فكلوا مما غنمتم اى بعضه بعد اخراج الخمس حلالا طيبا
والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره فقد احللت لكم ما اخذتموه من الغنايم والفداء بالاجتهاد
فكلوا مما غنمتم حلالا خاليا عن الشبهة او اكلا حلالا شرعا طيبا لا عتاب معه كما لا عتاب مع الحلال
وروى انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفداء
فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنايم بهذه الاية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على
ساير الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لى الغنايم ولم تحل
لاحد قبلى ق عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم لاحد قبلنا
ثم احل الله لنا الغنايم وذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا واتقوا الله اى خافوا
الله في مخالفته والاقدام على ما لم ياذن لكم فيه ان الله غفور اى غفر لكم ما فرط منكم في اخذ
الفداء رحيم بكم حيث اباح لكم ما اخذتم من الفداء قال صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد
قبلى كان النبى يبعث الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت
لى الارض مسجدا واحلت لى الغنايم واوتيت الشفاعة وقيل واتقوا الله اشارة الى المستقبل وان الله
غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية ثم لما انكسرت قلوب الاسارى باخذ الفدية بحيث يخاف عليها
عدم الميل الى الايمان جبرها بقوله يا ايها النبى الذى جعلك الله بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين
قل انت واصحابك لمن في ايديكم اى في ملككم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى قرا
ابن عمرو وابو جعفر من الاسارى بالالف والباقون بلا الف قيل كلاهما جمع اسير وقيل الاسارى جمع
الجمع

لهم وقد عز قربا والاية نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اسر يوم بدر
وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج معه عشرون
اوقية من ذهب ليطعم بها اذ جاءت نوبته وكان يوم الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم
فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه في الحرب فكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما شيء خرجت به
لتستعين به علينا فلا اتركه لك وكلفه فداء ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس
يا محمد تتركنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل
وقت خروجك من مكة وقلت انى لا ادرى ما يصيبنى في وجهى هذا فان حدث لى حدث فهذا لك ولعبد الله
ولعبيد الله وللفضل وقثم يعنى بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخى قال اخبرنى به ربى عز وجل فقال
العباس اشهد انك صادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله
ولقد دفعته اليها في سواد الليل وامر ابنى اخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فاسلما فذلك قوله تعالى يا ايها النبى
قل لمن في ايديكم من الاسارى الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفداء ان يعلم الله في نظره في قلوبكم
او ان يتعلق علمه الازلى بالمعلوم فيما لا يزال بما في قلوبكم خيرا اى ايمانا وتصديقا واخلاصا يوتكم خيرا
مما اخذ منكم يعنى من الفداء بان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة ويغفر لكم ما سلف منكم
قبل الايمان والله غفور يعنى لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه رحيم باهل طاعته قال العباس رضى
الله عنه فابدلنى الله خيرا مما اخذ منى عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بالمال الكثير ادناهم يضرب بعشرين
الف درهم مكان العشرين اوقية واعطانى زمزم وما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربى عز وجل وكان يقول ايضا انجز الله احد الوعدين وانا على ثقة من الاخر وروى انه قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه ما قدر
على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ منى وارجو المغفرة وقيل ان الاية نزلت في جميع الاسارى وقيل هذا اولى
لقوله تعالى لمن في ايديكم ولقوله من الاسرى ولقوله في قلوبكم ويوتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والجواب ان
اقصى ما في الباب ان يقال سبب نزول الاية هو العباس رضى الله عنه الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وان يريدوا اى الاسارى خيانتك اى ان يكفروا بك او نقض ما عاهدوك عليه من الاسلام
بان لم يسلموا الا خدعا فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الاول الماخوذ بقوله الست بربكم قالوا
بلى من قبل اى قبل بدر بالكفر او فقد خانوا الله اى كفروا بالله من قبل اى قبلك بكفرهم وقيل معناه وان
نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك والله اعلم فامكن اى فامكن المومنين منهم ببدر حتى
قتلوا منهم واسروا منهم قلت يعنى قتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار سبعين رجلا واسروا منهم
سبعين رجلا مع كثرة الكفار وقلة المومنين كما ذكرنا مرارا وما استشهد من اصحابه صلى الله عليه وسلم الا اربعة
عشر رجلا ستة من المهاجرين عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب مات بقرب من الصفرا وعمير بن
ابى وقاص وذو الشمالين وعاقل بن البكير ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا ومن
الانصار ثمانية رجال سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث وعمير بن الحمام ورافع

ابن معلا وسراقة وعوف بن الحارثة ومعاذ بن عمرو بن الجموح والحارثة رضى الله عنهم اجمعين قال الاستاد
فامكنك الله منهم واظهرك عليهم يوم بدر حتى اسرتهم وقتلتهم فان قتل الاصحاب بامره عليه السلام فان
اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بانه يمكن من كل احد يخونه
او ينقض عهده والله عليم بخلقه يعنى بما فى بواطنهم وضمائرهم من ايمان وتصديق او خيانة ونقض عهد
فيجازيهم على حسب ذلك حكيم بان يمكنك لتفعل بهم مرة اخرى ان خانوا مثل ما فعلته من قبل ثم قال فى ترغيب
الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام بعد الايمان وفى احسان المسلمين الى المهاجرين باسكانهم ديارهم واعطاء فضل
طعامهم اياهم كما فعل الانصار بهم ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
فى سبيل الله يعنى ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا اى تركوا
ديارهم واوطانهم وقومهم فى ذات الله عز وجل وابتغاء رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا الكفار
باموالهم حيث صرفوها فى الخيل والسلاح وانفقوها فى المحاويج وبذلوا انفسهم فى الجهاد بمباشرة القتال لطاعة
الله وابتغاء رضوانه وقدم الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة من الوطن غاية السماحة ثم شرع فى وصف
الانصار فقال والذين اووا ونصروا يعنى الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من
المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله وهم الانصار جعلوا ديارهم ماوى المهاجرين ونصروهم
على اعدائهم اولئك يعنى المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض اى فى العون والنصرة دون اقربائهم
من الكفار وقال ابن عباس فى الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربائهم
وذوى ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا
بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله تعالى فى اخر هذه السورة واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
فى كتاب الله والذين امنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين الذين امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم
من شىء اى من توليهم فى الميراث فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم فى الغنيمة وان كانوا من اقرب اقاربكم
حتى يهاجروا الى المدينة المنورة قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو والباقون بفتحها عن الفراء انهما لغتان كالوكالة
وعن الزجاج بالفتح النصرة وبالكسر الامارة وانما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالخياطة والحياكة كانه تولى
صاحبه يزاول عملا ثم انه تعالى لما بين ان حكم المؤمن الذى لم يهاجر انقطاع بينه وبين المهاجرين توهم انه يجب
ان يتحقق بينهم المقاطعة التامة كما فى حق الكفار فازال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم اى ان استنصركم
الذين امنوا ولم يهاجروا فى الدين اى فى امر الدين فعليكم النصر اى فرض عليكم نصرهم واعانتهم على
الكافرين وانما تركوا الهجرة لضعفهم وعدم قدرتهم على اللحوق برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس انا وامى من
المستضعفين وعن حذيفة بن اليمان خرجت انا وابى والمشركون متوجهون الى بدر فقالوا تريدون محمدا صلى الله عليه وسلم
فقلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه فلما جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرنا له فقال لنا اذهبوا الى المدينة
نفى بعهدهم الا على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق اى عهد فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم
لانه غدر وخيانة تخصيصه ان من لم يهاجر لو قاتلوا قوما بينكم وبينهم ميثاق وحلف فلا تنصروهم على عدوهم
لان الميثاق مانع لكم عن القتال فاصلحوا بينهم قال بعضهم ونسخ هذا باية السيف والله بما تعملون بصير
اى فى النصرة وعدمها فيجازيكم به وهذا تحذير من تعدى حد الشرع والذين كفروا بالله ورسوله

بعضهم

بعضهم اولياء بعض فى النصرة والارث فلا ارث بينكم وبينهم وفى الغاية الفهم يتوارث بعضهم
من بعض ولا توارث بين مسلم وكافر ولما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل
ترك لنا عقيل من دار وذلك ان عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا على
قال الاستاد معناه بعضهم اولياء بعض فى النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين اليهود
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس يعنى فى الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم
من بعض انتهى قلت تخصيصه بعضهم اولياء بعض فى الميراث والتواصل فلا تولوهم انتم ولا تواصلوهم بنسبة
القرابة والتوارث الا تفعلوه شرط مجزوم بان معناه ان لم تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولى
بعضهم بعضا حتى فى الميراث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة وما نهيتكم عنه من المواصلة بالكفار
بقطع العلائق بينكم وبينهم والتباعد عنهم والاشتغال بقتالهم تكن اى تحدث فتنة عظيمة
فى الارض وهى قوة الكفار وفساد كبير وقرى كثير وهو ضعف المسلمين لان المسلمين اذا لم يصيروا يدا
واحدة على اهل الشرك ضعفوا فيظهر الشرك ويزيد الفساد قال الاستاد معناه تحدث فتنة فى الارض بذهاب
المؤمنين الى الكفار والاخذ من مالهم وبالعكس ويقع بينهم التقاول والتقابل لان عداوة الدين لا يمكن زوالها
وتحدث ايضا فساد كبير فى الدين يعنى فى باب الاعتقاد والاعمال لان الولاية بينهم والتوارث من اسباب
المودة والحب فى الله والبغض فى الله معا اوثق عرى الايمان قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين قلت فعلى هذا اللائق والانسب بحال السنى ان لا يجالس اهل البدع الا لضرورة والله المستعان
وكيف لا يكون بين المؤمنين المهاجرين المجاهدين وبين الذين اووا ونصروا موالاة ظاهرة وقد حصلت
الموالاة الباطنة لان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا يعنى لا شك فى ايمانهم ولا مرية ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة من
الوطن ومفارقة الاهل والمسكن والجهاد فى سبيل الله وبذل النفس والمال فى نصر الدين فطوبى لهم قاموا
بحقوق الايمان التى منها الموالاة الباطنة المستلزمة للظاهرة وكيف لا يكون بينهم موالاة وقد افاد بعضهم
بعضا بالمال وغير ذلك من الفوائد زعم بعضهم ان هذه الاية مكررة للتى قبلها وليس كذلك فان التى قبلها
تضمنت ولاية بعضهم لبعض وتقسيم المؤمنين الى اقسام ثلثة وبيان حكمهم فى ولايتهم وتناصرهم
وهذه تضمنت الثناء والتشريف والاختصاص بكمال الايمان بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق ومآل اليه حالهم من قوله تعالى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم ورزق
كريم اى اداهم فى الجنة رزقا لا يلحقهم فيه غصاصة ولا تعب ولا منة فكل شىء شرف وعظم
فى بابه قيل له كريم وقيل كررت هذه الاية لان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة
وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم
من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله فى الاية الاولى اصحاب الهجرة الاولى وذكر فى الاية الثانية
اصحاب الهجرة الثانية والحاصل لا تكرار اصلا لانه تعالى ذكر فى الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار
بعضهم بعضا ثم ذكر فى هذه الاية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشىء مرة بعد
اخرى يدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم اولا ثم اعاد ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شانهم وعلو درجاتهم

ثم ألحق بالمهاجرين والانصار في المغفرة والرزق الكريم من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال **والذين**
آمنوا من بعد اى بعد السابقين الى الايمان والهجرة وهم اهل الهجرة الثانية بعد الهجرة الاولى لان الهجرة
انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد
الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل معنى من بعد اى بعد نزول هذه الاية وقيل بعد يوم
بدر قال الامام والاصح ان المراد بعد الهجرة الاولى وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان
المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة فاما من كان في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة وجب عليه
ان هاجر الى بلد لا يخاف على اظهار دينه قوله تعالى **وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم** ايها
المهاجرون والانصار يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف
واعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لان الله تعالى الحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين
السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح
هذا الالحاق **واولوا الارحام** اى ذووا القرابات **بعضهم اولى ببعض** في الارث من التوارث بالايمان
والهجرة المذكورة في الاية السابقة قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين هذه الاية ان سبب القرابة اقوى واولى من
سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه ذلك التوارث كما اشرنا آنفا وقوله **في كتاب الله** اى في حكم الله
او في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القرآن وهو ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله
وهو القرآن وتمسك اصحاب ابي حنيفة رحمه الله بهذه الاية في توريث ذوي الارحام واجاب عنه الامام
الشافعي رحمه الله بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت
هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء اهل الفروض فروضهم
وما بقي فللعصبات وقوله عز وجل **ان الله بكل شيء عليم** يعني انه عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية
ولكونه كامل العلم والحكمة جعل التوارث عند قلة المسلمين للاجانب من حيث النسب ليكون موجبا
للتناصر والتظاهر ولما قوي الاسلام وكثر اهله جعل لذوي القرابات من حيث النسب والدين والله
اعلم بمراده واسرار كتابه **سورة التوبة مدنية باجماعهم** قال ابن الجوزي سوى آيتين في
آخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت بمكة وهي آخر سورة نزلت واعلم ان في آخر ما نزل
من الايات والسور اختلافا جليا فروى الشيخان عن البراء بن عازب قال آخر آية نزلت يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر سورة نزلت براءة واخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
آخر آية نزلت آية الربوا وروى البيهقي عن عمر رضي الله عنه مثله والمراد بها قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا وعند احمد وابن ماجة عن عمر رضي الله عنه ان آخر ما نزل آية
الربوا واخرج النسائي عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال آخر شيء نزل من القرآن واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الاية واخرج ابن مردويه نحوه من طريق سعيد بن جبير وقال الفريابي في
تفسيره حدثنا سفيان عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال آخر آية نزلت واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله الاية وكان بين نزولها وبين موت النبي صلى الله عليه وسلم احد وثمانون يوما واخرج

ابن ابي حاتم

ابن ابي حاتم وابن مردويه وابن جرير مثله وفي المستدرك عن ابي بن كعب قال آخر آية نزلت لقد
جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة واخرج ابن مردويه عن ابي ايضا كذلك واخرج مسلم عن
ابن عباس قال آخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح واخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله
عنها قالت آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه الحديث وفي حديث عثمان
المشهور براءة من آخر القرآن نزولا قال البيهقي يجمع بين هذه الاختلافات ان صحت بان كل واحد
اجاب بما عنده وقال القاضي ابو بكر هذه الاقوال ليس فيها شيء مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وكل قاله
بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن وقال السيوطي يحتمل ان كلا منهم اخبر عن آخر ما سمعه من النبي
صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك وان لم يسمعه هو
اقول ومما فهمت من كتب الثقات في رفع الاختلاف والتناقض بين الاقوال المذكورة انه يعرف بالقرائن
والتأمل الصادق ان الآخرية في كل واحد من الآيات والسور المذكورة مقيدة بقيد لم يوجد في غيره
مثلا آية الربوا آخر آية نزلت في الاحكام وسورة البراءة آخر سورة نزلت لبيان الخلافة والامان وسورة
النصر آخر سورة نزلت لبيان الفتح واليوم اكملت لكم آخر آية نزلت لبيان اكمال الدين واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله آخر آية نزلت لبيان الانذار والمواعظة وكذا سائر الآيات والسور فاذا قيدت كل واحد منها
بقيد يناسبها اندفع التناقض والله اعلم بذلك ومن اسماء هذه السورة البراءة لانها آمرة بالبراءة في
الانقطاع من الكفار والتوبة لان فيها ذكر التوبة قال الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الى قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق يعني تبرئ منه والمبعثرة
لانها تبعثر وتظهر عن احوال المنافقين وسورة العذاب والمخزية لانه فيها خزي المنافقين والمدمرة
لانه فيها هلاك المنافقين والمشردة لانها شردت وفرقت جموع المنافقين والمثيرة لانها اثارت
واشاعت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت استارهم والمدمدمة يقال دمدم الله
عليهم اى اهلكهم وازهقهم بالارض والبحوث لانها تبحث عن حال المنافقين والمنكلة يقال نكل به
اذا جعله نكالا وعبرة لغيره وفي الاتقان واخرج ابو الشيخ عن عكرمة قال قال عمر رضي الله عنه ما فرغ
من تنزيل براءة حتى ظننا انه لم يبق منا احد الا سينزل وكانت تسمى الفاضحة وسورة العذاب انتهى
عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل
ومنهم ومنهم حتى ظنوا ان لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة
الحشر قال بل سورة النضير اخرجاه في الصحيحين يعني من قوله سعيد بن جبير قال الاستاد ومن اسمائها
الفاضحة لانها فضحت طوائف المنافقين وهو ظاهر وكذا الكافرين واهل الكتاب بقوله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال قاتلهم الله انى يؤفكون وفضح المؤمنين ايضا
بقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم
اولياء واشتهار هذه الاسماء يقتضي انها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال **وآيها**
مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلثون آية وللعلماء خلاف في سبب اسقاط البسملة
في اوائلها قال بعضهم وانما لم تكتب البسملة لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلا يلائم ذكرها قال الله تعالى

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا لأنه لا يلائم السلام الذي يدل على الأمن فكيف يذكر اسم الجلالة مع الرحمة العامة لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد والإعلام بالقتل وسفك الدماء وأما تصدير كتبه صلى الله عليه وسلم بالبسملة على أهل الحرب فكان لدعائهم إلى الإسلام ولم ينبذ إليهم عهدهم ألا تراه قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى وأما هذه السورة فقد اشتملت على المقاتلة ونبذ العهد فظهر الفرق وقال ابن عباس رضي الله عنهما قلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب عنده فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة
وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت البراءة من آخر القرآن نزولا وكان قصتها شبيهة بقصتها وظننت أنها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وكان قتادة يقرؤها سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب لم لا تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني إن براءة نزلت بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لأن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال إنها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت إلى الأنفال لشبهها بها وقيل إن الصحابة اختلفوا في سورة الأنفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات وكانت هي السورة السابعة فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول إنهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعضهم إنه كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه بسملة فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابتها بغير بسملة وبعث بها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقرأها عليهم في الموسم ولم يبسمل على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة أما التفسير فقوله تعالى ﴿براءة﴾ خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة يعني قطع علاقة ووصلة كانت لكم مع المشركين وقطع عصمة كانت لهم منكم كما تقول هذا كتاب من فلان إلى فلان وهي مصدر كالنشاءة والدناءة فيجوز تعلق من الله بها كذا نقله عمر بن علي بن عادل الحنبلي في تفسيره وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبرأ براءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته ﴿من الله ورسوله﴾

من ابتدائية

من ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره هذه براءة وانقطاع موالاة ونبذ عهد وصلت إليكم من الله ورسوله لتنبذوا عهودكم ﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ عهدا مطلقا أو دون أربعة أشهر أو فوقها ويجوز أن تكون براءة مبتدأ نكرة لأنها تخصصت بالوصف بالجار بعدها وهو قوله من الله والخبر إلى الذين الخ وقرئ بنصبها على تقدير اسمعوا براءة والمعنى أن الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا والخطاب في قوله عاهدتم لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم إلا أنه عليه السلام عاقدهم وأصحابه بذلك راضون فكأنهم عقدوا وعاهدوا قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك فكان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ إليهم عهودهم وقال مجاهد ومحمد بن إسحاق وغيرهما نزلت براءة في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيه الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ∴ لاهم إني ناشد محمدا ∴ حلف أبينا وأبيه الأتلدا ∴ كنت لنا أبا وكنا ولدا ∴ ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا ∴ فانصر هداك الله نصرا عتدا ∴ وادع عباد الله يأتوا مددا ∴ فيهم رسول الله قد تجردا ∴ في فيلق كالبحر يجري مزبدا ∴ أبيض مثل الشمس ينمو صعدا ∴ إن سيم خسفا وجهه تربدا ∴ إن قريشا أخلفوك الموعدا ∴ ونقضوا ميثاقك المؤكدا ∴ هم بيتونا بالوتير هجدا ∴ وقتلونا ركعا وسجدا ∴ وزعموا أن لست تدعو أحدا ∴ وهم أذل وأقل عددا ∴ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت إن لم أنصركم وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة ليقرأها على أهل الموسم ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلي بن أبي طالب يؤذن فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وفي جامع الأصول وإنما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي لأنه كان عادة العرب في نقض

العهود ان لا يباشره الا رجل عاهد او يكون نسيباً له قريباً منه انتهى وقال يزيد بن تبيع سألنا
علياً باي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر ولا يدخل الجنة
الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا في حج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة
عشر حجة الوداع اقول ومعنى قوله ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة يعني هو اشارة بان المشركين لا يقبل منه
بعد هذا غير الايمان فكان علياً رضي الله عنه قال امرت ان انادي بان يتصف الناس بما يستعدون
به ان يكونوا من اهل الجنة اذ لا يقبل منهم سوى هذا والله اعلم ف عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
ابا بكر رضي الله عنه بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن
في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف النبي صلى
الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج
البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل
الحج الاكبر من اجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل
الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله الاية **فصل** قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب بقراءة اول براءة عزل ابي بكر عن
الامارة وتفضيله على ابي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميراً على الموسم في تلك
السنة اول حديث ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود و
النسائي قال بعثني ابو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني
ابو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم واجاب
العلماء عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ليؤذن في الناس ببراءة بان عادة العرب ان لا يتولى تقرير
العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه كما اشرنا قبل هذا وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي
صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه ببراءة ازاحة لهذه العلة
لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود ونقضها ومن الدليل على ان ابا بكر كان هو الامير
ان علياً لما لحقه قال اميراً او مأموراً فقال مأمور ثم ساروا وقيل انما خص علياً بتبليغ هذه الرسالة تطييباً
لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث علياً في هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون جارياً مجرى
التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميراً على الحاج
وولاه الموسم وبعث علياً خلفه ليقرأ على الناس براءة فكان ابو بكر الامام وعلي المؤتم وكان ابو بكر الخطيب
وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم ابي بكر على
علي وفضله عليه هكذا ذكره صاحب لباب التأويل من الشافعية وعمر بن عادل من الحنابلة نحوه الا انه
قليله والله اعلم **فسيحوا في الارض** اي فسيروا ايها المشركون في الارض بعد نبذنا العهد مقبلين ومدبرين
امنين من القتل والقتال غير خائفين احداً من المسلمين قال شمس الدين احمد بن سليمان بن كمال باشا في تفسيره السيح

السير

السير على مهل والجري على انبساط وانما زيد قوله في الارض تعميماً للاذن والاعلام ان السيح لا يكون
الا في الارض انتهى قال ابن الانباري قوله فسيحوا على اضمار القول اي قولوا لهم سيحوا وليس هذا
من باب الامر بل المقصود منه الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف الى تمام **اربعة**
اشهر يعني مدة اربعة اشهر ولا امان لكم بعدها وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان الاية
نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان
التبليغ كان يوم النحر لما ذكرنا انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً كما ذكرنا وهذا
القول اصوب وعليه اكثر المفسرين واربعة اشهر ظرف لسيحوا قال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين
كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كان مدته اكثر حطه الى الاربعة اشهر
ومن كان عهده بغير اجل محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعده حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك اي
في الحل والحرم ويؤسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان ومن لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم
وذلك خمسون يوماً وقال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتم له
الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده لقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم وقيل ان المقصود من هذه المدة ان يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه
الا حال الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعياً لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى
الغدر ونكث العهد **واعلموا انكم** ايها الكفرة **غير معجزي الله** اي لا تفوتونه وان امهلكم يعني انكم
لا تفوتون عذاب الله وان هذا الامهال ليس لعجز الله عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب
وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم لانكم في ملكه و
قبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه
شيء كما قدمنا قلت ولعل معنى الاخير هو الاصوب قال الاستاذ معناه واعلموا ايها الكفرة انكم لو قصدتم
محاربتنا في هذه المدة او بعدها وخرجتم من ارضنا باستعانة ناس اخرين لا تفوتون عذابنا وان امهلناكم
وهذا من جملة معجزات القران فانهم غلبوا الى يومنا هذا وما ظهر لهم اثر في الحرمين اصلاً **وان الله مخزي**
الكافرين الاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار اي هو مذلهم بالقتل والاسر في الدنيا وعذاب
النار في الاخرة ثم اشار الى ان هذا الامان ليس اماناً من العذاب الاخروي ولا من الدنيوي بعد تمام
المدة بقوله **واذان من الله ورسوله الى الناس** اي اعلام صادر من الله ورسوله الى الناس
المعاهدين ومن لم يعاهد الاذان فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء وهو
عطف على براءة ورفعه كرفع براءة على الوجهين وقال عمر بن علي بن عادل الحنبلي في تفسيره قوله واذان
رفع بالابتداء اي اذان صادر واعلام واصل ومن الله اما صفة له او متعلق به والى الناس الخبر
ويجوز ان يكون اذان خبر مبتدأ محذوف اي وهذا اعلام والجاران متعلقان به قال ابو حيان ولا وجه
لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في زيد قائم وعمرو قاعد انتهى والظاهر
ما ذكره البيضاوي كما اشرنا بقولنا ورفعه كرفع براءة على الوجهين فعلى هذا جاز زيد قائم وعمرو قاعد
بالعطف على زيد وقال ابن كمال باشا في تفسيره والواو عاطفة للجملة على الجملة قال الاستاذ ويجوز ان يجعل من عطف

المفرد على المفرد نحو زيد قائم وعمرو قاعد كما جاز عطف الجملة على الجملة والفرق بين الجملة الاولى يعني براءة من
وهذه الجملة ان الاولى اخبار بثبوت البراءة وهذه الجملة اخبار بوجوب الاخبار بما ثبت فلا تكرار في ذكر
الجملتين وانما علقت البراءة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة
بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث
من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر اى يوم العيد وهو يوم النحر اخرج البخاري وغيره عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فقال اي يوم هذا قالوا يوم النحر فقال
هذا يوم الحج الاكبر سمي به لانه فيه تمام الحج ومعظم افعاله كالطواف والنحر والحلق والرمي تسمية لمعظم الشيء باسم كله
ولان الاعلام كان في يوم النحر وقيل هو يوم عرفة لان الوقوف بعرفة معظم افعاله الواجبة لانه اذا فات فات الحج
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة رواه ابو داود وغيره وانما وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر لنقصان
عملها عن عمل الحج وقيل وصفه بالاكبر مخصوص بالسنة التي حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم
ذلك اليوم عند المومنين والكافرين وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وقيل الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة
وقيل الحج الاكبر ايام منى كلها ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان باي وجه كان فقال ان الله بريء من
المشركين ورسوله فيه حذف تقديره واذان من الله ورسوله بان الله بريء من المشركين ورسوله
ايضا بريء منهم وان المفتوحة مع اسمها وخبرها منصوب بانه مفعول الاذان على معنى اعلام منهما بان الله
بريء من عهود المشركين ورسوله كذلك بريء قال الشيخ وفي رفع رسوله وجوه الاول انه رفع بالابتداء وخبره
مضمر اي ان الله بريء من المشركين ورسوله ايضا بريء الثاني تقديره بريء الله ورسوله من المشركين الثالث
ان الله في محل الرفع بالابتداء وبريء خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول ولا تكرار في الاية لان المقصود
من الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد
والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في الاولى براءة من الله ورسوله الى يعني بريء اليهم وفي الثانية
بريء منهم وقرا يعقوب ورسوله بنصب اللام اي ان الله ورسوله عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع وقرئ
ورسوله بجر اللام والوجه فيه القسم من الله مثل قوله لعمرك تقديره ورسوله ان الامر كذلك ويحكى ان اعرابيا
سمع رجلا يقرا ورسوله بالجر فقال الاعرابي اذا كان الله قد بريء من رسوله فانا بريء منه فلببه القاري الى عمر رضي
الله عنه فحكى الاعرابي الواقعة فحينئذ امر بتعليم العربية ويحكى هذه ايضا عن علي رضي الله عنه وعن ابي
الاسود الدؤلي هكذا ذكره عمر بن علي بن عادل الحنبلي في تفسيره قوله تعالى فان تبتم اى رجعتم عن
شرككم وكفركم وغدركم واخلصتم التوحيد فهو اى التوب خير لكم من الاقامة على الشرك الذي
هو سبب براءة الله ورسوله وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول
النار اقول ولاداء الجزية مطلقا وهو من قبيل الصيف احر من الشتاء وان توليتم يعني اعرضتم
عن الايمان والتوبة من الشرك اعتمادا على قوتكم في التخلص من قهر الله فاعلموا انكم ايها الكفار
غير معجزي الله اى لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وهذا وعيد عظيم واعلام لهم
بان الله قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى وبشر اى اخبر الذين كفروا بعذاب اليم
في الاخرة

يعني في الاخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم
الشتم الا الذين عاهدتم من المشركين هذا استثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة
امر الله رسوله باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه
انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم
يقتلوا منكم ولم يضروكم قط قال بعضهم هو استثناء من قوله فسيحوا في الارض والمعنى براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم الى اخره وقال السلطان
هو استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين
عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا قرا العامة بالصاد المهملة وقرئ بالضاد المعجمة اى لم ينقضوا
عهدكم وهذا لائق لكن المشهور بالصاد المهملة وهو ابلغ لانه في مقابلة التمام ولم يظاهروا اى ولم
يعاونوا عليكم احدا من عدوكم الكافرين فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اى انقضاء مدتهم
الذي وقع عليه العهد ولا تجعلوهم في حكم الناكثين ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر
ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فان هذه الطائفة
لما اتقوا النقض ونكث العهد استحقوا من الله ان يصان عهدهم ايضا عن النقض والنكث هذا
قبل تمام المدة فاذا انسلخ الاشهر الحرم اى اذا انقضى ومضى اخر مدة التاجيل قال السلطان
اى فاذا انقضى الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها قيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها انتهى
قلت اما مخالفة النظم الكريم فلان الاشهر الحرم الاربعة التي ذكرت اولا في قوله فسيحوا في الارض اربعة
اشهر ليست عين الاشهر الحرم بل شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والاشهر الحرم الدائرة كل سنة
رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واما مخالفته للاجماع لانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم مع ان
الاجماع منعقد على انتساخها وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من محرم
واما اذا حمل الاشهر الحرم على الاشهر التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فاقتلوا المشركين الاية يكون امرا بمحاربتهم وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المعينة الى ابد الاباد
قال الحسين بن الفضل وتكون هذه الاية ناسخة لكل اية في القران فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء
على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء وفي الغاية والاشهر الحرم التي ابيح لهم ان يسيحوا فيها وحملها على الاشهر
الحرم التي ورد بها الحديث وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب محض خطاء لان قتل المشركين ليس
بمحرم فيها وكونها حرما لزيادة شرفها وقال ابن كمال باشا في تفسيره واراد بالاشهر الحرم في هذه الاية
تسعة اشهر لبني كنانة واربعة اشهر لساير المعاهدين المذكورة في قوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة
اشهر قال ومن قال التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فكانه غفل عن عموم الحكم لبني كنانة قلت
قد نقص من كماله في هذا وفيما بعده حيث تعرض للرد بعض هواش الناس على من لو نفخ فيه بعض
خدمه لصار هباء ولانسلخ عن رتبة الكمال رحم الله امرا عرف قدره ولم يتجاوز طوره ثم اني شكرت

لاستادنا بعض مزلاته ومقالاته التي يتشنع بها على الاكابر في تفسيره فقال انزكه فان فساده
اكثر من ان يحصى ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفي اللباب ومعنى قوله عز وجل فاذا انسلخ
الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال
مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد
فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان
الله حرم على المومنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهي خمسون
يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر
الحرم متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر
الحرم انتهى **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ** الناكثين عهدهم **حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** اي في الحل والحرم وهذا
اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم **وَخُذُوهُمْ** اي اسروهم والاخيذ الاسير
هذا اذا تمكنتم منهم **وَ**ان لم تمكنوا منهم اسرا وقتلا **احْصُرُوهُمْ** اي احبسوهم في المكان الذي هم
فيه لئلا ينبسطوا في سائر البلاد حتى يضطروا الى القتل او الاسلام وقال ابن عباس ان تحصنوا فاحصروهم
وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام **وَ**ان انبسطوا **اقْعُدُوا**
لَهُمْ اي لقتالهم **كُلَّ مَرْصَدٍ** اي على كل ممر وطريق يعني كونوا لهم رصدا ورقيبا حتى تاخذوهم من
اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها هذا كله قبل التوبة **فَإِنْ تَابُوا** من
الشرك ورجعوا الى الايمان **وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** اي واتوا اركان الصلوة المفروضة التي هي عماد الدين الدالة على
انقياد الظاهر والباطن **وَآتَوُا الزَّكَاةَ** الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم وفي الغاية معناه اي اقروا
بوجوبها لان تارك الصلاة وان كان تقتل عند الشافعي وعند احمد يكفر ولكن تارك الزكوة ليس بكافر ولا تقتل
اذا لم ينكر وجوبها انتهى واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما راسي العبادات البدنية والمالية **فَخَلُّوا**
سَبِيلَهُمْ اي دعوهم يتصرفون كيف شاؤا من دخول مكة وغيره كلك من البلدان وفي الاسرار وفيه
دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله قال الشافعي رحمه الله انه تعالى اباح دماء
الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فالم يوجد
هذا المجموع وجب ان تبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل اخرج ابو الشيخ عن الحسن وعن
ابن عباس فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة قال حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وكان
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وارضاه يقول في مانعي الزكوة لا افرق بين ما جمعه الله تعالى قال الامام
الرازي لعل مراده كان هذه الاية واخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن الربيع الظفري وكانت له صحبة
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل من اشجع توخذ صدقته فجاءه الرسول فرده فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذهب اليه فان لم يعط صدقته فاضرب عنقه انتهى **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ** لمن تاب ورجع
من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة **رَحِيمٌ** باوليائه واهل طاعته قال الاستاد هذا تعليل للامر به
خلوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من الاسر وغيره لان الله غفور غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة
وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ ان شرط واحد فاعل فعل محذوف لان ان لا يليها الا الفعل لفظا او تقديرا
وقيل

والدليل على حذفه استجارك الملفوظ المفسر له روى ابن عباس ان رجلا من المشركين قال لعلي كرم الله
وجهه ان اراد واحد منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء الاجل لسماع كلامه او لحاجة من الحاجات ايقتل
فقال لا لقوله تعالى وان احد من المشركين اي المامورين بقتالهم استجارك اي استامنك وطلب منك
جوارك **فَأَجِرْهُ** اي فامنه وان لم يكن بينك وبينه ذمة وعهد **حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** اي قراتك كلام
الله فيعلم ما له وما عليه من الشرائع في الاسلام تلخيص المعنى وان استامنك يا محمد احد من المشركين الذين
امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي انزله عليك وهو القران فاجره
حتى يسمعه ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك **ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**
اي ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله
ذَلِكَ اي ما امرتك به من الاجارة **بِأَنَّهُمْ** اي بسبب انهم **قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ** دين الله وتوحيده
فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل فلا بد من اعطائهم الامان قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم
يوم القيمة وفي الجامع وقال السدي هي منسوخة بقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
والتعبير عن الفهم بالسمع لان الفهم من اهل اللسان فيفهمون المعنى كما يسمعون اللفظ وفي المعاني وفيه
دليل على ان كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى ثم انه سبحانه وتعالى اكد المعاني المذكورة من اول السورة
الى هنا فقال على سبيل الجحد والانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع عداوة صدورهم
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ اي لا يكون للمشركين عهد **عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ** وهم يغدرون
وينقضون العهد قوله عهدا اسم ليكون وخبر يكون ثلثة اوجه الاول هو كيف وقدم للاستفهام
الثاني للمشركين وقوله عند الله ورسوله على الوجه الاول والثاني ظرف للعهد او ليكون او للاستقرار الذي
تعلق به للمشركين او هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال
من العهد **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** هم المستثنون من قبل من الذين لم يظهر منهم نكث
كبني كنانة وبني ضمرة ومحله النصب على الاستثناء من المشركين او الجر على البدل منهم لان معنى الاستفهام
المتقدم نفي اي لا يكون للمشركين عهد الا الذين لم ينكثوا او الرفع على الاستثناء منقطع اي ولكن
الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فتربصوا **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ** اي فان استقاموا على العهود
فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ على الوفاء بالعهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة
فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان
يلحقوا باي بلاد شاؤا فاسلموا بعد اربعة اشهر وقال صاحب اللباب والاصح انهم من قبائل بني بكر وهم
جذيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن
نقض العهد الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان
الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف
يقول لشيء قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم
من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر
على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما فما استقاموا وجهان احدهما ان تكون زمانية

٤٣٩

وهي المصدرية على التحقيق اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم وثانيهما شرطية اى ان استقاموا لكم
على العهد فاستقيموا لهم على الوفا بالعهد وهو كقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد
ان الله يحب المتقين يعني انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه وهذا استقام
صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بنى بكر على خزاعة كما مر قريبا كيف اعاده ثانيا
لزيادة الاستبعاد والجحد والانكار مع التنبيه على العلة وحذف هنا يكون للعلم به اى كيف يكون
لهم معتد به عند الله وعند رسوله او كيف لا تقتلونهم بعد ان تم مدة عهدهم وبقوا على كفرهم ولم
يسلموا وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا
يرقبوا فيكم اى لا يراعوا ولا ينتظروا ولا يحفظوا فيكم الا اى قرابة قال حسان : لعمرك
ان الك من قريش : كال السقب من رال النعام : قال ابن عباس ومعنى الا اى قرابة ورحما
وقال قتادة الال الحلف وقال السدى هو العهد والذمة وانما كرر للتاكيد او لاختلاف اللفظين
وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله ومنه قول ابي بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة
الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله
فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا يخافونه وفي الجامع وقيل الال من اسمائه تعالى بالسريانية يرادف
لفظ الجلالة والمعنى لا يرقبون الله فيكم ولا يخافونه ولا ذمة اى عهدا لا يحفظون فيكم عهدا
وحقا يعاب على اغفاله بل يؤذونكم ما استطاعوا يرضونكم بافواههم وهذا كلام مستانف
وليس حالا من فاعل لا يرقبوا والمعنى يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم والحاصل قوله يرضونكم
كلام مستانف يبين حالهم المنافية لذوى الثبات على العهد وهو النفاق الذي هو شر الخصال
وانما قلنا وليس حالا من فاعل لا يرقبوا بان ارضاهم بافواههم كان قبل الظفر فان بعد ظفرهم
وغلبتهم لا يرضون المؤمنين ولان المراد بيان اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعادات بحيث ان ظفروا لم يرحموا والحالية تنافيه وتابى
قلوبهم عن موافقة ما يتفوهون به تحمضه يرضونكم بكلامهم الحسن وتابى قلوبهم الوفا به
واكثرهم فاسقون اى ناقضون للعهد فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث
واقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون مع
ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق
في دينه فالمراد بوصفهم فاسقين لانهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين
مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد
ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا اى استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا لا اعتداد به من متاع الدنيا وذلك
انهم انما نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم اياها
ابو سفيان بن حرب ذمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله اى ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله وقد كان

اهل

ان اهل الطايف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الجامع او سبيل بنيه
بقصر الحجاج والعمار والقصاد للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد وقيل نزلت الاية فى اليهود
الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابهم بشئ ياخذونه من جهلتهم انهم ساء ما
كانوا يعملون عملهم هذا يعني الشرى ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول فى دين
الاسلام او ما دل عليه قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير المخصوص
بالذم لا تكرير ويحتمل ان يدفع التكرار بان الاية الاولى على الخصوص حيث قال فيكم والثانية على العموم
حيث قال فى مؤمن وقيل الاول عام فى المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم او اليهود الذين كتموا صفة رسول الله او طايفة اخرى من اليهود اعانوا
المشركين على نقض العهود فكان المراد من هذه الاية ذم اولئك اليهود وهذا اللفظ فى القران يستعمل
فى اليهود غالبا والحمل على اليهود يقتضى عدم التكرار فكان اولى وفى اللباب ومعناه ان هؤلاء المشركين
لا يراعون فى مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا
ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون فى نقض العهد فان تابوا اى فان رجعوا عن الشرك
والكفر الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفا به واقاموا الصلوة المفروضة عليهم بجميع حدودها
واركانها واتوا الزكوة اى وبذلوا الزكوة المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم عند وجود المال
وانقضاء الحول فاخوانكم اى فهم اخوانكم على حذف المبتدا والجملة الاسمية فى محل الجزم على جواب
الشرط فى الدين لا فى النسب متعلق باخوانكم لما فيه معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم
تعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه ونفصل اى نبين
الايات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم من الكفر والايمان او جميع
الايات القرانية لقوم يعلمون اى يتدبرون ما فيها وهذا اعتراض واقع بين الكلامين اى
بين فان تابوا وان نكثوا قال ابن كمال باشا والواو للعطف على مقدر اى وننزل القران ونفصل الايات
قال الاستاد فى معنى ونفصل الايات لكى يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه
قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وقد تقدم نحو هذا انفا وقال ابن مسعود امرتم
بالصلوة والزكوة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الزكاة والصلوة جميعا لم يفرق
بينهما وابى ان يقبل الصلوة الا بالزكوة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكره
ابو بكر فى حق من منع الزكوة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلوة والزكوة
ف عن ابي هريرة رضى الله عنه قال لما توفى النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وكفر من كفر من
العرب قال عمر بن الخطاب امير الخير والصواب كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى ماله ونفسه
الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر خليفة خير البشر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة
والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها وفى رواية عقالا كانوا
يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان رايت

ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله
وَإِنْ نَكَثُوا عطف على قوله فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا أَيْمَانَهُمْ اى مواثيقهم يعني
وان نكثوا ما بايعوا عليه من المواثيق والوفاء بالعهود مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ يعني من بعد ما عاهدوكم
عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم وتخصيصه نقضوا عهودهم المؤكد بالايمان
اما بان ارتدوا عن الايمان والعياذ بالله على ان يحمل العهد على مبايعة الاسلام بقرينة ذكره في مقابلة
قوله فان تابوا الاية او بان استمروا على نقض العهد والكفر وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ يعني وعابوا في
دينكم الذي انتم عليه بتصريح التكذيب وتقبيح الاحكام وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي
اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد هؤلاء الذين نقضوا العهد كفار قريش
وهو قوله تعالى فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في ابي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة الرسول وقيل اراد جميع
الكفار وانما ذكر الائمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال
حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الاية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون
مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وفي الاسرار قرا عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين من غير ادخال الف بينهما على الاصل والباقون بتحقيق
الهمزتين وادخال الف بينهما تخفيفا وقيل قراءة الباقين بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين وادخال الف
بينهما هذا هو المشهور عن القراء السبعة وليس فيما اشتهر عنهم قلب الهمزة الثانية ياء خالصة قال
السلطان والتصريح بالياء لحن وفي المدارك بهمزتين كوفي وشامي والباقون بهمزة واحدة غير ممدودة
بعدها ياء مكسورة واصلها أأممة لانها جمع امام كعماد واعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة
وادغمت في الميم الاخرى فمن حقق الهمزتين اخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرها انتهى إِنَّهُمْ لَا
أَيْمَانَ لَهُمْ والايمان جمع يمين اى لا عهد لهم قال ابن عادل في تفسيره كون الايمان جمع يمين مناسب
للنكث وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ لا إيمان لهم بكسر الهمزة يعني لا دين لهم ولا تصديق
وقيل هو من الامان اى اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن
في الاسلام فقد نكث عهده لان العهد معهود معه على ان لا يطعن كما تقدم نحو هذا قريبا قال الشافعي
رحمه الله يقول يمين الكافر يكونه يمينا بدليل وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم والنكث
حيث لا يمين فيوجب الكفارة على الكافر اذا حنث ويقول معنى لا ايمان اى انهم لا يوفون بها وابو حنيفة رحمه الله
لا يجعلها يمينا استشهادا بظاهر لا ايمان لهم فلا يوجب الكفارة على الكافر اذا حنث قال البيضاوي وهو ضعيف
لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم انتهى قال ابن عادل الحنفي
تفسيره ومعنى نفي الايمان عن الكفار انهم لا يوفون بها وان صدرت منهم وثبتت لتخصيص الحنفي ان لم
يف المشركون لكم العهد وعابوا دينكم فقاتلوهم لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ اى لكي ينتهوا عن الطعن في
دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الاسلام ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال
تعالى

تعالى أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ اى فما يمنعكم من ان تقاتلوا قوما نقضوا عهودهم وهم الذين
نقضوا عقد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة قال الشيخ دخلت الهمزة على لا النافية ترغيبا
على المقاتلة وانكارا لتركها وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ اى هموا قبل النكث باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا
في دار الندوة على ما ذكرناه في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فان قلت قد تقدم ان الذي
استقر رايهم عليه في المشاورة كان قتله عليه السلام فلم لم يذكره مع انه اعظم من همهم باخراجه عليه
السلام قلت اراد التنبيه الى الادنى وان ذلك كاف في المسارعة على قتالهم ليعلم منه انهم اذا كانوا بذلك
انهم مستوجبين القتال فكيف بما هو اعظم وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه
من المدينة وَهُمْ اى كفار قريش بَدَءُوكُمْ بالقتال أَوَّلَ مَرَّةٍ يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا حين
سلم العير لا ننصرف حتى نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد به انهم بدؤا بقتال خزاعة حلفاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم وبخهم على خوفهم من المشركين الناكثين بقوله أَتَخْشَوْنَهُمْ اى اتتركون ايها المؤمنون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ في ترك قتالهم فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا
امره إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده فان قضية الايمان الصحيح ان لا
يخشى المؤمن الا من الله تعالى كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وذلك لان المؤمن اذا اعتقد انه لا ضار
ولا نافع الا الله وان احدا لا يقدر ان يضره وينفعه الا باذنه ومشيته فلا يخاف الا منه روينا
في مسند احمد بن حنبل وفي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال له اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله فان العباد لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء
لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على
ذلك وكونهم مؤمنين وان كان مقطوعا به اورده في صورة التشكيك لان كما سلهم الفرضي عن القتال
بعد تحقق موجبه يوهم ذلك قال الاصم دلت الاية على انهم كرهوا هذا القتال لقوله وهو كره لكم فامرهم الله
بقوله قَاتِلُوهُمْ اى الذين نكثوا وبدؤا بالقتال يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ يريد بالتعذيب القتل يعني
يقتلهم الله بايديكم وَيُخْزِهِمْ اى ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الهوان والذل وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
بان يظفركم بهم فان قلت اليس القتل والاسر يغنيان عن ذكر النصر قلت فائدة ذكر النصر بعدهما الوعد
بان العاقبة لهم مع ذلك القتل والاسر وان لا سبيل للعدو عليهم وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
اى ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة
حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا فيهم ثم شفى الله صدور
خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل هم قوم من اليمن وسبا قدموا
مكة مسلمين فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب
وانما وضع المظهر موضع المضمر للاشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك الشفاء وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ يعني ويذهب وجد قلوبهم وكربها بما نالوه من بني بكر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر وقد وفى الله بما وعدهم فالاية من
المعجزات وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول والمعنى

ويهدي الله من يشاء الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى الاسلام كما فعل
بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا من ائمة الكفر ورؤساء
المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وعليه قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
الخ هكذا ذكره المفسرون ولكن فيه نظر لان سورة براءة نزلت سنة تسع وفتح مكة كانت في سنة ثمان
كما صرحوا به اللهم الا ان يقال ان المتروك في سنة تسع بعد فتح مكة هو تمام السورة وهو لا ينافي نزول
بعض اياتها قبل فتحها فيحتمل ان يكون نزول هذه الاية قبل فتح مكة كما ذكره بعض المفسرين وقرئ
ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب
لتوبة قوم اخرين يعني ومن فوايد القتال انه يتوب بسببه بعض من تامل فيه **والله عليم** بسرائر عباده وبكل
ما يفعل في ملكه ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى الاسلام **حكيم** مصيب
في احكامه وافعاله لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة لا يلحقه خطأ **ام حسبتم** خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم
القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان **ان تتركوا** على ما انتم عليه **ولما**
اي ولم **يعلم الله** علم ظهور **الذين جاهدوا منكم** اي ولم يتبين ولم يظهر ولم يتميز الخلص منكم
وهم الذين جاهدوا من غيرهم او ولما ير الله الذين جاهدوا منكم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه
كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه وفي الاسرار نفى العلم واراد نفي لازمه وفي العلم
واراد نفي المعلوم للمبالغة من حيث ان نفي علم الله به مستلزم لعدمه اذ لو لم يكن معدوما لوجب علم الله
به لاحاطة علم الله بجميع الاشياء ولم يتعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل عن الاندراج تحت ارادة اكرم
الاكرمين وفي اللباب قوله ام حسبتم ان تتركوا هذا من الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت
فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا
تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب وقال في قوله ولما يعلم الله الخ يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشيء
يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام فخر الدين الرازي
ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا **ولم يتخذوا**
عطف على الذين جاهدوا **من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة**
اي بطانة واولياء وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج
وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او بمفعول ثان ان جعل بمعنى التصيير
وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين المخلص من غيره متوقع والمقصود من هذا نهي المؤمنين او اهل
عن موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم **والله خبير بما تعملون** يعني
العمل لله وحده وقال الاستاد اي خبير بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ويزيل ما يوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله الخ او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم والحال ان الله يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها **ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد**
الله يعني بها المسجد الحرام وسبب نزول هذه الاية ان جماعة من رؤساء كفار قريش اسروا يوم بدر
وفيهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليهم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله
وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال له علي وهل لكم
محاسن قال نعم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت
هذه الاية ما كان للمشركين اي ما صح للمشركين ولا ينبغي لهم ان يعمروا شيئا من مساجد الله فضلا عن
المسجد الحرام يعني اوجب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله وحده
فمن كان كافرا فليس له ان يعمر مساجد الله وقيل المراد هنا بالمساجد المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة ساير
المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد وقرأ الباقون
بالجمع قال الاستاد في تفسيره واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة العمارة المعروفة
من بناء المسجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته
والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم
حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن
ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم
المساجد ومنعهم من دخولها وقوله تعالى **شاهدين** اي معترفين ومقرين **على انفسهم بالكفر** في ذلك
باظهار الشرك وتكذيب الرسل وهو حال من فاعل يعمروا قال ابن عادل الحنبلي في تفسيره لب الكتاب
قوله شاهدين الجمهور على قراءته بالياء نصبا على الحال من فاعل يعمروا والمراد وهم شاهدون فلما طرحت
وهم نصب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه شاهدون بالواو رفعا على خبر مبتدأ مضمر والجملة حال ايضا
والمعنى ما استقام للمشركين ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غير الله وذلك فان
عمارة بيت الله لتعظيم البيت وصاحبه وعبادة غيره تحقير له فبينهما تناف قال ابن عباس شهادتهم
على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وكانوا كلما طافوا طوفة سجدوا لاصنامهم وقال الحسن انهم لم يقولوا
نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان
النصراني يسأل من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في
رواية عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم **اولئك** الذين يدعون عمارة المسجد الحرام
وما يضاهيها من اعمال البر مع ما هم من الكفر **حبطت** اي بطلت **اعمالهم** التي يفتخرون بها بما قارنها
من الكفر فصارت هباء منثورا **وفي النار هم خالدون** يعني من مات منهم على كفره وايراد الجملة
اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود وهذه الجملة مستانفة والظرف متعلق بالخبر وقدم للاهتمام به
ولاجل الفاصلة احتج اهل السنة بهذه الاية على ان الفاسق المؤمن لا يخلد في النار لان هذا الكلام المفيد
للحصر انما ورد في حق الكفار فان الله تعالى جعل الخلود في النار جزاء على كفرهم ولو كان هذا الحكم ثابتا لغيرهم
لما صح الحصر وتهديدا للكافر به **انما يعمر مساجد الله** جمهور القراء على الجمع وقرأ الجحدري وحماد
بن ابي سلمة عن ابن كثير بالافراد والجمع هنا حقيقة لان المراد جميع المؤمنين العامرين مساجد اقطار
الارض اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها **من امن بالله** لما بين ان الكافر ليس له ان يعمر المسجد
بين ان اللايق بعمارته ان يكون موصوفا بصفات اربع فقال انما يعمر الخ فبين انه لا بد من الايمان بالله

لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه لا غيره والكافر ممتنع منه ذلك ولم يذكر الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم اكتفاء بذكر الايمان بالله لما اشتهر ان هذا قرين ذلك لا ينفك احدهما عن صاحبه
فكانهما شيء واحد لاشتمال كلمة الشهادة على الايمان بهما ولدلالة قوله تعالى **واليوم الاخر** عليه
لان المراد بالايمان باليوم الاخر هو الايمان بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به القران
المنزل عليه صلى الله عليه وسلم ولدلالة قوله تعالى **واقام الصلوة واتى الزكوة** اى الصدقة المفروضة
عن طيب نفس عليه لان فرضيتهما وكيفيتهما علما بما اوحى عليه عليه السلام ومن افعاله عليه السلام
ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة وهذه الاشيا مشتملة على ذكر النبوة نفى صلوح العمارة
عن اولئك الموصوفين بما ينافي عمارة المسجد الحرام واثبته على وجه الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية
واقتصر منها على الصلوة والزكوة لانهما مما عليه مدار الدين ومن عمارتها ادامة العبادة والصلوات الخمس و
الذكر ودرس العلم فيها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسراج وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا
وفي الطبراني عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا في بيته فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد
فهو زائر الله وحق على المزور ان يكرم زائره وفي بعض الروايات عنه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي
في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان
يكرم زائره واخرج ابن ابي شيبة عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من غدا الى المسجد او راح اعد
الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح واخرج الطبراني عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الف المسجد الفه الله واخرج احمد والترمذي والبيهقي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان واخرج البيهقي عن انس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيمة وعن انس رضي الله عنه
من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه واخرج الطبراني
في الاوسط عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا لا يريد به رياء ولا سمعة
بنى الله له بيتا في الجنة واخرج ابن ابي شيبة عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ولو مفحص
قطاة بنى الله له بيتا في الجنة ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة
الحشيش وفي الحديث ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا
وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
بنى لله مسجدا صغيرا او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه الترمذي وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه من
بنى لله مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي ومما يتعجب من بعض القضاة والقضاة
في زماننا يمنعون من يعمر مساجد الله بالذكر سيما كلمة التوحيد التي هي افضل الاذكار مع انكبابهم على الحرام
نبهنا الله واياهم عن نوم الغفلة ونسيان الحق وقال الشيخ ومكرره في معنى واقام الصلوة واتى الزكوة
واعلم ان الاعتبار باقامة الصلوة وايتاء الزكوة في عمارة المسجد لان الانسان اذا عمر المسجد الا لاجل
لاقامة الصلوة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكوة لان الزكوة واجبة وعمارة المسجد
نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه قوله تعالى **ولم يخش الا الله** اى لم

يخش

يخش في ابواب الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك الاوصاف
الجميلة **ان يكونوا من المهتدين** الى مقاصدهم من الجنة وما فيها مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر ذكره بصفة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء ولا انتفاع باعمالهم وتوبيخا
لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم
ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها قال الاستاد في معنى فعسى اولئك الى اخره ان عسى من الله
واجب نعني واولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة لا الاعداء في الدين
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن اى كايمان من **امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله** اى وكجهاد من جاهد في سبيل الله قال الاستاد في تفسيره معناه لو سلمنا
ان عمارة المسجد الحرام وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا ان هذه الاعمال في مقابلة الايمان
بالله والجهاد في سبيل الله شيء قليل قال المفسرون نزلت الاية في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا
فقيل بين كافر ومؤمن لقوله تعالى كمن امن وقصته ما مر مما جرى بين العباس والمسلمين يوم بدر ويروى
ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام اصحاب محمد فقال اليهود
لهم بل انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله تعالى اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون
للمفضول ايضا درجة وقصته ما روى مسلم عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد
الاسلام الا ان اسقي الحاج وقال الاخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال
لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله
فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
الخ قال الشيخ ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء بت
فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما تقولان
لقد صليت الى القبلة ستة قبل الناس وانا صاحب الجهاد وفي رواية ستة اشهر بدل ستة فانزل الله اجعلتم
سقاية الحاج الاية وكان العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم
العباس اقره رسول الله على ذلك وعمارة المسجد الحرام عبارة عن بنايه وتشييده ومرمته وغير ذلك
مما ذكرنا قريبا واعلم ان السقاية والعمارة مصدران كالرعاية والحماية لا يمكن تشبيههما بالاعيان
والجثة فلا بد من تقدير مضاف اما في جانب المشبه اى اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن امن
الى اخره ويؤيده قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام واما في جانب المشبه به اى اجعلتم سقاية
الحاج كايمان من امن وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات واما لبعض المؤمنين
المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوها على الهجرة والجهاد ونظائرهما اما على الاول فهو توبيخ للمشركين وهذا
انكار لتشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بالسقاية والعمارة بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد
قال السلطان ومعنى اجعلتم الخ انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة والدليل
على ما قاله قوله تعالى **لا يستوون عند الله** يعني لا يستوي حال هؤلاء الذين امنوا بالله وجاهدوا في

سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع ايمان به
ثم بين عدم تساويهم بقوله **والله لا يهدي** اى لا يوفق ولا يرشد **القوم الظالمين** اى القوم الكافرين
الظالمين انفسهم بالاشراك بالله ومعاداة الرسول فلا حكم لهم في الضلالة لا يساوون الذين هداهم الله
ووفقهم للحق والصواب وقيل اراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين لا مطلق الكفرة وفي
الاسرار اراد بالظالمين الذين ظنوا المسلمين بالتسوية الحجة والاستدلال الى الاسلام لان منهم من اسلم
كعباس بن عبد المطلب والحمزة الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن المقام انتهى ثم صرح بالفرق فقال
بقوله **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة**
يعني ان من كان موصوفا بالايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم منزلة ورتبة
عند الله ممن لم يجتمع فيه هذه الصفات وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر ثم على تقدير ان يكون الفريقان
المتحاوران المتناظران كافرا ومؤمنا يرد عليه ان هذا يقتضي ان يكون للمفضل عليه ايضا درجة ولكنه
ليس للكافر درجة والجواب ان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة و
الفضيلة وذكر عند الله للتشريف والتعظيم وكذلك ذكر قوله **واولئك هم الفائزون**
بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله **يبشرهم ربهم**
يعني يخبرهم ربهم الذي رباهم بنعمة الخلق والوجود وغيره والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان
عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار وقرأ حمزة بفتح الياء وضم الراء بالتخفيف
والباقون بضمها وكسر الشين والتشديد ثم فسر ما بشرهم به بقوله **برحمة** اى بثواب عظيم **منه**
ورضوان اى بالرضاء عنهم وهذا نهاية مقصود العبد اللهم ارزقني الرضا كل الرضا **وجنات**
لهم فيها اى في تلك الجنات **نعيم مقيم** اى دائم لا ينقطع عنهم ابدا لخصيصه بشرهم بجنات
دائمة وسعادات باقية لا حصر لها وهذا تكرر للبشرية **خالدين فيها** اى في تلك الجنات والنعيم **ابدا**
اى لا انقطاع لذلك الخلود بالتأبيد حتى لا يحمل على المكث الطويل **ان الله عنده اجر عظيم** لا
يحاط به ولا يخطر على قلب بشر وهذا لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قال بعض المشايخ من وصل الى
مقام التشرف بالعندية فالله العظيم اجره اى رؤيته ولقاؤه اجره وهذا هو رضوان الاكبر واعلم ان
القلوب مجبولة على محبة من بشر بالخير فاراد الحق سبحانه ان تكون محبة العبد له سبحانه على الخصوص
ولهذا تولى بشارتهم بعزيز خطابه ولذيذ كلامه من غير واسطة الملئكة فقال يبشرهم ربهم لي في
معناه انشدوا ∴ لولا تمتع مقلتي بلقائه ∴ لوهبتها لمبشري باتيانه ∴ ويقال يبشر العاصي بالرحمة
والمطيع بالرضوان ثم الكافة بالجنة ثم لما امر الله رسوله عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابيه
واخيه وقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى الاجابة ويعجب ذلك ومنهم من يتعلق
به زوجته او ولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل **يا ايها الذين آمنوا**
لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء والمعنى لا تتخذوهم اولياء وبطانة يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة قال السلطان والاية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا
اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين

الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة يؤيد ما قلنا والمعنى لا تتخذوهم اولياء الخ بدليل قوله **ان**
استحبوا اى ان اختاروا **الكفر على الايمان** واقاموا على الكفر فلا تتولوهم قال الاستاذ وهذه
الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وفي رواية عن ابن
عباس نزلت هذه الاية في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن ولم يتم ايمانه الا بان يهاجر
ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فشق عليهم فنزلت فهاجروا ولما اشتغلوا قال الامام فخر
الدين الرازي هذا مشكل لان الصحيح ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة فكيف يمكن حمل هذه الاية على ما
ذكر ثم قال فالاقرب ان تحمل على انه تعالى امر المؤمنين بالتبري عن المشركين وبالغ في ايجابه فقالوا كيف
يمكن هذا الانقطاع التام بين الرجل وابيه واخوانه فذكر الله تعالى ان ذلك الانقطاع واجب بسبب
كفرهم فالمؤمن لا يوالي الكافر وان كان من اقرب اقاربه ويمكن ان يقال في دفع الاشكال ان المفسرين
قد صرحوا بان المنزل بعد فتح مكة هو تمام السورة وهو لا ينافي نزول بعض آياتها قبل فتحها فيحتمل
ان يكون نزول هذه الاية قبل فتحها فحصل التوفيق واضمحل الاشكال وانما قلنا والاية نزلت في المهاجرين
مرتين لاختلاف بعض الكلمات في الروايات ويقع مثل هذا كثيرا **ومن يتولهم** اى ومن يتولى الكافرين
منكم فاولئك هم الظالمون قال البيضاوي بسبب وضعهم الموالاة في غير محلها وقد تلقى البيضاوي
اكثر المفسرين في اول العبارة ثم زادوا عليه لدفع الاشكال لان عبارته يحتمل ان يراد بالظلم ظلم معصية
وظلم كفر كما لا يخفى على المتأمل ولكن عبارة الامام البغوي مصرح بانه اراد بالظلم ظلم الكفر وكذلك
عبارة صاحب اللباب وصاحب الغاية وصاحب الاسرار وصاحب العقل السليم ونفصل لكم عباراتهم
اما البغوي فانه قال ومن يتولهم منكم فيطلعهم على عورة المسلمين ويؤثر المقام معهم على الهجرة والجهاد
فاولئك هم الظالمون وكان في ذلك الوقت لا يقبل الاسلام الا من مهاجر فهذا معنى قوله واولئك هم
الظالمون واما صاحب اللباب فانه قال ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه
بمخالفة امر الله واختيار الكفار على المؤمنين واما عبارة صاحب الغاية فانه بعد ما ساق عبارة البيضاوي
ثم قال بعد ذلك وانما نص على الظلم لان النهي ظاهر في التحريم واما عبارة العمادي فانه ايضا بعد ما ساق
عبارة البيضاوي قال كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم واما عبارة صاحب الاسرار فانه قال بعد ما ساق عبارة
البيضاوي قال ابن عباس يريد انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ابعد الناس اليه ويبغض في الله اقرب
الناس اليه قلت ومن الى عبارة البيضاوي في مثل هذا المقام فقد استراح والله اعلم باسرار كتابه
وعليه اعتمادي واستنادي ولما نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ قال الذين اسلموا ولم يهاجروا
ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى
قل اى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة **ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم**
وعشيرتكم والمراد بالعشيرة الاقرباء من اهل الانسان ماخوذ من العشرة قال في القاموس عشيرة الرجل
بنو ابيه الادنون او قبيلته وقيل ماخوذ من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة
وقرأ ابو بكر وعشيراتكم على الجمع وقرئ وعشايركم **واموال اقترفتموها** اى اكتسبتموها **وتجارة تخشون**

كسادها اى بما اشتريتموه تخافون خسرانها وعدم نفاقها بفوات وقت رواجها كفوات الموسم مثلا
ومساكن ترضونها اى منازل تعجبكم الاقامة فيها احب حركات الميم اراد الحب الاختيارى دون
فانه لا يدخل تحت التكليف المحفظ عنه من الله ورسوله اى من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد فى
سبيله اى فى اعزاز دينه تخصيصه ان الله بين انه يجب تحمل المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما واخزاه
ان كانت رعاية هذه المصالح الدنياوية عندكم احب واولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن
المجاهدة فى سبيله فتربصوا اى فانتظروا حتى يأتى الله بامره اى بقهره والامر عقوبة
عاجلة او اجلة قال عطاء معنى بامره اى بقضائه وقال مقاتل معنى بامره اى بفتح مكة وعلى كل حال هو امر
تهديد وتخويف والله لا يهدى اى لا يرشد القوم الفاسقين اى الخارجين عن طاعته وفى الغاية
وهم الذين طبع الله على قلوبهم قال السلطان وفى الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه قال الاستاد فى
الاية تنزيل لوجود الهداية فى حقهم منزلة العدم لعدم الاثر وفى الاية دليل على انه اذا وقع تعارض بين
مصالح الدنيا ومصالح الدين وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قيل قوله عز وجل ولما
نكثوا ايمانهم من بعدهم الى هنا نزل قبل فتح مكة فى المدينة ثم نزل بعد فتحها لقد نصركم الله النصر
المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم فى مواطن اماكن الحرب كثيرة كبدر والنضير وقريظة
وغير ذلك قال الاستاد والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر فى الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة فى حديثه
قاتل فى ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد
نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اى ونصركم الله فى يوم حنين ايضا فاعلم ان الله هو الذى
يتولى نصر المؤمنين فى كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب
من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز ويوم حنين عطف
على محل فى مواطن بحذف المضاف فى المعطوف او المعطوف اليه اى وموطن يوم حنين او التقدير فى ايام
مواطن كثيرة ويوم حنين ليتناسب الاماكن او الازمنة فيقع حرف العطف موقعه ويجوز ان يراد
بالموطن الوقت كمقتل الحسين وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف
فى شوال فى اثنى عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وقال عطاء
كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبى كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة
الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل
فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفى رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم
قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم تنادوا يا حماة السوء
اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس
فلما انجفل القوم هربوا ف عن ابى اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال

فقال اشهد على نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحى
من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر
وهو يقول انا النبى لا كذب . انا ابن عبد المطلب . اللهم انزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم
قال الشيخ ومن دعائه يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وقد روى ان موسى
عليه السلام دعا بهذه الكلمات يوم فلق له البحر قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقى به وان
الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابن اسحاق قال قال رجل للبراء
ابن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج
شبان اصحابه واخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط
لهم سهم جمع هوازن وبنى نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لا كذب . انا ابن عبد المطلب . ثم صفهم قال الاستاد قوله
عليه السلام انا النبى لا كذب الخ دال على كمال شجاعته حيث لم يخف اسمه فى تلك الحالة ولم يخف
الكفار على نفسه وروى شعبة عن ابى اسحاق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة وانا
لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسرعون من
الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم باسرهم
الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر البأس
يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالباء الموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبى كان حول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم
يومئذ غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه سفيان بن الحارث وايمن بن ام ايمن قتل يوم
حنين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن حبان ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس وابو سفيان بن الحارث
وابن جعفر وعلى بن ابى طالب وربيعة بن الحارث والفضل بن العباس واسامة بن زيد وايمن بن عبيد الله
هؤلاء من اهل بيته وثبت معه ابو بكر وعمر رضوان الله عليهم اجمعين م عن العباس بن عبد المطلب رضى الله
عنهما قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن نفاثة
الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار
قال العباس وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ
بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى
صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها

فقالوا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا هم والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار
ثم قصرت على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه
الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم
بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه كلمة
لم تسمع قبل ان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم وهي مما اقتضبه وانشاه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم
كليلا يعني لا يقطع شيئا وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما
غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم
وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله
وقسم غنائمهم بين المسلمين اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين وروي ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق
والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا نحن واصحاب محمد
لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا
قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انهم لم يقاتلوا
الا يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مددا وعونا وذكر الامام البغوي ان الزهري قال بلغني ان شيبة بن
عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن
ابي طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في نفسي فالتفت الي فضرب في صدري
وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك
رسول الله قد اطلعك الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها
عيالهم واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره على الجيش فسار
الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب
اميرهم مالك بن عوف النصري فاتى الطائف فتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير
المسلمين رضوان الله عليه قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ثم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف
عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس وتألف اناسا منهم ابو سفيان
بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق عن انس بن مالك ان
ناسا من الانصار قالوا يوم حنين لما افاء الله على رسوله من اموال هوازن ما افاء فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم

في قبة

في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني
عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثة اسنانهم
فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتألفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رحالكم برسول
الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون
بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس
فلم نصبر ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في
المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم
فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم
الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا الله
ورسوله امن قال لو شئتم قلتم كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون
بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادي
الانصار وشعبها الانصار شعار والناس دثار م عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال اعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس
كل انسان مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس ∴ اتجعل نهبي
ونهب العبيد بين عيينة والاقرع ∴ فما كان حصن ولا حابس ∴ يفوقان مرداس في المجمع ∴ وما كنت
دون امرئ منهما ∴ ومن تخفض اليوم لا يرفع ∴ قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة خ عن المسور
ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد عليهم اموالهم
وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى
الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم
بضعة عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى
الطائفتين قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد
فان اخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين واني قد رايت ان ارد سبيهم فمن احب ان يطيب ذلك لهم فليفعل فقال
الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى
يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا
واذنوا هذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين **اذ اعجبتكم كثرتكم** حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة واذ بدل من يوم حنين **فلم تغن عنكم**
كثرتكم **شيئا** من الاغناء او من امر العدو يعني ان الظفر على العدو فليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله
ومعونته **وضاقت عليكم الارض** **بما رحبت** اي برحبها وسعتها وفضائها على ان ما
مصدرية والباء بمعنى مع والمعنى انكم لا تجدون موضعا تلجأون اليه وتطمئنون فيه من شدة خوفكم
او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه **ثم وليتم مدبرين** منهزمين وثبت النبي مع عمه العباس وابن عمه

رجعتم

ابو سفيان بن الحارث هكذا عند اكثر المفسرين وقد شرحنا روايات كثيرة قريبا ثم انزل الله سكينته
يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فواده
فلا يزال متحركا واذا امن سكن فواده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن
الامن على رسوله وعلى المؤمنين قال السلطان وانزل الله سكينته اي رحمته التي سكنوا بها وامنوا
على رسوله وعلى المومنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا
مع الرسول ولم يفروا انتهى قال الاستاد وانما كان انزال السكينة على المومنين الذين انهزموا لان الرسول عليه السلام
كان ساكن القلب قبل الانهزام وبعده ليس عنده اضطراب كما حصل للمومنين من الهزيمة والاضطراب
في هذه الواقعة وفي الغاية اراد بالسكينة الوقار وقوة القلب وقوله على رسوله وعلى المومنين اي الذين
ثبتوا معه او من تولى منهم فانهم كروا بعد الفرار انتهى ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا
الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر وانزل جنودا لم تروها
باعينكم يعني الملئكة وكانوا خمسة الاف او ثمانية او ستة عشر على الاختلاف الواقع بين المفسرين قال
الاستاد انزل لهم من السماء لتثبيت المومنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لان
الملئكة لم يقاتل الا يوم بدر وعذب الذين كفروا يعني اهل هوازن بالقتل والاسر وسبي العيال واخذ
الاموال وذلك التعذيب جزاء الكافرين في الدنيا ثم اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك
العذاب واعظم ثم يتوب الله من بعد ذلك الجرم العظيمة على من يشاء منهم بالتوفيق والهداية
للاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم ورد عليهم
سبيهم والله غفور لمن تاب رحيم بعباده يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم يا ايها الذين امنوا انما
المشركون نجس اي ذو نجس بفتح الجيم والتخفيف اي قذر لخبث باطنهم ورذالة شركهم وكفرهم
ولترك غسل الجنابة وعدم تحاشيهم وتحفظهم عن النجاسة وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس
او جعلوا كانهم نجس بعينه مبالغة في وصفهم بالنجاسة والمراد النجاسة الحكمية لا النجاسة العينية
والا لما طهرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير ولذلك قال الحسن
ابن صالح من مس مشركا فليتوضا ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة وقال الشيخ اراد هنا النجاسة
نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة ابدانهم وهذا هو
الاقوال قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من الكفار وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة
الاصنام وغيرهم وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو كبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس
قال الفراء اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه قالوا رجس نجس بكسر النون قال امامنا البغوي والنجس
بفتح النون مصدر يستوي فيه المذكر والانثى والتثنية والجمع فاما النجس بكسر النون وجزم الجيم فلا يقال
على الانفراد انما يقال رجس نجس فاذا افرد قيل نجس بفتح النون وكسر الجيم وقوله فلا يقربوا المسجد
الحرام اي لا يدخلوا الحرم فضلا عن دخول المسجد لنجاستهم قال اكثر ائمتنا والمراد منعهم من دخول
الحرم لانهم اذا دخلوا فقد قربوا من المسجد ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام اراد به الحرم لانه صلى الله عليه وسلم اسري به من بيت ام هانئ وقال السلطان فلا يقربوا
المسجد الحرام

المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد النهي عن الحج والعمرة
لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع انتهى والدليل في كونهم مخاطبين بالفروع لانهم كما يعذبون
بكفرهم يعذبون بعدم امتثالهم للاوامر وعدم اجتنابهم عن المناهي وفي الجامع قال الامام منطوق الاية
لا يناسب قول ابي حنيفة ومفهومها لا يناسب قول مالك ومن الحنفية من فسر القرب بالتمكين وشتان بينهما
لفظا ومعنى ومنهم من فسر القرب بالحج والعمرة ويستدل بنداء علي رضي الله عنه حين نادى في الموسم ان لا
يحج بعد هذا العام مشرك قال الاستاد وهذا النداء من اقوى الدليل لمنع المشركين من قرب المسجد الحرام قال
صاحب اللباب قال العلماء وجملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان
يدخله بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار
الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج
الحرم وجوز ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده
ما بين اليمامة وبين اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها
حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد
وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكافر دخول ارض الحجاز بالاذن
ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلثة ايام م عن عمر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم واوصى
فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا
ثلثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا
مرسلا م عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان يئس ان يعبده
المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى
اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن
جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث ساير بلاد الاسلام فيجوز للكافر
ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى بعد عامهم
هذا يعني العام الذي حج فيه ابو بكر الصديق بالناس ونادى علي فيه ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك
وهو سنة تسع من الهجرة وقيل سنة حجة الوداع ثم لما نزلت هذه الاية عسر على المسلمين ذلك النهي وقالوا
من ياتينا بطعامنا وكان الكفار يقدمون اليهم بالتجارات فنزل وان خفتم عيلة اي فقرا وفاقة
وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام والارزاق ويتجرون
فلما منعوا من دخول الحرم خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وقد اغناهم الله بالفتوح والجزية
وبانزال المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش باليمن وجلبوا الميرة
الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافونه وقرئ عايلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء

قيده بالمشية ليقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض
وفي عام دون عام لان ابراهيم عليه السلام قال في دعائه وارزق اهله من الثمرات من امن بالله وكلمة
من للتبعيض فقوله ههنا ان شاء الله المراد منه ذلك التبعيض قال الاستاد والمقصود من ذكر هذا الشرط
تعليم رعاية الادب كما في قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله **ان الله عليم** بما يصلحكم **حكيم**
فيما يعطي ويمنع فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب
ويقال من اناخ بعفو كريم مولاه ۰ واستمطر سحاب جوده اغناه ۰ عن كل سبب ۰ وكفاه كل تعب ۰ وقضى
له كل سؤل وارب ۰ واعطاه من غير طلب ۰ ثم لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة شرع
يبين احكام اهل الكتاب فقال **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ولو امنوا بهما
لامنوا بالنبي اي قاتلوا الذين لا يؤمنون بهما على ما ينبغي فايمانهم كلا ايمان لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة
والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بقتالهم وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك
المشركين قال الشيخ فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر الله عنهم
انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر قلت ان ايمانهم بالله ليس كايمان المؤمنين وذلك ان اليهود يعتقدون التجسيم
والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يؤمن بالله وقيل ان من اعتقد ان العزير ابن الله
وان المسيح ابن الله فليس يؤمن بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس يؤمن بالله واليهود
والنصارى يكذبون اكثر الانبياء فليسوا مؤمنين بالله واما ايمانهم باليوم الاخر فليس كايمان المؤمنين
وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون
ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المؤمنين وان زعم انه مؤمن **ولا يحرمون ما حرم الله**
ورسوله اي ولا يحرمون الخمر والخنزير او انهم لا يحرمون ما حرم الله في القران ولا ما حرم رسوله في السنة
او معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما واتوا باحكام من قبل انفسهم **ولا يدينون دين الحق**
اي لا يعتقدون دين الثابت الناسخ لغيره من الاديان وهو الاسلام بدليل قوله ان الدين عند الله الاسلام
ولا يدينون دين الحق سبحانه يعني دين الله لان الحق هو الله او لا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون
الله كطاعتهم **من** البيان للذين لا يؤمنون **الذين اوتوا الكتاب** اي اعطوا الكتاب وهم اليهود و
النصارى **حتى يعطوا الجزية** غاية للقتال المامور به والجزية ما يعطي المعاهد من اهل الكتاب على عهده
وهي عطية عقوبة جزاء على الكفر على ما قطعه رسول الله على اهل الذمة سميت للخراج المضروب في كل سنة
على رقابهم جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم قال السلطان مشتق من جزى دينه اذا قضاه **عن يد**
اي عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد وقال ابن عباس يعطونها
بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا لا نسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام
المسلمين عليهم بقبولها منهم وهي حال عن الفاعل اي يعطونها مقهورين اذلاء وكذلك قوله **وهم**
صاغرون من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم اذلاء مكروبون وقال
عكرمة يعطون وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من احدهم وتوطأ
عنقه وقال الكلبي اذا اعطى يصفع قفاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ويقال له

اذ حق الله

اذ حق الله يا عدو الله وقال الشافعي رحمه الله الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم **فصل**
في بيان حكم الاية اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا
عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب محمد بن ادريس الشافعي الى ان
الجزية على الاديان لا على الانساب فتؤخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا تؤخذ من عبدة الاوثان
بحال واحتج بما روي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة
فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود قال الشافعي رحمه الله وهو رجل من العرب
يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية تؤخذ
من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة تؤخذ من اهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي العجم ولا
تؤخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجم كتابيا كان
او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على جواز اخذها منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة بن عبدة قال
عنه لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها
من مجوس هجر اخرجه البخاري في الدارك واما المجوس فيلحقون باهل الكتاب في قبول الجزية وكذا الترك
والهنود وغيرهما بخلاف مشركي العرب لما روى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على
الجزية الا من كان من العرب انتهى عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري
كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم
سنة اهل الكتاب اخرجه مالك في الموطا عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر
اخرجه مالك في الموطا وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راي الصحابة كان على انها لا تؤخذ من كل مشرك وانما
تؤخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم
واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من
غيرهم من المشركين نظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فيقرون بالجزية وتحل مناكحتهم
وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون
بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او قبله
يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فمنهم نصارى العرب
من تنوخ وبهراء وبني تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة
فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية فاقلها
دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن
معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم
يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود والنبي صلى الله عليه وسلم

امره ان يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على
انه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما تؤخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على
كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب ابي حنيفة ويدل عليه
ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق
اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلثة ايام اخرجه مالك في الموطا قال اصحاب الشافعي اقل
الجزية دينار لا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى
الغني اربعة دنانير قال العلماء انما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لآبائهم
الذين انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قد
فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود
من اخذ الجزية من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمائهم وامهالهم
رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يؤمنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلائله
وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل **وَقَالَتِ الْيَهُودُ** جملة مبتداة سيقت لتقرير ما مر من
عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين **عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**
مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نونه وهو
عاصم والكسائي فقد جعلاه عربيا فيكون منصرفا وتنوينه على الاصل والسبب في قولهم عزير ابن الله
ما روى عطية العوفي عن ابن عباس ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة
ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله وابتهل فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به فلما جربوه
وجدوه صادقا فيه ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على
الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بخت نصر
لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره
فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عز وجل عزيرا ليجدد لهم التوراة
ويكون لهم اية بعد ما اماته الله مائة سنة قال فاتاه ملك باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة
في صدره فلما اتاهم قال انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره
ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه
حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة
في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله وهذا القول اشنع كان فاشيا في اليهود
جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار متاخري اليهود ذلك فان
خبر الله اصدق شاهد عليهم وقال السلطان انما قال هذا القول الشنيع بعضهم من متقدميهم ممن
كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما جاء
بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك قالوا ما هذا الا ابن الله والدليل على ان هذا
كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب انتهى **وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ**

ابْنُ اللَّهِ قاله بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها قال الامام فخر الدين الرازي بعد ان حكى حكاية بولص
الذي افسد عليهم دينهم بالحيل والخديعة والاقرب عندي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل
على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة
الحقيقة والجهال قبلوا ذلك منهم وفشى هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم
بحقيقة الحال قلت وقد اشتهرت وفشت في هذه الامة المحمدية مع وجود القران بين اظهرنا وسنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكثرة العلماء اقوال شنيعة لا يقبله العقل والنقل كالقول بوحدة الوجود سبحان من هو باين
عن خلقه ليس كمثله شيء والقول باسلام من اجمع على كفره فان الايمان عند الياس لا ينفع والحق سبحانه وتعالى
يقول بعد هلاك العدو واغراقه فاخذه الله نكال الاخرة بالاحراق والاولى بالاغراق وكفى بالله شهيدا
والسكوت عن الحق مع القدرة والرضى بذلك لا يخفى معناه نبهنا الله من نوم الغفلة قوله **ذَلِكَ** اشارة
الى ما صدر عنهم من القولين الشنيعين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة
والفظاعة **قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ** اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار
بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه الذي ليس له معنى في نفس الامر وتخصيصه
انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر الله قولا مقرونا
بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له **يُضَاهِئُونَ** اي يشابهون ويوافقون
قرا العامة بضم الهاء بعدها واو وعاصم بها مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو والكلام على حذف
المضاف اي يضاهي قولهم **قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ** اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان
الكفر قديم فيهم قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله
كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهئون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون
ان الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكفرة
وقال القتيبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال اولهم
قَاتَلَهُمُ اللَّهُ اي لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى
التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله
الله ما اعجب فعله والحاصل دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك **أَنَّى يُؤْفَكُونَ** اي كيف
يصرفون عن الحق الى الباطل بعد وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على
عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل **اتَّخَذُوا**
اهل الكتابين **أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** يعني اتخذ اليهود والنصارى علماءهم
وقراءهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم
والاحبار العلماء من اليهود من اولاد هارون والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى عن عدي
ابن حاتم رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي

اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا
حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سوء
ورهبانها **والمسيح ابن مريم** يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والحلول اعتقدوا
الالهية بان جعلوه ابنا لله **وما امروا** اي والحال ان اهل الكتاب ما امروا في كتابيهم وعلى السنة انبيائهم
يعني ما امر موسى وعيسى قومهما او وما امروا في جميع الكتب الالهية **الا ليعبدوا** اي بان يطيعوا
الها واحدا يعني الا قوله اعبدوا الله ربي وربكم لانه هو المستحق للعبادة لا غيره **لا اله الا هو** استئناف
مقرر للتوحيد او صفة ثانية لالها **سبحانه عما يشركون** تنزيه له عن ان يكون له شريك
يعبدونه قال الاستاد معناه تعالى الله وتنزه عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام او ان يكون
له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال **يريدون ان يطفئوا** اي يريد رؤساء اليهود والنصارى
المتقدموا (؟) ويبطلوا **نور الله** اي القران الدال الناطق على تنزيه الله عن الشريك والصاحبة
والولد او حجج الله وشرعه وبراهينه الدالة على وحدانيته وتقديسه عن الولد وعن كل ما لا يليق به
الاقدس او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يعني معجزاته الباهرات الخارقة للعادات التي ظهرت على يده عليه السلام
الدالة على صدقه فهذه المذكورات انوار نيرة ودلايل واضحة في صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك
بافواههم اي بالسنتهم يعني بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله تلخيصه يريدون ان يردوا
القران تكذيبا بالسنتهم او يريدون ان يغيروا دين الاسلام بالسنتهم او يريدون ان يبطلوا نبوة محمد عليه
السلام بالسنتهم وكلمة التوحيد بالشرك **ويابى الله** اي لا يرضى الله ولا يترك **الا ان يتم** اي الا ان يظهر
نوره اي دينه الاسلام تلخيصه لا يريد الله الا اتمام هذا النور وهو اعلاء التوحيد واعزاز الاسلام في
القران والعمل به وايضاح الحجة والبرهان **ولو كره الكافرون** اي ولو كره الكافرون اتمام نور الله فهو
يظهره قال الاستاد وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة
وكلتاهما في موضع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ولو كرهوه اي على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق
عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى فالا الشيء مثل حالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه واتمام الاستثناء
المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي لان قوله تعالى ويابى الله يعني لا يريد الله لوقوعه في مقابلة قوله
تعالى يريدون الخ يعني هم يريدون الاطفاء والله تعالى لا يريد الا الاتمام وفيه من المبالغة والدلالة على
الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على
عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره تعالى زيادة اعتناء بشانه وتشريف
له على تشريف قوله عز وجل **هو الذي ارسل رسوله** يعني ان الله الذي يابى الا ان يتم دينه هو الذي
ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ملتبسا **بالهدى** اي بالقران الذي هو هدى للمتقين او بالعرفان
الذي انزل عليه وجعله هاديا اليه وقيل ببيان الفرائض **ودين الحق** اي الثابت وهو دين الاسلام

ويقال دين الله لان الحق هو الله والضمير في **ليظهره** للدين او للرسول اي ليغلبه وينصره **على**
الدين كله يعني على ساير الاديان كلها بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة او على اهلها قال ابن عباس
الهاء في ليظهره عايدة الى الرسول عليه السلام والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره عليها
حتى لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى ليظهر دين الاسلام
على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به قال ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه السلام
فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن
المقداد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر
الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز وبذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما
ان يذلهم فيدينون له كذا اخرجه البغوي بغير سند — عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى قلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ما شاء الله
ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه
فيرجعون الى دين ابايهم قال الشافعي رحمه الله فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان بان
ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك دينان دين
اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل
اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا
ظهوره على الدين كله والكلام في قوله تعالى **ولو كره المشركون** كالكلام فيما سبق الا ان وصفهم بالشرك
بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله ثم لما وصف الله الاحبار و
الرهبان بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية اراد ان يصفهم بالطمع والحرص تنقيصا لهم وتحقيرا لشانهم
ودلالة على ان هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا فقال **يا ايها الذين امنوا ان**
كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان
من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال الناس بالباطل
ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل في قوله عز وجل **لياكلون**
اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو اعظم
مقاصده والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل
المعنى انهم كانوا يكتبون بايديهم كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذا من عند الله وياخذون بها ثمنا
قليلا وهي الماكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم
لانهم كانوا يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك الماكل وقيل ان التورية كانت مشتملة على ايات
دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها وجوها فاسدة باطلة
ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى **ويصدون**

عن سبيل الله اى عن دين الاسلام والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كان هذا صفتهم فانهم الذين
قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ولعمرى ان من تامل فى احوال الناس والتزهد فى اهل زماننا وجد
هذه الايات كانها ما نزلت الا فى شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعى انه لا يلتفت الى الجنة
ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه فى الطهارة والعصمة مثل الملئكة المقربين حتى اذا آل الامر
الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة والذين مبتداء ضمن معنى الشرط ولذلك
دخلت الفاء فى خبره فى قوله فبشرهم فالجملة مستانفة حينئذ او عطف على الاحبار والرهبان فيكون
الموصول لبيان اوصاف الكثير من الاحبار والرهبان يكنزون اى يجمعون ويدخرون فان اصل الكنز
الجمع وجعل الشئ بعضه على بعض سواء كان ذلك بالدفن او بوجه اخر الذهب والفضة خصا
بالذكر لفضلهما على سائر الاموال من انهما اصل التمول واثمان الاشياء او لان ذكرهما الكنز دليل
على ثبوت ما سواهما لعند الكانز غالبا والموصول اما عبارة عن الكثير من الاحبار والرهبان كما ذكرنا
فيكون مبالغة فى الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل فى
الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله ولا ينفقونها فى سبيل
الله فيكون نظمهم فى سلك المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم مثلهم فى استحقاق
البشارة بالعذاب الاليم قال البغوى عند قوله تعالى فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال بعض الصحابة هذه
الاية فى اهل الكتاب وقال الاكثرون هى عامة فى اهل الكتاب وفى المسلمين وبه قال ابوذر رضى الله عنه فالمراد
بالانفاق فى سبيل الله الزكوة لما روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية
كبر ذلك على المسلمين وقالوا ما يستطيع احد منا ان يدع لولده شيئا فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم ولما روى البيهقى وغيره عن ابن عمر عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ما ادى زكوته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز انما يكون اعتد عدم
الانفاق فيما امر الله تعالى بالانفاق فيه واما ما روى البخارى فى تاريخه عن ابى ذر من قوله صلى
الله عليه وسلم من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد زكوتها لقوله صلى الله
عليه وسلم فيما اورده الشيخان مرويا عن ابى هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها
الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره وصح الاثر
فى هذه الاية ما ذكره ابن عمر ان كل مال اديت زكوته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه اكتنازه
وان كثر وان كل مال لم تؤد زكوته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه
الزكوة ويحق على منع الزكوة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه
وفى رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو فقال
هو المال الذى لا تؤدى منه الزكوة ورواه الطبرانى بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت زكوته فليس
بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكوته فهو الكنز الذى ذكره الله فى القران يكوى به صاحبه
وان لم يكن مدفونا وروى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها
كنز وقيل الكنز كلما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روى الطبرى بسنده عن ابى امامة قال توفى

رجل من اهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال النبى صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى اخر فوجد فى
مئزره ديناران فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا فى اول الاسلام قبل ان تفرض الزكوة
فكان يجب على كل من فضل معه شئ من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكوة نسخ
ذلك الحكم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته
واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين
يكنزون الاية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت فى الذهب والفضة
فلو علمنا اى المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة
صالحة تعين المؤمن على ايمانه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقد اشرنا الى اصح الاقوال فى معنى
هذه الاية خ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد
زكوته مثل له ماله شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعنى
شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم الاية الشجاع الحية والاقرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب
وهى صفة اخبث الحيات والزبيبتان هما الزبدتان فى الشدقين واللهزمتان عظمان
نابتان فى اللحيين تحت الاذنين فان قيل كيف قال ولا ينفقونها والمذكور الذهب والفضة فاعاد
الضمير على احدهما قلنا اعاد الضمير على الفضة لانها اقرب المذكورين استغناء بذكره عن ذكر الاخر
بمعرفة السامع باشتراكهما فى المعنى المقصود او لانها اكثر وجودا فى ايدى الناس فيكون كنزها اكثر
ونظيره قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة او على المكنوزات من الدراهم والدنانير والاموال
لان الحكم عام فى جميع الاموال غير مختص بهما ونظيره قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا لان كل
طائفة مشتملة على عدد كثير بتخصيصه رد الكناية الى الاموال المكنوزة وهى اعيان الذهب والفضة او
الى الفضة لانها اغلب اموال الناس فبشرهم اى اخبرهم بعذاب اليم يعنى الكى بها للكافرين الذين
لا يؤدون زكاة اموالهم ق عن ابى ذر رضى الله عنه قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس
فى ظل الكعبة فلما رانى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت
يا رسول الله فداك ابى وامى من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكوتها
الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاؤه باظلافها كلما نفدت اخراها
عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم وقد روى البخارى فى موضعين واما الحديث الذى
رواه ابو هريرة فقد ذكرنا صدره قريبا واما تمامه فعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت
له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت
له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما
الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها

الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطاؤه باخفافها
وتعضه بافواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى
يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب
بقر ولا غنم لا يؤدى حقها الا اذا كان يوم القيمة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء
ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم
بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها
بردت بالباء وهذا هو الصواب والرواية الاولى رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكي
اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي الشاة الملتوية
القرنين وانما استثناها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضباء
وهي الشاة المكسورة القرن قوله يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون
او باذكر يحمى اي يوم توقد النار ذات حمى وحر شديد عليها اي على الكنوز في نار
جهنم واصله تحمى الكنوز بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة في شدة حر الكنوز المكوي بها لان الاحماء
التسخين والنار في ذاتها سخنة فتسخينها يكون مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور
تنبيها على المقصود وهو شدة حر الكنوز فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير قال الاستاد معناه
يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة فتكوى اي تحرق بها
اي بالكنوز جباههم اي جباه كافريها وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود لا يوضع دينار على
دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته وانما خص
هذه لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم
ازوروا عن السائل واعرضوا عنه بالجباه والجنوب وولوه ظهورهم وهذا داب مانعي البر والاحسان
وعادة البخلاء او لان هذه الاعضاء اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه فان قيل
من لم يكنز ولم ينفق في سبيل الله في المعاصي هل يكون حكمه في الوعيد حكم من كنز ولم ينفق في سبيل الله قلت
ان ذلك اشد لان من بذر ماله في المعاصي عصى من جهتين عدم الانفاق في سبيل الله والتبذير
كشراء الخمر وشربها بل من جهات ان كانت المعصية تتعدى كمن اعان على ظلم مسلم من قتله واخذ ماله
ثم يقال لهم توبيخا هذا ما كنزتم اي جمعتم لانفسكم اي لتنفعها في الدنيا فصار عينا
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا العذاب بما كنتم تكنزون
في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها وقرئ تكنزون بضم النون قال الاستاد ويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة سماهم المشركين ف عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها
ملأ من قريش اذ جاء رجل اخشن الجسد اخشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين برضف يحمى
عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه

حتى يخرج

حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت احدا منهم رجع اليه شيئا
قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هؤلاء لا يعقلون
شيئا هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه
فقلت ما شيء سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيئا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي
الجامع واخرج الشيخان ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا
خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا والنسائي ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جاء يوم القيمة
شجاعا من نار فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى
بين الناس وصح عن ابن مسعود امرنا باقام الصلوة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له
وفي رواية فليس بمسلم والطبراني ما تلف مال في بر ولا بحر الا بمنع الزكاة مانع الزكاة يوم القيمة في
النار والبزار والبيهقي ما خالطت الصدقة او قال الزكوة مالا الا افسدته وصح ما منع قوم الزكوة الا
حبس الله عنهم القطر وفي رواية صحيحة الا ابتلاهم الله بالسنين والطبراني حصنوا اموالكم بالزكاة
وداووا مرضاكم بالصدقة واعدوا للبلاء الدعاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من كان له
مال يبلغه حج بيت الله ولم يحج او يجب فيه الزكوة ولم يزك يسال الرجعة عند الموت فقال له رجل اتق
الله يا ابن عباس فانما يسال الرجعة الكفار فقال ابن عباس سأتلو عليك بذلك قرانا قال الله تعالى
وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اي اؤدي
الزكاة واكن من الصالحين اي احج والخطيب وغيره طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء والديلمي الويل كل الويل
لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر وابن عدي لا يجتمع الايمان والبخل في قلب رجل مؤمن ابدا قال
الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيمة وفي هذا الباب ايات واحاديث كثيرة اكتفينا بهذا المقدار قوله تعالى ان عدة الشهور عند
الله اثنا عشر قرأ الجمهور بفتح الشين شهرا وهي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر
وجمادى الاولى وجمادى الاخرى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة
وذو الحجة والمعنى ان مبلغ عددها المعتد به للسنة من غير زيادة عند الله يعني في علمه وحكمه اثنى
عشر شهرا شهور السنة القمرية في كتاب الله اي مثبتا في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه
جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على
الحساب ومنازل القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ به وفي تفسير
السمرقندي ويقال ان عدة الشهور يعني عدة الشهور التي وجبت عليكم الزكاة فيها اثنا عشر شهرا
قلت مراده بهذا المعنى ربط الاية بما قبله لان المراد هنا بيان ان احكام الشرع مطلقا تبتني على الشهور
القمرية المحسوبة بالاهلة لقوله تعالى يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج دون الشمسية قوله
عدة الشهور اسم ان وقوله عند الله معمول لعدة لانها مصدر وقوله اثنا عشر شهرا خبر ان وقوله في كتاب الله
صفة لاثنا عشر شهرا قال الاستاد اراد الله بهذه الشهور شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير
القمر في المنازل وهي شهور العرب التي تعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر

امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن
دور الشمس فى الفلك دورة تامة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية
عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج
تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل النسىء يعنى به تاخير
حرمة الى شهر اخر وكانت العرب فى الجاهلية اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه
شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وكانوا ينقلون الحج من الشهر الذى
امر الله باقامته فيه الى شهر اخر فكان يقع حجهم تارة فى وقته وتارة فى المحرم وتارة فى الصفر وتارة
فى غيره من الشهور فامر الله تعالى الناس واعلمهم فى القران على لسان نبيه بان عدد شهور سنة
المسلمين التى تعبد واها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وقوله **يوم خلق السموات**
والارض متعلق بما فى كتاب الله من معنى الثبوت او بنفس الكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا
امر ثابت فى نفس الامر من خلق الله السموات يعنى ان هذا الحكم حكم الله به وقضاه يوم خلق الله الاجرام
والازمنة ان السنة اثنا عشر شهرا قال الشيخ اليوم عبارة عن طلوع الشمس وغروبها وليس فى جلال القدم
شرق الحدث ومغربه المشارق هناك آزال وازال الازال والمغارب آباد وآباد الآباد والدهر الدهار د
الفلك الدوار فاين الان فى فنيم الرحمن او جد من العدم وقتا بنفس يوم خلق الخلق فى ذلك اليوم **منها** اى من
الشهور **اربعة حرم** جمع حرام سميت بذلك لتحريم القتال فيها واحد منها فرد وهو رجب مضر لترجيب
العرب اياه اى لتعظيمه ويقال له الاصب لانه يصب فيه البركات والاصم لانه تصم فيه الاذان عن سماع
قعقعة السلاح نطق بها الحديث وثلثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة
للحج والمحرم لتحريم القتال فيه قال الاستاد وانما سميت حرما لان العرب فى الجاهلية كانت تعظمها
وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقى قاتل ابيه وابنه واخيه فى هذه الاشهر لم تهجه ولما جاء
الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيئات
ايضا اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم ومن اراد تفاصيل فضايل اشهر رجب فليرجع
لغنية شيخنا عبد القادر الجيلانى قدس سره **ذلك** اى تحريم الاشهر الاربعة وتعظيمها **الدين القيم**
اى هو الدين القويم المستقيم القديم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب ورثوه منهما
الى ان غيره بنو كنانة بالنسىء الاتى ذكره قال السمرقندى فى تفسيره فى معنى الدين القيم يعنى ذلك القضاء
المستقيم لا يزاد عليها ولا ينقص وقال مقاتل بن حيان ذلك الدين القيم يعنى ذلك القضاء البين
وهكذا قال الضحاك انتهى وفى تفسير الاستاد بن معناه ذلك الدين المستقيم والعدد الصحيح المستوى والدين
بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعنى حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت
وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذى لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذى لا يزول قالوا يجب على
المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد فى صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واجل ديونهم وغير
ذلك من ساير احكام المسلمين المرتبة على الشهور **ق** عن ابى بكرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم

ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ثم قال اى شهر هذا قلنا
الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اى بلد هذا
قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاى يوم
هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن
اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه
ان يكون اوعى له من بعض ما سمعه ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد انتهى وانما اطنبنا
فى شرح الاية ليفهم المبتدى ويزيد بذلك على المنتهى والله اعلم بنيتى وهكذا ديدنتى الى اخر الكتاب
ان شاء الله تعالى نرجو من الناظر فى غيبتنا ان لا ينسى الحقير من صالح دعايه ثم قال الله تعالى
فلا تظلموا فيهن انفسكم اى فلا تظلموا انفسكم فى جميع اشهر السنة بفعل المعاصى وترك
الطاعات وانما قلنا فى جميع اشهر السنة لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصى
والفساد مطلقا فى جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الضمير فى قوله فيهن راجع الى الاشهر الحرم وهو قول
اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا فى الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان
الظلم على كل حال عظيما قلت فالمعنى على قول قتادة لا تظلموا انفسكم فى جميع اشهر السنة سيما فى الاشهر الحرم وقال
ابن عباس لا تظلموا فيهن انفسكم تريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا
حلالها حراما ولا حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسىء وقيل ان الانفس مجبولة بطبعها على الظلم
والفساد فالامتناع منه على الاطلاق شاق على الانفس لا جرم ان خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم
والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فلربما تركها فى بعض الاوقات
فتصير هذه الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصى فى غيرها من
الاشهر فهذا وجه الحكمة فى تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا
وفى بعض التفاسير وفى الاية تقديم وتاخير تقديره ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فلا تظلموا
فيهن انفسكم منها اربعة حرم يعنى وخاصة فى الاربعة الاشهر قال الاستاد فان قيل اجزاء الزمان متساوية
فى الحقيقة فما السبب فى تفضيل بعض الاشهر على بعض وتمييزه اجيب بان هذا المعنى غير مستعمل فى الشرايع
كما ميز الحرمين الشريفين والبيت المقدس عن ساير البلاد وميز يوم عرفة عن ساير الايام بعبادة مخصوصة
وميز يوم الجمعة عن ساير الايام وميز شهر رمضان عن ساير الشهور بمزيد حرمة وميز بعض ساعات
لوجوب الصلوة فيها وميز ليلة القدر عن ساير الليالى وميز بعض الاشخاص بالرسالة فاى استبعاد
فى تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فله
ان يعظم من امره ما شاء قال الاستاد وامر التفضيل مثبت فى الاشخاص الى قيام الساعة قال الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فالنبى عليه الصلاة والسلام فضل بعض اصحابه على بعض بما فيه من الخصايل
الحميدة ليس فى غيره والتابعين فضل بعضهم على بعض وهكذا الحكم فى المجتهدين ومن بعدهم فمنهم من يفضل
محمد بن ادريس الشافعى المطلبى لعلمه وزهده ونسبه المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يفضل مالكا

وابا حنيفة لعلمهما وسبقهما ومنهم من يفضل احمد بن محمد بن حنبل لعلمه وزهده حشرنا الله في زمرتهم
جميعا ومتعنا الله بعلومهم وبركاتهم والمرء مع من يحب قال البيضاوي في معنى قوله تعالى فلا تظلموا فيهن
انفسكم يعني بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم
بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس ان
يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة انتهى قلت واراد بالرواة في قوله ما روي انه صلى الله عليه وسلم
حاصر الطائف لح قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري واما عطاء بن ابي رباح فانه ينفي
بالنسخ لان ابن جريج قال حلف عطاء بن ابي رباح بالله بانه ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في
الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا ومما يؤيد ما ذهب اليه الجمهور ايضا هو انه صلى الله عليه وسلم كان في
الابتداء مأمورا بالصفح والاعراض عن المشركين ثم امر بالدعاء الى الدين بالموعظة والمجادلة بالتي هي احسن
بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة الاية ثم اذن بالقتال اذا كان البداءة من الكفار بقوله تعالى اذن
للذين يقاتلون الاية وبقوله تعالى فان قاتلوكم فاقتلوهم ثم امر بالقتال ابتداء في بعض الازمان بقوله تعالى
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الاية ثم امر بالبداءة بالقتال مطلقا في الازمان كلها وفي الاماكن
باسرها فقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وقوله تعالى وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
ومما يؤيد ما ذهب اليه الجمهور ايضا قوله تعالى **وقاتلوا المشركين كافة** اي جميعا في كل الشهور **كما يقاتلونكم**
كافة يعني كما انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتال المشركين ولا تتخاذلوا ولا
تتدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم
من المشركين في اي شهر ومكان كان لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة **واعلموا ان**
الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصر والمعونة على اعدائهم بسبب تقواهم ثم قرر الظلم
المنهي عنه بقوله **انما النسيء زيادة في الكفر** اي تاخير حرمة شهر الى شهر اخر كتاخير المحرم الى
صفر زيادة الاثم في كفرهم بحكم الله ومعنى النسيء المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام الى شهر اخر وذلك
ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة
ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك
ثلثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تاخير حربهم الى الاشهر الحلال
فنسؤا اي اخروا تحريم شهر الى شهر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحلون المحرم ويحرمون
صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا ويؤخرون شهرا
بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين
ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر رضي الله عنه
في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع
وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر
الى ذي الحجة

الى ذي الحجة كالاول يعني الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله
عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة
على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في اول من نسأ النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة
ومجاهد اول من نسأ بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكناني وقال
الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس في الموسم فاذا
هم الناس بالصدر قام فخطب الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له
المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال
ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا الاوتار وركبوا
الاسنة في الرماح واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم
وفينا ناسئ الشهر القلمس وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن
الضحاك عن ابن عباس ان اول من نسأ النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والصحيح من حديث ابي هريرة
وعائشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه
في النار هذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله عز وجل في قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال الشيخ معناه
زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب
اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان
ذلك الفعل زيادة في كفرهم قلت ويفهم من هذا كما ان الكفر يزيد بالعمل فكذلك الايمان وانما سمي هذا العمل كفرا
لانه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس فهو كفر اخر ضم الى كفرهم والله اعلم **يضل به الذين**
كفروا قرأ العامة بفتح الياء وكسر الضاد وحسن اسناد الضلال الى يضل بالنسيء الذين كفروا سواء اضلوا
غيرهم ام لا والمعنى على قراءة العامة اي يضل بالنسيء الذين كفروا اتباعهم من الناس وهم ايضا ضلال
في انفسهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم الياء وفتح الضاد على البناء للمفعول ومعناه ان كبارهم
اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله بالنسيء الذين كفروا ويضل به
الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا
الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد وذلك قراءة يعقوب من اضل
وذكرنا معناه **يحلونه** الضمير البارز للمنسوء الدال عليه النسيء اي يحلون المنسيء من الاشهر الحرم
عاما اي سنة وهي السنة التي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام **ويحرمونه** اي ويحرمون مكانه المنسيء
عاما اي شهرا منه لا يقاتلون فيه تلخيصه يحلون شهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا ليغيروا فيه على
اعدائهم ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيروا فيه ولا ينهبوا **ليواطئوا عدة** اي عدد **ما حرم الله**
يعني يفعلون ما فعلوا ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة قال الشيخ اللام متعلق بيحرمونه او بما دل عليه مجموع
الفعلين مثل يفعلونه او يرتكبونه تلخيصه انهم فعلوا النسيء لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة
كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد فقط لا في الحكم فذلك قوله **فيحلوا ما حرم الله** من القتال

بحسب موافقة العدد من غير مراعاة وقت زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا
العمل اى احسن اليهم قبح اعمالهم والمجهول على بناء زين للمفعول والفاعل المحذوف هو الشيطان وقرئ بنائه
للفاعل والفاعل هو الشيطان وسوء مفعوله وقيل الفاعل هو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبح اعمالهم
حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه تعالى لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له في الازل انه
من اهل النار لخبث نفسه والله لا يهدي هداية موصلة الى الاهتداء حال اختيارهم الثبات على الباطل ثم لما شرح
معايب الكفار من النسئ وغيره عاد الى الترغيب في قتالهم فقال يا ايها الذين امنوا بجميع ما جاء به الرسول
من عند الله وخصوصا بفوائد الاخرة للمجاهدين على الحق وديانة الدنيا ما ذا عرض لكم اذا قيل
من جهة الله ورسوله نفعا لكم انفروا اى اخرجوا للقتال في سبيل الله اى في جهاده اثاقلتم
اى ابطأتم قال ابو البقا اثاقلتم ماض بمعنى المضارع اى ما لكم تتثاقلون والعامل في اذا معنى الفعل اى ما تصنعون
اذا قيل لكم او ما دل عليه اثاقلتم بمعنى تقاعدتم ولم تخرجوا او ملتم الى الارض الى الدنيا وشهواتها وتركتم
الجهاد فاللام للجنس والقصد الى المعنى المكنى عنه او الى ارضكم ودياركم فاللام للعهد نزلت حين امروا بغزوة
تبوك بعد الفتح وحنين امرهم بالنفير في الصيف لجهاد الروم حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا
الظلال وشق عليهم الخروج لشدة الحر وكثرة العدو وبعد المسافة والخوف من عسكر الروم فعاتبهم الله
بقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا ولذاتها وشهواتها والاستفهام للتوبيخ من الاخرة اى بدلا من نعيمها الخسيسة
ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا اى تمتع
بالدنيا في جنب الاخرة الا قليل مستحقرة لان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل ينفد عن قريب ونعيم الاخرة
باق على الابد وفي الاية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن
الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور من قبل الوعيد
المذكور في الاية الاتية وهي قوله الا والا هنا ليس للاستثناء وانما هو حرف شرط دخل على لا اى ان لا
تنفروا يعني ان لم تخرجوا للحرب بعد الامر به يترتب عليكم ثلاث خصال احدها قوله تعالى يعذبكم الله
عذابا اليما في الدنيا بحبس المطر عنكم وفي الاخرة بالنار قال نجدة بن نفيع سألت ابن عباس عن
هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم
المطر فكان ذلك عذابهم والثانية قوله تعالى ويستبدل قوما غيركم اى يهلككم ويستبدل بكم قوما
اخرين خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان
الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى
حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت
النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ولئلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا يحصل
الا بهم والثالثة قوله تعالى ولا تضروه شيئا الضمير البارز لله تعالى اى ولا تضروا الله شيئا بتخلفكم عن الجهاد
لانه غني عن العالمين وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير للرسول
صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا بترككم نصرته فان الله تعالى ناصره على اعدائه
ولا يخذله لانه وعده بالعصمة ووعده حق وفي قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على انه قادر
على نصره

على نصرة دينه ورسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من خالف امره كائنا من كان
يقدر على التبديل وتبديل الاسباب والنصر بلا مدد كما قال الا تنصروه اى ان لم تنصروا النبي والا
للاستثناء وانما هو حرف شرط دخل على لا فقد نصره الله اى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة
تبوك فان الله تعالى ينصره كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا يعني كفار مكة من مكة وانما اسند الاخراج
الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه عليه السلام اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه لتخصيصه انه
تعالى بنصرته في الوقت الذي اخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله ثاني اثنين
يعني هو احد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا كقولك ثالث ثلاثة
ورابع اربعة لتخصيصه لم يكن معهما غيرهما فنصرهما الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها وثاني نصب
اليا وحال من مفعول اخرج اى حال كون الرسول احد اثنين فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل مقام الجزاء
وقرئ ثاني اثنين بسكون اليا على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد بزمان الاخراج زمان متسع فالعامل فيهما فقد نصره الله
والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار هو في جبل ثور وهو قريب من مكة نحو ساعة في ناحية
ركن اليماني مكثا فيه ثلثا ويجمع الغار على غيران كتاج على تيجان وقاع على قيعان اذ بدل ثان
من اذ اخرجه يقول الرسول لصاحبه وهو ابو بكر الصديق لا تحزن اى لا تجزع وذلك ان ابا بكر رضي الله
عنه خاف من الطلب ان يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن قال
السمرقندي وانما كان ابو بكر يخاف على نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذهاب التوحيد والاسلام لا على
نفسه قلت وان خاف الصديق على نفسه مثلا فلا نقص في ذلك فان الله يقول لكليمه موسى واخيه هارون
لا تخافا انني معكما الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه لا تحزن وقال الله لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
ولا تحزن عليهم ولم يكن حزن الصديق من المعاصي بل هو من باب التقرب والشفقة على الرسول عليه السلام
ولا عبرة بظنون الروافض تبا لهم وانت خبير برقة قلب الصديق وشفقته على النبي وامته وقد سمعت
ما قالت عائشة في حق والدها حين امر النبي عليه السلام بان يصلي ابو بكر بالناس قوله ان الله معنا
يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله اهل الارض جميعا في هذه الاية غير ابي بكر وقال الحسن بن الفضل
من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القران وفي سائر الصحابة اذا
انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على
الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال
نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا
تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال شيخ الشيوخ وامام اهل الكشف والنقل محي
الدين النواوي رحمه الله معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله تعالى ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه
فضيلة لابي بكر عليه السلام وهي من اجل مناقبه والفضيلة من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما
ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله وملازمته النبي صلى

عليهم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة واحدة من لياليه
اما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهينا اليه قال والله لا تدخله حتى
ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها
به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووضع راسه الشريف في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال ما لك يا ابا بكر قال
لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب
موته واما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني
عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
وخوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول ولم يرقم عليه
علامة لاحد قال الامام البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي
ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقال اذكر الطلب
فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ
الغار فدخل فاستبرأه ثم قال انزل فنزل وقال له اني ان قتلت فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت
هلكت الامة **ذكر سياق الهجرة وهو من افراد البخاري** عن عائشة رضي الله عنها
قالت لم اعقل ابوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد
لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح
في الارض فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم
وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع واعبد
ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار قريش فقال لهم ان ابا بكر
لا يخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين
على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر
وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا
يستعلن فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد
ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي
فيه فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا
يملك عينيه اذا قرأ القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم
فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره
فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على
ان يعبد

ان يعبد ربه في داره فليفعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا
ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت
الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني
اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين اني اريت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من
هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب
قال عروة قالت عائشة فبينا نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدى له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة
الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي
يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحابة بابي انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت
فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت
به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور
فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر
فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى
عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل
حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلث واستاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر
بالهداية وقد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه ودفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما عامر بن
فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخبرني
عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن جعشم
يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية كل واحد منهما لمن
قتله او اسره فبينا انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا
ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة بالساحل اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت
فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت
فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر
البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم
فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت

بما اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت
عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان ساطع في السماء
مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم الامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع
في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد
جعلوا فيك الدية واخبرتهم ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسالاني الا ان
قال اخف عنا فسألته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة فكتب لي رقعة من ادم
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب قال عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير
في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب
بياض وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة
فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى
رجل من يهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين
يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون
فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى
نزل بهم في بني عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على
التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين
يتيمين في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته هذا ان شاء الله
المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول
الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن
هذا الحمال لا حمال خيبر ۞ هذا ابر ربنا واطهر ۞ ويقول ۞ اللهم ان الاجر اجر الاخرة ۞ فارحم الانصار
والمهاجرة ۞ فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه البخاري بطوله **شرح غريب الفاظ الحديث**
قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح الباء
من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد
وقيل هو قليب ماء لبني تغلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه في الدنيا
لا يتعذر عليه كسب كل شيء حتى المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشيء المعدوم
الذي لا يقدر عليه فيه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام في القيام
بامر العيال

بامر العيال وقرى الضيف ونوائب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده انا لك
جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفي قوله تقصف الناس عليه يعني
ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واخفارها نقضها والالابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة
سود يقال افعل الشيء على رسلك بكسر الراء اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة
وقت شدة الحر والنطاق حبل او نحوه تشد به المراة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من اعلاه
الى اسفله لئلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع
الفهم والادلاج بتخفيف الدال السير اول الليل وبتشديدها السير اخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء
وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع اليه والغلس ظلام اخر الليل والخريت تقدم
في الحديث وهو الماهر بالهداية واراد به هداية الطريق هو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في ال
فلان اذا اخذ بنصيب من عقدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب
الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة هي الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام
القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوائج كالفال والعثان الغبار يقال ما رزأت فلانا شيئا اي ما
اصبت منه شيئا والمراد انهم لم ياخذوا منه شيئا وقوله اوفى اي اشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن
وقوله مبيضين هو بكسر الياء اي عليهم ثياب بيض والمربد الموضع الذي يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا
الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الاخرة
لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن
لاجل عمارة المسجد افضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمال والرواية الاولى اشهر
واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى
باضا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل انبت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام
وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه الى ابي بكر الصديق وهو قوله
قال النبي ولم تجزع يوقرني ۞ ونحن في سدف من ظلمة الغار ۞ لا تخش شيئا فان الله ثالثنا ۞
وقد تكفل لي منه باظهار ۞ وانما كيد من تخشى بوادره ۞ كيد الشياطين قد كادت لكفار ۞
والله مهلكهم طرا بما صنعوا ۞ وجاعل المنتهى منهم الى النار ۞ وذكر ابو الليث في تفسيره ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما سمع قولهم ان ليس في الغار احد حين راوا بيض الحمام دعا للحمامتين بالبركة فاحرزهما الله تعالى
في الحرم وافرخا كما ترى وفي تفسيره ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت هل قلت في ابي بكر شيئا
قال نعم قال قل حتى اسمع فقال ۞ وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ۞ طاف العدو به اذ يصعد الجبلا ۞
وكان حب رسول الله قد علموا ۞ من البرية لم يعدل به رجلا ۞ قال الحسان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
بدت نواجذه وقال صدقت يا حسان هو كما قلت قوله عز وجل **فانزل الله سكينته** اي طمانينته وامنته
التي يسكن عندها القلوب **عليه** قيل على النبي كسائر الضمائر المذكورة قبل هذا وما بعد هذا وقد صرح
في قوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فلا يحتاج الى تكليف قوله وايده الى فقد نصره بل هو معطوف

على فانزل الله كما لا يخفى وقيل على صاحبه وهذا هو الاظهر وعليه اكثر المفسرين كابن عباس وغيره لان النبي
صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل وكان ساكن القلب دايما واما الصديق فكان منزعجا قال الاستاذ
تكون هذه السكينة خصوصية للصديق من بين المؤمنين على الانفراد كالصاحب قال الله لجميع المؤمنين هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ويقول للصاحب على التخصيص فانزل الله سكينته عليه كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لابي بكر خاصة وقال ابن عطا في قوله ان الله معنا معناه ان الله معنا
حيث وصل بيننا وصلة الصحبة ولم تنفصل قلت فدل على ان ابا بكر كان مكرما في الازل بهذه الكرامة يعني كرامة
كونه صاحبا للنبي بنص القران وكونه ثاني رسول الله في جميع الاحوال فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
مهاجرا كان ثانيه فقط فلذلك لما خرج من العدم كان ثانيه في عالم الارواح والذي يشير اليه قوله صلى الله عليه
وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وكان ثانيه في سباق الطلب والسير الى الله والذي يؤكد هذا المعنى قوله
صلى الله عليه وسلم كنت انا وابو بكر كفرسي رهان فسبقته فتبعني وكان ثانيه في الاسلام دل عليه قوله والذي
جاء بالصدق وصدق به وكان ثانيه في الامامة للمسلمين يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي
فيه مروا ابا بكر فليصل بالناس وثانيه في قبره الشريف لان سيدنا عمر عند ظهر ابي بكر واما ابو بكر فمتصل بالنبي
في القبة البيضا تحت القبة الخضرا قال لنا السيد الحسيب النسيب السيد عبد الله السقاف باعلوي الحضرمي حين
اتفق اهل المدينة لادخال رجل على القبر الشريف لحاجة فادخله لديانته وحسن ظنون اهل المدينة به ان
المكرم وقبر الصديق وقبر الفاروق في قبة بيضاء ليس عليها باب وذلك وراء الستارة المعظمة وجدارها وقدامها
بالكل القبة الكبيرة المحيطة ببيت عايشة الصديقة هذا الذي سمعنا منه وكتب لنا تصوير ذلك وهو بخطه
عندي وثانيه بعد وفاته في الخلافة على ما اتفق عليه الاصحاب ومن فضايل الصديق ان الله عاتب اهل الارض
جميعا بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق ومن فضايله انه ما تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر ولا حضر بل كان ملازما له ومن فضايله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر
اول من امن به من الرجال الكمل ثم ان ابا بكر دعي الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير
فامنوا على يد ابي بكر ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وفضايلهم كثيرة لا يحمله الدفاتر واما قول بعض الرفضة
ان شجاعة علي رضي الله عنه كان اعظم من شجاعة الصديق في تلك الليلة حيث القى بنفسه الى التهلكة لله
ورسوله حين نام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم قلنا في الجواب انا لا ننكر فضايل الكرار حين خطر بنفسه في تلك الليلة
واضطجع في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ولكن كان عداوة المشركين وغضبهم على الصديق اشد من عداوتهم على
علي رضي الله عنهما والدليل على ذلك ان الكفار لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم لما عرفوا انه المضطجع فعلم بان خطر
الصديق كان اعظم واما قول بعض الشيعة ايضا ان كون ابي بكر ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا
كل ثلثة في قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر قلنا في الجواب ان المراد في الاية
النجوى كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير وكونه مطلعا على ضمير كل واحد مقرونا بالاذلال والاهانة في
حق الكفار وهو حق له الكفرت وفي هذه الاية مقرون بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا
وقوله **وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا** معطوف على قوله فقد نصره الله والمعنى وايده الله بانزال الملائكة في الغار
وفي مواطن قتاله ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رويته عليه السلام في الغار وليحرسوه ويعينوه
على العدو

على العدو كيوم بدر والاحزاب وحنين وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقوله
لم تروها صفة لجنود **وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى** يعني جعل الله شركهم سفلى منخفضة الى
يوم القيمة او دعوتهم الى الكفر وجعله كذلك **وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا** يعني التوحيد او دعوة الاسلام هي
الظاهرة الغالبة الى يوم القيمة قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية عالية الى يوم القيمة وقيل
كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروها فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده
بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا والجمهور على رفع كلمة على الابتداء وهي يجوز ان يكون مبتدا
ثانيا والعليا خبره والجملة خبر للاول ويجوز ان يكون هي فصلا والعليا الخبر وقرا يعقوب وكلمة بالنصب نسقا
على مفعولي جعل اي وجعل الله كلمته هي العليا والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها
وَاللَّهُ عَزِيزٌ يعز بنصره اهل كلمته **حَكِيمٌ** يذل اهل الشرك بحكمته او عزيز في ملكه حكيم في امره وتدبيره وصنعه
ثم اكد امر القتال بقوله **انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا** حالان من ضمير المخاطبين اي اخرجوا في سبيل الله على اي
حال كان يعني على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم فالخصه اخرجوا الى الجهاد اعدائكم
شبابا وشيوخا او نشاطا وغير نشاط او ركبانا ومشاة او خفافا من المال يعني فقراء وثقالا يعني اغنياء عن
ابن عباس رضي الله عنهما خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة او خفافا من السلاح مقلين
منه وثقالا مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضى ولذلك لما قال ابن ام مكتوم
لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وقيل معناه عزابا ومتاهلين وقيل خفافا
من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو وساعة
سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة
تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد
حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلماء من حمل الامر على الوجوب
ثم نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية وقال السدي نسخت
بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب
الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون
بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا
وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال
استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن
عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد
الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا
وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة وان الجهاد من فروض
الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة
في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على
الاعيان وذكر ابو الليث في تفسيره وقال بعضهم ليست بمنسوخة ولكنها في الحالة التي وقع النفير وجب

وجب على جميع الناس الخروج الى الجهاد واذا لم يكن النفير لا يكون فرضا عاما فاذا خرج بعض الناس
سقط عن الباقين وبه ناخذ والله اعلم وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
اى جاهدوا في اعزاز دينه بالمال والانفس او باحدهما قال في اللباب فيه قولان الاول ان الجهاد انما
يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه
فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد
بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ذلكم اى ذلكم
الجهاد يعنى ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف خير
لكم اى خير عظيم في حد نفسه او خير مما يبتغى بتركه في الدنيا من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع
بالاموال والاولاد قال الاستاد يعنى خير لكم من العقود عن الجهاد والتثاقل عنه او ان الجهاد خير حاصل لكم ...
والمعنى قريب بعضهم للبعض ان كنتم تعلمون بان ثواب الجهاد خير لكم من العقود عنه فلا تثاقلوا ...
ان كنتم تعلمون الخير من الشر علمتم انه خير لكم فبادروا اليه وفي الغاية هذا توبيخ لهم عن التكاسل والقعود عن
الحرب في سبيل الله والاكوهم عالمين بخيريته لا ريب فيه قال السمرقندى اى ان كنتم تصدقون بثواب الله تعالى
قال الشيخ معناه ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله صدق فانفروا خفافا وثقالا ثم نزل في شان المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك قوله عز وجل لو كان اى ما دعوتم اليه عرضا قريبا
اى غنيمة سهلة قريبة التناول يعنى نفعا دنيويا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر واسم
كان ضمير يعود على ما دل عليه السياق اى لو كان ما تدعوهم اليه كما اشرنا وسفرا قاصدا اى متوسطا
بين القريب والبعيد لاتبعوك اى لخرجوا معك طمعا في الفوز بالغنيمة ولكن بعدت عليهم الشقة
اى المسافة التي تقطع بالمشقة يعنى ثقل عليهم السفر لبعد المسافة وشدتها ولهذا تخلفوا عنك وقرى
بكسر العين والشين ثم اخبر الله عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله وسيحلفون
بالله يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة معتذرين بقوله لو
استطعنا اى قدرنا الخروج معك الى هذه الغزوة بالمال والبدن لخرجنا معكم الى الغزوة
قوله لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط ايضا وقرى لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو
الضمير في قوله اشتروا الضلالة وهذا من دلايل النبوة والمعجزات الباهرات لانه اخبر بما سيكون بعد
القفول فقالوا كما اخبر ثم بين الله تكذيبهم واهلاكهم فقال يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب
بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس
في العذاب او حال من فاعله بمعنى مهلكين انفسهم وفي الاية دليل على ان الايمان الكاذبة مهلكة ...
والله يعلم انهم لكاذبون في ايمانهم وايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا
مستطيعين للخروج قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم نزلت هذه الاية حين استاذن ...
بعض من المنافقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلفوا عن الخروج الى غزوة تبوك ولم يكن ...
فاذن لهم به فقال الله مقدما العفو على العتاب تطييبا لقلبه صلى الله عليه وسلم وكناية عن خطابه ...
الاذن باجتهاده فان العفو من روادف الخطا اى محى الله عنك ما صدر منك بالاجتهاد او دام لك العفو

يا سليم القلب لاى شى اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت ولم
تاذن لهم على العفو قال السيوطى والطبرى هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
اى في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا الله عنك
يا محمد ما كان منك في اذنك لهولاء المنافقين الذين استاذنوك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن
ميمون الاودى اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشى اذنه للمنافقين واخذه الفداء
من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بداه بالعفو قبل
ان يعيره بالذنب فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء عليهم السلام
وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب الوجه الثاني انه
تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله
عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير للنبى عليه السلام كما يقول
الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في امرى • رضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله
وغفر لك كل هذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال على بن الجهم يخاطب
المتوكل • عفا الله عنك فلم لا تجود علينا بفضلك يا ابن العلا الم تر عبدا عدا طوره • ومولى عفا ورشيدا
هلك • اقلنى اقالك من لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى • والجواب عن الثاني انه لا يجوز ان يكون المراد
بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب في هذه الواقعة او لا فان كان
قد صدر عنه ذنب فبعد ذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول
العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر منه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا
الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضى عياض في كتابه الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم
اذنت لهم فانه امر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده الله تعالى
عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال
الله في سورة النور فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب
من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا قال الداودى انها تكرمة وقال مكى هو
استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندى عن ابى سعيد الفاريابى انه قال معناه عافاك الله
يا سليم القلب لم اذنت لهم في التخلف عنك وهذا يحمل على ترك الاولى والاكمل سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق
بالحروب ومصالح الدنيا يقول الفقير مولف الكتاب ابو عمر السيد محمد بن محمد بن على الحسنى دارا وقرارا هذا تعليم و
تاديب لمن بعد النبى من الخلفاء والامراء الى يوم القيمة والدليل على ذلك انه لو اراد بالخطاب نفسه عليه السلام
خاصة دون الامة لقدم العتاب يعنى قوله لم اذنت لهم على اللطف والعفو يعنى قوله عفا الله عنك فنبه الامة على
التدبر في الامور وعدم العجلة والله اعلم باسرار كتابه ولما سبقت الاصطفائية للحبيب قبل وقوع المعاملات سبق

العفو ما هو في صورة الزلات كيف لا من كان صورة سيئاته حسنات وزلاته زلفات فهو مختار اسرف
وعروس ملكوته وملكه فيكون جميع حركاته عنده حسنة وافعاله كلها لديه مستحسنة وهكذا شأن الاحباب
مع المحب يعد زلته حبيبه بل يعشق على عثرة محبوبه لان من كان حسنا فما يبدو منه ايضا يكون حسنا
كما قيل فان نطقت جاءت بكل ملاحة وان سكتت جاءت بكل جميل ملاحته وحسن وجهه يعد
خطائه في وجهه شافع يمحو لسيئاته [illegible] ويأتي بالمعاذير واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت
محاسنه بالف شفيع قوله تعالى **حتى يتبين لك الذين صدقوا** اي حتى يظهر لك صدقهم في اعذارهم
لك يعني يحصل لك العلم التام والمعرفة الكاملة عن صدقك وهو معنى فحاصل المعنى لم اذنت لهم على الفور
فرجع الانكار الى كيفية الاذن لا الى ذات الاذن ونفسه **وتعلم الكاذبين** فيما يعتذرون به قال ابن عباس
رضي الله عنهما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة وفي المدارك وفيه دليل
جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد ثم بين له علامة المؤمنين
المخلصين بقوله **لا يستاذنك** يعني عن ظاهر **الذين يؤمنون بالله** اي يصدقون بالله في السر والعلانية
واليوم الآخر في التخلف **ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم** في سبيل الله تخصيص لمعنى ليس من عادة
المؤمنين الموقنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن
فيه فضلا ان يستاذن في التخلف عنه قال الاستاذ قوله لا يستاذنك نهي على صورة النفي لعدم الجزم فهو كقوله
تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج **والله عليم بالمتقين** اي الذين يتقون مخالفته ويسارعون
الى طاعته فيجازيهم باجزل ثواب ثم ذكر علامة المنافقين بقوله **انما يستاذنك** في التخلف عن الجهاد
بالاموال والانفس معك يا محمد بغير عذر **الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر** في السر وهم
المنافقون لقوله **وارتابت قلوبهم** يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب
لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا وهو عطف على الصلة وايثار صيغة
الماضي للدلالة على تحقيق الريب وتقرره **فهم في ريبهم يترددون** يعني ان المنافقين متحيرين
لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل انها منسوخة بالآية
التي في سورة النور وهي قوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا
استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات
ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استيذان فاذا عرض لاحدهم عذر
في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم كما [illegible] اما المنافقون
فكانوا يستاذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر **ولو ارادوا
الخروج** معك الى الغزو وهذا الكلام يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم
نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه **لاعدوا له
عدة** اي اهبة يعني لتهيئوا له باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح والزاد فترك العدة
دليل على ارادتهم التخلف وقرئ عُدَّه بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عُدَ الامر الذي وعدوا
وعِدَه بكسر العين باضافة وغيرها **ولكن كره الله انبعاثهم** اي خروجهم الى الغزو معك

عن معهم قوله لو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا وتكاسلوا لان الله تعالى كره انبعاثهم
والحاصل ولما كان ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للجهاد بالاموال والانفس
قيل ولكن كره الله نهوضهم للخروج **فثبطهم** اي منعهم وكسلهم وحبسهم وضعف رغبتهم عن
الخروج معكم الى الجهاد قال الاستاذ والمعنى ان الله كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم
عنه وههنا متوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة
او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم
عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر بتلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا بل الغلظ فيكم وبقوله لم اذنت لهم بل لم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام التفحص
واكمال التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن له قبل
ان يوحى اليه في امرهم بالقعود **وقيل اقعدوا مع القاعدين** معناه انهم لما استاذنوا في القعود
قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم الصبيان والنساء والمرضى واهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل
من هو فقيل قال بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله قال لهم ذلك على سبيل
الغضب فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل هو الله تعالى بالقاء القعود في قلوبهم لما كره انبعاثهم مع
المسلمين الى الجهاد ثم بين ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا** يعني
ما زادوكم بخروجهم معكم الى الجهاد شيئا الا فسادا وشرا بافساد ذات البين وايقاع الجبن بين المسلمين بتهويل
الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم فالاستثناء مفرغ واصل الخبال الاضطراب ومرض يؤثر [illegible] في العقل
كالجنون قال بعضهم الاستثناء متصل لان المعنى ما زادوكم شيئا الا خبالا وقال بعضهم الاستثناء منقطع لان المعنى لو
خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا **ولاوضعوا خلالكم** يعني ولاسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة
والاحاديث الكاذبة فيكم ويقال الايضاع في اللغة هو اسراع الابل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين افاض من
عرفات ايها الناس عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس في ايضاع الابل ولا في ايجاف الخيل يعني ان المنافقين
لو خرجوا فيكم لسرعوا الابل فيما بينكم ويوقعونكم بالهزيمة اي حملوا ركابهم على العدو السريع بينكم بالتخذيل
والهزيمة لانهم **يبغونكم الفتنة** اي يطلبون منكم ما يفتنون به وذلك انهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم
كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة
التي تجبن وقيل معناه يطلبون العيب والشر والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف وفي المصحف ولا اوضعوا
بزيادة الالف لان الفتحة كانت تكتب الفا قبل الخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من تلك
الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحوه او لا اذبحنه **وفيكم سماعون لهم**
يعني فيكم جواسيس لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم او وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين
ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها فان قلت
كيف يجوز ان يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المؤمنين
لهم اقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الاحوال

والله عليم بالظالمين اى بالمنافقين والكافرين الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والنفاق وعلى الاول
فيعلم الله ضمائرهم وما يتأتى منهم فيعاقبهم على ذلك وهذه الجملة يجوز ان تكون مستانفة واللام فيهم على الاول
للتقوية وفى الثانى للتعليل اى لاجلهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى لقد طلبوا المنافقين تشتت شملك يا محمد
وتفرق اصحابك عنك قبل غزوة تبوك كفعل عبد الله بن ابى ابن سلول يوم احد حين رجع ومعه ثلثمائة منافق ولو
نعلم قتالا لاتبعناكم وقد مر شرح احواله وهذه الفتنة هى تخلفه ايضا عن تبوك بعد ما خرج مع بعض اصحابه
مع رسول الله الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع او اراد بقوله من قبل حين ارادوا قتل النبى ليلة العقبة وقلبوا
لك الامور اى دبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء فى ابطال امرك وبالغوا فى تخذيل الناس ولكن الله يشبك
حتى جاء الحق اى النصر والظفر وكثر المسلمون وظهر امر الله اى غلب دينه وعلا شرعه وخفض
كلمة الكفر وهم كارهون اى والحال ان المنافقين كانوا كارهين لمجئ الحق واعلاء كلمة الله والايات
لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله ومنعهم لاجله وكره انبعاثهم او هتك
استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لى فى التخلف عن الجهاد ولا تفتنى نزلت فى الجد بن قيس رئيس
من المنافقين وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب هل
لك فى جلاد بنى اصفر يعنى الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجد يا رسول الله لقد عرف
قومى انى رجل مغرم بالنساء وانى اخشى ان رايت بنات بنى الاصفر لا اصبر عنهن ائذن لى
فى القعود ولا تفتنى بهن واعينك بمالى قال ابن عباس رضى الله عنهما اعتل الجد بن قيس ولم يكن له
علة الا النفاق فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم اى
ومن المنافقين من يقول ائذن لى فى التخلف والقعود فى المدينة ولا تفتنى يعنى ببنات بنى الاصفر وهم الروم
اى لا توقعنى فى الفتنة والاثم قال السمرقندى فى تفسيره وكان الاصفر رجلا من الحبش ملك ناحية
من الروم فتزوج رومية فولدت بنات اجتمع فيهن سواد الحبش وبياض الروم وكن فتنة فقال الجد
ابن قيس ائذن لى ولا تفتنى فقال الله تعالى الا فى الفتنة سقطوا اى علموا انفسهم فى الاثم والنفاق
والحرج وقعوا بالتخلف والجرأة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة وعلى الاعتذارات الكاذبة
وقرئ سقط بالافراد محافظة على لفظ من فى قوله ومنهم من يقول لانه موحد اللفظ مجموع المعنى
المراد به جد بن قيس ومن تبعه وفى تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا
الفتنة وهم يحسبون انهم نجوا منها زعما منهم ان الفتنة هى التخلف بغير اذن وفى التعبير عن الافتتان
بالسقوط فى الفتنة تنزيلها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم فى دركات الردى اسفل السافلين
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعنى يوم القيمة تحيط بهم وتجمعهم فيها اى جامعة لهم يوم القيمة
من كل جانب او الان محيطة بهم تنزيلا للامر المحقق منزلة الواقع او لاحاطة اسباب جهنم من الكفر والمعاصى
وقال السمرقندى يعنى جعلت جهنم للكافرين وهو جد بن قيس ومن تابعه تخصيصه لا يخص عنها
ان تصبك حسنة تسؤهم يعنى ان تصبك يا محمد فى بعض غزواتك حسنة يعنى ظفر ونصر وغنيمة
وعافية يحزن المنافقين تلك الحسنة لفرط حسدهم اخرج ابن ابى حاتم عن جابر بن عبد الله قال جعل المنافقون

الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبى صلى الله عليه وسلم اخبار السوء يقولون ان محمدا واصحابه قد
جهدوا فى سفرهم وهلكوا فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فساءهم ذلك
فانزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك فى بعض غزواتك مصيبة اى كسر وشدة وافة
وهزيمة نحو ما جرى فى غزوة احد يقولوا اى المنافقين قد اخذنا امرنا من قبل اى يقولوا متبجحين
بما صنعوا من المكر والخداع فى التخلف حامدين لارائهم الفاسدة انا قد اخذنا امرنا الذى نحن متسمون به من
الحذر والتيقظ والعمل بالحذر والحزم من قبل هذه المصيبة لتخبيصه تبجحا بانصرافهم واستحمادا لرايهم فى التخلف
ويتولوا اى يدبروا عن مجلس التحدث بقولهم قد اخذنا امرنا من قبل الى اهاليهم او يعرضوا عن رسول
الله وهم فرحون اى مسرورون بما اصابك من المصيبة وبتخلفهم وسلامتهم منها والجملة وهم فرحون
حال من الضمير فى يقولوا ويتولوا لا من يتولوا فقط لمقارنة الفرح لهما معا قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه
سرورهم من الاعتقاد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اى الا ما قدره الله لنا وعلينا
وكتب فى اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة من خير وشر فلا يقدر احد ان
يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا ان اراده ما لم يقدر له قال الاستاد ومعناه
الا ما قضى الله من شدة ورخاء او ما كتب الله لنا فى القران وهو قوله تعالى فيقتلون ويقتلون وقرئ
هل يصيبنا من اصاب وهل يصيبنا فى كليهما هل بدل لن وبرفع الفعل وهو من فيعل لا من فعل لانه من
بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما يقصد به وقيل
من الصوب هو مولانا اى ناصرنا ومتولى امرنا واولى بنا من انفسنا فى الموت والحياة فاتيه لتاكيد
ما سبق من الاختصاص وعلى الله الذى لا يخيب من توكل عليه لا على غيره فليتوكل المؤمنون لعلمهم
بان لا مولى سواه فيفوضون جميع امورهم اليه لا على الاسباب الدنيوية الفانية قال الاستاد
معناه لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم العلة للاختصاص
كالواو للعطف والفاء لافادة التسبب والاصل وليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة
الحصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استجابة التوكل عليه كما فى قوله واياى فارهبون قل هل تربصون بنا
هذا جواب ثان عن فرح المنافقين بمصائب المؤمنين اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها
المنافقون ان يقع بنا الا احدى الحسنيين اى احدى العاقبتين والخصلتين اللتين كل منهما احسن الخصال
اما النصر والغنيمة والظفر بالاعداء واما الشهادة فى سبيل الله والمغفرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكفل
الله وفى رواية تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو
على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة اخرجاه
فى الصحيحين والحسنيين تثنية حسنى تانيث احسن فان قلت قد قلت كل منهما احسن الخصال فيلزم ان يكون
كل منهما احسن من الاخرى وهذا ظاهر قلت جاز ذلك باعتبار الجهات ونحن نتربص بكم يعنى
ونحن ايضا ننتظر بكم يا اهل النفاق احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده اى بقارعة من السماء كما اصاب من قبلكم من الامم الماضية او بعذاب بايدينا اى باذن الله
لنا بقتالكم يعنى تصيبكم هلاك بايدى المؤمنين بان يظفرنا بكم ويظهرنا عليكم فيقتلكم على الكفر الباطن

قل فتربصوا الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فانتظروا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون
اى منتظرون ما هو عاقبتكم فاذا لقى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما
يسوءكم قال الحسن معناه فتربصوا يا اهل النفاق مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من
اظهار دينه واستيصال من خالفه قل للمنافقين جميعا وجد بن قيس داخل فيهم دخولا اوليا
انفقوا فى سبيل الله وطاعته ووجوه البر طوعا بالاختيار من غير الزام لامر فى انفاقكم او
كرها اى بالاجبار يعنى بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم اى ما انفقتموه وان
فعلتم ذلك طائعين او كارهين فلا يتقبل من جد بن قيس حين انفق ماله فى الجهاد وقعد عنه لنفاقه
ولا عن ساير المنافقين ولتعرى ان اهل النفاق لا ينفق فى الجهاد الا كرها كما قال فيما ياتى قريبا ولا ينفقون
الا وهم كارهون فذكر الطوع هنا على سبيل الفرض لمساواة الكره فى عدم القبول وان يعطوا من غير
اكراه والزام وفى انفسهم الكراهة قال الاستاد وهذه الاية وان كانت خاصة فى انفاق اهل النفاق فهى
عامة فى حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بان ينفق رياء وسمعة وهكذا جميع الاعمال فانه لا يقبل منه
واما اذا انفق من غير رياء وسمعة وهو مؤمن مذنب غير ذنب الكفر فان الله يتقبل منه ثم علل سبب منع
القبول بقوله انكم اى لانكم يا اهل النفاق كنتم قوما فاسقين اى كافرين فى السر خارجين عن
الطاعة والاخلاص وانما يتقبل الله من المتقين وقوله انفقوا امر بمعنى الخبر اى قل لهم ان انفقتم الخ
وقد يجى الخبر بمعنى الامر كقولك غفر الله لك رحم الله محمدا يعنى اللهم اغفره اللهم ارحمه قرا حمزة والكسائى
كرها بضم الكاف والباقون بالنصب ثم بين المعنى الذى لم يقبل نفقاتهم لاجله فقال وما منعهم ان تقبل
منهم ان ناصبة وما بعدها مفعول ثان لمنع او بدل من هم فى منعهم نفقاتهم قرا الاخوان ان
يقبل بالياء من تحت لان تانيث النفقات غير حقيقى والباقون بالتاء الفوقانية الا انهم كفروا بالله
وبرسوله يعنى كفروا فى السر يعنى المانع من قبول نفقات المنافقين كفرهم سرا بالله وبرسوله
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى جمع كسلان يعنى متثاقلين فى الاتيان الى الصلوة وذلك
لانهم لا يرونها واجبة عليهم ولا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم فى
فعلها وكانوا يفعلونها نفاقا وتقية ولا ينفقون الا وهم كارهون على النفقة عن محض سبيل الله
كانوا يعتقدون الانفاق فى سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما • فان قيل الكفر وحده علة
مستقلة للمنع عن قبول النفقات فلا يبقى لعطف قوله ولا ياتون الصلوة ولا ينفقون اثر ووجه فى المنع
عن قبول نفقاتهم قلنا فى الجواب اتيانهم الصلوة مع الكسل والانفاق مع الكره امارة كفرهم ولم
يجز تواردُ الامارات المتعددة على شى واحد والجواب بوجه اخر وهو انه اطلق كفرهم اولا ثم قيده
بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والانفاق فى سبيل الله وبوجه اخر ان الله حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم
خص من انواع كفرهم هذين تفظيعا لشان تارك الصلوة وترك الانفاق فى سبيل الله ثم زهد النبى
صلى الله عليه وسلم من النظر الى دنياهم بقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اى لا تستحسن يا محمد
كثرة اموالهم واولادهم فانما هى زينة الحيوة الدنيا وانت بمعزل عنها وفى حقهم مكر واستدراج
نظيره ولا تمدن عينيك الاية قال الشيخ قدس سره وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبى عليه السلام صورة

الا ان المراد به حقيقة جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم والاعجاب وهو
ان تسر بالشى سرور راض به متعجب من حسنه قال الاستاد فينبغى للانسان ان لا يعجب بشى من امور
الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله عز وجل فى استدراج كثر الله ماله وولده فيكثر اعجابه بماله
وولده فيبطر ويكفر نعمة الله ويقول فخرا انا اكثر منك مالا واعز نفرا ولا يعلم مراد الله ومكره بانه
يعذبه بذلك الكثرة قال الله تعالى انما يريد الله ليعذبهم اى لان يعذبهم بها اى بسبب الاموال
والاولاد فى الحيوة الدنيا اى بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب • وما يرون فيها من
الشدايد والمصايب • والظرف اما متعلق بتعجبك ويكون قوله انما يريد الله ليعذبهم بها جملة معترضة
والتقدير فلا تعجبك فى الحيوة الدنيا اموالهم الخ ويجوز ان يكون حالا من الاموال والاولاد ولهذا قال ابن
عباس ومجاهد وقتادة والسدى وابن قتيبة فى الكلام تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم فى الاخرة واما متعلق بالتعذيب والمراد بالتعذيب الدنيوى
مصايب الدنيا قال الامام المفسر فخر الدين الرازى ومكن ان يكون كثرة الاموال والاولاد سببا للعذاب فى
الدنيا الحاصل من وجوه منها ان كل ما كان حب الانسان للشى اشد واقوى كان حزنه وتالمه على فراقه
اعظم واصعب ثم عند الموت يعظم حزنه وتشتد حسرته لمفارقته المحبوب فالمشغوف بحب المال والولد
لا يزال فى تعب فيحتاج فى اكتساب الاموال وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة ثم عند حصولها يحتاج الى
متاعب اشد واعظم فى حفظها وصونها لان حفظ المال بعد حصوله اصعب [illegible] من اكتسابه ثم
انه لا ينتفع الا بالقليل من تلك الاموال فالتعب كثير والنفع قليل ثم قال واعلم ان الدنيا خضرة حلوة و
الحواس الخمس مايلة اليها فاذا كثرت وتوالت استغرقت فيها وانصرف الانسان بكليته اليها فيصير
ذلك سببا لحرمانه من ذكر الله ثم انه يحصل فى قلبه نوع قسوة وقوة وقهر وكلما كان للمال والجاه اكثر
كانت تلك القسوة اقوى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فظهر ان كثرة
المال والاولاد سبب قوى فى زوال حب الله وحب الاخرة من القلب وفى حصول الدنيا وشهواتها فى القلب
فعند الموت كان مثل هذا الانسان ينتقل من البستان الى السجن ومن مجالسة الاقرباء والاحبة الى موضع
الغربة والكربة • فيعظم تالمه ويقوى حزنه ثم عند الحشر حلالها حساب • وحرامها عذاب • فثبت ان
كثرة الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب فى الدنيا والاخرة انتهى فان قيل هذا المعنى حاصل لكل فما فائدة
تخصيص المنافقين فالجواب ان المنافق انما يرغب بالاموال والاولاد الانتفاع بهما فى الدنيا فاذا انتفى النفع
الدنيوى يزهق روحه من الالم بخلاف المؤمن فانه ما يحبهما الا لله فاذا انتفى النفع الدنيوى يرجو بهما الثواب
فى الاخرة فيكون صابرا شاكرا وتزهق انفسهم اى وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون
على الكفر فيكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة فيكون ذلك استدراجا واصل الزهوق الخروج بصعوبة
وشدة ويحلفون بالله يعنى المنافقين انهم لمنكم اى مؤمنون على دينكم وملتكم وما هم منكم
يعنى كاذبون فى ايمانهم وايمانهم ولكنهم قوم يفرقون اى انهم قوم يخافون ان تفعلوا بهم
كالمشركين فيحلفون تقية لخيصه انهم يخافون ان تظهروا على ما هم عليه من النفاق فيحلفون كذبا
وزورا ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجا يعنى حرزا وحصنا ومعقلا يلجاون اليه عند خوفهم

وقيل لو وجدوا مهرباً لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوماً يأمنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليه
ولفارقوكم **أو مغارات** اي او غيراناً في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان
اي يستتر **أو مدخلاً** اي موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع اصله
مدتخل فادغمت الدال في التاء وقال الحسن اي وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرأ يعقوب مَدخلاً بفتح الميم وسكون الدال وفتح الخاء مخففاً من دخل وقرئ مُدخلاً من الادخال ومُتدخلاً
من تدخّل بتشديد الخاء ومندخلاً من اندخل وترتيب هذه المعطوفات ترتيب بديع لكونه تعالى ذكر
اولاً الامر الاعم وهو الملجأ من اي نوع كان ثم ذكر الغيران التي يختفى فيها في اعلى الجبال ثم الاماكن
السافلة وهي السرب عبّر عنها بالمدخل فتبارك الله ما احلى هذا النظم البديع وقوله **لولّوا اليه** يعني لو
لو وجدوا مكاناً من هذه الصفة الثلثة او على احد هذه الوجوه الثلثة وهي شر الامكنة واضيقها لولّوا اليه
اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه **وهم يجمحون** اي وهم يسرعون الى ذلك المكان بعداً عنكم اسراعاً لا يردهم
شيء كالفرس الجموح الذي لا يرده اللجام والضرب وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ومنه الجمازة للناقة
السريعة السير تخليص المعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا ان يهربوا
او يبعدوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قال الاستاذ ابو الحجّ متّى بن المثنى
وهو من لغات اليمن **ومنهم** اي بعض المنافقين **من يلمزك** اي يعيبك **في** قسم **الصدقات**
اي الزكوات كما يدل على ذلك قوله تعالى الاتي انما الصدقات الخ او الغنائم كما ستسمع الاحاديث في ذلك
او هما لتناول الصدقات الغنائم قرأ العامة بكسر الميم في المضارع من لمزه يلمزه اي عابه وقرأ ابن كثير
يلامزك على المفاعلة من واحد كسافر وعاقب وقرأ يعقوب يلمزك بضم الميم اعلم ان العيب في الصدقة
يحتمل ان يكون في اخذها وذلك بان يقال انتزاع مال الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل برزق
عباده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم ويحتمل ان يكون في انك تاخذ هذه الصدقات الكثيرة الا انك
تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار
على انهم ارادوه لان الاية نزلت في ذي الخويصرة التميمي رأس الخوارج واصله واسمه حرقوص بن زهير
في عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً
اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل
اذا لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه فاضرب عنقه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحاباً يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم
زاد في رواية يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم من
الرمية وقال السمرقندي في تفسيره بعد قوله من الرمية سيماهم رجل اسود احد ثدييه مثل ثدي المرأة او مثل
البضعة يخرجون على حين الفترة من الناس فنزلت ومنهم من يلمزك في الصدقات الاية قال ابو سعيد
اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علياً حين قتلهم وانا معه اتي بالرجل على النعت
الذي نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقال الكلبي الذي نزلت في حقه هذه الاية هو ابو الجواظ
المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعياً اما كان داود راعياً فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون فنزلت وقال قتادة ذكر لنا ان رجلاً من اهل البادية حديث
عهد باعرابية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك
ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وفي الاسرار كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال
ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل فقال عمر رضي الله عنه أتأذن لي ان
اضرب عنقه فقال دعه حتى لا يقال يقتل محمد اصحابه قلت وانما قال يقتل محمد اصحابه فان المنافقين كانوا
معدودين من الصحابة في الظاهر عند من لم يعرف حالهم وفي الغاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بشيء
من الذهب فقسمه بين اربعة نفر من المؤلفة يتألفهم على الاسلام فجاء ذو الخويصرة فقال اعدل الى اخر
الحديث ثم قال وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري والله اعلم قال ابن زيد قال
المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فانزل الله ومنهم من يلمزك في
الصدقات **فان اعطوا منها** اي من الصدقات **رضوا** عنك في قسمتها وذكروك بالجميل **وان لم
يعطوا منها** بالكلية بعطاء الله ورسوله لعدم استحقاقهم لذلك **اذا هم يسخطون** اي فلم تعطهم عابوا
عليك وتسخطوا تخصيصه اذا لم تعطهم فاجاءهم سخطهم ولم يكن تأخره لما جبلوا عليه من محبة الدنيا
والشره في تحصيلها واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية لان كلاً منهما يدل على ان الشرط يستعقب
الجزاء ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال **ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله**
اي ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما آتاهم على يدي رسوله من الغنائم و
الصدقات وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره **وقالوا حسبنا الله** اي
كافينا الله يعني كفانا فضله وعليه اعتمادنا وثقتنا واستنادنا **سيؤتينا الله من فضله ورسوله**
اي سيعطينا الله ما نحتاج اليه من رزقه صدقة او غنيمة اخرى حين استحقاقنا ورسوله يؤتينا بامره
ما يليق بحالنا من وجه اخر اكثر مما آتانا جبراً لقلوبنا **انا الى الله راغبون** في ان يوسع علينا
من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيراً لهم
واعود عليهم ومعنى راغبون اي طامعون وراجون ثم بين مصارف الصدقات تصويباً وتحقيقاً لما
فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم واشعاراً باستحقاقهم الحرمان وانهم بعداء عن الصدقات وعن مصارفها
وحسماً لاطماعهم فقال **انما الصدقات للفقراء والمساكين** اي ليست الصدقات اي الزكوات للذين يلمزونك
في الصدقات وانما الصدقات للفقراء والمساكين والحاصل قصر جنس الصدقات اي الزكوات على الاصناف
المعدودة في هذه الاية يعني هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم وفي المدارك كقولك
الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم قلت وكذلك الائمة من قريش فالنصف من يتعدى ويجاوز
عن حقه واعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل
في الاية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
منها بشيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات

عن زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني
من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم
فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود فصل
في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسالة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكوة على الاغنياء وصرفها
الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة
صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا
بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله تعالى وعن الاشتغال بالطاعات المقربة
الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكوة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله تعالى فيصير
سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكوة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب
الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكوة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب
الوجه الثالث سبب وجوب الزكوة امتحان العبد المومن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج
المال شاق على النفس فاوجب الله عز وجل الزكوة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال
ليتميز بذلك بين المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله
والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة
من ماله الى عياله فيثيب العبد المومن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد
العاصي المانع لعياله ماله ف عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن
المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى
الذي امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي
الاغنياء فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال
الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر
بدفع الزكوة الى الفقراء حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسالة الثانية الاية تدل على انه لا حق
لا حد في الصدقات الا لهولاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها
مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه
فدل بذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسالة الثالثة في بيان الاصناف
الثمانية فالصنف الاول الفقراء والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف
العلماء في الفرق بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي
لا يسال والمسكين السايل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير
من انقى نفسه وثيابه لا يقدر على شيء يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج
الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان
او غير زمن والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا يقع منه موقعا تكفايته سايلا كان او غير سايل
فالمسكين عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة الفقير احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال

لا فرق

لا فرق بين الفقير والمسكين لان الله تعالى وصفهما بهذين الوصفين والمقصود شيء واحد وهو قول
ابي يوسف ومحمد وفايدة الخلاف تظهر في مسالة وهو انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين فالذين
قالوا الفقراء غير المساكين قالوا لفلان الثلث والذين قالوا الفقراء هم المساكين قالوا لفلان النصف
حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هولاء الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم
وتحصيلا لمصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين
لما بدأ بهم واصل الفقير المكسور الفقار قال لبيد لما رأى لبد النسور تطايرت رفع القوادم كالفقير
الاعزل قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا لزمانته
وحاجته الشديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيمة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان
المسكين اسوء حالا من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة ولقال ايضا كاد المسكنة ان يكون كفرا
بدل كاد الفقر ان يكون كفرا فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة من سفن البحر تساوي دنانير
كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين
وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوء حالا من الفقير قوله تعالى او مسكينا ذا متربة وصف
المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى
جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي ان
الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد واحتج ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن علا
ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين
الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شيء
فهو مفتقر اليه وان كان غنيا عن غيره قال الله انتم الفقراء الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان
المال والجواب عن هذه الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهو حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المسكين المذكور
هنا بكونه ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم تبق لهذا القيد فايدة مع انه يحتمل ان
يكون المعنى صاحب تراب والفايدة عن جعل الكفارات للمسكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب
من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير وحده فكل فقير افرد بالاسم جاز
اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات
عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال
فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب
القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي
مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن
عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم
الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرانا جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها

لغنيّ ولا لقويّ مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولفظه أن رجلين أتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنيّ ولا لذي قوة مكتسب
واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من أخذ الصدقة فقال الأكثرون حده أن يكون عنده ما يكفيه
وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب أبي حنيفة حده أن يملك مائتي درهم وقال
قوم من ملك خمسين درهما أو قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ومسألته في وجهه خموش أو
خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود
والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر
من خمسين درهما من الزكوة وقيل أربعون درهما لما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك
أربعين درهما وأما كيفية قسم الصدقات فسنذكر قريبا في المسألة الرابعة بعد قوله والله عليم حكيم تفصيلا
ولنذكر هنا جملة مختصرة مما قاله الشافعي في القسم قال صاحب الأماني وذهب الشافعي إلى وجوب صرفها
الأصناف الثمانية إن وجدوا قسمة على السواء وإلا فالموجود ومن ثم يعني إن انعدم صنف منها
رد نصيبه على الموجودين ويعطى من كل صنف ثلثة فما فوقها إن وجدوا نظرا إلى اعتبار الجمع في الحصر
والقرينة واللام التمليكية والواو التشريكية لأنه كلام الاختصاص بلا فرق وهو كقولك هذا الدرهم لهؤلاء فإنهم
يشتركون فيه فإن قلت فعلى هذا يجب أن يكون صرفه إلى أفراد كل صنف ولم يقل به الشافعي قلت لم يذهب
إلى ذلك لتعذره ولما روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له مرهم بالصلوة
فإن هم فعلوا ذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم زكوة أموالهم بأن يؤخذ من أغنيائهم فيرد إلى
فقرائهم فخص زكاتهم بفقرائهم أي خص زكاة ذلك البلد إلى فقراء ذلك البلد فحسب ولهذا لم يجوز
الشافعي رحمه الله نقل الزكوة من ذلك البلد إلى بلد آخر فالشافعي ذهب إلى ما قسم الله بنفسه وبما
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها
بنفسه قلت والله أعلم بتقدير الأنصباء والمصالح لا يفعل إلا هو الأصوب الأصلح كما يقول في آخر هذه الآية
والله عليم حكيم انتهى وقوله عز وجل **والعاملين عليها** أي الساعين في تحصيل الصدقات وجمعها ورد
في جهتها يعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر
وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن
الشافعي يقول هو أجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا
على الصدقات لما روي عن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم
على الصدقة فأراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وإن مولى القوم منهم
أخرجه الترمذي والنسائي وقوله عز وجل **والمؤلفة قلوبهم** هم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة
في الإسلام فيستألف قلوبهم ليثبتوا على الإسلام أو هم قوم أسلموا نعطيهم ليسلم نظراؤهم
فنعطي هذين الطائفتين اليوم عند الشافعي وأما الإعطاء رجاء لإسلامهم أو ليذب من المسلمين

فلا نعطيهم

فلا نعطيهم اليوم عند الشافعي لعز الإسلام قال صاحب اللباب والمؤلفة قلوبهم قسمان قسم مسلمون
وقسم كفار فأما قسم المسلمين فقسمان القسم الأول هم قوم من أشراف العرب كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن بدر بن حصن والأقرع بن
حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيهم ليتقوى رغبتهم في الإسلام وقوم أسلموا وكانت نيتهم قوية في الإسلام وهم أشراف في قومهم مثل
عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد خلق الله بدوام الله يعطيهم
تألفا لقومهم وترغيبا لأمثالهم ونظرائهم في الإسلام فيجوز للإمام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس
خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد ما عنده من العدد والمدد في كل لحظة من
الأزل إلى الأبد لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني
من مؤلفة المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونون بإزاء قوم كفار في موضع لا يبلغهم جيوش المسلمين
إلا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بإزائهم من المسلمين لا يجاهدونهم إما لضعف نيتهم
أو لضعف حالهم فيجوز للإمام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة
قلوبهم ومن هؤلاء قوم بإزاء جماعة من مانعي الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها إلى الإمام فيعطيهم
الإمام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي أن عدي بن حاتم جاء إلى
أبي بكر بثلثمائة من الإبل من صدقات قومه فأعطاه أبو بكر منها ثلثين بعيرا أما مؤلفة الكفار فهم
قوم يخشى شرهم أو يرجى إسلامهم فيجوز للإمام أن يعطي من يخاف شره أو يعطيه رجاء إسلامه
فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله كما أعطى صفوان بن
أمية لما كان يرى من ميله إلى الإسلام هذا كان في زمنه أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وله الحمد على ذلك
وأغناه عن أن يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم
ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال
مالك والثوري وأصحاب أبي حنيفة وإسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك
عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون إن احتاج المسلمون إلى
ذلك قال السمرقندي في تفسيره والمؤلفة قلوبهم قوم كان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتألفهم بالصدقة
على الإسلام وكانوا رؤساء في كل قبيلة منهم أبو سفيان بن حرب والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن
حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وصفوان بن أمية وغيرهم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءوا إلى أبي بكر وطلبوا منه فكتب لهم كتابا وجاءوا بالكتاب إلى عمر بن الخطاب ليشهدوه فقال أي شيء
هذا فقالوا سهمنا فأخذ عمر الكتاب ومزقه وقال إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيكم ليتألفكم على
الإسلام فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فإن ثبتم على الإسلام وإلا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا
إلى أبي بكر فقالوا أنت الخليفة أم هو فقال هو إن شاء فبطل سهمهم قال الأستاذ [illegible] على ما ذكره
السمرقندي أن يكون الإجماع ناسخا للكتاب وليس كذلك والجواب عن ذلك أنه يقال إنه ليس بنسخ
للكتاب بل تقرير له في المعنى وذلك لأن المقصود بالدفع إليهم في زمن النبي عليه السلام كان لإعزاز

الاسلام في ذلك الوقت لضعفه وكان الاعزاز في الدفع ولما غلب الاسلام وتبدل الحال صار الاعزاز
في المنع ولما كان الاعطاء في زمن النبي لاعزاز الاسلام والمنع بعده ايضا لاعزاز الاسلام كان الاعزاز
هو المقصود وهو باق على حاله فليس فيه نسخ الكتاب بالاجماع بل تقرير لما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم
والله اعلم قوله عز وجل **وفي الرقاب** اي وفي فك الرقاب يعني وللصرف في فك الرقاب بان يعاون
المكاتب بشيء من الصدقات على اداء النجوم قال الشيخ معناه ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع
اليهم ليعتقوا به وهو مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري
والليث بن سعد ويدل عليه ايضا قوله تعالى واتوهم من مال الله الذي اتاكم وقال مالك واحمد واسحاق
ان سهم الرقاب موضوع لعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن
عباس انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكوة وقال ابو حنيفة واصحابه لا يعتق من الزكاة رقبة
كاملة ولكن يعطي منها في عتق رقبة ويعين بها مكاتبا لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض وقال
الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيدا ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب
ويدل عليه انه تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات
للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة
المقدم ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا واما الرقاب فيوضع نصيبهم
في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين يصرف
نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا في ابن السبيل
يصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه ومقصده والحاصل ان الاصناف الاربعة الاول
يصرف المال اليهم يعني الى انفسهم واما الاصناف الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل الى الجهة التي لاجلها
في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكاة قوله عز وجل **والغارمين** وهم الذين عليهم ديون لغير
معصية ولا سفه ولا فساد او تابوا ولا وفاء عندهم فيعطون على قدر الوفاء بديونهم فقط وقيل هم
الذين استدانوا في اصلاح ذات البين او في عمل الخير او للانفاق على عيالهم من غير اسراف لعدم كفاية
ما في ايديهم فيعطون ما يؤدون ذلك مع غناهم لما روي عن عطاء بن يسار رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم
او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني
اخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم
عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان
دينه في هواه نفسه يعني في شيء لا يسمنه ولا يغنيه ولا يعنيه كالدخان والحشيش فاختلف فيه
اهل زماننا فمنهم من حرم ذلك وجعله من التبذير فلا نعطيه شيئا من الصدقات ومنهم من سكت عنه
ومنهم من صرح بتحليل ذلك فالذي حرمه وسفك عليه الدماء هو السلطان واكثر اهل العلم بالله والذي
سكت فاما سكوته عن علم فامره الى الله تعالى واما عن جهل فهو معذور والذي صرح بالتحليل فان كان عن جهل

فعليه

فعليه وزر الشاربين لغرته اياهم وان كان عن علم فقياسه لا يتجه مع سواد الاعظم اعني الامام
واكثر العلماء بالله هكذا قرر استادنا واما انا فاقول الاحوط للمتدين ان لا يحوم حوله والله اعلم قوله
وفي سبيل الله اي وللصرف في الجهاد يعني للغزاة سهم من مال الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج
الى الغزو وما يستعينون به على امر الجهاد من النفقة والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك
وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن
اراد الحج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس
وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز
قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين
الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله تعالى وفي سبيل الله عام
في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه وفي الجامع قال الشافعي
رحمه الله يجوز للغازي ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحاق
وابي عبيد وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا **وابن السبيل** اي المسافر
المنقطع عن ماله الغير العاصي بالسفر يعطى ما يبلغه المقصد او موضع ماله ان كان له في الطريق
مال قال الاستاذ المراد بابن السبيل المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته
الطريق قال الشاعر انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي فكل مريد سفر مباح
ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقة ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي
يقصده او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع
فريضة من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف لما دل عليه الاية اي فرض الله الصدقات للاصناف
الثمانية فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع اي تلك فريضة وفائدة التقييد بالفريضة
الاشارة الى ان صدقة التطوع يجوز دفعها الى هؤلاء والى غيرهم **والله عليم** بصالح خلقه وبتقدير
الانصباء **حكيم** يضع الاشياء في مواضعها قال الشيخ حكيم فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره
نقص وخلل وفي الغاية عليم بعلم موضع الاستحقاق حكيم حيث حصر الصدقات في هؤلاء المذكورين
المسئلة الرابعة في احكام متفرقة تتعلق بالزكوة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء
هي الزكوة المفروضة بدليل قوله خذ من اموالهم صدقة واختلف في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها فذهب
جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه
ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهامهم
ثمانية قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاته بنفسه ثم
حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان يصرف الى اقل من ثلثة منهم ان وجد منهم ثلثة او اكثر
فلو فاوت بين اولئك الثلثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه
ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقين وذهب جماعة من العلماء
الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه

الاصناف الثلثة اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمها بينهم جميعا وهو
قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب ابو سفيان الثوري واصحاب ابي حنيفة
واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد ويفرقها اولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال
كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على الاصناف كلها وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى
موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة وان راى الخلة في الفقراء في عام قدمهم
وان راها في عام في صنف اخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق
فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج اليه فان حصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيء وان
كان محترفا لكنه لا يجد اله حرفته فيعطى قدر ما يحصل به اله حرفته فالاعتبار عند الشافعي ما يرفع الحاجة
من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى رجل واحد من
الزكوة مائتي درهم فان اعطيته اجزاه فان اعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل تجزيه فيه قولان ولا
ان يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال الشافعي وابو حنيفة لا يعطي والدا وان
علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطي من عداهم وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو
المطلب فلا يدفع اليهم من الزكوة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم انا لا تحل لنا الصدقة وقال ابو حنيفة تحرم
على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم
وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل الصدقة عن بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر اهل
العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة
تؤخذ من اغنيائهم وترد في فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد اخر
واداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان
الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله اعلم قال السيوطي قوله والله عليم حكيم اي عليم بخلقه حكيم
في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم اذا وجد فيقسمها الامام عليهم على السواء وله تفضيل
بعض احاد الصنف على بعض وافادة اللام وجوب استغراق افراده لكن لا يجب على صاحب المال اذا قسم لعسره
بل يكفي اعطاء ثلثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما افادته صيغة الجمع وبينت السنة ان شرط المعطى منها
الاسلام وان لا يكون هاشميا ولا مطلبيا قال البيضاوي وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوات
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه
ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهم الله على ان الاية بيان ان الصدقة
لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم انتهى قال بعض الشيوخ اعلم ان للانسان روحا وبدنا ومالا فاذا بذل
الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصوم والصلوة فكيف يليق به ان
يبذل المال في ابتغاء مرضاته قوله عز وجل ومنهم اي ومن المنافقين الذين يحلفون بالله انهم لمنكم ومنهم
اشد من الحاسدين اللامزين في الصدقات اذاهم الذين يؤذون النبي اي يعيبون فوق ايذاء اللامزين

وهذا نوع اخر من طعن المنافقين نزلت في جماعة منهم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون بعضهم لبعض في
الايذاء هو اذن اي ليس الا الاذن بضمتين وهو الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي
بالجارحة هي آلة السماع كان جملته اذن كما تصدق الذين واياديهم له هو قولهم فيه هو اذن فقصدوا به
المذمة فانه من اهل سلامة القلوب والغرة فيسمع منا كلما نحدثه ويصدقنا بما نقول له من غير ان يتدبر فيه
ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به قال الشيخ نزلت في جماعة من
المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا
نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا ويهلكنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما
شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن اي اذن سامعة كل ما يقال له
ويقبله وقيل هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل
ابن الحارث وكان ادلم ثائر الشعر احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال فيه
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث
النبي الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال انما محمد اذن فمن حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا
ثم نأتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الاية قيل مقصود المنافقين بقوله هو اذن انه ليس بعيد
غور بل هو سليم صدر سريع الاغترار بكل ما يسمع والظاهر ان مراد المنافقين بقوله هو اذن اي لا تدبر
له في الامور من باب الذم ففسره الله بما هو مدح له عليه السلام وثناء عليه فقال قل هو اذن
خير لكم اي مستمع خير لكم لا مستمع شر يعني هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد
عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لكم لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير مرفوعين منونين ومعناه
يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم وقال بعضهم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستمع الى كل
كلام كل من حدثه بنى لشرفه وكرمه ومجده وحسن خلقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه
صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك واشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف
وشلل ثم وصف الله تعالى نبيه وبين كونه اذن خير لهم بقوله يؤمن بالله اي يقر ويصدق
بوحدانية الله وما يليق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين اي ويصدق النبي للمؤمنين
لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم فيما يقولون اي لا يقبل قول المنافقين وانما عدي الايمان
بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يعدى الا بالباء فيقال
امنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله
انؤمن لك واتبعك الارذلون وما انت بمؤمن لنا افتطمعون ان يؤمنوا لكم فحصل الفرق بين التعدي بالباء والتعدي
باللام قال البيضاوي واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان
قوله ورحمة بالرفع عطف على اذن خير اي هو رحمة اي ذو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل
للمبالغة وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير عطف الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لا
يسمع ولا يقبل غيرهما وقرئت بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم خيرا وقال ابو الليث
في معنى قوله تعالى ورحمة اي هو نعمة للذين امنوا منكم قال البيضاوي اي رحمة لمن اظهر

الايمان حيث يقبله ولا يكشف سرّه وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما
عليكم انتهى قال الاسناد وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مومنون فبيّن الله تعالى انه رحمة
للمومنين المخلصين لا للمنافقين وقيل فى كونه عليه السلام رحمة لانه يجرى احكام الناس على الظاهر
ولا ينقب ولا يفتش عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم انتهى قال الشيخ مويد البيضاوى معناه هو رحمة
للذين اظهروا الايمان منكم نفاقا حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم فى ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم حيث
لا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم اللهم استرنا بسترك الجميل فى الدنيا والاخرة واسناد الايمان اليهم
بصيغة الفعل بعد نسبته الى المومنين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم
امر حادث ماله من قرار ثم لما بين كونه صلى الله عليه وسلم سببا للخير والرحمة بين ان كل من اذاه استوجبوا العذاب
الاليم لانه يسعى فى ايصال الخير والرحمة اليهم وهم يقابلون احسانه بالاساءة وخيره بالشر فلذلك استوجبوا
العذاب الاليم بقوله **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّٰهِ** بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه **لَهُمْ** بما يؤذونه
عليه من اذيته عليه السلام **عَذَابٌ اَلِيمٌ** يعنى فى الاخرة ثم بين ان من قبائح المنافقين اقدامهم على
الايمان الكاذبة فقال **يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ** الخطاب للمومنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن
ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويوكدون معاذيرهم بالايمان الكاذبة ليعذروهم ويرضوا عنهم والمعنى
يحلفون بالله لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذاة رسول الله صلى الله عليه وسلم **لِيُرْضُوكُمْ** ايها
المومنون بايمانهم الفاجرة قال قتادة والسدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد
ووديعة بن ثابت فوقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير
وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام
من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى الغلام النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره
فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبى صلى
الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الاية
وقال مقاتل والكلبى نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية تلخيص المعنى يحلفون لكم ايها المومنون بالايمان
الفاجرة هولاء المنافقون ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم **وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ**
اَحَقُّ اَنْ يُرْضُوهُ اى احق بالارضاء بالطاعة والوفاق والضمير عائد الى الله لان فى رضى الله رضى
رسوله فتوحيد الضمير لتلازم الرضائين والمعنى والله احق ان يرضوه بالتوبة والاسلام والاخلاص
او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه فذكر الله تمهيد لتعظيم الرسول وبيان ان ارضاءه ارضاء
الله تعالى فلذلك اكتفى بذكر ارضاء الرسول كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمعنى ورسوله احق ان
يرضوه بالطاعة فيما يامركم من امر الدين والموافقة له وعند سيبويه والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان
يرضوه فحذف الخبر من الجملة الاولى لدلالة الثانية عليه والجملة نصبت على الحالية من ضمير يحلفون
يجوز ان يكون المراد يرضوهما معا فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر **اِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ** اى ان كان
هولاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده الظاهر ان جوابه محذوف تقديره ان كانوا صادقين
حقا

حقا كما يزعمون فليرضوا الله ورسوله فان مقتضى الايمان ابتغاء مرضاة الله ولو سخط من سواه
اَلَمْ يَعْلَمُوا قرا الجمهور بياء الغيبة ردا على المنافقين والاستفهام للتوبيخ والتقريع كقولك لانسان
لمن حاولت تعليمه مدة وبالغ فى ذلك التعليم فلم يتعلم او علم ثم نسيه او انكر بعد العلم والمعرفة يقال له
الم يعلم انه كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المومنين والمنافقين
وعلمهم من احكام الدين ما يحتاجون اليه فقال الم يعلموا من شرايع الدين التى علمهم رسولنا
وقرى بتاء الخطاب فقيل هو التفات من الغيبة الى الخطاب ان كان المراد به المنافقين فالاستفهام
للتوبيخ ايضا وقيل الخطاب للمومنين فالاستفهام للتقرير **اَنَّهُ** اى الشان **مَنْ يُحَادِدِ اللّٰهَ وَ**
رَسُولَهُ اى يشاقق الله مفاعلة من الحد وهو الجهة والجانب فان كل واحد من المخالفين
والمتعاندين والمتنازعين فى حد غير حد صاحبه وشق غير شق صاحبه والمعنى من يكون فى حد
وجانب والله ورسوله فى جانب وقيل معناه من يخالف الله ورسوله وقيل يحارب الله ورسوله او يعادى
الله ورسوله ومن شرطية جوابها قوله تعالى **فَاَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ** اى فحق ان له نار جهنم جزاء
لصنيعه فحق خبر المبتدا وهو قوله فان له نار جهنم وانما حملنا على حذف خبر المبتدا لان ان المفتوحة
تجعل ما فى حيزها فى حكم المفرد فلا يصح ان يكون جزاء لانه لا يكون الا جملة ويجوز حذف المبتدا والتقدير
فالامر ان له نار جهنم والجملة الشرطية فى محل الرفع على انه خبر ان الاولى وفتحت ان بعد فاء الجزاء
لاجماع القراء على فتح ان بعد الفاء فى هذه الاية كما اجمعوا على كسرها فى قوله ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم وقرى فان بالكسر وهذا تخريج واضح صحيح وقد عدل عن هذا بعضهم الى وجوه
اخر فقال المعتزلى ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه من يحادد الله على ان جواب من
محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وعند اهل العربية
هذا التقدير مردود لانهم نصوا على انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط
ماضيا او مضارعا مقرونا بلم وهنا فعل الشرط مضارع غير مقرون بلم وقالوا ايضا فانا
نجد الكلام تاما بدون هذا الذى قدره وقال المبرد ان ان الثانية مكررة للتوكيد كان
التقدير انه من يحادد الله ورسوله فله نار جهنم وكررت ان توكيدا وعند اهل العربية هذا
ايضا مردود لانه يلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط وايقاع اجنبى بين فاء الجزاء وما
فى حيزه ويشكل ايضا حينئذ نصب نار جهنم فانه لو كانت تكرارا للاولى لم تقتض الا ما اقتضته
الاولى ولم تعمل الا فيما عملت فيه من غير ان تنفرد بعمل **خَالِدًا فِيهَا** على الدوام حال مقدرة من
ضميرله **ذٰلِكَ** اى عذابه على الدوام فى نار جهنم **الْخِزْىُ الْعَظِيمُ** اى الفضيحة العظيمة
فان قلت هذه الاية تدل على تخليد اصحاب الكبائر فى النار لان المراد بالمحادة المخالفة والمعاداة
قلنا قوله تعالى الم يعلموا الاية خبر عن المنافقين الذين سبق ذكرهم فيكون المراد به المحادة بالكفر
والنفاق وذلك يوجب التخليد فى النار قال ابن عباس نزلت فى رهط تخلفوا عن غزوة تبوك
جاؤا حين رجع النبى صلى الله عليه وسلم يعتذرون ويحلفون فنزلت هذه الاية وغيرها **يَحْذَرُ**
الْمُنَافِقُونَ يحذر خبر عن حذرهم لا امر عند اكثر المفسرين يعنى يخاف المنافقون ويخشى وقال الزجاج

يحذر هنا بمعنى الامر اى ليحذر المنافقون ان تنزل عليهم اى على المومنين سورة اى سورة براءة
تنبئهم اى تخبر المومنين بما فى قلوبهم اى بما فى قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمومنين وذلك
ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القران
فى شانهم وكان بعضهم يقول لو انى جلدت مائة جلدة احب الى من ان ينزل فينا شئ يفضحنا
فنزل يحذر المنافقون قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعنى انها
فضحت المنافقين وبعثرت عن اضمارهم واثارتها وحفرت عن مخازيهم ومثالبهم فلذلك قد
اسماء السورة قال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر
الاسماء رحمة منه على المومنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مومنين وعن ابى مسلم ان المنافقين
اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله قل استهزءوا امر تهديد فهو كقوله
اعملوا ما شئتم ان الله مخرج اى مبرز من القوة الى الفعل او مظهر ما كان موجودا بالفعل ما كنتم
تحذرون يعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه من المومنين او عنادهم
ما تحذرون اخراجه من النفاق بتخصيصه اى ما تحذرون من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من
قال ابن كيسان نزلت هذه الاية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة
لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له فى ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة
حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت اليهم من يقتلهم
فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة وعن قيس بن
عباد قال قلت لعمار ارايتكم قتالكم ارايا رايتموه فان الراى يخطئ ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان فى امتى قال شعبة واحسبه قال حدثنى حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فى امتى اثنى عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم
تكفيكهم الدبيلة سراج من نار يظهر فى اكتافهم حتى ينجم من صدورهم ولئن سألتهم يا محمد اى المستهزئين
بالقران وبك ما هذا الكلام الذى تحدثون ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال السيوطى في سبب نزوله
والله لئن سألت المنافقين عن استهزائهم بك وبالقران وهم سائرون معك الى تبوك ليقولون
فى اعتذارهم انا كنا نخوض فى الكلام ونقطع الطريق ونلعب كما يفعله الركب فى السفر ولم نقصد الاستهزاء
واصل الخوض الدخول فى مائع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل فى كل دخول فيه تلويث
والذى سبب نزول هذه الاية على ما قال الكلبى ومقاتل ومجاهد وقتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ثلثة نفر اثنان يستهزئان بالقران وبالرسول والثالث يضحك قيل كانوا
يقولون ان محمدا يزعم ان الله يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل فى اصحابنا

فاصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب يعنى كنا نتحدث ونخوض
فى الكلام كما كان الركب يقطع الطريق بالحديث واللعب قال عمر رضى الله عنه رايت عبد الله بن ابى يسير قدام
النبى صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بامر الله
له فى جوابه قل ابالله اى بتكاليفه او باسمائه او بقدرته حيث استبعدتم اعانته الرسول واصحابه على
فتح قصور الشام واياته اى بالقران العظيم ورسوله اى وبرسوله محمد كنتم تستهزءون بالملقى
اليه وبرده عليه وفى رواية ان جبريل عليه السلام نزل فاخبر النبى باستهزائهم وضحكهم فبعث النبى
اليهم عمار بن ياسر فقال اذهب الى اولئك وسلهم عما يتحدثون ويضحكون واخبر النبى عمارا قبل ذهابه اليهم
بانهم يستهزءون بالقران واخبره بانك اذا سألتهم عن ضحكهم يقولون لك انما كنا نخوض ونلعب فلما ذهب
عمار بن ياسر فقال لهم ما تقولون قالوا انما كنا نخوض ونلعب فيما يخوض فيه الركب اذا ساروا ونضحك
بيننا ليقصر بعضنا على بعض السفر قال عمار بن ياسر رضى الله عنه صدق الله وبلغ رسوله هكذا اخبرنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانكم تقولون ما قلتم لى ثم قال عمار غضب الله عليكم هلكتم فعرفوا عند ذلك
انه نزل فيهم قرآن فجاءوا واعتذروا فنزل قوله تعالى لا تعتذروا اى لا تظهروا عذركم فى الكاذب
فانه لا ينفعكم بعد ظهور اسراركم قد كفرتم اى قد اظهرتم الكفر بالاستهزاء والايذاء بعد ايمانكم
اى بعد اظهاركم الايمان قال السمرقندى معناه قد كفرتم فى السر بعد ايمانكم فى العلانية ويقال قد اقمتم على
كفركم الاول فى السر بعد ايمانكم مع الاقرار فى العلانية بالايمان انتهى تلخيصه فتظهر كفركم بعد اظهاركم
الايمان وانما قلت تلخيصه لى لانه لو قال قائل كيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم ولم يكونوا مومنين فى السر
اصلا قلنا معناه قد اظهرتم الكفر الباطن بعد ما اظهرتم الايمان وفى الجامع وفيه دليل على ان الجد
واللعب فى اظهار كلمة الكفر سواء فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الائمة ان نعف عن طائفة
منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء بالرسول واراد بالطائفة هنا مخشى
بن حمير الاشجعى نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اى مصرين على النفاق والاستهزاء
قال الاستاذ ذكر المفسرون ان الطائفتين كانوا ثلثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب
توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحاق الذى عفى الله
عنه رجل واحد وهو مخشى بن حمير الاشجعى يقال انه هو الذى كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان
يمشى مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت هذه الاية تاب من نفاقه ورجع
الى الاسلام وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية تقرأ اعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها
القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب
يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قال ابن عباس الطائفة الواحد فما فوقه قال ابن
الانبارى ان لفظ الجمع يطلق على الواحد كما فى قوله تعالى الذين قال لهم الناس والمراد نعيم بن مسعود
قرأ عاصم نعف برفع الفاء وفتح النون نعذب بضم النون وكسر الذال طائفة نصب على المفعولية اخبار
من الله عن نفسه بكلمة المعظم والباقون بضم ياء الغيبة وفتح الفاء فى يعف تعذب بضم تاء التا

وفتح الذال ورفع طايفة على قيامها مقام الفاعل وقرئ بياء الغيبة وبناء الفاعل فيهما وهو الله وقرئ
وان تُعفَ بالتاء والبناء للمفعول وفيها غرابة لاسناد الفعل المونث الى الظرف لكنه محمول على المعنى
كانه قال ان ترحم طايفة وقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعني انهم
متشابهون في الدين كابعاض الشي الواحد اي انهم كذكورهم في تلك الافعال المنكرة تخصيصه الخبيثة على
امر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت
مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه والحاصل هذا تكذيب للمنافقين في قولهم انهم لمنكم لانهم متواصلون
متحدون في وصف النفاق ذكورهم واناثهم وقوله وما هم منكم وان كان ردا لتلك الدعوى
الا انه لم يكن مشتملا على ما يضاد دعواهم من قوله يأمرون بالمنكر اي يامر بعضهم بعضا بالشرك
والمعصية وبجميع ما انكره الشارع وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة وتصديق
الرسول ويقبضون ايديهم عن الانفاق في الطاعة وفي جميع سبل الخير فقبض اليد كناية عن
البخل والشح نسوا الله اي غفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم اي فتركهم من لطفه
وفضله بالتوفيق في الدنيا والرحمة في الاخرة قال الشيخ معناه انهم تركوا امر الله حتى صاروا بمنزلة
الناسين له فجازاهم الله على ذلك بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه فخرج على مزاوجة
الكلام فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال الاستاذ معناه ترك الله ذكرهم فيمن ذكرهم بالرحمة
والاحسان يعني جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره ان المنافقين
هم الفاسقون اي الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن
كل خير والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات
المسترين بالكفر والكفار اي المجاهرين بالكفر يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا
فالوعد يكون في الخير والشر نار جهنم خالدين فيها فيه حذف تقديره بان يصلوها
خالدين يعني مقدرين الخلود ومقيمين فيها فقوله خالدين حال عن المفعول الاول للوعد مقدرة
لان هذه الحال لم يقارن الوعد هي حسبهم اي هي كافيهم عقابا وجزاء على كفرهم ونفاقهم
وتركهم الايمان والطاعة تخصيصه تلك العقوبة كافية لهم ولا محل لهذه الجملة الاستينافية
ولعنهم الله اي ابعدهم الله من رحمته وطردهم عن بابه واهانهم وفي اظهار اسم الجليل
الاعظم من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع تخصيصه
المعنى ان لهم نوعا اخر من العذاب المقيم الدايم سوى العذاب بالنار فالخلود المذكور اولا لا يدل
على ان العذاب بالنار دايم وقوله ولهم عذاب مقيم يدل على ان لهم من ذلك نوعا اخر من العذاب
فان قيل هذا مشكل لانه قيل في النار المخلدة هي حسبهم وحسبهم يمنع من ضم شيء اخر اليه فالجواب
انها حسبهم في الايلام ومع ذلك يضم اليه نوع اخر زيادة في تعذيبهم قال بعضهم المراد بين
ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من الخوف من اطلاع
الرسول صلى الله عليه وسلم على بواطنهم وما يجدونه من انواع الفضايح كالذين من قبلكم محل الكاف رفع
خبر مبتدا محذوف اي انتم ايها المنافقون مثل الذين من قبلكم من بني اسرائيل يعني انكم فعلتم بدينكم مثل
الذين

الذين فعلوا قبلكم بانبيائهم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر
والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة ثم وصف الله الكفار بانهم كانوا اشد
من هولاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال كانوا اشد منكم قوة اي بطشا ومنعة في
وكانوا اكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم اي انهم عصوا
فاهلكوا فانتم اولى بالاهلاك لمعصيتكم وضعفكم فاستمتعوا بخلاقهم اي فتمتعوا بنصيبهم
وحظهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها بدلا وعوضا من الاخرة والخلاق النصيب
وهو ما خلق للانسان وقدر له من خير كما يقال قسم له وسمي النصيب نصيبا لانه نصب له
فاستمتعتم بخلاقكم وهذا خطاب للحاضرين من الكفرة والمنافقين يعني فتمتعتم ايها المنافقون
والكافرون بنصيبكم الذي اوتيتم في الدنيا من الحظوظ الفانية ورضيتم بها وقطعتم النظر
عن العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة كما استمتع الكاف في محل النصب نعتا لمصدر محذوف
اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم من الامم السالفة بخلاقهم اي بنصيبهم من
الدنيا استغناء عن نصيب الاخرة فان قلت اي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم والحال
ان قوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن
ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فايدته انه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما
اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتها الفانية عن النظر في العاقبة وطلب
الفلاح في الاخرة وجعل تمهيدا لذم المخاطبين بان شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد
ان تنبه بعض الظلمة عن سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف
بغير حق وانت تفعل مثله ولم يسلك هذا المسلك في التشبيه الثاني وهو قوله وخضتم كالذي خاضوا
حيث لم يقل وخاضوا وخضتم كالذي خاضوا اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور في التشبيه الاول
فان التشبيه الثاني لما كان معطوفا على التشبيه الاول علم ان المقدمة المذكورة هناك مقصودة
ههنا فاستغني عن ذكرها في التشبيه الثاني وخضتم اي دخلتم في الباطل عطف على ما قبله ومستند
اليه كالذي خاضوا اي خضتم خوضا كالخوض الذي او الذين خاضوا تخصيصه وسلكتم في
فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمومنين
قال البغوي يعني قوله كالذي خاضوا اي كما خاضوا وقيل كالذي يعني الذين خاضوا وذلك ان
الذي اسم ناقص مثل ما ومن يعبر به عن الواحد والجمع نظيره قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ثم قال
ذهب الله بنورهم اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة يعني الذين رضوا بان خوضهم
ديدنهم حبطت اعمالهم اي بطلت اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجرا حسنة لو قارنت
الايمان تخصيصه ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر لعدم مقارنتها الايمان في
الدنيا والاخرة يعني لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين قال الاستاذ معناه ان اعمالهم لا تنفعهم
في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها قال الشيخ معناه لم يترتب على اعمالهم اثر في الدنيا
والاخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها

من الصحة والسعة وغيرهما حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم
اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس مرتبة عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق المكر و
الاستدراج وأولئك هم الخاسرون والمعنى انه كما بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا
تبطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ف عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى
لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ثم لما شبه المنافقين
بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزايل بين ان اولئك الكفار منهم قد
اندرست طوايف سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهي الشام واليمن والعراق قريب من بلادهم
وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فقال ألم يأتهم اى
يات هولاء المنافقين والكفار يعنى قد اتاهم نبأ اى خبر الذين من قبلهم اى الامم الخالية
الذين من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال قوم نوح
بالجر بدل من الذين اهلكناهم بالطوفان لتكذيبهم نوحا وعاد اى وقوم عاد اهلكناهم بالريح
العقيم لتكذيبهم هودا وثمود اى وقوم ثمود اهلكناهم بصيحة جبريل والرجفة لتكذيبهم صالحا
وقوم ابراهيم وهم قوم نمرود بن كنعان اهلكناه بالبعوض الذى هو اضعف الخلق بسبب تمرده
وتجبره على الخلق وسلب الله نعمته عنهم لتكذيبهم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب
اهلكوا بعذاب يوم الظلة لتكذيبهم شعيبا والمؤتفكات اى مداين قوم لوط يعنى قراها واهلها
اهلكناهم بجعلنا عاليها سافلها وامطارنا الحجارة عليها لتكذيبهم لوطا جمع مؤتفكة اى
المكذبة لنبيهم او المنقلبة يعنى المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها وهى مداين قوم لوط
كما قلنا آنفا وانما ذكر الله هذه الطوايف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق
والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليها ويعرفون اخبارهم أتتهم
رسلهم استئناف لبيان نبأهم فالضمير في أتتهم رسلهم على القول الاول يعود على جميع من تقدم
ذكره من الامم وخصه بعضهم بالمؤتفكات فيكون المراد بالرسل لوط عليه السلام الا انه ذكره
بلفظ الجمع لانه كان يرسل الى كل قرية رسولا داعيا الى الحق فهم رسل الرسول بالبينات
اى بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امرنا كما فعلتم
ايها الكفار والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل النقمة كما عجلت لهم
فما كان الله ليظلمهم بتعجيل العقوبة لهم يعنى لم يهلكهم بغير ذنب قال السلطان اى لم
يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم قال الشيخ الفاء للعطف على مقدر
والمعنى فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك تلخيصه ما صح وما استقام له ان يظلمهم
ولكنهم ظلموا انفسهم فنظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة الله تعالى عن الظلم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون يعنى ان الذين استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم اى بارتكابهم الذنوب
حيث عرضوا انفسهم للعقاب بالكفر والمعاصي يعني بترك طاعة الله وتكذيب رسله

حال المنافقين والمنافقات وذمهم على صنيعهم اخبر عن حسن حال المؤمنين والمؤمنات الكاملين
في الاخلاص جمعا بين الترغيب والترهيب على ما هو سنته في كتابه فقال والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض سرا وعلانية في الدين والاعانة والتراحم والتناصر واتفاق الكلمة
قال السمرقندي معناه بعضهم على دين بعض وبعضهم معين بعض في الطاعة انتهى فان قلت انه تعالى
قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وفي وصف المؤمنين بعضهم اولياء بعض فما الفايدة في ذلك
قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والاكابر حصل بمقتضى
الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه
لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم اولياء بعض هنا في مقابلة قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفايدة يأمرون
بالمعروف يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة
وينهون عن المنكر اى عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا
في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده حيث قال يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال في
آية اخرى في وصف المنافقين ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى وقال في وصف المؤمنين هنا
ويقيمون الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها ويؤتون الزكوة الواجبة عليهم وهو في
مقابلة قوله ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله في ساير الامور وهو في مقابلة نسوا
الله فنسيهم اولئك اى المؤمنون والمؤمنات الموصوفون بهذه الصفات الجليلة سيرحمهم الله
لانهم ما نسوا الله فلا ينساهم في الدنيا والآخرة والجزاء من جنس العمل لما ذكر الله تعالى وعده
المنافقين من العذاب في نار جهنم حيث قال وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين
فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم قال في مقابلة ذلك لطفا بالمؤمنين سيرحمهم الله
بالرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنان ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ووعده حق وقوله صدق
ولهذا قال المفسرون والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد في الوقوع لان السين في الاثبات كلن
في النفي قال الاستاد ولهذا قد يتمحض للتاكيد من غير قصد الى معنى الاستقبال قال البيضاوي بعد قوله
سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع وفي المدارك السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة
فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سانتقم منك يوما وفي الغاية سيرحمهم الله لا محالة لان
السين في الاثبات مثل لن في النفي قال ابن الكمال السين مؤكدة للوعد مفيدة لوقوع الرحمة لا محالة هذا
ما يجب جليل النظر والذي هو يجب دقيقه انها مدخلة في الوعد مهلة لتكون النفوس تتنعم برجائه
وفضله تعالى زعيم بالانجاز قال في الجامع معناه يفيض عليهم آثار رحمته من التاييد والنصرة
البتة فان السين للتاكيد وصاحب اللباب ايضا يقول والسين في سيرحمهم الله للتوكيد والمبالغة وفيه
النصرة معناه وان كان في امن المؤمنين ضعف الآن سيرحمهم بتقويته فيهم قلت معناه رحمته
انه محض فضله في الدنيا والآخرة من الشدائد كلها ويؤيد ما قلنا ما ذكر عن ابي سعيد الفاريابي انه
قال سيرحمهم الله في خمس مواضع عند الموت وسكراته وفي القبر وظلماته وعند الكتاب وحسابه

وعند الميزان ونشر صحائفه • وعند الوقوف بين يدي الله وسؤاله • والله اعلم باسرار كتابه **ان الله عزيز**
اي غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد • وايصال العقوبة لمن اراد
تخصيصه قادر على اعزاز اوليايه وقهر اعدايه **حكيم** يحكم بحكمته للمومنين بالجنة وللكافرين بالنار
حسب وعده الكريم قال الشيخ معناه يضع الاشياء موضعها قال الاستاد الحكيم هو الذي يجري افعاله
على ما يقتضيه العدل والانصاف اي من حكمته وعده للمومنين حيث قال **وعد الله المومنين والمومنات**
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها لما ذكر الله في الايات المتقدمة وعيد المنافقين
وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد
بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يحير في حسنها الناظر لانه قال تعالى ومساكن
طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم في جنات
عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات
الاخر هي البساتين التي يتنزهون فيها فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما
الجامع فيكون المعطوف وهو قوله ومساكن طيبة مغايرا للمعطوف عليه وهو قوله جنات تجري
من فايدة المغايرة ان يكون المساكن الطيبة الكاينة في جنات عدن للنبيين والشهداء والصديقين
والجنات لمن عداهم قلت ويأتيك الخلاف والتفصيل ان شاء الله تعالى قوله تعالى **ومساكن طيبة** يعني
ومنازل يسكنونها طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش قال السمرقندي يعني منازل تطيب
فيها النفس **في جنات عدن** يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به
الطبري بسنده عن عمران بن حصين وابي هريرة رضي الله عنهما قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولوة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار
سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل
فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من طعام في كل بيت
سبعون وصيفة ويعطى المومن من القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروى بسنده عن ابي الدرداء
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على
قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول
طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن
داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي اعدها لاوليايه واهل طاعته
والمقربين من عباده عن ابي موسى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء
الكبرياء على وجهه تعالى في جنة عدن اخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن
الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج
له خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطاء بن السايب عدن نهر في الجنة
جنانه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن اعلا درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها

محدقة

محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وهم الانبياء والصديقون
والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح
طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض قال الامام فخر الدين حاصل الكلام
ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والاثار تقوي
هذا القول قال بعضهم وعدن علم بدليل قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول
الثاني انه صفة للجنة قال الازهري العدن ماخوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن
عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن الى هنا ذكر صاحب اللباب رحمه الله في
الغاية قوله تعالى وعد الله المومنين الى ان قال ومساكن طيبة تفصيل لما اجمله في قوله سيرحمهم الله
وقد روى البخاري مرفوعا ان المومن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلا وله في كل
زاوية منها اهلون وفي الغاية ايضا قوله تعالى في جنات عدن اي اقامة من قولهم عدن بالمكان
اذا اقام به وقد صار علما بالغلبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن ولقوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده • والحديث الذي يرفعه ان عدن دار الله التي لا يسكنها الا النبيون والصديقون
والشهداء ليس له اصل ويرده هذا النص لانه اثبته لكافة المومنين والمومنات انتهى قلت قال ابن
كمال وعندي مقام معين وساق حديث ابي الدرداء الى ان قال لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون
والشهداء وهذا لا ينافي تعميم الوعد لساير المومنين لان الموعود لهم ما في قوله من الجنات انتهى
اقول وقد ثبت البخاري البينية بين القوم وبين نظرهم لربهم برداء الكبرياء على وجهه تعالى
في جنة عدن فهي داره على مراده كما ان الكعبة بيته على مراده فله ان يدخلها من شاء من خواصه
من النبيين والشهداء والصديقين قال السمرقندي في تفسيره وعن مجاهد انه قال قرا امير
المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر جنات عدن فقال ايها الناس هل تدرون ما جنات عدن
عدن هو قصر في الجنة من ذهب له خمسماية الف باب وعلى كل باب خمس وعشرون الفا من الحور العين
لا يدخلها الا نبي وهنيئا لصاحب القبر واشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم او صديق وهنيئا لابي بكر
الصديق او شهيد واني لعمر الشهادة وفي المدارك وعدن مدينة في الجنة وذكر غوث الله الاعظم
المتاني باسم الله الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره في غنيته ما نصه
فبينما اهل الجنة على لذاتهم وسرورهم اذ فتح لهم باب الملك القدوس من جنة عدن فارتجت
اصوات صفوف الروحانيين من جنة عدن بتماجيد الماجد الكريم الى درجات الجنان وثارت
ريح عدنية بالوان الطيب والروح والنسيم نسيم القربة وسطع على اثر ذلك نور فاشرقت منه
رياضهم وخيامهم وتلالات انهارهم واستنار كل شيء منه نورا ثم ناداهم الجليل من فوق رؤسهم
السلام عليكم احبائي واوليائي واصفيائي ثم طال حديثه وذكر ما لاهل الجنة من النعيم والسرور
عند رب العالمين ومن اراد تحقيق المقام فليراجع غنيته ثم وعد الله عباده بما هو اعلى من
طيب العيش بقوله **ورضوان من الله اكبر** يعني رضوان عنهم اعظم مما هم فيه من
الثواب والنعيم في الجنة تخصيصه شيء من رضوان الله اكبر من الجنات ونعيمها ومساكنها

كلها لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصل والفوز باللقاء ذلك هو الفوز العظيم
النجاة الوافرة يعني الرضوان او ما تقدم ذكره من نعيم الجنة ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك
ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم
تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول
احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده عليكم ابدا وعن بعض العارفين ليت لي عند الله ركعتين مقبولتين
لان القبول علامة الرضى قل العمل او كثر ولهذا فسر رضوان بشيء قليل وان كان وحده اكبر قال
الامام الرازي قدس سره وانما كان الرضوان اكبر عند العارفين لانه نعيم روحاني وهو اشرف من النعيم
الجسماني ثم لما وصف الله الكفار والمنافقين وكشف للرسول صلى الله عليه وسلم احوال المستترين منها بافعاله
امره بجهادهم بقوله يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمحاربة والقتال والمنافقين اي وجاهد
المنافقين باللسان واذهاب الرفق عنهم وقيل باليد فان لم يستطع فباللسان فان لم يستطع فبالقلب
فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن باقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسباب الحدود
وقيل في قول الحسن بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة الحدود على النفاق
وانما قال الحسن وقتادة ايضا ذلك لان غالب من كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري واقوى الادلة ان الجهاد مع الكفار بالسيف ومع المنافقين
باظهار الحجة عليهم تارة وبترك الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا قول ابن مسعود وسبب هذا
الاختلاف في جهاد المنافقين ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك
لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام قال الاستاذ وانما قدم الكفار لان جهادهم اهم
واتم ويقاتل المنافق بالسيف ايضا اذا كشف الله ما في بواطنهم من الكفر ولم تنفعهم الحجة قال الله
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قال عطاء نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصفح قال الشيخ وانما
قلنا وجاهد المنافقين باللسان دون السيف لاظهارهم الاسلام ولقوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على
الله واغلظ عليهم اي اشدد على الفريقين جميعا بالسيف على الكفار ومع المنافقين ومن في عقيدته زيغ
باظهار الحجة عليهم وترك الرفق بهم وبالزجر باللسان هذا في الدنيا ثم بين الله من جهتهم جميعا
في الاخرة فقال ومأواهم جهنم وبئس المصير يعني ان جهنم مأواهم ومسكنهم وبئس المصير مصيرهم
اليها ثم بين الله لرسوله سوء معاملتهم وخبث فعالهم بقوله يحلفون اي المنافقون بالله
ما قالوا اي ما بلغك عنهم من السب ولقد قالوا كلمة الكفر وهي كلمة الجلاس او كلمة عبد الله
بن ابي بن سلول وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام اختلف العلماء
فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب
من قبا فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن اشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال
مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في
القرآن

القرآن او ان تصيبني قارعة او اخلط بخطيئته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
اقبلت انا والجلاس بن سويد من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة ان اخلط بخطيئته او تصيبني
قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس اقلت ما قال مصعب فحلف
ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الاية وروي عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم
بعين الشيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا
وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر
الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والآخر من غفار [illegible]
وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول
للاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك يعني نحن
سلطناهم على انفسنا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من
المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الاية
هذه روايات الطبري وذكر البغوي فيه عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم
فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله
الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فحلف عامر بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله
وما كذبت عليه ثم رفع عامر يديه الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى
بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع الله قد عرض علي
التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الاية وستأتي قصة
ابي في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله تعالى وقوله تعالى وهموا بما لم ينالوا الضمائر للمنافقين
واسناد الفعل اليهم لصدورها عن البعض في الجملة المعنى قصدوا وابتغوا لم يصلوا ان يفعلوه قال
مجاهد هم الجلاس بقتل الرجل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن
ابي بن سلول وكان الذي همه قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقال السدي قال المنافقون اذا
رجعنا الى المدينة عقدنا على راس عبد الله بن ابي بن سلول تاجا وان لم يرض محمد فلم يصلوا اليه
وقيل هم اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه عليه
السلام من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فارسل

حذيفة او عمار بن ياسر لذلك كما مر قوله **وما نقموا** اى وما عابوا وما طعنوا على محمد صلى الله عليه وسلم
وما انكروا عليه او وما جاهدوا لما يورث نقمتهم وطعنهم على النبي والمؤمنين او وما كرهوا شيئا
من امر محمد واصحابه **الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله** اى الا بسبب ان وسع الله
عيشهم من فضله بالغنائم على يد رسوله بعد شدة حاجتهم يعني لم ينقم منه الا هذا وهذا ليس مما ينقم
ويعاب والضمير في فضله لله تعالى وتوسيط ذكر الرسول عليه السلام لانه الواسطة في وصول
الفضل المذكور منه تعالى تخصيصه ما انكروا شيئا من امر النبي الا هذا الامر الجميل الحسن فهو كقول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ✽ بهن فلول من قراع الكتايب ✽ اى ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا
قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم
وعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان للجلاس قتل مولى له فامر له النبي صلى الله عليه وسلم
بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال
عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر الفا
وفيه نزلت وما نقموا الخ قال الشيخ والمعنى ان المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله
عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا وذلك ان اهل المدينة كانوا اهل زرع
وعمل واكثرهم كانوا محاويج فلما قدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالبركة فقال اللهم بارك
لهم في صاعهم ومدهم اللهم اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح هواها وانقل حماها الى الجحفة وصارت لهم
الفتوح والغنائم والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل تقدير الاول ما نقموا وما كرهوا شيئا
منهم الا اغناء الله اياهم وهو من باب قولهم ما لي عندك ذنب الا ان احسنت اليك وتقدير الثاني ما نقموا
وما كرهوا الداعي لشيء ما الا لاجل ان اغناهم الله ورسوله من فضله **فان يتوبوا** عن النفاق و
يؤمنوا بالله ورسوله **يك** اى يكون التوبة **خيرا لهم** من الاقامة على النفاق في الدنيا والاخرة
لنجاتهم من العذاب ووصولهم الى الثواب في العقبى والعاقل اذا سمع مثل هذه الايات يتوب كما تاب الجلاس
وان يتولوا اى وان يعرضوا عن التوبة ويصروا على الكفر والنفاق **يعذبهم الله عذابا اليما**
في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وانواع الخزي والاذلال **والاخرة** اى وايعذبهم في الاخرة بالنار
وغيرها من افانين العقاب **وما لهم في الارض** مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها
من ولي ولا نصير اى ليس لهم ولي يتولى امرهم ولا نصير فينجيهم من العذاب بالقهر وانما قيد
بالارض لان لهم منها اعوانا وانصارا وفي الاخرة لا انساب ولا اسباب وقيل اراد بالارض ارض
الدنيا والاخرة وقيل كان اعتقادهم وجود الولي والنصير مقصورا على الدنيا فعبر عن الدنيا بالارض
وخصها بالذكر لذلك **ومنهم** اى من المنافقين **من عاهد الله** في هذا القول معنى
القسم فلذلك اجيب بقوله لنصدقن وحذف جواب الشرط لدلالة هذا الجواب عليه واللام للتوطئة
ولا يمتنع الجمع بين القسم واللام الموطئة له **لئن آتانا من فضله** بان يوسع علينا في الرزق
لنصدقن اى لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال الصدقة الزكوة روى البغوي ✽ وبسنده الثعلبي
عن ابي امامة الباهلي واخرجه الطبري بسنده ايضا عن ابي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري

الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله
ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة والذي نفسي بيده
لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة
فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الظهر والعصر ويصلي في غنمه ساير الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد
الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة وكان
اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذان
وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة
فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا
حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم
استقبلهما بها فلما راياها قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا
الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية اذهبا حتى ارى رايي قال فاقبلا فلما راهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يكلما يا ويح
ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله
فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الاية الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة
لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته
فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على راسه التراب فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته
رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~صدقته رجع الى منزله~~ فاتى ابا بكر فقال اقبل صدقتي
فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم يقبلها فلما ولي
عمر فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر انا لا اقبلها منك فلم يقبلها
ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان قال بعض العلماء انما لم يقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه
واهانة له على قوله انما هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه

اهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه
وانه يثاب على اخراجها ويعاقب على منعها فان قلت باب التوبة مفتوح الى ان يطلع الشمس من مغربها
فلم لم يقبل توبته وقد جاء تائبا قلت توبته لم تكن عن اخلاص بدليل قوله تعالى فاعقبهم نفاقا الى يوم
يلقونه ورواية ابي امامة هي المشهور عند المفسرين وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار
فاشهدهم لئن اتاني الله من فضله اتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات
ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل الله فيه هذه الاية وقال الحسن ومجاهد
نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله
من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال ابن السايب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال
بالشام فابطا عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن
منه ولاصلن فلما اتاه ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الاية وبرواية ابن السايب قاله
الكلبي ايضا قال السمرقندي في تفسيره وقال مقاتل نزل في ثعلبة بن حاطب الانصاري كان محتاجا
فقال لئن آتانا من فضله لنصدقن وابتلاه الله تعالى فرزقه وذلك ان مولى لعمر بن الخطاب قتل
رجلا من المنافقين خطأ فدفع النبي ديته الى عصبته وهو ثعلبة فبخل ومنع حق الله تعالى وهذه الرواية
قريب لرواية ابن عباس غير انه ما فصل كيفية الموت وبينه مقاتل والله اعلم قال صاحب اللباب وحاصله
ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن اتاه من فضله ليتصدقن وليفعلن فيه
افعال الخير والبر والصلة فلما اتاه الله من فضله ما سال لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومن
المنافقين من اعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن ولنخرجن
من ذلك المال صدقة **ولنكونن من الصالحين** اي ولنعملن في ذلك المال بما يعمله اهل الصلاح
باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكوة وايصالها
الى اهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله
لنصدقن اخراج الزكوة الواجبة وقوله لنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله اهل الصلاح على
الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة قال ابن عباس يريد الحج ليلائم المعطوف عليه اعني لنصدقن
اشارة الى الزكوة فيحسن ترتيبهما على ايتاء المال المشار اليه بقوله لئن اتانا من فضله ومن ههنا قالوا
الصلاح في المال بعد الصدقة المنفقة في الحج والغزو **فلما اتاهم** اي اعطى الله المنافقين **من
فضله بخلوا به** يعني منعوا حق الله منه ولم يفعلوا من افعال البر شيئا **وتولوا** عن طاعة
الله ولم يفوا بالعهد **وهم معرضون** اي وهم قوم عادتهم الاعراض عن العهد **فاعقبهم** اي فصير
الله عاقبة المنافقين **نفاقا** ثابتا مستمرا **في قلوبهم الى يوم يلقونه** اي يلقون الله وهو
يوم القيمة او يوم موتهم قال الاستاذ معناه فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك سببا لزيادة النفاق
وسوء الاعتقاد في قلوبهم قال البغوي يريد حرمهم التوبة الى يوم القيمة وقيل يجوز ان يكون ضمير قوله
فاعقبهم للبخل والمعنى فاورثهم البخل باخراج الزكاة نفاقا متمكنا في قلوبهم الى ان يلقون الله بالموت
وقيل يلقون عمل البخل اي جزاءه **بما اخلفوا الله ما وعدوه** اي بسبب اخلافهم ما وعدوه من

من اعطاء الزكوة والصلاح **وبما كانوا يكذبون** اي وبسبب كونهم كاذبين فيما وعدوا بقولهم
لنصدقن ولنكونن من الصالحين قرأ الجمهور يكذبون مخففا وقرئ مشددا وقال الامام فخر الدين
ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم الاحتراز
عن ذلك ويجتهد في الوفاء به عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اية
المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان قال النبي صلى الله عليه وسلم
من كن فيه كان منافقا وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا ائتمن خان اخرجه الشيخان والترمذي والنسائي عن ابي هريرة وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن
كان فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال صاحب اللباب في تفسيره قال
الشيخ الامام محي الدين النواوي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه
الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقا
بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم
السلام جمعوا هذه الخصال حيث قالوا اكله الذيب كذبا وانا له لحافظون خلفا في الوعد وائتمنهم ابوهم
على يوسف فخانوه وهم مع ذلك ليسوا بمنافقين بل كانوا مؤمنين وكذا قد تحصل لبعض السلف وبعض
العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي
قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها
شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه
وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه
وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى
الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخلد في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم
كان منافقا خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض
العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك داخلا
فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقالت جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في
امر الدين ونصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن
ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر
وروياه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال كثير من ائمتنا وحكى
الخطابي قولا آخر ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم
ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول
فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا

وقال عبد الله بن مسعود اعتبروا المنافق بالثلث اذا حدث كذب واذا وعد خان واذا عاهد
غدر ثم قرا ومنهم من عاهد الله الى قوله وبما كانوا يكذبون فقد ذكر الثلثة في هذه الاية
هكذا ذكره السمرقندي والله اعلم باسرار كتابه وفي جامع الاسرار المراد بخلف الوعد في الاية الخلف
مع الانكار وبالخيانة الخيانة في دين الله بترك الواجبات وارتكاب المحرمات استحلالا ونفاقا
لان الاية في حق المنافقين وقوله تعالى **الم يعلموا** قرا الجمهور بياء الغيبة والاستفهام لتقرير
عناد المنافقين يتعلق بقوله لئن آتانا من فضله اي الم يعرفوا هولاء المنافقين **ان الله**
يعلم سرهم اي ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على خلاف ما وعدوه **ونجواهم**
من النجوى وهو الكلام الخفي يعني ما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين والمنكر بردود
الله حين هموا به على العقبة وتسمية الصدقة جزية او اخت الجزية وتدبير منعها عن مستحقيها
وقرئ الم تعلموا بتاء الخطاب للمؤمنين دون المنافقين لتخصيص المعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع
لا يخفى عليه شيء منها **وان الله علام الغيوب** وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الاشياء
فكيف يخفى عليه احوالهم والغيوب ما غاب عن العباد والخلق يعني علم غيب كل شيء مما هو به
الذين يلمزون اي يعيبون **المطوعين** اي المتطوعين المتبرعين المتنفلين بما ليس بواجب عليهم
من المؤمنين حال من المطوعين **في الصدقات** متعلق بيلمزون ق عن ابي مسعود البدري قال لما نزلت
اية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مراء وجاء رجل فتصدق
بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين الاية قال ابن عباس وغيره
من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه باربعة الاف درهم قال السمرقندي باربعة الاف درهم عددا وزن كل درهم مثقال وقال
يا رسول الله لي ثمانية الاف جئتك باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف
لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال
عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وفي رواية
السمرقندي فبارك الله فيه حتى انه بلغ ماله حين مات انه طلق احدى نسائه ثلثا في مرضه فصولحت
على ثمانين الف درهم ونيف وفي رواية اخرى ثمانين الف دينار ونيف وفي رواية فبارك الله فيه
حتى صولحت امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وقيل دينار وتصدق يومئذ
ابن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وقيل سبعين وسقا من تمر وكل واحد منهم جاء بمقدار طاقته
حتى جاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال اجرت الليلة الماضية نفسي من رجل
لارسال الماء الى نخله فاخذت منه صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي واقرضت الاخر لربي
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في الصدقات وفي رواية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله
لغنيان وفي رواية وان الله لغني عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقات
او ليذكر مع سائر الاكابر فانزل الله الاية قوله الذين مرفوع على الذم على اضمار مبتدأ اي هم الذين

او منصوب عليه باضمار اعني الذين او مجرور على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون
بضم الميم **والذين لا يجدون الا جهدهم** عطف على المطوعين اي يلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم
يعني ابا عقيل الانصاري كما قلنا قرا الجمهور جهدهم بضم الجيم وقرئ بفتحها فقيل لغتان بمعنى واحد وقيل المضموم
الطاقة والمفتوح المشقة وقيل المضموم شيء قليل يعاش به والمفتوح العمل وهو مصدر جهد اذا بالغ فيه وقال
الشعبي الجهد بالضم هو القوت والقوت ما خوذ من القوت وهو القلة والجهد بالفتح في العمل قال الشيخ
فقد يكون القليل من المال الذي ياتي به المتصدق اكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي ياتي به لان
الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد
وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة **فيسخرون منهم** اي فيستهزؤن بالمؤمنين في عمل الخير معطوف على يلمزون وقوله تعالى
سخر الله منهم اي جازاهم الله على سخريتهم فهو كقوله الله يستهزئ بهم فهو خبر غير دعاء
ثم وصف الله جزاءهم بقوله **ولهم** اي ثابت للمنافقين **عذاب اليم** على كفرهم في الاخرة
استغفر لهم اي استغفر يا محمد للمنافقين **او لا تستغفر لهم** اي للمنافقين صيغة الامر
والنهي ههنا بمعنى الخبر على قصد التسوية بين حال الاستغفار وتركه بمعنى ان شئت استغفر لهم وان
شئت فلا تستغفر لهم فلا يفيد ذلك لهم وفي البخاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خيرت فاخترت
يعني الاستغفار ثم نص الله على مراده بقوله **ان تستغفر لهم** اي لاعدائي واعدائك المنافقين
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ثم بين الله معنى الذي لاجله لم يغفر لهم فقال **ذلك** اي عدم
غفران الله لهم **بانهم كفروا بالله ورسوله** اي بسبب انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله
يعني ان الياس من المغفرة ليس لبخل منا ولا قصور فينك بل العدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها وذكر
عدد السبعين للمبالغة في الياس عن طمع المغفرة قال الضحاك لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله قد رخص لي فسازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما توفي عبد الله يعني ابن
ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه
ثم ساله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه
انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيد
على السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم
قال بعضهم وانما خص السبعين من العدد في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حمزة سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان
السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين
بالذكر قال الاستاد والسبعون جرى مجرى المثل للتكثير وليس للتخصيص والتحديد والغاية اذ لو استغفر

لهم مدة حياته لن يغفر لهم لانهم كفار والله لا يغفر لمن كفر به وقد وردت الاخبار بذكر السبعين
كلها يدل على الكثرة لا على التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين ساير الاعداد ان
العدد قليل وكثير فالقليل ما دون الثلث والكثير الثلاث فما فوقه وادنى الكثير الثلاثة وليس لاقصاه
غاية والعدد ايضا نوعان شفع ووتر واقل الاشفاع اثنان واقل الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد
والسبعة اول الجمع الكثير من النوعين لان فيها اوتارا ثلثة واشفاعا ثلثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز
العشرة فهو اضافة الاحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلثة عشر الى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين
والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك الى المائة والسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب
والكثرة منه فصار السبعون ادنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه فجاز ان يكون تخصيص
السبعين لهذا المعنى والله اعلم بذلك وقوله **والله لا يهدي القوم الفاسقين** اى الخارجين
عن الايمان ما داموا مختارين للكفر والطغيان لخبثه والله لا يوفق للايمان به وبرسوله هداية
موصلة الى المقصد لمخالفة ذلك للحكمة التي عليه يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى
الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا
وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في
كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى وهو كالتنبيه ايضا على عذر الرسول في استغفاره وهو
عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين
لهم انهم اصحاب الجحيم قال الاستاد لما نزل قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم
على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون علم النبي صلى الله عليه وسلم ان ذكر السبعين
لمجرد التكثير لا للتخصيص على ذلك ولذلك قال قبل العلم بوقفهم على الكفر لازيدن فلما علم تركهم من
غير صلاة قال الشيخ وللانبياء مع الله سر لا يسع الى ذلك عقولنا ولهم لامتهم رافة ورحمة فاظهر
النبي ذلك فقال لازيدن على ذلك وهذا داب الانبياء عليهم السلام الا ترى الى قول ابراهيم خليل
الرحمن ومن عصاني فانك غفور رحيم والى قول عيسى بن مريم ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قوله عز وجل **فرح المخلفون** اى فرح المتخلفون عن غزوة
تبوك **بمقعدهم** اى بقعودهم في المدينة **خلاف رسول الله** اى خلف رسول الله وبعد ذهابه
الى الغزو يقال اقام خلاف الحي اى بعدهم وعليه قراءة من قرأ لا يلبثون خلافك الا قليلا اى
بعدك ويجوز ان يكون الخلاف بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة اى لاجل مخالفتهم رسول
الله او على الحال اى مخالفين له حيث مضى هو للغزو وتخلفوا عنه **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم**
وانفسهم في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك لان
الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال واعلم ان
الفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب الا انه اعاده لغاية التاكيد والتعريض بالمؤمنين الذين اثروا
على الراحة والدعة تحصيل رضاء الله عز وجل ببذل المال والنفس **وقالوا** اى بعض المنافقين لبعض

وقال

اى قال بعض المنافقين لبعض المؤمنين ليمنعه من الغزو **لا تنفروا** اى لا تخرجوا الى الغزو **في الحر**
وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله **قل** يا محمد لهم **نار**
جهنم اشد حرا اى من حر تبوك فالاولى ان تتقوها بترك التخلف **لو كانوا يفقهون**
اى لو كانوا يعلمون ان مآلهم الى النار وانها كيف هي ما كانوا يتخلفون عن رسول الله وفسر الكرماني
يفقهون بيعقلون ثم يقول وفي قراءة ابن مسعود لو كانوا يعلمون وفسر البغوي فذكر يفقهون
يعلمون ثم قال وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود قال الاستاد وان كان الفقه بمعنى الفهم
والفطنة ولكن الاقتداء بالصحابي اولى واحسن وفي بعض التفاسير قال عليه السلام افضل الاعمال
احمزها قوله **فليضحكوا قليلا** يعني فليضحك هولاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرحين قليلا في الدنيا الفانية بقعودهم خلافه **وليبكوا كثيرا** اى مكان ضحكهم في الدنيا وهذا
وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا فهو
قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي
قليل **جزاء** يعني ان ذلك البكاء في الاخرة عقوبة لهم **بما كانوا يكسبون** من الكفر والنفاق
والاعمال الخبيثة في الدنيا والتخلف على ذلك خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي فذكره بسنده عن
عن انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم
تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها
جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت قوله عز وجل
فان رجعك الله يعني فان ردك الله من غزاتك هذه يعني من تبوك الى المدينة **الى طائفة منهم**
اى الى المتخلفين عنك من المنافقين وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك
كان منافقا مثل المرضى واصحاب الاعذار والفاء لتفريع امر الاتي على ما بين من امرهم ورجع يتعدى
في هذه الاية ولا يتعدى نحو والينا ترجعون في قراءة من بناه للفاعل والمصدر على قراءة الاولى الرجع كقوله
والسماء ذات الرجع وعلى القراءة الثانية الرجوع كالدخول قال السلطان وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا
فاستاذنوك للخروج اى فاستاذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك
الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك **فقل** يا محمد لهم **لن تخرجوا معي ابدا** لا الى غزاة ولا
الى سفر **ولن تقاتلوا معي عدوا** والجملتان اخبار في معنى النهي للمبالغة وسمهم بسمة الكفر
مخرجين عن ديوان الغزاة ايسين من الغنايم والصدقات ثم انه تعالى علل ذلك المنع بقوله **انكم**
رضيتم بالقعود اول مرة اى لانكم رضيتم بالتخلف عن غزاة تبوك قال الاستاد والمعنى
اول مرة من بين الخروج والاستيذان قال الشيخ معناه رضيتم بالتخلف عنا اول ما دعيتم الى
غزوة تبوك وفي الغاية والاولية اضافية وفيه نبوة العموم كانه قيل اول المرات كما في قوله هند
اكبر النساء قال بعضهم فان قلت قوله مرة نكرة وضعت موضع المرات لارادة التفصيل فلم ذكر
اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر النساء وهي

أكبرهن ثم قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة فاقعدوا
مع الخالفين أي مع المتخلفين من النساء والصبيان إذ ليس لهم استعداد للقتال وقيل مع المرضى
والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال صاحبه خالف
إذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الآية دليل على أن الرجل إذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب
الانقطاع عنه وترك مصاحبته لأن الله تعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الجهاد وهو مشعر بإظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وإبعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم إذا خرجوا
إلى الغزوات ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ظرف لقوله لا تصل ومات صفة أحد في
اللباب قال قتادة بعث عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه
قال فنهاه عمر عن ذلك فأتاه نبي الله فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال أهلكك حب اليهود
فقال يا نبي الله إني لم أبعث إليك لتؤنبني ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله قميصا أن
يكفن فيه فأعطاه إياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره
الآية انتهى قال البغوي أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل
ثنا يحيى بن بكير حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنهم قال لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي
عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال
يوم كذا وكذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت
عليه قال أما إني خيرت فاخترت لو أني أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها
قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى أنزلت الآيتان من براءة
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إلى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم انتهى وأخرج الترمذي هذا الحديث
وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى
قال الإسناد في نزول هذه الآية وآية أخذ الفداء من أسارى بدر وآية تحريم الخمر وآية تحويل
القبلة وآية أمر النساء بالاحتجاب منقبة عظيمة لعمر بن الخطاب لأن الوحي نزل على مطابقة
قوله قلت ما أتى به عمر بن الخطاب من الكرامات من قبيل الإلهام والتحديث الذي شهد له به
النبي صلى الله عليه وسلم ق عن جابر رضي الله عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
أبي بعد ما أدخل حفرته فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه وألبسه قميصه
فالله أعلم قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال أبو هارون وكان على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قميصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان
فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال
لما كان يوم بدر أتي بالأسارى وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا

فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه فلذلك نزع النبي صلى الله
عليه وسلم قميصه الذي ألبسه والجمع بين الروايات المذكورة المختلفة أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه
فكفن فيه ثم إنه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى
عليه أولا ثم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فأخرجه ففعل به ما فعل ويحتمل أن يكون حديث
قتادة المذكور توفيقا بين الروايات المختلفة غير أنه في روايته جملة منقطعة عما قبله لأنه
قال ونفث في جلده ودلاه في قبره وقال الشيخ الإمام محيي الدين النواوي إنما أعطاه قميصه ليكفنه
فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فإنه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فأجابه إليه وقيل بل أعطاه
مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لأنه ألبس العباس حين أسر يوم بدر قميصا وفي هذا
الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الإيذاء له وقابله
بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قال البغوي
قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند رسول الله فأحب أن يكافئه بها ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل
بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله إني كنت أرجو أن
يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقد
ذكر في أنوار التنزيل وأسرار التأويل معنى قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ما نصه وروي
أن ابن أبي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره
الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفنه فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى
عليه ثم نزلت وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلا
بالكرم ولأنه مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات أبدا يعني الموت على الكفر فإن إحياء الكافر
للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي وفي الأمالي أسند البخاري عن ابن عمر أنه لما مات ابن أبي جاء ابنه
عبد الله رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله أن يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في قميصه
وصلى عليه ونزل قبره ووضعه على ركبته وتفل من ريقه في فيه كل ذلك رأفة وتطييبا لقلب ابنه وإجلالا
لخواطر الناس ولعل أن يكون ذلك باعثا لبعض المنافقين على الإخلاص مع أنه لم يكن نهي عن الصلاة
عليهم وما قيل إنه لما أراد الصلاة عليه جذبه جبريل ليس له أصل وإنما عبر عن الموت في المستقبل بالماضي
لكونه كائنا لا محالة والقول بأن أبدا قيد بالموت فإن الكافر لما كان حياته للتعذيب فكأنه لم يحي
تكلف لظهور أن المراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المستقبل عن مثل ما ارتكبه في الصلاة على ابن أبي
قال بعضهم قوله أبدا منصوب بقوله ولا تصل وبه صارت الآية محكمة لا بمات كما توهم وقال فإن إحياء
الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولم يدر أنه على التقدير المذكور لا حاجة إلى التوجيه المزبور
بل لا وجه له لأن الحياة في البرزخ لا ينافي استمرار الموت الواقع في الدنيا قال السمرقندي في تفسيره وروى
عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى عليه وقام على قبره وكفنه في قميصه
ثم نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين بعده قال ابن عباس

والله لا ادري اى صلاة كانت وما خادع رسول الله صلى الله عليه وسلم انسانا قط والله اعلم باسرار
قوله ولا تقم على قبره لدفن او زيارة يعني لا تقف عليه ولا تتولى دفنه وفي الغاية قوله
لا تقم على قبره كناية عن ترك الدعاء له كان عليه السلام يقوم على القبر ويدعو للموتى وروى انه
قال ان هذه القبور مملوءة ظلمة وان الله ينورها بدعائي انتهى ثم علل النهي بقوله انهم كفروا بالله
ورسوله سرا وماتوا وهم فاسقون اى متمردون في الكفر خارجون عن الايمان للدلالة على ان الصلاة
على الميت والاستغفار له والوقوف على قبره انما يليق بالمؤمن وهم استمروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه
فليسوا مستحقين لها ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره
بعدها فان قلت الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا فيدخل تحته الفسق
وغيره فما الفائدة في وصفه فاسقا بعد وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي
الامانة ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء للغير
وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين
بعد ان وصفهم بالكفر قال البيضاوي قوله انهم الى وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت
ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان
يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها وتزهق
اى تخرج انفسهم الخبيثة وهم كافرون فيعذبون بالنار في دار القرار فقد سبق شرح هذه الاية
في هذه السورة فلا فرق بينهما الا في عبارات مخصوصة فلذا قال بعض
المفسرين انها تاكيد الاية السابقة والمقام يقتضي التاكيد لان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس
مغتبطة عليها لان اشد ما يفتتن به الانسان من اسباب الدنيا هي الاموال والاولاد فيجب التحذير
عنها مرة بعد اخرى وقال الفارسي ليست للتاكيد لان تلك في قوم وهم المنافقون وهذه في قوم وهم اليهود
وقد تغايرا بلفظ الايتين ههنا ولا تعجبك بالواو لمناسبة عطف نهي على نهي قبله في قوله ولا تصل ولا تقم
ولا تعجبك فناسب ذلك الواو وهناك بالفاء لمناسبة تعقيب قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون
اى للانفاق فهم معجبون بكثرة الاموال والاولاد فنهاه عن الاعجاب بفاء التعقيب وههنا واولادهم
دون لا لانه نهي عن الاعجاب بهما مجتمعين وهناك بزيادة لا لانه نهي عن كل احد فدل بمجموع الايتين
على النهي بالاعجاب بهما مجتمعين ومنفردين وههنا ان يعذبهم وهناك ليعذبهم فأتى باللام مشعرة
بالعلية ومفعول الارادة محذوف اى انما يريد الله تعذيبهم فقد اختلف متعلق الارادة في الايتين
وهناك في الحيوة الدنيا وهنا سقطت الحيوة تنبيها على خسة الدنيا وانها لا تستحق ان تسمى حيوة
قال الشيخ وايضا ان الحكمة في وجه التكرار هي ان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة
ان يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم والله اعلم بمراده واسرار
كتابه ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا انزلت سورة كاملة من القرآن ويجوز ان يراد بعضها
مجازا لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز قال الشيخ المراد بالسورة الكاملة سورة براءة لا بعضها كما يقوله
على الامر بالايمان والامر بالجهاد ان آمنوا بالله بان يأمرهم في السورة بان يصدقوا بالله وهي مشتملة

كالقرآن ثم جهادا بالسنان وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته وانما قدم الامر بالايمان
على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكأنه قيل الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا
مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع اليكم نفعها في الدنيا والاخرة هذا اذا اراد بآمنوا
وجاهدوا جماعة المنافقين واما اذا اراد بهذا الامر فرقة المؤمنين كما عليه اكثر المفسرين فمعناه الامر بالدوام
والاستمرار على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل ساعة استأذنك
اولوا الطول منهم اى استأذنك في القعود عن الجهاد ذووا الفضل والغنى والسعة من المال
وقالوا اولوا الطول عطف تفسير لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن
مع القاعدين اى دعنا واذن لنا ان نتخلف ونقعد مع القاعدين الذين تخلفوا عن الجهاد لعذر
المرض والزمن او دعنا نقعد مع النساء والصبيان في البيوت فالقاعدين يشتمل الرجال والنسوان ففي
لفظه تغليب ثم رخص بينهم النساء بقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف اى رضوا بان يجالسوا مع
النساء بالمدينة جمع الخالفة وهي من صفات النساء حقيقة وقيل يجوز ان تكون الخوالف جمع خالفة وتكون
من صفات الرجال يقال رجل خالفة اى من اراذل الناس وسفلتهم لا خير فيه قال الاستاذ يقال فلان
خالفة قومه اذا كان دونهم قدرا ومنزلا فعلى هذا يكون جمعا للذكور باعتبار لفظه فالتاء للمبالغة او للنقل
من الوصفية الى الاسمية لا للتأنيث وهذا مردود فان الفواعل لا يكون جمعا لفاعل وصفا لعاقل الا ما شذ من
نحو فوارس ونواكس وهوالك وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اى ختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم
لا يفهمون مراد الله في الامر بالجهاد قال الشيخ معناه لا يفهمون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة و
في التخلف عنه من الشقاوة وفيه تنبيه على ان اثر الطبع ازالة الفطنة لا ازالة الفهم راسا حتى ينافي بقاء التكليف
لكن استدراك من معنى رضوا لان معناه لم يجاهدوا اصلا او رضوا بالقعود مع النساء لكن الرسول
والذين آمنوا معه اى المخلصون من المؤمنين وانما قال معه افادة لمعنى التبعية له صلى الله عليه وسلم جاهدوا
باموالهم وانفسهم لتخصيص الاستدراك ان لم يجاهد المتخلفون فالله غني عنهم ويجاهد الرسول ومن
هو خير منهم يعني المؤمنين كقوله تعالى فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون وفي الغاية ان الاستدراك
من قوله فهم لا يفقهون تقديره ان لم يفقه المطبوعون التوحيد وثواب الجهاد ولكن قد فقهه من هو
منهم شأنا واخلص طوية وازكى معتقدا اعني النبي واصحابه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين واولئك اى الذين جاهدوا باموالهم وانفسهم لهم الخيرات اى لهم
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل اراد بالخيرات الحور لقوله تعالى فيهن
خيرات حسان وهي جمع خيرة على فعلة بسكون العين تخفيف خيرة بكسر الياء وتشديدها تانيث خير وهو
المستحسن من كل شيء وكثر استعمال الخيرات في النساء ومنه قوله تعالى خيرات حسان كما اشرنا انفا وقول
الشاعر ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات اى الخيرات قال الاصمعي فيه معناه
الحسان ويقال زوجات حسان في الجنة والخيرة الزوجة والخيرات الزوجات والخيرة الثواب وقال
القتبي والاخص الخيرات واحدتها خيرة وهي الفواضل وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال في قوله تعالى ولهم الخيرات قال لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة اربعة ابواب

يدخل عليها من الله تعالى في كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لا طمحات ولا مرجات ولا جرب
ولا دفرات حور عين كانهن بيض مكنون الاية قال اهل اللغة طمحات اي ناكسات رؤسهن مرجات
خفيفات الروس نجرات منتن ريح الفم دفرات منتن ريح الابط واولئك هم المفلحون اي
الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اشارة
الى ما اعد الله لهم من الجنات ونعيمها الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه او النجاة الوافرة والثواب
الجزيل وفي الاما في الفوز العظيم تفسير للفلاح ثم لما شرح احوال المنافقين الذين كانوا في المدينة شرح احوال
المنافقين من الاعراب بقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم اي وجاء المعتذرون
من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قيل هم رهط
اسد وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال قال الضحاك هم رهط عامر بن
الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا رسول الله ان
نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلائلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله قد انبأني
الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رحضة
وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية وجاء المعذرون
اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا ولا عذر له
ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون ادغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما والاعتذار في
كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اي اذا تكلف ومهد لنفسه العذر يعني اذا كذب في عذره ومنه
قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه
ويقال اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ⁂ ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ⁂ يعني فقد جاء
بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا
المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ايضا ومن المفسرين من قال انهم كانوا
صادقين في اعتذارهم بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل
بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو بن العلاء انه لما قيل له
هذا الكلام فقال ان قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف
آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراءة على الله فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
اي وقعد الذين لا عذر لهم اصلا وهم الذين كذبوا الله ورسوله في السر وهم منافقوا الاعراب الذين ما جاؤا
وما اعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان قرأ الجمهور المعذرون بفتح العين
وتشديد الذال وكسرها قال الزجاج معناه بالتشديد اي جاء المعتذرون الذين يعتذرون كان لهم
عذر او لا عذر لهم وقرأ ابن عباس وجاء المعذرون بالتخفيف وقال معناه الذين جاؤا بالعذر اي هم
المخلفون اصحاب العذر ثم قال لعن الله المعذرين بالتشديد لان المعذرين هم الذين يعتلون بلا علة
ويعتذرون بلا عذر ليؤذن لهم في التخلف وقرأ الجمهور كذبوا بالتخفيف وقرئ كذبوا بالتشديد اي
لم يصدقوا ما جاء به الرسول عن ربه ولا امتثلوا امره ثم بين الله تعالى ان من تخلف بغير عذر بقوله

سيصيب

الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه تعالى
علم ان منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين اصروا على
الكفر والنفاق وماتوا عليه ثم بين الله احوال الذين قعدوا بالعذر الصحيح فقال ليس على
الضعفاء اي فرض الجهاد ساقط عن الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو
وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ الهرمى والصبيان والنساء ومن خلق في اصل الخلقة ضعيفا
ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله عز وجل عطف عليهم المرضى بقوله ولا على
المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فيدخل فيه اهل الزمانة والعمى والعرج وكل من كان
موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
في الجهاد كالفقراء العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح
ومؤنة السفر لان العاجز عن مؤنة السفر والغزو معذور قال البيضاوي في معنى لا يجدون ما ينفقون
اي لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة قوله حرج اي ليس على هؤلاء الاصناف الثلثة اثم
في التخلف عن الغزو قال الامام فخر الدين الرازي فذلك ليس في الآية انه يحرم عليهم لان الواحد
من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان
ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز
التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله النصح لله ورسوله
الايمان بهما واطاعتهما في السر والعلن والقيام لما يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح قولا وفعلا
كما يفعله الناصح لمن ينصحه وفي الغاية معناه بان اطاعوا الله ورسوله سرا وعلانية قال الكرماني
معناه اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية قال الشيخ معناه اذا نصحوا في مغيبهم واخلصوا
الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه
بصفات الالهية وتنزيهه عن النقائص والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والالتزام لطاعته
في امره ونهيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه قال الاستاد معناه انهم اذا اقاموا في البلد احترزوا
عن افشاء الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو
واقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان والعمل لله تعالى وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة
هذه الامور تجري مجرى النصح لله ورسوله قلت وهذه المعاني بعضها من بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدين النصيحة ثلثا قالوا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قوله ما على
المحسنين من سبيل اي ليس على المعذورين الناصحين من طريق الى العقوبة والعذاب او الى العيب والعتاب
عليهم لان تخلفهم بالعذر وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين
غير معاتبين لذلك تلخيص الكلام ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم لانهم سدوا باحسانهم
طريق العقاب عن انفسهم قال العالم العابد رحمه الله ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل
ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه
وماله الا ما اباحه الشرع بدليل منفصل والله غفور لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع

قال الشيخ اى يجبر تقصيرهم عند العذر بالمغفرة رحيم بهم فى التوسعة فى ذلك او بان يرحمهم ويعطيهم
من فضله ما اعطى اهل الجد والاجتهاد عند القدرة قال قتادة نزلت هذه الاية فى عايذ بن عمرو
واصحابه وقال الضحاك نزلت فى عبد الله بن مكتوم وكان ضريرا قال الشيخ فى هذه الاية علو قيمة
الفقير الراضى بقسمة مولاه فانها تظهر عند سقوط الامر ولو لم يكن فى الفقر خير الا هذا لكفى له بذلك
فضلا اكتفى منهم بنصيحة القلب واعتقاد ان لو قدروا لخرجوا واصحاب الاموال يتحنوا اليوم
بجمعها ثم بحفظها ثم ملكتهم محبتها حتى شق عليهم الغيبة عنها ثم يتوجه اللوم عليهم فى ترك
انفاقها ثم ما يعقبه غدا من الحساب والعذاب يتوجه عليهم ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام
الثلثة من المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى **ولا على الذين اذا ما اتوك** اى لا حرج
ولا اثم فى التخلف عنك على الاصحاء الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة بقدر الاستعداد **لتحملهم**
اى يسالونك يا محمد ان تعطيهم مراكب تحملهم عليها يقال حمل الامير فلانا اذا اعطاه مركبا فتخصصه
يسالونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحاق نزلت فى
البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبرى عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم عليه فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف
سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمير ومن بنى مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى
ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذى تصدق
بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بنى سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزنى وقال البغوى وهم
سبعة نفر سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصارى
وعلية بن زيد الانصارى وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزنى قالوا اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد
ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلثة اخوة معقل وسويد والنعمان
بنو مقرن وقيل نزلت فى العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت فى كل من ذكر وقال بعض المفسرين هم
سبعة من الانصار وهم الذين رواه البغوى ثم قال اتوا رسول الله وقالوا قد ندبتنا الى الخروج معك فاحملنا
على الخفاف المرقعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد ما احملكم عليه وهم يبكون فتولوا وهم
بنو موسى الاشعرى واصحابه قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل على الخفاف المرقعة والنعال
المخصوفة كما اشرنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين
فذلك قوله تعالى **قلت لا اجد ما احملكم عليه** حال من كاف اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك وقد
قلت لا اجد ما احملكم عليه **تولوا** جواب اذا **واعينهم تفيض من الدمع** اى انصرفوا واعينهم
تسيل دمعها فان من للبيان كقولك افديك من رجل ومع مجرورها فى محل النصب على التمييز وهو
ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا وقوله **حزنا** اى لاجل حزنهم
ان لا يجدوا ما ينفقون فى الجهاد او تفيض اعينهم حزينة او يحزنون حزنا **الا يجدوا ما ينفقون**
على انفسهم فى الجهاد **انما السبيل** لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال فى حق من يعتذر ولا عذر

ولا عذر له سبحانه انما السبيل اى انما يتوجه الحرج والمعاتبة **على الذين يستاذنونك**
يا محمد فى التخلف عنك والجهاد معك **وهم اغنياء** اى واجدون للاهبة قادرون على الخروج
معك **رضوا** استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر كانه قيل ما بالهم استاذنوا
فى القعود وهم قادرون على الجهاد فاجيب بقوله رضوا **بان يكونوا مع الخوالف** يعنى ان
السبب هو رضاؤهم بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف وهم النساء والصبيان
والقعود معهم ايثارا للدعة **وطبع الله على قلوبهم** اى ختم عليها حتى غفلوا عن وخامة
العاقبة وهو عطف على رضوا **فهم لا يعلمون** عاقبة رضاهم بالقعود او لا يعلمون فى التوحيد
او لا يعلمون ما فى الجهاد من الخير فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما
فى الاخرة فالثواب والنعيم الدائم الذى لا ينقطع قال الاستاد معناه انهم لا يعلمون انهم مطبوعون
على قلوبهم لان من خصايص الطبع الجهل بحال انفسهم وهذا هو الاستدراج الموعود بقوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون **يعتذرون اليكم** استيناف لبيان ما يتصدون له عند رجوع النبى واصحابه اليهم
اى يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عنك اليك والى اصحابك قيل ذكره بلفظ الجمع لاعتذارهم الى
النبى واصحابه وقيل جمع الضمير تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا احسن **اذا رجعتم اليهم** من
غزوة تبوك اذ قبل الرجوع كانوا يتوقعون عدم رجوعكم فاذا رجعتم اليهم خافوا ان تفضحوهم
بالنفاق فتخلص الكلام يعتذرون اليكم بالاعذار الباطلة الكاذبة والايمان الفاجرة اذا رجعتم
اليهم من سفركم **قل** لهم يا محمد **لا تعتذروا** بالمعاذير الكاذبة لانه **لن نؤمن لكم** اى لن
نصدقكم فيما اعتذرتم به لانه **قد نبانا الله من اخباركم** اى قد اعلمنا بالوحى الى رسوله
بعض اخباركم وهو ما فى ضمايركم من الشر والفساد او قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم قال
البغوى روى ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فاخبر الله عن
اعمالهم وسرايرهم الخبيثة ثم امهلهم للتوبة فقال **وسيرى الله عملكم ورسوله** يعنى
فى المستانف اتتوبون من نفاقكم وكفركم ام تثبتون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا
المؤمنين فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا قال الشيخ معنى
قوله وسيرى الله عملكم ورسوله يعنى دعواكم انكم تحبون الله ورسوله سيعلم ذلك منكم ورسوله
ان كان ما تقولون حقا على الاخلاص والتوبة النصوح قال الاستاد فان قيل قوله تعالى وسيرى الله
معناه سيعلم لان السين للاستقبال والروية من الله تعالى بمعنى العلم والله تعالى عالم بحالهم
حالا وما لا قلنا معناه سيعلمه واقعا موجودا كما علمه غيبا لان الله تعالى يعلم كل شئ على ما هو عليه
فيعلم المنتظر منتظرا ويعلم الواقع واقعا واما فى حق الرسول عليه السلام فهو على ظاهره قال
السمرقندى معناه فيما تستانفون وسيراه المؤمنون **ثم تردون** بالبعث **الى عالم
الغيب والشهادة** الى الله للجزاء بما صدر عنكم من الاعمال الشنيعة ووضع المظهر موضع المضمر
للتشديد بالوعيد لان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته
باحوالهم مما غاب من الستر عن الخلق ومما شاهدوه من العلانية مما يوجب الزجر العظيم

فينبئكم بما كنتم تعملون اى فيخبركم بما عملتم من الشر والفساد فيجازيكم عليه ثم اخبر الله
عن المنافقين بما سيفعلونه فى المستقبل بقوله سيحلفون بالله لكم اى سيؤكدون تلك
الاعذار بالايمان الكاذبة اذا انقلبتم اى اذا رجعتم اليهم من تبوك انهم معذورون
فى التخلف لتعرضوا عنهم اى لتصفحوا عنهم ولا تعاتبوهم ولا توبخوهم بسبب تخلفهم
فاعرضوا عنهم اى ولا توبخوهم لان العتاب والتوبيخ لمن يرجى منه الخير والرجوع والاعراض
هنا اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله تعالى انهم رجس اى ان بواطنهم
خبيثة قذرة نجسة واعمالهم قبيحة تلخيصه روحانيتهم نجسة كنجس العين لا النقل التطهير
فجزاؤهم ومأواهم ومستقرهم فى الاخرة جهنم وهى كفتهم عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا
توبيخهم جزاء بما كانوا يكسبون اى يجزون جزاء كسبهم من النفاق او الجزاء
بما كانوا يفعلونه من الافعال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس
ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن ابى بن سلول حلف للنبى صلى الله عليه وسلم
بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه
فانزل الله عز وجل هذه الاية والتى بعدها وفى الغاية من قال ان عبد الله بن ابى تخلف عن
النبى فى غزوة تبوك فقد سهى لانه كان معه فى غزوة تبوك صح ذلك فى البخارى وغيره بما
سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره اى يحلفون بالله لترضوا عنهم بحلفهم وغرضهم من ذلك
رضاكم لينفعهم فى دنياهم فان ترضوا عنهم اى فان رضيتم عنهم ايها المؤمنون
بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم بما اظهر لكم قال السمرقندى معناه ان انت رضيت عنهم يا محمد والمؤمن
فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى المنافقين لانه تعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق
والشك فلا يرضى عنهم ابدا وفى الجامع نعلم من مضمون الكلام انه تعالى نهى المسلمين عن
ان يرضوا عن المنافقين وعن الاغترار بكاذب سهم وعلل النهى بقوله فان الله لا يرضى الخ
للدلالة على ان رضاء المؤمنين عنهم لو وجد لا يجديهم نفعا لان الله تعالى ساخط عليهم ولا اثر
لرضاهم عند سخطه تعالى وابرز النهى عن الرضاء فى صورة الشرطية اخراجا له مخرج المتردد فيه
لانه من الامور القلبية بخلاف الاغراض فانه محسوس مشاهد ثم وضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالخروج عن الطاعة وللدلالة على ان سخطه تعالى عليهم مسبب عن فسقهم فلا يحصل
رضاه ما داموا فاسقين وعلى ان الحكم عام وان كان سبب الورود خاصا فان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب ثم لما ذكر مثالب المنافقين من اهل المدينة شرع فى معايب الاعراب واراد بهم
جماعة معينين الذين كانوا يوالون منافقى المدينة بقوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا
اى اهل البادية وسكانها اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر الاعراب صيغة جمع وليس جمعا
لعرب قال سيبويه وذلك لئلا يلزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا الجيل
الخاص المبارك سواء سكن القرى ام سكن البوادى واما الاعراب فلا يطلق الا على من سكن

سكن البوادى فقط ولهذا الفرق نسب الاعراب الى لفظه فقيل اعرابى ويجمع على اعاريب فعلى
يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل
البدو فعلى هذا هما متباينان قال اهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبه فى العرب وجمعه
العرب ورجل اعرابى اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ ويجمع الاعرابى بالياء على
الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب
فالاعرابى اذا قيل له يا عربى فرح بذلك والعربى اذا قيل له يا اعرابى غضب ومما يتعجب منه ان
بعض العجم ينادى عبيدهم السود يا عرب والابيض بالمملوك والعرب سادات العجم وفى اللباب العرب
افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب
اشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القران والسنن والمواعظ وفى حديث الجفاء
فى الفدادين اهل الوبر عند اصول اذناب الابل والسكينة فى اهل الغنم قال صلى الله عليه وسلم حب العرب من
الايمان وفى الجامع ولا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال فى النهاية فى الحديث
ثلث من الكبائر التعرب بعد الهجرة هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان مهاجرا
جعل المهاجر ضد الاعرابى انتهى قال الشيخ وسمى العرب عربا لان اباهم يعرب بن قحطان وهو اول من
نطق بالعربية وقيل لان اولاد اسماعيل عليه السلام نشأوا بعربة وهى من تهامة فنسبوا الى بلدتهم
وكل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسانهم فهو منهم لانهم انما تولدوا من اولاد اسماعيل وقيل سموا عربا
لان السنتهم معربة عما فى ضمائرهم قال بعض الحكماء حكمة الروم فى ادمغتهم لانهم يقدرون على التركيبات
العجيبة وحكمة الهند فى اوهامهم وحكمة اليونان فى افئدتهم لكثرة ما لهم من المباحث العقلية
وحكمة العرب فى السنتهم لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وقد جنب الى ان اذكر نبذة من
للعرب من الفضائل وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب العرب ايمان
رواه الحاكم وعن جابر بن عبد الله انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام
ابو يعلى فى مسنده وفى حديث احبوا العرب وبقاءهم فان بقاءهم نور فى الاسلام وان فناءهم
ظلمة فى الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب ايمان وبغضهم
كفر فمن احب العرب فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى الطبرانى فى الاوسط وعن عمر بن
الخطاب رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب العرب فاولئك هم المشركون
البيهقى والمعنى هم المشركون بالله تعالى بسبب سبهم لكون النبى منهم قال المناوى قال بعض علماء الروم
من سب جنس العرب من حيث انهم عرب فانه حينئذ كافر لان النبى صلى الله عليه وسلم منهم فسب الجنس
يستلزم سبه عليه السلام وسبه كفر ويؤيده خبر حب العرب ايمان وبغضهم كفر وعن جابر
ابن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب ابى بكر وعمر من الايمان وبغضهما
كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابى
فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيمة ابن عساكر ولله در القايل ❊ فالعرب
خير الناس ثم خيرهم ❊ محمد فهو فيهم خير خيرهم ❊ قوم اذا قيل من قالوا نبيكم ❊ منا فقل

هذه تلفى لغيرهم ٭ ان تقرأ النحل تحل جسم حاسدهم ٭ وفى براءة يبدو وجد جاههم
قوم النبى فان تحفل بخيرهم ٭ بين الورى فقد استسمنت ذا ورم ٭ ان يجحد العجم فضل العرب
قل لهم ٭ خير الورى منكم ام من صميمهم ٭ من فضل العجم فض الله فاه ولوث ٭ فاهو العض
وغضوا من نبيهم ٭ ولنرجع الى ما نحن بصدده فان فضايل العرب لا تحصى روينا الحديث
النبوى عن احمد بن حنبل وابى داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما من
سكن البادية جفا ومن سكن الصيد غفل ومن اتى السلطان فقد افتتن وقوله تعالى واجدر
اى احق واولى واحرى ان لا يعلموا اى بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
من الاحكام والشرايع فرايضها وسننها لان اهل البدو اجهل واقل علما من غيرهم وروى الاعمش
عن ابراهيم وكان زيد بن صوحان جالسا يحدث وقد اصيبت يده يوم نهاوند فقال اعرابى
والله ان حديثك ليعجبنى وان يدك لتريبنى فقال له زيد او ليس الشمال قال الاعرابى
والله ما ادرى الشمال تقطع او اليمين فقال زيد صدق الله الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر
ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم اى يعلم حال كل احد من اهل الوبر وهو
صوف الابل والمراد به اهل البادية والمدر وهو قطع الطين اليابس والمراد به اهل القرى او عليم
بما فى قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرايضه واحكامه وفيما يصيب به مسيئهم عقابا ومحسنهم
ثوابا فان قيل اذا كان الله تعالى قد وصف الاعراب بالجهل فى القران بقوله واجدر ان لا يعلموا الاية
فكيف يصح الاحتجاج بالفاظهم فى اشعارهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله قلنا هذا وصف من الله
تعالى لهم بالجهل فى احكام القران لا فى الفاظه ونحن نحتج بلغتهم فى بيان معانى الالفاظ لان القران
والسنة جاءا بلغتهم ومن حكمته تعالى وصنعه انه ذكر فى الاعراب قوله ومن الاعراب من يتخذ
اى يعد ما ينفق فى الجهاد مغرما اى غرامة وخسرانا لانه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفا من
المسلمين ورياء وتقية ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه وهم اعراب بنى اسد وبنى تميم
وغطفان ويتربص عطف على يتخذ اى ينتظر بكم الدواير اى دايرة الزمان ان ينقلب
عليكم وهى جمع دايرة يعنى ما يحيط بالانسان من مصيبة ونكبة تخصيصه ينتظر بكم دايرة الموت والهلاك
عليهم دايرة السوء اى عليهم يدور الهلاك وعاقبة العذاب لا عليكم وهذه الجملة معترضة
بين جمل هذه القصة وهى دعاء على الاعراب المتقدمين بنحو ما يتربصونه بالمومنين او اخبار
عن وقوع ما يتربصون عليهم قرأ ابن كثير وابو عمرو السوء بضم السين بمعنى عاقبة الضرر والشر
وقرأ الباقون بالنصب يقال رجل سوء اذا كان خبيثا قال الفراء فتح السين هو الوجه لانه
مصدر ساء نقيض سره ورفع السين اسم العذاب فالسوء بالضم هو الضرر والشر والله سميع
لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون من النفاق والغش وارادة انقلاب الزمان على
المومنين ثم استثنى الله من اسلم من الاعراب من جهينة ومزينة واسلم وغفار بقوله ومن
الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ذكر ههنا الاصل الذى يترتب عليه انفاق المال
فى القربات وهو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر اذ جزاء ما ينفق وثوابه الدايم انما يظهر فى الاخرة

ف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة ومزينة
واسلم وغفار خيرا من بنى تميم وبنى اسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة
فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بنى تميم وبنى اسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن
بنى عامر بن صعصعة وفى رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبى صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق
الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان اسلم
وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بنى تميم وبنى عامر واسد وغطفان قال خابوا و
خسروا قال نعم ف عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله
وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى رواية له اما انى لم اقلها لكن الله قالها ف عن ابى هريرة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند
الله جمع قربة يعنى يطلب بما ينفق فى الجهاد القربة الى الله تعالى اى سبب قربات الى الله وهى ثانى
مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وفى الغاية معناه يتخذون ما ينفقون قربات
وحصولها عند الله وصلوات الرسول اى دعوات الرسول اى وسبب صلواته عليه السلام لانه صلى الله
عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين لقوله تعالى وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وكان دعاؤه بالخير والبركة
والاستغفار لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابى اوفى قال الشيخ ويسن لاخذ الصدقة
ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكنه ليس له ان يصلى عليه بان يقول اللهم صل على فلان
لان الدعاء بلفظ الصلوة منصبه عليه السلام فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم
يحتمل ان يعود الضمير فى انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما قربة عند
الله وهذه شهادة من الله تعالى للمومن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف
التحقيق وهو قوله انها قربة لهم والحاصل المعنى ان نفقاتهم وصلوات الرسول قربة لهم الى الله تعالى
وفضيلة ونجاة لهم وقرأ ورش عن نافع قربة بضم الراء والباقون بسكونها سيدخلهم
الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيق الوعد وتقريره وفيهم من فسر الرحمة
بالجنة وهذا الكلام دليل قوى على رضاء الله عن المتصدقين اذا اخلصت النية من صاحب الصدقة
ان الله غفور لذنوب المومنين المنفقين فى سبيله رحيم بتكريمهم فى الاخرة او رحيم بهم حيث
وفقهم لهذه الطاعات ثم لما ذكر فضايل الاعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله وما اعد
لهم من الرحمة والغفران بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهى منازل السابقين الاولين بقوله
والسابقون مبتدأ خبره الجملة الدعائية من قوله تعالى رضى الله عنهم الخ فالمعنى السابقون الاولون بالايمان
والهجرة والنصرة والجهاد الفايزون بالمراتب العليا رضى الله عنهم الخ وقيل خبره قوله الاولون والمعنى
والسابقون الى الهجرة الاولون من اهل هذه الملة او السابقون الى الخير الاولون من اهل الهجرة وقيل
ان الخبر قوله تعالى من المهاجرين والانصار والمعنى فيه الاعلام بان السابقين من هذه الامة

المهاجرون والانصار قال البيضاوي والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين
اسلموا قبل الهجرة ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير رضي الله عنه انتهى روى ابن الجوزي
ان اهل البيعة الثانية لما انصرفوا بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله
عنه الى المدينة يفقه اهلها في الدين ويقرئهم القران فعلمهم القران فاسلم معه خلق كثير وهو اول
من جمع الجمعة في المدينة قبل الهجرة والمراد بالمهاجرين مطلقا الذين هجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا
اوطانهم قبل فتح مكة وبالانصار مطلقا الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه
واووا اصحابه وفي اللباب اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن
سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم
اهل بيعة الرضوان وكان بيعة الرضوان بالحديبية وقال الامام والصحيح عندي ان المراد بالسابقين
الاولين من المهاجرين السابقون بالايمان والهجرة ومن السابقين من الانصار السابقون في النصرة
واستدل عليه بانه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين انهم فيماذا فبقي اللفظ مجملا الا انه تعالى
لما وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا علم ان المراد من السبق السبق في الهجرة والنصرة ازالة للاجمال
عن اللفظ انتهى كلام الامام وقال محمد بن كعب القرظي المراد بقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد
ابن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم
واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة في كتابه
فقلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر
الاية فاوجب الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم
باحسان فاشترط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد
فكاني لم اقرا هذه الاية قط قلت ويويد قول القرظي كون من في قوله من المهاجرين للتبيين
ومن جعله للتبعيض فلا تصدق السابقون الاولون على قدماء الصحابة من المهاجرين والانصار
وفي اللباب واختلف العلماء في اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق
اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء اول من امن بعد خديجة علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه وهذا قول جابر بن عبد الله واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان
ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم
اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال
الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال
ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومن العبيد
زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهؤلاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحاق

فلما اسلم

فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان
رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان
فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان
رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو
الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان
والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص
وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على
يديه وصلوا معه فكان هؤلاء الثمانية النفر اول من سبق الى الاسلام
ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من
الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي
الاولى وكانوا ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك
ابن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب ثم اصحاب
العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب العقبة
الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام
ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء
سباق الانصار انتهى وفي الجامع ثم ان الاجماع على ان افضلهم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم علي ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل
بيعة الرضوان بالحديبية انتهى ثم اعلم ان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة شريفة
عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة
وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه وواسوه في
اووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله تعالى عليهم ومدحهم وقراءة
الجمهور والانصار بالكسر وقرا الحضرمي والانصار بالضم فمن قرا بالضم فهو عطف على
السابقون ومعناه والسابقون والانصار ومن قرا بالكسر فهو عطف على المهاجرين
ومعناه من المهاجرين ومن الانصار قوله **والذين اتبعوهم**
اي اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من اتبعوهم وسلكوا سبيلهم
في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيمة **باحسان** باخلاص
في العمل قال الله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قال عطاء اراد
بالذين اتبعوهم باحسان الذين يذكرون المهاجرين والانصار يترحمون
عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين رضي
الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين

يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا
ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث
الاول الصحابة والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا
واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف
نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في
سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم
انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وفي تفسير السمرقندي وروي
عن عمر رضي الله عنه انه كان يقرأ الذين اتبعوهم باحسان بغير واو
وقراءة العامة بالواو فمن قرأ بغير واو يكون نعتا للانصار
ومن قرأ بالواو يكون نعتا لجميع المومنين الى يوم القيمة وروي عن محمد
ابن كعب القرظي انه قال سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ هذه الاية والذين
اتبعوهم باحسان فقال له عمر من اقرأك هذه الاية قال اقرأنيها ابي بن كعب
قال لا تفارقني حتى اذهب بك اليه فلما جاءه قال يا ابي انت اقرأته هذه الاية
هكذا قال نعم قال عمر انت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
قال عمر كنت اظن انا قد رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا قال ابي تصديق
هذه الاية اول سورة الجمعة واوسط سورة الحشر واخر سورة الانفال اما في اول
الجمعة واخرين منهم لما يلحقوا بهم واوسط سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم واخر سورة
الانفال والذين امنوا من بعد وهاجروا انتهى وفي الغاية في معنى والذين اتبعوهم باحسان
اي من غير الطائفتين لقوله تعالى في سورة الحشر والذين جاؤا بالرفع عطفا
على السابقين وكان يروى ان قوله والذين اتبعوهم بغير واو ليكون
صفة الانصار فيكون وصف السبق مختصا بالمهاجرين والاتباع بالانصار
حتى قال زيد بن ثابت لعمر انه بالواو وكان عمر يقرأ بغير واو فسأل ابي بن كعب
فصدق ابي زيدا فقال عمر من اقرأك هذه القراءة قال ابي اقرأني رسول
الله وانت تبيع القرظ قال عمر صدقت فان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا
وخذلتم واوينا وطردتم ثم رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
يعني باعمالهم الحسنة المقبولة المرضية عنده ورضوا عنه
اي عن الله تعالى بافاضته عليهم نعم الدنيا والاخرة قال الشيخ
وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة واعد لهم

جنات

جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في ساير
المواضع والباقون تحتها بغير من ونصب تحت بنزع الخافض خالدين فيها
ابدا اكده بالتابيد لئلا يحمل الخلود على المكث الطويل ذلك الفوز العظيم
اي الثواب الوافر وممن حولكم من الاعراب منافقون اي من حول مدينتكم
وبلدتكم يا اهل المدينة منافقون ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين كالبغوي
والواحدي وابن الجوزي والبيضاوي والسيوطي وصاحب المدارك وابن
كمال انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم
حول المدينة يعني ومن هولاء الاعراب منافق قلت واطلاق
النفاق على هولاء مطلقا امر صعب لان النبي صلى الله عليه
وسلم دعا لهولاء القبايل ومدحهم لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله
لها فالظاهر ان المراد بممن حولكم من الاعراب منافقون
هم عصية وغطفان لان النبي دعا على عصية لانها عصت الله ورسوله
وفي الغاية القول بانهم اسلم وغفار سهو ظاهر قلت ويويد
ما ذكره صاحب الغاية قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي
ذكرنا قريبا وهو ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس
لهم مولى دون الله ورسوله وقبل هذا الحديث حديثين اخرين الصحيحين
في مدح هولاء والدعاء لهم فراجعه وفي اللباب وما ذكره المفسرون اي البغوي
والواحدي وابن الجوزي مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهولاء القبايل ومدحهم
فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب
على القليل لان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول
النبي صلى الله عليه وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من
القبايل المذكورة في تفسير هذه الاية بل قال في تفسير هذه الاية من القوم الذين
حول مدينتكم ايها المومنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم اقوام
منافقون انتهى قلت وقد اطلق القول ايضا السمرقندي في تفسيره حيث قال يعني الاعراب
الذين حول المدينة والله اعلم باسرار كتابه قوله وممن حولكم خبر مقدم ومن الاعراب بيان
الخبر ومنافقون مبتدا ومن في ممن حولكم موصولة او موصوفة والظرف
صفة او صلة له قوله عز وجل ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم تقديره من المنافقين قوم حولكم ومن اهل المدينة وهم عبد الله

ابن أُبَيّ بن سلول واحزابهُ قال البغوي ومن اهل المدينة اي من الاوس والخزرج منافقون
مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ اي مرنوا وثبتوا واستمروا واستحكموا ولجّوا فيه واقاموا عليه بحيث
لا يرجعون عنه الى الاخلاص والتوبة لَا تَعْلَمُهُمْ اي لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير
لمهارتهم فيه وتنوّقهم وخوضهم في مراعاة التقية وتحامي مواقع التهم والشك الى حدّ
أُخفي عليك يا محمد حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك وصفاء خاطرك
واطلاعك على الاسرار قال بعضهم لا تعرفهم انت يا محمد بسبب ايمانهم في العلانية
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ لاني عالم السرّ والعلانية ونعلم نفاقهم ونعرّفك حالهم سَنُعَذِّبُهُمْ
مَرَّتَيْنِ بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان
كذا ذكره البيضاوي قال صاحب اللباب رحمه الله اختلف المفسرون في العذاب الاول
على اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى ثُمَّ
يُرَدُّونَ في الاخرة إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وهو عذاب النار فثبت بهذا
انه تعالى يعذّب المنافقين ثلاث مرات مرّة في الدنيا ومرة في القبر
ومرة في الاخرة اما المرة الاولى وهي عذاب المرة الاولى اختلفوا
فيها فقال الكلبي والسدّي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم
جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول
والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون بعد ان
اعلمه الله حالهم وسمّاهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك علمه
بهم وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية
اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدُّبَيْلة في الدنيا
تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار يظهر في اكتافهم
حتى ينجم من صدورهم نفيها يخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى
هي المصايب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب الاخرة وقال
ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر
وقال ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم
فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملئكة
وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب
القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى
احراقهم بنار جهنم وهو قوله ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب
جهنم يخلدون فيه والله اعلم وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا
بِذُنُوبِهِمْ

بِذُنُوبِهِمْ اي قوم اخرون من اهل المدينة غير المذكورين يعني جماعة من المسلمين من اهل المدينة
او من الاعراب المؤمنين ولا يرجع هذا الى المنافقين لان هؤلاء تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك فاقرّوا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
بل ندموا على التخلف وتابوا وقالوا انكون في الظلال ومع النساء والصبيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه في الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب الى المدينة وبلغهم
ما نزل في المتخلفين قالوا والله لنوثقنّ انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك
فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى أُومر باطلاقهم رغبوا عني
وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الآية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم
وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا
واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أُمرت ان آخذ من اموالكم شيئا فانزل الله خذ من
اموالهم صدقة تطهرهم بها الآية واختلف المفسرون في عددهم عن ابن عباس انهم كانوا عشرة منهم
ابو لبابة وفي رواية عنه ايضا انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن
اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة احدهم ابو لبابة وقيل كانوا
ثلثة ابو لبابة ابن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقال قوم نزلت هذه الآية
في ابي لبابة خاصة قال مجاهد نزلت فيه حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار
الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خرّ مغشيا عليه فانزل
الله هذه الآية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلّه بيده الشريف فقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله فقال يجزيك
الثلث يا ابا لبابة قال جميع الرواة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين
لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض قال الحسن
وقتادة وهؤلاء سوى الثلثة الذين خلفوا وسياتي خبرهم ان شاء الله قال الاستاد فاذا اقترن
بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم
توبة اما مجرد الاعتراف فلا وفي الغاية قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا عطف على منافقون اي ومنهم طائفة عملوا صالحا وآخر سيئا او عطف على قصة وهذا
اولى لما روى البخاري عن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني الليلة آتيان فابتعثاني
فانتهيت الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر منهم كاحسن ما انت راء

وشطر كأقبح ما انت راء قال لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك
السوء عنهم فصاروا في احسن صورة فقال لي هؤلاء قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم على
ما ذكره صاحب الغاية لا يجوز العطف على قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون لان العطف يوهم النفاق
في المعطوف ايضا وقوله تعالى **خلطوا عملا صالحا** وهو جهادهم في سائر الغزوات قبل ذلك **وآخر
سيئا** وهو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وقيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب
وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم مع اهل النفاق عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان العمل
الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة والسيء ما كان ضده فعلى هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين
والحمل على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
وروى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القرآن آية ارجى عندي لهذه الامة من قوله تعالى وآخرون
اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به قلت الخلط
عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك خلط فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالآخر
ويتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتنوب الواو عن الباء
فيكون معنى الاية على هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيء ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي
فقال وقال اللائق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما
كما هو مذهبنا فان القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة
للذم والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمحابطة وانه بقي
كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر احدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت
الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من الباء لانه اريد معنى
الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع بينهما في
الجامع والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم او للدلالة على ان
كل واحد منهما مخلوط بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه والظاهر
ما قاله الامام لقوة ادلته والله اعلم وقوله تعالى **عسى الله ان يتوب عليهم** اي ان يقبل
توبتهم ولم يذكر توبتهم لانه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة وفي اللباب قال
ابن عباس وجمهور المفسرين على ان عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى فعسى الله ان يأتي
بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه من الاتكال والاهمال
ابعد وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل التفضل والتطول والاحسان
فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو نيل ما هو
منه اقرب لانه ختم الاية بقوله **ان الله غفور** اي يتجاوز عن سيئات التائب **رحيم** اي يتفضل عليه
قال الاستاذ وعسى للاطماع وهو من اكرم الاكرمين ايجاب كيف لا وقد قال لحبيبه عليه السلام عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال السمرقندي وعسى من الله تعالى واجب ان يتجاوز عنهم قوله تعالى
خذ من اموالهم اي من اموال المعترفين بذنوبهم **صدقة تطهرهم** من ذنوبهم او عن حب المال الذي

المال الذي هو رأس كل خطيئة **وتزكيهم بها** اي ترفعهم بتلك الصدقة من منازل المنافقين
الى منازل المخلصين او تنمي بها اموالهم وحسناتهم قال ابن عباس لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فأتوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ
من اموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ
شيئا منها حتى اومر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد
بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء
الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال
توبتهم لتكون جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة
وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم بذلوا
الزكاة فامر الله رسوله ان يأخذها منهم وقال بعضهم ان الاية ابتداء كلام والمعنى خذ من اموال المسلمين
الاغنياء صدقة الزكاة المفروضة وادفعها الى الفقراء تطهرهم بها اموالهم وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها
على ايجاب اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة
فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها وان جمهور المفسرين ذكروا
في سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين واما حجة اصحاب القول الآخر فانهم قالوا المناسبة حاصلة
ايضا على هذا التقدير وذلك انهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال
امروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص
السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا
لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة من باب
اولى ثم في هذه الاية الكريمة احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
اي خذ يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم ايام حياته ثم اخذها الائمة
من بعده فيجوز للامام او نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من
اموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق
الا الصدقة التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله
خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فيجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع
ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها
الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة
اجاب اصحاب الشافعي بانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم ثم للعلماء في قوله تطهرهم
قولان الاول ان معناه خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الآثام والقول
الثاني ان يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهرتهم وانما
حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت
تلك الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم

بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معنى تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار المخلصين كما اثرنا الى هذا المعنى قريبا وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم كما مر قريبا هذا المعنى وقرئ تُطْهِرُهم من اَطْهَرَه عدّاه بالضمير وقرئ تطهرْهم بالجزم جوابا للامر قوله عز وجل **وَصَلِّ عَلَيْهِمْ** اُدْعُ لهم واستغفر لهم كذا قال ابن عباس قال الشافعي رحمه الله السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب للامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** اي ان دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم يعني تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وان الله قد قبل توبتهم او قبل زكاتهم قرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد قال ابو عبيدة هذا احب الي لان الصلوة اكثر من الصلوات الا ترى الى قول الله تعالى اقيموا الصلوة وانما هي صلاة الابد والصلوات جمع قلة تعدل ثلث صلوات وخمس صلوات والباقون بالجمع لتعدد المدعو لهم **وَٱللَّهُ سَمِيعٌ** لاقوالهم واعترافهم او لدعائك لهم **عَلِيمٌ** بنياتهم واعترافهم **أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ** هذه صيغة استفهام الا ان المقصود منه التقرير والاثبات فبشر الله عز وجل هولاء التايبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلموا اي قد علموا هولاء الذين تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة منهم وقيل ان المراد بهذه الاية غير التايبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هولاء التايبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين عن عباده ومن عباده لانه لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن في هذا الموضع ابلغ لانه فيه تبشير بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ** اي يقبلها ويثيب عليها يعني قبلها قبول من ياخذ شيئا ليودي بدله وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى اخذ الله الصدقات تضمنه الجزاء عليها ولما كان هو سبحانه المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير او السائل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقة وتشريفها وان الله يقبلها من عبده المتصدق ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة من كسب طيب

طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله هذا لفظ مسلم وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل واخرجه الترمذي ولفظه ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربوا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب اي حلال وذكر اليمين والكف على مراد الله ومراد رسوله وفي الباب وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها من المعطي لان من عادة الفقير او السائل اخذ الصدقة بكف اليمين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربوا اي تكبر يقال ربى الشيء يربوا اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها **وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** اي وان من شانه تعالى قبول توبة التايبين والتفضل عليهم قال الشيخ هو عطف من حيث التاكيد والتنبيه للتايبين على مفعول الم يعلموا انه المتجاوز عن الذنوب بالتوبة لمن تاب يعني قد علموا ذلك وقوله تعالى **وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟** اي قل يا محمد لهولاء التايبين اعملوا خيرا يعني اعملوا لله بطاعته واداء فرايضه او قل يا محمد للناس اعملوا ما شئتم لان ظاهره امر وباطنه وعيد فيكون الخطاب للجميع **فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ** فانه لا يخفى عليه خير كان او شر وفي الجامع اي يتعلق علمه القديم بعملكم الحادث البتة انتهى قال الاسناد فيه ترغيب عظيم للطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها قال البغوي وقال مجاهد هذا وعيد لهم قلت كانه تعالى ينبههم على الاخلاص في المستقبل و يرغبهم على ذلك **وَرَسُولُهُۥ** عطف على الاسم الجليل اي ويرى الرسول عملكم باطلاع الله اياه على ذلك بالوحي **وَٱلْمُؤْمِنُونَ** اي ويراه المومنون باخبار الرسول لهم بانكم مخلصون او مصرون على النفاق او يقذف الله في قلوب المومنين من محبة الصالحين وبغضة المفسدين وفي بعض التفاسير وفي الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كاينا ما كان قال السمرقندي وقال ابن مسعود ان الناس قد احسنوا القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذلك الذي اصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه قال شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره كن من ابناء الافعال والاعمال واعداء القيل والقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون **وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ** وهو ما يغيب عن الناس **وَٱلشَّهَٰدَةِ** اي ما يشاهدونه والمعنى وسترجعون بالحق يوم القيمة الى الله الذي يعلم السر والعلن او يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم **فَيُنَبِّئُكُم** اي فيخبركم **بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** في الدنيا من خير وشر فيجازيكم على اعمالكم لان المجازاة من الله تعالى لا تحصل في الاخرة الا بعد التعريف ليعرف كل احد ان الذي وصل اليه عدل لا ظلم **وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ** اي وطايفة

اخرى غير المعترفين المتبادرين الى التوبة من المتخلفين عن النبي في غزوة تبوك مؤخرون وموقوفون
في شانهم وامرهم الى ان يظهر الله امره فيهم قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم مرجون
بالواو والباقون مرجؤون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة وهما لغتان يقال ارجيته وارجأته اذا اخرته
قال بعضهم ان الله قسم المتخلفين على ثلثة اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا
عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه
فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون امرهم وشانهم الى ان يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله و
اخرون مرجون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله
توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم فنزلت هذه الاية في الثلثة الذين خلفوا
وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستاتي قصتهم ان شاء الله عند قوله تعالى وعلى الثلثة
الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه فوقفهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم
يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى **اما يعذبهم** بان يميتهم بلا توبة **واما يتوب عليهم**
ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والترديد للعباد لانه تعالى عليم بالواقع والمعنى ليكن امرهم عندكم
بين الخوف والرجاء قوله واخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره قال الاستاذ معناه ان امرهم
الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفى عنهم فان قلت قد تواترت النصوص على قبول الله
التوبة عن التائب اذا كان مخلصا في توبته فالحكمة في تاخير قبولها من هؤلاء وارجاء امرهم منهما قلت الحكمة في
ذلك والله اعلم الاشارة الى عظم جنايتهم فان التاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسلا وركونا الى الدنيا امر عظيم
الا ترى الى بكاء ادم اربعين عاما وما جرى على داود وقصة حزنه وشدة بكائه مشهورة **والله عليم**
باحوالهم وبما في قلوبهم **حكيم** فيما يفعل بهم ويقضي عليهم وقرئ والله غفور رحيم **والذين اتخذوا**
مسجدا ضرارا وكفرا عطف على واخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين
اتخذوا او منصوب على الاختصاص اي اخص بالذم الذين اتخذوا والمعنى ومن المنافقين طائفة اتخذوا الخ وهم
بنو غنم بن عوف قال الشيخ نزلت هذه الاية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قبا
وكانوا اثني عشر رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد
وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو
سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا
المسجد مضارة للمؤمنين يعني لاهل مسجد قباء وليكفروا فيه بالله ورسوله بان يظهر فيه كفرهم
المخفي في قلوبهم يعني بنوا ذلك لضرر المسلمين ولتقوية كفرهم قرأ نافع وابن عامر الذين اتخذوا بغير
واو على انه استيناف قصة المنافقين والباقون بالواو العاطفة على واخرون مرجون كما ذكرنا
او عطف هذه القصة يعني عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم في
الغاية والقول بحذف الواو بدلا من مرجون غلط لانهم مخلصون اخر توبتهم **وتفريقا بين المؤمنين**
اراد بالمؤمنين الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء يعني لكي يصلي بعض المؤمنين في مسجد الضرار
وبعضهم

وبعضهم في مسجد قباء فيختلف كلمتهم وراءهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء
بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم
اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجد الضرار على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من
الشام وهو الذي سماه رسول الله بالفاسق وقد قال اللعين لرسول الله يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا
الى الشام من سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قيصر روم مستنصرا به على محاربة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا مسجدا فاني ات
من قيصر بجند ونخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجد الضرار بجنب مسجد قبا وانتظروا مجيء
ابي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد فلما اتوه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا
لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه نتخذه مصلى فاخذ رسول الله ثوبه
ليقوم معهم في المسجد فنزلت الاية وفي رواية لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعا
نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه
ليلبسه ويأتيهم فانزل الله هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به من القتل فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فذهبوا مسرعين فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة يلقى فيه الجيف والنتن والقمامة
ومات ابو عامر الراهب بالشام وقيل بقنسرين غريبا وحيدا طريدا وابو عامر هذا ابو حنظلة غسيل
الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح وحزب الاحزاب على رسول الله وهرب
يوم حنين الى الشام وفي تفسير السمرقندي وكان النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقا وقال لا تدعوا له
راهبا وقولوا فاسقا وكان امن بالنبي صلى الله عليه وسلم مرتين ثم رجع عن الاسلام فدعا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمات كافرا فلما ظهر امرهم وفشى نفاقهم جاءوا يحلفون ان اردنا الا الحسنى اي ما
اردنا ببنائه الا خيرا فنزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قوله **وارصادا**
اي ترقبا وانتظارا **لمن حارب الله ورسوله** اراد بالمحارب ابا عامر الفاسق ليصلي فيه
اذا رجع من الشام **من قبل** يعني ان ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار
فهو متعلق بحارب وقيل متعلق باتخذوا اي اتخذوا مسجدا ضرارا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما
روي في بعض الروايات ان مسجد الضرار بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ياتيهم فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما رجع كرروا عليه السؤال
وحلفوا له بانا ما اردنا ببنائه الا خيرا فنزل **وليحلفن** اي الذين بنوا **ان اردنا** اي ما اردنا
ببنائه **الا الحسنى** اي الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة والذكر والرفق بالمسلمين والتوسعة
على اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قباء او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال السمرقندي
لكي يرجع ابو عامر الراهب فيسلم وهذه كلمة لا يعول عليه قوله تعالى **والله يشهد انهم لكاذبون**

في قبلهم وخلفهم وفي الجامع قيل كل مسجد بني مباهاة او رياء او سمعة او لغرض غير وجه الله
او بمال حرام كمساجد الظلمة فهو لاحق بمسجد الضرار وروي ان بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد
قباء اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم في مسجدهم فقال
لا ونعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه واني
لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن
فصليت بهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره وصدقه وامره بالصلاة
في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم
ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الآخر قوله تعالى **لا تقم فيه ابدا** اي لا تقم
فيه لمحة طرف فضلا عن الصلاة فيه او لا تقم في مسجد الضرار للصلاة ما عشت فان النهي عن القيام
فيه مطلقا يستلزم النهي عن الصلاة وهو كقوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان وقامه اي قام
لاجل الصلاة قال ابن عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي
في مسجد الضرار ثم بين علة النهي فقال **لمسجد** اللام للابتداء او جواب قسم محذوف تقديره
والله لمسجد الى آخره وعلى التقديرين فهو مبتدأ موصوف بقوله **أسس** اي بني اصله ووضع اساسه
وقواعده **على التقوى** اي على تقوى الله عز وجل وتوحيده ولوجهه لا على النفاق **من اول**
يوم اي من ايام تاسيسه يعني من اول يوم من ايام وجود المسجد حين وجد ووضع اساسه
كان ذلك البناء على التقوى قيد بذلك لظهور انه لم يؤسس على التقوى من اول يوم من
الايام وفي الغاية مسجدك الذي بنيته واسسته لله وهو مسجد المدينة كذا رواه البخاري اي قال
السيوطي اي لمسجد بنيت قواعده على التقوى من اول يوم وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد
قباء كما في البخاري انتهى **احق** خبر لقوله لمسجد اي اولى واجدر من مسجد الضرار **ان تقوم** بان
تصلي **فيه** اي في المسجد المؤسس على التقوى فالاحق لا تترك فان قلت احقيته هذا يدل على احقية
ذلك في الجملة ومعلوم ان لا شائبة للحق في ذلك قلت اريد المبالغة اي لو كان ذلك يبنى كان هذا
احرى واولى بالقيام فيه فكيف وقد بني لانواع الكفر واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى
فقال ابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة
لا المسجد الذي بنى بنو عمرو بن عوف يعني مسجد قباء ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله اي
المسجدين اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا
لمسجد المدينة اخرجه مسلم قلت وليس بعد نص رسول الله كلام وفي رواية الترمذي والنسائي
تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله هو مسجدي هذا قال الشيخ والحمل على مسجد النبي بالمدينة اولى لان وصف التقوى
وقع مقابلا لقوله ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا وكل ما يقابل هذه الاوصاف موجود في مسجد
رسول الله على وجه الكمال ولان التعبير بالقيام عن الصلاة في قوله ان تقوم فيه يستدعي المداومة
كان

كان قوله ويقيمون الصلاة وبعضه تاكيد النهي بقوله ابدا ومداومة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم توجد الا في مسجده صلى الله عليه وسلم ولانه في مسجده يزيد الطاعات اضعافا مضاعفة دون
مسجد قباء **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري
روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي **ق** عن عبد الله بن زيد رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسائي ومعنى رواتب
اي ثوابت قال البيضاوي في قوله لمسجد اسس على التقوى هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة انتهى وفي اللباب وروي عن
ابن عباس وعروة ابن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قباء ويدل عليه سياق الآية
وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ويدل على انهم اهل قباء ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال نزلت هذه الآية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون
بالماء فنزلت هذه الآية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع
الاصول من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة ورواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا
قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية وفي رواية انهم كانوا يستنجون بالاحجار ثم بالماء ويدل
على فضل مسجد قباء ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء او ياتي قباء
راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قباء
كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم واخرج
الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى
ياتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة اخرجه الترمذي انتهى وقوله عز وجل **فيه**
رجال اي في المسجد الذي اسس على التقوى رجال وقد عرفت الخلاف هل هو مسجد النبي بالمدينة او
مسجد قباء وهذه جملة مستانفة مبينة لاحقية المسجد المذكور لقيامه صلى الله عليه وسلم من جهة الحال
بعد بيان احقيته له من حيث المحل وصفة للمبتدا او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق
وتقرير لاستحقاق القيام فيه واراد بالرجال المهاجرون والانصار والمؤمنون ان قلنا بان ذلك المسجد
مسجد المدينة او بعض الانصار ان قلنا بانه مسجد قباء **يحبون ان يتطهروا** اي يحرصون على
الطهارة من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين او من الذنوب والمعاصي
والخصال المذمومة كالكفر والنفاق وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم
وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي لان
التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه ولان الله تعالى
وصف اصحاب مسجد الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله ورجال المسجد يعني الذي اسس

على التقوى مبني بني من صفات اصحاب مسجد الضرار فالحمل على الطهارة الباطنة احسن لان طهارة الظاهر
انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقال عطاء كانوا يستنجون
بالماء ولا ينامون على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قباء فيه رجال يحبون ان
يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة ورفعه البغوي وغيره فقالوا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وقدم هذا الحديث قريبا وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة
وكان من اهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني اسمع الله عز وجل قد احسن عليكم الثناء
فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا الا ان جيراننا من اليهود رأيناهم يغسلون ادبارهم من
الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله
قد احسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول قال البيضاوي
في تفسيره قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا
الانصار جلوس فقال المؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال صلى الله
عليه وسلم اترضون بالقضاء فقالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا
يحبون انتهى قال الاسنادي روى صدر هذا الحديث الطبراني وعجزه ابن مردويه فهو ملفق من حديثين
وقوله **والله يحب المطهرين** اي المتطهرين قال السيوطي اي يثيبهم انتهى قال الشيخ معناه يرضى
عنهم ويحسن اليهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قوله **افمن اسس** اي اصل **بنيانه** اي
بناء مسجد المدينة الاعظم او بناء مسجد قباء او بناء دينه على الاختلاف الذي ذكرنا **على تقوى**
وهو التقي من كل ما يوثم من فعل او شرك اي على مخافة **من الله** وهي قاعدة محكمة ثابتة **ورجاء**
رضوان منه والاستفهام هنا للتقرير والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب
رضاه وثوابه وهذا تشنيع ممن بناؤه للضرر والكفر والنفاق فشتان بين الفريقين قرأ نافع وابن عامر
اسس مبنيا للمفعول بنيانه بالرفع لقيامه مقام الفاعل والباقون مبنيا للفاعل بنيانه بالنصب لانه
مفعول به وفاعل اسس ضمير مستتر راجع الى من وقوله **خير** خبر المبتدا وهو من والتفضيل هنا باعتبار معتقدهم
امن ام متصلة ومن عطف على من الاولى **اسس بنيانه** كالاولى **على شفا** اي على طرف
جرف اي جانب **هار** اي مشرف على السقوط يعني بنى بنيانه على اهون القواعد واضعفها قرأ حمزة
وابن عامر وابو بكر عن عاصم جرف بسكون الراء والباقون بضمها وهما لغتان التفاهو الشفير يقال
اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الماء تحته فهو الى السقوط اقرب
قال ابو عبيدة الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فيحفر بالماء فيبقى واهيا هار اي هائر
وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى
بعضه في اثر بعض كما يهار الرمل والشيء الرخو **فانهار به** اي سقط بالباني يعني معه قال الشيخ يعني
اذى

اذى بالباني بسبب ضعفه وقلة استمساكه الى السقوط **في نار جهنم** يريد بناء هذا المسجد الضرار
كالبناء على شفير جهنم يتهور باهلها فيها فلا خيرة لبنائه اصلا وهذا مثل ضربه الله للمسجدين مسجد
الضرار ومسجد التقوى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة او مسجد قباء وتعني المثل افمن اسس بنيان
دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس بنيان دينه
على اضعف القواعد واقلها ثباتا وبقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير اساس
ثابت وهو شفا جرف هار فاذا كان كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد
ببنائه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه اشرف البناء والباني الثاني قصد ببنائه الكفر والنفاق واضرار
المسلمين فكان بناؤه اخس البناء وكان عاقبته الى نار جهنم قال بعضهم ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل
على حقيقة الباطل وكنه امره وسرعة انطفائه واضمحلاله قال الشيخ وانما لم يقل فوقع في نار جهنم لانه دائم
هنا امكنه ان يخلص فيتخلص ولا يقع فيها وانما وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا
عما ينافي التقوى وهو الباطل قال الله واما الباطل فيذهب جفاء قال ابن عباس في معنى فانهار به
في نار جهنم اي صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناؤهم حتى وقع في النار ولقد ذكر لنا
انه حفرت بقعة منه فرؤي الدخان يخرج منه وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان يخرج من مسجد
الضرار **والله لا يهدي القوم الظالمين** الى ما فيه صلاح ونجاة يعني لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة اي شكا ونفاقا **في قلوبهم** لا يزال هدم ذلك البناء الباطل سببا
لتزايد الشك والنفاق والحسرة والندامة في قلوبهم حتى كانه نفس الريبة وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما امر بهدمه ثقل ذلك على اهل مسجد الضرار وندموا على ما انفقوا على البناء من اموالهم وازداد بغضهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في امرهم هل يتقولون بين المسلمين كما كانوا ام يقتلون و
قيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي
حرارة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم** اي لا يزال بنيانهم الذي بنوا لهذه المقاصد الردية من
من الاضرار والكفر والتفريق والارصاد نوع ريبة وشك راسخا في قلوبهم في جميع الاحوال والاوقات
الا وقت ان تقطع وتنفصل وتتفرق وتتصدع قلوبهم فيموتوا يعني ان هذه الريبة لا ينفك عنهم
بل باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها فاذا ماتوا انتهوا المفساد اليهم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية
حفص وحمزة بفتح التاء فعلا مضارعا بحذف التاء من التفعل وقرأ ابن كثير ان تقطع بفتح التاء وتسكين
القاف مبنيا للفاعل ونصب قلوبهم على المفعولية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع
انت بالسيف قلوبهم والباقون بضم التاء مبنيا للمفعول من التقطيع والاستثناء من اعم الاوقات
او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او في كل الاحوال
الا وقت تقطع قلوبهم او الا حال تقطع قلوبهم فلو صور ان قلوبهم تقطعت بحيث لا يبقى قابلية
الادراك والاضمار لزالت منها الريبة واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية متمكنة فيها
وهو في غاية المبالغة والمراد منه الاخبار بموتهم على النفاق واصرارهم عليه حال حياتهم وبعد

ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم بالسيف او في القبور او في النار وقيل الا ان تقطع بالتوبة
والاسف الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم وقرا يعقوب الى ان تقطع
بحرف الانتهاء وقرى ان يقطع بالياء لكون تانيث القلوب غير حقيقي وان تقطع مضارعا
وقرى ولو تقطعت على البناء للفاعل ولو تقطعت على البناء للمفعول **والله عليم** بنياتهم
واحوالهم واحوال جميع خلقه **حكيم** فيما حكم به عليهم بهدم بنيانهم ولما شرح احوال
المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك عاد الى بيان فضيلة الجهاد فقال **ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة** هذا تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة
على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيل الله والمعنى انه تعالى رحم بالمؤمنين فطلب منهم ان يبذلوا
انفسهم واموالهم ويخرجوا الى الجهاد في سبيل الله ليثيبهم الجنة وذكر الشراء على وجه المثل لان
اموالهم وانفسهم كلها لله وهي عند اهلها عارية ولكنه اراد به التحريض والترغيب في
الجهاد وهذا كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان
تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
فنزلت ان الله اشترى الاية قال ابن عباس بالجنة وانما قدم الانفس على الاموال اشارة الى انهم يبذلون
ارواحهم اسمح منهم ببذل الاموال قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيئا في الحقيقة لان المشتري
انما يشتري ما لا يملك والاشياء كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو
رزقنا اياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل
في سبيل الله حتى يقتل او انفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزاء لما فعل في الدنيا
فجعل ذلك استبدالا واشتراء فهذا معنى اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
والمراد بالاموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعات **يقاتلون في سبيل الله**
هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله تسليما للثمن المتعين فان
المبيع قد تعين او لما كان هذا البيع في المعنى سلما يجب تسليم راس المال فيه قال الشيخ يجوز ان يكون
مستانفا لبيان ما لاجله الشراء كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله
ان يكون حالا **فيقتلون** اعداء الله فيحصل لهم اجر دفع فسادهم **ويقتلون**
فينالون درجة الشهداء قرا حمزة والكسائي بتقديم فعل المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب
الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل والباقون بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول للدلالة
على انهم يقاتلون ولا يرجعون عنهم الى ان يصيروا مقتولين **وعدا عليه حقا** اي ذلك الوعد بان
لهم الجنة وعدا على الله حقا قال السمرقندي معناه واجبا لهم ذلك بان يفي لهم بما وعد
كالواجب لان وعد اكرم الاكرمين نقد حاضر قوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه قوله بان لهم الجنة
وحقا صفة لوعدا وكيف لا يكون هذا الوعد حقا وقد كرره في اجلة كتبه **في التورية والانجيل والقران**

يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في
القران فصار في غاية الوثاقة وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على
جميع اهل الملل وقيل مكتوب في التوراة الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فان ربحتم فلكم
وان خسرتم فعلي وفي الغاية في معنى قوله في التوراة والانجيل والقران هذا على متعارف التجار فان
المبلغ اذا كان له قدر تكتب الوثيقة وقد بالغ ذلك حتى انزله في الكتب الثلثة التي عليها مدار
الشرايع ويحتمل ان يراد بالقران زبور داود لما في الحديث ان داود كان يومر بان يسرج له الدابة
فيختم القران قبل ان يسرج فيكون الوعد مسطورا في الكتب الاربعة **ومن اوفى بعهده من
الله** شيئا او غيره وفيه استفهام على سبيل الانكار اي ليس احد اوفى من الله في عهده وشرطه
فيكون مبالغة في الانجاز وتقريرا للمؤمنين وترغيبا في الجهاد اشد ترغيب والغة لان خلاف الوعد
قبيح من كرام المخلوقين فكيف يكون من اكرم الاكرمين ثم هناهم فقال **فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به** يعني فاستبشروا ايها المؤمنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به قال الاستاذ وهذا اعلام
لهم بانهم ربحوا في تجارتهم ربحا وافرا يدل عليه قوله **وذلك هو الفوز العظيم** اي البيع الذي
بايعتم به مع الله هو الثواب الجزيل الوافر يوم القيمة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله
بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة رابحة بايع الله كل بها كل مؤمن وعنه قال
ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم قوله تعالى
التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون في قوله ان الله اشترى
من المؤمنين ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من المعاصي من اهل الجنة وان لم
يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة
هم الجامعون لهذه الخصال التسعة وقرى بالياء من التائبين الى والحافظين نصبا على المدح او جرا
صفة للمؤمنين ومعنى قوله التائبون الذين تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق او التائبون من كل معصية
فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل
واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية
وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون الحامل له
على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع
مذمتهم فليس بمخلص في توبتهم **العابدون** اي الموحدون الذين عبدوا الله مخلصين قال ابن عباس
هم الذين يرون العبادة الواجبة عليهم بالاخلاص او المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة
عليهم **الحامدون** يعني الذين يحمدون الله لنعمائه سيما نعمة الاسلام او على كل حال في السراء والضراء
وروى البغوي بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى
الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون
بشكره على جميع نعمه دنيا واخرى وقد بين شيخنا عبد القادر الجيلاني فتكلم معنى الشكر في كتابه
فتوح الغيب فراجعه **السائحون** اي الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم قال ابن

عباس ما ذكر في القران من السياحة فهو الصيام قال سفيان بن عيينة انما سمي الصايم سايحا لتركه اللذات
كلها من المطعم والمشرب والنكاح قال الازهري قيل للصايم سايح لان الذي يسيح في الارض متعبد لا زاد
معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصايم ممسك عن الاكل واللذات كلها ولان الصوم رياضة نفسانية
يتوصل بها الى خفايا الملك والملكوت وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصايم
مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي وقال عطاء السايحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل
عليه ما روي عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة
فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السايحون هم طلبة
العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه والسياحة اذا كانت للعبرة وتهذيب الاخلاق فلها
اثر عظيم واذا كانت لمجرد هوا النفس وشهواتها فلا تزيد بها الا المقت وكثرة اللغو **الراكعون**
الساجدون في الصلوة يعني المصلين لا كاهل الكتاب ولكن يعد الركوع في ضمن السجود لانه صرح كل
منهما على حدة وانما عبر عن الصلوة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي عن غير المصلي
بخلاف حالة القيام والقعود لانها حالة المصلي وغيره وقال السمرقندي الراكعون اي الذين يحافظون
على الصلوات الساجدون يعني الذين يسجدون لله في الصلوة وفي المدارك الراكعون هم المصلون
والساجدون المحافظون على الصلوات **الآمرون بالمعروف** اي بالايمان والطاعة يعني يامرون الناس
بالايمان بالله وحده وباعمال الخيرات **والناهون عن المنكر** اي عن الشرك والمعاصي ودخول الواو في الناهون
للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين لان الامر بالمعروف
متضمن للنهي عن المنكر لان الامر بالشي نهي عن ضده والنهي عن الشي امر بضده وقيل هو للاشارة
بين الضدين ودخول الواو في قوله **والحافظون لحدود الله** اي فيما بينه وعينه من الشرايع
والحقايق للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذا مجملها وقيل ان العطف للايذان بان
التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والعقد الكامل كما مر في هذه السورة ولذا
ابتدا تعدادا اخر معطوفا عليه ولذلك سمي واو الثمانية قال الشيخ فان العرب تعطف بالواو على
السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر
وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله
التايبون الى قوله الساجدون مبتدا خبره هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر قال ابن عباس في
معنى قوله والحافظون لحدود الله اي القايمون بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرايض الله المنتهون
الى امره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذي الزمهم به ولا يرتكبون منهيا نهاهم عنه وعطف
قوله والحافظون لحدود الله على قوله والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من عطف العام
على الخاص كذا في الاماني قال السمرقندي وذكر عن خلف بن ايوب انه امر امراته في بعض الليالي ان تكف عن ارضاع
الولد وقال قد تم عليه سنتان فقيل له لو تركتها حتى ترضع تلك الليلة فقال اين قول الله والحافظون
لحدود الله ثم قال **وبشر المؤمنين** اي بشر المصدقين بهذه الشرط والعاملين به بانهم من اهل الجنة
تخصيصه بشر المصدقين بالصفات المذكورة بالجنة وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان
كانه قيل

كانه قيل وبشرهم بما جل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ونزل في استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب
واستغفار بعض الصحابة لابويه المشركين قوله **ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى** والمعنى ما صح وما استقام وما ينبغي للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا لمن
لمن يشرك بالله ولو كانوا ذوي قرابة يعني وان بلغ من القرب ما بلغ لان الله تعالى لا يغفر للمشركين لانهم باختيار
هم الكفر ما بقي لهم استعداد نور الاستغفار منهم روي عن سعيد بن المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة
جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب ودين
اشياخه وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء اخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك ان
وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من اخر القران نزولا قلت لا اشكال في ذلك لان الذي
نزل في ابي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار بعده وفي الغاية فان قلت كيف جاز
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابي طالب بعد موته قلت الاستغفار جايز عقلا ولم يكن فيه نهي فكان
لشدة رافته بعمه يستغفر له وكذلك فيد بقوله لاستغفرن لك ما لم انه عنك م عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة فابى فانزل الله
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله
على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الاية ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار
يبلغ كعبيه تغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس بن عبد المطلب
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو
في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك
ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح
وقد بسط السيوطي الكلام في اسلام ابا النبي وامهاته وقد اشرنا الى بعض ذلك فيما مر وفي الجامع وقيل
قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه
فقال الله ما كان للنبي الاية ثم قال الله تعالى بيانا للسبب منع الاستغفار **من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم** يعني من بعد ما تبين للنبي والمؤمنين انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب الجحيم
وايضا فقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده قال البيضاوي في معنى قوله من
بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار فانه طلب لتوفيقهم للايمان
وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال **وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا**

عن موعدةٍ وعدها اياه اى وماكان طلب ابراهيم لابيه المغفرة من الله الا من اجل موعدة
وعد ابراهيم اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لما انزل الله
خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك ساستغفر لك ربى سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان
فقلت اتستغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك يعنى ان ابراهيم ليس بقدوة فى هذا الاستغفار لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك
لمكان الوعد الذى وعده رجاء ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فعلى هذا الضمير فى اياه
راجع الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان اباه ابراهيم وعد ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم
ساستغفر لك ربى يعنى اذا اسلمت وقيل ان ضمير اياه راجع الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان
يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله ساستغفر لك ربى ويدل عليه ايضا قراءة الحسن وعدها
اباه بالباء الموحدة ومن اراد تفصيل اسلام والدى النبى صلى الله عليه وسلم واسلام ابائه وامهاته الى ادم
عليه السلام وهل الازر والد للخليل او عمه فليراجع الكتاب المسمى بسبل الهدى والرشاد فى سيرة خير
العباد للشيخ العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن على الشامى تلميذ الامام الحافظ السيوطى والخطيب
القسطلانى فانه اوضح فيه حديثى مسلم وبين ركاكتهما والحاصل لا ينبغى لاحد من المفسرين والمحدثين
من اهل الراى وغيرهم ان يتكلم فى والدى النبى واجداده الا بخير والا فالصوت وسئل القاضى ابو بكر بن
العربى احد الائمة المالكية عن رجل قال ان ابا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فاجاب بان من قال ذلك فهو ملعون
فى الدنيا والاخرة لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة قال ولا اذى
اعظم من ان يقال عن ابيه انه كذا قال الامام فخر الدين الرازى ان اباء النبى صلى الله عليه وسلم كلهم الى ادم
كانوا على التوحيد قال الله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ومعناه انه كان ينقل
نوره من ساجد الى ساجد قال فى كتاب اسرار التنزيل ما نصه قيل ان ازر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه
والدليل على ذلك ان اباء الانبياء ما كانوا كفارا قال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات قال
الشمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى فى ابيات له ❁ حبا الله النبى مزيد فضل ❁ على فضل وكان به رؤوفا
فاحيا امه وكذا اباه ❁ لايمان به فضلا لطيفا ❁ فسلم فالقديم بذا قدير ❁ وان كان الحديث به ضعيفا
وله ايضا ❁ تنقل احمد نورا عظيما ❁ تلالا فى جباه الساجدينا ❁ تقلب فيهم قرنا فقرنا
الى ان جاء خير المرسلينا ❁ قال الغزالى فى كتاب النفخ والتسوية فى قوله صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين
خلقا ان المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا ولكن الغايات
والكمالات سابقة فى التقدير لاحقة فى الوجود وبسط الكلام على ذلك وسيدى العارف سيدى على ابى
ابى الوفا حيث قال ❁ سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد ❁ هذا النعيم هو المقيم الى الابد
اصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن ❁ جار الكريم فعيشه العيش الرغد ❁ عش فى امان الله تحت لوائه
لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد ❁ لا تخش ضيما فعندك بيت من ❁ كل الانام لك من اياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن ❁ هو فى المحاسن كلها فرد احد ❁ قطب النهى غوث العوالم كلها

على على ما راه من مجد ❁ روح الوجود حياة من هو واجد ❁ لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وادم والصدور جميعهم ❁ هم اعين هو نورها لما ورد ❁ لو ابصر الشيطان طلعة نوره
فى وجه ادم كان اول من سجد ❁ او لو راى النمرود نور جماله ❁ عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الله جل فلا يرى ❁ الا بتوفيق من الله الصمد ❁ عن عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين
الف سنة وكان عرشه على الماء رواه مسلم زاد صاحب اللطائف ومن جملة ما كتب فى الذكر وهو ام الكتاب
ان محمدا خاتم النبيين وعن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله لخاتم النبيين وان
ادم لمنجدل فى طينته رواه الامام احمد والحاكم وصححه والمعنى كنت خاتم الانبياء فى الحال الذى ادم
مطروح على الارض حاصل فى اثناء الخلقة لما يفرغ من تصويره واجراء الروح والمعنى ان نبوة نبينا
كانت معروفة مذكورة من قبل ان يخلقه الله تعالى ويخرجه الى دار الدنيا حيا وان ذلك كان مكتوبا فى ام الكتاب
من قبل نفخ الروح فى ادم عليه السلام وفى شفاء الصدور لابن سبع عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت ارضى ولا سمائى ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت
هذه الغبراء ❁ وما عجب اكرام الف لواحد ❁ لعين تفدى الف عين وتكرم ❁ يرحم الله القائل
حفظ الاله كرامة لمحمد ❁ اباءه الامجاد صونا لاسمه ❁ تركوا السفاح فلم يصبهم عاره
من ادم والى ابيه وامه ❁ وقال بعضهم رحمهم الله ❁ من عهد ادم لم تزل تحمى له
فى نسلها الاصلاب والارحام ❁ حتى تنقل فى نكاح طاهر ❁ ما ضمه مجتمعين فيه حرام ❁ ولسيدى العارف
نسب اضاء وشمسه من هاشم ❁ وسماؤه من يعرب ونزار ❁ من معشر وبنوا السيادة كابرا
عن كابر فهم كبار كل كبار ❁ اقمار اندية اسود وقائع ❁ اطواد احلام سحاب قطار
ولله در القائل ❁ ان الذى بعث النبى محمدا ❁ انجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وابيه حكم شائع ❁ ابداه اهل العلم فيما صنفوا ❁ فجماعة اجروهما مجرى الذى
لم ياته خبر الدعاة المسعف ❁ والحكم فيمن لم تجئه دعوة ❁ ان لا عذاب عليه حكم يؤلف
فبذلك قال الشافعية كلهم ❁ والاشعرية ما بهم متوقف ❁ وسورة الاسراء فيه حجة
وبنحو ذا فى الذكر اى تعرف ❁ ولبعض اهل الفقه فى تعليله ❁ معنى ارق من النسيم والطف
ونحى الامام الفخر رازى الورى ❁ نحى به للسامعين تشنف ❁ اذ هم على الفطر الذى ولدوا ولم
يظهر عناد منهم وتخلف ❁ قال الاولى ولدوا النبى المصطفى ❁ كل على التوحيد اذ يتحنف
من ادم لابيه عبد الله وما ❁ فيهم اخو شرك ولا مستنكف ❁ فالمشركون كما بسورة توبة
نجس وكلهم بطهر يوصف ❁ وسورة الشعراء فيه تقلبا ❁ فى الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى ❁ اسراره هطلت عليه الذرف ❁ فجزاه رب العرش خير جزائه
وحباه جنات النعيم تزخرف ❁ فلقد تدين فى زمان الجاهلية فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا ❁ الصديق ما شرك عليه يعكف ❁ قد فسر السبكى بذاك مقالة
للاشعرى وما سواه مزيف ❁ اذ لم تزل عين الرضى منه على ❁ الصديق وهو بطول عمر احنف

عادت عليه صحبة الهادي فا ∴ في الجاهلية للضلالة يعرف ∴ فلامه وابوه اخرى شيئا
ورأت من الايات مالا يوصف ∴ وجماعة ذهبوا الى احيائه ∴ ابويه حتى آمنا لا خوفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا ∴ في ذاك لكن الحديث يضعف ∴ هذه مسالك لو ترد بعضها
لكفى فكيف بها اذا تتالف ∴ ويجيب من لا يرتضيها صمته ∴ ادبا ولكن اين من هو منصف
صلى الاله على النبي محمد ∴ ما جدد الدين الحنيف محنف ∴ وذكر ابن حجر في كتابه الزواجر
ما نصه ان الله اكرم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بحياة ابويه حتى آمنا به كما جاء في حديث صححه
القرطبي وغيره وذكر ايضا في فتاواه اقوال المخالفين فراجعه فرحم الله امرأ عرف قدره ولم يتجاوز
طوره وطوبى لمن يسلك سبيل الهدى ويجتنب عن المهالك والردى قوله تعالى **فلما تبين له انه
عدو لله تبرأ منه** اي لما ظهر لابراهيم وبان له ان اباه عدو لله بان اوحي اليه بانه
لن يؤمن ويموت على الكفر تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وقيل لما تبين له في
الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يلقى ابراهيم اباه آزر يوم القيمة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول ابراهيم الم اقل لك
لا تعصيني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم
يبعثون فاي خزي اخزى من ابي الابعد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم
ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره
فيتبرأ منه يومئذ القترة غبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم خاء معجمة
وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى **ان ابراهيم لاواه حليم** جاء في الحديث ان الاواه الخاشع
المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس هو المؤمن التواب وقال الحسن وقتادة
الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول آه من النار قبل ان لا ينفع آه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر
لله عز وجل وقال سعيد بن جبير هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف
من النار وقال ابو عبيدة هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم
في قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت بتنفس الصعداء
والفعل منه اوه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن يحمى
الروح داخل القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخفف بعض ما به من الحزن
والشدة قال السمرقندي في تفسيره وروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس انه قال كل القرآن اعجمه
الا اربعة غسلين وحنانا والاواه والرقيم وروى عن ابن عباس في رواية اخرى انه قال الاواه
الذي يذكر الله تعالى في الارض الوحشة وقال الاواه بلغة الحبشة انتهى وقوله حليم اي صبور على
الاذى يعني حليم عن الجهل ومن حلم ابراهيم عليه السلام قول ابيه له لئن لم تنته لارجمنك وهو يقول
في جوابه سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد واعلم انما وصف الله عز وجل ابراهيم
عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى

انه مع

انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر لتقتدوا انتم به في
هذه الحالة ايضا قوله تعالى **وما كان الله ليضل قوما** اي ما كان الله ليسميهم ضلالا
ويخلق فيهم ذلك ويؤاخذهم بمؤاخذتهم يعني ما كان الله ليقضي عليكم بالضلال ايها المؤمنون
بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين **بعد اذ هداهم** اي بعد اذ هدى الله القوم للاسلام
يعني بعد اذ رزقكم الله الهداية ايها المستغفرون لموتاكم المشركين ووفقكم للايمان به وذلك انه
لما منع الله المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا من ما صدر منهم
فاعلمهم الله بان ذلك الاستغفار ليس بضائرهم **حتى يبين لهم** بالنهي الصريح عبارة او دلالة
ما يتقون اي الذي يجب عليهم اتقاؤه يعني حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغير ذلك مما نهى عنه فاذا اعلمهم بانه ذنب يؤاخذهم الله لو اقدموا على ارتكابه واما قبل الاعلام
فلا يجد لهم ولا يؤاخذهم فكانت الآية بينت عذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاقدام على استغفاره لعمه
ابي طالب وعذر من استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع عن الاستغفار لهم وفيه دليل على ان تكليف
الغافل غير واقع في شرائع الانبياء عليهم السلام وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي
عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله
عز وجل هذه الآية وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال
مجاهد بيان الله للمؤمنين ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة
وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون ويفعلون وما يذرون ويتركون وقال
مقاتل والكلبي هذا في المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة
فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد
ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين
ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل
عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين لهم الناسخ فاذا بين لهم ذلك يؤاخذهم للمخالفة **ان الله
بكل شيء عليم** اي فيعلم امرهم في الحالين يعني حال الحرمة والاباحة او عليم بكل ما يصلح للخلق ومنه
علمه بحال الغافل الذي لم يصل اليه الحرمة او الاباحة فيبين له ذلك ويعذره قال الشيخ معناه انه
تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره
ونواهيه **ان الله له ملك السموات والارض** اي لا شريك له في ملكهما يعني ما فيهما عبيده
وملكه يحكم فيهما بما يشاء من الامر بعد الامر يأمر بامر ثم يأمر بغيره ويفعل ما يشاء فلا ينسخه **يحيي
ويميت** اي من شأنه احياء الموتى واماتة الاحياء والاهداء والاضلال يعني انه يحيي من يشاء على
الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وعبيده **وما لكم**
اي ليس لكم ايها الناس **من دونه** اي من غيره مما سواه **من ولي** اي من قريب ينفعكم ويحفظكم من
عدوكم **ولا نصير** اي ولا ناصر ومانع يمنع عنكم ضررا عدوكم والحاصل انه سبحانه وتعالى هو وليكم و
ناصركم ليس لكم غيره ينفعكم من عدوكم وينصركم عليه قال البيضاوي لما منعهم عن الاستغفار للمشركين

وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرئ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولى امرهم والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود ديناً يأتون ويذرون سواه انتهى والحاصل فيه اشارة الى ان فائدة
القرابة حق الولاية والنصرة ولا ولاية ولا نصر الا منه تعالى فعلى العاقل ان يتوجه الى الله بكليته ويقبل
الى ذاته العلى وجنابه المقدس بشراشره ويعرض عمن سواه ولما شرح احوال غزوة تبوك وحال
المتخلفين عنها عاد الى شرح ما بقى من احكامها فقال **لقد تاب الله على النبى والمهاجرين
والانصار** قال ابن عباس رضى الله عنهما التوبة على النبى هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف
لقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الاولى والافضل لا انه ذنب يوجب عقابا وقيل
معناه ادام توبته على النبى الخ قال اصحاب المعانى ذكر النبى هو مفتاح الكلام للتبرك والمراد التوبة
على من ذكر بعده من الانصار والمهاجرين لما فرط منهم فى احد وحنين وقولنا ذكره عليه السلام
مفتاح كلام للتبرك يعنى هو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان ذكر النبى بالتوبة عليه
تشريفا للمهاجرين والانصار فى ضم توبتهم الى توبة النبى صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله فى قوله
فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف وتعظيم له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل
ما وقع فى قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت فى وقت شديد وربما وقع فى
قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع فى
قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية قال الامام ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات
فى مدة عمره اما من باب الصغاير واما من باب ترك الاولى والافضل ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم والذين
معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد التى حصلت لهم فى ذلك السفر
غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدايد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وانما ضم
ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تسلية لهم وتنبيها على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قد بلغوا الى
الرتبة التى لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة وفى
اياتها بيان معاملات المنافقين على التفصيل سميت السورة الفاضحة الى ان نزلت هذه الاية فلما نزلت
هذه الاية سميت السورة بسببها سورة التوبة قال الكسرقندى ويقال لقد تاب الله على النبى يعنى غفر الله ما
من ذنبه وما تأخر كما ذكر فى اول سورة الفتح انتهى قال الشيخ اراد بالذنب ما فرط منه من ترك الاولى
كاذنه للمنافقين بالتخلف حيث حلفوا له كذبا وقيل المقصود من هذه الاية هو الترغيب لكل احد
فى التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرون والانصار لقوله توبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة
من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده قال بعضهم والتوبة لها
مراتب اولها التوبة من الشرك واقصاها ربط السر على التوحيد ومطالعة جلال الله وانه لا يحل
ذلك ولو لمحة طرف يوجب التوبة على الكمل كما يوجب ارتكاب الكبيرة على عامة المؤمنين وعليه يحمل
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة ثم نعتهم فقال **الذين**

اتبعوه اى اتبعوا امر الرسول عليه السلام وغزوة تبوك **فى ساعة العسرة** اى فى وقت العسرة
وهى حالهم ولم يرد ساعة معينة وقد ذكر بعض العلماء ان النبى صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك فى سبعين
الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل وقد خص اكثر العلماء ساعة
العسرة بغزوة تبوك وعلى هذا اتفاق المفسرين وقال ابو مسلم يجوز ان يكون المراد بساعة العسرة جميع الاحوال
والاوقات على الرسول عليه السلام وعلى المؤمنين فيدخل فيه غزوة الخندق وغزوة بدر وغيرهما وقد ذكر
الله بعضها فى القران كقوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقوله لقد صدقكم
الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم الاية والمقصود منه وصف المهاجرين والانصار بانهم
اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاوقات الشديدة والاحوال الصعبة وذلك يفيد نهاية المدح والتعظيم
ففى الاية اشارة الى انهم مع علو شانهم كانوا محتاجين الى التوبة فغيرهم محتاج اليها بطريق الاولى
والحاصل كانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذى سار مع النبى جيش العسرة لانه كان عليهم
عسرة فى الظهر والزاد والماء والحر الشديد وجهزهم عثمان وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قال
الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب
صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا
التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها فيه
ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى تأتى الى اخرهم ولا تبقى من التمرة الا النواة
وقيل كان الرجلان يقتسمان تمرة فمضوا مع النبى صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا
اصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته
ستقطع فقال ابو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله قال
اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا ما معهم من
الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبرى عن عمر كذلك قال بعضهم والشهر
فى هذه القصة انه عليه السلام وضع كفيه فى ماء قليل فانفجرت الماء من بين اصابعه العشرة حتى
شربوا وسقوا دوابهم وملؤا اوعيتهم ودعا بفضل زاد قليل وجعله فى قصعة ودعا عليه بالبركة
فكفاهم ذلك وزاد قوله **من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم** بيان لتناهى شدتهم و
بلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى الرجوع والتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال الشيخ والمعنى من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التى نالتهم والزيغ
فى اللغة الامالة وقيل همّ بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التى نالتهم لكنهم صبروا
واحتسبوا وندموا على ما خطر فى قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى **ثم تاب عليهم** يعنى انه علم اخلاص
نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة واعلم ان فى كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه
الضمير فى منهم قرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقى والباقون بالتاء من فوق

وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم وقوله ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم قال الاسيناد فان قلت قد ذكر التوبة
اولا ثم ذكرها ثانيا فما فائدة ذلك قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى
قد قبل توبتهم وعفى عنهم ثم اتبعه بقوله **انه بهم رءوف رحيم** تاكيدا لذلك ومعنى الرؤف
في صفة الله انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقونه من العبادات قال الخطابي في الفرق بين
الرؤف والرحيم قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قال بعضهم الرافة
عبارة لازالة الضرر والرحمة عن ايصال المنفعة **وعلى الثلثة الذين خلفوا** معطوف على ما قبله
تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة
واصحابه حيث لم تقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم وحي
بقبول توبتهم لانهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه وقيل في معنى خلفوا اي انهم خلفوا عن غزوة
تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون مرجون لامر الله قال صاحب اللباب واما حديث توبة
كعب بن مالك وصاحبيه فقد روي عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك
ان عبد الله بن كعب وكان قائد كعب حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم اتخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احدا
تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم
على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب
ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها
راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى
كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا
كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان
ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت
الثمار والظلال وانا اليها اصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت اغدو
لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى
بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي
شيئا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا
خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه

في النفاق

في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال
وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر
في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كن ابا خيثمة فاذا هو ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال
كعب فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب
واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لن انجو منه بشيء ابدا فيه كذب فاجمعت صدقه
واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس
فلما فعل جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم
علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم
قال تعال فجئت امشي حتى جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت بلى يا رسول
الله اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت
جدلا ولكني والله لقد علمت يا نبي الله لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله
ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي رواية
عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدقكم الحديث فقم حتى يقضي الله فيك
فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت
في ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك
استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد قالوا نعم لقيه معك رجلان
قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري وهلال بن امية
الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي
قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس
او قال تغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة
فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج
فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه
بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا
اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت
حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت
يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فعدت فناشدته فقال الله ورسوله

اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق المدينة اذا نبطي من
نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس
يشيرون له الي حتى جاءني فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه
قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت
حين قرأتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها بها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين و
استلبث الوحي واذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان
تعتزل امرأتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل فقال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي
بمثل ذلك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال
بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل
تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت انه والله ما به من حركة الى شيء ووالله ما زال يبكي منذ
كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك
فقد اذن لامرأة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال
فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت
من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض
بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا
وعلمت ان قد جاء فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر
فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم
قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي
فكسوتهما اياه ببشارته والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتأمم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى
دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني
والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال فقلت امن
عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار
وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك
فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما انجاني بالصدق وان
من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث
منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين

المهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم
الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون
كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال
لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم
انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله
تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما
هو تخليفه ايانا وارجاؤه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت
كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال وانزل
الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شأني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة
تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري
ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة
الجمل او الناقة القويان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة
البرية القفراء سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا لهم بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم
واظهره لهم ولاهبة الجهاز وهو ما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليها اصعر هو بالعين المهملة اي اميل
قوله وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار
اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب يزول اذا ظهر
شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه
ماء والمبيض بكسر الياء لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله
ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه و
القافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته يظهره يبثه
صاحبه اي يظهره زاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد
اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت بما شئت من الكلام
والغضب بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم قوله حتى
تنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض وتوحشت علي

وصارت كأنها ارض لا اعرفها وقوله فاما صاحباى فاستكانا اى خضعا وسكنا قوله تسورت
حايط ابي قتادة اى علوته وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون
وهم من العجم والروم والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرتها
اى فقصدت بالصحيفة التي ارسلها ملك غسان فاحرقتها في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف
وقوله فانطلقت أتأمم اى اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس وقوله يبرق
وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور وقوله اخلع من مالي اى اخرج منه جميعه واتصدق
كما يخلع الانسان قميصه وقوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني
البلاء والابتلاء يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد كما قيده
بقوله احسن مما ابلاني اى انعم علي وقوله ان لا اكون كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة
لفظ لا قال العلماء لفظة لا زايدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاؤنا امرنا
تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اى يطؤكم ويزدحمون عليكم واصل الحطم الكسر وقوله
ساير الليل اى باقي الليل وقوله وآذن بتوبة الله علينا اى اعلم والايذان الاعلام والله اعلم انتهى
وقوله عز وجل **حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت** غاية للتخليف اى خلفوا واخروا
الى ان ضاقت عليهم الارض برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم بالكلية تخصيصه ضاق عليهم
المكان بعد ان كان واسعا وهو مثل لشدة الخوف كأنهم لا يجدون في الارض مكانا يستقرون فيه قلقا
وجزعا مما هم فيه **وضاقت عليهم انفسهم** اى قلوبهم من فرط الوحشة وشدة الغم والحزن
ومجانبة الاقارب والاباعد اياهم بترك الكلام ونظروا اليهم بعين الاهانة والجفاء بحيث لا يسعها
انس وسرور وذلك لتاخر توبتهم **وظنوا** اى وايقنوا وعلموا **ان لا ملجأ** اى لا مفزع ولا معتصم
خلاص **من الله** اى من سخطه وغضبه **الا اليه** بالتوبة والاستغفار يعرف معناه من قوله صلى الله عليه وسلم
اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك عن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح
فقال ان يضيق على التايب الارض بما رحبت ويضيق نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **ثم تاب عليهم**
اى وفقهم واكرمهم للتوبة **ليتوبوا** اى يتوبوا ويقال تجاوز عنهم حتى تابوا ويقال تاب عليهم ليتوبوا
بعدهم ويقتدي بهم قال الشيخ معناه انزل الله توبتهم ليتوبوا عن ارتكاب مثله او ليتوبوا اذا صدر منهم
ذنب لما علموا من هذه الواقعة او معناه ثم تاب عليهم بعد ما طال عليهم المدة خمسين يوما ليكونوا في حكم
او رجع عليهم بالتوبة مرة اخرى ليستقيموا على توبتهم بقرينة قوله ان الله هو التواب الرحيم قال بعضهم فيه
وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم لدلالة الكلام عليه وهو تاكيد
لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطفه على قوله لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في
الماضي ليكون ذلك داعيا لهم الى التوبة في المستقبل وبيوم عليهم وقيل ان اصل التوبة الرجوع و
عليهم ليرجعوا الى حالهم الاول وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك
ما يبطل التوبة وهذه الروايات بعضها من بعض وانما كررنا ذلك لانه لما تقدم قبول التوبة على نفس التوبة

التوبة غاية لقبولها مع ان الامر معكوس او ضمنا دفع ما يرد على ظاهر الاية بوجوه التي ذكرنا وبما نقول
ايضا ان تاب عليهم يعني وفقهم للتوبة وان فعل العبد مخلوق لله فقوله تاب عليهم يدل على ان التوبة
فعل الله وقوله ليتوبوا يدل على انها فعل العبد فهو نظير قوله تعالى فليضحكوا قليلا مع قوله انه هو اضحك
وقوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق مع قوله اذ اخرجه الذين كفروا وقوله هو الذي يسيركم مع قوله
قل سيروا والله اعلم باسرار كتابه **ان الله هو التواب الرحيم** اى هو الذي يقبل التوبة من عباده
التايبين وان عادوا في اليوم مائة مرة وفيه دليل على ان قبول التوبة محض الفضل والكرم والرحمة و
الاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله** اى اخشوا الله والنقض
بالمخالفة وارتكاب ما لا يرضاه ورسوله قال السمرقندي اراد بالذين آمنوا من اسلم من اهل الكتاب
وكونوا مع الصادقين اى مع الذين صدقوا الله في ايمانهم وعهودهم او صدقوا الله في دينه نية وقولا
وعملا او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم وفي اللباب يعني كونوا مع النبي واصحابه
في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير مع
الصادقين يعني مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم واستقامت
قلوبهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب
ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة قال السمرقندي وروي عن كعب بن مالك قال فينا نزلت وكونوا مع الصادقين
وهذه الاية تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب يهدي الى الفجور كما ورد في الحديث
وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا ثم لا ينجز له اقرأوا
ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه احتج بهذه الاية على الانصار في يوم
السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى
في كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان
الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يأمرنا ان نكون
معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقرئ من الصادقين اى كونوا من الصادقين لا من المتصفين بالكذب قوله تعالى
ما كان لاهل المدينة اى ما صح وما استقام لساكني المدينة من المهاجرين والانصار **ومن حولهم من
الاعراب** يعني سكان البوادي مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ
عام وحمله على العموم اولى **ان يتخلفوا عن رسول الله** اى اذا غزا وهذا ظاهره نفي وخبر
معناه النهي اى ليس لهم التخلف عن الجهاد وما استقام ذلك كما اشرنا اليه **ولا يرغبوا بانفسهم عن
نفسه** اى ولا ان يرغبوا عطفا على الاول يعني ليس لهم ان يصونوا انفسهم عما لم يصن عليه السلام نفسه
الشريف عنه بل اللازم عليهم ان يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والشدايد بل يجب على من امن به ان
يجعل نفسه وقاية لنفسه ويوثر حياته على حياته كما فعل طلحة يوم احد تخصيصه ليس لاحد من المسلمين
ان يكونوا بانفسهم ابر وارحم واشفق من نفس محمد صلى الله عليه وسلم لان نفسه اعز نفس عند الله بل يجب
عليهم ان يلقوا انفسهم بين يديه في كل شدة وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم **ذلك** اى النهي عن التخلف
او وجوب المتابعة **بانهم** اى بسبب انهم **لا يصيبهم** في غزوهم وعزمهم في كل خير **ظمأ** اى عطش

ولا نصب اى تعب ولا مخمصة اى مجاعة قيل التنكير في الثلثة للتقليل في سبيل الله اى في جهاد
ولا يطؤن اى ولا يدوسون موطئا مصدر يعنى وطيا يعنى مكانا وارضا من اراضى الكفار من سهل او
جبل باقدامهم وارجل خيولهم يغيظ اى يحزن الكفار يعنى ولا يضعون قدما على الارض يكون
ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون اى ولا يصيبون من عدو لله
نيلا اى اصابة قتلا كان او اسرا او نهبا او هزيمة ونحو ذلك الا كتب لهم به عمل صالح
اى الا كتب الله لهم بكل واحد من الامور المعدودة ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم قال
بعضهم في معنى قوله عمل صالح اى حسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد للثواب الجزيل وقيل الرقبى قال
ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعين الف حسنة فالتنوين للتفخيم وتكميل الثواب لما في
المتابعة واقتحام الشدائد ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب و
تنبيه على ان الجهاد احسان وان كان فيه اهلاك النفوس لانه سبب لاعلاء كلمة الله اما في حق
الكفار فلانه سعى في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم
عن سطوة الكفار واستيلائهم والحاصل ان الله لا يدع محسنا من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما
امره به او نهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة ثم
كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله قال صلى الله عليه وسلم من
اغبرت قدماه في سبيل الله عز وجل حرمه على النار وكذا القول في قصد المعصية فان حركته فيها كلها سيئات
الا ان يغفرها الله بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر فاما غيره من الائمة والولاة فيجوز لمن شاء من
المؤمنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الاوزاعي وابن المبارك
وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه الامة واخرها فعلى هذا تكون
هذه الاية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح
التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم ان
يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم قال الواحدي هذا هو الصحيح لانه تتعين الطاعة والاجابة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر وكذا غيره من الائمة والولاة اذا ندبوا وعينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان
يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم ولا ينفقون يعني في سبيل
الله نفقة صغيرة ولا كبيرة اراد بالصغيرة نحو تمرة فما دونها حتى علاقة سوط وبالكبيرة مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة فما فوقها وتقديم النفقة الصغيرة مع ان حقها التاخير على الكبيرة للاهتمام
بشان النفقة لانها مظنة التحقير وعدم الالتفات بها ولا يقطعون واديا اى ولا يجاوزون في سيرهم
واديا من الاودية مقبلين الى العدو او مدبرين بالذهاب او المشي والوادي من ودى اذا سال فهو كل منفرج من
الارض والجمع اودية الا كتب لهم اى كتب الله اثارهم وخطاهم ونفقاتهم يعني اثبت لهم ذلك
الذي فعلوه ليجزيهم الله بذلك اللام جواب قسم محذوف تقديره والله ليجزينهم فحذف النون
وكسرت اللام وكانت مفتوحة فاشتبهت في اللفظ لام كي فنصب بها كلام كي قال الشيخ متعلق بكتب اى اثبت

في صحائف اعمالهم لاجل الجزاء اى كتب لهم ثواب لكي يجزيهم الله باعمالهم احسن ما كانوا يعملون
ويجزيهم باحسن من اعمالهم لانه يعطي الحسنة واحدة عشرة الى سبعمائة الى ما لا يدرك حسابه قال
بعضهم ويقال ليجزيهم باحسن اعمالهم ويصير سائر اعمالهم فضلا قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا
يعملون كما ذكرنا قال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب و
المندوب والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن صفة
للجزاء اى يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب ق عن سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع
سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من
الدنيا وما عليها وفي رواية وما فيها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله
لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة
او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم
في سبيل الله الا جاء يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده
لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم
ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في
سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه ق عن ابي سعيد رضي الله عنه قال اتى رجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم
من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره خ عن
ابي عبس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار
خ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيمة يعني حسنات م عن ابي مسعود الانصاري
البدري رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف وعن زيد بن خالد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا ولما
وبخوا على التخلف وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعا فنزل وما كان المؤمنون لينفروا
كافة يعني لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا كلهم الى الجهاد ويتركوا النبي وحده بل يجب ان يصيروا طائفتين
طائفة تبقى في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتعلمون منه الاحكام والشرائع ويخبروا بذلك من غاب اذا حضروا
وطائفة تنفر للجهاد واللام لتاكيد النفي اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا
يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج
الى الجهاد لم يتخلف عنه الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله في عيب المنافقين في غزوة تبوك قال المؤمنون
والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع الرسول ولا عن سرية فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا على الكفار

نفر المسلمون جميعا الى العدو ويتركوه وحده بالمدينة فنزلت قال عكرمة لما نزلت هذه الاية يحي ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف من
المسلمين فنزلت هذه الاية ردا عليهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وفي رواية عن ابن عباس انها ليست
في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل
باسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم واجهدوهم فانزل الله عز وجل يخبر صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى
الله عليه وسلم فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم
ما تامرنا ان نفعله واخبرنا عما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم فيامرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكوة فكانوا اذا اتوا قومهم نادوا
ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام وينذرونهم
النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي
فاصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ووجدوا من الناس الهدى
فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا واقبلوا من البادية
كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فنزل وما كان المؤمنون الخ وهذه الاية على رواية مجاهد كلام
مبتداء لا تعلق لها بالجهاد قوله عز وجل **فلولا** اي فهلا **نفر** اي خرج يعني لما لم يكن نفر الكل
فهلا نفر **من كل فرقة** اي من كل قبيلة **منهم** اي من المؤمنين **طائفة** اي جماعة وهي اقل
من الفرقة لان القياس ان ينزع القليل من الكثير تخصيصه هلا نفر الى الغزو من كل فرقة طائفة وبقي
طائفة عند النبي **ليتفقهوا في الدين** الذي هو الجهاد الاكبر يعني ليتعلموا الفقه وشرايع الدين
فاذا رجع السرايا وقد نزل بعدهم قران يعلمه القاعدون عند النبي عنه فيعلمونهم ويقولون
لهم ان الله تعالى قد انزل على النبي بعدكم كذا وكذا **ولينذروا قومهم** اي وليخوفوا من بعد
عند النبي قومهم الذين نفروا الى الجهاد **اذا رجعوا** اي اذا رجع السرايا من سفرهم **اليهم** اي
الى الطائفة القاعدة عند النبي للعلم وامور الدين فيخبرهم بما حصل لهم من العلوم والمعارف في غيبتهم
لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عقاب الله بعد التعليم كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء
قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسراية والتي قبلها بالنهي عن تخلف احد فيما اذا خرج النبي
قال البيضاوي واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة
تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذروا فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم تعتبر اخبار الآحاد
ما لم يتواتر لم تفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد انتهى قال الحقير
في نجعه الفرج ردن الاعتراض وفي هذه الاية دليل على ان اخبار الآحاد مقبولة ويجب العمل بها

الله تعالى اخبر ان الطائفة من الفرقة اذا تفقهت في الدين وانذرت قومهم صح ذلك ولفظ
الطائفة يتناول الواحد والاكثر لان اقل الفرقة اثنان والطائفة من الاثنين انتهى وفي الغاية
ان خبر الواحد حجة لان الطائفة يطلق على الواحد فما فوقه انتهى وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون
المقصود من العلم والفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم دون
الاغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس فكل من تعلم
العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم الاية روى مسلم رضي الله عنه
ان اول من يسحب للنار ثلثة عالم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق ماله ليقال انه
جواد وغاز اهرق دمه ليقال انه شجاع ق عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن يزال
امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف
عابد اخرجه الترمذي والفقه عبارة عن العلم باحكام الشرايع واحكام الدين وذلك ينقسم الى
فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة واحكام الصلوة والصوم فعلى كل مكلف
معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك
كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال تجب في
مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد
ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى
بلغ درجة الفتوى سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه
قال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي قال صلى
الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي قال صلى الله عليه وسلم العلم
ثلثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود والاية
المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي
العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض
رحمه الله عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السماء اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي رحمه
الله طلب العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
يلونكم** اي يقربون منكم **من الكفار** امروا بقتال الاقرب فالاقرب في الدار والنسب كما امر
الرسول صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح ولان
ضرره اشد والحذر منه اكثر ولانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الابعد
وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق

وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم قال ابن عباس اراد بقوله يلونكم
من اليهود مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام قريب
الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم
حتى فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يومنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلماء انه قال
نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه تعالى لما امرهم بقتال المشركين
كافة ارشدهم الطريق الاصوب وهو ان يبدؤا بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الابعد فالابعد
وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور وفي الامالي
وروي انه لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يريد بها النفس لانها عدو
قريب بين الجنبين يعسر الاحتراز عنها **وليجدوا فيكم غلظة** امر الله المومنين بان يغلظ على الكفار
اي اغلظوا عليهم في القتل والاسر فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان يعني وليجدوا فيكم شدة وقوة
في القتال وعنفا في القتال وصبرا على الجهاد على كل حال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها **واعلموا ان
الله مع المتقين** بالعون والنصر والحراسة الدائمة فهو تبشير لهم بالنصر قال الشيخ اراد بالمعية الولاية
الدائمة ثم انه تعالى بعد ما ذكر قبائح اعمال المنافقين ذكر من قبائح اقوالهم فقال **واذا ما انزلت سورة**
من سور القرآن ما صلة موكدة **فمنهم** اي فمن المنافقين **من يقول** لاصحابه استهزاء ليثبتهم على
النفاق او لضعفة المومنين ليصدهم عن الايمان **ايكم** مرفوع بالابتداء وخبره **زادته هذه**
السورة **ايمانا** اي تصديقا ويقينا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته وايراد الزيادة مع
لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المومنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا **فاما الذين امنوا** جواب من الله
وتحقيق للحق او تعيين لحالهم عاجلا واجلا اي فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما انزل الله **فزادتهم
ايمانا** يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شيء لجنسه مما هو في صفته فالمومنون
اذا اقروا بنزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا انها من عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار
والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في سورة الانفال وقال السلطان
فزادتهم ايمانا اي بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم انتهى
وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحون بنزول القرآن شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا
وذلك يوجب مزيد الثواب في الاخرة واما حديث السمرقندي في تفسيره بان الايمان مكرر في القلب وزيادته
ونقصانه كفر لا يجوز روايته لان الله تعالى يقول في محكم كتابه بزيادة الايمان قال الله تعالى ولما راى
المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا
قال الله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا عن ابن عباس قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار
وقال محمد عليه السلام حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

ونعم الوكيل رواه البخاري قال الشيخ الرث وبنيه قايلان بان الزيادة في الذي لا يرضى وكما تحصل
الزيادة في الايمان بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهي بقوله تعالى **واما الذين
في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق وكفر وضعف اعتقاد سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد
في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج **فزادتهم** اي نزول السورة
رجسا الى رجسهم اي كفرا مضموما الى كفرهم لكفرهم بالسورة يعني ازدادوا بسبب انكارهم
السورة او استهزائهم بها كفرا مع كفرهم الاول لانه اقبح الاشياء واصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر
وماتوا يعني هولاء المنافقين **وهم كافرون** اي جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم
يعني استحكم فيهم كفرهم حتى ماتوا عليه قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وكان عمر
ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان
يبدو لمظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله
وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله
وايم الله لو شققتم عن قلب مومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود
اولا يرون يعني المنافقين المذكورين في قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض الهمزة للانكار والتوبيخ والواو
للعطف على مقدر اي الا ينظرون ولا يرون وقرئ بالتاء على خطاب المومنين اي الا ترون ايها
المومنون ان المنافقين كذا وكذا واذا قلنا الهمزة للتعجب فالمعنى اي عجبا من المنافقين كيف فسدت قلوبهم وعميت ابصارهم
عما يتتابع عليهم من انواع المحن والفتن **انهم** اي المنافقين **يفتنون** اي يبتلون باصناف البليات
من المرض والقحط او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات **في كل عام مرة او مرتين**
والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور **ثم لا يتوبون** اي لا ينتهون ولا يتوبون
من نفاقهم **ولا هم يذكرون** والمعنى او لا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عن نفاقهم ولا هم
يتعظون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة او ولا يتعظون بما يرونه من صدق وعد الله بالنصر
والظفر للمسلمين **واذا ما انزلت سورة** هذا نوع اخر من قبائح المنافقين وبيان لاحوالهم
عند نزول الوحي وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالهم وهم غايبون واذا ما انزلت
سورة مشتملة على فضائح المنافقين تاذوا من سماعها و**نظر بعضهم الى بعض** نظرا مخصوصا
دالا على الطعن في تلك السورة والاستهزاء بها او على الغيظ بما في عيوبهم وتوبيخهم تخصيصه
يتغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية قائلين **هل يراكم من احد** اي يقولون
هل يراكم احد من المسلمين لننصرف من المسجد عند حضور الرسول فانا لا نصبر على سماعه ويغلبنا
الضحك فنخاف الافتضاح بينهم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد ودخلوا على شياطينهم
وان علموا ان احدا من المسلمين يراهم اقاموا وثبتوا في المسجد كالطير في القفص او واذا ما انزلت
سورة في عيوب المنافقين اشار بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ان قمتم من حضور الرسول ومجلسه
ثم انصرفوا من حضرة الرسول ومجلسه او واذا حضر عليه السلام قاموا مخافة الفضيحة
لانهم لا يصبرون على استماعها لغلبة الضحك او ثم انصرفوا على كفرهم او عن الايمان بتلك السورة

العظيمة صرف الله قلوبهم عن الايمان والهدى قال الزجاج اضلهم الله مجازاة على فعلهم ويحتمل
الاخبار ويكون تعليلاً للانصراف بطريق الاستيناف والدعاء وهذا اوفق بالمقام وحينئذ فالباء في
قوله بانهم متعلق بانصرفوا وعلى الاول بصرف الله قوم لا يفقهون الحق لا شيئا فيه نفعهم لسوء
فهمهم او عدم تدبرهم ثم خاطب الله جميع العرب من اهل مكة وغيرهم بقوله لقد جاءكم رسول
من انفسكم يعني لقد جاءكم رسول عظيم كريم رحمة للعالمين ونعمة من الله عليكم ايها العرب بانه
من جنسكم عربي مثلكم تعرفون نسبه بانه من قريش وتعرفون لسانه وشانه من الامانة والصدق ونصحه
لكم وقرأ ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت
من القرن الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم و
واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله
ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في ربوة من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم خير
البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح
كنكاح اهل الاسلام وقال جعفر محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال ابن عباس ليس قبيلة
من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس ليس
قبيلة من العرب الخ يعني من مضريها وربيعيها ويمانيها فاما مضر وربيعة فهم من ولد معد بن عدنان
واليه تنسب قريش وهو منهم واما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان امنة رضي الله عنها لها نسب
في الانصار وان كانت قريشية والانصار اصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبا فعلى هذا
يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ترغيب العرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه
وعزهم بعزته وفخرهم بفخره فانه من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف
وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقيل ان قوله لقد جاءكم خطاب عام لجميع الناس لان حمله على
العموم اولى والمعنى على هذا القول لقد جاءكم ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان
من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة
بقوله عزيز عليه اي شديد شاق على الرسول الذي من انفسكم ما عنتم اي مشقتكم
ايها العرب ولقاؤكم المكروه من سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم اي على ايمانكم و
اسلامكم وصلاح شانكم وايصال النفع والخير اليكم لا يبغض ابناء الجنس روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال انما انا لكم كالوالد للولد فاذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولكن شرقوا او غربوا ثم بين انه رحمة
للعالمين فقال بالمؤمنين منكم ايها العرب ومن غيركم متعلق بقوله رؤف اي شديد الرحمة
هم

لهم فتم عليه لافادة الحصر اي لا رحمة ولا رافة الا بالمومنين واما الكفار فليس له عليهم رافة ولا رحمة
سوى الدعوة الى الاسلام فان ابوا فالسيف وهذا كالمتمم لما ورد في هذه السورة من التغليظ كانه
يقول اني وان بالغت في التغليظ في هذه السورة الا ان ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين واما
رافتي ورحمتي فمخصوصة بالمومنين فقط ولا يجوز ان تكون بالمومنين من التنازع لان من شرطه تاخر
المعمول عن العاملين رحيم اي يريد بهم الخير والنفع قدم الابلغ وهو الرؤف لان الرافة شدة
الرحمة او محافظة ورعاية للفواصل وفي اللباب رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي
الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه
الله رؤفا رحيما قال الحسين بن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى
الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله تعالى فان تولوا اشارة الى
تسليته صلى الله عليه وسلم يعني فان اعرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك
الحرب او اعرضوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة او عن نصرتك في الجهاد فقل حسبي
الله اي يكفيني الله وينصرني عليكم فلا افوض امري الا اليه ولا اثق الا به لا اله الا هو كانه
دليل على كفايته والاستغناء عن غيره لانه لا ناصر ولا رازق ولا معين الا هو عليه توكلت
يعني لا على غيره وبه وثقت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب اي خالق العرش العظيم
اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير وهو فوق السموات وعلى
الوجهين ذكره لتقوية داعية التوكل والدلالة على ان من هذا شانه حقيق بان لا يرجى سواه
قال الشيخ انما خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو
رب العرش فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله وقرئ العظيم بالرفع بانه
نعت للرب وقراءة الجمهور العظيم بالخفض على انه نعت للعرش وفسر السمرقندي العرش العظيم بالسرير
العظيم اي اعظم من في السموات والارض روى الحاكم في مستدركه عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال
هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا وفي رواية عنه احدث
القران عهدا بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول الى اخر الايتين وقيل اخر ما نزل من القران
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعن البراء بن عازب رضي الله عنه اخر سورة انزلت كاملة براءة
ومن قال وعن النبي عليه السلام ما انزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل
هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة فكانه سهى عما تقدم من قوله
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك الحديث والله
اعلم باسرار كتابه وذكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه لما جمع القران في المصحف كان لا يثبت اية
في المصحف حتى يشهد به رجلان فجاء خزيمة بن ثابت بهاتين الايتين لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم الى اخر السورة فلم يطلب منه البينة واثبته في المصحف
يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وتعالى

الله على سيدنا محمد كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وسلام على المرسلين والحمد لله
رب العالمين ∴ **سورة يونس عليه السلام** اخرج النحاس وابو الشيخ وابن مردويه
عن ابن عباس قال نزلت سورة يونس بمكة وكذا في قول عكرمة وعطاء وجابر وفي رواية عن ابن
عباس انها مكية الا ثلث ايات وهي قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر ثلث ايات وفي
رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية
وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وقال الكلبي انها مكية الا اية
فانها مدنية نزلت في اليهود كما في رواية الثاني من ابن عباس قال فرقة نزلت من اولها نحو من اربعين
اية بمكة وباقيها بالمدينة وفي المدارك سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور وهي مائة
وتسع ايات **بسم الله الرحمن الرحيم • الر**
قال ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير معناه انا الله ارى واخرج ابن مردويه في رواية عن ابن عباس
في قوله الر قال فواتح السور اسماء من اسماء الله وفي رواية عن ابن عباس ان الر وحم ونون حروف
الرحمن مفرقة يعني مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من
اسماء القران وقيل هو اسم للسورة واخرج ابو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي في قوله الر قال الف
ولام وراء من الرحمن كما في رواية ابن عباس واختلف القراء في امالة هذه الحروف اذا كان
في اخرها الف وهي را وطا وها ويا وحا ففخم الر ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون
اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء ومحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه السورة
مسماة ومفتتحة بالر وانتظام اول هذه السورة باخر تلك السورة انه لما ختم سورة التوبة بذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالرسالة واظهار حرصه على اهل مكة بالايمان به واتباعهم
في دينه افتتح هذه السورة بما فيه دلالة على صدق رسالته ووجوب اتباعه بوحي الكتاب اليه
وانه ختم تلك السورة بثنائه بقوله وهو رب العرش العظيم وبدأ هذه السورة باية الر وهو منزل
الكتاب الحكيم وانه لما ذكر في ختم تلك السورة تولي الكفار افتتح هذه بالرد والتعجب والانكار عليهم
وانتظام السورتين بان تلك السورة في ذكر المنافقين والمشركين وحسن عاقبة المخلصين وفي هذه
السورة محاجة الكافرين وما نزل في الكافرين الماضين وخلاص المخلصين **تلك** اشارة الى ما
تضمنته السورة او القران من الآي والاشارة اليه قبل جريان السورة لما انها على جناح الذكر
وبصدده صارت في حكم الحاضر او لما انها حاضر عند المتكلم بها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه
على بعد منزلة السورة في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره قوله عز وجل **ايات الكتاب** والمراد به
جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح
المحفوظ او باعتبار انه انزل جملة الى السماء كما هو المشهور **الحكيم** اي ذي الحكمة ومعنى الحكمة اصابة الحق
بالعلم والعمل فالحكمة من الله تعالى معرفة الاشياء وايجادها على غاية الاحكام واذا وصف بها القران
فلاشتماله على فنون الحكم الباهرة او لانه كلام حكيم فيكون موصوفا بوصف متكلمه او لانه من باب
الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة وقيل فعيل بمعنى فاعل اي حاكم على الكتب

كلها او لانه يحكم ويميز بين الحق والباطل وبفصلها الحلال من الحرام قال الحسن حكم القران بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى او يحكم بان محمدا صادق لان القران اظهر معجزاته وابقاه وقيل
بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم اي محكمة اياته بالحلال والحرام
والحدود والاحكام لم ينسخ شيء منها قال الشيخ الاحكام المنع من الفساد وذكر انه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال السمرقندي محكم من الباطل الكذب فيه والاختلاف اخرج
ابن ابي حاتم عن ابي مالك في قوله تلك اي هذه واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة في قوله تلك ايات
الكتاب قال الكتب التي خلت قبل القران وروي عن مجاهد انها التوراة والانجيل والمعنى ان الايات
المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة
في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب
حتى يشار اليهما وقيل المراد بالايات حروف التهجي التي من جملتها الر سميت ايات لانها افتتاح السور
وسر القران قال الشيخ ومن فسر تلك بهذه فالمعنى هذه ايات الكتاب الذي انزل اليك ومن ابقاه
على حاله فالمعنى تلك الايات التي وعدتك يوم الميثاق ان اوحيها اليك الكتاب الحكيم قال الشيخ
المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات
الكتاب وهو القران الذي انزله الله اليك وذلك ان الله وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره
الدهور ومنهم من فسر الايات بالحجج والبراهين وهي التي احتج النبي صلى الله عليه وسلم بها على دعوات
اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
رسولا انكرت العرب ذلك او من انكر منهم فقالوا الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد
فانزل الله **اكان للناس عجبا** الاية وقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا الاية فلما كرر عليهم الحجج
قالوا وان كان بشرا فغير محمد كان احق بالرسالة فلولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم يقولون اشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمرو الثقفي من الطايف
فانزل الله ردا عليهم اهم يقسمون رحمة ربك الاية والهمزة في اكان همزة استفهام ومعناه الانكار و
التوبيخ لتعجب الكفار وعجبا خبر كان وللناس حال منه تقدم عليه لنكارته واسمه **ان اوحينا** اي
ايحاؤنا قدم خبره لكون الانكار والتعجب راجعا اليه وقيل معناه احدث للناس عجب لان اوحينا
وفي الغاية ان اوحينا اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس للبيان مثلها هيت لك والمعنى ان
هذا العجب مختص بهم ومحصله انهم جعلوه اعجوبة لهم يتعجبون منه وصار عندهم علما في ذلك
الى رجل ذي خلق عظيم **منهم** اي من جنسهم بشر كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من
افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله
الى الناس الا يتيم ابي طالب فهو من افرط حماقتهم وقصر نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة
الوحي والنبوة لان الفقر واليتم لا يوجب نفي النبوة قدحا لان الله تعالى غني بالذات عن العالمين وما
اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء الاتصاف بالصفات الجميلة والنعوت
الجليلة والسبق في استكمال القوة النظرية بالعقائد الحقة وفي استكمال القوة العملية بالاعمال الصالحة

والملكات المثبتة جبلة واكتسابًا ولا ريب لاحد منهم فانه صلى الله عليه وسلم فى ذلك الشان فى غاية الغاية
فانه كان متصفا بكمال الصدق والامانة قبل النبوة ايضا ولما قصور نظرهم وفرط حمقهم فقولهم
الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا لان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلنا ملكا لجعلنا رجلا لان
بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملئكة كما قال الله تعالى قل لو كان فى الارض ملئكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا والعجب حالة تعترى الانسان من روية الشىء على خلاف
العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشىء ولهذا قال بعض الحكماء العجب ما لا يعرف
سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة ومن وافقهم فى المخالفة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين ما اوحى
اليه فقال **أن أنذر الناس** اى اهل مكة وغيرهم يعنى خوفهم بعقاب الله تعالى ان اصروا على الكفر
والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وان هى المفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول
او المخففة من المثقلة فيكون اسمها ضمير الشان المقدر والاصل انه انذر الناس فيكون فى موضع مفعول
اوحينا ويقال فى الاية تقديم ومعناه تلك ايات الكتاب الحكيم للناس اكان عجبا للناس ان اوحينا الى
رجل منهم ان انذر الناس وقال عامة المفسرين على ظاهر التنزيل ثم خص التبشير بالمؤمنين بقوله
وبشر الذين آمنوا أن لهم اى بان لهم **قدم صدق** اى سوابق وسوالف اعمال صالحة
قدموها ذخرا لاخرتهم فالقدم ما قدم من عمل قال حسان بن ثابت ∴ لنا القدم العليا اليك وخلفنا
لاولنا فى طاعة الله تابع ∴ قال ذو الرمة ∴ وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة ∴ لهم قدم معروفة
ومفاخر ∴ قال ابن عباس فى معنى قدم صدق يعنى اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك معناه
ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وفى رواية اخرى
عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة فى الذكر الاول يعنى فى اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو
شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لانه شفيع صدق وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم يعنى
رضوانه واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد و
الفائدة فى هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شىء اضيف الى الصدق فهو
ممدوح ومثله فى مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق فى خير او شر فهو عند العرب
قدم يقال لفلان قدم فى الاسلام وقدم فى الخير ولفلان عندى قدم صدق وقدم سوء وفى السبب فى
اطلاق لفظ القدم على هذه المعانى ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد قال ذو الرمة ∴ لكم قدم لا ينكر الناس انها ∴ مع الحسب العادى طمت
على البحر ∴ معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال الاخر ∴ صل لذى العرش واتخذ قدما ∴ تنجيك
يوم العثار والزلل ∴ وفى الدر المنثور قدم صدق اى مصيبتهم فى نبيهم او شفاعته لهم عند ربهم او
صدق او العمل الذى قدموا كما قال الله تعالى سنكتب ما قدموا واثارهم واثار مشاهم قال ابن مسعود مشى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اسطوانتين من مسجدهم ثم قال هذا اثر مكتوب وفى الغاية بانهم سابقة
صدق وعن الاخفش معناه التقديم فانهم قدموا خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد ما سبق فى علم الله من
سعادتهم فيكون تسلية لهم وتطمينا لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تحريكا لهم وهم قدم صدق لا فى الحفظ
على شىء

حتى يضع الجبار قدمه فى النار اى طائفة قدمهم لها **عند ربهم** كقوله فى مقعد صدق عند مليك
مقتدر **قال الكافرون إن هذا لسحر مبين** قرا نافع وابو عمرو وابن عامر لسحر مبين بغير الف
يعنى قال الكافرون ان هذا القران لسحر مبين يعنى كذب ظاهر وقرا الباقون لساحر مبين وعليه
الرسم يعنى ان الذى قرا عليهم القران لساحر مبين فالسحر اسم والسحر فعل فان قيل لم اقال الكفار
هذا القول فالحكمة فى حكاية كلامهم فى القران قيل له للحكمة فيه من وجوه احدها انهم كانوا
يقولون قولا فيما بينهم فيظهر قولهم عند النبى فكان فى ذلك علامة نبوته صلى الله عليه وسلم لمن ايقن
به والثانى ان فى ذلك تعزية للنبى صلى الله عليه وسلم ليصبر على ذلك كما قال فاصبر على ما يقولون والثا
لث ان فى ذلك تنبيها لمن بعده ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يمتنع بما يسمع من المكروه قال
الشيخ وفى الكلام حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاء بالوحى وانذرهم
قال الكافرون ان هذا لساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات
الباهرات التى لا يقدر احد من البشر على مثلها وكما قرا السحر فاعهم عنوا به القران المنزل عليه
وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك وعلى كل حال فى الاية
اعتراف بعجز الكفرة عن معارضة القران وتسليم لاعجازه معنى وان كانوا يطلقون عليه لفظ
السحر عنادا ومكابرة لان التعجب اى لا تم للتكلم بما هو معلوم الانتفاء قطعا حتى عند نفس المعارض
دأب العاجز المفحم ثم لما حكى عن الكفار تعجبهم من الوحى والبعثة والرسالة واجاب عن ذلك التعجب
بما ذكره وهذا الجواب موقوف على اثبات امرين احدهما اثبات ان لهذا العالم الها قادرا قاهرا
نافذ الحكم بالامر والنهى والتكليف والثانى اثبات الحشر والنشر والبعثة والقيمة حتى يحصل الثواب
والعقاب اللذان اخبر الانبياء عليهم السلام عن حصولهما ذكر ما يدل على تحقيق هذين الامرين
فى ايتين اما اثبات الاله فبقوله عز وجل **إن ربكم** الذى تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا
منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحى اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو **الله الذى خلق السموات
والأرض** التى هى اسباب الامور الحادثة فيها قال البيضاوى التى هى اصول الممكنات قال شيخنا فيه
نظر لان الملئكة والعرش والكرسى من الممكنات مع ان اصلها ليس السموات والارض اقول لعل اشار
البيضاوى الى ما قالوا من ان السماء جارية مجرى الفاعل والارض مجرى القابل فاذا استدارت الافلاك
واختلفت اتصالات الكواكب حصل بها الفصول الاربعة وسائر الاحوال المختلفة من المعادن والنباتات
والحيوانات وحصل جميع الكائنات وانتظام مصالح العالم ذكر لفظ الجلالة لاعترافهم بدون
غير نكير لقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله **فى ستة ايام**
من ايام الدنيا المعهودة يعنى فى مقدارها فان نفس اليوم الذى هو عبارة عن زمان طلوع الشمس
الى غروبها مما لا يتصور تحققه حين لا شمس ولا قمر ولا ارض ولا سماء وقال بعض العلماء المراد بالستة ايام
هنا مراتب مصنوعاته لان قبل الزمان لا يمكن تحدد الزمان والمراد بالايام الستة يوم لمادة السموات ويوم
لصورها ويوم لكمالاتها من الكواكب والنقوش وغيرها ويوم لمادة الارض ويوم لصورها ويوم لكمالاتها
من الجبال وغيرها فاليوم عبارة عن الكون الحادث ذى خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها واخراجها

دفعة في اقل من لمحة ولفتة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لتعليم خلقه التثبت والتانى
في الاحوال والامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد اختاره فاعل مختار لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ولو احدثها في مقدار آخر من الزمان لاى شئ خصص به **ثم استوى على العرش**
استواء يليق به وقد تقدم تفسير هذا في سورة الاعراف وقال القفال العرش في كلامهم هو السرير الذي
يجلس عليه الملك قال الله نكروا لها عرشها ورفع ابويه على العرش ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك
يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه وفسد واذا استقام ملكه واطرد امره ونفذ حكمه قالوا استوى على
عرشه واستقر على سرير ملكه وهذا نظير قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد فالمراد من الاستواء على
العرش نفاذ القدرة وجريان المشية وحصول تدبير المخلوقات على ما شاء واراد والمراد من العرش الجسم
المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير ينزل منه فان قيل
فاذا حملتم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك يلزم ان يقال انه لم يكن مستويا عليه قبل خلق
السموات والارض قلنا انه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تكوينها وتخليقها لا انه كان مكونا لا موجدا
لها باعيانها لان احياء زيد واماتة عمرو واطعام هذا وارواء هذا لا يحصل الا عند هذه الاحوال
فاذا فسرنا العرش بالملك والملك بهذه الاحوال صح ان يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض
واعلم انه تعالى ذكر قوله استوى على العرش في سبع سور ههنا وفي الاعراف والرعد وطه والفرقان والسجدة
والحديد لمناسبة المقام قال ابن الخطيب لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها لان الاستواء على العرش معناه
كونه مستقرا عليه بحيث لولا العرش لسقط ونزل واثبات هذا المعنى يقتضي كونه تعالى محتاجا الى العرش وانه
لولا العرش لسقط ونزل وذلك باطل ومحال لاجماع المسلمين على انه تعالى هو الحافظ والممسك للعرش وايضا فان
قوله ثم استوى يدل على انه قبل ذلك ما كان مستويا عليه وذلك يدل على انه تعالى تغير من حال الى حال وكل متغير
محدث وذلك باطل بالاتفاق وايضا العرش يطلق على كل ما علا فاظل ومنه عرش الكروم فثبت بهذه الوجوه
انه لا يمكن حمل هذه الاية على ظاهرها واذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها على اثبات المكان والجهة كما يقوله
المشبهة لتعاضد الادلة العقلية والنقلية على انه تعالى منزه عن علامة الحدوث والامكان وانه
ليس كمثله شئ لتفرده بعلو الشان ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وكبريائه وجلاله وانه لا يخرج امر
من الامور عن قضائه وتقديره فقال **يدبر الامر** قال مجاهد يقضيه ويقدره وحده وقيل معنى التدبير
تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل انه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر
في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه انه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال
ملكوت السموات والارض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه
وحكمته والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى او تاكيد وتقدير للاستواء او مستانفة لا محل لها من
الاعراب مبنية على سؤال من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك على كل حال فايثار صيغة
المضارع على الماضي للدلالة على تجدد التدبير واستمراره قال السمرقندي في قوله يدبر الامر يعني يقضي القضاء
في تدبير الخلق وروى الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكائيل
وملك الموت واسرافيل اما جبريل فعلى الرياح والوحي والجنود واما ميكائيل فعلى القطر والنبات واما ملك
الموت

الموت فعلى الانفس واما اسرافيل فينزل اليهم بما يؤمرون انتهى وفي الدر المنثور واخرج ابن ابي شيبة
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد في قوله يدبر الامر قال يقضيه وحده وفي
قوله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته ثم يحييه انتهى قال البيضاوي في معنى يدبر الامر
اى يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها
منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة انتهى ورواية مجاهد احسن ولهذا قدمناها
ثم زاد في تقرير سلطانه وقهره بقوله **ما من** زايدة للملاحة **شفيع** يشفع لاحد **الا من
بعد اذنه** الاستثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا شفيع عند الله شافع في وقت من الاوقات
يوم القيمة الا من بعد ان ياذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وبموضع الصواب والحكمة في
تدبيرهم فلا يجوز لاحد ان يساله ما ليس له به علم فاذا اذن في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن ياذن
له فيه نفيه مع زيادة التقرير لعظمة جلاله وعز شانه وعلو ارتفاعه وكبريائه الرد ايضا على كفار
قريش في قولهم ان الاصنام تشفع لهم عند الله يوم القيمة كما حكى عنهم في قوله تعالى ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه ايضا اثبات الشفاعة لمن اذن له الرحمن **ذلكم الله** العظيم
الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية يعني الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام واستوى على العرش ودبر امر الكائنات ولا يقدر احد ان يشفع لاحد الا باذنه هو
ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه اذ لا يشاركه احد في شئ من ذلك **فاعبدوه** اى فاجعلوا عبادتكم
له وحده لا لغيره ولا تشركوا به شيئا من خلقه من انسان او ملك فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع
افلا تذكرون الهمزة للتوبيخ والانكار اى افلا تتفكرون وتتعظون وتعتبرون هذه الدلايل والايات
المذكورة في القرآن ادنى تدبر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه من دونه
ويقال افلا تتعظون بان لا تعبدوا من لا يملك شيئا وتعبدون من يملك الدنيا وما فيها قرا حمزة
والكسائي وحفص تذكرون بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد لان اصله تتذكرون فادغم احدى
التائين في الذال واقيم التشديد مقامه قال الامام وهذا يدل على ان التفكر في المخلوقات والاستدلال بها
على جلال الله تعالى وعظمته من اعلى المراتب واكمل الدرجات واما اثبات الامر الثاني وهو المتعلق بالحشر
والنشر والبعث فبقوله تعالى **اليه** اى الى لقائه تعالى **مرجعكم** اى مصيركم يوم القيمة **جميعا**
ايها الناس بالموت والنشور لا الى غيره من خلقه فاستعدوا للقائه وقت الحساب والجزاء **وعد الله**
مصدر موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم في معنى الوعد من الله او وعيد بلا خلاف منه **حقا** مصدر
آخر موكد لغيره وهو ما دل وتضمن عليه وعد الله وفي اللباب ومعنى وعد الله حقا وعدكم الله ذلك وعدا
حقا يعني البعث كاينا وصدقا قال الزجاج وعد الله حقا صار نصبا على معنى وعدكم وعدا لان قوله تعالى
اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع **انه** بالكسر استينافا وبالفتح في معنى التعليل لحقيقة الرجوع اليه والمعنى
لانه **يبدؤ الخلق** اى يخلقهم ويحييهم ابتداء **ثم يعيده** اى يحييهم بعد مماتهم فهو المتفرد بالابداء
والاعادة وفي هذه الاية دليل قاطع على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحته ووقوعه ورد على منكري
البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر

علی اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلی فیرکب تلک الاجزاء ترکیبا ثانیا ویخلق الانسان الاول مرة اخری
بعد الفناء وکما لم یمتنع تعلق هذه النفس بالبدن فی المرة الاولی لم یمتنع تعلقها بالبدن مرة اخری فاذا
ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت کان المقصود منه ایصال الثواب للمطیع والعقاب للعاصی
وهو قوله تعالی **لیجزی** ای لیثیب **الذین امنوا وعملوا الصالحات بالقسط** یعنی بالعدل
لا ینقص من اجورهم شیئا قال الشیخ قوله بالقسط ای بعدله او بعدالتهم فی امورهم او بایمانهم لانه
العدل القویم کما ان الشرک ظلم عظیم وهو الاوجه لمقابلته قوله تعالی **والذین کفروا لهم**
شراب من حمیم ای من ماء حار وقد انتهی نهایة الحر **وعذاب الیم** ای مولم **بما کانوا یکفرون**
ای بجحدهم الرسالة والکتاب وانما قلنا وهو الاوجه لمقابلته لان المعنی لیجزی الذین کفروا بشراب
من حمیم وعذاب الیم بسبب کفرهم لکنه غیر الاسلوب والنظم من ثلثة اوجه الاول انه جعل المعطوف
جملة اسمیة تفید سببیة کفرهم لتعذیبهم بشراب الحمیم للمبالغة فی استحقاقهم للعقاب والثانی انه تعالی ادخل لام
التعلیل علی الثواب ولم یدخلها علی العقاب بل قال والذین کفروا الخ للتنبیه علی ان المقصود بالذات من
الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض والثالث انه تعالی لم یعین ثواب المومنین وعین
عقاب الکافرین للتنبیه علی انه تعالی یتولی اثابة المومنین بما یلیق بلطفه وکرمه ولذلک لم یعینه واما عقاب
الکفرة فکانه داء ساقه الیهم سوء اعتقادهم وشوم افعالهم وجمع الله بین الماضی والمستقبل الدال
علی مواظبتهم علی الکفر ثم اخبر عن عظیم قدرته وانعامه علیهم بالنعم العظیمة التی توجب لهم ان
یتحیروا منه ولا یجحدوا غیره بقوله **هو الذی جعل الشمس ضیاء** ای جعل ذات ضیاء بالنهار
للجمهور ضیاء بصریح الیاء قبل الالف وهو اجوف واوی مهموز اللام قلبت واوه یاء لکسرة ما قبلها
وقرا قنبل عن ابن کثیر ضئاء بهمزتین بینهما الف علی انه مقلوب قدمت لامه واخرت عینه طرفا بعد
الف زایدة فقلبت همزة وهو مصدر ضاء یضوء مثل قام قیاما وصام صیاما او جمع ضوء کسیاط وسوط
والقمر نورا ای ذا نور بالیل قال السمرقندی جعل الشمس ضیاء مع الحر والقمر نورا بلا حر وسمی الشمس ضیاء
والقمر نورا للمبالغة کما یقال للرجل الکریم انه کرم وجود والضیاء اعم من النور ولذلک نسب الی الشمس وفی الفائدة
والقول بان الضوء یکون للشی بالذات والنور بالعرض فیکون نور القمر مستفادا من الشمس لیس له اصل
لغة وشرعا انتهی وفی اللباب واختلف اصحاب الکلام فی ان شعاع الفایض من الشمس هل هو جسم
او عرض والحق انه عرض وهو کیفیة مخصوصة فالنور اسم لاصل هذه الکیفیة والضوء اسم لهذه الکیفیة
اذا کانت کاملة تامة قویة فلهذا خص الشمس بالضیاء لانه اقوی واکمل من النور وخص القمر بالنور لانه
اضعف من الضیاء ولانهما لو تساویا لم یعرف اللیل من النهار فدل ذلک علی ان الضیاء المختص بالشمس
اکمل واقوی من النور المختص بالقمر انتهی وفی الدر المنثور اخرج ابن مردویه عن ابن مسعود سمعت
رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول تکلم ربنا بکلمتین فصارت احداهما شمسا والاخری قمرا وکانا من النور
جمیعا ویعودان الی الجنة یوم القیمة واخرج ابن ابی حاتم وابو الشیخ عن السدی فی قوله جعل الشمس ضیاء
والقمر نورا قال لم یجعل الشمس کهیئة القمر لکی یعرف اللیل من النهار وهو قوله فمحونا ایة اللیل الایة واخرج
ابو الشیخ وابن مردویه عن ابن عباس فی قوله تعالی هو الذی جعل الشمس ضیاء والقمر نورا قال وجوههما الی

السموات

السموات واقفیتهما الی الارض واخرج ابن مردویه عن عبد الله بن عمرو قال الشمس والقمر وجوههما
الی العرش واقفیتهما الی الارض واخرج ابن ابی شیبة عن عبد الله بن عمرو انه کان بین یدیه
نار اذ شهقت فقال والذی نفسی بیده انها لتعوذ بالله من النار الکبری وراى القمرین جنح
للغروب فقال والله لیبتلی الآن واخرج ابن ابی شیبة عن سعید بن المسیب قال لا تطلع الشمس
حتی ینخسها ثلثمائة ملک وسبعون ملکا اما سمعت امیة بن ابی الصلت یقول • لیست بطالعة لنا
فی رسلها • الا معذبة والا تجلد **وقدره منازل** الضمیر فی وقدره لکل واحد من الشمس والقمر
والمعنی قدر مسیر کل احد منهما منازل او قدر لسیرهما منازل لا یجاوزانها فی السیر ولا یقصران عنها
وانما وحد الضمیر فی وقدره للایجاز فاکتفی بذکر احدهما عن الاخر فهو کقوله والله ورسوله احق
ان یرضوه وقیل الضمیر فی وقدره یرجع الی القمر وحده لان سیر القمر فی المنازل اسرع وبه تعرف انقضاء
الشهور والسنین وذلک لان الشهور المعتبرة فی الشرع مبنیة علی رویة الاهلة والسنة المعتبرة فی
الشرع هی السنة القمریة لا الشمسیة ومنازل القمر السابقة التی یقطعها فی یوم ولیلة بحرکته الخاصة
به وجملة المنازل ثمانیة وعشرون منزلا واسامیها مشهورة وهی الشرطین • والبطین • والثریا
والدبران • والهقعة • والهنعة • والذراع • والنثرة • والطرف • والجبهة • والزبرة •
والصرفة • والعواء • والسماک • والغفر • والزبانا • والاکلیل • والقلب • والشولة • والنعایم
والبلدة • وسعد الذابح • وسعد بلع • وسعد السعود • وسعد الاخبیة • وفرع الدلو المقدم
وفرع الدلو الموخر • وبطن الحوت یعنی به الرشا هذه منازل القمر وهی مقسومة علی اثنی عشر برجا وهی
الحمل والثور • والجوزا • والسرطان • والاسد • والسنبلة • والمیزان • والعقرب • والقوس والجدی
والدلو والحوت • لکل برج منزلان وثلث منزل وینزل القمر کل لیلة منزلا منها الی انقضاء ثمانیة
وعشرین لیلة ثم یستتر ویستتر لیلتین ان کان الشهر ثلثین وان کان تسعا وعشرین اختفی لیلة
واحدة قال الشیخ بعد ما عد الکواکب الی قوله وبطن الحوت اعلم ان هذه الکواکب ثابتة معروفة عندهم جعلوها
علامات المنازل فیری القمر کل لیلة نازلا بقرب احدها لا یتخطاه ولا یتقاصر عنه وذلک انهم قسموا دور
الفلک وهی اثنا عشر برجا حمل الی اخر البروج ثمانیة وعشرین عدد ایام دور القمر فاصاب کل برج منزلان وثلث
تسمی کل منزل بالعلامة التی وقعت التسمیة بحذایه فنعلم ان القمر ینزل کل لیلة منزلا ویستتر لیلتین ان
کان الشهر ثلثین وان کان تسعا وعشرین فلیلة واحدة فیکون انقضاء الشهر مع نزوله تلک المنازل
ویکون مقام الشمس فی کل منزل ثلثة عشر یوما فیکون انقضاء السنة مع انقضاء تلک المنازل انتهی کلام
الشیخ قال السمرقندی یعنی وقدره منازل ای جعل اللیل والنهار منازل یزید احدهما وینقص الاخر ولا
یجاوزان المقدار الذی قدره قلت وفی هذا نظر لان ظاهر نظم الکریم یقتضی ارجاع الضمیر الی الشمس والقمر
او القمر وحده لعدم ذکر اللیل والنهار وللحاجة الی التکلف قال الاستاد فی معنی قوله وقدره منازل یعنی سیر
القمر خاصة ذا المنازل وافراد القمر بذلک لان مناط الاحکام الشرعیة السنة القمریة والاشهر الهلالیة
ولذلک علله بقوله **لتعلموا عدد السنین** یعنی قدر هذه المنازل للقمر لتعلموا بها عدد السنین ووقت
دخولها وانقضائها **والحساب** یعنی ولتعلموا احساب الشهور والایام والساعات ونقصانها وزیادتها

في معاملاتكم وتصرفاتكم بسير القمر في منازلها ما خلق الله ذلك اى ذلك الخلق والتدبير
المذكور الا بالحق اى الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يعنى لم يخلق ذلك المذكور عبثا
وباطلا تعالى الله عن ذلك قال النيسابورى بحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول
تنتظم مصالح هذا العالم وتحصل معايش الخلايق وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة
النور ونقصانه تختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التى يرشد اليها التامل والتدبر وتذكر
قال نفصل اى نبين الايات اى علامات وحدانيته ودلالات ربوبيته بالحجج والبراهين القاطعة
لقوم يعلمون اى يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بيا الغيبة
وارجاع الضمير الى الله تعالى والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم قال الشيخ
التفصيل هو ذكر هذه الدلايل الباهرة واحدة عقب اخرى مع الشرح والبيان لمن يعلم الحكمة في ابداع الكاينات
فيستدل بذلك على ثبوت مبدعها ومخترعها جل جلاله وتخصيص العلم بمن يعلم لانهم هم المنتفعون
بهذه الدلايل كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها مع انه صلى الله عليه وسلم كان منذر الكل ثم ذكر
المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار بقوله ان في اختلاف الليل والنهار من حيث الوجود
او في تعاقبهما وكون احدهما خلف الاخر يعنى بالذهاب والمجي والزيادة والنقصان وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكاينات كالملئكة والشمس والقمر والنجوم والحيوان والجبال والبحار
والانهار والاشجار وغير ذلك لايات اى لدلالات على وحدانية الله وقدرته لقوم يتقون
الله في العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر قال الشيخ معناه لقوم يتقون الله ويخشون عقوبته
ويقال لقوم يتقون الشرك وقد تقدم تفسير هذه الاية في نظايرها وفي الدر المنثور اخرج ابو الشيخ عن
خليفة العبدى قال لو ان الله تبارك وتعالى لم يعبد الا عن روية ما عبده احد ولكن المومنين يتفكرون
في مجى هذا الليل اذا جاء فملأ كل شى وغطى كل شى وفي سلطان النهار اذا جاء فمحى سلطان الليل وفي
السحاب المسخر بين السماء والارض وفي النجوم وفي الشتاء والصيف فوالله ما زال المومنون يتفكرون فيما
خلق ربهم تبارك وتعالى حتى ايقنت قلوبهم بربهم وكانما عبدوا الله عن روية انتهى قلت والى هذه
المرتبة اشار على كرم الله وجهه حيث قال لو كشف الغطا ما ازددت يقينا ان الذين لا يرجون
لقاءنا اى لا يتوقعونه ولا يخطرونه ببالهم لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها قال
بعضهم معناه لا يخافون البعث بعد الموت او لا يرجون ثوابنا بعد الموت كالمشركين اخرج ابن جرير
وابو الشيخ عن ابن زيد هولاء الذين لا يرجون لقاء الله اهل الكفر قال ابن عباس معناه لا يخافون
البعث واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقال انه بمعنى الطمع والتوقع اى لا يطمعون في حسن لقائه
كما يامله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يومنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية
فارغون عن التوجه الى السعادات الباقية واعلم ان اللقاء هو الوصول الى الشى وهذا في حق الله تعالى
محال لانه منزه عن الحد فوجب ان يكون مجازا اما عن البعث او عن لقاء الحساب بدليل قوله تعالى
ظننت انى ملاق حسابيه او عن الروية يقال لقيت فلانا اذا رايته وانما سمى ذلك لقاء الله لانه لا
على ذلك الا الله فجعل لقاء البعث كلقاء الله تفخيما لشانه كما جعل اتيان ملايكته اتيان الله للتعظيم قيل

ان الرجاء يستعمل في معان ثلثة توقع ما هو خير من حيث انه خير وهو الامل وتوقع ما هو شر من حيث
انه شر وهو الخوف ومطلق التوقع مع قطع النظر عن كون المتوقع خيرا او شرا وان لم يخل عن
احدهما وهو حقيقة في المعنى الاول ومجاز في المعنيين الاخرين بعلاقة التضاد واستعمال المقيد في
المطلق واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى قلت واستعمال الرجاء
في معنى الخوف شايع كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابى ذويب الهذلى اذا
لسعته النحل لم يرج لسعها اى لم يخفه ويقول العرب فلان لا يرجو الله اى لم يخفه فالمراد
لقاء الله سوء الحساب وشدته عنده تعالى مما يترتب عليه من اصابة المكروه وهذا صريح في عدم
تخيير التاثير والترهيب فيهم والله اعلم قوله تعالى ورضوا بالحيوة الدنيا اى اختاروا زينتها
وزخارفها بدل الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا بها اى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه
الطمانينة التى حصلت في قلوب الفجار والكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل
والخوف والقلق والاضطراب فان سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم قال الله تعالى
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الاية واخرج ابو الشيخ عن يوسف
بن اسباط قال الدنيا دار نعيم الظالمين قال وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الدنيا جيفة
فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب وايثار الباء على الى فيها للايذان بتمام الملابسة ودوام
المصاحبة والموانسة واختيار صيغة الماضى في رضوا واطمانوا للدلالة على التقرر والتحقق كما ان
اختيار صيغة المستقبل في لا يرجون للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا غافلون
اى عن القران ومحمد صلى الله عليه وسلم معرضون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها وقيل المراد
بالايات ادلة التوحيد وهذا العطف يحتمل ان يكون من باب عطف الصفات تنزيلا للتغاير
الوصفى منزلة التغاير الذاتى بمعنى انهم جامعون بين عدم رجاء لقاء الله وبين الغفلة عن الايات
والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا ويحتمل ان يكون هذا الموصول غير الاول
بان يكون المراد بالموصول الاول من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالموصول الاخر من
الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات
الشنيعة ماويهم النار اى مسكنهم النار بما كانوا يكسبون اى بما واظبوا عليه وتمرنوا
به من الكفر والتكذيب والمعاصى والاعمال الخبيثة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم اى يرشدهم الى الجنات ربهم بايمانهم بسبب تصديقهم بالله ورسوله قال الشيخ معناه
يهديهم ربهم بسبب ايمانهم الى ماواهم ومقرهم وهو الجنة وانما لم تذكر تعويلا على ظهورها
وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اداهم اليه من
اعمالهم السيئة وهذا يدل على ان الايمان المجرد عن العمل منج من حيث انه قال بايمانهم ولم يضم
اليه العمل الصالح كيف لا وقد قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون فانه صريح في ان مجرد الايمان اذا لم يخلط بظلم وهو الشرك يكون سببا
للهداية وقال البيضاوى في اول السورة وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال

البيضاوي رداً للكشاف ومفهوم الترتيب وانما دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له
وفي اللباب يهديهم ربهم الى الجنان ثواباً لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة وقيل يهديهم على الصراط الى
الجنة يجعل لهم نوراً يمشون وقال قتادة بلغنا ان المومن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة
حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك فيكون له نوراً وقائداً الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال
به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز ان يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصايص
ولطايف وبصاير ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية
وقيل معناه بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اى بتصديقهم هداهم وبعبارة اخرى ان في الكلام تقديم وتاخير
ان الذين يهديهم ربهم بايمانهم حتى امنوا وعملوا الصالحات وقال الحسن يرحمهم ربهم بايمانهم ويقال
يحييهم ربهم بايمانهم ويقال يهديهم ربهم في الدنيا حتى يثبتهم على الايمان ويدخلهم في الاخرة الجنة
بايمانهم **تجري من تحتهم الانهار** خبر اخر او استيناف كانه قيل ما بالهم في الجنة فقيل تجري
الخ والمعنى يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين ايديهم وهم ينظرون
اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم فهو كقوله تعالى قد جعل ربك تحتك سرياً لم يرد به انه تحتها وهي
قاعدة عليه بل اراد بين يديها سرياً وقيل تجري بامرهم **في جنات النعيم** متعلق بتجري يعني ذلك
لهم في جنات النعيم او حال من الانهار او خبر اخر **دعواهم** اى قولهم وكلامهم وقيل الدعوى بمعنى الدعاء
اى دعاؤهم بقرينة قوله سبحانك اللهم **فيها** اى في الجنة **سبحانك اللهم** وهي كلمة تنزيه لله من كل
سوء ونقيصة والمعنى انزهك تنزيهاً عما لا يليق بعظمة جلالك من العجز والخلف في الوعد قال اهل التفسير
هذه الكلمة علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام فاذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم
في الوقت بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحفة في كل صحفة لون
من طعام لا يشبه بعضها بعضاً فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى على ما اعطاهم فذلك قوله
تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح
والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال
لذتهم لانهم يلهمون بذلك فينطقون به تلذذاً لا تكليفاً ويدل عليه ما روى عن جابر رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح
التحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم وقوله جشاء اى يخرج الطعام
جشاء وعرقاً وقوله تعالى **وتحيتهم** فيما بينهم **فيها** اى في الجنة **سلام** اى سلامة من كل مكروه
يعني يحيي بعضهم بعضاً بالسلام والتحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة
وهي من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض كما اشرنا او من اضافته الى
المفعول ان كان المعنى وتحية الملكة اياهم كما قال الله تعالى والملكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
او تحية الله اياهم كما قال الله سلام قولاً من رب رحيم اى يسلم عليهم بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك

ثناهم **واخر دعواهم** اى اخر دعاءهم بعد التسبيح والتقديس وبعد ما اكلوا وشربوا على قدر حاجتهم
ان الحمد لله رب العالمين تلخيص الكلام ان اهل الجنة اذا اشتهوا شيئاً قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك
الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك قال الزجاج اعلم الله ان اهل
الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح
ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك في الحركات وان هي المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان المحذوف
اذ اصله انه الحمد لله وقيل مفسرة وقد قرئ بتشديد النون وبنصب الحمد على انه اسمها ثم لما وصف الكفار
بنام بالغفلة اكد ذلك بان غفلتهم غايتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة
في تعجيل ايصال العذاب اليهم فلعلهم يومنون او يخرج من اصلابهم من يومن بقوله **ولو يعجل الله
للناس الشر** الذي كانوا يستعجلون به نزل في اهل مكة حين استعجلوا العذاب بقولهم اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل نزل في النضر بن الحارث وحده حين
قال اللهم ان كان هذا هو الحق الخ والمعنى ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر فيما لهم فيه مضرة
ومكروه في نفس او مال قال ابن عباس نزل هذا في قول الرجل المسلم لاهله وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك
الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله بما يكره ان يستجاب له ونظيره قوله تعالى
ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا **استعجالهم بالخير** اى مثل استعجالهم
بالخير وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعائهم بالخير لتخصيصه ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به
تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به **لقضي** اى لاتم ووقت الدعاء **اليهم** الى الناس **اجلهم**
الذي عين لعذابهم اى لاميتوا واهلكوا وما امهلوا طرفة عين ولكن يمهلهم بفضله وكرمه ويستجيب
للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال طلب العجلة والمعنى على القول
بان الاية نزلت في الكفار ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل
قضاء اجالهم ولهلكوا جميعاً ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى **فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا** اى فندع ونترك الذين لا يخافون عقابنا ولا يومنون بالبعث بعد الموت **في
طغيانهم** اى في تمردهم وعتوهم وضلالتهم مع افاضة النعم عليهم الزاماً للحجة واستدراجاً
في العذاب **يعمهون** يترددون متحيرين فيه مجازاة لهم ف عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه
بها اليك يوم القيمة واجعل ذلك كفارة له يوم القيمة قرا ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل
وهو الله والباقون على البناء للمفعول جرياً على سنن الكبرياء مع الايذان بتعيين الفاعل وقرئ
لقضينا بنون العظمة التفاتاً من الغيبة الى التكلم قال الشيخ قوله فنذر عطف على فعل محذوف دلت
عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي بل نمهل فنذر الذين الخ فان قيل لم عطف فنذر على محذوف
لا على يعجل قلنا لان التروك وقع والتعجيل لم يقع كما اقتضته كلمة لو قوله تعالى **واذا مس** اى اصاب
الانسان والمراد بالانسان في هذه الاية الكافر كذا في اللباب ومشى اليه السيوطي والسمرقندي وغيرهم

الضر اى البلاء من المرض والخوف والفقر وغير ذلك من الشدايد دعانا بالاخلاص لكشفه وازالته
لجنبه اى دعانا ملقيا لجنبه اى مضطجعا عليه فهو حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه
من الحالين واللام بمعنى على كما فى قوله تعالى يخرون للاذقان او قاعدا او قايما وفايدة الترديد تعميم الدعا
لجميع الاحوال او لاصناف المضار وانما قلنا لجميع الاحوال لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلث
والمعنى ان المضرور لا يزال داعيا فى كل حالاته الى ان ينكشف ضره سواء كان مضطجعا او قاعدا او قايما قال
الزجاج وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قايما قال الاستاذ وهو
القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره اى فلما
ازلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعناه عنه مر اى مضى ومشى على طريقته الاولى قبل مس الضر
واستمر على كفره ونسى حالة البلاء او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا اى كانه
بالتشديد فخفف وحذف ضمير الشان وهذه الجملة التشبيهية فى محل النصب على الحال من فاعل مر
اى مضى على سبيله وطريقته الاولى شبيها بمن لم يدعنا اصلا الى كشف ضر اى بلاء مسه
صفة ضر اى اصابه قبل ذلك تلخيصه انه استمر على حالته الاولى قبل ان يصيبه البلاء ونسى ما كان فيه من
الجهد والضنك والضيق والفقر كذلك اى كما زين له الدعاء والبكاء عند الضر والغفلة والاعراض عند
الرخا زين للمسرفين اى زين الله للكافرين بتخليقه او الشيطان بوسوسته ما كانوا يعملون
من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات والشرك بالله وتكذيب الانبياء وما بمعنى الذى مرفوع
لقيامه مقام الفاعل قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت الاية فى ابى حذيفة وهشام بن مغيرة وقال عطا
فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة قال الشيخ والمسرف هو المجاوز عن الحد فى كل شى وانما سمى الكافر
مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها فى عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه فى البحاير والسوايب
ثم خوف الله كفار مكة بمثل عذاب الامم الخالية ليلا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ولقد اهلكنا
القرون الماضية كقوم نوح وعاد واضرابهم قال ابن عباس بين القرنين ثمان وعشرون سنة من
قبلكم اى من قبل زمانكم لما ظلموا اى لما اشركوا وظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح
على ما لا ينبغى وجاءتهم الواو للحال من ضمير ظلموا يعنى وقد اتى القرون المتقدمة اى عطف عليه رسلهم
بالبينات اى بالحجج والمعجزات الدالة على صدقهم وما كانوا ليؤمنوا جحدا واستكبارا لعدم
استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم
واللام لتاكيد نفى ايمانهم والجملة معطوفة على ظلموا الا انه اخبار باصرارات التكذيب وهذا بالاصر
كذلك نجزى القوم المجرمين يعنى كما اهلكنا الامم الخالية لما كذبوا رسلهم كذلك نهلكم ايها
المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم قال البيضاوى فى معنى كذلك نجزى القوم المجرمين اى مثل ذلك
الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فايدة فى امهالهم نجزى
كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم
خلايف فى الارض من بعدهم الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جعلناكم يا اهل مكة خلفاء فى الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم استخلاف من يختبر

لننظر

لننظر كيف تعملون فى الارض خيرا وشرا وهل تعتبرون باهلاك من مضى فتصدقوا رسلنا
فنجازيكم ونعاملكم على حسب اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان
يكون قال اهل المعانى معنى النظر هو طلب العلم وجاز فى وصف الله تعالى اظهارا للعدل لانه تعالى
يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا
ذكره الواحدى والرازى قال الشيخ وكيف فى محل النصب بتعملون مستعار للحال اى على اى حال تعملون فيكون
نصبه على المفعولية ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية اى لننظر على اى حال تعملون الامور الكاينة
على حال الخير ام على حال الشر ولا يجوز ان يكون منصوبا بننظر لان معنى الاستفهام يمنع ان يعمل فيه ما قبله
وفايدته الدلالة على ان المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا نفس الافعال وذاتها ولذلك
يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى كما قدمنا نظير لننظر الخ قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا عن
ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان
الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء اخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا
معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعنى واذا
قرى على هولاء المشركين ايات كتابنا الذى انزلناه اليك يا محمد بينات واضحات تدل على وحدانيتنا
وصحة نبوتك قال الذين لا يرجون لقاءنا اى قال هولاء المشركون الذين لا يخافون عقابنا
ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا
ولا يخاف عقابا ائت بقران غير هذا اى ليس فيه عيب الهتنا او بدله من تلقاء نفسك قالوا
ذلك كيدا وطمعا فى المساعدة ليتوسلوا به الى الزامه عليه السلام والاستهزاء به قال قتادة قال ذلك
مشركوا مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابى امية المخزومى والوليد بن المغيرة ومكرز بن
حفص وعمرو بن عبد الله بن ابى قيس العامرى والعاص بن عامر بن هشام قال هولاء للنبى صلى الله عليه وسلم
ان كنت تريد ان نومن بك فات بقران غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس
فيها عيبها وان لم ينزله الله عليك فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب
اية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال امام المفسرين فخر الدين الرازى اعلم ان اقدام
الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء
وهو قولهم لو جئتنا بقران غير هذا القران او بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية الثانى ان يكونوا
قالوا على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا فى قوله ان هذا القران
ينزل عليه من عند الله ومعنى ايت بقران غير هذا او بدله يحتمل ان ياتى بقران اخر مع وجود هذا
القران والتبديل لا يكون الا مع وجوده وهو ان يبدل بعض اياته بغيرها كما طلبوه ولما سالوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم تبديل القران امر الله ان يجيبهم بقوله قل اى قل يا محمد لهولاء الكفرة ما يكون
لى اى ما يصح لى ان ابدله اغيره من تلقاء نفسى اى من قبل نفسى لانه ليس من قولى ولا كلامى
وانما وحى الله الى وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر
لانه ليس من مقدور البشر بل مقدور البشر تفسير معانيه وتاويله وهم على ذلك فى خطر الا من عصمه الله

والعزى فانزل الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون اى المشركون
يعنى لا يظفرون بمطلوب ولا يصلون الى مامول ولا يامنون من محذور وهذا وعيد وتاكيد لما سبق
ثم لما طلبوا تبديل القران لانه مشتمل على ذم الاصنام التى اتخذوها الهة ذكر فى هذا الموضع قبح عبادة
الاصنام ليبين تحقيرها فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان عصوه وتركوا عبادته
ولا ينفعهم ان عبدوه يعنى الاصنام لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون
مثيبا على الطاعة ومعاقبا على المعصية حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله وفى الامانى اى ويعتقدون ذلك ويقولون بشفاعة الاصنام
اذا سئلوا وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة يعبدون العزى وهبل قال ابو سفيان يوم
احد بعدما ظهر فى المسلمين انكسار اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا ماذا
نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم والعزى بان اسافا ونائلة كانوا صنمين
لاهل مكة ليس كذلك بل كانا رجلا وامراة زنيا فى جوف الكعبة فمسخهما الله حجرين فجعل اسافا على
الصفا ونائلة على المروة ليكونا عبرة لمن يراهما كذا رواه البخارى انتهى قال الاسناد وفى هذه الشفاعة
قولان احدهما انهم كانوا يزعمون انها تشفع لهم فى الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثانى انها
تشفع لهم فى الدنيا فى اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت وقال
بعض مشايخنا ان الكفار اعتقدوا ان المتولى لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك
الروح صنما معينا واشتغلوا بعبادة ذلك الصنم ومقصودهم عبادة ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك
الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما
معينة على صورة ذلك الكوكب واشتغلوا بعبادتها ومقصودهم عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات
معينة على تلك الاوقات والاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور
انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك يكونون شفعاء لهم عند الله
القيمة ثم انكر الله عليهم معتقدهم بقوله قل يا محمد اتنبئون الله اى اتخبرونه بما لا يعلم اى
يعلمه وهو الشريك او شفاعته لكم لان ما لا يعلمه لا وجود له اصلا اذ لا يخفى على الله شىء فى السموات
ولا فى الارض تخصيصه المخبرون الله ان له شريكا يشفع لكم ولا يعلم الله لنفسه شريكا فى السموات
ولا فى الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفى علم الله بذلك الشريك والشفيع وانه لا وجود له
البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور
فى العرف فان الانسان اذا اراد نفى شىء حصل فى نفسه يقول ما علم الله ذلك منى مقصوده انه ما حصل
منه قط ولا وقع اصلا قال الشيخ وفيه تقريع وتهكم واستهزاء بالكفرة لادعائهم المحال والغافل
لما زعمتم اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات الذى يحيط علمه بجميع ما كان وما سيكون
فالم يعلمه لا يكون له تحقق ما وهذا مجاز مشهور كما اشرنا حيث قلنا انك تقول ما علم الله ذلك منى والمراد
ما وجد منى ذلك قطعا وقوله فى السموات ولا فى الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة لنفى ما زعموا
على ان

على ان ما نعبدون من دون الله اما سماوى او ارضى ولا شىء من الموجودات فيهما الا وهو حادث
مقهور تحت قدرة الله مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه اى تنزيها له وتعالى اى ارتفع عما
يشركون ما اما موصولة اى عن شركائهم الذين يشركونهم به فى العبادة او مصدرية اى عن
اشراكهم به غيره قرا حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بتاء الخطاب والباقون
بياء الغيبة والحاصل ان الله نزه نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون شىء
فى السموات والارض ولا يعلمه ثم بين الله تعالى ان عبادة الاصنام بدعة بقوله وما كان
الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة قال ابن عباس على الاسلام قال الضحاك
على هدى وعن مجاهد وما كان الناس الا امة واحدة قال ادم وحده فاختلفوا حين قتل احد ابنى
ادم اخاه قال السدى كان الناس اهل دين واحد على دين ادم فكفروا فلولا ان ربك اجلهم الى يوم
القيمة لقضى بينهم قال الشيخ فى معنى قوله وما كان الناس الا امة اى موجودين على فطرة الله التى فطر الناس
عليها او متفقين على الدين الحق وهو دين الاسلام ولا يجوز ان يكونوا امة واحدة فى الكفر والضلال
لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد والشهيد لله لا بد وان يكون مومنا فثبت انه لم تخل
امة الا وفيهم مومن وقد وردت الاحاديث بان الارض لا تخلو عمن يعبد الله وعن اقوام بهم
تحفظ اهل الارض ثم اختلفوا فى انهم متى كانوا موجودين على الفطرة او متفقين على الدين الحق
فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على الاسلام فى عهد ادم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
ثم اختلفوا بعده وقيل انهم بقوا على الايمان الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا على عهد نوح
فبعث الله اليهم نوحا وقيل كانوا على الايمان من زمن نوح بعد الغرق اذ لم يذر الله من الكافرين
ديارا الى ان ظهر الكفر فيهم وقيل كانوا على الايمان من عهد ابرهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن
لحى فعلى هذا القول يكون المراد من الناس العرب خاصة والغرض منه ان العرب اذا سمعوا ان عبادة الاصنام
حادثة باطلة لم يتاذوا من ابطال هذا المذهب وقيل ان الناس كانوا امة واحدة فى الكفر فهذا القائل يقول
فاين هذا الكلام مع الرسول عليه السلام ان لا يطمع فى ان يصير كل من يدعوه الى الدين يكون مجيبا له فان
الناس كانوا على الكفر فى فترة الرسل وانما حدث الاسلام فى بعضهم بعد ذلك فكيف تطمع فى اتفاق الكل على
الايمان انتهى وفى اللباب وقيل كان الناس امة واحدة يعنى فى الكفر وهذا القول منقول من جماعة المفسرين
ويدل عليه قوله تعالى فى سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقريره انه لا مطمع فى ان يصير
الناس على دين واحد فانهم كانوا على الكفر وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبى عليه السلام انتهى والجواب
عن هذا ما قلنا بانه لا يجوز ان يكونوا امة واحدة فى الكفر والضلال لقوله تعالى فكيف اذا جئنا الاية فافهم
جدا وقيل كان الناس امة واحدة وليس فى الاية ما يدل على اى دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على
دليل خارج وقيل معناه انهم كانوا فى اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة كما اشرنا ثم اختلفوا فى الاديان
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
والمراد بالفطرة فى الحديث فطرة الاسلام وقال الزجاج وما كان الناس يعنى العرب كانوا على الشرك قبل مجى
النبى عليه السلام فاختلفوا فامن بعضهم وكفر بعضهم وقال ايضا وما كان الناس الا امة واحدة اى ولدوا

على الفطرة فاختلفوا بعد الفطرة بان ثبت بعض وكفر بعض والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان
الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا
كلمة سبقت اى مضت ازلا الحكمة بالمغفرة من ربك لقضى بينهم عاجلا قال الكلبي كان الناس اهل
دين واحد على دين ادم فكفروا فلولا ان ربك اجلهم الى يوم القيمة لقضى بينهم في الدنيا قال الشيخ
رحمه الله لولا القضية قضاها الله في الازل واللوح المحفوظ بان تكون الدار الاخرى هي دار القضاء وفصل
الجزاء او لكي تتوب الحكم بينهم في هذه الدار قال الاستاد والحق لولا كلام وموعد سبق ومضى ازلا من الله تعالى
بان جعل لكل امة اجلا ووقتا وان لا يهلكهم الا باجالهم او بان يتاخر العذاب الفاصل بينهم الى
يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضى بينهم عاجلا بتعجيل العذاب للمكذبين وقال الحسن ولولا كلمة
سبقت من ربك بيني مضت في حكمة الله انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم
القيمة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق
من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيمة وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه وقيل
الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة في الدنيا ولكن
اخرهم برحمته الى يوم القيمة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بتمييز المحق من المبطل
بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار
قوله تعالى ويقولون اهل مكة وهذا حكاية لصورة مقالتهم الشنعاء معطوفة على قوله ويعبدون من دون
الله لولا انزل عليه اى هلا انزل على محمد اية من ربه اى معجزة ظاهرة نشاهدها كما كان
للانبياء من الناقة والعصا واليد البيضا تخصيصه هلا انزل على محمد ما نقترحه عليه من الايات
وذلك حين قال عبد الله بن امية لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فقال الله لنبيه عليه السلام
فقل لهم انما الغيب اى ما غاب عن العباد يعني امره لله مختص به لا سبيل لاحد اليه فلو اقتضت
حكمته انزال ما تسالونه لا نزل تخصيصه ان الذي سالتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم
احد ذلك الا هو يعني لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو فانتظروا العذاب والهلاك ان لم تومنوا
اني معكم من المنتظرين للعذاب النازل عليكم بجحودكم ما نزل علي من القران العظيم والايات
البينات واقتراحكم غيره او معناه فانتظروا لنزول ما اقترحتموه او قضاء الله بيننا باظهار المحق
على المبطل اني معكم من المنتظرين او فانتظروا لي في الموت اني معكم من المنتظرين بهلاككم واخرج
ابن ابي حاتم عن الربيع في قوله فانتظروا اني معكم من المنتظرين قال خوفهم عذابه وعقوبته ثم اخبرهم ان في
الاية المتقدمة انهم يطلبون الايات الزائدة عنادا او لجاجا ومكرا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا
اى اعطينا واصبنا الناس يعني كفار مكة رحمة اى مطرا وخصبا ورخاء ونعمة وصحة وسعة
من بعد ضراء مستهم اى من بعد قحط ومرض وبلاء وضيق اصابهم وذلك ان الله تعالى
حبس عن كفار مكة المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم فانزل عليهم
المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو
نوله تعالى اذا لهم مكر اى تكذيب واحتيال في اياتنا اى في دفعها والتكذيب بها فانه تعالى ...
واستهزاءهم

النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة والجيف
وكان الرجل ينظر الى السماء فيرى دخانا من شدة الجوع فجاء ابو سفيان فقال يا محمد انك تامر
بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فيما هم فيه فادع الله ان يسقيهم فدعا الله فسقوا فعادوا الى
تكذيب القران وعداوة الرسول والطعن فيه وقالوا مطرنا باسقاطنا وبالكواكب لا برحمته وقال
مقاتل بن حيان في معنى قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا يعني انهم لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون
سقينا بنوء كذا ويدل على صحة هذا القول ما روى عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على
الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن بي
وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال
مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سماء اى مطر كان
قد وقع في الليل وسمي المطر سماء لانه ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم
سقط نظيره وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عنده ذلك من وجود مطر او ريح كما يزعم المنجمون
ايضا فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للنجم الطالع لانه ناء اى طلع وطلع ومنهم من ينسبه للنجم الغائب
فنفى النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التاثير واما
من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه
قوم وحرمه قوم ومنهم من تاول الكفر كفر نعمة هكذا ذكره صاحب اللباب واعلم ان اذا الاولى
شرطية والثانية فجائية جواب لاذا الاولى لقيامها مقام الفاء والعامل في اذا الفجائية الاستقرار
الذي في لهم فالمعنى استقر لهم المكر في وقت اذاقة الرحمة وقت المكر في الايات فانتصبتا على الظرفية
وقوله في اياتنا متعلق بمكر جعل الايات محلا للمكر مبالغة قل الله اسرع مكرا اى مجازاة والمكر
منه تعالى الاستدراج والجزاء واطلاقه عليه للمشاكلة اى قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا
واقدر على الجزاء وان عذابه في اهلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وطاقا بلوا نعمة الله بالمكر
قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو استدراجهم وامهالهم الى يوم القيمة قال الاستاد والمكر اخفاء
الكيد وهو ايصال المضرة الى الغير من حيث لا يشعر به ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني ان
الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة السيئة الى يوم القيمة حتى يفضحو
ها على رؤس الخلايق ويجزون على مكرهم وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا
في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وتلوين الخطاب بصرفه عن النبي الى
الملئكة للتشديد في التوبيخ قرا نافع في رواية يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله والباقون بالخطاب
مبالغة في الاعلام بمكرهم ثم اخبر عن حال الخلق وفضله عليهم بقوله عز وجل هو الذي يسيركم في
البر والبحر اى هو الذي يسهل لكم السير بان جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها ويمكنكم منه في
البر على الاقدام وظهر الدواب وفي البحر في الفلك وبالسباحة وقيل معناه والله الهادي لكم الى السير
في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر قرا ابن عامر ينشركم بالنون

والشين من النشر بمعنى التفريق والباقون يسيّركم من التسيير اخرج البيهقي في سننه عن ابن عمر
ان تميمًا الداري سأل عمر بن الخطاب عن ركوب البحر فامره بتقصير الصلاة قال تعالى هو الذي
يسيّركم في البرّ والبحر **حتى اذا كنتم في الفلك** اي في السفن **وجرين بهم** اي وجرت
السفن بمن فيها من الركّاب رجع وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة في تقبيح حالهم كأنه تعالى
يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم قال السمرقندي يقال للسفينة الواحدة جرت وللجماعة
جرين واسم الفلك يقع على الواحد وعلى الجماعة ويكون مذكرًا اذا اريد به الواحد ويكون مؤنثًا اذا
اريد به الجماعة كقوله تعالى في الفلك المشحون وقال الفلك التي تجري بامره ذكر بالتأنيث مرة وذكر
بلفظ التذكير مرة وفيه دليل ان الكلام بعضه يكون على وجه المخاطبة وبعضه على وجه المغايبة
كما قال هيهنا حتى اذا كنتم ذكر بلفظ المخاطبة ثم قال وجرين بهم بلفظ المغايبة انتهى قال الاستاذ
فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك
قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير اذ الكون في الفلك يقارن التسيير في البحر بل يتقدمه وغاية
الشيء ما ينتهي به الشيء وينقطع ويكون هو متأخرًا عنه بل الغاية هي مضمون الجملة الشرطية التي
هي اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح مع ما في حيزها وتعلق بها انتهى واخرج ابن ابي حاتم عن ابن زيد
في قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم قال ذكر هذا ثم عدا الحديث في حديث اخر عنه لغيرهم
قال وجرين بهم قال بعد الحديث عنهم فاقول شيء كنتم في الفلك وجرين بهؤلاء لا يستطيع يقول
جرين بكم وهو يحدث قومًا اخرين ثم ذكر هذا يجمعهم وغيرهم وجرين بهم هؤلاء وغيرهم من الخلق
وفي الغاية في معنى وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة ليذكر سوء فعلهم لمن يسمع ويحاط
وليس ما بعد حتى وحده وهو الكون في الفلك غاية للسير ليتوهم اتحاد الغاية بل الغاية اذ الشرطية
وما في حيزها في الجمل المتعاطفة نظيره ما سيأتي ان شاء الله تعالى في قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه
والظاهر من سوق الاية انها في حق اهل الكفر من كفار مكة لمناسبته ما قبلها ولكن ولك ان تقول في وجه الاية
ان قوله هو الذي يسيّركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة للسائرين في البر والبحر من فرق
اهل الايمان ليستديم الشكر ولاجل اهل الضلال يتوب بتذكير هذه النعمة والله اعلم قوله **بريح طيبة**
اي وجرت السفن بريح طيبة ساكنة لينة الهبوب يستطاب هبوبها ويستقيم مرور السفن بها
وفرحوا بها اي وفرح ركبان الفلك بتلك الريح الطيبة وامن السفينة لان الانسان اذا ركب السفينة
ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك **جاءتها** جواب اذا
قيل الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة **ريح عاصف** ذات عصف
شديدة الهبوب تكسر كل شيء فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف
ولم يقل عاصفة لاختصاص الريح بالمعصوف او يذكر الريح ويؤنث وفي اللباب يقال ريح عاصف
وعاصفة ومعنى عصفت الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يراد ذات
عصوف او لاجل ان لفظ الريح تذكر انتهى **وجاءهم الموج** وهو شدة حركة الماء واختلاطه وقيل
ما ارتفع وعلا من غوارب الماء فوق البحر **من كل مكان** اي من كل جانب من جوانب السفينة يعني

من سائر الجهات والنواحي او من كل مكان يجيء الموج منه **وظنوا انهم احيط بهم** اي وظنوا
ان الهلاك قد احاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاطت به العدو وقيل المراد بالظن
اليقين اي وايقنوا انه الهلاك وقيل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه قال
القتبي واصل هذا ان العدو اذا احاط بالقرية يقال دنا اهلها من الهلاك قال الله تعالى واحيط بثمره
وصار ذلك كناية عن الهلاك **دعوا الله مخلصين له الدين** اي اخلصوا في الدعاء لله عز وجل من
غير شرك ولم يدعوا احدًا سواه من الهتهم ولم يخطر ببالهم غيره لتراجعهم الى الفطرة التي فطر الناس
عليها حين شاهدوا اسباب الهلاك واشتد عليهم الخوف وطم بهم البلاء وقيل في معنى هذا الاخلاص
العلم الحقيقي لا الاخلاص الايماني لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى
فكانوا اذا وقعوا في شدة وضيق وبلاء اخلصوا لله الدعاء قوله دعوا الله بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به ويحتمل الاستئناف كانه قيل ما صنعوا بعد تلك الحالة
واما جعل جاءتها حالا ودعوا مستحقًا بالشرط فلا يستقيم المعنى لان فرحهم بالريح الطيبة لم يكن في حال
مجيء العاصفة وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم فتح مكة فر عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه
الى البحر فركب البحر فاصابتهم عاصف فقال اصحاب السفينة لاهل السفينة اخلصوا فان الهتكم لا تغني عنكم
شيئًا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم ان لك عهدًا ان انت عافيتني
مما انا فيه ان اتي محمدًا حتى اضع يدي في يده فلاجدنه عفوًا كريمًا قال فجاء واسلم واخرج ابن سعد
عن ابي مليكة قال لما كان يوم الفتح ركب عكرمة بن ابي جهل البحر هاربًا فخب بهم البحر فجعلت الصراري
يدعون الله ويوحدونه فقال ما هذا قالوا هذا مكان لا ينفع فيه الا الله قال فهذا اله محمد الذي يدعونا
اليه فارجعوا بنا فرجع واسلم واخرج البيهقي في الدلائل عن عروة قال فر عكرمة بن ابي جهل يوم الفتح
فركب البحر فاخذته الريح فنادى باللات والعزى فقال اصحاب السفينة لا يجوز ههنا لاحد يدعو شيئًا
الا الله وحده مخلصًا فقال عكرمة رضي الله عنه والله لئن كان في البحر وحده انه لفي البر وحده فرجع
واسلم قوله تعالى **لئن انجيتنا** اللام موطئة للقسم على ارادة القول يعني يقولون او قائلين لئن انجيتنا يا ربنا
او هو مفعول دعوا الله لانه في معناه **من هذه** اي من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة
والامواج الشديدة **لنكونن** البتة بعد الخلاص ابدًا **من الشاكرين** لنعمك التي من جملتها هذه النعمة
المسؤولة يعني لنكونن من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة المؤمنين
بك المتمسكين بطاعتك **فلما انجاهم** الله تعالى من الريح العاصف والموج الهائل والشدائد التي كانوا فيها
اجابة لدعائهم والفاء للدلالة على سرعة الاجابة **اذا هم يبغون في الارض** اي فاجئوا الافساد
والظلم في جهات الارض واطرافها وسارعوا اليها متجاوزين فيهما كانهم لم يشاهدوا الريح العاصف
والامواج الهائلة **بغير الحق** اي مبطلين في البغي فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت
قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم
اذا لم يرج حصولها للمسلمين كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة والنضير ثم خاطب اولئك الباغين
توبيخًا لهم وتشديدًا ومبالغة في التهديد والوعيد بقوله **يا ايها الناس انما بغيكم** اي وبال

ظلمكم يرجع عليكم كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وهو مبتدأ على انفسكم خبره
اى راجع عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان زعمتم ذلك واصل البغي مجاوزة الحد متاع
الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتداء والمعنى ان بغي بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح
لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم لا يتهيأ ان يبغي
بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبغي من منكرات
الذنوب العظام قال صلى الله عليه وسلم اثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وقال
ايضا ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر وفي رواية ثلث هن رواجع على اهلها المكر
والنكث والبغي ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ومن نكث فانما ينكث على نفسه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث قد فرغ الله من القضاء فيهن لا يبغين احدكم
فان الله يقول يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ولا يمكرن احد فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله
ولا ينكثن احد فان الله يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤخر الله عقوبة
البغي وفي الدر المنثور واخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال النبي عليه السلام لو بغى جبل على جبل لدك
الباغي منهما وقد نظم بعضهم هذا شعرا وكان المامون يتمثل به ∴ يا صاحب البغي ان البغي مصرعة
فارجع فخير مقال المرء اعدله ∴ فلو بغى جبل على جبل ∴ لاندك منه اعاليه واسفله ∴ وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد واخرج البيهقي
عن طريق بلال بن ابي بردة عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبغي على الناس الا ولد بغي او فيه
عرق وفي تفسير الشيخ ورفع متاع الحيوة الدنيا السبعة على انه خبر لمبتداء محذوف تقديره ذلك البغي
والظلم منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها او على انه خبر لقوله بغيكم فعلى هذا يكون قوله على انفسكم
له الا حفص فانه نصبه على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا او على انه مفعول من اجله فيكون البغي مبتدأ والجار من صلته وخبره محذوف اى انما بغيكم على ابناء
جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون
متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدرك المصدر المذكور على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما لا يليق
بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي والظلم المفسر بالافساد
المفرط اللائق بحالهم فاي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب والحاصل البغي المحمود وهو مجاوزة
العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والمذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة
قال صاحب المفردات قوله تعالى ثم الينا مرجعكم عطف على الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون
الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا يوم القيمة فننبئكم اى فنخبركم بما كنتم تعملون من البغي والعدوان
فنجازيكم عليها وهذا وعيد بالعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت ثم لما قال انما بغيكم على انفسكم
متاع الحيوة الدنيا ضرب مثلا لمن اغتر بها واعرض عن التاهب للاخرة فقال انما مثل الحيوة
الدنيا في فنائها وبقائها يعني في حالها العجيبة في سرعة تقضيها وتلاشي نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها وليس المشبه به ما دخله حرف التشبيه في قوله كماء اى مطر انزلناه من السماء لانه

من التشبيه المركب بل مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه بحيث لم يبق له اثر
اصلا بعد ما كان طريا قد التف بعضه ببعض وزين الارض وطمع فيه اهله فاختلط اى اشتبك
به اى بسبب الماء نبات الارض حتى خالط بعضه بعضا قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون
مما يأكل الناس من الحبوب والثمار وغير ذلك وهو حال من النبات والعامل فيه محذوف
اى كائنا او مستقرا مما يأكل الناس والانعام اى ومما يأكل من الكلاء والحشيش والبقول وقوله
حتى غاية فلا بد لها من شيء مغيا والفعل الذي قبلها وهو اختلط لا يصلح ان يكون مغيا لقصر
زمنه فقيل ثمه فعل محذوف تقديره لم يزل النبات ينمو حتى اذا اخذت الارض زخرفها
اى حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك
من الزهور المختلفة الاشكال كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة فتزينت بها وفي العبارة
تمثيل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة باصناف الزينة من انواع الحلي
انتهى قال الاستاد استعير لتلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب
لما كان من الاشياء البهية المنظر استعارة للنفوس قوله وازينت اى وتزينت الارض بالزهر
والنبات قرأ الجمهور بوصل الهمزة وتشديد الزاي والياء والاصل وتزينت وقرئ على الاصل وقرئ
وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وقرئ وازيانت كابياضت
وظن اهلها اى اهل تلك الارض ونباتها انهم قادرون عليها اى على الانتفاع بها يعني متمكنون
على جدادها وقطافها وحصادها ورفع غلتها ورد الكناية الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما
وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا جواب اذا اى اتاها ذلك الارض ونباتها
قضاؤنا وعذابنا باهلاكها بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم من العاهات ليلا او نهارا
ظرفان للاتيان اى في الليل او في النهار فجعلناها اى جعلنا زرع ذلك الارض حصيدا يعني محصودة
مقطوعة اى شبيها بما حصد بالمناجل في قطعه واستيصاله فيكون من باب التشبيه كان
مخففة اى كانها لم تغن اى لم تكن ولم يلبث زرعها ونباتها بالامس فيما قبل بزمان
قريب فان الامس مثل قريب في الوقت القريب كانه قيل كانها لم تغن انفا قال الشيخ معناه كان
لم تكن تلك الاشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الارض واصله من غني فلان
بالمكان اذا اقام به قال الاستاد في تفسيره وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب
في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا
اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن الاخرة لان النبات
في اول بروزه من الارض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن
واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت اى
بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء فجعلت الارض اخذة زخرفها على التشبيه بالعروس
اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك ان
الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وانها

ثم ان الله تعالى ارسل على هذه الارض صاعقة او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن من قبل قال
قتادة ان المتشبث بالدنيا يأتيه امر الله وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية
هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به
وقع اليأس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه ما هو
فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت
وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية القصوى اتته آفة فتلف بالكلية ثم ان
الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة
ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احياء في الآخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب
الطائع ويعاقب العاصي انتهى وقد اطنبنا في ذكر التمثيل والاستعارة لان الافهام متفاوتة والمقام
يقتضي التفصيل قوله تعالى **كذلك** نعت مصدر محذوف اي مثل هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي
نفصل فنبين في المستقبل **الآيات** القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحياة الدنيا
قوله **لقوم يتفكرون** في الآيات ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها
ثم لما نفر العقلاء عن الميل الى الدنيا رغبهم في الآخرة بقوله **والله يدعو الى دار السلام**
اي الى دار السلامة وهي الجنة بالدعاء الى الايمان سميت الجنة دار السلام لان من دخلها سلم وامن
من المكاره والآفات عن ابن عباس رضي الله عنهما والله يدعو الى دار السلام يقول يدعو جميع خلقه الى
عمل الجنة والله السلام والجنة داره قال الشيخ اضاف الله داره وهي الجنة الى اسمه السلام تعظيما لها
وقيل ان الله تعالى يوصف بالسلام لانه سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير او لانه لا يظلم على
خلقه لانه لا يتصور منه الظلم لان الظلم لا يكون الا على من لم يكن في ملكه والخلق كله ملكه ويحتمل
ان يراد بالسلام التحية لانه تعالى يسلم على اهل الجنة قال الله تعالى سلام قولا من رب رحيم والملئكة تسلم
عليهم ايضا قال الله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وهم يحيون بعضهم بعضا
بالسلام قال الله تعالى تحيتهم فيها سلام وفيه دليل على ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى العظيم ولا يصف الا عظيما وقد وصف الله الجنة في
آيات كثيرة من كتابه **ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم** يعني والله يهدي
ويكرم ويوفق من يشاء هدايته من خلقه ممن سبقت عنايته به الى صراطه المستقيم وهو دين
الاسلام عمم بالدعوة اولا لكل اظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء
عن الخلق واظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين خ عن جابر رضي الله عنه قال جاءت
ملئكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان
فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا
فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة
فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي محمد
فمن اطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية

قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت في المنام كان جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي فقال
احدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور
وداع يدعو على رأس الطريق وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من
فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروى علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم هو كتاب الله وفي الاسرار ان في تعميم الدعوة لجميع الناس وتخصيص
الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده ولم يخلق فيه قدرة
الطاعة ثم لما ذكر دار السلام ذكر السعادات الحاصلة لهم فيها فقال **للذين** خبر مبتدأ **احسنوا** العمل
في الدنيا باتيان المامورات واجتناب المنهيات **الحسنى** مبتدأ قدم عليه خبره والمراد بالحسنى هي
المثوبة الحسنى لانها تأنيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها **وزيادة**
اي وما يزيد على مثوبتهم تفضلا لقوله تعالى ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر قال ابن عباس للذين احسنوا الحسنى يعني للذين شهدوا ان لا اله
الا الله الجنة قال ابو بكر الصديق والزيادة هي النظر الى وجه الله الكريم والتصديق لما قاله الصديق ما
روي عن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك
وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية
للذين احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وعلى كل حال الحسنى هي الجنة والامر الغائر بجميع ما في الجنة
من النعيم رؤية الله تعالى قال الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وآيات القرآن يفسر بعضها
بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى والآية والحديث دامغان لاهل
الاعتزال واخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبر على سيف البحر
تكبيرة رافعا بها صوته لا يلتمس بها رياء ولا سمعة كتب الله له رضوانه الاكبر ومن كتب له رضوانه الاكبر
جمع بينه وبين محمد وابراهيم في داره ينظرون الى ربهم في جنة عدن كما ينظر اهل الدنيا الى الشمس والقمر في يوم
لا غيم فيه ولا سحابة وذلك قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى لا اله الا الله والزيادة الجنة
والنظر الى الرب قوله **ولا يرهق وجوههم قتر** يعني ولا تغشى وجوه اهل الجنة كآبة ولا كسوف ولا
غبار فيها سواد **ولا ذلة** اي ولا هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب
ذلك من حزن وسوء حال قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب الجنة
هم فيها خالدون** يعني ان اولئك الذين وصفت صفتهم بالمثوبات هم اهل الجنة واصحابها
وهم فيها دائمون مقيمون لا يخرجون منها ابدا لا زوال في الجنة ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم ثم لما شرح حال المحسنين شرح بعده حال المسيئين

فقال والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها
جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات
والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة
وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيئات فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى وهذا العطف
يحتمل ان يكون على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو ويحتمل ان
يكون الذين مبتدأ وجزاء سيئة مبتدأ ثانيا وخبره بمثلها والباء فيه زائدة للحسن اى وجزاء سيئة
مثلها لا يزاد عليها كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل ويجوز
ان لا تقدر زيادة الباء والتقدير مقدر بمثلها او مستقر بمثلها والمبتدأ الثاني وخبره خبر عن الاول
وقيل ان قوله الذين كسبوا مبتدأ خبره هو قوله كانما اغشيت او قوله اولئك اصحاب النار فعلى هذين
القولين قد فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل معترضة او اربع جمل وترهقهم ذلة قال ابن عباس
معناه تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم وفي اسناد الرهق الى انفسهم
دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ ويرهقهم بالياء التحتانية ما لهم
من الله من عاصم اى ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم قال الاستاد معناه ما من احد
يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين قال السيوطي ومن زائدة اى ما لهم
من الله عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل اى كانما البست وجوههم سوادا
من الليل المظلم قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بسكون الطاء اى جزءا واحدا قال الاخفش معناه
اى جزءا من الليل وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة او حالا منه وقرأ غيرهم بفتح الطاء جمع قطعة
فعلى هذا يكون مظلما حالا من الليل والعامل فيها اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار و
المجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة وهي من الليل فالصفة معمولة لاغشيت وهي صاحبة
الحال والعامل في الحال هو العامل في صاحبها بهذه الطريقة او معنى الفعل في من الليل اى قطعا كائنة
من الليل في حال كونه مظلما اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الذميمة اصحاب النار هم
فيها خالدون ثم لما كانت الاية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لان سواد الوجه
من علامات الكفر قال الله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقال فيها ووجوه يومئذ
عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة ولان للذين احسنوا متناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة
فلا يتناولهم قسمة لم يكن فيها شك للوعيدية لان السيئات وان اشتملت الشرك وسائر المعاصي
ولكن الدلايل التي ذكرناها مخصصة ويوم منصوب بفعل مقدر اى انذرهم او ذكرهم يوم نحشرهم جميعا
الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع وموقف واحد الضمير للفريقين لانه المتبادر من قوله
ومن افراد الفريق الثاني بالذكر بقوله ثم نقول للذين اشركوا اى نقول للمشركين من بينهم
توبيخهم وتهديدهم على رؤس الخلايق اقطع والاضمار يحشر الكل في تهويل اليوم ادخل قال الشيخ معناه
ويوم نجمع الخلايق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيمة ثم نقول الخ وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر
في حيز الصلة من بين ساير ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه لانه من معظم

بينا لهم فالجملة مستانفة مسوقة لبيان بعض اخر من احوالهم الفظيعة وتاخيرها في الذكر مع تقدمه
في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار مكانكم
اى الزموا مكانكم ولا تبرحوا فيه حتى تسألوا وفي هذا وعيد للعابدين والمعبودين انتم وشركاؤكم اى انتم
ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله قوله انتم تاكيد للضمير المستتر في مكانكم من
عامله وهو الزموا لسده مسده وشركاؤكم عطف على انتم وقرئ شركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع قوله
تعالى فزيلنا بينهم اى فرقنا وقطعنا الوصلة التي كانت بين العابدين والمعبودين في الدنيا وميزنا
بينهم بعد اجتماعهم في الموقف وتبرأ كل معبود عن عابده الا الله قال السيوطي ففرقنا بينهم وبين المؤمنين كما في
اية وامتازوا اليوم ايها المجرمون وهو معطوف على قوله ثم نقول فان قلت قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ
الماضي بعد ان عطف على المضارع وهو قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه قلت
السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن اما قوله تعالى وقال شركاؤهم اى
اصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم او لانه
تعالى خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب ما كنتم ايانا تعبدون
ما نافية وقدم المفعول للفاصلة قال الشيخ تبرأ المعبودون من العابدين قال الاستاد هنا مجاز عن براءة
ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به فالمراد
انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا وقيل المراد بالشركاء الملئكة او المسيح بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ولقوله اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاية
وقيل الشيطان حيث تبرأ من عبدته بقوله ليس لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فان قلت
كيف صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل قلت يحتمل ان الله تعالى خلق فيها في ذلك
اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يبقيهم
او يفنيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله واحوال القيمة غير معلومة الا ما دل عليه
الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها ولو
مجازا قلت قال مجاهد يأتي على الناس يوم القيمة ساعة فيها لان يرى اهل الشرك اهل التوحيد يغفر لهم
فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ثم يكون من بعد ذلك ساعة فيها شدة تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فيقول
الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول
لهم الالهة جوابا لقولهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان مخففة من المثقلة اى انا كنا
عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن
عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك واللام في قوله لغافلين فارقة بين المخففة والنافية
اما قوله تعالى هنالك اى في ذلك اليوم تبلوا كل نفس ما اسلفت فهو كالتتمة للاية المتقدمة
والمعنى ان في ذلك المقام او ذلك الموقف او في ذلك اليوم على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان
تختبر وتجرب كل نفس ما قدمت من عمل خيرا وشرا فتعاين نفعه وضره لانه لا يجازى الا بما عمل وقرئ

البخاري اذا كان يوم القيمة تتبع كل امة ما كانت تعبد ويبقى هذه الامة فيها منافقوها فياتيهم
في صورة لم يعرفوها فيقول انا ربكم فيقولون كلا لا نبرح مكاننا حتى ياتينا ربنا فيكشف لهم عن ساق
فيخرون له سجدا الا من كان منافقا فانه لم يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا وقرا حمزة والكسائي
تتلو بتائين اى تقرأ كل نفس في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر اذا كان تتلو بمعنى التلاوة
وان كان بمعنى التلو والتبع فمعناه تتبع كل نفس ما اسلفت من العمل لانه عملها هو الذي يهديها
الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرا الباقون بالباء الموحدة من تحتها بواحدة وقد قدمنا المعنى
واخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل لهم يوم القيمة ما كانوا
يعبدون من دون الله فيتبعونه حتى يوردهم النار ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك تبلو
كل نفس ما اسلفت وهذا كقوله ويوم ندعوا كل اناس بامامهم **وردوا الى الله مولاهم الحق**
يعني رجعوا في الاخرة الى الله مولاهم الحق الثابت ربوبيته وولايته ليجازيهم بما اسلفوا والمعنى وردوا العابدون
والمعبودون وكل بر وفاجر الى حكم الله الذي هو مولاهم الحق وربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه
مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد فان قيل قد قال الله تعالى في اية اخرى وان
الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك والرب ويطلق على الناصر فمعنى
المولى هنا المالك والرب ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين واخرج ابو الشيخ عن السدي
في قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق قال نسخها قوله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم
وضل عنهم اى ضاع عنهم وبطل **ما كانوا يفترون** اى ما كانوا يكذبون في الدنيا ويدعون
من ان الالهة تشفع لهم او انها الهة لهم قال الشيخ فتبقى للصادقين خصوصية درجاتهم في الجنة وانس
مع حقايق معناهم ويضل سعي الكاذبين الذين يراؤون الناس باعمال الصادقين **قل** للمشركين
الذين حكينا احوالهم على حقيقة التوحيد **من يرزقكم** الاستفهام للتقرير والتقريع **من
السماء** بانزال المطر **والارض** بانبات النبات ثم اردفه بانواع اخر من دلائل التوحيد على وجه
لا يقدرون على انكار شيء منها **ام من يملك السمع والابصار** اى ومن اعطاكم هذه الحواس
التي تسمعون بها وتبصرون بها يعني من خلق لكم الاسماع والابصار اللذين اصل خلقهما اسماع ايات
الله للتلاوة وابصار اياته المبصرة ام هذه هي المنقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا
تسوية وما يقدر فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة ابطال الاول
بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام اخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اى
من يستطيع على خلقهما وتسويتهما على هذه الخلقة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي** يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وقيل
يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطاير الحي وقيل معناه يخرج
المومن من الكافر والكافر من المومن والقول الاول اقرب الى الحقيقة وقيل النبات من الحبة والحبة
وهما من النبات **ومن يدبر الامر** اى ومن يلي تدبير العالم العلوي والسفلي يعني تدبير الخلائق
وهذا

وهذا تعميم بعد تخصيص والمعنى ان مدبر امر السموات وما فيها ومدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى
ثم بين ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سالهم عن مدبر هذه الاحوال **فسيقولون الله** اذ لا مجال
للعناد والمكابرة في ذلك لفرط وضوحه قال الاستاد ولا يجدون جوابا غيره فاذا اعترفوا واقروا
بان فاعل هذه الاشياء هو الله وحده **فقل** لهم يا محمد **افلا تتقون** اى افلا تخافون بطش الله
وسطوته حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور فالهمزة
لانكار عدم الاتقاء والفاء للعطف على مقدر اى اتعلمون ذلك وتقرون به فلا تخافون عقابه في
اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية **فذلكم الله ربكم الحق** اى فذلكم الذي
يفعل هذه الاشياء ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام قوله فذلكم
مبتدا نتيجة للذي اعترفوا بانه متصف بالصفات المذكورة وقوله الله خبره وقوله ربكم بدل من الخبر
او بيان له وقوله الحق صفة له اى ربكم الثابت الربوبية والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فاعبدوه
ولا تشركوا به شيئا **فماذا بعد الحق الا الضلال** يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة
والدلايل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا قوله فماذا يجوز ان يكون
الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وصار معنى الاستفهام هنا النفي ولذلك
اوجب بعده بالا ومعناها اى شيء ويجوز ان يكون ذا موصولا بمعنى الذي والاستفهام ايضا بمعنى النفي
والتقدير فما الذي بعد الحق الا الضلال يعني فليس بعد عبادته اذا عبدتم غيره الا الضلال عن الحق لانه
لا واسطة بينهما وقيل بعد بمعنى غير والمعنى ليس غيره الا الضلال وتخصيصه ليس بعد الحق الا الضلال لمن خطى
الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال **فانى تصرفون** يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف
تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل او على اى حال تصرفون عن الحق الذي لا خلاص منه وهو
التوحيد المتحقق ربوبيته الى الضلال الذي هو الاشراك وعبادة غيره تعالى مع انكم مقرون بالحق ونظير
هذا قوله تعالى كيف تكفرون بالله الاية قال الاستاد معناه فانى تصرفون عن الحق الابلج نحن نتعجب من
حالهم **كذلك** اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال او كما انهم مصروفون
عن الايمان والحق **حقت** اى وجبت او صدقت او سبقت **كلمة ربك** وحكمه وقضاؤه في
الازل حيث قال لاملان جهنم او هي انهم لا يومنون قرا نافع وابن عامر كلمات هنا وفي اخر السورة
وفي غافر **على الذين فسقوا** اى تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح يعني بلغوا
الحد الاقصى في الكفر **انهم لا يومنون** بفتح ان بدل من كلمة ربك اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم تعالى
ويجوز ان يكون المراد من الكلمة العدة وانهم لا يومنون تعليل لحقيتها بتقدير اللام اى لانهم لا يومنون
قال الشيخ وقيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يومنون وقضاء الله لا يرد ولا يدفع
قوله تعالى **قل هل من شركائكم** اى قل يا محمد لهولاء المشركين هل من اصنامكم التي تزعمون انها الهة
من يبدؤا الخلق ثم يعيده يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق من غير اصل ولا مثال سبق
اى ثم يميته ويحييه بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السوال استفهام انكار اى ليس في معبوديكم
من هذا شانه قال الشيخ فان قيل كيف قال الله ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة لا من الله ولا من غيره

قلنا لما كانت الاعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها وهو القدرة على ابداء الخلق والاعادة اهون
بالنسبة الينا لزمهم الاعتراف بها فصاروا كانهم يسلمون وجودها من حيث ظهور الحجة ووضوحها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول صلى الله عليه وسلم بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله
يا محمد الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها والمعنى الله هو القادر
على ابداء الخلق واعادته فانى تؤفكون اى من اين تكذبون انهم شركاء او فانى تصرفون عن قصد
السبيل يعنى كيف تصرفون وتعدلون عن الهدى وجادة الحق والمراد من هذا التعجب من احوالهم كيف
تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره قل يا محمد هل من شركائكم من يهدى
الى الحق هذه حجة ثالثة على ما ذكر الحاما لهم اثر الحام والمعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على
ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل الله يهدى للحق اى قل لهم يا محمد ان الله هو
الذى يرشد الى الحق لا غيره من معبوديكم افمن يهدى اى يرشد الى الحق اى الى الاسلام دين
الحق وهو الله تعالى احق اى حق وجدير ان يتبع فيعمل بامره وينتهى بنهيه ويعبد امن لا يهدى
اى ام الذى لا يهتدى او لا يهدى غيره الطريق الا ان يهدى يعنى ام الذى لا يمشى بنفسه الا ان يحمل
من مكان الى مكان احق ان يتبع والاستفهام للتوبيخ والتقريع اى الاول احق بان يتبع قال النحويون
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدى بنفسه او لا يهدى غيره في حال من الاحوال الا حال هداية الله
تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم على زعمهم كالملكة والمسيح وعزير فكيف
بالجوامد قال الاستاد والمعنى ان الله هو الذى يهدى من يشاء الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التى
لا تهتدى الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا ان تهدى غيرها فكيف قال الا ان تهدى
قلت ذكر العلماء في الجواب عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان
الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فبين به عجز الاصنام الوجه
الثانى ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة في
انزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها به
وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم
يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفرة والضلالة فالله تعالى
هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته واما رؤساء الكفرة والضلالة فانهم لا يقدرون
على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله تعالى الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره
قرا حمزة والكسائى يهدى باسكان الهاء وتخفيف الدال على الاصل الثلاثى وقرا ابن كثير وابن عامر وورش
عن نافع يهدى بفتح الياء وتشديد الدال واصله يهتدى فادغمت التاء في الدال ونقلت فتحتها الى الهاء
لئلا يجتمع ساكنان وقرا ابو عمرو ونافع في رواية غير ورش يهدى باختلاس فتحة الهاء وتشديد الدال
وقرا عاصم في رواية حفص يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال اتباعا لكسرة الدال بعد الهاء وقرا
عاصم في رواية ابى بكر يهدى بكسر الياء ايضا لاتباع كسرة الهاء لتتفق الحركات وقرى الا ان يهدى مبنيا
للمفعول للمبالغة فما لكم قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم فاى شىء لكم في عبادة هذه الاصنام شركاء

الاصنام شركاء لله تعالى ثم قال كيف تحكمون اى على اى حال تحكمون بما يقتضى صريح العقل بطلانه
كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شركاء او فيما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من
ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية والاستفهام للانكار التوبيخى وفيه تعجب من حالهم
والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادى الى الحق وما يتبع اكثرهم اى جميعهم
يعنى فيما يتعلق بالعقايد والاصول الدينية مطلقا في قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم في الاخرة
الا ظنا اى مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق
الى المخلوق بادنى مشاركة موهومة او المراد بالاكثر من ينتسب منهم الى تميز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف قال الاستاد في تفسيره والمعنى وما يتبع اكثر هولاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته
بل هم في شك وريبة او المراد بالاكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام
تشفع لهم او المراد بالاكثر الرؤساء والاباء والمعنى فيتبع بعضهم لبعض ان الظن لا يغنى من الحق
شيئا يعنى ان الشك لا يغنى من اليقين شيئا ولا يقوم مقامه وبعبارة اخرى ان الظن لا ينفع من الحق
اى من العلم والعقايد شيئا من الاغناء وقيل في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظنا
منهم لم يرد به كتاب ولا سنة يعنى لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا قوله ان الظن لا يغنى خبران ومن
الحق متعلق به وشيئا مفعول مطلق ويجوز ان يكون شيئا مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة مستانفة
لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن
غير جايز ان الله عليم بما يفعلون اى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه
وقرى تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد ثم لما فرغ من دلايل التوحيد شرع في اثبات النبوة
فقال وما كان هذا القران ان يفترى اى ما صح وما استقام ان يكون مثله في علو شانه
واعجازه مفترى من الخلق لامتناع صدوره من دون الله من الخلق اذ ليس لمن دونه
كمال قدرته التى بها عموم الاعجاز تخصه وما ينبغى لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء
الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شىء يمكن ان يفترى به لان المفترى هو الذى ياتى به البشر
وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق
فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحى انزله الله عليه وانه مبرا عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه احد
الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله ولكن تصديق الذى بين يديه اى لكن متيقن ان الله انزل هذا
القران مطابقا لما قبله من الكتب التى انزلها على انبيائه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران العظيم المعجز
وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة
بين يديه من قبل ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لفرط عداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه
احد من اهل الكتاب علم بذلك اى مما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل
مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحى من الله تعالى انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه
وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل معناه ولكن تصديق الذى القران بين يديه من اخبار الغيوب الاتية

من القمة والبحث وغير ذلك وفى الغاية **ولكن تصديق الذى بين يديه** اى من ساير الكتب السماوية
شاهد على صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعله نفس التصديق مبالغة على طريقة زيد
عدل قال السمرقندى معناه ولكن نزله بتصديق الذى بين يديه من التوراة والانجيل او ولكن
تصديق النبى انزل القرآن بين يديه يعنى الذى هو قبل بما علم لان القرآن تصديق ما جاء من انباء
الامم السالفة واقاصيص انبيائهم ونصب التصديق على انه خبر للكون المقدر او علة لفعل محذوف
تقديره لكن انزله الله تصديقا وقرى بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق **وتفصيل الكتاب** عطف على
ولكن تصديق نصبا ورفعا اى وتبيين ما فى الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام اى
والقرآن مفصل الاحكام المكتوبة على المكلفين او القرآن مفصل ما فى اللوح المحفوظ يعنى تفصيل ما هو
مكتوب هناك لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وبعبارة اخرى وتفصيل مجمل الكتاب اراد
بالكتاب القرآن او تفصيل ما حقق واثبت من العقايد والحقايق والشرايع التى بها تستكمل القوة النظرية
والعملية او وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع من قوله كتاب الله عليكم والمعانى بعضها
قريب الى بعض وفى عين الحياة ولكن القرآن هو الذى تصدق ما بين يديه من الكتب المنزلة
وايضا يصدق ما بين يديه من آيات الله فان القرآن يصدق بعضه بعضا كما يفسر بعضه بعضا
وتفصيل الجملة التى هى المقدرة المكتوبة فى الكتاب الذى عنده لا يتطرق اليه المحو والاثبات لانه اذلى
ابدى كما قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت يعنى فى اللوح المحفوظ لان ما فى اللوح يقبل المحو والاثبات
والتغير بخلاف ما عنده حيث قال وعنده ام الكتاب اى الاصل الذى لا يقبل التغير وهو علمه القائم
بذاته القديم انتهى **لا ريب فيه من رب العالمين** يعنى ان هذا القرآن لا شك فيه انه من
رب العالمين وانه ليس مفترا على الله قوله لا ريب فيه خبر ثالث للكون المقدر داخل فى حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا فاذا انتفى عنه الريب
مع انه كان جامعا لكل ما يحتاج اليه علم انه كاين من رب العالمين وهو خبر رابع للكون المقدر
او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض بين العامل ومعموله او متعلق بالفعل المعلل بهما
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب وسياق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
والبرهان عليه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار **ام يقولون
افتراه** اى بل ايقولون اختلق القرآن محمد من عند نفسه وهذا ورد فى حق الذين ظنوا انه معجز
وظهر لهم حقيته وكذبوه حسدا وعنادا لمخلصه ام يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن
واختلقه من قبل نفسه **قل** اى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله**
يعنى بسورة شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم عرب مثلى
العربية والفصاحة والبلاغة واشد تمرنا فى النظم والعبارة فان قلت قال الله فى سورة البقرة
فاتوا بسورة من مثله وقال هنا فاتوا بسورة مثله فما فايدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى
الله عليه وسلم اميا لم يقرأ ولم يكتب واتى بهذا القرآن العظيم كان معجزا فى نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة
من مثله يعنى مع انسان امى مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه فى عدم الكتابة والقراءة واما قوله فاتوا بسورة
مثله

مثله اى فاتوا بسورة تساوى سور القرآن فى الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعنى
ان السورة فى نفسها معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله
وادعوا لمعاونتكم **من استطعتم** من الانس والجن بل من كل من كان **من دون الله** متعلق
بادعوا اى ادعوا ما سوى الله تعالى من خلقه ولا تدعوه فانه سبحانه وحده قادر على ذلك
ان كنتم صادقين فى قولكم ان محمدا افتراه فاذا عجزوا بعد ذلك علم انهم كذبوا فقال الله تعالى فى حقهم
بل كذبوا بما اى بل سارعوا الى التكذيب بما اى بالقرآن الذى لا يسوغ لهم تكذيبه لان التصديق
والتكذيب بالشئ انما يسوغ بعد الاحاطة بحال المكذب ومعرفة ماله ومرجعه والا كان مسارعة
اليه فى غرة نبوه وهولاء **لم يحيطوا بعلمه** اى بالقرآن يعنى بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن
فى بديهة السماع واوله قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره ويتدبروا آياته ويحيطوا بعلم شانه
قال عطاء يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما فى القرآن من ذكر الجنة
والنار والحشر والقيمة والثواب والعقاب مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقيل انهم
لما سمعوا ما فى القرآن من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك انكروا لجهلهم فرد
الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر احد
على استيعابها وتحصيلها قال الاستاذ اضرب عن دعائهم للتحدى وانهم لا يستاهلون ذلك الى
حالة اخرى لهم اشنع من العناد وهى الجهل اذ لا شئ اقبح منه فان العناد ربما يتحرز عن امثالهم
غاية ما يطيق له عنادا والمعنى انهم قبل التدبر فى بطونه والاحاطة بخواص تركيبه وعجايب
معانيه سارعوا الى تكذيبه فاذا عاندوا ونسبوه الى الافتراء بعد العجز عن الاتيان بمثله لا يستبعد
ذلك منهم **ولما ياتهم تاويله** اى انهم كذبوا بالقرآن ولم ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه
ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما يؤول اليه
عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تاويلا فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا
القرآن وعلمه وعلم تاويله قال الشيخ فى تفسيره فى معنى قوله ولما ياتهم تاويله هو عطف على
الصلة اى ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من
الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ و
المعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر
لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضائلت دونها او
لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا انتهى
كذلك اى مثل ذلك التكذيب قبل النظر فى معجزات الانبياء عليهم السلام **كذب الذين من
قبلهم** اى من الامم الماضية رسلهم يعنى كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذبت الامم السالفة
انبياءهم فيما وعدوهم به **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** اى فانظر يا محمد كيف
صار عاقبة من ظلم من الامم كذلك يصير عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبى صلى الله
عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة

الناعق قال ثبت ان الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال
اذا لم ينتفعوا بما يسمعوا وهم ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم
من ينظر اليك بابصارهم الظاهرة ويعاينون دلايل نبوتك ولكنهم لا يصدقون بذلك وجمع
الضمير الراجع الى كلمة من في قوله ومنهم من يستمعون اليك رعاية لجانب المعنى كما افرد في من ينظر
رعاية لجانب اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف
عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة افانت تهدي العمي اي اعقيب ذلك انت
تهديهم وترشدهم يريد بالعمي عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم
البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك
يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم قال
الاستاذ وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من
سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفق للايمان من حكمت عليه ان لا يؤمن
ان الله لا يظلم الناس شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله يا عبادي اني حرمت الظلم على
نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وقوله شيئا مفعول مطلق اي لا يظلم شيئا من الظلم لا قليلا ولا كثيرا بسلب
حواسهم وعقولهم لانه في جميع افعاله متفضل او عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب
اليهم بسبب الكسب ففيه دليل على ان للعبد كسبا هو مناط الثواب والعقاب وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة قال الاستاذ وظلمهم على انفسهم بتفويت منافع الحواس والعقول وصرفها الى غير ما
خلقت له قال العلماء لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاء لقضائه وقدره السابق فيهم اخبر في هذه
الاية ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل
من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب
وان كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم قرا حمزة والكسائي بتخفيف لكن ومن ضرورة ذلك كسر النون
لالتقاء الساكنين وصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد ونصب الناس
ثم لما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد فقال ويوم يحشرهم
اي واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن
مكانهم قرا حفص عن عاصم يحشرهم بياء الغيبة والضمير المستتر لله والباقون بنون العظمة
كأن مخففة من المثقلة اسمها محذوف اي كانهم لم يلبثوا هذه الجملة التشبيهية في موضع الحال
اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا ولم يمكثوا في الدنيا او في القبور لشدة ما يلقون يوم القيمة الا ساعة
من النهار اي الا قدر ساعة من النهار يعني شيئا قليلا لانه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار
لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل الوصفة ليوم والعامل محذوف تقديره يوما مشبها اهله
بمن لم يلبث قبله الا ساعة وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا اعمارهم
في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك
استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيمة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم في الدنيا

من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله ثم وصف حال المكذبين بعد اتيان التاويل المتوقع بقوله
ومنهم من يؤمن به اي ومن المكذبين بالقران من قومك يا محمد من سيؤمن بالقران لعلم
الله ذلك منه او المعنى ومن المكذبين من يصدق بالقران بعد العلم به وبعد اتيان تاويله اي
سيصدق به ظاهرا او باطنا من غير استكبار بان يتوب عن كفره او يصدق به في نفسه ويعلم انه
حق ولكن يعاند فيصر على كفره استكبارا قال الشيخ معناه ومنهم من بقي على نعت فطرة الله التي
فطر الناس عليها مستعدا لقبول الايمان كما كان مستعدا عند استماع خطاب الست بربكم لما كانوا مستعدين
لقبول الايمان عند عرضه قالوا مجيبين لله باجمعهم بلى فمن يؤمن بالله وملئكته وكتبه ورسله فانه
دال على انه لم يفسد استعداده الفطري ثم اشار الى من لم يبق على نعت فطرة الله التي فطر الناس عليها
بقوله ومنهم من لا يؤمن به ابدا اي لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن به اما في نفسه في
الحال لفرط عناوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين اي
بالمصرين الذين لا يؤمنون فهو تهديد لهم او باحوال المعاندين هل يتوبون على الكفر او يتوبون وان كذبوك
اي فان اصروا على تكذيبك يا محمد بعد الزام الحجة فقل لهم لي عملي يعني الطاعة وجزاء
ثوابها ولكم عملكم يعني الشرك وجزاء عقابه قال السلطان فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى
لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله يعني لا تؤاخذون بعملي
ولا اؤاخذ بعملكم معنى الكلام الردع والزجر وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية السيف قال
امام المفسرين فخر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا الحكم المنسوخ ومدلول الاية
اختصاص كل واحد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيئا من مدلولات
هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا اقول الحق ما قاله الامام لان النسخ انما يصار اليه عند قيام التعارض
نطقا والابهام بمعزل عنه ثم لما قسم الكفار في الاية الاولى الى قسمين منهم من يكون في غاية البغض
والعداوة ومنهم من لا يكون كذلك وصف ههنا القسم الاول فقال ومنهم اي ومن هؤلاء المشركين
من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرايع لكن لا يقبلونه كالاصم الذي لا يسمع
نخصه ومن المشركين يستمعون اليك باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك
افانت تسمع الصم اي افانت تقدر على اسماع المشركين ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم
مع الصمم عدم تعقلهم وتدبرهم كما انك لا تقدر على اسماع الصم الغبي الغير العاقل فكذلك لا تقدر
على اسماع من اصم الله سمع قلبه فلهم اذان لا يسمعون بها شبههم بالاصم الذي فقد عقله في عدم
الانتفاع بما يتلى عليه قال الاستاد معناه اتقدر على اسماعهم ولو انضم الى صممهم عدم عقلهم لان
الاصم العاقل ربما يتفطن بالاشارة واذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهايم وهو لا يتاتى الا بالعقل
السليم في التدبر وعقولهم لما كانت ماوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر
افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام
الناعق

بزجيب الفزار منه وعلى هذا من تبعيضية او معنى الاستفهام التعجب من العذاب مع الانكار اى اى
شيء هايل شديد من انواع العذاب تستعجل المشركون فعلى هذا من للبيان قال البغوي معناه ماذا
يستعجل من الله المشركون وقيل ماذا استعجل من العذاب المجرمون وقد وقعوا فيه وحقيقة المعنى
انهم كانوا يستعجلون بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه
المجرمون اى اى شيء يعلم المجرمون ماذا يستعجلون ويطلبون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل
فعلا قبيحا ماذا اجنيت على نفسك انتهى قوله ماذا يستعجل متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني ووضع
المجرمون موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء العذاب لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط يعني ان اتاكم محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأ الاستعجال و
يجوز ان يكون جواب الشرط ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارايتم
ويجوز ان يكون جواب ان اتاكم قوله اثم اى ابعد اذا ما وقع اى حل العذاب ونزل بكم
آمنتم اى صدقتم به اى بالله في وقت البأس او بالعذاب عند المعاينة والمعنى ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان كما وقع لفرعون لعنه الله فعلى هذا يكون ماذا يستعجل
اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير ومجيء بثم دلالة على زيادة استبعاد التاخير
ثم زيدا داة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وذكر ما بعد اذا
تاكيدا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل يعني انهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة قوله
آلآن قرأ الجمهور بهمزة الاستفهام داخلة على الان وقرأ نافع الان على وزن عالان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وهو منصوب بفعل مضمر تقديره الآن آمنتم يعني عند اليأس وعدم
قبول الايمان تؤمنون ويدل على هذا الفعل المقدر الفعل الذي تقدمه وهو قوله اثم اذا ما وقع
آمنتم به ولا يجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده كما ان ما بعده لا يعمل
فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت
القول الملقن مسوق لتقرير ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب
الآن آمنتم بالله او بحقية العذاب انكارا للتاخير وتوبيخا عليه وقد كنتم به تستعجلون
اى بالعذاب تكذيبا واستهزاء وهذه الجملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع
وزيادة التنديم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وفي الخازن الآن منصوب
على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن تؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت
الذي انت فيه ظرف غير متمكن وقعت معرفة وليست اللام فيه للتعريف انتهى ثم قيل عطف على
المضمر قبل الآن وتاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب وفي الغاية انه عطف على قيل المقدر قبل
الآن للذين ظلموا اى ظلموا على انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد
الذي تخلدون فيه لا يزول عنكم في القبر فتعذبون فيه ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون
فيها خالدين ثم انه تعالى لما ذكر العذاب المؤبد ذكر ما بعده هل اى ما تجزون اليوم الا جزاء
بما كنتم

بما كنتم به تكسبون يعني في الدنيا من الاعمال كالكفر وانواع المعاصي ثم انه تعالى اخبر عن الكفار بانهم
يقولون متى هذا الوعد واجاب عنه بما تقدم ثم حكى عنهم انهم رجعوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم مرة اخرى
في هذه الواقعة وسألوه عن ذلك السؤال مرة اخرى بقوله ويستنبئونك اى ويستخبرونك يا محمد عن
العذاب نزل حين قدم حيي بن اخطب مكة وقال للرسول صلى الله عليه وسلم مستخبرا عن العذاب احق
هو اى احق ما وعدتنا من العذاب والبعث او ادعاء النبوة ام باطل واعلم انهم سألوه اولا عن
زمان وقوعه وههنا سألوه عن تحققه في نفسه وهذا اختلفوا بهما فاجاب عن الاول بقوله لكل
امة اجل واجاب عن الثاني بتحققه بقوله قل اي وربي اى قل لهم يا محمد نعم وربي جمع بين حرف
الايجاب والقسم تاكيدا لحقية العذاب فان اي بمعنى نعم كما اشرنا وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواو
القسم في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده والحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او
خبر مقدم والجملة في محل النصب بيستنبؤنك والحق ان الاستفهام فيه على اصله وقيل انه للانكار
والاستهزاء ويؤيده انه قرئ الحق بهمزة الاستفهام ولام التعريف فان فيه تعريضا بانه باطل قوله
انه لحق يعني ان العذاب الكائن او ما ادعيته لثابت حق لا ريب فيه وما انتم بمعجزين اى
بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته وقال الزجاج وما انتم ممن يعجز من يعذبكم وهذه الجملة
معطوفة على جواب القسم فيكون قد اجاب القسم بجملتين احداهما مثبتة موكدة بان واللام والاخرى منفية
موكدة بزيادة الباء ثم قال مخبرا عن حالهم التي سيكون لهم يوم القيمة ولو ان لكل نفس ظلمت
اى كفرت بالله واشركت به او تعدت على الغير بفعل ما يستحق به العذاب واثم ان ما في الارض
من خزائنها واموالها وغير ذلك لافتدت به اى لافتدت النفس بجميع ما فيها اى لجعلت فديته
نجاتها يوم القيمة من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه بما يجي به من العذاب لا بمعنى قبل فديته
لان النفس الظالمة هي المعطية للفدية لا الاخذة ومن قال انه بمعنى قبل فالتقدير ولو ان لكل نفس ظلمت
ما في الارض لافتدت بما يجي به من العذاب الا انه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه واسروا اى واسر
النفوس المدلول عليها بكل نفس الندامة يوم القيمة عند معاينة العذاب على ترك الايمان وعلى ما فعلوا
من الظلم المعنى واخفوها لانهم من شدة الامر وتفاقمه لم يقدروا على اظهار الندامة ببكاء والعويل
بفعله المصاب وكثيرا ما ترى من له ولد عزيز عليه اذا مات يبقى كالجماد لا يسيل دمع ولا يقدر
على صراخ وقيل اظهروها لان كلمة السر من الاضداد قال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم
ليس يوم تصبر وتصنع وقيل اسروا الندامة يعني اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا
من ملامتهم اياهم وتوبيخهم وتعييرهم لهم او حياء منهم وقيل اسروا الندامة اى اخلصوها لان اخفاءها
اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه من انه يخفى ويضن به لما رأوا العذاب يعني
حين عاينوا العذاب وابصروه والمعنى اخفوا الندامة حين معاينتهم من فظاعة الامر وشدة الاهوال
ما لم يكونوا يحتسبون وقضي بينهم بالقسط اى وحكم بين الخلائق بالعدل وقيل بين المؤمنين و
والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم
من الظالم وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون اى لحكمهم وعلمهم بان يخفف من عذاب المظلوم و شدد

في عذاب الظالم وليس في قوله تعالى هنا وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون تكريرا لما تقدم من قوله تعالى
فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون لان المراد به فيما تقدم قضاء بين الانبياء ومكذبيهم
وفي هذه الاية مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم **الا ان لله ما في السموات والارض** اي ان كل شيء في السموات والارض لله ملكه لا شركة
فيه غيره فليس للكافر شيء يفتدي به من عذاب الله تعالى يوم القيمة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا
ملك لله فكيف يفتدي من هو مملوك لغيره بشيء لا يملكه والحاصل ان من له ما في العالم العلوي والسفلي ملكا
وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاثابة والعقاب قادر على انزال العذاب على اعدائه وايصال
الثواب على اوليائه فاذا وعد بشيء فلا خلف لوعده فهذا تقرير لما تقدم من قوله فاذا جاء رسولهم قضي
بينهم **الا ان وعد الله حق** اي ما وعد الله به من الثواب والعقاب على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
ثابت كائن لا خلف فيه فهو دليل على القضاء بين الظالم والمظلوم وصدر الجملتين بحرف التنبيه ايقاظا
من سنة الغفلة **ولكن اكثرهم** اي اكثر الناس لقصور عقولهم وانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم
في اثار صنعه **لا يعلمون** الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون
هو يحيي ويميت اي هو متفرد بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر قال الاستاد هو يحيي ويميت
في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة
والموت قابلة لهما ابدا **واليه** لا الى غيره **ترجعون** بعد الموت فيجازيكم بحسب اعمالكم وانتم لا تظلمون
ثم لما قال الله تعالى ان القران من رب العالمين واثبت رسالة نبيه وصف القران هنا بصفات اربع
فقال **يا ايها الناس** اي يا اهل مكة لانهم قالوا اختلقه هو وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الفخر
قد جاءتكم موعظة اي زجر مقترن بالتخويف **من ربكم وشفاء لما في الصدور** اي
فجاءكم كتاب عزيز وهو القران وعظ ونصيحة وارشاد للمكلف ببيان ما ينفعه من محاسن
الاعمال وما يضره من الترغيب في المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل بهذا البيان والاعتبار
هو الحكمة العملية المتعلقة بكيفية العمل لاشتماله على الدلايل القطعية الدالة على التوحيد وساير العقايد
وباعتبار وجود الدلايل القطعية والتدبر فيها شفاء ودواء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
والعلم المتكفل بهذا البيان والاعتبار هو الحكمة النظرية فان الجهل داء ومرض للقلب الذي في الصدر
ان لم يتدارك بالتدبر في القران قوي وتبعه الهلاك وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد
الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع
القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه واخرج ابو الشيخ عن الحسن
قال ان الله تعالى جعل القران شفاء لما في الصدور قلت مراده امراض القلب كسوء الاعتقاد ونحوه
الامراض ولم يجعله شفاء لامراضكم قلت يعني في ظاهر البدن لظاهر النص واخرج ابن المنذر وابن مردويه
عن ابي سعيد الخدري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتكي صدري قال اقرا القران يقول
الله شفاء لما في الصدور واخرج البيهقي في شعب الايمان عن واثلة بن الاسقع ان رجلا شكى الى
النبي صلى الله عليه وسلم وجع حلقه قال عليك بقراءة القران قلت فالقران شفاء لامراض الظاهر والباطن

ورواية

ورواية الحسن ما اول واخرج ابن ابي حاتم عن ابن مسعود قال في القرآن شفاءان القران
والعسل فالقران شفاء لما في الصدور والعسل شفاء من كل داء واخرج البيهقي عن طلحة بن
مصرف قال كان يقال ان المريض اذا قرئ عنده القران وجد له خفة فدخلت على خيثمة وهو
مريض فقلت اني اراك اليوم صالحا قال انه قرئ عندي القران قوله **وهدى** اي القران
هدى من الضلالة الى الحق واليقين يهدي الى طريق مستقيم بالدلايل المنصوبة في الافاق والانفس
ورحمة للمؤمنين اي رحمة ونعمة لمن امن به وعمل بمضمونه حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال
الى انوار الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان فالتنوين في
الصفات الاربع للتعظيم وانما خص الرحمة بالمؤمنين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم ثم لون الخطاب
ووجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القران العظيم من الفضل
والرحمة فقال **قل بفضل الله وبرحمته** اي قل يا محمد للناس بانزال القران والهداية الى
الاسلام والايمان فليفرحوا **فبذلك** الفضل والرحمة **فليفرحوا** لا بغيرهما من متاع الدنيا فقوله بفضل
الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف وهو فليفرحوا يفسره ما بعده يعني فليفرحوا المذكور بعد قوله
فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فقوله فبذلك متعلق بقوله
فليفرحوا المذكور فتقديم الجار والمجرور للاختصاص يعني لا فرح الا بفضل الله ورحمته لا بزخارف
الدنيا وقيل قوله بفضل الله وبرحمته متعلق بفعل محذوف مناسب لقوله فليفرحوا اي فليعتنوا
حذف الاول لدلالة الثاني عليه وتكرير الفاء للتاكيد والتقدير ايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا وانما للتاكيد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير واشارته تعالى
على زيادة كمال التمييز ففيه زيادة تقرير وتثبيت والفاء الاولى جواب شرط محذوف كانه قيل ان
فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وفي اللباب الباء في بفضل الله
متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل
بمعنى الافضال ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهو القران بافضال الله عليكم ورحمته بكم وارادته الخير عليكم ثم اشار بقوله
فبذلك فليفرحوا الى القران لان المراد بالموعظة والشفاء القران فترك اللفظ واشار الى
المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا
قال الواحدي الفاء في قوله فليفرحوا زايدة كقول الشاعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي
الفاء في فاجزعي زايدة قرا الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب
على الاصل المرفوض بناء على مذهب الكوفيين وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي عنه
مرفوعا ويونس انه قرى فافرحوا واخرج الطيالسي وابو داود والحاكم وصححه وابن مردويه
عن ابي بن كعب قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك فلتفرحوا بالتاء واخرج ابن جرير
والبيهقي عن هلال بن يساف في قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بالاسلام الذي هداكم
بالقران الذي علمكم واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس في الاية قال فضل الله العلم ورحمته محمد

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وعن ابي سعيد الخدري فضل الله
القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله وعن ابن عباس قال فضل الله كتاب الله ورحمته
الاسلام وعنه ايضا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن واخرج ابو القسم ابن بشران في اماليه
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هداه الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكى
الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه الى يوم يلقاه ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا **هو خير مما يجمعون** من عرض الدنيا من الاموال قال البغوي هو
خير مما يجمعون اى مما يجمعه الكفار من الاموال وهو ضمير ذلك قرأ ابن عامر بتاء الخطاب التفاتا
الى الكفار وهو المختار لانه الابلغ في النصح كذا في الغاية والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا
الى ضمير المومنين ويجمعون مسند الى ضمير الكفار كذا في الاسرار ومعنى الاية ليفرح المومنون بفضل الله
ورحمته فان ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء ما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون
النفس اليه خير مما يجمعون من متاع الدنيا ولذاتها الفانية قوله تعالى **قل** يا محمد لكفار مكة **ارايتم**
اى اخبروني **ما انزل الله لكم من رزق** اى ما خلق لكم من زرع وضرع عبر عن
الارض بالانزال لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السماء وقال الاستاذ اضاف
انزال الرزق الى السماء وان كانت الارزاق انما تخرج من الارض لما انها مقدرة ولما ان اسبابها منه
بالسماء من المطر والشمس والقمر في الانبات والانضاج والتلوين قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
وما في موضع النصب بانزل او بارايتم لانه بمعنى اخبروني كما اشرنا ولكم دل على ان المراد منه ما حل لهم من
الرزق ومن تبعيضية ولذلك وبخ عليه بقوله **فجعلتم** ايها الكفار **منه** اى بعض ذلك الرزق **حراما**
للنساء **و** منه **حلالا** للرجال فبعضتموه وقلتم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وفي اللباب يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة
والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفي الغاية
من رزق بيان لما وهو مفعول انزل ان كانت استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم اى اخبروني
كلم الامثال عليهم كما في قوله خلق لكم ما في الارض لا الدلالة على ان الرزق اريد به ما حل لهم منه لان الكلام
مع المشركين الذين يجعلون بحيرة وسائبة وحاما ووصيلة انتهى عن ابن عباس في قوله قل ارايتم
الاية قال هم اهل الشرك كانوا يحلون من الانعام والحرث ما شاؤا ويحرمون ما شاؤا واخرج الحاكم
وصححه والبيهقي في سننه وابن عساكر عن ابي سعيد مولى ابي اسيد الانصاري قال اتى وقد اهل مصر
عثمان رضي الله عنه فقالوا له ادع بالمصحف وافتح السابع وكانوا يسمون سورة السابعة فقراه
حتى اتى على هذه الاية قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الاية فقالوا له
قف ارايت ما حميت من الحمى آلله اذن لكم على الله تفترى فقال امضه انما نزلت في كذا وكذا
الحمى فان عمر حمى الحمى قبلي لابل الصدقة فلما وليت وزادت ابل الصدقة زدت في الحمى لما زاد **قل**
لتاكيد الامر بالاستخبار اى قل لهم يا محمد اخبروني **آلله اذن لكم** في ذلك التحريم والتحليل فتقولون
ذلك بحكمه واذنه **ام** اى بل **على الله تفترون** في نسبة ذلك اليه وهو قولهم والله امرنا بها

والمعنى بل انتم على الله تفترون اى تكذبون في ادعائكم ان الله امرنا بهذا قال الشيخ ام متصلة والاستفهام
للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخر قطعا كانه قيل ام لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه
فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع
مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب عن ان
يكون ذلك باذن الله تعالى ومعنى الهمزة تقرير للافتراء وتوبيخ عليه وتقديم الجار والمجرور على هذا الوجه
ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون قوله **وما** استفهامية وقعت مبتدا **ظن**
الذين يفترون على الله الكذب خبره وهذه الجملة مسوقة من الله لبيان هول ما سيلقونه
غير داخلة في حيز القول المامور به والاستفهام لتقرير التهديد والمعنى اى شيء ظنهم في الافتراء
على الله ايحسبون ان الله لا يواخذهم ولا يعاقبهم على الكذب عليه **يوم القيمة** ابهم امره
تعظيما لشان الوعيد ويوم منصوب بالظن وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة **ان الله لذو فضل**
على الناس اى على جميع الناس بما ساق اليهم من الرزق كافرهم ومومنهم وبما اخر عنهم العذاب
وبما انعم عليهم بالعقل المتين وبما بعث اليهم الرسل الهادين والكتب قال الشيخ والمعنى ان الله لذو فضل
على الناس بامهالهم وبالانعام عليهم وبانزال الكتب لبيان الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا**
يشكرون اى لا يشكرون الله على ذلك الفضل والنعمة والاحسان ثم لما اورد الله الدلائل القاطعة
على فساد مذاهب الكفار من الشرك وقبح اعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله شرع يسلي نبيه
بان ما يقاسيه معهم من المشاق ليس شيء منه الا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء
يحصل به تمام السرور للمطيعين وتمام الخوف للمكذبين فقال **وما** نافية بمعنى لا **تكون** انت يا
محمد **في شان** خبر تكون اى في عمل وامر كتلاوة القرآن قال ابن عباس معناه ولا تكون يا محمد في
شان تريد من اعمال البر وقال الحسن معناه ولا تكون يا محمد في شان من شان الدنيا وحوائجك
والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الامور والاحوال
وجمعه شؤون تقول العرب ما شان فلان اى ما حاله والشان اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال
ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم فان
ابن عباس قال معناه ولا تكون يا محمد في شان تريد من اعمال البر كما تقدم آنفا ويجوز ان يكون المراد
منه القصد يعني قصد الشيء قال البيضاوي ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا
قصدت قصده وهو مصدر بمعنى المفعول انتهى **وما تتلوا منه** والضمير في منه اما راجع الى الشان
لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه فعلى هذا يكون داخلا
تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته او لان القرآن يكون
لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو على الوجهين قوله من قرآن على ان من تبعيضية
او مزيدة لتاكيد النفي واما راجع الى القرآن لانه قد تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته
فعلى هذا يكون المعنى وما تتلو من القرآن من قرآن يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القرآن
يطلق على جميعه وعلى بعضه تخصيصه وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن واذا

ان ضميره منه راجع الى ما بعده من قوله من قرآن فالاضمار قبل الذكر يكون من باب التفخيم له يعني فاضمار قبل
الذكر ثم بيانه تفخيم له واما ان راجع الى الله والمعنى ولا تتلوا يا محمد من قرآن نازل عليك ثم خاطب
الله رسوله وامته بقوله **ولا تعملون** انتم وامتكم **من عمل** اي اي عمل وفي اللباب واما قوله تعالى
ولا تعملون من عمل خطاب للنبي وامته داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب
رئيس القوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة
الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين انتهى قوله تعالى **الا كنا عليكم شهودا** اي
رقباء مطلعين عليه يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه محدث
ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة
داخل في علمه وشاهد عليه **اذ تفيضون فيه** يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون
وتخوضون وتندفعون في ذلك العمل او القرآن لتخصيصه وقت شروعكم في العمل لا يفوتنا منه شيء قال
الاستاد الاستثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين تقديره ما تلابسون بعمل من الاعمال في حال من احوال
الا كنا رقباء مطلعين عليه حافظين له حين تخوضون وتندفعون في ذلك واصل الافاضة الاندفاع
بكثرة او بقوة قال الشيخ الافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال
الانباري معناه اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم
في الحديث اذا انتشروا فيه قوله تعالى **وما يعزب عن ربك** اي وما يبعد عنه ولا يغيب عن علمه
من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلأ عازب اذا كان بعيد
المطلب وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ والباقون بضمها قوله **من مثقال ذرة** اي موازن
نملة صغيرة او هباء قال الشيخ المثقال الوزن اي من وزن ذرة والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي
خفيفة الوزن جدا لتخصيصه ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء يتراءى في الهواء عند
وقوع الشمس في الكوة ونحوها ومن مزيدة لتأكيد النفي يعني ما يغيب عن علمه ما هو اقل قليل
فكيف بما هو فوقه **في الارض ولا في السماء** اي في الوجود والامكان عبر بلفظي
العالم عن كله اذ المراد هو البرهان على احاطة علمه بجميع ما في الوجود نعبر عنه بما ذكر على معتقد
العامة فان القرآن وارد على لسانهم وهم لا يعرفون ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما فان قلت
لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبأ كما سيأتي فما فائدة
ذلك قلت لان الكلام في هذه الآية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم واقوالهم فحسن
تقديم الارض على السماء هنا فان قيل اذا كان الكلام هنا في حال اهل الارض فلم ذكر السماء قلنا
ذكر السماء ايضا استطرادا كيلا يتوهم من التخصيص بالذكر اختصاص علمه سبحانه بما في الارض
فقط **ولا اصغر من ذلك** اي من وزن الذرة **ولا اكبر** من الذرة **الا في كتاب
مبين** اي في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ قرأها حمزة برفع الراء على الابتداء والخبر
الباقون بفتحها على ان لا نافية للجنس واصغر واكبر اسمها وفي كتاب خبرها فتكون كلاما برأسه
مقررا لما قبله ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محل
مع الجار

مع الجار جعل الاستثناء منقطعا فالمعنى على هذا لا يعزب عن ربك شيء من ذلك لكن جميع الاشياء ثابت
في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ ثم ان الله تعالى لما عمم وعده ووعيده في حق كافة من اطاع وعصى
في الآية السابقة حيث ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان مظنة ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين
ثم امتاز احد الاولياء نوع تقصير بمقتضى البشرية ازال ذلك بقوله **الا ان اولياء الله** الذين يتولون
الله ويتقربون اليه بالطاعة لانه قال واسجد واقترب ويتولاهم ويتقرب هو سبحانه اليهم بالكرامة
وانواع الحفظ فلا يكلهم الى انفسهم طرفة عين لقوله وهو يتولى الصالحين **لا خوف عليهم**
في الآخرة من لحوق مكروه اذا خاف غيرهم **ولا هم يحزنون** بفوات مأمول ومحبوب من نعيم
الدنيا ولذاتها ولا يحزنون بفوات مأمول في الآخرة والا فهم اشد خوفا وحزنا في الدنيا من غيرهم
فان البلاء على الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل كيف لا وقد قال الله تعالى انني معكما اسمع
وارى قال ابن عباس في هذه الآية اراد باولياء الله الذين يذكر الله لرؤيتهم وروى الطبري
بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله من اولياء الله
فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا
بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس
ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه
ابو داود قال الاستاد وهذا مبالغة وترغيب في الولاية والتحابب وفرض قوم بهذه الصفة كان هؤلاء
والا فلا خلاف ان احدا من غير الانبياء لا يبلغ منزلة الانبياء عليهم السلام م عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون
بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور
يغبطهم النبيون والشهداء اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي
فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت في وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم
ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل
لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون
بذكري واذكر بذكرهم هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عباداً يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله
لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور
لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة
ان الحاسد يتمنى زوالها على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة
التي هي على المغبوط من غير زوال عنه قال ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا
القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي
يتقرب الى الله بكل ما افترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب في نور معرفة الله جل جلاله فان راى
راى دلايل قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في
طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه
صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي
الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا بالاعمال
الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون وهو ان الايمان
مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد كل ما نهى الله عنه قال بعض المحققين
زوال الخوف والحزن انما يحصل لهم في الاخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وانكاد وحزن قال
بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد
بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن
الى هنا من اللباب وفي الدر المنثور اخرج احمد في الزهد وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن وهب قال قال الحواريون
يا عيسى من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال عيسى عليه الصلاة والسلام الذين
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والذين نظروا الى اجل الدنيا حين نظر الناس
الى عاجلها واماتوا منها ما يخشون ان يميتهم وتركوا ما علموا ان سيتركهم فصار استكثارهم منها
وذكرهم اياها فواتا وفرحهم بما اصابوا منها حزنا وما عارضهم من نايلها رفضوه وما عارضهم
من رفعتها بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها وخربت فليسوا يعمرونها وماتت
في صدورهم فليسوا يحيونها يهدمونها فيبنون بها اخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم رفضوها
فكانوا برفضها هم الفرحين باعوها فكانوا ببيعها هم الرابحين ونظروا الى اهلها صرعى قد حلت
بهم المثلات فاحيوا ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله تعالى ويستضيئون بنوره ويضيئون
به لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا
وبهم علم الكتاب وبه علموا ليسوا يرون نايلا مع ما نالوا ولا امانا دون ما يرجون ولا خوفا دون
ما يحذرون واخرج احمد وابن ماجة والحكيم الترمذي وابن مردويه عن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخياركم قالوا بلى قال خياركم الذين اذا رءوا ذكر الله واخرج احمد والحكيم
الترمذي عن عمرو بن الجموح انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحق العبد حق صريح الايمان حتى يحب لله
ويبغض

ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية من الله وان اوليائي من عبادي واحبائي من
خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم واخرج احمد عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله
عليه وسلم خيار عباد الله الذين اذا رءوا ذكر الله وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون البراء العنت واخرج الحكيم الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خياركم من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه ورغبكم في الاخرة
عمله والاية تحتمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان
لتوليهم له اي يتقون انفسهم من مخالفة الله ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف
الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة واختلفوا في هذه البشرى
فروي عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا
قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت
ابا الدرداء عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنها قال ما سالني عنها احد غيرك منذ انزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال
قال الترمذي حديث حسن خ وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي
من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم رؤيا
اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة
بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلماء وفي
هذا القول وهو انا اذا حملنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص
يقتضي ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح
بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن المعلوم ان
معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا راى الولي رؤيا او رؤيت كانت تلك الرؤيا بشرى
من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها وانها كانت
جزءا من اجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم
كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تاتي على موافقة النبوة
لا انها جزء من النبوة قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ان
النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي
فهي جزء من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام له ان يكون فيه اخبار بغيب وهي احدى ثمرات
النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشرع
الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع هذا لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر
جزءا من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد

من علامات الحاجة **له ما في السموات وما في الارض** ملكاً وخلقاً وعبيداً هذا تقرير لغناه وتحقيق
لمالكيته لكل ما سواه وهذا نظير قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً ونزه
الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال تعالى **ان**
عندكم من سلطان اى حجة **بهذا** اى بهذا الذى تقولونه يعنى انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة
فمن في من سلطان زايدة لتاكيد النفى وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل
لاعتماده على النفى وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما
في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ما عندكم في هذا القول سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة
في الالزام والافحام ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله **اتقولون على الله ما لا تعلمون** يعنى اتقولون
على الله قولاً لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلاً منكم بالقول بغير
حجة ولا برهان وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقايد لا بد لها من برهان قطعى
والتقليد فيها غير جائز **قل ان الذين يفترون على الله الكذب** اى قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون
على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون له ولداً **لا يفلحون** اى لا ينجون من النار ولا يسعدون
بالجنة ولا يفوزون بها وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة قال الزجاج هذا وقف تام
يعنى على قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى **متاع في الدنيا** وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا
يتمتعون به مدة اعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهى ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب
والحاصل قوله متاع خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر
او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم متاع في الدنيا وتمتع به وليس بفلاح **ثم نذيقهم**
الشديد بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم المختص بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا نعمة الله
عليهم ويصفونه بما لا يليق بجلاله ولما ذكر الله تعالى في هذه السورة احوال كفار قريش وما كانوا
عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع اممهم ليكون في
ذلك لرسول الله تسلية واسوة بمن سلف من الانبياء فيخف عليه ما يلقى من اذى قومه وان
الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك والذل
كان ذلك سبباً لخوف قلوبهم وداعياً لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكاً واعظم
كفراً وجحوداً فذكر الله قصتهم وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش
فقال تعالى **واتل** اى اقرأ يا محمد **عليهم** اى على قومك **نبأ نوح** اى خبر نوح مع قومه ليتزجروا
بذلك عما هم عليه من الكفر والطغيان **اذ قال لقومه** الكفرة وهم بنو قابيل واذ ظرف
لنبأ لا لاتل لانه مستقبل واذ داخل على الماضى **ان كان كبر عليكم** اى ثقل وشق
عليكم **مقامى** نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان او لكونى واقامتى ولبثى بينكم مدة مديدة او قيامى
على الدعوة **وتذكيرى بآيات الله** اى وعظى اياكم بحججه وبيناته فعزمتم على قتلى وطردى فجواب
الشرط محذوف اى فافعلوا ما شئتم وقوله فعلى الله توكلت قايم مقامه ودال عليه فكانه قال انى
تهديد لكم لانى توكلت على الله وقيل معناه ان كان ثقل عليكم طول مقامى فيكم وذلك انه عليه السلام اقام
فيهم

فيهم الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى الله ويذكرهم بآيات الله وقال ابو البقاء جواب الشرط
غير محذوف بل هو قوله **فعلى الله توكلت** اى فوضت امرى الى الله ووثقت به لا بغيره فهو حسبى
فاجمعوا امركم عطف على قوله فعلى الله توكلت على قول ابى البقاء ولكن يرد عليه انه عليه السلام
كان متوكلاً على الله تعالى دائماً كبر عليهم مقامه او لم يكبر ومع هذا يلزم عليه عطف الانشاء على
الاخبار والمعنى فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم
فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئاً الا احضرتموه تخصيصه اعزموا على امركم الذى تريدون بى من السعى في
هلاكى واجتهدوا واتفقوا على اى وجه يمكنكم قرأ نافع فاجمعوا بالوصل من الجمع والباقون بالقطع من
الاجماع وهو العزم **وشركاءكم** الواو بمعنى مع اى مع شركائكم ويؤيد النصب قراءة بالرفع عطفاً على
الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد للفصل واسناد الاجماع الى الشركاء الجوامد على طريقة التهكم وقيل
انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا
شركاءكم وقد قرئ به قال الاسناد والمعنى وادعوا الشركاء فاستعينوا بها لتجتمع معكم وبينكم على مطلوبكم
وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم على انها تضر وتنفع مع اعتقاده
انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو تبكيت وتوبيخ لهم **ثم لا يكن امركم** وقصدكم بالطرد والاهلاك
عليكم غمة اى خفياً مستوراً ولكن ليكن امركم ظاهراً مكشوفاً من قولهم غم الهلال فهو مغموم
اذا خفى وستر فالتبس على الناس وانما خاطبهم عليه السلام بذلك اظهاراً للتوكل وعدم
المبالاة بهم وكلمة ثم للتراخى في الرتبة **ثم اقضوا الى** اى ثم امضوا وادوا الى ذلك الامر الذى
تريدون بى من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم
اقضوا ما انتم قاضون وقرئ ثم افضوا بقطع الهمزة بالفاء اى انتهوا الى بشركم من افضى اذا انتهى
وابرزوا الى من افضى ايضاً اذا خرج الى الفضاء **ولا تنظرون** اى لا تؤخرون ولا تمهلونى فانى لست
مبالياً بكم ولا يخفى ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عن من بلغ في التوكل غاية القصوى ثم بين ان كل
ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال **فان توليتم** اى فان اعرضتم
عن تذكيرى وقبول نصحى **فما سألتكم من اجر** على تبليغ الرسالة من جعل وعوض يوجب اعراضكم
وتوليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او فما سألتكم من اجر فتأتى ذلك بتوليكم **ان اجرى**
اى ما ثوابى على الدعوة والتذكير **الا على الله** الكريم سواء امنتم وتوليتم **وامرت ان**
اكون من المسلمين يعنى انى امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سواء قبلتموه او لم
تقبلوه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين المنقادين لحكم الله ولكل مكروه يصل الى من اجل
هذه الدعوة لا اخالف امره ولا ارجو غيره وهذا شان المؤمن الكامل ولذا فسر البغوى قوله من المسلمين
بالمؤمنين قوله **فكذبوه** اى فكذبوا نوحاً واصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس
الا لعنادهم وتمردهم الامر حقت عليهم كلمة العذاب **فنجيناه** من الغرق الفاء فصيحة **ومن معه**
من المسلمين وكانوا ثمانين **في الفلك** اى في السفينة **وجعلناهم خلائف** اى وجعلنا الذين نجيناهم
معه في الفلك سكان الارض خلفاء عن الهالكين بالغرق **واغرقنا** بالطوفان **الذين كذبوا بآياتنا**

اى بحججنا الواضحة الدالة على صدقه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اى فانظر يا محمد او
يا ايها الانسان كيف كان آخر امر من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ولم يقبلوا ذلك وفيه تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير للمشركين الذين انذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له عليه السلام ثم
عقب خبر نوح باخبار رسل جاؤا بعده على اممهم بالبينات فلم يؤمنوا فاهلكوا تحذيرا لاهل مكة
ليؤمنوا فقال ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من بعد نوح واهلاك قومه رسلا كراما
ابراهيم وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا الى قومهم اى بعثنا كل رسول الى قومه فجاؤهم اى جاء كل
رسول قومه المخصوصين به بالبينات اى بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
اى فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم تلخيصه فاصروا على
التكذيب وكان فى علم الله انهم لا يؤمنون بما كذبوا به ما مصدرية وضمير به راجع الى المعهود
الذهنى وهو الحق فالمعنى ما امنوا بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه من قبل اى قبل بعثة
الرسل اليهم يعنى ان اولئك الاقوام والامم التى جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب
ولم يزجرهم ما جاءت به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع اى نختم
على قلوب المعتدين اى كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا او مثل ذلك الطبع المحكم نختم
ونطبع على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب قرأ العامة بالنون الدالة على تعظيم المتكلم
وقرئ بياء الغيبة بارجاع الضمير على اسم الله ايضا ولذلك صرح به فى موضع آخر كقوله تعالى كذلك يطبع الله
وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد اما الاول فظاهر واما الثانى فلقوله تعالى
بما كذبوا به من قبل ولقوله المعتدين قوله تعالى ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الخ
قصة على قصة من بعدهم يعنى ثم بعثنا من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون عليهما
السلام الى اعدى اعداء الله فرعون اللعين وملائه اى اشراف قومه باياتنا التسع وهى العصا واليد
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فاستكبروا عن الايمان بها
والفاء فصيحة اى فاتيناهم فبلغناهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما والاستكبار ادعاء الكبر من غير
استحقاق وكانوا قوما مجرمين اى مكتسبين للاثم معتادين بالاجرام فلذلك تهاونوا برسالات
واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا اى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى
من عند الله وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك تلخيصه فلما عرفوا انه الحق وانه من عند الله
لا من موسى فالحق ظاهر اقيم مقام ضمير الايات المذكورة انفا والا لم ينتظم قوله ان هذا لسحر
لقوله فلما جاءهم الحق ثم جعل الحق شخصا جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية
اسناد المجيء اليه ليدل على غاية ظهوره بحيث لا يخفى على من له ادنى تميز وفى صيغة الايات بالحق
بان صنعتهم هى التخييل والتمويه فيكون باطلا قالوا من فرط عنادهم ان هذا لسحر مبين
انه سحر وفائق فى فنه واضح ممتاز بين اخوانه تلخيصه ان هذا الذى جاء به موسى سحر
اعظم الساحرين قال موسى استيناف كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام
الانكارى التوبيخى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ما قبله عليه

عليه ولا يجوز ان يكون المقول أسحر هذا لانهم بتوا القول وكذبوا بان واللام بل هو استيناف
باخبار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى
اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة اى العيب وهو القول الذكر كقوله سمعنا
فتى يذكرهم اى يعيبهم فيستغنى القول حينئذ عن المقول وفى اللباب فى معنى قوله تعالى قال موسى
اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف
السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى انه ليس بسحر
ثم احتج على صحة قوله فقال ولا يفلح الساحرون يعنى حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحبه لا يفلح
ابدا يعنى لا يفوزون بمطلوب قال الشيخ هذا من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا
لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر واما تجويز ان يكون الكل مقول
اتقولون على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم
قالوا اى قال قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا اى لتصرفنا وتلوينا وتردنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من الدين يعنى من عبادة الاصنام وتكون لكما
الكبرياء اى الملك والسلطنة فى الارض اى فى ارض مصر والخطاب لموسى وهارون عليهما السلام
وانما سمى الملك بالكبرياء لانه اكبر ما يطلب من امور الدنيا ولذا يتصف به الملوك وما نحن لكما
بمؤمنين اى بمصدقين لكما فى دعوى النبوة ووعيد العذاب وقال فرعون لقومه ائتونى بكل
ساحر عليم اى حاذق فى علم السحر وفائق فيه يعنى ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه
السلام بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار بمعنى
المبالغة فلما جاء السحرة عطف على مقدر تقديره فاتوا به فلما جاؤا قال لهم
موسى بعدما قالوا له اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين القوا اى اطرحوا على الارض
ما انتم ملقون اى طارحون من الحبال والعصى فسترون ابطال الله ذلك فان قيل كيف امرهم
بالسحر والسحر كفر والامر بالكفر كفر فالجواب انه عليه السلام امرهم بالقاء ما معهم من
الحبال والعصى التى فيها سحرهم ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد لا انه عليه السلام امرهم
بالسحر فلما القوا ما القوا واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مبال
بما صنعوا ما جئتم به السحر يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم
وفى تفسير الشيخ ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اى هذا هو السحر الذى اصنعتموه الى قرأ
العامة السحر بغير مد وقرأ ابو عمرو آلسحر بالمد على الاستفهام على انما استفهامية مرفوعة
بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه والتقدير آلسحر جئتم به كانه استفهام انكار وتقليل
للشئ المجئ به او خبر مبتدأ تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب
ما بفعل يفسره ما بعده اى اى شئ اتيتم به ان الله سيبطله اى سيمحقه بالكلية ويهلكه
او يظهر فضيحة صاحبه للناس والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين
اى لا يثبته ولا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له

ويحق الله الحق اى ويظهر الله الحق ويثبته ويقوّيه ويعليه عطف على قوله تعالى
سيبطله واظهار الاسم الجليل فى المقامين الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته
اى باياته او باوامره وقضاياه او بوعده الصادق لموسى انه يظهره وقيل معناه بما سبق من
قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة وقرئ بكلمته بالتوحيد ولو كره المجرمون ذلك والمراد
بهم كل من اتصف بالاجرام فما امن لموسى فى مبدأ امره الا ذرية من قومه اى الا اولاد
من اولاد قوم موسى يعنى بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبابهم
وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبان قومه روى عن ابن عباس انهم كانوا سبعين اهل
بيت من القبط من ال فرعون قال الفراء سمى ذريتهم لان اباءهم كانوا من القبط وامهاتهم من
بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع امه واخواله فى الايمان وذلك كما يقال للاولاد فارس الذين دخلوا
اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس الاباء وقيل المراد بالذرية من ال فرعون آسية امرأة
فرعون ومؤمن ال فرعون وخازنه وامرأة خازنه وماشطته واذا رجع الضمير الى موسى فالمعنى على ما ذكره
ابن عباس ما امن لموسى الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون
واجابته طائفة من شبانهم ولا يجوز حمل الذرية على القلة من حيث التحقير والاهانة بل يحمل على
التصغير بمعنى قلة العدد او حداثة السن وانما ذكر الله هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه
كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر
والتكذيب فبين الله تعالى ان له اسوة بالانبياء عليهم السلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام
من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن له الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم على
خوف من فرعون وملائهم الملأ الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية كائنين على خوف
عظيم من فرعون ومن اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم من بنى اسرائيل
كما ذكرنا وقيل المراد بالملأ ملأ فرعون وانما قال وملائهم بالجمع وفرعون واحد على ما هو المعتاد من
ضمير العظماء او المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر ان يفتنهم اى ان يصرفهم عن دينهم
وايمانهم بتعذيبه وانما قال ان يفتنهم ولم يقل يفتنوهم لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين
لامره قوله وان فرعون لعال فى الارض اى وان فرعون لغالب قهار ظالم متكبر
وانه لمن المسرفين فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وكان كثير القتل
والتعذيب لبنى اسرائيل وقال موسى تثبيتا لقومه وذلك حين قالوا له اوذينا من قبل ان تأتينا
ومن بعد ما جئتنا يا قوم ان كنتم امنتم بالله اى ان كنتم مصدقين الله واياته فعليه
توكلوا اى فخصوه باسناد جميع الامور اليه والاعتماد فى جميع الحالات عليه ان كنتم مسلمين
يعنى ان كنتم مستسلمين لقضاء الله وامره مخلصين وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصول التوكل
لا ايجابه فانه لا يوجد مع التخليط وانما يوجد مع الاخلاص ونظيره ان دعاك زيد فاجبه
ان قدرت والمعنى ان دعاك زيد فاجبه يعنى وجب الاجابة ان قدرت ذلك وفى اللباب معناه ان كنتم

مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعنى ان كنتم موصوفين
بالايمان القلبى وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال
الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره انتهى ثم انه تعالى بين ان موسى لما
امرهم قبلوه فقالوا اى قال قوم موسى مجيبين له على الله توكلنا اى عليه اعتمدنا لا على غيره
لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله مخلصين انفسهم له تعالى فلذلك اجيبت دعوتهم
كما قال الله تعالى ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون ثم بين انه دعاهم الى ربهم
بقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اى لا تجعلنا موضع فتنة وعذاب للقوم الظالمين
بان تسلطهم علينا فيعذبونا او يفتنونا ويضلونا عن ديننا وقال مجاهد معناه لا تعذبنا بعذاب
من عندك ولا تظهرهم علينا فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا انهم على حق وخير
فيفتتنوا بسببنا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اى خلصنا برحمتك من ايدى قوم فرعون
الكافرين يعنى من كيدهم وشوم مشاهدتهم لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاعمال الشاقة
وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان يتوكل على الله اولا ثم يدعو ليجاب دعوته
قوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه هرون لحفظ قومهما من العدو ان تبوّآ لقومكما
بمصر بيوتا يعنى اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه مباءة
اى منزلا ووطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا يسكنون فيها ويرجعون اليها للصلاة والعبادة
واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم اى تلك البيوت قبلة اى مصلى قال الشيخ اختلف اهل التفسير
فى معنى هذه البيوت والقبلة فمنهم من قال المراد بالبيوت المساجد التى يصلى فيها وفسروا القبلة
بالجانب الذى يستقبل فى الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها
لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا فى هذه القبلة وظاهر القران لا يدل على
تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت الكعبة قبلة موسى وهو قول مجاهد ايضا قال ابن
عباس قالت بنو اسرائيل لموسى انا لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم ان
يصلوا فى بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وقيل المراد
مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اى متقابلة يعنى يقابل بعضها بعضا
وقيل معناه واجعلوا فى بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قيل انه تعالى خص موسى وهارون بالخطاب
فى اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما ثم انه عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا
بيوتكم قبلة فما السبب فيه قلت انه تعالى امر موسى وهارون بان يتبوآ لقومهما بيوتا للعبادة وذلك
مما يخص به الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب
الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعنى فى بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن امن
معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا فى الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم
الله ان يصلوا فى بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا فى الكنائس
الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلوة

بها فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله امر الرسل
موسى وهارون واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل
لهم بصونهم من شرهم وهو قوله **وبشر** يا موسى **المؤمنين** بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى
وبانه لا يصل اليهم مكروه من الاعداء وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه
رئيس القوم بتشاورهما ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد ان ذكر
كان واجبا على الجمهور ثم وحد لان بشارة الامة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين
موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير **وقال موسى ربنا انك آتيت**
فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا ولما كان سبب كفرهم وعنادهم واصرارهم على
الكفر هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك
اعطيت فرعون واشراف قومه ما يتزين به من اللباس والمراكب والغلمان والاشياء الجميلة والامور
النفيسة فقد كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة
والياقوت والزبرجد فطغوا بها وضلوا ولذلك قال في الحياة الدنيا **ربنا** اي يا ربنا اعطيتهم ذلك
ليضلوا في عاقبته **عن سبيلك** اي عن دينك اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي
هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاموال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا في الارض
عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملأه زينة فضلوا
هذا هي لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام
تجزم المستقبل ويفتحها الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك قرأ عاصم
والكسائي بضم الياء اي ليصرفوا الناس عن دينك والباقون بفتحها من الضلال اي ليمتنعوا عن دينك
ربنا اطمس على اموالهم اي ازل صورها وهيآتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين
امسخها وغيرها عن هيآتها وامحقها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم
صارت حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق وهذا الطمس هو احد الآيات
التسع التي اوتيها موسى **واشدد على قلوبهم** اي اطبع عليها واستوثق واقسها حتى لا تلين
ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قاله
الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى على هذا السؤال
فلا يؤمنوا في محل النصب على انه جواب للدعاء او في محل الجزم على انه دعاء في النهي او في
النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون ما بينهما دعاء معترضا **حتى يروا العذاب**
الاليم اي حتى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال ابن عباس اراد بعذاب اليم
الغرق وقال في رواية اخرى عن ابن عباس قال موسى قبل ان يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم
لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى ادركه الغرق
فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم من سابق قضاء
الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاؤه

ما قدر وقضى عليهم قال الله تعالى لموسى وهارون **قد اجيبت دعوتكما** انما نسب الدعاء اليهما
وان كان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعاء لانه طلب
وسؤال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال **قد اجيبت دعوتكما** قال بعضهم
لما رأى موسى انهم لا يزيدون على عرض الآيات والمواعظ في الازمنة الطويلة الا كفرا وعلى التحذير
بعذاب الله وانتقامه الا طغيانا وتمردا واصرارا على ما هم عليه وعلى الانذار الا استكبارا وعلى
النصائح الا بعدا ولم يبق له عليه السلام مطمع فيهم وعلم بالهام الله انهم لا يؤمنون ابدا وان ايمانهم
كامر المحال فاشتد غضبه لله وقد دعا عليهم فمسخت اموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى ادركه الغرق
وكان ايمانه ايمان بأس فلم يقبل وفي المدارك وانما دعا عليهم بهذا الدعاء لما ايس من ايمانهم وعلم بالوحي
انهم لا يؤمنون فاما قبل ان يعلم بانهم لا يؤمنون فلا يسع له ان يدعو بهذا الدعاء لانه انما ارسل اليهم
ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا انتهى وقال الشيخ دعاء
موسى كدعاء نوح حيث اخبره الله انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فقال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا وذكر ابن حجر في كتاب الاعلام بقواطع الاسلام ما نصه وقد دعا موسى صلى الله عليه وسلم ان لا يؤمن
فرعون وزاد على النفي فدعا الله بذلك بقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا
العذاب الاليم فلم ينكر ذلك ولا عاتبه الله عليه ولا زجره عنه انتهى قوله تعالى **فاستقيما** اي فاثبتا على
ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث بينهم
بعد الدعاء اربعين سنة قلت وانما اخر المطلوب الى اربعين سنة ليزداد من طغيانا ويزداد عذابا قال
الشيخ معناه اثبتا على تبليغ الرسالة وامضيا لامري الى ان يأتيهم العذاب **ولا تتبعان** قرأ العامة
بتشديد التاء والنون وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة مع تشديد
التاء وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية فلا للنفي والنون للتأكيد ولا تتبعان بتخفيف
التاء والنون من تبع ولا تتبعان ايضا بتخفيف التاء وتشديد النون **سبيل الذين لا يعلمون** يعني
لا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي وصدق اجابتي فان وعدي بقبول دعوتكما لا خلف
فيه ووعدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا في اجابة الدعاء فان الامور مرهونة باوقاتها
فلا تسألن ما ليس لك به علم ولما سأل نوح عليه السلام عن حال كنعان قال الله فلا تسألن ما ليس لك به
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال الامام فخر الدين ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من
موسى وهارون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله تعالى **وجاوزنا**
ببني اسرائيل البحر اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرناهم وجعلناهم مجاوزين بان جعلناه يبسا و
حفظناهم حتى جاوزوه وعبروه والبحر هو بحر قلزم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل
كضعف وضاعف وفي الغاية وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جزت المكان وجاوزته اذا خلفته
وفي الآية دليل على خلق الافعال **فاتبعهم فرعون وجنوده** يعني لحقهم وادركهم يقال اتبعته اي
مشيت خلفه حتى اتبعته اي لحقته **بغيا وعدوا** وفي اللباب معناه اي ظلما وعدوانا وقيل
البغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل وقال البيضاوي

اى باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ عدوًّا قال اهل التفسير لما اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان
وسبعون ولما خرج بنو اسرايل مع موسى وهارون من مصر وهم ستماية الف وذلك لما اجاب الله دعاء موسى
وهارون امره بالخروج ببنى اسرايل من مصر فى الوقت الذى امره ان يخرج فيه ويسّر لهم اسباب الخروج
وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده فى طلبهم فلما ادركهم
فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء
العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
وكشف عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان فى عسكره
ثمان ماية الف حصان على لونه حصانه سوى ساير الالوان وكان يقدمهم جبريل عليه السلام وهو
على فرس انثى وديق وميكايل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بنى اسرايل من البحر دنا جبريل
بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده اذا
جميعا فى البحر وهم اولهم بالخروج التطم البحر عليهم **حَتّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ** اى لحقه والضمير لفرعون
قال البغوى اى غمره الماء وقرب هلاكه وفى الغاية اى قاربه الغرق وبدت اسبابه وعلاماته وقيل الغرق
بفتح الراء غمرة الماء قبل الهلاك وبالسكون هو الهلاك **قَالَ** فرعون **آمَنْتُ** اى صدقت **أَنَّهُ** اى بانه
وفى المدارك ولا وقف على قوله ادركه الغرق وجواب اذا قوله قال آمنت انه قرا حمزة والكسائى انه بالكسر
اضمار القول تقديره قال آمنت فقال انه فيكون هذا القول مفسرا لقوله آمنت او على الاستيناف بدلا وتفسيرا
لقوله آمنت وقرا الباقون بالفتح **لَا إِلٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**
قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل كذا فى اللباب قال البيضاوى
فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل انتهى قالوا انما كرر فرعون معنى الواحد ثلث
مرات فى ثلث عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات وانى
ما هو آت ثم لم يقبل الله منه حيث اخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار وقال
السيوطى كرر معنى الواحد ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل فى فيه من حماة البحر مخافة ان تناله الرحمة وقال
له الآن تومن انتهى وقال البغوى بعد قوله وانا من المسلمين فدس جبريل فى فيه من حماة البحر وقال
وذكر شيخنا عبد القادر الجيلانى فى غنيته بان فرعون مخلد فى النار وذلك فى فصل الاخلاص وساق فيه
الكلام الى ان قال قال سعر وجل اى المنافقين فى الدرك الاسفل يعنى فى الهاوية مع فرعون وهامان
وقومهما وقال فى محل اخر بانه تحت ابى جهل فى النار بدرجة وذكر ايضا فى فصل فضايل عاشورا ان
قال ما اهلك فيه اعداءهم الكفار من فرعون وقومه وجنودهم وذكر ايضا فى فصل فى ما يستعان به
على محاربة الشيطان وساق فيه الكلام الى ان قال وربما سلب اخر عمره فيخلد مع الشيطان فى النار يوم القيمة
ومع فرعون وقارون وهامان نعوذ بالله من سلب الايمان ومتابعة الشيطان فى السر والاعلان
وذكر ايضا فى الفصل الذى ذكر فيه معنى قوله تعالى فاذكرونى اذكركم وساق فيه الكلام الى ان قال وقال
سلمان الفارسى رضى الله عنه ان العبد اذا كان دعاء فى السراء فاذا نزل به البلاء قالت الملئكة يا رب
عبدك نزل به البلاء فيشفعون له فيجيبه الله واذا لم يكن دعاء قالوا الآن فلا يشفعون له بانه قصة فرعون

الآن وقد عصيت قبل انتهى وسيأتيك الآيات والاحاديث الصحاح فى موته على الكفر ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قال الشيخ فى معنى وانا من المسلمين
اى الذين اسلموا نفوسهم لله تعالى اى جعلوها سالمة خالصة له تعالى اراد بهم اما بنى اسرايل خاصة
واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول معطوفة على آمنت وايثار الاسمية
لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى آمنت مخلصا لله منتظما
فى سلك الراسخين فيه وثابت ورقتين صغيرتين ونصف صحيفة مع واحد من الغواة الذين ضلوا
تحفة المرسلة الى روح النبى وامته وتزندقوا حين دخل عليهم هذه التحفة فيا ليتهم لم تحفهم الله
فى احوذ بك من تحفة فيها حتف المسلمين واضلالهم وكانت فيها كلمات غير منتظمة للقواعد الصوفية لمؤلفها
محمد بن فضل الله الهندى البرهانبورى اولها علم الخوان اسعدكم الله ان الحق هو الوجود وساق الكلام
الى ان قال واما ذلك الوجود واللباس مختلفة ومتعددة ومراده من هذه الكلمات اظهار فضله بانه
فهم كلام ابن العربى وهيهات هيهات قد فات ما فات نبهنا الله من نوم الغفلة وفى تلك الورقتين
ايضا كلمات مؤوّلة على غير مراد الله ورسوله واجماع المسلمين وقد نسبوا الى الملحد وانى حاشا ثم حاشا بان
يكون من من لغاته ومما قال فى تلك الورقة ان هذا القول يعنى ما اتى به فرعون من التوحيد انما قاله عند سقامة
عقله لانه حالة الغرق قلت والله يكذب به حيث يقول حتى اذا ادركه الغرق وسياتيك احاديث كثيرة فى معنى
الغرق وبقية الكلمات المؤولة والاقوال المزيفة على هذا المنوال ولنرجع الى المقصود فان قيل ان الانسان اذا
وقع فى الغرق لا يمكنه ان يتلفظ هذه الكلمات فكيف حكى الله عنه انه ذكر ذلك فالجواب ان الكلام نفسى
لا لفظى فذكر هذا الكلام بالنفس لانه لما التطم عليهم البحر ظهر اصبع من اصابع اللعين على ظاهر البحر
يشير الى التوحيد فضربه جبريل كما سياتى فى رواية او ان المراد بالغرق مقدماته فان قيل ان فرعون
كرر معنى الايمان ثلث مرات بثلث عبارات حيث قال اولا آمنت وثانيا انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرايل
وثالثا وانا من المسلمين فما السبب فى عدم قبول ايمانه فالجواب من وجوه الاول انما من عند نزول العذاب
والايمان فى هذا الوقت غير مقبول بدليل قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فايمانه كايمان من
عند معاينة العذاب يوم القيمة والثانى ان الله اخبر عن فرعون بعد غرقه وموته انه من اهل النار فى
آيات عديدة كقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا اى الملا امر
فرعون وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره لقومه رشد فقط يقدم قومه يوم القيمة اى يتقدمهم فى
على عقبه فاوردهم النار اى فادخلهم لا محالة فيها يعنى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك يتقدمهم الى
النار وهم يتبعونه وبئس الورد المورود يعنى بئس الورد الذى وردوه واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة
اى ويلعنون على لسان اهل الحق فى الدنيا ويلعنون فى الاخرة بئس الرفد المرفود اى رفدهم يعنى اللعن
اللعان او بئس العطاء المعطى وكقوله تعالى وحاق اى نزل بآل فرعون فالآل او المضاف المقحم يعنى نزل
بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك
قلت وذلك لانه ادعى الربوبية دونهم قوله سوء العذاب اى الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا كانه قيل وما سوء العذاب فقيل النار يعرضون استيناف للبيان ويوم تقوم الساعة اى

ويقول للملائكة يوم القيمة بعد ما يقدم فرعون قومه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم فانه اشد
ماكانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض وكقوله تجافت علينا ربك سوط
عذاب اى عذابا دايما يشير به الى فرعون ومن ذكر قبله من الكفرة والايات فى الباب كثيرة والله الهادى
والثالث ان اقرار فرعون كان تقليدا فانه قال لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل ولم يقل امنت برب العالمين
رب موسى وهارون كما قال السحرة فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بنى اسرائيل ان للعالم الها فاقر
بذلك الاله الذى سمع من بنى اسرائيل انهم يقرون بوجوده وهذا محض التقليد وقيل انه كان من الدهرية
المنكرين لوجود الصانع وفى القاموس الدهرى بفتح ويضم القائل ببقاء الدهر ولهذا كان يدعى الربوبية
ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول الا بالحجة القطعية اليقينية لا بالتقليد المحض والرابع ان بعض بنى
اسرائيل كانوا يقولون بالتشبيه والتجسيم ولهذا اشتغلوا بعبادة العجل لظنهم انه تعالى فى جسد ذلك العجل
فلما قال فرعون امنت بالذى امنت به بنو اسرائيل فكانه امن بالاله الموصوف بالجسمية والحلول ومن اعتقد
ذلك فهو كافر فلذلك ماصح ايمانه والخامس ان الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى والاقرار بنبوة
موسى عليه السلام فلما اقر فرعون بالوحدانية ولم يقر بنبوة موسى لم يصح ايمانه كما لو قال الكافر الف مرة اشهد
ان لا اله الا الله لم يصح ايمانه حتى يقول معه واشهد ان محمدا رسول الله فكذا ههنا قال الاستاد دلت
هذه الاية ان ايمان الباس ومعاينة العذاب غير مقبول وفى توبة الباس خلاف بين العلماء والاصح قبولها
لانبساط المعرفة السابقة بالايمان فى المؤمن بخلاف الكافر فانه لا معرفة له مع ربه حتى ينبسط عند الباس
فيرد ايمانه عليه والحاصل ان ايمان الكافر وتوبته عند معاينة الملئكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل ان فرعون قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به
من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه
ما قال فى ذلك ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملئكة قيل
آلآن قال البيضاوى اى اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار انتهى قال السمرقندى
اى اتؤمن فى هذا الوقت حين عاينت العذاب وقد عصيت قبل نزول العذاب وهذا موافق لقوله تعالى
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن والقران يفسر بعضه
بعضا انتهى وفى المدارك اتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل
قال ذلك حين الجمه الغرق والعامل فيه اتؤمن انتهى وفى الغاية اتؤمن الآن وقد عصيت مدة عمرك
انتهى قال ابو السعود وقوله الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الآن وهى الى قوله تعالى
اية حكاية لما جرى منه تعالى من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهر بالرد على وجه الانكار والتوبيخ
على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف فعل المذكور الخبر المحكى فى صورة الآن
من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روى من ان جبريل عليه السلام قد فاه
بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولى بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة لما
نقل انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم فلو رايتنى يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه
الرحمة الدنيا وبه اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم
يونس

يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر
اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة البأس
واليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد
فتدبر وحق العامل فى الظرف ان يقدر بعد الهمزة ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان
الى حد يمتنع قبوله فيه اى الآن تؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالممات انتهى وقد عصيت
قبل اى قبل هذا الوقت مدة عمرك وكنت من المفسدين اى من الضالين المضلين عن
الايمان لقوله تعالى واضل فرعون قومه وما هدى قال الامام ابو السعود قوله وقد عصيت حال من فاعل
الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن
تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر فى دلايله واياته ولا لشئ اخر مما عسى
يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله وكنت
من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال
عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد
بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به وفى اللباب الآن تتوب وقد اضعت
التوبة فى وقتها واثرت دنياك الفانية على الاخرة الباقية والمخاطب لفرعون بالآن هو جبريل
على المشهور وقيل ان القائل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد
فى الارض ويدل على هذا القول قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اى نخرجك من البحر بجسدك
عاريا بلا روح ونبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك على نجوة اى مكان مرتفع من
الارض ليراك بنو اسرائيل وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة والخلاص
لا الايمان الحقيقى فالخطاب بننجيك على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل ننجيك ولكن هذه
النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقرأ يعقوب ننجيك من الانجاء وقرئ ننحيك اى نلقيك
بناحية الساحل قال الشيخ قوله ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك مصاحبا لجسد
عاريا عن الروح او كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير او ببدرعك وكان له درع مشهور
من الذهب مرصع بالجواهر يعرف به وقرئ بابدانك اى باجزاء بدنك كلها وقيل اتاه
جبريل يوما برقعة فيها ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك
منه شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى وادعى السيادة دونه فكتب على الرقعة يغرق فى البحر
ابو العباس وليد بن مصعب فلما ادركه ناوله الرقعة فامن كما امن بعد طلوع الشمس من
مغربها قال الله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله الاية قال الشيخ وقد علم جبريل من الله عز وجل
بان عدوه يموت كافرا ولا ينفعه ما جاء به من التوحيد وذلك كمن راى شخصا يصلى بلا وضوء
فقطع صلاته وفى الغاية اى نلقيك فى نجوة من الارض خاليا من الروح ليراك بنو اسرائيل على

الهيبة زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك نجوت من الغرق لكونك الها قال اهل التفسير لما اغرق الله فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنوا اسرائيل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى جيفة فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنوا اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا ابدا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين قال جبريل عليه السلام يا محمد فلو رايتنى وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين خشية ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن صحيح ومن الناس من اشكل الحديث وتكلم فيما فعل جبريل بفرعون فنقول في اثبات الحديث وبيانه انه قد ورد هذا الحديث من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففى الطريق الاول على بن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيئ الحفظ ويخلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه او خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الاخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه ايضا شعبة عن عطاء ابن السايب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السايب ثقة قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه ما انفرد به او خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت في الحديث الثانى شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السايب او عدى بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث والحاصل ان الحديث قد صح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد فان فعل ما فعل بامر الله ورضائه وان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء واهل السنة يقولون ان الله يحول بين الكفار والايمان لقوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ولقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم ولقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة فاخبر الله تعالى انه قلب افئدتهم على تركهم الايمان به اول مرة وهكذا فعل بفرعون الذى هو عدوه وعدو كليمه وعدو روح الامين جبريل سيد الملائكة منع الله العدو من الايمان عند الموت جزاء على تركه للايمان اولا فدس الطين

الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان وصرف الكافر وذلك جزاء على كفره السابق وعلى كل حال فالله هو الذى منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله وقضائه وعلم من الله بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وحاشا لجبريل الامين ان ياتى بشىء من تلقاء نفسه والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل واتفق السلف والخلف بان المخذول مات كافرا ولنسرد لكم الاحاديث التى ذكرها السيوطى في الدر المنثور برواياتها اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال لما خرج اخر اصحاب موسى ودخل اخر اصحاب فرعون اوحى الى البحر ان انطبق عليهم فخرجت اصبع فرعون بلا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل قال جبريل فعرفت ان الرب رحيم وخفت ان تدركه الرحمة فرمسته بجناحى وقلت الان وقد عصيت قبل فلما خرج موسى واصحابه قال من تخلف في المدائن من قوم فرعون ما غرق فرعون ولا اصحابه ولكنهم في جزائر البحر يتصيدون فاوحى الله الى البحر ان الفظ فرعون عريانا فلفظه عريانا اصلع اخنس قصيرا فهو قوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك اية لمن قال ان فرعون لم يغرق وكان نجاة عبرة لم يكن نجاة عافية ثم اوحى الى البحر ان الفظ ما فيك فلفظهم على الساحل وكان البحر لا يلفظ غريقا يبقى في بطنه حتى ياكله السمك فليس يقبل البحر غريقا الى يوم القيمة واخرج احمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبرانى وابن مردوية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اغرق الله عز وجل فرعون قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل فقال لى جبريل يا محمد لو رايتنى وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة واخرج الطيالسى والترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن حبان وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردوية والبيهقى في شعب الايمان عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل لو رايتنى وانا اخذ من حال البحر فادسه في فى فرعون مخافة ان تدركه الرحمة واخرج ابن مردوية عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل قال لو رايتنى وانا اخذ من حال البحر فادسه في فيه حتى لا يتابع الدعاء لما اعلم من فضل رحمة الله واخرج الطبرانى في الاوسط عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لى جبريل ما كان على الارض شىء ابغض الى من فرعون فلما امن جعلت احشو فاه حماة وانا اغطه خشية ان تدركه الرحمة واخرج ابن جرير والبيهقى في شعب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل لو رايتنى يا محمد وانا اغط فرعون باحدى يدى وادس من الحال في فيه مخافة ان تدركه رحمة الله فيغفر له واخرج ابن مردوية عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لى جبريل ما غضب ربك على احد غضبه على فرعون اذ قال ما علمت لكم من اله غيرى واذ قال انا ربكم الاعلى فلما ادركه الغرق استغاث وابدأ احشو فاه مخافة ان تدركه الرحمة واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال كانت

عمامة جبريل يوم غرق فرعون سوداء واخرج ابو الشيخ عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لي جبريل ما ابغضت شيئا من خلق الله ما ابغضت ابليس يوم امر بالسجود فابى ان يسجد وما
ابغضت شيئا اشد بغضا من فرعون فلما كان يوم الغرق خفت ان يعتصم بكلمة الاخلاص
فينجو فاخذت قبضة من حماة فضربت بها في فيه فوجدت الله عليه اشد غضبا مني فارسل
ميكائيل فاتيته فقال الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين واخرج ابن ابي حاتم عن
السدي قال بعث الله اليه ميكائيل ليعيره فقال الآن وقد عصيت قبل واخرج ابن المنذر
والطبراني في الاوسط عن ابي بكر الصديق قال اخبرت ان فرعون كان اثرم انتهى وذكر
ابن حجر في كتابه الزواجر ما نصه واخذ علماء الامة ومجتهدوها الذين عليهم المعول
من الاية الاولى اعني قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اجماعهم على كفر فرعون
ورواه الترمذي في تفسيره في سورة يونس عليه السلام من طريقين وقال في احدهما حديث حسن وفي
الاخر حديث حسن غريب صحيح وروى ابن عدي والطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال خلق الله يحيى بن
زكريا في بطن امه مومنا وخلق فرعون في بطن امه كافرا وفي الزواجر ايضا انما امن فرعون عند
نزول عذاب الاستيصال له ولقومه والايمان حينئذ غير نافع لما تقرر ان ايمانه انما كان تقليدا محضا
بدليل قوله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بني اسرائيل
ان للعالم الها فامن بذلك الاله الذي سمع بني اسرائيل يقرون بوجوده فامن به وهذا هو محض التقليد
على انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الخبيث البالغ نهاية القبح والفحش لا يزول
بتقليد محض بل لا بد في مزيله من ان يكون برهانا قطعيا وعلى التنزل فلا بد في اسلام الدهري
ونحوه ممن كان قد دان بشيء ان يقر ببطلان ذلك الشيء الذي كفر به فلو قال امنت بالذي لا اله
غيره لم يكن مسلما كما مر وفرعون لم يعترف ببطلان ما كان كفر به من نفي الصانع والهية نفسه
وقوله الا الذي امنت به بنو اسرائيل لا يدرى ما الذي اراد به وقد صرح الائمة في امنت بالذي لا اله
غيره بانه لا يحصل الايمان لاحتماله فكذا فيما قاله وعلى التنزل فالاجماع منعقد على ان الايمان
بالله مع عدم الايمان بالرسول لا يصح فلو سلمنا ان فرعون امن بالله ايمانا صحيحا هو لم يومن بموسى
صلى الله عليه وسلم ولا تعرض له حينئذ اصلا فلم يكن ايمانه نافعا الا ترى ان الكافر لو قال الوف
من المرات اشهد ان لا اله الا الله او لا الذي امن به المسلمون لا يكون مومنا حتى يقول وان محمدا
رسول الله فان قلت السحرة لم يتعرضوا في ايمانهم للايمان بموسى ومع ذلك قبل ايمانهم
قلت ممنوع بل تعرضوا لذلك بقولهم امنا برب العالمين رب موسى وهرون على ان ايمانهم حصل
ايمان بمعجزة موسى وهي العصا التي تلقفت ما صنعوا والايمان بالله مع الايمان بمعجزة الرسول
ايمان بالرسول فهم امنوا بموسى صريحا بخلاف فرعون لم يومن به صريحا ولا اشارة بل ذكر بني
اسرائيل دون موسى مع انه الرسول الحق العارف بالله وما يليق به والهادي لطريقه فيه اشارة
الى بقائه على كفره به فان قلت قد صرح القاضي عبد الصمد الحنفية في تفسيره ان مذهب
الصوفية ان الايمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب وهذا يدل على انه مذهب قديم لان

القاضي

القاضي المذكور وهو متقدم كان موجودا في اوائل المائة الخامسة في سنة ثلثين واربعمائة قال الذهبي
والحد الفاصل بين العلماء المتقدمين والمتاخرين راس القرن الثالث وهو الثلثمائة واذا كان
مذهب الصوفية ذلك فكيف ساغ الاجماع على كفر فرعون قلت لو سلمنا صحة ذلك عن الصوفية
الذين هم من اهل الاجتهاد المعول عليهم حتى لا ينعقد الاجماع مع مخالفتهم لم يرد ذلك علينا
ولم يختل به ما قدمناه من اجماع الامة على كفر فرعون لان المحكم بكفره لا لاجل ايمانه البائس فحسب
بل لما انضم اليه من انه لم يومن بالله ايمانا صحيحا وعلى التنزل فهو لم يومن بموسى اصلا فلا يرد ما
حكي عن مذهب الصوفية على ما قررناه فان قلت قد قال محي الدين بن عربي في فتوحاته المكية يصح
الايمان عند الاضطرار وان فرعون مومن فانه قال ما حاصله لما حال الغرق بين فرعون وبين
اطماعه لجا الى الله تعالى ولجا ما اعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار فقال امنت انه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل لرفع الاشكال كما قالت السحرة لما امنت امنا برب العالمين
رب موسى وهرون لرفع الارتياب وازالة الاشكال ثم قال وانا من المسلمين فخاطبه بلسان
العتب الآن اظهرت ما كنت قبل علمته وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في اتباعك
فاليوم ننجيك فبشره قبل قبض روحه لتكون لمن خلفك اية اي لتكون النجاة علامة له اذا قال
ما قلته كانت له النجاة مثل ما كانت لك اذ العذاب ما يتعلق الا بظاهرك وقد اريت الخلق نجاته من
العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا وصارت الموت فيه شهادة خالصة كل ذلك حتى لا ييئس
احد من رحمة الله فانه لا ييئس من رحمة الله الا القوم الكافرون والاعمال بالخواتيم واما قوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فكلام محقق في غاية الوضوح فان النافع هو الله
فما نفعهم الا الله وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده عند روية الباس وانما قبض فرعون
ولم يوخر من حال الايمان لئلا يرجع الى ما كان عليه من الدعوى واما قوله فاوردهم النار فليس فيه نص انه يدخلها
معهم بل قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون ورحمة الله اوسع من حيث لا يقبل ايمان المضطر واي اضطرار اعظم
من اضطرار فرعون في حال الغرق والله تعالى يقول امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فقرن للمضطر
اذا دعاه الاجابة وكشف السوء عنه فلم يكن عذابه اكثر من الغرق في الماء انتهى محرر هذا الكلام مقررا ومردودا
فما وجه رده قلت ليس هذا الكلام مقررا وان كنا نعتقد جلالة قائله فان العصمة ليست الا للانبياء ولقد
قال مالك رضي الله عنه وغيره ما من احد الا ماخوذ من قوله ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله
عليه وسلم على انه قد نقل عن بعض كتب ذلك الامام انه صرح فيها بان فرعون مع هامان وقارون في النار
اقول وهو حكم في نفس فتوحاته المكية في اربع محلات بانه كان كافرا مخلدا في النار فكيف يحكم على الشهيد بخلود
النار ويحكم عليه بدخوله الجنة ولنرجع الى كلام ابن حجر فقال واذا اختلف كلام عالم فيوخذ منه بما
يوافق الادلة الظاهرة ويعرض عما خالفها بل قد مر لك ان الاية وحديث الترمذي الصحيح صريحان في بطلان
الايمان عند الباس فلا يلتفت بعد ذلك الى ما مر من تاويل فلم يك ينفعهم ايمانهم بان النافع هو الله ايضا
فمما يبطل هذا التاويل ان اصطلاح القران والسنة اضافة الاشياء الى اسبابها فاذا قيل لا ينفع الايمان فمعناه
معناه الشرعي الا الحكم عليه بانه باطل لا يعتد به واي معنى سوغ لهذا القائل ان يخص نفع الله بهذه الحالة

التي هي حالة وقوع العذاب مع النظر الحاضر للحق الواقع من ان الله هو النافع حقيقة في كل وقت
ولو نفعهم لما استاصلهم بالعذاب وقوله تعالى وخسر هنالك الكافرون مع الايمان على الكفر وتعين
بتفسير ائمة الصحابة والتابعين فمن بعدهم الموافق للحديث الصحيح وللاجماع السابقين الاية بما يوافق ما ذكرنا
واذا ثبت واتضح انه لا يصح ايمان الباس ثبت ان ايمان فرعون لا يصح على انا قدمنا انا ولو قلنا بصحة
ايمان الباس فالاية دالة على انه لا يصح ايمانه ايضا لعدم ايمانه بموسى وهارون صلى الله عليهما وسلم لجزئي
السحرة ومن تامل صيغة ايمانه مع صيغة ايمانهم المحكيين عنهما في القران علم اتضاح ما بين الايمانين
فلا يصغي الى قياس احدهما على الاخر وقوله لجا الى الله ما اعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار
عجيب واي ذلة وافتقار كان عليهما باطنه وهو ينكر ربوبية رب الارباب ويعتقد انه الاله المطلق
الرب الاكبر ويؤذي موسى ويعاند فهو في ذلك الاكابي جهل ومن ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرعون هذه الامة وبتسليم ان باطنه كان عليهما فاي نفع لهما مع عدم الايمان الصحيح وقوله الان
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين على العتب في غاية البعد اذ لو صح ايمانه واسلامه لكان
الانسب بمقام الفضل الذي لجا اليه نظر الشيخ ان يقال له الان نقبلك ونكرمك لاستلزام
صحة ايمانه رضى الحق عنه ومن وقع له ذلك الرضى لا كبرياء يقال له باعتبار رعاية مقام الفضل
جوابا لايمانه الصحيح الان وقد عصيت وكنت من المفسدين لان كلا حيا دني رؤيته وسابقيته
بان هذا الخطاب انما يخاطب به المغضوب عليه لا المرضي عنه وتخصيص وكنت من المفسدين بما يـ
يا باه هذا السياق الذي تقرر لانه اذا صح ايمانه محي عنه ما عصاه وافسد في اتباعه
فكيف مع ذلك المحو العظيم يعاتب ويخاطب بذلك التانيب المحض والتقريع الصرف والتوبيخ
فلم يكن هذا الا اقامة اعظم نواميس الغضب عليه وتذكيره بقبائحه التي قدمها واعلامه
بانها هي التي منعته النطق بالايمان الى اخر رمق منه فلم ينفعه النطق بها حينئذ سيما وهو باق
على تكذيبه برسوله وعناده لاياته واعراضه عن جنابه وتخصيص النجاة بالبدن اعدل
شاهد على انه لم يرد بها الا ما قاله المفسرون واطبق عليه المعتبرون من انهم لم يصدقوا
بغرقه سيما مع دعواه الالهية وان مثله لا يموت فالقي بنجوة من الارض اي ربوة مرتفعة في
درعه ليعرف بها والعرب تطلق البدن على الدرع وكان له درع يعرف بها ويعضده القراءة الشاذة
بابدانك اي دروعك لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه او وهو عريان لا شيء يستره او
انه بدن بلا روح ولا ينافيه القراءة المذكورة لانه عليها جعل كل جزء من بدنه المخذول بدنا على
حدته ثابت مفارقه وقرئ شاذا ايضا ننحيك بالحاء المهملة اي نلقيك بناحية مما يلي البحر قال
المفسرون رماه الى جانب البحر كالثور ليكون لمن خلفه من بني اسرائيل وغيرهم علامة على ان
مثله ممن تجبر وتكبر على الله لا بد وان يقصم ويوخذ على غاية من الذلة والمهانة ليعتبر
الناس عن مثل طريقته مع ما في تخصيصه من بين ساير قومه بالاخراج من الدلالة على
قدرة الله تعالى وصدق موسى فيما جاء به ثم ختم الله تعالى هذا المقام بقوله عز قائلا وان
كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون زجرا لهذه الامة المحمدية عن الاعراض عن الدلائل وبعثا
لهم

لهم على التامل فيها والاعتبار بها كما قال الله لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وذكر ابن حجر
زواجره ما نصه ومذهب اهل الحق ان الايمان لا ينفع عند الغرغرة ولا عند معاينة عذاب الاستيصال
قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون
نعم يستثني من ذلك قوم يونس لقوله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين بناء على ان الاستثناء متصل وان ايمانهم كان عند معاينة عذاب
الاستيصال وهو قول عليه بعض المفسرين وعليه فوجه استثنائهم ان ذلك وقع كرامة وخصوصية
لنبيهم فلا يقاس عليها الا ترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم قد اكرمه الله تعالى بحياة ابويه رضي الله
عنهما له عليه السلام حتى امنا به كما جاء في حديث صححه القرطبي وابن ناصر الدين حافظ الشام
وغيرهما فنفعهما الله تعالى بالايمان بعد الموت على خلاف القاعدة اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم وكخصوصيات
لا يقاس عليها ونازع بعضهم في خبر احياء ابويه صلى الله عليه وسلم واطال فيه بما رددته عليه في
الفتاوى انتهى ولنرجع الى ما نحن فيه قال الامام البغوي في معنى قوله تعالى لتكون لمن خلفك
اية اي عبرة وعظة قال البيضاوي اي لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم
من عظمة ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه
مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مال كفرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء
ملكه مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك اية كساير الايات فان افراده
اياك بالالقاء الى الساحل ليدل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل
على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا يحتمل على المشهور وان كثيرا من الناس
اي من اهل مكة عن اياتنا لغافلون اي لا يتدبرونها ولا يتفكرون فيها ولقد بوانا
اي انزلنا واسكنا بعد هلاك فرعون بني اسرائيل مبوا صدق اي منزلا صالحا مرضيا
اي مسكن رفق وكرامة وهو الشام ومصر وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا
مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان
الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه في الغاية والمراد بمبوا صدق هو الشام
لكونه موطن اهل صدق اعني الانبياء او المحشر يكون فيه يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا فيها
بعد فرعون او وجه كونه منزل صدق انهم هناك وجدوا النجاة وهناك غرق فرعون بموضع
يسمى سويس على ثلاث مراحل منها واسم موضع الغرق في زماننا غلندر وهو اخوف امكنة بحر
القلزم ورزقناهم اي رزقنا بني اسرائيل من الطيبات من الحلالات واللذائذ لان ما اورث
بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره وهو كلام
مستانف لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة النجاة فما اختلفوا بني اسرائيل في امر دينهم
بان امن بعضهم وكفر بعضهم حتى جاءهم العلم اي الا من بعد ما قرءوا التورية وعلموا احكامها
فانهم اختلفوا من بعد يوشع بن نون امن بعض وكفر بعض او المعنى ما اختلف اليهود النبي

الذين كانوا في عهد محمد صلى الله عليه وسلم في تصديقه انه رسول الله فقال بعضهم انه حق كعبد الله بن سلام واصحابه وقال بعضهم انه ليس بحق وغيروا نعوته بغيا وحسدا الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وظهور معجزاته **ان ربك** يا محمد **يقضي** بما يرفع النزاع **بينهم يوم القيمة** باثابة البعض ومعاقبة البعض يعني بانجاء المومنين وتعذيب الكافرين **فيما كانوا فيه يختلفون** من امرك وامر نبوتك لتخصيصه فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك وكتم نعوتك النار قوله تعالى **فان كنت في شك مما انزلنا اليك** هذا كلام على سبيل الفرض والتقدير يعني فان كنت يا محمد في شك من حقيقة ما اخبرناك به من القصص على سبيل الفرض والتقدير وفي الدر المنثور قال ابن عباس اذا وجدت بشيء من الشك فقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وفي اللباب مما انزلنا اليك من القران قال الشيخ وان كنت يا محمد في شك ما يسير على الفرض والتقدير من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل فاسال الخ وانما قلنا على الفرض والتقدير فان مضمون القضية الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا تكون منقسمة الى المتساويين وكقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ونظايرهما **فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك** يعني علماء اهل الكتاب فانه ثابت عندهم يخبرونك بصدق ما انزلنا اليك ويخبرونك ايضا انك مكتوب عندهم في التورية والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا ارتاب تخليص الكلام ان الذي انزلنا اليك محقق عند اهل الكتاب ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والاستشهاد اظهار ذلك بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها لا وصف الرسول عليه السلام بالشك نزلت الاية حين قالت كفار قريش ان هذا الوحي يلقي اليه الشيطان او تهييج الرسول وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين والبعث على طلب المزيد فيه كما تقول لمن تجهد في مزاولة امر وانت تريد مزيد تحثه عليه اراك توانيت عن هذا وقعدت عليه تريد تهييجه في تحريكه لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال قال الفراء علم الله ان رسوله غير شاك لكنه ذكر ذلك على عادة العرب بقول الواحد لعبده ان كنت عبدي فاطعني ويقول لولده افعل كذا ان كنت ولدي ولا يكون ذلك شكا او المراد وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيما انزل واحسن الاجوبة عندي ما قاله القاضي عياض في كتابه الشفا احذر ثبتك الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكى عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال على هذا تم كلام القاضي عياض رحمه الله قلت وان كان في الظاهر الخطاب مع النبي لكن المراد به غيره كما في قوله لئن اشركت ومعلوم من الدين بالضرورة ما خطر بباله شك اصلا فكيف الشرك فثبت ان المراد بالخطاب غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمع يا جارة فالمعنى على هذا قل يا محمد يا ايها الانسان ان كنت

ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرءون الكتاب يخبروك بصحته والدليل على ما قلنا قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الاية وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وبعضهم احسن كلام الزجاج ولكن لا يخلو عن سوال فالاولى هو ان ذلك مرجوح قبل هذا كلام العياض ومن نحا نحوه وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت للنفي لا للشك ومعناه وما انت في شك مما انزلنا حتى تسال فلا تسال ولئن سالت لازددت يقينا وكقوله ان الكافرون الا في غرور ولا يلزم ان يكون بعد ان النافية الا كقوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده فان نافية وليس بعدها الا فان قيل اذا كان الخطاب للناس فلم وحد الله الضمير في قوله فان كنت قلت مراده عز وجل الجميع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية انسانا بعينه قوله تعالى **لقد جاءك الحق من ربك** هذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون صحة ذلك والمعنى جاءك الحق وهو القران الذي انزلت اليك لا ريب في حقيته وظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا تحوم حولها شائبة الارتياب **فلا تكونن من الممترين** اي من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك يعني اهل المرية فيه بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين **ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله** اي بدلايله وبراهينه الواضحة وكلا النهيين من باب تهييج الله نبيه بالثبات على ما عليه من اليقين والمعنى دم واثبت على ما انت عليه من انتفاء المرية والتكذيب بايات الله **فتكون من الخاسرين** اي الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن له شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بايات الله فثبت بذلك ان المراد غيره والله اعلم قال البيضاوي وهذا ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ثم لما فصل الله تعالى هذا التفصيل بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاوة فلا يتغيرون وعبادا قضى لهم بالكرامة فلا يتغيرون فقال **ان الذين حقت** اي وجبت وثبتت **عليهم كلمت ربك** اي حكم ربك وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم الاية او كما في الحديث خلقت هولاء للنار ولا ابالي وقيل معنى كلمة ربك اي سخطه ولعنته وقيل هو ما قدر عليهم وقضاه في الازل انهم **لا يؤمنون** ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه واعلم ان قضاء الله عند الاشاعرة هو ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وقدره ايجاده تعالى اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها وهذه الاية استدل بها على اثبات القضاء والقدر ولا وقف على قوله لا يؤمنون لان قوله **ولو جاءتهم كل اية** يتعلق بما قبلها والمعنى ولو جاءتهم كل علامة دالة على التوحيد فانهم لا يؤمنون بها لان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود **حتى يروا العذاب الاليم** فحينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم بصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء قال البيضاوي وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون قلت وذلك عند الباس واليأس فلا يقبل منهم قوله تعالى **فلولا كانت** هذا كلام مستانف لتقرير ما سبق

من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى واختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء
بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ليس ممن حقت عليهم الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته بخلاف
فرعون فانه اخر الايمان الى ان اخذ بمخنقه ولولا تحضيضية توبيخية ومعناه هلا وقيل ان لولا هنا
بمعنى ما النافية يعني فما كانت **قرية** يعني فهلا كانت قرية واحدة من القرى العاصية التي اهلكت
امنت اي تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب وفي اللباب عند معاينة العذاب
ولم يؤخر كما اخر فرعون الى ان لحقه الغرق **فنفعها ايمانها** اي نفع اهل ذلك القرية تصديقهم
ورسوله عند الياس كما في اللباب او في وقت الاختيار كما في المدارك بان يقبل الله منها ويكشف العذاب
عنها **الا قوم يونس** هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم وقيل
الاستثناء متصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى العاصية الهالكة الا قوم
يونس وانتصابه على الاستثناء **لما امنوا** اي لما اخلصوا الايمان عند رؤية امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب الخزي** اي الذل والهوان **في الحيوة
الدنيا** اي بعدما اظلهم امارته **ومتعناهم الى حين** يعني ومتعناهم بمتاع الدنيا
بعد كشف العذاب الى وقت انقضاء آجالهم وفي اللباب واختلفوا هل راوا العذاب عيانا ام لا
فقال بعضهم راوا دليل العذاب فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله تعالى
كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا اقرب وقوعه ذكر القصة
في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس
كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس
عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له
اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا
قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان
جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال
ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل
فلما دعوا كشف الله عنهم وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب
كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا
فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم
يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس
والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات
وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية
ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم
عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان
الرجل

ليأتي الى الحجر قد وضع اساس بنيانه فيقتلعه فيرده وروى الطبري بسنده واخرج احمد ايضا
في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابي الجلد جيلان قال قال لما غشي قوم
يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال
قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب
ومتعوا الى حين يقول الكاتب محمود بن محمد بن علي زاده شيخي وقد عرف الشيخ عبد القادر قدس سره في
المنام فقال لك اسم الاعظم يا حي يا قيوم لا اله الا انت واني قد جربت فوجدت الفائدة وقال فضيل
ابن عياض رحمه الله انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا
ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل
له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف
عنهم مغاضبا فاتى البحر فاذا القوم يركبون سفينة فحملوه بغير اجرة فلما دخلها وتوسطت ولججت
وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم قال اهل السفينة ان لسفينتنا لشانا قال يونس قد عرفت شانها
ركبها رجل ذو خطيئة قالوا ومن هو قال انا اقذفوني في البحر قالوا ما كنا لنطرحك من بيننا
حتى نعذر في شانك فاستهموا فاقترعوا ثلاث مرات فادحض سهمه والحوت عند رجل السفينة
فاغرا فاه ينتظر امر ربه فيه فقال لكم والله لتهلكن جميعا او لتطرحني فيه فطرحوه فيه وانطلق
واخذه الحوت وقال ابن عباس والبحر بحر الروم وفي رواية جاء حوت اخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت
واوحى الله الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاما لكم فانما جعلت
بطنك حرزا او مسجدا وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه ابتلعه الحوت فاهوى به الى قرار الارض
وكان في بطنه اربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين فاجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فانبت الله عليه
شجرة من يقطين وهو الدباء يعني القرع فجعل يستظل تحتها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست
الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون واردت
ان اهلكهم فخرج يونس فاذا بغلام يرعى فقال من انت يا غلام قال من قوم يونس قال اذا رجعت
اليهم فاخبرهم اني لقيت يونس قال قد تعلم انه ان لم يكن لي بينة قتلت فقال يونس تشهد لك
هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام فمرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم فرجع الغلام فقال لقيت يونس فامر الملك بقتله فقال ان لي بينة فارسلوا معي فاتى البقعة
والشجرة فقال انشدكما هل اشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك تشهد
له الشجرة والارض فاخذ الملك بيد الغلام فاجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان مني فاقام
امرهم ذلك الغلام اربعين سنة والله اعلم وقد ذكر بعض العلماء قصة يونس في سورة الصافات
ونرجو الله ان نذكر هناك ان تيسر بعض ما بقي من قصته على اختلاف الروايات والله ذو الفضل العظيم
فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب
عن فرعون حين امن ولم يقبل توبته قلت اجاب العلماء المعول على اقوالهم عن هذا باجوبة

احدها ان ذلک کان خاصا بقوم یونس والله یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید الجواب الثانی ان فرعون
ما آمن الا بعد ما باشره العذاب وهو وقت الیأس والیاس من الحیاة وقوم یونس علیه السلام
دنا منهم العذاب ولم ینزل بهم ولم یباشرهم فکانوا کالمریض یخاف الموت ویرجو العافیة الجواب
الثالث ان الله عز وجل علم صدق نیاتهم فی التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون لانه ما صدق
فی ایمانه ولا اخلص فلم یقبل منه والله اعلم قوله تعالی **ولو شاء ربک لآمن من فی الارض
جمیعا** یقول الله عز وجل لنبیه محمد صلی الله علیه وسلم ولو شاء ربک یا محمد لآمن بک وصدقک من فی
الارض کلهم جمیعا ولکن لا یشاء ان یصدقک بک الا من سبقت له السعادة فی الازل قال ابن عباس
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم کان یحرص ان یؤمن به جمیع الناس ویتابعوه علی الهدی فاخبره الله عز وجل
انه لا یؤمن به الا من سبق له من الله سعادة فی الذکر الاول ولم یضل الا من سبق من الله الشقاء
فی الذکر الاول وفی هذا تسلیة للنبی صلی الله علیه وسلم لانه کان حریصا علی ایمانهم کلهم فاخبره انه لا یؤمن
به الا من سبقت له العنایة الازلیة فلا تتعب نفسک علی ایمانهم والآیة دلیل علی القدریة فی انه تعالی
لم یشأ ایمانهم اجمعین وان من شاء ایمانه یؤمن لا محالة وافک القدریة المشبهة بمشیة الالجاء والقسر
واجیب بان الکلام فی الایمان الذی کان یطلبه الرسول صلی الله علیه وسلم منهم وهو الایمان المترتب به
التکلیف لا الایمان القسری الذی لا ینتفع به المکلف وفی المدارک وقول المعتزلة المراد بالمشیة مشیة
القسر والالجاء ای لو خلق فیهم الایمان جبرا لآمنوا لکن قد شاء ان یؤمنوا اختیارا فلم یؤمنوا دلیله
أفأنت تکره الناس بما لم یشأه الله منهم **حتی یکونوا مؤمنین** ای لیس الیک مشیة الاکراه
والجبر فی الایمان انما ذلک الی فاسد لان الایمان فعل العبد وفعله لا یحصل بقدرته ولا یتحقق ذلک
الا اختیارا وتأویله عندنا ان الله تعالی لطفا لو اعطاهم لآمنوا کلهم عن اختیار ولکن علم منهم انهم لا یؤمنون
فلم یعطهم ذلک وهو التوفیق والاستفهام فی افانت بمعنی النفی ای لا یمکنک انت یا محمد ان تکرههم علی الایمان
لا یکون بالتصدیق والاقرار ولا یمکن الاکراه علی التصدیق تخصیصه لیس ایمانهم الیک حتی تکرههم علیه او تحرص
علیه انما ایمان المؤمن واضلال الکافر بمشیة الله وقضائه وقدره لیس لاحد لک سواه **وما کان لنفس
أن تؤمن الا باذن الله** یعنی وما کان ینبغی وما صح ولا امکن لنفس خلقها الله تعالی ان تؤمن وتصدق
الا بقضاء الله لها بالایمان فان هدایتها الی الله هو الهادی المضل وقال ابن عباس یعنی باذن الله بامر الله
وقال عطاء بمشیة الله قال البیضاوی معناه بارادته واطلاقه وتوفیقه فلا تجهد نفسک فی هداها
فانه الی الله **ویجعل الرجس** ای العذاب او الخذلان لانه سببه وقرئ بالزای دون السین وقرأ ابو بکر
ونجعل بالنون علی سبیل العظمة ای ونحن نجعل وقرئ بالیاء ومعناه ویجعل الله وقال ابن عباس الرجس السخط
علی الذین لا یعقلون ای لا یفهمون عن الله امره ونهیه لا یتدبرون آیات الله وفی الغایة ناظر الی
قوله ان الذین حقت علیهم کلمة ربک لا یؤمنون لانهم لا یستعملون عقولهم بالنظر فی الکائنات والآیات
لیؤدیهم الی العلم بوحدة موجدها ولذلک قال **قل** لکفار مکة **انظروا** ای قل یا محمد لهؤلاء المشرکین
الذین یسألونک الآیات انظروا وتفکروا بقلوبکم نظر اعتبار وتدبر قرأ عاصم وحمزة بکسر اللام لالتقاء
الساکنین والباقون بضمها نقلوا حرکة الهمزة الی اللام **ماذا فی السموات والارض** ای شیء بدیع

خلق الله فی السموات والارض من عجائب الصنع والعبر وبدائع الآیات الدالة علی وحدانیته ففی السماء
الشمس والقمر وهما دلیلان علی اللیل والنهار والنجوم تسخیرها طالعة وغاربة وانزال المطر من السماء
وفی الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات کل ذلک آیات دالات علی وحدانیته
عز وجل وانه خالقها ومبدعها کما قال الشاعر ❁ وفی کل شیء له آیة ❁ تدل علی انه واحد ❁ وجعل
ماذا بالترکیب اسما واحدا مغلبا فیه الاستفهام علی اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ویجوز ان
یکون ما الاستفهامیة مبتدأ وذا بمعنی الذی والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلی التقدیرین لا تکون
الجملة الاسمیة مفعول انظر لکونه معلقا عنها بالاستفهام ثم ذکر ان التفکر والتدبر فی الدلائل
الآفاقیة والانفسیة لا ینفع فی حق من حکم الله علیه فی الازل بالشقاء فقال عز من قائل **وما تغنی
الآیات والنذر** ما نافیة وقیل استفهامیة ای وما تفید ولا تنفع هذه الآیات والحجج والنذر ای الرسل
جمع نذیر صفة بمعنی المنذر او مصدر بمعنی الانذار **عن قوم لا یؤمنون** ای عند قوم لا یصدقون
بالله وآیاته ورسله وهذا فی حق اقوام علم الله انهم لا یؤمنون بما سبق لهم فی الازل من الشقاء و
اختیارهم الکفر والمعنی علی الاستفهام ای ای شیء تنفع الآیات والنذر عند قوم یوقنون
علی الکفر لاختیارهم ذلک فی علم الله وحکمه واخرج ابو الشیخ عن السدی وما تغنی الآیات والنذر عن
قوم یقول عند قوم لا یؤمنون نسخت قوله حکمة بالغة فما تغن النذر ثم هدد کفار مکة بقوله **فهل
ینتظرون** یعنی ما یترقبون مشرکی مکة بتکذیبک وعدم الایمان بک **الا مثل ایام الذین خلوا
من قبلهم** ای مضوا یعنی من مضی قبل کفار مکة من الامم السالفة المکذبة للرسل قال قتادة اراد
بایام الذین خلوا وقائع الله فی قوم نوح وعاد وثمود یقال ایام العرب لحروبها والعرب تسمی العذاب
ایاما والنعم ایضا ایاما کقوله وذکرهم بایام الله والمعنی فهل ینتظر هؤلاء المشرکون من قومک یا محمد
الا ان یحل بهم مثل ما نزل من العذاب مثل ما فعلت بالامم الماضیة المکذبة اهلکناهم جمیعا فان کانوا ینتظرون
ذلک العذاب **قل فانتظروا** ای قل لهم یا محمد فانتظروا العذاب والهلاک **انی معکم من
المنتظرین** لذلک العذاب او فانتظروا هلاکی انی معکم من المنتظرین هلاککم قال الربیع بن انس خوفهم
عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلک بهم انجی الله رسله والذین آمنوا معهم من ذلک العذاب
وهو قوله عز وجل **ثم ننجی رسلنا والذین آمنوا** عطف علی محذوف دل علیه الا مثل ایام
الذین خلوا کانه قیل نهلک الامم ثم ننجی رسلنا ومن آمن بهم من الهلاک والعذاب علی حکایة
الحال الماضیة قوله ننجی بالتشدید وقرئ بالتخفیف **کذلک حقا علینا ننج المؤمنین**
ای کما انجینا رسلنا والذین آمنوا معهم من الهلاک کذلک ننجیک یا محمد والذین آمنوا معک وصدقوک
من الهلاک والعذاب قال بعض المتکلمین المراد بقوله حقا علینا الوجوب لان تخلیص الرسل والمؤمنین
من العذاب واجب وأجیب عن هذا بانه حق واجب بحسب الوعد والحکم لا انه واجب بسبب الاستحقاق
لانه قد ثبت ان العبد لا یستحق علی خالقه شیئا قوله حقا اعتراض بین العامل والمعمول ونصبه بفعله
المقدر ای حق ذلک حقا وقیل بدل من المحذوف الذی ناب عنه کذلک ای انجاء مثل ذلک حقا والکاف
متعلقه بقوله تعالی ننجی المؤمنین وقرأ حفص والکسائی ننجی باسکان النون وتخفیف الجیم والباقون بالتشدید

وفي الاية تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان ثم امر نبيه عليه السلام بان يقول لاهل مكة **قل يا ايها**
الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرًا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارًا لكمال العناية بشان
ما بلغ اليهم قال الشيخ والمعنى قل يا محمد لهولاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يومنوا بك **ان**
كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم الى صحته وسداده فاني نظرت الى دينكم وعرفت
انه باطل وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى
الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي ولا
يصح لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه و
ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه **فلا**
اعبد الذين تعبدون من دون الله اي من غير الله وهو الاصنام وانما وجب تقديم هذا
النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها
ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاحياء والاماتة وهو قوله
عز وجل **ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** اي يميتكم ويقبض ارواحكم عند انقضاء اجالكم
فهذا خلاصة ديني اعتقادًا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا
انها لا مدخل للشك فيها **وامرت ان اكون من المؤمنين** اي امرني الله بان اكون من جملة
المصدقين بما انزل الله الي من الوحي وبما دل العقل على صحته ووافق قانون الشرع وحذف الجار
من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال
القلوب **وان اقم وجهك للدين حنيفا** والواو في قوله وان اقم واو عطف معناه وامرت ان
تقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا اي مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه
اقم عملك على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين
الحنيف غير مايل عنه قال الاستاذ المعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاشتداد فيه باداء الفرايض
والانتهاء عن القبايح وامرت بالاستقامة في الصلاة باستقبال القبلة وحنيفا حال من الدين او من
الوجه او وجه لقوله ملة ابراهيم ولقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وفي
الغاية قوله وان اقم عطف على ان اكون صلة ان هنا انشاء والانشاء والخبر في ذلك سيان والمعنى
امرت بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه او الاول اشارة الى الاصول والعقايد وهذا الى الفروع كاداء
الفرايض واستقبال القبلة والوجه اريد به الذات انتهى وقال ابن الخطيب اقامة الوجه كناية عن
توجيه العقل بالكلية الى طلب الدين لان من يريد ان ينظر الى شيء نظر استقصاء فانه يقيم وجهه
في مقابلته بحيث لا يصرفه عنه لانه لو صرفه عنه ولو بالقليل بطلت تلك المقابلة واذا بطلت
المقابلة اختل الابصار فلهذا جعل اقامة الوجه كناية عن صرف العقل بالكلية الى طلب الدين وفي
المدارك واوحي الي ان اقم ليشاكل قوله امرت استقم مقبلا بوجهك على ما امرك الله او استقم ولا تلتفت
يمينا وشمالا **ولا تكونن من المشركين** وفي اللباب يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه
غيره

فيهلك قال الاستاذ هذا عطف على اقم داخل تحت الامر وهذا لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان
لان ذلك مذكور في قوله اول الاية لا اعبد الذين تدعون من دون فلا بد من حمل هذا المنع على
فايدة زايدة وهي ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة
لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا هو الذي يسميه اصحاب القلوب بالشرك
الخفي قال ابو السعود في تفسيره هذا عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكن منهم اعتقادا ولا
عملا قال ملا حسين الواعظ اراد بقوله ولا تكونن الخ الامة قلت هذا هو الظاهر كما مر نظاير هذا
قوله **ولا تدع** اي لا تعبد اراد به الامة عطف على قوله اقم داخل في صلة ان **من دون الله**
اي غير الله استقلالا ولا اشتراكا **ما لا ينفعك** ان عبدته ودعوته لدفع مكروه او جلب محبوب
وما يجوز ان تكون نكرة موصوفة وان تكون موصولة **ولا يضرك** ان تركته وعصيته **فان**
فعلت فرضا وتقديرا ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني عنه بالفعل تنويها لشانه
صلى الله عليه وسلم وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله عز وجل **فانك اذا**
من الظالمين اي لنفسك ايها الانسان لانك وضعت العبادة في غير موضعها والجزاء
وجواب لسوال من يسال عن تبعة ما نهي عنه واعلم ان هذا الخطاب وامثال هذا مما ذكرنا وما سيأتي
وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره البتة لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من
دون الله شيئا اصلا لا قبل النبوة ولا بعده فيكون المعنى ولا تدع ايها الانسان من دون
الله ما لا ينفعك الاية الله اعلم وقوله عز وجل **وان يمسسك الله بضر** اي وان
يصبك الله بشدة وبلاء وهذا تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصويره
لاختصاصه به سبحانه وتعالى **فلا كاشف له** اي لا رافع لذلك الضر الذي انزله بك
كاينا من كان وما كان **الا هو** اي الا الله وحده فثبت عدم كشف الاصنام وغيرها
بالطريق البرهاني **وان يردك بخير** اي وان يرد يصيبك بسعة ورخاء **فلا راد**
اي فلا دافع **لفضله** الذي به من الرزق وغيره اي لا احد يقدر على رد مراده كاينا ما كان
ومن فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا **يصيب به** اي بالخير وفي اللباب اي بكل واحد من
الضر والخير **من يشاء من عباده** اي يخص بالخير او الضر والخير من يشاء من خلقه
وقيل الله تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على ضر ولا نفع بين انه هو القادر على
ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات مستندة اليه لانه هو القادر
على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله **وهو الغفور**
الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تياسوا من غفرانه بالمعصية وفي الاية لطيفة
اخرى وهو ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه لما ذكر امساس الضر
بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء
من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على
ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضد ذلك بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب

عباده الرحيم بهم قوله عز وجل قل يا ايها الناس اى اهل مكة قاله السيوطى قد جاءكم
الحق من ربكم يعنى القران والاسلام او محمد عليه السلام جاء بالحق من الله تعالى لم يبق
لكم عذر ولا على الله حجة بعد هذا فمن اهتدى اى اختار الهدى بالايمان بمحمد وبالقران و
المتابعة لهما فانما يهتدى لنفسه اى للثواب اهتدايه له لا للغير ومن ضل بالكفر بهما
اى من ضل عن الهدى ولم يختره فانما يضل عليها اى فوبال ضلاله على نفسه لا على
غيره وما انا عليكم بوكيل اى وما انا عليكم بحفيظ موكول الى امركم حتى اجبركم على الهدى
وانما انا بشير ونذير وقال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية السيف واتبع ما يوحى
اليك بالامتثال والتبليغ ثم عزاه فقال واصبر على الدعوة واذاهم حتى يحكم الله بالنصرة
او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اى اعدلهم اذ لا يمكن الخطاء فى حكمه فقد صبر حتى حكم
على المشركين بالقتال واهل الكتاب بالجزية يعطوها عن يد وهم صاغرون ● تم تفسير يونس والله
اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه السلام

وهى مكية فى قول ابن عباس وبه
قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفى رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهى قوله
تعالى واقم الصلاة طرفى النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هى مكية الا قوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به ~~وقوله اولئك يؤمنون به~~ وقوله ان الحسنات يذهبن
السيئات وهى مائة وثلاث وعشرون اية وقيل مائة واثنتان وعشرون اية قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت اخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب هذه رواية ابن عباس عن ابى بكر الصديق عن النبى صلى
الله عليه وسلم وفى رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتنى هود واخواتها
الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية وسيأتى القول فى قوله تعالى فاستقم
كما امرت ان شاء الله تعالى قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة
فى الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله
اللهم قدم موتى فى جوارك وانت واياه راض عنى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر ان كان اسما للسورة فابتداء خبره وان كان واردا على سبيل التعديد للتحدى
والاعجاز من حيث دلالته على ان المتحدى به مؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم فلولا
انه من عند الله لما عجزوا عن اتيان مثله او كان معناه انا الله ارى فقوله كتاب خبر
مبتداء محذوف اى هذا كتاب والمشار اليه اما هذا البعض واما مجموع القران نزل بعد ختم
سورة يونس بالامر بالايمان واتباع الوحى والصبر عليه لنفى الشرك وبيان الوحى المحكم المفصل
والعمل به احكمت اياته فى محل الرفع صفة لكتاب قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه
لم ينسخها كتاب كما نسخت به الكتب والشرايع يعنى منعت اياته من الفساد او النسخ
بكتاب اخر او نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ من حيث البلاغة والفصاحة
بحيث لم تقبل المعارضة وهى مشعرة بالاحكام او من جهة المعنى لانه التوحيد والعدل والنبوة
والمعاد

والمعاد وهى فى غاية من الاحكام والمعنى او حققت مدلولاتها بالبراهين القاطعة والحجج
او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية
والعملية ثم فصلت اى بينت وشرحت وزينت بالفوايد بعد دلايل التوحيد والعقايد واحكام
الحلال والحرام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات والامثال قال الحسن احكمت اياته
بالامر والنهى وفصلت بالثواب والعقاب وفى رواية عنه بالعكس اى احكمت بالثواب والعقاب
وفصلت بالامر والنهى وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه ولخص ما يحتاج
اليه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته دنيا وثم فى قوله ثم فصلت ليس هى للتراخى فى
الوقت بل هى لتراخى الحال كما تقول هى محكمة الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وكما تقول فلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل والعمل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها فى قوله
منه ايات محكمات قلت ان الاحكام الذى عم به هنا غير الذى خص به هناك فمعنى الاحكام العام
هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب بجمعه نسخ
الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور فى قوله منه ايات محكمات ان بعض
اياته منسوخة نسخها بايات منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت اياته ان معظم
ايات الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب
واجراء الكل على البعض مستعمل فى كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقرى ثم
فصلت اى فرقت بين الحق والباطل وقرى احكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وحده
قال بعض المشايخ فى معنى الر كتاب احكمت اياته يشير بالالف الى الله وباللام الى جبريل وبالراء
الى الرسول عليه السلام يعنى ما انزل الله مع جبريل الى الرسول كتاب الى اخره او يشير بالالف
الى انفراده بالوحدانية وباللام الى لطفه باهل توحيده وبالراء الى رحمته بكافة البرية وهى فى
القسم اى بانفرادى بالربوبية ولطفى بما عرفنى بالاحدية ورحمتى على كافة البرية ان هذا
كتاب احكمت اياته يعنى جعلت حكيمة لقوله تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة فالكتاب هو القران
والحكمة هى الحقايق والمعانى والاسرار التى ادرجت فى اياته شبهت الايات القرانية
بالحكيم الحاذق فان الانسان الخالى عن العرفان مريض بمرض القلب فاذا عمل بها بحيث
يستكمل قوته النظرية بالعقايد الحقة والعملية بالعمليات بطريق الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه للحديث يحصل له الشفاء من مرض القلب كما قال الله تعالى ويشف صدور قوم
مؤمنين وقال ذلك البعض ايضا فى معنى ثم فصلت اى بينت لقلوب العارفين تلك الحقايق
والحكم من لدن حكيم اى احكمت ايات الكتاب من عند حكيم فى جميع افعاله خبير باحوال
عباده وما يصلحهم وهو متعلق باحكمت او فصلت اى اتقنت وفرقت من عند الله حكيم فى
الاتقان خبير فى التفسير والبيان او صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغى باعتبار ما ظهر امره وما خفى قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول
له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع والمعنى كتاب احكمت ثم فصلت بان لا تعبدوا

الا الله وحده والمراد بالعبادة التوحيد وترك الانداد والاصنام وما كان يعبد ولها من دون الله
والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في الاسلام وقيل يجوز ان يكون ان مفسرة لان في تفصيل
الايات معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله فلا نفي في هذا الوجه ويجوز ان لا يكون قوله ان لا تعبدوا
متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه ويكون كلاما مقولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم يغري امته
على اختصاص الله تعالى بالعبادة كانه قال ترك عبادة غير الله تعالى مثل فضرب الرقاب يعني
الزموه او اتركوها تركا فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول وفيه اختصار مع
اعطاء معنى التاكيد **انني لكم منه** اي قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله تعالى **نذير** مخوف
من عذابه لمن كفر **وبشير** على الجنة والثواب لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده
وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا **ثم توبوا اليه** اي ثم توصلوا الى مطلوبكم
بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله
بالطاعة قال الشيخ اختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة
لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه
من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا
ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة
بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد وفي الامالي معناه استغفروه من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او
استقيموا على التوبة واخلصوها فالتاخير رتبي لان الاستقامة والاخلاص اعلا شانا منها **يمتعكم**
جوابا للامر اي يعيشكم في الدنيا **متاعا حسنا** اي عيشة راضية ويعطيكم نعمة واسعة متتابعة
قال الاستاد معناه اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط
عليكم من الدنيا واسباب الرزق ما تعيشون به في امن وسعة ودعة وخير قال بعضهم العيش الحسن
هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور **الى اجل مسمى** يعني يمتعكم متاعا حسنا الى آخر عمركم
حين الموت ووقت انقضاء الآجال فان قيل كيف يكون في امن وسعة الى حين الوفات وقد قال
صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ايضا اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة فان هذه المذكورات تدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف
الجمع بين هذه النصوص قلنا لا منافاة لان المؤمن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثاره طاعة
ربه على هوى نفسه وتكون راحته واطمينان قلبه في الاشتغال بطلب مرضاة ربه الا بذكر الله
تطمئن القلوب وتفويض جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه
بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شانه لا جرم يعيش في امن
وراحة لكونه راضيا بما قضاه الله تعالى في حقه بخلاف من ربط قلبه بغير الله تعالى بالاسباب
فانه يكون ابدا في الم الخوف من فوت محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا وقيل
في الجواب ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا ان الله تعالى يعيشكم في امن وسعة الى آخر اعمارهم بل معناه انه

تعالى لا يعاجلهم بعذاب الاستيصال كما استاصل اهل القرى من الكفرة قال الامام ان قيل قوله تعالى
الى اجل مسمى هل يدل على ان للعبد اجلين وانه يقع في ذلك التقديم والتاخير فالجواب لا دلالة
على ذلك ومعنى الاية انه تعالى يحكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في الوقت الفلاني
ولو اعرض عنها لكان اجله في وقت اخر لكنه تعالى عالم بانه يشتغل بالعبادة فيقدر له الاطول
او لا يشتغل فيقدر له الاقصر فلا جرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت المعين فثبت ان لكل
انسان اجلا واحدا مسمى لا يتغير وسمى منافع الدنيا متاعا تنبيها على حقارتها وقلتها وقوله عز وجل
ويؤت كل ذي فضل فضله اي ويعطي الله كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة
قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على
قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته
على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة
وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب
بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته
العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آحاده اعشاره
وقيل معنى الاية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته قال السلطان والمعنى ويعط كل ذي فضل
وعمل صالح في دين جزاء فضله في الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين قلت ويؤيد
ما قال السلطان قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون **وان
تولوا** قرا الجمهور بفتح التاء والواو واللام المشددة واصله وان تتولوا فحذف منه احدى التائين
تخفيفا ولذلك جاء الخطاب في قوله عليكم والمعنى فان تعرضوا عما جئتكم به من الهدى والايمان
والتوبة فقل لهم **فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير** يعني عذاب النار في الاخرة و وصفه
بالكبير مبالغة لما يقعون فيه من الشدائد والاهوال وقيل كبير صفة لعذاب فهو منصوب وانما
خفض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب مع انه صفة لجحر وقرئ وان تولوا بضم التاء
وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ولى وقيل المراد بيوم كبير يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط اكلوا
فيه الجيف قوله تعالى **الى الله مرجعكم** يعني رجوعكم الى الله لا الى غيره بالموت ثم بالبعث للجزاء
فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وهذا وعيد وتقرير لكبر اليوم ولذلك
اردفه بقوله **وهو على كل شيء قدير** اي فهو قادر على ان يعذبكم اشد العذاب وعلى
ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة ثم انه تعالى لما قال وان تولوا اي عن عبادة الله
تعالى وطاعته بين بعد صفة ذلك المتولي فقال **الا انهم يثنون صدورهم** قال ابن عباس نزلت
في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في
صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وروى البخاري عن ابن عباس
انها نزلت فيمن كان يستحيي ان يتخلى او يجامع فيفضي الى السماء وقال عبد الله بن شداد بن الهاد

نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه
وغطى وجهه كيلا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاستاذ هذا ضعيف اذ الاية مكية والنفاق
حدث بالمدينة وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كيلا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل
كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله
ما في قلبي وقيل نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون
بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني وفي تفسير الشيخ معناه يحرفون صدورهم عن الحق فان ثني
الصدر كناية عن الاعراض والانحراف لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن انحرف عنه
ثنى صدره عنه وطوى عنه كشحه او يعطفونها على الكفر وعداوة الرسول او يولون ظهورهم عن
سماع الحق والوحي والايات يريدون بذلك الاستخفاء من الله بان لا يطلع نبيه على اسرارهم لما
بينه بقوله اي ليستخفوا منه وقرئ يثنوني بالياء على تاويل الجمع وبالتاء على تاويل الجماعة وهو مضارع
اثنوني على زنة افعوعل وهو بناء للمبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ تثنون
على وزن ترعوي وتثنونّ بفتح التاء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة
واصله يثنونن مثل يعشوشب من الثن بالكسر وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم
ومطاوعة صدورهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتثنئنّ من اثنأنّ كاطمأن قوله **ليستخفوا منه**
اي ليطلبوا الخفاء من الله يعني ليطلبوا من الله سترهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين على انحرافهم من
الحق قال مجاهد يثنون صدورهم ليستخفوا من الله سترهم ان استطاعوا **الا حين يستغشون**
ثيابهم اي الا حين ياوون الى فراشهم ويغطون رؤسهم بثيابهم **يعلم** الله تعالى **ما يسرون**
في قلوبهم **وما يعلنون** بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
انه عليم بذات الصدور اي بضمائر القلوب التي ليست من جنس القول فكيف به [illegible] ومعنى
الاية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم
في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباس بن
ابن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال
كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل
ذلك فيهم وقد ذكرنا هذه الرواية قريبا عن البخاري غير انه زدنا هنا بعض الكلمات قوله عز وجل
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ليس من زايدة للتحسين قال السلطان في معنى
رزقها اي غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله
وحملا على التوكل فيه قلت وفي الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا لتخصيص الكلام ان الله تكفل برزقها تفضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو
الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله رزقها قال
مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا احتج بهذه الاية اهل السنة على ان الحرام

رزق

رزق والا فمن لم ياكل طول عمره الا من الحرام لا يصل اليه رزقه والدابة اسم لكل حيوان ذي
روح ذكرا كان او انثى من الدبيب الا انه اختص بحسب عرف البعض بذات القوائم الاربع
وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد بها في هذه الاية معنى الوضعي اللغوي باتفاق المفسرين
ويعلم مستقرها ومستودعها قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تاوي اليه
في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود
مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار
والمستودع القبر قال الاستاذ ويعلم مستقرها اي محل قرارها في الاصلاب او في اماكنها
في الحيوة او مساكنها في الارض حين وجدت الدابة بالفعل ومستودعها يعني موضعها
في الارحام او موضع عهدها من المواد والمقار حين كانت بالقوة فالمعنى ما من دابة في الارض
الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة
في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض
عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه اللهم انا جيران
بيتك فاجعل معا ارزاقنا روية وجهك الكريم مع رضائك عنا بشفاعة سيد المرسلين
قوله عز وجل **كل في كتاب مبين** اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها وجميع احوالها مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها بالقلم الاعلى التابع للعلم الالهي
وكانه اريد بهذه الاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على
الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد فمجازي المؤمنين بالجنة والكفار
بالنار قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** اي خلقهما
وما فيهما او وما في جهتي العلو والسفل في مقدار ستة اولها الاحد واخرها الجمعة السموات
في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما
فصل في سورة حم السجدة كما سياتي ولم يذكر خلقت ما في الارض لكونه من تتمات خلقها
وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل اذ قد ورد ان بعضها من ذهب
وبعضها من فضة وبعضها من غيرها والذات فانها سبع طباق بين كل اثنين منها
مسيرة خمسماية سنة على ما ورد في الخبر بخلاف السفليات فانها واحدة بالاصل والذات
واول قوله تعالى ومن الارض مثلهن بالاقاليم السبعة وقد استوفينا الكلام في سورة
الاعراف في بيان خلق السموات والارض وبيان الايام وبيان العرش فراجعه **وكان**
عرشه على الماء اي وكان عرش الله قبل خلق السموات والارض على الماء ولم يكن
حائل بينهما يعني ليس تحت العرش شيء غير الماء لانه كان موضوعا على متن الماء وفائدة الا
الاستعلاء ليس استعلاء تمكن واستقرار واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول
حادث بعد العرش من اجزاء هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وعلى
هذا ذهب القاضي وكثير من المفسرين قال ابو السعود ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة

او كان موضوعا على متنه كما ورد فى الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلا كيف لا ولو دل لدل على وجوده
لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث فى العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم
من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما وفى اللباب قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء
وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو
خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيمة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان
يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الماء اى على
اى شئ كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات
والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات
فى يومين ثم اخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى
يومين والسموات فى يومين والارض فى يومين ثم فرغ اخر الخلق فى اليوم السابع قال بعض العلماء
وفى خلق جميع الاشياء وجعلها على متن الماء يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن
له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء
فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى
الله عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فاتى ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا قد بشرتنا
فاعطنا مرتين فتغير وجهه عليه السلام ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى
يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه فى الدين ولنسألك
عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق
السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم اتانى رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت
فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم ت عن
ابى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان فى عماء ما تحته
هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء اخرجه الترمذى وقال قال احمد يريد بالعماء اى ليس معه
شئ قال ابو بكر البيهقى فى كتابه الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شئ قبله يعنى
لا الماء ولا العرش ولا غيرهما لجميع ذلك غير الله وقوله كان عرشه على الماء يعنى وخلق الماء وخلق العرش
على الماء ثم كتب فى الذكر كل شئ وقوله فى عماء وجدته فى كتابى عماء مقيدا بالمد فان كان فى الاصل
ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله فى عماء اى فوق سحاب مدبر له وعاليا عليه كما قال
أامنتم من فى السماء يعنى من فوق السماء وقال لاصلبنكم فى جذوع النخل يعنى على جذوعها وقوله ما فوقه
هواء اى ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء اى ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك
من العما مقصور والعما اذا كان مقصورا فمعناه لا شئ ثابت لانه مما عمى على الخلق لكونه غير شئ فكانه
قال فى جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء اى ليس
فوق العمى الذى هو لا شئ موجود لا فوقه هواء ولا تحته هواء لان ذلك اذا كان غير شئ فليس
له

له هو الحميد المجيد والله اعلم وقال الهروى صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اين كان
عرش ربنا فحذف المضاف اختصارا كقوله واسئل القرية ويدل على ذلك قوله وكان
عرشه على الماء هذا اخر كلام البيهقى وقال ابن الاثير العماء فى اللغة السحاب الرقيق وقيل
الكثيف وقيل هو الضباب ولابد فى الحديث من حذف مضاف تقديره اين كان عرش ربنا
فحذف ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكى عن بعضهم فى عما
مقصور وهو كل امر لا يدركه الفطن وقال الازهرى قال ابو عبيد انما تاولنا هذا الحديث
على كلام العرب المنقول عنهم والا فلا ندرى كيف كان ذلك العما قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكيف
بصفة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه
على الماء وفى رواية فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان
عرشه على الماء بخمسين الف سنة قوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا
ففرغ منه لان الله تعالى لا يشغله شان عن شان فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون انتهى ما ذكره صاحب اللباب بحروفه قال الشيخ واستدل بقوله تعالى وكان عرشه
على الماء على امكان الخلاء فانه هو الفراغ الكائن بين الجسمين اللذين لا يتماسان وليس
بينهما ما يماسهما وعلى ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم ولا دليل فيه
على قدم الماء لقوله تعالى هو الاول فان قيل ما الفائدة فى ذكر ان عرشه كان على الماء قبل خلق
السموات والارض فالجواب ان فيه دلالة على كمال القدرة من وجوه احدها ان العرش مع كونه
اعظم منها كان على الماء وفى وقوفه على متن الماء اعظم الاعتبار لاهل الافكار فلولا انه تعالى
قادر على امساك الثقيل بغير عمد لما صح ذلك وثانيها انه تعالى امسك الماء لا على مقر والا لزم
ان يكون اجسام العالم غير متناهية وثالثها ان العرش الذى هو اعظم المخلوقات قد امسكه
الله تعالى فوق سبع سموات من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فدل على كمال القدرة وفى
الدر المنثور واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن الربيع بن انس قال كان عرشه على الماء فلما
خلق السموات والارض قسم ذلك الماء قسمين فجعل نصفا تحت العرش وهو البحر المسجور فلا تقطر
منه قطرة حتى ينفخ فى الصور فينزل منه مثل الطل فتنبت منه الاجسام وجعل النصف الاخر
تحت الارض السفلى قال ابن الكمال فى تفسيره والعرش عبارة عن فوقيته والماء اشارة
الى صفة الحيوة اذ من الماء كل شئ حى وفى على بيان بناء الاولى على الثانية اى وكان
حيا قيوما فلا دلالة فيه على امكان الخلاء ولا على ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام
هذا العالم وليت شعرى من اين الدلالة على تاخر خلق الماء عن خلق العرش قال شيخنا وفى
رد الكمال بتاويله على الاكابر كما هو دابه لا كمال له تاويل كان ابن باشا وقال بعض الماء بالعلم
~~بانه كان حياة الاجساد~~ اى وكان عرشه على علمه يعنى على ايقظه وشبه العلم بالماء لانه
كما ان حياة الاجساد بالماء كذلك حيوة الارواح بالعلم قلت وان كان للتاويل حلاوة ولكن

تفسير الشارع عليه السلام يرده والاحسن بحال المؤمن الوقوف مع الشارع عليه السلام
قوله تعالى ليبلوكم اى ليختبركم وهو اعلم بكم منكم وهو متعلق بخلق اى خلق السموات و
الارض لحكمة بالغة وهى ان يجعلهما مساكن لعباده وينعم عليهم فيهما بفنون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك
اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك
اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها
وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه معنى العلم من حيث انه طريق اليه
كالنظر والاستماع ايكم احسن عملا اى ايكم اكمل علما وعملا واطوع لله فان قيل كيف ذكر
صيغة التفضيل الدال على اختصاص الكلام بالاحسن اعمالا مع ان الخطاب فى ليبلوكم عام
للمؤمنين والكافرين فانه امتحن الفريقين بالامر بالطاعة والنهى عن المعصية واعمال المؤمنين
هى التى تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال الفريقين فتتفاوت الى الحسن والقبيح قلنا الخطاب
عام اريد به الخاص وهم المؤمنون تشريفا لهم وتحريضا على المحاسن وتخصيصا الى
الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع فى طاعة الله ولما علم انه
لما بين انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وجب القطع بحصول الحشر
والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب الرحمة والثواب للمحسن والعقاب وذلك لا يتم الا بالاعتراف
بالمعاد والقيمة فعند هذا خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ولئن قلت اى ولئن قلت يا محمد
لهؤلاء الكفار من قومك انكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء ليقولن الذين
كفروا ان اى ما هذا يعنى القران الناطق بالبعث او الذى تقوله الا سحر مبين اى
كالسحر فى الخديعة او البطلان يعنى لو تلوت عليهم من القران العظيم ما فيه اثبات البعث
لقالوا هذا المتلو سحر واللام لتوطية القسم وليقولن جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة
القسم عليه وانكم محكى بالقول ولذلك كسرت همزته فى قراءة الجمهور وقرا حمزة والكسائى الا ساحر
على ان الاشارة الى القائل وقرى انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل
اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره ثم بين انه متى تاخر عنهم
العذاب الذى توعدهم الرسول به اخذوا فى الاستهزاء وقالوا ما الذى حبسه عنا فقال ولئن
اخرنا عنهم العذاب الموعود الى مجىء امة اى اوقات واجل معدودة اى محدودة قال
الاستاد الى جماعة من الاوقات قليلة واصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكانه قال
الى انقراض امة ومجىء امة اخرى واراد بالعذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر ليقولن
استهزاء وتكذيبا ما يحبسه اى اى شىء يحبس العذاب ويمنعه وانما يقولون ذلك استعجالا
بالعذاب يعنون انه ليس بشىء قال الله عز وجل فى جوابهم الا يوم ياتيهم العذاب كيوم
بدر ليس مصروفا اى ليس العذاب مرفوعا عنهم يعنى لا يصرفه عنهم شىء ويوم منصوب بخبر

ليس تقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها لانه اذا جاز تقديم المعمول كان تقديم عامله
اولى اذ المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يعنى ونزل
واحاط بهم وبال استهزائهم يعنى وقع عليهم العذاب الذى كانوا به يستعجلون وضع الماضى موضع
المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ووضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان
استهزاء وسخرية ثم لما ذكر ان عذاب الكفار وان تاخر لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على
كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان قال السيوطى اراد بالانسان
الكافر اى الوليد بن المغيرة وقيل اراد به الجنس منا رحمة اى غنا وصحة يعنى ان اعطيناه رخاء
وسعة فى الرزق والعيش وصحة فى البدن وبسطنا عليه من الدنيا حيث يجد لذتها ثم نزعناها
منه اى ثم ازلنا وسلبنا تلك النعمة من الانسان واصابته المصايب فاجتاحته وذهب به
انه ليؤس اى قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور اى مبالغ فى كفران
ما سلف له من النعمة وجحود له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء كصحة بعد مرض وغنى بعد
فقر مسته اى اصابته اضاف الله تعالى اذاقة النعماء الى ذاته الجليلة ومس الضراء اليها
لا الى ذاته الجليلة تنبيها على ان القصد الاول ايصال الخير الى العباد تفضلا منه تعالى ورحمة
ومساس الشر ليس الا لشوم نفسه وفساد حاله مجازاة وانتقاما قال الله تعالى ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه
ايجادا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام لخبر ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله تعالى اكثر ليقولن
اى الانسان الذى اصابه الخير والسعة والصحة ذهب السيئات عنى يعنى ذهبت الشدايد
والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يضف الاشياء كلها
الى الله عز وجل وانما اضافها الى العوايد فلهذا ذمه الله عز وجل فقال انه لفرح اى بطر
بالنعم مغتر بها والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمشتهى فخور متكبر متطاول على
الناس بما اذاقه الله من نعمائه وقد شغله الفخر عن الشكر وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على
ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الاخرة وانه يقع فى
الكفران والبطر بادنى شىء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدا الوصول ثم استثنى فقال عز وجل
الا الذين صبروا على الضراء ولم يظهروا الجزع ايمانا بالله واستسلاما لقضايه وعملوا
الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها قال الفراء هذا استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا
وعملوا الصالحات فانهم ليس كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالوا نعمة شكروا عليها
قال بعضهم والاستثناء متصل ان كان اللام فى الانسان للاستغراق كقوله ان الانسان لفى خسر
الا الذين امنوا ومنقطع ان كان للعهد لان الانسان المذكور هناهم الكفار على ما عليه الاكثر
اولئك اى من هذه صفته لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يعنى الجنة او افله الجنة
واختيار الكبير على العظيم لعله لرعاية الفواصل ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك

تاركٌ بعضَ ما يوحى اليك يعنى سبّ آلهة الكفار والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك ربك ان تبلغه الى من امرتك ان تبلغ ذلك اليه وهو ما يخالف راى المشركين مخافة ردّهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقّع الشى لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يوجد ما يصرفه عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة فى الوحى والتغيير فى التبليغ فى الدنيا نزل حين قالت كفار مكة ايت بقران غير هذا ليس فيه سبّ آلهتنا فهمّ النبى ان يترك ذكر آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون فى معنى هذه الاية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شى منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلّغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه شيئا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة فى الوحى والانذار ولا يترك بعض ما يوحى اليه لقول احد لان تجويز ذلك يودّى الى الشك فى اداء الشرايع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فايدة الرسالة والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء فى ذلك اجوبة احدها قال الانبارى قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى اكّد على رسوله صلى الله عليه وسلم فى متابعة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك الاية الثانى ان هذا ادبٌ من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريض على اداء ما انزله اليه والله تعالى من وراء ذلك فى عصمته من يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقران ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن لذلك ويضيق صدره وان يلقى اليهم ما لا يقبلون ويستهزؤن به فامره الله عز وجل بتبليغ ما اوحى اليه وان لا يلتفت الى استهزائهم وان تحمّل هذا الضرر اهون من كتم شى من الوحى والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفى الفعل مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر فى باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل ان الله تعالى مع علمه بان رسول الله لا يترك شيئا من الوحى هيّجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردّهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك اى لعلك لتترك ان تلقيه اليهم مخافة ردّهم واستهزائهم به وضائقٌ به بتلاوة القران عليهم صدرُك قلبك يعنى بان تبلغ الوحى اليهم على ما هو عليه وعطف على قوله وتارك ولم يقل وضيق وان كان اكثر استعمالا منه ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ولانه اشكل بتارك والضمير فى به يعود الى بعض ما يوحى وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا اى مخافة ان يقولوا قال الاستاد والمعنى عارض لك احيانا ضيق بان تتلوه عليهم لاجل ان يقولوا لولا اى هلا أُنزِلَ عليه كنزٌ يستغنى به وينفقه فى الاستتباع كالملوك أو جاء معه مَلَكٌ يشهد على صدق ما يدّعيه وقايل هذه المقالة هو عبد الله بن امية المخزومى والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فى قولك

بانك رسول الله تصفه بالقدرة على كل شى وانت عزيز عنده مع انك فقير فهلا انزل عليك ما تستغنى به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة فى امرك فاخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله انما انت نذير اى ليس عليك الا الانذار والتخويف لمن خالفك وعصى امرك بما اوحى اليك ولا عليك ردّوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شى وكيل اى حفيظ يحفظ اقوالهم واحوالهم فتوكل عليه فى جميع امورك فانه فاعل بهم يوم القيمة جزاء اقوالهم وافعالهم فلا تلتفت الى سفههم واستكبارهم واستهزائهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى يعنى بل يقولون كفار مكة اختلقه يعنى ما اوحى اليه من القران قل اى قل لهم يا محمد فأتوا بعشر سور مثله نعت لسور اى فاتوا بمثل القران فى البيان وحسن النظم وحلاوته والاخبار الصادقة عن الامور الماضية والآتية والاطلاع على ما فى الضماير مفتريات صفة اخرى لسور اى مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى على زعمكم فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر عليه لتعلّمكم القصص والاشعار وتعوّدكم بالسجع والنظم وهذا امر تعجيز وهذه الاية قبل قوله تعالى فى سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقبل قوله فى سورة يونس فاتوا بسورة مثله ونزل اوّلا فليأتوا بحديث مثله وهو كل القران فلما ظهر عجزهم عنه تحدّاهم بعشر سورة ثم لما ظهر عجزهم عنها تحدّاهم بسورة فلما ظهر عجزهم ولزمتهم الحجة بالكلية امر نبيّه بان يقول لهم وادعوا من استطعتم من دون الله اى من غير الله من العقلاء وغيره حتى يعينوكم على الاتيان بمثله وتوحيد المثل باعتبار كل واحد فيكون المعنى بعشر سور كل واحد مثل سور القران ويحتمل ان يقال يجوز الافراد والمطابقة فى لفظ المثل اذا وصف به متعدد قوله تعالى ان كنتم صادقين فى انه افتراء من تلقاء نفسى فان لم يستجيبوا اى فان لم يفعلوا ما كلفوا به من الاتيان بمثله وهو كقوله تعالى فان لم تفعلوا لكم وانما عبّر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال الامن من امره كانه امرهم بالاتيان بمثله داع لهم الى امر يريد وقوعه والضمير فى لكم للرسول صلى الله عليه وسلم وجمعه للتعظيم اوله وللمؤمنين لانهم ايضا كانوا يتحدّونهم وكان امر الرسول فى قوله تعالى قل فاتوا متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ما خصّه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتّب ما بعده بالفاء الجزائية بقوله فاعلموا انما انزل بعلم الله اى ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق ولا يقدر عليه سواه فلا يتصور فيه الافتراء قاله البغوى والخطاب فى فاعلموا قيل مع المؤمنين وقيل مع المشركين والمعنى ظاهر اى فان لم يستجيبوا لكم ايها الرسول والمؤمنون فاعلموا الخ او فان لم يستجيبوا لكم اربابكم ايها الكفار فى المعاونة فاعلموا ايها الكفرة انما انزل يعنى القران ملتبسا بعلمه واذنه وامره خاصة لا سبيل لاحد اليه لانه نظم معجز قوله تعالى وان لا اله الا هو اى واعلموا عند عجز الكل ودعوا على العلم بان لا اله الا الله تخصيصه ان الذى انزل القران هو الله الذى لا اله الا هو

لامن تدعون من دونه **فهل انتم مسلمون** بعد هذه الحجة القاطعة لفظه استفهام ومعناه امر
اى اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الاية على انه خطاب مع المومنين كان قوله فهل
انتم مسلمون الترغيب اى دوموا على ما انتم عليه من الاسلام وفى تفسير الاستاد معناه فهل انتم
ثابتون على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه بالنسبة اليكم والى كل من عجزوا
الى المعارضة ويحتمل ان يكون الخطاب فى لكم وفى فاعلموا للمشركين والضمير فى يستجيبوا لمن استطعتم
يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة على معارضة القران لعجزهم وقد عرفتم فى انفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من
التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الدليل والحجة الثابتة وفى مثل هذا الاستفهام
ايجاب بليغ لما فيه من معنى طلب التصديق بثبوت الدخول فى الاسلام والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر قوله تعالى **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها** اى بعمله الذى يعمله من
اعمال البر نزلت فى اليهود والنصارى فى كل من عمل عملا يبتغى به غير الله عز وجل باحسانه وبره و
اشارة الى ان الذين يصرون على التكذيب بالقران بعد ظهور عجزهم انما حملهم على ذلك حب الدنيا
وزينتها ثم بين حال من يكون كذلك وعلى تلك الصفة بقوله **نوف اليهم اعمالهم فيها** اى
نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرى يوفى
بالتخفيف والرفع من اوفى والفاعل هو الله لان الشرط ماض كقول الشاعر ❁ وان اتاه كريم يوم
مسغبة ❁ يقول لا غايب لمال ولا حرم ❁ وقرى يوف بالياء اى يوف الله ويوف على البناء للمفعول
ونوفى بالتخفيف والرفع كما فى يوفى واخرج النحاس فى ناسخه عن ابن عباس من كان يريد الحياة
الدنيا اى ثوابها وزينتها مالها نوف اليهم اى نوفر لهم ثواب اعمالهم بالصحة والسرور فى
الاهل والمال والولد **وهم فيها لا يبخسون** اى لا ينقصون اى انهم فى الدنيا خاصة لا ينقصون
ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمون حرمانا كليا بل يعطون اجور اعمالهم
فيها كاملة موفرة واما فى الاخرة فهم فى الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى
اولئك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون ثمرات اعمالهم من غير بخس وفى الدر المنثور
ثم نسخت هذه الاية بقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها الاية **الذين ليس لهم
فى الاخرة الا النار** مطلقا فى مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا فى الدنيا ما تقتضيه صور اعمالهم
الحسنة فلم يبق لهم ثواب الاخرة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة **وحبط ما صنعوا فيها**
اى وبطل ما عملوا فى الدنيا من اعمال البر قال الشيخ وحبط فى الاخرة ما صنعوه او صنيعهم اى لم يكن
لهم ثواب لانهم كانوا لم يريدوا به الاخرة ووجه الله وانما ارادوا به الرياء وجمع الدنيا وقد وفى
اليهم ما ارادوا والحاصل ان الضمير فى فيها اما متعلق بقوله حبط فيكون راجعا الى الاخرة
والمعنى وظهر حبوط ما صنعوا فى الاخرة لانهم لم يروا لها ثوابا فيها واما متعلق بقوله صنعوا فهو
حينئذ تعين ان يعود الى الحيوة الدنيا كما تعين ان يعود اليها فى قوله نوف اليهم اعمالهم فيها
وفى الصحاح حبط عمله حبطا وحبوطا بطل ثوابه **وباطل** فى نفسه **ما كانوا يعملون**

بوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها فتكون الاولى منهما علة
بالثانية وعلة لما قبلها قال الاستاد واختلف المفسرون فى المراد بقوله من كان يريد الحياة الى الاية
فروى قتادة عن انس انها فى اليهود والنصارى كما اشرنا وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل
عملا صالحا فى غير تقوى يعنى اهل الشرك اعطى على ذلك اجرا فى الدنيا وهو ان يصل رحما او يعطى سايلا
او يرحم مضطرا ونحو هذا من اعمال البر يجعل الله له ثواب عمله فى الدنيا يوسع عليه فى المعيشة والرزق
ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه المكاره فى الدنيا وليس له نصيب فى الاخرة ويدل على صحة هذا القول
سياق الاية وهو قوله اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار الاية وهذه حالة الكافر فى الاخرة وقيل
نزلت فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنايم لانهم كانوا
لا يرجون ثواب الاخرة وقيل ان حمل الاية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذى هذه صفته والمومن
الذى ياتى بالطاعات واعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد فى هذه الاية هم اهل الرياء وهذا القول
مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار لا يليق بحال المومن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال
الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب
النار ويدل على هذا ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته
وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله
او اراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار اخرجه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من
الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعنى ريحها اخرجه ابو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال
واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤون
باعمالهم اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال البغوى محى السنة ورويناه ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر
قال الرياء اخرجه بغير سند وكفى بحسنك لنا سندا والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة
ليحمده الناس عليها وليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطاء فهذا العمل هو لغير الله نعوذ
بالله من الخذلان قال البغوى قد مر وقيل هذا فى الكفار يعنى قوله من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها اما المومن فيريد فى الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى بحسناته
فى الدنيا ويثاب عليها فى الاخرة وروينا عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الاخرة واما الكافر
فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا اخرجه البغوى
بغير سند قلت واخراجه كاف لنا والله اعلم قوله **افمن كان على بينة من ربه** اى
من كان على بيان وبرهان وحجة من الله تعالى يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره الهمزة

لانكار ان يعقب من هذا شانه يعني كونه على بينة من ربه هولاء المقصرين همهم وافكارهم على
الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة من
ربه كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مومن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مومنوا
اهل الكتاب تخليص الكلام لما ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا
وزينتها ذكر في هذه الاية من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الاخرة فقال تعالى افمن كان على
بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الاخرة الا النار وانما حذف الجواب لظهوره
ودلالة الكلام عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن
هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة
اليقين يعني انه على يقين من ربه انه الحق ويتلوه شاهد منه اي ويتبع ذلك البرهان الذي هو
دليل العقل شاهد من الله تعالى يشهد بصحته وصدقه وهو القران قال الاستاد واختلفوا في
الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك واكثر المفسرين
انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويويده ويسدده ويقويه قال
الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى محمد بن الحنيفية قال قلت لابي يعني علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه انت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله تعالى ويتلوه شاهد منه قال
وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان
يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو الة الفصل والبيان وبه يتلى
القران وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل
الشاهد هو القران لان اعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه
اعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم
ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب
ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من
قريش الا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل وانت ايش نزل فيك فقال علي ما تقرا الاية
التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي
صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلو القران
في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القران وقوله تعالى
ومن قبله اي ومن قبل نزول القران وارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة كتاب موسى
اي كان كتاب موسى فانه ايضا يتبع البرهان الذي كان من الله وهو برهان العقل في التصديق وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه
حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل القران التورية اماما اي مؤتما به في الدين
ورحمة لمن اتبعها يعني ان كتاب موسى عليه السلام امام لمن يتبعه يرجعون اليه في امور الدين
والاحكام

والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب لحصول الرحمة وهو
مصدق القران وشاهد النبي ولم يزل القران معجزا طول الدهر ومهيمنا على الكتب الالهية كلها
وهما حالان من كتاب موسى سواء قرئ مرفوعا او منصوبا اي حال كونه كتاب موسى اماما
لبني اسرايل ورحمة لهم حيث انقذهم الله من النار في الاخرة ومن استعباد فرعون لعنه الله
وقومه في الدنيا اولئك اشارة الى من كان على بينة من الله يؤمنون به اي بالقران
فلهم الجنة قال الاستاد معناه ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار
اليهم بقوله اولئك يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد باولئك الذين اسلموا من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقران
من الاحزاب اي من اهل مكة يعني ومن تحزب وتظاهر واجتمع على قتال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد فالنار موعده اي مصيره في الاخرة لا محالة روى البغوي في كتابه بسنده
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي
احد من هذه الامة ولا يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن بما ارسلت به الا كان من اصحاب
النار قال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت
مصداقه في كتاب الله حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت
اين هذا في كتاب الله حتى اتيت على هذه الاية ومن قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب
فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل كلها ثم قال تعالى فلا تك في مرية اي في شك
منه اي في الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك اي
ان القران الصدق من الله وهو رد لقولهم انه لقول شيطان رجيم اسمه الرئي يلقنه الى محمد وههنا
قولان احدهما ان معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا
القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر
به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلا تك
في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق
الاية وهو قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون يعني لا يصدقون بما اوحينا اليك من ان
موعد الكفار النار وذلك لقلة نظرهم واختلال فكرهم قوله تعالى ومن اي لا احد اظلم
ممن افترى على الله كذبا كان اسند الى الله ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله تخصيصه اي
الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه ما اثرنا او زعم ان لله شريكا او ولدا
فيه فرق بين المفتري الذي ليس على بينة من ربه وبين من كان على بينة من ربه اولئك يعني المفترين
على الله الكذب يعرضون على ربهم يوم القيمة فيسالهم عن اعمالهم في الدنيا في الموقف بان يحبسوا
ويعرض اعمالهم عرض العبيد المفترين على مولاهم لا يمكنهم الانكار لمكانته المجيد ويقول الاشهاد
يعني الملئكة الذين يحفظون اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال
الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم او يشهد عليهم جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد

كاشراف **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم** يعنى فى الدنيا وهذه الفضيحة تكون فى الاخرة لكل من
كذب على الله فمتى يتحق هؤلاء البينة من ربهم مع كونهم من اهل اللعنة **الا لعنة الله على**
الظالمين يقول الله ذلك يوم القيمة فيلعنهم ويطردهم من رحمته وهذا تهويل عظيم مما يحيق بهم
حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ف عن صفوان بن محرز المازنى قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض
له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنى المؤمن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا
وكذا فيقول اعرف مرتين فيقول سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته
وفى رواية ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفى رواية فينادى
بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى **الذين يصدون**
عن سبيل الله اى يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتحريف وادخال الشبه وهذه
الاية متصلة بما قبلها لان الذين يصدون وصف للظالمين **ويبغونها عوجا** اى يطلبون السبيل معوجة
يعنى يطلبون القاء الشبهات فى قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة الاسلام ثم اكد توبيخهم
وكفرهم واختصاصهم به فقال **وهم بالاخرة هم كافرون** اى والحال انهم كافرون بالاخرة
مع صدهم عن سبيل الله **اولئك** الموصوفون بالاحوال الموجبة للتدمير **لم يكونوا معجزين فى الارض**
اى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم قال ابن عباس معنى معجزين اى سابقين وقيل هاربين
وقيل فائتين فى الارض وقيل مفلتين اى لم يكونوا معجزين الله مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ولو
وان هربوا فى سعة الارض كل مهرب لانهم فى قبضة الله وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا اراد اهلاكهم
وطلبهم بالعقاب والانتقام منهم **وما كان لهم من دون الله** اى من غير الله
من اولياء اى من انصار يمنعونهم من عذاب الله ولكن الله اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون
اشد واد وم **يضاعف لهم العذاب** استيناف وابتداء كلام من الله تعالى لبيان كون
عذابهم مضاعفا وقيل هو من كلام الاشهاد على سبيل الدعاء عليهم تخصيصه يزاد عذابهم فى الاخرة
بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد والباقون بالالف من المضاعفة يعنى يزاد للرؤساء منهم العذاب بكفرهم وبما اضلوا به غيرهم
ما نافية **كانوا يستطيعون السمع** لتصامهم عن الحق وبغضهم له فهذه الجملة مستانفة كانه
قيل ما بال هؤلاء الضالين استوجبوا مضاعفة العذاب فقيل لانهم ما كانوا يستطيعون السمع **وما**
كانوا يبصرون الحق لتعاميهم عن ايات الله لفرط كراهتهم له كانهم لم يستطيعوا ذلك قال
قتادة معناه صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فياخذوا به
وقال ابن عباس اخبر الله انه احال بين اهل الشرك وبين طاعته فى الدنيا وفى الاخرة اما فى الدنيا
فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهى طاعته وما كانوا يبصرون واما فى الاخرة فانه لا يستطيعون
خاشعة ابصارهم قال الشيخ قوله ما كانوا وما كانوا علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما
نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح
الولاية

للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بين البيان والمبين **اولئك الذين خسروا**
انفسهم يعنى ان هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة
الله باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعنى
وبطل وضاع وغاب عنهم كذبهم وفريتهم وافكهم على الله من دعوى الشريك وان الملئكة
والاصنام تشفع لهم فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة قوله تعالى **لا جرم** يعنى حقا وقال
الفراء لا محالة وقال الاسناد اى ثبت وحق وفى هذه اللفظة خلاف بين النحويين وتلخيص
ذلك فى خمسة اوجه احدها وهو مذهب الخليل وسيبويه وجماهير الناس انهما ركبا من لا النافية
وجرم وبنيا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصار معناهما معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعد
هذه اللفظة بالفاعلية وهو قوله تعالى **انهم فى الاخرة هم الاخسرون** فالمعنى حق وثبت كونهم
فى الاخرة هم الاعظمون خسرانا والاشدون عذابا والثانى ان لا جرم بمنزلة لا رجل فى كون لا
نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وهى واسمها فى محل الرفع بالابتداء وما بعدهما
خبر لا النافية وصار معناها لا محالة ولا بد الثالث كالذى قبله الا ان ان وما بعدها فى
محل النصب او الجر بعد حذف الجار اذ التقدير لا محالة فى انهم فى الاخرة اى فى خسرانهم الرابع ان
لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله لا كما ترد لا هذه فى قوله
لا اقسم وقوله فلا وربك لا يؤمنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهى جرم ان لهم كذا وجرم فعل ماض
معناه كسب وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام وان وما فى حيزها فى
موضع المفعول به لان جرم يتعدى اذ هو بمعنى كسب فتقدير الاية كسب فعلهم او قولهم خسرانهم
وهذا هو قول الزجاج وعلى هذا فالوقف على قوله لا ثم يبتدا بقوله جرم بخلاف ما تقدم الخامس
ان معناها لا صد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول جرمت اى قطعت فيكون جرم
اسم لا مبنى معها على الفتح كما تقدم وخبرها ان وما فى حيزها وعلى هذه التقادير كلها فمعناه
انهم اخسر من كل خاسر وهذه الايات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين
من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير لما ذكر فريق الكفار
واعمالهم وبين مصيرهم ومالهم شرع فى بيان حال اضدادهم اعنى فريق المؤمنين وما يؤل
اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة فى قوله تعالى افمن كان على
بينة من ربه الاية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومالا فقال **ان الذين امنوا**
اى صدقوا بكل ما يجب ان يصدقوا به **وعملوا الصالحات** اشارة الى جميع اعمال الجوارح
واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهى الخضوع والخشوع لله قال ابن عباس واخبتوا اى
خافوا وعنه ايضا الاخبات الانابة وعن قتادة معناه الخشوع والتواضع وعن مجاهد
معناه اطمانوا وسكنوا فاذا فسرنا الاخبات بالطمانينة واخواتها كان معنى الكلام انهم ياتون
بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال او يكونوا مطمئنين
الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع واخواتهما كان معناه انهم ياتون

بالاعمال الصالحة خايفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك اى
الذين صفتهم ما ذكر اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون مؤبدا لا انقطاع لنعيمهم
ولا زوال لذلك قوله تعالى مثل اى صفة الفريقين الكفار والمومنين المذكورين قريبا
كالاعمى والاصم هذا مثل الكافر والبصير والسميع هذا مثل المومن فالاعمى هو الذى
لا يهتدى لرشد والاصم هو الذى لا يسمع شيئا البتة من الحق وهذا حال الكافر والبصير هو
الذى يبصر الاشياء على ماهيتها وحقيقتها والسميع هو الذى يسمع الاصوات ويجيب الداعى
وهذا حال المومن والحاصل شبه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن
استماع كلام الله وتدبر مقالته وشبه المومن بالسميع والبصير لان امره بالعكس فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمومن بالجامع بين
البصر والسمع والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغانم فالايب وهذا من باب اللف
والطباق اما اللف لانه جمع بين الفريقين ونشره بقوله كالاعمى والاصم الاية واما الطباق لانه جمع بين
الضدين وهما الاعمى والبصير والاصم والسميع هل يستويان الفريقين المذكورين والاستفهام
انكارى يعنى لا يستويان من كان على بينة من ربه مع من لم يكن على بينة منه وقوله مثلا اى
تشبيها وتمثيلا او صفة وحالا وهو نصب على التمييز على جميع الاحتمالات تخصيصه لا تساوى بين
الفريقين اصلا ولذا انكر الله على من لم يجزم به بقوله افلا تذكرون اى افلا تتعظون بضرب
الامثال والتامل فيها بان الفريقين لا تساوى بينهما لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر ونظر وقال
الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم فى حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والبصير والسميع
فى حيز كانهما واحد وهما من وصف المومن ثم اعلم انه جرت عادة الله فى القران اذا اورد على
الكافر الدلايل اتبعها بالقصص لتوكيد تلك الدلايل وقد بدأ بذكر هذه القصة فى سورة يونس
وانعم علينا باعادتها ههنا لما فيها من زوايد الفوايد فقال ولقد ارسلنا نوحا بالايات
الناطقة والبراهين القاطعة وانما بدأ بقصته لانه اول نبى عذب قومه وكان قومه موسومين
بالجهل المفرط والتعامى عن الحق الى قومه العماة الصم فصموا عن قوله انى لكم اى
بانى لكم ايها القوم قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى بفتح الهمزة والباقون بكسرها اما الفتح فعلى
اضمار حذف الجار اى بانى كما اشرنا واما الكسر فعلى ارادة القول اى ارسلناه بقوله انى لكم نذير
اى مخوف ومهدد للعصاة بالعقاب وكان بشيرا ايضا لقوله فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا مبين اى ابين لكم موجبات العذاب لمن خالف امر
الله وعبد غيره ووجه الخلاص بان لا تعبدوا الا الله وصف بدل من انى على قراءة
الفتح واما على قراءة من كسر فيجوز ان تكون ان مصدرية وهى معمولة لارسلنا ويجوز ان تكون
مفسرة والمفسر بها اما ارسلنا واما نذير انى اخاف عليكم ان عبدتم غير الله عذاب يوم
اليم اى مولم موجع وصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه تخصيصه الله فى الحقيقة
صفة المعذب اذ هو الخالق للالم لكن يوصف به العذاب وزمانه على المجاز العقلى على طريقة جد جده

ودهار

٥٦ ويبارك صايم للمبالغة قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره الف سنة وخمسين سنة وقال
مقاتل بعث وهو ابن ماية سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مايتين وخمسين سنة
مكث يدعو قومه تسع ماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره
الف سنة واربعماية وخمسين سنة فقال الملأ الذين كفروا من قومه يعنى الاشراف والرؤساء
من قومه نوح عليه السلام ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا اى لا مزية لك علينا تخصك
من بيننا بما تدعيه من النبوة ووجوب الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة
جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك
ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من احاد البشر وهو من اختصه الله تعالى
بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال الله تعالى اخبارا عن قوم نوح وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعنى سفلتنا ولخساءنا والرذل الدون من كل شئ وقيل هم
الحاكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة قال الاستاد هو جمع ارذل الذى هو صفة كاخر
قياسه اذا لم تكن للتفضيل ان يجئ جمعه على فعل الا انه لما صار بالغلبة مثل الاسم حتى حذف موصوفه
جمع على افاعل او جمع ارذل جمع رذل وهو الدون من كل شئ كما اشرنا والحاصل ان الرفعة فى الدين
ومتابعة الرسل لا يكون بالشرف والمال والمناصب العالية بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل
ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم فى الدين قوله تعالى بادى الراى يعنى
اتبعوك فى اول الراى من غير تثبت وتفكر فى امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراى يعنى
انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا ويتعمقوا فيه قرأ ابو عمرو بادئ الراى بالهمزة من
البدء وهو اول الراى والباقون بياء صريحة مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها من البدو بمعنى
الظهور يعنى ظاهر الراى دون باطنه وهو منصوب على كلا القرائتين على الظرف واصله وقت حدوث
اول امرهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه والعامل فيه اما
نراك اى وما نراك فى اول راينا على قراءة ابى عمرو او فيما يظهر لنا من الراى والتدبير فى قراءة الباقين
واما اتبعك اى ما نراك اتبعك اول رايهم وظاهر رايهم وما نرى لكم علينا من فضل اى لك يا نوح
ولمتبعيك يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة لاستوايا فى البشرية وهذا القول ايضا جهل منهم
لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالمال والشرف والرياسة والجاه ثم قالوا لنوح
واتباعه بل نظنكم كاذبين اى نظنك يا نوح كاذبا فى دعوى النبوة ونظنهم كاذبين فى دعوى
العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغايبين وقيل الخطاب لنوح وحده من غير ادراج قومه معه
تعظيما له قال نوح يا قوم ارايتم اى اخبرونى ان كنت على بينة اى على بيان ويقين وبرهان
وشاهد من ربى بصحة دعواى الذى انذرتكم به واتانى رحمة من عنده اى اعطانى
هداية ومعرفة بايتاء البينة او النبوة والاضافة للتشريف فانه فضل من الله يوتيه من يشاء
فعميت عليكم اى خفيت والتبست البينة عليكم فلم تهتد لكم فجعلتموها تلبيسا مع ظهور الفرق

عند البصراء ولم يقل فعميتا لرجوع الضمير الى البينة ولم يتعرض لعماء الرحمة لاستلزام خفاء البينة
خفاءها او لرجوعه الى الرحمة التي هي النبوة ولم يذكر عماء البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت
النبوة عليكم بعد قيام البينة عليها او لرجوع الضمير الى كل واحد منهما وقيل وحد الضمير في قوله
فعميت لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدان بحسب الذات
فان المراد بهما البرهان الدال على نبوته عليه السلام وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه
ورحمة باعتبار انه ينتفع به وحذف جواب الشرط للانفهام من المقام اى فاخبروني قرا حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم بضم العين وتشديد الميم اى عماها الله عليكم يعني اخفاها والباقون بتخفيف
الميم وفتح العين اى خفيت عليكم البينة فلم تقدكم قوله تعالى **انلزمكموها** اى انكرهكم ونجبركم
من شطر انفسنا على قبول الرحمة والهاء عايد الى الرحمة وهذا استفهام معناه الانكار يعني
لا اقدر على ذلك ولا اكراه في الدين ~~والله لا نقدر على ذلك والاكراه في الدين~~ والذي اقدر عليه
ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله
لالزمها ولكنه لم يملك ذلك **وانتم لها كارهون** اى وانتم يا قوم لا تريدون الرحمة ولا تختارونها
ولا تتاملون فيها واذا اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني
الفصل نحو انلزمكم اياها والاتصال كما هنا يعني انلزمكموها ثم قال نوح اخبارا عن شفقته **ويا قوم
لا اسالكم عليه** اى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر **مالا** اى جعلا وجزاء
في مقابلة اهتدائكم **ان** اى ما **اجري** جزاى وثوابي على ايمانكم بالله واتباعكم لي **الا على الله**
وحده تلخيصه انا لا اطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب فقيرا
او غنيا وانما اجري على هذه الطاعة الاعلى رب العالمين واذا كان كذلك فسواء كان غنيا او
فقيرا لم تتفاوت الحال في ذلك **وما انا بطارد الذين امنوا** جواب لهم حين سالوا طرد
تلخيصه انهم طلبوا من نوح عليه السلام ان يطرد الذين امنوا وهم الارذلون في زعمهم فقال
ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون **انهم ملاقوا ربهم** قال السيوطي يعني بالبعث فيجازيهم وياخذ
لهم ممن ظلمهم وطردهم قال الشيخ انهم يلاقونه في الاخرة ويفوزون بقربه ولقائه فكيف اطردهم
ثم بين انهم بنوا امرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر فقال **ولكني اريكم قوما تجهلون**
عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هؤلاء المؤمنين خير منكم فان اكرمكم
عند الله اتقاكم تلخيص القيل ولكني اريكم قوما تجهلون منزلة المؤمنين ومقدارهم عند الله وما يستوجب
طردهم لغضب الله وبركاته رايكم في التماس طردهم قوله تعالى **ويا قوم من ينصرني من الله
ان طردتهم** اى من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم وهم بتلك المثابة والكرامة والتقرب بعد تلبيك
مقدرا لانهم مومنون مخلصون **افلا تذكرون** يعني فتتفطنون بان ما تطلبونه مني لا يسوغ عقلا وشرعا
ان التماس طردهم وتوفيق الايمان والاسلام عليهم ليس بصواب وسياتي قوله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي ان شاء الله تعالى قيل هذا الطرد اشارة الى المطلق المرتب والاقتصار
معينة رعاية للمصلحة **ولا اقول لكم عندي خزاين الله** التي لا يفنيها شيء فادعي انما الذي تحكم

لتسعوني عليها لاعطيتكم منها ملكة لي عليها وادعي فضلا عليكم في الغنى ولا اقول عندي خزاين
رزقه او اموالها حتى تجحدتم فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل وقيل معناه لا اقول لكم
عندي غيوب الله وما هو منطو عن الخلق جوابا لقولهم ان هؤلاء المؤمنون انما اتبعوه في ظاهر
ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها على الناس واستتارها
عنهم والقول الاول اولى **ولا اعلم الغيب** اى ولا ادعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في انفسهم فسبيلي
قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم الا الله قال الاستاد ولا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني
اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد بل اقول لكم ان الله وعدنا
واوعد على كذا قال الاستاد وهو عطف على عندي خزاين الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول
وفي الدر المنثور معناه لا اقول اتبعوني على علم بالغيب **ولا اقول اني ملك** حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا فبطل في دعوى الملكية تلخيصه لا اقول اني ملك نزلت من السماء برسالة بل اقول ما انا الا بشر مثلكم شرفني
الله بالرسالة ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم استدل بعضهم بهذه الاية في تفضيل الملكة على
الانبياء قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن
الا اذا كان ذلك الشيء اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح عليه السلام هذه المقالة وجب
ان يكون الملك افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نريك الا بشرا
مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر انما يكونون من الملكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل
وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر فلهذا قال ولا اقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملكة افضل من درجة
الانبياء عليهم السلام والله اعلم قوله تعالى **ولا اقول** اى لا احكم **للذين** اى على الذين **تزدري** اى تحتقرهم
اعينكم من الضعفاء تلخيصه لا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم **لن يوتيهم الله خيرا** يعني
توفيقا وهداية وايمانا واجرا فان ما اعد الله لهم في الاخرة خير مما نالكم في الدنيا مع ان الله تعالى يورثهم
ارضكم ودياركم بعد غرقكم **الله اعلم بما في انفسهم** اى بما في قلوبهم من الايمان والصدق والخير
والشر ولو طردتهم ووافقت هواكم **اني اذا لمن الظالمين** يعني ان فعلت شيئا من ذلك فعلته فاكون
قد ظلمتهم ولكني على علم من الله وانا لا افعله فما انا من الظالمين والازدراء افتعال يقال ازدريته
اى احتقرته فابدلت تاؤه باب الافتعال دالا ليجانس الزاى في الجهر واسناد الازدراء الى
العين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الروية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة
منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم **قالوا يا نوح قد جادلتنا** اى خاصمتنا **فاكثرت
جدالنا** اى فاكثرت خصومتنا واطلته او اتيت بانواع الجدال **فاتنا بما تعدنا** من
العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان
لا يكون المراد باليوم يوم القيمة **ان كنت من الصادقين** في دعواك انك رسول من الله الينا
وفي الوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا **قال انما ياتيكم به الله ان شاء** يعني قال
نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس لي انما هو الى الله ينزله عاجلا او

متى شاء وكيف شاء وعلى من شاء يعني ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة البالغة فلا رادّ لانزاله وما
انتم بمعجزين اى بفائتين من عذاب الله بالهرب او بالمدافعة كما تدافعوننى فى الكلام ولا ينفعكم نصحى
اى لا ينفعكم نصيحتى وانذارى وتحذيرى من نزول العذاب بكم والنصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه
الخير من فعل وقول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش ان
اردت ان انصح لكم لتستغفروا من الشرك فتؤمنوا ان كان الله يريد ان يغويكم
اى يضلكم ويهلكم على الضلالة ارادة مستمرة فانى وان كنت رسول الله فليس لى تغيير تلك الارادة
وفى اللباب فى معنى ان يغويكم يعنى يضلكم وقيل يهلكم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى
الى الهلاك انتهى قال الاستاذ فى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم شرط داخل على شرط اخر وهو ان اردت
ان انصح لكم فيكون شرط الثانى مقدما فى الحكم تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحى ان اردت
ان انصح لكم وهذا دليل بين لنا فى ارادة المعاصى قال الشيخ فى تفسيره قوله ان اردت ان انصح لكم شرط
وجزاؤه محذوف اى فتؤمنوا وما قبل هذا الشرط يعنى ولا ينفعكم نصحى دليل الجواب والجملة يعنى مجموع
قوله ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وخلاصة
ما قالوا فى وجه ترادف الشرطين هنا ان الشرط الثانى جزاؤه مجموع قوله لا ينفعكم نصحى ان اردت ان
انصح لكم فهو فى حكم الجزاء توسعا فوصل بالشرط الثانى معنى فهذا الشرط مع جزائه يكون فى حكم جزاء
الشرط المقدم عليه وكذلك الحكم فى كل شرط الى ان تنتهى الشروط السابقة فلو قال رجل لامرأته انت
طالق ان كلمت زيدا ان دخلت الدار ان اكلت خبزا كان تقديره ان اكلت خبزا فانت طالق
فلو كلمت ثم دخلت ثم اكلت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق لكن ان اكلت
اولا ثم دخلت ثم كلمت طلقت فيكون تقدير الاية ايضا ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى فمثل هذه التعليقات حكمها ان يتقدم المؤخر ويتأخر المتقدم فى الوقوع كما
عرفته وهذا الكلام جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل فكأنه قال نعم لا طائل فى جدالى
ان كان الله يريد اغواءكم لكنى لا علم لى بذلك فانصح لكم ما لم اقنط منه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من
قومك الخ وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وان اردت
زيادة بيان فراجع تفسير الامام قوله عز وجل هو ربكم اى هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته له الحكم والامر فلا تقدرون الخروج من سلطانه واليه ترجعون فى الاخرة فيجازيكم على
اعمالكم ثم قالوا انه افترى من نفسه التوحيد والدعوة اليه فقال الله تعالى لنوح عليه السلام
بالاستفهام للتقرير وزيادة الميم للتحسين ام يقولون اى ايقولون قوم نوح قال السيوطى بل يقولون
كفار مكة لنبينا افتراه اى اختلقه وجاء به من عند نفسه واسنده الى الله وفى اللباب والضمير يعود
الى الوحى الذى جاءهم به قال البغوى قال ابن عباس يعنى نوحا وقال مقاتل يعنى محمدا عليه السلام واختار
كما هو صاحب الامالى بقول مقاتل وقال هذا انسب واظهر بالسياق لانه كالتكرير لقوله ام يقولون افتراه
وانما اورده فى اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان نسبة محمد عليه السلام
الى الافتراء بعد اتيانه بقصة نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة الكتب والاخذ

غاية العناد والمكابرة فجاز زيادة انكار على انكار كأنه قيل بل اسمع هذا البيان ايضا يقولون
افتراه وهذا نظير اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلكم بين قصة ابراهيم عليه السلام
على احد الوجهين قال شيخنا والاخذ بما ذهب اليه ابن عباس واحسن لعدم الحاجة الى التكاليف والى
هذا ذهب اكابر المفسرين ومن سكت عن مرجع الضمير فانما سكت لظهوره بانه يرجع الى نوح والله
اعلم قوله قل اى يا نوح او يا محمد ان افتريته بالغرض البحت فعلى اجرامى اى فعلى اثم
او بالجرامى وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع اجرامى بفتح الهمزة وينصره ان فسره الاولون
باثامى وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لعداوتكم لى واعراضكم
عنى قال الاستاذ مما تجرمون يعنى من الكفر والتكذيب وفى اللباب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة
نوح عليه السلام مع قومه فهى من قصته واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك
عند مبالغته فى بذل الوسع فى النصح مع عدم نفعه اياهم الا من قد امن فى الماضى فانه
يستمر على ايمانه وهذا اقناط له من ايمان قومه سوى من امن به واعلام بانهم استحقوا العذاب
المعجل لان تاخيره انما هو لتوقع ايمان البعض فدعى عليهم عند ذلك بقوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ثم قال الله تعالى تسلية لنوح على دعائه وتحزنه عليهم فلا تبتئس اى فلا
تحزن عليهم فانى مهلكهم بما كانوا يفعلون اى بسبب كفرهم وافعالهم القبيح وتكذيبهم
اياك وايذائهم لك فقد حان وقت الانتقام لك منهم قال ابن عباس ان قوم نوح عليه كانوا
يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى
اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وروى ان شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال
يا بنى لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكنى من هذه العصا فاخذها من ابيه وضرب بها
نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن الاية وحكى محمد بن اسحق
عن عبيد بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق
قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو
ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتى قرن الا كان اخبث من الذى قبله ولقد كان ياتى القرن
الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا
فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعنى السفينة والفلك يطلق
على الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا قال
الاستاذ معناه ملتبسا بكمال حفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك فعبر بكثرة
آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية
على طريق التمثيل وقيل باعين اولياءنا من الملئكة الموكلين بك ووحينا اليك كيف تصنعها اى
تعليمنا صنعتها وتقديرها وهيئاتها وفى الامالى ووحينا اليك بذلك الصنع او بصفته وفى
الخزانة لم يكن يعلم كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير انتهى وقيل ووحينا اى امرنا

اولهامنا قال ابو السعود المفتى ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضى
الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير واللام للوجوب
اذ لا سبيل للصيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هنا سبق
بوحى الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشئ سيصنعه بامره
ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها فى سنتين وقيل فى اربعماية وكانت
من خشب الساج وجعلت ثلثة بطون حمل فى البطن الاول الوحوش والسباع وفى البطن الاوسط
الدواب والانعام وفى البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد
وحمل معه جسد ادم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وقيل جعل فى الاول
الدواب والوحوش وفى الثانى الانس وفى الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثماية ذراع وعرضها
خمسين ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتى ذراع وعرضها
ستماية ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله
فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال
لا مت وانا شاب ولكنى ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال
كان طولها الفا ومائتى ذراع وعرضها ستماية ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا انتهى وفى الدر المنثور
للامام المجتهد عبد الرحمن السيوطى اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وضعفه
الذهبى وابن مردوية عن عايشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح
مكث فى قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم حتى كان اخر زمانه غرس شجرة فعظمت
وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعل يعملها سفينة ويمرون فيسئلونه فيقول اعملها سفينة
فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة فى البر وكيف تجرى قال سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور
وكثر الماء فى السكك خشيت ام صبى عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه
فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعته بيدها حتى ذهب بها الماء فلو
رحم الله منهم احدا لرحم ام ذلك الصبى واخرج ابو الشيخ وابن مردوية عن ابن عباس عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال كانت سفينة نوح لها اجنحة وتحت الاجنحة ابواب واخرج ابن بشر وابن عساكر
عن ابن عباس ان نوحا لما امر ان يصنع قال يا رب واين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج عشرين
سنة وكف عن الدعاء وكفوا عن الاستهزاء فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها وجففها فقال
يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلثة صور كراس الديك وجؤجؤه كجؤجؤ الطير
وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة واجعل لها ابوابا فى جنبها وشدها بدسر يعنى مسامير
الحديد فبعث الله جبريل فعلمه صنعة السفينة فكانوا يمرون به ويسخرون منه ويقولون
الاترون

الاترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء واين الماء ويضحكون وذلك قوله وكلما مر عليه
ملا من قومه سخروا منه وعن ابن عباس ايضا امر ان يطليها بالقار ولم يكن فى الارض قار ففجر الله
له عين القار حيث تحت السفينة يعنى تغلى غليانا حتى طلاها فلما فرغ منها جعل لها ثلثة ابواب واطبقها
فحمل فيها السباع والدواب فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب وجعل الوحش والطير فى
الباب الثانى ثم اطبق عليها وجعل ولد ادم اربعين رجلا واربعين امراة فى الباب الاعلى ثم اطبق عليهم
وجعل الذرة معه فى الباب الاعلى لضعفها ان لا تطاها الدواب واخرج عبد بن حميد وابن
المنذر وابن جرير وابو الشيخ عن قتادة قال ذكر لنا ان السفينة استقلت بهم فى عشر خلون من رجب
وكانت فى الماء خمسين وماية يوم ثم استقرت بهم على الجودى واهبطوا الى الارض فى عشر ليال خلون من
المحرم وعن ابن عباس انه قال فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله الى نوح عليه السلام اغمز ذنب
الفيل فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فلما وقع الفار يخرز السفينة بقرضه الحبال
اوحى الله الى نوح ان اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار
وفى رواية ابن عباس ان كعب بن حام لما اوحى الله على يد عيسى عليه السلام فقال عيسى له كيف علم
نوح ان البلاد قد غرقت قال بعث الغراب ياتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف
فلذلك لا يالف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم ان البلاد
قد غرقت فطوقها الخضرة التى فى عنقها ودعا لها ان تكون فى انس وامان فمن ثم يالف البيوت واخرج
ابن عساكر عن سعيد بن ميناء ان كعبا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرنى عن اول شجرة نبتت على
وجه الارض قال عبد الله الساج وهى التى عمل منها نوح السفينة قال كعب صدقت قال اهل السير لما امر
الله نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ
القار وكلما يحتاج اليه فى عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو فى عمله فيسخرون منه قال الامام البغوى
قدس سره وزعم اهل التورية ان الله تعالى امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصنعه ازور وان يطليه
بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلثين ذراعا
والذراع الى المنكب وان يجعله ثلثة اطباق سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوا فصنعه نوح كما
امره الله عز وجل وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست
نجارا فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطى فصنعها مثل جؤجؤ
الطير وفى تفسير مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب اتتا نوحا فقالتا احملنا فقال انكما سبب
الضرر والبلاء فانا لا احملكما فقالتا احملنا فانا نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين خاف
مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين الاية لم تضراه قلت وهو كذلك وقد جربت
فيل على هذه الخاصية فما كان يضرنى الحية وايضا انى رايت فى كتاب شيخنا عبد القادر قدس سره قال صلى الله
على نوح وعلى نوح السلام لا تضره العقرب تلك الليلة والله اعلم قوله تعالى ولا تخاطبنى فى امهال
الذين ظلموا اى كفروا ولا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم فانهم وقيل ولا تخاطبنى
فى ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم انهم مغرقون اى حكمت عليهم بالطوفان

يريد ابنه كنعان وامه واعلة قال البيضاوى فانهما كانا كافرين وسياتى تفصيل كفرهما قريبا

قوله تعالى **ومن امن** اى واحمل معك المومنين من غيرهم يعنى من امن معك من قومك **وما امن معه الا قليل** قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث

ونساوهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من غيرهم وفى اللباب اختلفوا فى عدد من حمل نوح معه

فى السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته

وثلثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساوهم كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلث كنائن له قلت

وفى القاموس كنائن بالفتح امراة الابن وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه

سام وحام ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين

نفرا رجلا وامراة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا احدهم جرهم وقال الطبرى

والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد

عددا بمقدار فلا ينبغى ان يجاوز فى ذلك حد الله تعالى اذا لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال

والنساء قلت وقد قدمنا هذا وعنه ايضا بان جميع الدواب والطيور قصدوا نوحا ليحملها قال ابن عباس

اول ما حمل نوح الذرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه

فلم تستقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان

الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى سبيل الحمار فدخل ودخل الشيطان معه

فقال له نوح ما ادخلك على يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى

يا عدو الله قال ما لك بد من ان تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى

قال الامام فخر الدين والدنيا الرازى واما الذى يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن

وهو جسم نارى او هوائى فكيف يفر من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه

خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى

ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا انتهى وفى الاسرار قال

سعيد بن المسيب ولد نوح ثلثة سام وحام ويافث وولد لكل واحد منهم ثلثة فولد سام العرب

وفارس والروم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والصقالبة قلت وفى القاموس الصقالبة

جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية وولد حام اليونان والقبط والبربر

قلت وفى القاموس بربر جيل جمعه البرابرة وهم بالمغرب وامة اخرى بين الحبوش والزنج يقطعون

مذاكير الرجال ويجعلونها مهور نسائهم قوله تعالى **وقال اركبوا فيها** اى وقال نوح لمن امنوا معه

اركبوا فى السفينة اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض ويحتمل ان يكون

ضمير قال لله يعنى وقال الله لنوح ومن معه صيروا فيها **بسم الله مجريها ومرسيها** وفى

اللباب يعنى بسم الله اجراوها وارساوها قال الضحاك اذا كان نوح اذا اراد ان تجرى قال بسم الله

فجرت وكان اذا اراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسو اى تقف وفى رواية بزيادة بسم الله

مجراها كذلك فى مرساها والحاصل ان سفينة نوح كانت تجرى باسم الله وتقف باسم الله وليست كسائر

السفن التى باهلها تجرى وتقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغى له ان يشرع

فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور

وفى الاسرار قرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم مجراها بفتح الميم على انهما من جرى ورسى وقرا

الباقون بضم الميم على انهما من اجرى وارسى واتفق السبعة على ضم ميم مرساها والجار والمجرور حال

من فاعل اركبوا اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها وعلى التقدير

فهو حال مقدرة لان وقت الاجراء والارساء بعد الركوب او كانهما على ان المجرى والمرسى للوقت

او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا والجرور

ارتفاعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر فيكون بسم الله حالا من ضمير فيها اى اركبوا فيها ملتبسا باسم

الله اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدر حالا كما تقدم ويكون المجموع جملة واحدة

ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبره اى اجراؤها

بسم الله وهى اما جملة منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا وانشاء او حال مقدرة من الواو والهاء

وفى الاسرار وقرى مرساها بفتح الميم من رسا فيحتمل الثلاثة وقرى مجريها ومرسيها

بلفظ الفاعل فيكونان بدلين من الله وقيل صفتين لله وفيه بحث فان اضافة اسم الفاعل

اذا كان بمعنى الاستقبال غير محضة فكيف تكون النكرة صفة للمعرفة قوله تعالى **ان ربى لغفور

رحيم** واخرج ابو يعلى والطبرانى وابن السنى وابن عدى وابو الشيخ وابن مردويه عن الحسين

بن على رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امان لامتى من الغرق اذا ركبوا الفلك ان يقولوا

بسم الملك الرحمن بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الى اخر الاية

وفى رواية عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال امان لامتى من الغرق اذا ركبوا فى السفن

ان يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره الاية بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور

رحيم وفى رواية اخرى عنه ان يقولوا اذا ركب السفينة بسم الله الملك الرحمن مجراها ومرساها

ان ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الاية الا اعطاه الله امانا من الغرق حتى يخرج

منها ومعنى ان ربى لغفور رحيم حيث لم يهلكنا او لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم

فهو غفور لذنوبنا رحيم لا يعاقبنا قوله تعالى **وهى تجرى بهم** متصل بمحذوف دل عليه اركبوا

اى فركبوا فيها مسمين اى يقولون بسم الله وهى تجرى بهم وهم فيها **فى موج كالجبال** اى فى موج

من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كالجبل فى تراكمها وارتفاعها وما قيل من

ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه كالحوت ليس بثابت والمشهور ان

الماء علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا وان صح فلعل ذلك الجريان فى الموج كان

قبل التطبيق فان قيل الجريان فى الموج يوجب الغرق اجيب بان الامواج لما احاطت من جميع جوانبها

شبهت تلك السفينة كانها جرت فى داخل تلك الامواج قال العلماء بالسير ارسل الله المطر اربعين

يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض

عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الارض
وارتفع الماء على اعلى جبل واطوله اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شى
ونادى نوح ابنه يعنى كنعان وقرا الجحدري بكسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وكان كافرا كما انزلنا
وقرى وابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشده
لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطا اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك لان جنابهم ارفع
من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين قيل لابن عباس ما كانت
تلك الخيانة فقال كانت امراة نوح تقول زوجي مجنون وامراة لوط تدل الناس على ضيفه اذا
نزلوا وقرى ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرف الندبة وهذا النداء كان قبل
جريان السفينة اذ الواو لا يقتضى الترتيب وكان فى معزل اى فى مكان عزل فيه نفسه عن
ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور او فى معزل عن
السفينة او فى معزل عن دينه وهو مفعل للمكان من عزله اذا ابعده وقيل فى معزل عن الكفار قد
انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم فى الدين ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان
ينافق اباه وظن انه مومن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند
مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان والجملة فى موضع نصب على الحال وصاحبها
هو ابنه والحال يا نى من المنادى لانه مفعول فى الحقيقة يا بنى اركب معنا فى السفينة قرا
حفص عن عاصم بفتح الياء هنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة فى يا بنيا والباقون
بالكسر فيكون من قبيل يا غلام فى حذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة الا ان كثيرا فانه وقف عليها فى
لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة وفى الثانى فى رواية قنبل واختلفت الرواية عن عاصم
فى ساير المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما وفى الاسرار معناه اسلم
وادخل فى السفينة تسلم مع المسلمين ولا تكن مع الكافرين فى الدين والاعتزال فتهلك معهم
قال كنعان فى جوابه ساوى اى ساصعد وسالتجى واصير الى جبل يعصمنى يمنعنى
من الماء اى من الغرق فيه وليس لى بك حاجة ولا اسلم ولا اركب السفينة قال نوح لابنه
لا عاصم اى لا مانع اليوم من امر الله اى من عذابه وهو الغرق لا جبل ولا غيره
وذكر اليوم للتنبيه على انه ليس كساير الايام التى تقع فيها المصايب وتلم فيها الملمات المعتادة التى
ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية الا من رحم اى الا الراحم وهو الله
تعالى فينجيه من الغرق فيكون معصوما او المعنى لا مكان يعصم الا مكان من رحمه الله الامكان من
رحمهم الله وهم المومنون ومكانهم ذلك اليوم هو السفينة او المعنى لا عاصم اى لا ذا عصمة من غضب الله
الا من رحمه الله فعلى هذه التقادير الاستثناء متصل وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله
وحال بينهما الموج اى وقع بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة او بين ابنه والجبل
فكان من المغرقين اى فصار من المهلكين بالماء يعنى من جملتهم او كان فى علم الله انه يغرق
لا انه كان من المغرقين قبل ذلك وقيل بعد ما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح يا ارض ابلعى
اى انشفى

اى انشفى وتشربى ماءك الذى نبع منك دون ما نزل من السماء فصار انهارا وبحارا ويا
سماء اقلعى اى امسكى عن انزال المطر نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يومرون تمثيلا لكمال
قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذى يامر المنقاد لحكمه المبادر الى
امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه تخصيصه حكى الله عن سلطانه وقدرته
ما تعلق ارادته بوقوع على وفقه من غير ريب وانما قلنا نوديا بما ينادى به اولو العلم لانه نوديا
باسم خصهما وهو يا ارض ويا سماء وطلب به اقبالهما تشبيها لهما بالعقلاء المميزين المامورين
الذين لا يتاتى منهم العصيان لكمال هيبة الامر وادخالهما فى جنس ذلك المامورين على سبيل الاستعارة
المكنية وجعل النداء قرينتها على سبيل الاستعارة التخييلية وجعل الامر والبلع ترشيحا للاستعارة
لان كل واحد منهما امر ملايم للمستعار منه اما الامر فظاهر واما البلع فلانه ادخال الطعام فى الحلق
بعمل الجاذبة والمراد بالبلع ان تشرب الارض ماءها فقط دون ماء السماء فهو استعارة لغور
الماء فى الارض واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات يقال اقلع الرجل من عمله اذا كف
واقلعت السماء بعد ما مطرت اى امسكت فليس هو تجريدا ولا ترشيحا وبيان قولنا نوديا بما
ينادى به اولو العلم ايضا على ان النداء والامر وقعا من الله حقيقة ووجد المطلوب منهما
تمثيلا لكمال قدرته الى اخره ويحتمل ان يقال انه لا قول ثمة ولا امر ويكون المقصود تمثيل تاثير قدرته
فيهما بامر مطاع للمطيع فى حصول المراد من غير امتناع وتوقف ففيه استعارة تمثيلية ايضا
ويحتمل ان يجعل معنى نوديا الخ يعنى عبر بما يدل على ندائهما وعلى الامر لهما تمثيلا الخ وهذا ما عليه
الاكثرون والحاصل فى الاية من عجيب البلاغة وجوه كثيرة منها انه خرج مخرج الامر على معنى
التعظيم لفاعله لانه من غير معاناة ولا لغوب ومنها ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة
على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل
هذه الافعال لا يقدر عليه احد سوى الواحد القهار ومنها حسن تقابل المعانى ومنها حسن ائتلاف
الكلمات ومنها حسن البيان فى تقرير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال ومنها انه قال ماءك
باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار
ضمير الخطاب دون ان يقال ليبلع ماءها لاجل الترشيح ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يلزم تعميم
الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل به حذف من اقلعى حذرا من التطويل ومنها
سياق كل القصة فى اوجز خطبة الى غير ذلك مما عليه هذا الكلام من الحسن العجيب واللفظ البديع
فثبت بان فى الاية من علم البيان لما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها ومن علم
المعانى لما فيها فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها لانه اختار يا دون
اخواتها لكونها اكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام اظهار العظمة والملكوت
وابداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارضى لزيادة التهاون
اذ الاضافة تستدعى القرب ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما
اخف واذور واختير ابلعى على ابتلعى لكونه اخصر وللتجانس بينه وبين اقلعى وقيل اقلعى ولم يقل عن المطر

وكذا لم يقل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ولم يقل يا سماء اقلعي فاقلعت اختصارا وغير ذلك بان قدم
النداء على الامر فقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي ولم يقل ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء وقدم امر
الارض على امر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها وفي الاية ايضا من الفصاحة المعنوية وهي كما ترى
نظم للمعاني لطيف وتادية لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء يشكك
الطريق الى المرتاد ومن الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر
بعيدة عن البشاعة عذبة عن العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكالعسل
في الحلاوة وكالنسيم في الرقة وكالمصباح في الزجاجة ومن ثمة اطبق المعاندون على ان طوق
البشر قاصر على الاتيان بمثل هذه الاية ولله در شان التنزيل لا يتامل العالم اية من اياته
الا ادرك لطايف لا يتسع الحصر ولا تظنن الاية مقصورة على المذكور فلعل المتروك اكثر من المسطور
والله اعلم باسرار كتابه قوله **وغيض الماء** اي نقص وذهب وهذا اخبار عن حصول المامور به
وقضي الامر اي فرغ من الامر وهو هلاك قوم نوح يعني وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين
وانجاء المؤمنين **واستوت** اي استقرت السفينة **على الجودي** وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل
على الاصح وفي الاماني والقول بانه جبل بالشام او بالهند ليس له اصل قال السيوطي هو جبل
من جبال الجنة يزوره مشايخ الاكراد وهو لهم كاحد لاهل المدينة وابي قبيس لاهل مكة وقد ذكرنا
بانه قطعة من الطور واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال الجودي جبل بالجزيرة
تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق فارست عليه سفينة نوح
وكان شيخنا يقول في هذا الجبل المبارك قبر نوح واصحابه وفيه مسجد وقريته المسماة بثمانين فيه
قبر ادم لما ذكرنا بان نوحا حمله معه وهو بقرب قريتنا يعني دلكان لكن ما اتفق لنا زيارته ولكن
الله عوضنا خيرا منه حيث جعل قرارنا ببلدة بنية طيبة الطيبة صلى الله على ساكنها وعلى جميع
اخوانه من الانبياء والمرسلين بعدد ما عنده من العدد والمدد في كل لحظة من الازل الى الابد
ولنرجع الى المقصود واخرج احمد وابو الشيخ وابن مردويه عن ابي هريرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم
باناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال ما هذا الصوم فقيل هذا اليوم الذي نجى الله
فيه موسى وبني اسرائيل واغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي
فصامه نوح وموسى شكرا لله فقال صلى الله عليه وسلم انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم فصام
وامر اصحابه بالصوم قال السلطان روي ان نوحا ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وفي تفسير ابن خازن وروي ان نوحا عليه السلام ركب
السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد
رفعه الله من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي
قبيس وهبط نوح ومن معه من السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه
شكرا لله وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت بعد الطوفان
وقد اشرنا الى بعض ما ذكرنا هنا فيما قبل ولكن رايت هنا زيادة بعض الكلمات فكتبنا وقيل انه

لم ينج

لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاته
من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله
عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك وقد تقدم قريبا بحث الساج على غير هذا
المنوال فراجعه فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم
من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم قلت قد ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل
اعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه
يرد عليه اغراق جميع الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا هلاك
اطفال الامم الكافرة مع ابائهم غير قوم نوح والجواب الثاني من هذا انه ان الله تعالى متصرف في خلقه
وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وجواب اخر انه تعالى
علم بانه لو لم يعقم ارحام نسائهم ما يحصل منهم الا الكفار كما قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا **وقيل
بعدا** يعني هلاكا **للقوم الظالمين** اي الكافرين ولم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه
الامور لا يتاتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره ومثله في صدر الاية ليستقل من
ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية قوله تعالى **ونادى نوح ربه**
اي ناداه ودعاه وساله او اراد ان يدعوه بدليل فاء العاطفة في قوله **فقال رب ان
ابني** كنعان **من اهلي** يعني وقد وعدتني ان تنجيني واهلي قال الشيخ اي اهلي الذين وعدتك
بنجاتهم في ضمن الامر بحملهم او النداء على الحقيقة والفاء للتفصيل لما فيه من الاجمال **وان وعدك
الحق** اي الصدق الذي لا خلف فيه يعني ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت
ان تنجي اهلي فما بال ولدي وحاله اغرق ام نجا او فما له لم ينج فيكون النداء بعد غرق ابنه
ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه فان الواو لا يقتضي الترتيب **وانت احكم الحاكمين** لا احكم
في حكمك او انك اعلم الحكام واعدلهم اذ لا فضل الحاكم على غيره الا بالعلم والعدل او لانك اكثر
حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع ورب غريق في الجهل والجور
والرشوة من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر
واستعبر **قال** الله تعالى **يا نوح انه** اي هذا الابن الذي سالت نجاته **ليس من
اهلك** الناجين الذين عمهم الوعد او من دينك فهذا تذكير للاستثناء في قوله الا من سبق عليه
القول وانما نفى اهليته لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وفي اللباب اختلف علماء التفسير هل كان
هذا الولد ابن نوح لصلبه ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد خبث من غير نوح ولم يعلم به
فلذلك قال انه ليس من اهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح
ولذلك قال من اهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر
المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان
ويدل على صحة قول الجمهور ما صح عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما بغت امراة نبي قط ولان
الله نص عليه بقوله ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا فهذا

نص في الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر
من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطأ ممن قاله لان الله خلق خلقه
فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من المؤمن
والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله تعالى اخرج قابيل من صلب ادم
وهو نبي وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا وكذلك اخرج
كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في خلقه كيف شاء فان قلت فعلى هذا
كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأل له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه
وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال ان يسلم
فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس هو من
اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما انتهى بحروفه اقول اما قول
صاحب اللباب واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا فلا نسلم بانه عليه السلام من صلب
آزر بل قيل آزر عمه وابوه تارح وقدم تفصيل ذلك في سورة الانعام فراجعه ولما حكمت الشريعة
برفع حكم النسب في كثير من الاحكام بين المسلم والكافر علل لانتفاء كونه من اهل نوح عليه السلام
بقوله **انه عمل غير صالح** اي انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل ونفسه في مداومته على
العمل الفاسد مبالغة ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما قرأ الكسائي
ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه انه عمل الشرك
والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين
غير بضم الراء ومعناه ان سؤالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد
ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح كما
اشرنا بقولنا انه ذو عمل فاسد والتقدير على هذه القراءة بعبارة اخرى ان ابنك ذو عمل او صاحب
عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنساء فانما هي اقبال وادبار قال الواحدي وهذا قول ابي
اسحق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قوله تعالى **فلا تسألن ما ليس لك
به علم** من انجاء ابنك وذلك ان نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال
شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم ان ذلك محظور لاصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذا
السؤال واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسألني ما ليس لك به علم بجواز مسألته قرأ نافع وابن عامر
تسألن بالنون من غير ياء على ان اصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت
المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة واثبتها نافع برواية ورش في الوصل وابن كثير بتشديد النون
مع الفتح وابو عمرو والكوفيون بنون مكسورة خفيفة وياء وصلا لابي عمرو ودونه ياء في الحالين
للكوفيين وفي الاسرار معناه اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني طلبا لا تعلم يقينا ان حصوله
صواب وموافق للحكمة هذا على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول المسؤول او طلبا لا تعلم انه

صواب وهذا على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بوجه
في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازا
في شان ولده او استفسارا لمانع للانجاء في حقه وانما سمى سؤاله جهلا وزجر عنه بقوله **اني
اعظك** اي انهاك **ان تكون من الجاهلين** بمثل هذا السؤال الذي لا تعلم لان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر
عليه ثم انه تعالى لما نهاه عن السؤال عما ليس به علم **قال** نوح عند ذلك يا رب قبلت هذا التكليف
ولا ارجع اليه الا اني لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك وهدايتك بدا وابقوله **رب اني اعوذ بك**
اي الجأ اليك واعتذر اليك **ان اسألك** فيما يستقبل **ما ليس لي به علم** اي بما لا علم لي بصحته يعني
انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك من مسألتي ما ليس لي به علم **والا
تغفر لي** اي وان لم تغفر لي ما فرط مني من الاقدام على السؤال فيما ليس لي به علم **وترحمني** اي برحمتك
التي وسعت كل شيء وبالتوبة والتفضل علي بما انت اهله **اكن من الخاسرين** اعمالا ولا يخفى
ان حقيقة التوبة تقتضي امرين احدهما العزم على ترك الفعل في المستقبل واليه الاشارة بقوله اعوذ بك
والاخر الندم والاستغفار لما مضى واليه الاشارة بقوله والا تغفر لي الاية وهذه عادة الصالحين
انهم اذا وعظوا اتعظوا واذا نبهوا على الخطا تعوذوا واستغفروا وانما حكى الله تعالى ما صدر من الانبياء
عليهم السلام من التعوذ والاستغفار ليقتدى بهم في ذلك من غير قنوط عن رحمته واخرج احمد في الزهد
عن وهيب بن الورد الحضرمي قال لما عاتب الله نوحا في ابنه وانزل عليه اني اعظك ان تكون من
الجاهلين بكى ثلثماية عام حتى صار تحت عينيه مثل الجدول من البكاء **فصل** وقد استدل
بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبياء عليهم السلام وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه
السؤال وهو محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسألني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون
من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السؤال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له
يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا بان ينجيه واهله فتمسك نوح
ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك في وعد الله تعالى
فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله تعالى على سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس
من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله عز وجل انه مغرق
مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه
فخاف نوح من ذلك فلجا الى ربه عز وجل وخشع له وتعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات
الابرار سيئات المقربين وليس في الايات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى
تاويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية اصلا عند من له عقل سليم
وطبع مستقيم ثم عقب المعاتبة على السؤال بالبشارة والسلامة بقوله **قيل يا نوح اهبط بسلام**
خاطبه بالهبوط من السفينة بعد ما استوت على الجودي فالسلام ان كان بمعنى السلامة يكون المعنى
انزل من السفينة او من الجبل الى الارض سالما من المكاره محفوظا من الغرق من جهتنا وان كان بمعنى

التسليم والتحية يكون المعنى مسلما عليك كما قال سلام على نوح في العالمين **وبركات عليك** البركة
هي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته والمعنى ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما
ثانيا ولهذا قيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيمة كما قال الله تعالى
وجعلنا ذريته هم الباقين فكل العالم من اولاده الثلاثة ولم يعقب ممن كان معه في السفينة غيرهم
وروي انه لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته قيل اول كلمة تكلم بها نوح
حين خرج من السفينة يا مورانقن كلمة بالسريانية والمعنى يا مولاي اصلح فلا ينقطع اهل الصلاح
والتقوى من الجزيرة وحواليها ببركة هذه الكلمة الى يوم القيمة قيل واول شجرة غرس نوح عليه السلام
حين خرج من السفينة الآس ثم الى حران فخطها ثم الى دمشق فخطها فكانت حران اول مدينة
خطت بعد الطوفان ثم دمشق وقيل ثم بابل بعدهما قوله تعالى **وعلى امم ممن معك** يعني وبركات عليك
وعلى قرون تجيء من بعدك من ذريته او لاولاد الذين كانوا معك في السفينة وهم المؤمنون قال محمد بن كعب
القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيمة قال الشيخ ويجوز ان تكون من لبيان الجنس فيراد بهم الذين كانوا
معه في السفينة فالسلام مختص بهم وسموا امما لانهم كانوا جماعات متحزبين او لتشعب الامم
باعتبار مآل امرهم وان تكون لابتداء الغاية اي وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون
قوله تعالى **وامم سنمتعهم** هذا ابتداء كلام اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا وفي اللباب
اي وامم كافرة يحدثون بعدك سنمتعهم في الدنيا بالسعة في الرزق والخفض في العيش فقوله امم
مبتدأ وسنمتعهم صفتها والخبر محذوف والتقدير وممن معك امم سنمتعهم كما قدرنا في صدر الكلام
فان قيل لم حذف الخبر قلنا لان ممن معك تدل عليه واخرج ابن جرير عن الضحاك وعلى امم ممن معك
يعني ممن لم يولد اوجب الله لهم البركات لما سبق لهم في علم الله من السعادة وامم سنمتعهم يعني متاع
الحياة الدنيا **ثم يمسهم منا عذاب اليم** في الآخرة لما سبق لهم في علم الله من الشقاوة وتلخيص معنى
الآية بتمامها ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم
يتمتعون بالدنيا وزخارفها ينقلبون الى النار والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة
قوله تعالى **تلك** خطاب مع نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها
الرفع بالابتداء وخبرها الاول **من** للتبعيض **انباء الغيب** اي اخبار ما غاب عنك وخبرها الثاني
نوحيها اليك اي موحاة اليك يا محمد والضمير للقصة او حال من الانباء او هو الخبر الاول ومن
انباء متعلق به او حال من الهاء **ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا** اي من قبل نزول
القرآن عليك فان قلت ان قصة نوح كانت مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل ان يكون كانوا يعلمونها مجملا فنزل القرآن بتفصيلها
وبيانها وجواب آخر وهو انه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك
كانت امته فصح قوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القرآن والجملة اما حال من الكاف
في اليك او من المفعول في نوحيها او خبر ثالث لتلك **فاصبر** على مشاق الرسالة كما صبر نوح يعني
اصبر يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر نوح على اذى قومه **ان العاقبة** اي آخر الامر المحمود لهم
والظفر

والظفر على الاعداء في الدنيا وفي الآخرة بالفوز والسعادة **للمتقين** عن الشرك والمعاصي لا يقال
قد ذكر هذه القصة في سورة يونس فما فائدة هذا التكرار لانا نقول ان القصة الواحدة قد
ينتفع بها من وجوه ففي السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول العذاب فذكر الله تعالى هذه
القصة وبين ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا
في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه السورة ذكر القصة لبيان ان اقدام الكفار على الايذاء كان
حاصلا في زمن نوح فلما صبر نال الفتح والظفر فكن يا محمد كذلك لتنال المقصود فلما كان الانتفاع
بالقصة في كل سورة من وجه لم يكن تكريرها خاليا عن الفائدة قوله تعالى **والى عاد** عطف على
ارسلنا نوحا الى قومه يعني وارسلنا الى عاد **اخاهم** اي واحدا منهم يعني من قبيلتهم ونسبهم
لا في الدين **هودا** عطف بيان لاخاهم والمعنى ولقد ارسلنا الى عاد العماة الصم اخاهم يعني واحدا
منهم في النسب ولا في الدين وهو هود كقولهم لواحد من قبيلتهم يا اخا العرب مشفقا عليهم ليسمعهم
ويبصرهم بعد ما سمعوا من قصة نوح فابصرهم عبادة الله وتوحيده اذ **قال يا قوم اعبدوا الله**
يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا **ما لكم من اله غيره** يعني الله تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي
تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على
لفظه **ان انتم** اي ما انتم باتخاذكم الاوثان شركاء وجعلها شفعاء **الا مفترون** الا كاذبون على الله تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا **يا قوم لا اسألكم عليه** اي على التوحيد وتبليغ الرسالة **اجرا** اي ثوابا وجعلا
آخذه منكم **ان اجري** اي ما ثوابي وجعلي **الا على الذي فطرني** يعني خلقني فانه هو الذي يرزقني
في الدنيا ويثيبني في الآخرة ما من نبي ولا رسول الا وصرح لقومه بعدم اخذ الاجر على التبليغ ازاحة للتهمة
وتمحيضا للنصيحة فانها لا تؤثر ولا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع وانما قال في قصة نوح مالا دون
اجرا لذكر الخزائن بعده ولفظ المال بها اليق **افلا تعقلون** اي افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل
والصواب من الخطأ او افلا تتفطنون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله **ويا قوم استغفروا
ربكم** اي اطلبوا المغفرة من الذنوب السالفة بالايمان بآيته لانه المطلوب اولا **ثم** بعد الايمان به **توبوا**
اي ارجعوا من شرككم وعبادتكم الاوثان **اليه** اي الى الله بالطاعة واخرج ابن عساكر عن الضحاك قال امسك
الله عن عاد القطر ثلاث سنين فقال لهم هود عليه السلام استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم
مدرارا فابوا الا تماديا قوله **يرسل السماء عليكم مدرارا** يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد
مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر
مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان آمنوا
بالله وصدقوه ارسل الله عليهم المطر فاحيا به بلادهم كما كانت اول مرة ومدرارا منصوب على انه
حال من السماء ولم يؤنثه وان كان من مؤنث لان مفعالا صيغة مبالغة ومعناه الكثير الدر والمتتابع
يستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وشكور وقيل لان المراد بالسماء السحاب فذكر حملا على المعنى **ويزدكم قوة
الى قوتكم** اي مع قوتكم ويضاعف قوتكم وقال مجاهد ويزدكم شدة مع شدتكم وعن عكرمة في قوله ويزدكم
قوة الى قوتكم قال ولد الولد وقيل لكم ان آمنتم يقويكم بالاموال والاولاد وذلك ان الله اعقم ارحام نسائهم

فلم يلبث فقال لهم هود عليه السلام ان امنتم ارسل الله المطر فتزدادون مالاً ويعيد ارحام الامهات
الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل اغارهم بكثرة المطر وزيادة القوة
لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وبساتين وقيل تزدادون قوة في الدين الى قوة في البدن قوله تعالى ولا
تتولوا مجرمين اى ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مصرين على اجرامكم يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى
ونصحى حال كونكم مشركين وعن الحسن بن على رضى الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض
حجابه انى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئاً لعل الله يرزقنى ولداً فقال عليك بالاستغفار وكان يكثر
حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعماية فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية رضى الله عنه فقال هلا
سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل قال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول
نوح ويمددكم باموال وبنين **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة** اى ببرهان وحجة ظاهرة ودليل
واضح على صحة دعوى رسالتك ليلزمنا تصديقك وهذا لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من المعجزات كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه نقل ان من معجزات هود انه
كانت الريح الصرصر مسخرة له **وما نحن بتاركى آلهتنا** اى بتاركى عبادتهم **عن قولك** عن
للسببية اى من اجل قولك كقوله تعالى الا عن موعدة وعدها اياه فتتعلق بتاركى او على تضمين الترك
معنى الصدور فيكون حالا من الضمير فى تاركى كانه قيل ما نترك آلهتنا صادرين عن قولك **وما نحن
لك بمؤمنين** اى بمصدقين فى شىء فيكون اقناطا له من الاجابة **ان نقول الا اعتراك** اصابك
بعض آلهتنا بسوء يعنى انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان بعض
آلهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا تلخيصه ما نقول
الا قولنا اعتراك واصابك بعض آلهتنا بسوء فخبلتك به عقوبة لك على سبك اياها والدعوة
الى تركها ورفض عبادتها والجملة مقول القول والا لا عمل له فى اللفظ لان الاستثناء مفرغ تقديره ما نقول
شيئا الا هذا القول **قال** هود عليه السلام مجيبا لهم لما نهم الجهلاء بان الامر ليس كما تقولون **انى اشهد
الله** على نفسى **واشهدوا** انتم على ايضا **انى برئ مما تشركون** اى من اشراككم
الالهة **من دونه** اى من غير الله او هذه الاصنام التى تعبدونها **فكيدونى جميعا** اى احتالوا
واقصدوا فى هلاكى وضررى انتم واصنامكم التى تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع
وجميعا حال من ضمير كيدوا **ثم لا تنظرون** اى لا تمهلون امرهم ان يجتهدوا على الكيد فى اهلاكه
من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخره وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم
يبق لهم شبهة ان الهتهم التى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اظهار انتقاما منه وهذا ايضا من جملة
معجزاته وذلك انه كان وحيدا فى قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم
من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله **انى توكلت على الله** اى
استنادى واعتمادى على الله الكريم **ربى وربكم** اى مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره تلخيصه انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله وواثق بكلاءته
وحفظه ثم برهن على ثقته بالله بقوله **ما من دابة** ونسمة تدب على الارض من بنى ادم وغيره

الا هو آخذ بناصيتها اى انه تعالى هو مالكها والقادر عليها ويقهرها لان من اخذت
بناصيته فقد قهرته والناصية مقدم الراس ويسمى الشعر الذى عليه ناصية للمجاورة
وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا فى كلامهم فاذا وصفوا انسانا
بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه
جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعتدوا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم
ان ربى على صراط مستقيم اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم
قال الشيخ معناه ان ربى وان كان قادرا وانتم فى قبضته كالعبد الذليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم
ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه والمسئ بعصيانه وقيل
معناه ان ربى هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربى يحملكم على صراط مستقيم واخرج ابن ابى حاتم
عن يحيى بن سعيد قال ما من احد يخاف لصا عاديا او سبعا ضاريا او شيطانا ماردا فيتلو هذه الاية
انى توكلت على الله الى قوله على صراط مستقيم الا صرف عنه **فان تولوا** اى فان تتولوا وتعرضوا عن
الايمان بما ارسلت به **فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم** اى فقد اديت ما على من الابلاغ والزام
الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم تلخيصه فان تتولوا فانى لم اعاتب
بانه لم يقع منى تقصير فى تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم فى قبول ذلك **ويستخلف** بالرفع اى
يستبدل **ربى قوما غيركم** اى خيرا منكم يعنى انكم ان اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به
اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى
عذاب الاستيصال فهو استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين فى ديارهم
واموالهم وقيل انه عطف على الجواب بالفاء اى فقد يستخلف لكم ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع
وكانه قيل فان تتولوا يعذرنى ويستخلف وفى اقتصار اضافة الرب عليه صلى الله عليه وسلم
رمز الى اللطف به والاهلاك للمخاطبين **ولا تضرونه شيئا** يعنى بتوليكم انما تضرون انفسكم
لاستحالة الضر على الله ومن جزم يستخلف اسقط منه النون وقيل معناه لا تنقصونه شيئا
اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء **ان ربى على كل شىء حفيظ** يعنى ان ربى
حافظ لكل شىء فيحفظنى من ان تنالونى بسوء او انه رقيب ومهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مجازاتكم ومؤاخذتكم ومن كان هذا شانه لا يمكن ان يلحقه ضرر منكم ومن امثالكم **ولما
جاء امرنا** اى عذابنا او امرنا باهلاكهم وهو ما نزل بهم من الريح العقيم الشديد الغليظ
عذبهم الله تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهى الايام النحسات تدخل فى مناخرهم وتخرج
من ادبارهم وتصرعهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية **نجينا هودا
والذين امنوا معه** وكانوا اربعة الاف على ما عليه المفسرون **برحمة منا** اى بهداية
وفضل ونعمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما نجى الله المؤمنين
من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه **ونجيناهم من عذاب غليظ** يعنى الريح التى
هلكت بها عاد وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين

عذاب الدنيا والاخرة والحاصل ان المراد بالنجاة الاولى هو النجاة من عذاب الدنيا وهو الريح العقيم
السموم المذكورة وبالثانية هو النجاة من عذاب الاخرة ايضا والمعنى انه تعالى كما انجاهم من عذاب
الدنيا ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا
ثم لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال **وتلك عاد** اشار الى اثار قوم هود الهالكين
في طريق الشام اى تلك الاثار اثار عاد يا اهل مكة فسيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم ثم وصف حالهم بقوله **جحدوا**
بايات ربهم اى كفروا بالايات والعلامات الدالة على توحيده والمعجزات الدالة على صدق رسوله
هود عليه السلام **وعصوا رسله** يعني هودا وحده وذكره بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب
رسولا واحدا فقد كذب كل الرسل لاتفاق كلمتهم على التوحيد **واتبعوا امر كل جبار عنيد**
يعني ان السفلة والسقاط من قوم هود اتبعوا الرؤساء والمراد بالجبار الرفيع في نفسه المتكبر المتمرد
على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه قيل الجبار هو الذي يضرب ويقتل عند الغضب
والعنيد لا يقبل الحق فلا يقبله وان عرفه والمعنى انهم عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دعاهم الى الكفر وما يرديهم هذا هو جرمهم ثم بين عقوبة تلك السفلة بقوله **واتبعوا في هذه**
الدنيا لعنة ويوم القيمة يعني جعلت اللعنة لازمة تابعة لاحقة لهم في الدارين يعني لا تفارقهم
واين ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيث داروا بسبب اتباعهم لرؤسائهم الضالين المضلين
الملعونين في الكفر والطرد والابعاد من رحمة الله واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن السدي في قوله
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال لم يبعث نبي بعد عاد الا لعنت عاد على لسانه واخرج ابو
الشيخ عن مجاهد في قوله واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال لعنة اخرى واخرج ابن المنذر وابو الشيخ
عن قتادة في الاية قال تتابعت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة ثم ذكر السبب الذي
استحقوا به هذه اللعنة فقال تعالى **الا ان عادا كفروا ربهم** اى كفروا بربهم يعني جحدوه فاجرى
كفروا مجرى جحدوا فعدي بنفسه كما ان جحدوا اجرى مجرى كفروا فعدي بالباء في قوله جحدوا بايات
ربهم **الا بعدا لعاد** اى بعدا من رحمة الله وهلاكا لهم دعا عليهم باللعن بعد هلاكهم ليدل
على استحقاقهم له بغيا وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم فان قلت
اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لان الثاني هو الاول قلت الفائدة
فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له **قوم هود** عطف
بيان لعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين
عاد الاولى القديمة الذين هم قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق وفي الاسرار وعاد
الثانية هم قوم صالح فاتى بقوله قوم هود لنزول الاشتباه وجواب اخر هو ان المبالغة في التنصيص
تدل على تقوية التاكيد **والى ثمود** اى ولقد ارسلنا الى ثمود العماد الصم وهم سكان الحجر **اخاهم** في
النسب لا في الدين **صالحا** عليه السلام ليسمعهم ويبصرهم عبادة الله وتوحيده اذ **قال يا قوم**
اعبدوا الله اى وحدوا الله وخصوه بالعبادة **ما لكم من اله غيره** يعني هو الهكم المستحق
للعبادة

للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال **هو انشاكم**
من الارض اى هو خلقكم وكونكم من الارض لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله
منها من التراب وتخصيصه ان الله خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم وادم خلق من الارض **و**
استعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم
يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد اعمركم من العمرى اى جعلها لكم ما عشتم
وفي الغاية معناه امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اى سكانها واستبقاكم فيها من العمر او من العمرى
وهي ان يقول الرجل اعمرتك هذه الدار اى لك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم فيها
دياركم وهو يرثها منكم ويرجع بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم لان من ورث غيره فكانه اعمره اياها وفي
المدارك وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من
الظلم فسال نبي من الانبياء في زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش
فيها عبادي **فاستغفروه** اى من ذنوبكم فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم
من التفريط **ثم توبوا اليه** من الشرك والمعاصي ثم ذكر موجب الاستغفار والتوبة فقال **ان**
ربي قريب اى قريب الرحمة او قريب من المؤمنين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال
السيوطي انه قريب من خلقه بعلمه **مجيب** لمن دعاه وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم
ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهما
في الوجود اعني الاجابة ثم لما قرر صالح عليه السلام هذه الدلايل **قالوا يا صالح قد كنت**
فينا مرجوا قبل هذا اى قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا
لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا
فلما اظهرهم دعاهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه قال الشيخ معناه كنا نرجو منك
الانتفاع بك في ديننا وتدبير امورنا قبل ان تدعونا الى دين غير دين ابائنا فلما نطقت بهذا القول
انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك قال ابن عباس يعني مرجوا يعني قد كنت فينا فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا **اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا** اى ما عبدوه من الالهة والعدول الى صيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية تمسكوا بطريق التقليد ونظير تعجبهم هذا ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة
في قوله اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب **واننا لفي شك مما تدعونا اليه**
من التوحيد والتبري من الاوثان **مريب** يعني انا مرتابون في قولك اى موقع في الريبة فهو
اسم فاعل من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة والتهمة فهو متعد
او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة فهو لازم والاسناد مجازي **قال يا قوم** اى قال صالح عليه
السلام مجيبا لقومه يا قوم **ارايتم** اى اخبروني **ان كنت** في الحقيقة **على بينة** اى حجة
ظاهرة وبصيرة ويقين وحرف الشك باعتبار المخاطبين **من ربي** اى من مالكي ومتولي امري والاضافة
للتشريف **واتاني** اى واعطاني **منه** اى من لدنه **رحمة** اى نبوة وحكمة فانها فضل من الله قال الاستاذ
اتى بان للشك مع انه عليه السلام على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على

بينة من ربي وآتاني منه رحمة على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم ووافقت هواكم وعصيت ربي في اوامره
فمن ينصرني من الله اي فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته اي ان خالفت امره في تبليغ
رسالته لدينكم الباطل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي يعني بما تقولون لي وتأمروني به و
تحملونني عليه غير تخسير اي غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران قال ابن عباس معناه فما تزيدونني غير بصارة في خسارتكم
وقال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما
تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة كما اشرنا واخرج ابن جرير وابو الشيخ عن مجاهد فما
تزيدونني غير تخسير يقول ما تزدادون انتم الا خسارا واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن عطا
الخراساني فما تزيدونني غير تخسير قال ما تزيدونني بما تصنعون الا شرا لكم وخسرانا تخسرونه
والله اعلم ويا قوم هذه اي هذه الناقة مع انها ناقة الله والاضافة للتشريف كبيت الله
وعبد الله وللتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الصفة وذلك
ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل
فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها قوله تعالى لكم اي خاصة لكم
بدل دوابكم تعيد فوائدها مع فوائد الاخروية لكونها آية اي معجزة دالة على صدقي وهي حال من
ناقة الله وعاملها معنى الاشارة ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت
صفة لها والحاصل هذه لكم آية فلو تأذت منها دوابكم وامتنعت من الرعي فذروها تأكل
في ارض الله اي ترع عشبها وكلأها ونباتها وتشرب ماءها فان ناقة الله اولى بان ترعى
بارضه من دوابكم وان كانت دوابكم عندكم اولى ولا تمسوها بسوء يعني بعقر ونحوه
لانتسابها الى الله فيأخذكم ان عقرتموها عذاب قريب اي عاجل لا يتراخى عن مسكم لها
بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فذار بامرهم قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم
وصدقة بنت المختار واقتسموا لحمها فرقي سقبها اي فصيلها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال
صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها
وقد تقدم قصتها مفصلا فقال لهم صالح توبيخا وتهديدا تمتعوا في داركم اي عيشوا في
منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك يعني العذاب
الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اي هو غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه
مجرى المفعول به ومثله يوم مشهود وكقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا والاصل شهدنا فيه
او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير
كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول والميسور والمفتون روي انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد
ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة
فكان كما قال واتاهم العذاب في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جاء امرنا اي عذابنا او امرنا
بنزوله وفيه من التهويل ما لا يخفى نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا

برحمة اي بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح عليه السلام النبوة والى المؤمنين
الايمان قال الاستاذ برحمة منا اي بنعمة بان هديناهم الى الايمان فآمنوا ومن خزي يومئذ
اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة
فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا قرأ نافع والكسائي
هنا وفي المعارج قوله من عذاب يومئذ بفتح الميم على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه والباقون
بكسر الميم لاضافة الخزي اليه قال الاستاذ والوجهان جائزان لان ظرف الزمان متى اضيف الى مبني
جاز فيه الاعراب والبناء ان ربك اي ان ربك يا محمد هو القوي هو القادر على كل شيء وعلى
انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين العزيز الغالب القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم
صالح فقال واخذ الذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بالكفر بالرسل الصيحة وذلك ان جبريل
صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت
كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا اي فصاروا في ديارهم
جاثمين اي صرعى هلكى وجثومهم سقوطهم على وجوههم قد سبق تمام تفسيرهم في سورة
الاعراف فراجعه كأن مخففة واسمها محذوف اي كانهم لم يغنوا اي لم يقيموا فيها
اي في تلك الديار ولم يسكنوها مرة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت فيه ألا ان ثمود
وضعه موضع المضمر لزيادة البيان كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق
من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد قرأ حفص وحمزة ان
ثمود ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بفتح الدال من غير تنوين وقرأ الباقون بنصب الدال وبالتنوين
وقوله ألا بعدا لثمود منعه القراء من الصرف فقرأوه بنصب الدال بغير التنوين الا الكسائي
فانه صرفه ونونه بخفض الدال فمن منع الصرف جعله اسما للقبيلة ومن صرف جعله اسما للحي
او للاب الاكبر وانما جاز صرفه وترك صرفه اختير الصرف في النصب دون الرفع والجر لان النصب
اخف الحركات ثم لما ذكر الله قصة ثمود ذكر بعدها القصة الرابعة فقال ولقد جاءت
رسلنا ابراهيم صدرت بكلمة قد لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد
للتوقع ودخلت اللام فيها لتأكيد الخبر ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة واختلفوا في عددهم
فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك
كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال كعب بن محمد القرظي كان جبريل ومعه سبعة
املاك وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى
لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به قوله تعالى بالبشرى
اي بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في ... قالوا
ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم
سلاما اي سلمنا عليك سلاما او نسلم عليك سلاما فسلاما منصوب على المصدر بفعل
محذوف ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال الاستاذ ان الملائكة سلموا سلاما قال

اى ابراهيم سلام اى امركم سلام او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه ابراهيم اجابة باحسن
من تحيتهم حيث دلت تحيتهم على التجدد وتحيته على الثبات والاستمرار وقرا حمزة والكسائى سلم بكسر
السين واسكان اللام والباقون بفتح اللام والف بعدها وفتح السين وكذلك فى الذاريات وهما لغتان
كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح اى نحن سلم صلح لكم غير حرب قال ابن الخطيب قوله سلام عليكم
بالتنكير يدل على الكمال والتمام كانه قيل سلام كامل تام عليك لان التنكير يفيد المبالغة والتمام بخلاف
قوله السلام عليكم فانه لا يفيد الا الماهية ونظيره قوله تعالى سلام عليك ساستغفر لك ربى
وقوله سلام قولا من رب رحيم وقوله والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واما
قوله والسلام على من اتبع الهدى فالمراد منه الماهية والحقيقة قوله فما لبث ما نافية
والضمير لابراهيم او فاعله ان جاء والتقدير ما ابطا ولا تاخر مجيئه عليه السلام بعجل
اى ولد بقر حنيذ اى مشوى على الحجارة المحماة فى حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية
وكان سمينا يسيل منه الودك من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله بعجل سمين قال
قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لم ياته
ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءه الملئكة راى اضيافا لم ير مثلهم
قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوى فلما راى ايديهم يعنى ايدى الاضياف لا
تصل اليه اى لا يمدون الى العجل المشوى للاكل نكرهم اى انكر ذلك منهم امتناعهم من الطعام
وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى على ما قال البيضاوى قال الاستاذ وانما انكر
ذلك منهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير قوله نكرهم حين
لما وهذا صريح فى ان انكاره عليه الصلاة والسلام اياهم كان بعدما راى انهم لم يمدوا ايديهم
الى الطعام والظاهر من قوله تعالى قال سلام قوم منكرون انه كان قبل ذلك والتوفيق بين الايتين
انه عليه السلام انكرهم بعينه حين لاقاهم ونكرهم بقلبه بعدما راى منهم امارة الخوف قال ابو العالية
يقال نكره بقلبه وانكره بعينه قوله تعالى واوجس منهم خيفة اى ادرك ووقع فى قلبه
خوف منهم الايجاس الادراك والوجس هو رعب القلب وفى القاموس قوله تعالى فاوجس فى
نفسه اى احس وانما خاف ابراهيم صلى الله على محمد وعليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من
الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملئكة وقيل ان ابراهيم عرف
انهم ملئكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم
يعرف انهم ملئكة فى اول الامر ويدل على صحة هذا انه صلى الله عليه وسلم قدم اليهم الطعام ولو
عرف انهم ملئكة لما قدمه اليهم لعلمه ان الملئكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم
ملئكة لما خافهم فلما رات الملئكة خوف ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد من صلى على محمد وصلى
الله عليه وسلم عدد خلق الله بدوام الله قالوا لا تخف يا ابراهيم انا لا ناكل ولا نشرب لانا
ملئكة الله ارسلنا الى قوم لوط لنهلكهم وامراته سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وهى بنت هاران بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم قائمة من وراء الستر تسمع
كلامهم

كلامهم وقيل كانت قائمة فى خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان
العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال الشاعر وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ولم
تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء قال السدى لما قرب
ابراهيم عليه السلام الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا انا
لا ناكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه
على اخره فنظر جبريل عليه السلام الى ميكائيل عليه السلام وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا
وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم واصل الضحك انبساط الوجه من سرور
يحصل للنفس ويستعمل فى السرور المجرد وفى التعجب المجرد ايضا واكثر المفسرين على ان الضحك هو المعروف
بين الناس ولهذا انكر الفراء والزجاج وابن الانبارى وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت
وقد عرفه غيرهم وانشد تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب بها يستهل وقال
الاخطل تضحك الضبع من دماء سليم اذ راها على الحراب تمور وقال ايضا فى هذا المعنى
وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا وقال فى هذا المعنى ايضا انى لاتى العرس
عند طهورها واهجرها يوما اذا تك ضاحكا واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابى
حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس فضحكت قال فحاضت وهى بنت ثمان وتسعين سنة واخرج ابن جرير
عن مجاهد فضحكت قال حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه السلام ابن
مائة سنة واخرج ابو الشيخ عن ابن عمر فى قوله فضحكت قال حاضت والله اعلم قوله تعالى فبشرناها
باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل
عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب انه معطوف على موضع باسحاق او على
اسحاق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد كل من الاحتمالين للفصل بين المعطوف وهو يعقوب
وبين ما عطف هو عليه وهو اسحاق بالظرف وهو من وراء اسحاق وقرا الباقون بالرفع
على انه مبتدا وخبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده والجملة الاسمية حال داخلة فى البشارة
اى فبشرناها باسحاق متصلا به يعقوب بان يولد منه والمعنى من بعد اسحاق يعقوب وهو ولد
الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها واخرج ابن الانبارى فى كتاب الوقف
والابتداء عن حسان بن ابجر قال كنت عند ابن عباس فجاء رجل من هذيل فقال له ابن عباس
ما فعل فلان قال مات وترك اربعة من الولد وثلثة من الوراء فقال ابن عباس فبشرناها باسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب قال ولد الولد فلما بشرت بالولد صكت وجهها اى ضربت وجهها
وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتى اصله
يا ويلتاه وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا واصله فى الشر
ثم اطلق فى كل امر فظيع عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة ولذلك امال الالف عاصم وابو عمرو
وقرئ يا ويلتى بالياء على الاصل االد وانا عجوز بنت تسعين فى قول ابن اسحاق قال

مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة ولم تدخلها التاء لان هذا اللفظ وضع للانثى وهذا
بعلى اى وهذا الذى تشاهدونه زوجى واصل البعل القايم بالامر يعنى المستعلى على غيره ولما
كان الزوج مستعليا على الزوجة قايما بامرها سمى بعلا بذلك شيخا وكان سن ابراهيم
يومئذ ماية وعشرين سنة فى قول محمد بن اسحاق وقال مجاهد ماية وعشرين سنة وكان
بين البشارة والولادة سنة ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرى بالرفع
على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل من هذا ان هذا
لشئ عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجب عادة من كون الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة
يولد لهما قالوا اى قالت الملئكة لسارة اتعجبين من امر الله اى لا تعجبين يا سارة كما
النساء من قدرة الله فان خوارق العادات والكرامات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقلا فضلا
عمن نشات وشابت فى ملاحظة الآيات رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يعنى
بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملئكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان
ازواج الرجل من اهل بيته واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم
اغفر لنا ايتها العصابة انه اى ان الله حميد اى محمود فى جميع فعاله مجيد كثير الخير
والاحسان واسع الكرم ثم انه تعالى لما فرغ من قصة ابراهيم شرع فى قصة لوط عليه السلام
فقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملئكة
من الاكل واطمان قلبه بحقيقتهم الملكية وجاءته البشرى بالولد بدل الخوف يجادلنا
فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا او جعل يجادلنا قيل معناه يكلمنا ويسالنا لتخصيصه جادل
رسلنا فى شان قوم لوط لان العبد وان كان خليلا لا يقدر ان يجادل ربه قال الحسن
هذا الجدال هو قوله ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وسماه جدالا لانه كان
يحرص فى السوال حرص المجادل وجواب قوله فلما محذوف وقوله يجادلنا حال اقيم مقام الجواب
تقديره اقبل علينا يجادل لا رسلنا او كلام مستانف دال على الجواب المحذوف مثل شرع فى جدالنا
او جواب لما جئ به مضارعا على حكاية الحال الماضية استحضارا لصورة المجادلة او المضارع
الواقع فى سياق جواب لما يكون بمعنى الماضى بان ترده لما الى معنى الماضى كما ترد كلمة لو ما وقع فى حيزها
من المضارع الى الماضى وفى تفسير ابن الخازن وكانت مجادلة ابراهيم مع الملئكة انه قال لهم ارايتم لو
كان فى مداين قوم لوط خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون
قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا
لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين
وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا ويرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى
قال ابن جريج وكان فى قرى قوم لوط اربعة الاف الف ان ابراهيم لحليم اواه منيب
قوله حليم اى لا يستعجل فى مكافاة من يؤذيه فيحتمل جهل السفهاء غير عجول على الانتقام منهم

وقوله اواه اى هو كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس وقوله منيب اى رجاع الى الله
تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه وقد تقدم تفسير
هذا فى سورة التوبة فراجعه قوله تعالى يا ابراهيم على ارادة القول اى قالت الملئكة يا ابراهيم اعرض
عن هذا اى اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه اى ان الشان قد جاء
امر ربك اى جاء قدره بمقتضى قضايه الازلى بعذابهم وانهم اتيهم
عذاب غير مردود اى غير مصروف عنهم بجدال ولا بدعاء وشفاعة اشار بهذا الى
ان القضاء اذا كان معلقا يدفع بالدعاء وغيره واذا كان مبرما فهو غير مردود قوله تعالى
ولما جاءت رسلنا لوطا اى لما اتوه من عند ابراهيم وحالهم وكان بين قرية ابراهيم
وقوم لوط اربعة فراسخ سيء بهم اى تحزن لوط بسبب مجيئهم وساءه ذلك بقومه لانه
راهم على صورة غلمان مرد حسان الوجوه فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه
فيعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائى سيء وسيئت باشمام السين الضم وفى العنكبوت
والملك والباقون باخلاص حركة السين قوله تعالى وضاق بهم ذرعا اى ضاق بمكانهم وبمجيئهم
ذرعه اى صدره وقلبه وهو كناية عن حزنه وشدة انقباضه للعجز عن مدافعة المكروه عن
اضيافه يقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع فى مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه
السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم
بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم وقال اى لوط هذا يوم عصيب اى
شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء اى شد به ماخوذ من العصابة التى يشد بها الراس وقال
قتادة والسدى خرجت الملئكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل
فى ارض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملئكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال
اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله
وقيل انه لما حمل الحطب ومعه الملئكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان
قومى شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على
جماعة اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا القول
قال جبريل للملئكة اشهدوا وقيل ان الملئكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم
يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان فى بيت لوط
رجالا ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم وفى الدر المنثور واخرج سعيد بن منصور وابن
المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما جاءت رسل الله لوطا ظن انهم
ضيفان لقومه فادناهم حتى اقعدهم قريبا وجاء ببناته وهن ثلثة فاقعدهن بين ضيفانه
وبين قومه وجاءه قومه يهرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من
اضيافه وقيل يهرعون وقيل هو مشى بين مشيين يعنى بين الهرولة والجمز واخرج الطستى

عن ابن عباس ان نافع بن الازرق قال له اخبرني عن قوله عز وجل يهرعون اليه قال يقبلون اليه بالغضب
قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم اما سمعت الشاعر وهو يقول اتونا يهرعون وهم اسارى نسوقهم
على رغم الانوف ﴿ومن قبل﴾ اى ومن قبل ذلك الوقت يعني من قبل مجيء الرسل اليهم او من قبل مجيئهم الى
لوط ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ يعني الفعلات الفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم فخصلة
انهم تعودوا بالفواحش ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين بها ﴿قال﴾ لهم ولضيفهم
يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم ﴿يا قوم هؤلاء بناتي﴾
قال قتادة المراد بناته لصلبه احديهما رغوثا والاخرى ريثيا او ربوثا فدى ووقى بها او بهن
ان كانت اكثر كما مر انفا اضيافه كرما وفتوة وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن
فلا يجيبوهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا الحرمة للمسلمات على الكفار فانه شرع طار لان تزويج
المسلمات الى الكفار كان جائزا في شرع لوط وهكذا كان في اول الاسلام بدليل انه صلى الله عليه وسلم
زوج ابنته زينب من ابي العاص بن وائل وزوج ابنتيه من ابني ابي لهب عتبة وعتيبة
قبل الوحي وهم كفار ثم نسخ ذلك بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وفي الغاية والاستدلال
بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي العاص بن الربيع مبني على كونه متعبدا بشرع من قبله في
الباب وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقيل انه كان في ذلك الوقت
وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المراة المسلمة بالكافر وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد نساء قومه
واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب
ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كانتا اثنتين على ما عليه اكثر المفسرين وليستا بكافيتين
للجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على اعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك على
بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه
سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق انتهى بحروفه والله اعلم وفي الاسرار ما نصه وفي قراءة ابي
وابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وهذا القول اولى
لان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لا يليق باهل المروة فكيف
بالانبياء وايضا فبناته من صلبه لا تكفي الجمع اما بنات امته ففيهن كفاية للكل وايضا فلم يكن
له سوى بنتين واطلاق البنات على البنتين لا يجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلثة انتهى بحروفه والله
اعلم بحقيقة الحال وفي المدارك وقيل كان لقوم سيدان مطاعان فاراد لوط ان يزوجهما بنتيه قلت
وذلك بشرط اسلامهما كان ذلك جائزا في شرعه قوله ﴿هن اطهر لكم﴾ اى طاهر وحل لكم
لا الاطهر من باب افعل التفضيل وهنا سوال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل
التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه من اتيان الرجال في الادبار طاهر ومعلوم انه محرم
فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السوال ان هذا جار مجرى
قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم
لما قالوا يوم احد اعل هبل قال الله اعلى واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل وبين الصنم
فانما

فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظائر كثيرة قال البيضاوي معناه انظف فعلا او اقل فحشا كقولك
الميتة اطيب من المغصوب واحل منه انتهى قال الاستاد القول بان ذلك اقل فحشا مبني على تجويز اذنه
على السفاح [illegible] ولا يقوله متدين وقال الشيخ معناه المبالغة في الطهارة لا التفضيلهن على من
رامونه وقرئ اطهر بالنصب فعلى القراءة المشهورة وهي الرفع يكون قوله هؤلاء بناتي جملة من مبتدا وخبر
وكذلك هن اطهر لكم وعلى الشاذة يكون قوله هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو لا ضمير فصل فانه
انما يقع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وصاحبها وفي المدارك هؤلاء مبتدا وبناتي عطف بيان
وهن ضمير فصل واطهر خبر المبتدا او بناتي خبر وهن اطهر مبتدا وخبر وما ذكرنا من اختلاف المعاني
والاعراب فانما هو بحسب الاراء القرايح قوله تعالى ﴿فاتقوا الله﴾ اى خافوا الله واتقوه بترك الفواحش
والكفر والعصيان او فاتقوا الله بايثارهن عليهم ﴿ولا تخزون في ضيفي﴾ قرا ابو عمرو ونافع
بالياء باثبات ياء الاضافة على الاصل والباقون بحذفها للتخفيف دلالة الكسرة عليه والمعنى ولا تفضحوني
في اضيافي ولا تفضحوني معهم من الخزي وهو الهوان فان اخزاء ضيف الرجل اخزاء له او ولا تخجلوني
من الخزاية بمعنى الحياء ﴿اليس منكم رجل رشيد﴾ يهتدي الى الحق الصريح ويجتنب عن الباطل القبيح
فيرشد اصحابه اليه ويمنعهم عنه قاله تعجبا من حالهم وقال عكرمة معناه رجل يقول لا اله الا الله وقيل
رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح ﴿قالوا لقد علمت ما لنا في
بناتك من حق﴾ اى ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة او ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين
نكاحهن او ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك ﴿وانك لتعلم
ما نريد﴾ وهو اتيان الذكران في ادبارهم فقصدنا ذلك ﴿قال﴾ لوط عليه السلام ﴿لو ان لي بكم قوة﴾
اى لو اني اقدر بنفسي على دفعكم عن ضيفي لقاتلتكم ﴿او اوي﴾ اى التجئ وانضم ﴿الى ركن﴾ اى جند وعشيرة
﴿شديد﴾ اى قوي امتنع به عنكم لاوت شبه القوي الابد والناصر العزيز بركن الجبل في الشدة والمنعة و
جواب لو لقاتلتكم كما قدرنا ويحتمل ان يكون لو للتمني فلا يحتاج الى الجواب ﴿ق﴾ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت
وفي رواية الترمذي ولو لبثت في السجن طول لبث يوسف لاجبت الداعي يعني لخرجت من الحبس وذهبت مع
الساقي ولا قول له ارجع الى ربك قال الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل
فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له
عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة
في الدفع بنفسي او اوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع
المكروه عنهم قال الاستاد كان نبينا صلى الله عليه وسلم استغرب من لوط قوله او اوي الى ركن شديد لانه يوهم
من قوله والياس من ان يكون له ناصر والحال انه لا ركن اشد من الركن الذي كان ياوي اليه وهو الله والجواب انه
عليه السلام قاله غلبة بداهة وخجالة من الاضياف واما في حديث يوسف عليه السلام بيان فضل يوسف
وبيان قوة صبره وثباته انه لما جاءه رسول الملك بارسال الملك اليه وقال اخرج من الحبس وارجع الى الملك لانه
استحسن تخبيرك وهو راض عنك فابى يوسف وصبر وقال ارجع الى ربك فلم يخرج مع غموم ما دنا الى الراحة فلهذا

اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف وقال ولو لبثت في السجن الحديث اقول ولا يا خذك الغفلة فتقو
في قوله عليه السلام لاجبت الداعي بان يوسف عليه السلام كان اثبت واصبر من نبينا صلى الله عليه وسلم
بل قاله تواضعا كما هو خلقه او في هذه القضية خاصة او لامر هو يعلمه والشاهد على قولنا بان
نبينا صلى الله عليه وسلم كان اصبر من يوسف ما قاله الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف
لولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن يعني قوله اذكرني عند ربك وهذا الحديث صريح بان نبينا لو نزل به
ما نزل بيوسف ما كان يقول اذكرني عند ربك وهذا الحديث له شان واي ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند
وقال مالك بن دينار لما قال يوسف عليه السلام للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني
وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة وكان الحسن يبكي ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقد ذكر ابن خازن حديث الثعلبي في سورة يوسف وذكر فيه كلاما
اخر فراجعه وقرئ آوي بالنصب باضمار ان فلما حذفت ان رفع الفعل فيكون معطوفا على قوة كانه قال
لو ان لي بكم قوة او اويا قال ابن عباس اغلق لوط بابه والملائكة في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من
وراء الباب وهم يعالجون سور الجدار فلما رات الملائكة ما يلقى لوط من الكرب بسببهم قالوا اي الملائكة
يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك بسوء يعني لن يصلوا
الى اضرارك باضرارنا فهون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها فلا يا تيك منهيها ولا قاصر عنك
مامورها ودعنا واياهم فافتح الباب ففتح فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في
عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منضود
وهو براق الثنايا اجلى الجبين وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فنشر
بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم
يقولون النجاة النجاة في بيت لوط اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى
تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك وذلك قوله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا
اعينهم اي اعميناهم ومحوناهم فاسر باهلك اي باهل بيتك الباء للحال اي مصاحبا لهم قرا
ابن كثير ونافع بهمزة الوصل حيث جاء في القران من السرى والباقون بالقطع من الاسراء وكلاهما
بمعنى لان الاول هو السير في اخر الليل والثاني في اوله كما قاله الليث لاستلزامه المنافات بين
القراءتين ولا يقال في النهار الا سار والفاء لترتب الاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود
الامر والنهي من جنابه تعالى اليه عليه السلام قوله بقطع من الليل الباء فيه للحال اي مصاحبين
بطائفة وبقية منه على ان المراد به ظلمة الليل وقيل الباء فيه بمعنى في اي اخره ليلا لتسبقوا نزول
العذاب الذي موعده الصبح ولا يلتفت منكم احد اي لا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر
الى خلفه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط اي لا تدع منهم احدا يتخلف الا امراتك
فانها من الملتفتات فيهلك مع من هلك من قومها قرا ابن كثير وابو عمرو برفع التاء والباقون بنصبها
والاستثناء يجوز ان يكون من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا
امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب نافى
ذلك

ذلك قراءتهما بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها
او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع
لا يصح حملها على المعنى المتناقض ولكن الاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله
في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الاقوى فان الفصيح
وان كان البدل اقوى ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك
علله على طريقة الاستئناف بقوله انه اي الشان مصيبها ما اصابهم من العذاب ولا يحسن
جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع لان المستثنى يجب نصبه على لغة اهل الحجاز وهو المختار ورفعه
لغة بني تميم فقال لوط لجبريل متى وقت هلاكهم فقال ان موعدهم الصبح فقال انه بعيد اريد
اسرع من ذلك فقال اليس الصبح بقريب استفهام بمعنى الاثبات فلما خرج لوط من قريته واخذ
اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما سمعت هدة العذاب
وهو المختار ورفعه لغة بني تميم فقال لوط لجبريل متى وقت هلاكهم نزل بهم التفتت وصاحت
واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة
والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما
جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح او امرنا بالعذاب ويؤيده الاصل فان الاصل في
الامر انه يكون مصدرا وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها اي عالي مدائنهم
سافلها فانه جواب لما وكان حقه ان جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسنده الله الى نفسه
من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط
وهي خمس مدائن اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها اربعمائة الف
وقيل اربعة الاف الف فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب
ولم يكفا لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا عليها اي على
المدن واهلها او على شذاذها ومنفرديها ومن كان خارج مدنهم من مسافريها حجارة من
سجيل اي من طين متحجر لقوله تعالى حجارة من طين قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك
وكل يعني الطين المتحجر فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف
الى الفارسي مثل استبرق وسندس ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها
في الفاظهم فصارت عربية وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشددت وقال الضحاك يعني الاجر
وقيل سجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا وقيل اولها حجر واخرها طين وقيل اسم لما يتميز به
عن حجارة الارض وقيل من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين وقيل اصله من سجين اي من جهنم
فابدلت نونه لاما والاحسن من الاقوال كلها انه طين متحجر لقوله تعالى حجارة من طين قوله منضود
قال ابن عباس معناه متتابع بعضها بعضا وهو صفة لسجيل والنضد جعل الشي بعضه فوق بعض
معدا لعذابهم ومنه طلح منضود اي متراكب او نضد به اي الصق به والمراد وصف الحجارة بالكثرة
مسومة نعت ثان للحجارة لان من سجيل ايضا صفة لها والتسويم العلامة فتكون معلمة للعذاب وقيل

معلمة ببياض وحمرة او باسم من يرمى به قوله **عند ربك** اى فى خزاينه التى لا يتصرف فيها غيره او فى
حكمه وهو ظرف لمسومة وقيل صفة لها **وما هى** يعنى تلك الحجارة **من الظالمين** يعنى من
مشركى مكة وعن مجاهد يرهب بها قريشا ان يصيبهم ما اصاب القوم وعن السدى يعنى
من ظلمة العرب ان لم يومنوا فيعذبوا بها قال قتادة وعكرمة يعنى ظالمى هذه الامة والله ما اجار
منها ظالما بعد واخرج ابن ابى حاتم وابو الشيخ عن الربيع قال كل ظالم فيما سمعنا وقد جعل جزايه حجرا
ينتظر متى يومر ان يقع به تخويف الظلمة فقال وما هى من **ببعيد** فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفى الاية وعيد لكل ظالم فان التعريف للجنس يعم جميع الظالمين لكن سوق الكلام فى حق
قوم لوط فدخلوا فيه دخولا اوليا وفى الدر المنثور واخرج ابن ابى الدنيا فى ذم الملاهى وابن المنذر
والبيهقى فى شعب الايمان عن محمد بن المنكدر ويزيد بن خصفة وصفوان بن سليم ان خالد بن
الوليد كتب الى ابى بكر الصديق انه وجد رجلا فى بعض نواحى العرب ينكح كما تنكح المراة وقامت عليه بذلك
البينة فاستشار ابو بكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
ان هذا ذنب لم يعص الله به امة من الامم الا امة واحدة فصنع الله بها ما قد علم ارى ان
نحرقه بالنار فاجتمع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على ان يحرقوه بالنار فكتب ابو بكر الى خالد ان احرقه
بالنار ثم حرقهم ابن الزبير فى امارته ثم حرقهم ابن عبد الملك واخرج ابن المنذر عن ربيعة بن ابى
عبد الرحمن قال عذب الله قوم لوط فرماهم بحجارة من سجيل فلا يرفع تلك العقوبة عن عمل بعمل قوم
لوط قوله تعالى **والى مدين** هو اسم ابن لابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة التى هى
اولاده او اسم مدينة بناها مدين ابن ابراهيم فسميت باسمها والحى وارسلنا الى اولاد مدين او
الى اهل مدين **اخاهم** اى واحدا منهم **شعيبا** عطف بيان لاخاهم وفى المدارك وارسلنا شعيبا
الى ساكنى مدين او الى بنى مدين **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**
يعنى وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبياء عليهم السلام يبداون بالاهم
فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء فلهذا قال شعيب عليه السلام
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من
اهل مدين البخس فى الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهى تطفيف الكيل والوزن
فقال **ولا تنقصوا المكيال والميزان** والنقص فى الكيل والوزن على وجهين احدهما
ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر وهو
استيفاء الكيل والوزن لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا فى مال الغير وكلا الوجهين
مذموم فلهذا نهاهم شعيب عليه السلام عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
قال الاسناد معناه ولا تنقصوا الكيل الناس من المكيال والميزان يعنى مما يكال ويوزن
على طريق ذكر المحل وارادة الحال **انى اراكم بخير** اى موسرين فى نعمة تغنيكم عن
البخس وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول
النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا وهو فى الجملة علة للنهى ثم عقبت بعلة اخرى وهى قوله **وانى اخاف**

عليكم عذاب يوم محيط اى يحيط بكم فيهلككم وهو عذاب الاستيصال فى الدنيا او هو
عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفى الجامع معناه لا يشذ منه احد والا
احاطة العذاب بهم كاحاطة الدايرة بما فيها وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب
لاشتمال اليوم على ما وقع فيه من العذاب فهو من المجاز العقلى نحو نهاره صايم وقيل معناه عذاب
يوم مهلك من قوله واحيط بثمره قلت حاصله ولما كانت اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته
يستلزم احاطة تلك الحوادث واخرج ابن جرير وابو الشيخ عن ابن عباس فى قوله انى اراكم
بخير قال رخص السعر وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط قال غلاء السعر وقيل معنى اخاف
اى اعلم قوله تعالى **ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط** اى اتموهما بالعدل والتسوية
من غير زيادة ولا نقصان وذلك بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال فان الازدياد ايفاء فهو
مندوب غير مامور به وقد يكون ممنوعا كما فى الربوا اعاد الامر بالايفاء والاتمام بعد تقديم النهى
عن ضده وهو النقص دليلا على تاكيد وجوبه وهو كقولك صل قرابتك ولا تقطعها فيكون
الجمع بين الامر به والنهى عن ضده دليلا عليه وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل
يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى الايفاء دونها فتجب الزيادة حينئذ لان ما لا يتم
الواجب الا به فهو واجب **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** اى ولا تنقصوا الناس يعنى اموالهم
ولما خصص النهى عن التنقيص ثم امر بايفاء الحق فى الكيل والوزن عمم الحكم فى جميع الاشياء التى
يجب ايفاء الحقوق فيها بقوله ولا تبخسوا الناس اى فى قليل اموالهم وكثيرهم فيدخل فيه الكيل والوزن
والذرع وغير ذلك فعلى ما ذكرنا يعنى من قولنا ولما خصص الاخره لا تكرار بين قوله ولا تنقصوا
المكيال وبين قوله واوفوا المكيال وبين قوله ولا تبخسوا الناس لان الاول نهى عن النقص والثانى امر
بالايفاء والثالث يعم جميع الاشياء بل ظهر بهذا البيان الذى فى صورة التكرار فايدة وهى المبالغة
فى منعهم وزجرهم عما كانوا مصرين عليه من التطفيف فى الكيل والوزن ومنع حقوق الناس والبخس
فى جميع الاشياء **ولا تعثوا فى الارض مفسدين** اى لا تفسدوا ولا تسعوا فى الارض
بشدة الفساد العثى من عثى بكسر الثاء معناه اشد الفساد فيل نحو السرقة والغارة وقطع الطريق
والقتل وفى الغاية العثى الافساد وفايدة تقييده بالحال يعنى بمفسدين اخراج ما يقصد به الاصلاح
كاتلاف اموال اهل الحرب وهذا اعم من ولا تبخسوا لتناوله الجنس وغيره كما ان البخس اعم من الاول
لتناوله المقدار وغيره وفى الاسرار معناه لا تسعوا فيها بشدة الفساد فان العثو يعم تنقيص الحقوق
وغيره من انواع الفساد فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور
من المعاملات وبالعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما
فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وجعل البخس افسادا فى الارض لانه تبديل
لحكم الله تعالى فانه تعالى اصلح الارض بالمعاملات التى اذا عملوا بها اعتدلت احوالهم فمن غير هذا فقد
افسد وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم قوله تعالى
بقيت الله يعنى ما ابقى الله لكم من الرزق الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن واتمامهما بل بعد التنزه عن

جميع ما حرم الله عليكم خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف او معناه طاعة الله خير لكم لقوله تعالى
والباقيات الصالحات خير لكم او معناه ما ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم واحسن عاقبة واكثر
بركة مما يحصل لكم في الدنيا من مال الحرام بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان
زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات واخرج عبد الرزاق وابن جرير
وابن ابي حاتم عن قتادة في قوله بقيت الله خير لكم يقول حظكم من ربكم خير لكم قال الربيع معناه وصية
الله خير لكم وقال الحسن معناه رزق الله خير لكم من بخسكم الناس وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه
التي تكف عن المعاصي قال بعض مشايخ الصوفية رحمهم الله معناه اختيار محبة الله وترك ما سواه
وطلب الوصول اليه خير لكم من طلب الكثير وهو ما سواه فان طلب ما سواه معقب الوبال واضافة البقية
الى الله للتشريف **ان كنتم مؤمنين** اي بشرط كونكم مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم
عنه فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة من العقاب وذلك مشروط بالايمان لان الكافر وان
فرضنا نجاته من العقاب المرتب على البخس والتطفيف لكن لم يظهر تلك الفايدة ظهورها مع الايمان
لكونه مخلدا في النار وفيه اشارة الى عظم شان الايمان لان الشيء البين نفعه لم يعد بدونه
قوله تعالى **وما انا عليكم بحفيظ** يعني قال شعيب عليه السلام ما انا احفظكم يا قوم عن القبائح
او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد ازلت عذركم حين انذرت او لست
بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم وفي تقديم الظرف وايلائه حرف النفي وعيد بليغ
ثم **قالوا** من شدة تمردهم **يا شعيب اصلواتك تامرك** بتكليف **ان نترك ما يعبد
اباؤنا** من الاصنام قيل اراد بالصلاة اي دينك وايمانك لان الصلاة عماد الدين فعبر
عن الشيء باسم اعظم اركانه وقيل المراد بها الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلي للذي
يتلو السابق والمعنى ربك اي اتباعه هذا ولكن الاظهر ان المراد بها الاعمال المخصوصة لانه عليه
السلام كان كثير الصلاة فلذلك جمعوا وكانوا يقولون له ما تستفيد بهذا فيقول انها تامر
بالمحاسن وتنهى عن المساوي كما عرفه الله عباده بقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فقالوا له على وجه التهكم والاستهزاء به وبصلاته واخرج ابن عساكر عن الاحنف ان شعيبا
كان اكثر الانبياء صلوة اصلوتك تامرك الاية اجابوا شعيبا بهذا بعد ما امرهم بالتوحيد اشعارا بان
مثله لا يدعوا اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه
قرا حمزة والكسائي وحفص اصلاتك بالافراد والباقون بالجمع والمعنى اصلواتك تامرك بتكليف
ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يومر بفعل غيره وقوله **او ان نفعل في اموالنا ما
نشاء** عطف على ما في ما يعبد اباؤنا اي تامرك صلواتك يا شعيب بترك ما يعبد اباؤنا ويامرك ايضا
بترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان وقرئ بتاء الخطاب فيهما والمعنى اصلوتك
تامرك يا شعيب ان تفعل في اموالنا ما تشاء وتفعله في اموالهم هو امرهم بعدم التطفيف وايفاء الحق
وهو جواب النهي عنهما وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير يعني عن الاخذ في اطرافهم
كما ضيض زماننا من فعل اليهود واخرج ابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال
عذب

عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم وهو قوله او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وعن زيد بن اسلم
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء قال قرض الدراهم وهو من الفساد في الارض وعن سعيد بن المسيب قال
قطع الدراهم والدنانير المثاقيل التي قد جازت بين الناس وعرفوها من الفساد في الارض وعن ابن
زيد في قوله يا شعيب اصلواتك الاية قال نهاهم عن قطع هذه الدراهم والدنانير فقالوا انما هي اموالنا
نفعل فيها ما نشاء ان شئنا قطعناها وان شئنا احرقناها وان شئنا طرحناها قلت والحجون اذ ملقى
في الارض عشر معشار فساد زماننا نبهنا الله من نوم الغفلة وقسوة القلب **انك لانت الحليم الرشيد**
واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس انك لانت الحليم الرشيد قال يقولون انك لست بحليم ولا رشيد
قال قتادة انك لانت الحليم الرشيد استهزاء به وفي رواية عن ابن عباس ايضا ارادوا بانك لانت الحليم الرشيد
السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ الحية سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل
هو على بابه في الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم
وتلخيصه ان يكون قصدهم ومرادهم انك في الحقيقة موصوف بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى مثال
ما تكلم به مما الستنا عليه فانا كنا نرجو ان ننتفع بك وبسترشدك في التدابير فلما نطقت هذه الاقوال انقطع
رجاؤنا نظيره قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ويؤيده اتخاذ الجوابين اعني **قال** لهم شعيب **يا قوم
ارايتم** اي اخبروني **ان كنت على بينة من ربي** يعني على بصيرة وهداية وبيان اشار الى ما اتاه الله
من العلم والهداية والنبوة والكرامة عبرها عما اتاه الله ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه
غير مستند الى سند **ورزقني منه** اي من لدنه وباعانته بلا كد مني في تحصيله **رزقا حسنا** اي مالا
حلالا اشار الى المال الحاصل له من غير بخس ولا تطفيف وقيل اراد بالرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية
والمعرفة وجواب ان الشرطية محذوف اكتفي عنه بما ذكر في قصة صالح من قوله فمن ينصرني من الله ان
عصيته قال الاستاذ وتقدير الجواب ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال الصرف والهداية
والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة ان اخونه في وحيه او ان اخالفه في امره او اتبع الضلال
او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد
والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله نعم كثيرة قوله تعالى **وما اريد** بنهيي اياكم
عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف واخذ اطراف الدراهم والدنانير وغير ذلك من المعاصي **ان
اخالفكم** واذهب **الى ما انهاكم عنه** من البخس والتطفيف فارتكبه قال الشيخ معناه وما اريد
ان اقصدكم بعد ما وليتم عنه لاستقل به دونكم لو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان
انهاكم عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا وليت عنه
وهو قاصد له والمعنى بعبارة اخرى وما اريد ان استبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد واستقل
بها دونكم قال امام المفسرين فخر الدين الرازي وتحقيق الكلام في الاية ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد
وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه
عليه السلام قال لما عرفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطرق واصلحها
وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك فاعلموا

هذه الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه انى لست انهاكم عن شيء وادخل
فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله
وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا محض النصيحة
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اى ما اريد بما اباشره من الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فيما بيني وبينكم الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة الحسنة ما دمت استطيع الاصلاح وهو
الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من
يشاء ويضل من يشاء وما مصدرية واقعة موقع الظرف قال الاستاد ما المدة ظرف للاصلاح
اى مدة استطاعتي للاصلاح وقيل ما خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذي استطعته او اصلاح
ما استطعته بحذف المضاف وهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان
العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها
حق النفس وثالثها حق الناس فقال شعيب عليه السلام وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به
وانهاكم عما نهيتكم عنه هذا الذي وفقنا لهذه المعاني وما توفيقي الا بالله اى وما توفيقي
لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته وهو خلق قدرة الطاعة في العبد والظاهر انه
مصدر بمعنى المفعول اى وما كوني موفقا لاصابة الحق والهداية في امضاء اوامره فيما اعمل وادع
الا بتاييده واعانته وفي ضمنه تهديد الكفار وقطع لاطماعهم فيه لانه طلب التوفيق من الله
تعالى في امضاء امره التاييد والاظهار على عدوه واصل التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على
العبد ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت اى على الله
اعتمدت في جميع اموري على غيره فانه القادر المتمكن من كل شيء في حد ذاته وما سواه عاجز في
حد ذاته بل معدوم محض ساقط عن درجة الاعتبار او بمنزلته فان الوجود الامكاني بالنسبة
الى الوجود الواجبي الحقي ساقط ازلا وابدا عن درجة الاعتبار وقد فسر به قوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه وفيه اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ وقد ذكر
شيخنا عبد القادر الجيلاني قدس سره معرفة الصانع والتوكل في كتابه الغنية فراجعه وقد ذكر
القشيري معنى التوحيد في رسالته فراجعه وقد ذكر الغزالي في كتابه مشكوة الانوار ما يناسب
هذا المقام فقال حقيقة الحقائق من ههنا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع الحقيقة
واستكملوا معارجهم فراوا بالمشاهدة العيانية ان لا شيء في الوجود الا الله وان كل شيء هالك
الا وجهه لا انه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان
كل شيء سواه اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي يسري اليه
الوجود من الاول الحق رئي موجودا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود
وجه الله تعالى فلكل شيء وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم محض
وباعتبار وجه الله تعالى موجود فاذا لا موجود الا الله تعالى ووجهه تعالى فاذن كل شيء هالك الا وجهه
ازلا وابدا ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيمة ليسمعوا نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار

النهار بل هذا النداء لم يفارق سمعهم ولم يفهموا معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله
اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون اكبر منه بل ليس لغيره معه رتبة المعية بل رتبة التبعية
بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يقال انه اكبر
من وجهه بل معناه الله اكبر من ان يقال له اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر من ان يدرك غيره
كنه كبريائه نبيا او ملكا بل لا يعرف الله تعالى كنه معرفته الا هو بل كل معروف داخل
تحت سلطنة العارف واستيلائه وذلك ينافي الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب
المقصد الاسنى في معاني اسماء الله الحسنى انتهى بحروفه قلت وبهذه الحقيقة فسر البيضاوي واكابر
المفسرين قوله عليه توكلت بان ما عدا الله عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة
الاعتبار فلا توكل الا على الله قوله واليه انيب اى واليه ارجع فيما ينزل من النوائب وفي
جميع اموري في الدنيا والاخرة وفيه اشارة الى معرفة المعاد وهو يفيد الحصر ايضا بتقديم الجار
والمجرور على عامله وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق كما في التوكل لاستحضار
الصورة والدلالة على الاستمرار التجددي ولا يخفى في جوابه عليه السلام من مراعات لطف
المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد
الحق بطلب التوفيق فيما يأتيه به العبد ويذره من الله تعالى والاستعانة به في جميع اموره
والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بعداوتهم
وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء قوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اى لا يكسبنكم ولا
يحملنكم معاداتكم وخلافكم اياي وهو فاعل يجرمنكم ان يصيبكم اى عذاب العاجلة على كفركم
وافعالكم الخبيثة قرأ الجمهور لا يجرمنكم بفتح ياء المضارعة من جرم ثلاثيا وهو يتعدى الى واحد
والى اثنين مثل كسب وقرأ ابن كثير بضمها من اجرم وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد اذ لو
كان منقولا من المتعدي الى مفعولين لكان له ثلثة مفاعيل والاول افصح من الثاني لان اجرم اقل
دورانا على السنة الفصحاء وان يصيبكم مفعوله الثاني مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق قرأ الجمهور
بضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم وقرئ مثل بفتحها وفيها وجهان احدهما انها فتحة بناء وذلك
انه فاعل كحاله في قراءة الرفع وانما بني على الفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله تعالى انه لحق مثل ما انكم
تنطقون وثانيهما انه نعت لمصدر محذوف فالفتحة للاعراب والفاعل على هذا مضمر يفسره سياق
الكلام اى يصيبكم العذاب اصابة مثل ما اصاب الاية او قوم هود اى الريح التي اهلكتهم
او قوم صالح اى ما اصابهم من الرجفة والصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم لوط
منكم ببعيد اى منازلهم او زمن هلاكهم وتوضيح ذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم
وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة
من بلادهم فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او معناه انهم ليسوا ببعيد في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم انما بعيد وان كان خبرا عن جمع لاحد اوجه اما لحذف مضاف تقديره
وما اهلاك قوم لوط واما باعتبار موصوف مقدر خاص اى بمكان بعيد لان بلاد قوم لوط قريبة

من مدين واما باعتبار موصوف مقدر عام اى بشئ بعيد واما باعتبار استواء المذكر والمؤنث
فى بعيد وامثاله كقريب وقليل وكثير لورودها على زنة المصادر كالصهيل والنهيق واستغفروا
ربكم من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه من البخس والنقصان فى الكيل والوزن واخذ
اطراف الدراهم والدنانير وقد فسرنا هنا وان مر تفسير مثله فى اول السورة ان ربى رحيم
عظيم الرحمة بعباده اذا تابوا واستغفروا استغفر الله العظيم واتوب اليه ودود اى فاعل
بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة
وحث عليهما قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده
اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول معناه ان عباده الصالحين يودونه
ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمى قد قيل هو الواد لاهل طاعته اى الراضى
عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان الخطابى وقد يكون
معناه ان يودهم الى خلقه وقال السيوطى ودود اى محب لهم قالوا ايذانا بقلة المبالاة يا
شعيب ما نفقه اى ما نفهم كثيرا مما تقول من وجوب التوحيد وحرمة التبخيس
وهى الدليل الذى ذكرته عليهما قالوا ذلك اما لانه كان بعيدا عن افهامهم لشدة نفورهم من كلامه
كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه واما لانهم تهكموا واستهانوا بكلامه كما يقول الرجل
لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول وان كان يسمع ويفهم قوله وانا لنراك
فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير يسمون المكفوف
ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال ابو روق ان الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا
به زمانة ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ان اهلهما
يحتاجان الى التمييز بين المدعى والمدعى عليه بخلاف النبى فان النبوة امر يفاض على الباطن فانها
اخبار من الله تعالى للعباد وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب و
التصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه يعنى لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك
سوءا والدليل على صحة هذا القيل ما بعده وهو قوله ولولا رهطك اى جماعتك وعشيرتك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم وقيل الرهط ما بين الثلثة الى العشرة
وقيل الى سبعة لرجمناك اى لقتلناك بالحجارة اسوأ القتلات وما انت علينا بعزيز
اى بكريم عن الرجم وانما رهطك هم الاعزة علينا فقال فى جوابهم بقوله قال يا قوم
ارهطى اعز عليكم من الله اى اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلى لكان
رهطى عندكم لا لكان الله فالاولى ان تحفظونى فى الله ولاجل الله لا لرهطى لان الله اعز
واعظم واتخذتموه وراءكم ظهريا اى وجعلتم الله ونسيتموه كالمنسى المنبوذ وراء
الظهر بسبب اشراككم به والاهانة برسوله قال قتادة معناه نبذتم امره وعهده اى ما عهد
لا تخافونه قال السدى معناه جعلتموه خلف ظهوركم فلم تطيعوه ولم تخافوه قال الضحاك معناه
تهاونتم به وظهرى منسوب الى الظهر وكسر الظاء من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة الى امس

استثنى

استثنى بكسر الهمزة وقد تمت بقوله واتخذتموه وراءكم الا انه زاد فيه بنسبته الى الظهر انما هو لمعنى
وافادة لمعنى الاعراض عنه بالكلية واخرج ابو الشيخ عن ابن زيد واتخذتموه وراءكم ظهريا
قال الظهرى الفضل مثل الجمال يحتاج معه بابل ظهريا فضل لا يحمل عليها شيئا الا ان يحتاج اليها
فيقول انما ربكم عندكم هكذا ان احتجتم اليه وان لم تحتاجوا فليس بشئ ان ربى بما تعملون
محيط يعنى انه تعالى قد احاط علمه بجميع اعمالكم واحوالكم واقوالكم لا يخفى عليه منها شئ فيجازيكم
بها يوم القيمة ويا قوم اعملوا على مكانتكم اى اعملوا على حالتكم التى انتم عليها من طلب قتلى
واهلاكى قال الاسعاد معناه على تؤدتكم وتمكنكم من عملكم وقال الشيخ المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال
كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر والمكانة بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام
ومقامة او مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين اذا تمكن من الشئ اى اعملوا قادرين على جهتكم التى انتم
عليها من الشرك والشنآن لى او اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها انى عامل ما اقدر عليه
على حالتى ومكانتى التى كنت عليها من الطاعة والخير والصبر والثبات على الاسلام وانما قال
وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم
لا عزة له وفى هذا الامر والرد وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك قوله سوف تعلمون
ايها الجانى على نفسه والمخطى فى فعله وسوف تعلمون ايضا من يأتيه عذاب يخزيه
ومن يجوز ان يكون استفهامية كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه بسبب عمله
السيئ ويجوز ان يكون موصولة تقديره سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه سبق
مثل هذه الاية فى سورة الانعام غير انه ذكر الفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصرف بان الاصرار منهم على
ما هم عليه والتمكن من شعيب عليه السلام فيما عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب
سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل فالسببية مرادة تصريحا هناك وتقديرا هاهنا
وبعبارة اخرى قال ابن خازن فان قلت اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله هنا سوف
تعلمون قلت ادخال الفاء فى قوله هناك فسوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها
فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستيناف الذى هو جواب لسوال مقدر كانهم قالوا
فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت على مكانتك فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل
تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين ف
ابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه قوله ومن هو كاذب
اى فيما يدعيه قال الشيخ وهو عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له بل لانه اى عدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من الكاذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف
الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ثم
زاد فى التهديد فقال وارتقبوا اى وانتظروا لما اقول لكم انتظروا العاقبة وما يؤول اليه
امرى وامركم انى معكم رقيب اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى
الضارب او الرقيب بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر او الرقيب بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع

ولما جاء أمرنا اى عذابنا او امرنا بعذابهم واهلاكهم نجينا شعيبا والذين آمنوا
معه برحمة منا اى بفضل منا بان هديناهم للايمان ووفقناهم للطاعة وانما ذكره بالواو
كما في قصة عاد لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي
صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك وأخذت الذين ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم لا يبرحون وهو استعارة
من جثم الطير اذا قعد ولطي بالارض كأن لم يغنوا فيها اى كانهم لم يقيموا بديارهم مرة من
الدهر ماخوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا به عن غيره الا بعدا اى هلاكا و
البعد ضد القرب واستعمل هنا بمعنى البعد بفتحتين كالرشد من بعد بالكسر اذا هلك لمدين
كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم يعذب الله امتين قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح
فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم وفي تفسير
الاستاد العلامة على كسر العين من بعد يبعد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع بمعنى هلك وانما
شبه مدين بثمود لان عذابهم كان ايضا بالصيحة والفرق كما ذكره ابن عباس وقرئ بعدت بضم
العين على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهم
والبعد بفتح العين مصدر المكسور وهذا ادخل مما مر انفا ولقد ارسلنا موسى باياتنا ليس المراد
بالايات التوراة كما قيل لان التوراة نزلت بعد هلاك فرعون وملائه كما صرح به هذا القائل في سورة
المؤمنين بل المراد الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل
وليس كذلك فانه لتبول احكام التوراة حين اباها بنو اسرائيل ويمكن الجواب عن القيل بان يكون
مراده بذكر التوراة او المعجزات في معنى الايات مطلقا من غير تقييد ببني اسرائيل وفرعون وقومه بقرينة
تخصيص قوله وسلطان مبين بالمعجزات والعصا الى فرعون وملائه والله اعلم والباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعت المصدر المؤكد اى ارسلناه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا
ملتبسا بها وسلطان مبين وهو العصا فيكون عطفا للخاص على العام وانما افردها بالذكر
لاظهار شرفها لكونها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا
وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق
بينهما ان الايات تعم العلامات المفيدة للظن والبراهين التي تفيد اليقين والسلطان يخص بالبرهان
الذي يفيد اليقين وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالبرهان القاطع المحصل
للحس وفسر البغوي السلطان المبين بالحجة المبينة وسكت عن الايات او الحجة المبينة تفسير
لهما وفسره الخازن بقوله باياتنا اى بحججنا والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وبين
السلطان المبين بالمعجزة القاهرة الظاهرة الدالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة
سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو

وسمي

وسمي السلطان العدل سلطانا لانه حجة الله في الارض وفي الامالي بعد قوله بسلطان مبين اى
ما اتى به من المعجزة سمي ايات باعتبار الدلالة على صدقه وسلطانا واضحا باعتبار سلطانه على
الخصم او الايات الاحكام والسلطان براهينها وقيل السلطان استيلاؤه على قلب من يراه
لقوله تعالى والقيت عليك محبة مني لم يره احد الا احبه وقيل لم يأخذه فشل ولا خوف من
اى لشانه ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل القبطي بين اظهر قومه قوله الى
فرعون الكافر المشهر بعداوة الله وموسى وملائه يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا
اى الملأ امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى الكليم
قال الاستاد معناه فاتبعوا امره بالكفر بموسى اى فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد
بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى
ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم قوله
وما امر فرعون برشيد اى وما هو عليه برشيد اى مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض
وضلال صريح تلخيصه وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى
خير لان اللعين كان دهريا وهو القائل بقدم العالم على الصورة الكائنة الان والفرق الضالة كثيرة
كالسوفسطائية وهم النافون للعلم وحقائق الاشياء واصحاب الطبائع وهم القائلون بقدم
العناصر الاربعة الماء والتراب والنار والهواء والفلاسفة وهم القائلون بقدم العالم ونفي
الصانع والمنجمون وهم القائلون بقدم الافلاك وفرقة اخرى وهم الذين يعبدون الانسان المخلوق
كجمشيد وفرعون ونمرود وغيرهم وفرقة اخرى وهم المفوضة الذين قالوا ان الله تعالى خلق
محمدا صلى الله عليه وسلم وفوض اليه خلق الدنيا وقد ظهر في زمننا فرقة اخرى جامعة لهؤلاء الفرق
بل لبقية الفرق كلهم في الفساد وهم القائلون بالجبنية يعني ان الله خالق الاشياء وهو مع هذا
عينهم ليس غيرهم تبا للجميع اخزاهم الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وان شئت تفصيل
الفرق فراجع الى الملل والنحل للامام ابي بكر الباقلاني وايضا الى الغنية لشيخنا عبد القادر الجيلاني
قدس سره ثم ذكر حال اللعين يوم القيمة بقوله يقدم اى يتقدم ويمشي امام قومه قومه
وهم وراءه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم
وفي الصحاح قدم بالفتح يقدم قدما اى تقدم قال الاستاد يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر
في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اى فيدخلهم النار ويحلهم وهو امامهم
وقدامهم تلخيصه كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم
في النار وانما ذكر اورد بلفظ الماضي لا بلفظ المستقبل المطابق لقوله يقدم مبالغة في تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا قلت ورايت نهارا كتابي هذه الاية
مناما في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بعض من يحب فرعون بانه يعيد شيئا ما ابدا فاستيقظت
ويدي الى السماء استعيذ بالله من ذلك عن ابن عباس معناه اضلهم فاوردهم النار وقال
قتادة في قوله يقدم الخ يعني يمضي فرعون بين ايدي قومه حتى يهجم بهم على النار قال ابن عباس

الورود في القرآن اربعة في هود وبئس الورد المورود وفي مريم وان منكم الا واردها وفيها ايضا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي الانبياء حصب جهنم انتم لها واردون كل هذا الدخول **وبئس الورد المورود** يعني وبئس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون فاوردهم النار وبئس الورد المورود لان الاكل فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة قوله **واتبعوا** اي فرعون في عذابه اياهم وملأه الذين اتبعوا امره **في هذه** يعني في هذه الدنيا **لعنة** يعني طردا وبعدا عظيما عن رحمة الله حيث يلعنهم من بعدهم من الامم **ويوم القيمة** ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف فاللعنة تابعة لهم حيث ما ساروا دايرة معهم اينما داروا في الموقف واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكون اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل **بئس الرفد** اي العون **المرفود** المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد ومعين للعذاب ومدد له وقد رفدت وامدت باللعنة في الاخرة واللعنتان تابعتان لهم والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وقيل معناه بئس العطاء المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليصير ما يضاف عمادا له وعن مجاهد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اردفوا زيدوا بلعنة اخرى فتلك لعنتان بئس الرفد المرفود اللعنة في اثر اللعنة واخرج ابن ابي حاتم عن السدي في الاية قال لم يبعث نبي بعد فرعون الا لعن على لسانه ويوم القيمة يزيد لعنة اخرى في النار وقال ابن عباس في معنى فبئس الرفد المرفود يعني بئس اللعنة بعد اللعنة قال النابغة في هذا المعنى ❊ لا تقذفني بركن لا كفاء له ❊ وان تاثفك الاعداء بالرفد ❊ وقد مر احوال كفر فرعون في يونس قوله تعالى **ذلك من انباء القرى** اي ذلك النبأ المذكور الذي ذكر من انباء الامم السالفة والقرون الماضية من بعض انباء القرى المهلكة وابعدهم الاشارة باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب للرسول عليه السلام وذلك مبتدأ وخبره من انباء القرى وقوله **نقصه عليك** خبر بعد خبر والمعنى نخبرك يا محمد بخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبروا بهم فيرجعوا عن كفرهم او ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب ثم استانف فقال **منها قايم** اي بعضها يعني من تلك القرى التي اهلكنا اهلها بعضها عامر باق كالزرع القايم على ساقه واهلها قد هلك **وحصيد** اي بعضها عافي الاثر كالزرع المحصود فمنها قايم الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي واندرس على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره **وما ظلمناهم** اي بعذابنا واهلكنا اياهم بغير ذنب **ولكن ظلموا انفسهم** بالكفر والمعاصي يعني بان عرضوا انفسهم للهلاك بارتكاب ما يوجبه **فما اغنت عنهم** اي فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم العذاب **الهتهم التي يدعون** اي يعبدون **من دون الله** اي من غيره **من** زايدة **شيء** اي شيئا من الاغناء **لما جاء امر ربك** اي حين

جاءهم عذاب الله ونقمته لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب **وما زادوهم غير تتبيب** اي غير تخسير وتدمير وهلكة التب الخسران تخصيصه ما زاد والاصنام بعدم غير شيء وخسران اسند الفعل الى واو الضمير الذي هو لمن يعقل لانهم نزلوهم منزلة العقلاء في اعتقادهم انها تنفع عبادتهم لها ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام بل يعم كل ظالم سيوجد فقال **وكذلك** اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو مبتدأ وخبره قوله **اخذ ربك** اي عقوبة ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اي اخذا مثل ذلك الاخذ **اذا اخذ** اي اذا عاقب **القرى** اي اهلها وقرئ اذ اخذ لان المعنى على المضي **وهي ظالمة** فلا يغني عنهم من اخذه شيء وهو حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت الحال عليها وفايدتها الاشعار بانهم انما اخذوا لظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ظلم نفسه او غيره فان الظلم مطلق ثم لما بين كيفية اخذ الامم الظالمة اكده بقوله **ان اخذه اليم شديد** اي وجيع غير مرجو الخلاص عنه وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير اخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد اعلم ان في الاية الكريمة والحديث الشريف دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالم الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم **ان في ذلك** اي في ذلك المذكور من القصص وما ذكر من عذاب الامم السالفة واهلاكهم **لاية** اي لعبرة وموعظة **لمن خاف عذاب الاخرة** يعني ان هلاك اولئك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من اقر به ويخشى الله ويخاف عذابه لانه ينظر الى ما نزل بهم بسبب ذنوبهم فيعلم ان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة فيتزجر به عن موجباته فانه يعلم ان ما نزل بهم بقوى فاعل مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي اقترفها الامم السالفة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا وهلاكا لما هم فيه من الخيالات الباطلة والافكار الفاسدة **ذلك** اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الاخرة دل عليه **يوم مجموع له** اي فيه **الناس** اي للحساب فيه والثواب والعقاب وتخصيصه جمع فيه الناس فان معنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والجزاء وايثار اسم المفعول على الجمع للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وتحقق وقوعه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع **وذلك** اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس فيه

يوم مشهود يعني يشهده اهل السماء واهل الارض تخصيصه ذلك يوم مشهود فيه الخلايق
الموقف لا يغيب عنه احد فالمشهود هو الموقف والشاهدون هم الخلايق والمشهود فيه اليوم
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به ولو جعل اليوم مشهودا بنفسه بلا اعتبار الاتساع
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره اى ذلك اليوم
المذكور ونحن قادرون على ان نقيمه الآن الا لاجل معدود اى الا الى وقت معلوم محدود
وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله عز وجل توضيحه اى الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف
المضاف واراده مدة التاجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود لانه لا نهاية له ثم ذكر
بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأت اى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله
تعالى ان تأتيهم الساعة او يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل يأتى الله تعالى لقوله تعالى هل ينظرون
الا ان يأتيهم الله قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اكتفاء عنها بالكسرة والباقون
باثباتها والعامل فى الظرف محذوف اى اذكر يوم يأتى او ينتهى الاجل يوم يأتى وقيل عامله
قوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه اى لا تتكلم فيه لهول ذلك اليوم وشدته نفس
بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة الا باذن الله كقوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه
وكقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وكقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم
فيعتذرون فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الايات وبين قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن
نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا
تدل على الكلام فى ذلك اليوم قلت يوم القيمة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففى
بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفى بعض الاحوال يؤذن لهم فى الكلام
فيتكلمون وفى بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من قوله
لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس الا ان يأذن الله لها فى الشفاعة ثم قسم
اهل الموقف المجموعين للحساب فقال فمنهم اى من الخلق او من اهل الموقف بدليل قوله لا تكلم نفس
او من الناس اى بعضهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وتقديمه على السعيد لان
المقام مقام التحذير والانذار وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والاصل ومنهم سعيد حذف
الخبر لدلالة الاول عليه الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الالهية للانسان
ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية
وسعادة اخروية وهى السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين
ايضا شقاوة دنيوية وشقاوة اخروية وهى الشقاوة القصوى لان نهايتها النار
فالشقى من سبقت له الشقاوة فى الازل والسعيد من سبقت له السعادة فى الازل
عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من
احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا
وندع

وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير
لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة
الشريفة ومدفنهم فيها اماتنا الله بها والمخصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان
بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشىء بتلك المخصرة او باليد
ونحو ذلك حتى يؤثر فيه استدل بعض العلماء بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل
الموقف قسمان شقى وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقى قسم
آخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسيئاته وهم اصحاب الاعراف فى قول
والاطفال والمجانين الذين لا حسنات لهم ولا سيئات فهؤلاء مسكوت عنهم وهم تحت
مشية الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما شاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل
على نفى القسم الثالث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما نزلت فمنهم شقى وسعيد قلت
يا رسول الله فعلى ما نعمل على شىء قد فرغ منه او على شىء لم يفرغ منه قال بل على شىء قد فرغ
منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فاما الذين شقوا فى علمه تعالى
يعنى الذين سبقت لهم الشقاوة لعلمه تعالى بانهم يختارونها ففى النار اى مستقرون فيها
لهم فيها اى فى النار من العذاب والهوان زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما وصف شدة كربهم وغمهم و
تشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف
وقال مقاتل والضحاك الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره اذا ردده فى جوفه وقيل
الشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابو العالية الزفير فى
الحلق والشهيق فى الجوف والمعانى كلها قريبة بعضها من بعض والعبارات مختلفة قوله
خالدين فيها يعنى لابثين مقيمين فى النار وقوله عز وجل ما دامت السموات والارض ما
مصدرية وقتية تقديره خالدين فى النار مدة دوام السموات والارض قال السيوطى فى تفسير
المختصر اى فى الدنيا فهو تاكيد للخلود لان الجمهور الاعظم من الامة قد اتفقوا على ان عذاب الكفار
دايم لقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وليست المدة المذكورة لتعليق دوام الكفار بدوام
هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم ودوامهم فيها وانقطاع دوامها
كقوله تعالى اذا دكت الارض دكا واذا السماء انفطرت ويوم نطوى السماء كطى السجل للكتب والسموات
مطويات ونظايرها كثيرة مما يدل على خراب السموات والارض وانعدامهما لا ينافى التوقيت والمدة للدلالة
على تابيدهم فى النار وعدم انقطاع العذاب وذلك بناء على منهاج قول العرب وعادتهم فانهم قد
يعبرون عن الدوام والتابيد على سبيل المبالغة والتمثيل بقولهم لا آتيك ما دامت السموات والارض وما لاح
كوكب وما قام ثبير وما اختلف الليل والنهار قال امرؤ القيس فانى قايم ما اقام عسيب بريد بدوام

التابيد والخلود ولو نزلنا وقلنا اريد بالتوقيت المذكور لارتباط دوامهم في النار بدوام هذه السموات
والارض فالمراد سموات الاخرة وارضها فانهما دايمتان لا تزولان لان الله خلقهما للتابيد ويدل على ثبوتهما
وتحققهما قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
ومعلوم ان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل فما اظلهم سماء وما اقلهم ارض وذلك السماء اما سماء
يخلقها الله او خلقها او هو العرش المجيد لما جاء في الاخبار ان اهل الجنة تحت ظل العرش وكل ما اظلك فهو سماء
وكل ما استقرت عليه قدمك فهو ارض وجاء في الاخبار ايضا في صفة الجنة ان ترابها من زعفران وملاطها
المسك ولو قلنا بضعف الاخبار فلا يلزم في التعليق بسموات الاخرة وارضها علمنا بكيفياتهما وتفاصيل احوالهما
بل يكفي تعقل لابدية اهل الجنة من مقلة ومظلة وذلك معلوم من النصوص المذكورة يعني يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء قال الاستاذ وقول بعضهم وفيه نظر
لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب
فلا يجدي له التشبيه ساقط عن درجة الاعتبار لان هذا القدر ضروري عند من يقول بالحشر ويمكن ان
يقال حاصل الاية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات
والارض دايمتان بناء على ان يراد بهما اللتان توجدان في الاخرة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا
لكنهما لم تدوما بناء على ان يراد بهما سموات الدنيا وارضها لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم
لا ينتج شيئا لان ارتفاع الملزوم لا يستلزم ارتفاع اللازم لجواز عموم اللازم وبعبارة اخرى المفهوم من الاية
انه متى كانت السموات والارض دايمتين كان كونهم في النار دايما وهذا يقتضي انه كلما حصل الشروط حصل
المشروط ولا يقتضي انه اذا عدم الشرط يعدم المشروط الا ترى انا نقول ان كان هذا انسانا فهو حيوان فان قلنا
لكنه انسان فانه ينتج انه حيوان اما اذا قلنا لكنه ليس بانسان لم ينتج انه ليس بحيوان لانه ثبت في علم المنطق
ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا فكذا ههنا اذا قلنا ما دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا
لكن السموات والارض دايمة لزم ان يكون عقابهم حاصلا اما اذا قلنا لكنه ما بقيت السموات والارض لم يلزم
عدم عقابهم قوله الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد قال السيوطي اي غير ما شاء ربك اي من غير
اعتراض عليه والظاهر هو استثناء من الخلود في عذاب النار وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب
النار فقط بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار او ما شاء يعني من شاء قوم
يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من اهل الجنة ايضا لمفارقتهم
اياها بكونهم في النار اياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التابيد ولا سعدوا سعادة
من لا تمسه النار ويعضد هذا ما روي عن ابن عباس والضحاك وقتادة ان هذا الاستثناء في اهل التوحيد
يرجع الى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس
لان الذين اخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناهم الله من الاشقياء ويدل على صحة هذا التاويل
ما روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة
وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم خ م عن انس رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعدما مستهم منها سفع فيدخلون الجنة

فيسميهم

فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة
ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم بدوام سموات الجنة
وارضها فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثناء الثاني اي الاتي في اهل السعادة في قوله
واما الذين سعدوا فيرجع الى مدة لبث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك
ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة فحاصل
هذا القول ان الاستثنائين يرجع كل واحد الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء اصابوا ذنوبا
استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة ولان اجماع الامة على ان من
دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثنائين الى الفريقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم
في الدنيا واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معنى الا ما شاء ربك سوى
ما شاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الزيادة على ذلك
وهو كقولك لفلان علي الف الا الالفين اي سوى الالفين اللتين تقدمتا وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك
خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين
ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لاخرجهم منها ولكنه لا يشاء لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا
استثناء استثناه الله ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزمك ان تضربه
فهذه الاقوال في معنى الاستثناء يرجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول ويدل عليه قوله في اخر الاية
ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة هذا على الاجمال في حق الفريقين
واما على التفصيل فقوله الا ما شاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقريره ان
يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل فيه المجموع و
الاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعني الا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود
وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الا ما شاء ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد
والزمهرير وفي جانب السعداء معناه الا ما شاء ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلى من منازل الجنان
ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة في الجنة وهو ان الامة مجتمعة على ان
من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها واخرج ابن جرير وابن مردويه عن قتادة انه تلا هذه الاية
فاما الذين شقوا فقال حدثنا انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار ولا نقول
كما قال اهل حروراء واخرج ابن مردويه عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الذين شقوا
الى قوله الا ما شاء ربك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله ان يخرج اناسا من الذين شقوا من
النار فيدخلهم الجنة فعل واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن خالد بن معدان في قوله الا ما شاء ربك قال

في التوحيد من اهل القبلة واخرج ابو الشيخ عن الضحاك الا ما شاء ربك قال الا من استثنى من اهل القبلة واخرج
عبد الرزاق وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي نضرة عن
جابر بن عبد الله الانصاري او عن ابي سعيد الخدري او رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله الا ما شاء
ربك ان ربك فعال لما يريد قال هذه الاية قاضية على القران كله يقول حيث كان في القران خالدين فيها تاتي
عليه واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والبيهقي عن ابي نضرة قال ينتهي القران كله الى هذه الاية ان ربك
فعال لما يريد قوله عز وجل في جانب السعداء **عطاء غير مجذوذ** اي غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب
لا ينقطع وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى
بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار قال ابن خازن وروي عن
ابن مسعود انه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة نحوه
وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين الذين استحقوا النار من النار
بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا
على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم وفي الاسرار وروي عن عبد الله
بن عمرو بن العاص لياتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيه ~~احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا~~
وعن ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلاء اماكن المؤمنين
الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع الموحدين
وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق
عذابهم وفي الاسرار وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص لياتين على جهنم يوم تصفق ابوابها ليس فيها
احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا قلت ان صح هذا فانما اراد به الطبقة العليا وهي محل عصاة المسلمين
وفي الدر المنثور للجلال السيوطي واخرج ابن المنذر عن الحسن قال قال عمر لو لبث اهل النار في النار كقدر رمل
عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه واخرج اسحاق ابن راهويه عن ابي هريرة قال سياتي على جهنم يوم لا يبقى
فيها احد وقرا فاما الذين شقوا الاية واخرج ابن المنذر وابو الشيخ عن ابراهيم قال ما في القران اية ارجى لاهل
النار من هذه الاية خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال وقال ابن مسعود لياتين عليها
زمان تخفق ابوابها واخرج ابن جرير عن الشعبي قال جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا واخرج
عبد الرزاق وابن جرير وابن ابي حاتم عن قتادة في قوله الا ما شاء ربك قال الله اعلم بثنيته على ما وقع
يقول الضعيف مؤلف هذا الكتاب والذي اخرجه السيوطي وابن خازن في هذه الاية لا معول عليه كما هو
ظاهر من الايات البينات والاحاديث الصحيحة الصريحة ولما قص قصص الامم السابقة وما حل بهم من عذابه
ثم اتبعه بذكر ما اعد للاشقياء والسعداء شرح لرسوله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسلية له عليه
السلام ووعدا بالانتقام منهم ووعيدا لهم فقال **فلا تك في مرية** اصله فلا تكن حذفت النون
لكثرة الاستعمال والمعنى اذا تبين عندك ما قصصت لك من قصص المتقدمين من المشركين فلا تك في مرية
وتردد شك **مما يعبد** ما مصدرية او موصولة اي من عبادة **هؤلاء** او من الذي يعبده هؤلاء
المشركين وكن على زيادة يقين في انها ضلال سيئ العاقبة مؤدية الى مثل ما حل بمن قبلهم ثم علل النهي
مستانفا

مستانفا فقال **ما يعبدون الا كما يعبد** اي كالذي يعبد **آباؤهم من قبل** او كعبادة آبائهم يعني
انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام مستند الا انهم راوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم **وانا
لموفوهم نصيبهم غير منقوص** اي وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه
لهم من غير نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب وقدرهم في الاخرة كاملا
موفرا غير ناقص واخرج ابو الشيخ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يوفي
كل عبد ما كتب له من الرزق فاجملوا في الطلب دعوا ما حرم وخذوا ما حل ثم اورد نظير انكارهم
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال **ولقد آتينا موسى الكتاب** يعني التوراة **فاختلف فيه** اي كفر به
قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران حيث قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعموا انك مفتر عليهم
والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للكفار **ولولا كلمة** وهي كلمة الانظار **سبقت من ربك** اي لولا
قضاء سبق بتاخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيمة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم
وتكذيبهم وهو قوله **لقضي بينهم** اي بين قوم موسى او بين قومك بالعذاب المستاصل وقال الاسناد
معناه لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق تخصيصه لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم
واهلاكهم **وانهم** اي وان كفار قومك **لفي شك منه** يعني من القران ونزوله عليك يا محمد
مريب موقع في الريبة يعني انهم قد وقعوا في الريبة والتهمة ثم جمع الاولين والاخرين في حكم توفية الجزاء
فقال **وان كلا** التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين قرا ابن
كثير ونافع وابو بكر بتخفيف ان مع الاعمال اعتبارا للاصل والباقون بتشديدها **لما ليوفينهم** قرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذف
اولهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم **ربك** جزاء **اعمالهم** والباقون لما بالتخفيف فاللام الاولى
موطئة للقسم والثانية لام جواب القسم المحذوف تقديره والله ليوفينهم جزاء اعمالهم في القيمة فيجازي
المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار وقرئ لما بالتنوين اي جميعا اي وان كلا
ليوفينهم ربك اعمالهم لما يعني توفية جامعة لاعمالهم جميعا كقوله اكلا لما اي جامعا لاجزاء المأكول
وقرئ وان كل لما على ان تكون ان نافية وتكون لما بمعنى الا جمعت هذه الاية الوعد والوعيد لان توفية
جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصي وعيد عظيم وقوله تعالى **انه بما يعملون خبير**
يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد
للمكذبين الكافرين ثم لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة وشرح الوعد والوعيد قال لرسوله صلى الله
عليه وسلم **فاستقم كما امرت** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل والدعاء
اليه كما امرك ربك والامر في فاستقم للتاكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها
فهو كقولك للقائم قم حتى اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك قال قتادة امر الله نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يستقيم على امره ولا يطغى في نعمته وقال سفيان معناه استقم على القران واخرج ابن ابي
حاتم وابو الشيخ عن الحسن قال لما نزلت هذه الاية فاستقم كما امرت ومن تاب معك قال شمروا شمروا
فما روي ضاحكا وقال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية اشد من هذه

الاية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود واخواتها قيل اشيبتك قصص الانبياء وهلاك
الامم الماضية قال لا ولكن قوله فاستقم وعلم ان الله تعالى امره بالدوام على الاستقامة استقامة مثل
الاستقامة التي امر بها ليقتدي به امته وهذه كلمة جامعة لكل ما يتعلق باستكمال القوة النظرية
بالعقايد الحقة كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يحصل للعقل معرفة الله تعالى على وجه يبقى مصونا
في طرف الاثبات عن التشبيه وفي طرف النفي عن التعطيل وباستكمال القوة العملية بالاعمال الحقة من الاعمال
المشتركة بينه وبين ساير المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل
والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوتة للحقوق وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن
الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية فثبت ان معرفة الصراط المستقيم على وجه
الكمال في غاية الصعوبة وتقدير معرفته فالثبات عليه والعمل به اصعب اللهم اجعلنا من ابناء الافعال دون
مجرد الاقوال قوله **ومن تاب معك** اي واستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا
قال ابن جريج معناه ومن امن معك قال البيضاوي اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك قلت
الظاهر ان الاشتراك في نفس التوبة يكفي في الاصحاب ولا يلزم الاشتراك في المتوب عنه وقد كان صلى الله عليه وسلم
يستغفر الله كل يوم اكثر من سبعين مرة على ما ورد في الحديث وهو معطوف على المستكن في قوله استقم وان لم يؤكد
بمنفصل لقيام الفاصل مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى استقم انت وليستقم المؤمنون
قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان يستقيم على الامر ولا يروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله
الثقفي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال احدا بعدك قال قل امنت بالله
ثم استقم قوله **ولا تطغوا** اي ولا تجاوزوا امري ولا تعصوني اي ولا تغلوا في الدين فتجاوزوا ما امرتكم به
ونهيتكم عنه تخيصه ولا تخرجوا عن حدود الله بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور مذموم
سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز عن الحد بالكل تغليبا لحال ساير المؤمنين على حاله صلى الله عليه وسلم **انه
بما تعملون بصير** يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس لا يخفى عليه شيء وهو في معنى التعليل للامر
والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان قال الامام
وعندي لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل عموم النص على حكم وجب الحكم بمقتضاه لقوله
تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه وكذلك لما ورد القران بالامر باعمال الوضوء في الاعضاء
مرتبة في اللفظ وجب الترتيب فيها ولما ورد الامر في الزكاة باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب
اعتباره وكذا القول في كل ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت انتهى فعلم مما قرره
يجب الاحتياط التام في المسايل الاجتهادية في القياسات بحيث لا تكونا مخالفتين لعلل المنصوص
قوله تعالى **ولا تركنوا الى الذين ظلموا** اي فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل
اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم تخيصه لا تميلوا ادنى ميل الى من وجد منه ادنى ظلم وهذا غاية
تحذير فان قرين السوء اشد اغواء من الشيطان فاذا كان الركون الذي هو ميل يسير الى من وجد منه ادنى
ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل التام ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه قال ابن عباس لا تركنوا اي لا
تميلوا الى الشرك وعنه ايضا لا تميلوا مطلقا وعنه لا تداهنوا الظلمة وقال ابو العالية لا تركنوا الى الذين ظلموا
باعمالهم

باعمالهم وعن عكرمة معناه لا تطيعوهم وقيل معناه لا تميلوا اليهم بقلوبكم وقيل معناه ولا تسكنوا الى
الذين ظلموا **فتمسكم النار** اي فتصيبكم النار بحرها بركونكم الى من وجد منه ما يسمى ظلما في الجملة
فما ظنك بالركون الى الظالمين الموسومين بالظلم ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي والتهديد عليه وخطاب
الرسول ومن معه من المؤمنين بها التثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال بالركون بالميل
الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وعن الحسن جعل الدين بين لائين
ولا تطغوا ولا تركنوا واخرج ابو الشيخ عن الحسن قال خصلتان اذا صلحتا للعبد صلح ما سواهما من امره الطغيان
في النعمة والركون الى الظلمة ثم قرا هذه الاية ولا تطغوا ولا تركنوا الى الذين ظلموا وقرى تركنوا فتمسكم بكسر التاء
فيهما على لغة تميم وقرى تركنوا على البناء للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله** اي غيره
من زيدة للتحسين **اولياء** اي اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه والجملة حال من مفعول تمسكم اي
تمسكم حال انتفاء ناصركم قوله **ثم لا تنصرون** اي ثم لا ينصركم الله ~~اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم~~ اذ قد
سبق في حكمه ان يعذبكم تعالى هذا المعنى يكون ثم لاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع استحقاقهم العذاب مع
ركونهم تخيص المعنى ثم لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيمة ثم خص من انواع
الاستقامة الصلوة على انها عماد الدين فقال **واقم الصلوة طرفي النهار** الغداة والعشي
اي الصبح والظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي قال الاستاد هو عطف على فاستقم كما امرت
في معنى النهي عن اداء الصلوة قبل وقتها وطرفي منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف **وزلفا**
نصب على الظرف جمع زلفة وهي طايفة وقطعة **من الليل** اي المغرب والعشاء والمعنى وساعات
من الليل يعني اقم الصلوة في هذه الاوقات الخمسة **ان الحسنات** مطلقا خصوصا الصلوات الخمس في
اوقاتها **يذهبن السيئات** اي يكفرنها او يمنعن المصلي من اقترافها كقوله ان الصلوة تنهى
عن الفحشاء والمنكر قال السيوطي في تفسيره المختصر اراد بالسيئات الذنوب الصغاير واعلم ان
سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا
هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر
على نفسك وتب فاتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى
تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال فاطرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه اقم الصلوة الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة
قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب
بن عمرو ق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك فنزلت اقم الصلوة الخ فقال الرجل يا رسول الله الي هذه قال لمن
عمل بها من امتي وفي رواية قال رجل من القوم يا نبي الله هذا له خاصة فقال بل للناس كافة عن معاذ
بن جبل رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة

ليس بينهما معرفة فليس يأتي الرجل الى امرأته شيئا الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله
عز وجل واقم الصلوة الخ فامره الله صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي
له خاصة ام للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين عامة اخرجه الترمذي وقال الحديث ليس بمتصل عبد الرحمن
ابن ابي ليلى لم يسمع من معاذ م عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات
الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر زاد في رواية اخرى ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر ق عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ارأيتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون
ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا
م عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب
احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من الذنوب
يكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلوة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكبائر
من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح وهي الاقلاع عن الذنب بالكلية والندم على فعله والعزم التام
على انه لا يعود اليه في المستقبل وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر والقول الاول اصح بانها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب
ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجمهور المفسرين ذلك اي الاستقامة والتوبة
او القران ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين وهم المتقون واصبر يا محمد على الطاعات
وعن المعاصي وعلى اذاء قومك وما تلقاه منهم او على الصلوات فان الله لا يضيع اجر المحسنين
يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين اذا صلوا مع الاخلاص ثم لما بين ان الامم المتقدمين
حل بهم عذاب الاستيصال بين ان السبب فيه امران الاول قوله فلولا كان اي فهلا كان
من القرون التي اهلكناهم من قبلكم يا امة محمد اولوا بقية اي ذوو رأي وعقل
وتميز وطاعة وخير اصحاب دين وفضل وسمي الفضل والخير بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه
اجوده وافضله واحسنه وخيره فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن الفساد
في الارض يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض يعني سبب نزول العذاب عليهم من النقمة
هو انه لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد في الارض فلذلك اهلكناهم تلخيصه عجب من محمد
صلى الله عليه وسلم وامته انه لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلاكهم في هذه السورة بقية وجماعة
يعني اصحاب خصلة باقية من اولي الفضل الذين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصي والفساد
الا قليلا ممن انجينا منهم اي لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا ناهين عن الكفر
والفساد تلخيصه من امم من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد في
الارض فنجيناهم من للبيان والامر الثاني في نزول عذاب الاستيصال ما ذكره بقوله واتبع
الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي والفساد وترك النهي عن الفساد في الارض ما اترفوا

فيه اي ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك تلخيصه
انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الاخرة ونعيمها وكانوا مجرمين
اي وكانوا كافرين عطف على واتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك لان تابع الشهوات
مغمور بالاثام او كان عادتهم الاجرام فلهذا اتبعوا الشهوات وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء
ما اترفوا فالواو للحال قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اللام لتأكيد النفي بظلم
حال من الفاعل والمعنى وما كان ربك يا محمد اي لا يصح ولا يستقيم ان يهلك الله القرى ظالما لها
قال السلطان بظلم اي بسبب كفر من القرى واهلها مصلحون في اعمالهم مؤمنون موحدون
مطيعون ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيئات او المعنى ما صح وما استقام ان يعذب الله
القرى بشرك اهلها مصلحون فيما بينهم في المعاملات لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا آخر
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق
العباد لان مبنى حقوق الله على المسامحة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم والمعنى بعبارة اخرى ان الله لا يعذب القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين
اي يعامل بعضهم بعضا بالصلاح والسداد وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل
عن تفسير هذه الاية وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهلها ينصف بعضهم بعضا والمراد تنزيه الله تعالى عن الظلم واستحالته منه في الحكمة بالكلية
لانه لا يتصور صورة الظلم منه فيما يفعله كائنا ما كان فان الظلم هو التصرف في ملك غيره والمخلوق
كله عبيده والمراد من الهلاك هلاك الاستيصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولو شاء
ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولكن لم يشأ
ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق وليس فيه ما يدل على عموم الناس حتى يخالف قوله تعالى وما كان
الناس الا امة واحدة ولو سلمنا انه يدل على عمومه فالمشيئة الازلية تعلقت باختلاف الناس
لحكمة اقتضاه وكونهم على امة واحدة لبعض افراد الناس في زمان واحد فلا اختلاف بينهما
وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة فان الكل مأمور بالاسلام ودلت الاية على ان ايمان الكل غير
مراد لان ما اراده يجب وقوعه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وفي تفسير ابي
باشا وهو دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وعلى انه تعالى قادر على ايقاع ما اراده في الخصوص
المذكور واما ان كل ما اراده يجب وقوعه فلا دلالة فيما ذكر عليه قلت كانه يرد على القاضي
ولكن عبارته غير مستقيم لانه اخذه من بعض الحواشي من غير دراية فافهم رحم الله لمن
عرف قدره ولا يتجاوز طوره ولا يزالون مختلفين اي الناس اي بعضهم على الحق وبعضهم
على الباطل لا تكاد اثنان يتفقان مطلقا الا من رحم ربك اي الا ناسا رحمهم
الله فهداهم الى الحق بفضله فاتفقوا على اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم
ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او الاشارة اليه وللحال الرحمة
وان كان لمن فالى الرحمة وعن ابن عباس ولا يزالون مختلفين قال اهل الحق واهل الباطل الا ما رحم

ربك قال اهل الحق ولذلك خلقهم قال للرحمة وعنه ايضا ولا يزالون مختلفين الا من رحم
ربك قال اهل رحمته فانهم لا يختلفون وعنه لا يزالون مختلفين في الهوى وعن عطاء بن ابي رباح
ولا يزالون مختلفين اي اليهود والنصارى والمجوس والحنيفية وهم الذين رحم ربك الحنيفية
وعن الحسن في الاية قال الناس مختلفون على اديان شتى الا من رحم ربك فمن رحم ربك
غير مختلف ولذلك خلقهم قال للاختلاف وعن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال اهل الباطل الا
من رحم ربك قال اهل الحق ولذلك خلقهم قال للرحمة وعن عكرمة ولا يزالون مختلفين قال الضلال
الملل الا من رحم ربك قال اهل القبلة ولذلك خلقهم قال للرحمة وعن الحسن ولا يزالون مختلفين
قال في الرزق وعن قتادة في الاية قال اهل رحمة الله اهل الجماعة وان تفرقت ديارهم وابدانهم
واهل معصيته اهل فرقة وان اجتمعت ديارهم وابدانهم ولذلك خلقهم للرحمة والعبادة ولم
يخلقهم للاختلاف وعن ابن عباس ولذلك خلقهم قال خلقهم فريقين فريقا يرحم فلا
يختلف وفريقا لا يرحم يختلف وذلك قوله فمنهم شقي وسعيد وكان الحسن يقول في الاية فريق
في الجنة وفريق في السعير وعنه ايضا في الاية في قوله تعالى ولذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لجنته
وخلق هؤلاء للنار وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه واخرج ابو الشيخ عن ابي نجيح ان رجلين
اختصما الى طاوس فاختلفا عليه فقال اختلفتما علي فقال احدهما لذلك خلقنا قال كذبت قال
اليس الله يقول ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال انما خلقهم للرحمة
والجماعة قلت وحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الجنة وجعلهم
متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم اهل الاتفاق ومصيرهم
الى الجنة ويدل على صحة ما قلنا قوله تعالى وتمت كلمة ربك اي حكمه وقضاؤه وارادته
ووعيده او هي قوله للملئكة لاملأن جهنم من الجنة اي من الجن والناس اجمعين
اي لاملأن جهنم من عصاة الطائفتين اجمعين لاستوائهما في التكليف والجنة والجن قيل
واحد والتاء فيه للمبالغة وقيل الجنة جمع جن واجمعين لتاكيد العموم للافراد من عصاة الفريقين
او لاملأن منهما لا من احدهما فهو لتاكيد العموم للنوعين وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما
للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم
من الهداية عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود
على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على
ثلث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية رضي الله عنه قال قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة
وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة
اخرجه ابو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي دلالة على ان هذه الفرق
غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء
الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من

اهل البدع

اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم
في اقواله وافعاله قوله تعالى وكلا التنوين عوض عن المضاف اليه اي وكل نبإ تحتاج اليه يا محمد
نقص عليك اي نخبرك به وقوله من انباء الرسل بدل لكلا وانباء الرسل اخباره
وقوله ما نثبت به فؤادك بدل من كلا ايضا او بيان له ومعنى الاية لما ذكر
الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم
مع انبيائهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من اخبار الرسل
وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت ونقوي به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين
خلوا من قبلك وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع
اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه وجاءك في هذه اي جاءك
يا محمد في هذه السورة الحق ما هو الحق اختلفوا في مرجع ضمير هذه الى ماذا يعود قيل معناه وجاءك
في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية
وقيل في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الاكثرين وعلى هذا فيما فان قلت فقد جاءه الحق في سور
القرآن كلها فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون
قد جاء الحق في غيرها من السور بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وقيل في هذه
الانباء المقتصة عليك قال الاستاذ المراد بالحق البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة فان
هذه الاية قد تكلمة لتفاصيل السورة وان السورة الى خاتمتها تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم
وموعظة اي وجاءك موعظة وذكرى للمؤمنين الى آخر الدهر اشارة الى الفايدة العامة تلخيصه
هذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون في اي وقت تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم
وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق من اهل مكة وغيرهم ولا يتعظون به ولا يتذكرون ولم ينته
بهم هذه الايات البينات البالغة وعيدا وتهديدا اعملوا على مكانتكم اي على حالكم
من عدم الايمان به وافعلوا كل ما تقدرون عليه في حقي من الشر تلخيصه اعملوا ما انتم عاملون
فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم وقرا ابو بكر بالجمع انا عاملون على حالنا
وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر تلخيصه انا عاملون بما امرنا به ربنا ولا نخالفه وانتظروا
بنا الدوائر وما يعدكم به الشيطان انا منتظرون لما وعدنا الرحمن من الاحسان والغفران
ولما يحل بكم من نقمته وعذابه اما في الدنيا واما في الاخرة نحو ما نزل على امثالكم واشباهكم من
الاهلاك والخذلان ثم ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة فقال
ولله غيب السموات والارض له خاصة علم ما غاب فيهما عن العباد فلا يخفى عليه اعمالكم
تلخيصه ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها
لا يخفى عليه في الارض ولا في السماء واليه يرجع الامر كله اي يرجع الى الله لا محالة امرهم
وامرك فينتقم منهم تلخيصه يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة قرا نافع وحفص يرجع
بضم الياء وفتح الجيم اي يرد وقرا الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم اي يعود الامر كله اليه حتى

لايكون للخلق امر يعني لاشريك له في ذلك فاعبده وحده وتوكل عليه اي ثق به في مجامع
امورك فانه كافيك وكافلك وتقديم العبادة على التوكل انما يصح الا بعد تخصيصه بالعبادة و
الانسلاخ عن افعال النفس وهواها الى المامور به وما ربك بغافل عما تعملون
فيجازيهم وينتقم منهم قرا نافع وابن عامر وحفص تعملون بتاء الخطاب على تغليب الخطاب
على الغيبة لان قبله اعملوا اي انه سبحانه ليس غافلا عما تفعل انت فيجازي كلا ما يستحقه
والباقون بالغيبة رجوعا على قوله للذين لا يومنون قال ابن خازن في تفسيره هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وجميع الخلق مومنهم وكافرهم والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم
لا يخفى عليه شيء منها فيجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته واخرج عبد الله بن احمد بن حنبل
في زوائد الزهد وابن الضريس في فضائل القران وابن جرير وابو الشيخ عن كعب قال
فاتحة التوراة فاتحة الانعام وخاتمة التوراة خاتمة هود يعني ولله غيب السموات
والارض الاية والله اعلم باسرار كتابه تم سورة هود بعون الملك العلام في جوار الرسول عليه الصلوة والسلام
وقد فرغ بحمد الله وعونه جل شانه من تعليق المجلد الاول وهو من سورة البقرة الى
اخر سورة هود عليه السلام من التفسير المسمى غنية التالي وجلاء الخاطر تاليف خاتم المفسرين
وخادمهم السيد الامجد الاجل المكرم • الفاضل الاوحد الامثل المحترم • السيد
محمود بن محمد بن علي الشيخاني القادري المدني • كان الله له عند
مآله • واحسن ماله • افقر العباد محمد سعيد بن حسين القرشي الكوكي
النقشبندي ثم المدني يوم الثلاثا العشرين من شهر ربيع الاول
من سنة ثمان وتسعين والف في اخر المسجد النبوي اللهم اغفر له
ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين بفضلك وكرمك وصل
اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد عين الوجود • وعلى اله و
اصحابه الذين خيروا الصحبة حبيب الودود • عدد ما كتبت
من الحروف والنقاط والسكنات والحركات ركذكم من التفسير
والحواشي من سورة البقرة الى اخر سورة هود • الى اليوم
الموعود • واليوم المشهود • صلاة
ترزقنا الروية والشهود • في
الدنيا ودار الخلود • بفضلك
العميم • وكرمك العظيم والجود •
والحمد لله رب
العالمين
امين